

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأثير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد الجومني و دكتور بدوي طبانة

القسم الأول

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفيحاء - القاهرة

فهرس

القسم الأول

من كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »

تصدير ٢٦ .

- الحاجة الى نشر الكتاب

- عقلية ابن الأثير وثقافته

- مصادر الكتاب

- أثر عصر ابن الأثير وفنه في المثل السائر

- منهج ابن الأثير في البحث البياني

- النقد والبلاغة في المثل السائر .

ترجمة ابن الأثير ٢٧-٢٩ .

كتاب المثل السائر

١ - خطبة الكتاب ٣٣-٣٦ .

أهمية علم البيان - كلمة في كتب السابقين

اشادته بكتابي الموازنة وسر الفصاحة

منهج البحث .

٢ - مقدمة الكتاب ٣٧-١٦٢ .

الفصل الأول: في موضوع علم البيان ٣٧ .

الفصل الثاني: في آلات علم البيان وأدواته ٣٨ .

النوع الأول: معرفة علم العربية من النحو والتصريف ٤١ .

النوع الثاني: معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ٥٠ .

النوع الثالث: معرفة أيام العرب وأمثالهم ٥٣ .

النوع الرابع: الاطلاع على المنظوم والمنثور ٥٩ .

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية ٥٩ .

٦٠	النوع السادس : حفظ القرآن الكريم
٦١	النوع السابع : حفظ الأخبار النبوية
٦١	النوع الثامن : معرفة علمى العروض والقوافى
٦٢	الفصل الثالث : فى الحكم على المعانى
٧٠	الفصل الرابع : فى الترجيح بين المعانى
٧٨	الفصل الخامس : فى جوامع الكلم
٨١	الفصل السادس : فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن
٨٤	الفصل السابع : فى الحقيقة والحجاز
٩٠	الفصل الثامن : فى الفصاحة والبلاغة
٩٦	الفصل التاسع : فى أركان الكتابة
١٠٠	الفصل العاشر : فى الطريق إلى تعلم الكتابة
١٠٣	حل الأبيات الشعرية
١٣٤	حل آيات القرآن الكريم
١٤٩	حل الأخبار النبوية

المقالة الأولى

فى الصناعة اللفظية

القسم الأول : فى اللفظة المفردة

١٦٣	ما يحتاج إليه صاحب الصناعة فى تأليفه
١٦٤	التفاوت بين الألفاظ
١٧١	تباعد مخارج الحروف وتقاربها
١٧٥	الوحشى من الألفاظ
١٨٦	تقسيم الألفاظ إلى جزلة ورقيقة
١٩٦	المبتذل من الألفاظ
٢٠١	الألفاظ المشتركة
٢٠٤	عدد حروف الكلمة
٢٠٦	خفة الحركات

القسم الثانى : فى الألفاظ المركبة

٢٠٩	أنواع تأليف الألفاظ
٢١٠	النوع الأول : المسجع
٢١٠	اختلاف الآراء فى السجع - السجع فى القرآن

٢١١	السجع في الحديث النبوي
٢١٢	ذم سجع الكهان
٢١٤	السجع الجيد
٢٥٥	أقسام السجع من حيث تساوى الفصول
٢٥٧	أقسام من حيث الطول والقصر: السجعالقصر
٢٥٧	السجع الطويل
٢٥٨	التصریح في الشعر
٢٦٢	النوع الثاني: في التجنيس
٢٦٣	حقیقة التجنيس
٢٦٨	ما يشبه بالتجنيس
٢٧٧	النوع الثالث: في التصریح
٢٨١	النوع الرابع: في لزوم ما لا يلزم
٢٨٩	ما يلحق باللزوم
٢٩١	النوع الخامس: في الموازنة
٢٦٣	النوع السادس: في اختلاف صیغ الألفاظ واتفاقها
٣٠٥	النوع السابع: في المعاطلة اللفظية
٣٠٥	رأى قدامه في المعاطلة
٣٠٦	- رأى آخر
		- أقسام المعاطلة:
٣٠٧	(١) ما يختص بالأدوات
٣٠٩	(٢) ما يختص بتكریر الحروف
٣١١	(٣) ورود صیغ الفعل متتابعة
٣١٣	(٤) ما يتضمن مضافات كثيرة
٣١٣	(٥) ورود الصفات المتعددة على نحو واحد
٣١٥	النوع الثامن: في المنافرة بين الألفاظ في السبك
٣١٦	المنافرة في اللفظ المفرد
٣١٨	المنافرة في الألفاظ المتعددة
٣١٩	استدراكات القسم الأول
٣٢١	فهرس الكتاب

محتويات القسم الثاني من كتاب المثل السائر

في أدب الكتاب والشاعر لضيء الدين بن الأثير

المقالة الثانية

في الصناعة المعنوية توطئة في دعاني الخطابة

والشعر والكتابة (٣ - ٦٩)

صفحة

- ٤ بين الطبع والتحصيل ، هل أفاد أدباء العرب من كتب علماء اليونان
المعاني المبتدعة ، والمعاني المقلدة ، عوامل الابتداع : أثر الحوادث
المتجددة والأحوال الشاهدة
- ٧ أمثلة من ابتداع أبي تمام (٨) والبحترى (٩) والمتنبي (١٠) وأبي نواس
(١٣) وجليمة البكرية (١٦)
- من معاني ابن الأثير المبتكرة :
- في وصف حسان - من كتاب يتضمن منازل بلد ، ووصف
القتال بالمنجنيق
- ١٨
- ١٩ معنى مبتدع مستخرج من حديث نبوي - في وصف مغارة -
- ٢٠ من كتاب في وصف نزول العدو على حصار بلد
- ٢٠ فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ببغداد
- ٢١ بين عهد الملك والحجاج ، واستخراج معنى من كتاب الله
أمثلة من شعر أبي نواس (٢٢ ، ٢٢) ومسلم بن الوليد (٢٢)
وعلى بن جبلة (٢٣) وابن الرومي (٢٥) والمتنبي (٢٧) وشعراء
آخريين (٣٠)
- من كتابة ابن الأثير :
- ٣٤ في وصف صورة مليحة (٣٤) في ذم الشيب
كتابان في المعايير والمزل (٣٥) فصل من كتاب يتضمن وصف هزيمة
الكفار
- ٣٦

- ٣٦ من كتاب فى وصف القلم
 ٣٨ كتاب مع هدية من رطب
 ٤١ رقعة من هدية من ثياب ودراهم إلى بعض حجاب السلطان
 ٤٢ رقعة أخرى مع هدية من المسك
 ٤٥ رقعة من عاشق إلى معشوق
 ٤٧ كتاب فى التعزية بوفاة زوجة بعض الملوك وولدها
 ٥٠ كتاب عن الملك الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازى
 ٥٤ من جملة رسالة طردية فى وصف قسى البندق وحاملها
 ٥٦ استخراج المعانى من كتاب الله ومن حديث النبي
 ٥٧ فصل من كتاب إلى بعض المنعمين - من كتاب فى وصف القلم
 الضرب الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق ، والرد
 ٥٨ عل القائلين باستنفاد المعانى وصعوبة الاختراع
 ٥٩ مناقشة ابن أفلح البغدادي فى دعواه اختصاص المحدثين بالابتداع
 المتعصبون للألفاظ والرد عليهم
 ٦٣

النوع الأول

فى الاستعارة (٧٠ - ١١٥)

- ٧٠ الأوصاف الخاصة والأوصاف العامة للفصاحة والبلاغة
 أقسام الحجاز : التوسع ، والتشبيه التام ، والتشبيه المخدوف
 (الاستعارة)
 ٧١ الفرق بين التشبيه والاستعارة
 ٧٢ التوسع فى الكلام (٧٨) ضرباه : ما يرد على وجه الإضافة
 ٧٨ ما يرد على وجه الإضافة
 ٨١
 ٨٣ نحد الاستعارة ، التعريف المشهور ونقده ، تعريف ابن الأثير

- ٨٤ القرينة في الاستعارة — قول ابن جني في المجاز والرد عليه
- ٨٧ أقسام المجاز عند الغزالي ، واعتراضات ابن الأثير
- ٩٥ أمثلة للاستعارة المفيدة : من القرآن الكريم
- ٩٦ من الأخبار النبوية — من كلام العرب — من كلام ابن الأثير
- من الشعر العربي : لمسكين الدارمي (٩٨) لرجل من بني يسار (٩٩)
- لديك الجن — لأبي تمام (١٠١) للبحرئى (١٠٤) للمتنبئ (١٠٥)
- والشريف الرضى (١٠٨)
- ١٠٩ خلط الاستعارة بالتشبيه ، ومناقشة الخفاجى والأمدى
- الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة ، الاستعارات التى ينبئ بعضها
- ١١٣ على بعض .

النوع الثانى

فى التشبيه (١١٥ — ١٥٨)

- نقد علماء البيان فى تفريقهم بين التشبيه والتشبيلى . قسما التشبيه :
- ١١٥ التشبيه المظهر والتشبيه المضممر ، أقسام التشبيه المضممر ، وأمثلةها
- ١٢١ التشبيه المضممر أبلغ وأوجز من التشبيه المظهر
- ١٢٣ فائدة التشبيه ومحاسنه
- أقسام التشبيه : تشبيه معنى بمعنى ، تشبيه صورة بصورة ، تشبيه
- ١٢٧ معنى بصورة ، تشبيه صورة بمعنى
- ١٣١ الطرفان من حيث الأفراد والتركيب (١٢٨) تشبيه المفرد بالمفرد
- ١٣٦ تشبيه المركب بالمركب
- ١٤٦ تشبيه المفرد بالمركب
- ١٤٩ تشبيه المركب بالمفرد

١٥١ من معيب التشبيه

١٥٦ الطرد والعكس « غلبة الفروع على الأصول »

النوع الثالث

في التجريد (١٥٩ - ١٦٧)

١٥٩ حد التجريد ، معناه اللغوى : والمعنى البلاغى

١٦٠ فائدة التجريد - قسما التجريد : المحض ، وغير المحض

١٦١ القسم الأول : تعريفه ، أمثله

١٦٣ التجريد غير المحض : تعريفه ، أمثله

١٦٤ رأى أبى على الفارسى ، والرد عليه

النوع الرابع

في الالتفات (١٦٧ - ١٨٦)

١٦٧ معناه اللغوى ، معناه البلاغى ، من أسمائه « شجاعة العربية »

أقسام الالتفات :

القسم الأول : فى الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ؛ ومن الخطاب إلى

١٦٨ الغيبة ، رأى الزمخشري ومناقشته

القسم الثانى : فى الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وعن

١٧٩ الفعل الماضى إلى فعل الأمر

القسم الثالث : فى الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن الفعل

١٨١ المستقبل بالفعل الماضى

النوع الخامس

فى توكيد الضميرين (١٨٦ - ١٩٣)

١٨٦ بين النحو والبلاغة - معنى توكيد الضميرين

١٨٩ توكيد المتصل بالمتصل (١٨٨) توكيد المصل بالمنفصل

١٩١ توكيد المنفصل بالمنفصل

النوع السادس

في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده

(١٩٣ - ١٩٦)

فائدته - أمثلة من كلام العرب، ومن القرآن الكريم

النوع السابع

في التفسير بعد الإبهام

(١٩٦ - ٢٠٣)

١٩٦ فائدته - أمثلة من القرآن الكريم

١٩٧ الفرق بين عطف المظهر على ضميره والتفسير بعد الإبهام

١٩٩ الإبهام من غير تفسير ، أمثلة من القرآن ومن كلام العرب ومن الشعر

النوع الثامن

في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات

(٢٠٣ - ٢١٠)

ما يدخل تحت هذا النوع (٢٠٣) الخاص والعام (٢٠٣) الأوصاف

الخاصة إذا وقعت على شيئين - الأسماء المفردة الواقعة على

الجنس (٢٠٤) الصفتان الواردتان على شيء واحد (٢٠٥)

الصفات المتعددة الواردة على شيء واحد (٢٠٨)

النوع التاسع

في التقديم والتأخير

(٢١٠ - ٢٢٧)

٢١٠ ضربه : ما يغير المعنى ، وما لا يغير المعنى

الضرب الأول : بلاغة التقديم : تقديم المفعول على الفعل - تقديم

٢١٠ الخبر على المبتدأ - تقديم الظرف

- ٢١١ غرضاً التقديم : الاختصاص . مراعاة نظم الكلام
- ٢١٩ المعاظلة المعنوية : أمثلتها ، تفاوت درجاتها في القبح
- الضرب الثاني : تقديم السبب على المسبب (٢٢٣) تقديم الأكثر
- ٢٢٤ على الأقل
- ٢٢٦ تقديم الأعجب فالأعجب (٢٢٥) تقديم الأفضل والمفضول
- النوع العاشر
- في الحروف العاطفة والجاراة
- (٢٢٧ - ٢٣٣)
- ٢٢٧ بين النحو والبلاغة - حروف العطف
- التباس مواضع الفاء والواو - فعل المطاوعة - ما يلتبس بأفعال
- ٢٣١ المطاوعة
- ٢٣٢ حروف الجر : معاني بعض الحروف الجارة
- ٢٣٣ العدول عن بعض الحروف إلى بعض
- النوع الحادى عشر
- في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الإسمية والفرق بينهما
- (٢٣٤ - ٢٤٠)
- ٢٣٤ العدول عن أحد الخطابين إلى الآخر وفائدته
- ٢٣٥ ورود لام التوكيد في الكلام
- النوع الثانى عشر
- في قوة اللفظ لقوة المعنى
- (٢٤١ - ٢٤٧)
- ٢٤١ اختلاف الأوزان والصيغ واختلاف المعنى
- ٢٤٣ زيادة التصغير
- ٢٤٤ النقل من صيغة إلى صيغة ، وفائدته

النوع الثالث عشر

في عكس الظاهر (٢٤٨ - ٢٥٠)

معناه - أمثله - الغرض منه

النوع الرابع عشر

في الاستدراج (٢٥٠ - ٢٥٥)

استخراج ابن الأثير إياه من كتاب الله - معناه - فائدة الاستدراج
أمثلة من القرآن الكريم - من حديث بين الحسين بن علي
ومعاوية بن أبي سفيان

النوع الخامس عشر

في الإيجاز (٢٥٥ - ٣٤١)

٢٥٥ معناه - النظر إلى المعاني لا الألفاظ

٢٥٦ معاني القرآن : المعاني الأصول (٢٥٦) - المعاني الفروع

٢٥٨ رأى لبعض علماء البيان في مواضع الإيجاز والتطويل والرد عليه

٢٥٩ حد الإيجاز - الإيجاز والتطويل - أمثلة للإيجاز وللتطويل

قسما الإيجاز : الإيجاز بالحذف والإيجاز بغير الحذف ، التنبه إلى

٢٦٤ المحذوف في الأول أيسر

(١) الإيجاز بالحذف : بلاغته ، ضرباه : حذف الجمل ، وحذف

٢٦٨ المفردات

القسم الأول : حذف الجمل ، ضروبه :

٢٦٩ ١ - حذف السؤال المقدر ، ويسمى (الاستئناف)

(أ) إعادة الأسماء والصفات (٢٧٠)

(ب) الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات (٢٧٠)

٢٧٢ ٢ - الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب

٢٧٥ ٣ - الإضمار على شريطة التفسير

- ٢٧٥ (أ) ما يرد على طريق الاستفهام
 ٢٧٥ (ب) ما يرد على حد النفي والإثبات
 ٢٧٦ (ج) ما يرد على غير هذين الوجهين
 ٤ - ما ليس بسبب ولا مسبب ؛ ولا إضمار على شريطة التفسير ،
 ٢٧٧ ولا استئناف

القسم الثاني : حذف المفردات : ضروبه :

- الضرب الأول : حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر
 ٢٨٣ الفعل
 ٢٨٥ الضرب الثاني : حذف الفعل وجوابه
 ٢٩١ الضرب الثالث : حذف المفعول به
 الضرب الرابع : حذف المضاف والمضاف إليه ؛ وإقامة كل واحد
 ٢٩٥ منهما مقام الآخر
 الضرب الخامس : حذف الموصوف والصفة ؛ وإقامة كل منهما
 ٢٩٨ مقام الآخر
 ٣٠٤ الضرب السادس : حذف الشرط وجوابه
 ٣٠٦ الضرب السابع : حذف القسم وجوابه
 ٣٠٧ الضرب الثامن : حذف (لو) وجوابها
 ٣١١ الضرب التاسع : حذف جواب (لولا)
 ٣١٢ الضرب العاشر : حذف جواب (لما) وجواب (أما)
 ٣١٢ الضرب الحادى عشر : حذف جواب (إذا)
 ٣١٣ الضرب الثانى عشر : حذف المبتدأ والخبر
 ٣١٤ الضرب الثالث عشر : حذف (لا) من الكلام ، وهى مرادة
 ٣١٥ الضرب الرابع عشر : حذف الواو من الكلام وإثباتها
 ٣١٩ (ب) الإيجاز بغير الحذف : ضرباه

- الضرب الأول : ما ساوى لفظه معناه (الإيجاز بالتقدير) ٣٢٠
 الضرب الثاني : ما زاد معناه على لفظه (الإيجاز بالقصر) - قسماه :
- ٣٣٥ (١) ما يدل على احتمالات كثيرة
 ٣٣٨ (٢) ما لا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها
 النوع السادس عشر
 في الإطناب (٣٤١ - ٣٨٣)
- ٣٤١ فائدة الإطناب
 ٣٤٢ اختلاف علماء البيان في الإطناب : رأى العسكري والغانمي
 ٣٤٣ حقيقة معنى الإطناب في استعمال أهل اللغة
 ٣٤٤ حد الإطناب : الفرق بين الإطناب والتطويل والتكرير
قسما الاطناب :
- ٣٤٦ ١ - الإطناب في الجملة الواحدة : الحقيقة والحجاز
 ٣٥١ ٢ - الإطناب في الحمل : ضروبه
 ٣٥١ (ا) ذكر الشيء بمعان متداخلة ، كل معنى يختص بما ليس للآخر
 ٣٥٢ (ب) النفي والإثبات
 ٣٥٤ (ج) ذكر المعنى الواحد تماماً ، ثم يضرب له مثال من التشبيه
 ٣٥٥ (د) استيفاء معاني الغرض المقصود
 ٣٥٥ أمثلة للإيجاز والإطناب
 كتاب لابن الأثير عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى
 ديوان الخلافة ببغداد ، يتضمن فتح بيت المقدس ، واستنفاذه من
 ٣٦٠ أيدي الكفار
 ٣٧١ صورة تقليد أنشأه ابن الأثير لمنصب الحسبة
 ٣٨٤ محتويات القسم الثاني من المثل الثائر

فهرس القسم الثالث من كتاب

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر

يضياء الدين بن الأثير

منحة

النوع السابع عشر

(٣ - ٤٠)

في التكرار

حده . قسما : تكرار في اللفظ والمعنى . تكرار في المعنى

دون اللفظ ٣

وكل منها : تكرار مفيد ، وتكرار غير مفيد ٤

التكرير في اللفظ والمعنى

ينقسم إلى مفيد وغير مفيد :

١ - للفيد فرعان : (١) مقصود به فرضان مختلفان . أمثلة هـ

٩ (٢) مقصود به فرض واحد . أمثلة هـ

فائدة تكرير (أن) في قوله تعالى : « فلما أن أراد

أن يبطن » ١٢

لوم النحاة في قولهم بزيادة الحروف ١٣

من هذا القسم الثاني إضافة المعنى إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ١٥

صفحة

- أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان الفائدة من
هذه الإضافة ١٦
- اعتداد المؤلف بأنه أول من نبه على هذا النوع ١٦
قد يدخل في التكرير ما ليس بتكرير . اعتداد المؤلف بأنه
أول من تنبه إلى ذلك ١٦
- أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان السبب في
التكرير بها ١٧
- التكرير لطول الفصّل بين اسم إن وخبرها ١٧
- التكرير إذا كان خبر إن تاملاً في معمول يطول ذكره ١٨
- التكرير للاهتمام ١٩
- التكرير للتنبيه ١٩
- التكرير لتمداد النعم ٢٠
- التكرير لتأكيد المدح ٢٠
- دفاع عن بيت المتنبي ٢١
- تقدّم آخر للبيت ٢١
- (٢) التكرير غير المفيد ٢٣
- أمثلة له من الشعر ٢٣
- التكرير في المعنى دون اللفظ ٢٥

ضرباه : مفيد وغير مفيد

- (١) المفيد نوحان : الأول الدلالة على معنيين مختلفين ٢٥
- أمثلة له من النثر والقرآن والشعر ٢٦
- النوع الثاني : الدلالة على معنى واحد ٢٩
- أمثلة له من القرآن والشعر ٢٩

المنفعة

- تفصيل القول في الآية الكريمة (فصيام ثلاثة أيام في الحج
وسبعة إذا رجمتهم ، تلك عشرة كاملة) ٣٠
(٢) غير المفيد ٣٥
أمثلة له من الشعر ٣٥
رأى بعض البلاغيين في أنه لا عيب فيه إذا تفرقت ٣٥
الألفاظ ٣٥
رأى ابن الأثير أنه معيب في صدور الآيات الشعرية . ٣٦

النوع الثامن عشر

في الاعتراض

(٤٠ - ٤٩)

- حده ٤٠
قسما : قسم يأتي لفائدة ، وقسم لغير فائدة ٤٠
(١) القسم المفيد ٤٠
أمثلة له من القرآن الكريم ، وبيان فائدته ٤٢
أمثلة له من الشعر وبيان فائدته ٤٣
(٢) القسم غير المفيد : ضربان : ٤٦
الضرب الأول لا يكسب الكلام قبحا ولا حسنا ٤٧
أمثلة له ٤٧
الضرب الثاني يفسد الكلام ٤٧
أمثلة له ٤٧

النوع التاسع عشر

في الكتابة والتعريض (٤٩ - ٧٥)

- ٤٩ خلط علماء البيان بين الكتابة والتعريض
تميز ابن الأثير أحدهما من الآخر
- ٥٠ تعريفه للكتابة - اشتقاقها
- ٥٦ تعريفه للتعريض
- ٥٧ فروق بينهما

الكتابة

- ٥٨ تقسيمها إلى حسن وقبيح
- ٥٨ تقسيمها إلى تمثيل وإرداف ومجاورة
- ٥٩ نقد ابن الأثير للتقسيم الثاني
- ٦٢ أمثلة من النثر والشعر للكتابة
- ٧٠ ما يقبح ذكره من الكتابة
- ٧٢ أمثلة للتعريض

النوع العشرون

في المغالطات المعنوية (٧٦ - ٨٤)

- ٧٦ حقيقة هذا النوع
- ٧٦ (١) المغالطة المتأية أو التورية بعالمه مثل في الألفاظ المشتركة
- ٧٦ أمثلة لهذا النوع من الشعراء من الحديث النبوي
- ٧٩ كتاب لابن الأثير في وصف البرد والثلج

المنفعة

- ٨٠ كتاب له في وصف كريم
٨٠ كتاب إلى بعض إخوانه
٨١ كتاب له في وصف شخص بمال الأمور
٨١ كتاب إلى بعض إخوانه
٨١ كتاب له في وصف الحمى
٨٢ (٢) المناظرة النقيضية أو التورية بالنقيض
٨٢ أمثلة لها
٨٢ كتاب لابن الأثير في وصف فتح

النوع الحادى والمشرون

(٨٤ - ٩٦)

في الأحاجى

- ٨٤ معناها
٨٤ أمثلة لها
٨٥ الفرق بين الأحاجى والمناظرة والتمريض والكناية
٨٦ أنواع الأحاجى : المصحف ، المكوس
٨٦ فائدة الأحاجى والألغاز
٨٦ أمثلة أخرى من الشعر
٨٨ مسألة ملفزة من مقامات الحريرى ، وحل ابن الأثير إياها
٩٠ الحسن من الأحاجى والألغاز
٩٠ القبيح منها
٩٠ أمثلة من النثر
٩١ خلو القرآن الكريم من هذا النوع
٩٣ أمثلة أخرى من الشعر

النوع الثانى والعشرون

فى المبادئ والافتتاحات (٩٦ - ١٢٠)

- ٩٦ حقيقة هذا النوع
٩٦ فائدته
٩٦ واجب الشاعر فى الافتتاح
٩٨ الابتداءات فى أوائل الصور القرآنية
٩٨ أمثلة من قبيل الابتداء
١٠٣ أمثلة للابتداءات الحسنة من شعر أبى تمام والمقنبى
١٠٦ أمثلة من شعر غيرها
١٠٨ ملامحة التعميدات فى أوائل الكتب السلطانية لموضوعها
١١٠ تحميد لأبن الأمير فى تولية ولاية
١١٠ تهنئته بفتح
١١٢ تهنئة بمولود
١١٢ كتاب له إلى ديوان الخلافة
١١٣ » » إلى بعض الإخوان
١١٤ كتاب آخر إلى بعض الإخوان
١١٤ » إلى بعض إخوانه
١١٥ كتاب إلى بعض إخوانه
١١٥ » » »
١١٦ كتاب من الملك نور الدين إلى الملك الأفضل
١١٧ كتاب إلى بعض إخوا
١١٧ كتاب إلى بعض إخوانه
١١٧ كتاب له فى التمزية

الصفحة

١١٨	من عاسن هذا الباب الافتتاح بآية أو بحديث أو بشعر
١١٨	كتاب له في البشرى بفتح
١١٨	كتاب له في التقليد بالحسبة
١١٩	كتاب له في رجاء
١٢٠	توقيع له

النوع الثالث والعشرون

في التخلص والاعتضاب (١٢١ - ١٤٢)

١٢١	التخلص والاعتضاب
-----	------------------

التخلص

١٢٢	أمثلة لبراعة المحدثين في التخلص
١٢٦	اعتضاب البعثرى
١٢٨	الرد على الناعى في قوله إن القرآن خال من التخلص
١٢٨	أمثلة للتخلص من القرآن الكريم
١٣٢	نماذج لتخلص ابن الأثير في رسائله
١٣٥	أمثلة أخرى من التخلص الحسن في الشعر
١٣٧	أمثلة للتخلص القبيح

الاعتضاب

١٣٩	أمثلة له : أما بمد . لفظة هذا
١٤١	أمثلة له من جيد الشعر

النوع الرابع والمشرون
في التناسب بين المعاني
(١٤٣ - ١٧٧)

أقسام هذا النوع :

- ١٤٣ (١) المطابقة أو المقابلة
- ١٤٣ حقيقة المطابقة والآراء فيها
- ١٤٣ رأى ابن الأثير
- ١٤٤ (١) المقابلة في اللفظ والمعنى
- ١٤٤ أمثلة لها
- ١٤٦ أمثلة من نثر ابن الأثير
- ١٤٦ أمثلة أخرى من الشعر
- ١٥١ (٢) المقابلة في المعنى دون اللفظ
- ١٥١ (٣) مقابلة الشيء بما ليس بضده
- ١٥٣ المواخاة بين المعاني
- ١٥٦ المواخاة بين الباني
- ١٥٩ (٢) مقابلة الشيء بمثله
- ١٥٩ مقابلة المفرد بالمفرد
- ١٦٢ مقابلة الجملة بالجملة
- ١٦٦ (٣) صحة التقسيم وفساده
- ١٦٦ أمثلة له
- ١٧٣ ترتيب التفسير

النوع الخامس والمشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط (١٧٧-١٩٥)

١٧٧ حقيقة كل منها .

١٧٨ التفريط

١٧٩ أمثلة من التفريط

١٨٠ عيب ذكر اسم الأم في المدح

١٨٣ عيب التعليق على شرط لا يليق

١٨٥ أغلاط في المدح

١٨٦ دفاع عن بيت لحسان بن ثابت

١٨٧ خطاب المدوح بكاف الخطاب جائر

١٨٨ أمثلة من القرآن الكريم ، والشعر الجيد

١٨٩ تجنب الخطاب بالأمر والنهي في المدح

١٩٠ ألفاظ تليق بالمدح وأخرى تليق بالقم

١٩١ الإفراط

١٩١ جواز استعماله

١٩١ أمثلة له

١٩٤ الاقتصاد

١٩٤ توسطه بين التفريط والإفراط

١٩٤ أمثلة له من القرآن الكريم والشعر

الصفحة

النوع السادس والعشرون

في الاشتقاق (١٩٥-١٩٩)

١٩٥	الفرق بينه وبين التجنيس
١٩٦	نوعان : صغير وكبير
١٩٦	أمثلة للصغير
١٩٨	الاشتقاق الكبير

النوع السابع والعشرون

في التضمين (٢٠٠-٢٠٥)

٢٠٠	التضمين الحسن
٢٠٠	نوعان : كلي وجزئي
٢٠٠	التضمين الكلي
٢٠٠	جواز التضمين الكلي من القرآن الكريم
٢٠١	التضمين الميب عند بعض البلاغيين
٢٠١	جوازه في رأي ابن الأثير
٢٠١	أمثلة له
٢٠٣	تضمين الفرض منه تأكيد المعنى
٢٠٣	أمثلة له

النوع الثامن والعشرون

في الإحصاء (٢٠٦-٢١٦)

٢٠٦	حقيقته
-----	---	---	---	---	---	--------

الصفحة

- أمثلة له ٢٠٦
تسمية أبي هلال له بالتوشيح ٢٠٧
خلط علماء البيان في المصطلحات ٢٠٨
بعض الأعياب الحريري ليست من علم البيان ٢١٠
الرد على ابن سنان في حظر استعمال مصطلحات النحويين
والتكلمين والمهندسين ومما بينهم ٢١٢
أمثلة من جيد الشعر في الرد عليه ٢١٤

النوع التاسع والمشرون

(٢١٧-٢١٦)

في التوشيح

- حقيقته ٢١٦
أمثلة له ٢١٦

النوع الثلاثون

(٢١٨-٢١٩)

في السرقات الشعرية

- فائدة دراسة هذا النوع ٢١٨
وسيلته ٢١٨
لامعي لنفاذ المعاني لأن الابتداء ممكن ٢١٩
المعاني الشائعة لا ابتداء فيها ٢١٩
لا سرقة في المعاني الشائعة ٢٢٠
أمثلة لمعان مبتدعة ٢٢٠

المنحة

أقسام السرقات الشعرية

- النسخ ، والسليخ ، والنسخ ، وأخذ للمنى مع الزيادة عليه ،
٢٢٢ وعكس المنى إلى ضده
٢٢٣ وسيلة الوقوف على السرقات حفظ الأسماء
٢٢٣ أمثله مما حدث للمؤلف
٢٢٥ اعتماداً في هذه الدراسة على شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي
٢٢٧ رأيه في كل منهم

٢٣٠

النسخ

- ٢٣٠ حقيقته
٢٣٠ نومه
٢٣٠ ١ - وقوع الحافر على الحافر
٢٣٠ بين طرفه وامرئ القيس
٢٣٠ بين جرير والفرزدق
٢٣٢ بين أبي نواس والحسين بن الضحاك
٢٣٣ ٢ - أخذ المنى وأكثر اللفظ
٢٣٣ بين أبي تمام وبعض المتقدمين

٢٣٤

السليخ

أقسامه

- ٢٣٤ ١ - أخذ المنى واستخراج ما يشبهه

الصفحة

- ٢٣٤ بين المنبى والطرماع
٢٣٥ بين البحترى وأبي تمام
٢٣٥ مثال آخر من شعرها
٢٣٦ ٢ - أخذ المنى مجرداً من اللفظ
٢٣٦ بين أبي تمام وعروة بن الورد
٢٣٧ بين شاعر وعبدالله بن المقفع
٢٣٨ بين المنبى وجريير
٢٣٨ ٣ - أخذ المنى ويسير من اللفظ
٢٣٨ بين البحترى وأبي نواس
٢٣٨ بين البحترى وطى بن جبلة
٢٣٩ مثال آخر من شعرها
٢٣٩ بين أبي تمام وعبد السلام بن رغبان
٢٤٠ بين أبي تمام وحسان بن ثابت
٢٤٠ بين ابن الرومى وأبي تمام
٢٤١ مثال آخر من شعرها
٢٤١ بين ابن الرومى ومنصور النمرى
٢٤١ بين المنبى والفرزدق
٢٤٢ بين المنبى وبشار
٢٤٢ بين المنبى وابن الرومى
٢٤٣ متى يليق هذا الضرب من الأخذ
٢٤٣ متى يزداد قبضه
٢٤٣ أمثلة للأخذ القبيح
٢٤٣ بين المنبى وأبي تمام

الصفحة

- ٢٤٤ ٤ - أخذ المعنى ثم قلبه وعكسه
- ٢٤٤ بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
- ٢٤٥ بين شاعر وطى بن جعفر
- ٢٤٥ بين المتنبي وأبي الشيص
- ٢٤٥ بين ابن الأثير وأبي تمام
- ٢٤٦ ٥ - أخذ بمعنى المعنى
- ٢٤٦ بين أبي تمام وعبد الله بن جدعان
- ٢٤٧ بين المتنبي وطى بن جبلة
- ٢٤٧ بين البحترى وأبي تمام
- ٢٤٨ بين البحترى وشاعر متقدم
- ٢٤٨ بين المتنبي وابن الرومي
- ٢٤٩ ٦ - أخذ المعنى ثم الزيادة عليه
- ٢٤٩ بين مسلم بن الوليد والأخض بن شهاب
- ٢٤٩ بين أبي تمام وجريير
- ٢٥٠ بين أبي تمام وولد مسلمة بن فهد الملك
- ٢٥٠ بين أبي تمام وابن المنذر
- ٢٥١ بين البحترى وأبي نواس
- ٢٥١ بين البحترى ومسلم بن الوليد
- ٢٥٢ بين أبي نواس وجريير
- ٢٥٣ بين أبي نواس والفرزدق
- ٢٥٣ بين المعنى وأبي نواس
- ٢٥٤ بين ابن الأثير والمتنبي

المنحة

٢٥٤ • ٧ - أخذ المعنى والتعبير منه بمباراة أحسن من الأولى

٢٥٤ • • • • • بين البحترى وأبي تمام

٢٥٥ • • • • • مثال آخر لها

٢٥٥ • • • • • بين المنفي وأبي نواس

٢٥٦ • • • • • بين ابن نباتة السمدى والمنفي

٢٥٦ • • • • • بين القيسراني وأبي السلاء

٢٥٦ • • • • • بين أبي هلال العسكري وابن الرومي

٢٥٧ • • • • • بين أبي تمام وشاعر سابق

٢٥٧ • • • • • بين البحترى وأبي تمام

٢٥٧ • • • • • ٨ - أخذ المعنى وسبك سبكا موجزا

٢٥٨ • • • • • بين سلم الخمار وبشار

٢٥٨ • • • • • بين ابن الرومي وأبي تمام

٢٥٩ • • • • • بين ابن الرومي وأبي نواس

٢٥٩ • • • • • بين ابن قسيم الحموي وابن الرومي

٢٦٠ • • • • • بين أبي تمام وأبي المقاهية

٢٦٠ • • • • • بين المنفي وأبي تمام

٢٦١ • • • • • مثال آخر لهما

٢٦١ • • • • • بين المنفي وشاعر سابق

٢٦٢ • • • • • ٩ - تخصيص العام وتعميم الخاص

٢٦٢ • • • • • بين أبي تمام والأخطل

٢٦٣ • • • • • بين المنفي وأبي تمام

المنحة

- ١٠ - أخذ المعنى وزادته بيانا بمثال يوضحه ٢٦٣
- بين المتنبى وأبى تمام ٢٦٣
- مثال آخر من شعرها ٢٦٤
- بين البحتري وأبى تمام ٢٦٥
- ١١ - آحاد الطريق واختلاف المقصد ٢٦٥
- المراد بهذا الضرب ٢٦٥
- موازنة بين قصيدتين في الرثاء لأبى تمام والمتنبى ٢٦٥
- المعانى التى اتفقا فيها ٢٦٧
- المعانى التى اختلفا فيها ٢٦٨
- استطراد إلى الرد على من منموا المفاضلة بين المعانى
المختلفة ٢٧٠
- الرد على الذين فضلوا بعض الشعراء بأحكام خطائية
عامة ٢٧٠
- الرد على بشار فى تفضيل نفسه ٢٧٢
- مثال من التعصب للقدمات ٢٧٣
- رأى ابن الأثير فى المفاضلة بين الشعراء ٢٧٤
- الفرزدق وجربير والأخطل أشعر العرب ٢٧٤
- أبو تمام والبحتري والمتنبى أشعر منهم ٢٧٤
- الرد على دعوى أن جربيراً اقتصر فى هجاء الفرزدق على
أربعة معانٍ ٢٧٥
- أمثلة شتى من هجائه بعمان أخرى ٢٧٦
- قدرة جربير على التصرف فى المعنى الواحد ٢٨٠

الصفحة

عودة إلى النوع الحادى عشر من الصلخ

- ٢٨١ . . أمثلة من اتحاد الطريق واختلاف المقصد
٢٨١ بين التابغة وأبى نواس ومسلم وأبى تام والمتنبى
٢٨٤ بين المتنبى والبحترى
٢٨٤ . موازنة بين قصيدتيهما فى وصف الأسد
٢٨٨ بين المتنبى والبحترى فى الرثاء
٢٨٩ . . بين الشريف الرضى والبحترى

المسوخ

- ٢٩٠ تعريفه
٢٩٠ بين المتنبى وأبى تمام
٢٩١ بين المتنبى وابن رغبان

قلب الصورة القبيحة إلى حسنة لايسمى سرقة

- ٢٩٢ بين ابن نباتة السمدى والمتنبى
٢٩٢ بين المتنبى وأبى نواس

فهرس الموضوعات

بقية المثل السائر

٣	تكملة باب السرقات
٤	فضيلة الفصاحة والبلاغة
٥	مزايا النثر على النظم
٦	الفرق بين الكتابة والشعر

فهرس الفلك الدائر

- تصدير : ابن أبي الحديد ، حياته (١٥) مؤلفاته (١٦) شعره (١٧) .
الفلك الدائر : لماذا ألفه ؟ (٢١) طريقتنا في إخراجه (٢٢) الطابع العام
لفقد ابن أبي الحديد : بعضه حق (٢٣) بعضه بجانب للاحق (٢٨) بعضه متحامل
قاس (٢٩) .

موضوعات الكتاب :

مقدمة ابن أبي الحديد (٣١)

المسائل التي عرصه لها .

١ - التعبير عن الحمد (٣٥)

٢ - تعليم البيان (٣٦)

- ٣ - عطف الفعل على الاسم (٣٧)
- ٤ - ادعاء فضيلة الأحسان (٣٧) .
- ٥ - موضوع علم النحو (٣٨) .
- ٦ - مفسرو الأشعار (٣٩) .
- ٧ - علاقة الأدب بالعلوم (٤٠) .
- ٨ - أثر العلامة الإعرابية في فهم المعنى (٤١) .
- ٩ - تصغير الاسم الحماسي (٤٢)
- ١٠ - هل غلط أبو نواس في استعمال مُفَعَلَى؟ (٤٣)
- ١١ - هل غلط أبو تمام في استعمال أطادت؟ (٤٥)
- ١٢ - هل لحن أبو نواس في اللستني؟ (٤٥) .
- ١٣ - هل خفي على المتنبي الجمع في حال التثنية؟ (٤٦) .
- ١٤ - الحاجة إلى الإدغام (٤٧) .
- ١٥ - الترادف (٤٧) .
- ١٦ - الاشتراك (٤٨) .
- ١٧ - علاقة المشترك بالتجنيس (٤٩) .
- ١٨ - هل في القرآن كلمات مشتركة؟ (٥١) .
- ١٩ - هل الأسماء المشتركة من وضع قبائل مختلفة؟ (٥٢) .
- ٢٠ - حد المثل (٥٣) .
- ٢١ - بين ابن أبي الحديد والقاضي الفاضل (٥٤) .

- ٢٢ - فائدة من فوائد معرفة الإدغام (٥٦) .
- ٢٣ - تأويل اللفظ في المعنى وضده (٥٦) .
- ٢٤ - تفسير بيت المتنبي (٥٨) .
- ٢٥ - تفسير بيت آخر له (٦٠) .
- ٢٦ - ما يدل على الشيء وغيره من القرآن الكريم (٦٥) .
- ٢٧ - تعبير يدل على الشيء وغيره (٦٦) .
- ٢٨ - تعبير آخر يدل على الشيء وغيره (٦٧) .
- ٢٩ - تعبير من التوراة يحتمل وجهين (٦٨) .
- ٣٠ - تعبير لأفلاطون يحتمل وجهين (٦٩) .
- ٣١ - بيت لأبي صخر الهذلي يحتمل وجهين (٧٠) .
- ٣٢ - لا علاقة بين الحكمة والوزن (٧١) .
- ٣٣ - الفرق بين الترجيح البياني والترجيح الفقهي (٧٢) .
- ٣٤ - وسيلة الترجيح بين الحقيقة والمجاز (٧٣) .
- ٣٥ - بيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز (٧٣) .
- ٣٦ - دلالة القرينة الدقيقة على مراد المتكلم (٧٦) .
- ٣٧ - دلالة القرينة المتقدمة على المنى المراد (٧٨) .
- ٣٨ - حد الحقيقة (٧٩) .
- ٣٩ - الفرق بين الحقيقة والمجاز اعتماداً على تبادر الأفهام (٨١) .
- ٤٠ - الفرق بينهما جواز الحقيقة على المموم في نظائرها (٨٣) .

- ٤١ - هل لكل مجاز حقيقة؟ (٨٥) .
- ٤٢ - الفرق بين الفصاحة والبلاغة (٨٦) .
- ٤٣ - رأى ابن أبي الحديد في حد الفصاحة (٨٨) .
- ٤٤ - هل الفصاحة مختصة بالألفاظ دون المعاني؟ (٨٩) .
- ٤٥ - علاقة الفصاحة بالكلام المركب (٩٠) .
- ٤٦ - ما معنى الفصيح؟ (٩٠) .
- ٤٧ - التدليل والتعليل في علم البيان (٩٢) .
- ٤٨ - نثر المنظوم (٩٣) أمثلة من كلام ابن الأثير (٩٣) أمثلة من كلام ابن أبي الحديد (٩٧) . فصل في التهنية بعيد (٩٧) فصل في لقاء عدو (٩٨) فصل في وصف مهزم (٩٩) فصل في الصفح عن الجرائم (١٠٠) فصل في ذكر المراسلة (١٠١) فصل (١٠١) فصل (١٠٢) فصل في ذكر معقل (١٠٢) .
- ٤٩ - مثال من كلام ابن الأثير في حل بيتين (١٠٣) فصل من كلام ابن أبي الحديد (١٠٤) فصل في صفة جيش (١٥٠) فصل (١٠٦)
- ٥٠ - فصل في نثر بيت للمتنبى (١٧٠) فصل في صفة السيوف (١٠٧) فصل (١٠٩) فصل في المتاب (١١٠) فصل في ذكر السبابا (١١٠) .
- ٥١ - فصل في نثر بيت للمتنبى (١١١) فصل (١١٢) فصل (١١٤) فصل (١١٦) فصل (١١٨) .
- ٥٢ - فصل في حل بيت للمتنبى (١١٨) فسطاط مصر (١٢٠) فصل (١١٢) فصل (١٢٣) فصل (١٢٤) فصل (١٢٤) .

- ٥٣ - فصل في هيئة عسكر (١٢٥) فصل (١٢٦) فصل في ذكر الدنيا
(١٢٧) فصل (١٢٨) فصل في صفة الخليل (١٢٩) الترصيع بالآيات
القرآنية وغيرها (١٣٠) أمثلة من كلام ابن أبي الحديد (١٣٠) .
- ٥٤ - تباعد مخارج حروف اللفظة (١٧٢) .
- ٥٥ - ألفاظ متقاربة المخارج وهي غير مستقبجة (١٧٤) .
- ٥٦ - هل الظرف يختص باللسان؟ (١٧٥) .
- ٥٧ - هل طول اللفظة يقبحها؟ (١٧٦) .
- ٥٨ - تكرير المعنى في السجعة الثانية (١٧٨) .
- ٥٩ - أنواع التصريح (١٨١) .
- ٦٠ - من أنواع التجنيس (١٨٨) .
- ٦١ - نوع آخر منه (١٨٩) .
- ٦١ - الموازنة (١٩٠) .
- ٦٣ - الصناعة المعنوية (١٩٠) .
- ٦٤ - المدول عن الحقيقة إلى المجاز (١٩٢) .
- ٦٥ - بين التشبية والتوكيد (١٩٥) .
- ٦٦ - متى يؤتى بالتوكيد؟ (١٩٦) .
- ٦٧ - الانساع (١٩٧) .
- ٦٨ - تقسيم الغزالي للمجاز (١٩٨) .
- ٦٩ - القسم الأول تسمية الشيء باسم ما شاركه في الخاصية (١٩٩) .

- ٧٠ — القسم الثمانى تسمية الشيء باسم ما يثول إليه (١٩٩) .
- ٧١ — القسم الثالث تسمية الشيء باسم فرعه (٢٠١) .
- ٧٢ — القسم الخامس تسمية الشيء بما يدعو إليه (٢٠٢) .
- ٧٣ — القسم السادس تسمية الشيء باسم مكانه (٢٠٣) .
- ٧٤ — القسم السابع تسمية الشيء باسم ما يجاوره (٢٠٤) .
- ٧٥ — القسم الثامن تسمية الشيء باسم جزئه (٢٠٥) .
- ٧٦ — القسم التاسع تسمية الشيء باسم ضده (٢٠٦) .
- ٧٧ — القسم العاشر تسمية الشيء بفعله (٢٠٧) .
- ٧٨ — القسم الحادى عشر تسمية الشيء بكلمه (٢٠٩) .
- ٧٩ — القسم الثانى عشر الزيادة فى الكلام بغير فائدة (٢١٠) .
- ٨٠ — القسم الثالث عشر تسمية الشيء بحكمه (٢١٢) .
- ٨١ — القسم الرابع عشر النقصان الذى لا يبطل به المعنى (٢١٣) .
- ٨٢ — فى شروط بلاغة التشبيه (٢١٤) .
- ٨٣ — التجريد (٢١٧) .
- ٨٤ — حول رأى لأبى على الفارسى فى التجريد (٢١٩) .
- ٨٥ — رد على أبى على ودفاع عنه (٢٢٠) .
- ٨٦ — رد آخر ودفاع (٢٢١) .
- ٨٧ — اعتراض على أبى على ورد على الاعتراض (٢٢١) .
- ٨٨ — الالتفات (٢٢٤) .

- ٨٩ — الغرض منه عند الزمخشري (٢٢٥) .
- ٩٠ — اعتراض على الزمخشري ودفاع عنه (٢٢٧) .
- ٩١ — توكيد الضمير المتصل (٢٢٨) .
- ٩٢ — توكيد المتصل بالمتصل (٢٣٠) .
- ٩٣ — العام والخاص (١٣١) .
- ٩٤ — الفرق بين (ذهب الله بنورم) وأذهب الله نورم (٢٣٤) .
- ٩٥ — نقي الجنس (٢٣٦) .
- ٩٦ — في قوله تعالى : (لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) (٢٣٨) .
- ٩٧ — في قوله تعالى : (فلا تقل لها أف ولا تنهرها) (٢٤١) .
- ٩٨ — الترقى من الأدنى إلى الأعلى (٢٤٢) .
- ٩٩ — بيت لأبي تمام (٢٤٤) .
- ١٠٠ — تقديم المفعول على الفعل للاختصاص (٢٤٥) .
- ١٠١ — آية قرآنية (٢٤٦) .
- ١٠٢ — اعتراض على الزمخشري ودفاع عنه (٢٤٧) .
- ١٠٣ — آية قرآنية (٢٤٨) .
- ١٠٤ — تقديم خبر المبتدأ للاختصاص (٢٥٠) .
- ١٠٥ — آية قرآنية (٢٥١) .
- ١٠٦ — آية قرآنية (٢٥٣) .
- ١٠٧ — تقديم الظرف للاختصاص في الإثبات (٢٥٧) .

- ١٠٨ - تقديم الظرف في النفي قد يكون للتفضيل (٢٥٩) .
- ١٠٩ - تقديم الحال للاختصاص (٢٩١) .
- ١١٠ - تقديم الاستثناء للاختصاص (٢٦٢) .
- ١١١ - الفاء ليست للفوز بل للتعقيب (٢١٣) .
- ١١٢ - آيات قرآنية (٢٦٤) .
- ١١٣ - ألفاظ المبالغة والتكثير (٢٦٧) .
- ١١٤ - متى يجوز حمل اللفظة على التضمين الذي يفيد المبالغة ؟ (٢٦٨) .
- ١١٥ - هل علم أبلغ في المعنى من عالم ؟ (١٧٠) .
- ١١٦ - تطويل لا حاجة إليه (٢٧٢) .
- ١١٧ - تفسير بيت لأبي تمام (٢٧٥) .
- ١١٨ - رواية في بيت لأبي نواس (٢٧٤) .
- ١١٩ - تقدير المحذوف في بعض آيات قرآنية (١٧٨) .
- ١٢٠ - هل حذف الفاعل لا يجوز ؟ (٢٧١) .
- ١٢١ - متى يحذف الفعل ؟ (٢٨٢) .
- ١٢٢ - حذف الفعل قسمان (٢٨٢) .
- ١٢٣ - ما العامل في البديل ؟ (٢٨٣) .
- ١٢٤ - التكرير (٢٨٤) .
- ١٢٥ - آية قرآنية (٢٨٥) .
- ١٢٦ - الفرض من التكرير (٢٨٧) .

- ١٢٧ — رأى فى معنى الواو فى قوله تعالى (وسبعة إذا رجعتن) (٢٨٩) .
- ١٢٨ — آيتان قرآنيتان (٢٨٩) .
- ١٢٩ — تعليق آخر على آية الصوم (٢٩٠) .
- ١٣٠ — تعليق ثالث (١٩٠) .
- ١٣١ — عطف المترادفين (٢٩١) .
- ١٣٢ — حد الكناية (٢٩٢) .
- ١٣٣ — حد الألفاظ والأحاجى (٢٩٦) .
- ١٣٤ — مناسبة التجميدات لمعانى الكتب السلطانية (٢٩٧) .
- ١٣٥ — المطابقة (٣٠٠) .
- ١٣٦ — ترتيب التفسير (٣٠٠) .
- ١٣٧ — نقد الأعشى (٣٠١) .
- ١٣٨ — الفرق بين المترسل والشاعر (٣٠٢) .
- ١٣٩ — الفرق بين الشعراء وموضوعات المترسلين (٣٠٦) .
- ١٤٠ — الفروق بين الشعراء وموضوعات المترسلين فى رأى ابن الأثير
(٣٠٩) .
-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

هذا كتاب « المثل السائر » الذى ألفه ضياء الدين بن الأثير فى أدب الكاتب والشاعر ، تقدمه اليوم إلى الباحثين عن الفكرة العربية فى مظانها التى يعد « المثل السائر » فى طليعة تلك المظان الأصيلة ، بما حوى من الآراء والفكر التى تدور حول فن الأدب ، والتى تتعمق إلى أصوله فى عصر ابن الأثير ، وفى العصور التى سبقته ، وهى التى زخرت بكثير من أصول تلك الصناعة التى اهتدى إليها العلماء وكبار الأدباء والنقاد الذين يعرفهم تاريخ الأدب والنقد عند هذه الأمة العربية التى تعمل اليوم فى جد ودأب لبناء قوميتها ، وتبحث فى إصرار عن المقومات الأصيلة لهذه القومية فى السياسة والعلم والتفكير والأخلاق والفنون ، لتبعثها من جديد مجارية ركب التقدم ، ولتعيد إليها سالف مجدها فى بناء الحضارة الإنسانية .

وعلى الرغم مما يمتاز به هذا الكتاب من الآراء المستنيرة التى أثرت عن أعلام التفكير الفنى ، والتى يعد هذا الكتاب سجلا حافلا لها ، فإن فيه من معالم الأصالة وآثار الشخصية التى تميز صاحبها من غيره من الباحثين شيئا كثيراً .

وقد كان لنا من إخراج هذا الأثر وإعادة نشره غايات ثلاث :

أولها : تقديم نسخة صحيحة من هذا الكتاب يستطيع الباحثون والدارسون الاعتماد عليها ، بعد أن عز على كثير من الطالبين اقتناء نسخة منه ، بسبب تقادم العهد بينهم وبين عهود نشره ، ونفاد هذا السفر الجليل من المكتبات العربية ، مع الإحساس بالحاجة إليها ، ليقوم بدوره بجانب ما بعث من آثار التراث العربى فى الناحية التى يتصدى لها هذا الكتاب .

والثانية : إحياء ناحية لها أهميتها من نواحي التفكير الفنى عند العرب فى هذا العهد الذى يمتاز ببعث نفائس التراث العربى ، وإحياء مصادر الثقافة العربية ونشرها ، تمهيداً لدرسها ، واستخراج كل صالح مفيد من الأفكار التى اشتملت عليها .

والثالثة : وصل تلك الآراء التى اشتمل عليها المثل السائر بغيرها من الآراء التى توافقها أو تخالفها . والغاية من ذلك الوقوف على أصالة مباحث هذا الكتاب ومداهما فيما عرضت له من الدراسات ، وكذلك معرفة حظ ابن الأثير من تلك الأصالة . وهذه الغاية الأخيرة وحدها جديرة بأن يفرد لها بحث ، بل بحوث مستقلة . ولذلك اكتفينا بالإشارة فى هامش هذه الطبعة إلى الآراء التى توأرد عليها ابن الأثير وغيره من الذين بحثوا فى مثل ما بحث ، والآراء التى نقلها عن غيره ناسباً إياها إلى صاحبها الأصلي . أو التى ادعاها لنفسه ، مما وجدنا ثمرة الإفادة منه واضحة . وأثر الاقتفاء بارزاً . ولم يخرج ذلك عن طبيعة ما وضع الهامش من أجله بما لا يخرج عن حد الإشارة أو اللمحة الدالة .

أما ضروب الأصالة ، ومنابع العقلية التى استقى منها هذا الكتاب ، فإننا ذكروها فى هذه المقدمة ، بما لا يخرج أيضاً عن طبيعة المقدمات .

* * *

وإذا كان لكل مؤلف فى فن من فنون التأليف لون خاص من ألوان المعرفة يمتاز به عما سواه ، وناحية يظهر تفوقه فيها . ويظهر تقصيره فى غيرها . فإن ابن الأثير قد حلق فى آفاق كثيرة من آفاق المعرفة ، تجدد صداها واضحاً فى هذا السفر النفيس . فأنت ترى فيه الكثير من الإشارات التاريخية التى لا يعرفها إلا الواقفون على أحداث الزمان ، والعارفون بتقلباته وسير أبطاله وأعلامه .

وتقرأ فيه آثار معرفة واسعة بعلوم العربية التى لا يعرفها إلا المختصون بدراسة أصولها ، والمتبحرون فى فقه لغتها ، والعاكفون على معرفة نحوها وصرفها ، وأساليب التعبير بها . وتطالع فى المثل السائر آثار معرفة بكتاب الله . وحفظ آياته ، وقدرة عجيبة على استحضارها ، والتمثل بها فى كل موضع يريد أن يتمثل فيه بما يوافق آراءه فى وسائل الإجابة ، وأسباب الإلتقان . وتجدد فيه كثيراً من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وفقه سنته ، والوقوف على سيرته وأخبار صحابته .

كل ذلك إلى جانب ما وشيت به صفحات المثل السائر من حكم العرب وأمثالها ، ومن مآثور منظومها ، وجيد مثورها ، مما يروك الاطلاع عليه ويأخذ بلبك ما ترى من القدرة على استحضاره ، وإجادة التمثل به .

هذه الألوان الكثيرة من المعرفة ، وبهذه الثقافات المتنوعة كمل ابن الأثير نفسه ، حتى يحسن إعداد نفسه لما عرض له من علاج الأدب الذى كانوا يعرفون أنه الأخذ من كل فن بطرف .

ولقد كان ابن الأثير أديباً من كبار أدباء العرب ، وكاتباً من كتّابهم المعدودين والكتّاب - كما يرى ابن الأثير - ينبغى أن يتعلق بكل علم ، وفي رأيه أن كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه ، فيقال : فلان النحوى وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم . ولا يسوغ له أن ينسب إلى الكتابة ، فيقال : فلان الكاتب ، وذلك لما يفتقر إليه الكاتب من الخوض في كل فن . . .

وبمثل هذه النظرة إلى الأديب الكاتب وما ينبغى له ، نظر ابن الأثير إلى البلاغى أو صاحب البيان ، وذهب إلى أنه لا ينبغى له أن يقدم على هذا العلم إلا إذا اكتملت لديه ألوان ثمانية من المعارف ، وهى :

- ١ - معرفة علم العربية من النحو والتصريف .
- ٢ - معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشى الغريب ، ولا المستكره المعيب .
- ٣ - معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التى جاءت فى حوادث خاصة بأقوام ، فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضاً .
- ٤ - الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور . فإن فى ذلك فوائد جمة ، لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم . ويعرف به مقاصد كل فريق منهم ، وإلى أين ترامت به صنعته فى ذلك ، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة ، وتذكى الفطنة . وإذا كان صاحب الصناعة عارفاً بها تصير المعانى التى ذكرت ، وتعب فى استخراجها ، كالشئ الملقى بين يديه « يأخذ منه ما أراد ، ويترك ما أراد . وإذا كان مطلعاً على المعانى المسبوق إليها فإنه قد يتهياً له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه .
- ٥ - معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك ، لما يحتاج إليه الكاتب فى تقليدات الملوك والأمراء ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم ، وإذا لم يكن الكاتب عارفاً بالحكم فى الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها ، وما هو رخصة فى ذلك ، وما ليس برخصة ، فإنه لا يستطيع أن يكتب كتاباً ينتفع به .
- ٦ - حفظ القرآن الكريم . فإن صاحب هذه الصناعة ينبغى له أن يكون عارفاً به لأن فيه فوائد كثيرة منها أن يضمن كلامه بالآيات فى أماكنها اللاتفة بها . واستعمالها فى مواضعها المناسبة لها ، ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق

وإذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذها بحراً يستخرج منه الدرر والجواهر ، ويودعها مطاوى كلامه .

٧ - حفظ الأخبار النبوية ، مما يحتاج إلى استعماله ، فإن الأمر في ذلك يجرى مجرى القرآن الكريم .

٨ - ما يختص بالناظم دون الناثر . وذلك معرفة العروض ، وما يجوز فيه من الزحاف ، وما لا يجوز ، فإن الشاعر محتاج إليه ، وإن كان النظم مبنياً على الذوق ، ولكن الذوق قد ينبوع عن بعض الزحافات . ويكون ذلك جائزاً في العروض ، وقد ورد للعرب مثله ، فإذا كان الشاعر غير عالم به ، لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز

وكذلك يحتاج الشاعر أيضاً إلى معرفة علم القوافي ، ليعلم الروى والردف ، وما يصح من ذلك وما لا يصح .

وقد اشترط ابن الأثير قبل تحصيل تلك المعارف جميعها أن يكون الله تعالى قد ركب في الأديب طبعاً قابلاً لهذا الفن ، ورأى أن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التثبت بكل فن من الفنون ، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادرة بين النساء ، والماشطة عند جلوة العروس . وإلى ما يقوله المنادى على السلعة في السوق . والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد ، فيحتاج أن يتعلق بكل فن : لأن الحكمة ضالة المؤمن ، وقد يستفيد منها أهلها من غير أهلها .

وهكذا يغالى ابن الأثير في ثقافة الأديب ، ويرى أنها لا حصر لمواردها ، ويذهب إلى أن البيان كالجمال ، لا نهاية لكل منهما .

* * *

ولقد كان ضياء الدين على حظ عظيم من تلك الثقافات ، كما يشهد لذلك هذا الكتاب ، وما أودع فيه من فنونها الكثيرة التي حصلها بجده ، والطبع الأصيل الذي منحه الله إياه . وكل ركن من الأركان التي ذكرها ، وكل آلة من الآلات التي أوجب أن تكون طوع يمين الكاتب ، فقد عنى نفسه في البحث عنها في مظانها .
والواقع أن أكثر ما ذكر ضياء الدين من أصول فن الأدب ، وما يسموه وما ينحط

لم يكن من أثر النظر وضروب التخيل لمثل الفن الأدبي ، كما كان ذلك شأن أكثر الآراء التي أثرت عن الذين قننوا لهذا الفن ، ووضعوا قواعده ، وقد كان جهد أكثرهم أهمية ، وأجدرهم بالاعتبار ، الموازنة بين الأعمال الأدبية ، واستخلاص مظاهر القوة والجمال التي تمتاز بها بعض تلك الأعمال على بعض . وكان أكثر تلك الأعمال من صنع غيرهم ، على حين أن ابن الأثير كانت صفته الأساسية البارزة اشتغاله بالأدب ، واحترافه فن الكتابة الذي عدّ علماً من أعلامه ، وارتقى به هذا الفن حتى وصل به إلى مرتبة الوزارة ، وتصريف شئون المملكة ، بصرف النظر عن مدى توفيقه في ذلك المنصب الخطير ، وسوء تدبيره للأمور ، مما كانت عاقبته نكالا عليه وعلى من ولاه . لذلك كانت آراؤه في الأدب والنقد صادرة عن الفن الذي أعد نفسه له ، وعن التجربة التي عاش فيها حياته . ولذلك قرأ ضياء الدين آثار الكتاب الذين ذاع صيتهم وحلق نجمهم ، في سماء صناعة الكتابة ، ليقف على مناهجهم فيها ، وينقد منها ما لا يراه جارياً وفق مقاييسه التي يرتضيها وهي المقاييس التي رأى أنها أكثر دلالة على إتقان الصنعة ، ولم يقف في سبيل ذلك عند آثار القدماء من فحول هذه الصناعة ، بل إنه نقد معاصريه منهم ، وهم الذين كان يشار إليهم في عصره في هذه الصناعة بالبنان .

وكان ابن الأثير لا يقنع بما يوجهه إلى أولئك الأعلام من النقد لآثارهم ، ولكنه كان يتبع هذا النقد بناذج من آثاره ، ويوقف على الفرق بين أسلوبه وأسلوب غيره ، حتى يستدرج قارئه إلى الإذعان لنبوغه ، والتسليم بتفوقه ، ثم يثنى على نفسه وفنه بما استطاع . والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ - نقده للقاضي الفاضل في قوله (١) : « وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني - رحمه الله - عن الملك صلاح الدين يوسف ابن أيوب - رحمه الله - إلى ديوان الخلافة ببغداد في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وضمنه ما أبلاه في خدمة الدولة من فتح الديار المصرية ، ومحو الدولة العلوية ، وإقامة الدعوة العباسية ، وشرح فيه ما قاساه في الفتح من الأهوال . »

(١) انظر صفحة ٥٤ وما بعدها من هذه الطبعة .

قال : ولما تأملته وجدته كتاباً حسناً قد وفي فيه الخطابة حقها ، إلا أنه أخلّ بشيء واحد ، وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات ، وكان الفتح في المرة الثالثة ، وهذا له نظير في فتح النبي صلى الله عليه وسلم ، مكة فإنه قصدها عام الحديبية ، ثم سار إليها في عمرة القضاء ، ثم سار إليها عام الفتح ، ففتحها .

ثم يقول : وقد سألتني بعض الإخوان أن أنشئ في ذلك كتاباً إلى ديوان الخلافة معارضاً للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي - رحمه الله - فأجبتني إلى سؤاله ، وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - فقلت . . الخ إلى أن يقول : وعجبت من عبد الرحيم بن علي البيساني ، مع تقدمه في فن الكتابة ، كيف فاته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه ؟!

٢ - قوله في ابن زياد الكاتب البغدادي : « وجدت لابن زياد البغدادي كتاباً كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولاً تشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة ، فمن تلك الأمور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر ، وذلك اللقب هو لأمر المؤمنين خاصة ، فإنه الإمام الناصر لدين الله . فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتاباً حسناً ، قد أجاد فيه كل الإجادة ، ولم أجد فيه مغمراً إلا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب ، فإنه لم يأت بكلام يناسب باقي الفصول المذكورة ، بل أتى بكلام فيه غثاثة كقوله : « ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام » وشيئاً من هذا النسق . وكان الأليق والأحسن أن يحتج بحجة فيها روح ، ويذكر كلاماً فيه ذلاقة ورشاقة .

قال : وحضر عندي في بعض الأيام بعض إخواني ، وجرى حديث ذلك ، فسألني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا الفصل ، فذكرت ما عندي ، وهو : . . الخ .

إلى أن يقول منهاً القارئ إلى ما وفق إليه ، وموازنًا بين نفسه وابن زياد : « فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي ، وجعلته شاهداً على هذا الموضع ، ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج ، وما أعلم كيف شد عن ابن زياد أن

يأتى به ، مع أنه كان كاتباً مفلحاً أرتضى كتابته ، ولم أجد فى متأخرى العراقيين من يماثله فى هذا الفن» (١) .

٣ - وقد نقد أبا إسحاق الصابى فى كثير من المواضع ، وأورد له الرسائل الطويلة ، والنتف اليسيرة ، وأتبعها بكتابته ، ليرى الفرق بين الكتابتين ؛ فمن ذلك ما أورده من قول الصابى فى صفة النبی ﷺ « لم ير للكفر أثراً إلا طمسه ومحاه . ولا رسماً إلا أراله وعفاه » ، وقد عابه ابن الأثير بأنه لافرق بين مرور العصور وكرور الدهور ، وكذلك لافرق بين محو الأثر وعفاء الرسم .

وأورد للصابى أيضاً قوله فى بعض كتبه « وقد علمت أن الدولة العباسية لم تزَلْ على سالف الأيام ، ومتعاقب الأعوام ، تعتل تارة ، وتصح أطواراً ، وتلتاث مره ، وتستقل مراراً ، من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع ، وبنياتها ثابت لا يتضعضع » وعابه ابن الأثير بأن هذه الأسجاع كلها متساوية المعانى فان الاعتلال والالتاث ، والطور والمره ، والرسوخ والثبات ، كل ذلك سواء وساق على هذا النحو من النثر الصابى أمثله أخرى .

٤ - وعاب على الصاحب بن عباد ما كتبه فى وصف مهزومين « طاروا واقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلاهم نحورهم » بقوله : إن كلا المعنيين سواء . . . وكذلك نقد قول الصاحب فى وصف ضيق مجال الحرب « مكان ضنك على الفارس والراجل ، ضيق على الرامح والنابل » وقوله فى كتاب « لا تتوجه همته إلى أعظم مرقوب إلا طاع ودان ، ولا تمتد عزيمته إلى أفخم مطلوب إلا كان واستكان » ، فإن كل هذا الذى ذكره الصاحب فى نظر ابن الأثير شىء واحد . لأنها ألفاظ متعددة تؤدى معانى واحدة .

وقول الصاحب من كتاب « وصل كتابه جامعاً من الفوائد أشدها للشكر استحقاقاً وأتمها للحمد استغراقاً ، وتعرفت من إحسان الله فيما وفر من سلامته ، وهنأه من كرامته ، أنفس موهوب ومطلوب ، وأحمد مرقوب ومخطوب » نقده ابن الأثير بأن هذا كله مماثل المعانى متشابه الألفاظ (٢) .

(١) انظر صفحة ٥٧ وما بعدها من هذه الطبعة . (٢) انظر صفحة ٢١٤ وما بعدها من هذه الطبعة

وقد أراد ابن الأثير أن ينفي عن نفسه مظنة التحامل على هذين الكاتبين الكبيرين والتعصب عليهما ، فيما قدمه من الأمثلة المسجوعة للصابي والصابي ابن عباد ، فقد يذهب بعض الناس إلى أن المآخذ فيها يسيرة لأنها جمل قصيرة ، قد يقال إنه التقطها التقاطاً من جملة رسائلها الطويلة .

وقد حاول أن يخرج نفسه من هذه التهمة ، بأنه وجد للصابي تقليداً بنقابة الأشراف العلويين ببغداد ، وكان ابن الأثير قد أنشأ تقليداً بنقابة الأشراف العلويين بالموصل ، وقد أورد التقليديين في كتابه ^(١) ، ليتأملها الناظر ، ويحكم بينهما إن كان عارفاً ، أو يسأل عنها العارف إن كان مقلداً .

وعلى الرغم من أن كلام ابن الأثير هنا غاية الوضوح ، إذ أنه يحاول أن يقود القارئ إلى الحكم الذي يريد ، وهو الحكم بتفوقه ، أو تفوق كتابته على الصابي أو كتابته ، فإنه يحاول أن يستر ما أظهر من انتقاصه ، ولا يجد سبيلاً إلى ذلك إلا أن يورد تقليد الصابي أولاً ، لأنه كما يقول « المقدم زماناً وفضلاً ! » .

ومعنى ذلك أنه يريد أن يقول إنه إذا كان قد بذ المقدم زماناً وفضلاً في نظر الناس فهو أحق بالفضل والتقدمة ، وإن تأخر به زمانه !

وحين يرى وضوح الغاية من كلامه ، يحاول أن يسترها بأنه لم يقصد بما أورد من كتابة الصابي وكتابته الوضع من منزلة الرجل : أو التهوين من خطر فنه .

وقد يكون ذلك حقاً ، وقد يكون الوضع من شأن الصابي في حد ذاته لم يكن

هدف ابن الأثير من هذه الكلمات وتلك الموازنات . وإنما كان القصد الحقيقي هو إثبات تفوقه عليه ، وتمكنه من صناعة الكتابة على درجة لم يستطع أن يصل إليها

الصابي ، أو غيره من أعلام الكتاب ، الذين اعترف لهم الناس بالإجادة والسبق .

ولذلك تراه يعترف بمنزلة الصابي ، وبأن علم الكتابة قد رفعه ، وأنه إمام هذا

الفن ، والواحد فيه ، وأنه أجاد في السلطانيات كل الإجادة ، وأحسن كل

الإحسان ، ولكنه في الإخوانيات مقصر ، وكذلك في كتب التعازي . مع أن

(١) تقليد الصابي في صفحة ٢٨٧ - ٢٥٩ وتقليد ابن الأثير في صفحة ٢٩٥ - ٣٠١

التقليدين الذين سجلها ابن الأثير ، ووازنها بتقليديه ، إنما يدخلان في باب السلطانيات ، ولا علاقة لها بالرسائل الإخوانية أو بكتب التعازى ! وهذا من أهم مظاهر اضطراب ابن الأثير ، في تقدير الصابي بين الغاية والوسيلة ، ففي هذا الكلام مدح جارى به المشهور الذى لا ينكره أحد ، وذم أشبع به ما في نفسه من الزهو والغرور . فوصف الرجل بأن عقله في كتابته زائد على فصاحته وبلاغته ، وزيادة العلم على المنطق هجته ، وزيادة المنطق على العلم خدعة !

وقد يكون ابن الأثير على حق في كل ما قال ، أو في أكثر ما قال مما نقد به أولئك الكتاب من الناحية الفنية ، وقد لا يكون كذلك ، وإنما الغاية من سوق هذه الشواهد أن ابن الأثير قد عاش في جو الكتابة والكتاب كاتباً يقرأ كثيراً ، ويتعمق فيما يقرأ ، ويبحث عن أسباب القوة وأسباب الضعف ، ثم يعرض ذلك على ذهنه وبصيرته الفنية الواعية ، ثم يكتب ما شاء ان يكتب مجرداً كتابته من أسباب الضعف ، ومضيفاً إليها من أسباب القوة مارآه يزيد في قدره ، ويرفع من شأن كتابته ، ومحققاً المثل التى تصورها لفن الكتابة .

وكذلك كان ابن الأثير شاعراً ، وإن غلبت صناعة الكتابة على فنه الأدبي ، ولذلك كان ماروى له من الشعر قليلاً ؛ وإنما ذكرنا ذلك لندل على أن ابن الأثير كان يعبر عن تجربته شعراً ، كما عبر عنها نثرأ ، وأنه فيما كتب في المثل السائر كان يستوحى طبيعته الفنية ، قبل أن يتخيل الرسوم والقواعد التى تخيلها من قبله علماء البلاغة والنقد .

* * *

وقد أقدم ابن الأثير على صناعة الأدب بعامة ، وصناعة الكتابة بخاصة ، بعد أن زود نفسه بآلاتها ، وثقفها بألوان الثقافات التى عددها ، وة أحس بالحاجة إليها كلما أوغل فيها ، وأحس أن خطورة هذا الفن ، وبعد أثره لاتقل عن خطورة المناصب الرفيعة التى يتولاها صاحبه في قربه من الحكام ، وفي تصرفه لأمر الدولة .

وما رأيك في رجل كان يحفظ القرآن ، والحديث النبوي ، ودواوين الشعراء ، ويعرف من اللغة شاردها وواردها . ومن النحو أصوله وفروعه ، ومن الصرف دقائقه ، ومن الأخبار والأمثال مايعيا بوعيه المختصون في كل لون من تلك الألوان ، وهذه صورة من تلك الجهود المصنية التي بذلها في تكميل نفسه : يقول عن نفسه : وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل علي ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، ومازلت أواظب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهى مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة ، وصار محفوظاً لايشدعني منه شيء.. (ص ١٥٠) .

ويقول في موضع آخر : واعلم أن المتصدى لحل معاني القرآن يحتاج إلى كثرة الدرس ، فإنه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل . وهذا شيء جربته وخبرته ، فإني كنت آخذ سورة من السور ، وأتلوها ، وكلما مر بي معنى أثبتته في ورقة مفردة ، حتى أنتهى إلى آخرها ، ثم آخذ في حل تلك المعاني التي أثبتتها واحداً بعد واحد ، ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة ، وأفعل ما فعلته أولاً ، وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في التي قبلها .. (ص ١٣٥) .

وأما معرفة ابن الأثير بالشعراء وحفظه الشعر فحدث عنها ماشئت ، ولقد برزت آثار تلك المعرفة وذلك الحفظ واضحة في المثل السائر وغيره من آثار ضياء الدين ، يقول في المثل « إني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها ، حتى لم أترك ديواناً لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك إلا وعرضته على نظري » ويقول : « ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بجزاً لا يوقف على ساحله ، وكيف ينتهى إلى إحصاء قول لم تحصى أسماء قائله » .. ثم يقول : « ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير . ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقير ، فمن حفظ شعر الرجل ، وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام » .

وبعد أن حصل ضياء الدين هذه الثروة الضخمة من فن المنظوم ، اقتصر منها على ما تكثر فوائده ، وتشعب مقاصده ، ويقول عن نفسه : « لم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجاً منها للطيف الأغراض والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عباد ، ولا أنقش ديباجة ، ولا أبهج سبكا ، فاخترت حينئذ دواوينهم ، لاشتغالها على محاسن الطرفين من المعاني والألفاظ ، ولما حفظتها ألغيت ما سواها ، مع ما بقي على خاطري من غيرها .

ثم يؤكد هذا القول ، وبفصل أسباب إيثاره لشعر أولئك الثلاثة الفحول ، فيقول : « ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ؛ إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فتي وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل . وقد اكتفيت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس ، وأبي عباد الوليد ، وأبي الطيب المتنبي . وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء :

أما أبو تمام فإن رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذي برز فيه على الأضراب .

وأما أبو عباد البحرى فإنه أحسن في سبك الألفاظ على المعنى ، وأراد أن يشعر ففنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما هوفى شظف نجد ، إذ تشبث بريف العراق . وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه ، فقال : « أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحرى » ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعزب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عباد أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام . وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاقه العالية ، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ، فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال . وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ، ولا منه متلماً ، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا . والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركة . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة بن حمدان ، فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه .

ولاشك في أن ضياء الدين كان صادقاً في كل وصف من تلك الأوصاف ، التي آثر بها كل شاعر من أولئك الفحول ، ولا يكاد يشك ناقد من النقاد في صحة ما ذكر من نعوت الشعر عند كل واحد منهم ، ولكن مجال القول إنما هو في سعة اطلاع ابن الأثير على الشعر العربي قديمه ومحدثه ، وإيثاره دواوين أولئك الثلاثة بالحفظ والاستظهار .

ولقد كان اطلاع ابن الأثير على هذا الشعر الكثير ، وحفظه ما استطاع من نصوصه سبباً من أهم الأسباب في توسيع مجال دراسته البيانية ، وكثرة ما اهتدى إليه من أحكام ، أكثرها سديد مصيب . تظهر فيه شخصية الواثق بعلمه ، المطمئن إلى حسن رأيه .

وتطالعنا في ثنايا المثل السائر أسماء كثير من الكتب التي قرأها ابن الأثير ، وفقه ما فيها ، فأعانتة على ماتعرض له من دراسة الأدب في فنونه المشهورة وفي كل جزئية من جزئيات العمل الأدبي .

فأنت تقرأ في هذا الكتاب كلاماً في النحو العربي ، وفي علم التصريف وفي فقه اللغة ، فلا يسعك إلا أن تستجيد ما تقرأ ، وإلا أن تعترف بأنك أمام عالم من صفوة العلماء الثقات المختصين في كل فن من تلك الفنون .

وتقرأ كلاماً في التأويل وفي التفسير وفي الحديث النبوي ، فيأخذك ما ترى من كثرة الاطلاع وسعة الباع في الفهم والتحصيل . وكأنك أمام علم من أعـلام التفسيرين والمحدثين .

وتقرأ أمثالاً وأخباراً وشعراً ونثراً ، فتعجب من هذا المحصول الذى عنى ابن الأثير نفسه فى تحصيله ، وتعترف أنك أمام ثقافة لاتكاد تقف عند حد ، أو تتوقف عند غاية من الغايات .

وقد اعتمد ابن الأثير نفسه على كثير من أمهات الكتب فى كل فن من الفنون التى تعرض لها ، وقد أشار إلى هذه المراجع فى أثناء دراسته .

١ - فقد ذكر أن مما قرأ فى التفسير تفسير البلاذرى ، وتفسير النقاش المسمى « شفاء الصدور » .

٢ - وقرأ فى الحديث النبوى كتاب « الشهاب » ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، والموطأ ، والترمذى ؛ وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وغيرها من كتب الحديث .

٣ - وقرأ فى الدين وأصوله « إحياء علوم الدين » وكتاب « الأربعين » للإمام أبى حامد الغزالى .

٤ - وقرأ فى اللغة والتصريف كتاب « الخصائص » لأبى الفتح بن جنى ، وكتاب « التصريف » لأبى عثمان المازنى ، وكتاب « الفصيح » للإمام ثعلب . وكتاب « إصلاح ماتغلط فيه العامة » لأبى منصور الجواليتى ، و « مجمع الأمثال » للميدانى .

٥ - وكان مما قرأ من كتب الأدب وموسوعاته ودواوين الشعراء وشروحها : كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى ، وكتاب « الروضة » لمحمد بن يزيد المرند ، الذى وصفه بأنه كتاب جمعه ، واختار فيه أشعار شعراء ، بدأ فيه بأبى نواس ، ثم بمن كان فى زمانه ، وانسحب على ذيله .

كما قرأ كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، و « ديوان الحماسة » لأبى تمام ، و « البيان والتبيين » لأبى عثمان الجاحظ ، وقرأ « مقامات الحريرى » ورسائل أبى إسحاق الصابى ، ورسائل الصاحب بن عباد ، وشرح ديوان المتنبى لأبى الفتح بن جنى ، و « لزوم مالا يلزم » لأبى العلاء المعرى ، ومعجز أحمد له ؛ وكما قرأ كتاب « النقائص » ، وديوان الفرزدق ، وأبى تمام ، والمتنبى ، وأبى نواس .

والبحتري ، وابن الرومي ، وكشاجم ، وديك الجن ، وأبي العتاهية ، والعباس
ابن الأحنف ... الخ

٦ - أما كتب البلاغة والبيان فقد قرأ أمهاتها ، وأفاد منها ، ونقدها ، قال في
خطبة المثل السائر : وقد ألف الناس فيه - علم البيان - كتباً ، وجلبوا ذهباً ،
وحظبوا حطباً ، وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه ،
فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب « الموازنة » لأبي القاسم الحسن بن بشر
الأمدي ، وكتاب « سر الفصاحة » لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي (١) .

وقال في خطبة « الجامع الكبير » بعد كلامه في أهميته علم البيان ، وصعوبة
مرامه : « فشرعت عند ذلك في تطلبه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه ، فلم أترك في
تحصيله سبيلاً إلا نهجته ، ولا غادرت في إدراكه باباً إلا ولجته ، حتى اتضح عندي
بأديه وخافيه ، وانكشفت لي أقوال الأئمة المشهورين فيه ، كأبي الحسن علي
ابن عيسى الرماني ، وأبي القاسم بن بشر الأمدي وأبي عثمان الجاحظ ، وقدامة
بن جعفر الكاتب ، وأبي هلال العسكري ، وأبي العلاء محمد بن غانم المعروف
بالغانمي ، وأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، وغيرهم ممن له كتاب يشار إليه ،
وقول تعقد الخناصر عليه (٢) .

وأشهر كتب هؤلاء الأعلام التي تتصل بهذا الفن هي النكت في إعجاز القرآن
للرماني ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي والبيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب
نقد الشعر ، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة ، وكتاب جواهر الألفاظ ، ثلاثتها
لقدامة بن جعفر ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، وكتاب صناعة الشعر
للغانمي ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي .

كما قرأ وأفاد من كتاب البديع الذي ألفه عبد الله بن المعتز ، وكتاب الوساطة بين
المتنبي وخصومه للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب حلية
المحاضرة للحاتمي ، وكتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ،

(١) انظر صفحة (٣٢) من هذه الطبعة

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل

سعيد : ص ٢ - مطبعة المجمع العلمي العراقي : بغداد ١٣٧٥ هـ .

ومقدمة ابن أفلح البغدادي التي ذكر ابن الأثير أنه قصرها على تفصيل أقسام علم
الفصاحة والبلاغة .

بهذه الثقافة بل بتلك الثقافات التي حصلها ، والعقول التي سبر أغوارها ، اقتحم
ابن الأثير ميدان البحث البلاغي ، فكان كتابه مجموعة من الأفكار الماثورة عن
أولئك العلماء الأعلام مزجها بأفكاره ، وبدت شخصيته واضحة مستقلة بين سمات
تلك الشخصيات ، ولم يكتف بأن يكون جامعاً أو ناقلاً ، بل أراد أن يكون مؤلفاً في
البلاغة ، ورائداً من رواد علم البيان ، بما أضاف وصحح ، وعاب ونقد .
ومن هنا كان المثل السائر لوناً متميزاً من ألوان التأليف في البيان العربي ،
واستطاع على الرغم من كثرة الآثار فيه ، ووفرة الدراسات المتباينة في هذا الكتاب
أن يكون مرجعاً من مراجع البلاغة العربية ، لا يستغنى عنه باحث من الباحثين
فيها .

* * *

وقد تأثر ابن الأثير في تلك الدراسة الخصبة التي نجدها في المثل السائر بعاملين
مهمين هما العصر الذي عاش فيه ، والفن الذي اشتغل به ، ووصل به ما كان
يشتهى من المنصب والجاه .

١ - فقد وصل ابن الأثير إلى قمة مجده وذرورة نضجه أخريات القرن السادس
الهجري شطراً كبيراً من القرن السابع ، فجاء بعد ازدهار البحوث البيانية ونضجها ،
واختلاف مناهج البحث ، وتعدد الآراء في البيان ، من رأى ينادى بتحكيم
الذوق ، إلى آخر يدعو إلى التقليد في النظر إلى الأدب والحكم عليه إلى رأى ينادى
بالموضوعية والمنهج العلمي ، ويعنى بالتعريف والتنظيم وحصر الأقسام ، إلى ذلك
الأسلوب النقدي التحليلي النفسي الذي نراه في كتابي عبد القاهر : دلائل
الإعجاز : وأسرار البلاغة ، وما تميزا به من فكرة النظم التي تبناها عبد القاهر ،
وأرسي قواعدها في النقد والنظر إلى البيان وما نادى به من النظرة الكلية للأدب
والانتصار للمعنى .

بل رأينا ما هو أكثر من ذلك : رأينا الصورة النهائية للبلاغة العربية قد تم وضعها

على يد السكاكى فى كتابه المشهور ، مفتاح العلوم ، الذى نظم دراسة البلاغة .
وقن لها ، وقسمها إلى علومها ، وحدد مباحث كل فن منها .

٢- وكذلك كان ابن الأثير كاتباً من كتاب الدواوين . كتب للقاضى
الفاضل فى دولة صلاح الدين ، كما كتب لأولاد صلاح الدين من بعده ، والذى
يعرف أساليب الكتابة فى ذلك العصر الذى عمل فيه ابن الأثير يعرف أنها كانت
تتميز امتيازاً ظاهراً بلزوم السجع واستعمال الجناس وبعض أنواع البديع واستخدام
معانى الشعر وألفاظه فى كتابة الرسائل ، بحل الأبيات السائرة والحكم المأثورة ، حتى
كادت الرسائل تكون شعراً منشوراً ، والاقْتباس من كلام البلغاء ، وتضمين الأفاذ
من أبيات الشعراء . ولما نبه شأن القاضى الفاضل أراد أن يحاكي كتاب المشاركة فى
البديع ، فراد عليهم وأرى ، وجاراهم فى التزام السجع والجناس والطباق ، وزاد
عليهم أن استعمال فى رسالة كل أنواع البديع التى كانت فاشية وقتئذ فى الشعر ،
كالتورية والاستخدام والتلميح وغيرها ، وأكثر من حل المنظوم ، والاقْتباس من
الآيات ، وتضمين الأمثال ومشهور الأقوال ، وأمعن فى التشبيه والاستعارة حتى
جاءت معانى رسائله منقادة لألفاظها وأساليبها .

وقد كانت هاتان الناحيتان عظيمتى الأثر فى ابن الأثير ، وفى إدراكه لمعنى
البيان ، كما تصوره فى المثل السائر .

* * *

تكلم ابن الأثير فى خطبة كتابه عن أهمية علم البيان ، وذكر أن منزلته فى تأليف
النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام .

ويبدو من أول كلامه أنه رجل كثير الاعتداد بنفسه ، والتباهى بعلمه ، وكثيراً ما
جره هذا الاعتداد إلى انتقاص غيره من الباحثين فيما بحث فيه فقد ذكر أن الذين ألفوا فى
البيان من قبله ألفوا كتباً ، وجلبوا ذهباً ، وحطبوا حطباً ، وما من تأليف إلا وقد
تصفحه ، وعلم غثه وسمينه ، ثم لم يجد ما ينتفع به فى ذلك إلا كتاب « الموازنة »
للأمدي وكتاب « سر الفصاحة » للخفاجى ، والكتاب الأول هو الذى حظى
بإعجابه . لأنه - كما يقول - أجمع أصولاً وأجدى محصولاً ، مع أن المناسبة بين

الكتابين بعيدة ، لأن كتاب الأمدى يعرض للشاعرين أبي تمام والبحترى ، ويعرض شعرهما ، ويوازن بينهما ، ويعرض أقوال الأنصار والخصوم فيها .
أما كتاب الخفاجى فإنه يبحث بحثاً عاماً فى أصول الفصاحة والبلاغة والبيان بما بحث عن أسرارها ودرس من فنونها .

وقد عاب ابن الأثير كتاب سر الفصاحة بأن صاحبه أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المقررة وصفاتها مما لا حاجة إلى ذكره .

ولا يقنع من ذلك إلا بأن يعود فيعيب الكتابين معاً ، فيصفهما بأنها قد أهملتا من علم البيان أبواباً ، وربما ذكرا فى بعض المواضع قشوراً أو تركا لباباً !

وشبيه بهذا الانتقاص وصفه لمقدمة ابن أفلح البغدادى فى قوله : ووقعت على كتاب يقال له « مقدمة ابن أفلح البغدادى » قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة ، وللعراقيين بها عناية ، وهم واصفون لها ، ومكبون عليها ، ولما تأملتها وجدتها قشوراً لا لب تحتها ، لأن غاية ما عند الرجل أن يقول : وأما الفصاحة فإنها كقول النابغة مثلاً ، أو كقول الأعشى ، أو غيرها ثم يذكر بيتاً من الشعر أو أبياتاً ، وما بهذا نعرف حقيقة الفصاحة ، حتى إذا وردت فى كلام عرفنا أنه فصيح . بما عرفنا من حقيقتها الموجودة فيه . وكذلك يقول فى غير الفصاحة .

ويذكر فى موضع آخر أنه عثر على ضروب كثيرة من البيان فى القرآن الكريم ، وأنه لم يجد أحداً تقدمه تعرض لذكر شىء منها ، وهى إن عدت كانت فى علم البيان بمقدار شطره ، وإذا نظر إلى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره ، وأن الله هداه لابتداع أشياء لم تكن من قبله مبتدعة ، ومنحه درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما هى متبعة .

وأمثال هذا كثير فى ثنايا المثل السائر الذى زيف فيه كثيراً من آراء العلماء والبلاغيين والنقاد ، وقد سبقت إشارات إلى حملاته على الأدباء والكتاب لىبنى على هذا الانتقاص إعجابه بنفسه ، وزهوه بفنه ، وإن كان فى هذا الزهوشىء من الصدق ، إلا أن أخلاق العلماء وما اختصوا به من فضيلة التواضع يأبى إقراره على كل ما ذهب إليه فى هذا الموضوع وغيره .

ولقد عرف كتاب « المثل السائر » في بيئات الثقافة العربية على أنه كتاب أدب ، وعرف كذلك على أنه كتاب في أصول البلاغة العربية أحياناً ، وعلى أنه كتاب في النقد الأدبي أيضاً .

وكان الذين عدوا المثل السائر كتاب أدب على حق ، لأنهم وجدوا أنفسهم أمام دراسة خصبة في صناعة الأدب ، وفي أشهر فنونه ، وهى فن الشعر وفن الكتابة ، ووجدوا فيه أصولاً للأدب تجمع صفاته ، وتعرف بأركانه ، وإشارات إلى عدد كبير من الأدياء الذين عرفهم تاريخ الأمة العربية ، ونصوصاً من المنظوم والمنثور تمثل عصوره المختلفة ، واتجاهاته المتباينة .

وكان الذين عدوا هذا الكتاب من كتب النقد على حق أيضاً ، لأنهم رأوه يفيض بكثير من الفكر والآراء الحرة في الأدب والأدياء ، ولم يسلم من نقد ابن الأثير كثير من فحول الشعراء الذين يعرفهم تاريخ الأدب العربي بالإجلال والإكبار ، كامرئ القيس ، وتأبط شرا ، والفرزدق ، وأبي نواس وأبي تمام ، وأبي الطيب المتنبي ، وغيرهم من كبار شعراء العربية .

وفي كثير من الأحيان نجد نقداً موضوعياً ، وفي كثير من الأحيان أيضاً نرى ابن الأثير لا يكتفى في النقد الادبي بحكم المعرفة المستنيرة ، بل يكبر من حكم الذوق السليم الذى يرى أنه أكبر من حكم القاعدة الموضوعية والمعرفة المحدودة ؛ ويشجع على تربية هذا الذوق بكثرة القراءة ومداومة الاطلاع ، فتراه يقول بالرغم من اعتداده بنفسه ، والزهو بتأليفه . اعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب إن كان فيما يلقى عليك أستاذاً ، وإذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل لك هذا ! فإن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعاً ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطاك ، ومماثل في مهدته لك من هذا الطريق إلا كمن طبع سيفاً ، ووضع في يمينك لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلق لك قلباً ، فإن حمل النصال غير مباشرة القتال !

ثم إن هذا الكتاب معدود من أمهات الكتب في البلاغة العربية ، ومرجعاً من أهم

مراجعتها ، بما حوى من فنونها الكثيرة المنثورة فى بطون الكتب المختلفة فى موضوعاتها ، المتباينة فى مناهجها .

ويمتاز كتاب ابن الأثير من بين أكثر كتب البلاغة بأنه درس تلك الفنون دراستين : إحداهما : دراسة قاعدية ، عنى فيها بالحدود والتعاريف وحصر الأقسام ، وجمع فيها كل ما استطاع جمعه من معالمها التى اهتدى إليها الذين سبقوه إلى البحث البلاغى ، وهو فى كثير من المواضع يصحح أخطاءهم ، ويضيف إلى تحديداتهم ما جعلها جامعة مانعة على الوجه الذى يهتدى إليه : وبالنظر الذى يهتدى به .
والأخرى : دراسة نقدية ، وفيها ألم بكثير من العيوب التى يقع فيها مستعملو تلك الفنون فى أشعارهم أو خطبهم أو كتاباتهم .

ولذلك كان من الممكن أن يقال إن ابن الأثير قد جمع فى المثل السائر كثيراً من أصوله البلاغة العربية والنقد الأدبى ، وأنه وحد هذين الفنين الجمالين ، ومزجهما ، وأعادهما إلى طبيعتهما التى تنفر من الأسلوب القاعدى الجاف ، وخلطهما بنصوص من الأدب وآراء فيه أكثرها جيد مصيب .

* * *

ومن جيد ما وفق إليه من النظرات الصائبة فى هذا الكتاب محاولته التفريق بين مهمة البيانى ، ومهمة كل من النحوى واللغوى ، ويقول فى ذلك إن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، ويسأل صاحب هذا العلم عن أحوالها اللفظية والمعنوية ، ويشترك هو والنحوى أو اللغوى فى أن الثانى ينظر فى دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى ، وتلك دلالة عامة .

أما صاحب البيان فإن له نظرة فوق هذه النظرة ، لأنه ينظر فى فضيلة تلك الدلالة ، التى هى دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون الكلام على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء اللغة والنحو والإعراب ، ألا ترى أن النحو يفهم معنى الكلام المنظور والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من أسرار الفصاحة والبلاغة ؟ وهذا هو السر فى خطأ مفسرى الأشعار ، لأنهم اقتصروا على شرح

معناها ، وما فيها من الكلمات اللغوية ، وتبيين مواضع الإعراب منها ، دون العناية بشرح ماتضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة .

وهذا كلام جيد ، لأن ابن الأثير يفرق فيه بين أمرين هامين ، ينبغى أن يكون التفريق بينهما أساساً لفهم مهمة اللغوى أو النحوى ، ومهمة الناقد أو صاحب البيان . ذلك أن هناك علوماً تتخصص في البحث عن صحة العبارة ، من حيث صحة مفرداتها ، وصحة دلالتها على معانيها ، وصحة التركيب الذى توضع فيه وضعاً صحيحاً على حسب ما يقتضى المعنى وفقاً لقواعد النحو والإعراب ، وتلك مهمة علماء اللغة الذين يبحثون في بنية الكلمة ، وفي دلالتها على معناها ، طبقاً للوضع اللغوى ، وفهم أصحاب اللغة لتلك الدلالة ، وهى مهمة علماء النحو والإعراب الذين يبحثون في صحة ضبط كل لفظ في الجملة على حسب موقعه من العبارة ضبطاً يوافق ما جرى عليه العرب في ذلك الضبط ، وما بنيت عليه قواعد النحو والإعراب التى استنبطها أولئك العلماء بالقياس على نهج العرب في كلامهم .

ثم إن هنالك علوماً أخرى لاتقف عند تلك المسائل التقليدية المعروفة ولكنها تعالج النواحي الجمالية في الأعمال الأدبية على حسب التقاليد الفنية المعروفة التى استنها كبار الأدباء ، والقواعد المستقاة من مظاهر الحسن التى توافرت للفن الأدبى الماثور عن أولئك الأدباء ، نتيجة لطول المدارس والموازنة بين نص ونص ، وبين أديب وأديب . وتلك مهمة النقاد ، أو البلاغيين ، أو علماء البيان .

والنظرة الأولى من هاتين النظرتين عامة ، تتناول العبارة المقولة ، والعبارة المكتوبة بكل أنواعها ، سواء أكانت تلك العبارة عبارة علمية تخاطب العقل ، أم كانت عبارة أدبية تخاطب المشاعر ، وتثير العاطفة والوجدان . وسواء أكانت في أعلى درجات سمو ، أم كانت هابطة إلى مستوى لغة التفاهم التى تجرى بين الناس ، ولاتسمو عن العامية إلا بصحة كلماتها ، وسلامة تركيبها .

أما النظرة الأولى فإنها تختص بالعبارة الأدبية ، أو الأسلوب الفنى ، الذى يعتمد عليه الشعر والخطابة ، وسائر أساليب الكتابة الفنية .

ومن تلك المسائل أيضاً ، مما انفرد به ابن الأثير برأى ، أنه في سبيل بحثه عن فصاحة اللفظة المفردة عرض للحوشى من الألفاظ الذى أنكره النقاد ، وأجمعوا على إخلاله بالفصاحة ، ولكن ضياء الدين يرى أن هذا الوحشى خفى على جماعة من المتممين إلى صناعة النظم والنثر ، وظنوه المستقبح من الألفاظ ، وليس كذلك ، وذلك أن الوحشى منسوب إلى اسم الوحش الذى يسكن القفار ، وليس بأنيس . وكذلك الألفاظ التى لم تكن مأنوسة الاستعمال . وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبها ، بل أن يكون نافراً ، فتارة يكون حسناً ، وتارة يكون قبيحاً .

ويبنى على هذا أن الوحشى ينقسم إلى قسمين :

أحدهما الوحشى الذى جاءت إليه هذه الصفة من غرابته ، وهو يختلف باختلاف النسب والإضافات .

وأما القسم الآخر من الوحشى فقبيح ، والناس في استقباحه سواء ، ولا يختلف فيه عربى باد ، ولا قروى متحضر .

وعلى هذا يكون اللفظ عند ابن الأثير أنواعاً :

١ - ماتداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ، ولا ينعت بالوحشية أو الحوشية ، وهذا هو الحسن من الألفاظ .

٢ - وماتداول استعماله الأول دون الآخر ، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ، وهذا هو الذى لا يعاب استعماله عند العرب ، لأنه لم يكن عندهم وحشياً ، وهو عندنا وحشى .

٣ - الوحشى الغليظ ، ويسمى أيضاً المتوعر ، وليس وراءه في القبح درجة أخرى ، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ، ممن لم يخطر بباله شئ ومن معرفة هذا الفن . وإذا ورد كرهه السمع ، وثقل على اللسان النطق به .

وإذا كان معنى الحوشى عند ابن الأثير هو الغريب ، فإن العرب لاتلام على استعمال الغريب الحسن ، وإنما تلام على استعمال الغريب القبيح .

وأما الحضرى فإنه يلام على استعمال القسمين معاً ، وهو في أحدهما أحق بالملاءمة من الآخر .

وفي هذا الكتاب أدل ابن الأثير بكثير من الآراء النقدية التي لها اعتبارها في موازين النقد الأدبي ، وتراه في كثير من الأحيان لا يرضى بآراء الغير بل يبسط الرأي الذي يراه ، والذي يتمشى مع ذوقه ، والذي يساير - في أكثر الأحيان - الفكرة النقدية السليمة ، التي لا يسع القارئ إلا الإقرار بها والإذعان لها ، والشهادة لابن الأثير بالذوق السليم ، ومن ذلك هذا العيب الذي سماه أبو هلال العسكري (التضمين) وسماه قدامة بن جعفر (المبتور) وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد ، فيقطعه بالقافية ، ويتممه في البيت الثاني . وعند أبي هلال العسكري أن التضمين هو أن يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجاً إلى الأخير .

ومرجع هذا العيب في نظرهم أن نقاد الشعر العربي قد درجوا على أن وحدة الشعر هي البيت لا القصيدة ، ولهذا عدوا احتياج البيت إلى مابعدده لتمام معناه عيباً من العيوب التي يجب على الشاعر المجيد أن يتجنبها . وهم لا يقصرون هذا العيب على الشعر ، بل يحملونه على النثر أيضاً ، إذا كانت الفقرة التي تليها . وهذا الاعتبار لا يخفى فساده ، لأن القصيدة ينبغي أن تكون وحدة متماسكة ، والحكم على الشعر أو الشاعر ببيت واحد لا يخلو من ظلم وتعسف ، واحتجاجهم بأن خير الشعر ما كان البيت فيه قائماً بنفسه . مستقلاً عما قبله وعما بعده ، حتى يكون كالمثل يصلح للاقتباس ، ويصلح للاستشهاد ، فيه خروج عن طبيعة الشعر الذي لا يتحرى الحكمة وإن جاءت فيه ، وإنما القصيدة من الشعر أو الفصل من النثر يحدث تأثيره بمجموعه الكلي ، حين يحس القارئ أو السامع بالنشوة أو الطرب أو الانفعال ، حين يتم قراءة القصيدة من الشعر ، أو الفصل من النثر ، وإلا فقد جوزنا للشاعر - حين نقصر النظر على البيت الواحد - أن يرضينا في بيت ، وأن يسخطنا في تاليه ، ويكون الأول في غاية الجودة ، ويكون الثاني كذلك ، من غير نظر إلى تتابع الأفكار وتناسق الصور ، ولا بأس حينئذ بالتعارض أو التناقض على رأيهم .

نعم ! قد يكون ذلك عيباً إذا لم تتم الكلمة في البيت . وأتمها الشاعر في البيت الثاني ، كتلك الأبيات التي نقلها الخفاجي في سر الفصاحة ، ووصفها بأنها قبيحة ظاهرة التكلف ، أما احتياج بعض الكلام إلى بعض فلا عيب فيه ، بل هو دليل

التماسك والترابط بين أجزاء النص الأدبي ، وهذا هو الحمود الذى يكون به بعض أجزاء الكلام آخذاً برقاب بعض .

ولا يقر ابن الأثير أولئك النقاد فيما ذهبوا إليه ، فيقول إن المعيب عند قوم (تضمين الإسناد) وذلك يقع فى بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنشور ، على أن يكون الأول منها مسنداً إلى الثانى ، فلا يقوم الأول ولا يتم معناه إلا بالثانى ، وهذا هو المعيدود من عيوب الشعر ، وهو عندى غير معيب ، لأنه إن كان سبب عيبه أن يعلق البيت الأول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيباً ، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق أحدهما بالآخر ، وبين الفقرتين من الكلام المنشور فى تعلق إحدهما بالأخرى ، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى .

والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع فى الوزن لاغير ، والفقر المسجوعة التى يرتبط بعضها ببعض قد وردت فى القرآن الكريم فى مواضع منه . فمن ذلك قوله عز وجل فى سورة الصافات : « فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إني كان لى قرين . يقول إنك لمن المصدقين ، إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون » . فهذه الفقر الثلاث الأخيرة مرتبط بعضها ببعض ، فلا تفهم كل واحد منهن إلا بالتى تليها ، وهذا كالأبيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ، ولو كان ذلك عيباً لما ورد فى كتاب الله عز وجل . وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة الصافات أيضاً . فإنكم وماتعبدون . ما أنتم عليه بقانتين . إلا من هو صال الجحيم ، فالآيتان الأوليان لا تفهم إحدهما إلا بالأخرى . وهكذا ورد قوله عز وجل فى سورة الشعراء : « أفرايت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » .

فهذه ثلاث آيات لا تفهم الأولى ولا الثانية إلا بالثالثة . ألا ترى أن الأولى والثانية فى معرض استفهام يفتقر إلى جواب ، والجواب هو فى الثالثة وقد استعملته العرب كثيراً ، وورد فى شعر فحول شعرائهم ، فمن ذلك قول الشاعر :

ومن البلوى التى ليس لها فى الناس كُنه
أن من يعرف شيئاً يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقيم بنفسه ، ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني ؟ ومنه أيضاً قول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويلُ ألا أنجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ
وكذلك ورد قول الفرزدق :

وما أحدٌ من الأقومِ عدواً عروف الأكرمينَ إلى التراب
بمحتفظين إن فضلتُمونا عليهم في القديم ولا غضاب
وكذلك قول الشاعر :

لعمري لرهط المرء خيرُ نقيّةٍ عليه وإن عالوا به كل مركبِ
من الجانب الأقصى وإن كان ذاغنى جزيل ولم يخبرك مثل مجربِ

وهذه الحافظة الواعية يؤيد ابن الأثير قوله ، جاعلاً إمامه الكتاب الكريم ، وهو المثل الأعلى للبيان والبلاغة ، وشعر الفحول من السابقين « وكلامه يوافق الرأي الذي يجب أن يحتذى ، وإن لم يذكر له من أسباب التأيد والتعليل سوى ورود أمثاله في غرر الكلام ، وأما العلة الأدبية فتلتبس في مثل ما قدمناه .

ويعد ابن الأثير من أعظم نقاد العرب الذين درسوا السرقات الشعرية وفصلوا القول في ضرورها ، ويعد المثل السائر من أعظم الكتب التي درس فيها هذا الموضوع دراسة خصبة مجدية ، يرجع إليها الباحثون في هذا الموضوع الذي يشتمل في كثير من أصول النقد عند العرب .

تلك بعض لمحات مما اشتمل عليه هذا الأثر النفيس الذي احتل منزلته بحق بين أصول البلاغة والنقد الفني عند العرب ، .

ترجمة ابن الأثير *

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب ضياء الدين .

كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها ، وانتقل مع والده إلى الموصل ، وبها اشتغل ، وحصل العلوم ، وحفظ كتاب الله الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان ، وشيئاً كثيراً من الأشعار .

ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ، تغمده الله برحمته ، في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من تلك السنة ، وأقام عنده إلى شوال من السنة .

ثم طلبه والده الملك الأفضل نور الدين من والده ، فخيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته ، والانتقال إلى ولده ، ويبقى المعلوم الذي قرره له باقياً عليه ، فاختار ولده ، فمضى إليه ، وكان يومئذ شاباً ، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على المقدم ذكره ، رحمه الله تعالى ، وحسنت حاله عنده .

ولما توفي السلطان صلاح الدين ، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق ، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة ، وردت أمور الناس إليه ، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه .

ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل ، وانتقل إلى صرخد ، وكان ضياء الدين قد أساء العشرة من أهلها ، فهموا بقتله ، فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم

(٥) مختصرة من وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٠٨/٢

مستخفياً في صندوق مقفل عليه ، ثم سار إليه ، وصحبه إلى مصر لما استدعى لنيابة
أبن أخيه الملك المنصور .

ولما قصد الملك العادل الديار المصرية ، وأخذها من ابن أخيه ، وتعوض الملك
الأفضل البلاد الشرقية ، وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين في خدمته ، لأنه
خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستتراً .

وغاب عن محدومه الملك الأفضل مديدة ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى
خدمته ، وأقام عنده مدة ، ثم فارقه في ذي القعدة سنة ٦٠٧ هـ واتصل بخدمة أخيه
الملك الظاهر غازي صاحب حلب فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره ، وخرج
مغاضباً ، وعاد إلى الموصل ، فلم يستقم حاله ، فورد إربل ، فلم يستقم حاله فسافر
إلى سنجار ، ثم عاد إلى الموصل ، واتخذها دار إقامته ، واستقر وكتب الإنشاء
لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان
شاه ، وأتابك يومئذ بدر الدين أبو الفضائل النوري ، وذلك في سنة ٦١٨ هـ .

قال ابن خلكان : ولقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات وهو
مقيم بها ، وكنت أود الاجتماع به لأخذ عنه شيئاً ، ولما كان بينه وبين الوالد رحمه
الله تعالى من المودة الأكيدة ، فلم يتفق ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق ، وانتقلت إلى
الشام ، وأقيمت به مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية ، وهو في قيد
الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة .

ولضياء الدين من التصانيف ، الدالة على غزارة فضله ، وتحقيق نبلة كتابه الذي
سماه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ، ولم
يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ،
فوصل إلى بغداد منه نسخة .

وله كتاب « الواشي المرقوم في حل المنظوم » وهو مع وجازته في غاية الحسن

والإفادة .

وله كتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء ، وهو أيضاً نهاية في بابيه .

وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام ، والبحترى وديك الجن والمنتبى ، وهو في مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد .

وله أيضاً ديوان ترسل في عدة مجلدات ، والمختار منه في مجلد واحد .
وذكر أبو البركات بن المستوفى في تاريخ إربل ، وبالغ في الثناء عليه وقال ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة ٦١١ هـ . وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ وتوفى في إحدى الجهادين سنة ٦٣٧ هـ . ببغداد وقد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل ، وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، ودفن بمقابر قریش في الجانب الغربى بمشهد موسى بن جعفر رضى الله عنها .

قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادى في تاريخ بغداد توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وهو أخير ، لأنه صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم .

ولضياء الدين أخوان ناهان مجد الدين أبو السعادات المبارك ، وأبو الحسن على الملقب عز الدين . وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء ، لكل واحد منهم تصانيف نافعة ، رحمهم الله تعالى .

وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن ، وصنف عدة تصانيف نافعة ، من مجاميع وغيرها ، ورأيت له مجموعاً جمعه الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب ، وأحس فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ، ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة ٥٨٥ هـ ، وتوفى بكرة نهار الاثنين ثانى جادى سنة ٦٢٢ هـ واسمه محمد ، ولقبه الشرف ، رحمه الله تعالى .

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
يضياء الدين بن الأشير

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسَأَلُ اللّٰهَ رَبَّنَا أَنْ يُبَلِّغَ بِنَا مِنَ الْحَمْدِ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مِنَ الْبَيَانِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ مَزِيَّةُ الْفَضْلِ وَأَصْلُهُ ، وَحِكْمَةُ الْخَطَابِ وَقَفْصَلُهُ ، وَرَغْبَ إِلَيْهِ أَنْ يُوقِنَنَا لِلصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ ، وَنَسَخَ هَدْيَهُ شَرِيعَةً كُلَّ هَادٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ وَبَدَّرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَابَرَ وَصَبَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ آوَى وَنَصَرَ .

وَبَعْدُ ؛ فَإِنَّ عِلْمَ الْبَيَانِ لِتَأْلِيفِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ بِمَنْزِلَةِ أَصُولِ الْفِقْهِ (١) لِلْأَحْكَامِ وَأَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ . وَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهِ كِتَابًا ، وَجَلَبُوا ذَهَبًا وَحَطَّبُوا حَطْبًا ، وَمَا مِنْ تَأْلِيفٍ إِلَّا وَقَدْ تَصَفَّحَتْ شَيْئَهُ وَسَيِّئَهُ (٢) ، وَعِلِمْتُ عَثَّةُ (٣) وَسَمِينُهُ ، فَلَمْ أَجِدْ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي ذَلِكَ إِلَّا كِتَابَ « الْمَوَازِنَةِ » لِأَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ بَشْرِ الْآمِدِيِّ (٤) وَكِتَابَ « سِرِّ الْفَصَاحَةِ » لِأَبِي

(١) أَصُولُ الْفِقْهِ هِيَ الْقَوَاعِدُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا الْمُجْتَهِدُ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفُرْعِيَّةِ مِنَ الْأَدَلَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ .

(٢) يُرِيدُ أَنْهُ تَصَفَّحَهُ كُلَّهُ حَالِيهِ وَعَاطَلَهُ وَمَعَجَمَهُ وَمَهْمَلَهُ .

(٣) الْغَثُ : الْمَهْزُولُ .

(٤) أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشْرِ الْآمِدِيِّ ، صَاحِبُ كِتَابِ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ الطَّائِفَيْنِ . كَانَ حَسَنَ الْفَهْمِ جَيِّدَ الدَّرَايَةِ وَالرُّوَايَةِ ، سَرِيعَ الْإِدْرَاكِ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ أَعْمَةِ الْبَيَانِ وَالنَّقْدِ الْأَدْبِيِّ . وَصَفَّهُ صَاحِبُ الْفَهْرَسْتِ بِأَنَّهُ مَلِيحُ التَّصْنِيفِ جَيِّدُ التَّأْلِيفِ يَتَعَاطَى مَذْهَبَ الْجَاحِظِ فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْكُتُبِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْمُخْتَلَفِ وَالْمُؤْتَلَفِ فِي أَسْمَاءِ الشُّعْرَاءِ ، وَكِتَابُ مَعَانِي شُعْرِ الْبِحْتَرِيِّ ، وَكِتَابُ نَثْرِ الْمَنْظُومِ ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عِمَارٍ فِيمَا خَطَأَ فِيهِ أَبَا تَمَامٍ ، وَكِتَابُ فِي أَنَّ الشُّاعِرِينَ لَا تَنْفَقُ خَوَاطِرُهُمَا ، وَكِتَابُ مَا فِي مَعْيَارِ الشُّعْرِ لِابْنِ طَبَاطَبَا مِنْ الْخَطَأِ . وَكِتَابُ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْمَشْتَرَكِ مِنْ مَعَانِي الشُّعْرِ ، وَكِتَابُ تَفْضِيلِ شُعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ عَلَى الْجَاهِلِيِّينَ ، وَكِتَابُ فِي شِدَّةِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ، وَكِتَابُ تَبْيِينِ غَلْطِ قَدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ نَقْدِ الشُّعْرِ ، وَكِتَابُ فَعْلَتِ وَأَفْعَلَتِ ، وَكِتَابُ الْحُرُوفِ ، وَدِيْوَانُ شِعْرِهِ .

وَنَقَلَ يَاقُوتٌ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ أَنَّ مَوْلِدَ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ بَشْرِ الْآمِدِيِّ بِالْبَصْرَةِ . وَأَنَّهُ قَدِمَ بَغْدَادَ يَحْمِلُ عَنِ الْأَخْفَشِ وَالْحَفَاجِيِّ وَالزُّرْجَاجِ وَابْنِ دَرِيدِوَالِيَنِ السَّرَاجِ وَغَيْرِهِمُ اللَّغَةَ وَالنَّحْوَ . وَرَوَى الْأَخْبَارُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ يَكْتُبُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِأَبِي جَعْفَرِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ الضَّبِّيِّ وَغَيْرِهِ . وَكُتِبَ بِالْبَصْرَةِ لِأَلِ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَغَيْرِهِمُ . . . وَكَانَ كَثِيرَ الشُّعْرِ حَسَنَ الطَّبَعِ ، جَيِّدَ الصَّنْعَةِ ، مُشْتَهَرًا بِالنِّشِيَّاتِ ، قَالَ : وَلَأَبِي الْقَاسِمِ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ جَيِّدَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا ، مِنْهَا كِتَابُ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ الْبِحْتَرِيِّ وَابْنِ

محمد عبد الله بن سنان الخفاجي^(٥) . غير أن كتاب « الموازنة » أجمع أصولاً ، وأجدي محصولاً ، وكتاب « سر الفصاحة » وإن نبه فيه على نكت منيرة ، فإنه قد أكثر مما قلَّ به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المفردة ، وصفاتها ، مما لا حاجة إلى أكثره^(٦) ، ومن الكلام في مواضع شدَّ عنه الصواب فيها ، وسرِّدُ بيان ذلك كله في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . على أن كلا الكتابين قد أهملنا من هذا العلم أبواباً ، ولربما ذكرنا في بعض المواضع قشوراً ، وتركا لُباً .

وكنت عثرتُ على ضروب كثيرة منه^(٧) في غضون القرآن الكريم ؛ ولم أجد أحداً ممن تقدمني تعرض لذكر شيء منها ؛ وهي إذا عُدَّتْ كانت في هذا العلم بمقدار شطره ، وإذا نظرَ إلى فوائدها وُجِدَتْ محتويةً عليه بأسره ، وقد أوردتها هاهنا ، وشفَعْتُها بضروب أُخِرَ مدونةً في الكتب المتقدمة ، بعد أن حذفتُ منها ما حذفته ، وأضفتُ إليها ما أضفته . وهاداني الله لا ابتداءً أشياء لم تكن من قبلي مُبتدعةً ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما هي مُتَبَعَةٌ . وكلُّ ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا ، وعلى غيره من الكتب ، وقد بَنَيْتُهُ على مقدمة ومقالتين :

تمام . وهو كتاب حسن ، وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إلى الميل مع البحرى فيما أورده . والتعصب على أبي تمام فيها ذكره . توفي الآمدي سنة ٣٧٠ هـ . وقد طبع كتب الموازنة عدة طبعات كلها ناقصة ، وبين أيدينا نسخة كاملة من هذا الكتاب نسأل الله أن يعين على نشرها وتحقيقها إن لم يقم بهذا الواجب غيرنا .

(٥) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ؛ من بني خفاجة الذين كانوا ينزلون بأعمال حلب ، وكان أبوه من أشرافها ، وقد أخذ العلم والأدب عن علماء عصره ، ثم اتصل بأبي العلاء أحمد بن سلبان المعري فأخذ عنه العلم والأدب ، وكان يرى رأى الشيعة ، وتولى بعض أعمال الدولة ، حتى ثار على ولاته ، ومات مسموماً سنة ٤٦٦ هـ ، وكتابه « سر الفصاحة » من أنفس كتب البلاغة ، سار فيه بالبلاغة والتقد سيراً مزدوجاً فيه التعريف والتحديد ، وإلى جانبه النص والمثال ، وإلى جانبها الرأي في الإصابتة أو سوء الاستعمال ، مما يدل على تمرسه بفن الأدب ، وتمتعه بالذوق المستنير ، وقد طبع في مصر طبعتين جيدتين .

(٦) لا عبرة بهذا النقد لأن الخفاجي في كلامه على الأصوات وعلى الحروف ذكر منها ما يؤلف وما لا يؤلف ، ولذلك من بعد الأثر في وقع الكلام على السمع والذوق وتقديره عند أهل صناعة البيان مالا يخفى . وكلام الخفاجي على اللفظة المفردة من أمتع الدراسات النقدية وهو أصل لما كتب البلاغيون في فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام في مقدمات كتب البلاغة بل إن ابن الأثير نفسه قد درس الكلمة المفردة وصفاتها في هذا الكتاب ، وأفاد كما أفاد غيره من تلك الدراسة المنظمة التي مهد سبيلها الخفاجي .

(٧) اللُّمِيسِرُ في « منه » عائد إلى « علم البيان » الذي ذكر من قبل .

فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان ، والمقالتان تشتملان على فروعها ،
فالأولى : في الصناعة اللفظية ، والثانية : في الصناعة المعنوية .

ولا أدعى فيما ألفته من ذلك فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سبِّ (٨)
اللسان ، فإن الفاضل من تُعدُّ سَقَطَاتُهُ ، وتُخصَى غَلَطَاتُهُ ، ويسىء بالإحسان ظناً ،
لا كمن هو بآئنه وبشعره مَفْتُونٌ . وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتاب بديعٌ في
إغرابه ، وليس له صاحبٌ في الكتب فيقال : إنه مُفَرَّدٌ بين أصحابه ، من
أخذانه . أو من أتراه (٩) .

ومع هذا فإني أتيتُ بظاهر هذا العلم دُونَ خَافِيهِ ، وحميتُ حول حِجَاهِ ولم أقع
فيه ، إذ الغرض إنما هو الحصولُ على تعليمِ الكلمِ التي بها تُنظَّمُ العُقُودُ وترصعُ .
وتُخلَبُ العقولُ فتُخدَعُ . وذلك شيءٌ تُحيلُ عليه الخواطرُ ، لاتنطق به الدفاتر .
واعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حَاكِمِ الذَّوقِ السليمِ ، الذي
هو أنفعُ من ذَّوقِ التعليمِ ، وهذا الكتابُ وإن كان فيما يُلقِيهِ إليك أستاذاً ، وإذا
سألتَ عما ينتفعُ به في فنه قيل لك هذا ! فإن الدُّرْبَةَ والإدْمانَ أجدى عليك نفعاً ،
وأهدى بصراً وسمعا ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عُسرَكَ من القول إمكاناً ،
وكلَّ جارحة منك قلباً ولساناً . فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك
ما أخطاك . وما مثلي فيما مهَّدتُهُ لك من هذه الطريق إلا كمن طبع (١٠) سيفاً ،
ووضعه في يمينك لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلُقَ لك قلباً ، فإن حَمَلَ النِّصَالِ غيرُ
مباشرة القتال .

وإنما يبلغ الإنسان غايته ما كلُّ ماشية بالرجل شملاًل

(٨) في الأصل « سلق » باللام ، وهو تحريف .

(٩) في الأصل « فيقال إنه من أخذانه أو من أتراه مفرد بين أصحابه » وهي عبارة مضطربة ولذلك
قدمنا العبارة الأخيرة : ليستقيم المعنى . (١٠) يقال : طبع السيف والدرهم والحجرة عملها .

(١١) البيت لأبي الطيب المتنبي : الديوان ٢٨٧/٣ وروايته هكذا

وإنما يبلغ الإنسان طاقته ما كلُّ ماشية بالرجل شملاًل

والشملاًل : الناقة القوية السريعة . يقول : كل أحد يجرى في السيادة على قدر طاقته وليس كل من
يمشى على رجله شملاًلا . يقدر على السرعة . والمعنى : ليس كل كريم يبلغ غاية الكرم . ولا كل شريف
يبلغ غاية الشرف . وليس كل من سعى من الرؤساء يبلغ مبلغ ممدوحه الذي لا يعادل في فضله . ولا
بمائل في جلالة قدره .

مقدمة الكتاب

ولنرجع إلى ما نحن بصددَه فنقول : أما مقدمة الكتاب فإنها تشتمل على عشرة فصول :

الفصل الأول

فى موضوع علم البيان

موضوع كل علم هو الشيء الذى يُسأل فيه عن أحواله التى تُعرض لذاته . فموضوع الفقه هو أفعال المكلفين ، والفقيه يُسأل عن أحوالها التى تُعرض لها من الفرض والنفل ، والحلال والحرام ، والتدب والمباح ، وغير ذلك . وموضوع الطب هو بدن الإنسان ، والطبيب يُسأل عن أحواله التى تُعرض له من صحته وسقمه .

وموضوع الحساب هو الأعداد ، والحاسب يُسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك .

وموضوع النحو هو الألفاظ والمعانى ، والنحوى يُسأل عن أحوالها فى الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية .

وكذلك يجرى الحكم فى كل علم من العلوم . وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره .

وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة . وصاحبه يُسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية . وهو والنحوى يشتركان فى أن النحوى ينظر فى دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى ، وتلك دلالة عامة . وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة ، وهى دلالة خاصة . والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب . ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة .

ومن هاهنا غَلَطَ مُفسِّرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى ، وما فيها (١) من الكلمات اللغوية ، وتبيين مواضع الإعراب منها ، دون شرح ما تَضَمَّنَتْهُ من أسرار الفصاحة والبلاغة .

الفصل الثاني

في آلات علم البيان وأدواته

اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تَفْتَقِرُ إلى آلات كثيرة . وقد قيل : ينبغي للكاتب أن يَتَعَلَّقَ بكلِّ علم ، حتى قيل : كلُّ ذى علم يَسُوغُ له أن يَنْسُبَ نفسه إليه ، فيقال (٢) : فلانُ النحويُّ ، وفلانُ الفقيهُ ، وفلانُ المتكلمُ ، ولا يَسُوغُ له أن يَنْسُبَ نفسه إلى الكتابة ، فيقال (٣) : فلانُ الكاتب . وذلك لما يَفْتَقِرُ إليه من الخَوْصِ في كل فن . ومِلاكُ هذا كلُّه الطبعُ ، فَإِنَّهُ إذا لم يكن ثمَّ طبعٌ فإنه لا تُغْنِي تلك الآلات شيئاً . ومثالُ ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد ، والحديدة التي يُقَدِّحُ بها ، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تنفيذ تلك الحديدة شيئاً ؟ وكثيراً ما رأينا وسمعنا من غرائب الطباع في تَعَلُّمِ العلوم ، حتى إن بعض الناس يكون له نَفَادٌ في تَعَلُّمِ علمٍ مُشْكِلِ الْمَسَلِكِ ، صعب المأخذ ، فإذا كُفِّ تَعَلُّمَ ما هو دونه من سهِّلِ العلوم نَكَّصَ على عَقْبِيهِ (٤) ولم يكن له فيه نَفَادٌ . وأغربُ من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دُونَ الهجاء ، أو في الهجاء دون المديح . أو يجيد في المراثي دون التهاني ، أو في التهاني دون المراثي . وكذلك صاحبُ الطبع في المنثور . هذا ابن الحريري (٤) . صاحبُ المقامات قد كان على ما ظهر عنه من تنميق

(١) الضمير عائد على الأشعار .

(٢) في الأصل « فيقول » والصواب عن الفلك الدائر ٧ .

(٣) يقال : نكص عن الأمر نكصاً ونكوصاً أحجم عنه . ونكص على عقبيه رجع عما كان عليه .

والعقبان مثني العقب - ككتف - مؤخر القدم .

(٤) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري ، كان أحد أئمة عصره رزق الحظوة التامة في عمله المقامات ، وقد اشتملت على كثير من بلاغات العرب في لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها . ومن عرفها حق معرفتها استدلت بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته . وللحريري تأليف حسان منها درة الغواص في أوهام الخواص ، ومنها ملحمة الإعراب المنظومة في النحو ، وله أيضاً شرحها . وله =

المقامات واحداً في فنه ، فلما حضر ببغداد ووقف على مقاماته ، قيل : هذا يُستصَلحُ
لكتابة الإنشاء في ديوان الخلافة ، ويَحْسُنُ أثره فيه . فأحْضِرَ وكَلَّفَ كتابةَ كتاب
فأفْهِمَ ، ولم يَجْرِ لسانه في طويلة ولا قصيرة . فقال فيه بعضهم (٥) :

شيخُ لنا من ربيعةِ الفرسِ (٦) يَنْتِفُ عُنُونَهُ (٧) من الهوسِ
أنطقه الله بالمشانِ (٨) وقد أجمه في بَغدادَ بالخرسِ

وهذا مما يُعْجَبُ منه . وسئِلْتُ عن ذلك فقلت : لا عَجَبَ : لأن المقامات
مدارها جميعها على حكاية تُخْرِجُ إلى مَخْلَصٍ .

وأما المكاتبات فإنها بحر لا ساحل له ، لأن المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث
الأيام ، وهي متحددة على عَدَدِ الأنفاس . ألا ترى أنه إذا خَطَبَ الكاتبُ
المُفْلِقُ (٩) عن دولة من الدول الواسعة التي يكون لسلطانها سيف مشهور ، وسعى
مذكور ، ومكث على ذلك بُرْهَةً يسيرة لا تبلغ عَشْرَ سنين فإنه يُدَوِّنُ عنه من
المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء ، كلُّ جزء منها أكبر من مقامات الحريري حجد
لأنه إذا كَتَبَ في كل يوم كتابا واحداً اجتمع من كتبه أكثر من هذه العِدَّةِ المشارِ
إليها ، وإذا نُخِلَتْ وغُرِبِلَتْ واختير الأجوُدُ منها ، إذ تكون كلها جيدة - فيخْلُصُ

= ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات ، وكانت ولادة الحريري سنة ٤٤٦ هـ وتوفي سنة عشر
قيل خمس أو ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

(٥) قيل إن الذي عمل هذين البيتين هو أبو القاسم علي بن أفلع الشاعر .

(٦) ربيعة الفرس : هو ابن نزار بن معد بن عدنان ، أبو قبيلة ، سمي بذلك لأنه أعطى الخيل من
ميراث ابنه ، على حين أن أخاه مضر أعطى الذهب ، فقيل مضر الحمراء ، وأعطى أخوه أثمار الشاة ، فقيل
أثمار الشاة وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس .

(٧) العننون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين ، أو ما نبت على الذقن وتحتة سفلا ، وكان الحريري
مولعاً ينتف لحيته عند الفكرة .

(٨) المشان بفتح الميم والشين وبعد الألف نون : بليدة بعد البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم ،
وكان أهل الحريري منها ، ويقال إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة وأنه كان من ذوى اليسار ، ويروى
البيت الثاني هكذا :

أنطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

(٩) يقال : أفلق الشاعر إذا أتى بالعجيب .

منها النصف، وهو خمسة أجزاء. والله يعلم ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب، وما حَصَلَ في ضِمْنِهَا من المعاني المبتدعة.

على أن الحريري قد كتب في أثناء مقاماته رقاعا في مواضع عِدَّة، فجاء بها منحة عن كلامه في حكاية المقامات، لابل جاء بالغث البارد الذي لانسبة له إلى باقي كلامه فيها. وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات، وإذا وَقَفَ عليها أُقْسِمَ أن قائل هذه ليس قائل هذه، لما بينهما من التفاوت البعيد.

وبلغني عن الشيخ أبي محمد [عبد الله بن (١٠)] أحمد بن الخشاب النحوي (١١) - رحمه الله - أنه كان يقول: ابن الحريري رجلُ مقامات، أي أنه لم يُحَسِّنْ من الكلام المنثور سواها، وإن أتى بغيرها لا يقول شيئا.

فانظر أيها المتأمل إلى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنثور. ومن أَجْلِ ذلك قيل: شيثان لا نهاية لهما: البيان والجمال. وعلى هذا فإذا رَكَّبَ الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن فيفتقر حينئذ إلى ثمانية أنواع من الآلات.

النوع الأول: معرفة علم العربية من النحو والتصريف.

النوع الثاني: معرفة ما يَحْتَأُجُ إليه من اللغة، وهو المتداولُ المألوفُ استعماله في فصيح الكلام غير الوَحْشِيِّ الغريب، ولا المُسْتَكْرَهِ المغيب.

النوع الثالث: معرفة أمثال العرب وأيامهم. ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام، فإن ذلك جرى مَجْرَى الأمثال أيضا.

النوع الرابع: الاطلاع على تأليفات من تقدّمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة، والتحفُّظ للكثير منه.

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والقضاء والحِسْبَة (١٢) وغير ذلك.

(١٠) زيادة ليست في الأصل صححنا بها الاسم.

(١١) هو الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال إنه كان في درجة الفارسي، وكانت له معرفة بالتفسير والحديث واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة، وله كتب كثيرة منها رسالة كتبها في الرد على الحريري في مقاماته، توفي سنة ٥٦٧ هـ ووقف كتبه على أهل العلم.

(١٢) الحسبة بالكسر الأجر، واسم من الاحتساب، وهو حسن الحسبة حسن التدبير.

النوع السادس : حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّدْرُبُ بِاسْتِعْمَالِهِ وَإِدْرَاجِهِ فِي مَطَاوِي كَلَامِهِ .

النوع السابع : حِفْظُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالسَّلُوكُ بِهَا مَسَلَكَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْاسْتِعْمَالِ .

النوع الثامن : وَهُوَ مَخْتَصٌّ بِالنَّاطِقِ دُونَ النَّاتِرِ ، وَذَلِكَ عِلْمُ الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي الَّذِي يُقَامُ بِهِ مِيزَانُ الشَّعْرِ .

وَلِنَذِكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَائِدَةٌ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِيُعْلَمَ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ مِمَّا تَمَسُّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ فَنَقُولُ :

[النَّوْعُ الْأَوَّلُ : مَعْرِفَةُ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ النُّحُوِّ وَالتَّصْرِيفِ]

أَمَّا عِلْمُ النُّحُوِّ فَإِنَّهُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ بِمَنْزِلَةِ أَيْجِدٍ فِي تَعْلِيمِ الْخَطِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي إِتْقَانَ مَعْرِفَتِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ يَنْطِقُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، لِیَأْمَنَ مَعْرَةَ اللَّحْنِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ وَإِنْ اِحْتِجَّ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ دُونَ بَعْضٍ لِنُضْرُورَةِ الْإِفْهَامِ ، فَإِنَّ الْوَاضِعَ لَمْ يَخْصُصْ مِنْهُ شَيْئًا بِالْوَضْعِ ، بَلْ جَعَلَ الْوَضْعَ عَامًّا ، وَإِلَّا فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى ضَرْوَرَتِهِ وَأَقْسَامِهِ الْمَدُونَةِ وَجَدْنَا أَكْثَرَهَا غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَيْهِ فِي إِفْهَامِ الْمَعَانِي . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَمَرْتَ رَجُلًا بِالْقِيَامِ فَقُلْتَ لَهُ : « قُمْ » بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ وَلَمْ تَجْزَمْ لِمَا اخْتَلَفَ مِنْ فَهْمٍ ذَلِكَ شَيْءٌ؟ وَكَذَلِكَ الشَّرْطُ لَوْ قُلْتَ : « إِنْ تَقَوْمٌ أَقَوْمٌ » وَلَمْ تَجْزَمْ لِكَانِ الْمَعْنَى مَفْهُومًا . وَالْفَضَلَاتُ كُلُّهَا تَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى كَالْحَالِ وَالتَّمْيِيزِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ، فَإِذَا قُلْتَ : « جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا » ، وَ« مَا فِي السَّمَاءِ قَدْرٌ رَاحَةَ سَحَابٍ » ، وَ« قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدٌ » ، فَلَزِمَتْ السُّكُونُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٍ ، وَلَمْ تَبَيِّنْ إِعْرَابًا لِمَا تَوَقَّفَ الْفَهْمُ عَلَى نَصْبِ الرَّاَكِبِ وَالسَّحَابِ وَلَا عَلَى نَصْبِ زَيْدٍ ، وَهَكَذَا يُقَالُ فِي الْمَجْرُورَاتِ فِي الْمَفْعُولِ فِيهِ وَالْمَفْعُولُ لَهُ وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ فِي الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَقْسَامِ آخَرَ لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهَا .

لَكِنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ مَا لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِقِيُودِ تَقْيِيدِهِ ، وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الَّذِي تَدُلُّ ضَبِغَتُهُ الْوَاحِدَةَ عَلَى مَعَانٍ مُخْتَلَفَةٍ ، وَلِنَضْرِبَ لَذَلِكَ مِثَالًا يُوَضِّحُهُ فَنَقُولُ : اَعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَقْسَامِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَا لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِعَلَامَةٍ ، كَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَلَامَةٌ تُبَيِّنُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ ، وَإِلَّا أَشْكَلَ الْأَمْرُ (١٣)

(١٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ : وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي حَذْفَ « إِلَّا » أَوْ تَقْدِيرَ جَوَابٍ لِلشَّرْطِ .

كقولك « ضرب زيد عمرو » [بالوقف عليها ^(١٤)] ويكون زيد هو المضروب ، فإنك إذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا وإلا لا يفهم ما أردت ^(١٣) ، وعلى هذا ورد قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ^(١٥) » وكذلك لو قال قائل : ما أَحْسَنَ زَيْدٌ . ولم يبين الإعراب في ذلك لما علمنا غرضه منه . إذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه . أو يريد به الاستفهام عن أى شيء منه أحسن . ويحتمل أن يريد به الإخبار بنى الإحسان عنه . ولو بين الإعراب في ذلك . فقال : ما أَحْسَنَ زَيْدًا . وما أَحْسَنَ زَيْدٍ ؟ وما أَحْسَنَ زَيْدٌ ^(١٦) . علمنا غرضه . وفهمنا مغزى كلامه ، لا نفراد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يُعرفُ به من الإعراب . فوجب حينئذٍ بذلك معرفة النحو . إذ كان ضابطاً لمعاني الكلام . حافظاً لها من الاختلاف .

وأول من تكلم في النحو أبو الأسود الدؤلى ^(١٧) ، وسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له : « يا أبت ، ما أشدُّ الحر » متعجبة ، ورفعت « أشدُّ » ، فظنَّها مستفهمة ؛ فقال : شهرٌ ناجِرٌ ^(١٨) فقالت : يا أبت إنما أخبرتك ، ولم أسألك ، فأتى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : « يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب ، ويوشِكُ إن تطاولَ عليها زمان أن تَضْمَحِلَّ » فقال له : وما ذاك ؟ فأخبره

(١٤) زيادة عن الفلك الدائر ٨

(١٥) سورة فاطر ، آية ٢٨

(١٦) ما فى المثال الأول للتعجب ، وفى الثانى للاستفهام ، وفى الثالث للنقى .

(١٧) قال ابن سلام الجمحى : أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل . . . وكان رجل أهل البصرة ، وكان علوى الرأى . وقيل لأبى الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ - يعنون النحو - قال : لقتت حدوده من على بن أبى طالب - عليه السلام - وكان أبو الأسود أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف والدهاة والخاصرى الجواب والصلح الأشراف والبحر الأشراف ومن مشاهير البخلاء ، وهو من القراء ، قرأ على أمير المؤمنين على عليه السلام وشهد معه صفين ، وقدم على معاوية فأكرمه وأعظمَ جنازته ، وولى قضاء البصرة وهو أول من نقط المصحف ، وله شعر كثير . مات أبو الأسود بالبصرة سنة ٦٩ : وهو ابن خمس وثمانين سنة .

(١٨) ناجر : قال فى القاموس « ناجر رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف » : إن شهرى رجب وصفر وكل الشهور القمرية يتغير موقعها سنة بعد سنة ، ولا بد أن يكون شهراً بعينه من شهور الصيف . وفى وضع أبى الأسود النحو أقوال كثيرة غير ما رواه ابن الأثير . انظر إنباه الرواة على أنباء النحاة

خبر ابنته ، فقال : هَلُمَّ صحيفة ، ثم أملى عليه : « الكلامُ لا يَخْرُجُ عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى » ، ثم رَسَمَ له رسوما ، فنقلها النحويون في كتبهم . وقيل : إن أبا الأسود دخل على زياد ابن أبيه ^(١٩) بالبصرة فقال : إني أرى العرب قد خالطت العجم ، وتغيرت ألسنتها ، أفأذن لي أن أصنع ما يقيمون به كلامهم ؟ فقال : لا ، فقام من عنده ، ودخل عليه رجل فقال : « أيها الأمير مات أبانا وخلف بنون » . فقال زياد : مات أبانا وخلف بنون ! ؟ مه ، زدوا على أبا الأسود ، فردوه ، فقال له : اصنع ما كنت نهيته عنه ، فوضع شيئا ^(٢٠) ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن ^(٢١) فزاد عليه . ثم جاء بعده عنبسة بن معدان المهري ^(٢٢) فزاد عليه ، ثم جاء بعده عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ^(٢٣) وأبو عمرو بن العلاء ^(٢٤) فزادا

(١٩) هو زياد بن أبي سفيان : استلحفه معاوية بأبيه ، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة ولد عام الهجرة وقيل يوم بدر ، واستعمله عمر بن الخطاب على بعض أعمال البصرة ، واستعمله على بعض بلاد فارس ولم يزل معه حتى قتل وسلم الحسن الأمر إلى معاوية ، فاستلحفه بأبيه ، وجعله أخاه ، واستعمله على البصرة ، ثم أضاف إليه الكوفة ، وبقى عليها إلى أن مات سنة ٥٣ هـ .

(٢٠) قال أبو حرقب بن أبي الأسود : أول باب رسم أبي من النحو باب التعجب . وقيل : أول باب رسم باب الفاعل والمفعول . والمضاف ، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم .

(٢١) هو الإمام المقدم في العربية بعد أبي الأسود وعنه أخذ ، وأخذ عنه عنبسة بن معدان الفيل في أصح الروايتين ، وزاد على أبي الأسود في حدود نغرية .

(٢٢) هو عنبسة بن معدان الفيل الميساني أخذ نحو عن أبي الأسود . قالوا : ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أربع منه ، وروى الأشعار وظرف وفصح . وروى شعر جرير والفرزدق .

(٢٣) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، كان قبا بالعربية والقراءة إماماً فيها ، وكان شديد التجريد للقياس ، وكان عبد الله بن أبي إسحاق يطعن على العرب ، وكان يرد كثيراً على الفرزدق ويكلمه في شعره فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

وتوفى بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك .

(٢٤) هو العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية ، واسمه كنيته ، وقيل إن اسمه زبان ، أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي ، وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري والخليل بن أحمد وعلى بن المبارك ، وكان يونس ابن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كله في العربية ، ولكن ليس من أحد إلا وأنت أخذ من قوله وتارك إلا النبي صلى الله عليه وسلم . وتوفى أبو عمرو بن العلاء في سنة ١٥٤ هـ في خلافة المنصور .

عليه ، ثم جاء بعدهما الخليل بن أحمد الأزدي^(٢٥) وتتابع الناس . واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك . فهذا ما بلغني من أمر النحو في أول وضعه . وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادئ أمرها شيء يسير ، ثم يزداد بالتدرج إلى أن يستكمل آخراً .

فإن قيل : أما علمُ النحو فمُسَلَّمٌ إليك أنه تجبُ معرفته ، لكنَّ التصريفَ لا حاجةَ إليه . لأنَّ التصريفَ إنما هو معرفةُ أصلِ الكلمةِ ، وزيادتها ، وحذفها ، وإبدالها ، وهذا لا يضرُّ جهلُه ؛ ولا تنفعُ معرفته . ولنضربَ لذلك مثلاً كيف اتفق ، فنقول : إذا قال القائل : « رأيتُ سِرْدَاحًا^(٢٦) » لا يلزمه أن يعرف الألف في هذه الكلمة زائدةً هي أم أصليةً ، لأنَّ العرب لم تنطق بها إلا كذلك ، ولو قالتُ « سِرْدَاحًا » بغير الألف لما جاز لأحد أن يزيد الألف فيها من عنده ، فيقول : « سِرْدَاحًا » ، فعلمَ بهذا أنه إنما يُنطقُ بالألفاظ كما سَمِعَتْ عن العرب من غير زيادة فيها ولا نقص . وليس يلزم بعد ذلك أن يَعْلَمَ أصلها ولا زيادتها ، لأنَّ ذلك أمر خارج [لا^(٢٧)] تقتضيه صناعة تأليف الكلام .

فالجواب عن ذلك أنا نقول : اعلم أنا لم نجعل معرفة التصريف كمعرفة النحو ، لأنَّ الكاتب أو الشاعر إذا كان عارفاً بالمعاني ، مختاراً لها ، قادراً على الألفاظ ، مجيداً فيها ، ولم يكن عارفاً بعلم النحو ، فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام . ويختل عليه ما يقصده من المعاني ، كما أريناك في ذلك المثال المتقدم .

وأما التصريف فإنه إذا لم يكن عارفاً به لم تفسد عليه معاني كلامه ، وإنما تفسد عليه الأوضاع ، وإن كانت المعاني صحيحة ، وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب ، فنقول : أما قولك إن التصريف لا حاجة إليه ، واستدللك بما ذكرته من المثال

(٢٥) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري الفرهودي الأزدي ، سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده ، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه ، وأخذ عنه سيبويه ، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل ، وكل ما قال سيبويه « سألتُه » أو قال « قال » من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ، وأخذ عنه أيضاً النضر بن شميل ، ومؤرج السدوسي ، وعلى بن نصر الجهضمي وغيرهم . وهو أول من استخراج علم العروض وضبط اللغة ، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر ، وكان أول من حصر أشعار العرب . توفي سنة ستين ومائة .

(٢٦) السرداح : الناقة الطويلة أو الكريمة أو العظيمة أو السمينة أو القوية الشديدة التامة .

(٢٧) زيادة يقتضيهما السياق .

المضروب ، فإن ذلك لا يستمرُّ لك الكلام فيه . ألا ترى أنك مثلت كلامك في لفظة « سُرْداح » ، وقلت إنه لا يُحْتَاجُ إلى معرفة الألف زائدة هي أم أصلية ، لأنها إنما نُقِلَتْ عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص ، وهذا لا يَطْرُدُ إلا فيما هذا سبيله من نقل الألفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال ، فأما إذا أريد تصغيرها أو جمعها والنسبة إليها فإنه إذا لم يَعْرِفِ الأصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها يَضِلُّ حينئذ عن السبيل ، وينشأ من ذلك مجالٌ للعائب والطاعن . ألا ترى أنه إذا قيل للنحوى - وكان جاهلا بعلم التصريف - كيف تُصَغَّرُ لفظة « اضطراب » ؟ فإنه يقول : « ضُطِّيرِب » ولا يلام على جهله بذلك ، لأن الذى تقتضيه صناعة النحو قد أتى به ، وذلك أن النحاة يقولون إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفته ، نحو قولهم فى « منطلق » « مُطَلِّق » وفى « جَحْمَرِش » (٢٨) « جُحْمِيرِ » . فلفظة « منطلق » على خمسة أحرف ، وفيها حرفان زائدان ، هما الميم والنون ، إلا أن الميم زيدت فيها لمعنى ، فلذلك لم تُحْدَفْ ، وحذفت النون . وأما لفظة « جَحْمَرِش » فخاصية لا زيادة فيها ، وحذف منها حرف أيضا . ولم يعلم النحوى أن علماء النحو إنما قالوا ذلك مُهْمَلًا اتكالا منهم على تحقيقه من علم الصرف ، لأنه لا يلزمهم أن يقولوا فى كتب النحو أكثر مما قالوا ، وليس عليهم أن يذكروا فى باب من أبواب النحو شيئا من التصريف ، لأن كلا من النحو والتصريف عِلْمٌ منفرد برأسه ، غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ، ومحتاج إليه ، وإنما قلت : إن النحوى إذا سئل عن تصغير لفظة « اضطراب » يقول : « ضُطِّيرِب » لأنه لا يخلو إما أن يَحْدِفَ من لفظة « اضطراب » الألف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء . وهذه الحروف المذكورة - غير الألف - ليست من حروف الزيادة فلا تحذف ، بل الأوَّلَى أن يُحْدَفَ الحرف الزائد ، ويترك الحرف الذى ليس بزائد . فلذلك قلنا : إن النحوى يصغِّرُ لفظة « اضطراب » على « ضُطِّيرِب » فيحذف الألف التى هى حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة . وإما أن يَعْلَمَ أن الطاء فى « اضطراب » مبدلة من تاء ، وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذى كانت عليه وهو التاء فيقال : « ضُتِّيرِب » فإن هذا لا يعلمه إلا

(٢٨) الجحمرش : العجوز الكبيرة والمرأة السمجة والأربب المرضع والحشناء من الأفاعى .

التصريفى ، وتكليفُ النحوى الجاهلِ بعلمِ التصريفِ معرفةً ذلك كتكليفه علمَ مالا يَعْلَمُه ، فثبت بما ذكرناه أنه يَحْتَاجُ إلى علمِ التصريفِ ، لئلا يَغْلُطَ فى مثل هذا . ومن العجب أن يقال إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف . ألم تعلم أن نافع بن أبى نُعَيْمٍ (٢٩) - وهو من أكبر القراء السبعة قدراً ،^١ وأفخمهم شأنًا - قال فى « معاش (٣٠) » « معاشش » بالهمز؟ ولم يعلم الأصل فى ذلك فأوحِذَ عليه ، وعيب من أجله . ومن جملة مَنْ عابه أبو عثمان المازنى (٣١) فقال فى كتابه فى التصريف : إن نافعاً لم يَدْرِ ما العربيةُ . وكثيراً ما يقع أولو العلم فى مثل هذه المواضع ، فكيف الجُهَّالُ الذين لا معرفة لهم بها ، ولا اطلاع لهم عليها؟ وإذا عَلِمَ حَقِيقَةَ الأمرِ فى ذلك لم يَغْلُطْ فيما يوجب قَدْحًا ولا طَعْنًا . وهذه لفظة « معاش » لا يجوز همزها بإجماع من علماء العربية ، لأن الياء فيها ليست مُبَدَلَةً من همزة ، وإنما الياءُ التى تُبَدَلُ من الهمزة فى هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ، ويكون بعدها حرف واحد ، ولا تكون عيناً نحو « سفائن » وفى هذا الموضع غَلِطَ نافعٌ ، رحمة الله عليه ، لأنه لاشكَّ اعتقد أن « معيشة » بوزن فعيلة ، وجمع فعيلة هو على فعائل . ولم ينظر إلى أن الأصل فى « معيشة » « مَعِيشَةٌ » على وزن مَفْعَلَةٍ ، وذلك لأن أصل هذه الكلمة من « عاش » التى أصلها « عَيْشٌ » على وزن فَعَلَ ، ويَلْزَمُ مضارعُ فِعْلٍ المعتلِّ العينِ « يَفْعَلُ » لتصح الياء نحو « يَعْيشُ » ، ثم تُنْقَلُ حركةُ العينِ إلى الفاء فتصير « يَعْيشُ » ثم يبنى من « يعيش » مفعول فيقال « مَعْيُوشٌ به » كما يقال « مَسِيرٌ به » ثم يُخَفَّفُ ذلك بحذف الواو ، فيقال « مَعِيشٌ به » كما يقال « مَسِيرٌ به » ثم تَوَثُّ هذه اللفظة ، فتصيرُ « مَعِيشَةٌ » .

(٢٩) نافع بن أبى نعيم أحد القراء السبعة ، وهو نافع بن عبد الرحمن ، وهو مولى جعونة بن شعوب الشجعى ، كان أسود شديد السواد ، وأصله من أصهان ، توفى سنة ١٦٩ هـ بالمدينة .

(٣٠) فى سورة الأعراف « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون » آية ١٠ وفى سورة الحجر « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » آية ٢٠ .

(٣١) أبو عثمان المازنى هو بكر بن محمد بن بقية ، قيل ابن عدى بن حبيب ، نزل فى بنى مازن فنسب إليهم . وهو بصرى . روى عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد . وعنه المبرد والفضل بن محمد البيزى وغيرهم . وكان إماماً فى العربية متساعاً فى الرواية . وكان لا يناظره أحد إلا قطع له قدرته على الكلام . وقال المبرد : لم يكن بعد سيويه أعلم بالنحو من أبى عثمان وله تصانيف كثيرة فى النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافى . توفى سنة ٢٤٧ هـ

ومع هذا فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أن يُهْمِلَ من علم العربية ما يخفى عليه بإهماله اللَّحْنَ الخَفِيَّ ، فَإِنَّ اللَّحْنَ الظَّاهِرَ قد كثرت مُفَاوِضَاتُ النَّاسِ فِيهِ ، حَتَّى صَارَ يَعْلَمُهُ غَيْرُ النَّحْوِيِّ . وَلَا شَكَّ أَنَّ قِلَّةَ الْمَبَالَاةِ بِالْأَمْرِ ، وَاسْتِشْعَارَ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ ، تُوقِعُ صَاحِبَهُ فِي مَا لَا يَشْعُرُ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ ، فَيَجْهَلُ بِمَا يَكُونُ عَالِمًا بِهِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ (٣٢) كَانَ مَعْدُودًا فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَقَدْ غَلَطَ فِيهَا لَا يَغْلَطُ مِثْلُهُ فِيهِ ، فَقَالَ فِي صِفَةِ الْخَمْرِ :

كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ (٣٣)

وهذا لا يخفى على مثل أبي نواس ، فإنه من ظواهر علم العربية ، وليس من غوامضه في شيء ، لأنه أمر نقلِي يَحْمِلُ نَاقِلَهُ فِيهِ عَلَى النُّقْلِ مِنْ غَيْرِ تَصَرُّفٍ . وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ « صُغْرَى » « وَكُبْرَى » غَيْرُ جَائِزٍ ، فَإِنَّ فُعْلَى أَفْعَلُ لَا يَجُوزُ حَذْفُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ حَذْفُهَا مِنْ فُعْلَى الَّتِي لَا أَفْعَلُ لَهَا ، نَحْوُ « جَبَلَى » إِلَّا أَنْ تَكُونَ فُعْلَى أَفْعَلُ مِضَافَةً ، وَهَاهُنَا قَدْ عَرَيْتُ عَنِ الْإِضَافَةِ وَعَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ ، فَانظُرْ كَيْفَ وَقَعَ أَبُو نَوَاسٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، مَعَ قُرْبِهِ وَسَهُولَتِهِ . وَقَدْ غَلَطَ أَبُو تَمَّامٍ (٣٤) فِي قَوْلِهِ :

(٣٢) أَبُو نَوَاسٍ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنِ الصَّبَاحِ الْحَكَمِيِّ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ١٤١ هـ فِي كُورَةِ خُوزِسْتَانَ ، وَاسْتَقَلَّ فِي صَبَاهِ عِنْدَ عِطَارٍ حَتَّى تَعَرَّفَ إِلَى الْوَالِيَةِ بْنِ الْحَبَابِ فَأَعْجَبَ بِهِ وَصَحَبَهُ إِلَى الْكُوفَةِ ثُمَّ بَغْدَادَ ، وَهَنَّاكَ صَحَبَ الشُّعْرَاءَ وَدَرَسَ عَلَى الْعُلَمَاءِ حَتَّى أَصْبَحَ مِنْ أَشْعُرِ أَهْلِ عَصْرِهِ وَأَغْرَزَهُمْ عِلْمًا ، وَطَارَ ذِكْرُهُ فِي الْأَفَاقِ ، وَاتَّصَلَ بِالرُّشَيْدِ وَالْأَمِينِ وَمَدَحَهَا وَنَالَ مِنْهَا الْجَوَائِزَ السَّنِيَّةَ ، وَتَوَفَّى أَبُو نَوَاسٍ فِي الثَّامِنَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ عَمْرِهِ سَنَةَ ١٩٩ هـ .

(٣٣) دِيوَانُ أَبِي نَوَاسٍ : ص ٢٤٣ (فَوَاقِعُهَا) بِالْوَاوِ كَمَا هُنَا ، وَأَكْثَرُ الرِّوَاةِ عَلَى أَنَّهَا (فَقَاقِعُهَا) بِالْقَافِ ، وَهِيَ النِّفَاقَاتُ الَّتِي تَعْلُو الْمَاءَ أَوْ الْخَمْرَ . وَمَحَلُّ الْخَطَأِ قَوْلُهُ « صُغْرَى وَكُبْرَى » حَيْثُ جَاءَ بِأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ مُؤَنَّثًا ، مَعَ كَوْنِهِ مَجْرُودًا مِنْ أَلٍ وَمِنْ الْإِضَافَةِ ، وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ مَفْرَدًا مَذْكَرًا . فَيَقُولُ « أَصْغَرُ وَأَكْبَرُ » . وَقَدْ اعْتَدَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَرِدِ التَّفْضِيلُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَعْنَى الْوَصْفِ الْمَجْرُودِ عَنِ الزِّيَادَةِ . (٣٤) أَبُو تَمَّامٍ هُوَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسِ الطَّائِيِّ : قَالَ الْأَمْدِيُّ فِي الْمَوَازِنَةِ : وَالَّذِي عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ فِي نِسْبِ أَبِي تَمَّامٍ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ جَاسِمٍ - قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ - يُقَالُ لَهُ تَدُوسُ الْعِطَارَ فَجَعَلُوهُ أَوْسًا . وَلَفَّقَتْ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى طَيْئِهِ . وَكَانَ وَاحِدَ عَصْرِهِ فِي دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ وَنِصَاعَةِ شِعْرِهِ وَحَسَنِ اسْلُوبِهِ : وَوَلَهُ كِتَابُ الْحِمَاسَةِ الَّتِي دَلَّ عَلَى غِرَازَةِ فَضْلِهِ وَإِتْقَانِ مَعْرِفَتِهِ بِحَسَنِ الْإِخْتِيَارِ ، وَوَلَهُ مَجْمُوعٌ آخَرُ سَمَاهُ « فَحُولُ الشُّعْرَاءِ » جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ طَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُخَضَّرِينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ ، وَوَلَهُ كِتَابٌ « الْإِخْتِيَارَاتُ مِنْ شِعْرِ الشُّعْرَاءِ » وَكَانَ لَهُ مِنَ الْمَحْفُوظَاتِ مَا لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَرْجُوزَةٍ لِلْعَرَبِ =

يالقائم الثامن المستخلف اطأدت^(٣٥) قواعدُ الملِك مُمتدًا لها الطولُ
 ألا ترى أنه قال « اطأدت » والصواب « اتطدت » لأن التاء تبدل من الواو في
 موضعين : أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع ، لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت
 « اتعد » ، ومثله ماورد في هذا البيت ، فإنه من وطد يَـطدُ كما يقال وعد يَـعدُ ، فإذا
 بُني افتعل قيل « اتطد » ، ولا يقال « اطأد » . وأما غير المقيس فقولهم في وجاه
 « تُجاه » وقالوا « تُكلان »^(٣٦) وأصله الواو لأنه من وكل يَـكلُ ، فأبدلت الواو تاء
 للاستحسان . فهذه الأمثلة قد أشرتُ إليها ، ليعلم مكان الفائدة في أمثالها ،
 وتوقى . على أنى لم أجد أحدا من الشعراء المُقلِّين سلم من مثل ذلك ، فإما أن
 يكون لَحَنَ لَحْنًا يدل على جهله مواقع الإعراب ، وإما أن يكون أخطأ في تصريف
 الكلمة . ولا أعني بالشعراء من هو قريب عهدٍ بزماننا ، بل أعني بالشعراء من تقدّم
 زمانه ، كالمتنبى^(٣٧) ومن كان قبله ، كالبحرّى^(٣٨) ، ومن تقدمه كأبي تمام ، ومن
 سبقه كأبي نواس والمعصوم من عصمه الله تعالى .

على أن المخطئ في التصريف أندرُ وقوعًا من المخطئ في النحو ، لأنه قلما يقع له
 كلمة يحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنقل في حروفها ، وأما النحو فإنه يقع الخطأ
 فيه كثيرا ، حتى إنه ليشدُّ في ظاهره في بعض الأحوال ، فكيف خافيه ، كقول أبي
 نواس في الأمين محمد رحمه الله :

غير القصائد والمقاطع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم ، وجاب البلاد . وتوفى بالموصل سنة ٢٣١ هـ .
 (٣٥) فعله المجرد وطد يقال وطد الشيء يطده بالتخفيف كوعد بعد ، فهو وطيد وموطود أثبتة ونقله
 كوطده فتوطد بالتشديد ورواية الديوان « اعتدلت » موضع « اطأدت » ص ٢٢٧ .
 (٣٦) تجاه ووجه مثلثين تلقاء الوجه . أراد أن كلمة تجاه فيها تاء ليست في الأصل والتكلان : الاسم
 من التوكل .

(٣٧) المتنبى هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الشاعر المشهور ، من أهل الكوفة ، وقدم الشام في صباه
 وجال في أقطاره واشتغل بقنون الأدب ومهر فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها
 وحوشها ، ولا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب ، وإنما قيل له المتنبى لأنه ادعى النبوة في بادية
 السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق
 أصحابه ، وحجسه ، طويلا ثم استنابه وأطلقه ثم التحق بسيف الدولة بن حمدان في سنة ٣٣٧ هـ ، ثم فارقه
 إلى مصر سنة ٣٤٦ هـ ، ومدح كافورا الإخشيدى ، ولما لم يرضه هجاه ، وفارقه ليلة النحر سنة ٣٥٠ هـ ،
 ومات مقتولا سنة ٣٥٤ هـ .

(٣٨) البحرّى هو أبو عبادَةَ الوليد بن عبيد الطائي ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ ، وتنقل في قبائل طي
 وغيرها من البدو الضارين في شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب ، واتصل بالمتوكل والفتح بن=

يَاخِيرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ المِيمُونُ (٣٩)
فرجع في الاستثناء من الموجب، وهذا من ظواهر النحو، وليس من خافيه في
شيء.

وكذلك قال أبو الطيب المنبجي (٤٠)

أرأيتَ هِمَّةَ نَاقِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا سُرْحًا وَخُفًّا مُجْمَرًا (٤١)
تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ العَنَبْرَا (٤٢)
وَتَكَرَّمَتْ رُكْبَاتُهَا عَن مَبْرِكِ تَقَعَانٍ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكَأً أَذْفَرَا (٤٣)
فجمع في حال الثنية، لأن الناقة ليس لها إلا ركبتيان، فقال «رُكْبَاتِ» وهذا
من أظهر ظواهر النحو، وقد خفي على مثل المنبجي.

ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة
ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليه، وهم الناطقون
باللغة، فوجب اتباعهم.

والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفعُ الفاعل ونصبُ
المفعول أو ماجرى مجراها، وإنما غرضه إيرادُ المعنى الحسن في اللفظ الحسن
المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة، ولهذا لم يكن اللحن قادحاً في حسن الكلام،
=خاقان حتى قتلا. ويمتاز شعره بركة الأسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والثناء والعتاب والغزل
والمدح. توفي البحترى سنة ٢٨٤ هـ.

(٣٩) ديوان أبي نواس ص ١١٧، وقد أبقينا لفظ «النبى» مرفوعاً لأن مبنى النقد على ذلك. ويمكن
أن يكون منصوباً ولا خطأ فيه. ويرفع ما بعده على أنه نعت مقطوع.
(٤٠) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد. ومطلعها:
باد هواك صيرت أم لم تصيرا وبكاك إن لم يجر دمكع أو جرى

(٤١) الديوان: ١٦٨/٢ والسر: السهلة السير. والخف المحمر: الشديد الصلب. أو هو الخفيف السريع
من قوهم «أجمرت الناقة» إذا أسرع. يجبر عن علوهته: لأنه يحمل ناقته على السير.
(٤٢) الرمث: نبت يوقد به. وهو من مراعى الإبل. يقول تركت الأعراب ووقدهم هذا الرمث. وأتيت
قوماً وقودهم من العنبر.

(٤٣) ركباتها: جمع ركة. وإنما عنى الاثنين. وهو كقوله جل وعلا «فقد صغت قلوبكما» وذلك أن
أقل الجمع اثنان. فجاز أن يعبر عنها بالجمع. ودل على أنه أراد الثنية أنه أخبر عنها بالثنية فقال «تقعان».
والأذفر: الشديد الرائحة. يقول: تكرمت ناقتي عن البروك إلا على المسك الأذفر. لأن العنبر يوقد بحضرة
المسك. والمسك متهن عنده. بحيث تترك عليه ناقتي.

لأنه إذا قيل « جاء زيد ركباً » إن لم يكن حسناً إلا بأن يقال « جاء ركباً » بالنصب لكان النحو شرطاً في حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته ، وإنما الغرض أمرٌ وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنثور .
وأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتب ، لكن الشاعر ربما احتاج إليه لأنه قد يُضطرُّ في بعض الأحوال إلى إدغام حرف ، وإلى فك إدغام ، من أجل إقامة الميزان الشعري .

[النوع الثاني : معرفة ما يحتاج إليه من اللغة]

النوع الثاني^(٤٤) وهو قولنا إنه يحتاج إلى معرفة اللغة مما تداول استعماله ، فيردُّ بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة ، والكلام على جيدها ورديثها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية .

ويفتقر أيضاً مؤلف الكلام إلى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر ، ليجد - إذا ضاق به موضعٌ في كلامه بإيراد بعض الألفاظ فيه - العدول عنه إلى غيره ومما هو في معناه ، وهذه الأسماء تسمى « المترادفة » وهي اتحاد المسمَّى واختلافُ أسمائه ، كقولنا الخمر ، والراح ، والمُدام ، فإن المسمى بهذه الأسماء شيء واحد ، وأسماءه كثيرة .

وكذلك يحتاج إلى معرفة الأسماء « المشتركة » ليستعين بها على استعمال « التجنيس » في كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعين فإنها تطلق على العين الناظرة ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر ، وغيره ، إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة تخصصها ، كى لا تكون مبهمة ، لأننا إذا قلنا « عين » ثم سكتنا وقع ذلك على احتمالات كثيرة من العين الناظرة ، والعين النابغة ، والمطر ، وغيره ، مما هو موضوع بإزاء هذا الاسم ، وإذا قرئنا إليه قرينة تخصصه زال ذلك الإبهام بأن نقول : عين حسناء أو عين نضاجة^(٤٥) أو ملثة^(٤٦) أو غير ذلك .

(٤٤) ذكر من قبل في صفحة : . أن البليغ يحتاج إلى معرفة ثمانية أنواع ، الأول معرفة علم العربية من النحو والتصريف . وهذا هو النوع الثاني .

(٤٥) عين نضاجة : يشق منها الماء في قوة . (٤٦) ملثة : دائمة المطر .

وهذا موضع للعلماء فيه مجاذباتٌ جدليَّةٌ ، فمنهم من ينكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ، ويقول إن ذلك يُخلُّ بفائدة وَضَعِ اللغة ، لأن اللغة إنما هي وَضَعُ الألفاظ في دلالتها على المعاني ، أي وَضَعُ الأسماء على المسميات ، لتكون مُنبِئَةً عنها عند إطلاق اللفظ ، والاشتراك لا بيان فيه ، وإنما هو ضدُّ البيان ، لكن طريقَ البيان أن يُجْعَلَ أَحَدُ المعنيين في اللفظ المشترك حقيقةً ، والآخِرُ مجازاً .

فإذا قلنا « هذه كلمة » وأطلقنا القول فهمَ منه اللفظة الواحدة ، وإذا قيّدنا اللفظ فقلنا : هذه كلمة شاعرة ، فهم منه القصيدة المقصّدة من الشعر ، وهي مجموع كلمات كثيرة ، ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتّة . هذا خلاصة ما ذهب إليه من ينكر وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقةً ، وفي ذلك ما فيه ، وسأين ما يدخله من الخلل ، فأقولُ في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكرِي ، ولم يكن لأحدٍ فيه قولٌ من قبلي ، وهو : أما قولك : إن فائدة وَضَعِ اللغة إنما هو البيان عند إطلاق اللفظ ، واللفظ المُشْتَرَكُ يُخلُّ بهذه الفائدة ، فهذا غير مُسَلَّمٍ ، بل فائدة وَضَعِ اللغة هو البيانُ والتحسينُ .

أما البيانُ فقد وفي به الأسماء المتباينة التي هي كلُّ اسمٍ واحدٍ دلٌّ على مُسمّى واحدٍ ، فإذا أُطْلِقَ اللفظُ في هذه الأسماء كان بيّناً مفهوماً ، لا يحتاجُ إلى قرينة . ولو لم يَضَعِ الواضعُ من الأسماء شيئاً غيرَها ، لكان كافياً في البيان .

وأما التّحسينُ فإنَّ الواضعَ لهذه اللغة العربية ، التي هي أَحْسَنُ اللغات ، نظرَ إلى ما يحتاجُ إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظمٍ ونثرٍ ، ورأى أن من مُهمّاتِ ذلك (التّجنيس) ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة ، التي هي كل اسم واحد دل على مُسمّين فصاعداً ، فوضّعها من أجل ذلك . وهذا الموضع يتجاذبه جانبان ، يترجّح أحدهما على الآخر .

وبيائه أن التّحسينَ يَقْضِي بوضع الأسماء المشتركة ، ووضّعها يذهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ ، وعلى هذا فإنَّ وَضَعَهَا الواضع ذهب بفائدة البيان ، وإن لم يَضَعِ ذهب بفائدة التّحسين ، لكنّه إن وَضَعَ اسْتَدْرَكَ ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة ، وإن لم يضع لم يَسْتَدْرِكْ ما ذهب من فائدة التّحسين ، فترجع حينئذ جانب الوَضَعِ فَوَضَعِ .

فإن قيل : فلم لا تنسب الأسماء المشتركة إلى اختلاف القبائل ، لا إلى واضع واحد؟

قلت في الجواب : هذا تعسف لا حاجة إليه ، وهو مدفوع من وجهين : أحدهما : ما قدّمتُ القولَ فيه من الترجيح الذي سوّغَ للواضع أن يضع . الآخر : أنا نرى أنه قد ورد من الجموع ما يقع على مُسمَّيْنِ اثنين كقولهم : « كِعَاب » جمع « كَعَب » الذي هو كعب الرُّجُل ، وجمع « كَعْبَةٌ » وهي البِنْيَّةُ ^(٤٧) المعروفة . وإذا أطلقنا اللفظ فقلنا « كِعَاب » من غير قرينة لا يُدرى ما المرادُ بذلك : أكعبُ الرُّجُل أم البِنْيَّةُ المعروفة؟ وكذلك ورد واحد وجمع على وزن واحد كقولهم « راح » اسم للخمر ، و « راح » جمع راحة ، وهي الكفُّ ، وقولهم « عِقَاب » وهو الجزاء على الذنب ، وجمع « عَقَبَةٌ » أيضا .

وفي اللغة من هذا شيءٌ كثير ، وهو بالإجماع من علماء العربية أنه لم يجر فيه خلاف بين القبائل ، فاتَّضح بهذا أن الأسماءَ المشتركة من وضع واحد . فإن قلت : إنَّ الواضع إنما وَضَعَ المفرد من الألفاظ ، والجمع وَضَعَهُ غيره . قلت في الجواب : إن الذي وضع المفرد هو الذي وَضَعَ الجمع ، لأنَّ من قواعد وضع اللغة أن يوضعَ المفردُ والجمعُ والمذكرُ والمؤنثُ والمصغرُ والمكبرُ والمصادرُ وأسماء الفاعلين ، وما جرى هذا المجرى ، وإذا أَخْلَ بشيءٍ من ذلك كان قد أحل بقاعدةٍ من قواعد وضع اللغة .

ثم لو سلَّمتُ إليك أنَّ واضعَ الجمع غيرُ واضعِ المفرد لكان ذلك قدحًا في الواضع الثاني ، إذ جاء بالإبهام عند إطلاق اللفظ ، لأنه جمع كعبة - التي هي البِنْيَّةُ ، وكعب الرجل - على « كِعَاب » ، وهذا لفظٌ مُشْتَرِكٌ مُبْهَمٌ عند الإطلاق ، ولا فرق بين أن يضعه الواضعُ الأولُ أو واضعٌ ثانٍ ، فإن الإبهام حاصل منه . وكان فإوضني بعض الفقهاء في قوله تعالى في سورة البقرة : « صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ^(٤٨) » . وقال إن لون البقرة كان أسود ، والأصفر هو الأسود ،

(٤٧) قال صاحب القاموس : والبينة كغنية الكعبة لشرفها .

(٤٨) سورة البقرة : آية ٦٩ .

فأنكرت عليه هذا القول ، فأخذ يجادل مجادلةً غير عارِفٍ ، ويعزو ذلك إلى تفسير النقاش^(٤٩) وتفسير البلاذري^(٥٠) .

فقلت له : اعلم أن هذا الاسم الذي هو « الأصفر » لا يخلو في دلالة على الأسود من وجهين : إما أنه من الأسماء المتباينة ، التي يدل كلُّ اسم منها على مُسمَّى واحد ، كالإنسان والأسد والفرس وغير ذلك ، وإما أنه من الأسماء المشتركة ، التي يدلُّ الاسمُ منها على مُسمَّين فصاعداً .

ولا يجوز أن يكون من الأسماء المتباينة ، لأننا نراه متجاذباً بين لونين : أحدهما : هذا اللون الزعفرانيُّ الشكل ، والآخَرُ : اللون المظلمُ الشكل . وعلى هذا فإنه يكون من الأسماء المشتركة ، وإذا كان من الأسماء المشتركة فلا بُدُّ له من قرينة تُخصِّصُه باللونِ الزعفرانيِّ دون اللونِ المظلم ، لأن الله تعالى قال : « صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا » والفاقع من صفات اللون الزعفراني خاصة ، لأنه قد ورد للألوان صفاتٌ متعددة ، لكل لون منها صفة ، ف قيل أبيضُ يَقْقُ^(٥١) ، وأَسْوَدُ حَالِكٌ ، وَأَحْمَرُ قَانٍ ، وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ ، ولم يُقَلِّ : أَسْوَدَ فَاقِعٌ ، ولا أَصْفَرُ حَالِكٌ ، فعلم حينئذٍ أن لون البقرة لم يكن أسوداً ، وإنما كان أصفر .

فلما تحقق عند ذلك الفقيه ما أشرت إليه أذعن بالتسليم .

[النوع الثالث : معرفة أمثال العرب وأيامهم]

وأما النوع الثالث فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام .

(٤٩) النقاش : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون المقرئ النقاش الموصلي بغدادي المولد والمنشأ ، كان عالماً بحروف القرآن حافظاً للتفسير . صنف فيه كتاباً سماه « شفاء الصدور » وله تصانيف في القراءة وغيرها من العلوم . ذكره طلحة بن محمد بن جعفر فقال : كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصاص . وسئل أبو بكر البرقاني عنه فقال : كان حديثه منكراً ، وقال البرقاني - وذكر تفسير النقاش - فقال : ليس فيه حديث صحيح ، ولد النقاش سنة ٢٦٦ هـ وكانت وفاته سنة ٣٤١ هـ .

(٥٠) البلاذري : أبو الحسن وقيل أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة . ونشأ ببغداد ، وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وقد عهد إليه المعتز بتثقيف ابنه عبد الله . ومن بعد فتح البلدان ، والقرابة وتاريخ الأشراف . وكان يجيد الفارسية وقد ترجم عنها عهد أردشير ، وقد جن في آخر أيامه ، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ . (٥١) أبيض يقق بفتحين وككتف شديد البياض .

وقولى هذا لا يقتضى كل الأمثال الواردة عنهم : فَإِنَّ مِنْهَا مَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالَهُ ،
كما أَنَّ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ أَيْضاً مَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالَهُ .

وَكَنتَ جَرَّدْتُ مِنْ كِتَابِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِي (٥٢) أَوْرَاقاً خَفِيفَةً تَشْتَمِلُ عَلَى
الْحَسَنِ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي يَدْخُلُ فِي بَابِ الِاسْتِعْمَالِ . وَسَبِيلُ الْمُتَصَدِّقِ لِهَذَا الْفَنِّ أَنْ
يَسْأَلَ مَا سَلَكَتَهُ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا شَدِيدَةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَضَعْ الْأَمْثَالَ
إِلَّا لِأَسْبَابٍ أُوجِبَتْهَا ، وَحَوَادِثَ اقْتَضَتْهَا ، فَصَارَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ
عِنْدَهُمْ كَالْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أُوجُزٌ مِنْهَا ، وَلَا أَشَدُّ
اِخْتِصَاراً .

وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا أَذْكَرَهُ لَكَ ، لِتَكُونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى يَقِينٍ ، فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنِ
الْعَرَبِ مِنْ جُمْلَةِ أَمْثَالِهِمْ « إِنْ يَبِغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ » (٥٣) وَهُوَ مِثْلُ
يَضْرِبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْهُورِ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ - كَمَا قَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ - أَنَّهُ بَلَغْنَا
أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صَبَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنَا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعِ
عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَى ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَغِيبُ
الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ . فَتَرَاضَوْا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا (٥٤) ، فَقَالَ وَاحِدٌ (٥٥)
مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَبِغُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ الْحَكَمُ (٥٦) : « إِنْ يَبِغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغِ
عَلَيْكَ الْقَمَرُ » فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ « إِنْ يَبِغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ » إِذَا أُخِذَ
عَلَى حَقِيقَتِهِ ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَرَائِنِ الْمُنَوَّطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي قَبِلَ مِنْ أَجْلِهَا ، لَا
يُعْطَى مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ أَعْطَاهُ الْمَثَلُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَثَلَ - كالتَّمَدَّاتِ وَأَسْبَابُ قَدْ عُرِفَتْ ،
وَصَارَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ ، مَعْلُومَةٌ عِنْدَهُمْ ، وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِيْرَادُ
هَذِهِ اللَّفْظَاتِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ .

(٥٢) المِيدَانِي : هُوَ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمِيدَانِي النَّيْسَابُورِي . كَانَ أَدِيباً
فَاضِلاً . عَارِفاً بِاللُّغَةِ . اِخْتَصَّ بِصَحْبَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَاحِدِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ . ثُمَّ قَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ وَأَتَقَنَ فَنَ الْعَرَبِيَّةِ
خُصُوصاً لِّلُّغَةِ وَأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَلَهُ فِيهَا التَّصَانِيفُ الْمَفِيدَةُ . مِنْهَا كِتَابُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ . وَلَمْ يَعْلَمْ مِثْلَهُ فِي بَابِهِ .
وَكَتَابُ السَّامِيِّ فِي الْأَسْمَاءِ . وَنَحْوَهُ . هـ نَيْسَابُور . وَالْمِيدَانِي نَسَبُهُ إِلَى « مِيدَانِ » وَهِيَ مَحَلَّةٌ فِي نَيْسَابُورِ .
(٥٣) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِي ٣٠/١ . (٥٤) رِوَايَةُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « فَتَرَاضَوْا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ » .
(٥٥) رِوَايَةُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ » . (٥٦) رِوَايَةُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « فَقَالَ الْعَدْلُ » .

ولولا تلك المقدمات المعلومة والأسباب المعروفة لما فهم من قول القائل « إن يَبْعَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْعُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ » ما ذكرناه من المعنى المقصود ، بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد ، لأن البَعَى هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يَظْلِمَ أحداً ، فكان يصيرُ معنى المثل : إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر ، وهذا الكلام مختل المعنى ، ليس بمستقيم .

فلما كانت الأمثالُ كالرُّمُوزِ والإشارات التي يُلوِّحُ بها على المعاني تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً .

ومن أجل ذلك قيل في حدِّ المثل : إنه القول الوجيز المرسلُ ليعمَلَ عليه ، وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الإخلالُ بمعرفتها .
وأما أيامُ العربِ فإنها تتنوعُ وتتشعبُ ، فمنها أيامُ فَحَارٍ ، ومنها أيامُ مُحَارِبَةٍ ، ومنها أيامُ مُنَافَرَةٍ ، ومنها غيرُ ذلك .

ولا يخلو الناظم والنائر من الانتصاب لوصف يوم يمرُّ به في بعض الأحوال شبيهاً بيومٍ من تلك الأيام ، ومماثلاً له ، فإذا جاء بذكر بعض تلك الأيام المناسبة لمُرَادِهِ ، الموافقة له ، وقاس عليه يومه ، فإنه يكون في غاية الحسن والرُّونق . هذا لاخفاء به .
وأما الوقائع التي وَرَدَتْ في حوادثٍ خاصَّةٍ بأقوامٍ ، فإنها كالأمثالِ في الاستشهاد بها ، وسأبين لك نُبذةً منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها . فن ذلك أنه ورد عن النبي ﷺ حديثٌ بيَّعَهُ الحُدَيْبِيَّةُ ^(٥٧) تحت الشجرة وكان أرسل عثمان - رضي الله عنه - إلى مكة في حاجة عرَضَتْ له ولم يحضُرُ البيعةَ ، فضرب رسولُ الله ﷺ بيده الشَّمالِ على اليمين . وقال : هذه عن عثمان ، وشِمالِي خيرٌ من يمينه .

(٥٧) خرج النبي ﷺ في آخر سنة ست معتمراً لا يريد حرباً واستنفر العرب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن القرشيون حربه . لكن قريشاً لما علمت بمقدمه خرجت للقائه ، وبعث مندوبين عنها فأخبرهم الرسول بأنه قدم زائراً للبيت . وعاد المندوبون إلى قريش فاتهمتهم وسفهمتهم ، فأراد النبي أن يبعث عمر بن الخطاب موثقاً عنه إلى قريش ليؤكد لهم أن المهاجرين والأنصار إنما قدموا زواراً للمحاربين ، فاعتذر عمر ، لأنه خشي على نفسه من عدوان قريش عليه . إذ ليس بمكة من بني عدى أحد يحميه . وأشار على النبي أن يرسل عثمان بن عفان . فأرسله النبي . فاحتسبه قريش عندها . وعلم النبي بذلك فقال : لا تبرح حتى تناجز القوم . ودعا الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت . وعلى ألا يفروا ثم جاء الخبر إلى النبي أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

وقد استعملتُ أنا هذا في جُملة كتاب ، فقلت : ولا يُعَدُّ البرِّيراً حتى يُلْحَقَ
 العَيْثُ بالحُصُور^(٥٨) ، وَيَصِلَ مَنْ لَمْ يَصِلْهُ بِجِزَاءٍ وَلَا شَكُورٍ ، فَرَنَةَ الغَائِبِ بِالشَّاهِدِ
 مِنْ كَرَمِ الإِحْسَانِ ، ولهذا نابتُ شِمالُ رَسولِ اللهِ ﷺ عن يَمِينِ عُمَانَ . ومن ذلك
 أَنه وردَ عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنه اسْتَدْعَى أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ
 وَمَنْ يَلِيهِ مِنَ العَمَالِ ، وكانَ مِنْهُمُ الرِّبِيعُ بنُ زِيادِ الحَارِثِيِّ ، فَضَى إلى يَرْفَأَ مولى
 عَمْرٍ ، وَسأَلَهُ عَمَّا يَرُوجُ عِنْدَهُ وَيَنْفِقُ عَلَيْهِ ، فَأشارَ إلى خُشُونَةِ العَيْشِ ، فَضَى وَلبَسَ
 جُبَّةَ صُوفٍ وَعِمَامَةً دَسْمَاءَ^(٥٩) وَخُفًّا مُطابِقًا ، وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي جُملةِ العَمَالِ ،
 فَصَوَّبَ عُمَرُ نَظْرَهُ وَصَعَّدَهُ ، فلم يَقعْ إِلا عَلَيْهِ ، فَأَداناهُ وَسأَلَهُ عَن حالِهِ . ثمَّ أوصَى أَبَا
 مُوسَى الأَشْعَرِيَّ بِهِ .

وقد استعملتُ أنا هذا في جُملة تَقْلِيدٍ لِبعضِ الملوِكِ مِنْ دِيوانِ الخِلافةِ فقلتُ :
 « وَإِذا اسْتَعْنَتَ بِأَحَدٍ عَلى عَمَلِكَ ، فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِالأَرْصَادِ ، وَلا تَرْضَ بِما عَرَفْتَهُ عَن
 مَبْدَأِ حالِهِ ، فَإِنَّ الأَحْوالَ تَتَقَلَّبُ تَتَقَلَّبُ الأَجْسادَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَعَ بِصِلاحِ الظَّاهِرِ ،
 كما خَدَعَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بِالرِّبِيعِ بنِ زِيادٍ . »

فانظر كيف فعلت في هاتين القصتين؟ وكيف أوردتهما في الغرض الذي
 قصدته؟ وامض أنت على هذا النهج، فإنه من محاسن هذه الصنعة .

وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيسانى - رحمه الله - عن الملك
 صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - إلى ديوان الخلافة ببغداد في سنة
 إحدى وسبعين وخمسمائة، وضمنه ما أبلاه في خدمة الدولة، من فتح الديار
 المصرية، ومحو الدولة العلوية^(٦٠)، وإقامة الدعوة العباسية، وشرح فيه ما قاساه
 في الفتح من الأهوال .

ولما تأملته وجدته كتاباً حسناً قد وفى فيه الخطابة حقها . إلا أنه أخل بشئ،
 واحد . وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات، وكان
 الفتح في المرة الثالثة، وهذا له نظير في فتح النبي ﷺ مكة - فإنه قصدها عام

(٥٨) الحُصُورُ مِنْ مَعانِيهِ الهَيِوبِ المَحْجَمِ عَنِ الشَّيْءِ . وَالمُرَادُ أَنَّ هَذَا المَمْدُوحَ يَشْمَلُ بَعْطايَاهُ مِنْ لَمْ يَطْلُبُوا مِنْهُ

شَيْئاً . (٥٩) مَلُونَةٌ بِالدِّسَمِ .

(٦٠) الدَّولَةُ العَلَوِيَّةُ هِيَ الفاطِمِيَّةُ ، النِّسْبَةُ الأُولَى إلى الإِمَامِ عَلى بنِ أبى طالِبٍ ، والنِّسْبَةُ الثَّانِيَةُ إلى السَيِّدَةِ

الحديبية. ثم سار إليها في عمرة القضاء، ثم سار إليها عام الفتح. ففتحها. وقد سألتني بعض الإخوان أن أنشئ في ذلك كتاباً إلى ديوان الخلافة معارضاً للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله، فأجبتني إلى سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، فقلت: «ومن جملتها ما فعله الخادم في الدولة المصرية، وقد قام بها منبر وسرير، وقالت: منا أمير ومنكم أمير، فردت الدعوة العباسية إلى معادها، وأذكر المنابر مانسيتها بها من زهو أعوادها، وكانت أخرجت منها إخراج النبي ﷺ من قريته، وقذف الشيطان على حقها بإطله، وعلى صدقها بغوايته، ثم طوتها الليالي طي السجل^(٦١) للكتاب، وكثر عليها مرور الدهر، حتى نسي لها عدد السنين والحساب. ولم يعد لها إلى وطنها، حتى تعربت لها الأرواح عن أوطانها، وسهرت لها أجفان^(٦٢) السيوف سهر العيون عن أجفانها^(٦٣)، وتطاردت الآراء في تسهيل أمرها قبل مطاردة أقرانها، وحتى تقدمتها غربات^(٦٤) ثلاث كلها ذوات غروب^(٦٤)، وكل خطب من خطوبها ذو خطوب، إلى أن تمخض ليلها عن صبحه، وأصبحت في الإسلام كعام حديبية، وعمرة قضائه، وعام فتحه، وفي ذكر أخبارها ما يطبع الأسنه في رءوس الأقلام^(٦٥)، ويذهب سامعها، ولم ينله شيء من مكروها سوى الكلام، ويومها للدولة هو اليوم الذي أرخ فيه معاد نصرها وميعاد بشرها، فإذا عدت ليالها السالفة كانت كسائر الليالي، وهذه ليلة قدرها».

فهذا فصل من فصول الكتاب، فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصري وفتح مكة، وذكرت أيضاً حديث الحباب بن المنذر الأنصاري حيث قال بعد وفاة النبي ﷺ: منا أمير ومنكم أمير، وذلك لما حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم - في سقيفة بني ساعدة، والقصة مشهورة، فقال الحباب بن

(٦١) السجل: الكتاب.

(٦٢) أجفان السيوف: أغقادها. والأجفان: أغطية العيون من أعلى وأسفل.

(٦٣) غربات ثلاث: ثلاث سفرات ورحلات.

(٦٤) غروب: جمع غرب والمراد هنا حد السيف، أي أن المرات الثلاث، فيها قتال.

(٦٥) المراد من طبع الأسنه في رءوس الأقلام أن الأقلام التي تذكر أخبار هذا الفتح تصور معارك رهيبة

فكان في رءوس الأقلام أسنة رماح.

المنذر: منا أميرٌ ومنكم أمير، فقال أبو بكر رضى الله عنه: «بل نحنُ الأمراءُ . وأنتم الوزراءُ» . وهذا الذى ذكرته هو نكتةُ هذا الفتح التى عليها المعولُ ، ومركزه الذى عليه يدور .

وعجبتُ من عبد الرَّحيم بن علىِّ البيسانى مع تقدُّمه فى فنِّ الكتابة ، كيف فاتهُ أن يأتى به فى الكتاب الذى كتبه ؟

وكذلك وجدتُ لابن زيادِ البَغْدادى كتاباً كتبه إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسُفَ المقدِّمِ ذكره فى سنة ثلاثِ وثمانينِ وخمسمائة ، وضمَّنه فُصولاً تشتملُ على أمورٍ أنكرت عليه من ديوانِ الخلافة ، فمن تلك الأمور التى أنكرت عليه أنه تَلَقَّبَ بالملكِ الناصر ، وذلك اللقبُ هو لأُمير المؤمنينِ خاصَّة ، فإنَّه الإمامُ الناصرُ لدينِ الله . فلما وقفتُ على ذلك الكتابِ وجدته كتاباً حسناً قد أجاد فيه كلُّ الإِجادة ، ولم أجد فيه مَغَمَراً إلا فى هذا الفصلِ الذى يتضمَّنُ حديثَ اللقبِ ، فإنَّه لم يأتِ بكلامٍ يناسبُ باقىَ الفصولِ المذكورة . بل أتى فيه بكلامٍ فيه غثائهُ ، كقوله : « ما يَسْتَصْلِحُهُ المولى فهو على عبده حرام » وشيئاً من هذا النسق ، وكان الأليقُ والأحسنُ أن يَحْتَجَّ بِحُجَّةٍ فيها رُوحٌ ، ويذكرَ كلاماً فيه ذِلاقَةٌ ورِشاقَةٌ .

وحَضَرَ عندى فى بعضِ الأيامِ بعضُ إخوانى ، وجرى حديثُ ذلك ، فسألنى عما كان ينبغى أن يُكْتَبَ فى هذا الفصلِ ، فذكرت ما عندى ، وهو : « قد عُلِمَ أن للأنبياءِ والخلفاءِ خصائصَ يختصُّون بها على حُكْمِ الأنفرادِ وليس لأحدٍ من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الأنداد وقد أجرى رسولُ الله ﷺ ذلك فى أشياء نصَّ عليها بحُكْمِهِ ، ومن جُمَلِها أنه نهى غيره أن يجمع بين كُنْيته وبين اسمه ، وهذا مُسَوِّغٌ لأُمير المؤمنين أن يُخْتَصَّ بأمرٍ يكون به مشهوراً ، وعلى غيره محظوراً ، وقد وَسَمَ نفسه بِسِمَةِ نزلت عليه من السماء ، وتميزت به من بين المُسمَّياتِ والأسماء ، ثم استمرت عليها الأيامُ حتى خُوِطِبَ بها من الحاضرِ والبَادِ ، ورفعها الخطباءُ على المنابر فى أيامِ الجُمُوعِ ومواسمِ الأعياد ، وقد شاركتهُ أنت فيها غيرَ مراقبٍ لِمِزِيَّةِ التعظيمِ ، ولا فارقي بين فسحة التحليلِ وحرَجِ التحريمِ ، والشرعُ والأدبُ يحكمان عليك بأن تلتنى ما فرطَ منك بالمتاب ، ولا تُحَوِّجَ فيه إلى التَّقْرِيعِ الذى هو أشدُّ العِيَابِ ، ومثلُكَ مَنْ عَرَفَ الحقَّ فأمسكه بيده ، ونسخَ إغفالَ أمسه باستئناف

التَيْقِظُ فِي غَدِهِ ، وَاللَّهِ قَدْ رَفَعَ الْمُواخِذَةَ عَمَّنْ أَتَى الشَّيْءَ خَطَاً لَا عَمَدًا ، وَقَبْلَ التَّوْبَةِ
مَمْنٌ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ عَهْدًا .

فَانظُرْ أَيُّهَا الْمَتَأَمِّلُ كَيْفَ جِئْتُ بِالْخَبْرِ النَّبَوِيِّ ، وَجَعَلْتُهُ شَاهِدًا عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ،
وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْتَجَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِلَّا بِمِثْلِ هَذَا الْاِحْتِجَاجِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ شَدَّ عَنْ
ابْنِ زِيَادٍ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ كَاتِبًا مُغْلَقًا أَرْضَى كِتَابَتَهُ ، وَلَمْ أَجِدْ فِي مَتَاخَرِي
الْعِرَاقِيِّينَ مَنْ يُثَالِّهُ فِي هَذَا الْفَنِّ ؟ .

[النوع الرابع : الاطلاع على المنظوم والمثور]

وَأَمَّا النَّوعُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ الْإِطْلَاقُ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمُنْظُومِ وَالْمَثُورِ ، فَإِنَّ فِي
ذَلِكَ فَوَائِدَ جَمَّةً ، لِأَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْهُ أَغْرَاضُ النَّاسِ وَنَتَائِجُ أَفْكَارِهِمْ وَيُعْرَفُ بِهِ مَقَاصِدُ
كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، وَإِلَى أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِمَّا تَشْحَدُ
الْقَرِيحَةَ ، وَتُذَكِّي الْفِطْنَةَ ، وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي
ذَكَرْتُ ، وَتَعَبٌ فِي اسْتِخْرَاجِهَا ، كَالشَّيْءِ الْمَلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ ، وَيَتْرَكُ
مَا أَرَادَ .

وَأَيْضًا ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُطْلَعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يُنْقَدِحُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا
مَعْنَى غَرِيبٌ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ . فَإِنَّ بَعْضَهَا
لَا يَكُونُ عَالِيًا عَلَى بَعْضٍ ، أَوْ مُنْحَطًّا عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، وَكَثِيرًا مَا تَسَاوَى الْقَرَائِحُ
وَالْأَفْكَارُ فِي الْإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مُوَضَّوعٍ بِلَفْظٍ ، ثُمَّ
يَأْتِي الْآخَرَ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظَ بَعَيْنِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ .
وَهَذَا الَّذِي يَسْمِيهِ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ « وَقُوعَ الْخَافِرِ عَلَى الْخَافِرِ » وَسَيَأْتِي لَذَلِكَ
بَابٌ مُفْرَدٌ فِي آخِرِ كِتَابِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[النوع الخامس : معرفة الأحكام السلطانية]

وَأَمَّا النَّوعُ الْخَامِسُ : وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنَ الْإِمَامَةِ وَالْإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ
وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أُوجِبْنَا مَعْرِفَتَهَا وَالْإِحَاطَةَ بِهَا ، لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ فِي
تَقْلِيدَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْقَضَاةِ وَالْمُحْتَسِنِينَ ، وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَدْ

يَحْدُثُ فِي الإِمَامَةِ حَادِثٌ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ بِأَنْ يَمُوتَ الإِمَامُ القَائِمُ بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ ، ثُمَّ يَتَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ مَنْ لَمْ تَكْمَلْ فِيهِ شَرَايِطُ الإِمَامَةِ ، أَوْ يَكُونُ كَامِلَ الشَّرَايِطِ غَيْرَ أَنَّ الإِمَامَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ عَهْدَ بِهَا إِلَى آخِرِ غَيْرِهِ ، وَهُوَ نَاقِصُ الشَّرَايِطِ . أَوْ يَكُونُ قَدْ تَنَازَعَ الإِمَامَةُ اثْنَانِ أَوْ يَكُونُ أَرْبَابُ الحَلِّ والعَقْدِ قَدْ اخْتَارُوا إِمَامًا وَهُمْ غَيْرُ كَامِلِي الشَّرَايِطِ الَّتِي تَجِبُ أَنْ تُوجَدَ فِيهِمْ . أَوْ يَكُونُ أَمْرٌ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَتَخْتَلِفُ الأَطْرَافُ فِي ذَلِكَ ، وَيَنْتَصِبُ مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ لَهُ عِنَايَةٌ بِالإِمَامِ الَّذِي قَدْ قَامَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَيَأْمُرُ كَاتِبَهُ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا فِي أَمْرِهِ إِلَى الأَطْرَافِ المُخَالَفَةِ لَهُ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الكَاتِبُ عِنْدَ ذَلِكَ عَارِفًا بِالحُكْمِ فِي هَذِهِ الحَوَادِثِ وَاخْتِلَافِ أقْوَالِ العُلَمَاءِ فِيهَا ، وَمَا هُوَ رُخْصَةٌ فِي ذَلِكَ ، وَمَا لَيْسَ بِرُخْصَةٍ ، لَا يَكْتُبُ كِتَابًا يُنْتَفَعُ بِهِ .

وَلَسْنَا نَعْنِي بِهَذَا القَوْلِ أَنْ يَكُونَ الكِتَابُ مَقْصُورًا عَلَى فِقْهِ مَحْضٍ فَقَطْ ، لِأَنَّا لَوْ أَرَدْنَا ذَلِكَ لَمَا كُنَّا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى كِتَابِ بِلَاغِيٍّ ، بَلْ كُنَّا نَقْتَصِرُ عَلَى إِرسَالِ مُصَنَّفٍ مِنَ مُصَنِّفَاتِ الفِقْهِ عَوَضًا عَنِ الكِتَابِ وَإِنَّمَا قَصَدْنَا أَنْ يَكُونَ الكِتَابُ الَّذِي يُكْتُبُ فِي هَذَا المَعْنَى مُشْتَمِلًا عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، وَالمُسَامَحَةِ فِي مَوْضِعٍ ، وَالمَحَاقِقَةِ فِي مَوْضِعٍ ، مَشْحُونًا ذَلِكَ بِالنِّكْتِ الشَّرْعِيَّةِ ، المَبْرَزَةِ فِي قَوَالِبِ البَلَاغَةِ وَالفِصَاحَةِ ، كَمَا فَعَلَ الكَاتِبُ الصَّابِي (٦٦) ، فِي الكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ عَنِ عَزِّ الدَّوْلَةِ بِخْتِيَارِ بَنِ مُعزِّ الدَّوْلَةِ بَنِ بُوَيْهٍ ، إِلَى الإِمَامِ الطَّائِعِ لَمَّا خَلَعَ المَطْبِعَ ، فَإِنَّهُ مِنْ مَحَاسِنِ الكِتَابِ الَّتِي تَكْتُبُ فِي هَذَا الفَنِّ .

[النوع السادس : حفظ القرآن الكريم]

وأما النوع السادس : وهو حفظ القرآن الكريم ، فإنَّ صاحبَ هذه الصنّاعة

(٦٦) هو أبو اسحق إبراهيم بن هلال الصابي صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الإنشاء عن الخليفة ببغداد وعن عز الدولة بختيار الديلمي ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ ، وكان متشدداً في دينه ، ووجد عليه عز الدولة أن يسلم فلم يفعل ، وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ وكان يستعمله في رسائله توفي الصابي سنة ٣٨٤ هـ ببغداد ، ورثاه الشريف الرضي بقصيدة مشهورة : وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثى صليباً : فقال : إنما رثيت فضله .

يُنْبَغِي له أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِذَلِكَ ، لِأَنَّ فِيهِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً ، مِنْهَا أَنَّهُ يُضْمَنُ كَلَامَهُ بِالآيَاتِ فِي أَمَاكِنِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا وَمَوَاضِعِهَا الْمُنَاسِبَةِ لَهَا . وَلَا شُبْهَةَ فِيمَا يَصِيرُ لِلْكَلامِ بِذَلِكَ مِنَ الْفَخَامَةِ وَالْجَزَالَةِ وَالرَّوْنَقِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا عَرَفَ مَوَاقِعَ الْبَلَاغَةِ وَأَسْرَارَ الْفَصَاحَةِ الْمُوَدَّعَةِ فِي تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ اتَّخَذَهُ بَحْرًا يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الدَّرَرَ وَالْجَوَاهِرَ ، وَيُودِعُهَا مَطَاوِي كَلَامِهِ ، كَمَا فَعَلْتَهُ أَنَا فِيمَا أَنْشَأْتُهُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ ، وَكَفَى بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحْدَهُ آلَةً وَأَدَاةً فِي اسْتِعْمَالِ أَفَانِينَ الْكَلَامِ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرْتَشِحُ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحِفْظِهِ ، وَالْفَحْصِ عَنْ سِرِّهِ وَغَمَاضِ رَمُوزِهِ وَإِشَارَاتِهِ ، فَإِنَّهُ تِجَارَةٌ لَنْ تَبُورَ ، وَمَنْبَعٌ لَا يَغُورُ ، وَكَثْرٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ ، وَذُخْرٌ يُعُولُ عَلَيْهِ .

[النوع السابع : حفظ الأخبار النبوية]

وَأَمَّا النَّوْعُ السَّابِعُ : وَهُوَ حِفْظُ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ يَجْرِي مِجْرَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَاعْرِفْهُ .

[النوع الثامن : معرفة علمي العروض والقوافي]

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّامِنُ : وَهُوَ مَا يَخْتَصُّ بِالنَّائِظِ دُونَ النَّائِرِ ، وَذَلِكَ مَعْرِفَةُ الْعُرُوضِ ، وَمَا يَجُوزُ فِيهِ مِنَ الزَّحَافِ (٦٧) وَمَا لَا يَجُوزُ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ . وَلَسْنَا نُوْجِبُ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةَ بِذَلِكَ لِيَنْظِمَ بَعْلِمِهِ ، فَإِنَّ النَّظْمَ مَبْنِيٌّ عَلَى الذَّوْقِ ، وَلَوْ نَظَّمَ بِتَقْطِيعِ الْأَفَاعِيلِ (٦٨) لَجَاءَ شِعْرُهُ مُتْكَلِّفًا غَيْرَ مَرْضِيٍّ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ لِلشَّاعِرِ مَعْرِفَةَ الْعُرُوضِ . لِأَنَّ الذَّوْقَ قَدْ يَنْبُؤُ عَنْ بَعْضِ الزَّحَافَاتِ وَيَكُونُ ذَلِكَ جَائِزًا فِي الْعُرُوضِ ، وَقَدْ وَرَدَ لِلْعَرَبِ مِثْلُهُ .

فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ غَيْرَ عَالِمٍ بِهِ ، لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ مَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا لَا يَجُوزُ .

(٦٧) الزحاف على وزن كتاب في الشعر أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر : وهو تغيير مختص بثواني الأسباب ، جمع سبب ، وهو عند العروضيين متحرك بعده ساكن ، ويسمونه السبب الخفيف نحو قد : ومتحركان نحو بك ، ويسمونه السبب الثقيل .

(٦٨) المعروف أنها «تفاعيل» بالتاء جمع لتفعيله ، وهي الألفاظ التي يوزن بها أي يجر من بحر الشعر .

وكذلك أيضاً يحتاجُ الشاعرُ إلى العِلْمِ بالقوافي والحركات ، ليعلمَ الرَّوْيَ (٦٩) والرَّدْفَ (٧٠) ، وما يصحُّ من ذلك ، وما لا يصحُّ .

* * *

فإذا أكملَ صاحبُ هذه الصَّنَاعَةِ مَعْرِفَةَ هذه الآلات ، وكان ذا طبعٍ مجيبٍ وقرِيحَةٍ مُواتية ، فعليه بالنظر في كتابنا هذا ، والتَّصَفُّحُ لما أودَعناه من حقائق علم اليكَّان ، ونبها عليه من أصول ذلك وفروعِهِ . على أن الذي ذكرناه من هذه الآلات الثمان هو كالأصل لما يحتاجُ إليه الخطيبُ والشاعر ومعرفة ضرورية لأبدٍ منها . وهاهنا أشياء أُخرُ هي كالتوابع والروادِفُ ، وبالجملة فإن صاحبَ هذه الصَّنَاعَةِ يحتاجُ إلى التشبُّثِ بكل فنٍّ من الفنون ، حتَّى إنه يحتاجُ إلى معرفة ماتقولهُ النَّادِبَةُ بين النساءِ ، والماشيطةُ عند جَلْوَةِ العروس ، وإلى مايقوله المنادى في السوقِ على السلعة ، فما ظنُّكَ بما فوقَ هذا؟ والسببُ في ذلك أنه مؤهَّلٌ لأنَّ يهيمَ في كلِّ وادٍ ، فيحتاجُ أن يتعلَّقَ بكل فنٍّ .

الفصل الثالث

في الحكم على المعاني

وفائدة هذا الفصل الإحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها . وصاحبُ هذه الصنعة مفتقرٌ إلى هذا الفصل والذى يليه بخلافِ غيرهما من هذه الفُصولِ المذكورة ، لاسيما مفسرِ الأشعار ، فإنهم به أعنى . واعلمُ أنَّ الأصلَ في المعنى أن يُحمَلَ على ظاهر لفظه ، ومنْ يذهبُ إلى التأويل يفتقرُ إلى دليل كقوله تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ^(١) » فالظاهر من لفظ « الثياب » هو ما يُلبَسُ ، ومنْ تأوَّلَ ذهبَ إلى أنَّ المرادُ هو القلب : لا اللبوسُ ، وهذا لأبدٍ له من دليل . لأنه عدُولٌ عن ظاهر اللفظ .

(٦٩) الروي من حروف القافية : وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة .

(٧٠) الردف من حروف القافية : وهو حرف مد قبل حرف الروي .

(١) س : نذر . آية ٤ .

وكذلك وَرَدَ عَنْ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ . « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَلِيَ فادخُلْ بَيْتَكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ » فالظاهرُ من هذا هو البيت والبابُ . وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ تَجْمَعُ عَلَيْكَ هَمَّ قَلْبِكَ ، وتمنع أن يخطرَ به سوى أمر الصلاة ، فعبرَ عن القلب بالبيتِ ، وعن منع الخواطر التي تخطرُ له بإغلاقِ الباب . وهذا يحتاجُ إلى دليل ، لأنه عدُولٌ عن ظاهر اللفظ .

فالمعنى المحمولُ على ظاهره لا يقعُ في تفسيره خلاف ، والمعنى المعدولُ عن ظاهره إلى التَّأْوِيلِ يقع فيه الخلاف . إذ بابُ التأويل غير محصور ، والعلماء متفاوتون في هذا ، فإنه قد يأخذ بعضهم وجهًا ضعيفًا من التأويل ، فيكسوه بعبارة قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية ، فإن السيف بضاربه :

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قَلَبُوهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانَ
تَلَقَّى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ مِثْلَ الْعَجَبَانَ يَكْفُ كُلَّ جَبَانٍ^(٢)

وذهب بعضهم في الفرق بين « التفسير » و « التأويل » إلى شئٍ غير مرضي ، فقال : التفسيرُ بيانُ وضع اللفظ حقيقةً ، كتفسير الصراطِ بالطريق . والتأويلُ إظهارُ باطن اللفظِ كقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ^(٣) » فتفسيره من الرصدِ ، يقال : رَصَدْتَهُ ، إِذَا رَقَبْتَهُ ، وتأويله تحذير العبادِ من تعدِّي حدودِ الله ومخالفة أوامره . والذي عندي في ذلك أنه أصابَ في الآخر ، ولم يُصَبْ في الأول . لأنَّ قوله :

« التفسيرُ بيان وضع اللفظ حقيقة » لا مُسْتَنَدَ لجوازه ، بل (التفسيرُ) يطلقُ على بيان وضع اللفظ حقيقةً ومجازاً ، لأنه من « الفسر » وهو الكشف ، كتفسير الرصدِ في الآية المشار إليها بالرقبة ، وتفسيره بالتحذير من تعدِّي حدودِ الله ومخالفة أوامره . وأما (التأويلُ) فإنه أحدُ قِسْمَي التفسير ، وذلك أنه رُجوعٌ عن ظاهر اللفظ ، وهو مُشْتَقٌّ من الأول ، وهو الرجوعُ ، يقال : آل ، يئول إذا رَجَعَ .

وعلى هذا فإنَّ التأويلَ خاصٌّ ، والتفسيرَ عامٌّ ، فكل تأويل تفسيرٌ ، وليس كلُّ تفسير تأويلاً . ولهذا يقال : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ ، وَمِنْ تَفْسِيرِهِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ .

(٢) البيتان للمتنبي ؛ الديوان ١٨٤/٤ والمعنى : إنما يغني السيف إذا كان مع الشجاع .

(٣) سورة الفجر ؛ آية ١٤ .

وهذا الفصلُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى التَّأْوِيلِ . لِأَنَّهُ
أَدَقُّ .

وَلَا يَخْلُو تَأْوِيلُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُحْتَمَلُ
غَيْرُهُ . وَإِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ ، وَتِلْكَ الْغَيْرِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ضِدًّا ، أَوْ لَا تَكُونَ
ضِدًّا . وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ .

فَالأُولَى : يَقَعُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ ، وَيَجْرَى فِي الدَّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ مَجْرَى الْقِسْمَيْنِ
الْآخَرَيْنِ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي : فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْوُقُوعِ جَدًّا ، وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ التَّأْوِيلَاتِ
الْمَعْنَوِيَّةِ . لِأَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى وَضِدَّهُ أَغْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ مِمَّا
لَيْسَ بِضِدِّهِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ
صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » فَهَذَا الْحَدِيثُ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ
ضِدَّانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَفْضَلُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْآخَرُ أَنَّ
مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، أَيْ أَنَّ صَلَاةً وَاحِدَةً فِيهِ لَا
تَفْضُلُ أَلْفَ صَلَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، بَلْ تَفْضُلُ مَا دُونَهَا بِخِلَافِ الْمَسَاجِدِ الْبَاقِيَةِ ،
فَإِنَّ أَلْفَ صَلَاةٍ فِيهَا تَقْصُرُ عَنْ صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ فِيهِ .

وَكذَلِكَ جَاءَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ « إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا
شِئْتَ » وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَيْنِ ضِدِّيْنِ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فِعْلًا
تَسْتَحِي مِنْهُ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ . وَالْآخَرُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَيَاءٌ يَزْعُكَ عَنْ
فِعْلِ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ ، أَحَدُهُمَا مَدْحٌ ، وَالْآخَرُ
ذَمٌّ .

وَمِثْلُهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ أَيْضًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ذُكِرَ شَرِيحُ الْحَضْرَمِيِّ عِنْدَ
النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ » وَهَذَا يَحْتَمِلُ مَدْحًا وَمَذْمًا . أَمَّا الْمَدْحُ فَالْمُرَادُ بِهِ
أَنَّهُ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَيَكُونُ الْقُرْآنُ مَتَوَسَّدًا مَعَهُ ، لَمْ يَتَهَجَّدْ بِهِ ، وَأَمَّا الذَّمُّ
فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَإِذَا نَامَ لَمْ يَتَوَسَّدْ مَعَهُ الْقُرْآنَ . وَهَذَانِ
التَّأْوِيلَانِ مِنَ الْأَضْدَادِ . وَكَثِيرًا مَا يَرِدُ أَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ .

وَيَجْرَى عَلَى هَذَا النَّهْجِ مِنَ الشُّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً ومن بات في نَعَائِهِ يتقلبُ (٤)
 وهذا البيت يُستخرجُ منه معنيان ضدان ، أحدهما : أن المُنعمَ عليه يحسُدُ
 المُنعم . والآخر : أن المُنعمَ يحسُدُ المُنعمَ عليه . وكذلك وردَ قوله أيضاً من قصيدةٍ
 يمدحه :

فإن نلت ما أملت منك فربما شربتُ بماءِ نِعْحِ الطيرِ وردُهُ (٥)
 فإن هذا البيت يحتملُ مدحاً وذمّاً . وإذا أخذَ بمُفْرَدِهِ من غيرِ نظرٍ إلى ما قبله فإنه
 يكونُ بالذمِّ أولىُّ منه بالمدح ؛ لأنه يتضمنُ وصفَ نواله بِالْبُعْدِ والشذوذ . وصدرُ
 البيت مفتتحٌ بِإِن الشَّرْطِيَّةِ ، وقد أُجيبَ بلفظة « رُبَّ » التي معناها التقليل ، أي
 لستُ من نوالك على يقين ، فإن نلتَهُ فربما وصلتُ إلى مُورِدٍ لا يصلُ إليه الطيرُ
 لِبُعْدِهِ . وإذا نُظِرَ إلى ما قبلَ هذا البيت دلَّ على المدحِ خاصَّةً ، لارتباطه بالمعنى
 الذي قبله . وكثيراً ما كان يقصدُ المتنبيُّ هذا القسمَ في شعره ، كقوله من قصيدةٍ
 أولها :

عدوك مدمومٌ بكلِّ لسانٍ ولو كان من أعدائك القمرانِ
 ولله سرٌّ في علاك وإنما كلامُ العدا ضربٌ من الهديان (٦)
 ثم قال :

فمالك تُعنى بالأسنةِ والقنا وجدك طعانٌ بغيرِ سنانِ (٧)
 فإن هذا بالذمِّ أشبهُ منه بالمدح ؛ لأنه يقولُ لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل
 بجِدِّ وسعادة ، وهذا لا فضلَ فيه ؛ لأنَّ السعادة تنالُ الحاملُ والجاهدُ ومن لا
 يستحقُّها . وأكثرُ ما كان المتنبيُّ يستعملُ هذا القسمَ في قصائده « الكافوريات » .
 وحكى أبو الفتح ابن جني ، قال : قرأت على أبي الطيبِ ديوانه إلى أن وصلتُ
 إلى قصيدته التي أولها :

(٤) ديوان المتنبي ١٨٥/١

(٥) ديوان المتنبي ٢٨/٢ (٦) ديوان المتنبي ٢٤٢/٤

(٧) ديوان المتنبي ٢٤٧/٤ والرواية فيه « ومالك تعنى . . . البيت » وقبل هذا البيت :

فما لك تخنار القسي وإنما عن السعد يرمي دونك الثقلان

* أَغَابُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ (٨) *

فَأْتَيْتُ مِنْهَا عَلَى هَذَا الْبَيْتِ وَهُوَ:

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٩)

فقلت له: يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبا زنة (١٠)، فضحك لقولي! وهذا القسم من الكلام يُسمى (الموجه) أي له وجهان (١١)، وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن تأتبه.

وأما القسم الثالث: فإنه يكون أكثر وقوعاً من القسم الثاني، وهو واسطة بين طرفين، لأن القسم الأول كثير الوقوع، والقسم الثاني قليل الوقوع، وهذا القسم الثالث وسط بينهما.

فما جاء منه قوله تعالى: « وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ (١٢) » فإن هذا له وجهان من التأويل، أحدهما: القتل الحقيقي الذي هو معروف، والآخر: هو القتل المجازي، وهو الإكباب على المعاصي: فإن الإنسان إذا أكب على المعاصي قتل نفسه في الآخرة.

ومِنَ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَذَبْحِ وَلَدِهِ - عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ : « وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ * رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا

(٨) ديوان المتنبي ١٧٦/١ وشطره الآخر * وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب *

(٩) ديوان المتنبي ١٨٦/١ .

(١٠) الأصل « أبا زنة » بالراء ، وهو تصحيف ، وأبو زنة كنية القرد .

(١١) التوجيه عند البلاغيين أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو غيره ،

واستشهدوا على التوجيه بقول الشاعر في الحسن بن سهل عندما زوج ابنته . بوران بالخليفة :

بـــــــــــــــــارك الله للحسن ولبوران في الحسنين
يا إمام الهدى ظفرت ولكن بينت من ؟

فلم يعلم ما أراد بقوله « بينت من » في الرفع أو في الحفارة .

(١٢) سورة النساء : آية ٢٩ .

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ *
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ « (١٣) فبقوله تعالى :
« وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » قد يكون بشارته بعد البشارة بميلاده .
وقد يكون استثناءً بِذِكْرِهِ بعد ذِكْرِ إِسْمَاعِيلَ - عليه السلام - وَذَبْحِهِ ، والتأويلُ
متجاذبٌ بين هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ ، ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ، ولم يرد في
القرآن ما يدلُّ على أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلُ ولا إِسْحَاقُ عليهما السَّلَامُ ، وكذلك لم يرد في
الأخبار التي صَحَّتْ عن رسول الله ﷺ : وَأَمَّا مَا يُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « أَنَا ابْنُ
الذَّبِيحِينَ » فخارجٌ عن الأخبار الصحيحة وفي التَّوْرَةِ أَنَّ إِسْحَاقَ - عليه السَّلَامُ -
هو الذَّبِيحُ .

ومن ذلك قول النبي ﷺ لأزواجه : « أَطَوْلُكُنَّ يَدًا ، أَسْرَعُكُنَّ لِحْوَقًا بِي » فلما
مات صلوات الله عليه جعلنَّ يَطَاوِلْنَ بين أيديهنَّ ، حتى ينظرنَّ أيتهنَّ أطولُ يَدًا ، ثمَّ
كانت زَيْنَبُ أَسْرَعَهُنَّ لِحْوَقًا بِهِ ، وكانت كثيرةَ الصَّدَقَةِ ، فعلمنَّ حينئذٍ أَنَّهُ لَمْ يرد
الجارحةُ ، وإنما أراد الصَّدَقَةَ ، فهذا القولُ يدلُّ على المعنيين المشار إليهما .

ومن ذلك ما روى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ خَدِمْتُ رَسُولَ
الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فلم يَقُلْ لشيءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتُهُ ؟ ولا لشيءٍ لمَ أَفَعَلْتُهُ : لِمَ لا
فَعَلْتُهُ ؟ وهذا القولُ يحتملُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ : أحدهما وَصْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ
بِالصَّبْرِ على خلقٍ مَنْ يَصْحَبُهُ ، والآخِرُ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ فيما يَقْصِدُهُ
من الأعمالِ كَأَنَّهُ مُتَّفِطِنٌ لما في نفسِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فيفَعَلُهُ من غيرِ حاجةٍ إلى
استِثْذَانِهِ .

ومن ذلك ما ورد في الأُدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فإنه ﷺ دَعَا على رجلٍ من المشركين ،
فقال : « اللَّهُمَّ اقْطَعْ أثره » وهذا يحتملُ ثلاثةَ أَوْجُهٍ مِنَ التَّأْوِيلِ : الأوَّلُ أَنَّهُ دَعَا
عليه بِالزَّمانَةِ (١٤) ، لأنه إذا زَمَنَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ على الأرضِ ، فينْقَطِعُ حينئذٍ
أثره . الوجهُ الثاني : أَنَّهُ دَعَا عليه بِالْأَلِّ يكونُ له نَسْلٌ من بعده ولا عَقِب . الوجه

(١٣) سورة الصافات : الآيات من ٩٩ إلى ١١٢ .

(١٤) من معاني الزمانه : العاهة ؛ والمرض يدوم طويلا .

الثالثُ : أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ بِاللَّاءِ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ مِنَ الْآثَارِ مُطْلَقًا ، وَهُوَ أَلَّا يَفْعَلُ فِعْلًا يَبْقَى أَثَرُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَأَنَّ مَا كَانَ مِنْ عَقَبِ أَوْ بِنَاءٍ ، أَوْ غِرَاسٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَظَفِرَتِ الْحُرُورِيَّةُ^(١٥) بِرَجُلٍ ، فَقَالُوا لَهُ : ابْرَأْ مِنْ عَلِيٍّ وَعُمَانَ ، فَقَالَ أَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ عُمَانَ اِبْرَأْ ! فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ عُمَانَ وَحَدِهِ ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُمَا جَمِيعًا . وَالرَّجُلُ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْوَجْهَ الْأَوَّلَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيلَةَ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْحِيرَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيلَةَ^(١٦) ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : أَنْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : قَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ عَنْ تَحْيَتِكَ هَذِهِ بِ « سَلَامٍ عَلَيْكُمْ » ثُمَّ قَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْصَى أَتَرُكُ ، قَالَ : مِنْ ظَهْرِ أَبِي ! قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَطْنِ أُمِّي ! قَالَ : فِعْلَامَ أَنْتَ ؟ قَالَ : عَلَى الْأَرْضِ ! قَالَ : فَفِيمَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي ! قَالَ : ابْنُ كَمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ابْنُ رَجُلٍ وَاحِدٍ ! قَالَ خَالِدٌ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، أَنَا أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ ، وَهُوَ يَنْحُو فِي غَيْرِهِ وَهَذَا مِنْ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ عَلَى نَمَطٍ حَسَنٍ ، وَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِحَالِدٍ عَمَا سَأَلَ ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِغَيْرِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيلَةَ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّوَارِقِ أَلَّا يُؤْكَلُ الْجَدْيُ بِلَبَنِ أُمِّهِ ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ التَّحْرِيمَ فِي وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : مَادَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ ، وَهُوَ تَحْرِيمُ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَبَنِ أُمِّهِ خَاصَّةً ، وَإِذَا أَكَلَ بِلَبَنِ غَيْرِ لَبَنِ أُمِّهِ جَازَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ حَرَامًا ، وَهَذَا لَا يَأْخُذُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ . وَالْوَجْهُ الْآخَرُ ، وَهُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ عِنْدَ الْيَهُودِ جَمِيعِهِمْ ، أَنَّ أَكْلَ اللَّحْمِ بِاللَّبَنِ حَرَامٌ ، كَأَنَّ مَا كَانَ مِنَ اللَّحْمِ ، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَسْمُونَ « الْقَرَائِينَ » فَإِنَّهُمْ تَأَوَّلُوا ، فَأَكَلُوا لَحْمَ الطَّيْرِ بِاللَّبَنِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا حُرِّمَ اللَّحْمُ بِاللَّبَنِ مِنَ اللَّحْمِ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ ، وَالطَّيْرِ مِنْ ذَوَاتِ الْبَيْضِ ، لَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ .

(١٥) الحرورية ؛ وقد يسمون « الوعيدية » وأصلهم أنهم تسلقوا جبال حروراء بقتال علي ؛ ولذلك يوضعون ضمن الخوارج في بعض التقاسيم ؛ يتغالون في إثبات الوعيد والخوف على المؤمنين لإمكان الخلود في النار مع الإيمان ؛ فمقتروا الكبائر مشركون ، وهم يكفرون الخوارج .

(١٦) هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن ببيعة الغساني ؛ وهو من المعمرين ، وقد أورد الجاحظ

الحديث كله في البيان والتبيين ١٤٧/٢ .

وممّا يجرى على هذا النهج ما يُحكى عن « أفلاطون » أنه قال : ترك الدواء دواءً ، فذهب بعض الأطباء أنه أراد أن لطف المزاج انتهى^(١٧) إلى غاية لا يحتمل الدواء ، فتركه حينئذ والإضراب عنه دواءً . وذهب آخرون إلى أنه أراد بالترك الوضع ، أى وضع الدواء على الداء دواءً ، يشير بذلك إلى حدق الطبيب في أوقات علاجه .

ومثله في الشعر قول الفرزدق :

إذا جعفر مرت على هضبة الحمى فقد أخزت الأحياء منها قبورها^(١٨)

وهذا يدل على معنيين : أحدهما ذم الأحياء ، والآخر : ذم الأموات ، أما ذم الأحياء فهو أنهم خذلوا الأموات ، يريد أنهم تلاقوا في قتالهم وقوما آخرين فقر الأحياء عنهم وأسلموهم ، أو أنهم استنجدوهم فلم يُنجدوهم ، وأما ذم الأموات فهو أن لهم مخازي وفصائح ، توجب عاراً وشناراً ، فهم يعدون بها الأحياء ، ويُصقونها بهم . وعلى هذا ورد قول أبي تمام :

بالشعر طول إذا اضطكت قصائده في معشر وبه عن معشر قصر^(١٩)

فهذا البيت يحتمل تأويلين : أحدهما أن الشعر يتسع بحاله بمدحك ، ويضيق بمدح غيرك يريد بذلك أن مآثره كثيرة ، ومآثر غيره قليلة ، والآخر : أن الشعر يكون ذا فخر ونباهة بمدحك ، وذا خمول بمدح غيرك . فلفظة « الطول » يُفهم منها ضد القصر ، ويفهم منها الفخر ، من قولنا : طال فلان على فلان ، أى فخر عليه . ومما ينتظم بهذا السلك قول أبي كبير الهدلي :

عجبت لسعى الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما : أنه أراد بسعى الدهر سرعة تقضى الأوقات مدة الوصال ، فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حالته في السكون

(١٧) في الأصل « وانتهى » .

(١٨) في الأصل « أخذت » وهو تحريف ، ورواية الديوان (ص ٤٦١) :

إذا جعفر مرت على هضبة الحمى تقنع إذ صاحت إليها قبورها

والبيت من قصيدة للفرزدق يهجو بها بني جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة .

(١٩) ديوان أبي تمام ١٥١

والبطء. الآخر: أنه أراد بسعى الدهر سعى أهل الدهر بالنائم والوشايات، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية، وهذا من باب وضع المضاف إليه مكان المضاف، كقوله تعالى: « واسأل القرية (٢٠) » أي أهل القرية. ومن الدقيق المعنى في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي في عَضِدِ الدَّوْلَةِ من جُمْلَةِ قَصِيدَتِهِ التي أولها:

* أَوْهَ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَأَهَا (٢١) *

فقال:

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا (٢٢)

وهذا يُسْتَبْطَأُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ غَيْرَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ مَقْدَارَ عَطَايَاهِ النَّفِيسَةَ لَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِأَنَّ تَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ عَطَايَاهِ، لِأَنَّ عَطَايَاهُ أَنْفُسٌ مِنْهَا، الْآخَرُ: أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنَّهُ يَهْبُهَا مِنْ جُمْلَةِ عَطَايَاهِ لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ، إِذْ تَكَرَّرَ خُرُوجُهَا عَنْ مُلْكِهِ. وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ أَنَا ذَكَرْتُهُمَا، وَإِنَّمَا الْمَذْكُورُ مِنْهُمَا أَحَدُهُمَا. وَهَذَا الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَافٍ لِمَنْ عِنْدَهُ ذَوْقٌ، وَلَهُ قُوَّةٌ عَلَى حَمَلِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَنظَائِرِهَا.

الفصل الرابع

في الترجيح بين المعاني

وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذي يوزن به نقد ذرهمها ودينارها، بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها، ولا يزن به إلا ذو فكرة متقدمة ولمحة منقذة. فليس كل من حمل ميزاناً سُمي صرافاً، ولا كل من وزن به سُمي عرافاً.

(٢٠) سورة يوسف: آية ٨٢.

(٢١) ديوان المتنبي ٢٦٩/٤ وعجز البيت * لمن نأت والبديل ذكراها *

(٢٢) ديوان المتنبي ٢٧٦/٤.

والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي أَنَّ هُنَاكَ يُرْجَعُ بَيْنَ دَلِيلِ
الْخُصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ، وَهَاهُنَا يُرْجَعُ بَيْنَ جَانِبَيْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي الْفَاطِ
وَمَعَانٍ خَطَابِيَّةٍ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيَّ يَرْجَعُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ مِثْلًا وَبَيْنَ خَبَرِ
الْأَحَادِ . أَوْ بَيْنَ الْمُسْنَدِ (١) وَالْمُرْسَلِ (٢) . أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى ، وَهَذَا لَا يَعْزِضُ
إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ : لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَلَكِنَّ الَّذِي هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَرْجَعَ
بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ ، أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ مَجَازَيْنِ . وَيَكُونُ نَازِلًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ
إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخَطَابِيَّةِ ، وَلرَبِّمَا اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيَّ فِي بَعْضِ
الْمَوَاضِعِ ، كَالتَّرْجِيحِ بَيْنَ عَامٍّ وَخَاصٍّ ، أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ .
وَكَنَّا قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْمَعَانِي وَأَنْقَسَامِهَا ، وَلِتُبَيِّنَ فِي هَذَا الْفَصْلِ
مَوَاضِعَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ وَجْهِ تَأْوِيلَاتِهِ . فَنَقُولُ :

أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَعَانِي فَلَا تَعَلُّقَ لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ ،
وَلَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ .

وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ ، وَلَا يَخْلُو التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا
مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ ، أَوْ حَقِيقَةً
فِيهِمَا جَمِيعًا ، أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا ، وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ .

وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ ، وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
وَالْمَجَازِ فَإِنَّهُ يُعْلَمُ بِبَدِيهِيَّةِ النَّظَرِ ، لِمَكَانِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا ، وَالشَّيْئَانِ الْمُخْتَلِفَانِ يَظْهَرُ
الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ، نَحْلَافَ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُشَبَّهَيْنِ فَثَالُ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ مَا ذَكَرَ سَنَدَهُ ، وَهُوَ سِلْسَلَةُ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَوَوْا الْحَدِيثَ ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَخْصُ هَذَا
الْإِسْمَ بِالْحَدِيثِ الْمَتَّصِلِ الْمَرْفُوعِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ ، فَإِذَا سَقَطَ وَاحِدٌ مِنَ الرِّوَاةِ ، أَوْ لَمْ يَرْفَعْ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَا يُقَالُ لَهُ مُسْنَدٌ .

(٢) الْحَدِيثُ الْمُرْسَلُ مَا حَذَفَ مِنْ سَنَدِهِ مَنْ يَكُونُ فَوْقَ التَّابِعِيِّ ؛ وَهُوَ الصَّاحِبِيُّ ؛ وَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ أَحَدُ
التَّابِعِينَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا ؛ أَوْ فَعَلَ كَذَا أَوْ فَعَلَ بِحَضْرَتِهِ كَذَا .

« وَيَوْمَ يَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٣) » فالجلود هاهنا تفسر حقيقةً ومجازاً. أمّا الحقيقة فيراد بها الجلد مطلقاً. وأمّا المجاز فيراد بها الفروج خاصة. وهذا هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة، لما فيه من لطف الكناية عن الممكنى عنه. وقد يسأل هاهنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغي، ويقال: ما بيان هذا الترجيح؟ فيقال: طريقة لفظ الجلود عام، فلا يخلو إمّا أن يراد به الجلد مطلقاً، أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الأعمال خاصة، ولا يجوز أن يراد به الجلد على الإطلاق، لأن شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة شهادة باطلة، إذ هي شهادة غير شاهد، والشهادة هنا يراد بها الإقرار، فتقول اليد: أنا فعلت كذا وكذا، وتقول الرجل: أنا مشيت إلى كذا وكذا وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرة بأعمالها، فترجع بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح. وإذا أريد به الجوارح، فلا يخلو إمّا أن يراد به الكل أو البعض، فإن أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصها بالذكر فائدة، وإن أريد به البعض فهو بالفرج أحص منه بغيره من الجوارح لأمرين: أحدهما أن الجوارح كلها قد ذكرت في القرآن الكريم، شاهدة على صاحبها بالمعصية، ماعداً الفرج. فكان حمل الجلد عليه أولى، ليستكمل ذكر الجميع. الآخر: أنه ليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره إلا الفرج، فكفى عنه بالجلد، لأنه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته.

فإن قيل: إن تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب التفصيل كقوله تعالى: «فاكهة ونخل ورمان» (٤) والنخل والرمان من الفاكهة..

قلت في الجواب: هذا القول عليك لالك، لأن النخل والرمان إنما ذكرا لتفضيلهما في الشكل أو في الطعم، والفضيلة هاهنا في ذكر الشهادة إنما هي تعظيم لأمر المعصية، وغير السمع والبصر أعظم في المعصية؛ لأن معصية السمع إنما تكون في سماع عيبة، أو في سماع صوت مزمار أو وتر، أو ماجرى هذا الجرى.

(٣) سورة فصلت: الآيتان ١٩ و ٢٠

(٤) سورة الرحمن: آية ٦٨

ومعصية البَصْرِ إِنَّمَا تَكُونُ فِي النَّظَرِ إِلَى مُحَرَّمٍ ، وَكَلَّمَا الْمُعْصِيَتَيْنِ لَا حَدَّ فِيهَا . وَأَمَّا الْمُعْصِيَةُ الَّتِي تَوْجَدُ مِنْ غَيْرِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ فَأَعْظَمُ : لِأَنَّ مُعْصِيَةَ الْيَدِ تَوْجِبُ الْقَطْعَ ، وَمُعْصِيَةَ الْفَرْجِ تَوْجِبُ جُلْدَ مِائَةِ أَوْ الرَّجْمَ ، وَهَذَا أَعْظَمُ ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُخَصَّ بِالذِّكْرِ دُونَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَإِذَا ثَبَتَ فُسَادُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ بِالْجُلُودِ إِلَّا الْفُرُوجَ خَاصَّةً .

وَأَمَّا مِثَالُ الْمَعْنِينَ إِذَا كَانَا حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « التَّمِسُوا الرِّزْقَ فِي خُبَايَا الْأَرْضِ » وَالْخُبَايَا جَمْعُ خَبِيَّةٍ . وَهُوَ كُلُّ مَا يُخْبَأُ كَأَنَّ مَا كَانَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْكُنُوزُ الْمَحْبُوءَةُ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ ، وَالْآخَرُ : الْحَرَثُ وَالْغِرَاسُ ، وَجَانِبِ الْحَرثِ وَالْغِرَاسِ أَرْجَحُ ، لِأَنَّ مَوَاضِعَ الْكُنُوزِ لَا تُعْلَمُ حَتَّى تُتَمَسَّ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ مُجْهُولٌ غَيْرٌ مَعْلُومٌ ، فَبَقِيَ الْمُرَادُ بِخُبَايَا الْأَرْضِ مَا يُحْرَثُ وَيُغْرَسُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ ﷺ : « إِذَا ابْتَلَّتِ النَّعَالَ فَالصَّلَاةَ فِي الرَّحَالِ » وَهَذَا الْحَدِيثُ مُرْحَصٌ فِي تَرْكِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ بِسَبَبِ الْمَطَرِ ، وَلَهُ تَأْوِيلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَرَادَ نِعَالَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ مَا غُلِظَ مِنْهَا . وَالْآخَرُ : أَنَّهُ أَرَادَ الْأَحْذِيَةَ : وَالْوَجْهُ هُوَ الثَّانِي : لِظُهُورِهِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَاشْتُرَّ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ . وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ مَا غُلِظَ مِنَ الْأَرْضِ لَخَرَجَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ كُلُّ بَلَدٍ تَكُونُ أَرْضُهُ سَهْلَةً لَا غِلْظَ فِيهَا . وَأَمَّا مِثَالُ الْمَعْنِينَ الْمَجَازِينَ فَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (٥) :

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًّا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيمًا (٦)
فَعَلِمْنَا أَنَّ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا (٧)

فَالسَّاحِلُ وَالْقَلْبِيُّ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا تَأْوِيلَانِ مَجَازِيَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ . وَالْآخَرُ : أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا السَّبَبَ ، وَغَيْرَ السَّبَبِ ،

(٥) ديوان أبي تمام ٢٩٢ من قصيدته التي مطلعها :

إن عهداً لو تعلمان ذمياً أن تناما عن ليلتي أوتنيا

(٦) رواية الديوان « ووردناه ساحلاً وقلبياً » والسائح الماء الجاري . والقلب البئر . والبارض أول

النبات . والجميم النبات الطويل المنتشر . وهو في الأصل « حمياً » بالخاء المهملة وهو تصحيف .

(٧) في الأصل « إلا بشق الأنفس » وفيه اختلال في الوزن . والصواب عن الديوان ٢٩٢

فإنَّ الساحلَ لا يحتاجُ في وِزْدِهِ إلى سببٍ ، والقلبُ يحتاجُ في وِزْدِهِ إلى سببٍ ، وكلا هذينَ المعنيينِ مجازٌ . فإنَّ حقيقةَ الساحلِ والقلبِ غيرُهما . والوجهُ هو الثاني ، لأنَّه أدلُّ على بلاغةِ القائلِ ومدحِ المَقُولِ فيه .

أما بلاغةُ القائلِ فالسَّلَامَةُ من هُجْنَةِ التكريرِ بالمخالفةِ بينَ صَدْرِ البيتِ وَعَجْزِهِ . فإنَّ عَجْزَهُ يدلُّ على القليلِ والكثيرِ ، لأنَّ البَارِضَ هو أوَّلُ النَّبْتِ حينَ يَبْدُو ، فإذا كَثُرَ وتكاثَفَ سُمِّيَ جمياً^(٨) ، فكأنَّه قالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبْرَعًا ، وَمَسْأَلَةً ، وَقَلِيلًا ، وكثيرًا .

وأما مدحُ المَقُولِ فيه ، فلتَعْدَادِ حالاته الأربعِ في تَبْرُعِهِ وَسُؤَالِهِ وإكثارِهِ وإقلالِهِ ، وما في مُعَانَاةِ هذه الأحوالِ من المشاقِّ . فهذا ما يتعلَّقُ بالترجيحِ البلاغيِّ بين الحقيقةِ والحقيقةِ ، وبين المجازِ والمجازِ ، وبين الحقيقةِ والمجازِ .

وهاهنا ترجيحُ آخرٌ لا يتعلَّقُ بما أُشْرْنَا إليه ، إذ هو خارجٌ عما تَقْتَضِيهِ المعاني الخَطَابِيَّةُ من جهةِ الفصاحةِ أو البلاغةِ ، وذلك أنَّ يَرَجَّحَ بينَ مَعْنِيَيْنِ ، أَحَدُهُمَا تَامٌ ، والآخِرُ مَقْدَرٌ . أو يكونُ أَحَدُهُمَا مناسبًا لمعنى تَقَدَّمَهُ أو تَأَخَّرَ عَنْهُ ، والآخِرُ غَيْرُ مناسبٍ . أو بأنَّ يُنْظَرَ في التَّرْجِيحِ بَيْنَهُمَا إلى شيءٍ خارجٍ عن اللَّفْظِ .

فمثالُ المعنيينِ المشارِ إليهما أنَّ المعنى التامَّ هو الَّذِي يدلُّ عليه لَفْظُهُ ولا يَتَعَدَّاهُ وَأَمَّا المَقْدَرُ فهو الَّذِي لا يدلُّ عليه لَفْظُهُ ، بل يُسْتَدَلُّ عليه بِقَرِينَةٍ أُخْرَى ، وتلك القَرِينَةُ قد تكونُ من تَوَابِعِهِ ، وقد لا تكونُ . فمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ « فِي سَائِمَةِ الْغَنَمِ زَكَاةٌ » فهذا اللَّفْظُ يَسْتَخْرُجُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا تَامٌ ، والآخِرُ مَقْدَرٌ . فالتامُّ دلالتُهُ على وَجُوبِ الزَّكَاةِ فِي السَّائِمَةِ لا غَيْرِ ، والمَقْدَرُ دلالتُهُ على سُقُوطِ الزَّكَاةِ عَنِ المَعْلُوفَةِ ، إلا أَنَّهُ لَيْسَ مَفْهُومًا مِنْ نَفْسِ اللَّفْظِ ، بل مِنْ قَرِينَةٍ أُخْرَى هِيَ كَالتَّابِعَةِ لَهُ ، وهِيَ أَنَّهُ لَمَّا خَصَّتِ السَّائِمَةُ بِالذِّكْرِ دُونَ المَعْلُوفَةِ عِلْمَ مَنْ مَفْهُومٌ ذَلِكَ أَنَّ المَعْلُوفَةَ لا زَكَاةَ فِيهَا . وَلِلْفِقْهَاءِ فِي ذَلِكَ مُجَادِبَاتٌ جَدَلِيَّةٌ ، يَطُولُ الْكَلَامُ فِيهَا ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهَا . وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ عِنْدِي هُوَ الْقَوْلُ بِفَحْوَى الْمَعْنَى الْمَقْدَرِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْفِقْهَاءُ « مَفْهُومَ الْخِطَابِ » وَلَهُ فِي الشُّعْرِ أَشْبَاهٌ وَنَظَائِرٌ ، فَمِمَّا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ شِعْرًا قَوْلُ

(٨) في الأصل « حميا » بالحام المهملة ، وهو تصحيفٌ .

جزء بن كليب الفقعي^(٩) ، من شعراء الحامسة ، وقد خطب إليه ابن كوز ابنته فردّه :

تبغى ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستاد منا أن سنونا لياليا^(١٠)
فلا تطلبنها يابن كوز فإنه غدا الناس مذقاً نبي الجواريا^(١١)
وهذا البيت الثاني يشتمل على المعنيين التام والمقدر.

أمّا التام فإن ابن كوز سأل أبا هذه الجارية أن يزوجه إياها في سنة ، والسنة : الجذب ، فردّه . وقال : قد غدا الناس البنات مذقاً النبي ﷺ ، وأنا أيضاً أغدو هذه ، ولولا ذلك لوأدتها ، كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر : وهو أنهم كانوا يثدون البنات قبل الإسلام ، فلما جاء النبي ﷺ نهى عن ذلك ، فقله : « غدا الناس مذقاً النبي الجواريا » أى فى النساء كثيرة ، فتزوج بعضهنّ وخلّ ابنتي . وهذان المعنيان هما اللذان دلّ عليهما ظاهر اللفظ .

وأما المعنى المقدر الذى يُعلم من مفهوم الكلام فإنه يقول : إن النبي ﷺ أمر بإحياء البنات ، ونهى عن الوأد ، ولو أنكحكها لكنت قد وأدتها ، إذ لا فرق بين إنكاحك إياها وبين وأدّها . وهذا ذمٌ للمخاطب . وهو معنى دقيق .

ومجىء المعانى المستخرجة من المفصومة قليلٌ فى الشعر .
وأما ما يُستدلّ عليه بقريضة ليست من توابعه ، فإن ذلك أدق من الأوّل ، والطف مأخذاً .

فما ورد منه قول النبي ﷺ : « من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سيكين » فهذا يُستخرج منه المعنيان المشار إليهما ، فالتام منها يدل على أنه من جعل

(٩) فى الأصل « جرى بن كلب » والتصويب عن ديوان الحامسة ٨٨/١ . وقال التبريزى : قال ابن الأعرابى : هو جرير لاجزاء ، ولم أفق لها على ترجمة .

(١٠) رواية الحامسة « شتونا » بالشين والتاء . ومعنى « يستاد منا » أى يتزوج فى ساداتنا . وقوله « أن شتونا » أى دخلنا فى الشتاء والجذب . والمعنى طلب منا الزواج فى هذا الوقت . ولو كنا فى غيره لما أمكنه أن يجترئ علينا بذلك .

(١١) غداه قام بغذائه . وهذا كناية عن إبطال وأد البنات من الفقر أو خشيته . والجوارى جمع جارية وهى البنت . والمعنى : لا تطلب التزوج بالمرأة التى خطبتها فلك فى سائر النساء مندوحة عنها . فإن النساء كثرن منذ منع الإسلام وأد البنات .

قاضياً فقد عرّض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سيكين . وأمّا المقدر فإنه يدلُّ على أنه من جعل قاضياً فقد أمر بمفارقة هَواه . وهذا لا يدلُّ عليه اللفظ بنفسه ، بل يُستدلُّ عليه بقريضة أُخرى ، ولكنها ليست من توابعه . ووجه ذلك أن لفظ الحديث عامٌ ، يشمل القضاة على الإطلاق ، ولا يخلو إمّا أن يُراد به عذاب الآخرة ، أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المرادُ به عذاب الآخرة ، لأنه ليس كلُّ قاضٍ معذبا في الآخرة ، بل المعذبُ منهم قضاةُ السوء . فوضّح بهذا أن المراد بالحديث عذاب الدنيا . وعلى هذا فلا يخلو إمّا أن يكون العذابُ صورةً أو معنىً ، ولا يجوز أن يكون صورةً لأننا نرى الإنسان إذا جعل قاضياً لا يُذبح ، ولا يناله شئٌ ، من ذلك . فبقى أن يكون المراد به عذاباً معنوياً ، وهو الذبح المجازيُّ غير الحقيقي . وفحوى ذلك أن نفس الإنسان مُركبة على حُبِّ هواها ، فإذا جعل قاضياً فقد أمر بترك ما جُبِلَ على حُبِّه من الامتناع عن الرِّشوة ، والحُكْم لصديقه على عدوه ، ورفع الحجابِ بينه وبين الناس ، والجلوس للحُكْم في أوقات راحته ، وغير ذلك من الأشياء المكروهة التي تشقُّ على النفس ، وتحدّد لها ألماً مبرِّحاً ، والذبح هو قطع الحلقوم ، والألم حاصلٌ به ، وهو كالذبح الحقيقي ، بل أشدُّ منه . لأن ألم الذبح الحقيقي يكون لحظةً واحدة ، ثم ينقضى ويذوب وألم قطع النفس عن هواها يدوم ولا ينقضى ، وهو أشدُّ العذاب . قال الله تعالى في عذاب أهل النار « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ^(١٢) » وقال في نعيم أهل الجنة « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين ^(١٣) » وكثيراً ما رأينا وسمعنا من حمّله حُبُّ الشئِ على إتلافِ نفسه في طلبه ، وركوبِ الأهوالِ من أجله ، فإذا امتنع عنه مع حُبِّه إياه فقد ذبح نفسه ، أى قطعها عنه ، كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ، ولهذا قال النبي ﷺ : « انتقلنا عن الجهاد الأصغرِ إلى الجهاد الأكبر » فسمى جهاد الكفّار « الجهاد الأصغر » . و جهاد النفس « الجهاد الأكبر » .

فكما أن مجاهدة النفس عن هواها قتالٌ بغير سيف ، فكذلك قطعها عن هواها ذبح بغير سيكين . وهذا موضع غامضٌ ، والترجيحُ فيه محتصٌّ بالوجه الآخر ، لاشتماله على المعنى المقصود ، وهو المرادُ من القضاة على الإطلاق .

وأما مثالُ المعنَّين إذا كانَ أحدهما مناسباً لمعنى تقدّمه ، أو لمعنى تأخر عنه ،

والآخرُ غير مناسب :

فالأول : وهو ما كان مناسباً لمعنى تقدّمه كقوله تعالى : « لا تجعلوا دُعاءَ الرّسولِ

بينكم كدُعاءِ بعضكم بعضاً ^(١٤) » فالدُعاءُ هاهنا يدلُّ على معنَّين : أحدهما :

النهيُّ أن يُدعى الرّسولُ باسمه ، فيقال : يا محمّد ، كما يدعوا بعضهم بعضاً بأسمائهم ،

وإنما يقالُ له : يا رسول الله ، أو يا نبيَّ الله . الآخرُ : النهيُّ أن يجعلوا حضورهم عنده

إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض ، بل يتأدّبون معه ، بالألّا

يُفارقوا مجلسه إلا بإذنه . وهذا الوجه هو المراد . لمناسبة معنى الآية التي قبله ، وهو

قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معاً على أمرٍ جامعٍ لم

يذهبوا حتّى يستأذنوه ^(١٥) »

وأما الثاني : وهو ما كان مناسباً لمعنى تأخر عنه كقوله تعالى : « والتّينِ والزّيتونِ *

وطورِ سِينين ^(١٦) » فالتّينُ والزّيتونُ هما هذا الشجرُ المعروفُ ، وهما اسمًا جبلين أيضاً .

وتأويلها بالجبلين أوّلَى ، للمناسبة بينهما وبين ما أتى بعدها من ذكر الجبل الذي هو

الطور .

وعلى هذا وردَ قولُ الشاعر ^(١٧) في أبيات الحماسة :

ولو كنتُ مولى قيس عيلانٍ لم تجدِ علىّ لإنسانٍ من النّاسِ درهماً

كنى مولى قضاة كلّها فلستُ أبالي أنّ أدينَ وتغزماً ^(١٨)

هذا نظرنا إلى البيتِ الأوّلِ وجدناه يحتملُ مدحاً وذمّاً ، أى أنّهم كانوا يُعنونهُ

بعضهم أنّ يدينَ ، أو أنّه كان يخافُ الدّينَ حدراً ألاّ يقوموا عنهُ بوفائِهِ ، لكنّ البيتَ

سنى حتّى أنّ الأوّلَ ذمٌّ وليس بمدحٍ ، فهذا المعنى لا يتحقّقُ فهمُهُ إلاّ بآخره .

(١٤) سورة النور : آية ٦٣ (١٥) سورة النور : آية ٦٢ (١٦) سورة التين : الآيتان ٢٠١

(١٧) هو شقران مولى بنى سلامان بن سعد هديم : وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولتين أمية وبنى

العباس .

(١٨) البيتان في ديوان الحماسة ٢٦٠/٢ . ومعنى البيتين لو كان . في قيس عيلان لم أقترض درهماً من

أحد لأنفقه في سبيل الخير محافة ألا يثوده عنى . ولكن ولائى في قضاة فلا أبالي أن أقترض ما أنفقه في وجوه

البر : لأنهم يؤدونه عنى . والمراد من هذا الكلام تفضيل قضاة لجودهم وكرمهم . قيس عيلان لبخلهم

وإسماكهم .

وأما الذى يكون الترجيحُ فيه بسببِ شَيْءٍ خارجٍ عن مفهومِ اللفظِ فقوله تعالى :
 « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ » (١٩) « فهذا مُسْتَنْبَطٌ منه
 معنيان : أحدهما أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْجَهْرَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَفِي ذَلِكَ تَقْدِيمٌ
 وتأخيرٌ . أى يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ . الآخرُ : أَنَّهُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْجَهْرَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ ، لِأَنَّ الْوَقْفَ يَكُونُ عَلَى
 السَّمَوَاتِ ، ثُمَّ يَسْتَأْنَفُ الْكَلَامَ ، فيقول : يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ فِي الْأَرْضِ . إلا أَنَّ
 هذا يَمْنَعُ مِنْهُ اعْتِقَادُ التَّجْسِيمِ . وذلك شَيْءٌ خَارِجٌ عَنِ مَفْهُومِ اللَّفْظِ .

الفصل الخامس

فى جوامع الكلم

قال النبىُّ ﷺ : « أُوتِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » فالكلم جمعُ كلمة ، والجوامعُ جمعُ
 جامعة ، والجامعة اسمُ فاعِلَةٌ ، من جَمَعَتْ ، فهى جامعة ، كما يُقالُ فى المذكَرِ
 « جَمَعَ » فهو « جامع » . والمرادُ بذلك أَنَّهُ ﷺ أُوتِيَ الْكَلِمَ الْجَوَامِعَ لِلْمَعَانِي .
 وهو عِنْدِي يَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ .

القسمُ الأولُ منها : هُوَ مَا اسْتَخْرَجْتَهُ ، وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ
 سَابِقٌ ، وَهُوَ أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَخْوَاتُهَا ، مِمَّا يَجُوزُ أَنْ
 يُسْتَعْمَلَ فِي مَكَانِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ ، وَمِنْهُ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ
 الْحَقِيقَةِ .

أَمَّا مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ فَقَوْلُهُ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ : « الْآنَ حَمِيَّ الْوَطِيسِ »
 وَهَذَا لَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَلَوْ آتَيْنَا بِمِجَازٍ غَيْرِ ذَلِكَ فِي مَعْنَاهُ ،
 فَقَلْنَا « اسْتَعْرَتِ الْحَرْبُ » لَمَّا كَانَ مُؤَدِّيًا مِنَ الْمَعْنَى مَا يُؤَدِّيه « حَمِيَّ الْوَطِيسِ » وَالْفَرْقُ
 بَيْنَهُمَا أَنَّ الْوَطِيسَ هُوَ التَّنُورُ . وَهُوَ مَوْطِنُ الْوَقُودِ وَمُجْتَمِعُ النَّارِ . وَذَلِكَ يَخْتَلِإُ إِلَى
 السَّمْعِ أَنَّ هُنَاكَ صُورَةَ شَبِيهَةٍ بِصُورَتِهِ فِي حَمِيَّهَا وَتَوَقُّدِهَا ، وَهَذَا لَا يَوْجَدُ فِي قَوْلِنَا

« اسْتَعَرَّتْ الْجَرْبُ » أو ماجرى مجراه . وكذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ »
 فقوله : « نفس الساعة » من العبارة العجيبة ، التي لا يقوم غيرها مقامها ، لأنَّ المراد
 بذلك أنه بُعثَ والساعة قريبةٌ منه ، لكنَّ قَرَبَهَا منه لا يدلُّ على ما دلَّ عليه النَّفْسُ ،
 وذلك أنَّ النفس يدلُّ على أن السَّاعَةَ منه بحيث يُحسُّ بها ، كما يحسُّ الإنسان بنفسه
 مَنْ هو إلى جانبه . وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موضع آخر « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »
 وجمع بين أَصْبُعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ، ولو قال : بُعِثْتُ عَلَى قُرْبٍ مِنَ السَّاعَةِ ، أو
 وَالسَّاعَةَ قَرِيبَةً مِنِّي ، لَمَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ نَفْسُ السَّاعَةِ ، وهذا لا يحتاجُ إلى
 الإطالةِ في بيانه ، لأنه بيِّنٌ واضحٌ .

وقد وردَ شَيْءٌ من ذلك في أقوال الشعراء المُفْلِقِينَ . ولقد تصفحتُ الأشعارَ
 قديمها وحديثها . وحفظتُ ما حفظتُ منها . وكنتُ إذا مررتُ بنظري في ديوانٍ من
 الدَّوَاوِينِ ، ويلوحُ لي فيه مِثْلُ هذه الألفاظِ أَجْدُهَا نَشْوَةَ كُنْشَوَةَ الخمرِ ، وطرباً
 كطربِ الأُلْحَانِ ، وكثير من الناظمين والنائِثِرِينَ يمرُّ على ذلك . ولا يتفطنُّ له سِوَى أَنَّهُ
 يَسْتَحْسِنُهُ ، من غير نظرٍ فيما نظرتُ أنا فيه ، ويظنُّه كغيره من الألفاظِ المستحسنة .
 فما جاء من ذلك قول أبي تمام (١) :

كَمْ صَارِمٍ عَصَبَ أَنَا فِ عَلَى قَفَاً مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَعْيِ حَمَالِ
 سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى ابْتَرَّهُ وَطَنُ النَّهْيِ مِنْ مَفْرَقٍ وَقَدَّالِ (٢)

فقوله : « وطنُ النهي » من الكلمات الجامعة ، وهي عبارة عن الرأس ، ولا يُجاءُ
 بمثلها في معناها مما يسدُّ مسدَّها . وكذلك وَرَدَ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ :

قَلْبٌ يُطَلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تُمْضِي الْأُمُورَ وَنَفْسٌ لَهْوَهَا التَّعَبُ (٣)

فقوله : « قلبٌ يطلُّ على أفكاره » من الكلمات الجوامع ، ومراده بذلك أن قلبه
 لا تملؤه الأفكارُ ، ولا تحيطُ به ، وإنما هو عالٍ عليها . يصفُ بذلك عدمَ احتفاله
 بالفوادح ، وقلةَ مبالاته بالخطوبِ ، التي تحدثُ أفكاراً تستغرقُ القلوبَ . وهذه
 عبارةٌ عجيبةٌ ، لا يُؤتَى بمثلها مما يسدُّ مسدَّها .

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٣

(٢) ابتزه : سلبه ، وطن النهي : الرأس ، المفرق : وسط الرأس ، القدال : مؤخره .

(٣) ديوان البحتري ٢٠٤ ، ورواية الديوان « يطل على أفكاره » .

وأما ما يأتي على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومي (٤) :

سَقَى اللهُ أوطاراً لنا ومَآرِباً تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَابِهَا مَا تَقَطَّعَا
ليالٍ تُنْسِنِي الليالي حِسَابَهَا بُلْهَنِيَّةٌ أَقْضَى بِهَا الحَوْلَ أَجْمَعَا
سِوَى عِزَّةٍ لا أَعْرِفُ اليَوْمَ بِاسْمِهِ وأَعْمَلُ فِيهِ اللَهُوَ مَرَأَى وَمَسْمَعَا

فقوله : « لا أعرفُ اليومَ باسمه » من الكلمات الجامعة ، أى أنى قد شُعِلَتْ
باللذاتِ عن معرفة الليالي والأيام . ولو وصفَ اشتغاله باللذاتِ مهما وصفَ لم يأت
بمثلِ قوله : « لا أعرفُ اليومَ باسمه » .

وأما القسمُ الثاني من جوامع الكلم ، فالمراد به الإيجاز ، الذى يُدَلُّ به بالألفاظِ
القليلة على المعاني الكثيرة ، أى أَنَّ أَلْفَاظَهُ - صلواتُ الله عليه - جامعةٌ للمعاني
المقصودة على إيجازها واختصارها . وجُلُّ كلامه جارٍ هذا المجرى فلا يحتاجُ إلى
ضَرْبِ الأمثلة به ، وسيأتى فى باب الإيجاز منه ما فيه كفايةٌ ومُقْنِعٌ .

فإن قيل : فما الفرقُ بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما ، فإنهما فى النظرِ سواءٌ ؟
قلتُ فى الجواب : إنَّ الإيجازَ هو أنْ يُؤْتَى بِالْفَظِّ دَالَةً عَلَى مَعْنَى ، مِنْ غَيْرِ أَنْ
تَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَلا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَفْظَانِ أَنَّهَا لَانظِيرَ لَهَا ، فَإِنِهَا تَكُونُ قَدْ
اتَّصَفَتْ بِوَصْفِ آخَرَ خَارِجٍ عَنِ وَصْفِ الْإِيجَازِ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيجَازاً وَزِيَادَةً ، وَأَمَّا
هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ ، فَإِنَّهُ أَلْفَاظُ أَفْرَادٍ فِي حَسَنِهَا لَانظِيرَ لَهَا ، فَتَارَةٌ تَكُونُ مَوْجِزَةً .
وَتَارَةٌ لَاتَكُونُ مَوْجِزَةً ، وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا الْإِيجَازُ ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مَكَانُهَا مِنَ الْحُسْنِ
الذى لَانظِيرَ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَامٍ : « وَطَنُ النَّهْيِ » ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ
عَنِ الرَّأْسِ ، وَلا شَكَّ أَنَّ الرَّأْسَ أَوْجِزٌ . لِأَنَّ الرَّأْسَ لَفْظَةً وَاحِدَةً . وَ« وَطَنُ النَّهْيِ »
لَفْظَتَانِ ، إِلا أَنَّ « وَطَنُ النَّهْيِ » أَحْسَنُ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الرَّأْسِ مِنَ الرَّأْسِ . فَبِإِنْ بَهَذَا
أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ غَيْرِ الْآخَرِ .

(٤) ديوان ابن الرومي ٢٩٩ وروى صدر البيت الثالث في الديوان هكذا « سدى غرة لأعرف اليوم

الفصل السادس

فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن

قال النبىُّ ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فهو أحقُّ بها إذا وجدها » والمرادُ بذلك أن الحكمة قد يستفيدُها أهلها من غير أهلها ، كما يُقال : « رَبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ » وهذا لا يَخْصُّ علماً واحداً من العلوم . بل يقعُ فى كلِّ علم ، والمطلوبُ منه ها هنا هو ما يَخْصُّ علمَ البيان من الفصاحةِ والبلاغةِ دونَ غيره .

ومذ سمعتُ هذا الخبر النبوى جعلتُ كَدِّي فى تتبُّعِ أقوالِ الناسِ فى مُفاوضاتهم ومحاوراتهم ، فإنه قد تَصَدَّرُ الأَقوالُ البليغة والحكمُ والأمثالُ ممَّن لا يعلم مقدار مايقوله ؛ فاستفدتُ بذلك فوائدَ كثيرةً ، لا أحصرُها عدداً . وأنا أذكرُ منها طرفاً ، يُسْتَدَلُّ به على أشباهه ونظائره .

فمن ذلك أنى سِرْتُ فى بعضِ الطُّرُق ، وفى صُحْبَتى رجلٌ بدوىٌّ من الأَنْبَاطِ (٥) لا يُعْتَدُّ بقوله ، فكان يقولُ : « غداً ندخلُ البلد ، وتشغلُ عنى » . وكان الأمرُ كما قال ، فدخلتُ مدينةَ حَلَبَ ، وشُغِلْتُ عنه أياماً ، ثم لَقَيْتَنِى ، فقال لى : « مَنْ تَرَوِّى فَرَّتْ عِظَامُهُ » ، وهذا القولُ من الأَقوالِ البليغة . وهى من الحِكْمَةِ التى هى الضالَّةُ المطلوبة عندَ مُؤمِنِى الفصاحةِ والبلاغةِ .

ثم إنى سمعتُ منه بعد ذلك شيئاً يناسبُ قوله الأوَّلُ ، فإنى سَفَرْتُ لَهُ إلى صاحبِ فى حَلَبَ فى شىءٍ أخذتهُ منه فاستقلَّه ، وقال : « الماءُ أَرَوِّى لشُدوقِ النَّيبِ » . وهذا أيضاً من الحِكْمَةِ فى بابها .

وسافرتُ مرَّةً أخرى على طريقِ المناظرِ وكان فى صُحْبَتى رجلٌ بدوىٌّ ، فسألتهُ عن مسافةِ ماين تدمرُ (٦) وأراك (٧) ، فقال : إذا « خرج سَرَّحَاهما تلاقياً » فعبر عن قَرَبِ المسافةِ بينهما بأَوْجَزِ عبارة وأبلغها .

(٥) النبط والنبيط والأنباط جبل ينزلون بالبطائح بين العراقين (القاموس ٢/٣٨٧) .

(٦) تدمر مدينة مشهورة فى بركة الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام . وهى قرية من حمص .

(٧) أراك ، وادى الأراك قرب مكة .

ثم سألته ليلةً من الليالي عن الصَّبح لَنرتحلَ عن موضعنا ، فقال : « قد ظهر الصَّبحُ إلا أنه لم يملكِ الإنسانُ بصرَه » ، وهذا القولُ من الحكمة أيضاً .
 وكان تزوَجَ غلامٌ من غِلْماني بدمشقَ ، فوَقعتِ المرأةُ منه بموقعٍ ، وشغِفَ بها ثم سافرتُ عن دِمَشقٍ لهممٌ عَرَّضَ لى ، وسافرَ ذلك الغلامُ فى صُحبتى ، فلَمَّا عُدنا من السَّفَرِ شغِلَ بامرأته ، والمقامَ عندها ، فسألتُه عن حاله ، فقال : إنها قد طالتُ وَحَسُنَتْ ، وهى كذا وكذا ، وأخذَ يصفُها ، فقال أخُ له كان حاضراً : يامولاي هى تلكَ لم تزدُ شيئاً ، وإنما هى فى عَيْنِه جبارٌ من الجبارة !

وهذا القولُ قد وَرَدَ فى بعضِ أبياتِ الحماسةِ ، وهو معدودٌ من أبياتِ المعاني :
 أهابك إجلالا وما بكِ قدرةٌ علىَّ ولكنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيْبُهَا^(٨)
 فكثيراً ما يصدُرُ مثلُ هذه الأقوالِ عن ألسنةِ الجهَّالِ .

وسمعتُ ما يجرى هذا المجرى من بعضِ العبيدِ الأحابيشِ الذين لا يستطيعون تقويمَ صَنِيعِ الألفاظِ ، فضلاً عمَّا وراءَ ذلك . وذلك أنه رأى صَبِيًّا فى يده طاقةٌ رِيحانٌ . فقال : « هذه طاقةٌ آسٍ تحملُ طاقةَ رِيحانٍ » . فلَمَّا سمعتُ ذلكَ منه أخذتُ هِزَّةَ التَّعَجُّبِ ، وذكرتُ شعرَ أبى نُوَاسٍ الذى تَوَاصَفَه الناسُ فى هذا المعنى ، وهو قوله :

وَوَرْدَةٌ جَاءَ بِهَا شَادِنٌ فى كفه البنى فحيانا
 سَبَحْتُ رَبِّى حِينَ أَبْصَرْتُهَا رِيحانةٌ تحمِلُ رِيحاناً

وحضِرَ عندى فى بعضِ الأيامِ رجلٌ نصرانىٌّ موسومٌ بالطب ، وكان لا يُحسِنُ أن يقولَ كلمةً واحدةً ، وهو أَقْلَفُ اللسانِ ، يسميهِ العبارةُ ، فسألتُه عن زيارةِ شخصٍ ، وهل يتردُّ إليه أم لا ؟ فقال : « ظلامُ اللَّيْلِ يَهْدِينِي إلى بَابِ مَنْ أَوْدُهُ ، وضوءُ النَّهارِ بَضَلَّ بِي عَنْ بَابِ مَنْ لا أَوْدُهُ » وهذا من أَلطَفِ المعاني وَأَحْسَنِهَا ، وهو من الحكمةِ المطلوبةِ .

وكنْتُ قصدتُ زيارةَ بعضِ الإخوانِ من الأجنادِ وهو من الأَغْثامِ^(٩) الأَعْجامِ ، فسألتُه عن حاله ، وكان تَوالتَّ عليه نكباتٌ طالتُ أَيامُها ، وعظمتُ

(٨) ديوان الحماسة ١٣١/٢

(٩) جمع أغم ، وهو من لا يفصح شيئاً .

آلامها ، فقال لى فى الجواب ما معناه : إنه لم يبقَ عندى ارتياحٌ لوقوع نائبةٍ من النوائب . وهذا معنى لو أتى به شاعرٌ مُفلقٌ ، أو كاتبٌ بليغٌ ، لاستحسن منه غاية الاستحسان .

وكنتُ فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرضِ فلسطين ، فى الجيش الذى كان قبالة العدو الكافر من الفرنج ، لعنهم الله ، وتقابل الفريقان على مدينة « يافا » وكان إلى جانبى ثلاثة فرسانٍ من المسلمين ، فتعاقدوا على الحملة إلى نحو العدو ، فلما حملوا صدق منهم اثنان ، وتلكاً واحداً ، فقيل له فى ذلك ، فقال : « الموتُ طعامٌ لآتحشه (١٠) . فلما سمعتُ هذه الكلمة استحسنتها وإذا هى صادرةٌ عن رجلٍ من أهل « بصرى » قدم (١١) من الأقدام .

ولو أخذتُ فى ذكر ما سمعته من هذا لأطلتُ ، وإنما دللتُ بيسير ما ذكرته على المراد ، وهو أنه يجبُ على المتصدى للشعر والخطابة أن يتبعَ أقوالَ الناسِ فى محاوراتهم ، فإنه لا يعدمُ ممَّا يسمعه منهم حكماً كثيرة ، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه .

ويُحكى عن أبى تمامٍ أنه لما نظمَ قصيدته البائية التى أولها :
* على مثلها من أربع وملاعب (١٢) * .

انتهى منها إلى قوله :

يرى أفبحَ الأشياءِ أوبةَ أملٍ كسسته يدُ المأمولِ حلةَ خائبٍ
ثم قال : * وأحسنُ من نورٍ يفتحه الصبا * .

ووقفَ عند صدرِ هذا البيتِ يردده ، وإذا سائلٌ يسألُ على البابِ ، وهو يقولُ :
« من بياضِ عطاياكم فى سوادِ مطالبينا » ، فقال أبو تمامٍ :

* بياضِ العطايا فى سوادِ المطالبِ * .

فأتمَّ صدرَ البيتِ الذى كان يردده من كلامِ السائلِ .

(١٠) يقال : جشه أى دقه وكسره .

(١١) القدم العبي عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والغليظ الأحمق الجافى .

(١٢) ديوانه ٤٠ ، وعجز البيت . أذيلت مصونات الدموع السواكب . وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا

دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وهى من عيون قصائده .

وسمعتُ امرأةً قد تُوفِّي لها ولد . وهو بِكْرُهَا الذي هو أَوَّلُ أَوْلَادِهَا ، فقالت : كيفَ لا أَحْزَنُ لذهابِهِ . وهو أَوَّلُ دِرْهَمٍ وَقَعَ في الكيسِ ؟ فأخذتُ أَنَا هذا المعنى . وَأَوْدَعْتُهُ كِتَاباً من كِتَابِي في التَّعَاذِي ، وهو كِتَابٌ كَتَبْتُهُ إلى بَعْضِ الإِخْوَانِ ، وقد تُوفِّي بِكْرُهُ من الأَوْلَادِ ، فقلتُ : « وهو أَوَّلُ دِرْهَمٍ ادَّخَرْتُهُ في كِيسِ الادِّخَارِ ، وَأَعَدَدْتُهُ لِحَادِثِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ » .

وَبَلَّغْنِي عن الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ [عبد الله بن (١٣)] أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ المعروفِ بِابْنِ الحِشَابِ البَغْدَادِيِّ ، وَكَانَ إِمَاماً في عِلْمِ العَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ كَثِيراً مَا يَقِفُ عَلَى حِلْقِ القَصَاصِ والمُشْعَبِذِينَ ، فَإِذَا أَتَاهُ طَلِبَةُ العِلْمِ ، لَا يَجِدُونَهُ في أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ إِلاَّ هُنَاكَ ، فَلَيِّمَ عَلَى ذَلِكَ ، وَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ إِمَامُ النَّاسِ في العِلْمِ ، وَمَا الَّذِي يَبْعَثُكَ عَلَى الوُقُوفِ بِهَذِهِ المَوَاقِفِ الرَّذِيئَةِ ؟ فَقَالَ : « لو عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لِمَا لُمْتُمْ ! وَلَطَالَمَا اسْتَفَدْتُ من هَؤُلَاءِ الجُهَّالِ فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ ، تَجْرِي في ضِمْنِ هَذِيكُم مَعَانَ غَرِيبَةٍ لَطِيفَةٍ ، وَلَوْ أَرَدْتُ أَنَا أَوْ غَيْرِي أَنْ نَأْتِيَ بِمِثْلِهَا لِمَا اسْتَطَعْنَا ذَلِكَ » . وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ رَأَى مَا رَأَيْتُهُ ، وَنَظَرَ إلى مَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ .

الفصل السابع

في الحقيقة والمجاز

وهذا الفصلُ مهمٌّ كبيرٌ من مَهَمَّاتِ عِلْمِ البَيَانِ ، لَا بَلْ هُوَ عِلْمُ البَيَانِ بِأَجْمَعِهِ ، فَإِنَّ في تَصْرِيفِ العِبَارَاتِ عَلَى الأَسْلُوبِ المِجَازِيِّ فَوَائِدَ كَثِيرَةً ، وَسِيرِدَ بَيَانِهَا في مَوَاضِعِهَا من هَذَا الكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . وَقَدْ تَبَّهْنَا في هَذَا المَوْضِعِ عَلَى جُمْلَتِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .

فَأَمَّا (الحَقِيقَةُ) فَهِيَ اللفظُ الدَّالُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ الأَصْلِيِّ .
وَأَمَّا (المِجَازُ) فَهُوَ مَا أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ المعْنَى المَوْضُوعِ لَهُ في أَصْلِ اللُّغَةِ ، وَهُوَ مَا خُوذَ مِنْ جِازٍ مِنْ هَذَا المَوْضِعِ إِلَى هَذَا المَوْضِعِ ، إِذَا تَخَطَّاهُ إِلَيْهِ .
فالمِجَازُ إِذَا اسْمٌ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُجَازُ فِيهِ ، كَالْمَعَاجِ والمَزَارِ وَأَشْبَاهِهَا . وَحَقِيقَتُهُ

(١٣) زيادة ليست في الأصل صححنا بها الاسم ، وقد سبقت ترجمته في صفحة ٥٠

هي الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ ، فُجِعِلَ ذَلِكَ لنقل الألفاظ من محلٍّ إلى محلٍّ .
كقولنا زيدٌ أسدٌ . فإنَّ زيداَ إنسانٌ . والأسد هو هذا الحيوانُ المعروفُ . وقد جُزْنَا من
الإنسانيةِ إلى الأسديةِ ، أى عبّرنا من هذه إلى هذه لوصلةِ بينهما ، وتلك الوصلةُ هي
صفةُ الشجاعةِ .

وقد يكونُ العبورُ لغيرِ وُصلةٍ ، وذلك هو (الاتّساع) كقولهمُ في كتابٍ « كليلَةٌ
ودمنةٌ » قال الأسدُ ، وقال الثعلبُ . فإنَّ القولَ لا وُصلةَ بينه وبين هذين بحالٍ من
الأحوال ، وإنَّما أُجْرِيَ عليهما اتساعاً محضاً لا غيرُ .

ولهذا مثالٌ في المجاز الحقيقيِّ الذى هو المكانُ المجازُ فيه ، فإنَّه لا يخلو إماماً أن يُجَازَ
من سهلٍ إلى سهلٍ ، أو من وعْرٍ إلى وعْرٍ ، أو من سهلٍ إلى وعْرٍ ، فالجوازُ من سهلٍ
إلى سهلٍ أو من وعْرٍ إلى وعْرٍ ، هو كقولنا زيدٌ أسدٌ ، فالمشابهةُ حاصلةٌ في ذاتِ بينهما
كالمشابهةِ الحاصلةِ فى المكانِ . والجوازُ من سهلٍ إلى وعْرٍ كقولهم : قال الأسدُ ، وقال
الثعلبُ . فكما أنه لا مشابهةَ بين القولِ وبين هذين ، فكذلك لا مُشابهةَ بين السهلِ
والوعْرِ . وسيأتى كشفُ الغطاءِ عن ذلك ؛ وإشباعُ القولِ فى تحقيقه فى باب
(الاستعارة) فليؤخَذْ من هناك .

وقد ذهب قومٌ إلى أن الكلامَ كلُّهُ حقيقةٌ لا مجازٌ فيه ، وذهب آخرونَ إلى أنه كلُّهُ
مجازٌ ، لا حقيقةٌ فيه . وكلا هذين المذهبين فاسدٌ عندى ، وسأجيبُ الخصمَ عما
ادَّعاهُ فيهما ، فأقول : محلُّ النزاعِ هو أن اللغةَ كلُّها حقيقةٌ . أو أنها كلُّها مجازٌ ، ولا
فرقَ عندى بين قولك إنها كلُّها حقيقةٌ ، أو إنها كلُّها مجازٌ ، فإنَّ كلا الطرفينِ عندى
سواءٌ ، لأنَّ مُنكَرهما غيرُ مُسَلَّمٍ لهما . وأنا بصددِ أن أبينَ أنَّ فى اللغةِ حقيقةٌ ومجازاً .
و (الحقيقةُ اللُّغويةُ) ، هي حقيقةُ الألفاظِ فى دلالتها على المعانى ، وليستُ
بالحقيقةِ التى هي ذاتُ الشيءِ ، أى نفسه وعينه . فالحقيقةُ اللفظيةُ إذاً هي دِلالةُ
اللفظِ على المعنى الموضوعِ له فى أصلِ اللغةِ . والمجازُ هو نقلُ المعنى عن اللفظِ
الموضوعِ له إلى لفظٍ آخرَ غيره .

وتقرِّرُ ذلكَ بأنَّ أهولَ : المخلوقاتُ كلُّها تفتقرُ إلى أسماءٍ يُستدلُّ بها عليها ، يُعرَفُ
كل منها باسمه ، من أجلِ التفاهمِ بين الناسِ ، وهذا يقعُ ضرورةً لأبَدٍ منها ، فلا سُمُّ
الموضوعِ بإزاءِ المسمى هو حقيقةٌ له ، فإذا نُقلَ إلى غيره صار مجازاً .

ومثال ذلك أننا إذا قلنا « شمس » أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء ، وهذا الاسم له حقيقة ، لأنه وضع بإزائه . وكذلك إذا قلنا « بحر » أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح ؛ وهذا الاسم له حقيقة ، لأنه وضع بإزائه . فإذا نقلنا « الشمس » إلى « الوجه المليح » استعارةً كان ذلك له مجازاً لا حقيقة . وكذلك إذا نقلنا « البحر » إلى « الرجل الجواد » استعارةً كان ذلك له مجازاً لا حقيقة .

فإن قيل : إن « الوجه المليح » يقال له « شمس » وهو حقيقة فيه ، وكذلك « البحر » يقال للرجل الجواد ، وهو حقيقة فيه . فالجواب عن ذلك من وجهين أحدهما نظريٌّ . والآخر وضعيٌّ .

أما النظريُّ فهو أن الألفاظ إنما جعلت أدلةً على إفهام المعاني ، ولو كان ما ذهبت إليه صحيحاً لكان « البحر » يطلق على هذا الماء العظيم المليح ، وعلى الرجل الجواد بالاشتراك . وكذلك الشمس أيضاً ، فإنها كانت تطلق على هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء ، وعلى الوجه المليح بالاشتراك ، وحينئذٍ إذا ورد أحد هذين اللفظين مطلقاً بغير قرينة تخصّصه ، فلا يفهم المرادُ به ما هو من أحد المعنيين المشتركين المندرجين تحته ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ، فإننا إذا قلنا « شمس » أو « بحر » وأطلقنا القول لا يفهم من ذلك وجهٌ مليحٌ ، ولا رجلٌ جوادٌ ، وإنما يفهم منه ذلك الكوكبُ المعلوم ، وذلك المساءُ المعلوم لا غير . فبطلَ إذاً ما ذهبت إليه بما بيناه وأوضحناه .

فإن قلت : إن العُرفَ يخالف ما ذهبت إليه ، فإن من الألفاظ ما إذا أُطلق لم يذهب الفهم منه إلا إلى المجاز دون الحقيقة ، كقولهم : « الغائط » فإن العُرفَ خصّص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الأرض .

قلت في الجواب : هذا شيء ذهب إليه الفقهاء ، وليس الأمر كما ذهبوا إليه ، لأنه إن كان إطلاق اللفظ فيه بين عامّة الناس من إسكافٍ ، وحدادٍ ونجّارٍ ، وخبّازٍ ، ومن جرى مجراهم ، فهؤلاء لا يفهمون من « الغائط » إلا قضاء الحاجة ، لأنهم لم يعلموا أصل وضع هذه الكلمة ، وأنها مطمئن من الأرض . وأما خاصّة الناس ، الذين يعلمون أصل الوضع ، فإنهم لا يفهمون عند إطلاق اللفظ إلا

الحقيقة لا غير، ألا ترى أن هذه اللفظة لما وَرَدَتْ في القرآن الكريم، وأريدَ بها قضاء الحاجة قُرِنَتْ بِالْفَافِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» (١) فَإِنْ قَوْلُهُ: «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ، دُونَ الْمَطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ، فَالْكَلَامُ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ عِلْمِ أَصْلِ الْوَضْعِ حَقِيقَةٌ وَالنَّقْلُ عَنْهُ مَجَازٌ، وَأَمَّا الْجُهَالُ فَلَا اعْتِبَارَ بِهِمْ، وَلَا اعْتِدَادَ بِأَقْوَاهُمْ، وَالْعَجْبُ عِنْدِي مِنَ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ دَوَّنُوا ذَلِكَ عَلَى مَا دَوَّنُوهُ، وَذَهَبُوا إِلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الْوَجْهُ الْوَضْفِيُّ فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ إِلَى أَصْلِ اللَّغَةِ، الَّتِي هِيَ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمَسْمِيَّاتِ، وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهَا أَنَّ الْوَجْهَ الْمَلِيحَ يُسَمَّى شَمْسًا، وَلَا أَنَّ الرَّجْلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى مَجْرًا، وَإِنَّمَا أَهْلُ الْخَطَابَةِ وَالشُّعْرُ تَوَسَّعُوا فِي الْأَسَالِبِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَنَقَلُوا الْحَقِيقَةَ إِلَى الْمَجَازِ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ وَاضِعِ اللَّغَةِ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ. وَلِهَذَا اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمُ بِشَيْءٍ اخْتَرَعَهُ فِي التَّوَسُّعَاتِ الْمَجَازِيَّةِ.

هَذَا أَمْرٌ الْقَيْسِ قَدْ اخْتَرَعَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ، فَفِي ذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَبَّرَ عَنِ الْفَرَسِ بِقَوْلِهِ: «قَيْدِ الْأَوَابِدِ» (٢) وَلَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «الآنَ حَمِيَّ الْوَطَيْسِ» وَأَرَادَ بِذَلِكَ شِدَّةَ الْحَرْبِ، فَإِنَّ الْوَطَيْسَ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ هُوَ التَّنَوُّرُ، فَنَقَلَ إِلَى الْحَرْبِ اسْتِعَارَةً، وَلَمْ يُسْمَعْ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَاضِعُ اللَّغَةِ مَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

فَعَلِمْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ مِنَ اللَّغَةِ حَقِيقَةً بَوْضَعَهُ، وَمَجَازًا بِتَوَسُّعَاتِ أَهْلِ الْخَطَابَةِ وَالشُّعْرِ. وَفِي زَمَانِنَا هَذَا قَدْ يَخْتَرَعُونَ أَشْيَاءَ مِنَ الْمَجَازِ عَلَى حُكْمِ اسْتِعَارَةِ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مَوْقُوفًا مِنْ جِهَةِ وَاضِعِ اللَّغَةِ لَمَا اخْتَرَعَهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا زِيدَ فِيهِ، وَلَا نَقِصَ مِنْهُ.

(١) سورة المائدة . آية ٦ (٢) من بيته المشهور في -معلقته :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل =

وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ ، فَهُوَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ جَارِيَةٌ عَلَى الْعُمُومِ فِي نِظَائِرِ . أَلَا تَرَى أَنَّا إِذَا قُلْنَا : « فُلَانٌ عَالِمٌ » صَدَقَ عَلَى كُلِّ ذِي عِلْمٍ ، بِخِلَافِ « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » (٣) لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِي بَعْضِ الْجَمَادَاتِ دُونَ بَعْضٍ ، إِذِ الْمُرَادُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ ، لِأَنَّهُمْ مِمَّنْ يَصِحُّ السُّؤَالُ لَهُمْ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : وَاسْأَلِ الْحَجَرَ وَالتُّرَابَ ، وَقَدْ يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : وَاسْأَلِ الرَّبِيعَ وَالتَّلَلَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَجَازٍ فَلَهُ حَقِيقَةٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَجَازِ إِلَّا لِنَقْلِهِ عَنِ حَقِيقَةٍ مَوْضُوعَةٍ لَهُ ، إِذِ الْمَجَازُ هُوَ اسْمٌ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَجُعِلَ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى غَيْرِهَا .

وَإِذَا كَانَ كُلُّ مَجَازٍ لَا يَدُ لَهُ مِنْ حَقِيقَةٍ نُقِلَ عَنْهَا إِلَى حَالَتِهِ الْمَجَازِيَّةِ ، فَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ ضَرُورَةٍ كُلِّ حَقِيقَةٍ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَجَازٌ ، فَإِنَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا مَجَازَ لَهُ ، كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ ، لِأَنَّهَا وُضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الذُّوَاتِ ، لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ .

وَكَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَجَازَ أَوْلَى بِالِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ الْفِصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ (٤) ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَتِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ أَوْلَى مِنْهُ ، حَيْثُ هُوَ فَرَعٌ عَلَيْهَا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ الْخَطَائِيَّ هُوَ إِثْبَاتُ الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ ، حَتَّى يَكَادُ يُنْظَرُ إِلَيْهِ عِيَانًا .

أَلَا تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : « زَيْدٌ أَسَدٌ » هِيَ قَوْلُنَا : « زَيْدٌ شَجَاعٌ » لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ ، وَإِثْبَاتِ الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ

== وَالْأَوَابِدُ جَمْعُ أَبْدَةِ الْوَحْشِ ، قَالَ أَبُو هِلَالٍ : وَالْحَقِيقَةُ مَانِعُ الْأَوَابِدِ مِنَ الذَّهَابِ وَالْإِفْلَاتِ ، وَالِاسْتِعَارَةُ أْبْلَغُ ؛ لِأَنَّ الْقَيْدَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ تَمَنُّعٍ عَنِ التَّصَرُّفِ ، لِأَنَّكَ تَشَاهَدُ مَا فِي الْقَيْدِ مِنَ الْمَنْعِ ، فَلَسْتَ تَشْكُ فِيهِ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ : آيَةٌ ٨٢

(٤) هَذَا رَأْيٌ مِنَ الْأَكْرَاءِ الشَّائِعُ ، وَلَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْبَلَاغَةُ مُطَابَقَةً لِمَقْتَضَى الْحَالِ ، كَانَتِ الْبَلَاغَةُ فِي الْمَجَازِ كَمَا تَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوَدِّ الْمَجَازُ غُرُضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لَا تُوَدِّيهِ الْحَقِيقَةُ لَكَانَتِ الْحَقِيقَةُ أَوْلَى مِنْهُ بِالِاسْتِعْمَالِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ نَفْسَهُ فِيمَا يَلِي بَعْضَ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يَفْضِلُ بِهَا الْمَجَازَ الْحَقِيقَةَ ؛ وَعَادَ إِلَى الرَّأْيِ الَّذِي قُلْنَا .

قولنا : « زيد شجاع » لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجلٌ جرىءٌ مقدّمٌ ، فإذا قلنا « زيد أسد » يتخيل عند ذلك صورة الأسد وهيئته ، وما عنده من البطش والقوة ودقّ الفرائس ، وهذا لا نزاع فيه . وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى أنها ليسمحُ بها البخيلُ ، ويشجعُ بها الجبان ، ويحكمُ بها الطائشُ المتسرعُ ، ويجد المخاطبُ بها عند سماعها نشوةً كنشوة الخمر ، حتى إذا قطع عنه ذلك الكلامُ أفاق وندم على ما كان منه من بذلِ مالٍ ، أو تركِ عُقوبة ، أو إقدام على أمرٍ مهولٍ . وهذا هو مَحْوَى السَّحْرِ الحلال ، المستغنى عن إلقاء العَصَا والحبال .

واعلم أنه إذا وردَ عليك كلامٌ يجوز أن يُحمَلَ معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه ، فانظر ، فإن كان لا مزيةَ لمعناه في حمّله على طريق المجاز ، فلا ينبغي أن يُحمَلَ إلا على طريق الحقيقة ، لأنها هي الأصلُ ، والمجاز هو الفرع ، ولا يُعدّلُ عن الأصلِ إلى الفرع إلا لفائدةٍ مثالُ ذلك قولُ البُحترى :
 مهيبٌ كحدِّ السيفِ لو ضربتَ به ذراً أجاً ظلت وأعلامها وهُدً^(٥)
 ويروى أيضاً « لو ضربتَ به طلىً أجاً » جمع طليّة . وهي العنق . فهذا البيتُ لا يجوزُ حمّله على المجاز . لأنّ الحقيقةَ أولى به ألا ترى أن « الذراً » جمع « ذرّوة » وهو أعلى الشيء ، يقال : ذرّوة الجبل أعلاه . والطلّى جمع طليّة وهي العنق ، والعنق أعلى الجسد ؛ ولا فرقَ بينهما في صفة العلوّ هنا ، فلا يُعدّلُ إذاً إلى المجاز ، إذ لا مزيةَ له على الحقيقة .

وهكذا كلُّ ما يجيءُ من الكلامِ الجارى هذا المجرى ، فإنه إن لم يكن في المجاز زيادةٌ فائدةً على الحقيقة لا يُعدّلُ إليه . . .

(٥) ديوان البُحترى ١١٠/١ وأجاً أحد جبلٍ طيءٍ أجاً وسلمى ، والوهد والوهدة الأرض المنخفضة والهوة في الأرض ، والبيت من قصيدته التي يصف فيها الذئب حين لقيه ، ورواية الديوان :
 مهيباً كمنصل السيف لو ضربت به ذراً أجاً ضلت وأعلامها وهُد
 وقيله :

بني ناهل مهلا فإن ابن أحتكم له عزمات - هزل آرائها جد
 من هجمتوه لاتبهجوا سوى الردى وان كان خرقا مايجل له عقد

الفصل الثامن

في الفصاحة والبلاغة

اعلم أن هذا بابٌ متعذرٌ على الواجِبِ ، ومسلِكٌ متوعرٌ على الناهِجِ ، ولم يَزَلْ العلماءُ من قديمِ الوقتِ وحديثه يكثرُونَ القولَ فيه ، والبحثَ عنه ، ولم أجِدْ من ذلك ما يعوّلُ عليه إلا القليلُ .

وغاية ما يقالُ في هذا البابِ أن « الفصاحة » هي الظهورُ والبيانُ في أصلِ الوضعِ اللغويِّ ، يقال « أَفْصَحَ الصُّبْحُ » إذا ظهرَ ، ثم إنَّهم يقفونَ عند ذلك ، ولا يكشفونَ عن السرِّ فيه .

وبهذا القولِ لا تبيِّنُ حقيقةَ الفصاحةِ ، لأنَّه يُعترضُ عليه بوجوهٍ من

الاعتراضاتِ :

أحدهما : أنَّه إذا لم يكن اللفظُ ظاهراً بينا لم يكن فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبيَّن

صار فصيحاً .

الوجهُ الآخرُ : أنَّه إذا كان اللفظُ الفصيحُ هو الظاهرُ البينُ ، فقد صارَ ذلك

بالنسبِ والإضافاتِ إلى الأشخاصِ ، فإنَّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ، ولا يكونُ

ظاهراً لعمرو . فهو إذاً فصيحٌ عند هذا ، وغيرُ فصيحٍ عند هذا . وليسَ كذلك ، بل

الفصيحُ هو فصيحٌ عند الجميعِ ، لا خلافَ فيه بحالٍ من الأحوالِ ؛ لأنَّه إذا تحقَّقَ

حدُّ الفصاحةِ ، وعُرفَ ماهيُّ ، لم يَبقَ في اللفظِ الذي يختصُّ به خلافُ .

الوجهُ الثالثُ : أنَّه إذا جرى بلفظٍ قبيحٍ يَنبُو عنه السمعُ ، وهو معَ ذلك ظاهرٌ

بينٌ ، ينبغي أن يكونَ فصيحاً ، وليسَ كذلك . لأنَّ الفصاحةَ وَصْفُ حُسْنِ اللفظِ لا

وَصْفُ قبحِ .

فهذه الاعتراضاتُ الثلاثةُ واردةٌ على قولِ القائلِ : إن اللفظَ الفصيحَ هو الظاهرُ

البينُ ، من غيرِ تفصيلِ .

ولمّا وقفت على أقوالِ الناسِ في هذا البابِ ملكتني الحيرةُ فيها ، ولم يثبتْ عندى منها ما أُعولَ عليه ، ولكثرةِ ملبستى هذا الفن ، ومعاركتى إيّاه ، انكشفَ لى السرُّ فيه ، وسأوضّحه في كتابي هذا ، وأحقّقُ القولُ فيه ، فأقولُ :

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البينُ ، وأعنى بالظاهرِ البينِ أن تكونَ ألفاظُهُ مفهومةً ، لا يُحتاجُ في فهمها إلى استخراجٍ من كتابٍ لُغَةٍ . وإنّما كانت بهذه الصفة ، لأنّها تكونُ مألوفةً الاستعمالِ بينَ أربابِ النظم والنثر ، دائرةً في كلامهم . وإنّما كانت مألوفةً الاستعمالِ دائرةً في الكلام دونَ غيرها من الألفاظِ لمكانِ حُسْنِها . وذلكَ أنَّ أربابَ النظم والنثرَ غرّبوا اللُغَةَ باعتبارِ ألفاظِها ، وسبّروا وقسموا ، فاختاروا الحسنَ من الألفاظِ فاستعملوه . ونفوا القبيحَ منها فلم يستعملوه فحسُنُ الألفاظِ (١) سببُ استعمالها دونَ غيرها ، واستعمالها دونَ غيرها سببُ ظهورها وبيانها ، فالفصيحُ إذاً من الألفاظِ هو الحسنُ .

فإن قيلَ : من أيِّ وجهٍ علِمَ أربابُ النظم والنثر الحسنَ من الألفاظِ حتى استعملوه ، وعلموا القبيحَ منها حتى نفوه ولم يستعملوه ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ هذا من الأمورِ المحسوسة ، التي شاهدها من نفسها : لأنَّ الألفاظَ داخلةً في حيزِ الأصواتِ ؛ فالذي يستلذهُ السمعُ منها ، ويميلُ إليه هو الحسنُ ، والذي يكرهه وينفرُ عنه هو القبيحُ .

ألا ترى أن السمعَ يستلذُّ صوتَ البُلبُلِ من الطَّيرِ ، وصوتَ الشَّحرورِ ، ويميلُ إليهما ، ويكرهُ صوتَ الغرابِ وينفرُ عنه ، وكذلك يكرهُ نهيقَ الحمارِ ولا يجدُ ذلكَ في صهيلِ الفرسِ ؟ والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرى ، فإنّه لا خلافَ في أنَّ لفظةَ « المزنّة » و « الديمة » حسنةٌ يستلذُّها السمعُ ، وأنَّ لفظةَ « البُعاق » قبيحةٌ يكرهها السمعُ . وهذه اللفظَاتُ الثلاثةُ من صِفةِ المطرِ ، وهي تدلُّ على معنى واحدٍ ، ومع هذا فإنّك ترى لفظتى « المزنّة » و « الديمة » وما جرى مجراها مألوفةً الاستعمالِ ، وترى لفظ « البُعاق » وما جرى مجراه متروكاً لا يُستعملُ وإن استعمل ، فإنّما

(١) في الأصل « وحسن الاستعمال » وهو تكرارٌ يختل به المعنى .

يستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة ، أو من ذوقه غير سليمٍ لا جرم أنه ذمٌ وقدح فيه ، ولم يلتفت إليه ، وإن كان عريباً محضاً من الجاهلية الأقدمين . فإن حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوف عندها ، ولم يعرج على ما خرج عنها .

وإذن ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين . وإنما كان ظاهراً بيناً ، لأنه مألوف الاستعمال . وإنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه ، وحسنه مدركٌ بالسمع . والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ ، لأنه صوتٌ يأتلف عن مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبيح . والحسن هو الموصوف بالفصاحة ، والقبيح غير موصوفٍ بفصاحةٍ ، لأنه ضدها لمكان قبحه . وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة « المزنة » و « الديمة » ولفظة « البعاق » .

ولو كانت الفصاحة لأمرٍ يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة عليه سواء ، ليس منها حسنٌ ومنها قبيحٌ . ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى .

وليس لقائل هاهنا أن يقول : لا لفظ إلا بمعنى ، فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى ؟ فإني لم أفصل بينهما ، وإنما خصصت اللفظ بصفة هي له ، والمعنى يجيء فيه ضمناً وتبعاً .

الوجه الثاني أن وزن « فعيل » هو اسم فاعل من « فعل » بفتح الفاء وضم العين ، نحو كرم فهو كريم . وشرف فهو شريف ، ولطف فهو لطيف ، وهذا مطرد في بابه وعلى هذا فإن اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح ، واللفظ هو الفاعل للإبانة عن المعنى ، فكانت الفصاحة محتصةً به .

فإن قيل : إنك قلت : إن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين ، أي المفهوم ، ونرى أن من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنته من المعنى إلا باستنباطٍ وتفسير ، وتلك الآيات فصيحة لا محالة ، وهذا بخلاف ما ذكرته .

قلت : لأن الآيات التي تستنبط ، وتحتاج إلى تفسير ، ليس شيء منها إلا

ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة. وإنما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب، لا من جهة الألفاظ المفردة، لأن معنى المفردة يتداخل بالتركيب، ويصير له هيئة تخصه وهذا ليس قدحاً في فصاحة تلك الألفاظ، لأنها إذا اعتبرت لفظة لفظة، وجدت كلها فصيحة، أي ظاهرة واضحة، وأعجب ما في ذلك أن تكون الألفاظ المفردة التي تركبت منها المركبة واضحة كلها، وإذا نظرت إليها مع التركيب احتاجت إلى استنباط وتفسير. وهذا لا يختص به القرآن وحده، بل في الأخبار النبوية والأشعار والخطب والمكاتبات كثير ذلك، وسأورد هاهنا منه شيئاً، فأقول: قد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «صومكم يوم تصومون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون» وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه، لأن الصوم والفطر والأضحى مفهوم كله. وإذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل: علمنا أن صومنا يوم نصوم، وفطرننا يوم نفطر، وأضحانا يوم نضحى، فما الذي أعلمنا به مما لم نعلمه؟

وإذا أمعن الناظر نظره فيه علم أن معناه يحتاج إلى استنباط. والمراد به أنه إذا اجتمع الناس على أن أول شهر رمضان يوم كذا، ولم يكن ذلك اليوم أوله فإن الصوم صحيح، وأوله هو ذلك اليوم الذي اجتمع الناس عليه. وكذا يقال في يوم الفطر ويوم الأضحى. ولهذا الخبر المشار إليه أشباه كثيرة، تفهم معاني ألفاظها المفردة، وإذا تركبت تحتاج في فهمها إلى استنباط.

وأما ما ورد من ذلك شعراً فكقول أبي تمام (٢):

وَلَهْتَ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ (٣) مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلَمٍ

فإن الولة والظلمة والإضاءة كل ذلك مفهوم المعنى، لكن البيت يجملته يحتاج في فهمه إلى استنباط. والمراد به أنها ولهت فأظلم ما بيني وبينها، لما نالني من الجزع لولهاها، كما يقول الجازع: أظلمت الأرض على، أي أني صيرت كالأعمى

(٢) ديوان أبي تمام ٣١٢ وهو من قصيدة في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم ومطلعها:

نرت فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض شجو المغرم

(٣) رواية الديوان «وأنا».

الذى لا يُبصر. وأما قوله « وأضاءَ منها كلُّ شيءٍ مظلمٍ » أى وَضَحَ لى منها ما كان مُستتراً عنى من حبِّها إياى .

وكذلك ورد قول أبى عبادة البحرى فى منهزم^(٤) :

إذا سار سَهْباً عاد ظهراً عَدُوهُ وكان الصِّديقَ بكرةً ذلك السَّهْبُ
فإنَّ السَّيرَ ، والسَّهْبَ والظَّهْرَ ، والعَدُوَّ ، والصِّديقَ ، كلُّ ذلك مفهومُ المعنى . لكنَّ
البيتَ بمجموعه يحتاجُ معناه إلى استنباطِ . والمرادُ أنَّ هذا المنهزمَ يرى ما بين يديه
محبوباً إليه ، وما خَلْفَهُ مكروهاً عنده . لأنه يطلبُ النجاةَ فيؤثِّرُ البُعْدَ مما خَلْفَهُ ،
والقربَ ممَّا أمامه ، فإذا قطعَ سَهْباً ، وخلفه ورَاءَهُ صارَ عنده كالعدو . وقبل أن
يقطعه كان له صديقاً ، أى يطلبُ لقاءَهُ ، ويحبُّ الدنوَّ منه .

فانظرَ أيها المتأملُ إلى ما ذكرته من هذه الأمثلةِ ، حتى يثبتَ عندك ما أردتَ
بيانه .

وأما البلاغةُ : فإنَّ أصلها فى وضع اللغة من الوُصُولِ والانتهاء ، يقال : بَلَغْتَ
المكانَ ، إذا انتهيت إليه ، ومبلغُ الشيءِ منتهاهُ . وسمَّى الكلامُ بليغاً من ذلك ، أى
أنَّه قد بلغ الأوصافَ اللفظيةَ والمعنويةَ .

والبلاغةُ شاملةٌ للألْفاظِ والمعانى ، وهى أَخَصُّ من الفصاحةِ ، كالإنسانَ من
الحيوانِ . فكلُّ إنسانٍ حيوانٌ ، وليس كلُّ حيوانٍ إنساناً . وكذلك يقالُ : كلُّ كلامٍ
بليغٌ فصيحٌ . وليس كلُّ كلامٍ فصيحٌ بليغاً .

ويفرقُ بينها وبين الفصاحةِ من وجهٍ آخرٍ غيرِ الخاصِّ والعامِّ ، وهو أنَّها لا
تكونُ إلا فى اللفظِ والمعنى ، بشرطِ التركيبِ ، فإنَّ اللفظةَ الواحدةَ لا يطلقُ عليها
اسمُ البلاغةِ ، ويطلقُ عليها اسمُ الفصاحةِ ، إذ يوجد فيها الوصفُ المختصُّ
بالفصاحةِ ، وهو الحُسْنُ . وأما وصفُ البلاغةِ فلا يوجد فيها ، لخُلُوها من المعنى المِفِيدِ
الذى ينتظمُ كلاماً .

(٤) ديوان البحرى ٧٨/٢ ، ومعنى السهب هنا الفلاة .

مسألة تتعلق بهذا الفصل .

هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب ،
أم بالنظر وقضية العقل ؟

الجواب عن ذلك أنا نقول : لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء ، فإنَّ العربَ الذين
ألفوا الشعرَ والخطبَ لا يخلو أمرُهُم من حالين ، إمَّا أنَّهم ابتدَعُوا ما أتوا به من
ضروبِ الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل ، أو أخذوه بالاستقراء ممَّن كان
قبلهم . فإنَّ كانوا ابتدَعُوهُ عند وقوفهم على أسرارِ اللُّغة ، ومعرفةَ جيدها من رديها ،
وحسنها من قبيحها . فذلك هو الذي أذهبُ إليه وإن كانوا أخذوه بالاستقراء ممَّن
كانَ قبلهم فهذا يتسَلَّل إلى أوَّل من ابتدَعَهُ ولم يَسْتَقِرِّهِ ، فإنَّ كلَّ لغةٍ من اللُّغات لا
تخلو من وصفي الفصاحة والبلاغة ، المختصين بالألفاظ والمعاني . إلاَّ أنَّ اللُّغة العربيَّة
مزيَّة على غيرها ؛ لما فيها من التوسُّعات التي لا توجدُ في لغةٍ أخرى سواها .

مسألة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا

هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جارٍ مجرى علم النحو أم لا ؟
الجوابُ عن ذلك أنا نقول : الفرقُ بينهما ظاهرٌ ، وذلك أنَّ أقسامَ النحو أخذتُ
من واضعها بالتقليد ، حتى لو عكس القضية فيها لجازَ له ذلك ، ولما كان العقل
يأباه ولا ينكره ، فإنَّه لو جعلَ الفاعل منصوباً ، والمفعول مرفوعاً ، قلَّد في ذلك ، كما
قلَّد في رَفْعِ الفاعلِ ونصبِ المفعول . وأمَّا علمُ البيان من الفصاحة والبلاغة فليس
كذلك . لأنَّه استنبطَ بالنظرِ وقضية العقل ، من غيرِ واضع اللُّغة ، ولم يُفْتَقِرْ فيه إلى
التوقيف منه ، بل أخذتُ ألفاظَ ومعانٍ على هيئةٍ مخصوصةٍ ، وحكَّم لها العقلُ بمزيةٍ
من الحسنِ ، لا يشاركها فيها غيرها ، فإنَّ كلَّ عارفٍ بأسرارِ الكلامِ من أيِّ لغةٍ
كانت من اللُّغاتِ يعلمُ أنَّ إخراجَ المعاني في ألفاظٍ حسنةٍ رائقةٍ ، يلدُّها السمعُ ولا
ينبؤ عنها الطبعُ ، خيرٌ من إخراجها في ألفاظٍ قبيحةٍ مُستكرهةٍ ، ينبؤ عنها السمعُ . ولو
أرادَ واضع اللُّغة خلافَ ذلك لما قلَّدناه .

فإن قيل : لو أخذت أقسام النحو بالتقليد من واضعها لما أقيمت الأدلة عليها ،
وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعاً ، والمفعول منصوباً .
فالجواب عن ذلك أنا نقول : هذه الأدلة واهية ، لا تثبت على محك الجدال ،
فإن هؤلاء الذين تصدوا لإقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب
المفعول ، من غير دليل أبداً لهم ، فاستخرجوا لذلك أدلة وعلا ، وإلا فمن أين
علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع إلى رفع الفاعل ، ونصب المفعول هي التي
ذكروها ؟

الفصل التاسع

في أركان الكتابة

اعلم أن للكتابة شرائط وأركاناً أما شرائطها فكثيرة ، وهذا التأليف موضوع
لمجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم .
وليس يلزم الكاتب أن يأتي بالجميع في كتاب واحد ، بل يأتي بكل نوع من
أنواعها في موضعه الذي يليق به ، كما أريناها فيما يأتي من هذا التأليف .
وأما الأركان التي لا بد من إيداعها في كل كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة :
الأول : أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة . فإن الكاتب من أجاد
المطلع والمقطع ، أو يكون مبنياً على مقصد الكتاب . ولهذا باب يسمى باب
« المبادئ والافتتاحات »^(١) فليحذ حذوه . وهذا الركن يشترك فيه الكاتب
والشاعر .

الركن الثاني : أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقاً من المعنى الذى
بنى عليه الكتاب : وقد نبهنا على طرف من ذلك في باب يخصه^(٢) أيضاً ، فليطلب

(١) هو النوع الثانى والعشرون من ضروب الصناعة المعنوية ، وسيأتى .

(٢) هو باب الاشتقاق وهو النوع السادس والعشرون من ضروب الصناعة المعنوية .

من هناك. وهو مما يدل على حداقة الكاتب وفطانتِهِ، وكثيراً ما تجده في مكاتباتي التي أنشأتها، فإنني قصدته فيها، وتوخيتُه بخلافِ غيري من الكُتَّاب، لأنَّه ربَّما يوجدُ في كتابةِ غيري قليلاً، وتجده في كتابتي كثيراً.

الركنُ الثالثُ: أن يكونَ خروجُ الكاتبِ من معنى إلى معنى برباطة، لتكون رقابُ المعاني آخذةً بعضها ببعضٍ، ولا تكونُ مُقتَضَبَةً، ولذلك بابٌ مفردٌ أيضاً يسمَّى باب «التخلُّصِ والاقْتِضابِ»^(٣). وهذا الركنُ أيضاً يشترك فيه الكاتب والشاعر.

الركنُ الرابعُ: أن تكونَ ألفاظُ الكتابِ غيرَ مخلوِّقَةٍ بكثرةِ الاستعمالِ، ولا أريدُ بذلك أن تكونَ ألفاظاً غريبة، فإنَّ ذلكَ عيبٌ فاحشٌ، بل أريدُ أن تكونَ الألفاظُ المستعملةُ مَسبُوكَةً سبكاً غريباً، يظنُّ السَّامِعُ أنها غيرُ ما في أيدي الناس، وهي مما في أيدي الناس. وهناك مُعْتَرَكُ الفصاحةِ الذي تُظهِرُ فِيهِ الخواطرُ براعتها، والأقلامُ شجاعتهَا، كما قالَ البُحْتَرِيُّ.

باللفظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ^(٤).

وهذا الموضعُ بعيدُ المنالِ، كثيرُ الإِشْكَالِ، يحتاجُ إلى لُطْفِ ذوقٍ، وشَهَامَةِ خاطر، وهو شبيهٌ بالشيء الذي يقالُ إنه «لا داخل العالم ولا خارج العالم» فلفظه هو الذي يستعمل، وليس بالَّذي يستعملُ، أي أنَّ مفردات ألفاظه هي المستعملةُ المألوفةُ، ولكنَّ سَبْكُهُ وتركيبه هو الغريبُ العجيبُ.

وإذا سموتَ أيُّها الكاتبُ إلى هذه الدرجة، واستطعمتَ طعمَ هذا الكلامِ المشارِ إليه عَلِمْتَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ فِي بَدَنِكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: «قُلِ الرُّوحُ

(٣) في الأصل «التخلص» والتخلص والاقْتِضاب هو النوع الثالث والعشرون من ضروب الصناعة

المعنوية.

(٤) ديوان البحترى ١٩٩/٢ ورواية الديوان «منا» موضع «عنا» والبيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن

وهب.

مِنْ أَمْرِ رَبِّي» (٥) وليس كلُّ خاطرٍ بَراقٍ إلى هذه الدرّجة ، « ذلك فضلُ الله يُؤتيه مَنْ يَشَاءُ والله ذو الفضلِ العَظيمِ » (٦) .

ومع هذا فلا تظنَّ أيُّها الناظر في كتابي أنّي أردتَ بهذا القولِ إهمالَ جانبِ المعاني ، بحيثُ يُوتَى باللفظِ الموصوفِ بصفاتِ الحُسْنِ والمَلاحةِ ، ولا يكونَ تحتَه من المعنى ما يماثلُه ويساويه ، فإنّه إذا كان كذلكَ كانَ كصورةٍ حَسَنَةٍ بديعةٍ في حُسْنِها ، إلا أنّ صاحبها بليدٌ أبلهٌ والمرادُ أن تكونَ هذه الألفاظُ المشارُ إليها حَسَمًا لمعنى شريفٍ .

على أنّ تحصيلَ المعاني الشريفةِ على الوجهِ الذي أشرتُ إليه أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المشارِ إليها .

ويحكى عن المبرد - رحمه الله تعالى - أنه قال : ليس أحدٌ في زمانِي إلا وهو يسألني عن مُشكَلٍ من معاني القرآن ، أو مُشكَلٍ من معاني الحديث النبوي ، أو غير ذلك من مشكلات علم العربيّة ، فأنا إمامُ الناسِ في زمانِي هذا ، وإذا عرّضتُ لي حاجةٌ إلى بعضِ إخواني ، وأردتُ أن أكتبَ إليه شيئاً في أمرها أحجمُ عن ذلك ، لأنّي أرتبُ المعنى في نفسي ، ثم أحاول أن أصوغه بألفاظٍ مرضيّة ، فلا أستطيعُ ذلك ! ولقد صدقَ في قوله هذا ، وأنصفَ غايةَ الإنصافِ .

ولقد رأيتُ كثيراً من الجهّال الذين همُّ من السوقة أربابِ الحرفِ والصنائع ، وما منهم إلا مَنْ يقعُ له المعنى الشريفُ ، ويظهرُ من خاطره المعنى الدقيق ، ولكنّه لا يحسنُ أن يُزَوجَ (٧) بين لفظتين فالعبارةُ عن المعاني هي التي تُخلبُ بها العقولُ . وعلى هذا فالناسُ كلّهم مشرّكون في استخراج المعاني ، فإنّه لا يمنع الجاهلَ الذي لا يعرفُ علماً من العلوم أن يكونَ ذكياً بالفطرة . واستخراج المعاني إنما هو بالذكاء ، لا بتعلّم العِلْمِ .

وَبَلَّغْنِي أَنَّ قَوْمًا بِيغْدَادَ مِنْ رِعَاعِ الْعَامَةِ يَطُوفُونَ بِاللَّيْلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى

(٥) سورة الإسراء : آية ٨٥ . (٦) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٧) في الأصل « يزوج » وهو تحريف . والمزاوجة من فنون البلاغة .

الحرارة ويُنادون بالسُّحور، ويخرجونَ ذلك في كلامٍ موزونٍ على هيئة الشعر، وإن لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب، وسمعتُ شيئاً منه فوجدتُ فيه معاني حسنةً مليحةً، ومعاني غريبةً، وإن لم تكن الألفاظ التي صيغتُ به صيغةً. وهذا الرُّكن أيضاً يشترك فيه الكاتب والشاعر.

الركن الخامس : أن لا يخلو الكتاب من معني من معاني القرآن الكريم والأخبار النبويّة، فإنها معدنُ الفصاحة والبلاغة. وإيراد ذلك على الوجه الذي أشرت إليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل من حلّ معاني القرآن الكريم والأخبار النبويّة أحسن من إيراده على وجه التضمين. وتوخى ذلك في كل كتابٍ عسيرٍ جداً. وأنا انفردتُ بذلك دون غيري من الكتاب، فإني استعملته في كل كتابٍ، حتّى إنّه ليأتى في الكتاب الواحد في عدّة مواضع منه، ولقد أنشأتُ تقليداً لبعض الملوك مما يكتبُ من ديوان الخليفة، ثمّ إني اعتبرتُ ما وردَ فيه من معاني الآيات والأخبار النبويّة، فكان ما يزيدُ على الخمسين، وهذا لا أتكلّفه تكلفاً، وإنما يأتي على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يُذكرُ فيه. وقد عرفتُك أيّها الكاتب كيف تستعمل ما تستعمله من ذلك في الفصل الذي يأتي بعد هذا الفصل، فخذهُ من هناك. وهذا الركنُ يختصُّ بالكاتب دون الشاعر؛ لأنّ الشاعر لا يلزمه ذلك. إذ الشعرُ أكثره مدائح، وأيضاً فإنّه لا يتمكّن من صوغ معاني القرآن والأخبار في المنظوم، كما يتمكّن منه في المنثور. ولربّما أمكن ذلك في الشيء اليسير في بعض الأحيان. وإذا استكلت معرفة هذه الأركان الخمسة، وأتيت بها في كل كتاب بلاغي ذي شأنٍ، فقد استحققت حينئذٍ فضيلة التقدّم، ووجب لك أن تسمي نفسك كاتباً.

الفصل العاشر

في الطريق إلى تعلم الكتابة

هذا الفصل هو كثر الكتابة ومنبعها ، وما رأيتُ أحداً تكلمَ فيه بشيءٍ ولما حُبِّبْتُ إلى هذه الفضيلة ، وبلغني الله منها ما بلغني وجدتُ الطريقَ ينقسم فيها إلى ثلاثِ شُعبٍ :

الأولى : أن يتصفحَ الكاتبُ كتابة المتقدمين ويطلعَ على أوضاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني ، ثمَّ يحذو حذوهم وهذه أدنى الطبقاتِ عندي .
الثانية : أن يمزجَ كتابة المتقدمين بما يستجدهُ لنفسه من زيادةٍ حسنةٍ ، إما في تحسين ألفاظ ، أو في تحسين معانٍ . وهذه هي الطبقةُ الوسطى ، وهي أعلى من التي قبلها .

الثالثة : أن لا يتصفحَ كتابة المتقدمين ، ولا يطلعَ على شيءٍ منها ، بل يصرفُ همه إلى حفظ القرآن الكريم ، وكثيرٍ من الأخبار النبوية ، وعدةٍ من دواوين فحول الشعراء ، ممن غلبَ على شعره الإجادةُ في المعاني والألفاظ ، ثم يأخذُ في الاقتباسِ من هذه الثلاثة ، أعني القرآنَ والأخبارَ النبويةَ والأشعارَ ، فيقومُ ويقعُ ، ويخطئُ ويصيبُ ، ويضلُّ ويهتدي ، حتى يستقيمَ على طريقةٍ يفتحها لنفسه ، وأخلقُ بتلك الطريق أن تكونَ مبتدعةً غريبةً ، لا شركةَ لأحدٍ من المتقدمين فيها ، وهذه الطريقُ هي طريقُ الاجتهادِ ، وصاحبها يعدُّ إماماً في فنِّ الكتابةِ ، كما يعد الشافعيُّ وأبو حنيفةُ ومالكُ ، رضي الله تعالى عنهم ، ونهمهم من الأئمةِ المجتهدين في علم الفقه ، إلا أنها مُستوعرةٌ جداً ، ولا يستطيعها إلا مَنْ رَزَقه الله تعالى لساناً هجّاماً ، وخاطرأً رَقاماً . وقد سهلتُ لك صِعباتها ودللتُ محاجتها . وكنتُ أشحُّ بإظهار ذلك لِمَا عانيت من

نيله من العناء ، فإني سلكت إليه كلَّ طريقٍ حتى بلغته آخرًا . وإنما تكون نفاسةُ
الأشياء لِعِزَّةِ حُصُولِهَا ، ومَشَقَّةِ وُصُولِهَا :

لَيْسَ حُلُومًا وَجُودُكَ الشَّيْءَ تَبْغِيهِ طِلَابًا حَتَّى يَعْزَّ طِلَابُهُ (٨) .

ولقد مارستُ الكتابةَ ممارسةً كشفتُ لِي عن أسرارِها ، وأظفرتني بكنوز
جواهرِها ، إذ لم يظفرُ غيري بأحجارها ، فما وَجَدْتُ أَعَوْنَ الأشياءَ عليها إلا حَلَّ
آياتِ القرآنِ الكريمِ ، والأخبارِ النبويَّةِ ، وحلَّ الأبياتِ الشعريةِ .

وقد قَصَرْتُ هذا الفصلَ على ذِكْرِ وجُوهِها وتقسيمِها ، وتمهيدِ الطَّرِيقِ إلى
تعليمِها ، فَمَنْ وَقَفَ على ما ذَكَرته علمَ أَنِي لَمْ آتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٩) ، وَأَنَّ اللهَ قد جعلَ
تَحْتَ خِوَابِطِي من بناتِ الأفكارِ سَرِيًّا (١٠) ، وهذه الطَّرِيقُ يجهلُها كثيرٌ من مُتَعَاظِي
هذه الصَّنَاعَةِ ، وَالَّذِي يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ يَرْضَى بِالْحِوَاشِي وَالْأَطْرَافِ ، وَيَقْنَعُ من لآئِهَا
بِعَمْرَةٍ ما في الأَصْدَافِ ، ولو استخرجَ منها ما استخرجتُ ، واستنتجَ ما
استنتجتُ ، لَهَامَ بها في كلِّ وادٍ ، وتزوَّدَ إلى سُلُوكِ طَرِيقِهَا كلُّ زادٍ :

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُوا لِعِزَّةِ رُكْعًا وَسُجُودًا (١١)

ولا أريدُ بهذه الطَّرِيقِ أن يكونَ الكاتبُ مرتبطًا في كتابتهِ بما يستخرجُه من
القرآنِ الكريمِ والأخبارِ النبويةِ والشَّعْرِ ، بحيثُ أَنَّهُ لا يُنْشِئُ كتابًا إلا من ذلك ، بلُ
أريدُ أَنَّهُ إذا حفظَ القرآنَ الكريمَ ، وأكثرَ من حِفْظِ الأخبارِ النبويةِ والأشعارِ ، ثمَّ
نَقَّبَ عن ذلك تنقيبَ مُطَّلِعٍ على معانيه ، مُفْتَشِّشٍ عن دَفَائِنِهِ ، وَقَلْبُهُ ظَهْرًا لِبَطْنِ ،
عَرَفَ حِينَئِذٍ مِنْ أَيْنَ تُؤَكَلُ الكَيْفُ ، فَمَا يُنْشِئُهُ مِنْ ذاتِ نَفْسِهِ ، واستعانَ بالمَحْفُوظِ على
الغَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ .

(٨) البيت للبحرئى : ديوانه ٦٢/٢ . ورواية الديوان

ليس يحلو وجودك الشيء تبغيه التماساً حتى يعز طلابه

(٩) بديعاً عجيباً . والفري القطع كأنه يقطع العادة . والعبارة تضمن قوله تعالى « قالوا يا مريم لقد جننت
شيئاً فرياً » سورة مريم : آية ٢٧ .

(١٠) السرى النهر الصغير . والعبارة تضمن قوله تعالى « قد جعل ربك تحتك سرياً » سورة مريم : آية ٢٤ .

(١١) البيت لكثير . ورواية الأمامي (ج ٢ ص ٧٥) :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة خاشعين سجودا ١٠١

ألا ترى أنَّ صاحبَ الاجتهادِ منَ الفقهاءِ يفتقرُ إلى معرفةِ آياتِ الأحكامِ وأخبارِ الأحكامِ ، وإلى معرفةِ النَّاسِخِ والمنسوخِ من الكتابِ والسُّنةِ ، وإلى معرفةِ علمِ العربيَّةِ ، وإلى معرفةِ الفرائضِ والحسابِ من المعلومِ والمجهولِ ، من أجلِ مسائلِ الدُّورِ والوصايا وغيرها ، وإلى معرفةِ إجماعِ الصَّحابةِ ؟ فهذه أدواتُ الاجتهادِ ، فإذا عرَفَها استخرجَ بفكرتهِ حينئذٍ ما يؤدِّيه إليه اجتهادهُ ؛ كما فعلَ أبو حنيفةَ والشافعيُّ ومالكٌ وغيرهم من أئمَّةِ الاجتهادِ .

وكذلك يَجْرِي الحكمُ في الكتابِ إذا أحبَّ الترقىَ إلى درجةِ الاجتهادِ في الكتابةِ ، فإنه يحتاجُ إلى أشياءَ كثيرةٍ ، قد ذكرتها في صدرِ كتابي هذا ، إلا أنَّ رأسها وعمودها وذروةَ سنامها ثلاثةُ أشياءَ ، هي حفظُ القرآنِ الكريمِ ، والإكثارُ من حفظِ الأخبارِ النبويَّةِ ، والأشعارِ .

وحيثُ انتهى بنا القولُ إلى هذا الموضعِ ، فأولُ ما أبدأ به عليَّ عقبَ دت أن أقولَ :

حل الأبيات الشعرية

ينقسمُ إلى ثلاثة أقسام :

الأول منها وهو أدناها مرتبة :

أَنْ يَأْخُذَ النَّائِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ ، فَيَنْثَرُهُ بِلَفْظِهِ ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ . وَهَذَا عَيْبٌ فَاحِشٌ . وَمِثَالُهُ كَمَنْ أَخَذَ عِقْدًا ، قَدْ أَتَقَنَ نَظْمَهُ ، وَأَحْسِنَ تَأْلِيْفَهُ ، فَأَوْهَاهُ وَبَدَّدَهُ ، وَكَانَ يَقُومُ عُدْرَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ لَوْ نَقَلَهُ عَنْ كَوْنِهِ عِقْدًا إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى مِثْلِهِ ، أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا نَثَرَ الشُّعْرَ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ السَّرْقَةِ ، فَيَقَالُ : هَذَا شَعْرُ فُلَانٍ بَعِيْنِهِ ، لِكَوْنِ أَلْفَاظِهِ بَاقِيَةً ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ .

وقد سلكَ هذا المسلكَ بعضُ العِراقِيِّينَ . فَجَاءَ مُسْتَهْجِنًا ، وَلَا مُسْتَحْسِنًا ، كَقَوْلِهِ

فِي بَعْضِ أَيْبَاتِ الْحِمَاسَةِ (١) :

وَالَّذِي ذِي حَقِّ عَلِيٍّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ (٢)

أَرْجِيئُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْبَتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِيٍّ (٣)

فَقَالَ فِي نَثْرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : « فِكْمَ لَقِيَ أَلَدًا ذَا (٤) حَقِّ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكُوكَبِ مِنْ

عَلِيٍّ . وَتَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ ، فَكُوهَ فَوْقَ نَاطِرِيهِ وَأَكْبَهُ لِفَمِهِ وَبَيْدِيهِ » فَلَمْ يَزِدْ هَذَا النَّائِرُ عَلَى أَنْ أَزَالَ رَوْنِقَ الْوِزْنِ ، وَطَلَاوَةَ النِّظْمِ لَا غَيْرَ .

وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ صَرَبٌ مَحْمُودٌ لَا عَيْبَ فِيهِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مِنَ الشُّعْرِ قَدْ

(١) ديوان الحماسة ٢٣/١ والبيان لربيعة بن مقروم الضبي .

(٢) الألد الشديد الخصومة . والحق الغيظ . والمرجل القدر من نحاس . يقول : رب خصم تغلي

العداوة في صدره غليان المرجل مما فيه على النار .

(٣) أرجيته أخرته وصرفته . قال أبو الفتح بن جني : أكثر من نرى يروى هذا البيت أرجيته بالراء . فإذا

تعالى شيئاً رواه أرجأته بالهمز . وكلاهما تصحيف . وإنما هو أرجيته بالواو . أى أذلته وقهرته . يقول : رب

خصم صرفته عن نفسي . وقد أبصر رشده وكويته فوق نواظره من أعلاه .

(٤) في الأصل « ذى » .

تضمن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه ، فحينئذ يُعذرُ نادره . إذا أتى بذلك اللفظ . ومثاله قول الشاعر في أول الحماسة (٥) :

لو كنتُ من مَازِنٍ لم تَسْتَبِحْ إِيَّايَ بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بَنِ شَيْبَانَا
وقد نثرتُ ذلك ، فقلتُ : « لستُ ممن تستبِحُ إِيَّايَ بَنُو اللَّقِيْطَةِ . ولا الَّذِي إِذَا هَمَّ
بأمر كانت الآمالُ إليه وَسِيْطَةً . ولكنِّي أحملُ الهَمْلَ ، وأقربُ الأملَ . وأقولُ : سَبَقَ
السَّيْفُ العَدْلَ (٦) » : فذكرُ « بَنِي اللَّقِيْطَةِ » هاهنا لأبْدُّ منه على حَسَبِ ما ذكره الشاعرُ .
وكذلك الأمثالُ السائرةُ فَإِنَّه لا بُدَّ من ذكرها على ما جاءتْ في الشُّعرِ .

وأما القسم الثاني وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة :

فهو (٧) أن يُنثرَ المعنى المنظوم ، ببعض ألفاظه ، ويعزَمَ عن البعض بألفاظٍ أُخرى .
وهناك تظهرُ الصنعةُ في الماثلةِ والمشابهةِ ، ومؤاخاةِ الألفاظِ الباقيةِ بالألفاظِ المرتجلةِ .
فإنه إذا أخذَ لفظاً لشاعرٍ مجيدٍ ، قد نَفَّحَه وصَحَّحَه ، ففقرَته بما لا يُلائمهُ كان كَمَنْ
جمعَ بين لَوْلُوَةٍ وَحَصَاةٍ ، ولا خفاءَ بما في ذلك من الانتصابِ للقدحِ ، والاستهدافِ
للطعنِ .

والطريقُ المسلوكُ إلى هذا القسمِ أَنْ تأخذَ بعضَ بيتٍ من الأبياتِ الشُّعريةِ ، هوَ
أحسنُ ما فيه ثمَّ تماثلهُ . وسأوردُ هاهنا مثالا واحداً ، ليكونَ قُدْوَةً للمتعلِّمِ ، فأقولُ :
قد وَرَدَ هذا البيتُ من شعرِ أبي تمامٍ في وصفِ قصيدةٍ له :
حَذَاءَ تَمَلُّ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً وبِلاغَةً وَتَدِرُّ كُلُّ وَرِيدٍ (٨)

(٥) ديوان الحماسة ١٣/١ والبيت لقريط بن أنيف أحد بني العنبر .

(٦) مثل من أمثال العرب قاله ضبة بن أد لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم . انظر مجمع الأمثال للميداني ٢٤١/١ .

(٧) في الأصل « هو » .

(٨) ديوان أبي تمام ٨٥ وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد ، ويعتذر إليه وقبلة .

خذها مثقفة القوافي رها لسوانح النعماء غير كنود

وفي الأصل « وحذاء » موضع « حذاء » والحذاء القارصة أو الطاعنة ؛ وتدر : تحلب ؛ والوريد عرق في العنق .

فَقَوْلُهُ . « تَمَلَّأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً » مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا فِي الْبَيْتِ .
فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْشُرَ هَذَا الْمَعْنَى فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ لَفْظِهِ بَعِينَهُ ، لِأَنَّهُ فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى
مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ أَنْ تَوَاحِيَهُ بِمِثْلِهِ . وَهَذَا عَسِرٌ جَدًّا ، وَهُوَ عِنْدِي
أَصْعَبُ مَنَالًا مِنْ نَثْرِ الشَّعْرِ بغير لَفْظِهِ ، لِأَنَّهُ مَسَلُّكَ مُضِيقٌ ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمِثَالِهِ
مَا هُوَ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْجَوْدَةِ .

وَأَمَّا نَثْرُ الشَّعْرِ بغير لَفْظِهِ ، فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ فِيهِ نَائِرُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ ، وَلَا يَكُونُ
مَقِيدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى مُوَاحَاتِهِ .

وَقَدْ نَثَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَشَارِئَ إِلَيْهَا ، وَأَتَيْتُ بِهَا فِي جُمْلَةِ كِتَابِ فَقُلْتُ : « وَكَلَامِي
قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَاشْتَهَرَ ، وَفَاقَ مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ
الْمَعْرِفَةُ لَهُ عِلَامَةً ، وَأَمِينٌ مِنْ سَرِقَتِهِ ، إِذْ لَوْ سُرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْوَسَامَةُ ، وَمِنْ خِصَائِصِ
صِفَاتِهِ أَنْ يَمَلَأَ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً . وَبِجَعْلِ فَصَاحَةٍ كُلِّ لِسَانٍ عُجْمَةً ، وَإِذَا جَرَتْ بِفِثَاتِهِ فِي
الْأَفْهَامِ قَالَتْ : أَهَذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ ؟ أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ ؟ »

فَانظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَإِنِّي لَمَّا أَخَذْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْبَيْتِ
الشَّعْرِيَّ التَّرْمُتُ بِأَنْ أُوَاخِيَهَا بِمَا هُوَ مِثْلُهَا ، أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَجِئْتُ بِهَذَا الْفَصْلِ كَمَا تَرَاهُ ،
وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُفَعَلَ فِيهَا هَذَا سَبِيلَهُ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَهُوَ أَعْلَى مِنَ الْقَسْمَيْنِ الْأُولَيْنِ :

فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى ، فَيَصَاغَ بِالْفَاظِ غَيْرِ الْفَاظِهِ . وَثُمَّ يَتَبَيَّنُ حِذْقُ الصَّانِعِ فِي
صِبَاغَتِهِ ، وَيُعْلَمُ مَقْدَارُ تَصَرُّفِهِ فِي صِنَاعَتِهِ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَعْنَى فَتِلْكَ
الدرجَةُ الْعَالِيَةُ ، وَإِلَّا أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ ، وَأَتَقَنَ التَّأْلِيفَ : لِيَكُونَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ
صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَيْبَاتِ الشَّعْرِ مَا يَتَّسِعُ الْمَجَالَ لِنَائِرِهِ ، فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ ،
وَذَلِكَ عِنْدِي شَبِيهُهُ بِالْمَسَائِلِ السِّيَالَةِ فِي الْحِسَابِ ، الَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَجْوِبَةِ
وَمِنَ الْأَيْبَاتِ مَا يَضِيقُ فِيهِ الْمَجَالُ حَتَّى يَكَادُ الْمَاهِرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَيَّاجِجِ عَنْ ذَلِكَ
الْفَلْظِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِعَدَمِ النَّظِيرِ .

فَأَمَّا مَا يَتَّسِعُ الْمَجَالَ فِي نَثْرِهِ فَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :
 لَا تَعْدُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْسَائِهِ^(٩)
 وَقَدْ نَثَرْتُ هَذَا الْمَعْنَى ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي : « لَا تَعْدُلُ الْحَبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ ، حَتَّى تَطْوِي
 الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ » وَمِنْ ذَلِكَ وَجْهُ آخَرَ وَهُوَ : « إِذَا اخْتَلَفَتِ الْعَيْنَانِ فِي النَّظْرِ ،
 فَالْعَدْلُ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَرِ » .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي أَيْضًا :
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدَمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ^(١٠)
 أَخَذْتُ هَذَا الْمَعْنَى فَنَثَرْتُهُ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي : « الْقَتِيلُ بَسِيفِ الْعُيُونِ ، كَالْقَتِيلِ بِسِيفِ
 الْمُنُونِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُجَرِّدُ مِنْ غِمْدِهِ ، وَلَا يُقَادُ صَاحِبُهُ بَعْمَدِهِ » فَرِدْتُ عَلَى الْمَعْنَى
 الَّتِي تَضَمَّنَهَا الْبَيْتُ ، وَغَيَّرْتُ اللَّفْظَ . وَمِنْ ذَلِكَ وَجْهُ آخَرَ ، وَهُوَ « دَمَعُ الْحَبِّ وَدَمُّ
 الْقَتِيلِ مُتَّفِقَانِ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ ، وَلَا تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا ، إِلَّا أَنَّهَا يَخْتَلِفَانِ لَوْنًا » وَهَذَا
 أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ .

وَأَمَّا مَا يَضِيقُ فِيهِ الْمَجَالَ ، فَيَعْسُرُ عَلَى النَّاسِ تَبْدِيلُ الْفَاضِلِ فَكَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
 تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ^(١١)
 وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثْثِ الْقَتَلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ^(١٢)
 وَأَمْثَالُ هَذَا لَا تَأْتِي إِلَّا قَلِيلًا ، وَسَبَبُهُ أَنَّ الْمَعْنَى يَنْحَصِرُ فِي مَقْصِدٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ حَتَّى
 لَا يَكَادُ يَأْتِي إِلَّا فَذًّا كَهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، أَلَّا تَرَى أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ قَصَدَ الْمُوَاحَاةَ فِي ذِكْرِ لَوْنِي

(٩) ديوان المتنبّي ٦/١ : وفي الأصل « لا تعزل » بالزاي . وفي الديوان « لا تعذر » بالذال والراء . يقول :
 لا تكن عاذراً للمشتاق في شوفه حتى تجد ما يجده . ويكون قلبك في قلبه ، أي تحب مثل ما يحب ، وهو من
 قول البحرّي :

إِذَا شِئْتَ أَلَا تَعْدُلِ الدَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَاعْشُقْ
 (١٠) المصدر السابق . ويروى « إن المشوق » جعل جريان الدمع كجريان الدماء ، وهذا لأنه جعل العاشق
 كالقتيل ، تعظيمًا للأمر .

(١١) ديوان أبي تمام ٣٦٩ . ويروى « فادجى » موضع « فأتى » والسندس نوع من رقيق الديداج معرب ،
 كنى بالأول عن موته قتيلًا . وباللثاني عن دخوله الجنة . (١٢) ديوان المتنبّي ٣٨١/٣ .

الثياب من الأحمر والأخضر . وجاء ذلك واقعاً على المعنى الذى أرادته من لون ثياب القتلى وثياب الجنة . فإذا فك نظم هذا البيت ، وأريد صوغه بغير لفظه لا يمكن ذلك .

وبيتُ أبى الطيّب جازٍ هذا المجرى : فإنه بناءً على واقعة من الوقائع . وذلك أن حصناً من حصون سيف الدولة قصده الروم وانزعوه وأخربوه . فنهد سيف الدولة إليه ، واسترجعه ، وجدد بناءه ، وهزم الروم ، ونصب من جثث القتلى على السور ، فنظم المتنبي في هذا قصيداً أوله :

* على قدر أهل العزم تأتي العزائم (١٣) *

فلما انتهى إلى ذكر الحصن جاء بهذا البيت في جملة أبيات ، فشرح صورة الحال في إزعاج الحصن بالقتال ، وتعليق القتلى عليه . وأبرز ذلك في معنى التمثيل بالجنون والتمام ، وهذا لا يمكن تبديله لفظه . وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فك نظامه ، لأنه يتصدى لنثره بالفاظه . فإن كان عنده قوة تصرف ، وبسطة عبارة ، فإنه يأتي به حسناً رائعاً .

وقد نثرت هذين البيتين . أما بيت أبى تمام فإني قلت في نثره : « لم تكسه المنايا نسج شفارها ، حتى كسته الجنة نسج شعارها . فبدل أحمر ثوبه بأخضره ، وكأس حمامه بكأس كوثه » . وهذا من الحسن على غاية يكون كمد حسودها من جملة شهودها .

وأما بيت أبى الطيّب المتنبي فإني قلت في نثره : « سرى إلى حصن كذا مستعيداً منه سبيّة نزعها العدو اختلاصاً ، وأخذها مخادعة لا افتراساً ، فما نزلها حتى استقادها ، ولا نزلها حتى استعادها . وكأنها كان بها جنون فبعث لها من عزائم عزائم ، وعلق عليها من رؤوس القتلى تمام » . وفي هذا من الحسن مالا خفاء به ، فمن شاء أن ينثر شعراً فلينثر هكذا ، وإلا فليترك .

(١٣) ديوان المتنبي ٣/٣٧٨ وعجز البيت . وتأتى على قدر الكرام المكارم .

وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر ، وأبرزته في صورةٍ أخرى . وذلك أني أضفتُ إلى هذا البيتَ الذي قبله ، وهو :

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنِيَا حَوْلَهَا مَتَلَاظِمٌ
ولما نثرتُ هذين البيتين قلتُ في نثرهما ما أذكره ، وهو « بنَاهَا والأسنة في بنائِها مُتَخَاصِمَةٌ ، وأمواجُ المنيا فوق أيدى البانين متلاظمةٌ وما أحلت الحرب عنها حتى زُلزَلَتْ أَقْطَارُهَا بِرُكُضِ الْجِيَادِ ، وأصيبت بمثل الجُنُونِ فَعَلَقَتْ عَلَيْهَا تَمَائِمٌ مِنَ الرُّعُوسِ وَالْأَجْسَادِ ، ولا شكَّ أَنَّ الحربَ تعرد عمنَّ عزَّ جانبُه ، وتقول : أَلَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِيَهُ » وهذا أحسنُ من الأول . وأتمَّ معنى .

وقد تصرَّفْتُ في هذا الموضع بزيادةٍ في معناه ، ونثرتُه على أسلوب أحسن من هذا الأسلوب ، فقلتُ : « بَنَاهَا وَدُونَ ذَلِكَ الْبِنَاءِ شَوْكُ الْأَسَلِ ، وطوفانُ المنيا الذي لا يقال سَاوَى مِنْهُ إِلَى جَبَلٍ ، ولم يَكُنْ بِنَاؤُهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ هُدِمَتْ رُعُوسٌ عَنْ أَعْنَاقِ ، وَكَأَنَّا أُصِيبَتْ بِجُنُونٍ فَعَلَقَتْ الْقَتْلَى عَلَيْهَا مَكَانَ التَّمَائِمِ ، أَوْ شِينَتْ بِعَطَلٍ فَعَلَقَتْ مَكَانَ الْأَطْوَاقِ » وهذا الفصلُ فيه زيادةٌ على الفصل الذي قبله .

★ وإذا انتهى بنا الكلامُ إلى هاهنا في التنبيه على نثر الشعر وكيفية نثره ، وذكر ما يسهلُ منه وما يعسرُ ، فليُتَّبَعِ ذَلِكَ بِقَوْلِ كَلِمَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ ، فنقول :

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبَعٌ مُجِيبٌ ، فعليه بحفظ الدواوين ذواتِ العددِ ؛ ولا يقنعُ بالقليلِ من ذلك ، ثمَّ يأخذُ في نثر الشعرِ من محفوظاته ؛ وطريقه أن يبتدئَ فَيَأْخُذَ قَصِيدًا مِنَ الْقَصَائِدِ ، فَيَنْثُرُ بَيْنًا بَيْنًا عَلَى التَّوَالِي . ولا يستنكفُ في الابتداءِ أن ينثرَ الشعرَ بِالْفَاطِظِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا ، فإنه لا يستطيعُ إِلَّا ذَلِكَ . وإذا مرَّتْ نفسه وتدرَّبَ خاطرُه ، ارتفعَ عن هذه الدرِّجَةِ ، وصارَ يأخذُ المعنى ويكسوه عبارةً مِنْ عِنْدِهِ . ثم يرتفعُ عن ذلكِ ، حتى يكسوه ضروباً من العباراتِ المختلفةِ ، وحينئذٍ يحصلُ لحاظه بمباشرةِ المعاني لِقَاحِ ، فيستنتجُ منها معانيَ غيرَ تلكِ المعانيِ ، وسيله أن يكثُرَ الإِدْمَانُ لَيْلاً وَنَهَاراً ، ولا يزالُ على ذلكِ مدَّةً طويلةً حتى يصيرَ له ملكةٌ ، فإذا كتبَ كتاباً ، أو خطبَ خطبةً تدفقتَ المعاني في أثناءِ كلامه ، وجاءتَ ألفاظه معسولة لا

مَعْسُولَةٌ ، وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَةٌ ، حَتَّى تَكَادُ تَرْقُصُ رَقْصًا . وَهَذَا شَيْءٌ خَبِرْتُهُ بِالتَّجْرِبَةِ ، وَلَا يَنْبَغُ مِثْلُ خَبِيرٍ .

فَإِنْ قِيلَ : الْكَلَامُ قِسْمَانِ : مَنْظُومٌ ، وَمَنْثُورٌ فَلَمْ خَصَّصْتَ عَلَى حِفْظِ الْمَنْظُومِ ، وَجَعَلْتَهُ مَادَّةً لِلْمَنْثُورِ ، وَهَلَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ ؟

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ الْأَشْعَارَ أَكْثَرَ ، وَالْمَعَانِي فِيهَا أَغْزَرُ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ أَصْلُ الْفَصَاحَةِ جُلُّ كَلَامِهِمْ شِعْرٌ ، وَلَا نَجْدُ الْكَلَامَ الْمَنْثُورَ فِي كَلَامِهِمْ إِلَّا يَسِيرًا ، وَلَوْ كَثُرَ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ ، بَلِ الْمَنْقُولُ عَنْهُمْ هُوَ الشَّعْرُ . فَأَوْدَعُوا أَشْعَارَهُمْ كُلَّ الْمَعَانِي كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ^(١٤) » ثُمَّ جَاءَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُخَضَّرِينَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا الشَّعْرُ ، ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَانَ الشَّعْرُ هُوَ الْأَكْثَرُ ، وَالْكَلَامُ الْمَنْثُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ . وَهَذَا صَارَتْ الْمَعَانِي كُلُّهَا مُودَعَةً فِي الْأَشْعَارِ ، وَحَيْثُ كَانَتْ بِهِذِهِ الصُّورَةَ فَكَانَ حَتَّى عَلَى حِفْظِهَا ، وَاسْتِعْمَالِهَا فِي الْخُطْبِ وَالْمَكَاتِبَاتِ لِهَذَا السَّبَبِ .

وَقَدْ نَثَرْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ آيَاتًا تَكُونُ قَدْوَةً لِلْمَتَعَلِّمِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي فَصْلِ مِنْ فَصُولِ الْكَلَامِ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ السِّيَادَةِ :

« وَهُوَ الشَّرِيفُ مَنْ شَرَّفَ بِنَفْسِهِ ، لَا بِمَا دُفِنَ مَعَ أَبِيهِ فِي رَمْسِهِ ، فَإِنَّ تِلْكَ مَكَارِمُ أُمَّتٍ فَتَجَمَّلَ الزَّمَانُ بِمَاتَاهَا ، ثُمَّ مَاتَ أَرْبَابُهَا فَدُفِنَتْ مَعَ مَوَاتَاهَا . وَلَوْ سَادَ النَّاسُ بِأَبَائِهِمْ لَكَانَتْ السِّيَادَةُ لِلطَّيْنَةِ الْأُولَى . وَلَقَدْ خَلِقَ الْأَنْبَاءُ مِنَ الْآبَاءِ مَجْبُولًا » . وَهَذَا الْمَعْنَى مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارُ بِنَفْسِهِ
غَيْرَ أَنَّ الْفَصْلَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ يَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى زِيَادَةً عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْبَيْتُ .
وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتَهُ فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ مَعَابِدَةَ أَخٍ لِإِخْوَتِهِ ، وَتَنْصَلُهُ إِلَيْهِمْ .
فَقُلْتُ :

(١٤) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ : آيَةٌ ٢٢٥ .

« جَرَحُوا قَلْبِي ، وَحُبُّهُمْ يَذْهَبُ بِأَلْمِ الْجِرَاحَةِ ، وَطَرَفُوا عَيْنِي وَهُمْ يَزِيدُونَ فِي نَظَرِهَا مَلَاخَةً . وَإِذَا صَدَّرَتِ الْإِسَاءَةَ عَنِ الْأَحْبَابِ لَمْ يَكُنْ وَقْرُهَا وَقْرًا ، وَأَصْبَحَتْ وَهِيَ مَنِسِيَّةٌ إِذَا تَجَدَّدَتِ الْإِسَاءَةُ بِالذِّكْرِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ سَيَّطَرَ دَمِي بِدَمِهِ ، وَجَلَمِي بِلِحْمِهِ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ مَعَارِفَ الْأَشْخَاصِ لَكَانَ اسْمِي وَارِدًا عَلَى اسْمِهِ ، وَكَيْفَ أَحْسَنُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ جَلَبَنِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى اللَّيْنِ ؟ أَمْ كَيْفَ أَذَوْدُ النَّفْسِ عَنْهُمْ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْهُمْ ، وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ ؟ وَمَتَى أُؤْمَلُ مِنْ شَجَرَتِي أَغْصَانًا كَهَذِهِ الْأَغْصَانِ ، وَقَدْ أُصِيبَتْ جَرْتُومُهَا بِالْجِدَادِ (١٥) ؟ وَهَذَا قِيلَ إِنْ الْإِخْوَةَ يَتَعَدَّرُ الْإِعْتِيَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا يَتَعَدَّرُ الْإِعْتِيَاضُ عَنِ الْأَوْلَادِ » آخِرُ هَذَا الْفَصْلِ مَأْخُودٌ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الرَّومِيِّ ، وَهُوَ قَوْلُهُ (١٦) :

تَعَزَّيْتَ عَمَّنْ أَثْمَرْتِكُ حَيَاتُهُ وَوَشَكُّ التَّعَزُّيِّ عَنِ ثَمَارِكُ أَجْدُرُّ
تَعَدَّرَ أَنْ تَعْتَاضَ عَنْ أُمَّهَاتِنَا وَأَبَائِنَا (١٧) وَالنَّسْلُ لَا يَتَعَدَّرُ

غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الرَّومِيِّ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي تَعْزِيَةِ إِنْسَانٍ بَيْنَهُ ، فَتَصَرَّفْتُ أَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَنَقَلْتُهُ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ فِي تَضَمُّنِهِ مَعَاتِبَةَ أَخٍ لِإِخْوَتِهِ .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن ذم المشيب ، فقلت :

« وَالْعَيْشُ كُلُّ الْعَيْشِ فِي سِنِّ الْحِدَاثَةِ ، وَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا فَلَا يُدْعَى إِلَّا بَسْنٌ الْعَثَاثَةِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ مَصِيفٍ لِلذَّةِ وَلَا مَرْبَعٌ . وَهِيَ نَهَايَةُ الْقُوَّةِ الصَّالِحَةِ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ . فَإِذَا تَجَاوَزَهَا الْمَرْءُ أَشْفَتْ ثَمَارَ عَمْرِهِ عَلَى حَرَصِهَا (١٨) . وَصَارَتْ زِيَادَتُهُ كَزِيَادَةِ التَّصْغِيرِ الَّتِي هِيَ زِيَادَةٌ تَدُلُّ عَلَى نَقْصِهَا . وَأَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ يُدْعَى أَبًا بَعْدَ أَنْ كَانَ يُدْعَى ابْنًا . وَتَقَمَّصَ ثَوْبًا مِنَ الْمَشِيبِ لَا يَجْرُ ثَوْبُهُ خِيَلَاءَ . وَلَا يُزْهَى بِهِ حُسْنًا . وَإِنْ قِيلَ : إِنْ أَحْسَنَ الثِّيَابَ شَعَارَ الْبِيَاضِ ، قِيلَ : إِلَّا هَذَا الثَّوْبَ فَإِنَّهُ مُسْتَثْنَى ، وَيَكْفِيهِ مِنَ الْفِظَاعَةِ أَنْ يَنْظُرَ الْأَحْبَابُ إِلَيْهِ نَظَرَ الْقِتَالِ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْحَمُودَ بَعْدَهُ

(١٥) الجداد القطع .

(١٦) ديوان ابن الرومي ١٠٤ .

(١٧) في الأصل « وأبائنا » وهو خطأ ، والتصحيح عن الديوان .

(١٨) الحرص حزمًا على النخل من الرطب تمرًا .

لما استعير له لفظة الاشتعال . ومن الناس من يُدلّس لونه بصبغة الخضاب . وليس ذلك إلا حِداداً على فقدِ الشباب . وهو في فعله هذا كاذب . ولا يخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب . وخداع النفس أن تسَلُو عن بثره المعطلة . وقصره المشيد . ويحسن لها الخروج في ثوبٍ مرقع . وهي تراه بعين الثوب الجديد . وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي . وهو قوله :

رَأَيْتُ خَضَابَ الْمَرْءِ بَعْدَ مَشِيهِ حِدَادًا عَلَى شَرَحِ الشَّبِيهِ يَلْبَسُ (١٩)

غير أن في هذا الفصل معاني كثيرة لطيفة لا توجد في كلامٍ آخر .

ومن ذلك قولي في وصف الجود والسماء . وهذا الفصل يشتمل على معاني متعددة ، فمنها قولي في العطاء ، وهو :

شَافَهْتِنِي أَسْبَابُ الْغِنَى بِرُؤْيَتِهِ حَتَّى كَادَتْ تَنْطِقُ ، وَاخْضَرَّتْ أَكْنَانُ مَنْزِلِ بَعْطَائِهِ حَتَّى كَادَتْ تَوْرِقُ ، وَمِنْ فَضِيلَةِ بَرِّهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِي بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَإِذَا غَرَسَهُ عِنْدَ إِنْسَانٍ رَبَّ ذَلِكَ الْغَرَّاسِ ، فَلَا يَسْتَكْثِرُ مَا جَادَتْ بِهِ سَحَابِ يَدِهِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَطَاءُ يَوْمِهِ عَنِ عَطَاءِ غَدِهِ » وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس :

كَانُوا إِذَا غَرَسُوا سَقَوْا وَإِذَا بَنَوْا لَمْ يَهْدُمُوا لِبَنَائِهِمْ آسَاسًا (٢٠)

ومن هذا المعنى أيضاً قولي : « وهو أَخَذَ الْمَكَارِمَ مِنْ سَمَائِهَا وَأَرْضِهَا . وَقَامَ بِنَفْلِهَا فِي النَّاسِ وَفَرَضِهَا ، وَتَحَلَّى بِبَعْضِ أَسْمَاءِ الشُّهُورِ حَتَّى أَصْبَحَ بَعْضُهَا حَاسِدًا لِبَعْضِهَا . فَالْحَرَمُ لِلْعَائِدِ بِحَرَمِهِ . وَصَفَرٌ لِلطَّامِعِ فِي سَعَادَةِ قَدَمِهِ ، وَرَبِيعٌ لِرَائِدِ نَوَالِهِ . وَرَجَبٌ لِأَقْوَالِ عُدَالِهِ » . وهذا مأخوذ من قول الفرزدق :

يَدَاكَ يَدُ رَبِيعِ النَّاسِ فِيهَا وَفِي الْأُخْرَى الشُّهُورُ مِنَ الْحَرَمِ

وقد قال الشعراء في ذلك كثيراً إلا أني أنا تصرّفت في هذا المعنى تصرّفاً لم يتصرّف

فيه أحدٌ غيري .

(١٩) ديوان ابن الرومي ٣٩٧ ورواية الديوان « رأيت خضاب المرء عند مشيه » .

(٢٠) ديوان أبي نواس ١٣٠ وهو من أبيات يكي فيها البرامكة . وقد مرّ بدورهم . فكتبتها على حائط منها .

ومن هذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب وهو .

ولقد سوى بين أعدائه في البُغضِ وبينَ أموالِهِ فهذه مُعْنِيَةٌ بوقِعِ نِصَالِهِ ، وهذه مُعْنِيَةٌ بصنَائِعِ نَوَالِهِ ، ولو أحبَّ المَالَ لكانَ أحبه إليه ما يبدُّله ، كما أنَّ أحبَّ النَّاسِ إليه مَنْ يَسْأَلُهُ . ومنَ أَحْسَنِ ما سَنَّهُ من الكرمِ أَنَّهُ جَادَ حَتَّى بَدَّلَ رَغَبَ العَافِينَ زُهْدًا ، ورَأَى الحمدَ عِوضًا من الصَّنِيعةِ فَأَبَى أَن يَعتَاضَ من صَنائِعِهِ حَمْدًا « وبعضُ هذا المعنى مأخوذٌ من شِعْرِ أبي نُواسٍ ، وهو :

لَيْتَ أَعْدَائِي كَانُوا لِأَبِي إِسْحَاقَ مَالًا (٢١)

ومن ذلك قولي في وصف القتال ومواطن الحرب ، ووصف الشجاعة والإيجاد ، وما يتعلق بذلك ، ويجرى معه . وهذا الفصل يشتمل على معانٍ مختلفة . فمن ذلك ما ذكرته في وصف العسكر ، وهو :

« فسرنا في غمامة من الكتائب تظللها غمامة من الطيور الأشائب (٢٢) ، فهذه يضمُّها بحرٌ من حديدٍ ، وهذه يضمُّها برٌّ من صعيدٍ ، وما مرَّت ببلدٍ إلا أزلت أرضه من سوائه ، وألبست نهاره ثوبَ ظلماته ، وبدلت أحراره بعبيده ، وحرَّيره بإمائه ، وكذلك فعلت بمدينة فلانة ، وقد ضرب الأمن عليها أسوارًا ، وبعد عهدها بالنواب فلم تدخل لها ديارًا ، فهي تُخبر عن بلهنية الحفص ، ولم ترع عنه بالانتقال ، ولا رأت السيفَ وقد ألقى لونه في ذوائب الأطفال ، فما شعر أهلها إلا وقد رجمها الجيش بكاهله ، ورمها بوابله قبل طله ، وطلَّ السحاب قبل وابله ، وبررت حيلُ القومِ ولها زىُّ فرسانها ، وهي مُستبقة إلى طرادها كاستباقها إلى ميدانها إلا من تتأوَّد القناة من يده بين لَهْدَمِينَ (٢٣) ، وتستقلُّ السرج منه ومن جواده بين مُطَهِّمِينَ (٢٤) ، فجرت المغاويرُ

(٢١) ديوان أبي نواس ١١٨ وهو من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن عبيد الله الحجي .

(٢٢) الأشائب : الأخطاط ، جمع أشابة بضم الهمزة .

(٢٣) اللهدم على وزن جعفر القاطع من الأسنه .

(٢٤) المطهم على وزن معظم السمين الفاحش السمن . والنحيف الجسم الدقيقه : ضدان . والتام من كل

شيء . والبارع الجمال . والمتفخ الوجه ، والمدور الوجه المحتمعه .

إلى المَعَاوِيرِ ، وتَلَاقَتِ الرِّيحُ بِالْأَعاصيرِ ، وكانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمْ عِنَاقًا ، وَاللَّبْتُ وَفَاقًا .
 وَسَبَقَ أَلَمُ الْمَوْتِ أَلَمَ الْجِرَاحِ ، وَنَفَذَتْ غَيْرَ مُخْتَصِبَةٍ لِسُرْعَتِهَا أَسِنَّةَ الرِّمَاحِ ، وَحَصَلَ
 الْقَوْمُ فِي الْقَبْضَةِ ، وَذَمُّوا عَقْمَى النَّهْضَةِ ، وَجِئَءَ بِالْأَسْرَى مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ، مُوقِنِينَ
 أَنَّ رُءُوسَهُمْ عَوَّارٌ عَلَى تِلْكَ الْأَجْسَادِ ، وَلَوْ اسْتَطَاعَ رَأْسُ أَحَدِهِمْ أَنْ يَنْكِرَ عُنُقَهُ
 لِأَنْكَرَهُ ، وَلَا يُوَدُّ - وَهُوَ الْمُعْظَمُ - أَنْ يُقَالَ : مَا أَعْظَمَهُ ! بَلْ يُقَالُ : مَا أَحْقَرَهُ !
 وَتَصَرَّفَتْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَتْلِ وَالنَّهَابِ ، وَكَانَ لِلسَّيْفِ رِقَابٌ ، وَلِلسَّبِي رِقَابٌ «

في هذا الفصل معانٍ كثيرةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ ، وَمِنْهَا مَا أَخِذَ مِنْ شِعْرِ الْمُنْتَبِي كَقَوْلِهِ :
 سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا
 سَحَابٌ إِذَا اسْتَسَقَّتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ (٢٥)

وكقوله :

وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدَ لُونًا وَاللَّقَى لُونَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ (٢٦)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي وَصْفِ الْمُسْلُومِينَ ، فِي فَصْلِ مِنْ جَمَلَةِ كِتَابِ يَتَضَمَّنُ
 الْبَشْرَى بِهَزِيمَةِ الْكُفَّارِ ، وَهُوَ :

« فَسَلِّبُوا وَعَاظَتْهُمُ الدِّمَاءُ عَنِ اللَّبَاسِ ، فَهَمُّ فِي صُورَةِ عَارٍ ، وَزِيَهُمْ زِيُّ كَاسٍ ،
 وَمَا أَسْرَعَ مَا خِيَطَ لَهُمْ لِبَاسُهَا الْمُحَمَّرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُزَرَ ، وَمَا لَيْسُوهُ حَتَّى
 لَيْسَ الْإِسْلَامُ شِعَارَ النَّصْرِ الْبَاقِيَّ عَلَى الدَّهْرِ ، وَهُوَ شِعَارُ نَسَجَةِ السَّنَانِ الْخَارِقِ ، لَا
 الصَّنْعُ الْحَاذِقُ ، وَلَمْ يَغِبْ عَنِ لَابِسِهِ إِلَّا رَشْمًا غَابَتْ الْبِيضُ فِي الطُّلَى وَالْهَامِ (٢٧) ،
 وَأَلْفَ الطَّعْنِ بَيْنَ أَلْفِ الْخَطِّ وَاللَّامِ » .

وَهَذِهِ مَعَانٍ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ ، وَمِنْهَا مَعْنَى وَاحِدٌ مَأْخُودٌ مِنْ شِعْرِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَهُوَ :

سَلِّبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّرَةً فَكَانَهُمْ لَمْ يُسَلِّبُوا (٢٨)

(٢٥) ديوان المتنبي ٣/٣٣٨ - جعل الطير التي يطير فوق عسكره سحاباً ، وجعل جيشه سحاباً ، لما فيه من
 بريق الأسلحة وصبِّ الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً في الصنعة .

(٢٦) ديوان المتنبي ٣/٢٠٠ .

(٢٧) الطلى بالضم الأعناق أو أصولها : جمع ضاد بضم الطاء ، أو طلاة بضمها أيضاً .

(٢٨) ديوان البحتري ٢/١٨٩ .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن فتحاً وهو : « أُصْدِرَ هَذَا الْكِتَابُ .
وَالْفَتْحُ غَضُّ طَرِيٍّ لَمْ تَنْصَلْ حُمْرَةَ يَوْمِهِ ، وَلَا أُغْمِدَتْ سَيْوْفُ قَوْمِهِ . فَسَطُورُهُ مُتْرَبَةٌ
بِمَثَارِ عَجَاجِهِ ، مِمْتَلِئَةٌ بِحُطِّ ضَرْبِهِ وَإِعْجَامِ زَجَاجِهِ (٢٩)
وهذا المعنى يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ (٣٠) :

كَتَبْتُ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًّا وَنَمْنَمَةً ضَرْبًا وَطَعْنَا بِقَاتِ الْهَامِ وَالصُّلْفَا (٣١)
كِتَابَةً مَا تَنبَى مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفًا
إِلَّا أَنْ أَبَا تَمَّامٍ مِثْلَ آثَارِ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ فِي الْوَجُوهِ بِالْكِتَابَةِ ، وَأَنَا مِثْلْتُ الْكِتَابَةَ
وَإِعْجَامَهُ بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ ، فَكَانَتْنِي عَكْسَتْ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو تَمَّامٍ :
وهذا مقصود في حلِّ الأبيات الشعرية حسنٌ ، فَإِنَّ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى مِنْ عَكْسِهِ أَدْقُ
مِنْ اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَدْ نَبَّهْتُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ مِنْ هَذَا الْبَابِ .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحاً من فتوح الكفار ، وهو :

« وَأَقْبَلْتُ أَحْزَابُ الْكُفْرِ وَهِيَ مَعْتَصِمَةٌ بِصَلِيلِهَا ، وَرَفَعَتْهُ عَلَى أَعْوَادٍ عَالِيَةٍ كَهَيْئَةِ
خَطِيلِهَا ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِ الْهَوَانَ بَعْدَ تِلْكَ الْكِرَامَةِ ، وَأَنَّهُ ذُو شُعْبٍ أَرْبَعٍ ،
وَالْتَرَبِيعُ نَحْسٌ فِي حُكْمِ النَّجَامَةِ (٣٢) ، وَكَيْفَ تَرْجُو بِكُفْرِهَا ظَهُورًا ، وَلَهَا مِنْهُ مَعْنَى
الْإِخْتِفَاءِ ، وَاللِّسْلَامِ مَعْنَى السَّلَامَةِ ، وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ اصْطَفَقَتْ بَيْنَ وَشِمَالِ ،
وَزَحَفَتْ جِبَالُ إِلَى جِبَالِ ، وَكَثُرَتْ النُّفُوسُ عَلَى الْمَنَابِإِ حَتَّى كَادَتْ لَا تَفْقَى بِالْأَجَالِ ،
وَأَقْدَمَتْ الْخَيْلُ إِقْدَامَ فُرْسَانِهَا ، وَأَظْلَمَ النَّعْقُ فَلَا تَبْصُرُ إِلَّا بِأَذَانِهَا ، وَنَالَتْ النَّحُورَ ثَارَهَا
مِنْ كُعُوبِ الرِّمَاحِ ، وَاشْتَكَّتِ الْأَسْنَةُ فَلَا طَرِيقَ بَيْنَهَا لِمَهَبِّ الرِّيَّاحِ ، وَاسْتَوْصَلَتْ شَجَرَةَ
الْكَافِرِينَ بِالْقَطْعِ لَا بِالْجِدَادِ ، وَحَالَ حُدُّ السَّيْفِ دُونَ حَدِيدِ الْأَصْفَادِ ، وَنُقِلُوا إِلَى

(٢٩) الزجاج بكسر الزاى جمع زج بضمها : الحديدية في أسفل الرمح .

(٣٠) ديوان أبي تمام ٢٠٣ .

(٣١) المشق مد الحروف ، والصلف جمع صليف ، وهو عرض العنق .

(٣٢) أراد بها صناعة التنجيم . قال ابن أبي الحديد : إن لفظة « النجامة » رديئة مستغفلة على أنا لا نعرف

صحتها وجوازها . ولا سمعناها اسماً للتنجيم ولا مصدرأً - انظر الفلك الدائر على المثل السائر ٥٠ .

جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا وَبُئْسَ الْجِهَادِ ، وانقلبَ المسلمونَ وقد ملثوا الأَغَادَ نَصْرًا ، والصحائفَ
أَجْرًا ، والأيدى وَفْرًا ، والقلوبَ جَدَلًا ، والألسنةَ شُكْرًا وكان ذلكَ اليومُ في الأيامِ
عَلَمًا ، وفي الأقسامِ قَسَمًا ، ولم يرهَ الزمانَ منسوبًا إليه إلا رَاجِعَ شَبَابًا بعدَ أن نَاهَزَ
هَرَمًا .

في هذا الفصل شيءٌ من معاني الشعر ، وذلك من قولِ أبي الطَّيِّبِ المَتَنِيِّ (٣٣) .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طِوَالَ السَّيْبِ قِصَارَ العُسْبِ (٣٤)
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِبْ
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهٍ ذَا لَمْ تَخْطُ القَنَا أَوْ تَثِبْ
ومن قولِهِ أَيضًا (٣٥) :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ عُبَارُهُ فَكَانَمَا يُبْصِرُنَ بِالآذَانِ

ومن ذلك ما ذكرته في الإنجاد واجابة الصريح ، وهو :

إِذَا اسْتُصْرَخَ أَصْرَخَ بَعْزِمٍ غَدَّتْهُ صُحْبَةُ الجَيْشِ عَنِ لَدَّةِ العَيْشِ ، فَهُوَ يَسْتَعْدِبُ حَرَّ
الثغورِ على بَرْدِ الثُّغُورِ ، وَيَلْهُوُ بِالْبَيْضِ الذُّكُورِ عَنِ بَيْضِ الحُدُورِ ، وَلَا طِيبَ عِنْدَهُ إِلَّا
رِيحُ العَجَاجِ ، وَلَا عِنَاقُ إِلَّا أَطْرَافُ الرَّجَاجِ ، وَلَا أَرَبَ لَهُ فِي الرُّقَادِ ، إِلَّا عَلَى
صَهَوَاتِ الجِيَادِ ، فَعَسَكَرُ قَلْبِهِ أَمْضَى فِي الوَعْيِ مِنْ عَسْكَرِ ، وَنَهْجَدَةُ بِأَسِهِ تَأْتِي لِقاءَ
الأقْرَانِ فِي دِرْعٍ أَوْ مِغْفَرٍ (٣٦) وهذه المعاني مأخوذة من أبيات الحياصة ، ومن شعر مُسْلِمِ
بن الوليدِ .

(٣٣) ديوان المتني ١/١٠١ .

(٣٤) السيب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعسب جمع عسيب ؛ وهو منبت الذنب من الجلد
والعظم ؛ والعسيب من السعف ؛ فوق الكرب لم ينبت عليه خوص ، والعسيب : اسم جبل . يريد أن الدمستق
ملك الروم أتاهم بخيل أوسع من الأرض ؛ والمستحب في الخيل ما ذكر : أن يطول شعر الذنب ، ويخص
عظمه .

(٣٥) ديوان المتني ٤/١٧٦ . والجحفل الجيش العظيم ؛ مأخوذ من تحجفل القوم ، أى اجتمعوا .

(٣٦) المغفر على وزن منير : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح .

ون ذلك ماذكرته في وصف المخبر دون المنظر ، وهو :

« إِذَا سَمَوْتُ لِأَمْرٍ فَكُنْ وَاحِدًا فِي مَكَانِكَ ، وَلَا تَرْضَ بِكَثْرَةِ الشَّرْكَاءِ فَيُقَالُ : فُلَانٌ
مِنْ أَقْرَانِكَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الْحَرْبَاءِ الَّذِي هُوَ دَوْبِيَّةٌ حَقِيرَةُ الشَّانِ ، ضَعِيفَةُ الْأَرْكَانِ . فَإِنَّهُ
ارْتَفَعَ فِي هَوَاهُ عَنِ الْأَرْضِ وَأَنْسَاهَا ، إِلَى السَّمَاءِ وَشَمْسِيهَا ؟ وَقَالَ : لَا أَحِبُّ مَنْ تُفْسِدُ
الْأَيَّامَ مِنْ حُسْنِهِ ، وَلَا مِنْ أَحَدٍ بِسَمَةِ خَلْمِهِ ^(٣٧) وَلَا خِدْنِهِ ، وَالهِمَمُ لَيْسَتْ مَنُوطَةً
بِجَهَارَةِ الْعِنَاظِرِ ، وَالتَّعْوِيلُ عَلَى الْخَبْرِ الْمُسْتَرِّ فِي الْأَفْتَدَةِ الْبَاطِنَةِ لَا عَلَى الظَّوَاهِرِ ، وَمِنْ
هَاهُنَا قِيلَ إِنَّ وَضَاءَةَ النُّفُوسِ أَنْضَرُ مِنْ وَضَاءَةِ الْأَجْسَادِ ، وَرَقْمُ الشِّيمِ أَحْسَنُ مِنْ رَقْمِ
الْأَبْرَادِ » وَأَخْرَجَ هَذَا الْفَصْلَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ سُحَيْمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ ^(٣٨) :
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حَرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنْ أَبْيَضَ الْخُلُقُ ^(٣٩) :
إِلَّا أَنَّ الْفَصْلَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى غَرِيبًا لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ .

ومن ذلك ماذكرته في الحسد في فصل من كتاب ، وهو :

« حَاسِدٌ سَيِّدُنَا يَنْظُرُ إِلَى زَهْرَةِ دُنْيَاهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ ، وَهُوَ كَالنَّاظِرِ إِلَى
الْأَطْوَاقِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْجَدِيدِ ، وَلَا يَدْرِي أَنَّ الْجَدِيدَ أَحْسَنُ مِنْ أَطْوَاقِهِ ، وَلَوْ قَاسَ الدُّنْيَا
بِالاسْتِحْقَاقِ لَذَهَبَ الْحَسَدُ مِنْ صَدْرِهِ ، وَقَالَ : مَا لِي أَحْسَدُ مَنْ لَمْ يَنْتَهَ قَدْرُ دُنْيَاهُ إِلَى
مِعْشَارِ قَدْرِهِ ؟ »

ومن ذلك ماذكرته في صدر كتاب يتضمن الإعذار عن تواتر المكاتبات ، وهو :

« إِذَا اعْتَذَرَ مِنْ انْقِطَاعِ الْكُتُبِ ، اعْتَذَرَ الْخَادِمُ مِنْ اتِّصَالِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ وَارِدَةً عَلَى
غَيْرِ ذَلِكَ الْبَابِ الْكَرِيمِ لَخَافَ مِنْ إِمْلَاطِهَا ، وَقَدْ عُدَّ احْتِمَالُ تَثْقِيلِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَيَادِي

(٣٧) الخلم بالكسر الصديق والصاحب .

(٣٨) سحيم عبد بنى الحسحاس من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد . وبنو
الحسحاس من بنى أسد بن خزيمه . قال المبرد : كان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية . وقتل سحيم في
خلافة عثمان رضي الله عنه . لما قيل من تغزله في امرأة من بنى عبد الحسحاس .

(٣٩) البيت في خزنة الأدب ٣٨٣/١ .

التي أنقلته ، وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهلته ، وهو الآن مرتهن بين قديم وجديد ، وأصبح كخرأش إذ تكاثرت عليه الطباء فلم يدّر لكثرتها ما يصيد ، فإن أمسك سيّدنا من أياديه ، وإلا فليفضل على الشكر بالأنظار ، وليعلم أن ذمّة وفائه كذمّة ديوان المال في الإعسار .

هذا فصل في هذا المعنى قلّما يؤتى بمثله ، وفيه معنى واحد من قول الشاعر :

تكاثرتِ الطّباءُ على خِراشٍ فما يدري خِراشٌ ما يصيدُ

ومن ذلك ما ذكرته في استطلاع مودة ، فقلت :

« كنتُ عنده بالمنزلة التي آمنُ بها ما أجنبيهِ فصرتُ أخافُ ما لم أجنه ، وكان لا يقبلُ عليّ شهادةَ عينه ، فأصبح الآن يقبلُ عليّ شهادةَ أذنه ، لكن لم يجعل الله القلوبَ بين أصبعين من أصابعه إلا ليذهبَ بها كلَّ وادٍ ، ومن هاهنا كانتُ تنتقلُ من وادٍ إلى قلى ، ومن قلى إلى وادٍ ، ولا شك أن لها بين الحالتين عمراً تنتهى إليه كما تنتهى أعمارُ الأجساد ، والصبرُ خيرٌ ما استعملُ في جفأ الإخوان ، والماء إذا جرى في مكانٍ ثم انحرفَ عنه فلا بدَّ أن يعودَ إلى ذلك المكان . »

وبعض هذا مأخوذٌ من شعر ابن الرومي :

عهدتُك لا تعتدُّ بالعينِ شاهداً عليّ فلم أصبحتُ تعتدُّ بالأذن^(٤٠)

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الملوك على يد بعض العفاة ،

وهو :

« الشيم الكريمة للإنسان ، بمنزلة المسك في سرر الغزلان ، غير أن طيب هذه يعبق بالأنوف ، وطيب هذه يعبق بالأذان ، وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين قرناً ، فأحدهما يبقى دائماً ولا يذهب ، والآخر يذهب ولا يبقى . ونصيب مولانا من الطيب الباقي نصيب زكت معادنه ، وكثرت خزائنه ، وسارت في الأرض محاسنه ،

(٤٠) ديوان ابن الرومي ٤٣١ ، وهو من قصيدة قالها مستعظفا ومستبظفا أبا الحسن محمد بن أبي سلافة في

مكاتبته إياه .

وَرَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَى مَحَلٍّ يَبْعُدُ شَأُوهُ عَلَى الطَّالِبِ ، وَلَا يُرَى إِلَّا فِي لِسَانِ خَاطِبٍ ، وَهُوَ مَا اسْتَشْنَى مِنْ خَلْقِ النَّاسِ الَّذِي هُوَ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (٤١) . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُرَوْنَ أَشْبَاهًا مَاعِدَاهُ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُقَرُّ بِفَضْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ حُسَّادِهِ أَوْ عِدَائِهِ ، وَقَدْ أَصْبَحُوا وَهُمْ يَقُولُونَ لَدَيْهِ حِينَ يَكْتُمُونَ ، وَيَقُولُ كُلُّ مَنْهُمْ لِمُصَاحِبِهِ : « أَفَسِحِرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ » (٤٢) .

هذا الفصل وإن تضمن شيئاً من القرآن الكريم ، فليس المراد هاهنا القرآن الكريم ، بل منه شيء مأخوذ من الشعر ، وهو قول المتنبي (٤٣) :

النَّاسُ مَالِمٌ يَرَوُكَ أَشْبَاهُهُ وَالذَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الخمر ، وهو :

« الخمر لا تفي لذة إسكارها [إلا] بتغيض خمارها . فهي خرقة البيان بذيئة اللسان . وتأنيثها يدلُّك أنها من ناقصات العقول والأديان . وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ، ولولا ذلك لما استأثرت من الرؤوس بجناية أقدامها » .

وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وأطف ، لأنه قال :

ذَكَرْتُ حَقَائِدَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ عَدْتُ وَهَنَا تُدَاسُ بِأَرْجُلِ الْعَصَارِ
لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى انْتَشَوْا فَتَحَكَّمْتُ فِيهِمْ فَنَادَتْ فِيهِمْ بِالنَّارِ

وكذلك قلت في وصفها أيضا ، وهو :

« مُدَامَةٌ تَبْقَى خَوَاطِرَ الْهُمُومِ ، وَتَسْرَى مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْجُسُومِ ، وَتَشْهَدُ بَأَنَّ الْكَرْمَ مُسْتَمَدًّا مِنْ مَاءِ الْكَرُومِ . وَيَتَمَثَّلُ حَبِيبُهَا نَجُومًا ، إِلَّا أَنَّهَا مُضِلَّةٌ وَالْهِدَايَةُ لِلنُّجُومِ »
وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس :

(٤١) تضمين قول الله تعالى « فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب » سورة الصافات : آية ١١ ، واللازب : اللازق .

(٤٢) سورة الطور : آية ١٥ .

(٤٣) ديوان المتنبي ٢٦٣/٤ وهو مطلع قصيدة بمدح بها أبا العثائر . وقد أراد سفيراً .

إِذَا هِيَ حَلَّتْ فِي اللَّهَاءِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هَمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلٍ (٤٤)
وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سُمج ، لكن الذي ذكرته بعد هذا
المعنى من محاسن المعاني في وصفها .

وكذلك ما ذكرته في وصفها ، وهو :

« الخمر كالعذراء في نفورها ، وملازمة خدورها ، ولهذا تسمت من نكاح المزاج ،
وتصخب لمس الماء صحب الأبقار لمس الأزواج ، ومن شأنها أن تلبس عند الزفاف
إكليلاً على رأسها ، وكذلك شأن العرائس عند زفافها إلى أعراسها » .
وهذه الماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري ، وإنما
وُصِفَتْ بأنها بكر ، كقول أبي نواس (٤٥) :

فَقَلْتُ لَشَيْخٍ مِنْهُمْ مُتَكَلِّمٌ لَهُ دِينَ قِيسٍ وَفِي نُطْقِهِ كُفْرٌ (٤٦)
أَعِنْدَكَ بِكَرٍ مَرَّةً الطَّعْمِ قَرَفٌ صَنِيعَةٌ دِهْقَانٍ تَرَاحَى لَهُ الْعُمُرُ (٤٧)
فَقَالَ عَرُوسٌ كَانَ كِسْرَى رَبِيهَا مُعْتَقَةٌ مِنْ دُونِهَا الْبَابُ وَالسُّتْرُ
وَوُصِفَتْ بِالنِّكَاحِ وَالزَّوْجِ ، كَقَوْلِهِ أَيْضًا (٤٨) :

وَقَهْوَةٌ كَالعَقِيقِ صَافِيَةٌ يَطِيرُ مِنْ كَاسِهَا لَهَا شَرٌّ
زَوْجَتُهَا الْمَاءَ كَمَا تَدِلُّ لَهُ فَاْمْتَعَضَتْ حِينَ مَسَّهَا الذَّكْرُ

(٤٤) ديوان أبي نواس ٣١٠ ورواية الديوان . إذا ما أتت دون اللهاء من الفتى . واللهاء اللحمية المشرفة على
الخلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم .

(٤٥) ديوان أبي نواس ٢٨٠ .

(٤٦) موضع هذا البيت في الديوان :

حططنا على خمارها جنح ليلة فلاح لنا فجر ولم يطلع الفجر

(٤٧) رواية الديوان . وأبرز بكراً مرة الطعم قرفاً .

والقرقف : على وزن جعفر الخمر يرعد عنها صاحبها . والدهقان بالكسر والضم القوى على التصرف مع
حدة ، والتاجر ، وزعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم ، معرب . والجمع دهاقنة ودهاقين . والاسم الدهقنة .

(٤٨) ديوان أبي نواس ٢٨٩ . والبيت الثالث بعد هذين البيتين :

كذلك البكر عند خلوتها يظهر منها الحياء والخفر

ومن ذلك ما ذكرته في الخزم ، وهو :

« لا ينبغي للحازم أن يساور المورد المؤذن بمصيقه ، وإن أفضى الصدر إلى رحيبه ، فإن توفى الداء خير من التعرض له مع وجود طبيبه ، ولندع قول من يقعد على تلّ السلامة ، ثم يلبس الكتائب بالكتائب ويقول ليس للزم إلا تمام الصدور ، وليس اه تمام العواقب » .

بعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام (٤٩) :

وركب كأطراف الأسنّة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الرأى والكيد وهو :

« أخفى على العدو كيدَه حتى لم يدع كائداً ، وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائداً ، فسبّوه تسطو على بعدها ، ولا تقطع إلا وهي في غمدها » .

وبعض هذا المعنى أخذته من شعر أبي تمام ، وهو (٥٠) :

سكن الكيد فيهم إن من أعظم م كيدٍ ألا تسمى أريباً

وكذلك قولى في هذا المعنى وهو :

« أخذ بسمع العدو وبصره ، وسدّ مطلع ورده وصدّره ، فيداه مغلولة مع أنّها مطلقّة السراح ، ومقاتله بادية على أنّها شاكية السلاح » .
وهذا المعنى ينظر إلى المعنى الذى قبله .

(٤٩) ديوان أبى تمام ٤٤ من قصيدة يمدح بها أبى العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب :

ومطلعها :

أهن عوادى يوسف وصواجه فجزماً فقدماً أدرك السؤل صاحبه

(٥٠) ديوان أبى تمام ٢٧ . ورواية الديوان « إن من أعظم إرب » والإرب الحاجة أو الدهاء والأريب :

العافل . والبيت من قصيدة يمدح بها أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى . وأولها :

من سجايا الطلول ألا تجيباً فصواب من مقلتى أن تصوبا

وكذلك قولى أيضاً ، وهو :

« بَيْتُ رَأْيِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ جَيْشِهِ وَتَلْقَاهُ يَطِيشُ قَلْمَهُ ، الَّذِي كُلُّ الْحِلْمِ فِي طَيْشِهِ ، فَإِذَا أَطَلَّتْ وَجْوهَ الْآرَاءِ كَانَ رَأْيُهُ لَهَا صَبَاحًا ، وَإِذَا جُهِزَتِ الْجَحَافِلُ لِحَرْبٍ كَانَ قَلْمُهُ لَهَا سِلَاحًا » .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر البُحْتَرِيِّ :

وَهُوَ الْمَرْءُ مَا غَزَا بِلَدًّا بِالرَّأْيِ إِلَّا كَفَاهُ غَزَا الْجُنُودِ (٥١)

ومن ذلك ما ذكرته في وصف السير والركاب والخيل والقفار وما يتعلق بها فإنه ما يتعلق بالسير وهو :

رَكِبَ ظَهَرَ اللَّيْلِ يُبَارِي مَسِيرَ شَهْبِهِ بِمَسِيرِ أَشْهَبِهِ ، وَيَسْتَقْرِبُ بَعْدَ الْمَدَى فِي نَيْلِ مَطْلَبِهِ ، غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ تَقْرَى أَدِيمَ الْغِيَاهِبِ ، وَهَذَا يَقْرَى أَدِيمَ السَّبَاسِبِ (٥٢) .

وهذا مأخوذ من قول المتنبي :

يُبَارِي نُجُومَ الْقَدْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرَدٌ وَأَذْهَمٌ (٥٣)

ومن هذا المعنى أيضاً قولى وهو :

« اتَّخَذَ اللَّيْلَ ظَهْرًا ، وَاسْتَلَانَ خُشُونَةَ الْمَسْرَى ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْدِفُ صَبْعَةَ سَوَادِهِ بِصَبْعَةِ جَوَادِهِ ، حَتَّى بَدَتْ فِي أَدِيمِ اللَّيْلِ شِيَاتٌ صَبَاحِهِ ، وَشَابَهُ الْأَذْهَمَ فِي غَرَّتِهِ وَأَوْضَاحِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَحْذَا أَحَدَهُمَا فِي رَجِيلِهِ ، وَأَحْذَا الْآخَرَ فِي نَزْوَلِهِ » .

وهذا المعنى ينظر إلى الذى قبله ، وفيه من شرف الصنعة مالا خفاء به .

(٥١) هو مثل قوله :

فهى من عزم رأيه فى جنود فى من حولها مقام الجنود

(٥٢) السباسب : جمع سبب . وهو المفازة ، أو الأرض المستوية البعيدة .

(٥٣) ديوان المتنبي ٣/٣٥٣ . ورواية الديوان « تبارى » بالناء . ونجوم القذف : هى التى تقذف بها

الشياطين . قال الله تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » . والورد : الفرس الأحمر .

ومن ذلك ما ذكرته أيضا في فصل من كتاب وهو :

« سِرْتُ وَتَحْتِي بِنْتُ قَفْرَةَ لَا يَذْهَبُ السُّرَى بِجِمَاحِهَا ، وَلَا تَسْتَزِيدُ الْحَادِيَّ مِنْ مِرَاحِهَا ، فَهِيَ طَمُوحٌ بِأَثْنَاءِ الزَّمَامِ ، وَإِذَا سَارَتْ بَيْنَ الْإِكَامِ قِيلَ هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ الْإِكَامِ . وَلَمْ تُسَمَّ « جِسْرَةٌ (٥٤) » إِلَّا لِأَنَّهَا تَقْطَعُ عَرْضَ الْفَلَاةِ كَمَا يَقْطَعُ الْجِسْرُ عَرْضَ الْمَاءِ ، وَلَا سُمِّيَتْ « حَرْفًا (٥٥) » إِلَّا لِأَنَّهَا جَاءَتْ لِمَعْنَى فِي الْعَزَائِمِ لِامْتِنَانِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ، وَخَلْفَهَا جَنِيبٌ مِنَ الْخَيْلِ يُقْبَلُ بِجَذَعٍ وَيُدْبِرُ بِصَخْرَةٍ . وَيَنْظُرُ مِنْ عَيْنِ جَحْظَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأَذُنِ حَشْرَةٍ ، وَيَجْرِي مَعَ الرِّيحِ الزَّعْرَعِ ، فَيَدْرُهَا وَقَدْ ظَهَرَ فِيهَا أَثَرُ الْقَتْرِ ، وَمَا قِيدَ خَلْفَهَا إِلَّا وَهُوَ يَهْتَدِي بِهَا فِي الْمَسَالِكِ الْمُضِلَّةِ ، وَيَطُّ عَلَى أَثَرِهَا ، فَيَرْقُمُ وُجُوهُ الْبَدْوِ بِأَشْكَالِ الْأَهْلَةِ ، هَذَا وَاللَّيْلُ قَدْ أَلْتِي جِرَانَهُ (٥٦) فَلَمْ يَبْرَحْ ، وَالْكَوَاكِبُ قَدَرَكَدَتْ فِيهِ فَلَمْ تَسْبَحْ . وَأَنَا أَوْدُ لَوْ زَادَ طَوْلُهُ ، وَلَمْ تَظْهَرْ غَرَّةَ أَدْهَمِهِ وَلَا حَجُولَهُ ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَدْنَى لِلْبُعْدِ وَأَكْتَمُ لِلْأَسْرَارِ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ النَّبِيُّ بِأَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِي فِيهِ مَا لَا تَطْوِي فِي النَّهَارِ . وَمَا زِلْتُ أُسِيرُ بِرَيْدِهَا تَنْوُّهُ بِهِ حَتَّى كَادَ يَنْضَوُّ لَوْنُ السَّوَادِ ، وَظَهَرَ لَوْنُ السَّرْحَانِ ، فَأَغَارَ عَلَى سَرْحِ السَّمَاءِ كَمَا يَغْيُرُ السَّرْحَانُ عَلَى سَرْحِ النَّقَادِ (٥٧) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَلَتْ الْعَيْنُ مِنَ الْكُرَى نَهْلَةَ الطَّائِرِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى الظَّهْرِ السَّائِرِ » .

في هذا الفصل كلُّ مليحةٍ من المعاني ، ولو لم يكن في هذا الكتاب سيواه ، لكان كافياً ، وبعضه مأخوذ من الشعر ، كقول أبي تمام :

طَمُوحٌ بِأَثْنَاءِ الزَّمَامِ كَأَنَّمَا يَخَالُ بِهَا مِنْ عَدْوِهَا طَيْفَ جِنَّةٍ (٥٨)
وكقوله :

بِالشَّدَقِيَّاتِ الْعَتَاقِ كَأَنَّمَا أَشْبَاحُهَا بَيْنَ الْإِكَامِ إِكَامٍ (٥٩)

(٥٤) الجسرة : العظم من الإبل . (٥٥) الحرف : الناقة العظيمة .

(٥٦) جران البعير : مقدم عنقه من مذمحه إلى منخره .

(٥٧) النقاد جمع نقد جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٥٨) ديوان أبي تمام ٦٠ والناقة الطموح التي ترفع يديها في السير .

(٥٩) ديوان أبي تمام ٢٨ . والشذقيات يراد بها النوق الكرام . والإكام التلال .

ومن ذلك ما ذكرته في النسب في فصل من كتاب وهو :

« لهُمْ نَسَبٌ لَا تَدْخُلُهُ لَامُ التَّعْرِيفِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لَا يَجْرِي عَلَى سَنَنِ التَّوْقِيفِ ، فَإِذَا ذَكَرَ أَوَّلَهُ وَقَفْتَ مِنْ عَرَفَانِهِ عَلَى طَلَلٍ ، وَوَجَدْتَهُ مُهْمَلًا فِي جُمْلَةِ الْهَمَلِ ، وَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ مِنْ نَجُومِ السَّمَاءِ ، قُلْتَ . لَكِنَّهُ لَا يَجْرُجُ عَنِ الثَّوْرِ أَوْ الْحَمَلِ ، فَمَا أُزْهِفَ لَوْصِفِهِ لِسَانَ الْإِنْبَاءِ ، وَلَا اقْتَدَحَ لَهُ زِنَادٌ خَاطِرِ الْإِكْبَاءِ ، وَهُمْ مِنْهُ كَأَوَى الَّذِي يَرَى النَّاسَ لَهُ ابْنًا ، وَلَا يَرُونَ لِابْنِهِ أَبًا » .

وهذا مِنْ أَعْرَبِ مَا يُؤْتَى بِهِ فِي ذِمِّ النَّسَبِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ تَوْلِيدِ الْمَعَانِي الَّتِي يُسَمَّى الْكَيْمِيَاءَ ، وَبَعْضُهُ مُسْتَوْلَدٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فِي هِجَاءِ الْخَصِيبِ (٦٠) :

وَمَا خَيْرُهُ إِلَّا كَأَوَى يَرَى ابْنَهُ وَلَمْ يَرِ آوَى فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ (٦١)

فَأَبُو نَوَاسٍ ذِمَّ خَبِزَ (٦١) الْخَصِيبِ فِي عَدَمِ رُؤْيَتِهِ ، وَأَنَا نَقَلْتُ ذَلِكَ إِلَى النَّسَبِ ، فَجَاءَ اللَّطْفَ وَأَحْسَنَ وَاللَّيْقَ ، وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الصَّنْعَةِ . وَإِذَا حُقِّقَ النَّظْرُ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو نَوَاسٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَوْجَدْ مَنَاسِبًا ، فَإِنَّ الْخَبِزَ (٦٢) فِي عَدَمِ رُؤْيَتِهِ لَا يُحْمَلُ عَلَى ابْنِ آوَى . وَإِنَّمَا الْمُنَاسِبَةُ تَقَعُ فِي النَّسَبِ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِ الْإِبْنِ وَالْأَبِ .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت :

« تَرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَنْقَعُوا صَدَى ، وَلَمْ يَجْرُوا إِلَى مَدَى ، فَأَعْرَاضُهُمْ نَكْرَةُ الْعَارِفِ ، وَأَمْوَالُهُمْ حَنْظَلَةُ النَّاقِفِ ، وَلَا تُمْطِرُ سُحُبُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ مَائِهَا ، وَلَا تَرَكَوْا الزَّرْبِعَةَ بَارِضِهِمْ عَلَى نَمَائِهَا » .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الشريف الرضي (٦٣) .

(٦٠) هكذا روى ابن الأثير . والذي في ديوان أبي نواس (ص ١٧١) أن هذا الشعر مهاجبه إسماعيل بن أبي سهل بن نوحته . وقبل هذا البيت :

على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل

وبعده :

وما خيزه إلا كعقواء مغرب تصور في بسط الملوك وفي المثل

(٦١) في الأصل « وما خيره » بالراء . وهو تصحيف .

(٦٢) في الأصل « خير » بالراء ، وهو تصحيف .

(٦٣) هو أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي الموسوي . نقيب أشراف بغداد . وأشعر بني هاشم .

توفي سنة ٤٠٦ هـ عن خمس وأربعين سنة .

تَرَكْتُ أَنَا سَاءَ لَمْ يَهْشُوا لِمِنَّةٍ وَلَمْ يَنْقَعُوا عَلَّ الظَّمَاءِ الخَوَامِيسِ
 عَلَى القُرْبِ فِيهِمْ إِنِّي غَيْرُ طَامِعٍ وَمِنْكَ عَلَى بُعْدِ المَدَى غَيْرُ آيِسِ

ومن هذا الباب أيضا قولي وهو :

« تَرَكْتُ قَوْمًا يَسْأَلُونَ الحَبِيبَ ، وَيَمْلُونَ القَرِيبَ ، وَلَا يَرْعَوْنَ مَنْ يَرْعَاهُمْ ، وَلَا يَدِيرُ
 اللَّبَنُ عَلَى مَرْعَاهُمْ ، فَتَوَالَهُمْ تَحَايَا ، وَأَعْرَاضُهُمْ ضَحَايَا ، وَمِنْ أَحْسَنِ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ
 يَعَاقِبُونَ عَلَى الظَّنَّةِ ، وَلَا يَرْتَاخُونَ لِمِنَّةٍ ، فَالذَّرَائِعُ لَدَيْهِمْ مَدْفُونَةٌ ، وَالصَّنَائِعُ غَيْرُ
 مَسُونَةٌ » .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي (٦٤) :

رَأَيْتَكُمْ لَا يَصُونَ العَرَضَ جَارِكُمْ وَلَا يَدِيرُ عَلَى مَرْعَاكُمْ اللَّبَنُ
 جَزَاءَ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحِظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ ضَغْنٌ

ومن ذلك ما ذكرته في الحث على الاغتراب وهو :

« لَوْلَا التَّغْرِبُ لَمَا ارْتَقَتْ بَنَاتُ الأَصْدَافِ إِلَى شَرْفِ الأَعْنَاقِ ، وَلَا ارْتَقَى تَرَابُ
 الأَحْجَارِ إِلَى نُورِ الأَخْدَاقِ » .

وكذلك قولي في هذا المعنى وهو :

« فِي الانتقالِ تَنْوِيهٌ لِحَامِلِ الأَقْدَارِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُكْسَ الهَلَالُ حُلَّةَ الأَبْدَارِ ،
 وَالمُهَنْدِلُ الرَّطْبُ حَطْبٌ فِي أوطَانِهِ ، وَالمِسْكُ دَمٌ فِي سُرْرِ غَزْلَانِهِ ، وَلَوْلَا فِرَاقُ السَّهْمِ
 وَتَرَهُ لَمْ يَحِظَّ بِفَضْلِ الإِصَابَةِ ، وَلَوْلَا فِرَاقُ الوَشِيحِ (٦٥) مَنِتَبَهُ لَمْ يَتَحَلَّ بِعِزِّ اللِّسَانِ وَلَا
 شَرْفِ الذُّوَابَةِ » .

وهذا الفصلُ فصلٌ من القولِ في مَعْنَاهُ ؛ وَمِمَّا لَمْ يُنْبِشْ لِلخَوَاطِرِ ابْتِنَاءً مَبْنَاهُ ، فَهِنَّ
 مَا هُوَ مَأخُودٌ مِنَ الشَّعْرِ ، وَمِنْهُ مَا سَنَحَ بِهِ الخَاطِرُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ، وَهُوَ يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ .

(٦٤) ديوان المتنبي ٢٣٦/٤ من قصيدته التي مطلعها :

بِمِ التَّلَلِ ؟ لَا أَهْلَ وَلَا وَطَنٍ وَلَا نَدِيمٍ وَلَا كَأْسَ وَلَا سَكَنٍ

(٦٥) الوشيج : شجر الرماح .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الأيام وهو :

« أيام تعدُّ بأعوامٍ لِقَصْرِ أَعْمَارِهَا ، وشُهُورٌ لا يشعُرُ بِأَنصَافِهَا ولَأَسْرَارِهَا (٦٦)
 فالأوقات بها أصائل ، والمحاسنُ فيها شمائل ، والمآربُ في سَاعَاتِهَا رِيَاضٌ فِي خَمَائِلِ ، فَمَا
 أَدْرِي أَهْيَ خَيَالَاتُ أَحْلَامِ غَزَّتْ ، أَمْ أَحَادِيثُ أَمَانٍ مَرَّتْ ؟ »
 وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة (٦٧) :

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنصَافٍ لَهْنًا وَلَا سِرَارِ

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الإخوان وهو :

« لَيْسَ الصَّدِيقُ مِنْ عَدَّ سَقَطَاتِ قَرِينِهِ ، وَجَازَاهُ بَغْتَهُ وَسَمِينِهِ ، بَلِ الصَّدِيقُ مِنْ
 مَا شَى أَخَاهُ عَلَى عَرَجِهِ ، وَاسْتَقَامَ لَهُ عَلَى عَوَجِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي إِنْ رَأَى سَيْئَةً وَطِئَهَا
 بِالْقَدَمِ ، وَإِنْ رَأَى حَسَنَةً رَفَعَهَا عَلَى عِلْمٍ . »
 وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة (٦٨) .

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرِحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
 إِلَّا أَنَّ الَّذِي ذَكَرْتَهُ ضِدُّ هَذَا الْمَعْنَى ، وَقَدْ يُسْتَخْرَجُ الْمَعْنَى مِنْ ضِدِّهِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ
 مِمَّا يُسْتَخْرَجُ مِنْ نَفْسِهِ .

ومن هذا قولي أيضا وهو :

« لَيْسَ الصَّدِيقُ مِنْ صَرَّى (٦٩) أَحْلَافِ وُدِّهِ ، وَغَشَّ فِي صَفْقَةِ عَهْدِهِ ، بَلِ
 الصَّدِيقُ مَنْ لَا تُرَدُّ سِلْعُهُ وُدَّهُ بِإِقَالَةٍ وَلَا عَيْبٌ ، وَلَا تُخَصَّصُ مَحَافِظُهُ إِخْوَانِهِ بِشَهَادَةِ دُونِ
 غَيْبٍ ، فَذَلِكَ أَنْخَى مِنْ غَيْرِ نَسَبٍ وَكَتَرَى مِنْ غَيْرِ نَسَبٍ (٧٠) »

(٦٦) السرار من الشهر آخر ليلة منه .

(٦٧) ديوان الحماسة ٦٦/٢ .

(٦٨) ديوان الحماسة ١٧٩/٢ ونسبه لقضب بن أم صاحب . وهو شاعر إسلامي كان في أيام الوليد بن

عبد الملك .

(٦٩) صرى الشاة تصرية إذا لم يجلها أيامًا . حتى يجتمع اللبن في ضرعها . والشاة مصراة

(٧٠) النشب بفتحبتن المال والعقار .

وهذا مأخوذٌ من الفقه في تصرّية ضرع الشاة عند البيع . وذلك يُوجبُ الرّد .

ومما ينتظم بهذا السلك قولى وهو :

« الانتقال عن خلة الواد كالانتقال عن نسب الميلاد . وكما يحرم هذا فى نصّ الحكم المشروع ، فكذا يحرم هذا فى خلق الكرم المطبوع . على أنّ نسب الخلة الذى ينميه القلب إلى القلب . أوصل من نسب الرحم الذى ينميه الابن إلى الأب . ولهذا كانت مودة سلمان^(٧١) قرى . ونسب أبى لهب سباً وتبا . »
وبعض هذا مأخوذٌ من شعر أبى نؤاس ، وهو :
كانت مودة سلمان له نسباً ولم يكن بين نوح وإبنيه رحمٌ ؟

ومن ذلك ما ذكرته فى وصف الديار وهو :

« دار كانت مقاصر جنة ، فأصبحت وهى ملاعب جنة ، ولقد عميت أخبار قطانها ، وأنشاز أوطانها ، حتى شابهت إحداهما فى الخفاء الأخرى فى العفاء ، وكنت أظن أنها لا تستقى بعدهم بغيام ، ولا يرفع عنها جلباب ظلام ، غير أنّ السحاب بكاهم فجرت بها سوافح دموعه ، والليل شق عليهم ثوبه ، فظهر الصباح من خلال صدوعه . »

وهذه معان لطيفة جدا ، وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضى ، رحمه الله

تعالى :

أمرّاع الغزلان غيرك البلى حتى غدوت مرّاع الغزلان

ومما يلتزم بهذا المعنى قولى أيضا ، وهو :

« دار أصبحت مرّاع أذواد ، بعد أن كانت مناجع رواد ، فلو تصوّرت الآمال التى مثلت بفنائها ، كما تصوّرت الآثار الماثلة من بنائها ، لرأيت رسومها مع رسوم القباب ، وعلمت كم غار بها من بحر ، ونضب من سحاب . »

(٧١) يقصد سلمان الفارسى .

وهذا معنى حسنٌ ، له من نفسه مُثْنٍ وَحَامِدٍ ، وَمِنْ سَامِعِهِ يَمِينٌ وَشَاهِدٌ ، وَهُوَ مِنْ
مَعَانِي الْمَسْتَحْرِجَةِ .

ومن ذلك قولي أيضا ، وهو :

« النقصُ مُوَكَّلٌ بِكَمَالِ النَّعْمَاءِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْوَحْمُ مَقْتَرِنًا بِالْمَرْعَى وَالْمَاءِ ، وَقَلِمًا
تَرَى ثَمْرَةَ إِلَّا وَمَعَهَا زُبُورٌ ، وَلَا لَذَّةَ إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهَا شَيْءٌ مَحْدُورٌ » .

وكذلك قولي أيضا ، وهو :

« لَا يظْفَرُ الرَّجُلُ بِمَطَالِبِهِ شَفْعًا ، وَلَا تُؤْتِيهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ نَفْعًا ، بَلْ يَرَى مَرْعَى بِلَا
مَاءٍ وَمَاءً بِلَا مَرْعَى ، وَلِذَلِكَ كَانَتِ النَّحْلَةُ مَعَ الشَّهْدَةِ ، وَالشُّوكَةُ مَعَ الْوُرْدَةِ » .
وبعض هذه المعاني مأخوذٌ من قول أبي تمام :

أَرْضٌ بِهَا عُشْبٌ زَاكٍ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ وَأُخْرَى بِهَا مَاءٌ وَلَا عُشْبٌ^(٧٢)
إِلَّا أَنَّ فِي الْكَلَامِ الْمَثُورِ زِيَادَةً عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ الشَّعْرُ ، وَكَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرًا بَعِيدًا .
وَمِنْ سَبِيلِ الْمَتَصَدِّقِ لِهَذَا الْفَنِّ أَنْ يَأْخُذَ الْمَعْنَى مِنَ الشَّعْرِ ، فَيَجْعَلُهُ مِثْلَ الْإِكْسِيرِ فِي
صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْهُ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً مِنْ جَوْهَرٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، كَمَا فَعَلْتُ فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَإِنِّي أَخَذْتُ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ ، فَاسْتَحْرَجْتُ مِنْهُ مَا لَيْسَ مِنْهُ ،
وَهَذَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِي نَثْرِ الْمَعَانِي الشَّعْرِيَّةِ . وَقَدْ بَسَطْتُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ،
وَكشفتُ عَنْ دِفَاتِنِهِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي وَسَمْتُهُ : ب (الْوَشْيُ الْمَرْقُومُ ، فِي حَلِ
الْمَنْظُومِ) ، وَهُوَ كِتَابٌ مَفْرَدٌ لِهَذَا الْفَنِّ خَاصَّةً .

ومن هذا الضرب الذي هو الكيمياء في توليد المعاني ما ذكرته في وصف الربيع

فقلت :

« فَصْلُ الرَّبِيعِ هُوَ أَحَدُ مِيزَانِي عَامِهِ ، وَالْمُسْتَفِيدُ لِسَامِهِ مِنْ حَامِهِ ، وَقَدْ وُصِفَ
بِأَنَّهُ مِيعَادُ نُطْقِ الْأَطْيَارِ ، وَمِيلَادُ أَجْنَةِ الْأَزْهَارِ ، وَالَّذِي تَسْتَوِي بِهِ حَوْلَهَا سَلَاكَةُ الْعُقَارِ ،

(٧٢) ديوان أبي تمام ٥٠ ورواية الديوان « أرض بها عشب جرف وليس بها » والجرف ما جرفته السيول
وأكلته من الأرض .

فَإِذَا سَلَّتِ السَّحْبُ فِيهِ سَيُوفَهَا ، كَانَ ذَلِكَ لِلرُّضَا لَا لِلْغَضَبِ ، وَإِذَا خَلَعَتْ عَلَى
الْأَرْضِ غُلَاظَتَهَا الدَّكْنَاءَ لَبَسَتْ مِنْهَا دِيْبَاجَةً مَسْجُوجَةً بِالذَّهَبِ .

وهذا المعنى مُسْتَوْلَدٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فِي وَصْفِ السَّحَابِ :
سَلَبَتْهُ الْجُنُوبُ وَالْدِينَ وَالذَّنَّ سَيَا وَصَافِي الْحَيَاةِ فِي سَلْبِهِ (٧٣)
إِلَّا أَنَّ فِي الذِّى ذَكَرْتَهُ مَعْنَيْنِ غَرِيبَيْنِ ، إِذَا أَمَعَنَّ النَّاطِرُ نَظْرَهُ فَهَمَّهَا .

ومن ذلك ما ذكرته في لين القول واعداته ، وما يجرى مجراه ، كقولى في فصل من

كتاب ، وهو :

لَمْ أُعِدْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ لِأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَى مَيْدَانِهِ ، إِلَّا بِتَحْرِيكِ سَوِّطِهِ وَعَيْنَانِهِ ، بَلْ أَخَذَ
بَأَدَبِ اللَّهِ فِي أَذْكَارِ الْقُرْآنِ أَخَذًا ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فِي تَثْوِيبِ الْأَذَانِ (٧٤) .

وبعض هذا مأخوذٌ من شعرِ أبى تَمَّامٍ :

لَوْ رَأَيْنَا التَّكْيِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ (٧٥)

وكذلك قولى أيضا ، وهو :

« وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لِينَ الْقَوْلِ أَنْجَعُ قَبُولًا ، وَهُوَ مِنْ أَدَبِ كَلِيمِ اللَّهِ إِذْ بَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ
رَسُولًا ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الْحُدَاءَ يَبْلُغُ مِنَ الْمَطَايَا بُلُطْفِهِ ، مَا لَا يَبْلُغُهُ السَّوْطُ عَلَى عُنْفِهِ .

وبعض هذا المعنى مأخوذٌ من شعرِ أبى تَمَّامٍ :

وَأَخَذَهُمْ بِالرُّقْمَى إِنَّ الْمَهَارَى يُهَيِّجُهَا عَلَى السَّيْرِ الْحُدَاءُ (٧٦)

(٧٣) ديوان أبى تمام ٥٢ والذى فى الديوان :

قد جلبته الجنوب فالدين والذن سىا وصافى الحياة من جلبه

وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى ، ومطلعها :
إن بكاء فى الربع من أربه فشايعا مغرماً على طربه

(٧٤) التثويب فى أذان الفجر أن يقول المؤذن « الصلاة خير من النوم » .

(٧٥) ديوان أبى تمام ٣٨ ورواية الديوان « التوكيد » بالواو ، ومن معانى التثويب التردد .

(٧٦) ديوان أبى تمام ٣٩٤ ، والرقى جمع رقية ، والحداء الغناء .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم الدنيا ، وهو :

«أَنْكَادُ الدُّنْيَا مَشُوبَةٌ بِالأَشْيَاءِ الَّتِي جُبِلَتْ النُّفُوسُ عَلَى حُبِّهَا ، وَكُلُّ مَا تَسْتَلِدُهُ الأَبْدَانُ مِنْ مَأْكَلِهَا فَإِنَّهُ يُضَرُّهَا مِنْ جِهَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَلِهَذَا يُدَمِّمُ مِنْ مَنْفَعَةِ الهَلِيلِجِ (٧٧) ، وَمُضَرَّةِ اللُّوزِ بِنَجْ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ مِنْ لَدَاتِهَا إِلَّا ضَرَّهُ مِنْ جِهَةِ ثَوَابِهِ وَهُوَ كَالَّذِي يَنْتَفِعُ بِأَصْطِلَاءِ النَّارِ وَهِيَ مُحْرِقَةٌ لِأَثْوَابِهِ ، وَقَدْ ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلٌ مِنَ الأَمْثَالِ ، وَقِيلَ : إِنَّ كُلَّ مَا يَنْفَعُ الكَبِدَ مُضِرٌّ بِالطَّحَالِ » .

وهذا مأخوذٌ من الأمثالِ العربيَّةِ والمولدة .

ومن ذلك ما ذكرته في الزهد ، وهو :

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا أَبْنَاءُ السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ ، وَكَمَا أَنَّ النُّفُوسَ لَيْسَتْ فِيهَا بِقَاطِنَةٍ ، فَكَذَلِكَ الأَحْوَالُ لَيْسَتْ بِقَاطِنَةٍ ، وَلِهَذَا كَانَتْ المَاتَمُ بِهَا كالأَعْرَاسِ ، يَتَفَرَّقُ نَدَى جَمْعِهَا ، فَهَذِهِ تَنْسَى مَا مَضَى مِنْ لَذَّةِ سُرُورِهَا ، وَهَذِهِ تَنْسَى مَا مَضَى مِنْ أَلْمِ فَجَعِهَا ، وَلَا شَيْبَةَ لَهَا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الأَحْلَامُ الَّتِي يَتَلَاشَى خِيَالَهَا عَاجِلًا ، وَتَجْعَلُ البِقِظَةَ حَقَّهَا بِاطِلًا ، وَمَا يَنْبَغِي حِينَئِذٍ أَنْ يُفْرَحَ بِهَا مُقْبِلَةٌ ، وَلَا يُؤَسَى عَلَيْهَا مُدْبِرَةٌ ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ العَيْنُ مِنْهَا ثُمَّ يَذْهَبُ فَكَأَنَّهَا لَمْ تَرَهُ ، وَغَايَةُ مَطْلُوبِ الْإِنْسَانِ مِنْهَا أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي مُدَّةِ عُمُرِهِ ، وَيُؤْمَلَى لَهُ فِي أَمْتِدَادِ كُتْرِهِ ، أَمَا تَعْمِيرُهُ فَيَعْتَرِضُهُ المَشِيبُ الَّذِي هُوَ عَدَمٌ فِي وُجُودِ ، وَهُوَ أَخُو المَوْتِ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي سُكْنَى اللُّحُودِ ، فَالجَوَارِحُ الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا الشَّهَوَاتِ تَرَى وَكُلُّ مَنْهَا قَدْ تَحَوَّلَ ، وَأَصْبَحَ كَالطَّلَلِ الدَّارِسِ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ مَعْوَلٍ ، فَلَا لَيْلَى بِلَيْلَى ، وَلَا النُّوَارُ بِالنُّوَارِ ، وَلَا الأَسْمَاعُ أَسْمَاعٌ ، وَلَا الأَبْصَارُ أَبْصَارٌ ، وَأَمَّا مَا لَهُ فَإِنَّ أَمْسَكُهُ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِوَارِثٍ يَأْكُلُهُ ، أَوْ لِحَادِثٍ يَسْتَأْصِلُهُ ، وَإِنْ أَنْفَقَهُ كَانَ عَلَيْهِ فِي الحِلَالِ حِسَابًا ، وَفِي الحِرَامِ عِقَابًا فَهَذِهِ زَهْرَةُ الدُّنْيَا النَّاصِرَةَ ، وَهَذِهِ عُقْبَاهَا الحَاسِرَةَ » .

(٧٧) ذكره أكثر كتب اللغة باسم « الإهليلج » بفتح اللام الثانية وكسرها ، والواحدة بهاء ، ثم منه أصفر ومنه أسود وهو البالغ النضج ، ذكر أنه يحفظ العقل ويزيل الصداع .

وبعض هذا المعنى مأخوذٌ من شعرِ صالحِ بنِ عبدِ القدوسِ :
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقِيَا أَلْقَيْتَ جَمْعًا كُلَّهُ يَتَفَرَّقُ
 ومن قولِ أبي العتاهية :

إِنَّمَا أَنْتَ طَوَّلَ عُمُرَكَ مَاعَمَّرُ تَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية ، وهو :

« كَيْفَ يُظْلِمُ ذَلِكَ اللَّحْدُ وَبِهِ مِنْ أَعْمَالٍ سَاكِنِهِ أَنْوَارٌ؟ أَمْ كَيْفَ يُجْدِبُ وَبِهِ مِنْ
 فَيْضٍ يَمِينِهِ سَحَابٌ مِدْرَارٌ؟ أَمْ كَيْفَ تُوحِشُ أَقْطَارُهُ وَالْمَلَائِكَةُ دَاخِلَةٌ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ
 الْأَقْطَارِ؟ أَمْ كَيْفَ يُخَفِّيه طَوْلَ الْعَهْدِ عَلَى زُورِهِ وَطَيْبُ تُرَابِهِ هَادٍ لِلزُّورِ؟ وَمَا أَعْلَمُ مَا
 أَقُولُهُ فِي هَذَا الْخَطْبِ الْجَلِيلِ ، الَّذِي دَقَّ فِيهِ الْحَزَنُ الْجَلِيلِ ، وَسَمَحَتْ لَهُ النَفُوسُ
 بِالْفِدْيَةِ عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ ، وَذَلِكَ مِنَ الْفِدَاءِ الْقَلِيلِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ الدَّمْعُ إِلَّا
 إِنْذَارًا بِأَنَّ نَوَائِبَ الزَّمَانِ سَتُتَوَّبُ ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ دُخْرًا لِلْقَائِمِ ، وَإِنَّمَا يُدْخِرُ السَّلَاحَ لِلْقَاءِ
 الْحُرُوبِ ، وَالَّذِي ذَخَرْتُهُ : لَمْ يَغْنِ عَنِّي فِي هَذِهِ النَّائِبَةِ ، وَأَيُّ جُنَّةٍ تَقُومُ فِي وَجْهِ سَهَامِهَا
 الصَّائِبَةِ؟ لَا جَرَمَ أَنِّي أَصْبَحْتُ بَيْنَ يَدَيْهَا هَدَفًا لِلرَّمَاءِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي إِلَّا ذَمَاءُ
 الْحُشَاشَةِ (٧٨) ، وَمِنْ الْعَجَبِ بَقَاءُ الذَّمَاءِ . »

وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعرِ ابنِ الرومي :

لَمْ يُخْلَقِ الدَّمْعُ لِأَمْرٍ عَيْشًا اللَّهُ أَذْرَى بِلَوْعَةِ الْحَزَنِ (٧٩)

وكذلك ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية ، وهو :

« فَيَا وَبِحَ أَيْدٍ أَسْلَمْتَهُ إِلَى الثَّرَى وَمَا كَانَ يُسَلِّمُهَا إِلَى الْإِعْدَامِ ، وَالْبَسْتُهُ ظُلْمَةَ اللَّحْدِ
 وَطَالَ مَا جَلَا عَنْهَا غِيَابَةُ الظُّلْمِ وَالْإِظْلَامِ ، وَغَادَرْتُهُ بِوَحْدَتِهِ مُسْتَوْحِشًا ، وَقَدْ كَانَ يُؤَنِّسُهَا
 بِنَوَافِلِ الْأَنْعَامِ ، وَمِثْلُهُ لَا يُوَارِي الْقَبْرَ مِنْهُ إِلَّا صُورَةٌ يُدْرِكُهَا النَّفَادُ ، وَتَبْلَى كَمَا يَبْلَى غَيْرُهَا

(٧٨) الرَّمَاءُ مصدرُ رَامَاهُ مَرَامَةً وَرَمَاءً ، وَالدَّمَاءُ بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَذْبُوحِ ، وَالْحُشَاشَةُ بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَرِيضِ

وَالْجَرِيحِ .

(٧٩) ديوان ابن الرومي ٤٨٠ .

من الأجساد ، ولكنه لا يستطيعُ مُؤاراةَ الذِّكْرِ الخالدِ الذي يَذْهَبُ بِشِبَاهَةِ الحُسَادِ ،
ويتمثَّلُ في السماء بصورة الكواكبِ وفي الأرضِ بصورة الأَطْوَادِ .

وبعضُ هذا مأخوذ من قولِ بعضِ شعراءِ الحماسة (٨٠) :

فإن تَدْفِنُوا البَكْرَى لا تَدْفِنُوا اسْمَهُ ولا تَدْفِنُوا مَعْرُوفَهُ في القَبَائِلِ (٨١)

ومن ذلك ما ذكرته في وصفِ كلامِ بالفصاحة ، وهو فصل من كتاب ، فقلت :

وله البيانُ الذي يغضُّ من نسقِ الفريدِ ، ولا يُخْلِقُ نَصْرَةَ لباسه الجديدِ ، وهو فوقَ
كلامِ المُجيدِ ، ودونِ القرآنِ المَجِيدِ ، وإذا اختَصَرَ واصله قال : إنه يستميلُ سَمْعَ
الطَّرُوبِ ، ويستحقُّ وقارَ القلوبِ ، ويتمثَّلُ آياتِ بيضاءَ ، من غيرِ ضَمٍّ إلى الجُيُوبِ ،
ويُبرِّي في الأرضِ غيرَ لاغِبٍ إذا مَسَّ غيرَه فترَةُ اللُّغُوبِ ، ولا تزالُ النَّاسُ في عِشْقِ
معانيه ضرباً واحداً والعاشقونَ ضُروبُ ، ولما وقفتُ عليه قلتُ : سُبْحَانَ من أعطَى
سيدنا فلم يَبْخُلْ ، وخصَّه بنبوةِ البيانِ إلا أنه لم يُرْسَلْ ، ولولا أنَّ الوحيَ قد سُدَّ بأيةِ
لَقيل : هذا كتابٌ مُنزَلٌ ، ولقد خَارَ اللهُ لأولىِ الفصاحةِ إذ لم يَحْيُوا إلى عصرِه ، ولمْ
يُتَلَّوا فيه بداءِ الحسدِ الذي يُضْلِيهِم بتوقدِ جَمْرِهِ ، ولئن سَلِمُوا من ذلكَ فما سَلِمَتْ
أقوالُهُم من أقواله التي مَحَتْها مَحُو المِدَادِ ، وقد كانتُ باقيةً بعدَهُم فلما أتى صَارَتْ كما
صارُوا إلى الأَلْحَادِ .

وفي هذا الفصلُ شيءٌ من المعاني الشعريةِ كقولِ البُحْتَرِيِّ :

مُسْتَمِيلٌ سَمِعَ الطَّرُوبِ المَعْنَى عن أَغَانِي مَعْبَدٍ وَعَقِيدِ (٨٢)

(٨٠) هو أبو الشَّغْبِ العَبْسِيُّ ، قاله في خالد بن عبد الله القسري لما وقع خالد أسيراً في يد يوسف بن عمر
القفق .

(٨١) رواية ديوان الحماسة ١/٣٩١ :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل

(٨٢) ديوان البُحْتَرِيِّ ٢/١٩٥ وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطلعها :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالحمود

وقد ورد الشطر الثاني في رواية الديوان هكذا عن أغن :

ومخارق هو مخارق بن يحيى بن نائس الحزار ، مولى الرشيد . وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهي من

الغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب ، ونشأ في المدينة ، وقيل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزازاً مملوكاً ،

وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بأن طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ، ثم =

وقول الشَّريف الرُّضِيِّ - رحمه الله - :

عَشِقتُ ومالي ، يعلم الله ، حاجةٌ سِوَى نَظْرِي والعاشِقُونَ ضُروبٌ (٨٣)
وفيه أيضًا شيءٌ من معاني القرآنِ الكَرِيمِ ، إلا أنها جاءت ضِمْنًا وتَبَعًا ، وموضعها
يأتي بعد الأبيات الشعرية .

وكذلك ذكرت فصلا آخر من هذا الأسلوب ، وهو :

« وإنَّ للكلمة طعمًا يُعرَفُ مذاقه من بين الكلامِ ، وخفَّةُ الأرواحِ معلومة من بين
ثقل الأَجْسَامِ ، فلو لم نَعْرِفه بطعمِهِ ، عَرَفْنَاهُ بِوَسْمِهِ ، والصبح لا يُتَبارَى في إسْفَارِهِ ،
ولا يُفْتَقَرُّ إلى دليلٍ على إشراقِ أنوارِهِ ، وقد عَلِمَ أَنَّ العِرْقَ يُعرَفُ بِغُضْنِهِ ، وأنَّ القولَ
يُعرَفُ بِلَحْنِهِ ، ونفائسُ هذه العُقودِ لا يُبرِزُها إلا أنفاسُهُ ، فدُرُرُها لَفْظُهُ ، وسُلوكُها
قَرطاسُهُ » .

ومن هذا الباب قولي أيضا وهو :

« أَلْفَاظُ كخَفَقَ البُنُودُ ، أو زَارَ الأَسُودَ ، ومعانٍ تدلُّ بِإِزْهافِها أَنَّها هي السِّيفُ وأنَّ
قلوبًا نَمَتْها هي الغُمُودُ ، فيخالها المتأملُ حَوْمَةَ طِعَانٍ ، أو حَلَبَةَ رَهانٍ » .
وبعض هذا مأخوذ من شعرِ البحتريِّ :
يَقْظانَ يَنْتخبُ الكلامَ كأنه جيشٌ لَدَيْهِ يَريدُ أنْ يَلْقَى بِهِ (٨٤)

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان من أهل الكتابة كان
اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من أهلها ، فقلت :

« وَقَدْ نِيطَ بِسَيِّدِنَا قَلَمًا الخَطَ اللِّدَانِ يُنْسَبُ أَحَدُهُما إلى المِدَادِ ، وَيُنْسَبُ الآخَرُ إلى
الصِّعَادِ (٨٥) ، فهو يُدِيرُ هذا في مَعْرِكَةِ المَقالِ ، وهذا في مَعْرِكَةِ الطَّرادِ ، وثَرِيًّا صَهْلًا
= أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصلي منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد ، ثم أعتقه .

(٨٣) ديوان الشَّريف الرُّضِيِّ ٤١٧/١ طبعة الحلبي .

(٨٤) ديوان البحتريِّ ٩٣/٢ من قصيدة يعاتب بها إسماعيل بن شهاب .

(٨٥) الصِّعَادُ : الرِّماحُ .

أَحَدُ قَلَمِيهِ مِنْ فَوْقِ صَفْحَاتِ الدَّرُوجِ ^(٨٦) ، كَمَا تَصَهَّلُ الْجِيَادُ مِنْ تَحْتِ أَعْوَادِ السُّرُوجِ ، فَهُوَ احْتِفَالُ الْمَوَاطِنِ وَالْمَجَالِسِ ، وَإِلَيْهِ غَنَاءُ أَصْحَابِ الْعِمَامِ وَالْقَلَانِسِ ، لَا كَمَنْ لَا يُجَاوِزُ هِمَّةَ طَرْفِي رِدَائِهِ ، وَإِذَا نُودِيَ لِفَضِيلَةٍ قِيلَ إِنَّمَا يَسْمَعُ الْحَيُّ بِنْدَائِهِ . وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ صُورٍ لَا تَجِدُ لِمَعْنَاهَا أَثْرًا ، وَإِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتَ أَرَى خَالًا ^(٨٧) وَلَا أَرَى مَطْرًا ، وَأَيُّ جَمَالٍ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِلَّا جَمَالُ ثِيَابِهِ ، وَهَلْ يَنْفَعُ السَّيْفُ الْكِهَامَ ^(٨٨) أَنْ يُجْعَلَ مِنَ الذَّهَبِ حَلِيَّةُ قَرَابِهِ . وَكُلُّ مَنْ هُوَ لَاءٌ ذَنْبٌ يَسْعَى بِغَيْرِ رَأْسٍ ، وَلَا لَهُ هِمٌّ إِلَّا فِي عَيْشَةِ الطَّاعِمِ الْكَاسِيِّ ، وَإِذَا اعْتَبَرَ حَالَهُ وَجِدَّ مِنَ الْبِهَاتِمِ وَإِنْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَى النَّاسِ ، وَالسِّيَادَةِ لَيْسَتْ فِي وَشَى الثِّيَابِ ، وَلَا فِي طَيْبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي شَيْئَيْنِ : إِمَّا شِهَامَةٌ قَلَمٌ تَفَرَّقُ لَهَا قُلُوبُ الْعُمُودِ ، أَوْ شِهَامَةٌ رُوحٌ تَفَرَّقُ لَهَا قُلُوبُ الْأَسُودِ . وَكَأَنِّي بِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ هَذَا وَكُلَّهُمْ يَتَعَضُّ امْتِعَاضَ الْمَغْضَبِ ، وَيَتَّبَعُ نَفْسَهُ تَتَابِعُ الْمُتَعَبِ ، وَيَعْتَرِضُ الشَّجِي فِي حَلْقِهِ حَتَّى يَغْصَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ . وَلَمْ يَزَلْ بِالْحَسَادِ مِنْ سَيِّدِنَا دَاءٌ يُورِثُهُمْ أَرْقًا ، وَيُوسِعُهُمْ شَرْقًا ، وَكَثِيرًا مَا تَعَرَّقُ لَهُمْ جِبَاهُهُمْ وَكَذَا الْمَيْتُ تَنْدَى جَيْبِيهِ عَرَقًا ، وَمَا أَرَى لَهُوَاءَ دَوَاءٍ إِلَّا أَنْ يَطْرُحُوا عَنْ مَنَاكِبِهِمْ ثِقْلَ الْمُسَاجِلَةِ ، وَالْحَسَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ يَجْرَى مَعَ صَاحِبِهِ فِي مِضْمَارِ الْمَائِلَةِ . وَكُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَامَ عَلَى الْكِتَابَةِ مُحْتَسِبٌ حَتَّى يَتَفَلَّسَ مِنْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَتَسْتَرِيحَ جِيَادٌ كَثِيرَةٌ مِنْ رُكُوبِ حَمِيرٍ ، وَفِي مِثْلِ هَذَا السُّوقِ يَظْهَرُ أَهْلُ الْخَلَابَةِ وَالنَّجْشِ ^(٨٩) ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ وَقَدْ أَجْلَسَ نَفْسَهُ قَائِمَةَ الْعَرْشِ ، وَنَارَ الْآلَةِ الْعُمَرِيَّةِ تَمِيزُ خَالِصَ النُّقُودِ مِنْ زَيْفِهَا ، وَلَا حَيْفَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَى مَنْ أَسْرَفَتْ دَعْوَاهُ الْكَاذِبَةُ فِي حَتْفِهَا .

(٨٦) الدروج جمع درج بفتح الدال وسكون الراء ، أو بفتحها ، ما يكتب فيه .

(٨٧) الحال سحاب لا مطر فيه .

(٨٨) السيف الكهام - على وزن سحاب - الكليل الذي لا غناء فيه .

(٨٩) النجش أن تواطىء رجلا إذا أراد بيعا أن تمدحه ، أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها

بشمن كثير ، لينظر إليك ناظر ، فيقع فيها .

وبعض هذا الفصل مأخوذ من شعر عبد السلام بن رغبان ، عُرِفَ بِدِيكَ
الْجِنِّ (٩٠) :

يُزْهِمِي بِهِ الْقَلَمَانُ إِلَّا أَنَّ ذَا لَدُنُّ الْمَجَسِّ وَأَنَّ ذَا بِكُؤُبِ
عُودَانٍ يَقْضِبُ ذَا الطَّلَى (٩١) بِلَعَابِهِ وَيَجُوبُ ذَا الْمُهَجَّاتِ بِالْتَرَكِيبِ

ويكفيك أيها المتوشحُ لنثر الشعر أن تنظر إلى هذا الفصل ، وتأمل الوضع الذي
أخذتُ معني هذين البيتين ، ووضعته فيه ، فإن فيه غناءً ومقنعاً .

وأما حلُّ آيات القرآن العزيز فليس كثر المعاني الشعرية ، لأن ألفاظه ينبغى أن
يُحَافَظَ عليها ، لمكان فصاحتها ، إلا أنه لا ينبغى أن يُؤخَذَ لفظ الآية بِجُمْلَتِهِ ، فإن
ذلك من باب (التضمين) ، وإِنَّا يُؤخَذُ بَعْضُهُ . فإما أن يُجْعَلَ أولاً لكلامٍ أو آخراً
على حسب ما تقتضيه موضعه وكذلك تفعلُ بالأخبار النبوية . على أنه قد يؤخَذُ معنى
الآية والخبر ، فيكسى لفظاً غير لفظه ، وليس لذلك من الحسن ما للقسم الأول ،
الفائدة التي أشرنا إليها .

وقد سلكتُ في ذلك طريقاً اخترعتها ، وكنتُ أنا بنَ عذرتها ، وعند تأمل ما
أوردته منها في هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دَعَاوِي . ولئن كان من تقدمني أتى
بشيء من ذلك ، فإنني ركبتُ فيه جواداً وركبَ جملاً ، ونال من مؤرده نهلةً
واحدقة ، ونلتُ منه نهلاً وعللاً .

ومن آتاه الله في القرآن بصيرة فإنه يسبك ألفاظه ومعانيه في كلامه ويستغني به عن
غيره ، إلا أنه ينبغى أن يكون فيه صَوَاعِجٌ يخرج منه ضروب المصوغات ، أو صرَافاً
يتجهبذ في نقوده المختلفة من الذهب المختلف الألوان ، ولا أقول من الفضة ، فإنه ليس
فيه من الفضة شيء وهو أعلى من ذلك ، أو يكون فيه تاجراً يديره على يده ،

(٩٠) ذلك الجن هو عبد السلام بن رغبان ، ولد في حمص ، ودبك الجن لقب له ، وكان شديد التشعب
والعصية على العرب ، وهو شاعر مجيد ، لم يبرح نواحي الشام ، وكان متشيعاً لآل البيت ، وله مرث كثيرة في
الحسين بن علي ، وكان مع ذلك خليعاً ماجناً عاكفاً على اللهو والقصف ، متلافاً لما ورث عن آبائه وما كتبه
بشعره من أحمد وجعفر أبي علي الهاشميين . توفي ذلك الجن سنة ٢٣٥ هـ .

(٩١) الطلى بالضم الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة بضم الطاء فيها .

ويتصرف في أرباحه ، ويُخرج من الأمتعة المجلوبة من مناسجه كلَّ غريبة عجيبة
 وكلُّ هذا يفهمه مَنْ عَرَفَ فَلَزِمَ ، وحكَمَ بما علم :
 وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ الْقَرِيضُ بِشَاعِرٍ وَلَا كُلُّ مَنْ عَانَى الْهَوَى بِمَتِّيمٍ
 واعلم أن المتصدى لحل معاني القرآن يحتاجُ إلى كثرة الدرس ، فإنه كلما ديم على
 درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل .
 وهذا شيء جربته وخبرته ، فإنني كنتُ آخذُ سورة من السور ، وأتلوها وكلما مررتُ
 معني أثبتته في ورقة مفردة ، حتى أنتهى إلى آخرها ، ثم آخذ في حل تلك المعاني التي
 أثبتتها واحداً بعد واحد ، ولا أقنعُ بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة ، وأفعل مثل ما
 فعلته أولاً ، وكلما صقلتُها التلاوة مرةً بعد مرةً ظهر في كل مرةً من المعاني ما لم يظهر في
 المرة التي قبلها .

وسأوردُ في هذا الموضع سورة من السور ، ثم أردفها بآيات أخرى من سورٍ
 متفرقة ، حتى يتبين لك أيها المتعلم ما فعلته ، فتحذو حذوه . وقد بدأتُ بالسورة أولاً ،
 وهي سورة يوسف عليه السلام ، لأنها قصة مفردة برأسها ، وفيها معان كثيرة .
 فالأول ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب ، وهو :

« وصل كتاب الحضرة السامية ، أحسن الله أثرها ، وأعلى خطرهما ، وقضى من
 العلياء وطرها ، وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة
 وشمسها وقرها » .

وهذا أول معنى في السورة ، وقد نقلته عن قصة المنام إلى الدعاء .

ثم أبرزت هذا المعنى في صورة أخرى ، وهو :

« أكرمُ النعم ما كان فيها ذكرى للعابدين ، وتقدمه أني رأيت أحد عشر كوكباً
 والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير ، وتجلى
 ظلمة الخطب بالصباح المنير ، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ،
 إن ذلك لمحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير » .

ثم تصرفت في هذا المعنى ، فأخرجته في معرض آخر ، وهو فصل من جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء ، فقلت :

وقد علمه أمير المؤمنين ، فأدنى مجلسه من سائه ، وآسنه على وحدة الانفراد بحفل
نعمائه ، ورفعته حتى ودت الشمس لو كانت من أترابه ، والقمر لو كان من ندمائه ،
وذلك مقام لا تستطيع الجدود أن ترقى إلى رتبته ، ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ،
ولا الشفاء أن تتشرف بتقبيل رتبته . فليزد إعجاباً بما نالته مواطئ أقدامه ، ولينظر إلى
سجود الكواكب له في يقظته لا في منامه .
ومن ذلك ما ذكرته في ذم نجيل ، وهو :

« لم أر كموهب فلان ملأت أملى بطمع وعودها ، وفرغت يدي من انبل
جودها ، فلم أخط إلا بلامع سرابها ، وكانت كدم القميص في كذابها . »

ومن ذلك ما ذكرته في تزكية إنسان مما رمى به ، وهو :

« لم ترم بذب إلا نابت البراءة له مناب الشهود ، وجيء من أهلها بشهادة
القميص المقدود . »

ومن ذلك ما ذكرته في عذر الهوى ، وهو :

« لم يهو حبيباً إلا كان لأهل التقى فيه أسوة ، ولا ليم من أجله إلا اعتذر عذراً امرأة
العزير إلى النسوة . »

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من جواب كتاب إلى بعض الإخوان ، وهو :

« إن كان الكلام كما قيل ذكراً والجواب أنثى ، فجوابي هذا عروس تجلى في حللها
الحبرة ، وعودها المشدرة ، وتزهي بما آتاها الله من الحسن الذي ليس بالمجلوب ، ولا
ترضى بتقطع الأيدي دون تقطيع القلوب . وها قد أرسلتها إلى سيدنا ، حتى يعلم أن
نتائج خاطري على الفطرة ، وأنها معشوة الصورة ، فكل الناس في هواها بنو عذرة .
وفي هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوي والبيت من الشعر . »

ومن ذلك ما ذكرت في ثقلب الأيام ، وهو :

« لَقِينَا أَيَّامًا ضَاحِكَاتٍ ، وَلَيْتَهَا أَيَّامٌ عَابَسَاتٍ ، فَكَانَتْ كَسْبَعٍ سُنْبَلَاتٍ خُضِرَ
وَأَخَّرَ يَابَسَاتٍ » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم ، وهو :

« لَيْسَ مِمَّنْ يَرْقُبُ عَجْفَ الزَّمَانِ ، فَيَذُرُ الْحَبَّ فِي سُنْبَلِهِ ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَأْنِفُ الصَّبْرَ فِي
آخِرِهِ ، وَيَسْتَهْلِكُ الْمَالَ فِي أَوَّلِهِ ، فَلَا يُبْقِي مِنْ يَوْمِهِ لِعَدِهِ ، وَلَا يُتِّهِمُ رَبَّهُ فِيمَا بِيَدِهِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في حب الرشوة ، وهو :

« الرَّشْوَةُ تَحُلُّ عَقْدَ الْقُلُوبِ ، وَتَهْوِنُ فِرَاقَ الْمُحِبُّوبِ . أَلَا تَرَى أَنْ رَدَّ الْبِضَاعَةَ حَكْمَ
عَلَى أَخِي يُوسُفَ بِالْإِضَاعَةِ ؟ » .

ومن ذلك ما ذكرته في الاستسلام لحكم الأقدار ، وهو :

« لَا تَحْتَرَسْ مِنْ جُنُودِ الْأَقْدَارِ بِالْآرَاءِ الْمُتَعَمِّقَةِ ، وَسِوَاءُ عِنْدَهَا الْبَابِ الْوَاحِدِ
وَالْأَبْوَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في تتابع الإساءة ، وهو :

« لَمْ يَزَلْ يَرْشُقُنِي بِقَوَارِصِهِ حَتَّى تَكَاثَرَ النَّبْلُ ، وَاسْتَحْكَمَ النَّبْلُ (٩٢) ، وَلَمْ يَكْفِهِ
الْإِلْقَاءُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ حَتَّى قَالَ : إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ » .

ومن ذلك ما ذكرته في التوكل ، وهو :

« إِذَا طَلَبَ أَمْرًا أَجْمَلَ فِي الْمَطْلُوبِ ، وَوَكَّلَهُ إِلَى الَّذِي بِيَدِهِ مِفْتَاحُ الْغُيُوبِ ،
وَتَأَسَّى فِي حَاجَتِهِ مِنْهُ بِالْحَاجَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ » .

(٩٢) من معاني التبلب العداوة ، والدخل ، والإسقام ، وتبله ذهب بعقله ، وتبل الدهر القوم رماهم بصروفه
وأفناهم ، وكل هذه المعاني تصح .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الكيد ، وهو :

« لم يأت أمراً إلا أخفى أسبابَ أُوَاحِيهِ ، وبدأ فيه بالأُوَعِيَةِ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ . »
وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يُوسُفَ عليه السلام .

وأما الآياتُ التي هي من سُورٍ متفرقة فأولُّها ما كتبتُه في صدرِ كتابٍ إلى بعض الإخوانِ جواباً على كتابه وهو : « وَرَدَ كِتَابُهُ عَشِيَّةَ يَوْمٍ كَذَا فَعَرِضَ عَلَيَّ عَرَضَ الْجِيَادِ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وتساوينا في الاشتغالِ منه ومنها بالاستحسان ، غير أنَّ الجيادَ وإن حَسُنَتْ فإنَّها لا تبلغُ في الحُسْنِ مبلغَ الكتابِ ، لكنْ قلتُ كما قال : إني أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . ولئن قضى الاشتغالُ هناكَ بمسحِ سُوقِ وَأَعْنَاقِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْضِ هَاهُنَا بِمَسْحِ سَطُورٍ وَلَا أَوْراقِ ، وإنما اشغلتُ عن عِبَادَةِ بَعَادَةٍ ، ولو شِئْتُ لَقُلْتُ : عن إفادةٍ بإفادةٍ . »

وهذا مأخوذٌ من قصَّةِ سليمانَ عليه السلامُ في سورة (ص) وهي قوله تعالى : « وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٩٣) . »

فانظر كيف أخذتُ هذه القصَّةَ ، وقابلتُ بينها وبين الكتابِ ، ثم إنِّي تصرَّفتُ فيها بالموافقةِ بينهما تارة ، والمخالفةِ بينهما أُخرى .
وهكذا ينبغي أن يُفعلَ فيما هذا سبيله .

ومن ذلك ما كتبتُه عن الملكِ الأفضلِ علي بن يوسف :

إلى الديوانِ العزيزِ النبويِّ ببغدادَ في فصلٍ من كتابٍ ، وهو :
« وقد علم أنَّ المَالَ الذي يُخْتَرَنُ كالماءِ الذي يُحْتَقَنُ . فكما أن هذا يَأْجَنُ بتعطيلِ الأيدي عن امتياعِ مشاربه ، فكذلك يَأْجَنُ هذا بتعطيلِ الأيدي عن امتياعِ مواهبه ،

وأى فرقٍ بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب . وتقل به الخطوب ، ويركب به ظهر العزم الذى ليس بركوب . ومن بسط الله يده فيه ، ثم قبضها بخله ، فإنه يقف دون الرجال مغموراً ، ويقعد عن نيل المعالي ملوماً محسوراً ، وإذا أدركته منية مضى وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً .

ومذناط الله بيد الخادم ماناظة من أمر بلاده لم يدخر منها إلا مربط أشقره ومركز أسمره (٩٤) ، وما عداها فإنه مصروف إلى قوة الإسلام فى سد ثغوره ، وتكثير جنوده ، وإيقاد حرب عدوه بعد خمودها ، واستباحة جمرها عند وقوده ، وما يفضل عن ذلك فإنه للناس يشتركون فى وشله وغمره (٩٥) ، والمسلم أخو المسلم يساويه فى حقه من بيت المال ، وإن خالفه فى مزية قدره ، ولا سبيل على هذا الخادم وهو يفعل مايفعله أن يدلّس من هذا المال بتبعة المطلوب ، أو يلتحق بالقوم الذين يكتزونهم فيجزى عليه بكى الجباه والظهور والجنوب . ولم يأت به الله على فترة من مثله إلا ليمحوه سيئات الدين ، ويعيد به الإسلام إلى وطنه بعد أن طال عهده بمفارقة الوطن ، ولا يكون حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقمها الدنيا فى ديوانه ، وتثقل بها فى الآخرة كفة ميزانه .

فى هذا الفصل معنى آيتين ، إحداهما : فى سورة « هل أتى » والأخرى فى سورة « براءة » .

ومن ذلك ماكتبته عنه :

إلى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استعطافه والتنصل إليه ، وهو :

« من شيمة الأقدار أن تذهب ببصائر ذوى الألباب ، وتمثل لهم الخطأ فى مثال الصواب ، ولولا ذلك لما زل الحكيم ، واعوجَّ المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلة ، لا زال عرفها مأمولا وإحسانها عند الله مقبولا ، وفعلها فى المكرمات مبتدعاً إذا كان فعل الأيادى مفعولا ونستغيث إلى عفوها الذى يكفى فيه لفظة

(٩٤) المراد بالأشقر الفرس وبالأسمر الريح .

(٩٥) الوشل الماء القليل ، والغمر الماء الكثير .

الاعتذار ، ولا ينفد بمواظبة الإصرار . ولو عَرَفَ ذَنْبَهُ بَادِيًا لَفَرَّعَ لَهُ سِنَّ النَّدَامَةِ ، وَعَادَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَلَامَةِ ، وَمَا كَانَ عَجَبِيًّا أَنْ يَكُونَ مُلْمِيًا (٩٦) ، وَأَنْ يَكُونَ مَوْلَانَا كَرِيمًا لَكِنَّهُ حُمْلَ إِصْرَةِ الذَّنْبِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ حَمْلِهَا ، وَخَافَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كَأَخْوَاتِهَا الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ قَبْلِهَا . وَالْأُمُورُ الْمُتَشَابِهَةُ يِقَاسُ الْبَعْضُ مِنْهَا عَلَى الْبَعْضِ ، وَالْمَلْسُوعُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى مَجْرَ حَبْلِ عَلَى الْأَرْضِ . وَلَمْ يَجْتَرِمْ الْمَمْلُوكُ الْآنَ جَرِيمَةَ سَيِّئِ أَنْ فَرَّ إِلَى الْاِعْتِصَامِ ، وَاللَّقَى بِيَدِهِ إِلَى أَقْوَامٍ لَمْ يَكُونُوا لَهُ بِأَقْوَامٍ ، وَإِذَا ضَاقَ عَلَى الْمَرْءِ أَقْرَبُهُ كَانَ الْأَبْعَدُ لَهُ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، وَلَيْسَ بِأَوَّلٍ مَنْ ذَهَبَ هَذَا الْمَذْهَبُ ، وَلَا بِأَوَّلٍ مَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى رُكُوبِ هَذَا الْمَرْكَبِ .

وَلَنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : إِنَّهُ عَجَلٌ فِي اِعْتِصَامِهِ وَفِرَارِهِ ، وَأَنَّهُ لَوْ صَبَرَ لِحَمْدِ مَغَبَّةِ اِصْطِبَارِهِ ، فَهَذَا قَوْلٌ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ حَالَ الْمَمْلُوكِ فَيَقِيمَ لَهُ عَذْرًا ، وَلَا ابْتَلَى بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ مِنْ قَوَارِصِ مَوْلَانَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَلَقَدْ تَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الْمُؤْتَبَةُ حَتَّى مَلَأَ طَرْفَهُ كَحُلِّ السُّهَادِ ، وَجَنَّبَهُ شَوْكُ الْقِتَادِ . وَأَصْبَحَ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ زَلِقَ فِي خَطِيئَتِهِ زَلَقًا ، وَعَصَّ بِنَدْمِهِ مِنْ أَجْلِهَا شَرْقًا ، وَبَدَتْ لَهُ سَوَاتُهُ حَتَّى طَفِقَ يَخْصِفُ عَلَيْهَا وَرَقًا (٩٧) . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ واثقٌ أَنْ حِلْمَ مَوْلَانَا لَا يُؤْتِي مِنَ الزَّلَلِ ، وَأَنْ حَصَاةَ الذُّنُوبِ لَا تَحْفُ بوزنِ ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَهِيَ هُوَ قَدْ جَاءَ نَازِعًا ، وَلِلنَّازِعِ الْعُتْبَى ، وَعَادَ مَسْتَشْفِعًا ، وَلَا شَفِيعَ أَكْرَمَ مِنَ الْقُرْبَى .

ثم مضيت على هذا النهج إلى آخر الكتاب .

وفى الذى أوردته من هذا الفصل معنى آية من القرآن فى سورة « الأعراف » وهى قوله تعالى : « بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ » (٩٨) .

(٩٦) الملمم الداخل فى الملامة .

(٩٧) يجعل على عورته ورقة فوق ورقة ، ليستتر بها ، كما تخصف النعل .

(٩٨) سورة الأعراف : الآية ٢٢ ، وفى الأصل « فبدت » وصحة الآية « فدلهاها بغرور فلما ذاقا الشجرة

بدت لهما سوءاتها . . . » .

ومن ذلك ما كتبه عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود صاحب

الموصل :

إلى الديوان العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد ، وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة .

فمما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي ، وهو :

« إذا توفى ولي من أولياء الدولة فمن السنة أن يعزى بفقده ، ويستخرج إذنها في سليله القائم من بعده ، حتى لا تخلو أرضها من رواسي الجبال ، ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليال ، وقد مضى والد العبد إلى رحمة الله ، وهو متزود من الطاعة خير زاد ، غير خائف من إحصاء الرقيب العتيد إذ جعلها له من العتاد ، وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه ما كان في الكفة الأخرى من السجلات الكثيرة الأعداد ، ومضمون وصيته التي عهدتها أن نمشي في الطاعة على أثره ، ونهتدي بالأوامر الشريفة في مورد الأمر ومصدره ، وقد جعلها العبد نجى فكره إذا قام وإذا قعد ، وسبحة صلاته إذا ركع وإذا سجد ، وهو يرى أنه لم يمض والده حتى أبقى للدولة من ثبت قدمه موضع قدمه ، وعند ذلك يقال إن غضن الشجرة كالشجرة في نبات أصله ، وقوة معجمه . وهذا مقام لا تمتاز فيه الآباء عن الأبناء ، وليست المزية لاكتهاال السن إنما هي لشبيبة الغناء . وقد أوتى يحيى الحكم قبل أن يجرى القلم في كتابه ، وشهد له بالتركية قبل أن يتصب في محرابه ، وكذلك قد أمر رسول الله ﷺ أسامة على فتاء عمره ، وشهد أنه خليق بما أسند إليه من أمره ، والعبد وإن بسط الاستحقاق لسانه ، فإن الأدب يحكم بانقباضه ، ويريه أن التفويض إلى إنعام الديوان العزيز أسرع في نجح أغراضه ، ولا شك أن منتهى الآمال لا يبلغ أدنى تلك المواهب ، ولو جمعت في صعيد واحد . ثم سألت مطالبها لما نقصت خزائن العطايا من تلك المطالب . »

وهذا الفصل من أول الكتاب ، وفيه معنى آيتين من سورة مريم عليها السلام . أما

الأولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام « وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » (٩٩) وأما الثانية فقوله تعالى : « وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرِزْقًا وَكَانَ تَقِيًّا » (١٠٠) .

وفي هذا الفصل أيضا معان ثلاثة من الأخبار النبوية ، وليس هذا موضعها ، وإنما جاءت ضمناً وتبعاً .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الغبار في الحرب ، وهو :

« وَعَقَدَ الْعَجَاجُ شَفَقًا فَانْعَقَدَ ، وَأَرَانَا كَيْفَ رَفَعُ السَّمَاءِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ، غَيْرَ أَنَّهَا سَمَاءُ بُنِيَتْ بِسَنَابِكِ (١٠١) الْجِيَادِ ، وَزُيِّنَتْ بِنَجُومِ الصَّعَادِ (١٠٢) ، ففِيهَا مَا يُوعَدُ مِنَ الْمَنَائَا لَا مَا يُوعَدُ مِنَ الْأَرْزَاقِ ، وَمِنْهَا تُقَدَّفُ شَيَاطِينُ الْحَرْبِ لِأَشْيَاطِينِ الْإِسْتِرَاقِ » .
وهذه المعاني مأخوذة من سورة « الرَّعْدِ (١٠٣) » وسورة « الصَّافَّاتِ (١٠٤) » وسورة « الذَّارِيَاتِ (١٠٥) » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف طعام ، وهو فصل من كتاب ، فقلت :

« طَعَامٌ لَا يُمَلُّ إِذَا شِيِنَتْ الْأَطْعَمَةُ بِمَلَلِهَا ، وَكَأَنَّمَا تَوَلَّتْهُ يَدُ الْخَلْقَةِ وَلَمْ تَبَاشِرْهُ الْأَيْدَى بِعَمَلِهَا ، فَهُوَ مِنْ بَقَايَا الْمَائِدَةِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ ، وَقَدْ طَابَ حَتَّى لَا يُحْتَاجُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ ، وَمَا رَأَهُ ذُو شَيْعٍ إِلَّا رَأَى تَرْكُهُ غَبْنًا ، وَوَدَّ لَوْ زِيدَ إِلَى بَطْنِهِ بَطْنًا » .

وبعض هذا مأخوذ من سورة « المائدة » (١٠٦)

(٩٩) سورة مريم : الآية ١٢ (١٠٠) سورة مريم : الآية ١٣

(١٠١) السنايك جمع سنيك على وزن قنفذ ضرب من العدو ، وطرف الحافر .

(١٠٢) الصعاد الرماح .

(١٠٣) انظر سورة الرعد : الآية ٢ « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » .

(١٠٤) انظر سورة الصافات : الآيات ١٠٨ و ١٠٩ .

(١٠٥) انظر سورة الذاريات : الآية ٢٢ « وفي السماء رزقكم وما توعدون » .

(١٠٦) انظر سورة المائدة : الآية ١١٤ « قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا

عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين » .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ، وهو :

« قد تكاثرت وسائلُ الخادمِ حتى لا يَدْرِي ما يجعلُه لِطِلايِهِ سَفِيرًا ، وما منها إلا ما يُقالُ إِنَّهُ أَوَّلُ وَلَيْسَ فِيهَا ما يُجْعَلُ أخيرًا ، غيرَ أَنَّهُ لا يَدُكِّرُ منها إلا ما هُوَ تَوَعُّمُ إِيمَانِهِ والذى لا يَنْظُرُ اللهُ من ابنِ آدَمَ إلا إلى مكانه ، وفي ذلك كافٍ عن الوسائلِ التليدةِ والطَّرِيقَةِ ، وقولُ « لا إِلَهَ إلا اللهُ » لا يَعدِلُهُ شَيْءٌ من الحِسانِ المُودَعَةِ في الصَّحِيفَةِ ، وقد تَجَدَّدَ الآنُ للخادمِ مطلبٌ هو بالنسبةِ إلى مواهبِ الديوانِ العزِيزِ يسيرٌ ، ولو قامتِ مطالبُ الناسِ في صعيدٍ واحدٍ لأعطى كلاً منها مَرَامَهُ ولم يقلْ ذلكَ كثيرٌ ، وكتابُهُ هذا سائرٌ إلى تلكِ المواهبِ التي يضيقُ عنها صدرُ الأرضِ باتساعه ، وليس الذي يَسأَلُهُ مَمْنَعًا ، فيحالَ على النظرِ إلى الجبلِ في امتناعه ، وكما أنَّ عبيدَ الديوانِ العزِيزِ أطوارٌ ، فكذلكَ مطالبُهمُ أطوارٌ ، وقد جعلَ اللهُ الأشياءَ متفاوتةً في مراتبها ، وكلُّ شَيْءٍ عنده بمِقدارٍ » .

وهذا الفصل من أَحْسَنِ ما يُكْتَبُ في استنجازِ مطلوبٍ ، وفيه معاني ثلاثة أخبارِ نبويَّةٍ ، ومعنى آيتين من القرآن الكريم ، وليس هذا موضعَ الإخبارِ وإنما جاءَ ضِمْنًا وتبعًا ، فالآيةُ الأولى في سُورَةِ « الأعرافِ » والآيةُ الثانية في سورة « الرعدِ » (١٠٧) .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كاتب ، وهو :

« إذا دَجَا ليلُ قلمه ، وطلَّعتْ فيه نجومُ كلمه ، لم يقعد لها شيطانُ بلاغَةٍ مَقْعَدًا ، إلا وَجَدَ له شهابًا مُرْصَدًا ، فأسرَّارُها مَصُونَةٌ عن كلِّ خاطفٍ ، مطويَّةٌ عن كلِّ قائفٍ » .

وهذا المعنى مأخوذ من سُورَةِ « الجنِّ » (١٠٨) .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كاتب أيضا ، فقلت :

« له بنتُ فكرٍ ما تمخَّضتْ بِمعنى إلاَّ أَنْتَجَّتْهُ من غيرِ ما تَهْمِلُه ، وأتتْ به قَوْمَها

(١٠٧) سورة الرعد : الآية ٨ . (١٠٨) انظر سورة الجن : الآية ٩ .

تَحْمِيلُهُ ، ولم يُعْرَضْ على مَلَاٍّ مِنَ الْبَلْغَاءِ إِلَّا أَلْفَقُوا أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَسْتَعِيرُهُ ، لَا أَيُّهُمْ يَكْفُلُهُ » .

في هَذَيْنِ السَّطْرَيْنِ آيَاتَانِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : الْأُولَى فِي سُورَةِ « مَرْيَمَ » وَقَصَّتْهَا وَقِصَّةٌ وَلِدَهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ » (١٠٩) ، وَالثَّانِيَةَ فِي سُورَةِ « آلِ عِمْرَانَ » فِي قَوْلِهِ : « إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ » (١١٠) .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف القلم ، فقلت :

« وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَلَمِهِ مَا أَوْحَاهُ إِلَى النَّحْلِ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَأْوِي إِلَى الْمَكَانِ الْوَعْرِ ، وَهُوَ يَأْوِي إِلَى الْبَيَانِ السَّهْلِ ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْتَنِيَ مِنْ ثَمَرَاتِ ذَاتِ أَرْوَاحٍ لَا ذَاتِ أَكْمَامٍ ، وَيُخْرِجُ مِنْ نَفَثَاتِهِ شَرَابٌ مُحْتَلِفٌ طَعْمُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلْأَفْهَامِ . وَأَيْنَ مَا تُنْبِتُهُ كَثَافَةُ الْخَشَبِ مِمَّا تُنْبِتُهُ لَطَافَةُ الْمَعْنَى ؟ وَلَا تَسْتَوِي نَضَارَةُ هَذَا الثَّمَرِ وَهَذَا الثَّمَرِ ، وَلَا طِيبُ هَذَا الْمَجْنِيِّ وَهَذَا الْمَجْنِيِّ ، وَقَدْ أَرْحَصَ اللَّهُ مَا يَكْثُرُ وَجُودُهُ فَيَذْهَبُ فِي لَهَوَاتِ الْأَفْوَاهِ ، وَأَعْلَى مَا يَعْزُ وَجُودُهُ ، فَيَبْقَى خَالِدًا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّوَاةِ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ لَا تَصِحُّ إِلَّا فِي قَلَمِ سَيِّدِنَا الَّذِي إِذَا خَلَا بِخَاطِرِهِ امْتَلَأَتْ بِجَدِيثِهِ الْمَحَافِلُ ، وَإِذَا حَلَا كِتَابَهُ وَجَدَتْ الْكُتُبَ الْحَالِيَةَ مِنْ قَبْلِهِ وَهِيَ عَوَاطِلُ ، فَلَهُ حَيْثُذِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى غَيْرِهِ بَعِينَ الْإِحْتِقَارِ ، وَلَوْلَا صِفَهُ أَنْ يُسَهَّبَ وَهُوَ قَائِمٌ مَقَامَ الْإِحْتِصَارِ » .

هذا الفصل غريبٌ عجيبٌ ، وقد جمعَ بين الأضدادِ فناله بعيدٌ ، وفهمه قريبٌ ، وهذا مأخوذٌ من سُورَةِ « النَّحْلِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم نخيل ، وهو :

« لَهُ شِيْمَةٌ فِي الْجُودِ لَا يُشَامُ نَائِلَهَا ، وَإِذَا هَزَّهَا سَأَلَهَا قَالَ : إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » .
وهذا مأخوذٌ من سُورَةِ « الْمُؤْمِنِينَ » (١١١)

(١٠٩) سورة مريم : الآية ٢٧ . (١١٠) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

(١١١) سورة « المؤمنون » : الآية ١٠٠ .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو :

« وصل كتابه ، فُوقَفَ منه على اللَّفْظِ الرَّحِيمِ ، والمعنى الَّذِي هُوَ في كلِّ وادٍ يَهيمُ ، وقال : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، ثُمَّ أَخَذَ في إِعْلَاءِ قَدْرِهِ ، وَتَنْوِيهِ ذِكْرِهِ ، ولم يَسْتَفْتِ الْمَلَأُ في الإِذْعَانَ لِأَمْرِهِ ، ولا أَهْدَى في قِبَالَتِهِ سِوَى هَدِيَّةٍ لِلسَّانِهِ وَصَدْرِهِ ، لا جَرَمَ أَنَّهَا تُقْبَلُ ولا تَرَدُّ ، وَيُعْتَدُّ بِهَا ولا تُعَدُّ ، فَإِنَّهَا مالٌ لا يُنْفِئُهُ الإِنْفَاقُ ، وَجَوْهَرٌ تتحلَّى به الأَخلاقُ ، لا الأَعْنَاقُ . »

وهذا مأخوذٌ من قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه إلى بلقيس ، وهى مذكورة في سُورَةِ « النمل » (١١٢) وفي هذا من شرفِ الصَّنْعَةِ أَنَّهُ خولفَ بين مَعَانِيهِ وَمَعَانِي مَا أتى به القرآن الكريم .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار ، وهو :

« إذا خطبَ القَلَمُ عن الرُّمَحِ الَّذِي هُوَ نَدِيدُهُ قام مُحْتَفِلاً ، وَأَسْهَبَ مَتْرُوباً ومُرْتَجِلاً ، حتَّى يأتى في خطابته بالمعاني الأَخائِرَ ، وأصدقُ القولِ ما صدرَ عن شهادةِ الضَّرَائِرِ لِلضَّرَائِرِ . وكتابنا هذا يَصِفُ معركةً احمرَّتْ ضَبَابُهَا ، وضاقَتْ بالأَسُودِ غابُتُهَا ، فالطعن بها مُحْتَضِرٌ ، والموتُ مُحْتَقَرٌ والنَّصْرُ من كلا الفريقين مُقْتَسَرٌ ، وكان الإسلامُ هناك زَجْرَ السَّنِيحِ (١١٣) ، وفوزَ القِدْحِ المَنِيحِ (١١٤) . وليس الَّذِي يرقبُ المعونةَ من الله الَّذِي هورَبُ المَسِيحِ كمن يرقبُها مِنَ المَسِيحِ ، ولقد نَفَذَتِ الرماحُ في أعداءِ اللهِ تعالى حتى اعتدلتُ من جانبي الصُّدُورَ والظُّهورَ ، وتركتِ النَّاجِيَ منهم وهو لا ينظرُ إلى الصَّلِيبِ إلا نَظَرَ الخائِفِ المدعُورِ ، فليس لهم من بعدها جيشٌ يُجمَعُ ، ولا

(١١٢) سورة النمل : انظر الآية (٢٩) وما بعدها من الآيات .

(١١٣) السنيح والسنيح : ما ولاك ميامنه . وكانوا يتفألون به . ومنه قولهم « من لى بالسائح بعد البارح » أى بالمبارك بعد الشؤم .

(١١٤) المنيح على وزن أمير قديح بلا نصيب . قد يستعار تيمنا بفوزه . أو قدح له سهم (انظر القاموس المحيط ٢٥١/١) .

لواء يُرْفَع ، وقد كانت بلادهم من قبل مَمانعة ، وهى الآن لا تَدْبُ عنها ولا تَمْنَعُ ،
وهذه معركة قَلَّتْ بها الرقابُ المأسورة ، وكثرت النفوسُ المقتولة ، وقربت بها القرايينُ
التي تأكلها النارُ ، لا لأنها مقبولة .

ومعنى الآية فى هذا الفصل مأخوذٌ من سورة « آلِ عِمْران » إلا أنها تخالفه ، وذلك
أنَّ القربانَ كان يُقْبَلُ ، فتنزلُ النارُ تأكله ، وأجسادُ هؤلاء الكفار قربانُ تأكله النارُ ،
ولكنها لا تأكله لأنه مقبول ، وباقى الفصل يتضمن معنى حسناً رقيقاً .

ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض
الإخوان ، وهو :

« ولقد صبرتُ على أخلاقه العائنة ، وعاملته بالخليقة الرائثة ، وعالجته بضروب
المعالجات ، فلم تنفع فيه رُقَى الرَّاقية ، ولا نَفَثُ النافثة ، ولما أعيأ على إصلاحه
أخذتُ بمقالة الخِضِرِ لموسى فى المرّة الثالثة . »

وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الخِضِرِ فى سورة
« الكهف » (١١٥) .

ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب ، وهو :

« تجمّعوا فى نارِ النَّدمِ يُعرَضون عليها غدواً وعشياً ، وصار الأمرُ الذى كانوا يَرَجُونه
مَخْشِياً ، وأضحوا كأهلِ النارِ الَّذِينَ صاروا أعداءً ، وكانوا شيعاً ، وقال ضعفاؤهم
للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً . »

وهذا مأخوذ من سورة « حم المؤمن » (١١٦) ومن سورة « سبأ » (١١٧) .

(١١٥) لعله يشير إلى قوله تعالى « . . . لاتصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا » - الآية ٧٦ من سورة

الكهف ، وكان ذلك بعد المرة الثانية : بعد سؤاله عن خرق السفينة ، وعن قتل الغلام .

(١١٦) سورة غافر : الآية ٤٦ « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد

العذاب . »

(١١٧) انظر سورة سبأ : الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣ .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم غلام أبله :

كنت أقاسي من بلّهِ نكداً ، فكتبتُ يوماً من الأيام إلى بعض إخواني كتاباً ،
وعرّضتُ فيه بذكره ، فقلت :

ولقد ملكهُ النسيانَ ، حتى كأنه يقظُ في صورةِ نائمٍ ، وحتى حققَ قولَ التناسخِ في
نقلِ أرواحِ الأناسي إلى البهائمِ ، فما أُرسِلَ في حاجةٍ إلا ذهبَ عن قلبه يَمَنَةً وَيَسْرَةً ،
ولا طَلِبَ منه ما استَحفظه إلا قال : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ .

وهذا فصلٌ يشتملُ على عدة معانٍ منها ما هو مأخوذٌ من القرآن الكريم من سورة
« الكهف » (١١٨) .

ومن ذلك ما ذكرته في تقليد قاضٍ ، وهو فصل منه ، فقلت .

« والفضائلُ ما بقيت موجودة ولم تفقد ، وهي حَيَّةٌ وَإِنْ أُوْدِيَ أَرْبَابُهَا وَلَا يَمُوتُ مَنْ
لَمْ يُوَلَّدْ ، وَمِنْ أَكْرَمِ مَا أُوتِيَ مِنْهَا فَضِيلَةُ التَّقْوَى الَّتِي الْكِرْمُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَالْعَاقِبَةُ
وَالْحَسَنِيُّ كِلَاهِمَا مِنْ آثَارِهَا . وَمَا نَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ اتَّخَذَهَا حَارِسًا يَمْنَعُ الْخِصْمَ مِنْ تَسْوُرِ
مِحْرَابِهِ ، وَيُؤَمِّنُ قَلْبَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى اسْتِغْفَارِهِ وَمَتَابِهِ ، وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ لَهُ هَذِهِ
الْفَضِيلَةَ بِالْعِلْمِ الَّذِي أَعْلَمَهُ بِعِلْمِهِ ، وَوَسَّمَهُ بِوَسَامَتِهِ ، وَقَدَفَ فِي رُوعِهِ مَا لَا يُسْأَلُ مَعَهُ
عَنِ السَّقِينَةِ وَخَرْقِهَا ، وَالغَلَامِ وَقَتْلِهِ ، وَالجِدَارِ وَإِقَامَتِهِ ، وَعَلَى مَا بَلَغَهُ مِنْهُ فَإِنَّهُ فِيهِ أَحَدُ
الْمُنْهُومَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا يَشْبَعَانِ (١١٩) ، وَإِذَا كَانَ لِغَيْرِهِ فِيهِ نَظْرٌ وَاحِدٌ وَمَسْمَعٌ ، فَلَهُ فِيهِ
نَظْرَانِ وَمَسْمَعَانِ » .

في هذا الفصل المختصر معاني عدّة آيات وخبر من الأخبار النبويّة :
أَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (١٢٠) .

(١١٨) انظر سورة الكهف : الآية ٦٣ .

(١١٩) إشارة إلى الخبر المأثور « منهومان لا يشبعان » طالب علم وطالب مال .

(١٢٠) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى » (١٢١)
 وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْمِحْرَابَ » (١٢٢) .
 وَأَمَّا الْآيَةُ الرَّابِعَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا » (١٢٣) .
 وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْبَابِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي جُمْلَةِ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ عِنَايَةَ بَعْضِ الْفُقَرَاءِ فَقُلْتُ بَعْدَ
 الْإِبْتِدَاءِ بِصَدْرِ الْكِتَابِ :

« وَقَدْ عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ يُعَدُّ لِطَالِبِ فَضْلِهِ فَضْلاً ، وَيَرَى التَّبَرُّعَ بِمَعْرُوفِهِ فَرَضاً ، إِذَا رَأَى
 غَيْرَهُ مَعَ الْمُسَاءَلَةِ تَفْلاً ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَزِيَّةِ خُلُقٍ تَوْحَّدَ بِطَيْبِ التَّرْبَةِ وَشَرَفِ الرَّتْبَةِ ، وَأَوْثَى
 مِنْ كِنُوزِ الْكِرْمِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ، وَهَذَا خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي
 زِينَتِهِ ، وَفَضَلَ الْخُلُقِ بِطَيْبَةٍ غَيْرِ طَيْبَتِهِ ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ يَسْأَلُ عَنِ السَّائِلِينَ ، وَيَحْتَالُ فِي
 اسْتِنْبَاطِ أَمَلِ الْآمِلِينَ » .

ثُمَّ مَضَيْتُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ حَتَّى أَنْهَيْتُ الْكِتَابَ .
 وَالْغَرَضُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ كَيْفَ تَضَعُ يَدَكَ فِي أَخْذِ مَا تَأْخُذُهُ مِنْ بَعْضِ الْآيَةِ ،
 ثُمَّ تُضَيِّفُ إِلَيْهِ كَلَاماً مِنْ عِنْدِكَ ، وَتَجْعَلُهُ مَسْجُوعاً ، كَمَا قَدْ فَعَلْتُ أَنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .
 أَلَا تَرَى أَنِّي أَخَذْتُ بَعْضَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قِصَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الْقَصَصِ) وَهِيَ قَوْلُهُ
 تَعَالَى : « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فِغْنَى عَلَيْهِمْ ، وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكِنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
 لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ » (١٢٤) . فَهَذِهِ
 الْآيَةُ أَخَذْتُ بَعْضَهَا ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ كَلَاماً مِنْ عِنْدِي ، حَتَّى جَاءَ كَمَا تَرَاهُ مَسْجُوعاً .
 وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ بِالْآيَةِ الْأُخْرَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضاً وَهِيَ قَوْلُهُ : « فَخَرَجَ عَلَى

(١٢١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(١٢٢) سورة (ص) : الآية ٢١ .

(١٢٣) سورة الكهف : الآية ٧١ .

(١٢٤) سورة القصص : الآية ٧٦ .

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (١٢٥)

وهذا ينبغي لك إذا أردت أن تسلك هذه الطريق ، وقدّرت على سلوكها ، وهي من محاسن الصناعة البلاغية ، وليس فوقها من الكلام ما هو أعلى درجة منها ، لأنها ممزوجة بالقرآن ، لا على وجه التضمن ، بل على وجه الانتظام به ، والله يختص بها من يشاء من عباده .

وفيا ذكرته من نثر هذه الآيات كفاية للمتعلم .

وأما الأخبار النبوية فكالقرآن العزيز في حل معانيها .

فإن قلت : إن الأخبار النبوية لا يجرى فيها الأمر مجرى القرآن ، إذ القرآن له حاصر وضابط ، وكل آياته تدخل في الاستعمال ، كما قال بعضهم : لو ضاع مني عقل لوجدته في القرآن الكريم ، وأما الأخبار فليست كذلك لأنها كثيرة لا تنحصر ، ولو انحصرت لكان منها ما يدخل في الاستعمال ؛ ومنها ما لا يدخل . ولا بد من بيان يمكن الإحاطة به والوقوف عنده ؟

قلت في الجواب عن هذا : إنك أول ما تحفظه من الأخبار هو كتاب « الشهاب » فإنه كتاب مختصر ، وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكماً وآداباً ، فإذا حفظته ، وتدرّبت باستعماله كما أريتك ها هنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل ، وعند ذلك تصفح كتاب صحيح البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وغيرها من كتب الحديث ، وتأخذ ما تحتاج إليه ، وأهل مكة أخبر بشعابها ، والذي تأخذه إن أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد ، لأن ما لا تحفظه فلست منه على ثقة ، وإن كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ، ودواوين كثيرة من الشعر ، وما ورد من الأمثال السائرة ، وغير ذلك مما أشرنا إليه ، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار ، والإكثار من استعمالها في كلامك ، حتى ترقم على خاطرك ، فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته ، وسهل عليك أن تأتي به ارتجالاً . فتأمل ما أوردته عليك ، واعمل به .

(١٢٥) سورة القصص : الآية ٧٩ .

وكنْتُ جَرَّدتَ من الأخبارِ النبويَّةِ كتاباً يشتملُ على ثلاثةِ آلافِ خبرٍ ، كلُّها تدخلُ في الاستعمالِ ، ومازلتُ أواظبُ مطالعته مدة تزيد على عَشْرَ سنينَ ، فكنتُ أنهي مطالعته في كلِّ أسبوعٍ مرَّةً ، حتى دارَ على ناظري وخاطري ما يزيد على خَمْسِ مائةِ مرَّةً ، وصارَ محفوظاً لا يشدُّ عني منه شيءٌ . وهذا الذي أوردته هاهنا في حلِّ معاني الأخبار هو من هناك .

وسأذكرُ ما دارَ بيني وبينَ بعضِ علماءِ الأدبِ في هذا الأسلوبِ الذي أنا بصدده هاهنا

وذاك أنه استوعره وأنكره ، وقال : هذا لا يتهيأ إلا في الشيءِ اليسيرِ من الأخبارِ النبويَّةِ .

فقلت : لا بل يتهيأ في الأكثرِ منها .

فقال : قد وردَ عن النبي ﷺ أنه اختصم إليه في جنينٍ ، فقضى على من أسقطه بغيره : عبد أو أمة ، فأين يستعملُ هذا ؟

فأفكرتُ فيما ذكره ، ثم أنشأتُ هذا الفصلَ من الكلامِ ، وأودعته فيه .

« قد كثر الجهلُ حتى لا يقال فلان عالمٌ وفلان جاهلٌ ، وضربَ المثل

ببَاقِلٍ (١٢٦) ، وكم في هذه الصَّورةِ الممثلةِ من باقِلٍ ، ولَوْ عَرَفَ كلُّ إنسانٍ قدره لما مَشَى

بِذَنِّهِ إلا تحت رأسِهِ ، ولا انتصبَ رأسُ إلا على بَدَنِهِ ، ولكانَ صاحبُ العمامةِ بعمامتهِ .

وصاحبُ الرِّسَنِ أحقُّ بِرِسْنِهِ وكنْتُ سمعتُ بكاتبٍ من الكتابِ كلمتهُ إلى غنَّائِهِ ، وقلمه

بُغائِهِ لا يَسْتَنسِرُ (١٢٧) وأى بطشٍ لِبُغائِهِ ، وإذا وجبَ الوضوءُ على غيره بالخارجِ من

السَّيِّلينَ وجبَ عليه من سُبُلِ ثلاثةٍ . هذا وهو يدعى أَنَّهُ في الفصاحةِ أمةٌ وحدهُ ، ومن

قُسُ إِيادٍ (١٢٨) وسَحْبَانَ وائلٍ (١٢٩) عنده ؟ وإذا كُشِفَ عن خاطره وُجِدَ بليداً ، لا يخرجُ

(١٢٦) رجل مشهور عندهم بالعي ، قالوا إنه اشترى ظيباً بأحد عشر درهماً ، فسئل عن شرائه ، ففتح كفيه

وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه . فانفلت الظبي ، وضرب به المثل في العي .

(١٢٧) البغاث من الطير ما لا يصيد ولا يرغب في صيده لأنه لا يؤكل ، وهو بطن الطيران ، واستنسر

البغاث صار نسرأ ، وعليه قولهم « إن البغاث بأرضنا يستنسر » أي أن الضعيف يصير قويا بأرضنا .

(١٢٨) هوقس بن ساعدة الإيادي ، أحد خطباء العرب المشهورين ، سمعه النبي ﷺ يخطب في الموسم .

(١٢٩) سحبان وائل ، مضرب المثل في الخطابة والفصاحة والبيان .

عن العمه والكمه ، وإن رام أن يستتجه في حين من الأحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة ، وكثيراً ما يتقدم ونقيصته هذه على الأفاضل من العلماء ؛ وقد صار الناس إلى زمان يعلو فيه حضيض الأرض على هام السماء .

فلما أوردته عليه ظهرت أماره الحسد على صفحات وجهه وفتلت لسانه ، مع إعجابه به ، واستغرابه إياه ، ثم قال : وقد ورد عن النبي ﷺ هذا الحديث وهو : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا تمثال » فهذا أين يستعمل من المكاتب ؟ فترويت في قوله تروياً يسيراً ، ثم قلت هذا يستعمل في كتاب إلى ديوان الخلافة ، وأملت عليه الكتاب ، فجاء هذا الحديث في فصل منه ، وهو :

« إذا أفاض الخادم في وصف ولاته نكصت همم الأولياء عن مقامه ، وعلّموا أنه أخذ الأمر بزمامه ، فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يظهر أثره في طاعة السر ، وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداها فإن دخوله إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة تدخل بيتاً فيه تمثال ولا صورة ، فليعوأ الديوان العزيز على سيف من سيوف الله يفرى بل ضارب ، ويسرى بلا حامل ، ولا يسلى إلا بيد حق ، ولا يعمد إلا في ظهر باطل . وليعلم أنه كرشه وعيبته في تضمّن الأسرار ، وأنه أحد مسعديه إذا عدت مواقف الأنصار . »

فلما رأى هذا الفصل بهت له ، وأعجب منه ، ثم إنى لم أقنع بإيراد ذلك الحديث ، حتى قرنت به حديثاً آخر ، وهو قول النبي ﷺ « الأنصار كرشى وعيبتى . » .
وحيث عرفتك أيها المتعلم ما تقندى به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة كثيرة تتدرب بها .

فمن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب ، وهو :

« أعاذ الله أيامه من الغير ، وبين يحظر مجده نقص كل خطر ، وجعل ذكره زاداً لكل ركب ، وأنساً لكل سمر ، ومنحه من فضله مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . » .

وهذا المعنى مأخوذٌ من الحديث في وصفِ نعيمِ الجنةِ ، فنقلتهُ إلى الدعاءِ .

ومن ذلك ما ذكرته في وصفِ الحلم ، وهو :

« تركته حتى جال في الميدان ، وامتدَّ في الأشطان (١٣٠) ، ولم أنتصرُ خوفاً من قيامِ الملكِ وقعودِ الشيطان ، والحليمُ لا يظهرُ أثرُ حلمه إلا عند تلدُّده (١٣١) ، والكظيمُ (١٣٢) هو أشدُّ ما يُخَافُ من تبدُّده . »

وهذا المعنى أخذته من قصَّة أبي بكر - رضی الله عنه - في خصامه ، فإنه بُغِيَ عليه ثلاث مرَّاتٍ وهو ساكت ، ففي الثالثة انتصر . فقال النبي ﷺ : « كان الملك جالساً إلى جانب أبي بكرٍ يكذبُ خصمه بما يقول ، فلماً انتصر قام الملكُ وقعدَ الشيطانُ . »

ومن ذلك ما ذكرته في النصرة على العدو في موطن القتال ، وهو :

« أخذنا بسنة رسولِ الله ﷺ في النصرة الذي نرجوه ، ونبذنا في وجهِ العدوِّ وكفأ من التراب ، وقلنا : شاهتِ (١٣٣) الوجوه ، فثبتَ الله ما تزلزل من أقدامنا ، وأقدم حيزومُ فأغنى عن إقدامنا . »

وهذان المعنيان أحدهما مأخوذٌ من حديثِ غزوةِ حنينٍ ، وما فعله رسولُ الله ﷺ في أخذه قبضة من التراب ، وألقاها في وجوه الكفار ، وقوله : « شاهتِ الوجوه » والمعنى الآخرُ مأخوذٌ من حديثِ غزوةِ بدر ، وذلك أن رجلاً من المسلمين لاقى رجلاً من الكفار ، وأراد أن يضربه ، فخرَّ على الأرض ميتاً قبل أن يصل إليه ، وسمع الرجلُ المسلمُ صوتاً من فوقه وهو يقول : « أقدم حيزومُ (١٣٤) » فجاء إلى النبي ﷺ وأخبره ، فقال : « ذاك من مدد السماء الثالثة . »

(١٣٠) الأشطان جمع شطن وهو حبل البئر .

(١٣١) تلدد تلفت يمينا وشمالا ، وتحير ، وذلك عند اشتداد الخصومة .

(١٣٢) الكظيم الذي يكظم الغيظ ، أى يبق على ما فى نفسه منه على صفع أو غيظ .

(١٣٣) شاهت الوجوه قبحت .

(١٣٤) حيزوم : فرس جبريل عليه السلام ، كما فى القاموس .

ومن ذلك ما ذكرته في ضيق مجال الحرب ، وهو :

« وضاق الضربُ بين الفريقين حتى اتصلت مواقعُ البيضِ الذكور ، وتصافحتِ الفورُ بالفورِ (١٣٥) ، والصُدُورُ بالصُدُورِ . واستُظِلَّ حينئذٍ بالسيوفِ لاشتباكِ مجالها ، وتبوَّئتُ مقاعدُ الجنةِ التي هيَ تحتَ ظلالِها »
وهو مأخوذ من الحديث النبويِّ وهو قولُ النبيِّ ﷺ « الجنةُ تحتَ ظلالِ السُّيوفِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب أدم فيه الزمان ، فقلت :

« ولكنَّها الأيامُ تُبدى لنا من جوهرِها كلَّ غريبة ، وتَسوسُنَا سياسةَ العبدِ المُجدِّعِ الذي كانَ رأسه زبيبةً ، وليسَ للمرءِ فيما يلقاهُ من أحداثِها نُعمى كانتَ أوبُوسى ، إلاَّ أنْ يَكِلَ الأمورَ إلى وِليها فيقولُ حاجَّ آدمُ موسى » .
وهذا مأخوذٌ من الخبرِ النبويِّ في قوله ﷺ : « حاجَّ آدمُ موسى ، فقالَ له موسى : أنتَ أخرجتَ الناسَ بخطيتِكَ من الجنةِ ، وأشقيتَهُمْ . فقالَ له آدمُ : أنتَ الذي اصطفاك اللهُ تعالى برسالتِهِ وكلامِهِ ، أتلومُنِي على أمرِ كتبه اللهُ تعالى عليَّ قبلَ أنْ يخلُقَنِي ؟ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « فحجَّ آدمُ موسى » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف بعض الكتاب ، وهو فصل من كتاب كتبه إليه

فقلت :

« ولقد سُرِدَتُ عليه أحاديثُ البلاغَةِ ، فاستغنى عن بسطِ ردائه ، وهديَ إلى جوامعِ كَلِمِها ، فافتدى الناسُ باهتدائه ، فإذا اشتبهتُ عنده مسالكُ طُرُقِها لم يملكه سلطانُ الحيرةِ ، وإنْ أعربَ في أساليبِها لم يُقلَ فيه ما قيلَ في روايةِ أبي هريرةَ » .
وهذا الفصلُ من أحسنِ ما يُؤتَى به في صناعةِ نثرِ المعاني ، وهو مأخوذٌ من حديثِ أبي هريرةَ ، قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ أسمعُ منك أشياءَ فلا أحفظُها ، فقالَ : أبسطُ

(١٣٥) الفور وبهاء وقد تهمز رمع في رسع الفرس تنفش إذا مسحت وتجتمع إذا تركت .

رِءَاءَكَ ، فَبَسَطْتُهُ ، فَحَدَّثَ حَدِيثًا كَثِيرًا ، فَانَسِيْتُ شَيْئًا حَدَّثْتَنِي بِهِ . وَأَمَّا رِوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ فَشَكَ فِيهَا قَوْمٌ لِكَثْرَتِهَا .

وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره . ومثل هذا لا يتفطن له عند الوقوف عليه إلا من تبخر في الوقوف على الأخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركناً من أركان الكتابة في الفصل التاسع .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوحمة ، فقلت :

« ومن صفاتها أنها مدرة^(١٣٦) مستوبلة الطينة ، مجموع لها بين حرمكة ولأواء^(١٣٧) المدينة ، إلا أنها لم يأمّن حرمها في الخطفة ، ولا نقلت حمّاها إلى الجحفة » .
في هذه الكلمات القصار آية من القرآن الكريم وخبران من الأخبار النبوية . فالآية من سورة العنكبوت ، وهي قوله تعالى : « أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ »^(١٣٨) . وهذا موضع يختص بالأخبار لا بالآيات ، غير أن الآية جاءت ضمناً وتبعاً .

وأما الخبران ، فالأول منها قول النبي ﷺ : مَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ وَأَلْوَاءِ الْمَدِينَةِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ . وأما الثاني فقوله ﷺ في دعائه للمدينة : « اللَّهُمَّ حَبِّبْهَا إِلَيْنَا كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ ، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ »^(١٣٩) .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكلمات ، حتى تعلم أن عدتها مصوغة من الآيات والخبرين سواء بسواء .

وهذا طريق لو ادّعت الانفراد بسلوكة لما اختلف على في الاعتراف به اثنان .

(١٣٦) المدرجة واحدة المدر ، وهي المدن والحواصر .

(١٣٧) اللأواء والشدة .

(١٣٨) سورة العنكبوت : الآية ٦٧ .

(١٣٩) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة إلى مكة ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يبروا على المدينة . وكان اسمها مهبة ، وسُميت الجحفة لأن السيل جحفها ، وبينها وبين البحر ستة أميال .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب إلى بعض الإخوان جواباً عن كتاب ورد منه :

وكان كتابه تأخر عني زماناً طويلاً ، فقلت :
« وَلَمَّا تَأَمَّلْتُهُ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ وَالتَزَمْتُهُ ، ثُمَّ اسْتَلَمْتُهُ وَالتَّشَمُّتُهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَعَارِفَ -
وَإِنْ قَدَّمْتُ أَيَّامَهَا - أَنْسَابُ وَشَيْبَةَ ، وَتَأَسَّيْتُ بِالْحَلْقِ النَّبَوِيِّ فِي الْعَجُوزِ الَّتِي كَانَتْ
تَأْتِي فِي زَمَنِ خَدِيجَةَ » .

وهذا مأخوذٌ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها ، وهو أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يَدْبِحُ الشَّاةَ فَيُعْضِبُهَا (١٤٠) أَعْضَاءً ، وَيُقَسِّمُهَا فِي أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ عَجُوزٌ فَيَكْرِمُهَا وَيَسْطُرُ لَهَا رِءَاءَهُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ « هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا فِي زَمَنِ خَدِيجَةَ ، وَحُسْنِ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كتاب ، وهو :

« كُلُّ سَطْرٍ مِنْهُ رَوْضَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْلٌ فِي صَبَاحٍ ، وَكُلُّ مَعْنَى مِنْهُ دُمِيَّةٌ ، غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ عَلَى مُصَوِّرِهَا مِنْ جُنَاحٍ » .
وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم الصور .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كرم وهو :

« فَأَغْنِي بِجُودِهِ إِغْنَاءَ الْمَطَرِ ، وَسَمَّا إِلَى الْمَعَالِي سُمُو الشَّمْسِ وَسَارَ فِي مَنَازِلِهَا مَسِيرَ الْقَمَرِ ، وَنُتِجَ مِنْ أَبْكَارِ فِضَائِلِهِ مَا إِذَا ادَّعَاهُ غَيْرُهُ قِيلَ : لِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ » .
وهذا المعنى من قول النبي ﷺ : « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الفصاحة ، فقلت :

« أَفْكَارُ الْخَوَاطِرِ لَا تُسْتَوْلَدُ عَلَى انْفِرَادِهَا ، وَغَايَتُهَا أَنْ يُتَنَاقَحَ فِي اسْتِنَاجِ أَوْلَادِهَا ، وَأَنَا أَنْكِحُ فِكْرِي لِفِكْرِي نِكَاحَ الْأَنْسَابِ ، وَلَا أَخَافُ أَنْ أَضْوَى ، فَأَمِيلُ إِلَى الْإِغْتِرَابِ » .

(١٤٠) غضبت الذبيحة بالتشديد جعلتها أعضاء .

وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ في الأمر بِنِكَاحِ البعيدةِ النَّسَبِ ، فقال : « غَرَّبُوا لَا تَصُورُوا » يريدُ بذلك أن الإنسان إذا نكح المرأةَ القريبةَ إليه حصلَ بينهما حياةٌ يمنعُ من قضاءِ الشهوةِ كما ينبغي ، فيجىءُ الولدُ ضاويًا ، أى هزيلًا . وهذا معنى غريبٌ لى استخرجتهُ من الحديثِ النبويِّ .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان :

جواباً عن كتابٍ ورد منه يتضمن الشكوى من شخصٍ جرت بينه وبينه مُحَاصَمةٌ ، فقلت :

« وَصَلَ كِتَابُهُ وَهُوَ كِتَابٌ مِنْ أَكْثَرِ الشُّكْوَى ، وَطَلَبَ الْعُدْوَى (١٤١) ، وَنَزَلَ مِنَ التَّظَلُّمِ بِالْعُدْوَةِ (١٤٢) الدُّنْيَا ، وَأَنْزَلَ خَصْمَهُ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ، وَالْقَاضِي لَا يَحْكُمُ لِأَحَدٍ الْخَصْمِينَ حَتَّى يَحْضُرَ صَاحِبُهُ ، وَإِنْ فُقِئَتْ عَيْنُ أَحَدِهِمَا فَرِيًّا فُقِئَتْ عَيْنُ الْآخَرَ ، وَهُسِّمَ حَاجِبُهُ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ اعْتَرَفَ أَنَّ كَلِيْمَهَا كَانَ لِلْحَمِّ أُخِيهِ آكِلًا ، وَعَلَيْهِ فِي حَالِ مَحْضَرِهِ جَاهِلًا ، وَسِيَابُ الْمُؤْمِنِ مَعْدُودٌ مِنْ فُسُوقِهِ ، وَإِطْرَاقُهُ عَنْ تَوَرُّدِ هَذَا الْمَقَامِ أَوْلَى مِنْ طُرُوقِهِ ، وَلَوْلَا تَغْلِيظُ النَّكِيرِ لَمَا جُعِلَ اللِّسَانُ وَالْيَدُ سِوَاءً فِيمَا جَرَحَا ، وَلِمَا أَخَّرَ اللَّهُ الْمَغْفِرَةَ عَنِ الْخَائِضِينَ فِيهَا حَتَّى يَصْطَلِحَا ، فَكُنْ أَنْتَ مِمَّنْ أَطَاعَ تَقْوَاهُ لَا هَوَاهُ ، وَاتَّبَعَ مِنْ عِلْمِ الْحَقِّ فَرَاهُ ، أَوْ سَمِعَهُ فَرَوَاهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ تَهَاجُرَ الْأَخْوَيْنِ فَوْقَ الثَّلَاثَةِ مِنْ مَنَهَيَّاتِ الْحَرَامِ ، وَأَنَّ الْفَائِزَ بِالْأَجْرِ مِنْهَا هُوَ الْبَادِيُّ بِالسَّلَامِ ، وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ يَجْعَلُ الْعُدْوَةَ وَلِيًّا حَمِيمًا ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْمُتَخَلِّقَ بِهَذَا الْخَلْقِ صَابِرًا ، وَجَعَلَ لَهُ حِطًّا عَظِيمًا ، وَالشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَحُومُ عَلَى آثَارِهِ مَوَاقِعَ الشَّنَّانِ ، وَلَا يَحْمَدُ مِنْ أَعْمَالِ بَنِيهِ شَيْئًا إِلَّا مَا زِيلَ (١٤٣) بَيْنَ الْإِخْوَانِ . »

في هذا الفصل معاني آياتٍ وأخبارٍ ، وهذا الموضوعُ مختصٌّ بذكر الأخبارِ دون الآياتِ .

(١٤١) العُدْوَى هنا طلبُ التقوية والنصرة . قال ابن فارس : العُدْوَى طلبك إلى والٍ ليعديك على من ظلمك . أى ينتقم منه باعتدائه عليك .

(١٤٢) عُدْوَةُ الْوَادِي جَانِبُهُ . (١٤٣) زِيلٌ بَيْنَهُمْ فَرَقٌ .

فَأَوَّلُ الْمَعَانِي الْمَأْخُوذَةِ ، مِنَ الْأَخْبَارِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا أَتَاكَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ ،
وَقَدْ فُقِّتَتْ عَيْنُهُ ، فَلَا تَحْكُمْ لَهُ ، فَرِمَا أَتَى خَصْمَهُ وَقَدْ فُقِّتَتْ عَيْنَاهُ . » .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّانِي فَقَوْلُهُ ﷺ : « سِيَابُ الْمُؤْمِنِ فَسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » .
وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّلَاثُ فَقَوْلُهُ ﷺ : « إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ
الْخَمِيسِ ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ امْرَأٍ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ،
فَيَقُولُ : اتْرَكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الرَّابِعُ فَقَوْلُهُ ﷺ : « لَا يَجِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ » .
وَأَمَّا الْمَعْنَى الْخَامِسُ فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا التَّقَى الْمُتَهَاجِرَانِ ، فَأَعْرَضَ هَذَا ،
وَأَعْرَضَ هَذَا ، فَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » .

وَأَمَّا الْمَعْنَى السَّادِسُ فَقَوْلُهُ ﷺ : « إِنَّ إِبْلِيسَ لَهُ عَرْشٌ عَلَى الْبَحْرِ ، فَبِئْتُ بَيْنَهُ فِي
أَفَاقِ الْأَرْضِ فَيَأْتِي أَحَدَهُمْ ، فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا . فَيَقُولُ : مَا فَعَلْتُ
شَيْئًا ، وَيَأْتِي أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ : زَيْلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، فَيَقُولُ :
نَعَمْ الْوَالِدُ أَنْتَ ! » .

فَانظُرْكُمْ فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ الْيَسِيرَةِ مِنْ مَعْنَى خَيْرِ نَبَوِيٍّ . هَذَا سُورَى مَا فِيهَا مِنْ مَعَانِي
الْآيَاتِ ، وَإِذَا عَدَدْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَذْكُورَةَ فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ وَجَدْتَهَا جَمِيعَهَا مُنْتَظِمَةً
مِنَ الْآيَةِ وَالْخَبَرِ .

وهذا مما يدل على الإكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة إليها على الفور .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو جواب عن كتاب يتضمن تهديدا
وتخويفا ، فقلت :

« وَرَدَ الْكِتَابُ مِزْمَنًا مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مَا آنَسَ نَفْسَ الْمَمْلُوكِ وَأَوْحَشَهَا ، وَتَقَعَّ
ضُلُوعَهُ وَأَعْطَشَهَا ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ جُنُودًا تُقَاتِلُهُ ، وَتَأْخُذُ عَلَيْهِ شُعْبَ الْأَفْكَارِ
فَلَا تَزَاوِلُهُ . وَكَانَتْ كَلِمَاتُهُ طَوَالًا ، وَأَوْرَاقُهُ ثِقَالًا ، وَمَا أَفَلْتُ سَطْرًا مِنْ سَطُورِهِ إِلَّا كَانَ
الْآخِرُ لَهُ عِقَالًا ، وَلَمَّا اسْتَكْمَلَ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ ثَقَلَتْ أَطْوَارُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ مِنْ أَطْوَارِهِ ،
وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي قِرْطَاسِهِ ، كَمَا عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَرْضِ
١٥٧

جداره ، ولولاً وتُوْفُهْ بَأَنَاةِ مَوْلَانَا لَذَهَبَتْ نَفْسُهُ فَرَقًا ، وَابْتغَى فِي السَّمَاءِ سُلْمًا ، وَفِي
 الْأَرْضِ نَفَقًا ، لَكِنَّهُ قَدْ تَوَسَّمْ فِي كَرَمِهِ مَحَابِلَ الصُّنْعِ الْوَسِيمِ ، وَغَرَّهُ مِنْهُ مَا غَرَّهُ مِنْ رَبِّهِ
 الْكَرِيمِ ، وَعَلِمَ أَنَّ خُلُقَ حِلْمِهِ يَغْلِبُ خُلُقَ غَضَبِهِ ، بِإِذْنِ هَذَا حَادِثٍ وَذَلِكَ قَدِيمٌ .
 فِي هَذَا الْفَصْلِ مَعْنَى خَيْرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ -
 يَخْطُبُ ، فَمَالَ بِيَدِهِ إِلَى الْجِدَارِ ، وَقَالَ : « عَرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي عَرَضِ هَذَا
 الْجِدَارِ ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ » .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب إلى بعض الإخوان ، وهو :

« الْخَادِمُ يُوَاصِلُ بِالِدُّعَاءِ الَّذِي لَا يَزَالُ لِقَلْبِهِ زَمِيلًا ، وَلِللِّسَانِ رَسِيلًا (١٤٤) ، وَإِذَا
 رَفَعَ أَذَنَّهُ الْمَلَائِكَةَ قَرَبًا إِذَا تَبَاعَدَتْ عَنْ غَيْرِهِ مِيلًا ، وَلَا اعْتِدَادَ بِالِدُّعَاءِ إِلَّا إِذَا صَدَرَ
 عَنْ أَكْرَمِ مَصْدَرٍ ، وَوَجَدَ لَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مَظْهَرًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ مَظْهَرٍ ، وَوَصَفَ
 بَاطِنَهُ بِأَنَّهُ الْأَبْيَضُ النَّاصِعُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ ظَاهِرِ الْأَشْعَثِ الْأَعْبَرِ ، وَلَا يَعْمَلُ الْخَادِمُ
 أَهْلًا وَوَدَّهُ إِلَّا بِهَذِهِ الْمَعَامَلَةِ ، وَمِنْ خَلْقِهِ الْمَجَازِفَةُ فِي بَذْلِ الْمُوَدَّةِ إِذَا أَخَذَ النَّاسَ نِسْبَةَ
 الْمَكَابِلَةِ » .

في هذا معنى خبرين :

أحدهما : قول النبي ﷺ : « إِنَّهُ إِذَا كَذَبَ الْكَاذِبُ تَبَاعَدَ الْمَلِكُ عَنْهُ مِيلًا لِيَتَنَّى
 كَذِبِهِ » .

والآخر : قوله ﷺ : « رُبَّ أَشْعَثٍ أَعْبَرٍ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ
 لِأَبْرَهُ » .

ومن هذا الباب ما ذكرته في كتاب يتضمن خطبة مودة :

فابتدأت الكلام فيه بعد تصدّره بالدعاء ، فقلت :

« لَوْلَا الْعَادَةُ لَرَفَعَ الْخَادِمُ كِتَابَهُ هَذَا أَنْ يَسْطُرَ فِي وَرْقَةٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِرْسَالِهِ فِي
 خِطْبَةِ مَوَدَّةٍ رَأَى صَوْرَتَهَا فِي سَرَقَةٍ (١٤٥) ، وَلَمَّا تَأَمَّلَهَا قَالَ : إِنْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١٤٤) يقال راسله في عمله إذا تابعه فيه فهو رسيل .

(١٤٥) السرقة شقة حرير بيضاء ، قال أبو عبيدة : كأنها كلمة فارسية ، والجمع سرق مثل قصبة وقصب .

يُمِضُهُ ، وَأَبْدَى لَهَا صَفْحَةَ الرِّضَا ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مَوْدَّةٍ لَمْ تُرْضِهِ ، وَخَيْرَ الْمَوْدَاتِ مَا لَيْسَ لَهَا ضَرَّةٌ تَشَارِكُهَا فِي وَسَامَتِهَا ، وَلَا تَضَاهِيهَا فِي دَرَجَةِ كَرَامَتِهَا . فَتِلْكَ الَّتِي تَزْدَهِي ذَا الْهَمَّةِ أَبْوَةً وَجَمَالًا ، وَلَمْ يُغْلِهِ مَهْرُهَا وَلَوْ بَدَّلَ فِيهِ نَفْسًا لَا مَالَ ، وَمَا يَظُنُّهَا الْخَادِمُ إِلَّا هَذِهِ الْمَوْدَّةَ الَّتِي خَطَبَهَا ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنْ تَكُونَ رَاغِبَةً وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي أَرْغَبَهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَرَشَّحْ لَهَا إِلَّا مِنْ هُوَ مِنْ أَكْفَانِهَا ، وَلَيْسَتْ الْكِفَاءَةُ هَاهُنَا إِلَّا مَا تَبْدُلُهُ الصَّائِرَاتُ مِنْ صَفَائِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ لَهَا كُفْفَانًا يُكْثِرُ مِنْ إِيْنَانِهَا ، وَيَضَعُهَا مِنَ الْبِرِّ فِي مَحَلَّةٍ نَاسِيَهَا ، وَيَجْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهَا عُرْسًا ، حَتَّى تَتَّصَلَ مَوَاسِمُ أَعْرَاسِهَا .

ثُمَّ مَضَيْتُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ إِلَى آخِرِ الْكِتَابِ ، وَالْمَعْنَى الْمَأْخُوذُ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ فِي مَوَاضِعِينَ :

الأول : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا « إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ عَلَيَّ صُورَتَكَ فِي سَرَقَةٍ - وَالسَّرَقَةُ حَرِيرَةٌ بِيضَاءُ - وَقَالَ : هَذِهِ زَوْجُتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَقُلْتُ : إِنْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ . فَأَخَذْتُ أَنَا هَذَا الْمَعْنَى ، وَنَقَلْتُهُ إِلَى خِطْبَةِ مَوْدَّةٍ ، وَلَا يَأْتِي فِي خِطْبَةِ الْمَوْدَاتِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَلَا أَلْطَفُ ، وَلَا أَشَدُّ مَقْصِدًا .

الْخَبَرُ النَّبَوِيُّ الثَّلَاثِي : قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّمَا تَتَكَبَّحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِحَسَبِهَا ، أَوْ لِدِينِهَا ، أَوْ لِمَالِهَا ، أَوْ لِجَمَالِهَا . » فَقُلْتُ أَنَا « فَتِلْكَ الَّتِي تَزْدَهِي ذَا الْهَمَّةِ أَبْوَةً وَجَمَالًا » أَيْ قَدْ جَمَعْتَ الْحَسَبَ وَالْجَمَالَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي سَبَبِ حُبِّ الْمَالِ ، وَهُوَ :

« بَيْنَ الْمَالِ عِلَاقَةٌ وَكِيدَةٌ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ ، وَهِيَ لَهُ بِمِثْلَةِ الْحَبِّ وَهُوَ لَهَا بِمِثْلَةِ الْمَحْبُوبِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَخَلَقَ آدَمَ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، وَيُوشِكُ حِينَئِذٍ أَنْ صُورَةَ قَلْبِهِ تَكُونَتْ مِنْ مَعْدَنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ مِنْهَا عُنْصُرٌ إِبْدَائِهِ ، لَمَا جَعَلَهَا الْأَطْبَاءُ دَوَاءً مِنْ دَائِهِ ، فَلَا تَسْتَعْرِبُ إِذْنًا أَنْ يَكُونَ عَلَى حُبِّهَا مَطْبُوعًا ، إِذْ كَانَ مِنْهُمَا مَصْنُوعًا . »

وَهَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ

الأرض ، فجاءَ بُنُو آدَمَ على قَدَرِ الأَرْضِ ، منهم الأَحْمَرُ والأَبْيَضُ والأَسْوَدُ ، وبينَ ذلك ، والحَزَنُ والسَّهْلُ والحَيِثُ والطَّيْبُ « غيرَ أَنِّي اسْتَبْطُتُ أَنَا حُبَّ المَالِ من هذا الحديثِ ، وهو معنى غريبٌ لم أُسْبِقْ إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كلام ، وهو :

« ليس السَّحْرُ ما أُودِعَ في جُفِّ طَلْعَةٍ (١٤٦) ، بل ما أُودِعَ في صَوغٍ مَعْنَى أو نَظْمٍ سَجَعَةٍ ، ولذلك لَبِيدٌ (١٤٧) في شِعْرِهِ أُسْحِرُ من لَبِيدٍ (١٤٨) في سِحْرِهِ ، وكلا صُنْعِهِمَا مِنَ الغَرِيبِ العَجِيبِ ، غيرَ أَن ما يُسْتَنْبِطُ مِنَ القَلْبِ أَعْجَبُ ممَّا يُدْفَنُ في القَلْبِ » .
وهذا المعنى مأخوذٌ من قِصَّةِ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ في سِحْرِهِ النَّبِيِّ ﷺ ، ومن عرفَ القِصَّةَ وصَوَّرَها عِلْمَ ما قد ذكرته في نثر هذه الكلمات البديعة .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف المنجنيق من جملة كتاب ، فقلت :

« وَنُصِبَ المَنْجَنِيقُ فَجَنَّم بين يدي السُّورِ مَنَاصِيبًا ، وبَسَطَ كَفَّهُ إليه مُؤَاتِيًا ، ثم تَوَلَّى عُقُوبَتَهُ بِعِصَاهِ الَّتِي تَفْتِكُ بأَحجاره ، وإِذَا عَصَى عَلَيْهَا بَلْدٌ أَخَذَتْ في تَأْدِيبِ أسْوارِهِ ، فما كانَ إلا أن اسْتَمَرَّتْ عُقُوبَتُهَا عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ قَائِمُهُ حَصِيدًا ، وَعَاصِيَهُ مُسْتَقِيدًا ، وقال : أَلَمْ يَكُنْ نَهَى عن المَدِّ والتَّجْرِيدِ فَمَالِي لا أَرَى إلا مَدًّا وَتَجْرِيدًا . وعند ذلك أَدْعَنَ لِفَتْحِ الأبْوابِ ، وتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » (١٤٩) وكذلك لَمْ نَأْتِ صَعْبًا

(١٤٦) الحف بالضم وعاء الطلع . والحف أصل النخلة .

(١٤٧) هو لبيد بن ربيعة العامري أحد أصحاب المعلقات .

(١٤٨) هو لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ . وفي حديث عائشة قول النبي ﷺ : أتاني رجلان فقعدهما أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي . فقال أحدهما لصاحبه . ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب . قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر . قال : وأين هو ؟ قال في بئر ذروان . فأناها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه . فجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء . أو كان رءوس نخلها رءوس الشياطين . قلت : يا رسول الله أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافاني الله . فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًا فأمر بها فدفنت .

(١٤٩) سورة الرعد : الآية ٣٨ .

إِلَّا اسْتَسْهَلْ ، وَلَا حَثْنًا مَطِيًّا إِلَّا اسْتَعْجَلْ ، وَلطالَمَا وَقَفَ غَيْرُنَا عَلَى هَذَا الْبَلَدِ ، فَشَفَّهَ طَوْلُ الْإِنْتِظَارِ ، وَلَمْ يَحْظَ مِنْهُ إِلَّا بِمُسَاءَلَةِ الْمُنْصَبِ أَحْجَارَ الدِّيَارِ .

فِي هَذَا الْفَصْلِ مَعْنَى خَبْرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّهْيِ عَنِ ضَرْبِ الْمَحْدُودِ : « لَا مَدَّ وَلَا تَجْرِيدَ » أَيْ لَا يَمُدُّ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَا يُجْرِدُ عَنْهُ ثَوْبُهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي صَدْرِ كِتَابِ إِلَى الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ ، وَهُوَ :

« خَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ ، وَلَا زَالَتْ أَكْنَافُهَا وَادِعَةٌ ، وَعَلِيَاؤُهَا جَامِعَةٌ ، وَجُدُودُهَا كَالنَّجُومِ الَّتِي تَرَى فِي كُلِّ حِينٍ طَالِعَةً ، وَأَيَامُهَا كَاللَّيَالِي سَاكِنَةٌ . وَلِيَالِهَا كَالْأَيَامِ نَاصِعَةٌ ، وَأَبْوَابُهَا كَأَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا ثَامِنٌ وَثَامِنَةٌ ، إِذَا قِيلَ فِي أَبْوَابٍ غَيْرِهَا سَابِعٌ وَسَابِعَةٌ . وَهَذَا الدُّعَاءُ قَدْ اسْتَجَابَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ إِلَيْهِ يَدٌ ، أَوْ يَنْطَقَ بِهِ ضَمِيرٌ ، فَإِذَا دَعَا بِهِ الْخَادِمُ وَجَدَ صُنْعَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَهُ أَوْلَا ، وَجَاءَ هُوَ فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ فَلَيْسَ لَهُ حَيْثُذٌ إِلَّا أَنْ يَدْعُو مَا خَوْلَهُ الدِّيْوَانُ الْعَزِيزُ بِالذَّوَامِ ، وَأَنْ يُعَيِّدَهُ مِنَ النَّقْصِ بَعْدَ التَّمَامِ ، ثُمَّ يَسْتَهْدِي مَا يُؤَهِّلُ لَهُ مِنَ الْخِدْمِ الَّتِي يَعْتَدُّهَا مِنْ لَطَائِفِ الْإِحْسَانِ ، وَإِذَا نُدِبَ لَتَكْلِيفِ أَمْرٍهَا قَالَ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ يَسْجُدَانِ . وَلَا شَكَّ أَنْ دَرَجَاتِ الْأَوْلِيَاءِ تَتَفَاوَتْ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ ، فَهِيَ مَا يَكُونُ بِيْطْنِ الْأَرْضِ ، وَمِنْهَا مَا يُرَى كَالْكَوْكَبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا النَّهْيُ عَنِ تَرْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لِادَّعَى الْخَادِمُ أَنْ لَهُ أَعْلَاهَا ، وَجَاءَ بِالْأَوْلِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ : « وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا » (١٥٠) . لَكِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِمَا يَعْتَدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَخْرِهِ ، وَسِرِّ الْوَلَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَكْرَمُ مِنْ جَهْرِهِ ، وَلَيْسَ الَّذِي يَمُنُّ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ كَالَّذِي يَمُنُّ بِسِرِّهِ وَقَرَفِي صَدْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْمُطِيعِ بِمَحْضَرِ الشَّهَادَةِ ، وَبَيْنَ الْمُطِيعِ بظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَلَوْ اطَّلَعَ الدِّيْوَانُ الْعَزِيزُ عَلَى ضَمِيرِ الْخَادِمِ فِي الطَّاعَةِ لَسَرَّهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْأَشْعَثُ الْأَغْبَرُ الَّذِي لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ .

في هذا الفصل من الآيات والأخبارِ عدّة مواضع . وهذا الموضعُ مختصّ بالأخبارِ
فلنذكرها دون الآيات .

وأما الأول منها فقولُ النبيّ ﷺ : « إنكم ترون أهلَ الدَّرَجَاتِ العُلَا في الجنّةِ كما
تروُن الكواكب في أفق السماء » .

وأما الخبرُ الثاني فقولُه ﷺ : « ما فضلكم أبو بكر بصلاةٍ وصيام ، ولكن فضلكم
بسِرٍّ وقرّ في صدره » .

وأما الخبرُ الثالث فقولُه ﷺ : « ربّ أشعثٍ أغيرٍ ذى طمرين لو أقسم على الله
لأبرّه » .

وفيا أوردته من حل المعاني الشعرية ، وحلّ آياتِ القرآن والأخبارِ النبوية ، طريقٌ
واضحٌ لمن يقوى على سلوكه ، والله الموفق للصواب .

المقالة الأولى

في الصناعة اللفظية

وهي تنقسم قسمين :

القسم الأول

في اللفظة المفردة

أعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء :

الأول منها : اختيار الألفاظ المفردة :

وحكم ذلك حكم اللآئى المبددة ، فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم .

الثاني : نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها :

لتلا يجيء الكلام قليلاً نافرماً عن مواضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها .

الثالث : الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه :

وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم ، فتارة يجعل إكليلاً على الرأس ، وتارة يجعل قِلادة في العنق ، وتارة يجعل شفاً^(١) في الأذن . ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه .

فهذه ثلاثة أشياء ، لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر .

(١) الشف : القرط .

فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المرادُ بالفصاحة . والثلاثة يجملتها هي المرادُ بالبلاغة .

وهذا الموضعُ يضلُّ في سلوك طريقة العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر ، فكيف الجهال الذين لم تنفخهم رائحة ، ومن الذي يؤتبه الله فطرة ناصعة ، يكادُ زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ ، فيضعها في مواضعها .

ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد ، وكلاهما حسن في الاستعمال ، وهما على وزن واحد وعدة واحدة ، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه ، بل يُفرق بينهما في مواضع السبك ، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه ، وجلَّ نظره .

فمن ذلك قوله تعالى : « ما جعل الله لرجلٍ من قَلبين في جوفه ^(٢) » وقوله تعالى : « ربَّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً ^(٣) » . فاستعمل « الجوف » في الأولى ، و« البطن » في الثانية ، ولم يستعمل « الجوف » موضع « البطن » ولا « البطن » موضع « الجوف » . واللفظتان سواء في الدلالة ، وهما ثلاثيتان في عددٍ واحدٍ ، ووزنهما واحدٌ أيضاً . فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل .

ومما يجرى هذا الجرى قوله تعالى : « ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ^(٤) » . وقوله : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد ^(٥) » فالقلبُ والفؤادُ سواء في الدلالة ، وإن كانا مختلفين في الوزن ، ولم يستعمل في القرآن أحدهما في موضع الآخر

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣٥ ومعنى « محرراً » مخلصاً للعبادة .

(٤) سورة النجم : الآية ١١ .

(٥) سورة (ق) : الآية ٣٧ .

وعلى هذا وَرَدَ قَوْلُ الْأَعْرَجِ (٦) من أبيات الحماسة :
نحن بنو الموتِ إذا الموتُ نزلُ لا عارَ بالموتِ إذا حُمَّ الأجلُ
الموتُ أحلى عندنا من العسلِ (٧)

وقال أبو الطيب المتنبى :

إِذَا بِي مَشَتْ حَقَّتْ عَلَى كُلِّ سَابِحٍ رِجَالُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ (٨)
فهاتان لفظتان هما «العسل» و«الشهد» وكلاهما حَسَنٌ مستعملٌ، لا يُشَكُّ في
حسنه واستعماله. وقد وردت لفظة «العسل» في القرآن دون لفظة «الشهد» لأنها أحسنُ
منها، ومع هذا فإنَّ لفظة «الشهد» وردت في بيت أبي الطيب، فجاءت أحسنَ من
لفظة «العسل» في بيت الأعرج.

وكثيراً ما نجدُ أمثال ذلك في أقوال الشعراء المفلقين وغيرهم من بلغاء الكتاب
ومصنعي الخطباء، وتحتة دقائق ورموز إذا عُلِمَتْ وقيس عليها أشباهها ونظائرُها كان
صاحبُ الكلام في النظم والنثر قد انتهى إلى الغاية القصوى في اختيار الألفاظ،
ووضعها في مواضعها اللائقة بها.

(٦) قال التبريزي: قيل الصحيح إنها لعمر بن يثرب. وكلاهما من شعراء الإسلام. والأعرج منسوب إلى
معن طيئ. وقد أدرك الدولتين. وكان أحد الخوارج في زمن بني أمية وبني العباس.

(٧) لعل ابن الأثير اختصر الشعر على هذا النحو. والشعر كما ورد في الحماسة (١١٠/١) على هذا الترتيب:

أنا أبو برزة إذ جد الوهل خلقت غير زمل ولا وكل
ذا قوة وذا شباب مقبل لا جزع اليوم على قرب الأجل
الموت أحلى عندنا من العسل نحن بنو ضبة أصحاب الجمل
نحن بنو الموت إذا الموت نزل ننعى ابن عفان بأسراف الأسل
ردوا علينا شيخنا ثم يجمل

الوهل: الفرع. والزمل: الضعيف. والوكل: الذي يتكل على غيره. والأصل: الرماح. ويجل بمعنى

حسب.

(٨) هكذا رواه ابن الأثير. ورواية الديوان (٣٧٤/١):

إذا شئت حفت بي على كل سابع رجال كأن الموت في فمها شهد
والسابع: الفرس السريع الجرى. كأنه يسبح في سيره. والشهد: العسل.

واعلم أن تفاوتَ التفاضل يقعُ في تركيب الألفاظ أكثر مما يقعُ في مُفرداتها ، لأن التركيبَ أعسرُّ وأشقُّ .

ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم - من حيث انفرادها - قد استعملتها العربُ ومن بعدهم ، ومع ذلك فإنه يفوقُ جميعَ كلامهم ، ويعلو عليه ؟ وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب .

وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا إذا فكَّرتَ في قوله تعالى : « وقيل يا أرضِ ابلعي ماءك ، وياسماءُ أقلعي ، وغيضُ الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بُعداً للقوم الظالمين » (٩) ، أنك لم تجد ما وجدته لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة إلا الأمر يرجعُ إلى تركيبها ، وأنه لم يعرض لها هذا الحُسن إلا من حيث لاقَت الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة ، وكذلك إلى آخرها .

فإن ارتبَّت في ذلك فتأمل ، هل ترى لفظاً منها لو أُخذت من مكانها ، وأُفردت من بين أخواتها كانت لابسةً من الحُسن ما لبسته في موضعها من الآية ؟

ومما يشهدُ لذلك ويُؤيده أنك ترى اللفظة تروك في كلام ، ثم تراها في كلامٍ آخر ، فتكرهها ، فهذا ينكره من لم يذُق طعمَ الفصاحة ولا عرَّف أسرارَ الألفاظ في تركيبها وانفرادها (١١) .

وسأضربُ لك مثلاً يشهدُ بصحة ما ذكرته ، وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر ، فجاءت في القرآنِ جَزْلةً مَبِينَةً ، وفي الشعر رَكِيكةً ضعيفةً ، فأثر التركيب فيها هَدَيْنِ الوصفين الضدِّين .

(٩) سورة هود : الآية ٤٤ .

(١٠) الرأي الذي قاله ابن الاثير في أن مجال التفاوت إنما هو في التراكيب دون الألفاظ هو رأي عبد القاهر الجرجاني الذي بسطه في كتابه « دلائل الإعجاز » بل إن ابن الأثير الذي يباهى دائماً بابتكاره نقل رأي عبد القاهر بأكثر كلماته ، وهو ما زال عينه هو الذي مثل به عبد القاهر وعلق عليه هذا التعليق بتفصيل أكثر - انظر دلائل الإعجاز : صفحة ٣٦ وما بعدها .

(١١) عبارة عبد القاهر الجرجاني : ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر . انظر دلائل الإعجاز صفحة ٣٨ .

أما الآيةُ فهي قوله تعالى : « فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ » (١٢) .

وأما بيتُ الشعر فهو قولُ أبي الطَّيِّبِ المتسَّى :

تَلَدُّ لَهُ المِروءَةُ وهى تُؤذِي وَمَنْ يَعشَقُ يَلدُّ لَهُ الغِرامُ (١٣)

وهذا البيتُ من أبياتِ المعاني ، الشريفة ، إلا أن لفظة « تؤذى » قد جاءتُ فيه وفي الآية من القرآن ، فحطتُ من قدرِ البيت ، لضعفِ تركيبها ، وحسنِ موقعها في تركيب الآية .

فأنصفُ أيها المتأملُ لما ذكرناه واغرضه على طبعك السليم ، حتى تعلمَ صحته . وهذا موضعٌ غامضٌ يحتاجُ إلى فضلِ فِكْرَةٍ ، وإمعانِ نَظَرٍ وما تعرَّضَ للتنبيهِ عليه أحدٌ قبلي (١٤) .

وهذه اللفظة التي هي « تؤذى » إذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مُتَدْرِجاً مع ما يأتي بعدها ، متعلقة به ، كقوله تعالى : « إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ » وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة . ألا ترى أنه قال : « تَلَدُّ لَهُ المِروءَةُ وهى تُؤذِي » ثم قال : « ومن يعشقُ يلدُّ له الغرامُ » فجاءَ بكلامٍ مستأنف .

وقد جاءت هذه اللفظةُ بعينها في الحديثِ النبويِّ ، وأُضِيفَ إليها كافُ الخِطَابِ ، فأزال ما بها من الضعفِ والرُّكَّة . وذلك أنه اشتكى النبيُّ ﷺ ، فجاءه جبريلُ عليه السلامُ ، ورقاه ، فقال : « باسمِ اللَّهِ أرقيك من كلِّ داءٍ يُؤذيك » .

فانظرُ إلى السرِّ في استعمالِ اللفظةِ الواحدة ، فإنه لما زيدَ على هذه اللفظةِ حرفٌ واحدٌ أصْلَحَهَا وحَسَّنَهَا .

ومن هاهنا تُرادُ الهاءُ في بعضِ المواضع ، كقوله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ : هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ » (١٥) ثم قال : « ما أغنى

(١٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ . (١٣) ديوان المتنبي ٧٥/٤ .

(١٤) كذب ابن الأثير وغلط . وليحس فيما قال رأى جديد لم يسبق إليه ، بل إنه نقل كلام عبد القاهر ورأيه

وأمثلته كما سبقت الإشارة إلى ذلك . (١٥) سورة الحاقة : الآيات ١٩ ، ٢٠ .

عَنِّي مَالِيهِ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ^(١٦) » فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ كِتَابِي ، وَحَسَابِي ، وَمَالِي ، وَسُلْطَانِي ، فَلَمَّا أُضِيفَتِ الْمَاءُ إِلَيْهَا - وَتَسْمَى « هَاءُ السَّكْتِ » - أَضَافَتْ إِلَيْهَا حُسْنًا زَائِدًا عَلَى حُسْنِهَا ، وَكَسَتْهَا لَطَافَةٌ وَلِبَاقَةٌ .

وَكذَلِكَ وَرَدَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : « إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ »^(١٧) فَلَفْظَةُ « لِي » أَيْضًا مِثْلَ لَفْظَةِ « يُؤْذِي » وَقَدْ جَاءَتْ فِي الْآيَةِ مَنْدْرَجَةً مُتَعَلِّقَةً بِمَا بَعْدَهَا ، وَإِذَا جَاءَتْ مَنْقُوعَةً لَا تَجِيءُ لِاتِّقَاعِ ، كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ أَيْضًا :

تَمْسِي الْأَمَانِي صَرَعِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ لَشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي^(١٨)
وَرَبِمَا وَقَعَ بَعْضُ الْجَهَّالِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأَنْ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي^(١٩)
فَإِنَّ لَفْظَةَ « لِي » هَاهُنَا قَدْ وَرَدَتْ بَعْدَ « مَا » وَقَبْلَهَا « مَالَهُ » ثُمَّ قَالَ : « وَمَالِي » فَجَاءَ الْكَلَامُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ جَاءَتْ لَفْظَةُ « لِي » هَاهُنَا كَمَا جَاءَتْ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لَكَانَتْ مَنْقُوعَةً عَنِ النَّظِيرِ وَالشَّيْبَةِ ، فَكَانَ يَعْלוها الضَّعْفُ وَالرَّكَّةُ .
وَيَنْ وُورُودَهَا هَاهُنَا وَوُورُودِهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَرَّقَ يَحْكُمُ فِيهِ الذَّوْقُ السَّلِيمُ .

وَهَاهُنَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ لَفْظَةٌ أُخْرَى قَدْ وَرَدَتْ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَفِي بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ ، فَجَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ حَسَنَةً ، وَفِي الْبَيْتِ الشَّعْرِ غَيْرَ حَسَنَةٍ ، وَتِلْكَ اللَّفْظَةُ هِيَ لَفْظَةُ « الْقَمْلُ » أَمَا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ »^(٢٠) . وَأَمَا بَيْتُ الشَّعْرِ فَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
مِنْ عِزِّهِ احْتَجَرَتْ كُلِّيبٌ عِنْدَهُ زَرْبًا كَانَتْهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ^(٢١)

(١٦) سورة الحاقة : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(١٧) سورة (ص) : الآية ٢٣ .

(١٩) ديوان المتنبي ٣/٣١١ .

(٢٠) سورة الأعراف : الآية ١٣٣ .

(٢١) هكذا في المثلي السائر ، ورواية ديوان الفرزدق (٧١٥) :

من عزمهم جحرت كليب بيتها زربا كأنهم لديه القمل

ومعنى جحرت دخلت جحرها ، واجتحر له جحرًا اتخذه ، واجتحر الأرض ضرب عليها منارًا ، واجتحر به التبعًا واستعاذ ، والزرب موضع الغنم ، والقمل الدبى ، وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها ، أو البراغيث ، أو كبار القردة .

وإنما حَسُنَتْ هذه اللفظة في الآية دونَ هذا البيت من الشَّعر لآنها جاءتْ في الآية مُندرجة في ضِمْنِ كلام ، ولم يَنْقَطِعِ الكلامُ عندها ، وجاءتْ في الشَّعر قافية ، أُنِيَ آخراً انقطعَ الكلامُ عندها .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى حِكْمَةِ أَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ غُضْنَا مِنْهُ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ لِأَقْرَارِ لَهُ .

فَمِنْ ذَلِكَ الْآيَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهَا قَدْ تَضَمَّنَتْ خَمْسَةَ أَلْفَاظٍ ، وَهِيَ : الطَّوْفَانُ ، وَالْجِرَادُ ، وَالْقُمَّلُ ، وَالضَّفَادِعُ ، وَالذَّمُّ . وَأَحْسَنُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْخَمْسَةِ هِيَ الطَّوْفَانُ ، وَالْجِرَادُ ، وَالذَّمُّ . فَلَمَّا وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الْخَمْسَةُ بِحَمَلَتِهَا قُدِّمَ مِنْهَا لَفْظَتَا « الطَّوْفَانُ » وَ « الْجِرَادُ » وَأَخْرَتْ لَفْظَةُ « الذَّمُّ » آخِراً ، وَجُعِلَتْ لَفْظَةُ « الْقُمَّلُ » ، وَالضَّفَادِعُ « فِي الْوَسْطِ ، لِيَطَّرِقَ السَّمْعَ أَوَّلَا الْحَسَنِ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْخَمْسَةِ ، وَيَنْتَهِيَ إِلَيْهِ آخِراً . ثُمَّ إِنْ لَفْظَةُ « الذَّمُّ » أَحْسَنُ مِنْ لَفْظَتِي « الطَّوْفَانُ » وَ « الْجِرَادُ » وَأَخْفُ فِي الْاسْتِعْمَالِ ، وَمَنْ أَجَلُ ذَلِكَ جِيءَ بِهَا آخِراً . وَمُرَاعَاةٌ مِثْلُ هَذِهِ الْأَسْرَارِ وَالذَّفَاتِقِ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ لَيْسَ مِنَ الْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ تَقْدِيمِي مِنْ عِلْمَاءِ الْبَيَانِ لِلأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ خِصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَتَّصِفُ بِهَا . وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئاً ، فَخُولَفَ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ اسْتَقْبَحَ الْآخَرُ شَيْئاً ، فَخُولَفَ فِيهِ .

وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السَّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ بِالْحَسَنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ (٢١) مِنْ مَقْدَمَةِ كِتَابِي الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ ، وَفِي الْوَقُوفِ عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غِنَى عَنْ غَيْرِهِ ، لَكِنْ لَا بَدَّ أَنْ نَذَكَرَ هَاهُنَا تَفْصِيلاً لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ ، لِأَنَّ ذِكْرَنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ ، لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحَسَنُ ، وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَأَ عَنْهُ فَهُوَ الْقُبْحُ .

وإذا ثبت ذلك فلا حاجة إلى ما ذكر من تلك الخصائص والهيئات التي أوردتها علماء البيان في كتبهم ، لأنه إذا كان اللفظ لذيذاً في السَّمع كان حسناً ، وإذا كان حسناً دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه .

وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم : إن هذه اللفظة حسنة . وهذه قبيحة ، أنكروا ذلك ، وقال : كلُّ الألفاظ حسن ، والواضع لم يضع إلا حسناً ! ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة « العصن » ولفظه « العسلوج » وبين لفظة « المدامة » ولفظة « الإسفنت » وبين لفظة « السيف » ولفظه « الخنسليل » وبين لفظة « الأسد » ولفظة « الفدوكس » فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب ، ولا يجاوب ، بل يُترك وشأنه ، كما قيل : اتركوا الجاهل تجهله . ولو ألقى الجعمر^(٢٢) في رحله ! وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسوي بين صورة زنجية سوداء مظلمة السوداء شوهاة الخلق ، ذات عين محمرة ، وشفة غليظة كأنها كلوة ، وشعر ققط^(٢٣) كأنه زبيبة ، وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ، ذات خد أسيل^(٢٤) ، وطرف كحيل ، ومبسم كأنما نظم من أقاح^(٢٥) ، وطرة^(٢٦) كأنها ليل على صباح .

فإذا كان بإنسان من سقم النظر أن يسوي بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوي بين هذه الألفاظ وهذه . ولا فرق بين النظر والسَّمع في هذا المقام ، فإنه هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب .

فإن عاند معاند في هذا . وقال : أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الأشياء ، وقد يعشق الإنسان صورة الزنجية التي دَممتها ، ويفضلها على صورة الرومية التي وصفتها !

قلت في الجواب : نحن لانحکم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال . بل

(٢٢) الجعمر ما يبس من العذرة في الجعمر أي الدبر . أو نحو كل ذات مخلب من السباع .

(٢٣) شعر ققط شديد الجعودة ، وفي التهذيب : الققط شعر الزنجي .

(٢٤) الأسيل من الحدود الطويل المسترسل . (٢٥) الأقاح والأقاحي جمع الأقحوان وهو البابونج .

(٢٦) الطرة الناصية .

نحکم على الكثير الغالب . وكذلك إذا رأينا شخصاً يجب أكل الفحْم مثلاً ، أو أكل الجص والتراب . ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة : فهل نستجيد هذه الشهوة ، أو نحكم عليه بأنه مريض ، قد فسدت معدته ، وهو محتاج إلى علاج ومداواة ؟ ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة لذيدة كنغمة أوتار ، وصوتاً مُنكرًا كصوت حمار ، وأن لها في الفم أيضاً جلاوة كحلاوة العسل ، ومرارة كمرارة الحنظل . وهى على ذلك تجرى مجرى النغمت والطعوم .

ولا يسبق وهمك أيها المتأمل إلى قول القائل الذى غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا ، فهذا دليل على أنه حسن ، بل ينبغي أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذى كان عند العرب مُستحسنًا ، والذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مُستقبحاً .

والاستعمال ليس بدليل على الحسن ، فإنما نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن ، وإنما نستعمله لضرورة . فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال . وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه . ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر ، وما يجده صاحبها من الكلام في صنوع الألفاظ واختيارها فإنه معذور في أن يقول ما قال :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانها

ومع هذا فإن قول القائل بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا ، وهذا دليل على أنه حسن ، قول فاسد ، لا يصدر إلا عن جاهل ، فإن استحسان الألفاظ واستقباحتها لا يؤخذ بالتقليد من العرب ، لأنه شئ ليس للتقليد فيه مجال ، وإنما هو شئ يله خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه . وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة .

وأما الذى تقلد العرب فيه من الألفاظ فإنها هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها ، والأخذ بأقوالها في الأوضاع النحوية ، في رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، وجر المضاف إليه ، وجزم الشرط ، وأشباه ذلك ، وماعدها فلا .

وحُسْنُ الألفاظ وقبحُها ليس إضافياً إلى زيد دُونَ عمرو ، أو إلى عمرو دُونَ زيد .
لأنه وصفٌ ذَوِيٌّ لا يتغيَّرُ بالإضافة .

ألا ترى أن لفظه « المُرْتَنَة » مثلاً حسنةٌ عند الناس كافةً من العرب وغيرهم ، وهلمَّ
جراً . لا يختلفُ أحدٌ في حُسْنِها . وكذلك لفظه « البُعاق » فإنها قبيحةٌ عند الناس كافةً
من العرب وغيرهم ، فإذا استعملتها العربُ لا يكونُ استعمالهم إياها مُخرِجاً لها عن
القُبْحِ ، ولا يُلْتَفَتُ إذن إلى استعمالهم إياها بل يعابُ مُستعملها ، ويُغْلَظُ له النَّكِيْرُ حيثُ
استعملها .

وقد ذكر ابنُ سنان الخفاجيُّ ما يتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف ، وقسمها إلى
عدة أقسام : كتباعِدِ مخارجِ الحروف ، وأن تكون الكلمة جاريةً على العُرفِ العربيِّ
غيرَ شاذَّةٍ ، وأن تكون مصغرةً في موضع يُعبَّرُ به عن شيء لطيف أو خفي أو ماجرى
بجراه . وأن لا تكون مبتدلةً بين العامة ، وغير ذلك من الأوصاف . وفي الذي ذكره مالا
حاجةً إليه .

أما تباعدُ المخارجِ فإنَّ معظمَ اللغة العربيةِ دائرٌ عليه ، لأنَّ الواضعَ قسمها في وضعه
ثلاثةً أقساماً : ثلاثياً ، ورباعياً وخماسياً .

والثلاثيُّ من الألفاظِ هو الأكثرُ ، ولا يوجدُ فيه ما يُكرَهُ استعماله إلا الشاذُّ النادرُ .

وأما الرباعيُّ فإنه وسطٌ بين الثلاثيِّ والخماسيِّ في الكثرةِ عدداً واستعمالاً .

وأما الخماسيُّ فإنه الأقلُّ ، ولا يوجدُ فيه ما يستعملُ وإلا الشاذُّ النادرُ .

وعلى هذا التقدير فإنَّ أكثرَ اللغةِ مستعملٌ على غيرِ مكروهٍ ، ولا تقتضي حكمة هذه

اللغةِ الشريفةِ التي هي سيدهُ اللغاتِ إلا ذلكَ . ولهذا أسقطَ الواضعُ حروفاً كثيرةً في

تأليفِ بعضها مع بعضٍ استثقلاً واستكراهاً ، فلم يؤلفْ بين حروفِ الحلقِ كالحاءِ

والحاءِ والعينِ . وكذلك لم يؤلفْ بين الجيمِ والقافِ ولا بين اللامِ والراءِ ولا بين الزاءِ

والسينِ . وكل هذا دليلٌ على عنايتهِ بتأليفِ المتباعِدِ المَخارجِ دونَ المتقاربِ . ومن

العجبِ أنه كان يُخِلُّ بمثلِ هذا الأصلِ الكليِّ في تحسينِ اللغةِ ، وقد اعتنى بأموْرٍ آخرَ

جُزئيةٍ . كمماثلتهِ بين حركاتِ الفِعلِ في الوجودِ وبين حركاتِ المصدرِ في النطقِ

كَالغَلْيَانِ ، وَالضَّرْبَانِ ، وَالنَّقْدَانِ ، وَالنَّزْوَانَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا جَرَى مَجْرَاهُ ، فَإِنَّ حُرُوفَهُ جَمِيعَهَا مَتَحَرِّكَاتٌ ، وَلَيْسَ فِيهَا حَرْفٌ سَاكِنٌ ، وَهِيَ مِمَّا تَلْتَمِثُ لِحَرَكَاتِ الْفِعْلِ فِي الْوُجُودِ .

وَمَنْ نَظَرَ فِي حِكْمَةِ وَضْعِ هَذِهِ اللَّغَةِ إِلَى هَذِهِ الدَّقَائِقِ ، الَّتِي هِيَ كَالْأَطْرَافِ وَالْحَوَاشِي ، فَكَيْفَ كَانَ يَخْلُجُ بِالْأَصْلِ الْمَعُولَ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ الْحُرُوفِ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ النَّاطِمُ أَوْ النَّائِرُ أَنْ يَتَّبَعَ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ ، وَهَلْ هِيَ مُتَبَاعِدَةٌ أَوْ مُتَقَابِرَةٌ ، لَطَالَ الْخَطْبُ فِي ذَلِكَ وَعَسُرَ ، وَلَمَّا كَانَ الشَّاعِرُ يَنْظِمُ قَصِيدًا ، وَلَا الْكَاتِبُ يَنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا فِي مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ تَمْضِي عَلَيْهَا أَيَّامٌ وَلِيَالٍ ذَوَاتُ عَدَدٍ كَثِيرٍ . وَنَحْنُ نَرَى الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَإِنَّ حَاسَّةَ السَّمْعِ هِيَ الْحَاكِمَةُ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِحُسْنِ مَا يَحْسُنُ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَقُبْحِ مَا يَقْبَحُ .

وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي هَذَا مِثَالًا ، فَأَقُولُ : إِذَا سُئِلْتَ عَنْ لَفْظَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَقِيلَ لَكَ : مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ ، أَحْسَنَةٌ هِيَ أَمْ قَبِيحَةٌ ؟ فَإِنِّي لِأُرَاكَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلا تَقْتَبِي بِحُسْنِهَا أَوْ قَبِحِهَا عَلَى الْفَوْرِ ، وَلَوْ كُنْتَ لَا تَقْتَبِي بِذَلِكَ حَتَّى تَقُولَ لِلسَّائِلِ : أَصْبِرْ إِلَى أَنْ أَعْتَبَرَ مَخَارِجَ حُرُوفِهَا ، ثُمَّ أَقْتَبِكَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا فِيهَا مِنْ حُسْنٍ أَوْ قُبْحٍ ، لَصَحَّ لِابْنِ سَنَانٍ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ جَعَلِ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ الْمُتَبَاعِدَةَ شَرْطًا فِي اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ ، وَإِنَّمَا شَدَّ عَنْهُ الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنَّ الْحُسْنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ يَكُونُ مُتَبَاعِدَ الْمَخَارِجِ . فَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ إِذَنْ لَيْسَ ، مَعْلُومًا مِنْ تَبَاعُدِ الْمَخَارِجِ ، وَإِنَّمَا عُلِمَ قَبْلَ الْعِلْمِ بِتَبَاعُدِهَا .

وَكُلُّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى حَاسَّةِ السَّمْعِ . فَإِذَا اسْتَحْسَنْتَ لَفْظًا أَوْ اسْتَقْبَحْتَهُ وَجَدَ مَا تَسْتَحْسِنُهُ مُتَبَاعِدَ الْمَخَارِجِ ، وَمَا تَسْتَقْبَحُهُ مُتَقَابِرَ الْمَخَارِجِ ، وَاسْتَحْسَانُهَا وَاسْتَقْبَاحُهَا إِنَّمَا هُوَ قَبْلَ اعْتِبَارِ الْمَخَارِجِ ، لِابْعَدِهِ . عَلَى أَنَّ هَذِهِ قَاعِدَةٌ قَدْ شَدَّ عَنْهَا شَوَادُّ كَثِيرَةٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ يَجِيءُ فِي الْمُتَقَابِرِ الْمَخَارِجِ ، مَا هُوَ حَسَنٌ رَاقٍ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْجِيمَ وَالشَّيْنَ وَالْيَاءَ مَخَارِجُ مُتَقَابِرَةٌ ، وَهِيَ مِنْ وَسْطِ اللِّسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَنْكِ ، وَتَسْمَى ثَلَاثَتُهَا «الشَّجَرِيَّةَ» وَإِذَا تَرَكَّبَ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَ حَسَنًا رَائِقًا .

فإن قيل «جَيْش» كانت لفظة محمودة، أو قدّمت البشِينُ على الجيم، فقيل «شجى» كانت أيضاً لفظة محمودة، وممّا هو أقربُ مخرجاً من ذلك الباءُ والميمُ والفاءُ، وثلاثتها من الشّفةِ، وتسمّى «الشّفهية» فإذا نظّمَ منها شيءٌ من الألفاظِ كان جميلاً حسناً كقولنا «فم» فهذه اللفظةُ من حرفين هما: الفاءُ والميمُ، وكقولنا «ذُقته بيمى» وهذه اللفظةُ مؤلفة من الثلاثةِ بجملتها، وكلاهما حسنٌ لا عيبَ فيه.

وقد وردَ من المتباعدِ المخارجِ شيءٌ قبيحٌ أيضاً، ولو كان التباعداً سبباً للحسنِ لَمَا كان سبباً للقبحِ، إذ هُمَا ضِدَّانِ لا يَجْتَمِعَانِ. فنَ ذلكَ أَنَّهُ يُقَالُ «مَلَع» إِذَا عَدَا، فالمِيمُ مِنَ الشّفةِ، والعَيْنُ من حُرُوفِ الحَلْقِ، وَاللّامُ من وَسَطِ اللّسانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَبَاعِدٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ هَذِهِ اللفظةُ مَكْرُوهَةٌ لِاسْتِعْمَالِ يَنْبُو عَنْهَا الذّوقُ السَّلِيمُ، وَلَا يَسْتَعْمَلُهَا مَنْ عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ بِفَنِّ الفِصاحَةِ.

وهاهنا نكتةٌ غريبةٌ، وهو أَنَا إِذَا عَكَسْنَا حُرُوفَ هَذِهِ اللفظةِ صارتَ «عَلَم» وَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ حَسَنَةً لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهَا.

وما ندرى كيف صارَ القبحُ حُسْنًا؟ لَأنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرَ من مَخارجِها شَيْءٌ، وَذَلِكَ أَنَّ اللّامَ لَمْ تَزَلْ وَسَطًا، وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ يَكْتَنِفَانِهَا من جَانِبَيْهَا، وَلَوْ كَانَ مَخارجُ الحُرُوفِ مُعْتَبَرًا في الحَسَنِ والقَبْحِ لَمَا تَغَيَّرَتْ هَذِهِ اللفظةُ في «ملع» و«علم».

فإن قيل: إن إخراجَ الحُرُوفِ من الحَلْقِ إلى الشّفةِ أيسرُ من إدخالِها من الشّفةِ إلى الحَلْقِ، فإن ذلكَ انحِدارٌ، وهذا صُعودٌ، والانحِدارُ أسهلُّ!

فالجوابُ عن ذلكَ أَنّى أقولُ: لو استمرَّ لك هذا لَصَحَّ ما ذَهَبَتْ إليه، لكنَّا نرى من الألفاظِ ما إِذَا عَكَسْنَا حُرُوفَهُ من الشّفةِ إلى الحَلْقِ، أو من وَسَطِ اللّسانِ أو من آخِرِهِ إلى الحَلْقِ لا يَتَغَيَّرُ كقولنا «غلب» فإنَّ العَيْنَ من حُرُوفِ الحَلْقِ، وَاللّامُ من وَسَطِ اللّسانِ، والباءُ من الشّفةِ. وَإِذَا عَكَسْنَا ذَلِكَ صارَ «بلغ» وكلاهما حَسَنٌ مَلِيحٌ.

وكذلكَ تقول: «حلم» من الحَلْمِ، وهو الأناةُ، وَإِذَا عَكَسْنَا هَذِهِ الكَلِمَةَ صارتَ «مُلح» على وزنِ فَعْلٍ بفتحِ الفاءِ وَضَمِّ العَيْنِ، وكلاهما أيضاً حَسَنٌ مَلِيحٌ.

وكذلكَ تقول: «عقر» و«رقع» و«عرف» و«فرع» و«حلف» و«فلح»

و « قلم » و « ملق » و « كلم » و « ملك » ولو شئت لأوردتُ من ذلك شيئاً كثيراً تصديقُ
عنه هذه الأوراقُ .

ولو كانَ ما ذكرته مطرداً لكننا إذا عكسنا هذه الألفاظَ صارَ حُسْنُها قُبْحاً ، وليسَ
الأمرُ كذلكُ .

وأما ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربيّ فليس ذلك مما يوجبُ
لها حُسْناً . ولا قُبْحاً . وإنما يقدحُ في معرفة مُستعملها بما يتقله من الألفاظِ ، فكيف يعدُّ
ذلك من جُملة الأوصافِ الحسنة ؟ .

وأما تصغيرُ اللفظة فيما يُعبرُ به عن شيء لطيفٍ أو خفيٍّ أو ما جرى مجراه فهذا ممّا
لا حاجة إلى ذكره . فإن المعنى يسوقُ إليه ، وليست معاني التصغيرِ من الأشياء الغامضة
التي يُفتقرُ إلى التنبهِ عليها . فإنها مدونة في كتب النحو ، وما من كتابٍ نحوٍ إلا والتصغيرُ
بابٌ من أبوابه . ومع هذا فإن صاحبَ هذه الصناعة محيرٌ في ذلك ، إن شاء أن يوردهُ
بلفظِ التصغيرِ ، وإن شاء بمعناه ، كقول بعضهم .

لو كان يخفى على الرحمن خافيةً من خلقه خفيت عنه بنو لبدٍ
فهل يمكنُ هذا الشاعر أن يصغرَ من هؤلاء القومِ ، ويحقرَ من شأنهم بالألفاظِ
التصغيرِ ، وبجىء هكذا ، كما جاء بيته هذا ؟ فالوصيةُ به إذن مُلغاةٌ ، لا حاجة إليها .
وأما الأوصافُ الباقية التي ذكرتُ ، فهي التي ينبغي أن يُنبهَ عليها .
فإنها أن لا تكونَ الكلمة وحشيةً .

[الوحشى] :

وقد خفى الوحشى على جماعةٍ من المتتمين إلى صناعة النظم والنثر ، وظنوه المستقبِحَ
من الألفاظِ ، وليس كذلك ، بل الوحشى ينقسم قسمين : أحدهما : غريبٌ حسنٌ .
والآخرُ : غريبٌ قبيحٌ .

وذلك أنه منسوبٌ إلى اسمِ الوحشِ الذي يسكنُ القفارَ ، وليس بأنيس ، وكذلك
الألفاظُ التي لم تكنْ مأنوسة الاستعمالِ . وليس من شرطِ الوحشِ أن يكونَ مُستقبِحاً .

بلْ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ الْإِنْسَ ، فَتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا . وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا .
وعلى هذا فإنَّ أحدَ قِسْمَيِ الْوَحْشِيِّ - وهو الغريبُ الحَسَنُ - يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ
النَّسَبِ وَالْإِضَافَاتِ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ - الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ - فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ ،
وَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ ، وَلَا قَرَوِيٌّ مُتَحَضِّرٌ .

وَأَحْسَنُ الْأَلْفَازِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مَتَدَاوِلًا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مَتَدَاوِلًا إِلَّا لِمَكَانِ
حُسْنِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ . فَإِنَّ أَرْبَابَ الْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ
نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَازِ ، وَنَقَّبُوا عَنْهَا ، ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا فَاسْتَعْمَلُوهُ ، وَتَرَكُوا
مَا سِوَاهُ ، وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ حُسْنِهِ .

فَالْأَلْفَازُ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ : قِسْمَانِ حَسَنَانِ ، وَقِسْمٌ قَبِيحٌ .
فَالْقِسْمَانِ الْحَسَنَانِ :

أحدهما : ما تداول استعماله الأول والآخِر من الزَّمنِ القديمِ إلى زماننا هذا ، ولا
يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ .

والآخِرُ : ما تداول استعماله الأولُ دُونَ الْآخِرِ ، وَيُخْتَلَفُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنَّسَبِ إِلَى
الزَّمنِ وَأَهْلِهِ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يِعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
وَحْشِيًّا ، وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ . وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي
يُطْلَقُ عَلَيْهَا « غَرِيبُ الْقُرْآنِ » وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا ، وَهُوَ الَّذِي
يُطْلَقُ عَلَيْهِ « غَرِيبُ الْحَدِيثِ » .

وحضر عندي في بعض الأيام رجلٌ مُتَفَلِّسٌ ، فَجَرَى ذِكْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ،
فَأَخَذَتْ فِي وَصْفِهِ ، وَذَكَرَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ :
فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : وَآيُ فَصَاحَةٍ هُنَاكَ ، وَهُوَ يَقُولُ « تِلْكَ إِذَا قَسَمْتُ ضِيْرَى (٢٧) » ؟
فَهَلْ فِي لَفِظَةِ « ضِيْرَى » مِنَ الْحُسْنِ مَا يُوَصَفُ ؟

فقلتُ له : اعلمَ أنَّ لاستعمالِ الألفاظِ أسراراً لم تَقِفْ عليها أنتَ ولا أئمتُّكَ ، مثل ابنِ سيناَ والفارابيِّ ، ولا منَ أصلهمُ مثل أرسطاليس وأفلاطون . وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن ، وهي لفظة « ضيزى » فإنها في موضعها لا يسدُّ غيرها مسدّها . ألا ترى أن السورة كلها التي هي سورة النجم مسجوعةٌ على حرف الياء (٢٨) فقال تعالى « والنجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبكم وما غوى » (٢٩) وكذلك إلى آخر السورة ، فلما ذكرت الأصنام وقسمة الأولاد ، وما كان يزعمه الكفار قال : « ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ضيزى » (٣٠) فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه ، وغيرها لا يسدُّ مسدّها في مكانها .

وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا إنَّ غير هذه اللفظة أحسنُ منها ، ولكنّها في هذا الموضع لاتردُّ ملائمةً لأحواتها ، ولا مناسبة : لأنها تكون خارجةً عن حرفِ السورة .

وسأبينُ ذلك فأقولُ : إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا : قسمة جائرة ، أو ظالمة . ولاشكَّ أن « جائرة » أو « ظالمة » أحسنُ من « ضيزى » إلا أنا إذا نظمنا الكلام ، فقلنا : ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ظالمة ، لم يكن النظم كالنظم الأول ، وصار الكلام كالشيء المعوز ، الذي يحتاجُ إلى تمامٍ ، وهذا لا يخفى على من له ذوقٌ ومعرفةٌ بنظم الكلام .

فلما سمعَ ذلك الرجلُ ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحاما ، ولم يكن عنده في ذلك شيءٌ سوى العناد الذي مستندهُ تقليدُ بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهياً ، ويقولون ما يقولونه جهلاً ، وإذا حوققوا عليه ظهرَ عجزهم وقصورهم .

وحيثُ انتهى القولُ إلى هاهنا فإنني أرجعُ إلى ما كنت بصددِ ذكره ، فأقولُ : وأمّا القبيحُ من الألفاظِ الذي يعابُ استعماله ، فلا يسمّى « وحشياً » فقط بل يسمّى « الوحشياً الغليظاً » وسيأتي ذكره .

(٢٨) يبدو أن ابن الأثير نظر إلى الحرف المكتوب . والعبارة في هذا بالحرف المنطوق ، وهو هاهنا الألف المقصورة . (٢٩) سورة النجم . الآيتان ١ . ٢ . (٣٠) سورة النجم : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ الْكَلَامِ وَجَدْنَاهُ سَهْلًا سَلِسًا ، وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ يَسِيرٌ جِدًّا .

هَذَا ، وَقَدْ أُنْزِلَ فِي زَمَنِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ ، وَالْفَاضِلُ كُلُّهَا مِنْ أَسْهَلِ الْأَلْفَاظِ وَأَقْرَبِهَا اسْتِعْمَالًا ، وَكَفَى بِهِ قُدْوَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أَمِّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي » ، يَرِيدُ بِذَلِكَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَجَدْنَاهَا سَهْلَةً قَرِيبَةً الْمَأْخَذِ ، يَفْهَمُهَا كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى صِبْيَانِ الْمَكَاتِبِ وَعَوَامِ السُّوقِ ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا تَحْتَهَا مِنْ أَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا عَرَفَ الْخَاصَّةَ فَضْلَهُ ، وَفَهَمَ الْعَامَّةُ مَعْنَاهُ .

وَهَكَذَا فَلْتَكُنْ الْأَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي سَهْوَةٍ فَهْمَهَا ، وَقُرْبِ مَتَنَاوَلِهَا ، وَالْمُقْتَدَى بِالْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ يَكْتَفِي بِهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمُنْتَوَرَةِ وَالْمَنْظُومَةِ .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنَ اللَّفْظِ الْوَحْشِيِّ فِي الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ فَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ حَدِيثُ طَهْفَةَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ النَّهْدِيِّ^(٣١) ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ طَهْفَةُ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ ، فَقَالَ : أَتَيْتَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَوْرَى تِهَامَةَ^(٣٢) عَلَى أَكْوَارِ الْمَيْسِ^(٣٣) تَرْتَمِي بِنَا الْعَيْسِ ، نَسْتَحْلِبُ الصَّبِيرَ^(٣٤) . وَنَسْتَجْلِبُ الْخَيْرَ^(٣٥) ، وَنَسْتَعْضِدُ الْبَرِيرَ^(٣٦) . وَنَسْتَحْيِلُ الرَّهَامَ^(٣٧) وَنَسْتَحْيِلُ الْجَهَامَ^(٣٨) ، فِي أَرْضِ غَائِلَةِ النَّطَاءِ^(٣٩) ، غَلِيظَةِ الْوَطَاءِ ، وَقَدْ نَشَفَ الْمُدْهَنُ^(٤٠) ، وَبَيْسَ الْجَعْنِ^(٤١) وَسَقَطَ الْأَمْلُوجُ^(٤٢) ، وَمَاتَ

(٣١) نهد إحدى قبائل اليمن .

(٣٢) أصل الغور ما تداخل من الأرض وانهدط ، وقيل كل ما انحدر سبيله مغربا فهو الغور .

(٣٣) الميس شجر تتخذ منه الرحال للينة وقوته ، ويطلق على الرحال نفسها .

(٣٤) الصبير السحاب الكثيف . (٣٥) الخير : العشب .

(٣٦) استعضد الثمرة اجتنها . ويرى ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد .

(٣٧) الرهام : جمع رهمة وهي المطر الضعيف الدائم . ونستحيل نخال ونظن .

(٣٨) الجهام : السحاب قد أراق ماءه . (٣٩) النطاء : البعيد أى بعيدة بعداً مهلكا .

(٤٠) المدهن : مستنقع الماء ، أو كل موضع حفره سيل .

(٤١) أصل النبات . (٤٢) ورق كورق السرو لشجر بالبادية .

العُسْلُوجُ (٤٣) وَهَلَكَ الْهَدْيِيُّ (٤٤) وَفَادَ الْوَدِيُّ (٤٥) بَرِّثْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَثَنِ وَالْعَثَنِ (٤٦) ، وَمَا يُحْدِثُ الزَّمَنُ ، لَنَا دَعْوَةَ السَّلَامِ ، وَشَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ ، مَا طَمَى الْبَحْرُ ، وَقَامَ تِعَارٌ (٤٧) ، وَلَنَا نَعْمٌ هَمَلٌ أَغْفَالٌ مَا تَبَضُّ بِلَالٌ (٤٨) ، وَوَقِيرٌ كَثِيرٌ الرَّسْلِ قَلِيلُ الرَّسْلِ (٤٩) . أَصَابَتْنَا سُنِّيَةٌ حَمْرَاءُ مُؤَزَلَةٌ لَيْسَ لَهَا عَمَلٌ وَلَا نَهْلٌ (٥٠) .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَحْضِهَا ، وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا وَفَرْقِهَا (٥١) ، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ (٥٢) بِيَابِعِ الثَّمَرِ ، وَافْجِرْ لَهُ الثَّمَدَ (٥٣) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَالِدِ . مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا . وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مَخْلَصًا ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشَّرْكَ (٥٤) ، وَوَضَائِعُ الْمَلِكِ ، لَا تَلْطَطُ (٥٦) فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تَلْجِدُ (٥٧) فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَنَاقَلُ مِنَ الصَّلَاةِ .

وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى بَنِي نَهْدٍ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدٍ : السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوَضِيعَةِ الْفَرِيضَةِ (٥٨) وَلَكُمْ الْفَارِضُ (٥٩) »

(٤٣) مالان واخضر من القضبان وعسلجت الشجرة أخرجته .

(٤٤) الهدى : ما يهدى إلى مكة لينحر . (٤٥) الودى : الفسيل وهو النخل الصغير .

(٤٦) العثن الصنم الصغير ، (٤٧) جبل ببلاد قيس .

(٤٨) الحمل المهملة ، والأغفال جمع غفل بالضم ، وهو مالا سمة عليه من الدواب وبض الماء بيض سأل

قليلا قليلا والبلال المبلل : والمراد قلة اللبن .

(٤٩) الوقير القطيع من الغنم : والرسل القطيع من كل شيء . والرسل اللبن .

(٥٠) سنينة تصغير سنة . وهى القحط والمجاعة . وحمراء أى شديدة . ومؤزلة ذات أزل لسكون الزاى ، وهو

الضيق والشدة .

(٥١) المحض اللبن الخالص ومحض اللبن أخذ زبده ، والمذق اللبن الممزوج بالماء ، والفرق القطيع من الغنم .

(٥٢) الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء .

(٥٣) الثمد : الماء القليل لامادة له . أو ما يظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف .

(٥٤) أى الغنائم التى تضم من المشركين ، وتودع بيت مال المسلمين ، ليقبوا بها على شئونهم .

(٥٥) الوضائع جمع وضاعة ، وهى ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور .

(٥٦) يقال لظطت عنه حقه إذا جحدته . (٥٧) يقال أخذ إذا مال ومارى وجادل .

(٥٨) الوظيفة النصاب فى الزكاة ، وأصله الشيء والراتب ، والفريضة الهرمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ

منهم فى الزكاة ، بل تكون لهم ، ويروى « عليكم فى الوظيفة الفريضة » أى فى كل نصاب ما فرض فيه .

(٥٩) الفارض المسنة كالفريضة ، ويروى « العارض » بالعين وهى المريضة ، أو التى أصابها كسر .

والفريش^(٦٠) وذو العنان الركوب^(٦١) والفلو الضبيس^(٦٢) ، لايمنع سرحكم^(٦٣) ، ولايعضد طلحككم^(٦٤) ، ولايحبس دركم^(٦٥) ، ولايؤكل أكلكم ، مالم تضمروا الإماق^(٦٦) وتأكلوا الرباق^(٦٧) . من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبى فعليه الربوة .

وفصاحة رسول الله ﷺ لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ، ولا تكاد توجد في كلامه إلا جواباً لمن يخاطبه بمثلها ، كهذا الحديث ، وما جرى مجراه . على أنه قد كان في زمنه متداولاً بين العرب ، ولكنه ﷺ لم يستعمله إلا يسيراً ، لأنه أعلم بالفصيح والأفصح .

وهذا الكلام هو الذى نعدّه نحن في زماننا وحشياً ، لعدم الاستعمال . فلا تظن أن الوحشى من الألفاظ ماكرهه سمعك ، ويثقل عليك النطق به ، وإنما هو الغريب الذى يقل استعماله . فتارة يحف على سمعك ، ولاتجد به كراهة ، وتارة يثقل على سمعك ، وتجد منه الكراهة .

وذلك في اللفظ عيبان :

أحدهما : أنه غريب استعمال .

والآخر : أنه ثقیل على السمع ، كرية على الذوق

وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته ، وهو الذى يسمى

(٦٠) هى التى وضعت حديثاً . فهى كالفساء من النساء . والفرس بعد نتاجها سبع ليال .

(٦١) ذو العنان الركوب الفرس الذلول .

(٦٢) الفلو المهر الصغير . وقيل العظم من جميع أولاد ذوات الحافر . والضبيس العسر الصعب الذى لم

يرض . (٦٣) السرح المواشى السائمة . أى أنها لاتمتع من المرعى .

(٦٤) يعضد يقطع . والطلع شجر عظام .

(٦٥) الدر اللين . والمراد ذوات الدر من المواشى .

(٦٦) الإماق مخفف من الإماق . ترك الهمز منه ليوازن الرباق . والإماق نكت العهد من الأنفة .

(٦٧) الرباق جمع ربق بالكسر . وهو جبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها أو عنقها . والمعنى تقطعوا

رباق العهد الذى فى أعناقكم وتنفصوه . واستعار الأكل لذلك . لأن البهيمة إذا أكلت الربقة خلصت من الشد .

«الوحشى الغليظ» ويسمى أيضاً «المتوعر». وليس وراءه في القبح درجة أخرى ، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً .
فإن قيل : فما هذا النوع من الألفاظ ؟

قلت : قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك ، ونقل على لسانك التطق به .
وسأضرب لك في ذلك مثالا ، فنه ماورد لتأبط شراً في كتاب الحماسة :
يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ (٦٨)
فإن لفظه : « جَحِيش » من الألفاظ المنكرة القبيحة ، وبالله العجب ! أليس أنها بمعنى « فريد » وفريد لفظه حسنة راقية ، ولو وضعت في هذا البيت موضع « جَحِيش » لما اختل شيء من وزنه .

فتأبط شراً ملوم من وجهين في هذا الموضع :
أحدهما : أنه استعمل القبيح .

والآخر : أنه كانت له مندوحة عن استعماله ، فلم يعدل عنه .
ومما هو أقبح منها ما ورد لأبي تمام قوله :

قد قلت لما اطلختم الأمر وانبعثت عشواء تالية غبساً دهاريساً (٦٩)
فلفظه « اطلختم » من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة ، وأنها غليظة في السمع ، كرهه على الذوق ، وكذلك لفظه « دهاريس » أيضاً .

(٦٨) ديوان الحماسة ٣١/١ ورواية الديوان :

• ويعرورى ظهور المهالك •

والمومة المفازة لاماء فيها ، والجحيش المنفرد ، ويعرورى أى يرتكب المهالك ، والمعنى أنه كثير الجولان في الأرض مستأنس بنفسه ، يرتكب المهالك لشدة حماسته وجرأته .

(٦٩) ديوان أبي تمام ١٧١ وهو من قصيدة يمدح بها عياش بن لبيعة ، ومطلعها :

أحيا حشاشة قلب كان مخلوساً ورم بالصبر عقلا كان مالوساً

ومعنى اطلختم أظلم ، والعشواء ضعيفة البصر ، والقبس جمع غباء وهى المظلمة ، والدهاريس الدواهي .

وعلى هذا وَرَدَ قوله من أبياتٍ يصفُ فرساً من جُمَلتها :

نَعْمَ متاعُ الدُّنيا حَبَاكَ به أَرَوَعُ لَا جَيْدَرٌ وَلَا جَبْسٌ (٧٠)
فلفظة « جَيْدَرٌ » غليظة . وأغلظُ منها قول أبي الطيب المتنبي :

جَفَحْتَ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَدِ لَا تَلُّ (٧١)

فإن لفظة « جَفَحَ » مرّة الطعم ، وإذا مرّت على السَّمْعِ اقشعرّ منها . وأبو الطيب في استعمالها كاستعمالِ تَأَبَّطَ شَرًّا لفظة « جَحِيشٍ » فإن تَأَبَّطَ شَرًّا كانت له مندوحة عن استعمالِ تلكَ اللفظة ، كما أشرنا إليه فيما تقدّم . وكذلك أبو الطيب في استعمالِ هذه اللفظة التي هي « جَفَحْتَ » فإنّ معناها فَخَرْتُ ، والجَفْحُ الفَخْرُ ، يقال « جَفَحَ فلان » إذا فَخَرَ . ولو استعملَ عَوْضًا عن « جَفَحْتَ » « فَخَرْتُ » لاستقامَ وزن البيت ، وحطّي في استعماله بالأحسن .

وما أعلمُ كيفَ يذهبُ هذا وأمثاله على مثلِ هؤلاء الفحول من الشعراء ؟! . وهذا الذي ذكرته وما يجري مجراه من الألفاظِ هو الوحشِيُّ اللَّفْظُ الغليظُ الَّذي ليس له مايدانيه في قُبْحِهِ وكراهتِهِ . وهذه الأمثلةُ دليلٌ على ما أردناه ، .

والعربُ إِذَنْ لَا تَلَامُ على استعمالِ الغريبِ الحَسَنِ مِنَ الألفاظِ ، وإنما تُتَلَامُ على الغريبِ القبيحِ . وَأَمَّا الحَضْرَى فَإِنَّهُ يُلَامُ على استعمالِ القسمين معاً . وهو في أحدهما أشدُّ ملامةً من الآخرِ .

على أَنَّ هذا الموضعَ يحتاجُ إلى قيدٍ آخر ، وذلكَ استخرُجتهُ أنا دونَ غيري ، فإني

(٧٠) ديوان أبي تمام ١٦٧ وهو من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب . ومطلعها :

هل أثر من ديارهم دعس حيث تلاقى الأجزاء والوعس

ورواية اللديوان « حيدر » بالخاء المهملة وهو القصير . والجيدر بمعناه . والأروع الذي يعجب الإنسان . والجبس الجامد الثقيل الروح .

(٧١) ديوان المتنبي ٢٥٨/٣ من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الله الأنطاكي . ومطلعها

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو اهل

جفحت تكبرت وفخرت . وفي البيت تقديم وتأخير . وتقديره : جفحت هم شيم وفخرت . وهم لا يفخرون

بها . وشيهم دلائل على حسيهم الظاهر .

وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ، ولايسوغ في الخطب والمكاتبات .
وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي إلى ماوردته من الأمثلة ، ولربما أنكره بعد ذلك إما
عناداً ، وإما جهلاً ، لعدم الذوق السليم عنده .

فمن ذلك قول الفرزدق (٧٢) :

ولولا حياءُ زدتُ رأسك شجةً إذا سبرتُ ظلت جوائبها تغلى (٧٣)

شرنبئة شمطاء من ير ما بها تشبه ولو بين الخاسي والطفل (٧٤)

فقوله : « شرنبئة » من الألفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر ، وهي هاهنا
غير مستكرهة ، إلا أنها لو وردت في كلام منثور من كتاب أو خطبة لعيبت على
مستعملها .

وكذلك وردت لفظه « مُشمخِر » (٧٥) فإن بشراً قد استعملها في أبياته التي يصف

فيها لقاء الأسد ، فقال :

وأطلقت المهند عن يميني فقد له من الأضلاع عشرًا

فخر مضر جأ بدم كاني هدمت به بناء مُشمخراً

وعلى هذا ورد قول البُحترى في قصيدته التي يصف فيها إيوان كسرى ، فقال :

مُشمخِر تعلق له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقديس (٧٦)

فإن لفظه « مشمخِر » لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات ، ولا بأس بها هاهنا في
الشعر . وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نباتة ، كقوله في خطبة يذكر فيها

(٧٢) ديوان الفرزدق ٧١٣/٢ من قصيدة مطلعها :

ألا استهزأت مني هندية أن رأيت أسيراً يداني خطوه حلق الحجل

(٧٣) رواية الديوان « هزمة » موضع « شجة » والهزمة الشق ، والسير تقدير الجراحة .

(٧٤) الشرنبث في الأصل الغليظ ، أراد أنها قبيحة منكرة ، في الأصل « . . من يرتعى بها يشبه . . » ويقال

« غلام خناسي » إذا كان طوله خمسة أشبار . ولا يقال سداسي ولا سباعي . لأنه إذا بلغ ستة أشبار فهو رجل ،
والطفل هو الصغير أو المولود .

(٧٥) المشمخِر الجبل العالى .

(٧٦) شرفات القصر : ما أشرف من بنائه ، ورضوى جبل ، وقديس جبل بنجد ، يشبه القصر في ضخامته

وارتفاعه بهذين الجبلين .

أهوالَ يومِ القيامةِ ، فقال : « اِقْمَطِرْ (٧٧) وبألها ، اشمخِرْ نكالها ، فما طابَتْ ، ولا ساغَتْ » .

ومن هذا الأسلوب لفظة « الكنهور » في وصف السحاب ، كقول أبي الطيب (٧٨) :

يَالَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمَعُهَا نظرت إليك كما نظرتُ فتَعَدَّرَا
وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لِاتْرُدُّ فَضِيلَةَ الشمسِ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنَهَوْرًا (٧٩)

لفظة « الكنهور » لاتعابُ نظماً ، وتُعَابُ نثراً .

وكذلك يَجْرَى الأمرُ في لفظة « العرْمِس » وهي اسمُ الناقةِ الشديدة . فإن هذه اللفظة يَسُوغ استعمالها في الشعر ، ولا يعابُ مُستعملها ، كقول أبي الطيب أيضاً :

وَمَهْمَهُ جَبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعَجُّزُهُ عَنهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُّ (٨٠)

فإنه جَمَعَ هذه اللفظة ، ولأبأس بها ، ولو استعملت في الكلامِ المَثُورِ لما طابَتْ ولا ساغَتْ . وقد جاءتُ موحدة في شعر أبي تمام (٨١) كقوله :

هِيَ الْعَرْمِسُ الْوَجْنَاءُ وَابْنُ مِلْمَةٍ وَجَأَشُ عَلَى مَا يُحْدِثُ الدَّهْرُ خَافِضُ (٨٢)
وكذلك وَرَدَ قوله أيضاً : « يَأْمُوضِعَ الشَّدْنِيَّةَ الْوَجْنَاءُ »* (٨٣)

(٧٧) افطر: اشتد.

(٧٨) ديوان المتنبي ١٧١/٢ من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد . ومطلعها :

بادهوك صبرت أم لم تصبرا وبكالك إن لم يجر دمك أو جرى

(٧٩) الكنهور: العظم المتكاثف.

(٨٠) ديوان المتنبي ٢١١/٣ ، والمهمة : ما بعد من الأرض واتسع ، جبته : قطعه . العرامس : النوق

الصلاب الشديدة ، الدلل : المذلة بالعمل . والبيت من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار . ومطلعها

أبعد نيل المليحة البخل في البعد مالا تكلف الإبل

(٨١) ديوان أبي تمام ١٨٤ من قصيدة يمدح بها دينار بن عبد الله . ومطلعها :

مهاة النقا لولا الشوى والمأبض وإن محض الإعراض لي منك ما حض

(٨٢) في الأصل « وحاش » ، وفي الديوان « هي الحرّة الوجناء » والوجناء العظيمة الوجنتين .

(٨٣) صدر مطلع القصيدة وعجزه « ومصارع الإدلاج والإسراء » والإيضاع ضرب من السير أو التسيير .

والشدنية الناقة الكريمة ، نسبة إلى شدن بلد مشهور بالإبل الكرام .

فإن « الشَّدِيَّة » لانتعابُ شعراً ، وتُعابُ لو وردتْ في كتاب أو خطبة .

وهكذا يَجْرَى الحُكْمُ في أمثالِ هذه الألفاظِ المُشارِ إليها .

وعلى هذا فاعلم أن كلَّ مايسوغُ استعماله في الكلام المنثور من الألفاظِ يسوغُ استعماله في الكلام المنظوم ، وليس كلُّ مايسوغُ استعماله في الكلام المنظوم يسوغُ استعماله في الكلام المنثور .

وذلك شيء استنبطته ، واطلعتُ عليه ، لكثرة مُمارستِي لهذا الفنِّ ، ولأنَّ الذوقَ الَّذِي عندي دَلَّنِي عليه ! فنَّ شاءَ أن يقلدني فيه ، وإلَّا فلْيَدْمِنِ النَّظْرَ حَتَّى يَطَّلِعَ عَلَى ما اطلعتُ عليه ، والأذهانُ في مثل هذا المقامِ تَتَفَاوَتُ !

وقد رأيتُ جماعةً من مدعي هذه الصَّنَاعَةِ يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يعزُّ فهمه ، ويُبَعِدُ مُتَنَاوَلَهُ ، وإذا رَأَوْا كلاماً وَحْشِيًّا غامضاً الألفاظِ يُعْجَبُونَ بِهِ ، ويصفونه بالفصاحة ، وهو بالضدِّ من ذلك ، لأنَّ الفصاحة هي الظهورُ والبيانُ ، لا الغموضُ والخفاءُ .

وسأبين لك ما تعتمد عليه في هذا الموضعِ ، فأقول : الألفاظُ تنقسمُ في الاستعمالِ إلى جَزَلَةٍ وَرَقِيقَةٍ ، ولكلِّ منهما مَوْضِعٌ يَحْسُنُ استعماله فيه .

فالجَزَلُ مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ في وَصْفِ مَوَاقِفِ الحُرُوبِ ، وفي قَوَارِعِ التَّهْدِيدِ والتَّخْوِيفِ ، وأشباه ذلك .

وأما الرقيقُ مِنْهَا فَإنَّهُ يُسْتَعْمَلُ في وَصْفِ الأَشْوَاقِ ، وَذِكْرِ أَيَّامِ البِعَادِ ، وفي اسْتِجْلَابِ الموداتِ ، ومُلايِنَاتِ الاسْتِعْطَافِ ، وأشباه ذلك .

ولستُ أعني بالجزلِ من الألفاظِ أن يكونَ وَحْشِيًّا متوعراً ، عليه عَنَجِيَّةُ البداوةِ ، بل أعني بالجزلِ أن يكونَ مَتِينًا على عُدُوبَتِهِ في الفمِّ ، ولذَاقَتِهِ في السَّمْعِ . وكذلك لستُ أعني بالرقيقِ أن يكونَ رَكِيكًا سَفْسَفًا^(٨٤) وإنما هو اللطيفُ ، الرقيقُ

(٨٤) السفسف والفسفان الردي من كل شيء.

الحاشية ، الناعم الملمس ، كقول أبي تمام (٨٥) :

نَاعِمَاتِ الْأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا تُدْبَسُ أَغْنَتْ عَنِ الْمَلَأِ الرَّقَاقِ

وسأضربُ ، لك مثالا للجزل من الألفاظ والرقيق ، فأقول :

انظر إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب ، والعذاب ، والميزان ، والصراط ، وعند ذكر الموت ، ومفارقة الدنيا . وما جرى هذا المجرى ، فإنك لا ترى شيئاً من ذلك وحشى الألفاظ ، ولا متوعراً .

ثم انظر إلى ذكر الرحمة والرفقة والمغفرة ، والملاطفات في خطاب الأنبياء وخطاب المؤمنين ، والتائبين من العباد ، وما جرى هذا المجرى فإنك لا ترى شيئاً من ذلك ضعيف الألفاظ ، ولا سفسفاً .

فتأمل الأول ، وهو الجزل من الألفاظ قوله تعالى : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * (٨٦) »

فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله ، وذكر النار والجنة .

وانظر هل فيها لفظة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة ؟

(٨٥) ديوان أبي تمام . من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب ويشكره . ومطلعها :

أيها البرق بت بأعلى البراق واغد فيها بوابل غيداق

والبراق أرض ذات حجارة ورمل وطين . والغيداق المنسكب .

(٨٦) سورة الزمر : الآيات ٦٩ - ٧٤ .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا
خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ
تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * (٨٧) .

وَأَمَّا مِثَالُ الثَّانِي : وَهُوَ الرِّقِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَخَاطَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ :
«وَالضَّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٨٨) * ... إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .
وكذلك قَوْلُهُ تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْأَلَةِ : «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (٨٩) » .

وهكذا تَرَى سَبِيلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كِلَا هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ مِنَ الْجَزَالَةِ وَالرَّفْقَةِ .
وكذلك كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ، مِمَّا وَرَدَ عَنْهَا نَثْرًا ، وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ
كَلَامُ قَيْصَةَ بْنِ نَعِيمٍ لَمَّا قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْيَاحِ بَنِي أَسَدٍ ، يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَةَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ :

«إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تَحْدِثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَنْتَقِلُ بِهِ
أَحْوَالُهُ ، بَحِثْ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَذْكَيرٍ مِنْ وَعَظٍ ، وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مَجْرَبٍ . وَلَكَ مِنْ سُودُدٍ
مَنْصُوبِكِ ، وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ ، وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ مَحْتَدٍ (٩٠) ، يَحْتَمِلُ مَا حُمِّلَ عَلَيْهِ
مِنْ إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ ، وَرَجُوعِ عَنِ الْهَفْوَةِ . وَلَا تَتَجَاوَزُ الْهَمَمُ إِلَى غَايَةِ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيْكَ ،
فَوَجَدْتَ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ ، وَكَرَمِ الصَّفْحِ مَا يَطُولُ رَغْبَاتِهَا ،
وَيَسْتَعْرِقُ طَلِبَاتِهَا . وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْخَطْبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيَّتُهُ بَرَارًا
وَالْيَمْنَ ، وَلَمْ تُخَصَّصْ بِذَلِكَ كِنْدَةً دُونَنَا ، لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحُجْرٍ . وَلَوْ كَانَ
يُقَدِّى هَائِكَ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلَتْ كِرَامَتُنَا بِهَا عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ
لَا يَرْجِعُ أُخْرَاهُ عَلَى أَوْلَاهُ ، وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَذْنَاهُ فَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالَ ثَلَاثَ :

(٨٧) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٨٨) سورة الضحى : الآيات ١ - ٣ .

(٨٩) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

(٩٠) المختد الأصل والطبع .

إِذَا أَنْ اخْتَرْتَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا ، وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرَمَاتِ صَوْتًا ، فَقَدْ نَاهُ
إِلَيْكَ بِنِسْعَةٍ (٩١) تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِيَأْقِي قَصْرَتِهِ (٩٢) ، فَنَقُولُ : رَجُلٌ
أَمْتَحِنُ بِهِ الْكَعْبَ عَزِيزٌ ، فَلَمْ يَسْتَلِّ سَخِيمَتُهُ (٩٣) إِلَّا تَمَكَّنَتْهُ مِنَ الْأَنْتِقَامِ .

أَوْ فِدَاءً بِمَا يَرْوَحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمِهَا ، فَهِيَ أَلُوفٌ تَجَاوِرُ الْحَسْبَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ
فِدَاءً رَجَعَتْ بِهِ الْقَصَبُ إِلَى أَجْفَانِهَا ، لَمْ يُرَدِّدْهَا تَسْلِيْطُ الْإِحْنِ عَلَى الْبِرَاءِ .
وَأَمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلُ ، فَتُسَدَّلَ الْأُزْرُ ، وَتُعْقَدَ الْخُمُرُ فَوْقَ
الرَّيَاطِ .

فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه ، فقال :
« لقد علمت العرب أنه لا كفءٍ ليحجرني دم ، وأني لن أعتاضَ جملاً ولا ناقةً ،
فأكتسبَ به سبَّه الأبد ، وقتَّ العُضد .

وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجْنَةُ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا ، وَلَنْ أَكُونَ لِعَطْفِهَا سَبِيًّا
وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كُنْدَةَ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا (٩٤) وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ
عَلَقًا (٩٥) :

إِذَا جَالَتْ الْحَرْبُ فِي مَازِقِ تَصَافِحِ فِيهِ الْمَنَايَا النَّفُوسَا

أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟

قالوا : « بل نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْاِخْتِيَارِ ، وَأَبْلَى الْاِجْتِرَارِ ، بِمَكْرُوهِ وَأَذْيَةٍ ، وَحَرْبِ

وَبَيْلِيَّةِ .

ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ ، وَقَبِيصَةٌ يَتَمَثَّلُ :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ إِنْ غَدَتْ كَتَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تُمْطِرُ

فقال امرؤ القيس : « لا والله ! ولكن أستعذبه ، فُرُويداً يَنْفِرُجُ لَكَ دَجَاهَا مِنْ

(٩١) التسع بالكسر سير ينسج عريضاً على هيئة أعمدة النعال تشد به الرحال . والفعلية منه لسعة .

(٩٢) القصرة أصل العنق .

(٩٣) السخيمة الحقد . (٩٤) الحنق الغيظ . أو شدته .

(٩٥) العلق محرمة الدم عامة . أو الشديد الحمرة . أو الغليظ . أو الجامد .

فَرَسَانِ كِنْدَةَ وَكُنَائِبِ حَمِيرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرٌ غَيْرَ هَذَا بِي أَوْلَى ، إِذْ كُنْتُ نَازِلًا
بِرَبْعِي ، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَاجَبْتَ « فَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ : هُوَ ذَلِكَ (٩٦) !

فلتنظر إلى هذا الكلام من الرجلين قبضة وامرئ القيس حتى يدع المتعمقون
تعمقهم في استعمال الوحشى من الألفاظ ، فإن هذا الكلام قد كان في الزمن القديم
قبل الإسلام بما شاء الله ، وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور ، وما عداه
فليس بشيء.

وهذا المشار إليه هاهنا هو من جزل كلامهم ، وعلى ما تراه من السلاسة والعدوبة .
وإذا تصفحت أشعارهم أيضاً وجدت الوحشى من الألفاظ قليلاً بالنسبة إلى
المُسلسل في الفهم والسمع ، ألا ترى إلى هذه الأبيات الواردة للسموئل بن عاديا ،
وهي (٩٧) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنْ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ	فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمًا	فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلُ عَدِيدُنَا	فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلُ وَجَارُنَا	عَزِيزُ وَجَارِ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
يُقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا	وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ (٩٨)	وَلَا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ (٩٩) وَحَطْنَا	لَوْقَتِ إِلَى خَيْرِ البَطُونِ يَزُولُ
فَنَحْنُ كَمَا الْمَزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا	كَهَامُ (١٠٠) وَلَا فِيمَا يُعَدُّ بِخَيْلُ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ	قَتُولُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ

(٩٦) صححنا بعض ألفاظ هذا النص بمقابلته على رواية القلقشندی [انظر صبح الأعشى ٢٠٨/٢]

(٩٧) الأبيات في ديوان الحماسة ٣٦/١ .

(٩٨) قال « مات فلان حتف أنفه » إذا مات من غير قتل ولا ضرب - والمعنى أنه لامتوت . ولكن تقتل .

ودم القتل من لا يذهب هدرا .

(٩٩) يشير إلى صريح نسبهم وخلصه بما يحط بشرفهم .

(١٠٠) كماء المزن أى ماء السحاب - يشبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر . والنصاب الأصل . والكماء

الكليل الحد .

وَأَيَّامَنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا عُرْرٌ مَشْهُورَةٌ (١٠١) وَحُجُولُ
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ (١٠٢) فُلُولُ
مُعَوَّدَةٌ إِلَّا تَسَلُّ نِصَالُهَا فَتُعَمِّدُ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَتِيلُ
فإذا نظرنا إلى ماتصمته من الجزالة خِلناها زبراً من الحديد ، وهي مع ذلك سهلة
مستعذبة ، غيرُ فظة ، ولا غليظة .

وكذلك قد وردَ للعرب في جانب الرقة من الأشعار ما يكادُ يذوبُ لِرِقَّتِهِ ، كقول
عُرْوَةَ بْنِ أَدِينَةَ (١٠٣) :

إِنَّ التِي زَعَمْتَ فُوَادَكَ مَلَهَا خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بِيضَاءُ بَاكِرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا (١٠٤) وَأَجَلَّهَا
حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقَلْتُ لِصَاحِبِي : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوَسَ سَلْوَةَ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُوَادِ (١٠٥) فَسَلَّهَا
وكذلك وَرَدَ قَوْلُ الْآخِرِ (١٠٦) :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوَى (١٠٧) بِنَائِينَ الْإِمْنِيفَةَ فَالضَّمَارِ (١٠٨)

(١٠١) رواية ديوان الحماسة « معلومة » . والحجول جمع حجل ، وهو هنا البيضاء يكون في قوائم الفرس ،
والكلام على التشبيه .

(١٠٢) القراع والمقارعة المضاربة ، والدارعون أصحاب الدروع ، والفلول جمع فل ، وهو الثلم في حد
السيف .

(١٠٣) اسمه يحيى بن مالك أحد بني ليث بن بكر بن عبد مناة ، وهو شاعر غزل مقدم من شعراء المدينة ،
ومعدود في الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس . والأبيات في ديوان الحماسة ٦٣/٢ وفي أمالي القالي
١٥٦/١ .

(١٠٤) رواية الأمالي « بلباقة فأرقها »

(١٠٥) الوسواس خطرات النفس - والمعنى أن النفس إذا حدثني بالسلو عنها كان ضميرى الشفيق إلى
إخراج وسواس السلو من نفسى . ورواية الأمالي « شفع الضمير لها إلى فسلاها » .

(١٠٦) الأبيات الخمسة الأولى في أمالي القالي ٣٢/١ وفي حماسة أبي تمام ٦٥/٢ وهي غير منسوبة فيها
(١٠٧) رواية الأمالي « نخدى »

(١٠٨) المنيفة ماء لبنى تميم ، والضمار اسم موضع ، قال التبريزي : وكان حق العطف في قوله « فالضمار » أن
يكون نالوا ، لأن « بين » لاتدخل إلا بين شيئين متباينين ، إلا إذا أريد بين أجزاء المنيفة .

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ (١٠٩)
 أَلَّا يَا حَبْدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ غِبَّ الْقِطَارِ (١١٠)
 وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرَ زَارٍ (١١١)
 شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَّارٍ (١١٢)
 فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ وَأَطْيَبُ مَا تَكُونُ مِنَ النَّهَارِ
 وَمِمَّا تَرَقُّصُ الْأَسْبَاحِ لَهُ ، وَيرنُ على صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الطَّرْتُبةِ فِي مَحَبُّوبَتِهِ مِنْ جَرْمٍ :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَى كَبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ
 وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَيْبَتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَأَلْتُهُ
 وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شَيْحَةً أَوْ قَيْصُومَةً ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا ، فَمَا بِالْ قَوْمِ سَكَنُوا الْحَضَرَ ، وَوَجَدُوا رَقَّةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطُونَ وَحَشِيَّ الْأَلْفَاظِ وَشَطَفَ الْعِبَارَاتِ ؟ وَلَا يَخْتَلِدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا إِمَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ ، وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ مِنَ الْكَلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ اللَّغَةِ ، أَوْ يَتَلَقَّه مِنْ أَرْبَابِهَا . وَأَمَّا الْفَصِيحُ الْمُتَصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاحةِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عَلِمَ أَنْ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيْفِهِ وَسَبِّكِهِ .

فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مُمَارٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًّا إِلَيْهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ : هَذَا ابْنُ دُرَيْدٍ (١١٣) قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ ، وَإِذَا نَظَرْتَ

(١٠٩) الشميم مصدر، أراد به المشوم، والمراد وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة.
 (١١٠) القطار جمع قطر، والفتح تضوع الرياح بالنسيم بالطيب.
 (١١١) زرى عليه عابه - والمعنى ومحجوب إلى أيضاً منها زمان أهلك حين كانوا نازلين بنجد. وأنت راض منه لمساعدته إياك بما تهواه وتريده.
 (١١٢) سرار الشهر آخره.

(١١٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ. وكان نابغة في اللغة والأدب والأنساب، وبرع في الشعر. حتى قيل فيه أشهر العلماء وأعلم الشعراء. وله عدة تصانيف منها كتاب «الجمهرة» في اللغة، توفي سنة ٣٢١ هـ.

إلى شعره وجدته بالنسبة إلى شعر الشعراء المجيدين منحطاً مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الأدب عشر معشار ما علمه .

هذا العباس بن الأحنف^(١١٤) قد كان من أوائل الشعراء المجيدين ، وشعره كمر نسيم على عذبات أغصان ، وكلؤلات ظل على طرر ریحان ، وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج إلى استخراجها من كتب اللغة ، فمن ذلك قوله :

وَإِنِّي لِيُرْضِينِي قَلِيلُ نَوَالِكُمْ وَإِنْ كَانَ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ
بِحُرْمَةِ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ الْوَدِّ إِلَّا عُدْتُمْ بِجَمِيلٍ
وهكذا ورد قوله في « فوز » التي كان يُشَبُّ بها في شعره :

يَا فَوْزُ يَا مُنِيَّةَ عَبَّاسٍ قَلْبِي يُفَدِّي قَلْبَكَ الْقَاسِي
أَسَاتُ إِذَا أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ وَالْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
يُقْلِقُنِي شَوْقِي فَاتِيكُمْ وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْيَاسِ

وهل أعذب من هذه الأبيات ، وأعلق بالخطير ، وأسرى في السمع ؟ ومثلها تحف رواجع الأوزان ، وعلى مثلها تسهر الأجنان ، وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرهان . ولم أجريها بلساني يوماً من الأيام إلا ذكرت قول أبي الطيب المتنبي^(١١٥) :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِجِيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ^(١١٦)
ومن الذي يستطيع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة ، قرية بعيدة ! وهذا أبو العتاهية^(١١٧) كان في عزة الدولة العباسية ، وشعراء العرب إذ ذاك موجودون

(١١٤) العباس بن الأحنف من بني عدى بن حنيفة ، وهو شاعر غزل مطبوع ، وله مذهب في الشعر جيد ، ولعانيه عدوية ، وكان من شعراء بني العباس ، وقدمه المبرد على نظرائه ، وأطنب في وصفه ، ولم يتجاوز الغزل إلى غيره من أغراض الشعر ، توفي سنة ١٩٢ هـ .

(١١٥) ديوان المتنبي ٣١٤/٢ من قصيدة مطلعها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
(١١٦) أسكن الواو من الفعل « يلهو » وهو منصوب ضرورة .

(١١٧) هو إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة يعالج الشعر مع إمام مذاهب المتكلمين والفلاسفة ، ويغلب على شعره الزهد والسهولة ، وقد توفي سنة ٢١١ هـ .

كثيراً ، وكانت مداخه في المهدي بن المنصور ، وإذا تأملت شعره وجدته كالماء الجارى : رقة ألفاظ ، ولطافة سبك ، وليس بركيك ولاواه .

وكذلك أبو نواس ، وهذا قدم على شعراء عصره ، وناهيك بعصره ، وما جمعه من فحول الشعراء ، ويكنى منهم مسلم بن الوليد^(١١٨) الذى كان فارس الشعر ، وله الأسلوب العجيب غير أنه كان يتعجبه فى أكثر ألفاظه .

ويحكى أن أبا نواس جلس يوماً إلى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء ، فاستسقى ماءً ، فلما شرب قال :

* عَذَبَ الْمَاءُ وَطَابَا *

ثم قال أجزؤه ، فأخذ أولئك الشعراء يترددون فى إجازته ، وإذا هم بأبى العتاهية فقال : ماشأنكم محتمعين ؟ فقالوا : هو كيت ، وكيت ، وقد قال أبو نواس :

* عَذَبَ الْمَاءُ وَطَابَا *

فقال أبو العتاهية :

* حَبَّذَا الْمَاءُ شَرَابَا *

فعجبوا لقوله على الفور من غير تلبث .

وكل شعر أبى العتاهية كذلك سهل الألفاظ ، وسأورد منه هاهنا شيئاً يستدل به على سلاسة طبعه ، وترويق خاطره .

فمن ذلك قصيدته التى يمدح فيها المهدي ، ويشبب فيها بجاريتة « عتب » :

أَلَا مَا لِسَيْدَتِي مَالَهَا تَدِلُّ فَأَحْمِلُ إِذْ لَالَهَا
أَلَا إِنَّ جَارِيَةَ لِلْإِمَامِ مِ قَدْ سَكَنَ الْحُسْنَ سِرّاً بِهَا
لَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ قَلْبِي بِهَا وَأَتَعَبَ فِي اللَّوْمِ عَذَالَهَا
كَأَنَّ بَعِينِي فِي حَيْثَمَا سَلَكْتُ مِنَ الْأَرْضِ تِمَالَهَا

(١١٨) هو صريح الغواني مسلم بن الوليد الأنصارى ، تأدب فى الكوفة : ونبه شأنه فى الشعر ، حتى صار من

مقدمى عصره ، وهو من متكلمي البديع ، وقد توفى بمرجان سنة ٢٠٨هـ .

فَمَا وَصَلَ إِلَى الْمَدِيحِ قَالَ مِنْ جَمَلْتِهِ :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مَنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ (١١٩) لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

وَيَحْكِي أَنَّ بَشَارًا (١٢٠) كَانَ شَاهِدًا عِنْدَ إِنْشَادِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَدِيحَ قَالَ : انظُرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ طَارَ عَنْ أَعْوَادِهِ ؟ يُرِيدُ هَلْ زَالَ عَنْ سِرِيرِهِ طَرَبًا بِهَذَا الْمَدِيحِ ؟

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ بَشَارٌ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا أَسْكَرَ السَّمْعَ ، حَتَّى يَنْقَلَهُ عَنْ حَالَتِهِ سَوَاءَ كَانَ فِي مَدِيحٍ أَوْ غَيْرِهِ .

وَقَدْ أَشْرَتْ إِلَى ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ (الاستعارة) فَلْيُؤَخِّذْ مِنْ هُنَاكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَشَارَ إِلَيْهَا هَاهُنَا مِنْ رَقِيقِ الشَّعْرِ غَزَلًا وَمَدِيحًا ، وَقَدْ أَدْعَنَ لِمَدِيحِهَا الشُّعْرَاءَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَاهَا مِنَ السَّلَاسَةِ وَاللِّطَاقَةِ عَلَى أَقْصَى الْغَايَاتِ .

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَسْمَى « السَّهْلُ الْمَمْتَنِعُ » فَتَرَاهُ يُطْمِعُكَ ، ثُمَّ إِذَا حَاوَلْتَ مِمَّا لَتَهُ رَاغَ عَنكَ كَمَا يُرْوَعُ الثَّعْلَبُ .

وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ خَاصِّ فِي كِتَابَةٍ أَوْ شِعْرٍ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا دَخَلَ الْأُذُنَ بِغَيْرِ إِذْنٍ !

وَأَمَّا الْبِدَاوَةُ وَالْعَنْجَهِيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ فَتِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ ، وَمَعَ أَنَّهَا قَدْ خَلَّتْ

(١١٩) بنات القلوب : حياتها ، والمعنى من لم يخلص للخليفة لا يتقبل الله عمله .

(١٢٠) هو أبو معاذ بشار بن برد العقبيل ولاء . الفارسي أصلاً . أخذ العربية عن أعراب البصرة ، ونبغ في

الشعر ، لشدة ذكائه ، وسعة خياله ، وحسن ابتكاره . وكان هجاءً ماجناً مات مقتولاً سنة ١٦٧هـ .

وكانت في زمن العرب العاربة فإنها قد عيّبت على مُسْتَعْمِلِهَا في ذلك الوقت ، فكيف الآن وقد غلبَ على الناس رِقَّةُ الْحَضَرِ؟

وَبَعْدَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَلْفَاظَ تَجْرِي مِنَ السَّمْعِ مَجْرَى الْأَشْخَاصِ مِنَ الْبَصَرِ .
فَالْأَلْفَاظُ الْجَزَلَةُ تُتَخَيَّلُ فِي السَّمْعِ كَأَشْخَاصٍ عَلَيْهَا مَهَابَةٌ وَوَقَارٌ .
وَالْأَلْفَاظُ الرَّقِيقَةُ تُتَخَيَّلُ كَأَشْخَاصِ ذَوِي دِمَائَةٍ ، وَلِينِ أَخْلَاقٍ ، وَلَطَاقَةِ مِزَاجٍ .
وَهَذَا تَرَى الْفَاطِ أَيْ تَمَامٍ كَأَنَّهَا رِجَالٌ قَدْ رَكَبُوا خَيْولَهُمْ ، وَاسْتَلَمُوا سِلَاحَهُمْ ،
وَتَأَهَّبُوا لِلطَّرَادِ . وَتَرَى الْفَاطِ الْبُحْتَرَى كَأَنَّهَا نِسَاءٌ حِسَانٌ عَلَيْهِنَّ غِلَاثِلُ مُصَبَّغَاتٍ ، وَقَدْ
تَحَلَّيْنَ بِأَصْنَافِ الْحُلِيِّ .
وَإِذَا أَنْعَمْتَ نَظْرَكَ فِيهَا ذَكَرْتَهُ هَاهُنَا وَجَدْتَنِي قَدْ دَلَلْتُكَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَضَرَبْتُ لَكَ
أَمْثَالاً مُنَاسِبَةً .

واعلم أنه يجب على الناظم والنائر أن يجتنب ما يضيّق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين . فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها .
والناظم في ذلك أشد ملامة ، لأنه يتعرض لأن ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة ، فيأتي في أكثرها بالبعش الكريه الذي يمجّه السمع ، لعدم استعماله ، كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها :

* قِفْ بِالطُّدْلِ الدَّارِسَاتِ عَلَاثًا * (١٢١)

وكما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينية التي مطلعها :

* مَيْتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ * (١٢٢)

وكما فعل ابن هانئ المغربي^١ (١٢٣) في قصيدته الخائية التي مطلعها :

* سَرَى وَجَنَاحُ اللَّيْلِ أَقْتَمُ أَفْتَحُ *

(١٢١) ديوان أبي تمام ٦٣ . وعجز البيت : « أضحت جبال فطينهن رثانا »

(١٢٢) ديوان المتنبي ٢٠٧/٢ . وعجز البيت : حشاه لي بحر حشاي حاش »

(١٢٣) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، أشعر شعراء الأندلس . والملقب بمتنبي المغرب :

نشأ في أشبيلية وأتهم بسوء العقيدة . فهرب إلى عدوة المغرب . وكانت في قبضة الفاطميين الأولين . فدح المعز =

والناظم لأيعاب إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره ، بل يُعاب إذا نظمها ،
وجاءت كرهية مستبشعة .

وأما الناثر فإنه أقرب حالاً من الناظم ، لأن غاية ما يأتي به سجعتان ، أو ثلاث ،
أو أربع على حرف من هذه الأحرف ، وما يندم في ذلك ما يروق ، إذا كان بهذه العدة
اليسيرة .

فإن كلفت أيها الشاعر أن تنظم شيئاً على هذه الحروف ، فقل هذه الحروف هي
مقاتل الفصاحة ، وعذرى واضح في تركيبها ! فإن واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظاً
تُعذب في الفم ، ولا تلذ في السمع ، والذي هو بهذه الصفة منها فإنما هو قليل جداً .
ولا يصاغ منه إلا مقاطيع أبيات من الشعر ، وأما القصائد المقصدة فلا تُصاغ منه .
وإن صيغت جاء أكثرها بشعاً كريهاً .

على أن هذه الحروف متفاوتة في كراهية الاستعمال ، وأشدّها كراهية أربعة
أحرف ، وهي : الحاء ، والصاد ، والطاء ، والغين ، وأما الناء ، والذال والشين ،
والطاء ، فإن الأمر فيهن أقرب حالاً .

وهذا موضع ينبغي لصاحب الصناعة أن يُنعم نظره فيه . وفيما أشرنا إليه كفاية
للمتعلم ، فليعرفه ، وليقف عنده !

المتنزل من الألفاظ

ومن أوصاف الكلمة أن لا تكون مبتدلة بين العامة .

وذلك ينقسم قسمين :

الأول : ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وُضع له في أصل اللغة ، فغيرته العامة ،
وجعلته دالاً على معنى آخر ، وهو ضربان :

الأول : ما يُكره ذكره ، كقول أبي الطيب (١٢٤) :

== قبل فتح مصر ، وفي أثنائه . ولما فتحت مصر وذهب المغز إليها تأهب للحاق به ، فات في الطريق سنة ٣٦٢ هـ ،
ولم يناهز الأربعين . ويمتاز شعره بالغريب ، وفخامة اللفظ ، والأساليب البدوية ، وكثرة التشبيهات والمجاز .

(١٢٤) ديوان المتنبي ٥٥/٤ من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي ، ومطلعها :

ملام النوى في ظلها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من الظلم

أَذَاقَ الْغَوَانِي حُسْنَهُ مَا أَذَاقَنِي وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي بِالصَّرْمِ (١٢٥)
 فَإِنْ [مَعْنَى] لَفْظَةَ «الصَّرْمِ» فِي وَضْعِ اللَّغَةِ هُوَ الْقَطْعُ . يُقَالُ «صَرَمَهُ» إِذَا
 قَطَعَهُ ، فَغَيَّرْتَهَا الْعَامَّةُ ، وَجَعَلْتَهَا دَالَةً عَلَى الْحَلِّ الْخُصُوصِ مِنَ الْحَيَوَانِ دُونَ غَيْرِهِ .
 فَأَبْدَلُوا السَّيْنَ صَادًا . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اسْتَكْرَهَ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا لَكِنَّ
 الْمَكْرُوهَ مِنْهَا مَا يُسْتَعْمَلُ عَلَى صَيغَةِ الْاسْمِيَّةِ ، كَمَا جَاءَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَأَمَّا إِذَا
 اسْتَعْمَلْتَ عَلَى صَيغَةِ الْفِعْلِ كَقَوْلِنَا «صَرَمَهُ» وَ «صَرَمْتُهُ» وَ «نَصَرَمَهُ» فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ
 كَرِيمَةً ، لِأَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَامَّةِ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ .

وَهَذَا الضَّرْبُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ لَا يُعَابُ الْبَدْوِيُّ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ ، كَمَا يُعَابُ الْمُحْتَضِرُ ؛ لِأَنَّ
 الْبَدْوِيَّ لَمْ تَتَغَيَّرِ الْأَلْفَاظُ فِي زَمَنِهِ ، وَلَا تَصَرَّفَتْ الْعَامَّةُ فِيهَا كَمَا تَصَرَّفَتْ فِي زَمَنِ الْمُحْتَضِرَةِ
 مِنَ الشُّعْرَاءِ . فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَيَّبَ اسْتِعْمَالُ لَفْظَةِ «الصَّرْمِ» وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا عَلَى الشَّاعِرِ
 الْمُحْتَضِرِ ، وَلَمْ يُعَبَّ عَلَى الشَّاعِرِ الْمُتَبَدِّئِ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْهَدَلِيِّ (١٢٦) :
 قَدْ كَانَ صَرْمٌ فِي الْمَاتِ لَنَا فَعَجَلَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصَّرْمِ (١٢٧)

فَإِنَّ هَذَا لَا يُعَابُ عَلَى أَبِي صَخْرٍ كَمَا عَيَّبَ عَلَى الْمُتَنَبِّئِيِّ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرَهُ .
 وَقَدْ صَنَّفَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْجَوَالِينِيِّ كِتَابًا فِي
 هَذَا الْفَنِّ ، وَوَسَمَهُ بِـ «إِصْلَاحِ مَا تَغَلَطُ فِيهِ الْعَامَّةُ» فَفَنَّهُ مَا هَذَا سَبِيلُهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْكَرَ
 اسْتِعْمَالَ لِكْرَاهَتِهِ ، وَلِأَنَّهُ مِمَّا لَمْ يُثْقَلْ عَنِ الْعَرَبِ فَهَذَا عِيَانٌ .

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي :

وَهُوَ أَنَّهُ وُضِعَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ لِمَعْنَى ، فَجَعَلْتَهُ الْعَامَّةُ دَالًا عَلَى غَيْرِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ
 بِمُسْتَقْبَحٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ .

(١٢٥) رَوَايَةُ الْدِيَوَانِ « وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي بِالصَّرْمِ » وَقَدْ أَسْكَنَ « الْغَوَانِي » ضَرْوَةً لِأَنَّهَا مَفْعُولٌ « ذَاقَ » .

(١٢٦) اسْمُهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمِ السَّهْمِيِّ ، أَحَدُ بَنِي هَذِيلِ بْنِ مَدْرَكَةَ . وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ
 الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ مَوَالِيًا لِبَنِي مَرْوَانَ ، مُتَعَصِبًا لَهُمْ . وَهُوَ فِي عَيْدِ الْمَلِكِ مَدَائِحُ ، وَقَدْ كَانَ حَسِبَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَنْ
 شَفَعَ لَهُ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأَطْلَقَهُ بَعْدَ سَنَةٍ . فَلَمَّا وَلى عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَجَّ لِقَائِهِ أَبُو صَخْرٍ ، فَأَدْنَاهُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَرَّبَهُ ،
 فَدَحَهُ وَنَالَ جَائِزَتَهُ .

(١٢٧) مِنْ أَيْبَاتِ ثَمَانِيَّةٍ فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ ٦٢/٢

وذلك كتسميتهم الإنسان «ظريفاً» إذا كان دَمِتَ الأخلاقِ ، حَسَنَ الصُّورَةِ أو اللباسِ ، أو ما هذا سبيله «والظرفُ» في أصلِ اللغةِ مختص بالنتقِ فقط .
 وقد قيل في صفاتِ خَلْقِ الإنسان ما أذكره هاهنا وهو : الصبَاحَةُ في الوجه ،
 الوضَاءَةُ في البَشَرَةِ ، الجمالُ في الأنفِ ، الحلاوة في العينين ، الملاحَةُ في الفمِ ،
 الظرفُ في اللسانِ ، الرَّشَاقَةُ في القَدِ ، اللَّبَاقَةُ في الشَّمائِلِ ، كمالِ الحُسْنِ في الشَّعْرِ .
 فالظرفُ إنما يتعلقُ بالنتقِ خاصَّةً ، فغَيَّرْتُهُ العامَّةَ عن بابهِ . وممَّن غَلَطَ في هذا
 الموضع أبو نُوَاسٍ حيثُ قَالَ :

اِخْتَصَمَ الْجُودُ وَالْجَمَالَ فَبِكَ فَصَارَا إِلَى جِدَالِ
 فَقَالَ هَذَا يَمِينُهُ لِي لِلْعُرْفِ وَالْبَذْلِ وَالنَّوَالِ
 وَقَالَ هَذَاكَ وَجْهُهُ لِي لِلظُّرْفِ وَالْحُسْنِ وَالْكَمَالِ
 فَأَفْتَرَقَا فَبِكَ عَنْ تَرَاوِضِ كِلَاهُمَا صَادِقُ الْمَقَالِ
 وكذلك غلط أبو تمام فقال (١٢٨) :

لَكَ هَضْبَةُ الْحِلْمِ الَّتِي لَوْ وَازَنْتَ أَجَأَ إِذْنٌ ثَقُلْتُ وَكَانَ خَفِيفًا
 وَحَلَاوَةُ الشَّمِّ الَّتِي لَوْ مَازَجْتُ خُلِقَ الزَّمَانُ الْقَدَمَ عَادَ ظَرِيفًا

فأبو نواس غلط هاهنا في أنه وصفَ الوجهَ بالظرفِ ، وهو من صفاتِ النطقِ ،
 وأبو تمام غلط في أنه وصفَ الخُلُقَ بالظرفِ ، وهو من صفاتِ النطقِ أيضاً ، إلا أن
 هذا غلطٌ لا يوجب في اللفظةِ قبحاً ، لكنه جهلٌ بمعرفةِ أصلها في وَضْعِ اللغةِ .

القسم الثاني مما ابتدئته العامَّةُ ، وهو الذي لم تغيِّره عن وضعه :

وإنما أنكر استعماله لأنه مبتدل بينهم . لا لأنه مُسْتَقْبِحٌ ، ولا لأنه مخالفٌ لما وُضِعَ

له .

وفي هذا القسمِ نظرٌ عندي ، لأنه إن كانَ عبارةً عمَّا يكثرُ تداولُه بين العامَّةِ فإن

(١٢٨) ديوان أبي تمام ٣٠٩ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ، ومطلعها :

أطلحهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشاً بهن عكوفاً

من الكثير المتداول بينهم ألفاظاً فصيحة ، كالسَّاء ، والأرض ، والنار ، والماء .
والحَجَر ، والطين ، وأشباه ذلك .

وقد نطقَ بها القرآن الكريمُ في مواضع كثيرة منه ، وجاءت في كلام الفصحاءِ
نظماً ونثراً .

والذي ترجَّح في نظري أن المراد بالمتبدل من هذا القسم إنما هو الألفاظ السخيفة
الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة . فإِجاء منه قولُ أبي الطَّيِّب المتنبِّي (١٢٩) :

وَمَلْسُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبِيعَةٌ يَصْبِحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَّاحُ اللَّقَالِقِ (١٣٠)

فإن لفظة « اللقالق » مبتدلة بين العامة جداً ، وكذلك قوله (١٣١) :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَجَوَّزَ إِلَيْهِمْ شِعْرَاءُ كَأَنَّهَا الْحَازِبَاذُ (١٣٢)

وهذا البيتُ مِنْ مُضْحَكَاتِ الْأَشْعَارِ ، وهو من جملة « البرسام » الذي ذكره في

شعره حيثُ قال (١٣٣) :

إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَرَاءٌ لَيْسَ شَيْئًا وَيَبْعُضُهُ أَحْكَامُ (١٣٤)

فِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبِرَاعَةَ وَالْفَهْمَ . وَفِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامُ (١٣٥)

(١٢٩) ديوان المتنبِّي ٢/٣٢٥ من قصيدة مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

(١٣٠) الملومة المكتيبة المجتمعة . وسيفية منسوبة إلى سيف الدولة . وربعية منسوبة إلى بيعة . وهي قبيلة سيف

الدولة . واللقالق جمع لقلق . وهو طائر كبير يسكن العمران في أرض العراق .

(١٣١) ديوان المتنبِّي ٢/١٨٣ من قصيدة في مدح أبي بكر علي بن صالح . ومطلعها :

كفرندي فريد سبقي الجرار لذة العين عدة للبراز

(١٣٢) رواية الديوان « ومن الناس من يجوز عليه » والحازباز حكاية صوت الذباب . ويسمى الذباب

« الحازباز » وقال الأصمعي هونبت . وقال قوم : الحازبازدء يأخذ الإبل في حلقها والناس . والمعنى : أنت ناقد

الكلام تعرف الشعر . وغيرك يجوز عليه شعراء يهدون . كأنهم طين الذباب في هذياتهم .

(١٣٣) ديوان المتنبِّي ٤/١٠١ من قصيدته التي مطلعها :

لا افتخار لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

(١٣٤) رواية الديوان « هذاء » موضع « هراء » والهذاء والهذيان مصدر هذى يهذى إذا قال قولاً لا فائدة

له . والأحكام جمع حكم بمعنى الحكمة .

(١٣٥) رواية الديوان « الفضل » موضع « الفهم » . والبرسام علة يهذى فيها .

ومثل هذه الألفاظ إذا وردت في الكلام وضعت من قدره ، ولو كان معنى شريفاً .

وهذا القسم من الألفاظ المبتدلة لا يكاد يخلو منه شعرُ شاعرٍ ، لكن منهم المقلُّ ومنهم الكثيرُ ، حتى أن العاربة قد استعملت هذا ، إلا أنه في أشعارها أقلُّ فمن ذلك قولُ النَّابغةِ الذُّبياني في قصيدته التي أولها :

* مِنْ آلِ مَيْهٍ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدٍ * (١٣٦)

أَوْ دُمِيَّةٍ فِي مَرَمٍ مَرْفُوعَةٍ بِنَيْتٍ بِأَجْرٍ يُشَادُ بِقِرْمِدٍ (١٣٧)
فلفظة «آجر» مبتدلةٌ جداً .

وإن شئتَ أن تعلم شيئاً من سرِّ الفصاحة التي تضمَّنها القرآنُ فانظرْ إلى هذا الموضعِ ، فإنه لما جرى فيه بذكر «الآجر» لم يذكرْ بلفظه ، ولا بلفظ «القرميد» أيضاً ، ولا بلفظ «الطوب» الذي هو لغةُ أهلِ مِصرَ ؛ فإنَّ هذه الأسماءُ مبتدلةٌ ، لكنْ ذُكرَ في القرآنِ على وجهٍ آخرَ ، وهو قوله تعالى : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا » (١٣٨) فعبرَ عن الآجرِ بالوقودِ على الطينِ .

ومن هذا القسمِ المبتدلِ قولُ الفرزدقِ في قصيدته التي أولها :

عَرَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ (١٣٩)

وَأَصْبَحَ مَبِيضُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ عَلَى سُرَّاتِ النِّيبِ قَطْنٌ مُنْدَفٌ (١٤٠)

(١٣٦) ديوان النَّابغةِ بشرح الوزير أبي بكرِ عاصم بن أيوب البطليوسي ص ٢٧ وعجز البيت

عجلان ذا زاد وغير مزود .

(١٣٧) صفحة ٣٠ من الديوان ، والدمية التمثال والصورة . والمرمر الرخام الأبيض . ويشاد يرفع بالشيد وهو

الحص ، والقرمذ خزف مطبوخ . (١٣٨) سورة القصص . الآية ٣٨ .

(١٣٩) ديوان الفرزدق ٥٥١/٢ ، وهي إحدى نقائضه . وعجز البيت :

* وَأَنْكَرْتُ مِنْ حُدْرَاءِ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ *

وفي الأصل «عرفت» و «تعرف» بالراء فيها . والصواب عن الديوان .

(١٤٠) في الأصل «الضرب» موضع «الصقيع» و «البيت» موضع «النيب» والتصويب عن الديوان .

وسررات النيب أسنمة الإبل . يقول : وقع الثلج على أسنمها كأنه قطن مندف والصقيع الجليد .

فَقَوْلُهُ : «مُنْدَفٍ» مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَامَّةِ ، وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :
 وَجْهُ حُسَادِكَ مَسُودَةٌ أَمْ صُبِغَتْ بَعْدِي بِالزَّاجِ
 فَلَفْظَةُ : «الزَّاجِ» مِنْ أَشَدِّ الْأَفْظَانِ الْعَامَّةِ ابْتِدَالًا .

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ أَبُو نُوَاسٍ هَذَا النَّوْعَ فِي شِعْرِهِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ (١٤١) :

يَا مَنْ جَفَانِي وَمَلَأَ نَسِيَتَ أَهْلًا وَسَهْلًا
 وَمَاتَ مَرْحَبٌ لَمَّا رَأَيْتَ مَالِي قَلَا
 إِنِّي أَظْنَكَ فِيهَا فَعَلْتَ تَحْكِي الْقِرْلِي (١٤٢)

وَكَقَوْلِهِ (١٤٣) :

وَأَنْمِرُ الْجِلْدَةَ صَيَّرْتَهُ فِي النَّاسِ رَاغًا وَشِقْرَاقًا (١٤٤)
 مَا زِلْتُ أُجْرِي كَلْكَلِي فَوْقَهُ حَتَّى دَعَا مِنْ تَحْتِهِ قَاقَا
 وَكَقَوْلِهِ :

وَمُلِحَّةٌ بِالْعَدْلِ تَحْسُبُ أَنِّي بِالْجَهْلِ أَتْرَكُ صُحْبَةَ الشُّطَارِ
 وَقَدْ اسْتَعْمَلَ لَفْظَةُ «الشاطر» «والشاطرة» «والشُّطَار» «والشُّطَارَةُ» كَثِيرًا ، وَهِيَ مِنْ
 الْأَلْفَاظِ الَّتِي ابْتَدَلَهَا الْعَامَّةُ حَتَّى سَنَسَتْ مِنْ ابْتِدَالِهَا .

وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ تَمْنَعُ الْوَاقِفَ عَلَيْهَا مِنْ اسْتِعْمَالِ أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا .

* *

وَمِنْ أَوْصَافِ الْكَلِمَةِ أَنْ لَا تَكُونَ مَشْرُوكَةً بَيْنَ مَعْنَيْنِ أَحَدَهُمَا يُكْرَهُ ذِكْرُهُ ، وَإِذَا
 وَرَدَتْ وَهِيَ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهَا ذَلِكَ الْمَعْنَى قُبِحَتْ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ مَهْمَلَةً بغيرِ قَرِينَةٍ تَمَيِّزُ
 مَعْنَاهَا عَنِ الْقُبْحِ .

(١٤١) دِيوَانُ أَبِي نُوَاسٍ ١٥٣ فِي عِتَابِ عَمْرِو الْوَرَّاقِ .

(١٤٢) الْقِرْلِيُّ كَزَمَكِي طَائِرٌ ذُو حَزْمٍ لَا يَرَى إِلَّا فَرْقًا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ عَلَى جَانِبِ يَهُوى بِأَحْدَى عَيْنَيْهِ إِلَى قَعْرِ الْمَاءِ
 طَمَعًا ، وَيُرْفَعُ الْأُخْرَى فِي الْهَوَاءِ حَذْرًا ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ «أَحْزَمُ مِنْ قِرْلِي ، إِنْ رَأَى خَيْرًا تَدَلَّى ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا تَوَلَّى» .

(١٤٣) دِيوَانُ أَبِي نُوَاسٍ ١٨٩ فِي هِجَاءِ زَنْبُورِ .

(١٤٤) الْأَمْثَرُ مَا فِيهِ نَمْرَةٌ أَوْ نَكْتَةٌ بِيضَاءٍ وَأُخْرَى سُودَاءٍ ، وَالزَّوْجُ غَرَابٌ صَغِيرٌ ، وَالشُّقْرَاقُ بَكْسَرَتَيْنِ وَرَاءَ
 مَشْدَدَةٍ أَوْ كَقِرْطَاسٍ وَيُفْتَحُ طَائِرٌ مَرْقُطٌ بِحَضْرَةِ وَحْمَرَةٍ وَبِيَاضٍ ، وَيَكُونُ بَارِضَ الْحَرَمِ .

فَأَمَّا إِذَا جَاءَتْ وَمَعَهَا قَرِينَةٌ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ مَعِيَّةً ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٤٥) » . أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ « التَّعْزِيرِ » مُشْتَرَكَةٌ تُطْلَقُ عَلَى التَّعْظِيمِ وَالْإِكْرَامِ ، وَعَلَى الضَّرْبِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْحَدِّ ، وَذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْهَوَانِ ، وَهِيَ مَعْنِيَانِ ضِدَّانِ . فَحَيْثُ وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَاءَ مَعَهَا قَرَانٌ مِنْ قَبْلِهَا وَمِنْ بَعْدِهَا ، فَحَصَّصَتْ مَعْنَاهَا بِالْحُسْنِ ، وَمَيَّزَتْهُ عَنِ الْقُبْحِ . وَلَوْ وَرَدَتْ مَهْمَلَةٌ بِغَيْرِ قَرِينَةٍ ، وَأُرِيدَ بِهَا الْمَعْنَى الْحَسَنَ لَسَبَقَ إِلَى الْوَهْمِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى الْقَبِيحِ .

مثال ذلك : لو قال قائلٌ : لَقَيْتُ فُلَانًا فَعَزَّزْتُهُ ، لَسَبَقَ إِلَى الْفَهْمِ أَنَّهُ ضَرَبَهُ وَأَهَانَهُ . ولو قال : لَقَيْتُ فُلَانًا فَأَكْرَمْتُهُ وَعَزَّزْتُهُ ، لَزَالَ ذَلِكَ اللَّبْسُ .

واعلم أنه قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجب قبحه ، ولو لم تجئ معه لما استقبح ، كقول الشريف الرضي :

أَعَزَّزْتُ عَلَيَّ بِأَنَّ أَرَاكَ وَقَدْ خَلَا عَنْ جَانِبَيْكَ مَقَاعِدَ الْعَوَادِ

وقد ذكر ابن سنان الحفاجي هذا البيت في كتابه ، فقال : إنَّ إيرادَ هذه اللفظة في هذا الموضع صحيح ، إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر ، لا سيما وقد أضافه إلى مَنْ يَحْتَمَلُ إِضَافَتَهُ إِلَيْهِ وَهُمْ الْعَوَادُ ، وَلَوْ انْفَرَدَ لَكَانَ الْأَمْرُ فِيهِ سَهْلًا . فَأَمَّا الْإِضَافَةُ إِلَى مَنْ ذَكَرَهُ فِيهَا قُبْحٌ لَا خِفَاءَ بِهِ . هَذَا حِكَايَةُ كَلَامِهِ (١٤٦) ، وَهُوَ مَرْصِيُّ وَقَعَ فِي مَوْقِعِهِ .

ولنذكر نحن ما عندنا في ذلك فنقول : قد جاءت هذه اللفظة المعيبة في الشعر في القرآن الكريم ، فجاءت حسنة مرضية . وهي قوله تعالى : « وَإِذَا غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ (١٤٧) » وكذلك قوله تعالى : « وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا

(١٤٥) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(١٤٦) انظر سر الفصاحة ٩٣ ونص عبارة ابن سنان : فإيراد « مقاعد » في هذا البيت صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشأن . لاسيما وقد أضافه إلى من يحتمل إضافته إليهم وهم العواد . ولو انفرد كان الأمر فيه سهلاً . فأما إضافته إلى ما ذكره فيها قبح لاخفاء به .

(١٤٧) سورة آل عمران : الآية : ١٢١ .

مِلْتُ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهْبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ
شِهَابًا رَصَدًا (١٤٨) »

أَلَا تَرَى أَنَّهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ غَيْرُ مِضَافَةٍ إِلَى مَنْ تَقْبَحُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ كَمَا جَاءَتْ فِي
الشعر.

ولو قال الشاعر بدلًا من «مقاعد العواد» «مقاعد الزيارة» أو ما جرى مجراه لذهب
ذلك القبح، وزالت تلك الهُجْنَةُ. ولهذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراه من
الحسن، وجاءت على ما تراه من القبح في قول الشريف الرضي.
وعلى هذا ورد قولُ تَابَّطُ شَرًّا:

أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرْتُ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيْقُ الْجُحْرِ مُعَوَّرٌ (١٤٩)
فإنه أضاف الجُحْرَ إلى اليَوْمِ، فأزال عنه هُجْنَةَ الاشتباهِ، لأنَّ «البحر» يطلق على
كل ثقبٍ كثقبِ الحيةِ واليربوعِ، وعلى المحلِّ المخصوص من الحيوانِ، فإذا ورد مُهملاً
بغير قرينةٍ تخصُّصه سبقَ إلى الوهم ما يقبحُ ذِكرُهُ، لاشتهاره به دُونَ غيره.
ومِنْ هَاهُنَا وَرَدَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمنُ لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»
وحيثُ قال: «يُلْسَعُ» زال اللَّبْسُ. لأنَّ اللَّسْعَ لا يكونُ إلا للحيَّةِ وغيرها من ذواتِ
السُّمومِ.

وأما ما وَرَدَ مُهملاً بغير قرينةٍ ^{مختول} فَتَطَّلَى أَبِي تَمَّامٌ (١٥٠):
أَعْطَيْتَ لِي دِيَةَ الْقَتِيلِ وَليْسَ لِي عَقْلٌ وَلَا حَقَّ عَلَيْكَ قَدِيمٌ (١٥١)
فقوله: «ليس لي عقل» يظنُّ أنه من «عقل الشيء» إذا علمه. ولو قال «ليس لي
عليك عقل» لزال اللَّبْسُ.

(١٤٨) سورة الجن: الآيتان ٩ و٨.
(١٤٩) ديوان الحامسة ٢٦/١، وحيان بطن من هذيل، وصفرت جلت، والوطاب جمع وطب وهو سقاء
اللين، وقوله «ضيق البحر» مثل لضيق المنفذ، والمعور المنكشف العورة.
(١٥٠) ديوان أبي تمام ٣٠١ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم، ومطلعها:
أسقى ظلهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم
(١٥١) رواية الديوان «أعطيني» موضع «أعطيت لي» والعقل الدية.

فيجبُ إذاً على صاحبِ هذه الصَّنَاعَةِ أن يُرَاعِيَ في كلامه مثلَ هذا الموضعِ ، وهو من جُمْلَةِ الألفاظِ المُشترَكةِ الَّتِي يُحْتَاجُ فِي إيرادِها إلى قَرِينَةٍ تُخَصِّصُها ضَرُورَةً .

[عدد حروف الكلمة]

ومن أوصافِ الكلمةِ أن تكونَ مؤلَّفةً من أقلِّ الأوزانِ تركيباً . وَهَذَا ممَّا ذَكَرَهُ ابنُ سنانٍ في كتابِهِ ، ثُمَّ مثَلَهُ بقولِ أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنِّي (١٥٢) :

إِنَّ الكِرَامَ بِلاَ كِرَامٍ مِنْهُمُ مِثْلُ القُلُوبِ بِلاَ سُوَيْدَاوَاتِهَا (١٥٣)
وقال : إن لفظَةَ «سُوَيْدَاوَاتِهَا» طويْلَةٌ ، فلهذا قَبِحَتْ (١٥٤) .

وليسَ الأمرُ كما ذَكَرَهُ ، فَإِنَّ قُبْحَ هذه اللَّفْظَةِ لم يكنْ بسببِ طُولِها ، وإِنَّا هَوَّلْنَا فِي نَفْسِها قُبْحَةً ، وَقَدْ كانتْ - وهى مفردةٌ - حسنةً . فلَمَّا جُمِعَتْ قَبِحَتْ ، لا بسببِ الطُّولِ .

والدليلُ على ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ أَلْفَاظٌ طَوَالٌ ، وهى معَ ذَلِكَ حَسَنَةٌ ، كقولِهِ تَعَالَى : «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ (١٥٥)» فَإِنَّ هذه اللَّفْظَةَ تَسَعَةُ أَحْرَفٍ وكقولِهِ تَعَالَى : «لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ (١٥٦)» فَإِنَّ هذه اللَّفْظَةَ عَشْرَةُ أَحْرَفٍ ، وَكِلْتاهُمَا حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ .

ولو كانَ الطُّولُ ممَّا يُوجِبُ قُبْحًا لَقَبِحَتْ هاتانِ اللَّفْظَتانِ ، وليسَ كذلك .
ألا تَرَى أَنَّهُ لو أَسْقَطَ من لفظَةِ «سويداوتها» . الهاءَ والألفَ اللَّتَيْنِ هما عِوَضَ عن

(١٥٢) ديوان المتني ٢٣٠/١ وهو من قصيدة في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ومطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها . ذاتي الصفات بعيد موصوفاتها

(١٥٣) سويداء القلب حبه ، وجمعه سويداوات . يقول : الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب إذا لم يكن فيه .. ويدا .

(١٥٤) عبارة ابن سنان : فسويداوتها كلمة طويلة جداً ، فلذلك لا أختارها ، وانظر سر الفصاحة ٩٥ -

٩٧ (١٥٥) سورة البقرة : الآية ١٣٧ . (١٥٦) سورة النور : الآية ٥٥ .

الإضافة لبقى منها ثمانية أحرف ؟ ، ومع هذا فإنها قبيحة . ولفظة « لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ » عشرة أحرف ، وهي أطول منها بحرفين ، ومع هذا فإنها حسنة راقية .

والأصل في هذا الباب ما أذكره : وهو أن الأصول من الألفاظ لا تحسن إلا في الثلاثي ، وفي بعض الرباعي ، كقولها « عذب » و « عسجد » . فإن هاتين اللفظتين إحداهما ثلاثية والأخرى رباعية . وأما الخماسي من الأصول فإنه قبيح ، ولا يكاد يوجد منه شيء حسن ، كقولنا « جحمرش » . و « صهصلق » ، وما جرى مجراهما .

وكان ينبغي على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان حسنتين ، واللفظتان الوردتان في القرآن قبيحتين . لأن تلك تسعة أحرف وعشرة ، وهاتان خمسة وخمسة . وترى الأمر بالضد مما ذكره . وهذا لا يُعتبر فيه طول ولا قصر ، وإنما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض . وقد تقدم الكلام على ذلك ولهذا لا يوجد في القرآن من الخماسي الأصول شيء إلا ما كان اسم نبي عُرِبَ اسمه ، ولم يكن في الأصل عربيًا ، نحو « إبراهيم » و « إسماعيل » .

ومما يدخل في هذا الباب أن تجنب الألفاظ المؤلفة من حروفٍ يثقل النطق بها ، سواء كانت طويلة أو قصيرة . ومثال ذلك قول امرئ القيس في قصيدته اللامية ، التي هي من جملة القصائد السبع الطوال (١٥٧) :

غداثره مُسْتَشْرَرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَصِلُ الْمَدَارَى فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ (١٥٨)

لفظة « مُسْتَشْرَرَاتٌ » مما يقبح استعمالها ، لأنها تثقل على اللسان ، ويشق النطق

بها ، وإن لم تكن طويلة ، لأننا لو قلنا « مُسْتَنْكَرَاتٌ » أو « مُسْتَنْفِرَاتٌ » على وزن « مُسْتَشْرَرَاتٌ » لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة .

ولرئياً اعترض بعض الجهال في هذا الموضع ، وقال : إن كراهة هذه اللفظة إنما هو

لطولها .

(١٥٧) هي المشهورة باسم (المعلقات) .

(١٥٨) الغدائر جمع الغديرة ، وهي الخصلة من الشعر ، والاستشراز الارتفاع ، والمدارى جمع مدرى وهي

الشط - ويروى « تزل العقاص » والعقاص جمع عقبة ، وهي الخصلة المجموعة من الشعر .

وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَإِنَّا لَوْ حَدَفْنَا مِنْهَا الْأَلْفَ وَالنَّاءَ ، وَقُلْنَا «مُسْتَشْرِزٌ» لَكَانَ ذَلِكَ ثَقِيلًا ، وَسَبَبُهُ أَنَّ الشَّيْنَ قَبْلَهَا تَاءٌ وَبَعْدَهَا زَايٌ ، فَثَقُلَ النَّطْقُ بِهَا ، وَإِلَّا فَلَوْ جَعَلْنَا عَوْضًا مِنَ الزَّايِ رَاءً ، وَمِنَ الرَّاءِ فَاءً ، فَقُلْنَا «مُسْتَشْرِفٌ» لَزَالَ ذَلِكَ الثَّقَلُ .

وَلَقَدْ رَأَى بَعْضُ النَّاسِ وَأَنَا أَعْيَبُ عَلَى أَمْرِي الْقَيْسَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ الْمُشَارَإِ إِلَيْهَا ، فَأَكْبَرَ ذَلِكَ ، لَوْ قُوفَهُ مَعَ شُهْرَةِ التَّقْلِيدِ فِي أَنْ أَمْرًا الْقَيْسَ أَشْعَرَ الشُّعْرَاءِ ، فَعَجِبْتُ مِنْ ارْتِبَاطِهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الضَّعِيفَةِ ، وَقُلْتُ لَهُ : لَا يَمْنَعُ إِحْسَانُ أَمْرِي الْقَيْسَ مِنْ اسْتِقْبَاحِ مَالِهِ مِنَ الْقَنْبِجِ ، وَمِثَالُ هَذَا كَمِثَالِ غَزَالِ الْمِسْكِ ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمِسْكُ وَالْبَعْرُ ، وَلَا يَمْنَعُ طَيْبٌ مَا يَخْرُجُ مِنْ مِسْكِهِ مِنْ خُبْتِ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَعْرِهِ ، وَلَا تَكُونُ لَدَاذَةُ ذَلِكَ الطَّيْبِ حَامِيَةً لِلْخُبْتِ مِنَ الِاسْتِكْرَاهِ ، فَأَسْكَتَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ .

وَحَضَرَ عِنْدِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ فِي هَذَا الرَّجُلِ اعْتِقَادٌ ، لِمَكَانِ عِلْمِهِ فِي دِينِهِمْ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ لَعَمْرِي كَذَلِكَ ، فَجَرَى ذِكْرُ اللُّغَاتِ ، وَأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ سَيِّدَةُ اللُّغَاتِ . وَأَنَّهَا أَشْرَفُهُنَّ مَكَانًا ، وَأَحْسَنُهُنَّ وَضْعًا . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : كَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ . وَقَدْ جَاءَتْ آخَرًا ، فَفَتَتِ الْقَبِيحَ مِنَ اللُّغَاتِ قَبْلَهَا ، وَأَخَذَتِ الْحَسَنَ ، ثُمَّ إِنَّ وَاضِعَهَا تَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ السَّالِفَةِ ، فَاخْتَصَرَ مَا اخْتَصَرَ ، وَخَفَّفَ مَا خَفَّفَ ، فَمِنْ ذَلِكَ اسْمُ الْجَمَلِ ، فَإِنَّهُ عِنْدَنَا فِي اللِّسَانِ الْعِزْبَانِيِّ «كُومِيلٌ» مُمَالًا عَلَيَّ وَزَنَ «فُوعِيلٌ» فَجَاءَ وَاضِعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَحَدَفَ مِنْهَا الثَّقِيلَ الْمُسْتَشْبَعَ ، وَقَالَ «جَمَلٌ» ، فَصَارَ خَفِيفًا حَسَنًا ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، وَلَقَدْ صَدَّقَ فِي الَّذِي ذَكَرَهُ وَهُوَ كَلَامٌ عَالِمٌ بِهِ .

[خفة الحركات]

وَمِنْ أَوْصَافِ الْكَلِمَةِ أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً مِنْ حَرَكَاتٍ خَفِيفَةٍ ، لِيَخْفَ النَّطْقُ بِهَا . وَهَذَا الْوَصْفُ يَتَرْتَّبُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ تَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ ، وَلِهَذَا إِذَا تَوَالَى حَرَكَتَانِ خَفِيفَتَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ تَسْتَقِلَّ ، وَبِخِلَافِ ذَلِكَ الْحَرَكَاتِ الثَّقِيلَةِ ، فَإِنَّهُ إِذَا تَوَالَى مِنْهَا حَرَكَتَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ اسْتَقْبَلَتْ .

ومن أجل ذلك اسْتَثَقَلَتِ الضمة على الواو، والكسرة على الياء، لأنَّ الضمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان: ولنمثِّلْ لك مثلاً لتَهْتَدِيَ به في هذا الموضع، وهو أنا نقول: إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي - ج زع - فإذا جعلنا الجيم مفتوحة، فقلنا «الجَزَع» أو مكسورة، فقلنا «الجَزَع» كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الجيم مضمومة فقلنا «الجزع»، وكذلك إذا والينا حركة الفتح فقلنا «الجَزَع» كان ذلك أحسن من موالاة حركة الضم عند قولنا «الجَزَع» ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيراً لمخارج حروفها، حتى يُنسب ذلك إلى اختلاف تأليف المخارج، بل وجدناها تارة تكتسى حسناً، وتارة يُسلبُ ذلك الحسنُ عنها، فعلمنا أن ذلك حادثٌ عن اختلاف تأليف حركاتها.

واعلم أنه قد توالت حركة الضم في بعض الألفاظ. ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقلاً، كقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ» (١٥٩) وكقوله تعالى: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» (١٦٠). وكقوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ» (١٦١) فحركة الضم في هذه الألفاظ متواليّة، وليس بها من ثقلٍ ولا كراهة. وكذلك وَرَدَ قولُ أبي تمام (١٦٢):

نَفْسٌ	يَحْتَشُهُ	(١٦٣)	نَفْسٌ	وَدُمُوعٌ	لَيْسَ	تَحْتَبِسُ
وَمَعَانٍ	لِلْكَرَى	ذُرٌّ	عُطْلٌ	مِنْ	عَهْدِهِ	دُرُسٌ (١٦٤)
بَهْرَتْ	مَا	كَتُّ	أَكْتَمُهُ	نَاطِقَاتٌ	بِالْهَوَى	خُرُسٌ

(١٥٩) سورة القمر: الآية ٣٦. (١٦٠) سورة القمر: الآية ٤٧. (١٦١) سورة القمر: الآية ٥٢.

(١٦٢) بيان أبي تمام ٤٤٨ وهي أبيات في النسب.

(١٦٣) يحشّه على الخروج.

(١٦٤) المغاني المنازل. والكرى النعاس. والدثر البالية. والعطل الخالية. والدرس المحو.

فانظر كيف جاءت هذه الألفاظ الأربعة مضمومات كلها ، وهي مع ذلك حسنة
لا ثقل بها ، ولا ينبو السمع عنها ؟
وهذا لا ينقض ما أشرنا إليه ، لأن الغالب أن يكون توالي حركة الضم مستقلاً ،
فإذا شذ عن ذلك شيء يسير ، لا ينقض الأصل المقيس عليه .

القسم الثاني

فى الألفاظ المركبة

قد قَدَّمْنَا القولَ فى شرح أحوالِ اللفظةِ المفردةِ، وما يختصُّ بها. وأمَّا إذا صارتْ مركبةً، فإنَّ تركيبها حكمًا آخر. وذلكَ أنَّه يحدثُ عنه من فوائدِ التاليفاتِ والامتزاجاتِ ما يَحِيلُ للسامعِ أنَّ هذه الألفاظَ لَيْسَتْ تلكَ التي كانتْ مفردة.

ومثالُ ذلكَ كَمَنْ أَخَذَ لآلِيعَ لَيْسَتْ من ذواتِ القِيمِ العَالِيَةِ. فاللَّفْها، وأحسَنَ الوضِعَ فى تاليفها، فحِيلَ للنَّاظِرِ بحُسنِ تاليفه، وإتقانِ صَنَعَتِه، أنَّها لَيْسَتْ تلكَ التي كانتْ مَنثورَةً مَبَدَّدَةً.

وفى عكسِ ذلكَ مَنْ يَأْخُذُ لآلِيعَ من ذواتِ القِيمِ العَالِيَةِ، فَيَفْسِدُ تاليفها. فَإِنَّهُ يَضَعُ مِنْ حُسْنِها، وكذلكَ يَجْرِي حُكْمُ الألفاظِ العَالِيَةِ مع فسادِ التاليفِ. وهذا مَوْضِعٌ شَرِيفٌ يَنْبَغِي الالتفاتَ إليه، والعنايةَ به.

واعلمْ أنَّ صناعةَ تاليفِ الألفاظِ تنقسمُ إلى ثمانيةِ أنواعٍ هى :

السجعُ، ويختصُّ بالكلامِ المنثور.

والتصرُّعُ، ويختصُّ بالكلامِ المنظومِ، وهو داخلٌ فى بابِ السَّجْعِ، لأنه فى الكلامِ المنظومِ كالسَّجْعِ فى الكلامِ المنثور.

والتجنيسُ، وهو يعمُّ القِسْمَيْنِ جميعاً.

والتُرْصِيعُ. وهو يعمُّ القِسْمَيْنِ أيضاً جميعاً.

وَلزُومٌ مالا يَلزَمُ: وهو يعمُّ القِسْمَيْنِ أيضاً.

والموازنة: وتختصُّ بالكلامِ المنثور.

واختلافُ صيغِ الألفاظِ، وهو يعمُّ القِسْمَيْنِ جميعاً.

وتكريرُ الحروفِ، وهو يعمُّ القِسْمَيْنِ جميعاً.

النوع الأول : المسجع

وحدهُ أَنْ يَقَالَ : تَوَاطَوْا الْفَوَاصِلَ فِي الْكَلَامِ الْمَثْوُورِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ .
وقد ذمَّه بعضُ أصحابنا من أربابِ هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى
عجزهم أَنْ يأتوا به ، والأفلوكان مذموماً لما وردَ في القرآن الكريم ، فإنه قد أتى منه
بالكثير ، حتَّى أنه لِيُؤْتَى بالسُّورَةِ جميعاً مسجوعاً ، كسورة الرَّحْمَنِ ، وسورة الْقَمَرِ ،
وغيرهما . وبالجملة فلم تَخْلُ منه سُورَةٌ من السُّورِ .

فمن ذلك قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً
لَا يُجَادُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ^(١) » .

وكقوله تعالى في سورة (طه) : « طه * ما أنزلنا عليك القرآن لِيَتَشَقَّى * إلا
تذكرةً لِمَنْ يَخْشَى * تَزْيِلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجَهَّرْ
بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ^(٢) » .

وكذلك قوله تعالى في سورة (ق) : « بل كذبوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ
مَرِيحٍ * أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضِ
مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ^(٣) » .

وكقوله تعالى : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا *
فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا * فَوسَطُنَّ بِهِ جَمْعًا ^(٤) » . وأمثال ذلك كثيرة .

وقد وردَ على هذا الأسلوب من كلامِ النبي ﷺ شيءٌ كثيرٌ أيضاً .
فمن ذلك ما رواه ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ :
« اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » قُلْنَا : إِنَّا لِنَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قال : « ليس

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) سورة طه : الآيات ١ - ٨ .

(٣) سورة ق : الآيات ٥ - ٧ .

(٤) سورة العاديات : الآيات ١ - ٥ .

ذلك ! ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والليل ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا .

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن سلام ، فقال : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ أَنْ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامَ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

فإن قيل : إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبَعْضِهِمْ مُنْكَرًا عَلَيْهِ وَقَدْ كَلَّمَهُ بِكَلَامٍ مَسْجُوعٍ : « أَسْجَعًا كَسَجِعِ الْكُهَّانِ » ؟ وَلَوْلَا أَنَّ السَّجْعَ مَكْرُوهٌ لَمَا أَنْكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ؟ .
فالجوابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّا نَقُولُ : لَوْ كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ السَّجْعَ مُطْلَقًا لَقَالَ : أَسْجَعًا ؟ ثُمَّ سَكَتَ ، وَكَانَ الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى إِنْكَارِ هَذَا الْفِعْلِ لِمَ كَانَ ، فَلَمَّا قَالَ : « أَسْجَعًا كَسَجِعِ الْكُهَّانِ » صَارَ الْمَعْنَى مَعْلُوقًا عَلَى أَمْرٍ ، وَهُوَ إِنْكَارُ الْفِعْلِ لِمَ كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .
فَعَلِمَ أَنَّهُ إِذَا ذَمَّ مِنَ السَّجْعِ مَا كَانَ مِثْلَ سَجْعِ الْكُهَّانِ لَا غَيْرَ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَذُمَّ السَّجْعَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ ﷺ قَدْ نَطَقَ بِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِ ، حَتَّى أَنَّهُ غَيَّرَ الْكَلِمَةَ عَنْ وَجْهِهَا أَتْبَاعًا لَهَا بِأَخَوَاتِهَا مِنْ أَجْلِ السَّجْعِ ، فَقَالَ لِابْنِ أَيْمَنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : « أُعِيدَهُ مِنَ الْهَامَّةِ وَالسَّامَةِ ، وَكُلُّ عَيْنٍ لِأُمَّةٍ » وَإِنَّمَا أَرَادَ « مُلَمَّةً » لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا مِنْ « أَلَمَّ » فَهُوَ « مُلِمَّ » .

وكذلك قوله ﷺ « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرِ مَأْجُورَاتٍ » . وَإِنَّمَا أَرَادَ « مَوْزُورَاتٍ » مِنَ الْوِزْرِ ، فَقَالَ : « مَأْزُورَاتٍ » لِمَكَانِ « مَأْجُورَاتٍ » طَلَبًا لِلتَّوَازُنِ وَالسَّجْعِ ، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ السَّجْعِ .

على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن إنكار سجع الكهَّانِ عندي فيه نظر ، فإنَّ الوهم يسبق إلى إنكاره ، يُقَالُ : فَمَا سَجَعُ الْكُهَّانِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ الْإِنْكَارُ بِهِ ، وَنَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

والجوابُ عن ذلك أن النهي لم يكن عن السجع نفسه ، وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله ﷺ في الجنين بغرة عبد

أَوْ أَمَةٍ ، قَالَ الرَّجُلُ : أَدَى مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَ ، وَمِثْلَ ذَلِكَ يُنْطَلُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَسْجَعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ » أَيْ اتَّبِعُ سَجْعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ ؟

وَكَذَلِكَ كَانَ الْكَهَنَةُ كُلُّهُمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سُئِلُوا عَنْ أَمْرٍ جَاءُوا بِالْكَلامِ مَسْجُوعًا ، كَمَا فَعَلَ الْكَاهِنُ فِي قِصَّةِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا امْتَحِنَ قَبْلَ السُّؤَالِ عَنْ قِصَّتِهَا : « ثَمَرَةٌ فِي كَمَرَةٍ » . فَقِيلَ لَهُ نُرِيدُ أَتَيْنَ مِنْ هَذَا ! فَقَالَ : « حَبَّةٌ بُرٌّ فِي إِحْلِيلِ مُهْرٍ » وَالْحِكَايَةُ مَشهُورَةٌ ، فَلِهَذَا اخْتَصَرْنَا هُنَا .

وَكَذَلِكَ قَالَ سَطِيعٌ ^(٥) ، فَإِنَّهُ قَالَ : « عَبْدُ الْمَسِيحِ ، جَاءَ إِلَى سَطِيعِ ، وَهُوَ مُوفٍ عَلَى الضَّرِيحِ ، لِرُؤْيَا الْمُؤْبَدَانِ ، وَارْتِجَاسِ الْإِيوَانِ » وَأَتَمَّ الْكَلَامَ إِلَى آخِرِهِ مَسْجُوعًا . وَالْحِكَايَةُ مَشهُورَةٌ أَيْضًا ، فَلِهَذَا اخْتَصَرْنَا هُنَا .

فَالسَّجْعُ إِذَا لَيْسَ بِمَنْهَى عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمَنْهَى عَنْهُ هُوَ الْحُكْمُ الْمُتَّبَعُ فِي قَوْلِ الْكَاهِنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَسْجَعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ » ؟ أَيْ أَحْكُمًا كَحُكْمِ الْكُهَّانِ ، وَالْأَسْجَعُ الَّذِي أَتَى بِهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ لَا بَأْسَ بِهِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : « أَدَى مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ، وَلَا نَطَقَ ^(٦) ، وَلَا اسْتَهَلَ ، وَمِثْلَ ذَلِكَ يُنْطَلُ ^(٧) » ؟ وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ مِنْ حَيْثُ السَّجْعُ ، وَلَيْسَ بِمَنْكِرٍ لِنَفْسِهِ . وَإِنَّمَا الْمُنْكَرُ هُوَ الْحُكْمُ الَّذِي تَضَمَّنَهُ فِي امْتِنَاعِ الْكَاهِنِ أَنْ يَدِيَ الْجَنِينَ بَغْرَةً عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ ^(٨)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي السَّجْعِ إِنَّمَا هُوَ الْإِعْتِدَالُ فِي مَقَاطِعِ الْكَلَامِ ، وَالْإِعْتِدَالُ مَطْلُوبٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَالنَّفْسُ تَمِيلُ إِلَيْهِ بِالطَّبَعِ .

وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ الْوَقُوفُ فِي السَّجْعِ عِنْدَ الْإِعْتِدَالِ فَقَطْ ، وَلَا عِنْدَ تَوَاطُؤِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ - إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ مِنَ السَّجْعِ لَكَانَ كُلُّ أَدِيبٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ سَجْعًا ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ - وَلَوْ شَدَا شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْأَدَبِ - إِلَّا وَبِمَكْنَهُ أَنْ يُؤَلَّفَ

(٥) سَطِيعُ أَحَدِ كُهَّانِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ ابْنُ رِبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ذَنْبِ .

(٦) رِوَايَةُ الْبِيَّانِ « وَلَا صَاحَ وَاسْتَهَلَ » . (٧) يُنْطَلُ أَي يَهْدِرُ دَمَهُ .

(٨) قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عَيْسَى الرَّقَاشِيُّ : لَوْ أَنَّ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يَرِدْ إِلَّا الْإِقَامَةُ لِهَذَا الْوِزْنِ لَمَا كَانَ

عَلَيْهِ بَأْسٌ . وَلَكِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِطْلَالَ حَقِّ ، فَتَشَادِقُ فِي الْكَلَامِ وَانظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبَيَّنْ ٢٨٧/١ .

الفاظاً مسجوعة ، ويأتي بها في كلامه . بل ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة ، لا غثة ولا باردة وأعني بقولي : « غثة باردة » أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة ، وما يشترط لها من الحسن ، ولا إلى تركيبها ، وما يشترط له من الحسن ، وهو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثواباً من الكرُسُف^(٩) ، أو ينظم عقداً من الخزف الملون .

وهذا مقام تزل عنه الأقدام ، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد ، ومن أجل ذلك كان أربابه قليلاً .

فإذا صُفِيَ الكلامُ المسجوع من الغثاة والبرد فإن وراء ذلك مطلوباً آخر ، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى ، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ ، فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مُمَوِّه ، على باطن مُشَوِّه ، ويكون مثله كغميد من ذهب على نصل من خشب . وكذلك يجري الحكم في الأنواع الباقية الآتي ذكرها من التجنيس والترصيع ، وغيرها .

وسأبين لك في هذا مثلاً تتبعه ، فأقول : إذا صَوَّرْتَ في نفسك معنى من المعاني ، ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يواتك ذلك إلا بزيادة في ذلك اللفظ ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان ، وإنما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه ، وإذا دلت بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً إلا أن تُصِيفَ إليه شيئاً آخر ، أو تنقص منه ، فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يذم من السجع ، ويُستفح ، لما فيه من التكلف والتعسف .

وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجيء في غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام ، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم ، يستعبد كرائمها ، ويستولد عقائمتها وفي مثل ذلك فليتأنس ، وعن مقامه فليتقاعس ، ولصاحبه أولى بقول أبي الطيب المتنبي^(١٠) :

(٩) الكرُسُف القطن . (١٠) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد ، ومطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجرد معك أو جرى

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا رَكِبْتَ طَرِيقَةً وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنَفْرًا (١١)
 فَإِنْ قِيلَ : فَإِذَا كَانَ السَّجْعُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَلَامِ عَلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ
 يَأْتِيَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَسْجُوعًا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، بَلْ مِنْهُ الْمَسْجُوعُ ، وَمِنْهُ غَيْرُ الْمَسْجُوعِ ؟
 قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ مَسْجُوعٌ ، حَتَّى أَنْ السُّورَةَ لَتَأْتِي جَمِيعَهَا
 مَسْجُوعَةً . وَمَا مَنَعَ أَنْ يَأْتِيَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَسْجُوعًا إِلَّا أَنَّهُ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ الْإِيْجَازِ
 وَالِاخْتِصَارِ ، وَالسَّجْعُ لَا يُؤَاتِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّ الْإِيْجَازِ وَالِاخْتِصَارِ ،
 فَتَرَكَ اسْتِعْمَالَهُ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ لِهَذَا السَّبَبِ .

وَهَاهُنَا وَجْهٌ آخَرٌ هُوَ أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ ، وَلِذَلِكَ نَبَّهْتُ أَنَّ الْمَسْجُوعَ مِنَ الْكَلَامِ أَفْضَلُ
 مِنْ غَيْرِ الْمَسْجُوعِ ، وَإِنَّمَا تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ غَيْرَ الْمَسْجُوعِ لِأَنَّ وُرُودَ غَيْرِ الْمَسْجُوعِ مُعْجَزًا
 أَبْلَغُ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ وُرُودِ الْمَسْجُوعِ . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْقِسْمَيْنِ
 جَمِيعًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلسَّجْعِ سِرًّا هُوَ خِلَاصَتُهُ الْمَطْلُوبَةُ ، فَإِنْ عَرَى الْكَلَامُ الْمَسْجُوعَ مِنْهُ فَلَا
 يَعْتَدُّ بِهِ أَصْلًا .

وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَنْبَغِ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي ، وَسَائِبِي هَاهُنَا ، وَأَقُولُ فِيهِ قَوْلًا هُوَ أَبْيَنُ مِمَّا
 تَقَدَّمَ ، وَأَمْثَلُ لَكَ مِثَالًا إِذَا حَدَّثْتَهُ أَمِنْتَ الطَّاعِنَ وَالْعَائِبَ ، وَقِيلَ فِي كَلَامِكَ : لِيَبْلُغَ
 الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

وَالَّذِي أَقُولُهُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ الْمَزْدَوَجَتَيْنِ مُشْتَمَلَةً
 عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أُخْتُهَا ، فَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى فِيهَا سَوَاءً فَذَلِكَ هُوَ
 التَّطْوِيلُ بَعَيْنُهُ ، لِأَنَّ (التَّطْوِيلَ) إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى بِالْفَاظِ يُمْكِنُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ
 بِدُونِهَا . وَإِذَا وَرَدَتْ سَجْعَتَانِ تَدْلَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا كَافِيَةً فِي الدَّلَالَةِ
 عَلَيْهِ ، وَجَلَّ كَلَامُ النَّاسِ الْمَسْجُوعِ جَارٍ عَلَيْهِ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كِتَابَةَ الْمُفْلِقِينَ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ، كَالصَّابِي وَابْنِ الْعَمِيدِ وَابْنِ عَبَّادٍ ، وَفُلَانٍ

(١١) الديوان ١٦٧/٢ وروايته « ارتكبت » موضع « ركبت » يقول : أنت في كل أمر تفعله فرد لا يقدر أحد
 أن يتبعك فيه ، كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يتبعه ، ولا أن يكون رديفًا له .

وفلان ، فإنك ترى أكثر المسجوعِ مِنْهُ كذلك ، والأقلُّ مِنْهُ على ما أشرتُ إليه .
ولقد تصفحتُ المقاماتِ الحريريَّةَ والخطبَ النَّبائيَّةَ على غرامِ الناسِ بهما وإكبابِهِم
عليها ، فوجدتُ الأكثرَ من السَّجعِ فيها على الأسلوبِ الذي أنكرتُه .

فالكلامُ المسجوعُ إذاً يحتاجُ إلى أربعِ شرائطِ :
الأولى : اختيارُ مفرداتِ الألفاظِ على الوجه الذي أشرتُ إليه فيما تقدَّم .
الثانية : اختيارُ التركيبِ على الوجه الذي أشرتُ إليه أيضاً فيما تقدَّم .
الثالثة : أن يكونَ اللفظُ في الكلامِ المسجوعِ تابعاً للمعنى ، لا المعنى تابعاً للفظ .
الرابعة : أن تكونَ كلُّ واحدةٍ من الفقرتينِ المسجوعتينِ دالةً على معنى غيرِ المعنى
الذي دلتُ عليه أختها .

فهذه أربعُ شرائطٍ لأبَدٍ منها .
وسأوردُ هاهنا من كلامي أمثلةً يُحذَى حذوها ، فإنِّي لما سلكتُ هذه الطريقَ ،
وأنتيتُ بكلامي مسجوعاً توخيتُ أن تكونَ كلُّ سجعَةٍ مِنْهُ مختصَّةً بمعنى غيرِ المعنى الذي
تضمنته أختها ، ولم أُخلِ بذلك في مكاتباتي كلها ، وإذا تأملتَها علمتَ صحَّةَ ما قد
ذكرتُه .

فمن ذلك ما كتبتُه في صدرِ كتابِ عن بعضِ الملوكِ إلى دارِ الخلافةِ ، وهو :

الخدّام واقفٌ موقفَ راجٍ هائبٍ ، لازمٌ بكتابهِ هذا وقارٌ حاضرٌ عن شخصِ
غائبٍ ، موجهٌ وجهه إلى ذلك الجنابِ الذي تُقسَمُ فيه أرزاقُ العبادِ ، ويتأدَّبُ به
الزَّمانُ تأدَّبَ ذوى الاستعبادِ ، وتستمدُّ الملوكُ من خدمته شرفَ الجدودِ ، كما تستغني
بنسبها إليه عن شرفِ الأجدادِ ، ولو ملكَ الخدّامُ نفسَه لقصَّرها على خدمةِ قصره ،
وأخطأها من النَّظرِ إليه يبردُ العيشُ الذي عمرها محسوبٌ من عُمره ، وهذا القولُ يقوله
وكلُّ ماجدٍ فيه حاسِدٍ ، ويتأمله راعٍ ساجدٍ . والديوانُ العزيزُ محسودُ الاقترابِ ، وهو
موطنُ الرَّغباتِ الذي الاغترابُ إليه ليسَ بالاغترابِ ، وما ينافسُ في القربِ من أبوابه

الكريمة إلا ذوو الهمم الكريمة ، وقد ودَّت الكواكبُ بأسرِها أن تكونَ له مُنادِمةً فضلاً
عن نَدْمانيُ جَدِيمةً» (١٢)

ومن ذلك ما كتبه من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس ، وهو :

« الكريمُ مَنْ أوجِبَ لسائِلِه حَقاً ، وجَعَلَ كواذِبَ آمالِه صِدقاً ، وكان خَرَقُ
العطايا مِنْه خُلُقاً ، ولم يَرِيبَنَّ ذِمَمِه وبيَّن رَحِمِه فَرَقاً . وكلُّ ذلك موجودٌ في كرم مولانا
أجرأه الله من فضله على وتيرة ، وجعل هِمَمِه على تمامِ كلِ نقصِ قديرة ، وأوطأه من
كلِّ مجدٍ سريراً كما بَوَّأه من كلِّ قلبِ سريرة ، ولا زالت يدهُ بالمكارمِ جَدِيمةً ، ومن الأيامِ
مُجيرةً ، ولضرائرها من البحارِ والسحابِ مُعيرةً ، ولا برحتْ تَسْتَوْلِدُ عقائِمَ المعاني .
وتستجدُّ أبنيتها ، حتى تشهدَ الناسَ منها في كلِّ يومِ عَقِيقةً أو وكيرةً (١٣) ، ومن صِفَاتِ
كرمِه أنه يسبِكُ الأموالَ مائِثراً ، ويتخذُها عندَ السُّؤالِ ذخائِراً ، فهى تَفَنى لَدَيْهِمْ
بالإنفاقِ ، وذكَّرها على مُرورِ الأيامِ باقٍ ، وَمَنْ أَرَبِحَ مِنْه صَفَقَةٌ وقد باعَ صامِتاً بناطِقَ ،
وما هو مُرَضٌّ لحواذِثِ السَّرقاتِ بما لا تَصِلُ إليه يدُ سارقٍ؟ ومثله مَنْ عَرَفَ الدُّنيا ،
فرغِبَ عن اقْتنائِها ، وجدَّ في ابتناءِ المحامدِ بهدْمِ بنائِها ، وعَلِمَ أنَّ مالها ليسَ عِنْدَ
الضَّيْنِ بهِ إلا أَحجاراً ، وأنَّ غِناءَها مِنْها لا يزيدهُ إلا افتقاراً ، فهو لِمالهِ عَبْدٌ يُخدِّمُه ولا
يَسْتخدِمُه ، وأمُّ تُرَضِّعُه بِسَعِيها ولا تَفطُمُه » :

(١٢) ندبما جذيمة ، يضرب بها المثل في طول الصحبة ، كما يضرب بالفرقدين وابن شام - جبلان في ديار
بني تميم - وتختلي حلوان ، وكان جذيمة الوضاح الملك لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وكان يقول : أنا أعظم من أن
أنادم أحداً إلا الفرقدين ، وكان يشرب كأساً ، ويصب لكل منها كأساً . فلما أتاه مالك وعقيل باين أخته عمرو ،
صاحب الطوق الذى استهوته الجن ، قال لها : ما حاجتكما ؟ قال : منادمتك ! فنادمتها أربعين سنة ، كانا
بجاذبانه ، وما أعادا عليه حديثاً قط ، حتى فرق بينهما الدهر ، وفيها يقول الشاعر :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ندبما صفاء مالك وعقيل

ويقول متمم بن نويرة في أخيه مالك وهو من الأمثال السائرة :

وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكنا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١٣) العقيقة الشاة التى تذبح عند حلق شعر المولود ، أو الطعام الذى يدعى إليه حينئذ ، والوكيرة طعام

يعمل لفراغ البنيان .

ومنه ما كتبت في جواب كتاب يتضمن إباق غلام ، وهو أول كتاب ورد من المكتوب عنه إلى المكتوب إليه ، فقلت :

« وأما الإشارة الكريمة في أمر الغلام الآبق عن الخدمة فقد يفرُّ المهر من عليقه ، ويطيّر الفراش إلى حريقه ، وغير بعيد أن ينبو به مضجعه ، أو يكبو به مطمعه ، فيرجع وقد حمد من رجوعه مادمه من ذهابه ، وعلم أن الغنيمة كل الغنيمة في إياه ، فاكل شجرة تحلو لذائقها ، ولا كل دار ترحب بطارقها ، ومن أبق عن مولاة مغاضبا ، وجانب محل إحسانه الذي لم يكن له مجانيا ، فإنه يجد من مفارقة الإحسان ما يجده من مفارقة معاهد الأوطان . وهل أضل سعيًا ممن دفع في صدر العافية ، وغدا يسأل عن الأسقام ، وألقى الثروة من يده ومضى في طلب الإعدام؟ ومع هذا فإن الخادم يشكره على ذنب الإباق الذي أقدم على اجتراحه ، وليس ذلك إلا لأنه صار سببًا لافتتاح باب المكاتبة الذي لم يطمع في افتتاحه ، ولا جزاء له عنده إلا السعي في إعادته إلى الخدمة التي تقلب في إنشائها ، وهي أبره من أمه التي تقلب في أحشائها ، ومن فضلها أنها تلقاه من حلمها بوسيلة الشافع ، ومن كرمها بالوجه الصالح والفضل الواسع » .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الأسجاع جميعها ، وأعطها حق النظر ، حتى تعلم أن كل واحدة منها تختص بمعنى ليس في أختها التي تليها . وكذلك فليكن السجع ، والأ فلا !

[من سجع الصابي]

وسأورد هاهنا من كلام الصابي ما ستره .

فمن ذلك تحميد في كتاب ، فقال (١٤) :

« الحمد لله الذي لا تدرُّكه الأعينُ بالحاظها ، ولا تحده الألسنُ بالفاظها ، ولا تخلفه العصورُ بمروها ، ولا تهزمه الدهورُ بكرورها (١٥) » .

(١٤) المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي ١٣/١ .

(١٥) اختصر ابن الأثير كلاما كثيرا ، وفي المختار « الفاعل لا عن مادة استمدها ، الصانع لا بآلة استعمالها ،

الذي لا تدرُّكه الأعين... الخ .

ثم انتهى إلى الصلاة على النبي ﷺ ، فقال : « لَمْ يَرِ لِلْكَفْرِ ^(١٦) أَثْرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَمَحَاهُ ، وَلَا رَسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَعَقَّاهُ » .

ولا فرق بين مرور العصور وكُرُورِ الدُّهُورِ . وكذلك لا فرق بين محو الأثر وعفاء الرِّسْمِ .

ومن كلامه أيضا في كتاب ، وهو ^(١٧) :

« وَقَدْ عَلِمْتَ ^(١٨) أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ لَمْ تَزَلْ عَلَى سَالِفِ الْأَيَّامِ ، وَمَتَعَابٍ ^(١٩) الْأَعْوَامِ تَعْتَلُّ طَوْرًا وَتَصْحُحُ أَطْوَارًا ، وَتَلْتَأُتُ ^(٢٠) مَرَّةً ، وَتَسْتَقِلُّ مَرَارًا ، مِنْ حَيْثُ أَصْلُهَا رَاسِخٌ لَا يَتَزَعَّزَعُ ، وَبِنِهَايَها ثَابِتٌ لَا يَتَضَعُّضِعُ » .

وهذه الأسجاعُ كلها متساوية المعاني ، فإنَّ الاعتلالَ ، والالتيابَ ، والطَّورَ ، والمَرَّةَ ، والرُّسُوحَ ، والثباتَ ، كلُّ ذلك سواءٌ .

وكذلك ورد له في جملة كتاب كتبه عن عز الدولة بن بويه جواباً عن كتاب وصله من الأمير عبد الكريم بن المطيع لله ، فقال :

« وَصَلَنِي كِتَابُهُ مَفْتَحًا مِنَ الْإِغْتِرَاءِ إِلَى إِمَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالتَّقْلُدِ لِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَعْرَفَهُ الزَّكِيَّةُ بِجَوْزَةٍ لِاسْتِمْرَارِهِ ، وَأُرُومَتُهُ الْعَلِيَّةُ مُسَوِّغَةٌ لِاسْتِقْرَارِهِ ، لَهُ وَلِكُلِّ نَجِيبٍ أَخَذَ بِحِظِّهِ مِنْ نَسَبِهِ ، وَضَارِبٍ بِسَهْمٍ فِي مَنْصِبِهِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ جَارِبًا عَلَى الْأَصُولِ الْمَعْهُودَةِ فِيهِ ، وَالْأَسْبَابِ الْعَاقِدَةِ لَهُ مِنْ إِجْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَافَّةً ، فَإِنَّ تَعَذُّرَ اجْتِمَاعِهِمْ مَعَ انبِسَاطِهِمْ فِي الْأَرْضِ ، وَانْتِشَارِهِمْ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، فَلَا بَدَّ مِنْ اتِّفَاقِ أَشْرَافِ كُلِّ قُطْرٍ وَأَفَاضِلِهِ ، وَأَعْيَانِ كُلِّ صُقْعٍ وَأَمَائِلِهِ » .

وهذا الكلام كله مماثل المعاني في أسجاعه ، فإنَّ إِمَارَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالتَّقْلُدِ لِأُمُورِ

(١٦) المختار ١٧/١ ، وفيه « . . . ولا يرى للكفر أثراً . . . الخ » .

(١٧) المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي ٢١٦/١ .

(١٨) حذف ابن الأثير بعض العبارات . وفي المختار « وقد علمت وعلم غيرك بعيان ما أدركته الأعمار . وسماع

مانقلته الأخبار . أن الدولة العباسية التي رفع الله عماد الحق بها . وخفض منار الباطل . . الخ .

(١٩) في الأصل « معاقب » والصواب عن المختار . (٢٠) تلتلت تختلط .

المسلمين سواءً في المعنى . وكذلك الأعراقُ والأرومة ، والتجويز والتسويغ ، والأشرافُ والأفاضل ، والأعيانُ والأمثال ، والقَطْرُ والصُّقْع ، كلُّ ذلك سواء .

وعلى هذا جاء كلامه في كتاب آخر ، فقال :

« يَسَافِرُ رَأْيُهُ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَنْزَحْ ، وَيَسِيرُ تَدْبِيرُهُ وَهُوَ ثَائٍ لَمْ يَبْرَحْ » .
وكِلَا هَذَيْنِ سَوَاءٌ أَيْضاً . وما أَحْسَنَ هَذَا الْمَعْنَى لَوْ قَالَ : « يُسَافِرُ رَأْيُهُ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَبْرَحْ ، وَيُثَخِّنُ الْجِرَاحَ فِي عَدُوِّهِ وَسَيْفُهُ فِي الْغِمْدِ لَمْ يَجْرَحْ » . فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ مِثْلَ هَذَا سَلِمَ مِنْ هُجْنَةِ التَّكْرَارِ .

وأمثالُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الصَّابِي كَثِيرٌ ، وَعَلَى مِثَالِهِ نَسَجَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ

[من سجع الصاحب بن عباد]

فمن ذلك ما ذكره في وصف مهزومين ، فقال :

« طَارُوا وَاقِينَ بظهورهم صُدُورَهُمْ ، وَبأصْلَابِهِمْ نُحُورَهُمْ » .
وكِلَا الْمَعْنِيَيْنِ سَوَاءٌ .

وكذلك قوله في هذا الكتاب يصف ضيق مجال الحرب :

« مَكَانٌ ضَنْكٌ عَلَى الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ ، ضَيْقٌ عَلَى الرَّامِحِ وَالنَّابِلِ (٢١) »

ومن كلامه في كتاب وهو :

« لَا تَتَوَجَّهُ هِمَّتُهُ إِلَى أَعْظَمِ مَرْقُوبٍ إِلَّا طَاعَ وَدَانَ ، وَلَا تَمْتَدَّ عَزِيمَتُهُ إِلَى أَفْخَمِ مَطْلُوبٍ إِلَّا كَانَ وَاسْتَكَانَ » .

وكلُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ .

وله من كتاب ، وهو :

« وَصَلَ كِتَابُهُ جَامِعاً مِنَ الْفَوَائِدِ أَشَدَّهَا لِلشُّكْرِ اسْتِحْقَاقًا ، وَأَتَمَّهَا لِلْحَمْدِ اسْتِعْرَاقًا

(٢١) الرامح ذو الرمح . والنابل الذي يرمى بالنبل .

وتَعَرَّفْتُ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ فِيهَا وَقَرَهُ مِنْ سَلَامَتِهِ ، وَهُنَا مِنْ كَرَامَتِهِ ، أَنْفَسَ مُوْهُوبٍ وَمَطْلُوبٍ ، وَأَحْمَدَ مَرْقُوبٍ وَمَخْطُوبٍ .» .

وهذا كله مماثل المعاني ، متشابه الألفاظ .

وفيها أوردته هاهنا مُقْنَعٍ .

فَأَنعِمُ نَظْرَكَ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ فِيهَا بَيِّنَتُهُ لَكَ ، وَوَضَعْتُ يَدَكَ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَعْلَمَ كَيْفَ تَأْتِي بِالْمَعَانِي فِي الْأَلْفَاظِ الْمَسْجُوعَةِ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّكَ اشْتَرَطْتَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفِقْرَتَيْنِ فِي الْكَلَامِ الْمَسْجُوعِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَحْتَهَا ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطْتَ هَذِهِ الشَّرِيطَةَ فِرَارًا مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنِيَانِ شَيْئًا وَاحِدًا ، وَنَرَى قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَفْظَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي آخِرِ إِحْدَى الْفِقْرَتَيْنِ الْمَسْجُوعَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٢٢) » . وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ ؟ !

قلتُ في الجوابِ : لَيْسَ هَذَا كَالَّذِي اشْتَرَطْتَهُ أَنَا فِي اخْتِصَاصِ كُلِّ فِقْرَةٍ بِمَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اخْتِصَّتْ بِهِ أَحْتَهَا ، وَإِنَّمَا هَذَا هُوَ إِيرَادُ لَفْظَتَيْنِ فِي آخِرِ إِحْدَى الْفِقْرَتَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ ، لِمَكَانِ طَلَبِ السَّجْعِ .

أَلَا تَرَى أَنْ أَكْثَرَ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي هِيَ سُورَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَسْجُوعَةٌ عَلَى حَرْفِ الْبَاءِ ، وَهَذَا يَجُوزُ لِصَاحِبِ السَّجْعِ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ، وَهُوَ بِخِلَافِ مَا ذَكَرْتَهُ أَنَا ؟ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَيَّرَ اللَّفْظَةَ عَنْ وَضْعِهَا طَلَبًا لِلْسَّجْعِ ، فَقَالَ « مَأْزُورَاتٌ » وَإِنَّمَا هِيَ « مَوْزُورَاتٌ » ؟ وَقَالَ : « الْعَيْنُ اللَّامَّةُ » وَإِنَّمَا هِيَ « الْمِلْمَّةُ » ؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ مَعْنَى ، بَلْ يُفْهَمُ مِنْ لَفْظَةِ « مَأْزُورَاتٌ » أَنَّهَا قَائِمَةٌ مَقَامَ « مَوْزُورَاتٌ » ، وَكَذَلِكَ يُفْهَمُ مِنْ لَفْظَةِ « اللَّامَّةُ » أَنَّهَا بِمَعْنَى « الْمِلْمَّةُ » ؟

فَالسَّجْعُ قَدْ أُجِيزَ مَعَهُ تَغْيِيرُ وَضْعِ اللَّفْظَةِ ، وَأُجِيزَ مَعَهُ أَنْ يُورَدَ لَفْظَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي آخِرِ إِحْدَى الْفِقْرَتَيْنِ . وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُجْزَ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَنْ يُورَدَ فِقْرَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، لِأَنَّهُ تَطْوِيلٌ مَحْضٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ .

وَبَيْنَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ أَنْتَ وَبَيْنَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ أَنَا فَرْقٌ ظَاهِرٌ .

وَالَّذِي قَدَّمْتُهُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْمَسْجُوعَةِ لِلصَّابِي وَالصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ رَمَّا كَانَتْ يَسِيرَةً
أَتَمَّهُمْ فِيهَا بِالْتَعَصُّبِ ، وَيُقَالُ إِنِّي التَّقَطُّطُهَا التَّقَاطُطًا مِنْ جُمْلَةِ رَسَائِلِهَا !

وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ عَهْدَةِ هَذِهِ التَّهْمَةِ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَجَدْتُ لِلصَّابِي تَقْلِيدًا بِنَقَابَةِ
الْأَشْرَافِ الْعَلَوِيِّينَ بِيَعْدَادٍ ، وَكَانَتْ أَنْشَأْتُ تَقْلِيدًا بِنَقَابَةِ الْأَشْرَافِ الْعَلَوِيِّينَ بِالْمَوْصِلِ ،
وَقَدْ أُوْرِدَتْ التَّقْلِيدَتَيْنِ هَاهُنَا ، لِيَتَأَمَّلَهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا ، وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا إِنْ كَانَ
عَارِفًا ، أَوْ يَسْأَلُ عَنْهَا الْعَارِفَ إِنْ كَانَ مُقَلِّدًا .

[تَقْلِيدُ الصَّابِي] .

وَقَدْ أُوْرِدَتْ تَقْلِيدَ الصَّابِي أَوْلَا ، لِأَنَّهُ الْمَقْدَمُ زَمَانًا وَفَضْلًا ، وَهُوَ :
« هَذَا مَا عَهَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ الْمَوْسَوِيِّ حِينَ
وَصَلَّتْهُ بِهِ الْأَنْسَابُ ، وَتَأَكَّدَتْ لَهُ الْأَسْبَابُ ، وَظَهَرَتْ دَلَائِلُ عَقْلِهِ وَكِبَائِيَّتِهِ ،
وَوَضَّحَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ وَنَجَابَتِهِ . وَمَهَّدَتْ لَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَضِيَاءُ الْمَلَةِ أَبُو نَصْرِ بْنِ عَضَدِ
الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمَلَّةِ ، مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَكَّنَ لَهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَحَلِّ الْمَكِينِ ،
وَوَصَفَتْهُ بِهِ مِنَ الْحِلْمِ الرَّزِينِ ، وَأَشَارَ بِهِ فِيهِ مِنْ رَفْعِ الْمَنْزَلَةِ ، وَتَقْدِيمِ الْمَرْتَبَةِ
وَالتَّأْهِيلِ لَوْلَايَةِ الْأَعْمَالِ ، وَالْحَمَلِ لِلْأَعْبَاءِ الثَّقَالِ ، وَحَيْثُ رَغِبَ فِيهِ سَابِقَةُ الْحُسَيْنِ
أَبِيهِ فِي الْخِدْمَةِ وَالتَّصِيْحَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْحَمُودَةِ ، وَالْمَقَامَاتِ الْمَشْهُودَةِ ، الَّتِي طَابَتْ بِهَا
أَخْبَارُهُ ، وَحَسُنَتْ فِيهَا آثَارُهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ مَتَخَلِّقًا بِخَلَائِقِهِ ، وَذَاهِبًا فِي طَرَائِقِهِ ،
عِلْمًا وَدِيَانَةً ، وَوَرَعًا وَصِيَانَةً ، وَعَقَّةً وَأَمَانَةً ، وَشَهَامَةً وَصِرَامَةً ، بِالْحِظِّ الْجَزِيلِ مِنْ
الْفَضْلِ الْجَمِيلِ ، وَالْأَدَبِ الْجَزْلِ ، وَالتَّوَجُّهِ فِي الْأَهْلِ ، وَالْإِيْفَاءِ بِالْمُنَاقِبِ عَلَى لِدَائِهِ
وَأَتْرَابِهِ ، وَالْإِبْرَارِ عَلَى قَرَائِبِهِ وَأَضْرَابِهِ ، فَقَلَدَهُ مَا كَانَ دَاخِلًا فِي أَعْمَالِ أَبِيهِ مِنْ نِقَابَةِ
نُقَبَاءِ الطَّالِبِينَ أَجْمَعِينَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالْأَمْصَارِ ، شَرْقًا وَغَرْبًا ،
وَبُعْدًا وَقُرْبًا . وَاخْتَصَّهُ ذَلِكَ جَدْبًا بِصَنْعِهِ ، وَإِنَافَةً بِقَدْرِهِ ، وَقَضَاءً لِحَقِّ رَحْمِهِ ،
وَتَرْفِيهَا لِأَبِيهِ ، وَإِسْعَافًا لَهُ ، بِإِيثارِهِ فِيهِ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتِخْلَافَهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي
الْمِظَالِمِ ، وَتَسْيِيرِ الْحَجِيجِ فِي الْمَوَاسِمِ . وَاللَّهُ يُعَقِّبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَمَرَ وَدَبَّرَ حُسْنَ

العاقبة فيما قضى وأمضى . وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل ، وإليه يُنِيب
وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسناء الصالحين ، وعصمة عباد الله
أجمعين ، وأن يعتقدها سراً وجهراً ، ويعتمدها قولاً وفِعْلاً ، يأخذُ بها ويُعطى ،
ويُسْر بها وينوي ، ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ، فإنها السبب المتين ، والمعقل
الحصين ، والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المُفضى إلى دار الثواب . وقد
حَضَّ اللهُ أوليائه عليها ، وهداهم في محكم كتابه إليها ، فقال عز من قائل :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٢٣) » .

وأمره بتلاوة كتاب الله . مواظباً ، وتصفحهِ مداوماً ملازمًا ، والرجوع إلى
أحكامه فيما أحل وحرّم ، ونقض وأبرم ، وأثاب وعاقب ، وبعَدَ وقارب . فقد
صحَّ اللهُ برهانه وحجته ، وأوضح منهاجَه ومَحَجَّتَه ، وجعله نجماً في الظلمات
طالعا ، ونوراً في المُشكلاتِ ساطعاً ، فمن أخذَ به نجا وسلم ، ومن عدلَ عنه
هوى وندم . قال اللهُ تعالى : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ » لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا
من خلفه تنزِيلٌ من حكيم حميد (٢٤) .

وأمره تنزيه نفسه عما تدعو إليه الشبهات ، وتطلع إليه التبعات ، وأن يضبطها
ضبط الحليم ، ويكفها كف الحكيم ، ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتمييزه أمراً ناهياً لها
ولا يجعل لها عُذراً إلى صَبوة ولا هَفوة ، ولا يطلق منها عِناناً عند ثورة ولا فورة ،
فإنها أمانة بالسوء ، مُنصبة إلى الغي ، فمن رَفَضها نجا ، ومن اتبَعها هوى . فالحازم
متهم عند تحركِ وطره وأربه ، واحتياج غيظه ، ولا بدع أن يغضها بالشكيم ،
ويعركها عرك الأديم ويقودها إلى مصالِحها بالخزائم ، ويفتقدَها من مُقارفة المآثم
والمحارم ، كما يعز بتذليلها وتأديبها ويجل ، برياضها وتقويمها ، والمفرطُ تطمح به إذا
طمحت ، ويجمعُ معها إذا جمحت ، ولا يلبث أن تُورده حيث لا يُصدّر ، وتلجته
إلى أن يعتذر ، وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتنكب به سبيل الراشد السالم .

(٢٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٢٤) سورة فصلت : الآيات ٤١ ، ٤٢ .

وأحقُّ مَنْ تحلى بالمحاسن ، وتصدَّى لاكتسابِ المحامدِ من ضربَ بمثلِ سهمه في نسبِ أميرِ المؤمنينَ الشريفِ ، ومنصبه المنيفِ ، واجتمع معه في ذُؤابة العِترَةِ الطَّاهرةِ ، واستظلَّ بأوراقِ الدَّوحةِ الفَاخِرةِ ، فذلكَ الذي تتضاعفُ به المآثرُ إن آثرها . والمثالبُ إنَّ أسفَّ إليها . ولا سبَّاً من كان مندوباً بالسياسةِ ، ومرشَّحاً للتقليدِ على أهله ، إذ ليسَ يَفِي بالصَّلاحِ لمن ولىَ عليه ، ولا يَفِي بإصلاحِ مابينِ جنبيهِ . ومن أعظمِ الهُجْنَةِ عليه أن يأمرَ ولا يَأْتِمِرَ ، ويَزُجِرَ ولا يَزِدْجِرَ ، قال اللهُ تعالى ذِكْرُه : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٢٥) » .

وأمرُه أن يتصفَّحَ أحوالَ مَنْ ولىَ عليهم ، من استقراءِ مذاهبيهم ، والبحثِ عنِ بواطنهم ودخائلهم ، وأن يعرفَ لمن تقدمتْ قدمُه منهم وتظاهرَ فضلهُ فيهم منزلتهُ ، ويوفيه حقه وزينتهُ ، وينتهى في إكرامِ جماعتهم إلى الحدودِ التي تُوجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم ، فإنَّ ذلكَ يلزمُه لِشَيْئَيْنِ : أحدهما يَخْصُه ، وهو النسبُ الذي بينه وبينهم .

والآخرُ يعمُّه والمسلمينَ جميعاً ، وهو قولُ الله جلَّ ذِكْرُه : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » (٢٦) . فالموَدَّةُ لهم الإِعْظَامُ لأكابرهم ، والاشْتِئَالُ على أصاغرهم واجبٌ متضاعفٌ الوجوبِ عليه ، متأكدُ اللزومِ له ، ومن كان منهم في دونِ تلكَ الطبقةِ من أحداثٍ لم يَحْتَنِكُوا عليه ؛ وَجَدَعَانِ لَمْ يَقْرَحُوا ، ومُجْرِينَ إِلَى مَا يُزْرَى بِأَنْسَابِهِمْ ، وَيَغْضُ مِنْ أَحْسَابِهِمْ عَدْلَهُمْ ، وَأَنْبَهُمْ ، وَنَهَايَهُمْ ، وَوَعظُهُمْ ، فَإِنْ نَزَعُوا وَأَقْلَعُوا فَذَلِكَ الْمَرَادُ بِهِمْ ، وَالْمَقْصِدُ فِيهِمْ ، وَإِنْ أَصْرُوا وَتَتَابَعُوا أَنَالَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِقَدْرِ مَا يَكْفُ وَيُرْدَعُ ، فَإِنْ نَفَعُوا وَإِلَّا تَجَاوَزَهُ إِلَى مَا يَلْدَعُ وَيُوجِعُ ، مِنْ غَيْرِ تَطَرُّقٍ لِأَعْرَاضِهِمْ ، وَلَا امْتِهَانٍ لِأَحْسَابِهِمْ ، فَإِنَّ الْغُرْضَ مِنْهُمْ الصِّيَانَةَ لَا الْإِهَانَةَ ، وَالْإِدَالَةَ لَا الْإِذَالَهَ . وَإِذَا وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الْحُقُوقُ ، أَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِمْ دَوَاعِي الْخُصُومِ فَادَّعَتْهُمْ إِلَى الْإِغْفَاءِ بِمَا يَصِحُّ مِنْهَا وَيَجِبُ ، وَالخُرُوجِ إِلَى سِنَنِ الْحَقِّ فِيمَا يَشْتَبِهُ وَيَلْتَبِسُ . وَمَتَى لَزِمَتْهُمْ الْحُدُودُ أَقَامَهَا عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا ، بَعْدَ أَنْ تُثَبَّتَ الْجَرَائِمُ وَتَصَحَّ . وَتَبَيَّنَ وَتَضَحَّ ، وَتَعَجَّرَدَ .

(٢٥) سورة البقرة: الآية ٤٤ . (٢٦) سورة الشورى: الآية ٢٢ .

عن الشك ، وتنجلي من الظن والتهمة ، فإن الذي يستحب في حدود الله عز وجل أن تدرأ مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تمضى عليهم مع قيام الدليل والبينة . قال الله عز وجل « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (٢٧) .

وأمره بجياطة أهل النسب الأطهر ، والشرف لإفخر عن أن يدعيه الأذعياء ، أو يدخل فيه الدخلاء ، ومن انتمى إليه كاذباً ، أو انتحل به باطلاً ، ولم يوجد له بيت في الشجرة ، ولا مصادق عند النسابين المهرة ، أوقع به كذبه وفسقه ، وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه ، ويزع بها غيره ممن تسول له ذلك نفسه .

وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفواً لها في شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلاً لها مساوياً ، ونظيراً موازياً ، فقد قال الله تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (٢٨) وأمره بمراعاة متبلى أهله ومتجديهم ، وصلحاتهم ومجاورهم ، وأراميلهم وأصاغيرهم ، حتى تستد الخلة من أحوالهم ، وتدبر الموادع عليهم ، وتتعدل أقساطهم فيما يصل إليهم من وجوه أموالهم ؛ وأن يزوج الأيامى ، ويرى اليتامى ، وليزومهم المكاتب ، فيتلقوا القرآن ، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان ، ويتأدبوا بالآداب اللائقة بدوى الأحساب ، فإن شرف الأعراق محتاج إلى شرف الأخلاق ، ولا حمد لمن شرفه حسبه ، وسخف أدبه ، إذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل بفضل سعي ، ولا طلب ولا اجتهاد ، بل يصنع الله تعالى ، ومزيد المنه عليه ، وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية ، والاعتداد بما فيها من المزية ، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب ، والترفع عن الرذائل والمثالب .

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر ، والأخذ للمظلوم من الظالم ، وأن يجلس للمترافعين إليه جلوساً عاماً ، ويتأمل كلامهم تأملاً تاماً ، فما كان منها متعلقاً بالحاكم دره إليه ليحمل الخصوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم والتغلب والغضب قبض عنه اليد المبطلة ، وتبت

فيه اليد المستحقّة، وتحجّرى في قضاياها أن تكون موافقة للعدل، ومجانبة للخذل، فإن عادة الحكام وصاحب المظالم واحدة، وهى إقامة الحقّ ونصرتّه، وإبانتّه وإثارته، وإنما يختلف سبيلهما في النظر إذا كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر، وصاحب المظالم يفحص عمّا غمض واستتر، وليس له مع ذلك أن يردّ للحاكم حكومة، ولا يعلّ له قضية، ولا يتعقب ما يُنفذه ويمضيه، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه، والله يهديه ويوفّقه، ويسدّده ويُرشّده.

وأمره أن يسير حجيج بيت الله عزّ وجلّ إلى مقصدِهِمْ، ويخيمهم في بلداتهم وعودتهم، ويرتبهم في مسيرهم ومسلكهم، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم، حتى لا تنالهم شدة، ولا تصل إليهم مضرّة، وأن يُريحهم في المنازل، ويوردهم المناهل، ويأوب بينهم في النهل والعلل، ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء، مُجتهداً في الصيانة لهم، ومُعذراً في الذبّ عنهم، وملوماً على متأخرهم ومُتخلفهم، ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم، فإنهم حجاج بيت الله الحرام. وزوّار قبر رسوله ﷺ: قد هجروا الأهل والأوطان، وفارقوا الجيرة والإخوان، وتشموا المغارم الثقال، وتعسفوا السهولة والجبال، يلبون دعاء الله، ويُطيعون أمره. ويؤدون قرضه، ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم أن يحرسهم متبرعاً، ويحوظهم متطوعاً. فكيف من تولى ذلك وضمّنه، وتقلده واعتقبه؟ قال الله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» (٢٩)

وأمره أن يراعى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها، وأن يجي أموال وقفها، ويستقصى جميع حقوقها، وأن يلمّ شعنها، ويسدّ خللاً بما يتحصل من هذه الوجوه قبله، لا يُزيل رسماً جرى، ولا ينقص عادة كانت لها، وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يمرّه منها، ويدكر اسمه بعده، بأن عمارتها جرت على يده، وصلاح أداؤه قول أمير المؤمنين في ذلك، تنوياً باسمه، وإشادة لذكّره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته، وظهرت عفته وصيانته، فقد قال الله جلّ من قائل: «إنما

يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ
فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (٣٠)

وأمره أن يَسْتَخْلِفَ على ما يرى استخلافه عليه من هذه الأعمال في الأمصار الدانية
والنائية، والبلاد القريبة والبعيدة مَنْ يَتَّقُ به مِنْ صَلَحَاءِ الرِّجَالِ ذَوِي الْوَفَاءِ
والاستقلال، وَأَنْ يَعْهَدَ إِلَيْهِمْ مِثْلَ مَا عْهَدَ إِلَيْهِ، ويعتمد عليهم مثل ما اعتمد عليه،
وَيَسْتَقْصِي فِي ذَلِكَ آثَارَهُمْ، ويتعرف أخبارهم، فمن وجدته محموداً قريبه، ومن
وجدته مذموماً صرفه ولم يمهله، واعتاض مَنْ تُرْجَى الأمانة عنده، وتكون الثقة
معهودة منه، وَأَنْ يَخْتَارَ لِكِتَابَتِهِ وَحِجَابَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا قُرْبَ مَنْهُ وَبَعْدَ عَنْهُ مَنْ يَزِينُهُ وَلَا
يَشِينُهُ، وينصح له ولا يغشه، وَيُجَمِّلُهُ وَلَا يُهَجِّنُهُ، من الطبقة المعروفة باللطف،
الْمُتَّصِنَةُ عَنِ النَّطْفِ (٣١)، ويجعل لهم من الأرزاق الكافية والأجرة الوافية ما يصددهم
عن المكاسب الذميمة، والمآكل الوحيمة. فليس تجب عليهم الحجة إلا مع إعطاء
الحاجة، قال الله تعالى: « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَىٰ * ثُمَّ
يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَىٰ » (٣٢)

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِمَنْ تَقَوْمَ بَيْنَتَهُ عِنْدَهُ، وتكشف له حُجَّتَهُ إِلَى أَصْحَابِ الْمَعَارِفِ
بِالشَّدِّ عَلَى يَدِهِ، واتصال حقه إليه، وَحَسْمِ الطَّمَعِ الْكَاذِبِ فِيهِ، وَقَبْضِ الْيَدِ الظَّالِمَةِ
عَنْهُ، إِذْ هُمْ مَنْدُوبُونَ لِلتَّصَرُّفِ بَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، والوقوف عند رسمه وحده.
وهذا عهد أمير المؤمنين إليك، وَحُجَّتُهُ لَكَ وَعَلَيْكَ، قد أبان منه سبيلك، وَأَوْضَحَ
دَلِيلَكَ، وَهَدَاكَ لِرُشْدِكَ. وَجَعَلَكَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ أَمْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ، وَلَا تَخَالَفْهُ. وَأَنْتَ
إِلَيْهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ، وَإِنْ عَرَّضَ لَكَ عَارِضٌ يُعْجِزُكَ الْوَفَاءُ بِهِ، وَيَسْتَبِيهِ عَلَيْكَ الْخُرُوجُ
مِنْهُ أَنْهَيْتَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُبَادِرًا، وكنْتَ إِلَى مَا يَأْمُرُكَ بِهِ صَائِرًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٣٠) سورة التوبة : الآية ١٨ .

(٣١) يقال نطف أى اتهم بريية ونلطف بعبب وفسد، ويقال نطف فلانا فذفه بفجور أو لطفه بعبب .

(٣٢) سورة النجم : الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

[التقليد بأسلوب ابن الأثير]

وأما التقليد الذي أنشأته أنا فقد أوردته بعد هذا التقليد ، وهو :
 « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ كُلَّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمٌ ، وَكُلُّ كِتَابٍ لَا يُرْقَمُ
 بِاسْمِهِ فَلَيْسَ بِمُعْلَمٍ ، وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ حَمْدَهُ يَنْتَزَلُ مِنَ الْكَلَامِ مَنْزِلَةَ الْأَعْضَاءِ مِنَ
 الْأَجْسَامِ ، وَاسْمُهُ يَنْتَزَلُ مِنَ الْكِتَابِ مَنْزِلَةَ الرَّقُومِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَقَدْ جَمَعْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا
 بَيْنَ التَّسْمِيَةِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَجَعَلْنَا إِحْدَاهُمَا مِفْتَاحًا لِلتَّيْمَنِ ، وَالْآخَرَ سَبِيًّا لِلزَّمِيدِ ، ثُمَّ
 رَدَفْنَاهُمَا بِالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَيْدَهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَجَعَلَ شَهَادَتَهُ قَبْلَ كُلِّ
 شَهِيدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ .
 وَمَا يَقْتَرِنُ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ فِي ثَوَابِهَا ، وَيَجِيءُ عَلَى أَعْقَابِهَا النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْأُسْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي
 وَصَلَ وَوَدَّهَا بَوْدُهُ ، وَجَعَلَهَا إِحْدَى الثَّقَلَيْنِ الْمَخْلُوفِينَ مِنْ بَعْدِهِ (٣٣) . وَقَدْ تَقَادَمَ الْآنَ
 زَمَانُهَا . وَتَشَعَّبَتْ أَغْصَانُهَا ، وَنُسِيَ مَالُهَا فِي الرَّقَابِ مِنْ عَهْدَةِ الْأَمَانَةِ ، وَلَمْ تَوْضَعْ فِيهَا
 وَضَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْمَكَانَةِ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَا مِنْ أَضْمَرٍ وَلَا عَاهَا حَقًّا ،
 وَأَوْجَبَ أَنْ يَرِدَ مَعَهَا الْحَوْضُ حِينَ يُقَالُ لَوَارِدِهِ سُحْقًا ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْهَا بَارًّا
 رَفِيقًا ، حَتَّى لَا يَسْأَلَهُ بَرًّا وَلَا رَفِيقًا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَفُوزَ بِفَضِيلَةِ هَذِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَنْ يَسْبِقَ
 إِلَيْهَا سَبْقَ الْمُتَقَرَّبِ فِي الْجُمُعَةِ بِيَدِنَا .

ومن أهم أمورها أن يختار لها زعيمٌ يرأفُ بها رأفةَ الوالدِ بولده ، ويقومُ بأمرها قيامَ
 الرأسِ بجسده ، حتى تأتلفَ أصولُها كُلُّها في مفرسها ، ولا يحكم عليها من ليسَ من
 أنفسها . وقد اخترنا لها مَنْ وَفَّقْنَا فِي اخْتِيَارِهِ ، وَأَخَذْنَا فِيهِ بَيَانَ الرَّأْيِ وَحَزْمِهِ ، لَا بِشِبْهِةِ
 الْهَوَى وَاغْتِرَارِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَثِقُوا لَكَانَ اسْتِحْقَاقُهَا لَنَا بَيْنًا ، وَالتَّعْوِيلُ
 عَلَيْهِ تَعْيِيًّا ، فَكَيْفَ وَقَدَمُهُ فِيهَا قَدِيمَةُ الْمِيلَادِ ، وَوَرَائَتُهُ إِيَّاهَا عَنْ سِيَادَةِ الْجُدُودِ سُودُودِ
 الْأَجْدَادِ ، وَهُوَ أَنْتَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ الشَّرِيفُ الْحَسِيبُ النَّسِيبُ : « فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ

(٣٣) روى عن النبي ﷺ أنه قال في آخر عمره : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » قالوا : وسأها
 ثقلين إعظاماً لقدرها ، لأن العرب تقول لكل شيء نفيس مصون ثقل ، وأصله في بيض النعام الصون ، ويقال
 للسيد العزيز ثقل .

الحُسَيْنِيَّ» ولو شِئْنَا لَأَسْنَدْنَا هذه النسبةَ كَابِرًا عن كَابِرٍ ، وَنَضَدْنَاهَا آخِرًا بَعْدَ أَوَّلٍ عَن أَوَّلٍ قَبْلَ آخِرٍ ، حَتَّى وَصَلْنَا هَذَا الْفَرْعَ بِشَجَرَتِهِ الطَّيْبَةِ ، وَهَذَا الْقَطْرُ بِسَحَابَتِهِ الصَّيْبَةِ وَشَرَفُ الْأَنْسَابِ أَصْدَقُهُ مَا كَانَ الدَّهْرُ بِهِ شَهِيدًا ، وَأَجْدُهُ مَا كَانَ قَدِيمًا ، وَأَخْلَقَهُ مَا كَانَ جَدِيدًا ، وَمَا تَوَلَّى الرُّوحَ الْأَمِينُ مَدْحَهُ قَرَأْنَا أَكْرَمُ مِمَّا تَوَلَّى الشُّعْرَاءُ مَدْحَهُ قَصِيدًا ، وَلَا فَضْلَ لِلْمَعْتَرِي إِلَى هَذَا النَّسَبِ حَتَّى تَلْحَقَ الْبِنُوءَ بِالْأَبُوءَ ، وَيُضَيَّفَ دَرَجَةَ الْفَضِيلَةِ إِلَى مَحْتَدِ النَّبُوءَةِ ، وَحَيْثُذِي يُقَالُ : مَا أَقْرَبَ الشَّبَهَ عَلَى قَدَمِ عَهْدِهِ ، وَهَذَا مَاءُ الْوَرْدِ بَعْدَ ذَهَابِ وَرْدِهِ .

وَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي تَرَدَّدَ الشَّرْفُ فِي مَنْاسِبِهِ ، تَرَدَّدَ الْقَمَرُ فِي مَنَازِلِهِ ، وَزَهَا الْمَجْدُ بِمَنَاقِبِهِ زَهْوُ الرُّوضِ فِي خَمَائِلِهِ ، فَلَا لِيُحِ حَسَبِكَ تُغْنِيكَ عَن سُؤَالِ مَنْ وَمَا ، وَتَمَلَأُ بِوَدِّكَ وَحَمْدِكَ قَلْبًا وَقَمًّا . وَالْحَسْبُ مَا حَفِظْتَ أَوْ آخِرُهُ أَوَائِلُهُ ؛ وَأَوْضَحْتَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ دَلَالَتَهُ ، وَأَقْرَبْتَ بِهِ الْأَعْدَاءَ فَمَا رَدَّتْ فُضَائِلُهُ . وَهَذِهِ هِيَ الْمَآثِرُ الَّتِي إِذَا نَظَّمْتَ غَارَاتِ الشُّعْرَاءُ عَلَيْهَا مِنَ الشُّعْرِ ، وَإِذَا نَثَرْتَ وَجِدْتَ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ ، وَأَنْتَ صَاحِبُهَا وَابْنُ صَاحِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ يَرِثْهَا عَن أَبَاعِدِهَا بَلْ عَن أَقَارِبِهَا ، وَلَوْ جَانَبَتْ رِيَاسَتَهَا مُصَانَعًا ، وَمَشَيْتَ بِهَا الضَّرَاءَ مُتَوَاضِعًا ، لَدَلَّ عَلَيْكَ وَضْفُهَا ، وَعُرِفَ مِنْكَ عَرْفُهَا . وَلَوْ قَلَدْنَاكَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الطَّاهِرَةِ الَّتِي هِيَ أَسْرَتُكَ ، وَأَمْرُنَاكَ عَلَيْهَا ، وَأَمْرُتُهَا إِمْرُتُكَ ، فَتَوَلَّيْنَا تَوَلَّى مَنْ خَفِضَ لَهَا جَنَاحَهُ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا سَمَاحَهُ ، وَأَنْضَى فِيهَا غَدُوهُ وَرَوَاحَهُ ، حَتَّى يُقَالَ إِنَّكَ الرَّاعِي الَّذِي تَنَاوَلَ ثُلُثَهُ ، فَأَرَاخَ حَسِيرَهَا ، وَجَبَرَ كَسِيرَهَا ، وَازْتَادَ لَهَا خِصْبًا ، وَأَوْرَدَهَا رَفْهًا لِأَغْيَا ، وَأَذْكَى فِي كَلَاءَتِهَا عَيْنًا وَقَلْبًا .

وَمِنْ حَقِّهَا عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى ذَاتِ شَهَالِهَا ، وَذَاتِ يَمِينِهَا ، وَتَتَصَفَّحَ أَحْوَالَهَا فِي أَمْرِ دُنْيَاهَا وَدِينِهَا ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَهَا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي فِي تَعْلِيمِهِ نَهْجُ الصَّوَابِ ، وَفِي تِلَاوَتِهِ مُضَاعَفَةُ حَسَنَاتِ الثَّوَابِ ، وَقَدْ مَثَّلَ قَارِنَهُ بِالْبَيْتِ الْعَامِرِ ، وَتَارِكُهُ بِالْبَيْتِ الْخَرَابِ . وَهُوَ كِتَابٌ اِمْتَنَازٌ عَنِ الْكُتُبِ بِنُجُومِ التَّنْزِيلِ ، وَتَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَافْتَتَحَهُ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي الَّتِي لَمْ يَنْزَلْ مِثْلَهَا فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ . وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ النُّورُ الْمُسْتَضَاءُ بِهِ فِي غِيَابَةِ الظُّلْمَاءِ ، وَالْحَبْلُ الْمَمْدُودُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ

والبحرُ الذى لا يستخرج لؤلؤه ومرجانه إلا الراسخون من العلماء .

وكذلك فخذُ هذه الأسرة بتعليم الفضائل التى تتفاوتُ بها القيم ، وسُنها بريضة الآداب وتهذيب الشيم ، ولا تركها فوضى لا يتسم أحدها بِسمةِ القدرِ المُنيف ؛ ولا يرجع إلى حسب تليدٍ ، ولا إلى سعى طريف ، وتكون غاية ما عنده من الفضيلة أن يُقال فلانُ الشريف .

ومن حفظِ رسولِ الله ﷺ فيها أن تُوفى فضلَ مكانها ، وتحالفَ بين شأنِ غيرها من المسلمين وبينَ شأنها ، فلا تبدلُ بمجالسِ الولاية فى انتزاعِ ظلامة ، ولا فى إقامة حدٍ يُسلبُ معه رداءُ الكرامة ، وأنت تتولى ذلكَ منها ، فما وجبَ عليها من حقٍ فخذها باقتضائه ، وأمضِ فيها حكمَ الله الذى أمرَ بِأَمْضائِهِ . وليكن ذلكَ على وجهِ الرفق الذى يُسلس له القياد ، ويتوطأ له المهاد ، وإن أمكنك افتدأُ شئ من هذه الظلماتِ التى تتوجهَ عليها ففاد ، وقد أتمَّ الله فضلها بمنعِ كرائمها إلا من كفاءٍ لا دناءةَ فى عنصره ، ولا غضاضةَ فى مخبره ، وهو الذى إن فاته شرفُ النبوةِ فى مغرسه فلم يقمته شرفُ النباهةِ فى معشره ، وإذا تباينتِ الأقدارُ فلا فرقَ بين المناكحِ المخطوبة ، وبين الأسلابِ المسلوبة .

فاحفظ لأسرتك حرمةَ هذه المنزلة ، واجعلها فى كتابِ الوصايا التى وصيتَ بها مكانَ البسمة .

وكما أمرناك بالنظرِ فى صونِ أقدارها ، فكذلك نأمرُك بالنظرِ فى حفظِ مادَّةِ درهمها ودينارها . وقد علمتَ أن لها أوقافا وقفها قوم فحظوا بأجرها واسمها ، وستحظى أنت بالعدلِ فى قسمها ، فأجرِ على كلِّ منها رزقه ، وأعطِ كلَّ ذى حقِّ حقه .

وفى الناسِ طائفةٌ أدياءُ يرومون إلحاقَ الرأسِ بالذئبِ ، والتبغِ بالغربِ (٣٤) ويلحقون أبا لغيرِ ابنٍ ، وابناً لغيرِ أب . كلُّ ذلكَ رغبةٌ فى سُحتِ (٣٥) يأكلونه ، لا فى

(٣٤) التبغ شجر للقسى وللشهام ينبت فى قلة الجبل ، والنابت منه فى السفح الشريان ، وفى الحضيض الشوخط ، ويقال أصابه سهم غرب أى لا يدرى راميه .

(٣٥) السحت هو كل حرام قبيح الذكر ، أو ماخبت من المكاسب وحرم ، فلزم عنه العار .

نسب يوصلونه. فنقب عن حال هؤلاء تنقياً، واجعل النسب نسيباً، والغريب غريباً. حتى تخلص السلالة من طرقيها، وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها. ومن علمت كذبه فازجره بأليم الأزديجار، وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار، واشهره في الناس حتى ينتهى وينتهى غيره بذلك الاشتهار.

وهاهنا وصية هي أهم من هذه الوصية أمراً، وأعظم أجراً، وأجدراً بأن تكون هي الأولى، وتكون هذه الأخرى، وهي الأخذ على السنة السفهاء من الخوض فيما شجرين آل النبي ﷺ وأصحابه، وإظهار العصبية التي تزخر الحق عن نصابه، وترجمه على أعقابه، وليس مستندتها إلا مقالات ذوى الجهل. ورأياً نشأ منها فتنة، والفتنة أشد من القتل. فوكل بهؤلاء عرباً قاطعاً، ونهياً قامعاً، وكُنْ في ذلك شارعاً لما كان الله شارعاً. فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء، وقصارى المحسنين في هذا الزمان أن يتعلق منها سيباً، ويأخذ عنهم ديناً أو أدباً، ولا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٣٦)، ولو أنفق مثل أحد ذهباً.

ونحن نعلم أنك واقف على سنن اقتصادك، وأن هذه الوصية هي محض اعتقادك، والمُنْصِفُ في هذا المقام من رَمَقَهُ بنظر جلي، ووفى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما حقهما، وإن كان من نسل على، فكل قد ذكره رسول ﷺ بفضل، وهؤلاء من صحابته، وهذا من أهله ونعوذ بالله من الأهواء الزائغة، والأقوال التي ليست بسائغة. ولا حجة إلا بالحق، والله الحجة البالغة.

وقد جعلنا لك في مالنا عطاءً داراً تستعين به على لوازم النفقات، وتخرج نافلة في وقاية عرضك التي هي محسوبة من الصدقات، فإن من ساد قوماً يفتقر إلى تحمل أثقالهم، والإفاضة من حاله على أحوالهم، وهذا بر يكون من أصله، ومنك فرعه، وثواب يكون لك قصده، ولنا شرعه، وصاحب الإحسان من سن سبيل الإحسان، ولم نرض أن أريناك مكانه حتى أمددناك فيه بالإمكان، فأعط مالنا، وتعلم من سنة أفضالنا، ولدولتنا بذلك ثوب جمال كلما لبس زاد جدة، وعمر ذكر كلما مضت عليه

(٣٦) المد المدى، يقال قدر مد البصر أى مداه، والنصيف هو النصف أحد شق الشيء.

مُدَدَ الْأَيَّامِ طَالَ مُدَّةً ، وَلَا مُلْكَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَجْعَلْ مَلَكُهُ حَدِيثًا حَسَنًا ، وَيَشْتَرِ
 الْحَامِدَ فَيَجْعَلُهُ لِهَلْمِنَا وَمَنْ عَرَفَ قَدْرَ الثَّنَاءِ جَدًّا فِي تَحْصِيلِهِ ، وَلَوْ أَنْفَقَ الْكَثِيرَ فِي قَلْبِهِ ،
 فَكَمْ مِنْ دَوْلَةٍ أُعْدِمَتْ مِنْهُ فَدَرَسَتْ آثَارُ مَعَالِمِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْهُ مَثْرِبَةٌ لَمَا ذَهَبَتْ مَعَ
 بَقَاءِ مَكَارِمِهَا »

وَإِذْ ذَكَرْنَا هَذَا فَلنَخْتِمُهُ بِمَا يَكُونُ قَلَادَةً لِصَاحِبِ هَذَا التَّقْلِيدِ ، وَهُوَ أَنْ نَجْرِدَ الْعِنَايَةَ
 بِوَجَاهَتِهِ ، حَتَّى يَلْبَسَ تَقْدِمًا بِذَلِكَ التَّجْرِيدِ . وَفَحْوَى ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ مَا لَهُ فِي
 الدَّوْلَةِ مِنْ مَنزِلَةِ الْكِرَامَةِ ، وَيَعْرِفُوا أَنَّهُ فِيهَا ابْنُ جَلَّالٍ (٣٧) ، غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَى وَضْعِ الْعِمَامَةِ ،
 وَنَحْنُ نَأْمُرُ نَوَابِنَا وَوُلَاتِنَا وَأَصْحَابِنَا أَنْ يُؤْفُوهُ حَقَّ أَبَوْتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَفَضِيلَتِهِ الَّتِي رَدَّقَتْهَا
 فَأَضْحَتْ وَهِيَ لَهَا رَدِيفَةٌ ، وَأَنْ يُعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ إِعْلَاءِ شَأْنِهِ ، وَيُمْضُوا فِعْلَ يَدِهِ وَقَوْلَ
 لِسَانِهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

* * *

وَقَدْ وَجَدْتُ لِلصَّابِي أَيْضًا تَقْلِيدًا أَنْشَأَهُ لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي
 عَلِيِّ بْنِ بُيُوتِهِ عَنِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ مَثْبُتٌ هَاهُنَا عَلَى صُورَتِهِ ، وَكَانَ
 عُرِضَ عَلَيَّ تَقْلِيدٌ كُتِبَ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ
 الْمُسْتَضِيِّ بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَوَجَدْتُ فِيهِ كَلَامًا
 نَازِلًا بِالْمَرَّةِ ، وَسَأَلْتَنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ أَنَّ أَعَارِضَهُ ، فَعَارِضْتُهُ بِتَقْلِيدٍ فِي
 مَعْنَاهُ ، وَهُوَ مَثْبُتٌ هَاهُنَا أَيْضًا . وَكِلَا التَّقْلِيدَيْنِ بِاسْمِ مَلِكٍ كَبِيرٍ ، وَفِيهِمَا يَظْهَرُ مَا يَظْهَرُ
 مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ .

[تَقْلِيدُ آخِرٍ لِلصَّابِي]

فَأَمَّا التَّقْلِيدُ الَّذِي أَنْشَأَهُ الصَّابِي فَهُوَ :

هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي
 الْحَسَنِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيِّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ عَرَفَ غِنَاهُ وَبَلَاهُ ، وَاسْتَصَحَّ

(٣٧) ابْنُ جَلَّالٍ الْوَاضِعُ الْأَمْرَ ، وَفِي خُطْبَةِ الْحِجَاجِ الْمَشْهُورَةِ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ :

أَنَا ابْنُ جَلَّالٍ وَطَلَّاعُ النِّقَايَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِ

دينه ويقينه ، ورعى قديمة ، وحديثه واستنجب عوده ونجاره ، وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين عليه ، وأشار بالمزيد في الصنيعة إليه ، وأعلم أمير المؤمنين اقتدائه به في كل مذهب ذهب فيه من الخدمة ، وغرض رمى إليه من النصيحة ، دخولا في زمرة الأولياء المنصورة ، وخروجاً عن جماعة الأعداء المدحورة ، وتصرفاً على موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة ، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة ، فقلده الصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والأعشار والضياغ والجهذة (٣٨) والصدقات والجوالى (٣٩) ، وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء والمظالم وأسواق الرقيق والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة بكور همدان ، واستراباذا ، والدينور ، وتوريز ، والأمعارين ، وأعمال أذربيجان ، وأران ، والسحانين ، وموقان (٤٠) واثقا منه باستقبال استدامتها ، والاستزادة بالشكر منها (٤١) ، والتحنب لغمطها وجحودها ، والتنكب لإيحاشها وتغييرها ، والتعمد لما يمكن له الحظوة والزلفى ، وحرس عليه الأثرة والقرنى ، بما يظهره ويضميره من الوفاء الصحيح ، والولاء الصريح ، والغيب الأمين ، والصدر السليم ، والمقاطعة لكل من قطع العصمة ، وفارق الجملة ، والمواصلة لكل من حمى البيضة ، وأخلص النية ، والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، مع عز الدولة أبي منصور وفي حوزته . والله جل اسمه يعرف لأمر المؤمنين حسن العقى فيما أبرم ونقض ، وسداد الرأي فيمن رقع وخفض ، ويجعل عزائمهم مقرونة بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة ، والجنة الحصينة ، والطود الأرفع ، والمعاد

(٣٨) الجهذة : الخبرة ، والجهذ هو التناد الخبير .

(٣٩) الجوالى : جمع جالية ، وهى جزية أهل الذمة ، وأصلها أن الإمام عمر رضى الله عنه جلى أهل الذمة عن جزيرة العرب ، فسموا جالية ، ثم لزمهم هذا الاسم أين حلوا ، وأطلق على الجزية المأخوذة منهم . (٤٠) الذى فى المختار ٩٩ « بكور همدان واستراباذا والدينور وقرماسين والأيعارين وأعمال اذربيجان والسحانين وموقان » .

(٤١) الذى فى المختار « واثقا منه باستبقاء النعمة واستدامتها ، والاستدامة بالشكر منها » .

الأمنع ، والجانبُ الأعزُّ ، والملجأُ الأحرز ، وأنْ يَسْتَشْعِرَهَا سِرًّا وَجَهْرًا ، ويستعملها قولاً وفعلاً ، ويتخذها دُخْرًا ، دافعاً لنوائبِ القَدَر ، وكهفًا حامياً من حوادثِ الغَيْر ، فإنَّها أوجبُ الوسائِلِ ، وأقربُ الذرائع ، وأعوذُها على العبدِ بمصالحه ، وأدعاها إلى كلِّ مناجحه ، وأولأها بالاستمرارِ على هدايته ، والنجاةِ من روايته ، والسلامةِ في دنياه حين تُوْبِقُ موبقاتها ، وتُرْدَى مُردياتها ، وفي آخرته حين تَرُوعُ رائعاتها ، وتُخِيفُ مُخيفاتها . وأنْ يتأدَّبَ بأدبِ الله في التواضعِ والإخباتِ والسكينةِ ، وصدقِ اللهجةِ إذا نطق ، وغَضُّ الطرفِ إذا رَمَقَ ، وكظْمِ الغَيْظِ إذا أَحْفِظَ ، وضبطِ اللسانِ إذا أَلْصَبَ ، وكفِّ اليدِ عن المآثمِ ، وصَوْنِ النفسِ عن المحارمِ .

وَأَنْ يَذْكَرَ المَوْتَ الذي هو نازل به ، والموقفَ الذي هو صائرٌ إليه ، ويعلمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا اكْتَسَبَ ، مجزئٌ عَمَّا تَزَمَلُ واحتَقَبَ^(٤٢) ، ويتزوَّدُ مِنْ هَذَا المَرِّ لَدَلِكِ المَقَرِّ ، ويستكثرُ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ لِنَتْفَعَهُ ، وَمِنْ مَسَاعِيِ الخَيْرِ لِنَتَّقِدَهُ ، وَيَأْتَمِرَ بِالصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا ، وَيَزْدَجِرَ عَنِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ أَنْ يَزْجُرَ عَنْهَا ، وَيَبْتَدِئُ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ ، فَلَا يَبْعَثُهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي ضِدَّهُ ، وَلَا يَنْهَاهُمْ عَمَّا يَقْتَرِفُ مِثْلَهُ ، وَيَجْعَلُ رَبَّهُ رَقِيبًا عَلَيْهِ فِي خَلَوَاتِهِ ، وَمُرُوءَتَهُ مَانِعًا لَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ ، فَإِنَّ أَحَقَّ مِنْ غَلْبِ سُلْطَانِ الشَّهْوَةِ ، وَأَوْلَى مِنْ ضَرَعِ لِعِذَاءِ الحِمِيَةِ مِنْ مَلِكِ أَرْمَةِ الأُمُورِ ، وَاقْتَدِرَ عَلَى سِيَاسَةِ الجُمهُورِ ، وَكَانَ مَطَاعًا فِيمَا يَرَى ، مُتَّبِعًا فِيمَا يَشَاءُ ، يَلِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يُلُونَ عَلَيْهِ ، وَيَقْتَصُّ مِنْهُمْ ، وَلَا يَقْتَصُّونَ مِنْهُ ، فَإِذَا اطَّلَعَ اللهُ مِنْهُ عَلَى نَقَاءِ جَبِيهِ ، وَطَهَارَةِ ذَنْبِهِ ، وَصِحَّةِ سِرِّرَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةِ سَبِيلَتِهِ ، أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ مَا اسْتَحْفَظَهُ ، وَأَنْهَضَهُ بِثِقَلِ مَا حُمِّلَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْلَصًا مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَمَخْرَجًا مِنَ الحَيْرَةِ ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »^(٤٣) . وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهُ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »^(٤٤) وَقَالَ : « اتَّقُوا اللهُ وَكُونُوا مَعَ

(٤٢) احتقب : ارتكب .

(٤٣) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٤٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

الصَّادِقِينَ» (٤٥) إلى آى كثيرة حَضَّنَا بِهَا عَلَى أَكْرَمِ الْخَلْقِ ، وَأَسْلَمَ الطَّرِيقَ ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ نَصَبَهَا إِزَاءَ نَازِرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ نَبَذَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَشَقَىٰ مِنْهُمَا مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا ، وَهُوَ صَادِفٌ عَنْهَا ، وَأَهَابٌ إِلَيْهَا ، وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهَا ، وَلَهُ وَلَا مِثَالَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (٤٦)

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مُتَّبِعًا وَطَرِيقًا مُتَوَقَّعًا ، وَيَكْثُرُ مِنْ تَلَاوَتِهِ إِذَا خَلَا بِذِكْرِهِ ، وَيَمْلَأُ بِتَأْمِيلِهِ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ ، فَيَذْهَبُ مَعَهُ فِيهَا أَبَاحٌ وَحِظْرٌ ، وَيَقْتَدِي بِهِ إِذَا نَهَىٰ وَأَمَرَ ، وَيَسْتَبِينُ بَيِّنَاتِهِ إِذَا اسْتَعْلَقَتْ دُونَهُ الْمُعْضَلَاتُ ، وَيَسْتَضِيُّ بِمَصَابِيحِهِ ، إِذَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ الْمَشْكَالَاتُ ، فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَىٰ ، وَمَحْجَتُهُ الْوُسْطَىٰ ، وَدَلِيلُهُ الْمُقْنَعُ ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ ، وَالْكَاشِفُ لِظُلْمِ الْخُطُوبِ ، وَالشَّافِي مِنْ مَرَضِ الْقُلُوبِ : وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ زَلَّ ، فَمَنْ نَجَّاهُ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ ، وَمَنْ لَهَا عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَنَدِمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : « وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزًا * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (٤٧)

وَأَمْرُهُ أَنْ يَحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ ، قَائِمًا عَلَى حُدُودِهَا ، مُتَّبِعًا لِرُسُومِهَا ، جَامِعًا فِيهَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَلَفْظِهِ ، مُتَوَقَّعًا لِمَطَامِحِ سَهْوِهِ وَلِحِظِهِ ، مُنْقَطِعًا إِلَيْهَا عَنْ كُلِّ قَاطِعٍ لَهَا ، مَشْغُولًا بِهَا عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ عَنْهَا ، مُثَبَّتًا فِي رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا ، مُسْتَوْفِيًا عِدَدَ مَفْرُوضِهَا وَمَسْنُونِهَا ، مُوقِّرًا عَلَيْهَا ذَهْنَهَا ، صَارِفًا إِلَيْهَا هَمَّهُ ، عَالِمًا بِأَنَّه وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ وَرَازِقِهِ ، وَمَحْيِيهِ وَمُحْيِيَتِهِ ، وَمَعَاقِبِهِ وَمُثْبِتِهِ ، لَا تُسْتَرْدُونَهُ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ . فَإِذَا قَضَاهَا عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ ، مُنْذُ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ إِلَى خَاتِمَةِ التَّسْلِيمِ أَتْبَعَهَا بِدَعَاءٍ يَرْتَفِعُ بَارْتِفَاعِهَا ، وَيُسْتَمَعُ بِاسْتِمَاعِهَا ، لَا يَتَعَدَّى فِيهِ مَسَائِلَ الْأَبْرَارِ وَرَغَائِبِ الْأَخْيَارِ ، مِنْ اسْتِصْفَاحٍ وَاسْتِغْفَارٍ وَاسْتِقَالَةٍ وَاسْتِرْحَامٍ وَاسْتِدْعَاءٍ

(٤٥) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٤٦) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٤٧) سورة فصلت : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

لمصالح الدين والدنيا ، وعوائد الآخرة والأولى ، فقد قال الله تعالى : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » (٤٨) . وقال تعالى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ » (٤٩)

وأمره بالسَّعى في أيامِ الجُمعِ إلى المساجِدِ الجامعة ، وفي الأعيادِ إلى المصلَّياتِ الضَّاحية ، بعد التَّقدم في قَرَشِهَا وكُسُوتِهَا ، وَجَمْعِ القُومِ المؤذنين والمكبرين فيها ، واستِسْعاء النَّاسِ إليها ، وحضُّهم عليها ، آخذين الأُهبَةَ ، منتظفين في البِزَّةِ ، مؤدِّين لفريضة الطَّهارة ، وبالغين في ذلك أقصى الاستِقْصاء ، مُعتقدين خشيةَ الله وخيفته . مدرِّعين تقواه ومراقبته ، مُكثِّرين من دُعَايِهِ عزَّ وجلَّ وسؤاله ، مصلِّين على مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ ؛ بقلوبٍ على اليقينِ موقوفة ، وهِمَمٍ إلى الدِّينِ مَصْرُوفَةٌ ، وَالسُّنَنِ بالتقديسِ والتَّسْبِيحِ فَصِيحَةٍ ، وآمالٍ في المغفرةِ والرَّحمةِ فسيحة ، فَإِنَّ هذه المصلَّياتِ والمتعبَّداتِ بيوتُ الله الذي فضَّلَهَا ، ومناسكُهُ الَّتِي شَرَفَهَا ، وفيها يُتلى القرآنُ الكريمُ ويتعوَّذُ العائذُونَ ، وبتعبَّد المتعبِّدون ، وبتَهَجُّدِ المهجِّدُونَ . وحقيقُ على المسلمينَ أجمعينَ مِنْ وَالٍ ومُنَى عليه أَنْ يَصُونَهَا وَيَعْمُرَهَا ، وَيُواصِلَهَا وَلَا يَهْجُرَهَا ، وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى منابرها لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّسْمِ الجَارِي فِيهَا ، قال الله تعالى في هذه الصَّلَاةِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ » (٥٠) « وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » (٥١) .

وأمره أَنْ يُرَاعِيَ أحوالَ مَنْ يَلِيهِ مِنْ طبقاتِ جُنْدِ أميرِ المؤمنينَ ومواليه ، ويطلقَ لهم الأرزاقَ ، في أوقاتِ الوجوبِ والاستِحْقاقِ ، وَأَنْ يُحْسِنَ فِي مُعَامَلَتِهِمْ وَيُجَمِّلَ فِي

(٤٨) سورة النساء : الآية ١٠٣ .

(٤٩) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

(٥٠) سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٥١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

اسْتَحْدَامِهِمْ ، وَبِتَصَرُّفِ فِي سِيَاسَتِهِمْ بَيْنَ رَفَقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخُشُونَةٍ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ،
 مُثَبِّبًا لِمُحْسِنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِثَابَةِ فِي حُسْنِ الْأَثْرِ ، وَسَلِّمَ مَعَهَا مِنْ دَوَاعِي الْأَشْرِ ، وَمَتَعَمِدًا
 لِمُسِيئِهِمْ مَا كَانَ التَّعَمُّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِعًا ، فَإِنْ تَكَرَّرَتْ زَلَّاتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَثْرَاتُهُ ،
 تَنَاوَلَتْهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَا يَكُونُ لَهُ مُصْلِحًا ، وَلِغَيْرِهِ وَاعْظًا وَأَنْ يَخْتَصَّ أَكْبَاهَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ وَأَهْلَ
 الرَّأْيِ وَالْخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمَشَاوَرَةِ فِي الْمُلِمِّ ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ أَلْمَمِهِمْ ، مُسْتَخْلَصًا مَخَابِلَ
 صُدُورِهِمْ بِالْبَسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْحِدًا بِصَائِرِهِمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِبَاءِ ، فَإِنَّ فِي
 مَشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ اسْتِدْلَالَ عَلَى مَوَاقِعِ الصَّوَابِ ، وَتَحَرُّزًا عَنِ غَلَطِ الْاسْتِبْدَادِ ، وَأَخْذًا
 بِمَجَامِعِ الْحِزَامَةِ ، وَأَمَانًا مِنْ مُفَارَقَةِ الْاسْتِقَامَةِ . وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ عَلَى الشُّورَى حَيْثُ قَالَ
 لِرَسُولِهِ ﷺ « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » (٥٢) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَضُمَّدَ بِمَا يَتَّصِلُ بِنَوَاحِيهِ مِنْ تُغُورِ الْمُسْلِمِينَ وَرِبَاطِ الْمُرَابِطِينَ ، وَيَقْسَمَ لَهَا
 قِسْمًا وَافِرًا مِنْ عَنَابَتِهِ ، وَيَصْرِفَ لَهَا طَرَفًا بَلْ شَطْرًا مِنْ رِعَابَتِهِ ، وَيَخْتَارَ لَهَا أَهْلَ الْجَدِّ
 وَالشَّدَّةِ ، وَذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، مِمَّنْ عَجَمَتَهُ الْخَطُوبُ ، وَعَرَكَتَهُ الْحُرُوبُ ، وَاكْتَسَبَ
 ذُرِّيَّةَ بَخْدَعِ الْمُتَنَازِلِينَ ، وَتَجْرِبَةَ بِمَكَائِدِ الْمُتَقَارِعِينَ ، وَأَنْ يَسْتَظْهَرَ بِكَشْفِ عَدَدِهِمْ
 وَاعْتِبَارِ عُدَدِهِمْ ، وَانْتِخَابِ خَيْلِهِمْ ، وَاسْتِجَادَةِ أَسْلِحَتِهِمْ غَيْرِ مُجَمَّرٍ (٥٣) بَعَثًا إِذَا بَعَثَهُ ،
 وَلَا مُسْتَكْرَهَهُ إِذَا وَجَّهَهُ ، بَلْ يُنَاقِبُ بَيْنَ رِجَالِهِ مُنَاقِبَةً تُرِيحُهُمْ وَلَا تَمْدُهُمْ ، وَتُرْفَهُهُمْ
 وَلَا تُتَوِّدُهُمْ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةِ الْإِجَامِ ، وَالْعَدْلِ فِي الْاسْتِحْدَامِ زِينًا ، فَلْيُسَوِّبِ
 رِجَالَ النَّوْبِ فِيهَا عَادَ عَلَيْهِمْ بَعْزُ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ ، وَبُعْدُ الصَّيْتِ وَالذِّكْرِ ، وَاحِرَازِ النَّفْعِ
 وَالْأَجْرِ ، مَا يَحِقُّ أَنْ يَكُونَ الْوَلَاةُ بِهِ عَامِلِينَ ، وَلِلنَّاسِ عَلَيْهِ حَامِلِينَ ، وَأَنْ يَكْرُرَ فِي
 أَسْمَاعِهِمْ ، وَيَثْبِتَ فِي قُلُوبِهِمْ مَوَاعِيدَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ صَبَرَ وَرَاطَبَ ، وَسَامَحَ بِالنَّفْسِ ، مِنْ
 حَيْثُ لَا يَقْدُمُونَ عَلَى تَوَرُّطِ غَرِّهِ ، وَلَا يُحْجِمُونَ عَنْ انْتِهَازِ فُرْصَتِهِ ، وَلَا يَنْكُصُونَ عَنْ
 تَوَرُّدِ مَعْرَكَةِ ، وَلَا يُلْقُونَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَالْمَرْءُ
 أَمِينٌ عَلَى دِينِهِ .

(٥٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الْآيَةُ ١٥٩ .

(٥٣) التَّجْمِيرُ : حَيْسَ الْجَيْشِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ .

وَأَنْ يُرِيحَ الْعَمَلَةَ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ رَاتِبِ نَفَقَاتِ هَذِهِ الثُّغُورِ وَحَادِثِهَا ، وَبِنَاءِ حُصُونِهَا وَمَعَاقِلِهَا ، وَاسْتِطْرَاقِ طُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا ، وَإِفَاضَةِ الْأَقْوَاتِ وَالْعُلُوفَةِ فِيهَا لِلْمِتْرَتَيْنِ بِهَا ، وَالْمُتَرَدِّدِينَ إِلَيْهَا ، وَالْحَامِلِينَ لَهَا .

وَأَنْ يَبْذَلَ أَمَانَةً لِمَنْ طَلَبَهُ ، وَيَعْرِضَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ ، وَيَقْبِضَ بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدَ ، وَبِالْعَقْدِ إِذَا عَاقَدَ ، غَيْرَ مُخْفِرِ ذِمَّةً ، وَلَا جَارِحِ أَمَانَةٍ ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » (٥٤) وَنَهَى عَنِ النَّكْثِ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: « فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ » (٥٥) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَعْرِضَ مَنْ فِي حُبُوسِ عَمَلِهِ عَلَى جَرَائِمِهِمْ ، فَمَنْ كَانَ إِقْرَارُهُ وَاجِبًا أَقْرَهُ ، وَمَنْ كَانَ إِطْلَاقُهُ سَائِعًا أَطْلَقَهُ ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِي الشَّرْطَةِ وَالْأَحْدَاثِ نَظْرَ عَدْلٍ وَإِنصَافٍ ، وَيَخْتَارَ لَهَا مِنْ يَخَافُ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ ، وَلَا يَجَاهِي وَلَا يِرَاقِبَ فِيهِ ، وَيَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِقَمْعِ الْجَهَّالِ ، وَرَدْعِ الضَّلَالِ ، وَتَتَبِعِ الْأَشْرَارَ ، وَطَلِبِ الزُّعَارِ (٥٦) ، مُسْتَدَلِّينَ عَلَى أَمَاكِنِهِمْ ، مُتَوَعِّلِينَ إِلَى مَكَامِنِهِمْ ، مُتَوَلِّجِينَ عَلَيْهِمْ فِي مَظَانِّهِمْ ، مُتَوَقِّقِينَ مِمَّنْ يَجِدُونَهُ مِنْهُمْ ، مُنْفِذِينَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، بِحَسَبِ الَّذِي يَتَبَيَّنُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَيُصَحُّ مِنْ فِعْلِهِمْ ، فِي كَبِيرَةٍ ارْتَكَبُوهَا ، وَعَظِيمَةٍ احْتَقَبُوهَا (٥٧) ، وَمُهْجَةٍ إِنْ أَغَاظُوهَا وَاسْتَهْلَكُوهَا ، وَحُرْمَةٍ إِنْ اسْتَبَاحُوهَا وَانْتَهَكُوهَا . فَمَنْ اسْتَحَقَّ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الْمَعْلُومَةِ أَقَامُوهُ عَلَيْهِ ، غَيْرَ مُخَفِّفِينَ مِنْهُ ، وَأَحْلَوْهُ بِهِ غَيْرَ مُقَصِّرِينَ عَنْهُ ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ فِي الَّذِي يَأْتُونَهُ حُجَّةٌ ، وَلَا يَعْتَرِضُهُمْ فِي وَجْهِهِ شُبْهَةٌ ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ فِي الْحُدُودِ أَنْ تُقَامَ بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنْ تُدْرَأَ بِالشُّبُهَاتِ ، فَأَوْلَى مَا تَوَخَّاهُ رُعَاةُ الرَّعَايَا فِيهَا أَنْ لَا يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا مَعَ نَقْصَانٍ ، وَلَا يَتَوَقَّفُوا عَنْهَا مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ ، وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِتْلُ احْتِاطًا بِمَا يُحْتَاطُ بِهِ عَلَى مِثْلِهِ مِنَ الْحَبْسِ الْحَصِينِ ، وَالتَّوَقُّقِ الشَّدِيدِ ، وَكُتِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبْرِهِ ، وَشَرَحَ جِنَايَتَهُ

(٥٤) سورة المائدة: ١ الآية .

(٥٥) سورة الفتح: الآية ١٠ .

(٥٦) الزُّعَارُ: ذُو الشَّرَاسَةِ وَسُوهُ الْخَلْقِ .

(٥٧) احْتَقَبُوهَا: ارْتَكَبُوهَا .

وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو بشهادةٍ تقع عليه ، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يُطلق سَفْكَ دم مسلمٍ أو مُعَاهِدٍ إلا ما أحاط به علماً ، وأتقنه فهماً ، وكان ما يُضِيه فيه عن بصيرةٍ لا يخالجه شكٌّ ، ولا يشوبها ريب .

ومن ألمِّ بصغيرةٍ من الصغائر ، ويسيرةٍ من الجرائر من حيث لم يُعرف له مثلها ، ولم يتقدم له أختها ، وعظه ، وزجره ، ونهاه ، وحذره ، واستتابه ، وأقاله ، ما لم يكن عليه خصمٌ في ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاءٍ له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهديب ، والتعزير والتأديب ، بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ، ووفى بما قدم ، فقد قال الله تعالى : « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٨) » .

وأمره أن يعطل ما في أعماله من الحاناتِ والمواخير ، وأن يطهرها من القبائحِ والمناكير ، ويمنع من يجمع أهلَ الخنا فيها ، ويؤلفُ شملهم بها ، فإنه شملٌ يصلحه التشيتُ ، وجمعٌ يحفظه التفريق ، وما زالت هذه المواطنُ الذميمةُ والمطارحُ الدنية داعيةً من يأوى إليها ، ويعكفُ عليها إلى تركِ الصَّلواتِ ، وإهمالِ المُفترَضاتِ ، وركوبِ المنكراتِ ، واقترافِ المحظوراتِ ، وهى بيوتُ الشيطانِ التي في عمارتها لله معصيةٌ ، وفي إخراجها للخيرِ مجلبةٌ ، والله يقولُ لنا معشرَ المؤمنين : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (٥٩) ويقولُ عزُّ من قائلٍ لغيرنا من المذمومين : « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا » (٦٠)

وأمره أن يؤلَّى الحماية في هذه الأعمالِ أهلَ الكفايةِ من الرجال ، وأن يضمَّ إليهم كلَّ من خفَّ ركابُه ، وأسرعَ عند الصَّريخِ ، مرتباً لهم في المسالِحِ (٦١) ، وسادداً بهم ثغرِ المسالكِ ، وأن يُوصيهم بالتيقُّظِ ، ويأخذهم بالتحفُّظِ ، ويُزيحَ عنهم في علوفةِ

(٥٨) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٥٩) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٦٠) سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٦١) المسالِح : الثغور واحداً مسلحة ، والمرقب يكون فيه أرساد يرقبون العدو لئلا يطردهم على غفلة .

خيلهم ، والمقرّر من أزوادهم وميرهم ، حتى لاتنقل لهم عن البلاد وطاعة ، ولا يدعّوهم إلى تحنّهم وثلّمهم حاجة ، وأن يحوطوا السابلة بادثةً وعائدةً ، ويبدّرُقوا^(٦٢) القوافل صادرةً وواردةً ، ويحرسوا الطريق ليلاً ونهاراً ، ويتقصّوها رواحاً وغدواً ، وينصبوا لأهل العبث الأرزاد ، ويتكمنوا لهم بكل واد ، ويتفرّقوا عليهم حيث يكون التفرّق مضيقاً لفضائهم . ومؤدياً إلى انفصاضهم ، ويجمعوا حيث يكون الاجتماع مطفناً لجرمتهم ، وصادعاً لرؤيتهم ؛ ولا يُخلّوا هذه السبل من حماة لها ، وسيارة فيها ، يتردّدون في جوادها ، ويتعسّفون في عوادها ، حتى تكون الدماء محقونةً ، والأموال مَصونةً ، والفتن محسومةً ، والغارات مأمونةً . ومن حصّل في أيديهم من لصّ خاتلٍ ، وصعلوك خارب ، ومخيفٍ لسبيلٍ ، ومتهكٍ لحريمٍ ، امثل في أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عزّ وجلّ : « إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(٦٣)

وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من أباق العبيد ، والاحتياط عليهم ، وعلى ما يكون معهم ، والبحث عن الأماكن التي فارّقوها ، والطرق التي استطرّقوها ، ومواليهم الذين أبقوا^(٦٤) منهم ، ونشروا عنهم ، وأن يردّوهم عليهم قهراً ، ويعيدوهم إليهم صغراً ، وأن ينشدوا الضالة ما أمكن أن تُشَدَّ ، ويحفظوها على ربّها بما جاز أن تُحفظ ، ويتجنبوا الامتطاء لظهورها ، والانتفاع بأوبارها ، وألبان ما يجزّ ويحلب ، وأن يعرفوا اللقطة ، ويتبعوا أثرها ، ويشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها ، وعلم أنّه مستوجبها سلّمت إليه ، ولم يعترض فيها عليه ، والله عزّ وجلّ يقول : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا »^(٦٥) ويقول رسوله ﷺ : « ضالّة المؤمن حرّق النار »^(٦٦) .

(٦٢) يبدّرُقوا : البذرقة الخفارة ، فارسية معربة معناها والمبذرق الخفير .

(٦٣) سورة المائدة : الآية ٣٣ .

(٦٤) في الأصل « أنفوا » والصواب عن المختار ١٠٨ .

(٦٥) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٦٦) قاله النبي ﷺ لمن سأله عن ضوال الإبل ، فنهاه عن أخذها ؛ وحذره النار إن تعرض لها .

وأمره أن يُوصىَ عمَّاله بالشدُّ على يد الحكَّام ، وتنفيذ ما يصدرُ عنهم من الأحكام ، وأنَّ يحضُّروا مجالسهم حضورَ المؤقَّرين لها ، الذَّاين عنها ، المقيمين لرسومِ الهَيْبَةِ ، وحدود الطَّاعَةِ فيها ؛ ومن خرجَ عن ذلك من ذِي عَقْلٍ ضَعِيفٍ ، وحُلْمٍ سَخِيفٍ ، نالوه بما يردُّعه ، وأحلُّوا به ما يَزَعُه (٦٧) ، ومتى تقاعَسَ مُتقاعِسٌ عن حضورٍ مع خَصْمٍ يَسْتَدْعِيه ، وأمرٌ يوجِّهُ الحاكِمُ إليه فيه (٦٨) ، أو التَّوى مُلتوِّجِحٌ يَحْصُلُ عليه ، ودَيْنٌ يَسْتَقِرُّ في ذِمَّتِه ، قَادُوهُ إلى ذلك بأزْمَةِ الصَّغارِ ، وخِزَامِ (٦٩) الاضطرارِ ، وأنَّ يُحْجَبُوا ويُطْلَقُوا بأقوالهم ، ويثبَّتوا الأيديَ في الأملاكِ والفُروجِ ، ويتزَعُوا بقضاياهم ، فإنَّهم أمناءُ الله في فصلِ ما يَقْضُونَ ، وبِتِّ ما يَبْتُونَ (٧٠) ، وعن كتابِه وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ يوردون ويُصدِّرون . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : « يادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٧١) » .

وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمَّال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه ، واستنظاف بقاياهم فيه ، والرِّياضَةِ لمن تسوءُ طاعته من معاملهم ، وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم ، فمن آدابِ الله تعالى للعبدِ الذي يحقُّ عليه أن يتخذها ، ويجعلها للرِّضا عنه سبباً قوله تعالى : « وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧٢) » .

وأمره أن يجلس للرعِيَّة جلوساً عامّاً ، وينظرَ في مظالمِها نظراً تامّاً ، يساوى في الحقِّ بين خاصِّها وعمَّامها ، ويوازي في المجالسِ بين عزيزها وذليلها ، ويُنصفَ المظلومَ من

(٦٧) في الأصل « ما يزعُه » .

(٦٨) في الأصل « بأمر يوجهه الحكم إليه » .

(٦٩) في الأصل « وخزام » بالخاء المهملة وهو تصحيف ، والخزام جمع خزيمة ، وأصل الخزيمة حلقة من شعر تجعل في ورة أنف البعير يشدبها الزمام .

(٧٠) في المختار « ما يفضلون » .

(٧١) سورة (ص) : الآية ٢٦ .

(٧٢) سورة المائدة : الآية ٢ .

ظالمه ، والمغصوب من غاصبه ، بعد الفحص والتأمل ، والبحث والتبين ، حتى لا يحكم إلا بعدلٍ ، ولا ينطق إلا بفضل ، ولا يُثبت يداً إلا فيما وجب تثبتها فيه ، ولا يقبضها إلا عملاً وجب قبضها عنه ، وأن يُسهل الإذن لجماعتهم ، ويرفع الحجاب بينه وبينهم ، ويؤليهم من حصانة الكنف ، ولين المنعطف ، والاشمال والعناية ، والصون والرعاية ، ما تتعادل به أقسامهم ، وتتوازي منه أفساطهم ، ولا يصل الركين منهم إلى استِضامة ما تأخر عنه ، ولا ذو السلطان إلى هزيمة من حلّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق ، ويحضهم على أحمد المذاهب والطرائق ، ويحمل عنهم كُله ، ويمد عليهم ظلّه ، ولا يسومهم عسفاً ، ولا يلحق بهم حيفاً ، ولا يكلفهم شططاً ، ولا يجشمهم مضليلاً ، ولا يثلم لهم معيشة ، ولا يُدأخلهم في جريمة (٧٣) ، ولا يأخذ بريئاً بسقيم ، ولا حاضرًا ببعيد (٧٤) ، فإن الله عز وجل ينهى أن ترزوا رزة وزر أخرى ، ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سنّ عليها من سنة ظالمة ، وسلك بها من محجة جائزة ، ويستقرى آثار الولاة قبله عليها ، فيما رجوه من خير أو شر إليها ، فيقر من ذلك ما طاب وحسن ، ويُريل ما خبث وقبح ، فإن من غرس الخير يحظى بمعسول ثمره ، ومن زرع الشر يبضلى بمرور ريعه ، والله تعالى يقول : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ » (٧٥) .

وأمره بأن يصون مال الخراج ، وأثمان الغلات ، ووجهه الجبايات موفراً ، ويزيد ذلك ثمراً مما يستعمله من الإنصاف لأهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها ، فإنه مال الله الذي به قوة عباده ، وحماية بلاده ، ودور حله ، واتصال مدده وبه يحاط الحريم ، ويُدفع العظيم ، ويحمى الذمار ، ويبدأ الأشرار . وأن يجعل افتتاحه آية بحسب إدراك أصنافه ، وعند حضور مواقفه وأحيانه ، غير متسلف شيئاً قبلها ، ولا مؤخرًا لها عنها . وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم ، وأهل

(٧٣) رواية المختار « ولا يداخلهم في حرفة » .

(٧٤) رواية المختار « ولا حاضرًا بغائب » .

(٧٥) سورة الأعراف : الآية ٥٨ .

الاستضعاب والامتناع بالتشديد عليهم ، لثلا يَقَعُ إِرْهَاقٌ لِمُدْعِينٍ ، أو إِهْمَالٌ لَطَامِعٍ .
وعلى المتوَلَّى لذلك أن يَضَعَ كُلاًّ من الأمرين موضعَه ، ويوقَعَه موقعَه ، متجنباً إِحْلالَ
الغلْظَةِ فيمن لا يستحقُّها ، وإعطاءَ الفُسْحَةِ مَنْ لَيْسَ أهلها ، واللَّه تَعَالَى يَقُولُ :
« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَبْرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَى (٧٦) » .

وأمرُه أن يتخَيَّرَ عُمَّالَه على الخِراجِ وَالْأَعْشَارِ وَالضَّيَاعِ وَالْجَهْدَةِ وَالصَّدَقَاتِ
وَالْجَوَالِي من أهل الظَّلْفِ (٧٧) والنزاهة ، وَالضَّبْطِ وَالصَّيَانَةِ ، والجِزَالَةِ والشَّهَامَةِ ، وأن
يَسْتَظْهَرِ مع ذلكَ عليهم بوضيعة تَعَبِيّاً أَسْمَاعَهُمْ ، وَعُهُودَ يَقْلُدُهَا أَعْنَاقَهُمْ ، بأن لا
يَضِيعُوا حقّاً ، ولا يأكلوا سُحْتاً ، ولا يستعملوا ظُلماً ، ولا يُقَارِفُوا غَشْماً (٧٨) ، وأن
يُقِيمُوا العِمَارَاتِ ، ويحتاطُوا [على الغلات] (٧٩) ويتحرَّزُوا من إِتْوَاءِ (٨٠) حق لازمٍ ،
أو تعطيلِ رَسْمٍ عَادِلٍ ، مؤدِّينَ في جميع ذلك الأمانة ، مجتنبين للخيانة ، وأن
يأخذُوا جهابذتهم بِسْتِيفَاءِ وَزَنِ المَالِ على تمامه ، واستجدادِ نَقْدِه على عياره ،
واستعمالِ الصِّحَّةِ في قبض ما يقبضون ، وإطلاقِ ما يُطلقون ، وأن يُوعِزُوا إلى سَعَاةِ
الصدقاتِ في أخذِ الفرائضِ من سائمة مواشى المسلمين ، دون عاملتها ، وكذلك
الواجب فيها ، وأن لا يجمعُوا فيها متفرِّقاً ، ولا يفرِّقُوا مجتمعاً ، ولا يُدْخِلُوا فيها خارجاً
عنها ، ولا يُضَيِّفُوا إليها ما ليس منها من فحلِ إِبِلٍ ، وأكولةِ رَاعٍ ، أو عقيلةِ مالٍ ،
فإذا اجْتَبَوْهَا على حقِّها ، واستوفوها على رسمها ، أخرجوها في سبيلها ، وقسّموها
على أهلها الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيزِ إِلَّا الْمُؤَلِّفَةَ قلوبُهُم الذين ذكرهم
الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم ، وسقط سَهْمُهُم (٨١) ، فَإِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ : « إِنَّا

(٧٦) سورة النجم : الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ . (٧٧) الظلف : منع النفس وكفها عما لا يحسن .

(٧٨) الغشم : الظلم . (٧٩) زيادة عن المختار . (٨٠) الإِتْوَاءُ : الإهلاك .

(٨١) المؤلفة قلوبهم قوم من سادات العرب أمر الله نبيه في أول الإسلام بتألفهم أى بمقاربتهم وإعطائهم
ليرغبوا من وراءهم في الإسلام ، فلا تحملهم الحمية مع ضعف نيابتهم أن يكونوا ألبا مع الكفار على المسلمين ،
فلما دخل الناس في دين الله أفواجا ، وظهر أهل دين الله على جميع أهل الملل سقط سهمهم ، كما في نص هذا
العهد .

الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ « (٨٢)

وإلى جُباةِ أهلِ الذمَّةِ أن يأخذوا منهم الجزيةَ في المُحرَّمِ من كلِّ سنةٍ بحسَبِ منازلهم في الأحوال ، وذات أيديهم في الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها ، والحدود المعهودة لها ، وأن لا يأخذوها من النساءِ ، ولا ممن لم يبلغ الحُلُمُ من الرجال ، ولا من ذى سِنٍ عالية ، ولا ذى علةٍ بادية ، ولا فقير مُعَدَم ، ولا مترهبٌ مُتَبَتِّل .

وَأَنْ يُرَاعَى جَمَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْعُمَّالِ مِرَاعَاةً يُسِرُّهَا وَيُظَهِّرُهَا ، وَيَلَاحِظُهُمْ مَلَاخِظَةً يُخْفِيهَا وَيُبْدِيهَا ، لثَلَا يُزُولُوا عَنِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، أَوْ يَعْدُلُوا عَنِ السَّنَنِ اللَّاحِبِ « (٨٣) ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » (٨٤) .

وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَنْدَبَ لِعَرَضِ الرِّجَالِ وَإِعْطَانِهِمْ ، وَحَفْظِ جَرَايَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِ إِطْعَامِهِمْ مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثِّقَةِ فِي مُتَصَرِّفِهِ ، وَالْأَمَانَةِ فِيمَا يَجْرَى عَلَى يَدِهِ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْإِسْفَافِ إِلَى الدُّنْيَةِ ، وَالِاتِّبَاعَ لِلدِّعَاءَةِ ، وَأَنْ يَتَّعَثَ عَلَى ضَبْطِ الرِّجَالِ ، وَشِيَاتِ الْخَيْلِ ، وَتَحْدِيدِ الْعَرَضِ بَعْدَ الْاِسْتِحْقَاقِ ، وَإِيقَاعِ الْاِحْتِيَاطِ فِي الْاِئْتِقَاقِ ، فَهَنْ صَحَّ عَرَضُهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ مِنْ شَكِّ يَعْزُضُ لَهُ ، أَوْ رِيْبَةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَطْلَقَ أَمْوَالَهُمْ مَوْفُورَةً ، وَحَصَّلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَثْلُومَةٍ ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقَ مَنْ سَقَطَ بِالْوَفَاةِ وَالْإِخْلَالِ ، نَاسِبًا ذَلِكَ إِلَى جِهَتِهِ ، مُورِدًا لَهُ حَقِيقَتَهُ ، وَأَنْ يَطَالِبَ الرِّجَالَ بِإِحْضَارِ الْخَيْلِ الْمُخْتَارَةِ ، وَالْآلَاتِ الْمُسْتَكْمَلَةِ ، عَلَى مَا تَوَجَّهَ بِمَبَالِغِ أَرْزَاقِهِمْ وَيَحْسَبُ مَنَازِلَهُمْ وَمَرَاتِبَهُمْ ، فَإِنْ أَخَّرَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، قَاصَّهَ بِهِ مِنْ رِزْقِهِ ، وَأَزَمَهُ مِثْلَ قِيَمَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَقْصَرِ فِيهِ خَائِنٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُخَالَفٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، إِذْ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : « وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ « (٨٥) .

(٨٤) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٨٢) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

(٨٥) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٨٣) السنن اللاحب ، الطريق الواضح .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات من ثقة ودراية ، وعلم وكتابة ، ومعرفة ورواية ، وتجربة وحكمة وحصانة ومُسكّة ، فإنها أحوال تضارع الحكم وتناسبه ، وتدانيه وتقاربه . وأن يتقدّم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يُطلقون بيعه ، ويمضون أمره ، والتحرّز من وقوع تخون فيه ، أو إهمال له ، إذ كان ذلك عائدا بتحسين الفروج ، وتطهير الأنساب ، وأن يُبعدوا عنه أهل الريبة ، ويقربوا أهل العفة ، ولا يُمضوا بيعاً على شبهة ، ولا عقداً على تهمّة .

وإلى ولاة العيار بتخليص عين الدرهم والدينار ، ليكونا مضروبين على البراءة من الغش ، والنزاهة من المش^(٨٦) وبحسب الإمام المقدّر بمدينة السلام ، وحراسة السكك من أن تتداوأها الأيدي المدغلة^(٨٧) ، وتناقلها الجهات الظنينة^(٨٨) ، وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يُضربُ ذهباً ، وإجراء ذلك على الرسم والسنة وإلى ولاة الطرز^(٨٩) أن يُجرّوا الاستعمال في جميع المناسج على أتمّ النيقة^(٩٠) وأسلم الطريقة ، وأحكم الصنعة ، وأثبت^(٩١) الصّحة ، وأن يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرز الكُسا والقُرش والأعلام والبنود .

وإلى ولاة الحسبة بتصفّح أحوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ، ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم ، وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرزوها على التعديل والتكميل ، ومن أطلعوا منه على حلية أو تلبيس ، أو غيلة أو تدليس ، أو بخس ما يوفيه ، وأسئفضال فيما يستوفيه ، نألوه بغليظ العقوبة وعظمتها ، وخصّوه بوجيعها وألمها ، وأقفين في ذلك عند الحد الذي يرونه لذته ، مجازياً ، وفي تأديبه كافياً ، فقد قال الله تعالى :

(٨٦) المش : هو أخذ المال شيئاً بعد شيء .

(٨٧) المدغلة : من الدغل وهو الفساد ، وفي الأصل « المزرغة » بالزاي .

(٨٨) الظنينة المنهمة ، وفي الأصل « المينة » .

(٨٩) الطرز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، والنمط ، وثوب ينسج للسلطان .

(٩٠) النيقة : التجويد والمبالغة .

(٩١) في الأصل « وأفضل » والصواب عن المختار ١١٣ .

« وَيَلُ لِلْمُطَفِّينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » (٩٢) .

هذا عهدُ أميرِ المؤمنين إليك ، وَحَجَّتُهُ عَلَيْكَ ، وَقَدْ وَقَفَكَ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَأَرْشَدَكَ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ، وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمًا وَتَفْهِيمًا ، وَلَمْ يَأْلِكَ جُهْدًا فِيمَا عَصَمَكَ ، وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَدْخِرْكَ مُمَكِّنًا فِيمَا أَصْلَحَ بِكَ وَأَصْلَحَكَ وَلَا تَرَكَ عُذْرًا فِي غَلَطٍ تَغْلَطُهُ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى تَوَرُّطِهِ تَتَوَرَّطُهُ ، بِالْفَائِثِ فِي الْأُمُورِ وَالزَّوْجِرِ إِلَى حَيْثُ يَلْزَمُ الْأُمَّةَ أَنْ يَنْدَبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيَحْتَوَهُمْ عَلَيْهِ ، مَقِيمًا لَكَ عَلَى مُنْجِيَّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِفًا لَكَ عَنْ مُرْدِيَّاتِ الْمَهَالِكِ ، مَرِيدًا فِيكَ مَا يُسَلِّمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَيَعْبُدُ بِالْحِظِّ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوْلَاكَ ، فَإِنْ اعْتَدَلْتَ وَعَدَلْتَ فَقَدْ فُزْتَ وَغَنِمْتَ وَإِنْ تَخَانَفْتَ وَاعْوَجَجْتَ فَقَدْ فَسَدْتَ وَنَدِمْتَ ، وَالْأَوْلَى بِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَغْرَسِكَ الرَّكِي ، وَمَنْبِتِكَ النَّامِي ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِ ، وَعُنْصُرِكَ الْأَطِيبِ ، أَنْ تَكُونَ لَظَنَّهُ مُحَقَّقًا . وَلَمَخِيلَتَهُ فِيكَ مُصَدَّقًا ، وَأَنْ تَسْتَزِيدَهُ بِالْأَثَرِ الْجَمِيلِ قَرَبًا وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ وَزُلْفَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَثَنَاءً حَسَنًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَخُذْ مَا نَبَذَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ ، وَأَمْسِكْ بِيَدِكَ عَلَى مَا أُعْطِيَ مِنْ مَوَائِقِهِ ، وَاجْعَلْ عَهْدَهُ مِثْلًا تَحْتَذِيهِ ، وَإِمَامًا تَقْتَضِيهِ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ يُعِينِكَ ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ، وَأَخْلِصْ إِلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ يُخْلِصْ لَكَ الْحِظَّ فِي مَعُونَتِكَ وَمَهْمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ خُطْبٍ ، أَوْ أَعْضَلَ عَلَيْكَ مِنْ صَعْبٍ ، أَوْ بَهَرَكَ مِنْ بَاهِرٍ ، أَوْ بَهْظَكَ مِنْ بَاهِظٍ ، فَارْتَبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [بِهِ] مِنْهُيًّا ، وَكُنْ إِلَى مَا يَرُدُّ مِنْ جَوَابِهِ مُتَطَلِعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

[التَّقْلِيدُ بِأَسْلُوبِ ابْنِ الْأَثِيرِ]

وَأَمَّا التَّقْلِيدُ الَّذِي أَنْشَأْتَهُ أَنَا فَهُوَ هَذَا :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَكُونُ لِكُلِّ خُطْبَةٍ قِيَادًا ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مِهَادًا ، وَيَسْتَزِيدُهُ مِنْ نِعْمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ التَّقْوَى لَهُ زَادًا ، وَحَمَلَتْهُ عِبَاءَ الْخِلَافَةِ

(٩٢) سورة المطففين: الآيات ١ و ٢ و ٣ .

فلم يَضْعَفْ عنه طَوْقًا ، ولم يَأُلْ فيه اجتهادًا ، وصَغَّرَتْ لديه أمر الدنيا فما تَسَوَّرَتْ له
مِحْرَابًا ، ولا عَرَّضَتْ عليه جِيَادًا ، وَحَقَّقَتْ فيه قول الله تعالى : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجَعْنَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا (٩٣) » . ثم يَصَلَّى على مَنْ أُنزِلَتْ
الملائكة لِنَصْرِهِ إِمْدَادًا وَأَسْرَى به إلى السَّمَاءِ حتى ارتقى سَبْعًا شِدَادًا ، وَتَجَلَّى له ربه فلم
يُزِغْ منه بَصْرًا ولا أَكْذَبَ فَوَادًا ، ثم مِنْ بعده على أُسْرته الطاهرة التي زكت أوراقا
وأعوادًا ، وَوَرِثَتْ النُّورَ المين تِلَادًا ، وَوُصِفَتْ بِأَنَّهَا أَحَدُ الثَّقَلَيْنِ هداية وإرشادًا ،
وخصوصاً عمه العباس المدعُوْله بأن يحفظ نفسه وأولادها ، وأن تَبْقَى كلمة الخلافة فيهم
خالدة لا تخاف دَرْكًا ولا تَخْشَى نَفَادًا . وإذا استوفى القلم مداده من هذه الْحَمْدَةَ ،
وَأُسْنَدَ الْقَوْلِ فيها عن فصاحته الْمُرْسَلَةَ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ فِي إِنْشَاءِ هَذَا التَّقْلِيدِ الَّذِي جعله
حليفًا لقرطاسه ، واستدامَ سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفعُ من رَأْسِهِ ، وليس
ذلك إلا لِإِفَاضَتِهِ فِي وصفِ المناقب التي كَثُرَتْ ، فَحَسَّنَ لها مقامَ الإِكْتَارِ ، واشتبه
التطويلُ فيها بالاختصار وهي التي لا يَفْتَقِرُ واصِفُها إلى القولِ المُعَادِ . ولا يستوعر سلوك
أطوادها ومن العجبِ وَجُودَ السَّهْلِ فِي سُلُوكِ الْأَطْوَادِ . وتلك مناقبك أيها الملكُ الناصر
الأجلُّ السَّيِّدُ الكَبِيرُ العَالِمُ العَادِلُ المِجَاهِدُ المِرابِطُ صلاحُ الدين أبو المظفر يوسفُ بنُ
أيوب والديوانُ العزيزُ يتلوها عليك تحدثًا بِشُكْرِكَ ، وَيُبَاهِي بك أوليائه تنزيهاً بِذِكْرِكَ ،
ويقولُ أَنْتَ الَّذِي نستكفي فتكونُ للدولِ سَهْمَا الصَّائِبِ ، وشهابها الثاقبُ ، وكتَرها
الَّذِي تذهبُ الكنوزُ وليسَ بذاهبِ ، وماضرها وقد حَضَرَتْ فِي نُصْرَتِهَا إِذَا كانَ غيرُكَ
هو الغائبُ ، فاشكر إِذَا مَسَاعِيكَ التي أَهْلَتِكَ لما أَهْلَتِكَ ، وَفَضَّلْتَكَ على الأولياءِ بما
فَضَّلْتَكَ وَلَئِنْ شوركِ فِي الوِلاءِ بِعَقِيدَةِ الإِضْمارِ ، فلم تُشَارِكِ فِي عَزْمِكَ الَّذِي انتصر
للدولةِ فَكانَ له بَسْطَةُ الانتصارِ ، وفرقٌ بينَ مَنْ أمدَّ بقلبه وبينَ مَنْ أمدَّ بيدهِ فِي
درجاتِ الإِمْدَادِ ، وما جعلَ اللهُ القاعدينَ كالَّذينَ قالُوا : لو أمرنا لَضَرَبْنَا أَكْبَادَهَا إِلَى
بَرْكِ الغَمَادِ (٩٤) .

(٩٣) سورة القصص : الآية ٨٣ . (٩٤) قال صاحب القاموس : وبرك الغماد بالكسر ويفتح موضع

بالين ، أو وزراء مكة بخمس ليل ، أو أقصى معمور الأرض .

وقد كفاك من المساعي أنك كفيت الخلافة أمر منازعتها ، وطمست على الدعوة الكاذبة التي كانت تدعيها ، ولقد مضى عليها زمنٌ ومِحْرَابٌ حقها محفوفٌ من الباطل بمحرايين ، ورأت ما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من السَّوَارِينِ الَّذِينَ أَوْلَاهُمَا كَذَابِينَ ، فبمصر منها واحدٌ تاهَ بمجرى أنهارها من تحته ، ودعا الناس إلى عبادة طاغوته وجيته ، ولعبَ بالدين حتى لَمْ يَدْرِ يَوْمَ جَمَعْتَهُ مِنْ يَوْمِ أَحَدِهِ وَلَا يَوْمَ سَيِّئِهِ ، وأعانه على ذلك قومٌ رمى الله بصائرهم بالعمى والصَّمَمِ ، واتخذوه صنماً بينهم ، ولم تكن الضلالة هناك إلا بعجلٍ أو صنمٍ ، فقمت أنت في وجه باطله ، حتى قعدت وجعلت في جيده حبلاً من مسدٍّ ، وقلت ليد تبتُّ ، فأصبح وهو لا يسعى بقدم ولا يبطش بيد ، وكذلك فعلت بالآخر الذي نجمت باليمن ناجمته ، وسامت فيه سائمته ، فوضع بينة موضع الكعبة اليمانية ، وقال هذا ذو الخلصة الثانية (٩٥) ، فأى مقاميك يعترف الإسلام بسبقه ، أم أيها يقوم بأداء حقه ؟

وها هنا فليصبح القلم للسيف من الحساد ، وليقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الأنداد ولم يحظ بهذه الزية إلا لأنه أصبح لك صاحباً ، وفخر بك حتى طال فخرًا عما عز جانباً ، وقضى بولايتك فكان بها قاضياً ، لما كان حده قاضياً . وقد قللك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمانية غوراً ونجداً ، وما اشتملت عليه رعيةً وجنداً ، وما انتهت إليه أطرافها براً وبحراً ، وما يستنقذ من مجاوريها مسألة وقهراً ، وأضاف إليها بلاد الشام ، وما تحتوى عليه من المدن الممدنة ، والمراكز المحصنة مستثياً منها ما هو بيد نور الدين إسماعيل بن نور الدين محمود رحمه الله ، وهو « حلب » وأعمالها ، فقد مضى أبوه عن آثار في الإسلام ترفع ذكره في الذاكرين ، وتخلفه في عقبه في الغابرين ، وولده هذا قد هدبته الفطرة في القول والعمل ، وليست هذه الربوة إلا من ذلك الجبل . فليكن له منك جارٌ يدينونه وداداً كما دنا أرضاً ، ويصبح وهو له كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً .

والذي قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد ، ولفتك عن

(٩٥) ذو الخلصة محرقة بفتحين وبضمين بيت كان يدعى الكعبة اليمانية لخنم كان فيه صنم اسمه الخلصة .

فضيلة الازدياد ، فأياك أن تنظر سعيك بالإعجاب ، وتقول هذه بلادُ أنا فتحتها بعد أن أَضْرَبَ عنها كثيرٌ من الأضراب ، ولكن اعلم أن الأرض لله ولرسوله ، ثم لخليفته من بعده ، ولا منة للعبدِ بإسلامه ، بل المنَّةُ لله بهداية عبده ، وكم سلف من قبلك من لورام ما رُمته لدنا شاسعُه ، وأجاب مانعُه ، لكن ذخره الله لك لتحظى في الآخرة ، بمفاذه وفي الدنيا برقم طرازه ، فألق بيدك عند هذا القول إلقاء التسليم ، وقل : لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

وقد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك في الاسم شعاعاً ، وفي الوسم فخاراً ، وتناسب محل قلبك وبصرِكَ ، وخير ملابس الأولياء ما ناسب قلوباً وأبصاراً ، ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ، ويشير إليك بأن الإنعام قد أطاف بك إطفاء الأطاوق بالأعناق ثم إنك خوطبت بالملك ، وذلك خطاب يقضى لصدرِكَ بالانشراح ، ولأمملك بالانفساح ، وتؤمر معه بمد يدك إلى العليا لا بضمها إلى الجناح .

وهذه الثلاثة المشار إليها هي التي تكمل بها أقسام السيادة ، وهي التي لا مزيد عليها في الإحسان ، فيقال إنها الحسنى وزيادة ، فإذا صارت إليك فانصب لها يوماً يكون في الأيام كريم الأنساب ، واجعله لها عيداً ، وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب .

هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضراً وأنت ناء عن الحضور ، وتضمن أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك ، والضئنة من شيم الغيور . وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها ، وما نقول إلا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها ، فاحرسها عليك حراسة تفضى بتقدمها ، واعمل لها فإن الأعمال بخواتيمها .

واعلم أنك قد تقلدت أمراً تعين به نفى الخلوم ، ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملووم ، وكثيراً ما يرى حسناته يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي الخصوم ، ولا ينجو من ذلك إلا من أخذ أهبته الحذار ، وأشفق من شهادة الأسماع والأبصار ، وعلم أن الولاية ميزان إحدى كفتيه في الجنة والأخرى في النار قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا أباذر ، إني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسى ، لا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تولين مالَ يتيمٍ »
فانظر إلى هذا القول النبوىَّ نظراً من لم يُخدعْ بمحدثِ الحرص والآمال ، ومثل الدنيا
وقد سيقَتْ إليك بِحَدِّافيرها ، أليس مصيرُها إلى الزوال ؟ والسعيدُ إذا جاءته قضى بها
أربَ الأرواح لا أربَ الجُسوم ، واتخذ منها - وهى السَّم - دواء ، وقد تتخذ الأدويةُ
من السُّموم . وما الاغتباط بما يَخْتَلِفُ على تلاشيه المساء والصُّباح ، وهو كماء أنزلناه من
السَّماء ، فاختلطَ به نباتُ الأرضِ ، فأصبحَ هشيماً تذرُّوه الرياح .
واللهُ يعصمُ أميرَ المؤمنين وولادةَ أمره من تباعثها التى لا بستهم ولا بسوها ، وأحصاها
اللهُ عليهم ونسوها ، ولك أنت من هذا الدُّعاءِ حظٌّ على قدر محلك من العناية التى
جذبت بعصبيك (٩٦) ، ومحلك من الولاية التى بسطت من دِرْعِكَ . فخذُ هذا الأمر
الذى تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان ، وكُنْ فى رعايته ممن إذا نامت عيناه كان
قلبه يقظان .

وملاكُ ذلك كله فى إسباغِ العدل الذى جعله اللهُ ثالثَ الحديثِ والكتابِ ،
وأغنى بثوابه وحده عن أعمالِ النَّوَابِ ، وقدر يوماً منه بعبادةِ ستين عاماً فى الحسابِ ،
ولم يأمر به أمرٌ إلا زيدَ قُوَّةً فى أمره ، وتحصَّنَ به من عدوِّه ومن دهره ، ثم يُجاءُ به يوم
القيامةِ وفى يديه كتاباً أمان ، ويجلسُ على منبرٍ من نور عن يمين الرحمن . ومع هذا
فإنَّ مركبه صعبٌ لا يستوى على ظهره إلا مَنْ أمسكَ عِنانَ نفسه قبل إمساكِ عِنانِهِ ،
وغلبت لمةُ ملكه على لمةِ شيطانه ، ومن أوكد فُرُوضِهِ أَنْ يَمْحَى السُّننَ السيئةَ التى
طالت مدد أيامها ، وَيَسَسَ الرَّعايا من رفع ظلاماتها ، فلم يجعلوا أمداً لانحسارِ ظلامها
وتلك السُّننُ هى المكوسُ التى أنشأتها الهممُ الحَقيرةُ ؛ ولا غنى للأيدى الغنية إذا
كانت ذاتَ نفوسٍ فقيرة . وكلما زيدت الأموالُ الحاصلةُ منها قدرًا زادها اللهُ مَحَقًّا ،
وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوقِ الواجبةِ ، فسموها حقًا ، ولولا
أنَّ صاحبها أعظمُ الناس جُرماً لما أغلظ فى عقابه ، ومثَّلت توبةَ المرأةِ الغامديةِ

(٩٦) الضبع العضد كلها ، وأوسطها يلحمها ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه .

بمثابة وهل أشقى ممن يكون السواد الأعظم له خصماً ويُضج وهو مطالبٌ بهم بما يعلم
 وبما لم يحط به علماً؟ وأنت مأمورٌ بأن تأتي هذه الظلمات فتنجي على إبطائها ،
 وتلحق أسماءها في المحو بأفعالها ، حتى لا يبقى لها في العيان صورٌ منظورة . ولا في
 الألسنة أحاديثٌ مذكورة . فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنةً سوء
 سنتها يدها . وعن الآتي متابعة ظلم وجدته نهجاً مسلوكا . فجرى على مداه ، فبادر
 إلى ما أمرت به بمبادرة من لم يضق به ذرعاً . ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فرآها في
 الآخرة متاعاً . واحمد الله على أن قيض للإمام هدى يقف بك على هُداك ، ويأخذ
 بحجزتك عن خطوات الشيطان ، الذي هو أعدى عداك . وهذه البلاد المنوطة
 بطرفك تشتمل على أطراف متباعدة ، وتفتقر في سياستها إلى أيدٍ متساعدة . ولهذا
 يكثر بها قضاة الأحكام ، وأولو تدبيرات السيوف والأقلام . وكل من هؤلاء ينبغي أن
 يقف على باب الاختبار ، ويسلط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم والدينار ، فما
 أضل الناس شيء كحب المال الذي فورقت من أجله الأديان ، وهجرت بسببه الأولاد
 والإخوان . وكثيراً ما نرى الرجل الصائم القائم وهو عابد له عبادة الأوثان فإذا استعنت
 بأحد منهم على شيء من أمره فاضرب عليه بالأرصاد . ولا ترض بما عرفته من مبدأ
 حاله فإن الأحوال تنتقل منتقل الأجساد ، وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خدع
 عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بالربيع بن زياد . وكذلك أوامر هؤلاء على
 اختلاف طبقاتهم بأن يأمرؤا بالمعروف مواظبين ، وينهوا عن المنكر محاسنين ، ويعلموا
 أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الله الغالين . وليبدؤوا أولاً بأنفسهم ،
 فيعدلوا بها عن هواها ، ويأمرؤا بما يأمرؤن به سواها ، ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق
 البر وهو عنه حائد . وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج إلى طبيب وعائد ، فما تنزل
 بركات السماء إلا على من خاف مقام ربه . وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه ،
 وإذا صلحت الولاية صلحت الرعية بصلاحهم . وهم لهم بمنزلة المصاييح ، ولا
 يستضىء كل قوم إلا بمصباحهم ، ومما يؤمرؤن به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخواناً في
 الاصطحاب ، وجيراناً في الاقتراب ، وأعاوناً في توزع الحمل الذي يثقل على

الرقاب ، فالمسلمُ أخو المسلمِ ، وإن كانَ عليه أميرًا ، وأولى الناسِ باستعمال الرِّفق من كانَ فضل الله عليه كثيرًا ، وليست الولايةُ لمن يستجدُّ بها كثرة اللِّيف ، ويتولَّأها بالوطء العنيف ، ولكنَّها لمن يُمالُ على جوانبه ، ويؤكل من أطايه ، ولمن إذا غَضِبَ لم يرَ للغضبِ عنده أثر ، وإذا الحِفَ في سؤاله لم يلقَ الإلحافَ بخلق الصُّجر ، وإذا حضر الخصومُ بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر ، فذلك الذى يكون في أصحابِ اليمين ، والذى يُدعى بالحفيظ العليم ، والقوى الأمين .

ومن سعادة المرء أن تكونَ ولاته متأدِّين ، وجارين على نهج صوابه . وإذا تطأرت الكتبُ يوم القيامة كانوا حسناتٍ مُثبتة في كتابه .

وبعدَ هذه الوصية فإنَّ هاهنا حسنةٌ هي للحسناتِ كالأمِّ الودود ، ولطالما أغنت عن صاحبها إغناء الجنود ، وتيقَّظت لنصره والعيون رُقود ، وهى التى تسبِّغ لها الآلاء ، ولا يتخطَّأها البلاء .

ولأمير المؤمنين بها عنايةٌ تبعثها الرحمةُ الموضوعَةُ في قلبه ، والرغبةُ في المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه ، وتلك هى الصِّدقة التى فضَّل الله بها بعضَ عباده لمزيةً أفضالها ، وجعلها سبباً إلى التعويض عنها بعشر أمثالها ، وهو يأمرُك أن تتفقَّد أحوالَ الفقراء الذين قدِّرت عليهم مادَّة الأرزاق ، وألبسهم التعفُّف ثوبَ الغنى وهم في ضيقٍ من الإملاق ، فأولئك أولياءُ الله الذين مسَّتهم الضراء فصبروا ، وكثرت الدنيا في يد غيرهم فما نظروا إليها إذ نظروا ، وينبغى أن يهبَّع لهم من أمرهم مرفقا ، ويضربَ بينهم وبين الفقرِ موبقاً .

وما أطلنا لك القول في هذه الوصية إلا إعلاماً بأنَّها من المهِّم الذى يُستقبلُ ولا يُستدِير ، ويُستسكِّر منه ولا يُستكِّر ، وهذا يعدُّ من جهاد النفس في بذلِ المال ، ويتولَّوه جهادُ العدو الكافر في مواقف القتال ، وأمير المؤمنين يعرفك من ثوابه ما تجعلُ السيفَ في ملازمته أخصاً ، وتسخوله بنفسك إن كان أحدٌ بنفسه سخاً ، ومن صفاته أنه العمل المحبُّ بفضل الكرامة الذى يُنمى أجره بعد صاحبه إلى يوم القيامة ، وبه تُمتحنُ طاعةُ الخالق على المخلوق ، وكل الأعمال عاطلة لاخلاق لها وهو المختصُّ دونها برتبة

الخُلُوق ، ولولاً فضله لما كان محسوباً بشطرِ الإيمان ، ولما جعل الله الجنة له ثمناً وليست
 لغيره من الأثمان ، وقد علمتُ أنَّ العدوَّ وهو جارُّك الأذنى ، والذي يبلغُك وتبلغُه عيناً
 وأذناً ، ولا تكونُ للإسلامِ نِعَمَ الجارِّ حتَّى تكونَ له بِئْسَ الجار ، ولا عُذْرَ لك في تركِ
 جهادِهِ بنفسِكَ وما لك إذا قامتْ لغيرِكَ الأعذار . وأميرُ المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاهُ
 مكافحاً ، أو تطرُقَ أرضه مُماسياً أو مصابحاً ، بل يريدُ أن تقصِدَ البلادَ التي في يده
 قَصْدَ المستنقِذِ لا قَصْدَ المُغِيرِ ، وأن تحكَمَ فيها بحكَمِ الله الذي قضاهُ على لِسَانِ سَعْدِ في
 بَنِي قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وعلى الخصوصِ البيتِ المقدس ، فإنه تِلَادُ الإسلامِ القديم ، وأخو
 البيتِ الحرامِ في شَرَفِ التعظيمِ والذي توجَّهتْ إليه الوجوهُ من قبلُ بالسُّجُودِ والتسليمِ ،
 وقد أصبحَ وهو يشكو طولَ المدةِ في أسْرِ رقبته ، وأصبحتْ كلمةُ التَّوْحِيدِ وهي تشكو
 طولَ الوحشةِ في غربتها عنه وغربته ، فانهضْ إليه نهضةً توغلُ في قَرْحِه ، وتبدلِ صَعْبَ
 قيادَةِ بِسَمَحِه ، وإن كان لهُ عام حُدَيْبِيَّةَ فاتبعه بعام فتحِه ، وهذه الاستزادة وإنما تكون
 بعد سدادِ ما في اليد من ثغر كان مهملاً فحميت موارِدَه ، أو مُسْتَهْدَماً فرفعتْ
 قواعِدَه ، ومن أهمِّها ما كان حاضِرَ البحرِ فإنه عورة مكشوفة ، وخُطَّةٌ مَحْوَقةٌ ، والعدوُّ
 قريبٌ منه على بُعْدِه ، وكثيراً ما يأتيه فجأةً حتى يُسْبِقَ بَرْقُهُ بَرْعَدَه ، فينبغي أن يرتب
 بهذه الثغورِ رابطةً تكثُرُ شجاعَتُها ، وتقلُّ أقرانُها ، ويكونُ قتالُها لأن تكونَ كلمةُ الله
 هي العليا ، لا لأن يُرى مكانها ، وحينئذٍ يصبحُ كلُّ منها وله من الرِّجالِ أسوار ، ويعلم
 أهله أن بناءَ السَّيفِ أمنعُ من بناءِ الأحجار ، ومع هذا لا بدُّ لها من أسطولٍ يكثرُ عددهُ ،
 ويقوى مددُه ، فإنه العُدَّةُ التي تستعينُ بها على كشفِ العَمَاءِ ، والاستكثارِ من سبايا
 العبيدِ والإماءِ ، وجيشُه أخو الجيشِ السُّلْماني ، فذاك يسيرُ على متنِ الريحِ ، وهذا على
 متنِ الماءِ ، ومن صفاتِ خيله أنها جمعتْ بين العَومِ والمِطارِ^(٩٧) ، وتساوتْ أقدارُ
 خلقها على اختلافِ مدةِ الأعمارِ ، فإذا أشرعتْ قِبلَ جبالٍ متلفعةٍ يقطعُ من الغيومِ ،
 وإذا نظرتْ إلى أشكالها قيل إنها أهلةٌ غير أنها تهتدى في مسيرها بالنُّجومِ ، ومثلُ هذه الخيلِ
 ينبغي أن يُعالَى في جِيادها ، ويُستكثرَ من قيادها ، وليؤمَّرَ عليها أميرٌ يلقي البحرَ بمثلِه من

(٩٧) العوم سير الإبل ، والمطار سرعة سير الخيل .

سَعَةَ صَدْرِهِ ، ويسلُكُ طرقه سلوكَ من لم تَقْتُلْه بجهلها ، ولكن قتلها بِخُبْرِهِ ، وكذلك فليكن مَمَّنْ أَفْنَتَ الأيَّامَ تجارِبُهُ : وزحمتها مناكبُهُ ، وممَّنْ يذلُّ الصَّعبُ إذا هوسَّاسَهُ وإن لَانَ جانبُهُ ، وهذا هو الرجلُ يرأسُ على القومِ فلا يجدُهُ هَزَّةً بالرياسة ، وإن كان في السَّاقَةِ (٩٨) ، ففي السَّاقَةِ أو كانَ في الحراسةِ ففي الحراسةِ ، ولقد أفلحتُ عِصَابَةُ اعتصَبْتُ من ورائه ، وأيقنتُ بالنَّصرِ من رأيتُه كما أيقنتُ بالنَّصرِ من رأيه واعلم أنه قد أخلَّ من الجهادِ بركنٍ يقدحُ في عمله ، وهو تمامه الذي يأتي في آخِرِهِ ، كما أنَّ صِدْقَ النِّيَّةِ تأتي في أوَّلِهِ ، وذلك هو قَسَمُ الغنائِمِ ، فإنَّ الأيدي قد تناولتُهُ بالإجحافِ ، وخلطتُ جهادها فيه بغلوها فلم تَرُجِعْ بالكفِّافِ . والله قد جعلَ الظلمَ في تعدَّى حدودِهِ المحدودةِ ، وجعلَ الاستئثارَ بالمغنمِ من أشراطِ السَّاعَةِ الموعودةِ . ونحنُ نعوذُ به أن يكونَ زماننا هذا زمانه ، وبأسه شَرِّياسِ ، ولم يَسْتَحْلِفْنَا على حفظِ أركانِ دينه ثم نُهمله إهمالَ مضيعٍ ، ولا إهمالِ ناسٍ .

والذي نأمرُك به تجرِي هذا الأمرَ على المنصوصِ من حُكْمِهِ ، وتُبرئُ ذِمَّتَكَ ممَّا يكونُ غيرك الفاترُ بفوائده وأنتَ المطالبُ بإثمِهِ ، وفي أرزاقِ المجاهدين بالديارِ المصْرِيةِ والشاميةِ ما يُغنيهم عن هذه الإكلة التي تكونُ غداً أنكالا وجحيماً ، وطعاماً ذا غِصَّةٍ وعذاباً أليماً .

فتصَفِّحْ ماسطرننا لك في هذه الأساطير التي هي عزائمُ مُبرماتُ ، بل آياتُ محكماتُ ، وتُحِبُّ إلى الله وإلى أميرِ المؤمنين باقتفاء كلماتها ، وابنِ لك منها مجداً يَبْقَى في عَقَبِكَ إذا أُصِيبَتِ البيوتُ في أعقابها . وهذا التقليدُ ينطقُ عليك يأنه لَمْ يَأَلُ في الوصايا التي أوصاها ، وأنَّه لم يغادرِ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها . ثمَّ أنه قد ختمَ بدعواتِ دعا بها أميرُ المؤمنين عند ختامه ، وسألَ فيها خيرةَ الله التي تنتزلُ من كلِّ أمرٍ بمنزله نِظَامِهِ ، ثم قال : « اللَّهُمَّ إني أشهدُكَ على مَنْ قلدته شهادة تكون عليه رقية ، وله حسيية . فإني لم أمره إلا بأوامرِ الحقِّ التي فيها موعظةٌ وذكرى ، وهي لمن تبعها هُدى ورحمة

وَبُشْرَى ، وَإِذَا أَخَذَ بِهَا بَلَجَ بِحُجَّتِهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنِ الْحُجَجِ ، وَلَمْ يَخْتَلِجْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ يَخْتَلِجُ ، وَقِيلَ لَأَحْرَجَ عَلَيْكَ وَلَا إِثْمَ إِذْ نَجَوْتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ » .

[ثناء على الصَّابِي ، ومترلته من فن الكتابة]

وهذا الذي ذكرته من كلامي وكلامِ الصَّابِي فِي هَذِهِ التَّقَالِيدِ الْأَرْبَعَةِ لَمْ أَقْصِدْ بِهِ الْوَضْعَ مِنَ الرَّجُلِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ مَا ذَكَرْتُهُ لِيَبَانَ مَوْضِعَ السَّجْعِ الَّذِي يَثْبُتُ عَلَى الْمَمْحُكِّ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ فِي فِقْرِ الْأَسْجَاعِ لَمْ يَكُنْ مَقْصُوداً فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ، إِمَّا الْمَكَانَ عُسْرَةَ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَنَبَّهُ لَهُ .

وَكَيْفَ أَضْعُ مِنَ الصَّابِي وَعِلْمُ الْكِتَابَةِ قَدْ رَفَعَهُ وَهُوَ إِمَامُ هَذَا الْفَنِّ ، وَالْوَاحِدُ فِيهِ ؟ ، وَلَقَدْ اعْتَبِرْتُ مَكَاتِبَاتِهِ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَجَادَ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ كُلِّ الْإِجَادَةِ ، وَأَحْسَنَ كُلِّ الْإِحْسَانِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ عَنْ عَزِّ الدَّوْلَةِ بِخَيْرِ ابْنِ بُوَيْهِ (٩٩) إِلَى سَبِكْتِكِينَ (١٠٠) عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِ ، وَجَاهِرْتَهُ إِبَاهُ بِالْعَصِيانِ ، لِاسْتِحْقَاقِهِ بِهِ فَضِيلَةَ التَّقَدُّمِ ، كَيْفَ وَلَهُ مِنَ السُّلْطَانِيَّاتِ مَا آتَى فِيهِ بِكُلِّ عَجَبِيَّةٍ ؟ لَكِنَّهُ فِي الْإِخْوَانِيَّاتِ مَقْصُرٌ ، وَكَذَلِكَ فِي كُتُبِ التَّعَازِي .

وَعِنْدِي فِيهِ رَأْيٌ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرِي ، وَلِي فِيهِ قَوْلٌ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ سِوَايَ : وَذَلِكَ أَنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ فِي كِتَابَتِهِ زَائِدٌ عَلَى فَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، وَسَائِبِينَ ذَلِكَ فَأَقُولُ : لِيَنْظُرِ النَّاطِرُ فِي هَذَيْنِ التَّقْلِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْرَدْتُهُمَا لَهُ ، فَإِنَّهُ يَرَى وَصَايَا وَشُرُوطاً وَاسْتِدْرَاكَاتِ

(٩٩) هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ بِخَيْرِ الْمَلَقَبِ عَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ مَعَزِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ الدِّيْلَمِي ، وَلِي مَمْلَكَةٌ أَبِيهِ يَوْمَ مَوْتِهِ ، وَتَزَوَّجَ الْإِمَامَ الطَّائِعَ ابْنَتَهُ « شَاهِ زَمَانِ » عَلَى صَدَاقٍ مَبْلُغُهُ مِائَةٌ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ عَزِّ الدَّوْلَةِ مَلِكًا سَرِيًّا ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَمْسِكُ الثَّوْرَ الْعَظِيمَ بِقَرْنَيْهِ قَيْصِرَهُ . وَكَانَتْ بَيْنَ عَزِّ الدَّوْلَةِ وَابْنِ عَمِّهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ مَنَافَسَاتٍ فِي الْمَالِكِ أَدَّتْ إِلَى التَّنَازُعِ وَالْحَارَبَةِ ، فَالْتَقِيَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَالِ سَنَةِ ٣٦٧ هـ . فَقَتَلَ عَزِّ الدَّوْلَةَ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ فِي طَسْتٍ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ عَضُدِ الدَّوْلَةَ ، فَلَمَّا رَأَى وَضَعَهُ مَنْدِيلَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَبَكَى ، رَحِمَهَا اللَّهُ .

(١٠٠) نَصُّ الْكِتَابِ فِي الْخِتَارِ مِنْ رِسَائِلِ الصَّابِي ٢٢٧/١ .

وأوامر مابين أصل وفرع ، وكلّ وجزء ، وقليل وكثير ، ولا ترى ذلك في كلام غيره من الكتاب ، إلا أنه عيّر عن تلك الوصايا والأوامر والشروط والاستدراكات عبارة في بعضها ما فيه من الضعف والركّة وقد قيل : إن زيادة العلم على المنطق هُجْنَةٌ ، وزيادة المنطق على العلم خُدْعَةٌ .

ومع هذا فإني أقرُّ للرجل بالتقدم ، وأشهد له بالفضل .

[أقسام السجع]

وإذا فرغتُ مما أردتُ تحقيقه في هذا الموضوع فإني أرجعُ إلى ما كنتُ بصددِ ذكره من الكلام على السجع ، وقد تقدّم من ذلك ما تقدّم : وبقي ما أنا ذاكره هاهنا ، وهو أنّ السجع قد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون الفضلان متساويين ، لا يزيدُ أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : « فَأَمَّا الَّتِيَمَ فَلَا تَقْهَرِ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرِ » (١٠١) . وقوله تعالى : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَنْزِلْنَاهُ نَقْعًا * فَوْسَطْنَاهُ جَمْعًا » (١٠٢) .

ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء ، حتّى كأنها أفرغت في قالب واحد ؟ وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة ، وهو أشرفُ السجع منزلة ، للاعتدال الذي فيه .

القسم الثاني : أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول ، لا طولاً يخرجُ به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فإنه يقبح عند ذلك ، ويُستكره ، ويعدُّ عيباً ، فمما جاء من ذلك قوله تعالى : « بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَاَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا » (١٠٣)

(١٠١) سورة الضحى : الآيتان ٩ و ١٠ .

(١٠٢) سورة العاديات : الآيات ١ - ٥ .

(١٠٣) سورة الفرقان : الآيات ١١ و ١٢ و ١٣ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِ لَفْظَاتٍ ، وَالْفَصْلَ الثَّانِيَّ وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ :
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ
 شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (١٠٤) »
 وأمثالُ هذا في القرآنِ كثيرة .

وَيُسْتَنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ عَلَى ثَلَاثِ فِقْرٍ ، فَإِنَّ الْفَقْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ
 يُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ بَاقِي الثَّلَاثَةِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا ،
 فَإِذَا كَانَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَ لَفْظَاتٍ ، أَوْ
 إِحْدَى عَشْرَةَ .

مِثَالُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ صَدِيقٍ ، فَقُلْتُ : « الصَّدِيقُ مَنْ لَمْ يَعْتَضِ عِنكَ
 بِخَالِفٍ ، وَلَمْ يَعَامِلْكَ مَعَامَلَةَ خَالِفٍ ، وَإِذَا بَلَغْتَهُ أُذُنُهُ وَشَايَةَ أَقَامَ عَلَيْهَا حَدَّ سَارِقٍ أَوْ
 قَازِفٍ » .

فَالأُولَى وَالثَّانِيَةُ هَاهُنَا أَرْبَعُ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ ، لِأَنَّ الْأُولَى : « لَمْ يَعْتَضِ عِنكَ
 بِخَالِفٍ » وَالثَّانِيَةُ « وَلَمْ يَعَامِلْكَ مَعَامَلَةَ خَالِفٍ » وَجَاءَتِ الثَّلَاثَةُ عَشْرَ لَفْظَاتٍ ، وَهَكَذَا
 يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .

وَإِنْ زَادَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ عَنْ هَذِهِ الْعِدَّةِ فَتَرَادُ الثَّلَاثَةَ بِالْحِسَابِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا
 نَقَصَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ عَنْ هَذِهِ الْعِدَّةِ . فَافْهَمْ ذَلِكَ ، وَقِيسْ عَلَيْهِ .
 إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَهُ قِيَاسًا مُطْرَدًا فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ وَقَعَتْ مِنْ
 الْكَلَامِ ، بَلْ تَعْلَمْ أَنَّ الْجَوَازِ يَعْمُ الْجَانِبَيْنِ مِنَ التَّسَاوِي فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ ، وَمِنْ
 زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
 « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنضُودٍ * وَظِلِّ
 مَمْدُودٍ » (١٠٥) .

(١٠٤) سورة مريم : الآيات ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ .

(١٠٥) سورة الواقعة : الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

فهذه السجعات كُلُّها من لفظتين لفظتين ، ولو جعلت الثالثة منها خمسَ لفظاتٍ أو سِتِّمًا كان ذلك مَعِيًّا .

القسم الثالث : أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أَقْصَرَ من الأوَّل ، وهو عندى عَيْبٍ فَاحِشٍ وسببُ ذلك أن السَّجْعَ يكونُ قد استوفى أمدَه من الفصلِ الأوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ، ثمَّ يَجِيءُ الفصلُ الثاني قَصرًا عن الأوَّلِ ، فيكونُ كالشيءِ المُبْتَوَّرِ ، فيبقى الإنسانُ عند سماعه كمن يريدُ الانتهاءَ إلى غايةٍ فيعُثِرُ دُونَهَا .

* * *

وإذا انتهينا إلى هاهنا وبيننا أقسامَ السَّجْعِ ولَبَّهَ وقُشُورُهُ فسنقولُ فيه قولًا كَلِمًا ، وهو أن السَّجْعَ على اختلافِ أقسامِهِ ضربان : أحدهما : يسمى (السَّجْعُ القَصرِ) وهو أن تكونَ كُلُّ واحدةٍ من السَّجْعَتَيْنِ مَوْلَفَةً من ألفاظٍ قليلة ، وكلما قلتَ الألفاظَ كانَ أَحْسَنَ ، لِقُرْبِ الفواصِلِ المسجوعةِ من سَمْعِ السَّامِعِ .

وهذا الضربُ أوعَرَ السَّجْعَ مذهبًا ، وأبعدهُ متناولاً ، ولا يكادُ استعمالُهُ يقعُ إلا نادرًا والضربُ الآخرُ : يسمى (السَّجْعُ الطويل) وهو ضدُّ الأوَّلِ لآنه أسهلُّ متناولاً . وإنما كانَ القَصرُ من السَّجْعِ أوعَرَ مَسْلُكًا من الطويلِ لأنَّ المعنى إذا صيغَ بالألفاظِ قصيرةٍ عَزَّ مواتاةُ السَّجْعِ فيه . لِقَصرِ تلكِ الألفاظِ ، وضيقِ المجالِ في استجلابِهِ ، وأما الطويلُ فإنَّ الألفاظَ تطولُ فيه ، ويُستجلبُ له السَّجْعُ من حيثُ وليس كما يقالُ ، وكان ذلك سهلًا .

وكل واحد من هذين الضريين تتفاوتُ درجاتُهُ في عِدَّةِ ألفاظٍ : أما السَّجْعُ القَصرُ فأحسُّهُ ما كانَ مُؤَلَّفًا من لفظتين لفظتين ، كقوله تعالى : **والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فالعاصِفَاتِ عَصْفًا (١٠٦)** وقوله تعالى : **« يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قم فأنذر * وَرَبِّكَ فَكْبُرُ * وثيابك فطهر * والرُّجْزَ فَاهْجُرُ » (١٠٧)** .

(١٠٦) سورة المرسلات : الآيات ١ و ٢ . (١٠٧) سورة المدثر : الآيات ١ - ٥ .

ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألفاظٍ وأربعةٍ وخمسةٍ ، وكذلك إلى العشرة ، وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل ، فما جاء منه قوله تعالى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ » (١٠٨) وقوله تعالى : « اقترَبتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ » (١٠٩)

وأما السجع الطويل فإن درجاته تتفاوت أيضاً في الطول .
فنه ما يقرب من السجع القصير ، وهو أن يكون تأليفه من إحدى عشرة لفظة إلى اثني عشرة لفظة ، وأكثره خمس عشرة لفظة ، كقوله تعالى : « وَلئن أَدَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ * وَلئن أَدَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَّسْتَهٍ لِيَقُولنَّ ذَهَبَ الْسَيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ » (١١٠) فالأولى إحدى عشرة لفظة ، والثانية ثلاث عشرة لفظة ، وكذلك قوله تعالى : « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عَنتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » (١١١)

ومن السجع الطويل ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى :
« إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِن يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقُّنُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ » (١١٢)
ومن السجع الطويل أيضاً ما يزيد على هذه العدة المذكورة ، وهو غير مضبوط .

[التصريح في الشعر]

واعلم أن (التصريح) في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور ،

(١٠٨) سورة النجم : الآيات ٣٥ و٣٦ .

(١٠٩) سورة القمر : الآيات ٣٥ و٣٦ .

(١١٠) سورة هود : الآيات ١٠٩ و١١٠ .

(١١١) سورة التوبة : الآيات ١٢٨ و١٢٩ .

(١١٢) سورة الأنفال : الآيات ٤٣ و٤٤ .

وفائدتُه في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تُعَلَّمُ قافيتها ، وشبه البيت المُصْرَعُ بيابٍ له مصراعانِ مُتَشَاكِلانِ ، وقد فعَل ذلك القدماءُ والمُحَدِّثون ، وفيه دلالةٌ على سعةِ القُدرةِ في أفانينِ الكلامِ .

فأما إذا كثر التصريحُ في القصيدةِ فلستُ أراهُ مُختاراً إلا أن هذه الأصناف من التصريحِ والترصيعِ والتجنيسِ وغيرها إنما يحسنُ منها في الكلام ما قلَّ وجرى مجرى العُرَّةِ من الوجه ، أو كان كالطراز من الثوب .

فأما إذا تواترتُ وكثرتُ فإنها لا تكونُ مرضيةً ، لما فيها من أماراتِ الكلفةِ (١١٣) .

وهو عندى (١١٤) ينقسمُ إلى سبعِ مراتب ، وذلك شيءٌ لم يذكره على هذا الوجه

أحدٌ غيرى !

فالمرتبةُ الأولى : - وهى أعلى التصريحِ درجةً - أن يكون كلُّ مصراعٍ من البيتِ مستقلاً بنفسه في فهمٍ معناه ، غير محتاجٍ إلى صاحبه الذى يليه ويُسمى « التصريحِ الكاملِ » وذلك كقولِ امرئ القيسِ :

أفأطم مهلاً بعضُ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ هجرًا فأجملِ
فإن كلَّ مصراعٍ من هذا البيتِ مفهومٌ المعنى بنفسه ، غير محتاجٍ إلى ما يليه ،
وعليه وردَ قولُ المتنبي :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدمُ أكلُّ فصيحٍ قالَ شعراً مُتِمُّمٌ (١١٥)
المرتبةُ الثانيةُ : أن يكون المصراعُ الأولُ مستقلاً بنفسه ، غير محتاجٍ إلى الذى يليه

فإذا جاء الذى يليه كان مرتبطاً به ، كقولِ امرئ القيسِ :

فَقَاتَبْتُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

(١١٣) نقل ابن الأثير في كلامه عن (التصريح) رأى ابن سنان الخفاجى ، قال « في سر الفصاحة ٢٢٢ » .

فأما إذا تكرر التصريحُ في القصيدةِ فلستُ أراهُ مُختاراً ، وهو عندى يجرى مجرى تكرر الترصيعِ والتجنيسِ والبطاقِ وغير ذلك . . وإن هذه الأشياءُ إنما يحسنُ منها ما قلَّ وجرى منها مجرى اللمعةِ واللمحةِ ، وأما إذا تواتر وتكرر ، فليس ذلك عندى مرضياً . .

(١١٤) يقصد التصريح .

(١١٥) ديوان المتنبي ٣/٣٥٠ وهو مطلع قصيدة بمدح بها سيف الدولة .

فالمصراعُ الأوَّلُ غيرُ محتاجٍ إلى الثَّانِي في فهمِ معناه ، لكنَّ لَمَّا جاءَ الثَّانِي صارَ مرتبطاً به ، وكذلك وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوَى الظَّاءُ الحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ المُبَدَّدَ نَاطِمُ (١١٦)

وعليه وَرَدَ قَوْلُ المُتَنَبِّئِي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي (١١٧)

المرتبةُ الثالثةُ : أن يكونَ الشَّاعِرُ مُخَيَّرًا في وَضْعِ كُلِّ مِصْرَاعٍ مَوْضِعَ صَاحِبِهِ ، وَيُسَمَّى « التَّصْرِيعُ المَوْجَّهَ » وَذَلِكَ كَقَوْلِ ابْنِ الحِجَّاجِ البَغْدَادِي (١١٨) :

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي المِهْرَجَانِ خِفَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوعِ المَكَانِ

فَإِنَّ هَذَا البَيْتَ يُجْعَلُ مِصْرَاعُهُ الأوَّلُ ثَانِيًا ، وَمِصْرَاعُهُ الثَّانِي أَوَّلًا ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ كَالثَّانِيَةِ فِي الجَوْدَةِ .

المرتبةُ الرَّابِعَةُ : أن يكونَ المِصْرَاعُ الأوَّلُ غيرَ مُسْتَقِلِّ بِنَفْسِهِ . وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالثَّانِي ، وَيُسَمَّى « التَّصْرِيعُ النَاقِصُ » ، وَلَيْسَ بِمَرْضِيٍّ وَلَا حَسَنٍ ، فَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُ المُتَنَبِّئِي :

مَعَانِي الشَّعْبِ طِيْبًا فِي المَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ (١٢٠)

فَإِنَّ المِصْرَاعَ الأوَّلَ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي فَهْمِ مَعْنَاهُ دُونَ أَنْ يذْكَرَ المِصْرَاعُ الثَّانِي .

(١١٦) ديوان أبي تمام ٢٨٥ ، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دواد .

(١١٧) ديوان المتنبئ ١٧٤/٤ وهو مطلع قصيدة في مدح سيف الدولة .

(١١٨) هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج ، ذكره الثعالبي في بيتمة الدهر ، قال : وقد اتفق من رأيتهم وسمعتهم من أهل البصرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم يركاقتداره على مايرده من المعاني التي تقع في طرزه . مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحظة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة . ولكنه على علاته تنفكه الفضلاء بئثار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدياء أرواح نظمه ، ويحتمل الحثمتشون فرط رفقه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمنع من نوادره .

(١١٩) بيتمة الدهر ٦٥/٣ ، ورواية الثعالبي للشطر الثاني « خفة الشغل مع خلو المكان » .

(١٢٠) ديوان المتنبئ ٢٥١/٤ وهو مطلع قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ،

ويذكر طريقه بشعب بوان ، وهو موضع كثير الشجر والمياه يعد من جنان الدنيا .

المرتبة الخامسة : أن يكون التصريحُ في البيتِ بلفظةٍ واحدةٍ وسطاً وقافيةً .
ويسمى « التصريحُ المكرر » ، وهو ينقسم قسمين ، أحدهما أقربُ حالا من الآخر :
فالأول : أن يكون بلفظةٍ حقيقيةٍ لا مجازٍ فيها ، وهو أنزلُ الدرَجَتين كقول عبید بن
الأبرص (١٢١) .

فكلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَثُوبُ وَغَائِبِ المَوْتِ لَا يَثُوبُ
القسمُ الآخر : أن يكون التصريحُ بلفظةٍ مجازيةٍ يختلفُ المعنى فيها ، كقول أبي تمامٍ :
فَتَيَّ كَانِ شَرِباً لِلْعَفَاةِ وَمُرْتَعِي فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مِرْتَعَاً (١٢٢)
المرتبة السادسة : أن يذكر المصراعُ الأولُ ، ويكون معلقاً على صِفَةٍ يأتي ذكرُها
في أولِ المصراعِ الثاني ، ويسمى « التصريحُ المعلق » فمَّا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُ امرئِ
القيس :
أَلَّا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ إِلَّا أَنْجَلِ بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فإنَّ المصراعَ الأولَ معلقٌ على قوله : « بِصُبْحٍ » ، وهذا مَعِيبٌ جِدًّا ، وعليه
وَرَدَ قَوْلُ المُنَبِّئِي :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمِي وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا (١٢٣)
فإنَّ المصراعَ الأولَ معلقٌ على قوله : « تَدْمِي » .
المرتبة السابعة : أن يكون التصريحُ في البيتِ مخالفاً لقافيته ، ويسمى « التصريحُ
المشطور » وهو أنزلُ درَجَاتِ التصريحِ وأقبحُها ، فمن ذلك قولُ أبي نُوَاس :

(١٢١) أحد شعراء الجاهلية ، وهو معدود عند بعض الرواة من أصحاب المعلقات ومطلع معلقته :

أفقر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

(١٢٢) ديوان أبي تمام ٣٧٤ من قصيده يرقى بها أبا نصر محمد بن حميد الطائي ، ومطلعها :

أصم بك الناعي وإن كان أسعما وأصبح مغنى الجود بعدك بلقما

والعفاة : السائلون ، والمرعى موضع الرعى ، والهندية السيوف ، والمرع المسرح .

(١٢٣) ديوان المنبي ٢٢٠/٤ وهو مطلع قصيدة في مدح أبي سهل سعيد بن عبد الله ، ومعناه أن الفراق قد

علم أجفاننا الفراق ، فما تلتقى سهراً ، وجعل الفراق يؤلف الحزن .

أَقْلَبِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى ذُنُوبٍ وَإِلَافِرَارِ عُدْتُ مِنَ الْجُحُودِ (١٢٤)
 فَصَرَّعَ بِحَرْفِ الْبَاءِ فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَفَّاهُ بِحَرْفِ الدَّالِ ، وَهَذَا لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ
 إِلَّا قَلِيلًا نَادِرًا (١٢٥) .

النوع الثاني

في التجنيس

اعلم أنَّ التَّجْنِيسَ غَرَّةٌ شَادِحَةٌ وَجْهَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ تَصَرَّفَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ
 الصَّنَاعَةِ فِيهِ ، فَغَرَّبُوا وَشَرَّفُوا ، لِاسْمِ الْمُحَدِّثِينَ مِنْهُمْ ، وَصَنَّفَ النَّاسُ فِيهِ كِتَابًا كَثِيرًا .
 وَجَعَلُوهُ أَبْوَابًا مُتَعَدِّدَةً ، وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، وَأَدْخَلُوا بَعْضُ تِلْكَ الْأَبْوَابِ فِي بَعْضٍ .
 فَهَنِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَاتِمِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ (١) الْجُرْجَانِيُّ ، وَقَادِمَةُ
 ابْنُ جَعْفَرِ الْكَاتِبِ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ مُجَانَسًا لِأَنَّ حُرُوفَ الْفَافِظِ يَكُونُ تَرْكِيبُهَا مِنْ جَنَسٍ
 وَاحِدٍ .
 وَحَقِيقَتُهُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ وَاحِدًا وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفًا .

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّهُ هُوَ اللَّفْظُ الْمَشْتَرِكُ ، وَمَا عَدَاهُ فَلَيْسَ مِنَ التَّجْنِيسِ الْحَقِيقِيِّ فِي شَيْءٍ ،
 إِلَّا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ مَا يُسَمَّى تَجْنِيسًا ، وَتِلْكَ تَسْمِيَةٌ بِالمُشَابَهَةِ ، لِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى
 حَقِيقَةِ الْمَسْمِيِّ بِعَيْنِهِ .

وَعَلَى هَذَا فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي التَّجْنِيسِ وَمَا شَبَّهَ بِهِ فَأَجْرَى مَجْرَاهُ ، فَوَجَدْتُهُ يَنْقَسِمُ إِلَى
 سَبْعَةِ أَقْسَامٍ ، وَاحِدٌ مِنْهَا يَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ التَّجْنِيسِ ، لِأَنَّ لَفْظَهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ ، وَسِتَّةٌ
 أَقْسَامٌ مُشَبَّهَةٌ .

(١٢٤) ديوان أبي نواس ١٧٩ وهو أحد بيتين كتب بهما إلى الفضل بن الربيع ، والبيت الآخر :

وإن تصفع فأحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

وفي الأصل « الذنوب » و « عن » موضع « من » .

(١٢٥) هذا عيب من عيوب القوافي سماه قدامة بن جعفر (التجميع) وعرفه بأن تكون قافية المصراع الأول

من البيت على روى من بيتي لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه ، فتأتي بخلافه .

(١) في الأصل « أبو الحسين » . وهو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتني

فأما القسم الأول : فهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها ، كقوله تعالى :
« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » (٣) وليس في القرآن الكريم سوى
هذه الآية ، فاعرفها .

ويروى في الأخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمامه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلُّوا بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْجَرِيرِ » أى : دَعُوا زِمَامَهُ .
ومما جاء منه في الشعر قول أبي تمام :

فَأَصْبَحَتْ غُرُّ الْإَيَّامِ مُشْرِقَةً بِالنَّصْرِ تَضْحَكُ عَنْ أَيَّامِكَ الْغُرِّ
« فالغُرُّ » الأولى استعارة من غرِّ الوجه ، « والغُرُّ » الثانية مأخوذة من غرّة الشيء
أكرمه ، فاللفظ إذاً واحداً والمعنى مختلفٌ . وكذلك قوله :

مِنَ الْقَوْمِ جَعْدٌ أَيْضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَلَيْسَ بِنَانٌ يُجْتَدَى مِنْهُ بِالْجَعْدِ (٣)
فالجعدُ : السيد ، والبَّنانُ الجعدُ : ضدُّ السَّبَطِ (٤) ، فأحدهما يوصفُ به السخِيُّ
والآخرُ يوصفُ به البَخِيلُ . وكذلك قوله :

بِكَلِّ فَتَى ضَرْبٌ يُعْرَضُ لِلْقَنَا مُحِيًّا مُحَلِي حَلِيهِ الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ (٥)
فالضَّرْبُ : الرجلُ الخفيفُ ، والضَّرْبُ بالسَّيْفِ : في الحرب ، وكذلك قوله :
عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخَصْبِ (٦)

(٢) سورة الروم : الآية ٥٥ .

(٣) ديوان أبي تمام ١٣١ من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ، ومطلعها :

عفت أربع الخلات للأربع الملد لكل هضم الكشح مجدولة القد
(٤) في الأصل « البسيط » والسبط المرسل .

(٥) ديوان أبي تمام ٣٣ وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :
لقد أخذت من دار ماوية الحقب انحل المغاني للبلبي هي أم نهب
والحقب الدهور ، والنحل العطاء بلا عوض ، والمغاني المنازل .

(٦) ديوان أبي تمام ١٠ من قصيدته التي يمدح بها المعتصم ويذكر فتح عمورية ، والتي مطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فالثغور جمع ثغر ، وهو واحد الأسنان ، وهو أيضاً البلد الذي على تخوم العدو . ثم

قال في هذه القصيدة :

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً تَهْتَرُ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَرُ فِي كَثْبِ
بَيْضٍ إِذَا انْتَضَيْتَ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعْتُ أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ
فَالْقُضْبُ : السُّيُوفُ ، وَالْقُضْبُ : الْقُدُودُ عَلَى حَكْمِ الِاسْتِعَارَةِ ، وَكَذَلِكَ الْبَيْضُ

السُّيُوفُ ، وَالْبَيْضُ : النِّسَاءُ . وَهَذَا مِنَ النَّادِرِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ أَحَدٌ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسَطَلَ الْحَرْبِ صَدَعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَّائِبِ (٧)

فلفظ «الصدور» في هذا البيت واحد والمعنى مختلف . وكذلك قوله :

عَامِي وَعَامُ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدِيقَةٍ مَسْجُورَةٍ وَتَنْوَفَةٍ صَيْهُودِ

حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَسَلِ لِلطَّيْرِ عِيدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ (٨)

فالعِيدُ : فحلٌّ من فحول الإبل ، والعِيدُ : اليومُ المعروفُ من الأيام .

وقد أكثر أبو تمام من التَّجْنِيسِ فِي شِعْرِهِ ، فَمِنْهُ مَا أَغْرَبَ فِيهِ فَأَحْسَنَ ، كَالَّذِي ذَكَرْتُهُ ،

وَمِنْهُ مَا أَتَى بِهِ كَرِيهًا مُسْتَقْتَلًا ، كَقَوْلِهِ :

وَيَوْمٍ أَرَشِقُ وَالْهِجَاءُ قَدْ رَشَقْتُ مِنَ الْمَنِيَّةِ رَشَقًا وَأَبْلًا قَصَفًا (٩)

(٧) ديوان أبي تمام ٤٢ من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

ومعنى جابت قطعت ، والقسطل الغبار ، وصدعوا شققوا ، والعوالي الرماح ، والكتائب الجيوش .

(٨) ديوان أبي تمام ٨٢ من قصيدة مطلعها :

أرأيت أي سوائف وخذود عنت لنا بين اللوى وبرود

والعيس النوق ، والوديقة شدة الحر ، والمسجورة الموقدة ، والتنوفة الفلاة البعيدة الأطراف ، والصيهود الفلاة

لا ينال ماؤها ، وبنات العيد النوق .

(٩) ديوان أبي تمام ٢٠٢ من قصيدة في مدح أبي دلف ، ومطلعها :

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا فلا تكفن عن شانيك أو يكفا

وأرشق اسم جبل ، والوابل المطر الكثير .

وكقوله :

يَا مُضْغِنًا خَالِدًا لَكَ التُّكْلُ إِنْ خَلَدَ حِقْدًا عَلَيْكَ فِي خَلْدِهِ (١٠)

وكقوله :

وَأَهْلُ مُوقَانَ إِذْ مَاقُوا فَلَا وَزَرَ أَنْجَاهُمْ مِنْكَ فِي الْهَيْجَا وَلَا سَنَدُ (١١)

وكقوله :

مَهْلًا بَيْنِي مَالِكٍ لَا تَجْلِبَنَّ إِلَى حَيِّ الْأَرَاقِمِ دُوْلُولُ ابْنَةِ الرَّقْمِ (١٢)

ثم قال فيها :

مِنَ الرَّدْدِيَّةِ اللَّائِي إِذَا عَسَلَتْ تَشْمُ بَوَّ الصَّغَارِ الْأَنْفَ ذَا الشَّمَمِ (١٣)

وكقوله :

قَرْتُ بِقِرَانَ عَيْنِ الدِّينِ وَاشْتَرَّتْ بِالْأَشْتَرِينَ عِيُونَ الشَّرْكِ فَاصْطَلِمَا (١٤)

وله من هذا الغث البارد المتكلف شيء كثير لاجابة إلى استقصائه ، بل قد أوردنا منه قليلاً يُستدلُّ به على أمثاله .

(١٠) ديوان أبي تمام ٩٤ من قصيدة مطلعها :

مالكيب الحمى إلى عقده مابال جرعائه إلى عقده

والمضغن الحاقدا ، والنكل الفقد ، والخلد القلب والنفس .

(١١) ديوان أبي تمام ٩٩ من قصيدة مطلعها :

يأبعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصباية طول الدهر والسهد

ماقوا حمقوا ، والوزر الملجأ ، والهيجاء الحرب .

(١٢) ديوان أبي تمام ٢٦٩ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ، ومطلعها :

سلم على الربيع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الأيام والقدم

وحى الأرقام بنو تغلب ، والدوْلُول والرغم من أسماء الداهية .

(١٣) الردينية الرماح ، وعسلت اشتد اهتزازها ، والبو ولد الناقة ، أو جلد يحشى تبا فيقرب من أمه إذا

فقده فتشمه فتدر ، والشمم ارتفاع الأنف .

(١٤) ديوان أبي تمام ٣٠٢ من قصيدة في مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبى مطلعها :

أصغى إلى الين مغترأ فلا جرماً إن النوى أسارت في عقله لما

وقران محل ، واشتترت انشقت ، واصطلم قطع من أصله .

ومن الحسنِ في هذا الباب قولُ أبي نُوَاسٍ :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَى وَالْفُضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ (١٥)
وكذلك قوله :

فَقُلْ لِأَبِي الْعَبَّاسِ إِنْ كُنْتُ مُدْنِيًّا فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْأَخْذِ بِالْفُضْلِ
فَلَا تَجْحَدُونِي وَدَّ عِشْرِينَ حِجَّةً وَلَا تُفْسِدُوا مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الْفُضْلِ (١٦)
وعلى هذا النهجِ وَرَدَ قولُ البُحْتَرِيِّ :

إِذَا الْعَيْنُ رَاحَتْ وَهِيَ عَيْنٌ عَلَى الْجَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الْأَضَالِعُ (١٧)
فالعينُ : الجاسوس ، والعينُ : معروفةٌ ، وكذلك ورد قولُ بعضهم :

وَتَرَى سَوَابِقَ دَمْعِهَا فَتَوَاكُفْتُ سَاقٌ تُجَابِبُ فَوْقَ سَاقٍ سَاقًا
فالساقُ : ساق الشجرة ، والساقُ : القمريُّ من الطُّيور .

وعلى هذا الأسلوبِ جاء قولُ بعضِ المتأخِّرين ، وهو الشاعرُ المعروفُ بالمعريِّ في
قصيدةٍ قصدَ بها التَّجْنِيسَ في كثيرٍ من أبياتها ، فمن ذلك ما أوردَهُ في مطلعها :

لَوْ زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْخَالِ أَحْيَانًا وَنَحْنُ فِي حُفْرِ الْأَجْدَاثِ أَحْيَانًا
ثم قالَ في أبياتها :

تَقُولُ أَنْتَ أَمْرٌ جَافٍ مِغَالِطَةٌ قُلْتُ لَاهَوَمَتْ أَجْفَانُ أَجْفَانًا
وكذا قالَ في آخرها :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ فَلَاحَتْ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا

(١٥) ديوان أبي نواس ٩٦ .

(١٦) ديوان أبي نواس ١١٠ وقبل البيتين :

أَسْلَمْتَنِي ياجعفر بن أبي الفضل فن لي إذا أسلمتني يا أبا الفضل
وأى فتي في الناس أرجو مقامه إذا أنت لم تفعل وأنت أخو الفضل

وأبو الفضل الربيع بن بونس وزير المنصور ، والفضل في قافية البيت الأول الكرم ، والفضل في الثاني ابن الربيع ، وفي الثالث السباحة ، وفي الرابع ضد النقص .

(١٧) ديوان البحتري ٤٥/١ من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان مطلعها :

أَلَمْتُ وَهَلْ إِيْمَامَهَا لَكَ نَافِعٌ وَزَارَتْ خِيَالًا وَالْعَيْنُ هَوَاجِعٌ
وفي الأصل «لهوى» موضع «الجوى» .

ورأيت الغانميَّ قد ذكر في كتابه باباً وسماه (ردّ الأعجاز على الصدور) خارجاً
عن باب التجنيس ، وهو ضربٌ منه ، وقسمٌ من جملة أقسامه كالذي نحنُ بصددِ
ذكره هاهنا ، فمما أوردته الغانميُّ من الأمثلة في ذلك قولٌ بعضهم :

ونشريَّ يجميل الصند ع ذكراً طيبَ النشْرِ
ونفريَّ بسُيوفِ الهذدِ مِ مَنْ أَسْرَفَ فِي النَّفْرِ
وبحريَّ في شريِّ الحمدِ عَلَى شَاكِلَةِ الْبَحْرِ

وكذلك قولٌ بعضهم في الشيب :

يا بياضاً أذرى دُموعى حتىَّ عَادَ مِنْهَا سَوَادُ عَيْنِي بِيَاضاً

وكذلك قولُ البُحْتَرِيِّ (١٨) :

وأغرّ في الزمنِ البهيمِ مُحَجَّلٍ قَدْ رُحِتَ مِنْهُ عَلَى أَعْرَ مُحَجَّلٍ
كالهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ

وليس الأخذُ على المعاني في ذلك مناقشةً على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن
يُنصَبَ نَفْسَهُ لِإِيرَادِ عِلْمِ الْبَيَانِ ، وتفصيلُ أبوابه ، ويكونُ أحدُ الأبوابِ التي ذكرناها
داخِلاً في الآخر ، فيذهبُ عليه ذلك ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلقِ الصِّباحِ .
وربما جهل بعضُ الناس ، فأدخلَ في التجنيس ما ليس منه ، نظراً إلى مساواة
اللفظ دونَ اختلافِ المعنى ، فمن ذلك قولُ أبي تمام (١٩) :

أظنُّ الدمعَ في خدِّي سَيْتِي رُسُوماً مِنْ بُكائِي فِي الرُّسُومِ

وهذا ليس من التجنيس في شيء ، إذ حدُّ التجنيس هو اتفاقُ اللفظِ واختلافِ

المعنى ، وهذا البيتُ المُشَارُ إليه هو اتفاقُ اللفظِ والمعنى معاً .

وهذا ممّا ينبغي أن يُنبه عليه ليعرف .

ومن علماء البيان من جعلَ له اسماً ساءَ به وهو (الترديد) أي أن اللفظة الواحدة

(١٨) ديوان البحترى ٢/٢١٧ من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب ، ومطلعها :

أهلاً بذلك الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

(١٩) ديوان أبي تمام ٢٨٨ من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكرم الطائين ، ومطلعها :

أرامة كنت مألّف كل رم لو استمتعت بالأنس المقيم

رَدَّتْ فِيهِ . وَحَيْثُ نَبَّهْتُ عَلَيْهِ هَاهُنَا فَلَا أَحْتَاجُ أَنْ أَعْقِدَ لَهُ بَابًا أُفْرِدُهُ بِالذِّكْرِ فِيهِ .

[ما يشبهه بالتجنيس] .

وأما الأقسامُ الستة المشبهةُ بالتجنيس :

فالقسمُ الأولُ منها : أن تكون الحروفُ متساويةً في تركيبها ، مختلفة في وزنها ، فمما جاء من ذلك قولُ النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي حَسِّنْ خَلْقِي » ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن : لأن تركيب الخلق والخلق من ثلاثة أحرف ، وهى الخاء واللام والقاف ، إلا أنها قد اختلفتا في الوزن ، إذ وزن « الخلق » فَعْلُ بفتح الفاء ، ووزن « الخلق » فَعْلُ بضم الفاء .

ومن هذا القسم قولُ بعضهم « لا تُنَالِ غُرْرُ المعالي إلا بركوبِ الغررِ واهتِبَالِ الغررِ » وقال البحرى :

وَقَرَّ الخَائِنُ المَغْرورُ يَرْجُو أَمَانًا أَيَّ سَاعَةٍ مَا أَمَانِ
يَهَابُ الِائْتِنَاتِ وَقَدْ تَهَيَّأ لِلْحِظَّةِ طَرْفِهِ طَرْفُ السَّنَانِ (٢٠)

وكذلك وَرَدَ قول الآخر :

قَدْ ذُبْتُ بَيْنَ حُشَاشَةٍ وَذِمَاءِ مَا بَيْنَ حَيٍّ وَحَيٍّ وَحَرٍّ هَوَاءِ

القسم الثاني : من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير ، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس . فمما جاء منه قوله تعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ » إلى ربِّها نَاصِرَةٌ (٢١) فإن هاتين اللفظتين على وزن واحدٍ ، إلا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد . وكذلك قوله تعالى : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » (٢٢) .

(٢٠) ديوان البحرى ١/٩٣ من قصيدة يمدح بها المعتز بالله ومطلعها :

رويدك إن شأنك غير شانى وقصرك لست طاعة من نهائى

وفى الأصل « الخائن » موضع « الخائن » ، ورواية الديوان « لفتة طرفه » موضع « للحظة طرفه » .

(٢١) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ و٢٣ .

(٢٢) سورة الأنعام : الآية ٢٦ .

وكذلك قوله تعالى : « ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ » (٢٣)

وعلى نحو من هذا وَرَدَ قولُ النبي ﷺ : « الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ » وقال بعضهم : « لَأَتَنَا الْكَارِمُ إِلَّا بِالْمَكَارِهِ »
وقال أبو تَمَّام :

يَدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَّصٍ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ (٢٤)
وقال البحتري :

مِنْ كُلِّ سَاجِي الطَّرْفِ أُعِيدَ أَجِيدِ وَمَهْفَهفِ الْكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَحْوَرِ (٢٥)

وكذلك قوله :

شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قُطِعَ عَنْهَا (٢٦)
القسم الثالث : من المشبه بالتجنيس : وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مَخْتَلِفَةً فِي الْوِزْنِ وَالتَّرْكِيبِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ » (٢٧)

وقوله تعالى : « وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (٢٨)

(٢٣) سورة غافر: الآية ٤٥.

(٢٤) ديوان أبي تمام ٤٢ من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، ومطلعها :
على مثلها من أربع وملاعب أدبيلت مصونات الدموع السواكب
وفي الأصل « قواضم » موضع « قواضب » وهو تحريف .

(٢٥) ديوان البحتري ١٩/١ وهو ثاني أبيات قصيدة في مدح المتوكل مطلعها :

إن الظباء وغداة سفع محجر هيجن حرجوى وفرط تذكر

(٢٦) ديوان البحتري ٣/١ من قصيدة في مدح المتوكل مطلعها :

متى النفس في أسماء لو تستطيعها بها وجدها من غادة وولوعها

ويقال شجره بالرمح أى طعنه . وشواجر الأرحام روايتها ، وهى رواية الديوان ، وفى الأصل « شواجن » .
وعلى رواية الديوان لا يكون فى البيت محل شاهد على هذا القسم .

(٢٧) سورة القيامة : الآيتان ٢٩ و٣٠ .

(٢٨) سورة الكهف : الآية ١٠٨ .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ».
 ودخلَ ثَعْلَبُ صاحبَ كتابِ « الفصيح » على أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى
 ومجلسُهُ غاص ، فجلسَ إلى جَانِبِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وقال : « أَخَافُ أَنْ أَكُونَ ضَيِّقْتُ
 عَلَيْكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَضِيقُ مَجْلِسُ بِمَتَحَائِنٍ ، وَلَا تَسَعُ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا مِتْبَاعِغِضِينَ » فقالَ له
 أَحْمَدُ : « الصِّدِيقُ لَا يَحَاسِبُ ، وَالْعَدُوُّ لَا يُحْتَسَبُ لَهُ . » وهذا كِلامٌ حَسَنٌ مِنْ كِلامِ
 الرَّجُلَيْنِ . والتجنيسُ في كِلامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ في قَوْلِهِ : « يَحَاسِبُ » و « يُحْتَسَبُ
 لَهُ » .

وقد جاءني شيءٌ من ذلك عليه خِفةُ الطَّبَعِ لِاثْقَلِ التَّطْبَعِ .
 فنه ما ذكرتُه في فصلٍ من كتابِ إِي دِيوانِ الخِلافَةِ يتضمَّنُ ذِكرَ الجِهادِ فقلتُ :
 « وَخَيْلُ اللهِ قَدْ اشْتَاقَتْ أَنْ يُقَالَ لَهَا أَرْكَبِي ، وَسُيُوفُهُ قَدْ تَطَلَّعَتْ أَنْ يُقَالَ لَهَا
 اضْرِبِي ، وَمِوَاطِنُ الجِهادِ قَدْ بَعُدَ عَهْدُهَا بِاسْتِسْقَاءِ شَأْيِبِ النُّحُورِ ، وَإِنْبَاتِ رَبِيعِ
 الذِّبابِ والنَّسُورِ ، وما ذاكَ إِلَّا لِأَنَّ العَدُوَّ إِذَا طَلَبَ تَقَمَّصَ ثُوبَ إِذْلالِهِ ، وَتَنَصَّلَ مِنْ
 صِحَّةِ نِصَالِهِ ، وَاعْتَصَمَ بِمِعاقلِهِ الَّتِي لِإِفْرَاقِ بَيْنِها وَبَيْنَ عِقالِهِ » .

ومن ذلك ما ذكرتُه في وصفِ كَرِيمٍ ، فقلتُ :
 « وَقَدْ جَعَلَ اللهُ حَرَمَهُ مَلَقَى الجِيفانِ ، وَمُلَّتَقَى الأَجْفانِ ، فَهو حِمَى لَمَنْ جَنَّبِي عَلَيْهِ
 زَمَانَهُ ، وَجارٌ لِمَنْ بَعُدَ عَنْهُ جِيرانُهُ »

ومن ذلك ما ذكرتُه في فصلٍ من كتابِ إِي دِيوانِ الخِلافَةِ ، وهو :
 « وَلقدِ اسْتَبانَ الخادِمُ مِنْ بَرَكةِ طاعَتِهِ ما يعمى عَنْهُ غَيْرُهُ فما يَرَاهُ ، وَوَجَدَ مِنْ أَثرِهِ في
 صِلاحِ دُنْيائِهِ ما اسْتَدلَّ بِهِ عَلَى صِلاحِ أَخْرائِهِ ، فَهو المَرْكَبُ المَنْجِيّ وَالْعَمَلُ المَرْجُو لا
 المَرْجى . وَالْمَعْنى المَرادُ بِهَدِايةِ الصِّراطِ المَسْتَقِيمِ ، وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فليحذرِ الَّذِينَ
 يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ . » (٢٩)

ومن ذلك ما ذكرتُه في أثناء كتابِ إِي بعضِ الإِخوانِ ، وَذلكَ وَصَفُ بعضِ

المنعمين ، فقلتُ :

« نحنُ من حُسْنِ شِيمِهِ وفواضِلِ إِحْسَانِهِ بَيْنَ هِنْدٍ وَهِنْدَةٍ ، وَمِنْ يَمْنِ نَقِيَّتِهِ وَأَمَانَةِ عَيْبِهِ بَيْنَ أُمَّ مَعْبَدٍ وَأَبِي عُيَيْدَةٍ . »

ومن ذلك ما ذكرتهُ في مطلعِ كتابِ إِي إلى بعضِ الإخوانِ فقلتُ :
« الكُتُبُ وَإِنْ عَدَّهَا قَوْمٌ عَرَضاً مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَتَقَالُوهَا حَتَّى قَالُوا هِيَ سَوَادٌ فِي بِياضِ ، فَإِنَّ لَهَا عِنْدَ الْإِخْوَانِ وَجْهًا وَسِيمًا ، وَمَحَلًّا كَرِيمًا ، وَهِيَ حَمَائِمُ الْقُلُوبِ إِذَا فَارَقَ حَمِيمٌ حَمِيمًا . وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ سَيِّدِنَا ... » .

ثم مضيتُ على هذا النهجِ إلى آخرِ الكتابِ .
ومن هذا القسمِ قولُ أبي تمام :

أَيَّامَ تُذَمِّي عَيْنَهُ تَلِكَ الدَّمِي فِيهَا وَتَقْمَرُ لَبَّهُ الْأَقْمَارُ (٣٠)

وكذلك قوله :

بِيضٌ فَهَنْ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُورٌ وَهَنَّ إِذَا رُمِقْنَ صَوَارُ (٣١)

وكذلك قوله :

بَدْرٌ أَطَالَتْ فِيكَ بَادِرَةَ النَّوَى وَلَعًا وَشَمْسٌ أُولَعَتْ بِشِمَاسِ (٣٢)

وكذلك قوله :

كَادُوا النَّبْوَةَ وَالْهَدَى فَتَقَطَّعَتْ أَعْنَاقَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ
جَهَلُوا فَلَمْ يَسْتَكْثُرُوا مِنْ طَاعَةٍ مَعْرُوفَةٍ بَعَارَةٍ الْأَعْمَارِ (٣٣)

(٣٠) ديوان أبي تمام ١٤٥ من قصيدة في مدح أبي سعيد الثغري ، ومطلعها :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار

ومعنى تقمر تغلب ، واللب العقل .

(٣١) من القصيدة السابقة ، ومعنى رمقن أطيل النظر إليهن ، والسوافر المكشوفات ، والصوار قطع بقر الوحش .

(٣٢) ديوان أبي تمام ١٧٣ من قصيدة في مدح أحمد بن المعتصم ، ومطلعها :

مافى وقوفك ساعة من باس تقضى ذمام الأربع الأدراس
ورواية الديوان « خطأ » موضع . . . والبادرة الخطأ ، والنوى الفراق ، والشباس العصيان .

(٣٣) ديوان أبي تمام ١٥٤ من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفسنين ، ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

وكذلك قوله :

إِنَّ الرِّمَاحَ إِذَا غُرِسْنَ بِمَشْهَدٍ فَجَنَى العَوَالِي فِي ذَرَاهُ مَعَالِي (٣٤)

وكذلك قوله :

إِذَا أَحْسَنَ الأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا بِلا نعمةٍ أَحْسَنْتَ أَنْ تَتَطَوَّلَا (٣٥)

وكذلك قوله :

أى رُبِعٍ يَكْذِبُ الدَّهْرُ عَنْهُ وَهُوَ مُلْقَى عَلَى طَرِيقِ اللَّيَالِي
بَيْنَ حَالِ جَنَّةٍ عَلَيْهِ وَحَوْلٍ فَهُوَ نِضْوُ الأَحْوَالِ والأَحْوَالِ
شَدًّا مَا اسْتَنْزَلْتِكَ عَنْ دَمْعِكَ الأَظْمَ عَانَ حَتَّى اسْتَهْلَّ صُوبُ الغَزَالِي
أى حُسْنٍ فِي الذَّاهِبِينَ تولى وَجَمَالَ عَلَى ظَهْوَرِ الجِمَالِ
وَدَلَالٍ مُخَيِّمٍ فِي ذُرَا الخ سِيمِ وَحِجْلِ مَعْصَمٍ فِي الحِجَالِ (٣٦)

فالبيت الثاني والخامس هما المقصودان بالتمثيل هاهنا ، والأبيات الباقية جاءت

تبعاً .

(٣٤) ديوان أبى تمام ٢٦٤ من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر أخذ بابك ، ومطلعها :

آلت أمور الشرك شر مآل وأقر بعد تحبط وصيال
والتخبط التكبر ، والصيال التسلط ، والجنى الثمر ، والعوالى الرماح ، وذراه ظله .

(٣٥) ديوان أبى تمام ٢٥٢ من قصيدة فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، مطلعها :

لها ن عليها أن تقول وتفعلنا ونذكر بعض الفضل منك ففضلا
ورواية الديوان « بلامنة » موضع « بلانعة » .

(٣٦) رويت هذه الأبيات فى الديوان (ص ٤٥٨) على النحو الآتى :

شدا ما استنزلتك من ربك الأظم
أى حسن فى الذاهبين تولى
ودلال مخيم فى ذرا الخيب
ومهامن مها الخندور وآجا
عادك الزور ليلة الرمل من رم
ثم فما زارك الخيال ولكنك
شعان حتى استهل دمع الغزال
وجمال على ظهور الجمال
م وحجل معذب فى الحجال
ل ظباء يسر عن فى الآجال
للة بين الحمى وبين المطال
لك بالفكر زرت طيف الخيال

والأظغان الهوادج فيها نساء ، واستهل سكب ، الذرى فناء الدار ، والخيم جمع خيمة ، والحجل الخللخال ،
والحجال جمع حجلة وهى موضع يزين بالثياب والستور للعروس ، والغزالي جمع عزلاء وهو مصب الماء من
الراوية .

وممّا جاء من ذلك قولُ عليّ بن جبلة (٣٧) :
وكمّ لك من يومٍ رفعت بناءه بذاتِ جفون أو بذاتِ جفان
وكذلك قول محمد بن وهيب الحميريّ :

قسّمت صُروفَ الدهرِ بأساً وناثلاً فالك موتورٌ وسيفك واطر
وهذا من المليح النادر .

ومن هذا القسم قولُ البُحترى :

جديرٌ بأن تنشق عن ضوء وجهه ضبابةٌ تقع تحتها الموتُ ناقعٌ (٣٨)
وكذلك قوله :

نسيمُ الرّوض في ربيعِ شمالٍ وصوبُ المزنِ في راحِ شمولٍ (٣٩)
وذمّ أعرابي رجلاً فقال : « كان إذا سألَ الحفّ ، وإذا سُئلَ سوف . يحسُدُ على
الفضلِ ، ويُرهدُ في الإفضالِ » .

القسم الرابع : من المشبه بالتجنيس : ويسمى (المعكوس) .

وذلك ضربان : أحدهما عكسُ الألفاظِ ، والآخر عكسُ الحروفِ .

فالأول : كقول بعضهم : « عاداتُ السّاداتِ ساداتُ العاداتِ » وكقول الآخر :

« شيمُ الأحرارِ أحرارُ الشيمِ » .

ومن هذا النوع ممّا وردَ شعراً قولُ الأصبطِ بنِ قريع (٤٠) من شعراء الجاهليّة :

(٣٧) علي بن جبلة هو المشهور بالمعكوك ، ولد سنة ١٦٠هـ وتوفى سنة ٢١٣هـ ، وكان ضريراً مسرفاً في
المدح مغالياً في معانيه .

(٣٨) ديوان البحترى ٤٦/١ من قصيدة مطلعها :

ألت وهل إلامها لك نافع وزارت خيالا والعيون هواجع

(٣٩) ديوان البحترى ٣٠/١ من قصيدة مطلعها :

أكنت معني يوم الرحيل وقد لجت دموعي في الهمول

(٤٠) هو من بني عوف بن كعب بن سعد ، رهط الزبيرقان بن بدر ، وكان قومه أساءوا مجاورته ، فانتقل
عنه إلى آخرين ، فأساءوا مجاورته ، فانتقل عنهم إلى آخرين ، فأساءوا مجاورته ، فرجع إلى قومه ، وقال : بكل
واد بنو سعد ، قال ابن قتيبة : وهو قديم ، وكان أغار على بني الحارث بن كعب ، فقتل منهم وأسر وجدع ، ثم
بنى أطما ، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء

قد يجمعُ المالَ غيرَ آكلِهِ ويأكلُ المالَ غيرَ مَنْ جَمَعَهُ
ويقطعُ الثوبَ غيرَ لابسِهِ ويلبسُ الثوبَ غيرَ مَنْ قَطَعَهُ (٤١)

وكذلك وَرَدَ قولُ أبي الطيبِ المتنبي :

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وكذلك قولُ الشريفِ الرضِيِّ مِنْ أبياتٍ يذم فيها الزمان :

أَسْفَ بِيَمَنْ يَطِيرُ إِلَى المَعَالِي وَطَارَ بِمَنْ يُسِفُّ إِلَى الدَّنَائِيَا
وكذلك قولُ الآخر :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلُ تَطْوَى وَتُنشَرُ بَيْنَهَا الأَعْمَارُ
فَقَصَارُهُنَّ مِنَ الهُمومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مِنَ السُّرورِ قِصَارُ
وأحسنُ من هذا كله وألطفُهُ قولُ ابنِ الزقاقِ الأندلسي :

غَيَّرْتَنَا يَدُ الزَّمَانِ نِ فَقَدْ شَبَّتْ وَالتَّحَى
فَاسْتَحَالَ الضَّحَى دُجَى وَاسْتَحَالَ الدُّجَى ضُحَى

وهذا الضربُ من التجنيسِ له حلاوة ، وعليه رَوْنِقُ ، وقد سَمَّاهُ قدامَةً بنُ جعفرِ
الكاتب (التبدیل) وذلك اسمٌ مناسبٌ لمسمَّاهُ ، لأنَّ مؤلفَ الكلامِ يأتي بما كان
مقدِّمًا في جزءِ كلامه الأولِ مؤخرًا في الثاني ، وبما كان مؤخرًا في الأولِ مقدِّمًا في
الثاني ، ومثله قدامَةٌ بقول بعضهم : « اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ
شَكَرَكَ » (٤٣) .

ومن هذا القسمِ قوله تعالى : « يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ
الحَيِّ » (٤٤) .

(٤١) من أبيات مطلعها :

يا قوم من عاذرى من الخدعة والمسى والصبح لا فلاح معه
وانظر الشعر والشعراء ٣٤٣/١ .

(٤٢) ديوان المتنبي ٢٣/٢ من قصيدة في مدح كافر مطلعها :

أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهي جنده

(٤٣) كتاب « جواهر الألفاظ » لقدامة بن جعفر : ص ٤٠٣ واسمه عنده « عكس اللفظ » أو « عكس

مانظم من بناء » . (٤٤) سورة آل عمران : الآية ٢٢ .

وكذلك وَرَدَ قول النبي ﷺ : « جَارُ الدارِ أَحَقُّ بِدَارِ الجَارِ » .

وكتب عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - كتاباً فقال : « أما بعد ، فَإِنَّ الإنسانَ يَسْرُهُ دَرْكُ مالمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ ، وَيَسُوؤُهُ قُوتُ مالمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ ، فلا تَكُنْ بما نِلْتَ من دُنْيائِكَ فَرِحاً ، ولا بما فاتَكَ منها تَرِحاً ، ولا تَكُنْ ممَّنْ يَرجو الآخِرَةَ بغيرِ عملٍ ، ويؤخرُ التوبةَ بطولِ أَمَلٍ : وكانَ قَدْ ، والسلام » .

وروى عن أبي تمام أنه لما قصدَ عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان ، وامتدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

* أَهْنَّ عَوادِي يُوْسُفٍ وَصَواجِبِهِ (٤٥) *

وأنكر عليه أبو سعيدٍ الضريُّرُ وأبو العَمَيْثَلُ هذا الإبتداء ، وقالوا : « لِمَ لا يَقولُ ما يُفْهَمُ » فقال : « لِمَ لا يَفْهَمانَ ما يُقالُ » ؟ ! فاستحسنَ منه هذا الجواب على الفور . وهو من التجنيس المشار إليه . وقد جاءني شيءٌ منه .

كقولِي في فصل من كتاب يتضمَّرُ فتحا ، وهو :

« فكمْ كانَ في افتِراعِ عُدْرَةِ الحِصْرِ من افتِراعِ عُدْرَةِ حِصانٍ ، وكمْ حيزَ به من سِنانٍ لَحْظٍ اسْتَرْقَةَ لَحْظَ سِنانٍ » .

وكذلك قولِي في صدر كتاب إلى ديوان الخِلافة وهو :

« الخادِمُ يبلِغُ خِدمَتَهُ إلى ذلكَ الجَنابِ الذي تَمَطَّرَهُ الشِفاءُ قُبلاً ، وتوسَّعَهُ العُفْاءُ أَمْلاً ، وتَرى الخَوْلَ به مُلوَكًا والمُلوكَ خَوْلًا ، وطاعَتُهُ هي محكُّ الأَعْمالِ التي أُشيرَ إليها بقوله تعالى : « لِيَبْلُوكُم أَيُّكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا » (٤٦) » .

(٤٥) صدر بيت وتامه : فعزماً فقدماً أدرك السؤل صاحبه *

وانظر ديوان أبي تمام ٤٣ .

(٤٦) سورة الملك : الآية ٢ .

وكذلك ورد قولى أيضاً ، وهو فصل من تقليد وزير ، فقلت :

وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول إنك الرجل الذى تُضربُ به الأمثال ،
والمهذب الذى لا يقالُ معه أى الرجال ، وإذا وأزرت مملكةً فقد حُطيتُ منك بشدِّ
أزرها ، وسدَّ ثغرها ، وأصبحت وأنت صدرٌ لقلبها ، وقلبٌ لصدرها ، فهى مُزدانةٌ
منك بالفضلِ المتين ، مُعانةٌ بالقوى الأمين .

وأما الضرب الثانى من هذا القسم - وهو عكس الحروف - فهو كقول بعضهم :

أهديتُ شيئاً يقلُّ لولا أخذوثه الفال والتبركُ
كُرسى تفاءلتُ فيه لها رأيتُ مقلوبه «يسركُ»

وكذلك قولُ الآخر :

كيف السرور بإقبالٍ وآخره إذا تأملتُه مقلوبُ «إقبالٍ» (٤٧)
وأجودُ من هذا كله قولُ الآخر :
جاذبتُها والريحُ تجذبُ عقرباً من فوق خدٍ مثل قلبِ العقربِ
وظفقتُ أثمُ ثغرها فتمنعتُ وتحجبتُ عنى بقلبِ «العقربِ»
وإذا قلبَ لفظُ «عقرب» صار «برقعاً» .

وهذا الضربُ نادرُ الاستعمالِ ، لأنه قلٌّ ما يقعُ كلمةٌ تُقلبُ حروفها فيجى معناها

صواباً .

القسم الخامس : من المشبه بالتجنيس ، ويسمى (المجنَّب) وذلك أن يجمعَ
مؤلفُ الكلامِ بين كلمتين إحداهما كالتبعِ للأخرى والجنيبة لها ، كقول بعضهم :

أبا العباس لا تحتسبُ بانى لشيءٍ من حلى الأشعارِ عارى
فلى طبعُ كسلسالٍ معينٍ زلالٍ من ذرا الأحجارِ جارى

وهذا القسمُ عندى فيه نظرٌ ، لأنه بلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس . ألا ترى أن
التجنيسَ هو اتفاق اللفظِ واختلافُ المعنى . وهاهنا لم يتفق إلا جزءٌ من اللفظِ ، وهو

(٤٧) مقلوب «إقبال» هو كلمة «لابقاء» .

أقله ، وأمّا اللزوم في الكلام المثنون فهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل المسجوعة . وهذا هو كذلك ، لأنّ العين والراء تساويا في البيت الأول في قوله « الأشعار » و « عار » ، والجيم والراء في البيت الثاني في قوله « الأحجار » و « جاز » .

القسم السادس : من المشبه بالتجنيس : وهو ما يساوي وزنه تركيبه ، غير أنّ حروفه تتقدّم وتتاخر ، وذلك كقول أبي تمام .

بيض الصفائح لاسود الصفائح في متونهنّ جلاء الشكّ والرّيب (٤٨)
فالصفائح والصفائح مما تقدّمت حروفه وتاخرت :

وقد ورد في الكلام المثنون كقوله صلى الله عليه وآله في فضيلة تلاوة القرآن الكريم : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ » .

فقوله صلى الله عليه وآله « اقرأ » و « ارتق » من التجنيس المشار إليه في هذا القسم .

النوع الثالث

في التصريح

وهو مأخوذ من تصريح العقد ، وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر ، وكذلك نجعل هذا في الألفاظ المثنورة من الأسجاع ، وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية .

وهذا لا يوجد في كتاب الله تعالى ، لما هو عليه من زيادة التكلف .

(٤٨) ديوان أبي تمام ٧ من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح عمورية ، ومطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
وبيض الصفائح يراد بها السيوف .

فَأَمَّا قَوْل مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهُ شَيْئًا وَمِثْلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ^(١) » فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَقَعَ لَهُ ، فَإِنَّ لَفْظَةَ « لَفِي » قَدْ وَرَدَتْ فِي الْفَقْرَتَيْنِ مَعًا ، وَهَذَا يَخَالِفُ شَرْطَ التَّرْصِيعِ الَّذِي شَرَطْنَاهُ ، لَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ . وَأَمَّا الشَّعْرُ فَإِنِّي كُنْتُ أَقُولُ إِنَّهُ لَا يَتَزَنُّ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، لَمَّا فِيهِ مِنْ تَعَمُّقِ الصَّنْعَةِ ، وَتَعَسُّفِ الْكُلْفَةِ ، وَإِذَا جِيَءَ بِهِ فِي الشَّعْرِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ مَحْضُ الطَّلَاوَةِ الَّتِي تَكُونُ إِذَا جِيَءَ بِهِ فِي الْكَلَامِ الْمُنثَوْرِ ، ثُمَّ إِنِّي عَثَرْتُ عَلَيْهِ فِي شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جَدًّا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

فَكَارُمٌ أَوْلَيْتَهَا مَتَبَّرَعًا وَجَرَائِمُ أَلْغَيْتَهَا مُتَوَّرَعًا

ف « مَكَارِمَ » بِإِزَاءِ « جَرَائِمَ » وَ « أَوْلَيْتَهَا » بِإِزَاءِ « أَلْغَيْتَهَا » وَ « مَتَبَّرَعًا » بِإِزَاءِ « مُتَوَّرَعًا » .

وَقَدْ أَجَازَ بَعْضُهُمْ أَنَّ يَكُونُ أَحَدُ الْفَاطِئِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مَخَالَفًا لِمَا يَقَابِلُهُ مِنَ الْفَصْلِ الثَّانِي ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِخَالَفَتِهِ حَقِيقَةَ التَّرْصِيعِ .

فَمَّا جَاءَ مِنْ هَذَا النُّوعِ مُنثَوْرًا قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ « فَهَوَّ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ » فَإِنَّهُ جَعَلَ الْفَاطِئِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مَسَاوِيَةً لِأَلْفَاطِ الْفَصْلِ الثَّانِي وَزَنَا وَقَافِيَةً ، فَجَعَلَ « يَطْبَعُ » بِإِزَاءِ « يَقْرَعُ » وَ « الْأَسْجَاعَ » بِإِزَاءِ « الْأَسْمَاعَ » وَ « جَوَاهِرِ » بِإِزَاءِ « زَوَاجِرِ » وَ « لَفْظِهِ » بِإِزَاءِ « وَعْظِهِ » .

وَمِمَّا جَاءَنِي فِي هَذَا النُّوعِ :

مَازَكَرْتَهُ فِي جَوَابِ كِتَابِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ ، وَهُوَ :

« قَدْ أَعَدْتُ الْجَوَابَ ، وَلَمْ أَسْتَعِرْ لَهُ نَظْمًا مَلْفَقًا ، وَلَا جَلْبَتُ إِلَى حُسْنًا مَنَمَّقًا ، بَلْ أَخْرَجْتُهُ عَلَى رِسْلِهِ ، وَغَنَيْتُ بِصِقَالِ حُسْنِهِ عَنْ صَقْلِهِ ، فَجَاءَ كَمَا تَرَاهُ غَيْرَ مَمَشُوطٍ وَلَا مَخْطُوطٍ ، فَهُوَ يَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ بَدَلْتِهِ ، وَقَدْ حَوَى الْجَمَالَ بِجُمْلَتِهِ ، وَالْحُسْنَ مَاوَشْتَهُ فِطْرَةً التَّصْوِيرِ ، لَا مَا حَشْتَهُ فِكْرَةَ التَّزْوِيرِ » وَالتَّرْصِيعُ فِي قَوْلِي « وَشْتَهُ فِطْرَةَ التَّصْوِيرِ » وَ « حَشْتَهُ فِكْرَةَ التَّزْوِيرِ » .

(١) سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ : الْآيَاتَانِ ١٣ ، ١٤

وكذلك ورد قولي في فصل من الكلام يتضمن تثقيف الأولاد :

قلتُ : « مَنْ قَوْمَ أَوْدَ أَوْلَادِهِ ، ضَرَمَ كَمَدَ حُسَّادِهِ » فهذه الألفاظ متكافئة في ترصيعها ، ف « قَوْمَ » بإزاء « حُسَّادِهِ » و « أَوْدَ » بإزاء « كَمَدَ » و « أولاده » بإزاء « حُسَّادِهِ » .

وكذلك قولُ بعضهم في الأمثال المولدة التي لم ترد عن العرب ، وهو : « مَنْ أَطَاعَ غَضَبَهُ أَضَاعَ أَدَبَهُ » ، ف « أطاع » بإزاء « أضاع » و « غضبه » بإزاء « أدبه » . وقد وردَ هذا الضربُ كثيراً في الخطب التي أنشأها الشيخ الخطيبُ عبد الرَّحيم بن نُبَّاتة رحمه الله ، فمن ذلك قوله في أول خطبة : « الحمدُ لله عاقِدِ أزمَةِ الأُمورِ بعزائمِ أمره ، وحاصِدِ أئمةِ الغُرورِ بقواصِمِ مكرِهِ ، ومُوفِّقِ عبيده لمغائِمِ ذِكْرِهِ ، ومحققِ مواعيده بلوازمِ شُكرِهِ »

فالألفاظ التي جاءت في الفصلين الأولين متساوية وزناً وقافية ، والتي جاءت في الفصلين الآخرين فيها تخالُف في الوزن ، فإن « مواعيد » تخالفُ وزن « عبيد » ، ولا تخالف قافيتها التي هي الدال .

ومن ذلك قوله أيضاً في جملة خطبة « أولئك الذين أفلوا فَنَجَمْتُمْ وَرَحَلُوا فَأَقَمْتُمْ ، وأبادهم الموتُ كما علمتم ، وأنتم الظالمون في البقاءِ بعدهم كما زعمتم ، كلاً والله ما أشخِصُوا لتقرُّوا ، ولا نغصُّوا لتسُرُّوا ، ولا بد أن تمرُّوا حيثُ مروا ، فلا تثقوا بجدع الدنيا ولا تغتروا » .

وهذا الكلام فيه أيضاً ما في الذي قبله من صحَّة الوزن والقافية وصحَّة القافية دون الوزن .

وكذلك قوله أيضاً في خطبة أخرى : « أيُّها الناسُ أسيِّمُوا القلوبَ في رياضِ الحِكم ، وأديِّمُوا النَّحيبَ على ابيضاضِ اللَّمم ، وأطيلوا الاعتبارَ بانتقاصِ النعم ، وأجِيلُوا الأفكارَ في انقراضِ الأُمم » .

وأما ماورد في الشعر على مخالفة بعض الألفاظ بعضاً فكقول ذي الرِّمة :

كحلاءُ في بَرَجٍ صَفْرَاءُ في دَعَجٍ كأنها فضةٌ قد مسَّها ذَهَبٌ^(٢)

وصدرُ هذا البيت مرصعٌ ، وعجزه خالٍ من الترصيع ، وعذرُ الشاعرِ في ذلك واضحٌ ، لأنه مقيَّدُ بالوقوفِ مع الوزن والقافية ، ألا ترى أنَّ ذا الرُّمةَ بنى قصيدته على حرفِ الباءِ ، ولو رصَّعَ هذا البيتَ الترصيعَ الحقيقيَّ لكان يلزمه أن يأتي بألفاظه على حرفين حرفين : أحدهما الباءُ ، أو كان يُقسم البيتَ نصفين ويمائلُ بين ألفاظِ هذا النصف وهذا النصف ، وذلك ممَّا يعسر وقوعه في الشعر .

وأربابُ هذه الصناعة قد قسَّموا الترصيعَ إلى هذين القسمين المذكورين ، وهذه القسمة لا أراها صواباً ، لأن حقيقة الترصيع موجودةٌ في القسم الأول دون الثاني .

ومما جاء من هذا القسم الثاني قولُ الخنساء :

حَامِي الحَقِيقَةَ مَحْمُودِ الحَلِيقَةِ مَهْمَى الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَرَّارٌ^(٣)

وكذلك قولُ الآخر^(٤) :

سُودَ ذَوَائِبِهَا بِيضُ تَرَائِبِهَا مَحْضُ ضَرَائِبِهَا صِيغَتْ مِنَ الكَرَمِ

(٢) من قصيدة له مطلعها .

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب
ورواية الديوان « دَعَج » موضع « بَرَج » و « نَعَج » موضع « دَعَج » .

(٣) من قصيدة الخنساء في رثاء أخيها صخر التي مطلعها :

ماهاج حزنك أم بالعين عوار أم ذرفت أم خلت من أهلها الدار

وقد سقط البيت من ديوانها ، واستدركه الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه « أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء » ص ٨١ ، وقد استشهد به أبو هلال العسكري للترصيع الجيد ، وأتبعه بيت الخنساء الذي يليه :

فعال سامية وراود طامية للمجد نامية تعنيه أسفار

وقال : هذا البيت رديء ، لتبرؤ بعض ألفاظه من بعض ، وانظر الصناعتين ٣٧٨ .

(٤) هو أبو صخر الهذلي .

النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم

وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً ، وأبعدها مسلماً ، وذلك لأن مؤلفه يلتزم مالا يلزمه ، فإن اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنشور في قوافيها ، وهذا فيه زيادة على ذلك ، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً .

وهو في الشعر أن تسوى الحروف التي قبل روى الأبيات الشعرية .
وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (١) في ذلك كتاباً وسماه كتاب « اللزوم » (٢) فأتى فيه بالجيد الذي يُحمد ، والرديء الذي يُدّم .
وسأذكر في كتابي هذا في هذا الموضع أمثلة من المنشور والمنظوم يهتدى بها .

فمن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب في فصل يتضمن ذم جبان ، فقلت :
« إذا نزل به خطبُ ملكه الفرق ، وإذا ضلَّ في أمر لم يؤمن إلا إذا أدركه الغرق » .

ومن ذلك ما ذكرته في مبدأ كتاب إلى بعض الإخوان ، فقلت :
« الخادم يهدي من دُعائه وثنائه ما يسلكُ أحدهما سماءً والآخر أرضاً ، ويصونُ أحدهما نفساً والآخر عرضاً ، وأعجب ما فيهما أنها توأمان ، غير أن هذا مُستتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان » .
فاللزوم هاهنا في الرأء والضاد .

(١) هو أبو العلاء المعري .

(٢) هذا اختصار لاسم الكتاب ، كما يسميه بعضهم « اللزوميات » والحقيقة أن اسمه كما سماه مؤلفه « لزوم مالا يلزم » قال أبو العلاء في خطبته : وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته « لزوم مالا يلزم » ومعنى هذا اللقب أن القافية تلزم لها لوازم لا يفتقر إليها حشو البيت . . . الخ - لزوم مالا يلزم : ج ١ ص ٣ .

وكذلك ورد قولي في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة ، فقلت :

« وَقَدْ عَلِمَ مِنْ شَيْمِ الدِّيوانِ العَزِيزِ أَنَّهُ يُسْرُ بِامْتِدَادِ الأَيْدِي إِلَى بابِهِ ، وَإِذَا أَعَبَّ أَحَدُهَا فِي المَسْأَلَةِ نَهَاةً عَنِ إِعْبابِهِ ، حَتَّى لا يَخْلُو حَرَمُهُ الكَرِيمُ مِنَ المَطافِ ، ولا يَدُ الكَرِيمَةِ مِنَ الإِسْعاَفِ » .
فاللزوم هاهنا في لفظتي « بابه » و « إغبابه » .

ومن ذلك ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أيضا ، وهو :

« ومهما شد به عَضُدُ الخادِمِ مِنَ الإِنعامِ فَإِنَّهُ قوَّةٌ لِليدِ التي خَوَّلْتَهُ ، ولا يَقْوَى تَصَعُّدُ السُّحْبِ إلا بِكَثْرَةِ غَيْثِها الَّذِي أَنْزَلْتَهُ ، وَغَيْرُ خافٍ أَنْ عبيدَ الدَوْلَةِ لها كالأَعْمَدِ مِنَ طِرافِها^(٣) ، ومركزُ الدائِرَةِ مِنْ أَطرافِها ، ولا يُؤَيِّدُ السيفُ إلا بِقائِمِهِ ، ولا يَنْهَضُ الجِناحُ إلا بِقوادِمِهِ » .
فاللزوم في هذا الموضع في الرّاء والفاء في قولي « طراف » و « أطراف » .

ومن ذلك ما كتبه في صدر كتاب إلى الملك الأفضل علي بن يوسف أهنيه بملك مصر في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، فقلت :

« المملوكُ يَهْنِي مولانا بِنِعْمَةِ اللهِ المُؤَدَّةِ بِاسْتِخْلاصِهِ واحْتِبابِهِ ، وتمكينِهِ حَتَّى بَلَغَ أَشُدَّهُ ، واستخرَجَ كَثْرَ آبائِهِ ، ولو أَنْصَفَ لَهْنا الأَرْضَ مِنْهُ بِوَالِئِها ، والأُمَّةَ بِكافِلِها ، وخصوصاً أَرْضَ مِصرِ التي خُصَّتْ بِشرفِ سُكْناها ، وَغَدَتْ بَيْنَ بَحْرَيْنِ مِنَ فَيْضِ البَحْرِ وَفَيْضِ يَمْناها » .

وكلُّ هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التي أنشأتها لا كُفِّتْ على كلمات اللزوم فيها .

وقرأت في كتاب « الأغاني » لأبي الفرج أن لقيط بن زُرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذي الجدين ، فحظيت عنده ، وحظي عندها ، ثم قتل ، فأمت بعده ، وتزوجت زوجاً غيره ، فكانت كثيراً ما تذكر لقيطاً ، فلأمها على ذلك ، فقالت :

(٣) الطراف البيت من آدم .

« أنه خرج في يومِ دَجْنٍ ، وقد تطيبَ وشربَ فطردَ البقرَ فصَرَخَ منها ، ثمَّ أتاني وبه نَضْحُ دَمٍ ، فضمّني ضُمَّةً ، وَشَمْنِي شَمَةً ، فليتنى مُتُّ ثَمَّةً ، فلمَّ أَرِ منظراً كَانَ أَحْسَنَ من لَقِيْطٍ » .

فقولها « ضَمَّنِي ضُمَّةً ، وَشَمْنِي شَمَةً ، فليتنى مُتُّ ثَمَّةً » من الكلامِ الحُلُوفِيِّ بابِ اللُّزومِ ، ولا كُلفَةَ عليه .

وهكذا فليكنْ ، فَإِنَّ الكُلفَةَ وحشةٌ تذهبُ برونقِ الصَّنعةِ . وما ينبغي لمؤلِّفِ الكلامِ أَنْ يَسْتعملَ هذا النوعَ حتى يَجِيءَ به متكلفًا . ومثاله في هذا المقامِ كمنْ أخذَ موضوعًا رديئًا فأجاد فيه صنَّعته ، فإنه يكونُ عند ذلك قد راعى الفرعَ ، وأهمَلَ الأصلَ ، فأضاعَ جودةَ الصَّنعةِ في رداءةِ الموضوعِ .

وقد سلكَ ذَلِكَ أَبُو العلاءِ المعرِّيُّ أحمدُ بنُ عبد الله بنِ سُلَيْمانَ ، فمَّا جاءَ منْ ذلك قوله في حرفِ التَّاءِ معِ الحَآءِ (٤) .

بِنْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَلَا بِنْتُ لِي فِيهَا وَلَا عِرْسٌ وَلَا أُخْتُ
وَقَدْ تَحَمَلْتُ مِنَ الوِزْرِ مَا تَحْمِلُهُ البِخْتُ (٥)
إِنَّ مَدْحُونِي سَاءَ نَبِيٍّ مَدْحُهُمْ وَخِلْتُ إِنِّي فِي الشَّرَى سَخْتُ
وله مِنْ ذلكِ الجيدِ كقوله :

لَا تَطْلُبِينَ بآلَةَ لِكَ حَاجَةً قَلْمُ البليغِ بغيرِ جَدِّ مِغزَلُ
سَكَنَ السَّمَاءِ كِلَاهُمَا (٦) هَذَا لَهُ رُمَحٌ وَهَذَا أَعزَلُ
وهذا يَبِينُ الاسترسالَ وَيَبِينُ الكُلفَةَ .

وأما ما تكلفَ لَهُ تكلُّفًا ظاهرًا - وَإِنْ أَجَادَ - فقوله (٧) :

تَنَازَعُ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَالُهُ وَلَا لِكَ شَيْءٌ فِي الحَقِيقَةِ فِيهَا

(٤) لزوم مالا يلزم ١٤٠/١ .

(٥) البيخْت الإبلُ الخراسانية المولدة ، من عربية وفالِح - والفالِحُ الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة .

(٦) السماكان الأعزل والرامح نِجْمَانِ نيران ، والأعزل لأنه لا سلاح معه ، أو لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه رِيح ولا برد ، والرامح نجم يكون قدام الفكة يقدمه كوكب يقولون هو رمحه ، والفكة كوكب مستديرة خلف السماك الرامح . (٧) لزوم مالا يلزم ٤١٠/٢ .

ولكنها ملكٌ لربٍّ مُقدِّرٍ
ولمَّ تحظَّ من ذلك التزاعِ بطائلٍ
فيا نفسُ لا تعظُمِ عليكِ خطوبُها
تداعوا إلى التزيرِ القليلِ فجالدوا
وما أمُّ صلٍّ أو حليلةٌ ضيغمٍ
تلاقي الوفودَ القادِمِيها بفرحةٍ
وما هي إلا شوكةٌ ليسَ عندها
كما نبتت للطيِّرِ والوحشِ رازمٌ
تئات عن الإنصافِ من ضيغمٍ لم يجد

سِيلاً إلى غاياتٍ مُتصِفِيها
فأطبِقْ فأ عنها وكفاً ومُقلَقَ
وَمِنْ ذَلِكَ (١٣) :

أرى الدنيا وما وُصفتِ بِيَرٍ
إذا خُشيت لِشُرِّ عَجَلتُهُ
حياةٌ كالحبالةِ ذاتُ مَكْرٍ
فلا يُخدَعُ بِحِيلَتِها أَرِيبٌ
أذاقتهُ شهيًّا مِنْ جَنَاهَا
إذا أَعنتُ فَقِيْرًا أَرهقتُهُ (١٤)
وإن رُجيتُ لِخَيْرٍ عَوقتُهُ
وَنَفْسُ المَرءِ صَيْدٌ أَعَلقتُهُ
وإنَّ هِيَ سَوْرتُهُ وَنَطقتُهُ
وَصَدَّتْ فَاهُ عَمَّا دَوقتُهُ

(٨) الجنوب جمع جنب وهو شق النقي ، وارتدبه تبعه .

(٩) أم صل الحية ، وحليلة الضيغم لبؤة الأسد أى زوجته ، وقوله فاعترفها أى فاعرفها .

(١٠) فى الديوان « شاكه » موضع « شوكة » والشاكه الكثره الشوكه ، والإرطاب مصدر أرطب النخل حان

أوان رطبه ، واخترف الثمار جناها .

(١١) الرازم البعير لا يقوم هزالا ، وإنما أنت الضمير والفعل لتأويله بمؤنث أو خير عن الطير .

(١٢) هذه كلمه تستعملها العرب عند الدعاء بالمكروه والشهامة به والمعنى جعل الله فم الداية مقابلا لفيك ،

وأصل ذلك أن السباع إذا تهاشرت صرفت أفواهاها بعضها لبعض ، فكأنهم يدعون على من يقال له ذلك أن

يكون مكابداً للدواهي .

(١٣) لزوم مالا يلزم ٤٠٠/٢

(١٤) فى الديوان « أوهقته » أى جعلت الوهق - وهو الجبل - فى عنقه .

وَقَدْ وَرَدَ لِلْعَرَبِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ ، فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ

الحماسة (١٥) :

إِنَّ التِّي زَعَمْتَ فَوَادِكَ مَلَهَا
بَيْضَاءُ بَاكِرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا
حَجَبَتْ نَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ
وَهَذَا مِنَ اللَّطَافَةِ عَلَى مَا يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ .

وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُ حَجْرَ بْنِ حَيَّةَ الْعَبْسِيِّ مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ أَيْضاً (١٦) :

وَلَا أَدُومُ قِدْرِي بَعْدَمَا نَضِجَتْ
بُخْلًا فَمَنْعُ مَا فِيهَا أَثَافِيهَا (١٧)
حَتَّى تُقَسِّمَ شَتَّى بَيْنَ مَا وَسِعَتْ
وَلَا يُؤْتِبُ نَحْتَ اللَّيْلِ عَافِيهَا (١٨)

وَمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَكْسِبُ أَهْلَهُ
أَرَى كُلَّ مَالٍ لَا مَحَالَةَ ذَاهِبًا
فُضُوحًا إِذَا لَمْ يُعْطَ مِنْهُ نَوَاسِبُهُ
وَأَفْضَلُهُ مَا وَرَثَ الْحَمْدَ كَاسِبُهُ

وَكذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَعَبِيرٌ لَوْنٌ رَاحِلَتِي وَلَوْنِي
أَقُولُ لَهَا إِذَا ضَجْرَتْ وَعَصَّتْ
تَرَدَّى الْهَوَاجِرَ وَاعْتِمَامِي
بِمُورِكَةِ الْوَرَاكِ مَعَ الزَّمَامِ
عَلَامٌ تَلْفَتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي
وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي

(١٥) مضى الكلام في هذا الشعر في ص ١٩٠ من هذا الكتاب .

(١٦) ديوان الحماسة ٢٨٩/٢ ، والواقع أنه لا التزام في هذا الشعر إلا في هذين البيتين وبعدهما بيتان لا التزام

فيهما وهما :

لَا أَحْرَمُ الْجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ
وَلَا أَكْمَلُهَا إِلَّا عِلَانِيَةً
وَلَا أَقُومُ بِهَا فِي الْحَى أَخْزَبَهَا
وَلَا أَخْرِهَا إِلَّا أَنْادِيَهَا

(١٧) رواية الحماسة «لتنع» موضع «فتمنع» . والأثنافى الحجارة التي توضع عليها القدر والمعنى : لا أدع قدرى بعد تضحجها على الأثنافى بخلا بما فيها ، بل أنزلها عنها ، وأطعم منها الأضياف وكان من عادة البخيل أن يترك القدر منصوبة على الأثنافى ، ليرى غيره أن القدر لم تنضح .

(١٨) لا يؤنّب أى لا يلام ، والعاقي في طالب المعروف .

وكذلك قوله أيضاً :

منع الحياة من الرجال ونفعها حدقُ ثقلها النساءُ مراضُ
وكانَ أفئدةَ الرجالِ إذا رأوا حدقَ النساءِ لئيلها أغراضُ

وإذا شئتَ أن تعلمَ مقاديرَ الكلامِ ، وكان لك ذوقٌ صحيحٌ فانظرْ إلى هذا
العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماءٌ جارٍ ، وانظرِ إلى ما أوردته لأبي العلاء المعري ،
فإنَّ أثرَ الكلفةِ عليه بادٍ ظاهر .

ومن قصدٍ من العزبِ قصيدهُ كلُّه على اللزومِ كثيرُ عزة ، وهي القصيدةُ التي أولها .
خَلِيلِي هَذَا رِبْعُ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلُوصَيْكَمَا تُمَ احْتِلَا حَيْثُ حَلَّتْ (١٩)
وهذه القصيدة تزيدُ على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلةٌ لينةٌ ، تكادُ تترقُّقُ من
لينها وسهولتها ، وليس عليها من أثر الكلفةِ شيءٌ . ولولا خوفُ الإطالة لأوردتها
بجملتها .

وقد ذكر بعضهم من هذا النوعِ ما وردَ في أبياتِ الحماسة (٢٠) وهو :
وَفَيْشَةٌ لَيْسَتْ كَهَذِي الْفَيْشِ قَدْ مَلِئْتُ مِنْ تَرْفِ وَطَيْشِ (٢١)
إِذَا بَدَتْ قَلْتُ أَمِيرَ الْجَيْشِ مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ الْعَيْشِ
وهذا ليس من بابِ اللزومِ ، لأن اللزوم هو أن يلتزم الناظمُ والناثرُ مالا يلزمه ،
كقولنا « شرق » و « فرق » مثلاً ، فإنه لو قيل بدلا من ذلك « شرق » و « حنق » لجازَ
ذلك .

وفي هذه الأبيات لا يقعُ الأمرُ كذلك ، لأنه لو قيل « طيش » و « عرش » لما
جاز . وهذا يُقالُ له الرَّدْفُ في الشعر وهو الياءُ والواوُ قبلَ حرفِ الرَّوِيِّ ، وإِذَا جِيءَ

(١٩) رواية لزوم مالا يلزم (١٧/١) « ثم ابكيا حيث حلت » وكذلك في سر الفصاحة (٢١١) قال
الخنفاجي : وكان شيخنا - يقصد أبا العلاء - يذهب إلى أن قصيدة كثير التي أولها « خليلي . . » قد لزم اللام في
جميعها ، فلما سألتاه عن البيت الذي يروى فيها ، وهو

أصاب الردي من كان يهوى لك الردي وجن اللواني قلن عزة جنت
قال : هذا البيت ليس من هذه القصيدة .

(٢٠) ديوان الحماسة ٣٧١/٢ . (٢١) رواية الحماسة . « قد ملئت من خرق وطيش »

بذلك في الشعر وفي الكلام المشهور لا يقال إنه التزام ما لا يلزم ، لأن الملتزم ما لا يلزم له مندوحة في العُدُول إلى غيره ، وهاهنا لا مندوحة .

ومن لطيف ذلك ما يُروى لامرأة من البصرة مَجَنَتْ بِأبي نُوَاسٍ فَقَالَتْ :

إِنَّ حِرِيَّ حَزْبِلُ حَزَابِيَّةٍ إِذَا قَعَدْتُ فَوْقَهُ نَبَايِيَّةٌ (٢٢)

كَالْأَرْبِ الْجَائِمِ فَوْقَ الرَّايِيَّةِ

وكذلك ورد قول أبي تمام ، وهو (٢٣) :

لَا تَخْدُمُ الْأَقْوَامَ مَا لِمَ تَخْدَمُ
قَالَتْ لَهُ الْأُخْرَى بَلَّغْتَ تَقَدَّمَ

خَدَمَ الْعُلَا فَحَدَمْنَهُ وَهِيَ الَّتِي
فَإِذَا ارْتَقَى فِي قَلَّةٍ مِنْ سُودُدٍ
وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ قَوْلُهُ أَيْضاً (٢٤) :

يُصَافِي الْأَكْرَمِينَ وَلَا يُصَادِي
إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادٍ

وَلَوْ جَرَّبْتَنِي (٢٥) لَوَجَدْتَ خَرْقًا
جَدِيرًا أَنْ يَكُرَ الطَّرْفَ شَرًّا

وله من أبيات تتضمن مرثية (٢٦) :

وَتَغْلِبُهُ (٢٧) أُخْرَى اللَّيَالِي وَوَائِلُهُ
إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرَى إِلَيْهِمْ (٢٨) غَوَائِلُهُ
فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَفَوَاضِلُهُ
وَسَائِلُ مَنْ أَعَيْتَ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ

لَقَدْ فُجِعَتْ عَتَابُهُ وَزُهَيْرُهُ
وَمُبْتَدِرُ الْمَعْرُوفِ تَسْرَى هَبَاتُهُ
طَوَاهُ الرَّدَى طَى الرَّدَاءِ وَغَيْبَتْ
طَوَى شِيمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

(٢٢) الحزبيل المشرف ، والحزابية الغليظ .

(٢٣) ديوان أبي تمام ٣١٣ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ؛ ومطلعها :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تَنْظُمِ وَالِدَمْعِ بِحَمَلِ بَعْضِ شَجْوِ الْمَغْرَمِ

(٢٤) ديوان أبي تمام ٨١ من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي داود ، ويعتذر إليه ومطلعها :

سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبِيلَ الْعَهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادِ

(٢٥) رواية الديوان « ولو كَشَفْتَنِي » والخرق السخي ، ويصادي يعارض .

(٢٦) ديوان أبي تمام ٣٧٧ من قصيدة يرثي بها القاسم بن طوق ، ومطلعها :

جَوَى سَاوِرِ الْأَحْشَاءِ وَالْقَلْبِ وَاغْلَهُ وَدَمْعٍ يَضِمُّ الْعَيْنَ وَالْحَفْنَ هَامِلَهُ

(٢٧) في الأصل « وثعلبة » والصواب عن الديوان ؛ وفجعت أصيبت ، وعتاب وزهير وتغلب ووائل قبائل .

(٢٨) المبتدر المسرع ، الغوائل المهلكات .

فِيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مُزْنَهُ وَيَا وَادِيًّا لِلجُودِ جَفَّتْ مَسَابِلُهُ
 أَلَمْ تَرَنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ النَّجْمِ الْمُغِيبِ (٢٩) أَفَلُهُ
 وَأَخْضَلْتُهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ طَرِيدَ اللَّيَالِي أَخْضَلْتَنِي (٣٠) نَوَافِلُهُ

وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب ، وليس بمتكلفٍ كشعر أبي العلاء ، فإنَّ حُسْنَ هذا مطبوعٌ ، وحُسْنَ ذاك مصنوع .

وكذلك أقول في غير اللزوم من الأنواع المذكورة أولاً ، فإنَّ الألفاظ إذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع ، وكانت غير مُستجلبَةٍ ولا متكلفة ، جاءت غير محتاجة إلى التأنيق . ولا شك أن صورة الخلقه غير صورة التخلُّق .

فإن قيل ما الفرق بين المتكلف من هذه الأنواع وغير المتكلف ؟
 قلت في الجواب :

أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والرؤية ، وذلك أن يُنضَى الخاطر في طلبه ، ويُبعث على تتبعه ، واقتصاص أثره وغير المتكلف يأتي مستريحاً من ذلك كله ، وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته ، أو الخطيب أو الكاتب في إنشاء خطبته أو كتابته ، فبيناً هو كذلك إذ سح له نوع من هذه الأنواع بالاتفاق ، لا بالسعي والطلب . ألا ترى إلى قول أبي نواس (٣١) في مثل هذا الموضع :

أَتْرَكَ الْأَطْلَالَ لَا تَعْبَأُ بِهَا إِنَّهَا مِنْ كُلِّ بُؤْسٍ دَانِيَةٌ
 وَأَنْعَتِ الرَّاحَ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِنَّا دُنْيَاكَ دَارٌ فَانِيَةٌ
 مِنْ عُقَارٍ مَنْ رَأَاهَا قَالَ لِي صِيدَتِ الشَّمْسُ لَنَا فِي آيَةٍ (٣٢)

وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضاً :

كَمْ مِنْ غَلَامٍ ذِي تَحَاسِينِ أَفْسَدَهُ نَاطِفُ يَاسِينِ (٣٣)

(٢٩) في الأصل « المشرق »

(٣٠) في الأصل « أخلصتها » و « أخلصتني » . ومعنى أخضلتها بلتها ، والنوافل العطايا .

(٣١) ديوان أبي نواس ٣٥١ .

(٣٢) رواية الديوان « في باطية » والباطية الناجود ؛ وهو الخمر وأناؤها .

(٣٣) الناطف ضرب من الحلوى يصنع من الجوز واللوز والفتق .

وَهَذَا « يَاسِينُ » كَانَ يَبِيعُ النَّاطِفَ بِيَعْدَادَ .

وحكى إبراهيم البندنجي قال : رأيت شيخاً ضعيفاً يبيع ناطفاً ، فقلت له : يا شيخ ، أما زلت في هذه الصناعة ؟ فقال : مُدْكَنتُ ، ولكن الحال كانت واسعةً ، والسَّلعة نَافِقةً ، وكنْتُ مِمَّنْ يشارُ إلىَّ ، حتَّى قال أبو نَوايسَ فيَّ ، وأنشدَ هذا البيتَ . فانظر أيها المتأملُ ، ما أحلَى لفظَ أبي نَوايسَ في لزومه ، وما أغراهُ عن الكُلفةِ ! وكذلكَ فلتكن الألفاظُ في اللزومِ وغيره .

[ما يلحق باللزوم]

واعلم أنه إذا صُغرتِ الكلمةُ الأخيرةُ من الشعرِ أو من فواصلِ الكلامِ المنشورِ ، فإنَّ ذلكَ مُلْحَقٌ باللزومِ ، ويكونُ التصغيرُ عَوْضاً عن تَسَاوِي الحروفِ التي قبلَ رَوِي الأبياتِ الشعريةِ ، والحروفِ التي قبلَ الفاصِلةِ من النثرِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَزَّ عَلَى لَيْلَى بَدَى سُدَيْرِ سُوءُ مَبِيتِي لَيْلَةَ الْغُمَيْرِ (٣٤)
مُقْبِضًا نَفْسِي فِي طُمَيْرِ تَتَهَيَّرُ الرَّعْدَةُ فِي ظَهَيْرِي
يَهْفُو إِلَى الزُّورِ مِنْ صُدَيْرِي ظَمَانٌ فِي رِيحٍ وَفِي مُطَيْرِ
وَأَزَرَ قُرًّا لَيْسَ بِالغُرَيْرِ مِنْ لَدُنَّ مَا ظَهَرَ إِلَى سُحَيْرِ
حَتَّى بَدَتْ لِي جَبْهَةُ الْقُمَيْرِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهَيْرِ

وهذا من محاسن الصنعة في هذا الباب ، فاعرفه .

وأحسنُ منه ما وردَ عن أبي نَوايسَ وَعَنْ عِنَانِ جَارِيَةِ النَّطَافِ ، وله معها حكاياتٌ كثيرةٌ غيرُ هذه ، فقال أبو نَوايسَ (٣٥) :

أَمَا تَرَقَّى لِصَبِّ يَكْفِيهِ مِنْكَ قُطَيْرَةٌ

(٣٤) رواية لسان العرب (٢١/٦) « سوء مبيتى بلد الغمير » قال ابن منظور : يجوز أن يريد بذي سدر ،

فصغر وقيل : ذو سدوير موضع بعينه .

(٣٥) أخبار أبي نَوايسَ لابن منظور المصري : ٣٥

فَقَالَتْ عِنَانٌ :

إِيَّايَ تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَاجْلِدْ عُمَيْرَةَ

فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَخَافُ إِنْ رُمْتُ هَذَا عَلَى يَدِي مِنْكَ غَيْرَهُ

فَالْيَتَانِ الْأَوَّلُ وَالثَانِي مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَالثَّالِثُ جَاءَ تَبَعًا .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا اللَّزُومِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَسِيرٌ جَدًّا .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ » (٣٦) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٣٧) » . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ

تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ « فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ (٣٨) » .

وَرَبِّمَا وَقَعَ بَعْضُ الْجَهَّالِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ (٣٩) » . وَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ اللَّزُومِ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ « نَعَم » وَ « جَحْم » وَالْيَاءُ

هِيَ مِنْ حُرُوفِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ ، فَلَا يُعْتَدُّهَا هَاهُنَا .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ

مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنضُودٍ (٤٠) » .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ

انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعَمَ الْمَوْلَى وَنَعَمَ

النَّصِيرِ (٤١) » .

(٣٦) سُورَةُ الْعَلَقِ : الْآيَاتَانِ ١ ، ٢

(٣٧) سُورَةُ الطُّورِ : الْآيَاتَانِ ١ ، ٢

(٣٨) سُورَةُ الطُّورِ : الْآيَاتَانِ ٢٩ وَ ٣٠

(٣٩) سُورَةُ الطُّورِ : الْآيَاتَانِ ١٧ وَ ١٨

(٤٠) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ : الْآيَاتُ ٢٧ وَ ٢٨ وَ ٢٩

(٤١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : الْآيَاتَانِ ٣٩ وَ ٤٠

وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام : « يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا » (٤٢).

وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى : « قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ » (٤٣) ولا تجد أمثال ذلك في القرآن إلا قليلا .

النوع الخامس

في الموازنة

وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنشور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزناً .
وللكلام بذلك طلاوة ورونتق، وسببه الاعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء .

وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان، وهذا لامرأ فيه لوضوحه .

وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المائلة، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال، وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد .

وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذاً : كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً .
وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة .

(٤٢) سورة مريم : الآيتان ٤٠ و ٤٦

(٤٣) سورة (ق) : الآيتان ٢٧ و ٢٨

فَمَا جَاءَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١) » فَالْمُسْتَقِيمُ وَالْمُسْتَقِيمُ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ .

وَكذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضُّعُهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٢) »

وَكذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه : « مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (٣) » .

وَكذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ حَمَّ عَسَقَ : « وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَآلِمَ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَاقْتَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٤) » .

وهذه الآياتُ جميعُها على وزنٍ واحدٍ ، فإنَّ شَدِيدَ ، وَقَرِيبَ ، وَبَعِيدَ ، وَعَزِيزَ ، وَنَصِيبَ ، وَالْأَلِيمَ ، وَكَبِيرَ ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى وَزْنِ « فَعِيلٌ » وَإِنْ اختلفَ حروفُ المقاطعِ التي هيَ فواصلُها .

(١) سورة الصافات : الآيتان ١١٧ و ١١٨

(٢) سورة مريم : الآيات ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤

(٣) سورة طه : الآيتان ١٠٠ و ١٠١

(٤) سورة الشورى : الآيات ١٦ - ٢٢ .

وأمثالُ هذا في القرآنِ كثيرٌ، بل معظمُ آياته جاريةٌ على هذا النهجِ، حتَّى أنه لا تخلو منه سورةٌ من السُّورِ، ولقد تصفَّحته، فوجدته لا يكادُ يخرجُ منه شيءٌ عن السَّجعِ والموازنة.

وأما ما جاء من هذا النوعِ شعراً فقولُ ربيعة بنِ ذؤابة (٥) :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشَهُمْ بَعْتِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ (٦)
بِأَسَدِهِمْ بِأَسَا عَلَى أَصْحَابِهِ وَأَعَزَّهُمْ فَقَدَا عَلَى الْأَصْحَابِ (٧)

فالبيت الثاني هو المختصُّ بالموازنة، فإنَّ «بأسا» و «فقدًا» على وزنٍ واحدٍ.

النوع السادس

في اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها

وهو من هذه الصناعة بمنزلة عليّة، ومكانة شريفة، وجلُّ الألفاظ اللفظية منوطةٌ به، ولقد لقيت جماعة من مدعى فنِّ الفصاحة، وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني، فما وجدتُ أحداً منهم تيقنَ معرفة هذا الموضوع كما ينبغي. وقد استخرجتُ فيه أشياء لم أُسبق إليها، وسيأتي ذكرها ها هنا.

أما اختلاف صيغ الألفاظ، فإنها إذا نُقلت من هيئة إلى هيئة، كتنقلها مثلاً من وزنٍ من الأوزان إلى وزنٍ آخر، وإن كانت اللفظة واحدةً، أو كتنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم، أو كتنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى الثنية أو إلى الجمع، أو إلى

(٥) هو ربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين أحد بني أسد، وربيعة هذا هو أبو ذؤاب الأسدی، وقد نسب الشعري حاسة أنى تمام ٣٥٤/١ لرجل من بني نصر بن قعين.

(٦) معناه إن كانوا فرحوا بقتلك وتبجحوا به فقد هدمت عزهم بقتل عتية.

(٧) رواية الحامسة (٣٥٦/١) «بأشدهم كلبا».

النسب ، أو إلى غير ذلك ، انتقل^(١) قُبْحًا صار حُسْنًا ، وحسُنًا صار قُبْحًا .
 فن ذلك لفظة « خَوْد »^(٢) فَإِنَّهَا عبارة عن المرأة الناعمة ، وإذا نُقِلَتْ إلى صيغة
 الفعل قيل « خَوْد »^(٣) على وزن « فَعَلَّ » بتشديد العين ، ومعناها أُسْرِعَ ، يُقال : خَوْدَ
 البعيرُ ، إذا أُسْرِعَ ، فهي على صيغة الاسم حسنة رائقة ، وقد وردت في النظم والنثر
 كثيراً ، وإذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة ، كقول أبي تمام^(٤) :
 وَإِلَى بَنِي عَبْدِ الْكَرِيمِ تَوَاهَقَتْ رَتَكَ النَّعَامِ رَأَى الظَّلَامَ فَخَوْدَ^(٥)
 وهذا يُقَاسُ عليه أشباهه وأنظاره ، إلا أن هذه اللفظة التي هي « خَوْد » قد نُقِلَتْ
 عن الحقيقة إلى المجاز ، فخفَّ عنها ذلك القُبْحُ قليلاً ، كقول بعض شعراء الحماسة^(٦) :
 أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوْدَ رَأَلَهَا رُوَيْدِكَ لَمَّا تَشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ^(٧)
 رُوَيْدِكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي غِيَابَةَ هَذَا الْبَارِقِ الْمُتَالِقِ^(٨)
 والرُّأُلُ : النعام ، والمرادُ به هاهنا أن نفسه فرَّتْ وفرِعتْ ، وشبه ذلك بإسراع
 النعام في فراره وفرِّعه ، ولَمَّا أُوْرِدَهُ على حُكْمِ المِجَازِ خَفَّ بَعْضُ القُبْحِ الَّذِي على لفظه
 « خَوْد » وهذا يُدْرِكُ بالذَّوقِ الصَّحِيحِ . ولا خفاء بما بين هذه اللفظة في إيرادها هاهنا
 وإيرادها في بيت أبي تمام ، فإنها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سَمِجَة ، كما وردت
 هاهنا بينَ بيْن .

(١) جواب « إذا » في قوله « إذا نقلت . . . » .

(٢) الخود المرأة الحسنه الخلق الشابة أو الناعمة وهي بفتح الخاء وسكون الواو ، وجمعها خود بضم الخاء .

(٣) التخويد : سرعة السير .

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٥ من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الكريم ، ومطلعها :

يادار دار عليك أرهام الندى واهتز روضك في الثرى فتأودا

(٥) تواهقت مدت أعناقها وتسابقت ، الرتك سرعة في مقاربة خطو ، خود اهتز من النشاط .

(٦) ديوان الحماسة ١/١٤٣ وقد نسب هذا الشعر لرجل من بني أسد قاله في يوم اليمامة .

(٧) رواية ديوان الحماسة « مكانك » موضع « رويدك » في البيتين ؛ وخود أسرع ، والرأل فرخ النعام ،

ويقال للمذعور والمرتاع « خود رأله » وهو مثل ، وقوله « لما تشفقي حين مشفقي » أي لم تخافي وقت مخافة ، والمعنى
 ليس هذا وقت الخوف فاصبري فإنه وقت صبر .

(٨) رواية الحماسة « عماية » موضع « غيابة » والعارض السحاب ، والمراد هنا الجيش .

ومن هذا النوع لفظة « ودع » وهي فعلٌ ماضٍ ثلاثيٌ لا يُقَلَّ بها اللسان ، ومع ذلك فلا تُستعملُ على صيغتها الماضية إلا جاءت غير مُستحسنة ، ولكنها تستعمل مُستقبلةً ، وعلى صيغة الأمر ، فتجى بحسنة .

أما الأمر فكقوله تعالى : « . . . يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا (٩) » ولم تأت في القرآن الكريم إلا على هذه الصيغة ! !

وأما كونها مستقبلةً فكقول النبي ﷺ ، وقد واصل في شهر رمضان ، فواصل معه قوم : « لو مدد لنا الشهر لواصلنا وصلاً يدعُ له المتعمقون تعمقهم » .
وقال أبو الطيب المتنبي (١٠) :

تَشُقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ (١١)
وأما الماضي من هذه اللفظة فلم يُستعمل إلا شاذاً ، ولا حُسنَ له ، كقول أبي العتاهية :

أَثَرُوا فَلَمْ يُدْخِلُوا قُبُورَهُمْ شَيْئاً مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتِي جَمَعُوا
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ نَفْعاً مِنَ الَّذِي وَدَعُوا

وهذا غير حَسَنٍ في الاستعمال ، ولا عليه من الطلاوة شيء .
وهذه لفظة واحدة لم يتغير من حالها شيء سوى أنها نُقلت من الماضي إلى المستقبل لا غير .

وكذلك لفظة « وذر » فإنها لا تستعمل ماضية ، وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى : « ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا (١٢) » .

(٩) في القرآن الكريم سورة الزخرف : الآية ٨٣ « فذرهم يخوضوا ويلعبوا » وقد رواه ابن الأثير « فدعهم » ليكون شاهداً على ما ذهب إليه ؛ وهذا وهم منه لانفاق الفطين في المعنى .

(١٠) ديوان المتنبي ٢/٢٣٠ من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

(١١) رواية الديوان « بقناها » موضع « بفتاها » ومعنى فتاها فارسها ، والقنا الرماح ، السلهبة الطويلة من الخيل .

(١٢) سورة الحجر : الآية ٣

وتستعمل مستقبلةً أيضاً كقوله تعالى : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر * لَا تُبْقَى وَلَا تَنْدَر » (١٣) .

فهى لم ترد في القرآن إلا على هاتين الصيغتين ، وكذلك في فصيح الكلام غير القرآن .

وأما إذا جاءت على صيغة الماضي فإنها لا تستعمل ، وهى أقبح من لفظة « ودع » لأن لفظة « ودع » قد استعملت ماضية ، وهذه لم تستعمل .
وهاهنا فلينعم الخائضون في هذا الفن نظرهم ، ويعلموا أن في الزوايا خبايا ، وإذا أنعموا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال ، وأغرقوا في الاعتبار والكشف وجدوا غرائب وعجائب .

ومن هذا النوع لفظة « الأخدع » فإنها وردت في بيتين من الشعر ، وهى في أحدهما حسنة رائقة ، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة كقول الصمة بن عبد الله (١٤) من شعراء الحماسة (١٥) :

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا (١٦)
و كقول أبي تمام (١٧) :

يَادَهُرُ قَوْمٌ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْقِكَ (١٨)
الآ ترى أنه وجد هذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع ، والكرهية في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله (١٩) من الروح والخفة والإيناس والبهجة ؟ وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مثناة في الآخر ،

(١٣) سورة المدثر : الآيات ٢٦ ، ٢٧ و ٢٨ . (١٤) في الأصل « ابن الصمة عبد الله »

(١٥) ديوان الحماسة ٥٦/٢ .

(١٦) الليت صفحة العنق ، والأخدع عرق فيها ، نصبها على التمييز ، والإصغاء الميل .

(١٧) ديوانه ٢١٠ من قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم ويهته ببرته ، ومطلعها :

قد مات محل الزمان من فرقك وأكن أهل الإعدام في ورقك

(١٨) الخرق الحمق .

(١٩) في الأصل « ابن الصمة عبد الله » بيت الصمة وبيت أبي تمام تكلم عنها عبد القاهر الجرجاني بمثل

هذا الكلام الذى نقله ابن الأثير - وانظر دلائل الإعجاز ٣٨ ، ٣٩ .

وكانت حسنة في حالة الإفراد، مستكرهة في حالة التثنية، وإلا فاللفظة واحدة، وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى.

ومن هذا النوع ألفاظٌ يُعدّلُ عن استعمالها من غير دليلٍ يقوم على العدول عنها، ولا يُستفتى في ذلك إلا الذوقُ السليم، وهذا موضعٌ عجيبٌ، لا يُعلم كنهُ سيره.

فمن ذلك لفظه «اللَّب» الذي هو العقل - لا لفظه «اللَّب» الذي تحت القشر - فإنها لتحسن في الاستعمال إلا مجموعة، وكذلك وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة، ولم ترد مفردة، كقوله تعالى: «وَلَيَنْذِرُنَّ أُولُو الْأَلْبَابِ» (٢٠) و«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَأُولِي الْأَلْبَابِ» (٢١) وأشباه ذلك.

وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق، ومخارجها بعيدة، وليست بمُستثقلة، ولا مكروهة.

وقد تُستعمل مفردة، بشرط أن تكون مضافة أو مضافاً إليها، أما كونها مضافاً إليها فكقولنا: لا يعلم ذلك إلا ذو لب، وإن في ذلك لعبرة لذي لب وعليه ورد قول جرير:

إِنَّ لِلْعُيُونَ التي في طرفها حور^(٢٢) قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحِينِ قَتَلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
وأما كونها مضافة فكقول النبي ﷺ في ذكر النساء «ما رأيت ناقصات عقلٍ ودينٍ
أذهب لبَّ الحازم من إحدَاكنَّ يامعشر النساء».

فإن كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الإضافة فإنها لا تأتي حسنة ولا تجد دليلاً على ذلك إلا مجرد الذوق الصحيح.

وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روعي فيها الجمع دون الإفراد كلفظة «كوب» فإنها وردت في القرآن مجموعة، ولم ترد مفردة، وهي وإن لم تكن مستقبحة في حال إفرادها فإن الجمع فيها أحسن.

(٢٠) سورة (ص): الآية ٢٩ (٢١) سورة الزمر: الآية ٢١

(٢٢) رواية الشعر والشعراء «مرض» موضع «سور».

لكن قد ترد مفردة مع ألفاظٍ أخر تندرجُ معهنَّ ، فيكسوها ذلك حسناً ليس لها .
وذلك كقولي في جملة أبياتِ أصفُ بها الخمر ، وما يجرى معها من آياتها :

ثَلَاثَةٌ تُعْطَى الْفَرْحَ كَأْسٌ وَكُوبٌ وَقَدَحٌ
مَا ذُبِحَ سِوَى بِهَيَا إِلَّا وَلِلَّهِمْ ذَبِيحٌ

فلما وردت لفظة « الكوب » مع الكأس والقَدَح على هذا الأسلوب حسنها ، وكأنه
جلاها في غير لباسها الذي كان لها إذ جاءت بمفردها .

وكذلك وردت لفظة « رَجَا » بِالْقَصْرِ ، « والرجا » الجانب ، فإنها لم تستعمل
موحدةً ، وإنما استعملت مجموعة ، كقوله تعالى : « وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ
رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » (٢٣) .

فلما وردت هذه اللفظة مجموعةً ألبسها الجمعُ ثوباً من الحُسنِ لم يكن لها في حالِ
كونها موحدةً .

وقد تستعمل موحدةً ، بشرطِ الإضافةِ كقولنا « رجا البئر » .

ولربما أخطأ بعضُ الناسِ في هذا الموضعِ ، وقاس عليه ما ليس بمقيس ، وذلك
أنه وقف على ما ذكرته هاهنا واقفٌ فقال : وكذلك قد وردت لفظة الصوف في القرآن
الكريم ، ولم ترد إلا مجموعة كقوله تعالى : « وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
تَسْكُنُونَهَا يَوْمَ ظَنَعْتُمْ مِنْ يَوْمِ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى
حِينَ » (٢٤) .

وهذا بخلاف ماوردت عليه في شعر أبي تمام (٢٥) :

كَانُوا بَرُودَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَانَتْ لِبَسِ الزَّمَانِ الصُّوفَا (٢٦)

وهذا ليس كالذي أشرتُ إليه ، فإن لفظة « الصوف » لفظة حسنة مفردة
ومجموعةً ، وإنما أزرى بها في قول أبي تمام أنها جاءت مجازية في نسبتها إلى الزمان .

(٢٣) سورة الحاقة : الآية ١٧ . (٢٤) سورة النحل : الآية ٨٠ .

(٢٥) الديوان ٢٠٥ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ، ويعرض بوال ولي الثغر ، ومطلعها :

أطلاهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشاهن عكوكا

(٢٦) البرود الثياب ، تصدعوا تشتتوا .

وعلى هذا التَّهَجُّجُ وردت لفظة «خبر» و «أخبار»، فإن هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة، ولم ترد في القرآن إلا مجموعة.

وفي ضد ذلك، ماورد استعماله من الألفاظ مفرداً. ولم يرد مجموعاً كلفظة «الأرض» فإنها لم ترد في القرآن إلا مفردة، فإذا ذكرت السماء مجموعة جى بها مفردة معها في كل موضع من القرآن، ولما أريد أن يؤتى بها مجموعة قيل «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ» في قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» (٢٧). ومما ورد من الألفاظ مفرداً فكان أحسن مما يرد مجموعاً لفظة «البقعة» قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: «فَلَمَّا آتَاهَا نُودَىٰ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَأْمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ» (٢٨) والأحسن استعمالها مفردة لا مجموعة، وإن استعملت مجموعة فالأولى أن تكون مضافة، كقولنا: «بِقَاعِ الْأَرْضِ» أو ماجرى مجراها.

وكذلك لفظة «طيف» في ذكر طيف الخيال، فإنها لم تستعمل إلا مفردة. وقد استعملها الشعراء قديماً وحديثاً فلم يأتوا بها إلا مفردة، لأن جمعها جمع قبيح، فإذا قيل «طُيُوفٌ» كان من أقبح الألفاظ وأشدّها كراهةً على السَّمْعِ.

وبالله للعجب من هذه اللفظة ومن أختها عدّة ووزناً، وهي لفظة «ضيف» فإنها تستعمل مفردة ومجموعة، وكلاهما في الاستعمال حسن رائق، وهذا ممّا لا يعلم السرُّ فيه. والذوق السليم هو الحاكم في الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجرى مجراها. وأمّا جمع المصادر فإنه لا يجيئُ حسناً، والإفراد فيه هو الحسن، ومما جاء في المصادر مجموعاً قول عنتره:

فَإِنْ بِيْرًا فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدُ فَحَقَّ لَهُ الْفُقُودُ (٢٩)
قوله: «الْفُقُودُ» جمع مصدر من قولنا: فَقَدَ، يَفْقِدُ، فَقْدًا. واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغٍ ولا لذيدٍ، وإن كان جائزاً.

(٢٧) سورة الطلاق: الآية ١٢. (٢٨) سورة القصص: الآية ٣٠.

(٢٩) شرح ديوان عنتره بن شداد ٤٩ من أبيات في جرية العمري. وقد رماه عنتره. فظن أنه قتله. فلم

ونحن في استعمال ما نستعمله من الألفاظِ واقفون مع الحُسنِ لامع الجواز. وهذا كله يرجع إلى حاكم الذوق السليم، فإن صاحب هذه الصناعة يصرف الألفاظ بضروب التصريف، فما عذب في فمه منها استعمله، وما لفظه فمه تركه.

ألا ترى أنه يقال « الأمة » بالضمّ عبارة عن الجمع الكثير من الناس، ويقال: « الإمة » بالكسر، وهي النعمة، فإن « الأمة » بالضمّ لفظه حسنة وبالكسر ليست بحسنة واستعمالها قبيح.

ورأيت صاحب كتاب « الفصيح »^(٣٠) قد ذكرها فيما اختاره من الألفاظ، الفصيحة، وباليث شعري ما الذي رآه من فصاحتها حتى اختارها!؟ وكذلك قد اختار الألفاظاً أخر ليست بفصيحة، ولا لوم عليه، لأن صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير!

وأسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية، أو تصريفية، أو نقل كلمة لغوية، وما جرى هذا الجرى.

وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها، وإذا شد عن صاحب كتاب « الفصيح » ألفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة ذكرها من الفصيح فإن هذا منه كثير.

ومما يذكّر في هذا الباب أنه يقال: « سهم صائب » فإذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في الفم قيل: سهام صوائب، وصائبات، وصيب. فإذا جمع الجمع الذي يقبح قيل: « سهام صيب » على وزن « كتب » قال أبو نواس^(٣١):

مَا أَحَلَّ اللَّهُ مَا صَنَعَتْ
عَيْنُهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ بِي
فَقَلَّتْ^(٣٢) إِنْسَانَهَا كَيْدِي
بِسَهَامٍ لِلرَّدَى صُيْبِ

(٣٠) هو الإمام أحمد بن يحيى المعروف بثعلب.

(٣١) ديوانه ٤٠٧ من أبيات أولها:

يباني حالة الخطب حرى من ظيكم حرى

(٣٢) رواية الديوان « قتلت ».

فقوله : « سَهَامٌ صُيَّبٌ » من اللفظ الذى يَنْبُو عنه السَّمْع ، ويحيدُ عنه اللِّسَان .
ومثله ورد قول عُوَيْفِ القَوَافِي (٣٣) من أبياتِ الحِمْيَرِ :

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ العُودُ
لَمَّا أَتَانِي عَنْ عَيْنَةٍ أَنَّهُ أُمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الأَقْيَادُ (٣٤)

فقوله : « أقياد » فى جمع « قَيْد » مما لا يحسنُ استعماله ، بل الحَسَنُ أن يقال فى جمعه « قُيُود » .

وكذلك قولُ مَرَّةَ بنِ مَحْكَانِ التَّمِيمِيِّ (٣٥) من أبياتِ الحِمْيَرِ ، وذلك من جُمْلَةِ الأبياتِ المشهورةِ التى أولُّها :

بَارِبَةَ البَيْتِ قَوْمِي نَيْرَ صَاغِرَةَ ضَمِي إِلَيْكَ رِحَالَ القَوْمِ وَالأُقْرَبَا (٣٦)
فقالَ فيها :

مَاذَا تَرَيْنَ : أُنَدِينِهِمْ لِأَرْحَلِنَا فى جَانِبِ البَيْتِ ؟ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قَبِيًّا ؟
فإنه جمع « قَبَّة » على « قَبَب » ، وذلك من المستبشعِ الكريه ، والأحْسَنُ المستعملُ هو « قِبَاب » لا « قَبَب » ، وكذلك يَجْرَى الأمرُ فى غيرِ هذا .

ومن المجموع ما يختلفُ استعماله ، وإن كان مُتَّفِقاً فى لفظه واحدةً ، كالعَيْنِ الناظرةِ ،
وعَيْنِ النَّاسِ ، وهو النَّبِيهُ فيهم : فَإِنَّ العَيْنَ الناظرةَ تُجمعُ على « عِيُون » ، وعَيْنِ النَّاسِ

(٣٣) هو ابن معاوية بن عقبة من بنى فزارة بن ذبيان ، وإنما أضيف إلى القوافى لقوله :
سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت قولاً لا أجيد القوافيا
وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة ، وبيته من البيوتات المتقدمة فى العرب ، وكانت
أخته متزوجة عيينة بن أسماء الفزارى فطلقها ، فلما حبس الحجاج عيينة وقبده قال عوياف هذه الأبيات .
(٣٤) رواية البيت فى الحِمْيَرِ (١/٩٧) وفى الأصل :

لَمَّا أَتَانِي مِنْ عَيْنَةٍ أَنَّهُ أُمْسَتْ عَلَيْهِ بظَاهِرِ أقيَادِ

(٣٥) هو من بطن يقال لهم بنو ربيع من سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهو شاعر إسلامى مقل من شعراء
الدولة الأموية ، عاصر جريراً والفردق ، فأخملاً ذكره ، وكان شريفاً جواداً ، قتله مصعب بن الزبير فى
ولايته . والأبيات فى ديوان الحِمْيَرِ ٢/٢٤٢ .

(٣٦) فى الأصل « رجال » موضع « رحال » وهو تصحيف ، والصاغرة الذليلة ، والقرب جمع قراب وهو
الجراب يوضع فيه السيف بغمده ، يأمر زوجته بأن تضم إليها رحال القوم وأسلحتهم حفظاً لها ، لأنهم نزلوا
عنده ، فهم فى أمان لا يحتاجون إلى السلاح .

يُجْمَعُ عَلَى «أَعْيَانٍ»، وَهَذَا يَرْجِعُ فِيهِ إِلَى الْإِسْتِحْسَانِ لَا إِلَى جَائِزِ الْوَضْعِ اللَّغْوِيِّ .
وَقَدْ شَدَّ هَذَا الْمَوْضِعُ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ فِي قَوْلِهِ (٣٧) :

وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ وَالخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلُ (٣٨)

فَجَمَعَ الْعَيْنَ النَّاطِرَةَ عَلَى «أَعْيَانٍ»، وَكَانَ الذَّوْقُ يَأْتِي ذَلِكَ، وَلَا تَجِدُ لَهُ عَلَى
اللِّسَانِ حَلَاوَةً، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا.

وَلَوْلَا خَوْفُ الْإِطَالَةِ لِأَوْرَدْتُ مِنْ هَذَا النَّوعِ وَأَمْثَالِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَكَشَفْتُ عَنْ
رُؤُوسٍ وَأَسْرَارٍ تَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مُتَعَاظِي هَذَا الْفَنِّ، لَكِنْ فِي الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ مُنْبَهٌ
لَأَهْلِ الْفَطَانَةِ وَالذِّكَاةِ أَنْ يَحْمَلُوهُ عَلَى أَشْبَاهِهِ وَأَنْظَارِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْكَ تَرَى وَزْنَ وَاحِدًا مِنَ الْأَلْفَاظِ، فَتَارَةً تَجِدُ مُفْرَدَةً
حَسَنًا، وَتَارَةً تَجِدُ جَمْعَهُ حَسَنًا، وَتَارَةً تَجِدُهَا جَمِيعًا حَسَنِينَ .

فَالأَوَّلُ نَحْوُ «حُبْرُورٍ» وَهُوَ قَرْنُ الْحُبَارِيِّ، فَإِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ يَحْسُنُ مَفْرَدُهَا
لَا بِمَجْمُوعِهَا، لِأَنَّ جَمْعَهَا عَلَى «حُبَارِيرٍ»، وَكَذَلِكَ «طُنْبُورٍ» وَ«طَنَابِيرٍ» وَ«عُرْقُوبٍ»
وَ«عِرَاقِيبٍ» .

وَأَمَّا الثَّانِي فَنَحْوُ «بُهْلُولٍ» وَ«بَهَائِيلٍ» (٣٩) وَ«لَهْمُومٍ» وَ«وَلَهَامِيمٍ» (٤٠) وَهَذَا
ضِدُّ الأَوَّلِ .

وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَنَحْوُ «جُهْهُورٍ» وَ«جَاهِيرٍ» وَ«عُرْجُونٍ» وَ«عَرَّاجِينَ» .
فَانظُرْ إِلَى الوَزنِ الوَاحِدِ كَيْفَ يَخْتَلِفُ فِي أَحْوَالِهِ مَفْرَدًا وَمَجْمُوعًا؟ وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ
مَا يَجِيءُ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَهَكَذَا قَدْ جَاءَتْ أَلْفَاظٌ عَلَى وَزْنِ وَاحِدٍ ثَلَاثِيَّةٌ مَسْكُونَةٌ الوَسْطِ، وَجَمِيعُهَا حَسَنٌ فِي
الِاسْتِعْمَالِ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُثَقِّلَ وَسْطَهَا حَسُنَ مِنْهَا شَيْءٌ دُونَ شَيْءٍ .

(٣٧) دِيوانه ٣٠٧/٣ من قصيدة في مدح عضد الدولة، ومطلعها :

أَثَلْتُ فَإِنَّا أَيُّهَا الظِّلُّ نَبِكِي وَتَرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ

(٣٨) الخرز ضيق العين، والقبل إقبال إحدى العينين على الأخرى، وذلك تفعله الخيل لعزة نفسها .

(٣٩) البهلول الضحاك والسيد الجامع لكل خير .

(٤٠) اللهموم الناقية الغزيرة، والجرح الواسع، وجهاز المرأة، والسحابة الغزيرة القطر، والعدد الكثير .

والجيش العظيم، والكثير الخير .

فإن ذلك لفظة التثنية، والرُّبْع . . . إلى العُشْر، فإنَّ الجميع على وزنٍ واحدٍ، وإذا ثقلنا أوساطها، فقلنا: ثُلثُ ورُبْعٌ وخُمُسٌ . . . وكذلك إلى عُشْر، فإنَّ الحَسَنَ من ذلك جميعه ثلاثة، وهى التثنية والخُمُسُ والسُدُسُ، والباقي موهو: الرُّبْعُ، والسَّبْعُ، والثَّمَنُ، والتَّسْعُ، والعُشْرُ، ليس كالأول في حُسْنِه، هذا والجميعُ على وزنٍ واحدٍ، وصيغةٍ واحدة، والجميعُ حَسَنٌ في الاستعمال قبل أن يثقل وسطه، ولَمَّا ثَقُلَ صارَ بعضُه حَسَنًا، وبعضُه غيرَ حَسَنٍ .

وكذلك نجدُ الأمرُ في أسماءِ الفاعلين، كالثلاثيِّ منها نحو «فَعَلَ» بفتح الفاءِ والعينِ، «وَفَعَلَ» بفتح الفاءِ وكسرِ العينِ، «وَفَعَلَ» بفتح الفاءِ وضمِّ العينِ، فإنَّ هذه الأوزانَ الثلاثةَ لها أسماءُ فاعلين.

أما «فَعَلَ» - بفتحِ الفاءِ والعينِ - فليس له إلا اسمٌ واحدٌ أيضاً، وهو «فَاعِلٌ» لا غيرُ، ولا يقعُ فيه اختلاف.

وكذلك «فَعُلٌ» - بفتحِ الفاءِ وضمِّ العينِ - فليس له إلا اسمٌ واحدٌ أيضاً، وهو «فَعِيلٌ»، ولا يقعُ فيه اختلافٌ إلا ماشدً.

لكن «فَعِلٌ» - بفتحِ الفاءِ وكسرِ العينِ - يقعُ في اسمِ فاعِلِه الاختلافُ استحساناً واستقباحاً، لأنَّ له ثلاثةَ أوزانٍ، نحو «فَاعِلٌ» و «فَعِلٌ» و «فَعَلَانٌ» تقول منه «حَمِدٌ» فهو «حامدٌ» و «حَمِيدٌ» و «حَمْدَانٌ» .

وقد جاءَ على وزنه «فَرِحٌ» تقول منه: فَرِحَ زيدٌ، فهو فَرِحٌ، وهو الأحسنُ. ولا نحسنُ أن يُقالَ «فَارِحٌ» ولا «فَرِحَانٌ»، وإن كانَ جائزاً، لكن «فَرِحَانٌ» أحسنُ من «فَارِحٌ»

وقد وردتْ هذه اللفظةُ في القرآنِ الكريمِ، فلم تستعملْ إلا على «فَرِحٌ» لا غير، كقوله تعالى: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٤١).
وكقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ» (٤٢)

(٤١) سورة الروم: الآية ٣٢ .

(٤٢) سورة القصص: الآية ٧٦ .

وقد جاءت هذه اللفظة في شعر بعض شعراء الحِمْيَرِ (٤٣) في باب المراثي :
فَمَا أَنَا مِنْ حُزْنٍ (٤٤) وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
وهذا غير حَسَنٍ ، وإن جاز استعماله .

وعلى نحو منه يقال « غَضِبَ » وهو « غَضِبَانَ » ولا يقال « غَاضِبٌ » وإن كان
جائزاً .

وقد تقدّم القولُ أَنَا في تأليفِ الكلامِ بصددِ استعمالِ الحَسَنِ والأَحْسَنِ ، لا بصددِ
استعمالِ الجائزِ وغيرِ الجائزِ .

وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُنَا « فَعَلَّ » وَ « افْتَعَلَ » فَإِنَّ لَفْظَةَ « فَعَلَ » لَهَا مَوْضِعٌ
تَسْتَعْمَلُ فِيهِ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : « قَعَدْتُ إِلَى فُلَانٍ أَحَدَهُ » وَلَا تَقُولُ : « اقْتَعَدْتُ
إِلَيْهِ » وَكَذَلِكَ تَقُولُ : « اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الْجَمَلِ » ، وَلَا تَقُولُ : « قَعَدْتُ عَلَى غَارِبِ
الْجَمَلِ » ، وَإِنْ جازَ ذَلِكَ ، لَكِنِ الْأَوَّلُ أَحْسَنُ .

وهذا لا يَحْكُمُ فِيهِ غَيْرُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ .
وَأَمَّا « فَعَلَ » « وَأَفْعَوْلَ » فَإِنَّا نَقُولُ : « أَعْشَبَ الْمَكَانُ » ، فَإِذَا كَثُرَ عَشْبُهُ قُلْنَا :
« اعْشَوْسَبَ » ، فَلَفْظَةُ « أَفْعَوْلَ » لِلتَّكْثِيرِ .

على أَنِي اسْتَقْرَيْتُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، فَوَجَدْتُهَا عَذْبَةً طَيِّبَةً ، عَلَى
تَكَرُّرِ حُرُوفِهَا ، كَقَوْلِنَا : اخْشَوْسَنَ الْمَكَانُ ، وَأَغْرُوزَتِ الْعَيْنُ ، وَاحْلُولَى الصَّمِّ ،
وَأَشْبَاهَهَا .

وَأَمَّا « فُعَلَةٌ » نَحْوُ هُمَزَةٍ ، وَلَمْزَةٍ ، وَجُثْمَةٍ ، وَنُومَةٍ ، وَلَكْنَةٍ ، وَلُحْنَةٍ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ ،
فَالْغَالِبُ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَنْ تَكُونَ حَسَنَةً .

وهذا أَخَذْتُهُ بِالِاسْتِقْرَاءِ فِي اللُّغَةِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ هَكَذَا لَا يُمْكِنُ اسْتِقْصَاؤُهَا .
فَانظُرْ إِلَى مَا يَفْعَلُهُ اخْتِلَافُ الصَّيغَةِ بِالْأَلْفَاظِ .

* * *

(٤٣) هو أشجع بن عمرو السلمي ، والبيت من أبيات أولها :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادم

(٤٤) رواية الحِمْيَرِ (٣٦٢/١) . * فَمَا أَنَا مِنْ رَزَةٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ *

وعليك أن تَفَقِّدَ أمثالَ هذه المواضع ، لتعلم كيف تضعُ يدك في استعمالها ، فكثيراً ما يقعُ فحول الشعراء والخطباء في مثلها ، ومؤلفُ الكلام من كاتبٍ وشاعرٍ إذا مرَّت به ألفاظٌ عَرَضَها على ذوقه الصَّحيح ، فما يجد الحسن منها موحِّداً وحده ، وما يجد الحسن منها مجموعاً جمعه ، وكذلك يَجْرِي الحُكْمُ فيما سوى ذلك من الألفاظ .

النوع السابع

في المعازلة اللفظية

والمعازلةُ : معاظلتان : لفظيةٌ ، ومعنوية .

أما المعنويةُ فسيأتي ذكرُها في باب (التقديم والتأخير) من المقالة الثانية ، فليؤخذ من هناك .

وأما المعازلةُ اللفظيةُ ، فهي ^(١) المخصوصةُ بالذكرِ هاهنا في بابِ صناعةِ الألفاظِ ، وحققيقتها مأخوذةٌ من قولهم « تعازلت الجرادتان » إذا ركبت إحداهما الأخرى ، فسمي الكلامُ المترابكُ في ألفاظه أو في معانيه (المعازلة) مأخوذاً من ذلك ، وهو اسمٌ لائقٌ بمسمّاه .

ووصفَ عمرُ بنُ الخطابِ - رضي الله عنه - زهيرَ بنَ أبي سلمى ، فقال : « كان لا يعاظِلُ بينَ الكلامِ » .

وقد اختلفَ علماءُ البيانِ في حقيقةِ المعازلة ، فقال قدامةُ بنُ جعفرٍ الكاتبِ ^(٢)

(١) في الأصل « هي » .

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ، كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ، ومن يشار إليه في علم المنطق ، وقيل هو أول من وضع الحساب ، وله تصانيف كثيرة منها كتاب نقد الشعر ، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة ، وتوفي قدامة سنة ٣٣٧ هـ . وللدكتور بدوي طبانة دراسة مفصلة في حياة قدامة ونقده طبع تحت عنوان « قدامة بن جعفر والنقد الأدبي » .

التعاضلُ في الكلامِ هُوَ أَنْ يُدْخَلَ بَعْضُ الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ ؛ وَلَا أَعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشَ الاستعارة (٣) كَقَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ :

وَدَاتُ هَيْدَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصِمْتُ بِالْمَاءِ تَوَلِّبًا جَدِّعًا (٤)
فَسَمَى الصَّيِّ «تَوَلِّبًا» ، وَالتَوَلَّبُ وَلَدُ الْحِمَارِ .

هذا ما ذكره قدامة بن جعفر ، وهو خطأ ، إذ لو كان ما ذهب إليه صواباً لكانت حقيقة المعاضلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه ، وليست حقيقتها هذه ، بل حقيقتها ماتقدم ، وهو التراكب ، من قولهم : تعاضلت الجرادتان : إذا ركبت إحداهما الأخرى .

وهذا المثال - الذي مثل به قدامة - لا تراكب ، في ألفاظه ولا في معانيه .
وأما غير قدامة فإنه خالفه فيما ذهب إليه ، إلا أنه لم يقسم المعاضلة إلى لفظية ومعنوية ، ولكنه ضرب لها مثالا ، كقول الفرزدق :

وَمَامِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (٥)

وهذا من القسم المعنوي ، لا من القسم اللفظي ، ألا ترى إلى تراكب معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيرهُ ، وتأخير ما كان يجب تقديمه ، لأن الأصل في معناه « ومأمثلة في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه » ؟ وسيجى شرح ذلك مستوفى في بابهِ من المقالة الثانية ، إن شاء الله تعالى .

وإذ حَقَّقْتُ الْقَوْلَ فِي بَيَانِ الْمَعَاظِلَةِ ، وَالكَشْفِ عَنِ حَقِيقَتِهَا فَإِنِّي أَتَّبِعُ ذَلِكَ بِتَقْسِيمِ

(٣) جعل قدامة (المعاضلة) من عيوب اللفظ ، قال : وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبتها لها أيضاً ، فقال : وكان لا يعاظر بين الكلام ، وسألت أحمد بن يحيى عن (المعاضلة) فقال : مداخلة الشيء في الشيء ، يقال : تعاضلت الجرادتان ، وعاضل الرجل المرأة ، إذا ركب أحدهما الآخر . وإذا كان الأمر كذلك فحال أن ينكر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه أو فيما كان من جنسه ، وبقى النكير إنما هو في أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ، وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة . [انظر نقد الشعر ١٠٣ - طبعة بريل ، ليدن] ، وانظر « قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ٢٠٤ - ٢١٥ من الطبعة الثانية » .

(٤) الهدم الثوب البالي أو المرقع ، والنواشر جمع ناشرة . وهي عصب في الذراع ، تصمت تسكت ولدها ، والجدع السبيغ الغذاء . والبيت من قصيدة لأوس في رثاء فضالة بن كعدة ومطلعها :

أَيْبَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنْ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

(٥) ديوان الفرزدق ١٠٨/١ في مدح إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك .

القسم اللفظي. منها الذي أنا بصدد ذكره هاهنا فأقول : إنني تأملت بالاستقراء من الأشعارِ قديمها ومحدثها ، ومن النظر في حقيقتها نفسها ، فوجدتها تنقسم إلى خمسة أقسام :

الأول منها : [ما يختص بالأدوات]

يختص بأدوات الكلام نحو من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وأشباهها ، فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ، ومنها ما لا يسهل ، بل يرد ثقيلاً على اللسان ، ولكل موضع يختصه من السبك .
فمما جاء منه قول أبي تمام :

إلى خالدٍ راحتُ بنا أرحبياً مرافقها من عن كراكرها نُكْبُ^(٦)
فقوله : « من عن كراكرها » من الكلام المتعاضل الذي يتقل النطق به .

على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما « من » و « عن » في موضع آخر ، فلم يتقل النطق بهما ، كقول القائل : « من عن يمين الطريق » ، والسبب في ذلك أنها وردتا في بيت أبي تمام مضافتين إلى لفظة الكراكر^(٧) فنقلت منها ، وجعلتها مكروهتين كما ترى ، وإلا فقد وردتا في شعر قطري بن الفجاءة^(٧) ، فكانتا خفيفتين ، كقوله :

ولقد أراني للرماح درية من عن يميني مرة وأمامي^(٨)

والأصل في ذلك راجع إلى السبك ، فإذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري مجراها مع ألفاظ تسهل منها لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري ، وإذا سبكتا مع الألفاظ ثقلت منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام .

(٦) ديوان أبي تمام ٣٠ من قصيدة في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :

لقد أخذت من دار ماوية الحقب أنحل المغاني للبلبي هي أم نهب
والأرحبية ناقة منسوبة إلى أرحب ، وهو فحل كريم ، كراكرها - جمع كركرة - رحي صدرها وخواصرها ،
نكب - جمع نكباء - مائلة .

(٧) هو قطري بن الفجاءة المازني ، من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة في حروب مع

الأمويين ، حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٨) الدررثة الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها ، والبيت من قصيدة مطلعها :

لا يركن أحد إلى الإحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام
٣٠٧

ومن هذا القسم قولُ أبي تمامٍ أيضاً :
كَانَهُ لِاجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جِسْمِهِ رُوحٌ ^(٩)
فَقَوْلُهُ « فِي » بَعْدَ قَوْلِهِ « فِيهِ لَهُ » مِمَّا لَا يَحْسُنُ وَرُودُهُ .

وكذلك وردَ قولُ أبي الطيبِ المتنبي :
وَتُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ ^(١٠)
فَقَوْلُهُ « لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا » مِنَ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ .
وكذلك قولُهُ :

تَبَيْتُ وَفُودَهُمْ تَسْرَى إِلَيْهِ وَجَدَوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارُ
فَخَلَفَهُمْ بَرْدُ الْبَيْضِ عَنْهُمْ وَهَامَهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ ^(١١)
وقوله « وهامهم له معهم » مما يثقل النطقُ به ، ويعتبر اللسانُ فيه ، لكنَّهُ أَقْرَبُ حَالاً
مِنَ الْأَوَّلِ .

ومن الحَسَنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :
دَارٌ أَجِلُّ الْهُوَى عَنْ أَنْ أَلِمَّ بِهَا فِي الرَّكْبِ الْإِوَعِيِّ مِنْ مَنَائِحِهَا ^(١٢)

(٩) ديوان أبي تمام ٧١ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وأولها :
قل للأمرير لقد قلدتني نعماً فت التناء بها ما هبت الريح
وفي الديوان « في اجتماع » موضع « لاجتماع » . والجارحة العضو .

(١٠) ديوان المتنبي ٢٧٠/١ من قصيدة أولها :

عواذل ذات الخال في حواسد وإن ضجيع الخود بني لماجد
والغمرة الشدة ، والسبوح الفرس الشديد الجرى .

(١١) ديوان المتنبي ١٠٠/٢ من قصيدة قالها لما أوقع سيف الدولة بين عقيل وتشير وبني العجلان وبني
كلاب ، حين عاثوا في عمله ، وخالفوا عليه . ويذكر إيفاهم بين يديه ، وظفره بهم ، وأولها :
طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووعى بحار
ومعنى البيتين : أنهم وفدوا عليه لم يطلبوا منه شيئاً سوى العفو عنهم ، وأنه استبقاهم برد سيوفه عنهم ، وجعل
رءوسهم معهم عارية متى شاء أخذها .

(١٢) ديوان أبي تمام ٧٢ من قصيدة في مدح الفضل بن صالح الهاشمي مطلعها :

أهدى الدموع إلى دار وما صحها فللمنازل سهم من سوافحها
وما صحها دارسها ، وسوافحها سواكبها ، وألم أنزل ، ومنايحها عطاياها .

فقوله : « عَنُ أَنْ » في هذا البيت من الخفيف الحَسَنَ الذي لا بأس به .

القسم الثاني من المعاطلة اللفظية :

تَخْتَصُّ بتكريرِ الحروف ، وليس ذلك مما يتعلق بتكريرِ الألفاظِ ولا بتكريرِ المعاني - ممَّا يأتي ذكرُه في باب التكريرِ في المقالة الثانية - وإنما هو تكريرُ حرفٍ واحدٍ أو حرفين في كل لفظةٍ من ألفاظِ الكلامِ المنثورِ أو المنظومِ ، فيثقلُ حينئذٍ النطقُ به ، فمن ذلك قولُ بعضهم :

وَقَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانٍ قَفْرٌ وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(١٣)

فهذه القافاتُ والرَّاءاتُ كأنها في تتابعها سِلْسِلَةٌ ، ولا خَفَاءَ بما في ذلك من الثقل ، وكذا وَرَدَ قولُ الحريريِّ في مقاماته :

وَأَزُورُ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرَافَانَهُ^(١٤)

فقوله « وعافَ عَافِي العُرفِ عرفانه » من التكريرِ المشار إليه .

وكذلك وَرَدَ قوله أيضاً في رسالته اللتين صاغهما على حرفي السين (١٥) والشين (١٦) ، فإنه أتى في إحدهما بالسين في كل لفظةٍ من ألفاظها ، وأتى في الأخرى بالشين في كل لفظٍ من ألفاظها ، فجاءتا كأنهما رُقِي العَقَارِبُ ، أو خُدْرُوفَةُ العَزَائِمِ ، وما أعلمُ كيفَ خفي ما فيها من القبح على مثل الحريريِّ مع معرفته بالجيد والرديء من الكلامِ ؟ ويحكى عن بعض الوعاظ أنه قال في جملة كلامٍ أوردَه : « جَنَى جَنَاتٍ وَجَنَاتِ الحَيِّبِ » فصاح رجلٌ من الحاضرين في المجلس ، وَمَادَ وَتَغَاشَى ، فقال له رجلٌ كَانَ إلى جانبيه : ما الذي سمعتَ حتى حدثَ بك هذا ؟ فقال : « سمعتُ جِيمًا في جِيمِ ، في جِيمٍ فَصِحْتُ !! » ،

(١٣) ذكروا أنه من شعر الجن ، وأنه لا ينبغي لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتبع ، وذكروا أن جنبا صاح على حرب بن أمية فمات في فلاة ، ويسمى نوع هذا الجنى هاتفا .

(١٤) مقامات الحريري ٣٦٥ من المقامة التفليسية . رازور مال وأعرض . وعاف استقدر . والعاف طالب

العتاء .

(١٥) الرسالة السنية : مقامات الحريري ٦٠٣ . (١٦) الرسالة الشينية : مقامات الحريري ٦٠٧

وهذا من أقبح عُيوب الألفاظ .

وممّا جاء منه قولُ أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعُها :

* أتراها لكثرة العُشاق (١٧) *

كيف تَرَى التي كُلَّ جَفْنٍ رَأَها غَيْرَ جَفْنِها غَيْرَ رَأَى (١٨)

وهذا وأمثاله إنمّا يَعْرِضُ لِقائِله في نُوبَةِ الصَّرَعِ التي تَنُوبُ في بعض الأيام !
ومن هذا القسم قولُ الشاعر المعروف بكُشاجِم (١٩) في قصيدته التي مطلعها :

* دَاوِ خُمَارِي بِكَاسِ خَمْرٍ *

وَالزَّهْرُ وَالقَطْرُ فِي رُبَاهَا مَا بَيْنَ نَظْمٍ وَبَيْنَ نَثْرٍ
حَدَاتِقُ كَفِّ كُلِّ رِيحٍ حَلَّ بِهَا خَيْطُ كُلِّ قَطْرِ

وهذا البيتُ يَحْتَاجُ الناطقُ به إلى بَرَكَارٍ يَضَعُهُ في شِدْقِهِ ، حتّى يديره له .
وعلى هذا الأسلوبِ وردَ قولُ بعضهم ، وهو البيتُ المشهورُ الذي يتذاكر الناسُ :

مَلَّتُ مِطَالَ مَوْلُودٍ مُفْدَى مَلِيحٍ مَانِعٍ مِني مُرَادِي

وهذه الميماتُ كأنها عَقْدٌ مَتَّصِلَةٌ بَعْضُها بَعْضٍ .

وكان بعضُ أهلِ الأدبِ من أهلِ مِصرِنا هذا يَسْتَعْمَلُ هذا القِسْمَ في ألفاظه كثيراً في كلامه نثراً ونظماً ، وذلك لعدمِ معرفته بِسُلُوكِ الطَّرِيقِ . وأنا أذكرُ نبذةً مِنْ ذلك كقولِهِ في وصفِ رَجُلٍ سَخِيٍّ : « أَنْتَ المَدِيحُ ، كَبَدًّا تَرِيحُ ، والمَلِيحُ إِنْ تَجَهَّمِ المَلِيحُ بِالتَّكْلِيحِ ، عِنْدَ سائِلٍ تَلُوحُ ، بَلْ يَفُوقُ إِذْ يَرُوقُ مَرَأَى لُوحِ ، يامَغْبُوقَ كَأَسِ الحَمْدِ يامُصْبُوحِ ، ضاقَ عَن نَدَاكَ اللُّوحُ ، وَبِبابِكَ المَفْتُوحِ تَسْتَرِيحُ ، وَتُرِيحُ ذا التَّبْرِيحِ ، وَتَرُفُّهُ الطَّلِيحُ » .

(١٧) وعجز البيت : * تحسب الدمع خلقه في المآق *

وهي في مدح أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان .

(١٨) ديوان المتنبي ٣٦٢/٢ - راءها : رآها . والمعنى هذه المحبوبة لا ترحم باكياً . وكيف ترجمه وهي ترى كل جفن من النظر إلا جفنها غير راق بالبكاء . يريد غير منقطع من البكاء . فهي لا ترحم أحداً . لأنها تحسب الدمع في أجفان العشاق خلقه .

(١٩) كشاجم هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر . أحد وصافي الطبيعة . وكان من خدام سيف الدولة .

توفى سنة ٣٢٠ هـ .

فانظر إلى حرف الحاء . كيف قد لَزِمَهُ في كلِّ لفظَةٍ من هذه الألفاظِ ، فجاء كما نراه من الثقل والغثاثة ؟

واعلم أنَّ العربَ الذين هم الأصلُ في هذه اللغةِ قد عدَّلوا عن تكريرِ الحروفِ في كثيرٍ من كلامهم ، وذلكَ أنَّه إذا تكررَ الحرفُ عندهم أدغموه استحساناً ، فقالوا في « جَعَلَ لَكَ » . « جَعَلْكَ » وفي « تَضْرِبُونِي » « تَضْرِبُونِي » . وكذلك قالوا « استعد فلانُ للأمر » ، إذا تأهَّب له ، والأصلُ فيه « اسْتَعَدَد » ، و « استتب الأمر » إذا تهيأ ، والأصلُ فيه « اسْتَتَب » . وأشباهُ ذلكَ كثيرٌ في كلامهم ، حتى أنهم لشدةِ كراهتهم لتكريرِ الحروفِ أبدلوا أحدَ الحرفينِ المكرَّرينِ حرفاً آخرَ غيره ، فقالوا : « أَمَلَيْتُ الكتابَ » . والأصلُ فيه « أَمَلَيْتُ » ، فأبدلوا اللامَ بياء ، طلباً للخفةِ ، وفراراً من الثقل وإذا كانوا قد فعلوا ذلكَ في اللَّفظَةِ الواحدةِ فما ظنُّكَ بالألفاظِ الكثيرةِ الَّتِي يَتَّبِعُ بعضها بعضاً ؟ .

القسم الثالث من المعازلة :

أن تردَّ ألفاظٌ على صيغةِ الفِعْلِ يتبعُ بعضها بعضاً .
ففيما ماختلفُ بين ماضٍ ومُستقبلٍ . ومنها ما لا يَخْتَلَفُ .
فالأولُ : كقولِ القَاضِي الأَرْجَانِي (٢٠) في أبياتٍ يَصِفُ فيها الشمعةَ ، وفيها معنى هُوَ مُبتَدَعٌ ، ولم يُسَمَّعْ من غيره ، وذلكَ أنَّه قال عن لسانِ الشَّمْعِ : إِنَّهُ أَلْفُ العَسَلِ وَهُوَ أَخُوهُ الَّذِي رُبِيَ مَعَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّ النَّارَ قَرَّقتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَأَنَّهُ نَذَرَ أَنْ يُقْتَلَ نَفْسَهُ بِالنَّارِ أَيْضاً مِنْ أَلَمِ الفِرَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ أساءَ العبارةَ ، فقال :
بِالنَّارِ قَرَّقتُ الحِوَادِثُ بَيْنَنَا وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُوذُ أَقْتَلُ رُوحِي

(٢٠) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ، الملقب ناصح الدين ، وكان قاضي ستر وعسكر مكرم . وله شعر رائق في نهاية الحسن ، ذكره العماد الكاتب في الجريدة . فقال : كان الأرجاني في عنفوان عمره بالمدرسة النظامية بأصهان . وشعره من آخر عهد نظام الملك منذ سنة نيف وثمانين وأربعمائة إلى آخر عهده وهو سنة أربع وأربعين وخمسمائة ولم يزل نائب القاضِي بعسكر مكرم وهو مبجل مكرم . وشعره كثير . والذي جمع منه لا يكون عشرة .

فقوله : « نذرتُ أَعُوذُ [أَقْتُلُ] » من المعاضلة إليها .

وأما ما يردُّ على نهجٍ واحدٍ من الصيغة الفعلية ، فكقول أبي الطيب المتنبى :
أَقْلُ أَنْلُ أَقْطِعُ أَحْمِلُ عَلٌّ سَلٌ أَعِدُّ زِدْهَشَّ بَشٌّ تَفْضَلُ أَدْنُ سُرَّصِلُ (٢١)
فهذه ألفاظٌ جاءت على صيغةٍ واحدةٍ ، وهى صيغة الأمر ، كأنه قال : « افعل ،
افعل ... هكذا إلى آخر البيت » وهذا تكريرٌ للصيغة ، وإن لم يكن تكريراً للحروف ،
إلاَّ أنه أخوه ، ولا أقولُ ابن عمِّه .

وهذه ألفاظٌ متراكبةٌ متداخلةٌ ، ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالا كما قالَ عَبْدُ
السَّلامِ بن رَغبان (٢٢) :

فَسَدَ النَّاسُ فَاطْلَبَ الرَّزْقَ بِالسَّيِّئِ فِ وَالْأَ فَمْتُ شَدِيدَ الْهَزَالِ
أَحْلُ وَأَمْرٌ وَضَرٌّ وَأَنْفَعٌ وَلَنْ وَأَخٌ شُنُّ وَأَبْرَزُ ثُمَّ أَنْتَدِبُ لِلْمَعَالِي
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا عَطَفَ هَاهُنَا بِالْوَاوِ لَمْ تَتْرَاكِبِ الْأَلْفَاظُ كِتْرَاكِبَهَا فِي بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمُقَدِّمِ ذَكَرَهُ ؟

فإن قيل : إنك جعلت ما كانَ وارداً على صيغةٍ واحدةٍ على سبيل التكرارٍ معاضلة .
وقد وردَ ذلكَ في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ (٢٣) » ولو
كانَ معاضلةً لَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِثْلَهُ ؟ !

فالجوابُ عن ذلكَ أَنِّي أَقُولُ : هذه الآيةُ ليستُ كالذى أنكرته . فإن هذا الموضعَ
يُنظَرُ فِيهِ إِلَى الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ، فَإِذَا كَثُرَ كَانَ تَعَاظُلًا ، لِتَرَاكِبِهِ وَثِقَلِهِ عَلَى النُّطْقِ ، وَقَدْ

(٢١) ديوان المتنبى ٨٥/٣ من قصيدة مطلعها :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل
وقد أمره بأربعة عشر أمراً في بيت واحد « أقل » من الإقالة ، يقال أقلته من عثرته ، و « أنل » من الإنالة ،
و « أقطع » من الإقطاع . و « احمل » من قوهم : حملته على فرس . وقوله « علٌّ » من العلو والرفعة . و « سلٌّ »
من السلو . و « أعد » من الإعادة . و « زد » من الزيادة . و « هش » من قوهم : هشتت إلى كذا . وهو التهلل
نحو الشىء . و « بش » من البشاشة وهى الطلاقة . و « تفضل » من الإفضال . و « أدن » من الدنو . و « سر » من
السرور . و « سل » من الصلة . وهى العطفة .

(٢٢) هو المعروف بديك الحن الحمصى .

(٢٣) سورة التوبة : الآية ٥ .

عَرَّفْتُكَ أَنَّ مَا يُفْصَلُ بَيْنَ صِيغِهِ بَوَاوِ الْعَطْفِ يَكُونُ أَقْلًا ثَقَلًا مِمَّا لَا يُفْصَلُ . وَالَّذِي أَنْكَرْتَهُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَفْظُ مَكْرَرَةً عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَأَنَّهَا عَقْدٌ مَتَّصِلَةٌ ، فَحِينَئِذٍ يَنْقَلُ النُّطْقُ بِهَا ، وَيُكْرَهُ مَوْقِعُهَا مِنَ السَّمْعِ ، كَبَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ .

وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا خَارِجَةٌ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ .
أَلَا تَرَى أَنَّهَا لَمَّا وَرَدَتْ الْأَفْظُ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ فُرِّقَ بَيْنَهَا بَوَاوِ الْعَطْفِ ثُمَّ مَعَ التَّفْرِيقِ بَيْنَهَا بَوَاوِ الْعَطْفِ لَمْ يَرِدِ التَّكْرِيرُ فِيهَا إِلَّا بَيْنَ ثِنْتَيْنِ ، وَهِيَ « خَذُوهُمْ »
« وَاحْضُرُوهُمْ » .

وَأَمَّا الصِّيغَةُ الْأُولَى فَإِنَّهَا أُضِيفَ إِلَيْهَا كَلَامٌ آخَرٌ ، فَقِيلَ : « اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » وَلَمْ يَقُلْ : اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ وَخَذُوهُمْ . ثُمَّ لَمَّا جَاءَتِ الصِّيغَةُ الرَّابِعَةُ أُضِيفَ إِلَيْهَا كَلَامٌ آخَرٌ أَيْضًا ، فَقِيلَ « وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ » .
لَا جَرَمَ أَنَّ الْآيَةَ جَاءَتْ غَيْرَ ثَقِيلَةٍ عَلَى النُّطْقِ مَعَ تَوَارِدِ صِيغَةِ الْأَمْرِ فِيهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ .
وَهَذِهِ رُمُوزٌ يَنْبَغِي أَنْ يُتَنَبَّهَ لَهَا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَفْظِ إِذَا جَاءَتْ هَكَذَا .

القسم الرابع من المعازلة :

وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة ، كقولهم : « سَرَّحَ فَرَسَ غُلَامٍ زَيْدٍ » وَإِنْ زَيْدًا عَلَى ذَلِكَ قِيلَ : « لَبَّدُ سَرَّحَ فَرَسَ غُلَامٍ زَيْدٍ » وَهَذَا أَشَدُّ قُبْحًا وَأَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ بَابِكِ ^(٢٤) الشَّاعِرِ فِي مَفْتَحِ قَصِيدَةٍ لَهُ :
حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي فَأَنْتِ بَمَرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ

القسم الخامس من المعازلة :

أَنْ تَرَدَّ صِفَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى نَحْوِ وَاحِدٍ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

* مَالِكَيْبِ الْحِمِيِّ إِلَى عَقْدِهِ ^(٢٥) *

^{٢٤} (٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَابِكِ ، ذَكَرَهُ الثَّعَالِيُّ فِي الْيَتِيمَةِ ٣/٢٧٤ فِي جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ الطَّارِئِينَ عَلَى الصَّاحِبِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَقَالَ فِي نَعْتِهِ : شَاعَرَ شُعْرَاهُ إِحْسَانَ السَّبْكِ ، وَإِحْكَامَ الرَّصْفِ ، وَإِبْدَاعَ الْوَصْفِ . يَشْبَهُ كَلَامَهُ مَرَّةً فِي الْخِزَالَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَلَامَ الْمَفْلُوقِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَيُنَاسِبُ تَارَةً فِي الرَّشَاقَةِ وَالْمَلَّاحَةِ قَوْلَ الْمُجَمِّدِ بْنِ الْمُهَدِّدِينَ وَالْمَوْلُودِينَ .

(٢٥) دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ٩١ ، وَهُوَ مَطَّلَعُ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ . وَعَجَزَ الْبَيْتُ :

فقال يصف جملاً :

سَأخْرُقُ الْخَرْقَ بَابِنِ خَرْقَاءَ كَالْهِبِ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَحَمَّ مِنْ نَجْدِهِ (٢٦)
مُقَابِلُ فِي الْجَدِيلِ صُلْبُ الْقَرَا لَوْحُكٌ مِنْ عَجْبِهِ إِلَى كَنْدِهِ (٢٧)
تَامِكِهِ نَهْدِهِ مُدَاخِلِهِ مَلْمُومِهِ مُحَزَّنُهُ أَجْدِهِ (٢٨)
فَالْيَبْتُ الثَّلَاثُ مِنَ الْمَاعِظَلِ الَّتِي قَلَعُ الْأَسْنَانِ دُونَ إِيرَادِهَا .

وكذلك قَالَ من هذه القصيدة يصف رُمحاً :

وَمَرٌّ تَهْفُو ذُؤَابَتَاهُ عَلَى أَسْمَرٍ مَتْنٍ يَوْمَ الْوَعْيِ جَسِدِهِ (٢٩)
مَارِنِهِ لَدْنِهِ مُتَّقَفِهِ عِرَاضِهِ فِي الْأَكْفِ مُطْرَدِهِ (٣٠)
وهذا كالأول في قُبْحِهِ وَثِقَلِهِ ، فَقَاتَلَهُ ، اللَّهُ ! مَا آمَنَ شِعْرُهُ ! وَمَا أَسْخَفَهُ فِي

بعض الأحوال !

وعلى هذا جاءهُ من هذه القصيدة أيضاً يصف المدوح :

إِلَيْكَ عَنْ سَبِيلِ عَارِضِ خَضِلِ أَلْ شَوْ بَوْبِ يَأْتِي الْحِمَامُ مِنْ نَضْدِهِ (٣١)
مُسْفُهُ ثَرَهُ مُسْحِحِهِ وَأَبِلَهُ مُسْتَهْلَهُ جَرْدَهُ (٣٢)
ولو لم يكن لأبي تمامٍ من القبيح الشنيع إلا هذه الأبيات لحطت من قدره .

• ما بال جرعائه إلى جرده •

- والكتيب تل الرمل ، والعقد الرمل المنعقد ، والجرعاء الوعر يعلوه رمل ، والجرد سهل بلا نبات .
(٢٦) الخرق الفلاة . الخرقاء الناقة . الهيق ذكر النعام . النجد العرق .
(٢٧) الجديل المفود المجدول . القرا الظهر . العجب أصل الذنب . الكند مجتمع الكتفين .
(٢٨) تامكه حديثه . نهده ثديه . محزئله مرتفع سيره . أجده فقار ظهره .
(٢٩) تهفو تحقق . الذوابة ضفيرة الشعر المرسله . الجسد المصبوغ بالجسد وهو الزعفران .
(٣٠) المارن الصلب اللين . اللدن اللين . المثقف المقوم . عراضه صفحته . مطرده يقال : رمح مطرد الأنايب . أى متناسقها .
(٣١) العارض السحاب . الخضل الندى . الشؤبوب المطر . الحمام الموت . النضد المتراكم .
(٣٢) المسف القريب من الأرض . الثر الكثير الماء . السحسح السائل من فوق ، الوابل الشديد . المستهل المتألى .

(٣٣) ديوانه ١٨٩/٢ من قصيدة في مدح عبيد الله بن خراسان الطرابلسي . ومطلعها :
أظبية الوحش لولاً ظبية الأنس لما غدوت مجد في الهوى تعس

وعلى هذا ورد قولُ أبي الطيب المتنبي (٣٣) :

دَانٍ ، بَعِيدٌ ، مُحِبٌّ ، مُبْغِضٌ ، بَهْجٌ أَعْرٌ ، حُلُوٌّ ، مُمِرٌّ ، لِينٌ ، شَرَسٌ (٣٤)

نَدِيٌّ ، أُمِيٌّ ، غَرِيٌّ ، وَافِدٌ ، أَخِيٌّ ثِقَةٌ

جَعَدٌ سَرِيٌّ ، نَهِيٌّ ، نَدْبٌ ، رِضِيٌّ ، نَدِيسٌ (٣٥)

وَهَذَا كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ بِلَا شَكِّ ، وَقَلِيلاً مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ ، وَلَمْ أَجِدْهُ كَثِيراً
إِلَّا فِي شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ ، وَتِلْكَ مُعَاظَلَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهَا فِي بَابِهَا ، وَهَذِهِ
مُعَاظَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ ، وَهِيَ تَوْجَدُ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ كَثِيراً .

النوع الثامن

في المنافرة بين الألفاظ في السبك

وهذا النوع لم يحقق أحدٌ من علماء البيان القول فيه ، وغاية ما يُقَالُ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا
تَكُونَ الألفاظُ نافية عن مواضعها ، ثم يُكْتَفَى بهذا القولِ ، من غير بيان ولا تفصيل ،
حَتَّى أَنَّهُ قَدْ خَلِطَ هَذَا النَّوعُ بِالمُعَاظَلَةِ . وكل منها نوعٌ مفردٌ برأسه ، له حقيقةٌ تخصه ،
إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اشْتَبَهَا على علماء البيانِ ، فكيفَ على جاهل لا يعلم ؟ !
وقَدْ بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ ، وَفَصَّلْتُهُ عن المعاطلةِ ، وضربتُ له أمثلةً يُسْتَدَلُّ بها على
أخواتها ، وما يجرى مجراها .

(٣٤) البهج الفرح ، والشرس هنا الصعب ، ومعنى البيت : هو قريب ممن يقصده ، بعيد ممن ينازعه ،
حب للفصل وأهله ، مبغض للنقص وأهله ، بهج بالقصا ، حلولا ولياته ، مر على أعدائه ، لين حسن الخلق
على الأولياء : شرس صعب على الأعداء . يريد أنه جامع لهذه الأوصاف . كذا قال أبو الفتح بن جني ، ونقله
الواحدى حرفاً حرفاً ، وانظر البيتين في شرح الديوان .

(٣٥) ند جواد ، يريد ندى الكف ، والأنى الذى يأنى الدنيا ، غرأى مغرى يفعل الجميل جمد ماض فى
الأمر ، والسرى الشريف ، وأنك أى ذو نية وهى العقل ، والندب السريع فى الأمر إذا ندب إليه ، والندس
العارف بالأمر البحوث عنها ، وهو بضم الدال وكسرهما .

وجملة الأمر أن مدار سبك الألفاظ على هذا النوع والذي قبله دون غيرها من تلك الأنواع المذكورة ، لأن هذين النوعين أصلاً سبك الألفاظ ، وما عدهما فرغ عليهما وإذا لم يكن النائر أو الناظم عارفاً بهما فإن مقاتله تبدو كثيراً .

وحقيقة هذا النوع الذي هو (المنافرة) أن يُذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها مما هو في معناها أولى بالذكر .

وعلى هذا فإن الفرق بينه وبين المعاطلة أن المعاطلة هي التراكب والتداخل إما في الألفاظ أو في المعاني ، على ما أشرت إليه ، وهذا النوع لا تراكب فيه ، وإنما هو إيراد ألفاظ غير لائقة بموضعها الذي ترد فيه .

وهو ينقسم قسمين :

أحدهما : يوجد في اللفظة الواحدة ، والآخر : في الألفاظ المتعددة .
فأما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فإنه إذا ورد في الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو في معناه ، سواء كان ذلك الكلام نثراً أو نظماً .

وأما الذي يوجد في الألفاظ المتعددة فإنه لا يمكن تبديله بغيره في الشعر ، بل يمكن ذلك في النثر خاصة ، لأنه يعسر في الشعر من أجل الوزن .

فما جاء من القسم الأول قول أبي الطيب المتنبي :

فلا يبرم الأمر الذي هو حائلٌ ولا يحلل الأمر الذي هو يبرم^(١)

لفظة « حائل » نافية عن موضعها ، وكانت له مندوحة عنها ، لأنه لو استعمل

عوضاً عنها لفظة « ناقص » ، فقال :

فلا يبرم الأمر الذي هو ناقصٌ ولا يقض الأمر الذي هو يبرم

لجاءت اللفظة قارة في مكانها ، غير قلقة ولا نافية .

وبلغني عن أبي العلاء بن سليمان المعري أنه كان يتعصب لأبي الطيب ، حتى أنه

(١) ديوان المتنبي ٨٥/٤ من قصيدة في مدح عمر بن سليمان الشراي ، ومطلعها :

نرى عظم بالين والصد أعظم ونتم الواشين والدمع منهم

رواية الديوان : « ولا يبرم » موضع « فلا يبرم » و « يبرم » موضع « يبرم » .

كان يُسميه « الشاعر » ويسمى غيره من الشعراء باسمه ، وكان يقول : ليس في شعره
لفظة يُمكن أن يقومَ عنها ما هو في معناها ، فيجىء حسناً مثلها !
فياليت شعري أما وقفَ على هذا البيت المشار إليه ! ؟ لكنَّ الهوى كما يُقال أعمى ،
وكان أبو العلاء أعمى العين خِلقةً ، وأعماهَا عَصِيبةً ، فاجتمع له العمى من جهتين .
وهذه اللفظة التي هي « حَالِل » وما يَجْرِي مجراها قبيحةُ الاستعمالِ ، وهي فكُ
الإدغامِ في الفعل الثلاثي ، ونقله إلى اسمِ الفاعلِ ، وعلى هذا فلا يحسنُ أن يُقالَ : بلَّ
الثوبَ ، فهو بِاللِ ، ولا سَلَّ السِّيفَ ، فهو سَالِلٌ ، ولا أَنْ يُقالَ : همَّ بالأمرِ ، فهو
هَامِمٌ ، ولا خَطَّ الكتابَ ، فهو خَاطِطٌ ، ولا حَنَّ إلى كذا ، فهو حَانِنٌ !!
وهذا لو عُرضَ على مَنْ لا ذوقَ له لأدركه وفهمه ، فكيفَ مَنْ له ذوقٌ صحيحٌ
كأبي الطَّيِّبِ ؟ لكنَّ لا بُدَّ لكلِّ جَوَادٍ من كَبْوةٍ ! .

وأشده بعض الأدباء بيتاً للدِّعْبِلِ (٢) ، وهو :
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
فَقَلْتُ لَهُ : عَجَزُ هذا البيتِ حَسَنٌ ، وأما صَدْرُهُ فقبیحٌ ، لأنه سَبَّكُهُ قَلِقًا نَافِرًا ،
وتلك الفاء التي في قوله : « شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ » كأنها رُكْبَةٌ البعيرِ ، وهي في زيادتها
كزيادة الكَرَشِ ! .

فقال : لهذه الفاء في كتاب الله أشباه ، كقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ
* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » (٤) .

فقلتُ له : بين هذه الفاء وتلك الفاء فرقٌ ظاهرٌ يُدْرِكُ بالعلمِ أولاً ، وبالذوقِ
ثانياً .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين ، يبنى من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصباً لقومه على العدنانية ، هجاء ،
خبث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ، فعاش مكروهاً مرهوباً حتى توفي سنة ٢٤٦ هـ ، وشعره
من النوع المطبوع ذي الأسلوب القوي ، لتأثره بنزعة الجريئة في وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله إلى
الإرهاب والتخريف ، ويغلب على شعره الهجاء والمدح .

(٣) الموازنة ٥٩ والصناعتين ٢١٣ وقبل هذا البيت :

وإن امرأ أسدى إلى بشافع إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

(٤) سورة المدثر: الآيات ٢٠١ و٢٠٣ و٢٠٤

أَمَّا الْعِلْمُ : فَإِنَّ الْفَاءَ فِي « وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ * وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ » هِيَ الْفَاءُ الْعَاطِفَةُ ،
 فَإِنَّهَا وَارِدَةٌ بَعْدَ « قُمْ فَأَنْذِرْ » وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِكَ « اِمْسِمْ فَاسْرِعْ » ، وَ « قُلْ فَأَبْلِغْ »
 وَلَيْسَتْ الْفَاءُ الَّتِي فِي « شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ » كَهَذِهِ الْفَاءِ ، لِأَنَّ تِلْكَ زَائِدَةٌ ، لَا مَوْضِعَ
 لَهَا ، وَلَوْ جَاءَتْ فِي السُّورَةِ كَمَا جَاءَتْ فِي قَوْلِ دِعْبِلٍ - وَحَاشَ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ -
 لَا يَتَدَيُّ الْكَلَامُ ، فَقِيلَ : رَبِّكَ فَكَبِّرُ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . لَكِنَّمَا لَمَّا جَاءَتْ بَعْدَ « قُمْ فَأَنْذِرْ »
 حَسُنَ ذِكْرُهَا فِيمَا يَأْتِي بَعْدَهَا مِنْ « وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ * وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ » .
 وَأَمَّا الذَّوْقُ : فَإِنَّهُ يَنْبُو عَنْ الْفَاءِ الْوَارِدَةِ فِي قَوْلِ دِعْبِلٍ ، وَيَسْتَقْبِلُهَا وَلَا يَوْجَدُ
 ذَلِكَ فِي الْفَاءِ الْوَارِدَةِ فِي السُّورَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَ مَا ذَكَرْتَهُ أَدْعَنَ بِالتَّسْلِيمِ .
 وَمِثْلُ هَذِهِ الدَّقَائِقِ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نِظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا لَا يَتَفَطَّنُ لَهَا إِلَّا الرَّاسِخُ فِي
 عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ !

وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَصَلْ هَمْزَةُ الْقَطْعِ ، وَهُوَ مَحْسُوبٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشُّعْرِ الَّتِي لَا
 يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ ، وَكَذَلِكَ قَطْعُ هَمْزَةِ الْوَصْلِ ، لَكِنَّ وَصَلَ هَمْزَةُ الْقَطْعِ أَقْبَحُ ،
 لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ

فَمِمَّا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (٥) :

قَرَانِي اللَّهُمَّ وَالْوُدَّ كَأَنَّمَا أَفَادَ الْغَنِي مِنْ نَائِلٍ وَفَوَائِدِي (٦)

فَأُصْبِحَ يَلْقَانِي الزَّمَانُ مِنْ أَجْلِهِ يَا عِظَامَ مَوْلُودٍ وَرَأْفَةَ وَالِدِ (٧)

فَقَوْلُهُ « مِنْ أَجْلِهِ » وَصَلَ هَمْزَةَ الْقَطْعِ .

(٥) ديوان أبي تمام ١١٧ من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم ؛ ومطلعها :

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشيدان ناشد

(٦) قراني أضافني ، والله العطايا .

(٧) رواية الديوان « لأجله » وعليها لا يكون في البيت موضع شاهد .

(٨) ديوان المتنبي ١١١/٢ من قصيدة مطلعها :

طوال قنأ تطاعها قصار وقطرك في ندى ووغي بحار =

وعليه وَرَدَ قول أبي الطيب المتنبي :

يُوسُطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارَ (٨)

فقوله « لا الانتظار » كلامٌ نافر عن موضعه .

ومن هذا القسم أن يُفَرِّقَ بين الموصوفِ والصفةِ بضمير من تقدّم ذكره ، كقولِ

الْبَحْتَرِيُّ :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهَا الْمُتَعَلِّقِ (٩)

تقديره « من قلبي المتعلق بها » فلما فصلَ بين الموصوفِ الذي هو « قلبي » والصفةِ

التي هي « المتعلق » بالضمير الذي هو « بها » قُبِحَ ذلك ، ولو كانَ قال « من قلبِها

متعلق » لزالَ ذلك القُبْحُ ، وذهبتُ تلك الهجُنةُ .

ومن هذا القسم أيضاً أن تُزَادَ الألفُ واللامُ في اسمِ الفاعلِ ، ويقامُ الضميرُ فيه

مقامَ المفعولِ ، كقول أبي تمام :

فَلَوْ عَايَنْتَهُمْ وَالزَّائِرِيَهُمْ لَمَا مِزْتَ الْبَعِيدَ مِنَ الْحَمِيمِ (١٠)

فقوله « الزائري » اسم فاعل ، وقوله « هم » الذي هو الضمير في موضع المفعول

تقديره « الزائرين أرضهم ، وأودارهم » ، أو « الزائرين إياهم » فاستعمالُ هذا مع

الألفِ واللامِ قبيحٌ جداً ، وإذا حُذِفَتْ زَالَ ذلك القُبْحُ . وقد استعملها الشعراءُ

المتقدمون كثيراً .

= وقال أبو الفتح بن جنى : قلت لأبي الطيب عند قراءتي عليه : كسر اللام من « الانتظار » جيد لكونها وسكون النون . وقال علي بن حمزة : سألت أبا الطيب عن فتح اللام ، فقال :

اجتمع ساكنان ، فحركت اللام بحركة ما قبلها ، وهي اللام من (لا) . ومعنى البيت : إنما ينزله المفاوز طلب أعدائه ، لا انتظار من يلحقه ويخافه ، وذلك أن الخائف ينزل المفاوز خوفاً ممن يلحقه ، وهذا ينزلها طلباً لمن يهرب منه إليها .

(٩) مطلع قصيدة في مدح الفتح بن حنان ، ديوان البحتري ٤٨١ .

(١٠) ديوان أبي تمام ٢٨٩ من قصيدة في مدح بعض بني عبد الكرم الطائين ومطلعها :

أرامة كنت مألّف كل ريم لو استمتعت بالأنس المقيم

ورواية الديوان : * فلو عاينتهم مع زائرهم * وعليها لا يكون في البيت موضع شاهد .

ومما جاء من القسم الثاني - الذي يوجد في الألفاظ المتعددة - قولُ أبي الطيب
أيضاً :

لَاخْلَقَ أَكْرَمُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا (١١)
فإنَّ عَجَزَ هَذَا الْبَيْتِ نَافِرٌ عَنِ مَوَاضِعِهِ . وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْأَشْعَارِ كَثِيرٌ .

تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع

القسم الأول

من كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »

وبليه بعونه تعالى القسم الثاني

وأوله

المقالة الثانية : في الصناعة المعنوية

(١١) ديوان المتنبي ٢٣٢/١ من قصيدة في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ، ومطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موضوعاتها

ورواية الديوان « لاخلق أسمع » و « راء » مقلوب « رأى » كما يقال « ناء » و « نأى » ومعنى البيت : لأحد

أسمع منك إلا رجلا رأيك فعرفك ، فلم يسألك بأن تهب له نفسك .

طبع از دفتر نشر

الممثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأثير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد الحومى و دكتور بدوى طبانه

القسم الثاني

ملتم الطبع والنشر
دار نهضة مصر للطبع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الثانية

المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

وهي تنقسمُ قسَمين :

الأول منهما : في الكلام على المعاني مجملاً :

والثاني : في الكلام عليها مفصلاً .

وقبلَ الكلام على ذلك لا بُدَّ من توطئة تكون شاملة لما نحن بصددِ ذكره ها هنا ، فأقول :

اعلم أن المعاني الخطابية قد حُصرتْ أصولها ، وأوّل من تكلم في ذلك حكاه اليونان ، غير أن ذلك الحصرَ كُلُّهُ لا جزئِيٌّ . ومحالٌ أن تُحصَرَ جزئياتُ المعاني ، وما يتفرّع عليها من التفريعات التي لانهايةَ لها ، لا جرمَ أن ذلك الحصرَ لا يستفيد بمعرفته صاحبُ هذا العلم ، ولا يفتقر إليه ، فإن البدويَّ البادي راعى الإبل ما كان يمرُّ شيءٌ من ذلك بفهمه ، ولا يحظر بيأله ، ومع هذا فإنه كان يأتي بالسحر الحلال ، إن قال شعراً أو تكلم نثراً .

فإن قيل : إن ذلك البدويَّ كان له ذلك طبعاً وخليقة ، والله فطره عليه ، كما فطر ضروبَ نوعِ الأدميِّ على فطرٍ مختلفة ، هي لهم في أصل الخلقة .

فإنه فطر الترك على الإحسان في الرمي ، والإصابة فيه من غير تعليم .

وكذلك فَطَرَ أَهْلَ الصِّينِ عَلَى الْإِحْسَانِ فِي صَنْعَةِ الْيَدِ ، فَمَا يَبْأِشِرُونَهُ
مِنْ مَصُوعِغٍ ، أَوْ خَشَبٍ ، أَوْ فَخَّارٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ .

وكذلك فَطَرَ أَهْلَ الْمَغْرِبِ عَلَى الشَّجَاعَةِ ، وَهَذَا لَانْزَاعِ فِيهِ ، فَإِنَّهُ مُشَاهِدٌ .
فالجوابُ عن ذلك أُنَى أَقُولُ : إِنْ سَلَّمْتُ إِلَيْكَ أَنَّ الشُّعْرَ وَالْخَطَابَةَ
كَانَا لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ وَالْفِطْرَةِ ، فَمَاذَا تَقُولُ فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنْ شَاعِرٍ وَخَطِيبٍ
تَحَضَّرُوا وَسَكَنُوا الْبِلَادَ ، وَلَمْ يَرَوْا الْبَادِيَةَ ، وَلَا خَلَقُوا بِهَا ، وَقَدْ أَجَادُوا
فِي تَأْلِيفِ النِّظْمِ وَالشُّعْرِ ، وَجَاءُوا بِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ مَا جَاءَتْ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ ،
وَلَا نَطَقُوا بِهَا ؟

فإن قُلتَ : إِنْ هُوَ لَاءَ وَقَفُوا عَلَى مَا ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ الْيُونَانِ وَتَعَلَّمُوا مِنْهُ .
قلتُ لك في الجوابِ : هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ ، وَلَا عَلِمَ أَبُو نُوَّاسٍ شَيْئًا مِنْهُ ،
وَلَا مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَلَا أَبُو تَمَّامٍ ، وَلَا الْبَحْتَرِيُّ ، وَلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنَبِّيُّ ،
وَلَا غَيْرُهُمْ ! .

وكذلك جَرَى الْحَكْمُ فِي أَهْلِ الْكِتَابَةِ ، كَعَبْدِ الْحَمِيدِ ^(١) ، وَابْنِ الْعَمِيدِ ^(٢)
وَالصَّابِي ، وَغَيْرِهِمْ .

(١) هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، نشأ بالأنبار بليغا حصيفا ،
وصاحب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أيام ولايته وخلافته ، حتى
قتل سنة ١٣٢ هـ ، ويعد عبد الحميد من أساتذة البلاغة العربية ، وشيخ
كتاب الرسائل عامة .

(٢) هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد
أكبر كتاب المشرق ، وصاحب الطريقة الإنشائية الشعرية ، ووزير ركن
الدولة بن بويه ، ثم عضد الدولة ، توفي سنة ٣٦٠ هـ . ومن الأحكام
الأدبية الشائعة « بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

فإن ادّعتَ أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان ، قلتُ لك في الجواب : هذا باطلٌ بي أنا ، فإنني لم أعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ، ومع هذا فانظرُ إلى كلامي فقد أوردتُ لك نبذةً منه في هذا الكتاب ، وإذا وقتت على رسائلي ومكاتباتي — وهي عدّة مجلدات — وعرفت أني لم أتعرض لشيء مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني ، علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والنثر بنجوةٍ من ذلك كله ، وأنه لا يحتاج إليه أبداً . وفي كتابي هذا ما يُفنيك ، وهو كاف .

ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا ، وانساق الكلامُ إلى شيء ذكر لأبي عليّ ابن سينا^(١) في الخطابة والشعر ، وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليوناني يسمى « اللاغوزيا »^(٢) وقام فأحضر كتاب « الشفاء » لأبي عليّ ،

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي الحكيم المشهور ، ولد بقرية من قرى بخارى وانتقل في البلاد ، واشتغل بالعلوم ، وحصل الفنون . ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز والأدب ، وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والخبر والمقابلة ، ولما توجه نحوهم الحكيم أبو عبد الله النسائي أنزله أبو الرئيس أبي علي عنده ؛ فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب « إيساغوجي » وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي ، وفاقه أضعافاً كثيرة . حتى أوضح له منها رموزاً ، وفهمه إشكالات لم يكن النسائي يدرها كما أتقن الفقه والبحث والمناظرة ، كما نبغ في الطب ومات بهمدان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره .

(٢) هكذا في الأصل ، ولم يذكر ضرب من ضروب الشعر بهذا الاسم ، وإنما المذكور نوع من الشعر يسمى « طراغوزيا » ، قال ابن سينا : فمن ذلك نوع من الشعر « يسمى طراغوزيا » ، له وزن لذيد ظريف يتضمن ذكر الخير والأخبار والمناقب الإنسانية ، ثم يضاف جميع ذلك إلى رئيس =

وَوَقَفَنِي عَلَى مَا ذَكَرَهُ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ اسْتَجْهَلْتُهُ ، فَإِنَّهُ طَوَّلَ فِيهِ وَعَرَّضَ ،
كَأَنَّهُ يُخَاطَبُ بَعْضَ الْيُونَانِيِّينَ ، وَكُلُّ الَّذِي ذَكَرَهُ لَعَوٌّ لَا يُسْتَفِيدُ بِهِ صَاحِبُ
الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ شَيْئًا .

ثمَّ مع هذا جميعه فإنَّ مَعْوَلِ الْقَوْمِ فيما يذكُر من الكَلَامِ الْخَطَأَ بِي أَنَّهُ
يُورَدُ عَلَى مُتَدَمِّتِينَ وَنَتِيجَةٍ ، وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَحْظُرْ لِأَبِي عَلِيٍّ بِنِ سِينَا بِيَالٍ فِيهَا
صَاغَهُ مِنْ شَعْرٍ أَوْ كَلَامٍ مَسْجُوعٍ ؛ فَإِنَّ لَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِ ، وَعِنْدَ
إِفَاضَتِهِ فِي صَوْنِغٍ مَا صَاغَهُ لَمْ تَحْظُرِ الْمَقْدَمَتَانِ وَالنَّتِيجَةُ لَهُ بِيَالٍ .

ولو أَنِّي أَفْكَرَ أَوْلَى فِي الْمَقْدَمَتَيْنِ وَالنَّتِيجَةِ ، ثُمَّ أَتَى بِنَظْمٍ أَوْ نَثْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَا أَتَى بِشَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَطَالَ الْخَطْبُ عَلَيْهِ ! .

بل أقولُ شَيْئًا آخَرَ ، وَهُوَ أَنَّ الْيُونَانَ أَنْفَسَهُمْ لَمَّا نَظَمُوا مَا نَظَمُوهُ
مِنْ أَشْعَارِهِمْ لَمْ يَنْظَمُوهُ فِي وَقْتِ نَظْمِهِ وَعِنْدَهُمْ فِكْرَةٌ فِي مَقْدَمَتَيْنِ وَلا نَتِيجَةٍ ،
وَإِنَّمَا هَذِهِ أَوْضَاعٌ تَوْضَعُ ، وَتَطَوَّلُ بِهَا مَصْنَفَاتُ كُتُبِهِمْ فِي الْخَطَابَةِ

= يراد مدحه ، وكانت الملوك فيهم يغنى بين أيديهم بهذا الوزن ،
وربما زادوا فيه نغمات عند موت الملوك للنياحة والمرثية (أنظر الفن
التاسع من الجملة الأولى من كتاب الشفاء - فن الشعر ١٦٦) وقال في
موضع آخر : إن « طراغوذيا » هو المديح الذي يقصد به إنسان حى
أو ميت وكان يغنون به غناء فحلا ، وكانوا يبتدئون فيذكرون فيه
الفضائل والمحاسن ، ثم ينسبونها إلى واحد ، فإن كان ميتا زادوا
في طول البيت أو في لحنه نغمات تدل على أنها مرثية ونياحة (المصدر
السابق ١٦٩) وكلمة « طراغوذيا » تحريف لكلمة « تراجيديا »
Tragedy وترجمتها المأساة أو الرواية المحزنة .

وَالشُّعْرُ ، وَهِيَ كَمَا يُقَالُ : « فِقَاقِعَ لَيْسَ لَهَا طَائِلٌ » كَأَنَّهَا شِعْرُ
الْأَبْيُورْدِيِّ (١) .

* * *

وَحَيْثُ أُورِدَتْ هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ مِنْ قَبْلِ الْخَوْضِ فِي تَقْسِيمِ الْمَعَانِي فَإِنِّي
رَاجِعٌ إِلَى شَرْحِ مَا أَجْمَلْتُهُ ، فَأَقُولُ :

أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ (٢) : فَإِنَّ الْمَعَانِي فِيهِ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

أَحَدُهُمَا يَبْتَدَعُهُ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتَدِيَ فِيهِ بِمَنْ سَبَقَهُ :

وَهَذَا الضَّرْبُ رَبِّمَا يُعْتَمَرُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَيُنَبِّهُهُ لَهُ
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ (٣) ، وَلِنُشِرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى نَبْذَةِ لَتَكُونَ مَثَلًا
لِلْمَتَوْشِّحِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(١) هُوَ أَبُو الْمَظْفَرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْأَبْيُورْدِيُّ ، يَتَّصِلُ
نَسَبُهُ بِأَبِي سَفْيَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، كَانَ مِنَ الْأَدْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ رَاوِيَةً نَسَابَةَ شَاعِرًا
ظَرِيفًا ، قَسَمَ أَشْعَارَهُ إِلَى أَقْسَامٍ ، سَمَّاها الْعِرَاقِيَّاتِ وَالنَّجْدِيَّاتِ وَالوَجْدِيَّاتِ
وغيرها ، وَالْعِرَاقِيَّاتِ أَكْثَرُهَا فِي مَدْحِ الْمُقْتَدِرِ وَالْمُسْتَظْهِرِ وَوَزَرَاهُمَا .
تُوفِيَ سَنَةَ ٥٥٧ هـ ، وَ« أَبْيُورْدٍ » الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا بَلِيدَةٌ بِخِرَاسَانَ .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَنَّهَا تَنْقَسِمُ

قَسْمَيْنِ :

الْأَوَّلُ مِنْهُمَا فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي مَجْمُلاً .

وَالثَّانِي فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا مَفْصُلاً

(أَنْظُرْ صَفْحَةَ ٣ مِنْ الْقِسْمِ الثَّانِي)

(٣) سَبَقَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ ابْنَ الْأَثِيرِ إِلَى هَذَا التَّقْسِيمِ ، قَالَ

أَبُو هَلَالٍ :

وَالْمَعَانِي عَلَى ضَرْبَيْنِ : ضَرْبٌ يَبْتَدَعُهُ صَاحِبُ الصَّنَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ =

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ فِي وَصْفِ مُصَلِّبِينَ (١) :

بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ (٢) مِنْ مَرَبِطِ النَّجَّارِ
لَا يَبْرَحُونَ ، وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ أَبْدَأُ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
وَهَذَا الْمَعْنَى تَمَّا يُعْتَرُّ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَالخَاطِرُ فِي مِثْلِ هَذَا
الْمَقَامِ يَنْسَاقُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُخْتَرَعِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ كَلْفَةٍ ، لِشَاهِدِ الْحَالِ الْحَاضِرَةِ .
وَكَذَلِكَ قَالَ فِي هَذِهِ النَّصِيدَةِ فِي صِفَةِ مَنْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ .

مَازَالَ سِرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سِرَّ الزَّنَادِ الْوَارِي
نَارًا يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقِّ إِزَارِ (٣)
طَارَتْ لَهَا شُعْلٌ يَهْدِمُ لَفْحَهَا أَرْكَانُهُ هَدْمًا بَغِيرِ غُبَارِ
فَصَلَّنَ مِنْهُ كُلُّ مَجْمَعٍ مَفْصَلٍ وَفَعَلَنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارِ (٤)
مَشْبُوبَةٌ رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلْسَّارِي (٥)

= يَكُونُ لَهُ إِمَامٌ يَقْتَدِي بِهِ فِيهِ أَوْ رَسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمْثَلَةٍ مِمَّا تَلَّهُ يَعْمَلُ عَلَيْهِمَا .
وَهَذَا الضَّرْبُ رُبَّمَا يَقَعُ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْحَادِثَةِ ، وَيَتَنَبَّهُ لَهُ عِنْدَ الْأُمُورِ
النَّازِلَةِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخِرُ مَا يَحْتَذِيهِ عَلَى مِثَالِ تَقْدِيمِ وَرَسْمِ فَرْطِ . .
(أَنْظَرَ كِتَابَ الصَّنَاعَتَيْنِ (٦٩) .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٤ من قصيدة له في مدح المعتصم وذكر
إحراق الأفشين ، ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

(٢) قيدت : سيقت .

(٣) عصفرته صبغته بالعصفر

(٤) الفاقرة : الداهية والفقار : خرزات الظهر .

(٥) مشبوبة : مشتعلة ، وهي وصف للنار المذكورة في بيت قبل

هذا أغفله ابن الأثير ، وهو :

لله من نار رأيت ضياءها ضاق الفضاء به على النظر

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَاءِ
وَهَذَا مِمَّا يُعِينُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى فِيهِ شَاهِدُ الْحَالِ .

* * *

وَقَدْ ذَيْلَ الْبَحْتَرَى عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي وَصْفِ الْمَصْلَبِينَ ، فَقَالَ :
كَمْ عَزِيزٌ أَبَادَهُ فَقَدَا يَرَى كَبُ عُوْدًا مُرْكَبًا فِي عُوْدِ
أَسْلَمَتْهُ إِلَى الرُّقَادِ رِجَالُ لَمْ يَكُونُوا عَنْ وَتْرِهِمْ بِرُقُودِ
تَحْسُدُ الطَّيْرُ فِيهِ ضَبَعُ الْبَوَادِي وَهُوَ فِي غَيْرِ حَالَةِ الْمَحْسُودِ
غَابَ عَنْ صَحْبِهِ فَلَا هُوَ مُوجُودِ دُ لَدَيْهِمْ وَلَيْسَ بِالْمَفْقُودِ
وَكَأَنَّ امْتِدَادَ كَفَيْهِ فَوْقَ الْـ جِذَعِ فِي مَخْفِيلِ الرَّدَى الْمَشْهُودِ
طَائِرٌ مَدًّا مُسْتَرِيحًا جَنَاحَيْـ هِ اسْتِرَاحَاتٍ مُتَعَبٍ مَكْدُودِ
أَخْطَبُ النَّاسُ رَاكِبًا فَإِذَا أُرْ جَلَّ خَاطَبَتْ مِنْهُ عَيْنَ الْبَلِيدِ

وَهَذِهِ أَيْبَاتٌ حَسَنَةٌ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ أَقْسَامَ هَذَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ ، إِلَّا أَنَّ
فِيهَا مَعْنَى مَأْخُودًا مِنْ شِعْرِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيِّ (١) ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

نَصَبْتُهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيَاحُ بِهِ وَتَحْسُدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَيْدِ
لَكِنَّ الْبَحْتَرَى زَادَ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً حَسَنَةً ، وَهِيَ قَوْلُهُ « وَهُوَ فِي غَيْرِ
حَالَةِ الْمَحْسُودِ » .

* * *

(١) ديوانه ١٢١ من قصيدة في مدح داود بن يزيد بن حاتم ابن
خالد بن المهلب ، ومطلعها : -
لاتدع بي الشوق لاني غير معمود نهي النهي عن هوى الهيف الرعايد

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مَا جَاءَ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي فِي وَصْفِهِ الحُمَى ،
وَهُوَ قَوْلُهُ (١) :

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَدَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامٍ (٢)
أَرَأَيْتَ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ
وَقَدْ شَرَحَ أَبُو الطَّيِّبِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ حَالَهُ مَعَ الحُمَى .

وَمِنْ بَدِيعِ مَا أَتَى بِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ (٣) كَانَ

(١) ديوانه ١٤٢/٤ من قصيدته في ذكر الحمى التي كانت تغشاها
بمصر ، ومطلعها :

ملومكما يجلب عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام
(٢) بأربعة سجام : أي ذات سجام ؛ وأراد بالأربعة اللحاظين
والموقنين للعنين ، فإن الدمع يجري من الموقنين ، فإذا غلب وكثر جرى
من اللحاظ أيضا . والمعنى أن الحمى تفارقه عند الصبح ، فكأن الصبح
يطردها ، وأنها إذا فارقت تجرى مدامعها عن أربعة سجام يريد
كثيرة الرحضاء وهو عرق الحمى - فكأنها يبكي عند فراقه محبة له .

(٣) هو سيف الدولة أبو الحسن علي ، صاحب حلب ، ممدوح
المنتبي ، وكان سيف الدولة أديبا شاعرا نقادا للشعر ، يحب جيده ، ويطرب
لسماعه ، وكان يقرب الشعراء وأهل الأدب ، حتى قيل إنه لم يجتمع
ببواب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، وكان
يجالس الشعراء ، وينقد أشعارهم نقد يدل على شاعرية وعلم ، ويبدل
لهم الجوائز السنوية ، توفي سنة ٣٥٦ هـ .

مُخَيِّمًا بِأَرْضِ دِيَارِ بَكْرِ^(١) عَلَى مَدِينَةِ « مَيَّا فَارْقِينَ »^(٢) فَصَفَتِ الرِّيحُ
بِخَيْمَتِهِ ، فَتَطَيَّرَ النَّاسُ لِذَلِكَ ، وَقَالُوا فِيهِ أَقْوَالًا ، فَدَحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَصِيدَةٍ
يَعْتَدِرُ فِيهَا عَنْ سُقُوطِ الْخَيْمَةِ ، أُولَاهَا :

* أَيْنَعُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُدْلُ^(٣) *

فَمَنْهُ مَا أَحْسَنَ فِيهِ كُلَّ الْأَحْسَانِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

تَضَيَّقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤَهَا وَيَرْكُضُ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٤)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذَّبْلُ
وَكَيفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَأَنَّ الْجِجَارَ لَهَا أَنْمَلُ

(١) ديار بكر بلاد كثيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدها
ما عرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه
حصن كيفا وآمد وميا فارقين .

(٢) ميا فارقين أشهر مدينة بديار بكر ، قيل ما بنى فيها بالحجارة
فهو بناء أنوشروان ، وما بنى بالآجر فهو بناء أبرويز ، والذي يعتمد
عليه أنها من بناء الروم ، لأنها في بلادهم .

(٣) ديوان المتنبي ٣/٦٦ ، وعجز المطالع :

* ويشمل من دهرها يشمل *

ومعنى البيت : أينفع في سقوطها عدل العدل ، فحذف المضاف ،
وروى الخوازمي « أيقده » وهي رواية جيدة ، فلا يقدر فيها محذوف ،
يقول : لا ينفع في هذه الخيمة أن تعذل على سقوطها ، فعذرها بين ،
والموجب لفعالها ظاهر ، وكيف لها أن تشمل من يشمل الدهر بسلطانه ،
ويجبر عليه بإحسانه .

(٤) الأرجاء النواحي جمع رجا ، والثنية رجوان ، والجحفل
الجيش العظيم . يقول : كل قطر منها يسع جحفلا ، ولكنها تضيق جميعا
بشخصك ، لإجلال لك ، وإعظاما لك أن تغلوك .

فَلَيْتَ وَفَارَكَ قَرَفْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمَلُ
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدَّتْهُمْ بِالَّذِي يَفْضَلُ
 رَأَتْ لَوْنُ نوركَ فِي لَوْنِهَا كَلونِ الْغَزَالَةِ لَا يُغْسَلُ^(١)
 وَأَنَّ لَهَا شَرْفًا بِإِذْخًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخَجَّلُ
 فَلَا تُنْكَرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمَنْ فَرَجَ النَّفْسَ مَا يَقْتُلُ
 وَلَوْ يُبْلَغُ النَّاسُ مَا يُبْلَغَتْ خَلَاتَهُمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ
 وَلَمَّا أَمْرَتْ بِتَطْنِيْبِهَا أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرْحَلُ^(٢)
 فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ
 وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ
 فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَتَلَوْا^(٣) وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوْلُوا^(٤)
 هُمْ يُطْلَبُونَ ، فَمَنْ أَدْرَكُوا؟ وَهُمْ يَكْذِبُونَ ، فَمَنْ يَقْبَلُ؟
 وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ
 هذه الأبيات قد اشتملت على معانٍ بديعةٍ ، وكفى المتنبي فضلًا أن
 يأتي بمثلها . وهذا مقامٌ يظهرُ في مثله براءة الناظم والناثر .

- (١) أصل الغزاة ارتفاع الشمس ، وهو وقت سميت الشمس به ، يقول : لون الممدوح ونوره لا يلحقه تغيير ، كلون الشمس الذي لا يزول عنها بالغسل .
- (٢) الأطناب حبال البناء ، والتطنيب مد الأطناب .
- (٣) أتلوا - بالثاء المثناة - جمعوا . ورواية الديوان « وما أملاوا » بالميم .
- (٤) ما قولوا أى كرروا القول وخاضوا فيه ، وقولتى ما لم أقل : أى نسبته إلى ، والتقويل والادعاء .

وقرأتُ في كتاب (الرّوضة) لأبي العباس المبرّد^(١) ، وهو كتابٌ جمعه ، واختار فيه أشعار شعراء ، بدأ فيه بأبي نُوَاسٍ ، ثمَّ بمن كان في زمانه ، وانسحب على ذيله ، فقال فيما أورده من شعره : وله معنى لم يُسبق إليه بإجماع ، وهو قوله^(٢) :

تُدارُ علينا الرّاحُ في عَسَجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التّصَاوِيرِ فَارِسٌ^(٣)
قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابِهَا مَهًا ثَوْرَتِهَا بِالْعَشِيِّ الْفَوَارِسُ^(٤)

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد ، كان شيخ أهل النحو والعربية ، وإليه انتهى علمها بعد طبقة أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، وكان من أهل البصرة ، حسن المحاضرة ، مليح الأخبار ، كثيرة النوادر قال أبو سعيد السيرافي : سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم . وصنف كتباً كثيرة ، ومن أكبرها كتاب « المقتضب » وكتاب « الكامل » . وكان مولد المبرد سنة عشر ومائتين ، ومات سنة خمس وثمانين ومائتين .

(٢) ديوان أبي نواس ٢٩٥ من أبيات أولها :

ودار ندامي عطلوها وأدجوا بها أثر منهم جديد ودارس

(٣) الراح الخمر ، والعسجدية نسبة إلى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأساً مذهبة لا من ذهب ، وحباه بكذا يجوه أعطاه ومنحه ، وفارس هي الأمة المعروفة .

(٤) قرارتها أسفلها ، وهي هنا ظرف مكان ، والمها جمع مهاة . وهي البقرة الوحشية يضرب بها المثل في حسن العيون ورواية الديوان « مها تدرها . » وادري الصيدختله ، القسي جمع قوس ، يقول : إن الكأس محلاة من أسفلها بصورة كسرى ، أما جوانها فمحلاة بصورة فرسان يتحنون غفلة المها ، ليرموها بسهام أقواسهم .

فَلِرَّاحٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ^(١)

وقد أذكر كثير العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه إنه معنى مُبتدع .

ويحكى عن الجاحظ^(٢) أنه قال : مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديماً وحديثاً

إلا هذا المعنى ، فإن أبا نواسٍ انفراداً يبدعه ! .

ولا أعلمُ أنا ما أقول لهما^(٣) ، ولا بنى سوي أن أقول : قد تجاوز بهم حدَّ

الإكثار ، ومن الأمثال السائرة : بدؤن هذا يُباعُ الحمار ! .

وفصاحةُ هذا الشعر عندي هي الموصوفةُ . لا هذا المعنى ، فإنه لا كبير كلفةٍ

فيه ، لأن أبا نواسٍ رأى كأساً من الذهب ذات تصاوير ، فحكاها في شعره .

والذي عندي في هذا أنه من المعاني المشاهدة ، فإن هذه الخمر لم تحمِلْ إلا ماءً

يسيراً ، وكانت تستغرقُ صورَ هذا الكأس إلى مكانِ جيوبها ، وكان الماء فيها

قليلاً بقدر القلانس التي على رءوسها . وهذا حكايةُ حالِ مشاهدةِ البصر .

(١) الحبيب طوق الثوب ، والقلانس جمع قلنسوة لباس للرأس ،

يقول : إنهم كانوا يصبون الخمر في تلك الكأس ، حتى تحاذى أطواق

صور الفوارس ، ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى ، ولد

بالبصرة وتربى فيها ، ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم

والفنون في أيامه ، ولازم إبراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى ،

وأخذ عنه ، حتى صار زعيم فرقة تنسب إليه ، وعرف كثيرا من كبار

الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم ، وقرأ كل ما ترجم في زمانه ووقع

عليه نظره ، فكان من كبار العلماء والكتاب ، ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٣) في الأصل « لها » في عبارة غير مفهومة . ولعل الصواب ما

ذكرناه . والإشارة هنا إلى المبرد والجاحظ اللذين عدا هذا المعنى معنى

مبتدعاً ، وأكبرا به من شأن أبى نواس ، فيما نرى .

وكذلك ورد قوله في الخمر أيضاً^(١) :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم تنم
فاسقني الخمر انتي اختمرت بخمار الشيب في الرحم

وهذا معنى مخترع ، لم يُسبق إليه ، وهو دقيقٌ يكادُ لدقته أن يلتحق
بالمعاني التي تُستخرج من غير شاهد حال متصور .

وبلغني أنه اختلف في هذا المعنى بمحضرة الرشيد هارون — رحمه الله —
فقيل : إنه يريد بخمار الشيب في الرحم أن الخمر تكون في جوانبها ذات
زبدٍ أبيض على وجهها . فقال الأصمعي^(٢) : « إن أبا نواس أطفُ خاطراً
من هذا وأسدٌ غرضاً ، فأسألوه ، فأحضر وسئل ، فقال : إن الكرم أول
ما يجرى فيه الماء يخرج شبيهاً بالقصنة ، وهي أصل العنقود ، قال الأصمعي^٣ :
ألم أقل لكم إن الرجل أطفُ خاطراً ، وأسدٌ غرضاً ؟ ! »

وقد جاء لابن حمد يس الصقلی^(٣) في الهلال لآخر الشهر ما لم يأت به غيره ،
وهو من الحسن واللطافة في الغاية القصوى ، وذلك قوله :

كأنما أدهم الظلماء حين نجبا من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(١) ديوان أبي نواس ٣٢٤ .

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب عن عبد الملك ، كان
صاحب لغة ونحو ، وإماماً في الأخبار والملح والغرائب ، توفي سنة ٢١٧ هـ
بالبصرة ، وقيل بمرو .

(٣) هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمد يس
الأزدي الصقلی ، نشأ بجزيرة صقلية ، وانتقل إلى الأندلس ، ومدح
المعتمد بن عباد ، فأحسن إليه ، وأجزل عطاياه ، مات سنة ٥٢٧ هـ
بجزيرة مبرقة ، وقيل ببلدة بجاية .

وهذه حكايةُ حالِ مُشاهدةٍ بالبصر ، إلا أنه أُبدعَ في التشبيه .

وأمثالُ هذا كثيرةٌ في أقوال المجيدين من الشعراء .

وجملةُ الأمر في ذلك أن الشاعرَ أو الكاتبَ ينظرُ إلى الحالِ الحاضرةِ ، ثم يستنبطُ لها ما يُناسبها من المعاني ، كما فعل النابغة ^(١) في مدح النعمان وقد أتاهُ وفدٌ من الوفود ، فمات رجلٌ منهم قبل أن يَرُدُّهم ، فلما رَفَدَهم جعل عطاءً ذلك الميتَ على قبره ، حتى جاء أهله وأخذوه ، فقال النابغة في ذلك :

حياء شقيقٍ فوق أحجارِ قبره وما كان ينجي قبله قبرٌ وإفدٍ
وهذا بيتٌ من جملة أبياتٍ ، فانظر كيف فعل النابغة في هذا المعنى !

وكذلك ورد قولُ أختِ جَسَّاسٍ ، زوجةِ كَلَيْبٍ ، فإنه لما قتلَ جَسَّاسٌ كَلَيْباً اجتمع النساءُ إليها ، وَندَبْنَهُ ، فتحدثتُ بهنَّ إلى بعضٍ ، وَقُلْنَ : هذه ليستُ ثائِكةً ، وإنما هي شامِةٌ ، فإنَّ أخاها هو القاتلُ ، فَنَمَّ ذلكُ إليها ، فقالت :

(١) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد أشرف قبيلة ذبيان من القبائل المصرية ، وأحد فحول شعراء الجاهلية ، لقب النابغة لنبوغته في الشعر فجاعة ، وهو كبير ، وهو ممن تكسب بالشعر في الجاهلية ، ولكنه أثر مدح الملوك ، ملوك المناذرة بالخيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر فقربه إليه . ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، ففر إلى ملوك الشام فمدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا في عفوه عنه ، وطال عمر النابغة ، حتى مات قبيل الإسلام .

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ شِئْتَ فَلَا تَعَجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
 فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلَوْمِي وَاعْذُلِي
 إِنْ أُخْتًا لَأَمْرِي لِيَمْتَ عَلِي (١)
 جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَوَا حَسْرَتَا عَمَّ أَنْجَاتٍ أَوْ تَنْجَلِي
 فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلِي وَجَدِي بِهِ قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُدْنٍ أَجَلِي
 لَوْ بَعَيْنٍ قُفِّتْ عَيْنٌ سِوَى أُخْتَهَا فَانْفَقَاتِ لَمْ أَحْفَلِي
 يَا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرُ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ عَلِي
 هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَجَدَّتُهُ وَأَنْدَسَنِي فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
 يَشْتَفِي الْمُدْرِكُ بِالنَّارِ وَفِي دَرَكِي ثَارِي تُكَلِّمُ مُشْكَلِي
 إِنْ سِي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَأَعْمَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَاخَ لِي

وهذه الأبيات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستمظمت ،
 فكيف امرأة وهي حزينة في شرح تلك الحال المشار إليها .

* * *

واعلم أنه قد يستخرج من المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع .

فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السراج فى الفهد :

تَنَافَسَ اللَّيْلُ فِيهِ وَالنَّهَارُ مَعًا فَمَقَمَّصَاهُ بِجِلْبَابٍ مِنَ الْمَقَلِ

وليس هذا من المعانى الغريبة ، ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه :

(١) هكذا روى صدر البيت فى الأصل ، والمشهور فى روايته :

* إن تكن أخت امرىء ليمت على *

وقد جاء بعدهُ شاعرٌ من أهل الموصل ، يقال له ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت معنىً غريباً ، فقال :

وَنَقَطَتْهُ حَبَاءٌ كَيْ يُسَالِمَهَا عَلَى الْمَنَايَا نِعَاجُ الرَّمْلِ بِالْحَدَقِ

وهذا معنىً غريب ، لم أسمع بمثله في مقصده الذي قصد من أجله .

وقليلاً ما يقعُ هذا في الكلام المنظوم والمنثور ، وهو موضع ينبغي أن توضع اليدُ عليه ، وبتدبُّه له .

وكذلك فلتكنْ سِيَاقَةُ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى .

* * *

وقد جاء في شيء من ذلك في الكلام المنثور .

فمن ذلك ما ذكرته في وصف نساء حسان ، وهو :

« أَقْبَلَتْ رِبَائِبُ الْكِنَاسِ ، فِي مُحْضَرِّ اللَّبَاسِ ، قَقِيلٌ : إِنَّمَا يَخْتَرْنَ
الْخَضْرَاءَ مِنَ الْأَلْوَانِ ، لِيَصِحَّ تَشْبِيهُنَّ بِالْأَغْصَانِ » .

وهذا معنى غريب ، وربما يكون قد سُبِّقَتْ إليه ، إلا أنه لم يبلغني ، بل ابتدعته ابتداءً .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن مناظرة بلد ، فذكرت

القتال بالمنجنيق (١) ، وهو :

« فَنَزَلْنَا بِرَأْيٍ مِنْهُ وَمَسَّمَعٌ ، وَاسْتَدْرْنَا بِهِ اسْتِدَارَةَ الْخِتَامِ بِالْأَصْبَعِ ،

(١) هو اسم أعجمي ، فإن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية ، ويجمع على مجانيق ومناجيق ، قال ابن قتيبة في كتابه « المعارف » وأبو هلال العسكري في « الأوائل » : وهو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجعل كفة =

وَأَصْبَتِ الْمُنْجِنِيقَاتُ فَأَنْشَأَتْ سُحْبًا صَمْبَةً الْقِيَادَ ، مَخْتَصَّةً بِالرُّبَا دُونَ الْوَهَادِ ،
فَلَمْ تَزَلْ تَقْدِفُ السُّورَ بِوَبْلِ مِنْ جُلُودِهَا ، وَتَقْجُؤُهَا بِرُعُودِهَا قَبْلَ
بُرُوقِهَا ، وَرُوقِ السَّحْبِ قَبْلَ رُعُودِهَا ، حَتَّى غَادَرَتْ الْحَزْنَ مِنْهُ سَهْلًا ،
وَالْعَامِرَ بَلَقَمًا مُخْلِ .

وفي هذا معنيان غريبان .

أحدهما : أن هذه السحب تخصُّ الرُّبَا دُونَ الْوَهَادِ .

والآخرُ : أن رُعُودَهَا قَبْلَ بُرُوقِهَا . وكلُّ ذلك يُقْفِظُنُ لَهُ بِالشَّاهِدَةِ .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، فقلت :

« إِذَا تَخَاقَ الْمَرءُ بِخُلُقِ الْبَاسِ وَالنَّدَى لَمْ يَخْفُ عَرِضُهُ دَنَسًا ، كَمَا أَنَّ الْمَاءَ
إِذَا بَلَغَ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ نَجَسًا » .

وهذا المعنى مبتدعٌ لي ، وهو مستخرجٌ من الحديث النبويِّ في قوله
صلى الله عليه وسلم « إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ خَبَثًا » .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في وصف مفازة ، فقلت

« مَفَازَةٌ لَا تُوْطَأُ بِأَجْفَانِ سَاهِرٍ ، وَلَا تُقْتَلُ بِافْتِحَامِ خَابِرٍ ، وَلَوْلَا مَسِيرُ
الهِلَالِ مِنْ فَوْقِهَا لَمَا عَرَفَتْ تَمَثَالَ حَافِرٍ » :

* * *

= المنجنيق التي يجعل فيها الحجر . ويجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ،
ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة ، فيخرج الحجر منه ، فما
أصاب شيئاً إلا أهلكه .

ومن ذلك ما ذكرته في كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار
بلد من بلاد المكتوب عنه :

وكان ذلك في زمن الشتاء ، فسقطَ على العدوِّ تلجٌ كثيرٌ صار به
محصوراً ، فقلت :

« وقد عَاجَلَهُ قِتَالُ البُرُوقِ قَبْلَ البَوَارِقِ ، وَأَحَاطَ بِهِ التَّلَجُ فَصَارَ خِنَادِقُ
تَحْوُلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخِنَادِقِ ، وَالشِّتَاءُ قَدِ لَقِيَ عَسْكَرَهُ مِنَ البَرْدِ بِعَسْكَرِهِ ،
وَالسَّمَاءُ قَدِ قَابَلَتْهُ بِأَغْبَرٍ وَجْهَهَا لِأَبْأَخْضَرِهِ ، وَالأَرْضُ كَأَنَّهَا قُرْصَةُ النَّقْيِ ،
وَعَسَى أَنْ تَكُونَ أَرْضَ مُحْشَرِهِ . »

والمعنى المخترعُ من هذا الكلامِ قولي : « والأرضُ كأنها قرصةُ النقيِّ
وعسى أن تكون أرضَ محشره » وهو مُستَخَرَجٌ من الحديثِ النبويِّ في
قوله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تُحشرون على أرضٍ بيضاء كقرصةِ النقيِّ »
يريد الخبزةَ البيضاءَ — ولما كان التلجُ على الأرضِ مماثلاً لذلك ومشابهاً له
استنبطتُ أنا له هذا المعنى المخترع ، فجاء كما تراه ، وهو من المعاني التي يدلُّ عليها
شاهدُ الحال .

* * *

وأحسن من هذا كله ما كتبتَه في فصل من كتابِ الى ديوانِ الخلافةِ
بيغداد ، فقلت :

« وَدَوْلَتُهُ هِيَ الضَّاحِكَةُ ، وَإِنْ كَانَ نَسْبُهَا إِلَى العَبَّاسِ ، وَهِيَ خَيْرُ دَوْلَةٍ
أُخْرِجَتْ لِلزَّمَنِ ، كَمَا أَنَّ رَعَايَاهَا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَلَمْ يُجْعَلْ شِعَارُهَا
مِن لَوْنِ الشَّبَابِ إِلَّا تَفَاوُلًا بِأَنَّهَا لَا تَهْرَمُ ، وَأَنَّهَا لَا تَزَالُ مُحْبُوءَةً مِنْ أَبْكَارِ
السَّعَادَةِ بِالحَبِّ الَّذِي لَا يُسْتَلَى وَالوَصْلِ الَّذِي لَا يُصْرَمُ ، وَهَذَا مَعْنَى اسْتِنْبَاطِهِ
الخِدَامُ لِلدَّوْلَةِ وَشِعَارِهَا ، وَهُوَ مِمَّا لَمْ تَحْطَ بِهِ الأَقْلَامُ فِي خَطِّهَا ، وَلَا أَجَالَتُهُ
الخَوَاطِرُ فِي أَفْكَارِهَا . »

وغرابةُ هذا المعنى ظاهرةٌ ، ولم يأت بها أحدٌ قبلي .

* * *

وبلغني من المعاني المخترعة أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ بنى باباً من أبوابِ المسجدِ الأقصى بالبيت المقدس ، وبني الحجَّاجُ باباً إلى جانبه ، فجاءت صاعقةٌ فأحرقت البابَ الذي بناه عبدُ الملك ، فتطيرُ لذلك : وشقَّ عليه ، فبلغَ ذلك الحجَّاجَ ، فكتب إليه كتاباً : « بلغني كذا وكذا ، فليمنِ أميرَ المؤمنين أنَّ الله تقبلَ منه ، وما مثلي ومثله إلا كابنِي آدمَ إذ قرَّبنا قرَّبانا فتقبلَ مِن أحدِهما ، ولم يُتقبلَ مِنَ الآخرِ » فلما وقفَ عبدُ الملكَ على كتابهِ سرِّي هـه .

وهذا معنى غريب استخرجهُ الحجَّاجُ من القرآن الكريم ، وهو من المعاني المناسبة لما ذكرتُ فيه ، ويكفي الحجَّاجَ من فطنة الفكرة أن يكونَ عندهُ استعدادٌ لاستخراج مثل ذلك .

* * *

وأما المعاني التي تُستخرجُ من غيرِ شاهدِ حالٍ متصورةٍ فإنَّها أصعبُ منَّا مما يُستخرجُ بشاهدِ الحالِ ، ولأمرٍ ما كانَ لأبكارها سرٌّ لا يهجمُ على مكانه ، إلا جنانُ الشهم ، ولا يفوزُ بحاسنه إلا من دقَّ فهمه حتى جلَّ عن دقة الفهم ، وللهجومُ على عذارى المعاني الحمية بحجبِ البواتر أيسرُ من الهجومِ على عذارى المعاني الحمية بحجبِ الخواطر ، وما ذلك مما يلقيه إليك الأستاذُ وليس يقومُ به إلا الفذُّ ، ولا أقولُ الأفذاذَ ، وأين الذي ينشئُ فيحسنُ فيها الأنشاءَ ، ويُبرزُ فيها صوراً يركبها كيف يشاء ؟

ومنَ نظرَ إلى هذا الموضعِ حقَّ النظرِ ، وأخذَ فيهِ بالعينِ دونَ الأثرِ علمَ

أنه مقام يزنق بمعارف الأفهام ، فكيف بمواقف الأقدام ، وليست المعاني فيه
إلا كالأرواح ، ولا الألفاظ إلا كالأجسام ، فمن شاء أن يخناق خلقاً من
الكلام ، فليأت به على صورة الأناسي لا على صورة الأنعام ، فإن من
القول الغانية التي هي أحسن من الغانية ، ومنه البهيمية التي لا تشبه إلا
بالسانية (١) .

فَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ :

شَرَابُكَ فِي التَّرَابِ إِذَا عَطِشْنَا وَخُبْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ التَّرَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِقَدْبِ عَنَا وَلَكِنْ خِفَتَ مَرَزِيمَةُ الذَّبَابِ (٢)

فالبيت الثاني من هذين البيتين هو المشار إليه بأنه معنى مبتدع .

ويحكى عن الرشيد هارون - رحمه الله - أنه قال : لم يُهَجَّ بِإِدٍ وَلَا
حَاضِرٌ بِمَثَلِ هَذَا الْهَجَاءِ ! .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ (٣) :

(١) من معاني السانية الناقة يسقى عليها ، وسنت تسنو سقت الأرض ؛
وسنت النار علا ضؤوها .

(٢) حكى الجاحظ أن الرشيد قال : لا أعرف لمحدث أهجى من
قول أبي نواس :

وما روحتنا لتدب عنا ولكن خفت مرزومة الذناب
شرايبك في السحاب إذا عطشنا وخبزك عند منقطع التراب
وكيف تنال مكرومة ومجداً وخبزك محرز عند الغياب
وإبطلك قابض الأرواح يرمي بسهم الموت من تحت الثياب
وانظر ديوان أبي نواس ١٤ .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها يزيد بن يزيد الشيباني ، ومطلعها :
أجررت جبل خليع في الهوى غزل وشمرت همم العذال في العذل

تَنَالُ بِالرَّفْقِ مَا تَعْنِي الرَّجَاءُ بِهِ كَأَلْمُوتِ مُسْتَعِجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ :

تَسْكُنُ سَاكِنَ الدُّنْيَا مُحَمَّدٌ فَقَدْ أَضْحَتْ لَهُ الدُّنْيَا عِيَالًا
كَأَنَّ أَبَاهُ آدَمَ كَانَ أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يَمُوتَهُمْ فَعَمَلًا
وهذا معنى دندن^(١) حوله الشعراء ، وفاز على بن جبلة بالإفصاح عنه .

* * *

وقد قيل : إن أبا تمام أ كثر الشعراء المتأخرين ابتداءً للعمانى ، وقد
عدت معانيه المبتدعة ، فوجدت ما يزيد على عشرين معنى .

وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك ، وما هذا من مثل أبي تمام كبير ،
فإني أنا عدت معاني المبتدعة التي وردت في مكاتباتي ، فوجدتها أ كثر
من هذه العدة ، وهي مما لا أنزع فيه ، ولا أدفع عنه !

فأما ماورد لأبي تمام فمن ذلك قوله^(٢) :

يَأْيُهَا الْمَلِكُ النَّاسِي بِرُؤْيَتِهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبُ
لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَعِنِكَ لِي أَمَلًا
إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجِّي حِينَ تَحْتَجِبُ

(١) أصل الدندنة صوت الذباب والزنابير ، ودندن صوت وطن ،
ودندن فلان نغم ولا يفهم منه كلام .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٢ من أبيات أربعة يعاتب بها أبادلف ، وقيل
عبد الله بن طاهر ، والبيتان اللذان قبلهما :

صبراً على المظلّم يملئه الكذب فللخطوب إذا سامحتها عقب
على المقادير لوم إن منيت به من عاذل وعلى السعى والطلب

وكذلك قوله :

رَأَيْنَا الْجُودَ فِيكَ وَمَا عَرَضْنَا لِسَجَلٍ مِنْهُ بَعْدُ وَلَا ذُنُوبٍ
وَلَكِنْ دَارَةُ الْقَمَرِ اسْتَمْتَمَتْ فَدَائِمًا عَلَيَّ مَطَرٌ قَرِيبٌ

وكذلك قوله في الهجاء^(١) :

وَأَنْتَ تُدِيرُ قُطْبَ رَحًا مَلِيًّا وَلَمْ تَرَ لِلرَّحَا الْعَلِيَاءِ قُطْبًا
تَرَى ظَهْرًا بِكُلِّ صِرَاعٍ قَرْنٍ إِذَا مَا كُنْتَ أَسْفَلَ مِنْهُ كَعْبًا^(٢)
وكذلك قوله^(٣) :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أُنْحَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ
مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبٌ يُعْرَفُ الْعُودِ

وكذلك قوله^(٤) :

لَا تَنْكُرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مِمَّا لَشَرُّوْدًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

(١) ديوان أبي تمام ٤٨٦ من قصيدة يهجو بها عتبة بن أبي
عاصم ، ومطلعها :

أَعْتَبَةُ أَجْبَنُ الثَّقَلَيْنِ عَتْبَا بَجْهَلِكِ صَرْتِ لِمَكْرُوهِ نَصْبَا
(٢) في الأصل :

تَرَى قَطْرَ بِكُلِّ صِرَاعٍ قَرْنٍ إِذَا مَا كُنْتَ أَسْفَلَ مِنْهُ جَنْبَا
والصواب عن الديوان .

(٣) ديوان أبي تمام ٨٥ من قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد ، ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد ، ومطلعها :

أَرَأَيْتَ أَى سَوَالِفٍ وَخُدُودٍ عَنَّا لَنَا بَيْنَ اللُّوَى وَبُرُودٍ
(٤) ديوانه ١٧٢ من قصيدة في مدح أحمد بن المعتصم ، ومطلعها :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةٍ مِنْ بَاسٍ تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَفْلَّ لِأُنُورِهِ مِثْلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ (١)
وكذلك قوله (٢) :

لَا تُنْكِرِي مَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْفَيْئِ
فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيِ
وكذلك قوله في الشَّيْبِ (٣) :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفُوَادِ تَكْلًا صَمِيمًا
تَسْتَشِيرُ الْأُمُومُ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا ضُعْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الْأُمُومَا
فالييت الثاني من اللعاني المحترعة ، وقد تفقه فيه فجعله مسألة من مسائل
الدور ، وهذا من إغراب أبي تمام المعروف .

وهذا القدر كافٍ من جملة معانيه ، فإننا لم نستقصها هاهنا .

* * *

ومن هذا الباب قول ابن الرومي (٤) :

(١) يشير بذلك إلى قول الله تعالى : « الله نور السموات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » سورة النور . آية ٣٥ ، والمشكاة
هي الكوة في الجدار غير النافذة .

(٢) الديوان ٢٤٦ من قصيدة في مدح الحسن بن رجا ، مطلعها :
يكفي وعاك فإنني لك قال ليست هوادي عزمي بتوال
والوغي الحرب ، والقالي المبغض ، والهوادي الأوائل ،
والتوالي الأواخر .

(٣) الديوان ٢٩١ من قصيدة في مدح أبي سعيد ، مطلعها :
إن عهداً لو تعلمان ذميما أن تناما عن ليأتي أو تنيا
(٤) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد ، وعاش فيها
متأثراً بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة =

كُنْ أَمْرِي مَدْحَ أَمْرٍ لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَسَاءَ هِجَاءَهُ
لَوْ لَمْ يُقَدَّرْ فِيهِ بَعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ لِمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ
وَكذَلِكَ قَوْلُهُ (١) :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ
وَكذَلِكَ قَوْلُهُ (٢) :

لِمَا تُؤَدِّنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطُّفْلِ سَاعَةَ بَوْلِهِ
وَأِلَّا فَمَا يُبْسِكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّمَا لِأَوْسَعِ (٣) تَمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْنَعِدُ
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا لِلسَّهْلِ كَأَنَّهُ بِمَا هُوَ لِأَقِ (٤) مِنْ أَذَاهَا يُهْدَدُ
وَكذَلِكَ قَوْلُهُ (٥) :

رَدَدْتَ عَلَيَّ مَدْحِي بَعْدَ مَظَلِّ وَقَدْ دَنْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

= في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء ، في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف . مات ابن الرومي سنة ٢٨٣ هـ ، والبيتان من أبيات أربعة ، وبعدهما :

غير فإني لا أطيل مدأحي إلا لأوفى من مدحت ثناءه
وأعد ظلما أن أقل مديحته حمداً وأسخط أن أقل عطاءه
(١) ديوان ابن الرومي ١٣٩ ورواية الديوان « يجول » موضع « يكون »
في عجز البيت الثاني .

(٢) الديوان ٣٩٣ من قصيدة في مدح صاعد بن مخلد ، ومطلعها :
أبين ضلوعي حمرة تتوقد على ما مضى أم حسرة تتجدد
(٣) رواية الديوان « لأفسح »

(٤) رواية الديوان « بما سوف يلقي »

(٥) ديوان ابن الرومي ٣٧٠ من أبيات أربعة .

وَقَلْتُ : امدح به من شئت غَيْرِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ المَدْحَ الرَّدِيدَا (١)
وَهَلْ لِلْحَيِّ فِي أَكْفَانٍ مَيِّتٍ لَبُوسٌ بَعْدَ مَا أَمْتَلَاتُ صَدِيدَا (٢)

وقد ورد لأبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ مِنْ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ (٣) :

أَجْزَيْتَنِي إِذَا أَنْشِدْتَ مَدْحًا فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَنَاكَ الْعَادِحُونَ مُرَدًّا
وَدَعَّ كُلُّ صَوْتٍ بَعْدَ (٤) صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الصَّاحِبُ المَخْجِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ قد توارَدَ على معناه الشعراء قديمًا وحديثًا ، لكنَّ الْبَيْتَ
الثَّانِي - في التَّمْثِيلِ الذي مثَّله - ليس لِأَحَدٍ إِلَّا لَهُ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (٥) :

بِحَجْرٍ سِيُوفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَنَّى الطَّلِي (٦) أَنْ تَكُونَ الْعُمُودَا
إِلَى إلهام تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ (٧) تَرَى صَدْرًا عَنْ وُزُودٍ وَرُودَا

(١) بعد هذا البيت بيت أغفله ابن الأثير ، وهو :

ولا سيما وقد أعبقت فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

(٢) رواية الديوان « وما للحي » موضع « وهل للحي » .

(٣) ديوان المتنبي ١/ ٢٩١ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ،

ويهنيه بعيد الأضحى ، ومطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(٤) رواية الديوان « غير صوتي » .

(٥) ديوان المتنبي ١/ ٢٦٩ من قصيدة في مدح بلدر بن عمار

الأسدي ، ومطلعها :

أحلما نرى أم زمانا جديدا أم الخلق في شخص حتى أعيدا

(٦) الطلي الأعناق ، والعمود جمع عمد وهو جفن السيف .

(٧) إلهام الرعوس . يقول : أبدأ سيوفك تصدر عن هام إلى

هام أخرى .

وكذلك قوله في بدر بن عمار ، يُهْنِيهِ بِبُرْثِهِ مِنْ مَرَضٍ (١) :
 قَصِدْتَ مِنْ شَرْقِيهَا وَمَغْرِبِيهَا حَتَّى اشْتَكَّتْكَ الرَّكَابُ وَالسُّبُلُ
 لَمْ تُبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدْتَ تَجْتَدِيكُمَا الْعِلَلُ
 وقد وقفتُ على ما شاء الله مِنْ أشعارِ الفحولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ،
 فَلَمْ أَجِدْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي ذِكْرِ الْعَرَضِ مَا يُعَدُّ مَعْنَى مُخْتَرَعًا ، لَا ، بَلْ لَمْ أَجِدْ
 مِنْ أَقْوَامِهِ شَيْئًا مَرَضِيًّا ، مَا عَدَا الْمُتَلَبِّي ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ الْمَرَضَ فِي عَدَّةِ مَوَاضِعَ
 مِنْ شِعْرِهِ ، فَأَجَادَ ، وَهَذَا الْبَيْتُ الثَّانِي مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَعْنَى مُخْتَرَعٌ لَهُ ،
 وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهِ كُلَّ الْإِحْسَانِ .

ومما ابتدعه بإجماع قوله في مدح عضد الدولة في قصيدته النونية
 الَّتِي مَطَّلَمُهَا :

* مَقَانِي الشُّعْبِ طِيْبًا فِي الْمَغَانِي (٢) *

فقال عند ذكره :

(١) الديوان ٣ / ٢١٧ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وقد فصد
 لعاة ، ومطلعها :

أبعد نأى الملية البخل في البعد ما لا تكلف الإبل
 (٢) ديوان المتنبي ٤ / ٢٥١ ، وعجز البيت : * بمنزلة الربع من

الزمان * .

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس
 وأبا دلف ، ويذكر طريقة بشعب بوان ، والمغاني : جمع مغنى ، وهو
 المكان الذى فيه أهله ، والشعب : هو شعب بوان ، وهو موضع كثير
 الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، كنهه الإيلة ، وسغد سمرقند ،
 وغوطه دمشق . وشعب بوان بأرض فارس بين أرجان والنوبندجان .

فَعَاشًا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْئِهِمَا وَلَا يَتَحَادَدَانِ (١)
 وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلِكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرثًا سِوَى مَنْ يَقْتَلَانِ (٢)
 وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْيُ حُرُوفٍ أَنْيَسِيَانِ (٣)

أى : جعل الله ابني عدو كآثره — يعنى ابني عضد الدولة — كياءى
 حروف تصغير « إنسان » ، فإن ذلك زيادة ، وهو نقص فى المقدار .

إلا أن سبك هذا البيت قد شوّهه ، وأذهب طلاوة المعنى المندرج تحته .
 ومن معانيه المبتدعة قوله (٤) :

فَإِنْ تَفُقِ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
 وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٥) :

صَدَمَتْهُمْ بِحَمِيمِ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمِ (٦)

(١) يدعو لهما بالبقاء الدائم بقاء الشمس والقمر ، ينفع الناس
 بضوءهما ، ولا يكون بينهما تحاسد ولا اختلاف .

(٢) هذا دعاء لأبيهما بطول الحياة ، بقول : لا ملكا ملكك ، بل
 ملك الأعداى ، ولا وراثك ، إنما يرثان من يقتلانه من الأعداى .

(٣) يقول . عدوك الذى له ولدان وكآثرهما ، كياءين زائدين
 فى « أنيسيان » لأنه إذا كان مكبرا كان خمسة أحرف ، فإذا صغر زيد
 فيه ياعان فى عدده ، ونقص فى معناه وفخره ، فهما زائدتان فى نقصه .

(٤) الديوان ٢٠/٣ من قصيدة فى رثاء والدة سيف الدولة ، ومطلعها :
 نعد المشرفية والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال

(٥) الديوان ٢٣/٤ من قصيدة فى مدح سيف الدولة ، ومطلعها :
 عقيبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم

(٦) الحميس : الحيش ، والغرة : الوجه ، والسهمرية : الرماح ، والغمم :
 كثرة الشعر وإسباله على الوجه .

فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْتَقُظْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ
وَهَذَا مِنْ أَعَاجِبِ أَبِي الطَّيِّبِ الَّتِي بَرَزَ فِيهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ .

* * *

ومن الإحسان في هذا الباب قول بومضهم :
وَقَدْ أَشَقُّ الْحِجَابَ الصَّعْبَ مَأْرَبُهُ دُونِي وَآبِي وَوُجَا فِيهِ إِنْ طُرِقَا
كَالطَّيْفِ يَا بِي دُخُولَ الْجَنَنِ مُنْفَتِحًا وَلَيْسَ يَدْخُلُهُ إِلَّا إِذَا انْطَبَقَا
ورأيت ابن حمدون البغدادي^(١) صاحب كتاب « التذكرة » قد أوردَ
هذين البيتين في كتابه ، وقال : قد أغرب هذا الشاعر ، ولكنه خطأ ، وجرى
على عادة الشعراء ، لأنَّ الطَّيْفَ لَا يَدْخُلُ الْجَنْنَ ، وَإِنَّمَا يُتَخَيَّلُ إِلَى النَّفْسِ .
وهذا كلامٌ مَنْ لَمْ يَطْعَمَ مِنْ شَجَرَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وليس مثله عندي
إلا كما يُحْكِي عَنْ مَلِكِ الرُّومِ إِذْ أَنْشَدَ عِنْدَهُ بَيْتَ الْمُتَنَبِّيِّ الَّذِي هُوَ :
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ قَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ ، فَلَمَّا تُرُنَّ سَالَا^(٢)

(١) هو محمد بن الحسن محمد بن علي بن حمدون ، من بيت
فصل ورياسة ، وكان ذا معرفة بالأدب والكتابة ، سمع وروى ،
وصنف كتاب « التذكرة » في الأدب والنوادر والتواريخ ، وهو كتاب
كبير يدخل في اثني عشر مجلدا ، اختص بالمستنجد ، يجتمع به
ويناديه ، وولاه ديوان الزمام ، توفي محبوساً سنة اثنتين
وستين وخمسمائة .

(٢) ديوان المتنبي ٣ / ٢٢٢ من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ومطلعها :
بقائى شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زمو لا الجمالا
ومعنى البيت : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكأن إبلهم ببروكها
كانت تمسك بكائى ودمعى عن السيل ، فلما أثاروها الرحيل سألت
دمرعى ، فكأنتها كانت مناخة فوق جفنى .

فسأل عن المعنى ، ففسّر له ، فقال : ما سمعتُ بأَكْذَبَ من هذا الشاعر ،
أرأيتَ مَنْ أَنَاخَ الْجَمَلَ عَلَى عَيْنَيْهِ لَا يِيهَاكُهُ ؟

وَمِنْ مَحَاسِنِ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
تَخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ آدَمَ فَمَا زَالَ مُفَجَّدِرًا يَرْتَقِي
وكذلك قولُ الآخر :

بِأَيِّ غَزَالٍ غَازَلْتَهُ مُقَلَّتِي بَيْنَ الْغُورِ وَبَيْنَ شَطَى بَارِقِ (١)
عَاطِيَتُهُ وَاللَّيْلُ يَسْجَبُ ذَيْلُهُ صَهْبَاءَ كَالْمَسْكِ الْفَتِيْقِ لِنَاشِقِ (٢)
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْكَمِيِّ لِسَيْنِهِ وَذُوَابَتَاهُ حَمَائِلٌ فِي عَاتِقِي
حَتَّى إِذَا مَاتَ بِهِ سِنَّةُ الْكِرَى زَحَزَحْتُهُ شَيْنًا وَكَانَ مُعَانِقِي
أَبْعَدْتُهُ عَنِّ أَضْلَعِ تَشْتَاقُهُ كَيْ لَا يَنَامَ عَلَيَّ وَسَادِ خَافِقِي

وهذا من الحُسنِ والملاحَةِ بِالْمَكَانِ الْأَقْصَى ، ولقد خَفَّتْ مَعَانِيهِ عَلَى
الْقُلُوبِ ، حَتَّى كَادَتْ تَرْقُصُ رَقْصًا .

وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْإِبْدَاعِ ، وَبِهِ وَبِأَمْثَالِهِ أَقْرَبَتِ الْأَبْصَارُ
بِفَضْلِ الْأَشْتِمَاعِ .

(١) الغوير مواضع ، منها ماء لُكْلَبِ بِالسَّمَاوَةِ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ،
وماء بَيْنَ الْعَقْبَةِ وَالْقَاعِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَمَوْضِعٌ عَلَى الْفِرَاتِ . وَبَارِقُ
مَاءٌ بِالْعِرَاقِ ، وَهُوَ الْحُدُّ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَهِيَ مِنْ
أَعْمَالِ الْكُوفَةِ .

(٢) فَتَقِ الْمَسْكَ بِغَيْرِهِ اسْتِخْرَاجَ رَائِحَتِهِ بِشَيْءٍ تَدْخُلُهُ فِيهِ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ بَعْضِ الْمَصْرِيِّينَ — يَهْجُو إِنْسَانًا يَقَالُ لَهُ
«ابن طَلِيلٍ» احْتَرَقَتْ دَارُهُ :

انظُرْ إِلَى الْأَيَّامِ كَيْفَ تَسْوِقُنَا طَوْعًا إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْأَقْدَارِ
مَا وَقَدَ ابْنُ طَلِيلٍ قَطُّ بِدَارِهِ نَارًا ، وَكَانَ هَلَاكُهَا بِالنَّارِ
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ قَلَاقِسٍ ^(١) ، مِنْ شِعْرَاءِ مِصْرَ :

زِدْ رِفْعَةً إِنْ قِيلَ أَنْفَضَ ^(٢) وَانْخَضَ إِنْ قِيلَ أَثْرَى
كَأَلْفَضٍ يَدْنُو مَا اكْتَسَى ثَمَرًا ، وَيَبْنَى مَا تَعَرَّى
وَهَذَا مِنَ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ .

* * *

وَمِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ قَوْلُ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَافِظِ فِي تَشْبِيهِ الْبَهَارِ ^(٣) وَهُوَ :

عُيُونُ تَبْرِ كَأَنَّهَا سَرَقَتْ سَوَادَ أَحْدَاقِهَا مِنَ الْفَسَقِ
فَإِنْ دَجَا لَيْلُهَا بِظُلْمَتِهِ ضُمِّنَ مِنْ خَوْفِهَا عَلَى السَّرِقِ
وَهَذَا تَشْبِيهٌُ بَدِيعٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَهُوَ مِنَ الْإِنْفَاقَةِ عَلَى مَا لَا خَفَاءَ بِهِ .

(١) ابن قلاقس : هو أبو القشوح نصر بن عبد الله بن قلاقس
الإسكندري ، رحل إلى اليمن . ومدح بعض رجالها ، وعاد بثروة ،
فانكسر المركب ، فغرق ما كان معه بالقرب من دهلك ، فعاد إلى اليمن .
ثم انتقل إلى صقلية ، ثم توفي بعيداً على شاطئ البحر الأحمر من
بلاد مصر سنة ٥٦٧ هـ .

(٢) أنغض إذا تحرك واضطرب ، وأنغض رأسه حركة كالمتعجب
من شيء .

(٣) البهار بالفتح العرار الذي يقال له عين البقر ، وهو بهار البر ،
وهو نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع ، يقال لها العرارة ،

وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا :

لَا تَضَعُ مِنْ عَظِيمٍ قَدْرًا وَإِنْ كُنْتَ مُشَارًا إِلَيْهِ بِالْعَظِيمِ
فَالشَّرِيفُ الْعَظِيمُ يَنْقُصُ قَدْرًا بِالْتَعَدِّي عَلَى الشَّرِيفِ الْعَظِيمِ
وَلَعُ الْخَمْرِ بِالْمَقُولِ رَمَى الْخَمْرَ بِدَنْجِيْسِمَا وَبِالتَّخْرِيمِ
وَمِنْ غَرِيبٍ مَا سَمِعْتَهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ الْمَعَارِبَةِ
يُرْنِي قَتِيلًا :

غَدَرْتُ بِهِ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ بَعْدَ مَا قَدْ كُنَّ طُوعَ يَمِينِهِ وَسِمَالِهِ
فَلْيَحْذِرِ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ نُجُومَهُ إِذْ بَانَ غَدْرُ مَنَاهَا بِمِثَالِهِ

* * *

وَكَذَلِكَ جَاءَ وَصْفُ بَعْضِ الْمَنَاوِيَةِ فِي الْخَمْرِ وَكَاسَاتِهَا :

ثَقَلْتُ زُجَاجَاتُ أُنْتِنَا فُرْغًا حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصَرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ وَكَذَا الْجِسْمُ تَخِفُ بِالْأُرُوجِ
وَهَذَا مَعْنَى مُبْتَدِعٍ ، أَشْهَدُ أَنَّهُ يَفْعَلُ بِالْمَقُولِ فِعْلَ الْخَمْرِ سَكْرًا ، وَيَرِقُّ
كَارَقَتْ لُطْفًا ، وَيَفُوحُ كَمَا فَاحَتْ نَشْرًا .

* * *

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ حَمْدٍ يَسُ الصَّقَلِيِّ :

يَا سَالِبًا قَمَرَ السَّمَاءِ جَمَالَهُ أَلْبَسْتَنِي لِلْحُزْنِ ثَوْبَ سَمَائِهِ
أُضْرَمْتُ قَلْبِي فَارْتَمَيْ بِشَرَارَةِ وَقَعَتْ بِخَدِّكَ قَانَطَفَتْ مِنْ مَائِهِ
وَهَذَا الْمَعْنَى دَقِيقٌ جَدًّا .

وَقَدْ سَمِعْتُ فِي الْخَلَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَسْمَعَ فَلَمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا !!

وقد جاءني في الكلام المنثور من هذا الضرب شيء ، وسأذكرها
ها هنا منه نبذة .

فمن ذلك ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت :

« ألبس من الحسن أنظر لباس ، وخلق من طينة غير طينة الناس ،
وكما زاد حسناً فكذلك ازداد طيباً ، واتفتت فيه الأهواء حتى صار إلى كل
قلب حبيباً ، فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه ، أو مر على النيلوفر (١) ليلاً
لتفتحت أحداقه » .

والمعنى الغريب ها هنا أن الشمس إذا طلعت على النيلوفر تفتح أوراقه ،
وإذا غربت عنه انضمت .

ثم إنني سمعت هذا في شعر الفرس لبعض شعرائهم ، فحصل عندي منه
تعجب .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في ذم الشيب فقلت :

« الشيب إعدام للإيسار ، وظلام للأنوار ، وهو الموت الأول الذي
يُصلي ناراً من الهم أشد وقوداً من النار ، ولئن قل قوم إنه جلالة فإنهم
دقوا به وما جأوا ، وأفتوا في وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا ، وما أراه إلا
محرماً للعمر ، ولم تدخل آلة الحرث دار قوم إلا ذلوا . ومن عجيب شأنه
أنه المملول الذي يشفق من بعده ، والخلق الذي يكره نزاع برده ، ولما
فقد الشباب كان عنه عوضاً ، ولا عوض عنه في فقده » .

(١) النيلوفر ، ويقال النيلوفر ، ضرب من الرياحين ، ينبت في

المياه الراكدة (انظر القاموس ١٤٧/٢)

والمعنى المخترعُ ما هنا في قولِي : « وَمَا أَرَاهُ إِلَّا مُحَرَّاتًا لِلْعَمْرِ ، ولم تدخل
آلةَ الحَرْثِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا ذَلُّوا » .

وهو مُسْتَنْبَطٌ من الحديثِ النبويِّ ، وذلكَ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَأَى آلَةَ حَرْثٍ ، فقال : « مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا ذَلُّوا » فأخذتُ أَنَا
هذا وبتلتهُ إلى الشَّيْبِ ، فجاء كما تراهُ في أعلى درجاتِ الحُسْنِ ، وذلكَ لما بينه
وبين الشَّيْبِ من المناسَبَةِ الشَّيْبِيَّةِ ، لأنَّ الشَّيْبَ يَفْعَلُ في البدنِ ما يَفْعَلُهُ
الحراثُ في الأرضِ ، وَإِذَا نَزَلَ بِالْإِنْسَانِ أَحْدَثَ عِنْدَهُ ذُلًّا .

* * *

ومن هذا الباب ما ذكرته في فصل من كتاب الی بعض الناس أعبت
به ، فقلت :

« وَإِذَا كَتَبْتُ مَثَالِيهِ^(١) فِي كِتَابِ اجْتِمَاعِ عَلَيْهِ بَنَاتُ وَرْدَانَ^(٢)
وَحَرْمٌ عَلَى أَنْ أبدأ فِيهِ بِالْبَسْمَلَةِ ، لِأَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ » .
وهذا معنى لطيفٌ في غاية اللطافة ، وهو مُخْتَرَعٌ لِي .

* * *

وكذلك كتبت الی بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت
في فصل منه ما أذكره ، وهو :

« يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْكُرَني عَلَى وَسْمِهِ بِرِجَائِي دون امتداحي ، فَإِنِّي لم
أَسْمُهُ إِلَّا لِتَحْرُمَ بِهِ الأَضْحِيَّةُ في يَوْمِ الأَضْحِي ؛ ولا شَكَ أَنَّ سَيِّدَنَا مَعْدُودٌ
في جُمْلَةِ الأَنْعَامِ ، غَيْرَ أَنَّهُ من ذواتِ القُرُونِ ، والقُرُونُ عَدُوهُ عندِ الخِصامِ » -
وهذا معنى ابتدعتهُ ابتداءً ، ولم أَسْمعه لأحد من قبلي .

(١) جمع مثلية وهي العيب والمنقصة ، جمعها مثالب . يقال : ثلبه
يثلبه لأمه وعابه .

(٢) بنات وردان دوبيات تلزم الكنف كالجعل والصراصير .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزياة الكفار ، وذلك فضل
منه ، فقلت :

« وكانت الوقعة يوم الأحد مُنتصفَ شهر كذا وكذا ، وهذا هو
اليوم الذي تحيِّره الكفار من أيام الأسبوع ، ونصبوه موصيماً لشرع كفرهم
المشروع ، فحصل ارتيابهم به إذ تضمن للإسلام مزيداً ، وقالوا : هذا يوم
قد أسلم ، فلا نجعله لنا عيداً ، وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون ، بأنَّ
الدين عند الله هو الإسلام وأنَّ أوليائه هم المسلمون . »
وهذا معني انفردتُ بابتداعه ، ولم يأت به أحدٌ يمتنُّ تقدمني .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى ديوان الخلافة ببغداد ،
وهو في وصف القلم : فقلت :

« وقلمُ الديوانِ العزيز هو الذي يَحْفِضُ ويرفع ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ ، وهو
المُطَاعُ ، لِجِدْعِ أَنْفِهِ وَسَوَادِ لِبَاسِهِ ، وقد وَرَدَ الأمرُ بِطَاعَةِ الحَبَشِيِّ
الأَجْدَعِ ، ومن أحسنِ صفاته أنَّ شعارَهُ من شعارِ مَوْلَاهُ ، فهو يخلعُ على
عبيده من الكرامة ما يخلعُ . »

في هذه الأوصاف معانٍ حسنة لطيفة ، ومنها معني غريب لم أسبق إليه ،
وهو قولِي « إِنَّهُ المُطَاعُ لِجِدْعِ أَنْفِهِ وَسَوَادِ لِبَاسِهِ ، وقد وردَ الأمرُ بِطَاعَةِ
الحَبَشِيِّ الأَجْدَعِ » فإنَّ هذا مما ابتكرته .

وهو مستخرج من الحديث النبوي في ذكر الطاعة والجماعة ، فقال صَلَّى
اللهُ عليه وسلَّم : « أَطِعْ وَلَوْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجْدَعًا مَا أَقَامَ عَلَيْكَ كِتَابَ اللهِ »
فاستخرجتُ أنا للقلم معني من ذلك ، وهو أنَّ القلمَ يَجْدَعُ وَيَقَمَّصُ لِبَاسَ
السَّوَادِ فَصَارَ حَبَشِيًّا أَجْدَعًا .

وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في قصيدته السيفية (١) ،
فإنه استخرج المعنى المخترع من القرآن الكريم ، وأنا استخرجت المعنى من
الخبر النبوي كما أريتك .

وهذا المعنى المشار إليه في وصف القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه
آخر ، ونهت عليه في كتاب « الوشى المرقوم في حل المنظوم » وهذا كتاب
الفتة في صناعة حل الشعر وغيره .

* * *

وبعد هذا فسأقول لك في هذا الموضوع قولاً لم يقله أحد غيري ،
وهو أن المعاني المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة ،
فكما أنك إذا وردت عليك مسألة من الجهولات تأخذها ، وتقلبها ظهراً
لبطن ، وتنظر إلى أوائلها وأواخرها ، وتعتبر أطرافها وأوساطها ، وعند ذلك
تخرج بك الفكرة إلى معلوم ، فكذلك إذا ورد عليك معنى من المعاني
ينبغي لك أن تنظر فيه كنظرك في الجهولات الحسابية .

إلا أن هذا لا يقع في كل معنى ، فإن أكثر المعاني قد طرقت وسبق
إليه ، والإبداع إنما يقع في معنى غريب لم يطرقت ، ولا يكون ذلك إلا في
أمر غريب لم يأت مثله ، وحينئذ إذا كتب فيه كتاب ، أو نظم فيه شعر
فإن الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الإبداع فيه .

(١) يشير إلى قوله :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب المقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
وقد سبق الاستشهاد به في معرض الكلام عن معانيه المبتدعة .

وقد لَابَسْتُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ . وسأوردُ هَاهُنَا مَا يُحَدِّثُ
حَدُّوهُ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

ومن ذلك ما كتبتَه عن نَفْسِي إِلَى بَعْضِ مَلُوكِ الشَّامِ وَأَهْدَيْتُ إِلَيْهِ
رُطْبًا ، وَهُوَ :

« خَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةَ مَوْلَانَا ، وَعَمَّرَ لَهَا مَجْدًا وَجِنَانًا ، وَخَوَّلَهَا السَّمَادَةَ عَطَاءً
حِسَابًا ، وَأَنْشَأَ اللَّيَالِيَّ لِلْخِدْمَتِهَا عُرْبًا أَنْزَابًا ^(١) ، وَأَبْقَى شَيْبَتَهَا بَقَاءً
لَا يَسْتَجِدُّ مَعَهُ خِضَابًا ، وَلَا جَعَلَ لَهَا فِي مُحَاسِنِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ أَشْبَاهًا
وَلَا أَضْرَابًا ، وَأَلْقَى الْيَأْسَ بَيْنَ أَعْدَائِهَا وَحُسَّادِهَا ، حَتَّى يَبْهَثَ لَهَا فِي الْأَرْضِ
غُرَابًا .

« إِذَا أَرَادَ الْعَبِيدُ أَنْ يُهْدُوا لِمَوَالِيهِمْ قَصَّرَتْ بِهِمْ يَدُ وَجْدِهِمْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ
كُلَّ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِمْ ، لَكِنْ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَنْزَفَةِ مَا يَهْدِي وَإِنْ كَانَ قَدْرُهُ
خَفِيفًا ، وَلَوْلَا اخْتِلَافُ الْبِلَادِ فَمَا يَوْجَدُ بِهَا لِمَا كَانَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ طَرِيفًا .

« وَقَدْ أَهْدَى الْمَلُوكُ مِنَ الرُّطْبِ مَا يَتَجَلَّى فِي صِفَةِ الْوَارِسِ ، وَبُزْهِىَ
بِحَسَنِهِ حَتَّى كَانَتْهُ لَمْ يُدَنَّسْ بِيَدِ لَأَمْسِ ، وَمَا سُمِّيَ رُطْبًا إِلَّا لِاشْتِمَاقِهِ مِنَ الرُّطْبِ
الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْيَأْسِ .

« وَقَدْ أُنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثَنَاءً جَمًّا ، وَفَضَّلَ شَجَرَتَهُ
عَلَى الشَّجَرِ بِأَنْ سَمَّاهَا أُمًّا ، وَلِئِنْ عَدِمَ عَرَفًا لَدِيدًا فَإِنَّهُ لَمْ يَعْدَمَ مَنْظَرًا لَدِيدًا

(١) العرب جمع العروب من النساء بوزن العروس، وهي المتعجبة
إلى زوجها ، والأتراب جمع ترب بكسر التاء اللدة والسن ومن ولد
معك ، اقتباس من قول الله تعالى : « إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن
أبكاراً * عربا أنزابا * لأصحاب اليمين »
سورة الواقعة : الآيات ٣٥ - ٣٨ .

وَلَا طَعْمًا ، وله أوصافٌ أُخْرَى هي لفضله بمنزلة الشُّهُودِ ، فمنها أَنَّهُ أَوَّلُ غِذَاءِ
يُفْطِرُ عَلَيْهِ الصَّائِمُ ، وَأَوَّلُ غِذَاءِ يَدْخُلُ بطنَ المَوْلُودِ .

« وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَعْدُودٌ مِنَ الحُلُوءِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ ذَوَاتِ
العِرَاسِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا سِوَى أَنَّهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَتِلْكَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ .

« وَإِذَا أَنْصَفَ وَاصِيفُهُ قَالَ : مَا مِنْ ثَمَرَةٍ إِلَّا وَهِيَ عَنْهُ قَاصِرَةٌ ،
وَلَوْ تَفَاخَرَتِ البِلَادُ بِمَحَاسِنِ ثَمَرِهَا لَقَامَتِ أَرْضُ العِرَاقِ بِهِ فَآخِرَةٌ .

« وَهَذَا سَارَ إِلَى بَابِ مَوْلَانَا وَهُوَ مَجْنَى المُنَابِتِ سَارَ إِلَى مَجْنَى الكَرَمِ ،
وَمَلِكِ الفَاكِهَةِ وَقَدْ عَلَى مَلِكِ الشَّيْمِ .

« وَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الطَّرِيقُ أَنْشَأَ الحَسَدَ لغيرِهِ مِنَ الفَوَاكِهِ أَرِيَا ، وَمَا مِنْهَا
إِلَّا مَنْ قَالَ : يَا أَيَّتَنِي كُنْتُ رُطْبًا .

« وَإِنَّ كَانَ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَخْتَلِفُ فِي الصُّوْرِ والأَسْمَاءِ ، وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا
عَلَى بَعْضٍ وَيُسْتَقَى بِشْرَابٍ وَاحِدٍ مِنَ المَاءِ ، فَكَذَلِكَ تِلْكَ الشَّيْمُ العَرِيقَةُ تَتَّحِدُ
فِي عُنُصُرِهَا وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ الوَتِيرَةِ ، وَمِنْ أَفْضَلِهَا شِيمَةُ السَّمَاكِ الَّتِي تَقْبَلُ القَلِيلَ
مِنْ عَيْبِهَا ، وَتَسْمَحُ لَهُمُ بِالْعَطَايَا الكَثِيرَةِ ، وَقَدْ ضَرَبَ لَهَا المَمْلُوكُ مِثَالًا ،
فَقَالَ : هِيَ كَجَنَّةِ بَرَبُوتِ (١) ، بَلْ ضَرَبَ لَهَا مَا ضَرَبَ لِمِثْلِ النَّبِيِّ ، وَهِيَ
نَخْلَةٌ بِكَوْبُوتِ (٢) .

« وَلَا يَخْتَمِ كِتَابُهُ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا القَوْلِ الَّذِي طَابَ سَمْعًا ، وَزَكَ أَصْلًا
وَفَرْعًا ، وَتَصَرَّفَ فِي أُسَالِيْبِ البَلَاغَةِ ، فَجَاءَ بِهِ وَتَرًّا وَشَفْعًا ، وَالسَّلَامُ . »

(١) مأخوذ من تشبيه القرآن « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتشبيهاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة » سورة البقرة :
الآية ٢٦٥ .

(٢) سيأتي هذا المثل النبوي في الصفحة التالية عند إيراد نص الحديث .

وهذا كتابٌ غريبٌ في معناه ، وقد اشتملَ على معانٍ كثيرةٍ :

فمن جُمَلتِها أن الرُّطْبَ مشتقٌّ من « الرُّطْب » الذي هو ضدُّ « اليابس » .

ومن جُمَلتِها أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَى النخلةَ أُمًّا ، فقال :

« أُمَّكُمْ النخلةُ » .

ومن جُمَلتِها أنه كان صلى الله عليه وسلم يُفطر على رُطَبات ، فإن لم يجد

فتَمرات .

ومن جُمَلتِها أنه كان يُلوك التَّمرة ، وَيُحَنِّكُ بها المولود عند ميلاده ،

ولما وُلِدَ عَبْدُ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ جَاءَتْ أُمُّهُ أُمِّمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
وَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَاكَ تَمْرَةٌ ، وَوَضَعَهَا فِي فِيهِ .

ومن جُمَلتِها أنه والحلواءُ شئٌ واحدٌ ، إلا أنه من خَلَقَ اللهُ ، وتلك من

خَلَقَ النَّاسَ .

ومن جُمَلتِها أن العَبَّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ قَرِيشًا

تَذَاكَرَتْ أَحْسَابَهَا ، فَضَرَبُوا لَكَ مِثَالًا بِنَخْلَةٍ بِكَبْوَةٍ ^(١) .

(١) ذكر صاحب اللسان أن ناساً من الأنصار قالوا للنبي صلى الله

عليه وسلم : إنا نسمع من قومك : إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في

كبا ، قال : هي بالكسر والقصر الكناسة ، وجمعها أكباء . . . وفي

الحديث عن عباس أنه قال : قلت : يا رسول الله إن قريشاً جلسوا ،

فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض .

قال شمر : قوله « في كبوة » لم نسمع فيها عن علمائنا شيئاً ،

ولكننا سمعنا الكبا والكبة ، وهو الكناسة والتراب الذي يكنس من

البيت . انظر لسان العرب ٧٧/٢٠

وكلُّ هذه المعاني حسنةٌ واردةٌ في موضعها . ومن كتَّبت في معنى من المعاني
فديكتُبُهُ هكذا ، وإلا فليَدَع .

* * *

ومن ذلك رقعة كتبتها الى بعض حجاب السلطان في حاجة عرضت
لي ، وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم ، وهى :

ما مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ صَحَّتْ صَدَاقَتُهُ يَوْمًا بِأَمْحَجٍ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إِذَا تَلَّمَّ بِالْمِنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَابٍ وَلَا غَلَقِ
« الهدية مُسْتَقَّةٌ مِنَ الْهُدَى ، غَيْرَ أَنَهَا تَرَفُّ إِلَى الْقَلْبِ لَا إِلَى النَّدَى ،
وَصَهَارَتِهَا أَنْفَعُ مِنَ الصَّهَارَةِ ، وَكَلَّمًا تَرَدَّدَتْ كَانَتْ بَكَرًا ، فَهِيَ لَانْفِكَ عَنْ
الْبَكَارَةِ ، وَمِنْ خِصَائِصِهَا أَنَّهَا تُمَسِّكُ بِمَعْرُوفٍ أَمِنَ مِنَ السَّرَّاحِ ، وَإِذَا
رَامَتْ فَتَحَ بَابٍ لَا تَفْتَقِرُ فِي عِلَاجِهِ إِلَى مِفْتَاحٍ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهَا الْحُسْنَاءُ
الْمُتَأَنِّقَةُ فِي عِمَارَةِ بَيْتِهَا الَّتِي تَوْصَفُ بِأَنَّ الْقَنْدِيلَ يُصَيِّمُ بَرِيَّتَهَا .

« وَقَدْ أُرْسِلَتْهَا إِلَى الْمَوْلَى وَهِيَ تَتَهَادَى فِي إِعْجَابِهَا ، وَتُدِلُّ بِكِبَرَةِ
دَرَاهِمِهَا وَثِيَابِهَا ، وَتَقُولُ : أَنَا الْكَرِيمَةُ فِي قَوْمِهَا ، الشَّرِيفَةُ فِي أَنْسَابِهَا .

« وَأَحْسَنُ مَا فِيهَا أَنَّهَا جَاءَتْ مَرًّا ، لَمْ تَعْلَمْ بِهَا الْيَدُ الْمَيْمَنِيَّةُ مِنَ الْيُسْرَى .
« نَحْنُهَا يَا مَوْلَايَ ، وَكَشَفَ نَقَائِمَهَا ، وَأَمِطَ عَنْهَا جَلْبَابَهَا ، وَقَدْ كَانَتْ
مِنْكَ حُرَّةً ، وَهِيَ الْآنَ فِي حَيْزِ الْمَمْلُوكَةِ ، وَمِنَ الشَّنَةِ فِي مِثْلِهَا أَنْ تَوْخَذَ
بِالنَّاصِيَةِ وَيُدْعَى بِالْبَرَكَةِ ، وَالسَّائِرُ بِهَا فَلَانٌ ، وَهُوَ فِي الْجَهْلِ بِهَا حَامِلُ
أَسْفَارٍ ، وَنَاقِلٌ لَهَا مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ . وَلِرُبَّمَا نَطَقَ لِسَانُ حَالِهَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ
مِنْ نَطْقِ اللِّسَانِ ، وَأَذْكَرَتْ بِحَاجَةِ مُرْسَلِهَا ، وَحَاشَى فِطَانَةَ الْكَرِيمِ مِنْ
النَّسِيَانِ ، وَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ إِلَّا فَضِيلَةٌ مِنَ الْجَاهِ تُسْفَرُ بَيْنَ السَّائِلِ وَالْمَسْئُولِ ،

وتنقل البعيدَ إلى درجة القريبِ ، والممنوعَ إلى درجة المبدولِ « فإذا فعل المولى ذلكَ كانَ له مِنَّةُ السَّفارةِ ومِنَّةُ الإنعامِ ، وإنْ سُمعَ بأنَّ سعيًا واحدًا فازَ بشُكرينِ اثنينِ ففي مثل هذا المقامِ . ومن الناس من يقولُ : ليس على جانب السلطانِ ثقلٌ في صنعه ، وهل هاهنا إلا كلماتٌ تُقالُ ، والكلامُ ماعونٌ لا رخصةٌ في منعه ، ولم يذرْ أنْ ملاطفةَ الخطابِ ضربٌ من الاحتيالِ ، وأنْ نقلَ الخطواتِ فيه أثقلُ من نقلِ الجبالِ ، وأنْ صاحبَ الحاجةِ يحظى بِجلاوةِ النجاحِ ، والحاجِبُ يلقي مرارةَ السؤالِ .

« وهذا يقوله الخادمُ إيجابًا لإحسانِ المولى الذى هو إحسانٌ شاملٌ ، ولا يعلمه إلا عالمٌ بفضله ، ولا يجهله إلا جاهلٌ ، والله تعالى يجعلُ الحاجاتِ مفدومةً بيبابه ، حتى لا تنفكَ في الدنيا من إمدادِ شكره ، وفي الآخرة من إمدادِ ثوابه ، والسلام . »

فتأمل أيها الناظرُ في كتابي هذا إلى ما اشتملتُ عليه هذه الرُقعةُ من المعاني حتى تعلم كيف تصنعُ يدك فيما تكتبه !

* * *

ومن ذلك رُقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره ، وأرسلت معها هدية من المسك ، وهى :

« الهديةُ رسولٌ يخاطبُ عن مرسله بغير لسان ، ويدخلُ على القلوب من غير استئذان ، وقد قيلَ : أختُ السحرِ فى ملاطفةَ قَصدها ، غير أنها لا تحتاجُ إلى نفسها ولا إلى عُقدِها^(١) ، وما من قلبٍ إلا وصورتها تُجلى عليه

(١) إشارة إلى قوله تعالى « ومن شر النفاثات فى العقد » سورة الفلق : الآية ٤ والنفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقبن ، والنفث النفخ مع ريق .

في سرقة^(١)، ولولا شرف مكانها لما حُلَّت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة، ولها صفات غير هذه كريمة الأخطار، حسنة لدى الأسماع والأبصار، ومن أحسنها أنها تستجدُّ وُدًّا، وتجعل قُرباً ما كان بعداً، وتقول لنار الإحنة: « يانار كُونِي بَرْدًا » ولهذا قيلَ تَهَادَوْا تَحَابُّوا ، ولا شك أنها وُصلة بين المودَّات، فإذا تواصل الناسُ تقارَبوا .

« وقد أرسل الخادمُ منها شيئاً إذا كتمته ذاع، وإذا خزنه ضاع، وقد شُبه به الجليسُ الصالح بعدد أسباب الانتفاع، ومما زاد مزيةً على مزيته أنه وشيم المولى توأمان، غير أن شيمته تنتمي إلى كرم محتدها، وهو ينتمي إلى سرر الغزلان، فإذا ورد على مجلسه قيل: هذا عطرٌ ورد على جونة^(٢) عطار وعُرف له حق المشاركة فإن أذنى الشرك في الشيم جوار . وقد نطق الخبرُ النبويُّ بأنه أحدُ الثلاثة التي لا تُردُّ على من أهداها، وإذا نُظر إلى محصول بقائها وفائدتها، وُجد أطولها عمراً وأجداها، وهذا يحكمُ على المولى بقبول ما استرسل الخادمُ في إرساله، وإذا سأل غيره في قبول هديته كفاه نصُّ الخبرِ مؤونةً سؤاله، والسلام » .

وهذه الرقعةُ أحسنُ من التي قبلها .

فما اشتملت عليه من المعاني قولي: « وما من قابٍ إلا وصورتها تُنجي عليه في سرقة، ولولا شرفُ مكانها لما حُلَّت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة » .

وهذان الغنيمان مستخرجان من خبرين نبويين :

(١) السرقة واحدة السرقة بفتح الحاء شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامة :

(٢) الجونة سلية مستديرة مغطاة أدماً تكون مع العطارين :

أحدهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جاءني جبريلُ عليه السَّلامُ ومعه سَرَقَةٌ من حَرِيرٍ — يعني حَرِيرَةً بيضاء — وفيها صورةُ عائشةَ ، رضى الله تعالى عنها ، وقال : هذه زوجتُك في الدُّنيا والآخرة . » .

والخبرُ الآخرُ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُرِّمَتْ عَلَى الصَّدَقَةُ وَأُحِلَّتْ لِي الْهَدِيَّةُ » .

ومما اشتملتُ عليه أيضاً قولى : « وقد أرسلَ الخَلامُ منها شيئاً إذا كَتَمَهُ ذاع ، وإذا خَزَنَهُ ضاع » . وهذه مغالطةٌ حسنة ، لأنَّ المسكَ إذا كُتِمَ ذاعت رَائحَتُهُ ، وإذا خُزِنَ ضاع : أى فاح ، ويقال « ضاع الشيء » إذا ذَهَبَ ، فالغالطةُ هاهنا فى الجمع بين الضَّدين .

وكذلك قولى : « وقد شَبَّهَ به الجليسُ الصَّالحُ » وهذا مستخرجٌ من الخبرِ النبويِّ أيضاً ، وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم : « مثلُ الجليسِ الصَّالحِ مثلُ حاملِ المسكِ إما أن يَحْذِيكَ ^(١) ، وإما أن يَتَمَتَّعَ مِنْهُ ، وإما أن يَجِدَ مِنْهُ عَرَفًا طَيِّبًا . ومثلُ جليسِ السُّوءِ مثلُ نافعِ الكَبيرِ ، إما أن يُحْرِقَ قَوْبَكَ وإما أن يَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كَرِيهَةً » .

ومما اشتملتُ عليه من المعانى أيضاً قولى : « إِنْ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ اتَى لَا تُرَدُّ عَلَى مَنْ أَهْدَاهَا » .

وهذا مُسْتَخْرَجٌ من الخبرِ النبويِّ أيضاً ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ : الطيبُ والرَّيْحَانُ ، والدَّهْنُ » .

* * *

(١) الحذوة - بالكسر - العطية .

ومن ذلك رقعة كلّفني بعض أصدقائي إملاءها عليه ، وهي رقعة
من عاشق الى معشوق ، وهي :

وَإِذَا قِيلَ : مَنْ يُحِبُّ ؟ تَحَطَّأَ كَ لِسَانِي ، وَأُنْتُ فِي الْقَلْبِ ذَاكَ

« يَأْمَنُ لَا أَسْمِيَهُ وَلَا أَكْنِيَهُ ، وَأَذْكَرُ غَيْرَهُ وَهُوَ الَّذِي أَعْنِيَهُ ، لَا تَكُنْ
مَمَّنْ أُوتِيَ مُلْكًا فَلَمْ يَنْظُرْ فِي زَوَالِهِ ، وَعَرَفَ مَكَانَهُ مِنَ الْقُلُوبِ فَجَارَ فِي
إِدْلَالِهِ ، وَلَا نَفْتَرَ بِقَوْلٍ مِنْ رَأْيِ الْحُسْنِ لِلْإِسَاءَةِ مَاحِيًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّاحِيَّ
يَقُولُ : كَفَى بِالْتَّذَالِ لَاحِيًا ، وَكَثِيرًا مَا يَزُولُ الْعِشْقُ بِجِنَايَاتِ الصُّدُودِ ،
وَازْيَادَةُ فِي الْحَدِّ نَقْصَانٌ فِي الْحُدُودِ .

« وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الْحَسَنَ عَلَيْهِ زَكَاةٌ كَزَكَاةِ الْمَالِ ، وَلَيْسَتْ زَكَاةُهُ عِنْدَ
عُلَمَاءِ الْحَبِيَّةِ إِلَّا عِبَارَةٌ عَنِ الْوِصَالِ ، وَهَذِهِ صِدْقَةٌ تَقَسَّمُ عَلَى أَرْبَابِهَا ، وَلَا
يُنْتَظَرُ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ فِي إِجَابِهَا ، فَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى تَجَدُّدِ الْأَيَّامِ ،
وَالْمُسْتَحَقُّونَ لَهَا قِسْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَا يُقَالُ : لَهُمْ ثَمَانِيَةُ أَقْسَامٍ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ
الْخُصُوصُونَ بِفِكَ الرَّقَابِ ، وَرَقِبَةُ الْعِشْقِ أَشَدُّ أَسْرًا مِنْ رَقِبَةِ تَتَحَرَّرُ
بِالْكِتَابِ . فَأَخْرَجَ يَامُولَايَ مِنْ هَذَا الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، وَإِلَّا فَتَأْتِ لَطَالِبِ
مُنَى وَمَطَالِبِ ، وَلَا تَقُلْ هَذَا غَرِيمٌ أَكْثَرَ عِدَّةِ اللَّيَالِي فِي مَطْلِهِ ، وَأَعِدَّةِ
وَالْمَوَاعِيدِ زَادٌ لِنُتْلِهِ ، فَهَذِهِ سِلْمَةٌ قَدْ عَامَلْتَهُ بِهَا مَرَّةً سَاخِرًا ! وَمَرَّةً سَاخِرًا ،
وَمِنَ الْأَقْوَالِ السَّائِرَةِ أَنَّ الْفَرَّ تَجْمَعُهُ التَّجْرِبَةُ مَاهِرًا ، وَأَعْمَرَى إِنْ مُمَارَسَةَ
الْحُبِّ تَجَدُّدٌ لِمُصَاحِبِهِ عِلْمًا ، وَتَبْصُرُهُ وَإِنْ كَانَ كَمَا يُقَالُ أَعْمَى ، وَقَدْ
كَذَّبَ الْقَائِلُ :

عَرَّضَنَ لِلَّذِي يُحِبُّ بِحُبِّ ثُمَّ دَعَاهُ يَرُوضُهُ إِبْلِيسُ

« فَإِنَّ كَانَتِ الرَّيَاضَةُ كَمَا قِيلَ لِإِبْلِيسَ فَمَا أَرَاهُ صَنَعًا فِي الَّذِي صَنَعَ ،

وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح^(١) وأنت جذع^(٢). ولا شك أنك تهدم ما يشيده من البناء ؛ أو أنك مستننى في جملة من دخل في حكم الاستثناء ، وأنا الآن له عائب ، وعليه عاتب ، فأين نفثاته التي هي أخدع من الحبائل ؟ وأين قوله لا تينهم عن الأيمان والشئائل ؟ وأين جنوده المستترقة ما في السماء التي تجرى من بنى آدم مجرى الدماء ؟ وكل هذا قد بطل عندى خبره ؛ كما بطل عندى أثره ؛ فإن أدركته النخوة باني أستهزى بتصديق أفعاله ، فليحلل معقول حاجتي هذه ، حتى أعلم أنه قادر على حل عقاله ، وإلا فليخف رأسه ، وليبخ وسواسه ؛ وإن كان له عرش على البحر فليقوِّض من عرشه ، وليعلم أن السَّحْرَ ليس في عقده ونفثه ؛ ولكنه في الأصفر ونقشه .

« وها أنا قد بعثتُ منه ما يجعل العزم مخلولاً ، والودَّ مبدولاً ؛ وما أقولُ إلا أنني بعثتُ معشوقاً إلى معشوق ، وكلاهما محمَّله القلبُ ؛ بل القلبُ من حُبِّهما مخلوق ، وما أكرمه وهو وسيلة إلى مثله ، وحسنه من حسنه ، وإن لم يكن شككته من شكله ، وما وصَّفه واصفٌ إلا كان مارأه منه فوق مارواه ، ومن أغرب أوصافه وأحسنها أنه لم يُرْ ذو وجهين وجهياً ، سواه ، لاجرم أنه إذا أسفر في أمرٍ تلطَّف في فتح أبوابه ، وتناول وعزمُ فبدله بسمله ، وبعده فبدله باقترابه ، ولو بعثتُ غيره خلفت أن لا يكون في سفارته صادقاً ، أو أنه كان يمضى سفيراً ويعودُ عاشقاً ، فليس على الحسنِ

(١) القارح المسن . وقرح الحافر انتهت أسنانه ، وإنما ينتهى في خمس سنين . لأنه في السنة الأولى حولى ، ثم جذع ، ثم ثنى ، ثم رابع ، ثم قارح . والمراد هنا الكبير صاحب التجربة .
(٢) الجذع الشاب الحدث .

امانة ، وفي مثله تُعذر الخيانة ، ولا لومَ عَلَى العقول إذا نسيتُ هناك عزيمةَ
 رشدِها ، ورأتُ ما لا يحتمله كاهلُ جُهدِها ، ومن الذى يقوى دِرْعُهُ عَلَى تلك
 السَّهامِ ، أو يرومُ النجاةَ منها ، وقد حيلَ بينه وبين المَرَامِ ؟ وهذا الذى منعى
 ان أرسلَ إلا كيساً وكتاباً ، فأحدُهُما يكون فى السفارةِ والآخِرُ على السَّرِّ
 حجاباً ، والسلام إن شاء الله تعالى » ا

وفى هذه الرُّقعة من المعانى الغريبة ما أذكُره :

فالأوّل : ما ذكرته فى قسمِ الصَّدقاتِ ، وفكِّ الرِّقابِ .

والثانى : ما ذكرته فى وصفِ الدِّينارِ ، وهو أَنَّهُ توجيهُ ذو وجهَيْنِ .

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ذو الوجهَيْنِ لا يكون وجهياً .

وهذا معنى لم يسبقنى أحدٌ إليه .

وقد وَصَفَ الحَريرى الدِّينارَ فى مقامةٍ من مقاماته^(١) ، ولم يَظْفِرْ بهذا

المعنى ، ولا جاء من الأوصافِ التى ذكرها بِمثله .

والثالث : أنى بعثتُ معشوقاً إلى معشوقِ !

* * *

(كتاب فى التعزية بوفاة زوجة بعض الملوك وولدها) :

ومن ذلك ما كتبتُهُ ، وكانَ تُوَقِّيتُ زوجةَ بعضِ الملوكِ ، وتوفى معها ولدٌ

لها ، وهو طفلٌ صغيرٌ ، وكانَ بينهما يومان ، وتلك المرأةُ بنتُ ملكٍ من الملوكِ

أيضاً ، فكتبَ إليهِ مَنْ [فى] الأَطرافِ الجاورةِ يعزُّونه ، وحضَرَ عندى بعضُ

الأدباءِ مَعَنَ يجبُ أن يكونَ كاتباً ، وعرضَ عَلَى نُسْخَةِ ما كُوتِبَ به ذلك

(١) يشير إلى المقامة الثالثة ، وهى « المقامة الدينارية » - مقامات

الحريرى ٢٥ - وهى تتضمن مدح الدينار وذمه .

الملك في التعزية بزوجه وولدها ، فوجدتها كتباً باردة غثة ، لا تعربُ عن
الحادثة ، بل بينها وبينها بعدُ المشرقين . ومن شرط الكتابة أن يكون
الكتاب مضمناً فوض المعنى المقصود .

والتعازي مختلفة الأحاء ، فتعازي النساء غيرُ تعازي الرجال ، وهي من
مستصعبات فنِّ الكتابة والشعر ، وتعازي الرجال أيضاً تختلف ، فلا يعزى
بالميت على فراشه ، كما يعزى بالميت قتيلاً ، ولا يعزى بالقتيل كما يعزى
بالفريق .

وهكذا يجري الحكم في المعاني جميعها ، وهذا شيء لا يتنبه له إلا
الراسخون في هذا الفن من أربابِ النثر والنظم .

وسألتني ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار إليها في المرأة وولدها الصغير ،
وقال : « أحبُّ أن أعلم كيف تكونُ » ؛ فأملتُ عليه ثلاثة كتب ، كلُّ
كتاب يتضمَّن معنى لا يتضمَّنهُ الكتابُ الآخر .

فمما جاء منها كتاب أنا ذكروه ها هنا ، وهو :

« أشجى التعازي ما أتبع في المفقود بمفقود ، لاسيماً إذا جمع بين سعد
الإخيلية^(١) وسعد السعود^(٢) ، وكلُّ منهما يعظمُ حزننا كما يعظمُ مكاننا ؛

(١) من نجوم منازل القمر التي يتنقل فيها ؛ والناس مختلفون فيه .
فمنهم من يقول إنه كوكب واحد حوله ثلاثة كواكب مثلثة تشبه رجل
بطة . والكوكب هو السعد . والثلاثة الحباء . ومنهم من يجعل الكوكب
الذي في وسط الثلاثة عمود الحباء . وسمى « سعد الأخبية » لخروج
الحيثات فيه من الثمار والحشرات . وكانت العرب تبرك به لاخضرار
العود فيه .

(٢) سعد السعود كذلك من نجوم منازل القمر . وعدته كوكبان .
وقيل هو ثلاثة كواكب : أحدها نير ؛ والآخران دونه في النور .

وهذا يحسِرُ عن الوجوه مُحرراً ، وهذا يُبقي عن الرؤوس تيجاناً ؛ ولم يوفِّهما
 حقَّهما من بكى ولا من نذب ، ولا من شعر ولا من كتب ، وليت فُدِّي أحدهما
 بصاحبه ، فعاش درهما المفدى بالذهب :
 ولو كان خطباً واحداً خفَّ كَلْمُهُ

ولكنه خَطْبٌ أُعِيدَ عَلَى خَطْبِ

« وقد أُصدِرَ الخادمُ كتابه هذا ، ومن حقّه أن يُخرُجَ في ثوبٍ من الحداد ،
 وأن يتعترى أذيل كَلْمِهِ ، والكتابُ عنوانُ الفؤاد ، وغايةُ ما يقولُ : أحسنَ
 الله عزاءَ المجلسِ السامى الملكِ الأجلِّ السَيِّدِ ، على أن هذا الدعاء قد شهدت
 الحالُ بلحنه ، وكيف يملك قلبه عزاءً ، وقد أوثقه الهمُّ في سجنه ، وصار له
 ولداً دون ولده ، وخديناً دون خدينه ، لكن يدعى له بامتداد البقاء ، وأن
 تعامله الحوادثُ بعد هذه معاملة الإبقاء .

« ثمَّ نَبِعَ ذلك بطلبِ الجنة لمن نقلته المنيا عن أرائك الخدور ، وجعلته
 في بطون الثبور ، ولمن فاجأت الأيامُ غُصنَه فقَصَفَتْهُ ، ولم يبعش حتى عرفَ
 الدنيا ولا عرفته ، فواهاً لهما وقد نزلاً بمنزلٍ عديم الإيناس ، وإن كان
 مأهولاً بأكثر الناس ، فهو القريبُ داراً ، البعيدُ مزاراً ، الذى حُجِبَ من
 اليأس بأمْنَعِ حجاب ، وذهبَ عن الوجوه المنعمّة نذلُّ التراب ، فمن كان مسعداً
 للمجلس فليأخذ بولهِ الجزع لا بعزيمة الاضطبار ، وليقل : هذا حادثٌ بان
 فيه تحملُ الأقدار ، وجرتْ همومه مجرى الخواطرِ من القلوبِ والرقادِ من
 الأبصار ، فالأسوةُ — إلا فيه — معدودة من الإحسان ، والسَّلوةُ — إلا
 عنه — داخلةٌ في حيزِ الإمكان .

« والخادمُ أولى من لقي المجلسَ فيه بالإسعاد ، وقام بما يجبُ من قضاء
 حقِّ الوداد ، وفعل ما يفعله القريبُ الحاضرُ ، وإن كان على شقِّهِ من البعاد ،

وقد أرسل من يُنوبُ عنه في التعزية ، وإن لم يكن فيها المناب ، وكما رخصَ العذرُ في قصرِ الصلاة ، فكذلك رخصَ في الاختصارِ على الرسولِ والكتاب ، وقد ودَّ لو حضرَ بنفسه فاستسَمَى لذلك الضريحِ سَحَابًا ، وعقرَ عنده ركابًا ، وسأل الله مغفرةً وثوابًا ، والسلام .

في هذا الكتابِ معنى غريبٌ ، وهو قولِي « سَعْدُ الأُخْبِيَةِ » كناية عن المرأة ، « وسعدُ السُّعودِ » كناية عن ولدها ، لأن « سعدُ الأُخْبِيَةِ » اسمُ مَنْزِلَةٍ من منازلِ القمرِ ، و « الأُخْبِيَةِ » جمعُ « خِبَاءٍ » ومن شأنِ المرأةِ أن تحتجبَ في الأُخْبِيَةِ ، فهي سَعْدُهَا ، وهذا من المعاني الغريبةِ في مثل هذا المقصدِ ، وقد اتَّفَقَ « سعدُ الأُخْبِيَةِ » و « سعدُ السُّعودِ » معًا ، وهذا أيضًا غريبٌ .

* * *

كتاب عن الملك الأفضل الى أخيه الملك الظاهر غازي :

ومن ذلك أني كتبتُ كتابا عن الملك الأفضل «علي بن يوسف» إلى أخيه الملك الظاهر «غازي بن يوسف» صاحبِ حَبِّ في أمرِ شخصٍ كان أبوه صاحبَ مَدِينَةِ «تَكَرِيْتِ»^(١) وهذه تَكَرِيْتُ كان يتولاها قديماً الأميرُ أَيُّوبُ^(٢) جدُّ الملك الأفضل والملك الظاهر ، وأولد بها ولده صلاح

(١) تَكَرِيْتِ بفتح التاء . والعامَّة بكسرهما . بلد مشهور بين بغداد والموصل . وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا في غربي دجلة ولها قلعة حصينة أحد جوانبها إلى دجلة

(٢) هو نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الملقب «الملك الأفضل» : وهو والد الملوك صلاح الدين وسيف الدين وشمس الدولة وسيف الإسلام وشاه شاه وتاج الملوك يورى وست الشام وربيعة خاتون ، وأخو الملك أسد الدين ، شب به فرسه عند باب النصر — أحد أبواب =

الَّذِينَ يُوسِفَ أَبَاهُمَا ، وَعَلَى عَقَبِ وِلَادَتِهِ انْتَقَلَ وَالِدُهُ عَنْ « تَكَرُّبِ » هُوَ
وَعَشِيرَتِهِ ، لِأَمْرِ طَرَأَ لَهُمْ^(١) ، وَجَاءَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ إِلَى الشَّامِ ، وَهَنَّاكَ
سَعِدُوا ، وَكَانَتِ السَّعَادَةُ عَلَى يَدِ صِلَاحِ الدِّينِ يُوسِفَ .

فَمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ هَذَا الْكِتَابَ عَلِمْتُ أَنَّهُ مِظَنَّةُ الْمَعَالِي الْمُبْتَدَعَةِ ،
لِأَنَّ الْأَمْرَ الْمَكْتُوبَ فِيهِ غَرِيبٌ لَمْ يَقَعْ مِثْلُهُ ، فَخِينِذِ كَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ ،
وَهُوَ :

« رَفَعَ اللَّهُ شَأْنَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَلَا زَالَ الدَّهْرُ
فَإِخْرَاقًا بِمَآثِرِ سُلْطَانِهِ ، نَازِمًا مَنَاقِبَهُ فِي جِيدِهِ ، وَمُحَامِدَهُ فِي
لِسَانِهِ ، نَاسِخًا بِمَسَاعِي دَوْلَتِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَسَاعِي آلِ بُوِيهِ^(٢) .

= الْقَاهِرَةَ - فَأَلْقَاهُ فِي وَسْطِ الْمَحْجَةِ فَحَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةَ

٥٦٨ هـ

(١) ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ أَخَاهُ أَسَدَ الدِّينِ كَانَ قَدْ قَتَلَ رِجَالًا ، فَأَمْسَكَهُ
أَخُوهُ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وَاعْتَقَلَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى بَهْرُوزَ وَعَرَفَهُ صُورَةَ
الْحَالِ لِيَفْعَلَ بِهِ مَا يَرَاهُ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ جِرَابُهُ : لِأَيُّكُمَا عَلَى حَقِّ ،
وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ مُتَأَكِّدَةٌ ، فَمَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَكُفُّنِي عَنْ مَحَالَةِ سَيْفِي
تَصَدَّرَ مِنِّي فِي حَقِّكُمَا ، وَلَكِنْ اشْتَهَى مِنْكُمَا أَنْ تَتْرَكَمَا خِدْمَتِي وَتَخْرُجَا مِنْ
بَلَدِي وَتَطْلُبَا الرِّزْقَ حَيْثُ شِئْتُمَا . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا الْجَوَابَ مَا أَمَكْتُهُمَا
الْمَقَامَ بِتَكَرُّبِ . فَخَرَجَا مِنْهَا ، وَوَصَلَا إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا
الْأَتَابِكُ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي .

(٢) آلِ بُوِيهِ مِنَ الْفَرَسِ ، وَجَدَّهُمُ الْأَقْرَبُ الَّذِي أُسِّسَ دَوْلَتُهُمْ أَسْمُهُ بُوِيهِ «
وَلَقَبَهُ أَبُو شِجَاعٍ ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ : عَلِيٌّ ، وَيَلْقَبُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ ، وَحَسَنٌ ،
وَيَلْقَبُ رِكَنَ الدَّوْلَةِ ، وَاحْمَدٌ ، وَيَلْقَبُ مِعْزَ الدَّوْلَةِ ، جَاءُوا إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ
٣٣٤ هـ فَرَحِبَ بِهَا الْمُسْتَكْفَى ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَلَقَّبَهُمْ بِتِلْكَ الْأَلْقَابِ ، =

وَأَلِ حَمْدَانَهُ (١) ، كِتَابُ الْخَادِمِ هَذَا وَارْدٌ مِنْ يَدِ الْأَمِيرِ شَمْسِ
 الدِّينِ بْنِ صَاحِبِ تَسْكُرِيَتٍ ، وَهِيَ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدَ الْوَالِدِ
 تَرَابَهَا ، رَرَقَمَتْ بِهَا السَّعَادَةُ عَلَى جَبِينِهِ كِتَابَهَا ، وَمِنْهَا ظَهَرَ نُورُ
 النَّبِيَّةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ مُشْرِقًا ، وَأَشَامَ إِذْ خَرَجَ مُعْرِقًا ، وَكَفَاهُ بِذَلِكَ وَسِيلَةٌ
 يَكْتَنِفُهَا الْإِحْسَانُ وَالْإِرْعَاءُ ، وَيَكْفِي صَاحِبَهَا أَنْ يَقُولَ : لَا أَسْتَقْبِي حَتَّى يُصْدِرَ
 الرَّعَاءُ . وَقَدْ قَرَنَهَا بِوَسِيلَةِ قَصْدِ الْخِدْمَةِ أَيْ تُوْجِبُ لِقَاصِدِهَا ذِمَامًا ، وَنَقُولُ
 لَهُ سَلَامًا إِذَا قَالِ سَلَامًا ، ثُمَّ ثَلَاثَ هَاتَيْنِ الْوَسِيلَتَيْنِ بِكِتَابِ الْخَادِمِ أَخْذًا بِالسَّنَةِ

= وجعل معز الدولة أمير الأمراء ، فاستبدوا في المملكة ، واستولوا
 على الخلافة ، وعزلوا الخلفاء وولاهم ، فرفعوا منار الشيعة ، وأحيوا
 معالمها ، وأضعفوا نفوذ الأتراك ، وامتدت سلطة البويهيين على العراق
 وفارس والخراسان إلى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والأدب ، ولا
 يستوزرون أو يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتاب ، فكان أشهر
 أدباء ذلك العصر من وزراءهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم كابن
 العميد ، والصاحب بن عباد وسابور بن أردشير المهلبى ، فضلا عن
 الأدباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة ، على أن ملوك بني بويه
 أنفسهم أشهر منهم غير واحد في الأدب والشعر .

(١) الدولة الحمدانية دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل ،
 جدها حمدان كان له شأن في تلك الديار ، واستولى ابنه محمد بن حمدان
 على ماردين ، فأخرجه منها الخليفة المعتضد ، وتولى أخوه أبو الهيثم
 ابن حمدان أميراً على الموصل وما يابها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده ،
 وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين « وصاروا دولة حكم منها أربعة
 أمراء في الموصل ، وخمسة في حلب ، حتى خرجت الموصل منهم
 إلى البويهيين سنة ٣٨٠ هـ ، واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤ هـ ،
 وأشهر بني حمدان في نصرة العلم والأدب سيف الدولة - أبو الحسن
 على - صاحب حلب من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٣٥٦ هـ .

النَّبوية في الدعاء وعدده ، وتفاوتًا بتثليث النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ، ولا قدح في كرم الكرم إذا استكثر طالبه من الأسباب ، فإن الله على كرمه قد استكثر إليه من أعمال الثواب .

« وكتاب الخادم على انفراده كافٍ لحامله ، ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر مخاطبًا عن فحوى ضميره ، فأنما تحق السفارة إذا قعد بكل طالب سعى سفيره ، وهو مع ذلك خفيفة صفحة ، وجيزة لمحة ، وإذا وجد لدى مؤلفنا مؤولًا ، فليس عليه أن يرد مطولًا ، إذ التعويل على نجاح مضره ، لا على كثرة أسطره » .

فانظر أيها التامل إلى هذا الكتاب ، وأعطه حقه من التأمل ، حتى ترى ما اشتمل عليه من المعاني ، وانظر كيف ذكرت الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث .

أما المعنى الأول : فإنه يختص بذكر سعادة البيت الأيوبي ، ومنشئها ، وأنها ولدت بتكرير ، وهذا الرجل ينبغي أن يرعى بسببها ؛ إذ كان أبوه صاحبها .

وأما المعنى الثاني : فإنه قصد الخدمة الظاهرية ، وهذا وسيلة ثانية ، توجب له ذملاً :

وأما المعنى الثالث فإنه حرمة الكتاب الصادر على يده .

ثم إنني مثلت ذلك بالدعاء النبوي ، وبتثليث النجوم ، فإن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان إذا دعا دعا ثلاثاً .

وإنما مثلت ذلك بالدعاء لأمرين :

أحدهما : أنه موضع سؤال وضراعة .

والآخر : أن الكتاب وسيلة ثالثة ، والدعاء ثلاث مرار .

وأما تثلِيثُ النجوم ، فإنَّ التثليثَ سَعَدَ ، والترتيعَ نَحَسَ .
وأحسنُ المعاني الثلاثةُ التي تَضَمَّنَهَا هذا الكتابُ هو الأوَّلُ والثالثُ ،
وأما الثاني فإنه متداولٌ .

فتأملْ ما أشرتُ إليه ، وإِذَا شِئْتَ أَنْ تَكْتُبَ كِتَابًا فَافْعَلْ كَمَا فَعَلْتُ
فِي هَذَا الْكِتَابِ ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي تَكْتُبُ فِيهِ غَرِيبَ الْوُقُوعِ .

* * *

واعلمْ أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ الْمَعْنَى الْمَبْتَدَعُ فِي غَيْرِ أَمْرٍ غَرِيبِ الْوُقُوعِ ، وَذَلِكَ يَكُونُ
قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَقَائِعِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي هِيَ مَطْنَةُ الْمَعَانِي الْمَبْتَدَعَةِ .

* * *

ومن هذا الباب ما أوردته في جملة رسالة طهرية في وصف قسي البنلق
وحاملها ، وهو :

« فَإِذَا تَنَاوَلُوهَا فِي أَيْدِيهِمْ قَيْلٌ أَهْلَةٌ طَالَعَةٌ مِنْ أَكْفٍ أَقْمَارٌ ، وَإِذَا
مُثِلٌ غَنَاوُهَا وَغَنَاوُهم قَيْلٌ : مَنَائِمًا مَسُوقَةٌ بِأَيْدِي أَقْدَارٍ ، وَتِلْكَ قَيْسِيٌّ وَضِعَتْ
لِللَّبِّ لَا لِلْمُضَالِ ، وَلِرِدَى الْأَطْيَارِ لَا لِرِدَى الرَّجَالِ .

« وَإِذَا نَعَتْهَا نَاعَتْ قَالَ : إِنَّهَا جَمَعَتْ بَيْنَ وَصْفِي اللَّيْنِ وَالصَّلَابَةِ ،
وَصُنِعَتْ مِنْ نَوْعَيْنِ غَرَبَيْنِ ، فَحَازَتْ مَعْنَى الْغَرَابَةِ ، فَهِيَ مُرْكَبَةٌ مِنْ حَيَوَانٍ
وَنَبَاتٍ ، مَوْلُفَةٌ مِنْهُمَا عَلَى بُعْدِ الشَّتَاتِ ، فَهَذَا مِنْ سَكَّانِ الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ ،
وَهَذَا مِنْ سَكَّانِ الْبَرِّ وَمَجَاهِلِهِ .

« وَمِنْ صِفَاتِهَا أَنَّهَا لَا تَتِمَكَّنُ مِنَ الْبَطَاشِ إِلَّا حِينَ تُشَدُّ ، وَلَا تَنْطَاقُ
فِي شَأْنِهَا إِلَّا حِينَ تَعَطَّفَ وَتُرْدُّ ، وَلَهَا نِشَارٌ أَحْكَمُ تَصْوِيرِهَا ، وَصَحْحٌ تَدْوِيرِهَا ،
فِيهِ فِي لَوْنِهَا صَنْدَلِيَّةٌ ^(١) الْإِهَابِ ، وَكَأَنَّهَا صِيغَتْ لِقَوَّهَا مِنْ حَجَرٍ لَا مِنْ

(١) منسوبة إلى الصندل . خشب أجوده الأحمر أو الأبيض .

تُرَابٌ ، فَإِذَا قَذَفْتَهَا إِلَى الْأَطْيَارِ قِيلَ : وَيَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ
بَرَدٍ ، وَلَا يُرَى حِينَئِذٍ إِلَّا قَتِيلٌ ، وَلَكِنْ بِالْمَثَلِ الَّذِي لَا يَجِبُ فِي مِثْلِهِ
قَوْلُ (١) فَهِيَ كَافِلَةٌ مِنْ تِلْكَ الْأَطْيَارِ بِقُبْضِ نَفْسِهَا ، مُنْزَلَةٌ لَهَا مِنْ جَوْ السَّمَاءِ
عَلَى أُمِّ رُءُوسِهَا .

هذا الفصلُ يشتملُ على معانٍ غريبةٍ :

منها قولى : « إنها لا تتمكنُ من البطشِ إلا حين تُشدُّ ، ولا تنطلقُ في
شأنها إلا حين تُعطفُ وتردُّ » .

ومنها قولى : « ويصعدُ من الأرضِ من جبالٍ فيها من بردٍ » .

وكلُّ هذا من المعانى التى تُبتدعُ بالنظرِ إلى المقصدِ المكتوبِ فيه ، فإن
الكتاب إذا فُكِّرَ فيما لديه وتأمله ، وكان قادراً على استخراجِ المعنى والمناسبة
بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراه ، إلا أن القادر على ذلك من أقدره
الله عليه ، فما كلُّ خاطرٍ بحكيمٍ ، ولا كلُّ من أوحى إليه بكليمٍ ، وفى الأقلامِ
هاشمُ لمن ناوأه ، ومنها هشيمُ !

* * *

وسأنبه فى هذا الموضعِ على طريقٍ يُسلكُ إلى شىءٍ من المعانى المخترعة ،
وهو ما استخرجته ، وافردتُ باستخراجه دونَ غيرى ، فإنَّ المعانى المخترعة لم
يتكلم فيها أحدٌ بالإشارة إلى طريقٍ يُسلكُ فيها ، لأنَّ ذلك ممَّا لا يمكنُ . ومن
هاها أضرَبَ علماءَ البيانِ عنه ، ولم يتكلموا فيه كما تكلموا فى غيره !

وكيف تنقيدُ المعانى المخترعةُ بقيدٍ ، أو يفتحُ إليها طريقٌ تُسلكُ ، وهى

تأتى من فيضِ إلهىٍّ بغيرِ تعليمٍ ؟

(١) القود بفتححتين القصاص .

ولهذا اختصَّ بها بعضُ النّائرين والنّاطقين دونَ بعضٍ ، والذي يختصُّ^١
بها يكونُ فِئاً واحداً يوجدُ في الزّمن المُتطوّل .

* * *

ولما مرستُ أنا هذا الفنَّ — أعني فنَّ الكتابة — وقابتهُ ظهراً لبطنٍ ،
وفقّشتُ عن دوائنه وخباياه ، وأكثرتُ من تحصيلِ موادّه والأسبابِ الموصّلةِ
إلى الغايَةِ منه ، سنح لي في شيءٍ من المعاني المُختَرعة طريقٌ سلكتُهُ ، وهو
يستخرجُ من كتابِ الله تعالى ، وأحاديثِ نبيّه صلواتُ الله عليه وسلامه ، وقد
تقدّم لي منه أمثلةٌ في هذا الكتاب .

وذلكَ أنّه تردُّ الآيةُ من كتابِ الله أو الحديثِ النبويِّ ، والمرادُ بهما
معنى من المعاني ، فأخذُ أنا ذلكَ ، وأقلّتهُ إلى معنَى آخرٍ ؛ فيصيرُ مخترعاً لي .
وسأوردُ هاهنا منه نبذةً يسيرةً ، يُعَلِّمُ منها كيفَ فعلتُ ، حتى يُسلكَ إليها
في الطّريقِ الذي سلكتُهُ .

فمن ذلكَ قصّةُ أصحابِ الكهفِ والرقيمِ^(١) ، فإنّي أخذتُ ذلكَ ، ونقلتهُ
إلى الإحسانِ والشُّكرِ .

ألا ترى أنّ الإحسانَ يُستعارُ له كَهْفٌ وكَنَفٌ وظِلٌّ ، وأشباهُ ذلكَ .
والشُّكرُ كلماتٌ تُقالُ في التنويهِ بذكرِ الحسَنِ وإحسانه .
والرقيمُ هو الكتابُ المكتوبُ ، فهو والشُّكرُ متماثلان .
والذي أتيتُ به قد أوردتهُ وهو :

(١) الرقيمُ قريةُ أصحابِ الكهفِ ، أو جبلهم ، أو كلبهم ، أو الوادي ،
أو الصخرةُ أو لوحٌ رصاصٌ نقش فيه نسبهم وأساؤهم ودينهم ومم
هربوا ، أو الدواةُ أو اللوح — أو القاموس ٤ — ١٢٢ .

« الخادمُ يشكر إحسانَ المولى الَّذِي ظَلَّ عنده مُقيماً ، وغداً بمطالِبِه زعيماً ،
وأصبحَ بتواليه إنيهِ مُفرماً ؛ كما أصبحَ له غريباً ؛ ولما تمَّثلَ في الاشتغالِ عليه
كهنأً صار شكره فيه رقيماً » .

فاظنرْ كيف فعلتُ في هذا الموضع ، لتعلمَ أنّي قد فتحتُ لك فيه طريقاً
تسلكه .

وأما الحديثُ النبويُّ فَإِنِّي أخذتُ قصةَ قتلى بدر ، كأبي جهل ، وعُتْبَةَ ،
وشَيْبَةَ ، وغيرهم ، ونقلتها إل القلم .

وذلك أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم وقف على القلبِ الَّذِي ألقاهم فيه ،
وناداهم بأسمائهم فقال : يا عتْبَةَ . يا شَيْبَةَ ، يا أبا جهل ، يا فلان ، يا فلان ، والحديثُ
مشهورٌ فلا حاجةَ إلى استقصائه .

والذي أتيت به في وصفِ القلم هو اني قلت :

« ولقد مَرَحَ القلمُ في يدي ، وحقَّ له أنْ يمزح ، وأبدعَ فيما أتى به ،
وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيه يَبْضَحُ ، ومن شأنه أنْ يَسْتَقِلَّ عَلَى أعوادِ المنبرِ ، فلا ينتهي
من خُطْبَتِها إلى فصلِها ، ويقف على جانبِ القلبِ إلا أنه لا ينادى من المعاني
أبا جهلها » .

فالدواةُ قلبُ ، والقلمُ يقفُ عليه ، والمعاني التي ينشأُ من باب العلم ،
لا من باب الجهل .

فتأملْ هذه الكلماتِ الَّتِي ذكرتها ، فإنَّها لطيفةٌ جدًّا ، وهي مخترعةٌ لي .

وهذا القدرُ كافٍ في طريقِ التعلُّمِ ، فليُحَذَ حذوهُ — إنْ أمكن —
واللهُ الموفِّقُ للصوابِ .

* * *

وأما الضربُ الآخرُ من المعاني ، وهو الذي يَحْتَدَى فيه على مثالِ سابقٍ ،
ومنهجٍ مطروقٍ ، فذلك جُلُّ ما يستعمله أربابُ هذه الصناعة ، ولذلك
قالَ عَنَترةُ :

* هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ ^(١) *

إلا أنه لا ينبغي أن يَرَسَخَ هذا القولُ في الأذهانِ ، لثلاثِ يُوَسِّسَ من
التَّرَقُّ إلى درجةِ الاختراعِ ، بل يُعَوَّلُ على القولِ المُطْمَئِنِّ في ذلك ، وهو
قولُ أبي تمامٍ ^(٢) :

لَا زَاتَ مَنْ شُكِرَى فِي حُلَّةٍ لَا يَسُهَا ذُو سَلْبٍ فَاخِرٍ
يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعُ أَسْمَاءَهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ
وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ فِي زَوَايَا الْأَفْكَارِ خُبَايَا ، وَفِي أَبْكَارِ الْخَوَاطِرِ سَبَايَا .
لِكِنْ قَدْ تَقَاصَرَتِ الْهَمَمُ ، وَنَكَصَتِ الزَّمَامُ ، وَصَارَ قُصَارَى الْآخِرِ أَنْ يَتَّبِعَ
الْأَوَّلَ ، وَوَلِيَّتَهُ تَبِعَهُ وَلَمْ يُقْصِرْ عَنْهُ تَقْصِيرًا فَاخِشًا .

* * *

(١) هذا صدر مطلع معلقته ، وعجزه :

* أم هل عرفت الدار بعد توهم *

(٢) ديوان أبي تمام ١٤٣ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن

يوسف الثغري أولها :

قل للأمير الأريحي الذي كفاه للبادي وللحاضر

لتجزك الأيام مندوحة ونضرة عن عودي الناضر

وَوَقَّفتُ عَلَى كِتَابِ يُقَالُ لَهُ «مَقْدَمَةُ ابْنِ أَفْلَحِ البَغْدَادِيِّ» قَدْ قَصَرَهَا
عَلَى تَفْصِيلِ أَقْسَامِ عِلْمِ الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ ، وَللعَرَابِيِّينَ بِهَا عنايةٌ وَهُمْ
وَاصِفُونَ لَهَا ، وَمُكَبِّونَ عَلَيْهَا .

ولَمَّا تَأَمَّلْتُهَا وَجَدْتُهَا قَشُورًا لَا لُبَّ تَحْتَهَا ، لِأَنَّ غَايَةَ مَا عِنْدَ الرَّجُلِ أَنْ
يَقُولَ : وَأَمَّا الفَصَاحَةُ فَإِنَّهَا كَقَوْلِ النَّابِغَةِ مِثْلًا ، أَوْ كَقَوْلِ الأَعَشِيِّ (١) ، أَوْ
غَيْرِهَا ، ثُمَّ يَذْكَرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ ، أَوْ آيَاتًا . وَمَا يَهَذَا مُتَرْفٌ حَقِيقَةُ الفَصَاحَةِ
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ فِي كَلَامٍ عَرَفْنَا أَنَّهُ فَصِيحٌ ، بِمَا عَرَفْنَا مِنْ حَقِيقَتِهَا المَوْجُودَةِ
فِيهِ ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ فِي غَيْرِ الفَصَاحَةِ .

وَمَنْ أَعْجَبَ مَا وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ قَالَ : أَمَّا المَعَانِي المَبْتَدِعَةُ فَلَيْسَ
للعَرَبِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِهَا المُحَدِّثُونَ ؛ ثُمَّ ذَكَرَ لِلْمُحَدِّثِينَ مَعَانِي ،
وَقَالَ : هَذَا المَعْنَى أَمْلَانٌ ، وَهَذَا غَرِيبٌ ، وَهَذَا القَوْلُ لِفُلَانٍ ، وَهُوَ غَرِيبٌ .

وَتِلْكَ الأَقْوَالُ الَّتِي خَصَّ قَائِلُهَا بِأَنَّهُمْ ابْتَدَعُوهَا قَدْ سَبَقُوا إِلَيْهَا ، فَإِنَّمَا
أَنْ يَكُونَ غَيْرَ عَارِفٍ بِالمَعْنَى الغَرِيبِ ، وَإِنَّمَا أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى أَقْوَالِ النَّاطِقِينَ
وَالنَّائِرِينَ ، وَلَا تَبَجَّرَ فِيهَا ، حَتَّى عَرَفَ مَقَالَهُ المَتَقَدِّمَ ، ثُمَّ قَالَ المَتَأَخَّرَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ إِنَّهُ لَيْسَ للعَرَبِ مَعْنَى مَبْتَدِعٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُحَدِّثِينَ ، فَيَا لَيْتَ
شِعْرِي ! مَنْ السَّابِقُ إِلَى المَعَانِي ؟ مَنْ تَقَدَّمَ زَمَانُهُ ، أَمْ مَنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ ؟

(١) أَعَشَى قَيْسٌ هُوَ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ
وَائِلٍ مِنْ رِبِيعَةَ ، وَهُوَ أَحَدُ الأَعْلَامِ مِنْ شِعْرَاءِ الجَاهِلِيَّةِ وَفحُولِهِمْ ،
وَالْبَعْضُ يَقْدَمُونَهُ عَلَى سَائِرِهِمْ ، وَيُحْتَجُّ الَّذِينَ يَقْدَمُونَهُ بِكثْرَةِ طَوَالِهِ
[الجِيَادِ ، وَتَصَرَّفَهُ فِي المَدِيحِ وَالمُهْجَاءِ وَسَائِرِ فَنُونِ الشُّعْرِ مِمَّا لَيْسَ لِسِوَاهِ ،
وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ بِشِعْرِهِ ، وَأَنْتَجَعَ بِهِ أَقْصَى البِلَادِ ، وَكَانَ
يَعْنِي بِهِ ، فَسُمِّيَ صِنَاجَةَ العَرَبِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٢٩ م

وأنا أورد هاهنا ما يُستدلُّ به على بطلانِ ما ذكره .

وذلك أنه قد ورد من المعاني أن صور المنازلِ تمثَّلت في القلوب ، فإذا عفت آثارها لم تعفُ صورُها من القلوب ، وأوَّل من أتى بذلك العربُ ، فقال الحارثُ بنُ خالدٍ^(١) من أبيات الحماسة^(٢) :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِثِّي عِنْدَ الْجَمَارِ يَمُودُهَا الْعُقْلُ^(٣)
لَوْ بَدَّلْتَ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْأُو
لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا^(٤) ضَمِنْتُ مِثِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

ثم جاء المحدثون من بعده ، فانسحبوا على ذنبه ، وحدَّوا حدَّوه ، فقال أبو تمام^(٥) :

(١) هو الحارث بن خالد المخزومي ، شاعر كثير الشعر ، وكان في عهد بني أمية ولي مكة من قبل يزيد بن معاوية ، فلم يمكنه ابن الزبير ، فلما ولي عبد الملك أقره عليها ، ثم عزله : ، فعتب عليه بأبيات من الشعر ، فأرضاه ووصله ، وهو أحد المعدودين من شعراء قريش ، ولا سيما في الغزل والنسيب ، وكان يذهب مذهبه عمر بن أبي ربيعة ، ولا يتجاوز الغزل إلى المديح والهجاء ، وأكثر شعره في عائشة بنت طلحة وكان يهواها ويشبب بها .

(٢) ديوان الحماسة ٨٦/٢ من أربعة أبيات ترك بن الأثير الثالث منها وهو قوله :

فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإفواء والمحصل

(٣) في الأصل « وإن نحروا » ، والواو من « وما نحروا » القسم وآده أعياء ، والعقل واحده عقال ، ما يعقل به البعير عن السير أو للنحر ، وجواب القسم « لو بدلت » إلى آخر الأبيات .

(٤) في ديوان الحماسة « لما ضمنت »

(٥) ديوان أبي تمام ٢٢٩ من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ، أولها :
أجل أيها الربع الذي خف آمله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

وقفت وأحشائي منازل للأسى به وهو قفر قد تعمت منازلُه
وقال البحرُ تَرَى (١) :

عَفَتِ الرُّسُومُ وما عَفَتِ أَحْشَاؤُهُ

مِنْ عَهْدِ شَوْقٍ مَا حُولُ (٢) فَتَذْهَبُ

وقال المتنبي (٣) :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ

أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكَ أَوَاهِلُ

وهذا المعنى قد تداوله الشعراء ، حتى أنه مامن شاعر إلا ويأتي به

في شـعره .

وكذلك ورد لبعضهم من شعراء الحماسة (٤) :

أَنَاخَ اللُّؤْمُ وَسَطَ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيئَتُهُ فَأَقْدَمَ لَا يَرِيمُ (٥)

كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ يَقِيمُ (٦)

(١) ديوان البحرى ٣ - ١٨٨ من قصيدة يمدح بها إسحاق بن

إبراهيم ، ومطلعها :

عارضتنا أصلا فقلنا الربرب حتى أضاء الأقحوان الأشنب

(٢) فى الديران « مايجول » بالياء .

(٣) ديوان المتنبي ٣ - ٢٤٩ مطلع قصيدة فى مدح القاضى أبى الفضل

أحمد بن عبد الله الإنطاكى .

(٤) ديوان الحماسة ٢ ، ٢٢٧ .

(٥) فى الأصل « بنى رماح » و « وأقسم » والتصويب عن ديوان

الحماسة ومعنى لا يريم لا يبرح .

(٦) فى ديوان الحماسة « يقيم » بالميم موضع الياء .

وهذان البيتان من أبيات المعاني المبتدعة ، وعلى أثرهما مَشَى الشعراء .

وكذلك وَرَدَ لِبَعْضِهِمْ فِي شِعْرِ الْحَمَاسَةِ (١) :

تَرَكَتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذَّنْبُ رَاعِيَهَا وَأَهَّهَا لَا تَرَانِي آخَرَ الْأَبَدِ
الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكَلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْبِئَةً بِيَدِي
وكذلك ورد قول الآخر :

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبَهُمْ أَمِنُوا لِلزُّومِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا (٢)
وكم للعرب من هذه المعاني التي سَبَقُوا إليها .

ومن أدلِّ الدليل على فساد ما ذهب إليه (٣) من أنَّ المحدثين هم المختصون
بابتداع المعاني أنَّ أولَ من بكى على الدِّيار في شعره رجلٌ يُقالُ له ابنُ حذام
وكان هو المبتدئ ، لهذا المعنى أوَّلاً . وقد ذكره امرؤ القيس في شعره ،
فقال (٤) :

عَوَجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَنَّا نَبِيَّ الدِّيَارِ . كما بكى ابنُ حذام (٥)
وقد أجمع نَقَلَةُ الأشعار إنَّ لامرئ القيس في صفات الفرس أشياء كثيرة لم
يُسَبَقَ إليها ، ولا قيلت من قبله .

(١) ديوان الحماسة ٢ — ٢٤٥ .

(٢) البيت في نقد الشعر ٤٧ وفي الصناعتين ١٠٥ وقبله :

الزُّومُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَالزُّومُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا

(٣) يشير إلى ابن أفلح وكلامه في مقدمته .

(٤) طبقات الشعراء لابن سلام ٢١ .

(٥) قال ابن سلام : وابن حذام رجل من طيء لم يسمع شعره
الذي بكى فيه ولا شعر غير هذا البيت الذي نكره امرؤ القيس ، وفي الأصل
«ابن حرام» ، وفي الأصل (الطلل المخيل) بالخاء المعجمة ، ومعنى المحيل المتغير .

ويكفي من هذا كُله ما قدمتُ القولَ فيه . وهو أنَّ العربَ السابقون
بالشعر ، وزمانهم هو الأوَّل ، فكيفَ يقالُ أنَّ المتأخِّرين هم السابقون إلى
المعاني ؟ ! .

وفي هذه الأمثلة التي أوردتها كفايةً في نقضِ ما ذكره .

ولو قال (١) : إنَّ الحَدِيثَ أَكْثَرُ ابتداءً للمعاني ، وألطف مأخذاً ،
وأدقُّ نظراً ، لسكانِ قوله صواباً ، لأنَّ الحَدِيثَ عَظُمَ المَلِكُ الإسلاميُّ في
زمانهم ، ورأوا ما لم يره المتقدِّمون ، وقد قيلَ « إنَّ اللّهُمَّ تَفْتَحُ اللّهُمَّ (٢) » وهو
كذلك ، فإنَّ نفاقَ السُّوقِ جَلاب .

* * *

وقد رأيتُ جماعةً من متخلِّفي هذه الصَّنَاعَةِ يَجْمَلُونَ هَمَّهُمْ مَقْصُوراً على
الألفاظِ التي لا حَاصِلَ وَرَافِعِهَا ، ولا كَبِيرَ مَعْنَى تَحْتَهَا ، وإذا أتى أَحَدُهُمْ بلفظٍ
مَسْجُوعٍ على أَىِّ وَجْهِ كَانَ مِنَ العَنَائَةِ والبَرْدِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدِ اتَى بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ،
ولا يَشْكُ في أَنَّهُ صَارَ كَاتِباً مُغْلَمًا .

وإذا نُظِرَ إلى كُتَابِ زَمَانِنَا وَجِدُوا كَذَلِكَ ، فقاتلَ اللهُ القَلَمَ الذي يَمْشِي
في أَيْدِي الجُهَالِ الأَعْمَارِ ، ولا يَعْلَمُ أَنَّهُ كَجَوَادٍ يَمْشِي تَحْتَ حِمَارٍ .

ولو أَنَّهُ لا يَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ إِلَّا أَهْلُهُ لَبَانَ الفاضِلُ مِنَ النَّاقِصِ ، على أَنَّهُ
كالرُّمَحِ الذي إذا اعْتَمَلَهُ حَامِلُهُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بَانَ بِهِ المُقَدَّمُ مِنَ النَّاكِسِ ، وقد

(١) الضمير عائد على ابن أفلح والكلام في مقدمته .

(٢) اللها بالضم جمع لهوة بالضم العطية دراهم كانت أو غيرها .
واللهة بالفتح واللّهوات واللهيات أيضا جمع لهاة بالفتح ، وهي الهنة
المطبقة في أقصى سقف الفم .

أصبح اليوم في يد قومٍ هم أحوجُّ من صبيان المكاتب إلى التعليم ، وقد قيل :
إنَّ الجهلَ بالجهلِ داءٌ لا ينتهي إليه سقمُ السقيم .

وهؤلاء لا ذنبَ لهم ، لأنهم لو لم يُستخدَموا في الدُّولِ ، وبُستكتبوا ،
وإلا ما ظهرت جهالتهم ، وفي أمثال العوامِّ « لا تُعرِ الأحمقَ شيئاً فيظنُّه له »
وكذلك يجرى الأمرُ مع هؤلاء ؛ فإنهم استكتبوا في الدُّولِ ، فظنُّوا أنَّ
الكتابة قد صارت لهم بأمرٍ حقٍّ واجب .

ومن أعجب الأشياءِ أنِّي لا أرى إلا طامعاً في هذا الفنِّ مدَّعيًا له ، على
خلوته عن تحصيل آلاته وأسبابه ، ولا أرى أحداً يطمعُ في فنٍّ من الفنونِ
غيره ولا يدَّعيه ! .

هذا وهو يجرُّ لا ساحلَ له ، يحتاجُ صاحبه إلى تحصيل علومٍ كثيرة ؛
حتى يندتهي إليه ، ويحتوى عليه ، فسبحان الله ! هل يدَّعي بعضُ هؤلاء أنه
فقيهٌ ، أو طيبٌ ، أو حاسبٌ ، أو غيرُ ذلك ، من غير أن يحصلَ آلات
ذلك ، ويتقنَ معرفتها ؟

فإذا كان العلمُ الواحدُ من هذه العلومِ الذي يمكنُ تحصيله في سنةٍ
أو سنتين من الزمانِ ، لا يدَّعيه أحدٌ من هؤلاء ، فكيف يجيءُ إلى فنِّ
الكتابة ، وهو مالا تحضُّل معرفته إلا في سنين كثيرة ، فيدَّعيه ، وهو
جاهلٌ به ؟

ومما رأيتُه من المدَّعين لهذا الفنِّ الذين حصلوا منه على القشور ، وقصروا
معرفةًهم على الألفاظِ المسجوعةِ المنة التي لا حاصلَ وراءها ، أنهم إذا أنكرت
هذه الحالُ عليهم ، وقيلَ لهم : إنَّ الكلامَ المسجوعَ ليس عبارةً عن تواطؤِ
النقيرِ على حرفٍ واحدٍ فقط ؛ إذ لو كن عبارةً عن هذا وحده لأمكن أكثر

الناس أن يأتوا به من غير كلفة ، وإنما هو أمر وراه هذا ، وله شروطٌ متعددة
فإذا سمعوا ذلك أنكروه وخلوهم عن معرفته ؛ ثم لو عرفوه وأتوا به على الوجه
الحسن من اختيار الألفاظ المسجوعة لا حتاجوا إلى شرط آخر ، قد نبهت عليه
في باب (السجع) .

وإذا أنكر عليهم الاقتصار على الألفاظ المسجوعة ، وهدوا إلى طريق
المعاني يقولون: لنا أسوةٌ بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة ، فإنهم إنما اعتنوا
بالألفاظ ، ولم يعتنوا بالمعاني اعتناءكم بها !!

فلم يكنهم جهلهم فيما ارتكبوه ، حتى ادعوا الأسوة بالعرب فيه ،
فصارت جهالتهم جهالتين .

ولنذكر هاهنا في الرد عليهم ما إذا تأملنا الناظر في كتابنا عرف منه
ما يؤتق ، ويذهب به الاستحسان كل مذهب ، فنقول :

اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالألفاظ فتصلحها وتهذبها ، فإن
المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قديراً في نفوسها ؛ فأول
ذلك عنايتها بألفاظها ، لأنها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقها إلى إظهار
أغراضها أصلحها وزينها ، وبالفوا في تحسينها ؛ ليكون ذلك أوقع لها في
النفوس ، وأذهب بها في الدلالة على القصد .

ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعاً لذ سامعه ؛ فحفظه ؛ وإذا لم يكن
مسجوعاً لم يأنس به أنسه في حالة السجع ؟ .

فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم ، وحسنوها ، ورققوا حواشيها ؛
وصفوا أطرافها ؛ فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط ؛ بل هي
خدمة منهم للمعاني ؛ ونظير ذلك إبراز صورة الحناء في الحلل الموسية ؛

والأنوابِ المحبِّرة ؛ فإنَّا قد نجدُ من المعاني الفاخرةِ ما يُشوهُ من حُسْنِهِ بِنَاذَةٍ
لفظه ، وسوءُ العبارةِ عنه .

فإن قيل : إننا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسنوه وزخرفوه ، ولسنا
نرى تحته مع ذلك معنى شريفاً ، فمما جاء منه قول بعضهم (١) :

ولمَّا قضينا من منى كُلِّ حاجةٍ ومسحَ بالأرْ كانِ من هو ماسحُ
أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيئنا وسالتْ بأعناقِ المَطى الأباطحُ

ألا ترى إلى حُسنِ هذا اللفظِ وصقلته ، وتديجِ أجزائه ؟ ومعناه مع
ذلك ليس مُدانيلاً ، ولا مقارباً ؛ فإنه إنما هو : لَمَّا فرغنا من الحجِّ ركبنا
الطريقَ راجعينَ وتحدثنا على ظُهورِ الإبلِ . ولهذا نظائرُ كثيرةٌ ، شريفة
الألفاظِ ، خسيئةُ المعاني (٢) ؟

(١) هذا الشعر ينسب إلى كثير عزة ، وإلى يزيد بن الطرية ؛ ونسبها
الشريف المرتضى في أماليه للمضرب ، وهو عقبه بن كعب بن زهير بن أبي
سلمى (٢ / ١١٠) وبين هذين البيتين بيت هو :
وشدت على حذب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رايح
وفي بعض الروايات « دهم المهاري » والمهارة جمع مهرة ، وهي
الإبل المنسوبة إلى قبيلة « مهرة بن حيدان » .

(٢) صاحب هذا النقد هو ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فإنه جعل الشعر أربعة
أضرب ثانيها ضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة
في المعنى ، وتمثل بالأبيات الثلاثة المذكورة ، ثم عقب عليها بقوله :
هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، إن نظرت
إلى ماتحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الأركان ،
وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الغادي للرائح ، أبتدأنا في
الحديث ، وسارت المطى في الأبطح » وهذا في الشعر كثير (الشعر والشعراء

فالجوابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَا نَقُولُ (١) : هذا الموضوعُ قَدْ سَبَقَ إِلَى التَّثْبُتِ بِهِ مَنْ لَمْ يُنْعَمِ النَّظَرَ فِيهِ ، وَلَا رَأَى مَرَّآةَ الْقَوْمِ ؛ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِحَفَاءِ طَبَعِ الْبَاطِنِ ، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَهُوَ أَنَّ فِي قَوْلِ هَذَا الشَّاعِرِ « كُلِّ حَاجَةٍ » مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ ، أَهْلُ التَّنْسِيبِ وَالرَّقَّةِ [وَذَوُو] (٢) الْأَهْوَاءِ وَالْمَقَامَةِ مَا لَا يَسْتَفِيدُهُ غَيْرُهُمْ ؛ وَلَا يَشَارِكُهُمْ فِيهِ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ .

أَلَا تَرَى أَنَّ حَوَائِجَ مَنِيْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ؟ فَفَنَهَا التَّلَاقُ ، وَمِنْهَا التَّشَاكِي ، وَمِنْهَا التَّخَلِّي لِلْجَمَاعِ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ تَالٍ لَهُ ؛ وَمَعْقُودُ الْكَوْنِ بِهِ ، فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ صَانِعَ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي أَوْمَأَ لَهُ ، وَعَقَدَ غَرَضَهُ عَلَيْهِ ؛

= وتمثل بهذه الأبيات قدامة بن جعفر في نعت اللفظ بأن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها : عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة ، مثل أشعار يوجد فيها ذلك . وأن خلت من سائر النعوت للشعر (نقد الشعر ١٢) .

وقال أبو هلال العسكري : إن الكلام الذي إذا كان لفظه حلواً عذبا ، وسلسا سهلا ، ومعناه وسطاً ، دخل في جملة الجيد ، وجرى مع الرائع النادر ، وذكر الأبيات الثلاثة ، ثم عقب عليها بمثل تعقيب ابن قتيبة (انظر الصنائع ٥٩) .

(١) قد يعتقد القارئ أن هذا الجواب من ثمار فطنة ابن الأثير واستواء ملكته النقدية ، ولكن الحقيقة أنه سطا عليه ، ونقله بمعانيه وأكثر حروفه من غير أن يرجعه إلى صاحبه ، وكثيرا ما رأينا منه مثل ذلك ، وهذا الجواب هو من تأليف أبي الفتح عثمان بن جني صاحب « الخصائص » الذي بسط القول فيه على هذا النحو (أنظر الخصائص ١ - ٢٢٥) وقد أخذ رأى ابن جني أيضا عبد القاهر الجرجاني وجعله دفاعاً عن الشعر عند من استقل معناه (أنظر أسرار البلاغة ١٥ - ١٨)

(٢) زيادة عن الخصائص .

بقوله في آخر البيت « ومسح بالأركان مَنْ هو مسحٌ » أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا^(١) التي بلمناها من هذا النَجْو الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحقٌ به ؛ وجارٍ في القربة من الله تجراه ، أي لم تعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح .

وأما البيت الثانى : فإن فيه « أخذنا بأطراف الأحاديث بيئنا » وفي هذا ما تذكره لتعجب به ؛ وبمن عجب منه ، ووضع من معناه ! .

وذلك أنه لو قال : « أخذنا في أحاديثنا » ، أو نحو ذلك ، لكان فيه ما يكبره أهل النسيب ، فإنه قد شاع عنهم ، واتسع في محاوراتهم علو قدر الحديث بين الإلغين ؛ والجذل بجمع شمل المواصين ، ألا ترى إلى قول بعضهم :

وحدثتني ياسعدُ عنها فزدتني جنوناً فزدني من حديثك ياسعدُ
وقول الآخر :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يحن قتل المسلم المتحرز^(٢)

فإذا كان قدر الحديث عندهم [مرسلًا] ^(٣) على ما ترى ، فسكيف به إذا قيده بقوله « أخذنا بأطراف الأحاديث » ؟ فإن في ذلك وحياً خفياً ، ورمزاً حلواً . ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ، ما يتعاطاه المحبون ، وبتفأوضه

(١) في الخصائص « وآدابنا » .

(٢) هذا البيت والذي قبله في الخصائص ١ - ٢٢٧ .

(٣) زيادة عن الخصائص ١ - ٢٢٨ والكلام منقول عن ابن جنى

ذُو الصَّبَابَةِ مِنَ التَّعْرِيفِ وَالتَّلْوِيحِ وَالإِيْمَاءِ دُونَ التَّصْرِيحِ ؟ وَذَلِكَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ ، وَأَغْزَلُ وَأَنْسَبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَشْفًا وَمَصَارِحَةً وَجَهْرًا .

وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَعْنَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَعْلَى عِنْدَهُمْ ، وَأَشَدُّ تَقْدَمًا فِي نَفْسِهِمْ مِنْ لَفْظِهِمَا ، وَإِنْ عَذِبَ وَلَدٌ مُسْتَمِعَهُ .
نعم في قول الشاعر :

* وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ *

من لطافة المعنى وحسنه مالا يخفاء به .

وَسَأَلْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَقُولُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمَّا تَحَدَّثُوا وَهُمْ سَائِرُونَ عَلَى الْمَطَايَا شَغَلَتْهُمْ لَذَّةُ الْحَدِيثِ عَنْ إِمْسَاكِ الْأَزِمَةِ ؛ فَاسْتَرْخَتْ عَنْ أَيْدِيهِمْ ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ مَنْ يَشْرَهُ وَتَغْلِبُهُ الشَّهْوَةُ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَارْتَحَتْ الْأَزِمَةُ عَنِ الْأَيْدِي أَمْرَعَتِ الْمَطَايَا فِي الْمَسِيرِ ، فَشَبِّهَتْ أَعْنَاقَهَا بِمَرُورِ السَّيْلِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي سُرْعَتِهِ ، وَهَذَا مَوْضِعٌ كَرِيمٌ حَسَنٌ ، لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهِ .

وَالَّذِي لَا يُنْعِمُ نَظَرَهُ فِيهِ لَا يَعْلَمُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى ، فَالْعَرَبُ إِنَّمَا تَحْسِنُ أَلْفَاظَهَا ، وَتَزُخْرِفُهَا ، عِنَايَةً مِنْهَا بِالْمَعَانِي الَّتِي تَحْتَمِلُهَا .

فَالْأَلْفَاظُ إِذَا خَدِمَ الْمَعْنَى ، وَالْخُدُومُ لَا شَكَّ أَشْرَفُ مِنَ الْخَادِمِ ، فَاعْرِفْ ذَلِكَ ، وَقِسْ عَلَيْهِ .

النوع الأول

في الاستعارة

وَلْتَقَدِّمُ قَبْلَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَوْلًا جَامِعًا ، فَتَقُولُ :

اعلم أن للفصاحة والبلاغة أوصافاً خاصةً ، وأوصافاً عامةً .

فانلخّصةُ : كالتجنّيس فيما يرجعُ إلى اللفظ ، وكالمطابقة فيما يرجعُ

إلى المعنى .

وأما العامةُ : فكالتسجّع فيما يرجعُ إلى اللفظ ، وكالاستعارة فيما يرجعُ

إلى المعنى .

وهذا الموضعُ الذي نحنُ بصددِ ذكره — وهو الاستعارةُ — كثيرُ

الإشكالِ ، غامضُ الخلقاء .

وسأوردُ في كتابي هذا ما استخرجتُه ، ولم أسمعُ فيه قولاً لغيري .

وكنتُ قدّمتُ القولَ في الفصلِ السابعِ من مقدّمة الكتابِ (١) فيما

يختصُّ باثباتِ المجازِ ، والرّدِّ على مَنْ ذَهَبَ إلى أنّ الكلامَ كنهٌ حقيقةً ،

لا مجازَ فيه ؛ وأقمتُ الدليلَ على ذلك ، ولا حاجةَ إلى إعادته هاهنا .

بل الذي أذكرُه هاهنا هو ما يختصُّ بالاستعارةِ التي هي جزءٌ من المجازِ ،

ولم تُسمِّتْ بهذا الإسمِ ، وكشفتُ عن حقيقتها ، وميّزتها عن التشبيهِ

المضمرِ الأداة .

(١) أنظر صفحة ١٠٥ من القسم الأول من هذا الكتاب .

والكلامُ في هذا يحتاجُ إلى إعادةِ ذكرِ المِجازِ ، وإِدخالِهِ فيه ، ليتقرَّرَ وَيُتَبَيَّنَ .

أقسام المِجازِ :

والَّذي انكشفَ لي بالنظرِ الصَّحيحِ أنَّ المِجازَ يَنقسمُ قِسْمينِ :
توسُّعٌ في الكلامِ وتشبُّيه .

والتشبيهُ ضربانِ : تشبيهُ تام ، وتشبيهُ محذوف .

فالتشبيهُ التَّامُ : أنْ يُذكَرَ المِشَبَّهُ والمِشَبَّهُ بِهِ .

والتشبيهُ المحذوفُ : أنْ يُذكَرَ المِشَبَّهُ دُونَ المِشَبَّهُ بِهِ ، ويسمى

(استعارة) .

وهذا الإِسْمُ وُضِعَ للفرقِ بينَهُ وبينَ التَّشبيهِ التَّامِ ، وإِلا فكلاهما يَجُوزُ
أنْ يُطلقَ عليه إِسْمُ (التَّشبيهِ) وَيَجُوزُ أنْ يُطلقَ عليه إِسْمُ (الاستعارة)
لاشترائِكهما في المعنى .

وأَمَّا التوسُّعُ فانه يُذكَرُ للتصرُّفِ في اللُغةِ ، لا لفائدةٍ أُخرى .

وإن شئتَ قلتُ . إنَّ المِجازَ يَنقسمُ إلى توسُّعٍ في الكلامِ ، وتشبيهِ ،
واستعارةٍ ، ولا يَخْرُجُ عن أَحَدِ هذه الأقسامِ الثلاثةِ ، فأَيُّها وُجِدَ كان مِجازاً .

فان قيل : إنَّ التوسُّعَ شاملٌ لهذه الأقسامِ الثلاثةِ ، لأنَّ الخُروجَ من الحقيقةِ
إلى المِجازِ اتِّساعٌ في الاستعمالِ . . .

قلتُ في الجوابِ : إنَّ التوسُّعَ في التشبيهِ والاستعارةِ جاءَ ضِمناً وتبعاً ،
وإن لم يكنْ هو السببَ الموجبَ لاستعمالِها .

وأَمَّا القسمُ الأخرُ — الذي هو لتشبيهِ ولا استعارةً — فإنَّ السببَ في
استعمالِهِ هو طلبُ التوسُّعِ لا غيرُ .

وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرعٌ عن الحقيقة ، وأن الحقيقة هي الأصل ، وإنما يُعدّل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه .

وذلك السبب الذي يُعدل فيه عن الحقيقة إلى المجاز إما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول إليه في وصف من الأوصاف ، وإما أن يكون لغير مشاركة .

الفرق بين التشبيه والاستعارة :

فإن كان لمشاركة ؛ فإما أن يذكر المنقول والمنقول إليه معاً ، وإما أن يذكر المنقول إليه دون المنقول .

فإن ذكر المنقول والمنقول إليه معاً كان ذلك تشبيهاً .

والتشبيه تشبيهان : تشبيه مظهر الأداة ، كقولنا : زيد كالأسد ، وتشبيه مضمّر الأداة كقولنا : زيد أسد .

وهذا التشبيه المضمّر الأداة قد خاطه قوم بالاستعارة^(١) ، ولم يفرّقوا بينهما ، وذلك خطأ محض .

(١) سبق القاضي الجرجاني صاحب الوساطة ابن الأثير إلى التمييز بينهما ، فقد ذكر أنه قد ورد ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ، وأن بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس :
والحب ظهر أنت راكبه
فإذا صرفت عنانه انصرفا
وليس هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر أو الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه ، فهو إما ضرب مثل ، أو تشبيه شيء بشيء وإنما الاستعارة ما أكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ =

وَسَأَوْضَحَ وَجِهَ الْخَطَأِ فِيهِ ، وَأَحَقَّقَ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا تَحْقِيقًا جَلِيًّا ؛
فَأَقُولُ :

أَمَّا التَّشْبِيهُ الْمُظْهِرُ الْأَدَاةَ فَلَا حَاجَةَ بِنَاءٍ إِلَى ذِكْرِهِ هَاهُنَا ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ
لَا خِلَافَ فِيهِ ، لَكِنْ نَذَكَّرُ (التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ) الَّذِي وَقَعَ فِيهِ
الْخِلَافُ ، فَنَقُولُ :

إِذَا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ وَالْمَنْقُولُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَشْبِيهُ مَضْمَرِ الْأَدَاةِ قِيلَ فِيهِ :
زَيْدٌ أَسَدٌ ؛ أَيْ كَالْأَسَدِ ؛ فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُضْمَرَةٌ ؛ وَإِذَا أُظْهِرَتْ حَسُنَ
ظُهُورُهَا ؛ وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ ؛ وَلَا تُزِيلُ عَنْهُ فَصَاحَةَ
وَلَا بِلَاغَةَ .

وهذا بخلاف ما إذا ذكر المنقول إليه دون المنقول ؛ فإنه لا يحسن فيه
ظهور أداة التشبيه ومتى أظهرت أزلت عن ذلك الكلام ما كان متصفاً به
من جنس فصاحة و بلاغة ، وهذا هو (الاستعارة) .

ولنضرب لك مثالا نوضحه ؛ فنقول :

قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء ؛ وهو :

فَرَعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ (١)

وهذا قد ذكر فيه المنقول إليه دون المنقول ؛ لأن تقديره « عَجَلَ قَدُّ
كَالْقَضِيبِ ؛ وَأَبْطَأَ رَدْفٌ كَالدَّعْصِ » وبين إirاده على هذا التقدير وبين
إيراده على هيئته في البيت بون بعيد في الحسن والملاحة .

= بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن
الآخر وانظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ٤٠ .

(١) الفرعاء النامة الشعر ، والدعص قطعة من الرمل مستديرة أو

الكثيب .

والفرق إذاً أنَّ التَّشْبِيهَ الْمُضْمَرَ الْأَدَاةَ يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ،
والاستعارة لا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا .

وعلى هذا فإنَّ الاستعارة لا تكون إلا بحيثُ يُطَوَّى ذِكْرُ الْمُسْتَعَارِ لَهُ
الَّذِي هُوَ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ ؛ وَيُكْتَفَى بِذِكْرِ الْمُسْتَعَارِ الَّذِي هُوَ الْمَنْقُولُ .

فإن قيل : لَأَنْسَلِمُ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ،
بَلِ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّشْبِيهَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَدَاتِهِ ، كَالْكَافِ ، وَكَانَ ، وَمَا جَرَى
مَجْرَاهُمَا ، فَمَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ إِسْتِعَارَةً ،
فَإِذَا قُلْنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » كَانَ ذَلِكَ (إِسْتِعَارَةً) وَإِذَا قُلْنَا « زَيْدٌ كَالْأَسَدِ »
كَانَ ذَلِكَ (تَشْبِيهًا) .

قلتُ في الجوابِ عن ذلك : إِذَا لَمْ نَجْعَلْ قَوْلَنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » تَشْبِيهًا مُضْمَرًا
الْأَدَاةَ اسْتِحْجَالَ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ زَيْدًا لَيْسَ أَسَدًا ، وَإِنَّمَا هُوَ كَالْأَسَدِ فِي شَجَاعَتِهِ ،
فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ تَقْدَرُ هَاهُنَا ضَرُورَةً ؛ كَيْ لَا يَسْتَحِيلَ الْمَعْنَى .

فإن قيل : وَكَذَلِكَ أَيْضًا إِذَا لَمْ تَقْدَرْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِي الْإِسْتِعَارَةِ اسْتِحْجَالَ
الْمَعْنَى ، لِأَنَّ إِذَا قُلْنَا « عَجَلِ التَّضْيِيبُ ، وَأَبْطَأُ الدَّعْصُ » فَمَا لَمْ نَقْدِرْ فِيهِ أَدَاةَ
التَّشْبِيهِ ؛ وَإِلَّا اسْتِحْجَالَ الْمَعْنَى !

قلتُ في الجوابِ عن ذلك : تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ لَا بَدَّ مِنْهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ؛
لَكِنْ يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِي التَّشْبِيهِ دُونَ الْإِسْتِعَارَةِ .

وجملة الأمر أننا نرى أداة التشبيه يحسن إظهارها في موضع دون موضع ،
فعلما أنَّ الموضع الذي يحسن إظهارها فيه غيرُ الموضع الذي لا يحسنُ إظهارها
فيه ، فسميْنَا الموضعَ الذي يحسنُ إظهارها فيه (تَشْبِيهًا مُضْمَرًا الْأَدَاةَ) وَالَّذِي
لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِيهِ (إِسْتِعَارَةً) .

وإنما فَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ تَسْمِيَةَ مَا يَحْسُنُ إِظْهَارَ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ بِـ (التَّشْبِيهِ)
 أَلْتَقَى ، وَتَسْمِيَةَ مَا لَا يَحْسُنُ إِظْهَارَ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ بِـ (بِالاسْتِعَارَةِ) أَلْتَقَى ، فَإِذَا
 قُلْنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » حَسُنَ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ بِأَنْ تَقُولَ « زَيْدٌ كَالْأَسَدِ »
 وَإِذَا قُلْنَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَرَعَاءُ إِن نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ

لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ ذَلِكَ أَوَّلًا .
 فَإِنْ قِيلَ . إِذَا أَجَزْتَ إِضْمَارَ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ ، وَقَدَّرْتَ إِظْهَارَهَا فِي قَوْلِكَ
 « زَيْدٌ أَسَدٌ » أَى كَالْأَسَدِ ، فَتَحْنُ نَضْمَرُ أَيْضًا الْمُسْتَعَارَ لَهُ وَتَقَدِّرُ إِظْهَارَهُ فَإِنَّهُ
 لَمَّا قَالَ الشَّاعِرُ « عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ » أَضْمَرَ الْمُسْتَعَارَ لَهُ وَهُوَ الْقَدُّ
 وَالرِّدْفُ ، وَإِذَا أَظْهَرَ قِيلَ « عَجَلَ قَدٌّ كَالْقَضِيبِ ، وَأَبْطَأَ رِذْفٌ كَالدَّعْصِ »
 وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِضْمَارَيْنِ ، فَكَمَا يَسْمَعُكَ إِضْمَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِكَ « زَيْدٌ
 أَسَدٌ » فَكَذَلِكَ يَسْمَعُنَا نَحْنُ إِضْمَارَ الْمُسْتَعَارِ لَهُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ !

فَلِجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ أَنِي أَقُولُ : نَحْنُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاقِفُونَ مَعَ الْاسْتِحْسَانِ
 لِأَمْعِ الْجَوَازِ ، وَلَوْ تَأَمَّلْتَ مَا أوردتهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِي بِالْعَيْنِ الصَّحِيحَةِ لَمَّا
 أوردتَ عَلَيَّ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ هَاهُنَا ، فَإِنِّي قُلْتُ : التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرُ الْأَدَاةُ يُحْسِنُ
 إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ، وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهَا ، وَلَوْ
 قُلْتُ : يَجُوزُ أَوْ لَا يَجُوزُ لَوْرَدَ عَلَيَّ هَذَا الْإِعْتِرَاضُ الَّذِي ذَكَرْتَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ
 وَتَحَقَّقَ أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ فِي حُكْمِ النِّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ أَلَّا يَظْهَرَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ ، وَإِذَا
 أَظْهَرَ ذَهَبَ مَا عَلَيَّ الْكَلَامِ مِنَ الْحُسْنِ وَالرَّوْنُقِ .

أَلَا تَرَى أَنَا إِذَا أوردْنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ (١) :

(١) الْبَيْتُ لِلرَّأْوَاءِ الدِّهَشَقِيِّ .

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُوًّا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ

وَرَدًّا وَعَعَضَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وَجِدَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالرَّوْنِقِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ .
فَإِذَا أَظْهَرْنَا الْمُسْتَعَارَ لَهُ صَبَرْنَا إِلَى كَلَامِ غَثٍّ ، وَذَلِكَ أَنَا نَقُولُ : « فَأَمْطَرَتْ
دَمْعًا كَاللُّوْلُوِّ مِنْ عَيْنٍ كَالنَّارِجِسِ ، وَسَقَتْ خَدًّا كَالْوَرْدِ ، وَعَعَضَتْ عَلَى
أَنْمَالٍ مَخْضُوبَةٍ كَالْعُنَابِ بِأَسْنَانٍ كَالْبَرْدِ » وَفَرَّقَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ
لِلْمُتَأَمِّلِ وَاسِعٌ .

وهكذا يجزى الحكم في البيت المتقدم ذكره الذي هو :

فَرَعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا حَجَلُ الْقَضِيبِ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ

فإنَّ هذا البيت لا خفاء بما عليه من الحسن ، وإذا ظهر فيه المستعار له
زال ذلك الحسن عنه ، لا بلَّ تبدل بضده .

وليس كذلك التشبيه المضمرة الأداة ، فإننا إذا أظهرنا أداة التشبيه
وأضمرناها كان ذلك سواء ، إذ لا فرق بين قولنا « زيدٌ أسدٌ » وبين
قولنا « زيدٌ كالأسد » وهذا لا يخفى على جاهلٍ بعلمِ الفصاحةِ والبلاغةِ فضلاً
عن عالمٍ .

والمعولُ عليه في تأليف الكلام من المنشور والمنظوم إنما هو حسنه
وطلاوته ، فإذا ذهب ذلك عنه فليس بشيء .

ونحن في الذي نوردُه في هذا الكتاب واقفون مع الحسن لا مع الجواز .
ثمَّ لو تزلنا معك أيها المعترض عن درجة الحسن إلى درجة الجواز لما
استقام لك ما ذكرته ، وذلك أن إضمار أداة التشبيه ظاهر في قولنا « زيد
أسد » أي كالأسد ، وهو مضمَّر واحد ، وأما قول الشاعر « فرعاء إن نهضت »

لحاجتها » فإنه لا يُضمر فيه أداة التشبيه إلا بعد أن يظهر المستعار له ، وحينئذٍ يكون فيه إضماران أحدهما : المستعار له ، والآخر : أداة التشبيه . وإضمار واحدٍ أيسر من إضمارين ؛ أحدهما معلق على الآخر .

وإذا كان الأمر كذلك فالفرق بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمتُ القول فيه من أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يُطوى ذِكْرُ المستعار له . فتأمل ما أشرتُ إليه وتدبره ، حتى تعلم أني ذكرتُ ما لم يذكره أحدٌ غيري على هذا الوجه .

وإنما سُمِّيَ هذا القسمُ من الكلام (استعارة) لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذٌ من العارية الحقيقية التي هي ضربٌ من المعاملة ، وهي أن يستعيرَ بعضُ الناسٍ من بعضٍ شيئاً من الأشياء ، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سببٌ معرفة ما يقتضى استعارة أحدهما من الآخر شيئاً ، وإذا لم يكن بينهما سببٌ معرفة بوجهٍ من الوجوه فلا يستعيرُ أحدهما من الآخر شيئاً ؛ إذ لا يعرفه حتى يستعيرَ منه . وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض ؛ فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر .

واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوزُ حمله على الاستعارة ؛ وعلى التشبيه المضمرة الأداة معا ؛ باختلاف القرينة ؛ وذلك أن يرد الكلامُ محمولاً على ضمير من تقدم ذكره ؛ فينتقل عن ذلك إلى غيره ؛ ويرتجل ارتجالاً .
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (١) :

(١) ديوان البحتري ١-١٣٧ من قصيدة يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدبر ومطلعها :

عناني من صدودك ماعناني وعاولدني هواك كما بداني

إِذَا سَفَرَتْ أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ وَمَالَتْ فِي التَّعَطُّفِ غُصْنِ بَانَ (١)
 فَلَمَّا قَالَ « أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ » — بِنَصْبِ الشَّمْسِ — كَانَ ذَلِكَ
 مَحْمُولًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ « أَضَاءُ » كَأَنَّهُ قَالَ : أَضَاءَتْ هِيَ ؛ وَهَذَا تَشْبِيهُ
 لِأَنَّ الْمَشَبَّهُ مَذْكُورٌ ؛ وَهُوَ الضَّمِيرُ فِي « أَضَاءَتْ » الَّذِي نَابَتْ عَنْهُ التَّاءُ ؛ وَيَجُوزُ
 حَمْلُهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ ؛ بِأَن يُقَالَ « أَضَاءَتْ شَمْسٌ دَجْنٍ » بَرَفِ الشَّمْسِ ؛ وَلَا
 يَمُودُ الضَّمِيرُ حِينَئِذٍ إِلَى مَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ .

وَإِنَّمَا يَكُونُ الْكَلَامُ مُرْتَبِلًا ؛ وَيَكُونُ الْبَيْتُ :
 إِذَا سَفَرَتْ أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنُ بَانَ
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ فِيهِ دَقَّةٌ غُوضٍ ؛ وَحَرْفُ التَّشْبِيهِ يَحْسُنُ فِي الْأَوَّلِ ؛
 دُونَ الثَّانِي .

التوسع في الكلام :

وَأَمَّا الْقِسْمُ الَّذِي يَكُونُ الْعَدُولُ فِيهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ لغيرِ مَشَارِكَةٍ
 بَيْنَ الْمُنْقُولِ وَالْمُنْقُولِ إِلَيْهِ فَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لطلبِ التَّوَسُّعِ فِي الْكَلَامِ ؛ وَهُوَ
 سَبَبٌ صَالِحٌ ؛ إِذِ التَّوَسُّعُ فِي الْكَلَامِ مَطْلُوبٌ .

ضرباً للتوسع :

وَهُوَ ضَرْبَانُ :

أحدهما : يَرِدُ عَلَى وَجْهِ الْإِضَافَةِ ؛ وَاسْتِعْمَالِهِ قَبِيحٌ ؛ لِإِمْدِ مَا بَيْنَ الْأَضَافِ
 وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَلْتَحِقُ بِالتَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةُ ؛ وَإِذَا وُردَ التَّشْبِيهُ
 وَلَا مَنَاسِبَةً بَيْنَ الْمَشَبَّهِ وَالْمَشَبَّ بِهِ كَانَ ذَلِكَ قَبِيحًا ؛ وَلَا يَسْتَعْمَلُ هَذَا الضَّرْبُ

١ — رواية الديوان :

إِذَا انصرفت أضواء شمس دجن ومال من التعطف غصن بان

من التوسّع إلا جاهلٌ بأسرارِ الفصاحةِ والبلاغةِ ؛ أو ساهٍ غافلٌ يذهبُ به
خاطرهُ إلى استعمالِ ما لا يجوزُ ولا يحسنُ ؛ كقولِ أبي نُوَاسٍ (١) :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فقوله « بحَّ صوتُ المالِ » من الكلامِ النازلِ بالمرّةِ ، ومُرَادُهُ من
ذلك أَنَّ الْمَالَ يَتَضَلَّمُ من إهانتِك إِيَّاهُ بالتعزيقِ ، فالعنى حسنٌ ، والتعبيرُ
عنه قبيحٌ .

وما أحسنَ ما قالَ مُسْلِمُ بنُ الوليدِ (٢) في هذا المعنى :

تَضَلَّمِ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظُلَامًا
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ أَيْضًا (٣) :

مَا لِرِجْلِ الْمَالِ أُمَسْتَ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلَالَا

فإضافةُ « الرَّجْلِ » إلى « الْمَالِ » أَوْجَحُ من إضافةِ الصَّوْتِ .

ومن هذا الضربِ قولُ أبي تمامٍ (٤) :

(١) ديوان أبي نواس ٧٠ من قصيدة يمدح بها العباس بن عبد الله بن
أبي جعفر المنصور ، ومطلعها :

غرد الديك الصدوح فاسقنى طاب الصبوح

(٢) من قصيدة يمدح فيها يزيد بن يزيد الشيباني ومطلعها ،

طيف الخيال حمدنا منك إماما داويت سقما وقد هيجت أسقاما

(٣) ديوان أبي نواس ١١٩ من قصيدة في مدح إبراهيم بن عبد الله

الحجبي وأولها :

هل عرفت الدار أجلى أهله عنسه فزالا

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٧ من قصيدة في مدح موسى بن إبراهيم

الرافعي والاعتذار إليه ومطلعها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشاع من برد

وَكَمْ أَخْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُدِّهَا

صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفِ حَسَنِ الْقَدِّ (١)

فإضافة « القَدِّ » إلى « النَّوَى » من التشبيه البعيد البعيد ، وإنما أوقعه فيه المائلة بين القَدِّ والقَدِّ .

وهذا دأبُ الرَّجُلِ فِي تَتَبُّعِ (المائلة) تَارَةً . (والتَّجْنِيسِ) أُخْرَى ، حَتَّى أَنَّهُ لِيَخْرُجُ إِلَى بِنَاءِ يُعَابُ بِهِ أَقْبَحُ عَيْبٍ وَأَفْخَشُهُ .
وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ (٢) :

بَلَوْنَاكَ أَمَّا كَعْبُ عِرْضِكَ فِي الْعُلَا

فَعَالٍ ، وَأَمَّا خَدُّ (٣) مَالِكِ أَسْفَلُ

فقوله « كَعْبُ عِرْضِكَ » و « خَدُّ مَالِكِ » بِمَا يُسْتَمْتَحُ وَيُسْتَنْكَرُ ، وَمُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عِرْضَكَ مَصُونٌ وَمَالِكٌ مَبْتَدَلٌ ، إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ أَقْبَحَ تَعْبِيرٍ .

وَأَبُو تَمَّامٍ يَقَعُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرًا .

وَأَمَّا الضَّرْبُ الْآخَرُ مِنَ التَّوَشُّعِ : فَأَنَّهُ يَرِدُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْإِضَافَةِ ، وَهُوَ حَسَنٌ لِاعْتِبَابِهِ فِيهِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ

(١) رواية الديوان « صرُوف الردي » موضع صرُوف النوى » .
والقد القوام ، والمرهف الرقيق .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٤٥ من قصيدة في مدح أبي المستهل محمد بن شقيق الطائي ، مطلعها :

تحمل عنه الصبر يوم تحماوا وعادت صباه في الصبا وهي شمال

(٣) رواية الديوان « جد » بالجيم المعجمة ، والجد الحظ .

إلى السماء وهى دُخانٌ فقال لها وللأرضِ ائدياً طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا
طائعين^(١) « فنسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع، لأنهما أجساد، والنطقُ
إنما هو للإنسان لا للجادِ ، ولا مشاركة هاهنا بين المنقول والمنقول إليه .

وكذلك قوله تعالى : « فما بكت عليهم السماء والأرضُ وما كانوا
منظارين^(٢) » .

وعليه ورد قولُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه نظر إلى أحد^(٣) يوماً
قال : « هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونحِبُّه » فإضافة الحبة إلى الجبل من باب التوسع ،
إذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذى هو جاد .

(١) سورة فصلت : الآية ١١ قال ابن قتيبة : إن قوما قالوا فى
هذه الآية : لم يقل الله ولم تقولا ، وكيف يخاطب معدوماً ؟ وإنما هذا
عبارة لكوناهما فكانتا . ورد عليهم بقوله : وما فى نطق جهنم ونطق
السماء والأرض من العجب ؟ والله تبارك وتعالى ينطق الجلود والأيدى
والأرجل ، ويسخر الجبال والطير بالتسييح .
وأنظر تأويل مشكل القرآن ٧٨ و٨٣ .

(٢) سورة الدخان : الآية ٢٩ قال ابن قتيبة تعقيباً على هذه الآية
تقول العرب إذا أرادت تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن ، رفيع المكانة ،
عام النفع ، كثير الصنائع : أظلمت الشمس له ، وكسف القمر لفقده
وبكته الريح والبرق والسماء والأرض ، يريدون المبالغة فى وصف
المصيبة به ، وأنها قد شملت وعمت ، وإيس ذلك بكذب لأنهم جميعاً
متواطئون عليه ، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه - أنظر تأويل
مشكل القرآن ١٢٧ .

(٣) أحد - بضم أوله وثانيه معاً - اسم لجبل ظاهر المدينة ،
كانت عنده الغزوة المشهورة ، وهو جبل أحمر فى شمالى المدينة .

وعلى هذا وردَ مخاطبةُ الطُّولِ ، ومساءلةُ الأحجار ، كقولِ أبي تمامٍ (١) :

أَمِيدَانِ لَهْوِي مَنْ أُنَاحَ لَكَ الْبَيْلِي
فَأَصْبَحْتَ مَيْدَانَ الصَّبَا وَالْجَمَانِي

وكقولِ أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ (٢) :

إِنِّي لَسْتُ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلَلُ نَبِيكِي وَتُرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ (٣)

فأبو تمامٍ ساءلُ رُبُوعًا عَافِيَةً ، وَأَحْجَارًا دَارِسَةً ، وَلَا وَجْهًا لَهَا هَاهُنَا إِلَّا مَسَاءَلَةَ الْأَهْلِ ، كالذي في قوله تعالى : « وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ (٤) » أَي أَهْلَ الْقَرْيَةِ .

وكلُّ هذا توسُّعٌ في العبارة ، إذ لا مشاركةَ بينِ رُسُومِ الدِّيارِ وَبَيْنَ فَهْمِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ .

وكذلك قال أبو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ في أمره الطَّلَلُ بَأَن يَكُونَ ثَالِثًا لَهَا : أَي الرِّكْبِ وَالْإِبِلِ ، وَهَذَا وَاضِحٌ لَا نِزَاعَ فِيهِ .

* * *

فَإِذْ وَدَّ تَبْيِينُ وَتَحَقُّقُ مَا أُشْرْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَالْجَازُ لَا يَخْرُجُ عَنْ

(١) ديوانه ٤١ من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، ومطاعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
(٢) ديوان المتنبي ٢٩٩/٣ وهو مطلع قصيدة في مدح عضد الدولة .

(٣) ثلاث الرجلين صرت ثالثتهما ، والإرزام حنين الإبل ، ومنه الرزمة صوت السحاب ، والطلل ما أشرف من بقايا الديار .

(٤) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

هذه الأقسام الثلاثة : إما توسع ، أو تشبيه ؛ أو استعارة . وإذا حققنا النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمراً قياسيًّا في حمل فرعٍ على أصلٍ ، لمناسبة بينهما ، وإن كانا يفترقان بمحدهما وحقيقتيهما .

حد الاستعارة :

فأما حدُّ الاستعارة فقيل : إنه نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ بسببِ مشاركةٍ بينهما .

وهذا الحدُّ فاسدٌ ، لأنَّ التشبيه يشاركُ الاستعارةَ فيه .

ألا ترى أننا إذا قلنا « زيد أسد » أي : كأنه أسد ، وهذا نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ بسببِ مشاركةٍ بينهما ؛ لأننا نقلنا حقيقةَ الأسدِ إلى زيدٍ ؛ فصار مجازاً ؛ وإنما قلناه لمشاركةٍ بين زيدٍ وبين الأسدِ في وصفِ الشجاعة .

والذي عندي من ذلك أن يُقال : حدُّ الاستعارة نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ ، لمشاركةٍ بينهما ، مع طيِّ ذكرِ المقولِ إليه ؛ لأنه إذا اختزَرَ فيه هذا الاخترازُ اختصَّ بالاستعارة ؛ وكان حدًّا لها دونَ التشبيه ؛ وطريقه أنك تُريد تشبيهَ الشيءِ بالشيءِ مظهرًا ومضمراً ؛ وتجيءُ إلى المشبه فتعيِّره اسمُ المشبه به ، وتُجْريه عليه . مثال ذلك أن تقول : رأيتُ أسداً ؛ وهذا كالبيتِ الشعرِ المقدم ذكره ؛ وهو :

فَرَعَاءُ إِن نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ

فإنَّ هذا الشاعرَ أرادَ تشبيهَ القَدِّ بالقَضِيبِ والرِّدْفِ بالدَّعْصِ الذي هو كَثِيبُ الرَّمْلِ ؛ فتركَ ذكرَ التشبيهِ مُظْهِراً ومضمراً ؛ وجاءَ إلى المشبه — وهو القَدُّ [والرِدْفُ] — فأعارهُ المشبه به ؛ وهو القَضِيبُ والدَّعْصُ ؛ وأجراه عليه .

إلا أن هذا الموضع لا بدَّ له من قرينة تُفهم من نحوى اللفظ ؛ لأنه إذا قال القائل : رأيتُ أسداً ؛ وهو يريدُ رجلاً شجاعاً ؛ فإنَّ هذا القول لا يفهم منه ما أراد ؛ وإنما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالأسد ؛ لكن إذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلاً شجاعاً اختص الكلام بما أراد ، ألا ترى إلى قول الشاعر « عجل القضيبي وأبطأ الدعص » فإنه دل عليه من نفس البيت لأن قوله « فرعاه إن نهضت » دليل على أن المراد هو القدح والرذف ، لأن القضيبي والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها . وكذلك كل ما يجرى على هذا الأسلوب ، لأن المستعار له — وهو المنقول إليه — مطوى الذِّكر .

قول ابن جنى فى المجاز والرد عليه :

وكنتُ تصفحتُ كتابَ (الخصائص) لأبى الفتح عثمان ابنِ جنى (١) ، فوجدته قد ذكر فى المجاز شيئاً يتطرق إلى النظر ، وذلك أنه قال : لا يُبدل

(١) كان من حذاق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والتصريف . صنّف فى النحو والتصريف كتباً أبدع فيها كالخصائص والمنصف وسر الصناعة ، وصنّف كتباً فى شرح القوافى ، وفى العروض ، وفى المذكر والمؤنث إلى غير ذلك ، ولم يصنّف أحد فى التصريف ، ولا تكلم فيه ، أحسن ولا أدق كلاماً منه وكان أبوه « جنى » مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد لأزدى الموصلى « وكان يقول الشعر ويجيده ، أخذ عن أبى على الفارسى وصحبه أربعين سنة ، ودرس النحو ببغداد بعده ، وتوفى ابن جنى فيما ذكر ابن الأنبارى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة فى خلافة القادر — انظر نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ٤٠٩ .

عن الحقيقة إلى المجاز إلا اعان ثلاثة : وهي الاتساع ، والتشبيه ، والتوكيد ، فإن
عدمت الثلاثة . كانت الحقيقة البتة .

فمن ذلك قوله تعالى : فأدخلناه في رحمتنا (١) « فهذا مجاز ، وفيه الثلاثة
المذكورة :

أما الاتساع : فهو أنه زاد في أسماء الجهات والحال أسماء ، وهو الرحمة .
وأما التشبيه : فإنه شبه الرحمة — وإن لم يصبح دخولها — بما يصح
دخوله .

وأما التوكيد : فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة ،
تعالياً بالمخبر عنه ، وتفخيماً له ، إذا صير ، بمنزلة ما يشاهد ويعاين .

هذا مجموع قول أبي الفتح — رحمه الله — من غير زيادة ولا نقص .
والنظر يتطرق إليه من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز ، بل وجود
واحد منها سبباً لوجوده ، ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً ،
وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازاً ، ثم إن كان وجود هذه المعاني
الثلاثة سبباً لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً لعدمه .

ألا ترى أنا إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً ؛
فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان ؛ وإذا عذم واحد منهما بطل أن
يكون إنساناً ؛ وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشيء فإن
وجودها بوجوده ؛ وعدم واحد منها يوجب عدمه ؟

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧٥ .

وأما الوجه الثاني : فإنه ذكر التوكيد والتشبيه ؛ وكلاهما شيء واحد على الوجه الذي ذكره ؛ لأنه لما شُبِّهَت الرحمة ، وهي معنى لا يُدْرَكُ بالبصر ، بمكانٍ يُدْخَلُ ؛ وهو صورةٌ تُدْرَكُ بالبصر ؛ دخل تحت التوكيد الذي هو إخبارٌ عما لا يُدْرَكُ بالحاسة بما قد يُدْرَكُ بالحاسة .

على أن التوكيد هاهنا ؛ على وجه ما أوردته في تمثيله ؛ لا أعلم ما الذي أراد به ؛ لأنه لا يؤتى به في اللغة العربية إلا للمعنيين :

أحدهما : أنه يردُ أبدأً فيما استُقرى بالفاظٍ محصورةٍ نحو : نفسه ؛ وعينه ؛ وكله ، وما أُضِيفَ إليها مما استُقرى ؛ وهو مذکور في كتب النحاة ؛ وقد كُفِيتْ مُثَوَّنَةً .

الآخر : أنه يُرد على وجه التكرير ؛ نحو : قام زيد قام زيد ؛ كرر اللفظ في ذلك تحقيقاً للمعنى المقصود ؛ أي توكيداً .

والذي ذكره أبو الفتح — رحمه الله تعالى — لا يدلُّ على أن المراد به أحد هذين المعنيين المشار إليهما ؛ ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة ، فمبّر عن ذلك بالتوكيد ؛ ولا مُشاحَّة له في تعبيره ، وإذا أراد به ذلك فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ؛ ولا حاجة إلى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه .

وأما الوجه الثالث : فإنه قال : « أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال كذا وكذا » .

وهذا القول مضطربٌ شديد الاضطراب ؛ لأنه ينبغي على قياسه أن يكون « جناح النل » في قوله تعالى « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ »^(١) زيادةً

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٤

في أسماء الطيور ؛ وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسماً هو الذلّ. وهكذا يجرى الحكم في الأقوال الشعرية كقول أبي تمام (١) :

لَبِسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
فَزَادَ فِي أَسْمَاءِ اللِّبَاسِ اسْمًا ؛ هُوَ الآدَمِيُّ ، وَهَذَا مِمَّا يُضْحَكُ مِنْهُ ؛ نَعُودُ
بِاللَّهِ مِنَ الخَطَلِ !

والانساع في المجال لا يقال فيه كذا ؛ وإنما يقال : هو أن تُجرى صفة من الصفات على موصوفٍ ليس أهلاً لأن تُجرى عليه ؛ لبعده ما بينه وبينها ؛ كقول أبي الطيب المتنبي :

إِنِّي لَأُثَلِّقُ فِينَا أَيُّهَا الظَّلَلُ نَبِيكَ وَتُرْزَمَ تَحْتَنَا الإِبِلُ
فإنه أُجْرِي الكلامَ على ذلك ؛ وإنما يُستعمل طلباً للانساع في أساليب الكلام ؛ لا لمناسبة بين الصفة والموصوف ؛ إذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك انساعاً ؛ وإنما كان ضرباً من القياس في حمل الشيء على ما يناسبه ويشاكله ؛ وحينئذ يكون ذلك تشبيهاً أو استعارة ؛ على ما أشرتُ إليه من قبل .

أقسام المجاز عند الغزالي واعتراضات ابن الأثير :

وكنْتُ أَطَلَعْتُ فِي كِتَابٍ مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَبِي حَامِدِ الغَزَالِيِّ (٢) — رَحِمَهُ

(١) ديوان أبي تمام ١٠٧ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي ومطلعها :

أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاد من نحر وجيد

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الفقيه الشافعي ، ولد في طوس ونشأ فيها « وتكاثر الفلاسفة في عصره ، وناهضوا رجال الدين ، فتصدى لهم ، وكان أحد المجتهدين ، قضى أعواماً وهو يطالع ويفكر =

الله — ألقه في أصول الفقه ؛ ووجدته قد ذكر « الحقيقة والجاز » وقسم الجاز إلى أربعة عشر قسماً ؛ وتلك الأربعة عشر ترجع إلى الثلاثة التي أشرت إليها ؛ وهى التوسع ؛ والتشبيه ؛ والاستعارة ، ولا تخرج عنها . والتقسيم لا يصح فى شيء من الأشياء إلا إذا اختص كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره ، وإلا كان التقسيم لغواً لا فائدة فيه .

وسأورد ما ذكره ، وأبين فساده .

فالقسم الأول من الأقسام التى ذكرها هو : ما جعل للشئ بسبب المشاركة فى خاصّة ؛ كقولهم للشجاع : أسد . والبليد : حمار . وهذا القسم داخل فى الاستعارة . إن ذكر المنقول وحده . مثل أن يقول القائل « رأيت أسداً » ومراده رجلاً شجاعاً . أو « رأيت حماراً » ومراده « رجلاً بليداً » . ودخل فى التشبيه المضمّر الأداة . إن ذكر المنقول والمنقول إليه معا . كقول القائل « زيدٌ أسدٌ » أى كالأسد . أو حمارٌ . أى كالحمار .

القسم الثانى : تسمية الشئ باسم ما يتول إليه :

كقوله تعالى : « إني أراني أعصرُ خمرًا ^(١) » وإنما كان يعصرُ عنبا .

وهذا القسم داخل فى القسم الأول . لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول

= ويدرس فى المدرسة النظامية . ثم انقطع عن التدريس وسلك طريق الزهد ، وقضى عشرة أعوام فى الأسفار بين الحجاز والشام وبيت المقدس على طريقة الصوفية ، وهو يطالع ويبحث وينظر ، فسمى حجة الإسلام ، وخلف ما يزيد على سبعين مؤلفاً - توفي سنة ٥٠٥ هـ .

(١) سورة يوسف : الآية ٣٦ .

إليه . وهو من باب (الاستعارة) لابلٍ أو غلٍ في المشابهة من ذلك . لأنَّ
الخمر من العنب . وليس الأسدُّ من الرجل . ولا الرجل من الأسد (١) .

القسم الثالث : تسمية الشيء باسم فرعه :

كقول الشاعر :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا نَوْمَةٌ وَتَشْوِقٌ وَتَمْرٌ عَلَى رَأْسِ النَّخِيلِ وَمَا
فَسَى الرُّطْبِ تَمْرًا .

وهذا القسم والقسم الذي قبله سواء . لأنَّ هناك سُمِّي العنبُ خمرًا .
وهاهنا سُمِّي الرُّطْبُ تَمْرًا . فالعنبُ أصلٌ . والخمرُ فرعٌ . وكذلك الرُّطْبُ
أصلٌ . والتَّمْرُ فرعٌ . وكلا هذين القسمين داخل في القسم الأول .

وهبَّ أنَّ النزائي لم يحقق أمرَ المجازِ وانقسامه إلى تلك الأقسام الثلاثة
التي أشرتُ إليها ، ألم ينظرْ إلى هذين القسمين اللذين هما العنبُ والخمرُ ،
والرُّطْبُ والتَّمْرُ ، ويعلم أنهما شيء واحد لا فرق بينهما ؟

القسم الرابع : تسمية الشيء باسم أصله :

كقولهم للآدميَّ « مُضَغَّةٌ » ، وهذا ضدُّ القسم الذي قبله ، لأنَّ ذلك جُعِلَ
الأصلُ فيه فرعًا ، وهذا جُعِلَ الفرعُ فيه أصلًا ، وهو داخلٌ في القسم
الأوَّل أيضًا .

(١) ليس صحيحا ما اعترض به ابن الاثير، لأن الخمر وإن كانت
من العنب لاوجه للشبه بينهما في الشكل أو في الهيئة أو في الأثر أو غير ذلك ،
وإنما الخمر منه ، فصح كلام الإمام الغزالي ، وبقى مثل كلامه في البلاغة
العربية حتى اليوم التي تجعل هذا المثل من باب المجاز المرسل والعلاقة
فيه ما ذكر أبو حامد ، والمجاز المرسل أحد قسمي المجاز اللغوي :
المجاز الاستعاري (الاستعارة) ، والمجاز المرسل ، ويختص الأول
بعلاقة المشابهة ، والآخر بكل علاقة سواها .

القسم الخامس : تسمية الشيء بدواعيه :

كتسميتهم الاعتقاد قولاً ، نحو قولهم : « هذا يقولُ بقولِ الشافعيِّ رحمه الله » أي : يعتقدُ اعتقاده .

وهذا القسمُ داخلُ في القسمِ الأوَّل ، لأنَّ بينَ القولِ وبينَ الاعتقادِ مناسبةٌ كالمناسبةِ بينَ السَّببِ والمسبَّب . والباطنِ والظاهرِ .

القسم السادس : تسمية الشيء باسم مكانه :

كقولهم للمطر « سماء » . لأنه ينزلُ منها .

وهذا القسمُ داخلُ في الأوَّل . لِصِفَةِ المناسَبَةِ بينَ المنقولِ والمنقولِ إليه ، وهو النزولُ من عالٍ . وكلُّ ما علاك فأظلك فهو « سماء » .

على أنَّ الأغلبَ على ظنيُّ أنَّ هذا القسمَ من الأسماءِ المشتركة . وتسميةُ المطرِ بـ « السماء » حقيقةٌ فيه ، وليسَ من المجازِ في شيءٍ .

القسم السابع : تسمية الشيء باسم مجاوره :

كنولهم للمزادة « رَاوِيَةٌ » وإنما الرَّاوِيَةُ الجملُ الذي يحملها^(١) .

وهذا القسمُ من بابِ التَّوَسُّعِ ؛ لا من بابِ التَّشْبِيهِ ، ولا من بابِ الاستعارة ، لأنَّ على قِياسِهِ ينبغي أن يُسمَى الجملُ « زامِلةً » لأنه يحملها^(٢) .

القسم الثامن : تسمية الشيء باسم جزئه :

كقولك لمن تُبغِضُه « أَبْعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِّي » وإنما تُريدُ سائرَ جُثَّتِهِ .

(١) في المختار : الرواية البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه ، والعامية تسمى المزادة راوية ، وهو جائز استعارة ، والأصل ما ذكرناه .

(٢) في المختار : الزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه

وهذا القسمُ داخلٌ في القسمِ الأوَّلِ ، وهو شبيهٌ بِتَسْمِيَةِ الشَّيْءِ
باسمِ فَرَعِهِ .

القسم التاسع : تسمية الشيء باسم ضده :

كقولهم لِلأَسْوَدِ وَالأَبْيَضِ « جَوْنٌ » .

وهذا القسمُ ليسَ من المجازِ في شيءٍ التَّبَتُّ ؛ وإنما هو حقيقةٌ في هذين
المسمَّيْنِ معاً ، لأنه من الأسماءِ المُشْتَرَكَةِ ، كقولهم : « شِمْتُ السَّيْفَ »
إِذَا سَلَّمْتَهُ ، و « شِمْتُهُ » إِذَا أَعْمَدْتَهُ ، فدلَّ الشِّمُّ عَلَى الضَّدِّينِ معاً
بِالْوَضْعِ الحَقِيقِيِّ .

وفي اللَّغَةِ من هذا شيءٌ كثيرٌ . فكيفَ يُجْمَلُ هذا القسمُ من المجازِ ؟
ولا شكَّ أن الغزاليَّ نظرَ إلى أنَّ الضَّدِّينِ لا يجتمعانِ في محلٍّ واحدٍ ،
فَقاسَ الاسمَ عَلَى الذَّاتِ . وظنَّ أنَّ الذَّاتينِ لا يجتمعانِ في اسمٍ واحدٍ . كما
أنهما لا يجتمعانِ في محلٍّ واحدٍ .

فإن قيل : لا نُسَلِّمُ أنَّ اللَّفْظَ المُشْتَرَكَ حَقِيقَةٌ بِالْوَضْعِ فِي المَعْنِيَيْنِ معاً . لأنَّ
ذلك يُجْلَى بِفَأْيِدَةِ الوَضْعِ . الذي هو البَيانُ . وإنما هو حقيقةٌ في أحدِ مَعْنِيَيْهِ .
مجازٌ في الآخَرِ !

فالجوابُ عن ذلك : أنَّ هذا الموضعَ تقدَّمَ الكلامُ عَلَيْهِ في الفصلِ الثَّانِي
من مقدِّمةِ الكتابِ . وهذا الفصلُ الذي يشتملُ على آلاَتِ عِلْمِ البَيانِ
وَأَدْوَاتِهِ فَلْيُؤَخِّذْ من هناك . فَإِنَّي قد أَشْبَعْتُ القَوْلَ فِيهِ إِشْبَاعاً لا مَزِيدَ
عَلَيْهِ (١) .

(١) انظر صفحة ٤٠ وما بعدها من القسم الأول من هذا الكتاب .

القسم العاشر : تسمية الشيء بفعله :

كنسيميّة الخمر « مُسْكراً » .

وهذا القسمُ داخلٌ في القسمِ الأوّل . وأى مشاركةٍ أقرب من هذه المشاركة ؟ فإنّ الإسكارَ صفةٌ لازمةٌ للخمر . وليست الشجاعةُ صفةً لازمةً لزيدٍ . لأنه يُمكنُ أن يكونَ زيدٌ ولا شجاعةَ . ولا يمكنُ أن يكونَ خمرٌ ولا إسكاراً . ألا ترى أنّها لم تُسمَّ خمرًا إلا لإسكارِها . فإنّها تخمّرُ العقلَ . أى تسترُهُ ؟

القسم الحادى عشر : تسمية الشيء بكلمة :

كقولك في جواب « ما فعل زيدٌ » ؟ القيام . والقيامُ : جنسٌ يتناولُ جميع أنواعه .

وهذا القسمُ لا ينبغى أن يوصلَ بأقسامِ المجاز . لأنّ القيامَ لزيدٍ حقيقة . فإن قيل : إنّ القيامَ يشملُ جميعَ أنواعِ القيامِ من الماضى والحاضر والمستقبل .

قلتُ : وهذا من أقربِ أقسامِ المجازِ مناسبةً . لأنه إقامةٌ للمصدرِ مقامَ الفعلِ الماضى . والمصدرُ أصلُ الفعلِ . وعلى هذا فإنّ هذا داخلٌ في القسمِ الأوّلِ .

القسم الثانى عشر : الزيادة فى الكلام لغير فائدة :

كقوله تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ »^(١) فد (ما) هاهنا زائدة لامتغنى لها . أى : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

وهذا القولُ لا أراهُ صواباً . وفيه نظرٌ من وجهين :

أحدهما : أن هذا القسمَ ليسَ من المجازِ . لأن المجاز هو دلالةُ اللفظِ على غير ما وُضِعَ له في أصل اللُغة . وهذا غيرُ موجودٍ في الآية : وإِنَّمَا هِيَ دَالَةٌ عَلَى الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ الْمَنْطُوقِ بِهِ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ .

الوجهُ الآخرُ : أني لو سلمتُ أن ذلك من المجاز لأنكرتُ أن لفظَةَ (ما) زائدةٌ لامعنى لها . ولكنها وردتْ تَفْخِيماً لِأَمْرِ النُّعْمَةِ الَّتِي لَانَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ : وَهِيَ مُحَضُّ الْفَصَاحَةِ : وَلَوْ عُرِّيَ الْكَلَامُ مِنْهَا لَمَا كَانَتْ لَهُ تِلْكَ التَّفْخَامَةُ .

وقد وردَ مثلها في كلامِ العرب . كالذي يُحْكِي عن الرَّبَّاءِ . وذلك أن الواضح الذي هو جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ (١) تزوجها . والحكاية في ذلك مشهورة ، فلما دخل عليها كَشَفَتْ لَهُ عَنْ فَرْجِهَا . وقد ضفرت الشعرَ من فوقه صَفِيرَتَيْنِ . وَقَالَتْ : (أَدَاتَ عَرَسٍ تَرَى . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَوَزِ الْمَوَاسِ . وَلَا مِنْ قِلَّةِ الْأَوَاسِ . وَلَكِنَّهُ شَيْمَةٌ مَا أَنَاسِ) .

فمعنى الكلام : ولكنه شيمَةٌ أَنَاسِ . وإِنَّمَا جَاءَتْ لَفْظَةُ (ما) هَاهُنَا تَفْخِيماً لِشَأْنِ صَاحِبِ تِلْكَ الشَّيْمَةِ . وَتَعْظِيماً لِأَمْرِهِ . وَلَوْ أُسْقِطَتْ لَمَا كَانَ لِلْكَلامِ هَاهُنَا هَذِهِ التَّفْخَامَةُ وَالْجُرْأَةُ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا أَهْلُهُ مِنْ عِلْمَاءِ الْفَصَاحَةِ وَالتَّبْلَاغَةِ .

(١) كان جذيمة الأبرش ملك ما على شاطئ الفرات ، وكانت الرباء ملكة الجزيرة ، وكان يقال جذيمة الأبرش وجذيمة الواضح ، وذلك أنه كان أبرص ، فهابت العرب أن تقول له ، فقالت « الأبرش » وكانت تقول للذي به البرص : به وضح ، تفاديا من البرص ، فقالوا جذيمة الواضح ، وهو جاهلي .

وَأَمَّا الْغَزَالِيُّ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — فَإِنَّهُ مَعذُورٌ عِنْدِي فِي الْآءِ يَعْرِفُ ذَلِكَ . لِأَنَّهُ لَيْسَ فَتَاهُ .

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ لَفْظًا زَائِدًا لِمَعْنَى لَهُ فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِهَذَا الْقَوْلِ . وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مُتَسَمِّحًا فِي دِينِهِ وَاعْتِقَادِهِ .

وَقَوْلُ النَّحَّاطِ إِنْ (مَا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ زَائِدَةٌ . فَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِهِنَّ أَنَّهُ لَا تَمْنَعُ مَا قَبْلَهُمَا عَنِ الْعَمَلِ ، كَمَا يَسْمُونَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَقَوْلِكَ . أَيُّ : أَنَّهُ تَكْفُفُ الْحَرْفِ الْعَامِلِ عَنِ عَمَلِهِ . كَقَوْلِكَ : إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ . فَمَا قَدْ كَفَّتْ (إِنْ) عَنِ الْعَمَلِ فِي زَيْدٍ ؛ وَفِي الْآيَةِ لَمْ تَمْنَعْ عَنِ الْعَمَلِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ تَمْنَعْ (الْبَاءُ) عَنِ الْعَمَلِ فِي خَفْضِ (الرَّحْمَةِ) .

القسم الثالث عشر : تسمية الشيء بحكمه :

كقوله تعالى : (وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا)^(١) فسمى النكاح (هبةً)

وهذا التسمي داخل في القسم الأول ، لأن النكاح هو تمكين الزوج من الوطاء على عوض على هيئة مخصوصة ، والهبة تمكينه من الشيء الموهوب على غير عوض ، فشاركت الهبة النكاح في نفس التمكين من الوطاء . وإن اختلفا في الصورة .

القسم الرابع عشر : النقصان الذي لا يبطل به المعنى :

كخذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه . قال الله تعالى : (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا)^(٢) أي : شخصاً بريئاً .

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٠

(٢) سورة النساء ، الآية ١١٢ .

وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . قال الله تعالى : (واسأل القرية) (١) أى : أهل القرية .

وهذا القسم داخل في القسم الأول : أما حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فلأن الصفة لازمة للموصوف ، وأما حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فلأنه دل بالمسكون على الساكن ؛ وتلك مقارنة قريبة .

فهذه أقسام المجاز التي ذكرها النزالي رحمه الله تعالى (وقد بينت فساد التقسيم فيها ، وأنها ترجع إلى ثلاثة أقسام هي : التوسيع ؛ والتشبيه ؛ والاستعارة .

* * *

وحيث انتهى بي الكلام إلى هاهنا ، وفرغت مما أردت تحقيقه ؛ وبينت ما أردت بيانه ، فإني أتبع ذلك بضرب الأمثلة للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيده بذكر الحد والحقيقة .

فمما جاء ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى في أول سورة إبراهيم — صلوات الله عليه — : « الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » (٢) .

فالظلمات والنور استعارة للكفر والإيمان ؛ أو للضلال والهدى ؛ والمستعار له مطوى الذكر ؛ كأنه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الإيمان الذي هو كالنور .

(١) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١ .

وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضاً (وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لَتَنزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) (١) .

والقراءة برفع (لَنزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ) ليست من باب الاستعارة ، ولكنها في نصب (نزول) واللام لام (كَيْ) والجبال هاهنا استعارة ، طوى فيها ذكر المستعار له ، وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من الآيات والمعجزات ، أى أنهم مكرؤا مكرهم لى نزول منه هذه الآيات والمعجزات التى هى فى ثباتها واستقرارها كالجبال .

وعلى هذا ورد قوله تعالى « والشعراء يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالًا يَفْعَلُونَ » (٢) .

فاستعار الأودية للفنون والأغراض من المعانى الشعرية التى يقصدونها ، وإنما خص الأودية بالاستعارة ولم يستعز الطرُق والمسالك أو ماجرى مجراها لأن معانى الشعر تُستخرج بالفكرة والروية ؛ والفكرة والروية فهما خفاء وغموض ، فكان استعارة الأودية لها أشبهه واليق .

والاستعارة فى القرآن قليلة ، لكن التشبيه المضمرة الأداة كثير ؛ وكذلك هى فى فصيح الكلام من الرسائل وألحظب والأشعار ، لأن طى المستعار له لا يتيسر فى كل كلام ، وأما التشبيه المضمرة الأداة فكثير سهل ، لكان إظهار المشبه والمشبه به معاً .

* * *

ومما ورد من الاستعارة فى الأخبار النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤٦ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

« لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ » فاستعارَ النَّارَ للرَّأْيِ والمَشُورَةِ ، أَيْ لاسْتِهْتَدَاؤِ
بِرَأْيِ المُشْرِكِينَ ، وَلَا تَأْخُذُوا بِمَشُورَتِهِمْ .

وَرُوي عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا مُصَلًّا ، فَوَافَى أَناسًا
كَأَنَّهُمْ يُكْثِرُونَ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ
لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى) وَهَازِمُ اللَّذَاتِ أَرَادَ بِهِ المَوْتَ ، وَهُوَ مَطْوِيُّ الذِّكْرِ .

وَبَلَّغَنِي عَنِ العَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ رُؤْيَةِ المِلالِ (لَا مَرْحَبًا بِاللَّجِينِ
مُقَرَّبُ أَجْلِ وَنَحْلٍ) وَهَذَا مِنْ بابِ الاستِعارةِ فِي طَيِّ ذِكْرِ المُسْتَعارِ لَهُ .
وَكَذَلِكَ بَلَّغَنِي عَنِ الحِجَّاجِ بنِ يوسُفَ (١) أَنَّهُ خَطَبَ خُطْبَةً عِنْدَ قُدُومِهِ
العِرَاقَ فِي أوَّلِ وِلايَتِهِ إِياهُ ، وَالخُطْبَةُ مَشهُورَةٌ ، مِنْ جُمَلَتِها أَنَّهُ قالَ : إِنْ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ نَثَلَ (٢) كِنانَتَهُ ، وَعَجَمَها (٣) عُوْدًا عُوْدًا ، فَرَأَى أَصْلَبَها نِجَارًا ،
وَاقُومَها عُوْدًا ؛ وَأَنْفَذَها نَصَلًا) فَقولُهُ (نَثَلَ كِنانَتَهُ ؛ وَعَجَمَها عُوْدًا عُوْدًا)
يَريدُ أَنَّهُ عَرَضَ رِجالَهُ ؛ وَاخْتَبَرَهُمْ واحِدًا واحِدًا جِدًّا اخْتِبارَهُ فَرَأَى
أَشَدَّهُمْ وَأَمضاهُمْ .

وَهَذَا مِنْ الاستِعارةِ الحَسَنَةِ الفائِقَةِ .

(١) هُوَ أَبُو مُحَمَّدِ الحِجَّاجِ بنِ يوسُفَ الثَّقَفِيِّ وَوُلِدَ سَنَةَ ٤١ هـ ، وَتَرَبَّى
فِي الإِسْلامِ مَعَ الإِحْتِفاظِ بِشَخْصِيَّةِ جَاهِلِيَّةِ عَنيفَةٍ ، ظَهَرَتْ آثارُها فِي أَعْمالِهِ
وَفي كِلامِهِ . وَقَدِ وُلِيَ عِدَّةَ مَناصِبَ لِبَنِي أُمِيَّةٍ ، وَاشْتَهَرَ بِالخُطابةِ القَوِيَّةِ
وَسياسةِ العَنفِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٩٥ هـ .

(٢) نَثَلَ الكِنانَةَ : اسْتَخْرَجَ نَبِلَها فَنَثَرُها .

(٣) الكِنانَةُ جَعْبَةُ السِّهامِ ، وَعَجَمَ عِيدانَها عَضَمَها لِيَنْظُرَ أَيُّها أَصْلَبُ ،
وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ كِنايَةٌ عَنِ أَنَّهُ اخْتَبَرَ أَعوانَهُ ، فَوَجَدَ الحِجَّاجَ أَصْلَحَهُمْ لِحُكْمِ
العِرَاقِ .

وقد جاءني من الاستعارة في رسائلي ما أذكر شيئاً منه ؛ ولو مثلاً واحداً .
وذلك أنه سألت بعض الأصدقاء أن أصف له غلامين ترُكَّين كان
يهواهما ، وكان أحدهما يلبسُ قباءً أحمر ، والآخر قباءً أسود ؛ فقلت :

(إذا تشعبت أسبابُ الهوى كانت لِسِرِّه أظهرَ ، وأضحيتُ أمراضه
خطراً كلها ، ولا يقال في أحدها : هذا أخطر ، وقد هويت بدرين على
غضنين ، ولا طاقة للقباب بهوى واحدٍ ، فكيف إذا حمل هوى اثنين ؟
ومما شجاني أنهما يتلوانان في أصباغ الثياب ، كما يتلوانان في فنون التجرّم
والعتاب ، وقد استجدّا الآن زيباً لا مزيد على حُسْنهما في حُسْنه ، فهذا
يخرجُ في ثوب من حُمره خدّه ، وهذا في ثوبٍ من سوادٍ جفنه ، وما
أدرى من دلّهما على هذا العجيب غير أنه ليس عى فتنة الحبّ أهدي
من حبيب) .

وهذا الفصلُ بجملة ما توصّفه الناسُ ، وأغرّوا بحفظه .

* * *

وأما ماورد من ذلك شعراً فكقول مسكين الدارمي (١) من شعراء
الحماسة :

(١) اسمه ربعة بن عامر يصل نسبه إلى دارم بن مالك ، وسمى
مسكينا لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جد نطق
وهو شاعر شريف إسلامي ، كان في عهد بني أمية ، وهو سيد من
سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم تكافئا ، فكان الفرزدق يعد ذلك من
الشذائد التي أفات منها . قال الفرزدق : نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف
بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبني . ونجوت من ابني رميلة =

لحافٍ لحافٍ الضَّميفُ والسَّيْتُ بيتهُ

وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقْنَعٌ

أُحَدِّثُهُ إِنْ حَدِيثَ مِنَ الْقَرَى

وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ (١)

فالغزالُ المقنَعُ هنا استعارةٌ للمرأةِ الحسناءِ .

وكذا ورد قولُ رجلٍ من بني يسَّارٍ في كتابِ الحماسةِ أيضاً (٢) :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأُهَا رُوَيْدَكَ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفِقِي

رُوَيْدَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي عَمَّيَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ

فالعارِضُ المتألِّقُ : استعارةٌ للحربِ أو الذي أَطَّلَ بمكرُوهِهِ كالبارقِ

المتألِّقِ .

ويحكى أن امرأةً وقتت لعبد الملك بن مروان (٣) ، وهو سائرٌ إلى قتال

= وقد نذرا أدمى وما فاتهما أحد طلباه ، ونجوت من مهاجاة مسكين
الدارمى لأنى لو طاولت معه الهجاء لا ضطرني أن أدم شطر حسبي
وفخرى : لأنه من بحبوبة نسبي وأشرف عشيرتى ٥

(١) البيتان في ديوان الحماسة ٣١٤/٢ ومعناها كل ما أملكه فهو
للضيف ، وليس يلهمني عنه ما يلهمي الناس ، وإنى لا أقصر على إطعامه ،
بل لا أزال أحدثه وأونسه حتى ينام ، والغزال المقنع أراد به ذا الوجه
الجميل .

(٢) ديوان الحماسة ١٤٣/١ وقد نسب هذا الشعر لرجل من بني
أسد قاله في يوم اليمامة ، وقد سبق لإيراد البيتين وتصحيحهما في صفحة
٣٨١ من القسم الأول من هذا الكتاب عند الكلام في « اختلاف صيغ
الألفاظ واتفاقها » .

(٣) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية شب عاقلاً أدبياً =

مُصَعَّبُ بْنُ الزُّبَيْرِ^(١) ، قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : رُوَيْدُكَ حَتَّى تَنْظُرِي
عَمَّ تَنْجَلِي . . . وَأَنْشُدَ الْبَيْتَ .

* * *

ومن هذا الباب قولُ عبد السلام بن رَغَبَانَ المعروف بِدِيكِ الْجَنِّ :
لَمَّا نَظَرْتِ إِلَىَّ عَنْ حَدَقِ الْمَهَا وَبَسَمْتِ عَنْ مُمْتَفِّحِ الثُّوَارِ
وَعَقَدْتِ بَيْنَ قَضِيبِ بَانٍ أَهْيَفٍ وَكَشِيبِ رَمْلِ عُمْدَةِ الزُّنَارِ
عَمَّرْتُ حُدَىي فِي الثَّرَى لَكَ طَائِعًا وَعَزَمْتُ فِيكَ عَلَى دُخُولِ النَّارِ
وهذه الأبياتُ لا تَجِدُ لها في الحِسنِ شريكًا ، ولأنَّ يَسَمَى فائِلُها شُحْرُورًا
أولى من أن يَسَمَى دِيكًا !
وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ :

لَا ، وَمَكَانِ الصَّلِيبِ فِي النَّحْرِ مِنْكَ وَجَرَى الزُّنَارِ فِي الْخَصْرِ
وَالْخَالِ فِي الْخَدِّ إِذَا شَبَّهَهُ وَرَدَّةٌ مِنْكَ عَلَى ثَرَى تَبْرِ
وَحَاجِبٍ مُدْخَلُهُ قَلَمُ الْحُسْنِ بِحَبْرِ الْبَهَاءِ لَا الْحَبْرِ
وَأَقْجُورَانِ بِفِيكَ مُنْتَظِمٍ عَلَى شَبِيهِ مِنْ رَائِقِ الْخَمْرِ
فالبيتُ الرَّابِعُ هو المَخْصُوصُ بِالِاسْتِعَارَةِ ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ هُوَ الثَّغْرُ وَالرَّيْقُ .

= حازما ، وخلف أباه على الملك ، فكان من أنبه حكام المسلمين ؛
استطاع قمع الثائرين على بني أمية ، وتقوية سلطانه في البلاد الإسلامية
وكانت وفاته سنة ٥٨٦ هـ .

(١) كان مصعب بن الزبير والياً على العراق من قبل أخيه عبد
الله بن الزبير حتى دهمته جيوش عبد الملك ؛ وقتلته سنة ٧٢ هـ .

ومما ورد لأبي تمام في هذا المعنى قوله (١) :

لما غدا مُظْلِمَ الأَخْشاءِ من أَشْرٍ أَسْكَنْتُ جانِحَتَيْهِ كَوْكَبًا يَقْدُ (٢)
فالكوكبُ استعارةٌ للرَّمحِ .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ في الاعتذار (٣) :

أَسْرَى طَرِيداً للحياءِ مِنَ التي زَعَمُوا وَلَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيدِ
وَغداً تَبَيَّنَ ما براءةِ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَقَضَتْ تَهَائِي وَبُجُودِي (٤)
والتهائمُ والنُّجُودُ هما استعارةٌ مِمَّا استعارَهُ من باطنِ أَمْرِهِ وظاهرِهِ .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ (٥) :

(١) ديوان أبي تمام ٩٩ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد
ابن يوسف الطائي ، ومطاعها :

يابعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصباية طول الدهر والسهد
(٢) الأشر البطر وكفر النعمة و الجانحة الضالع .

(٣) ديوان أبي تمام ٨٤ من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد
ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد ومطاعها :

أرأيت أي سوا الف و خلود عنت لنا بين اللوى فزرو

(٤) التهائم المنخفضات ، والنجود المرتفعات ، وبين هذا البيت والبيت

الذي قبله بيتان ، هما :

كنت الربيع أمامه ووراءه قمر القبائل خالد بن يزيد
فالغيث من زهر سحابة رافة والركن من شيبان طود حديد

(٥) ديوان أبي تمام ١١ من قصيدته في مدح المعتصم بالله أبي أسحاق

محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر فتح عمورية ، ومطاعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الحد واللعب

كَمْ أُحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً

تَهْتَرُ مِنْ قَضْبٍ تَهْتَرُ فِي كُتْبِ (١)

فَالْقَضْبُ وَالْكُتْبُ اسْتِعَارَةٌ لِلْقُدُودِ وَالْأُرْدَافِ .

وكذلك ورد في هذه القصيدة أيضاً عند ذكر ملك الروم وانهزامه لما

فُتِحَتْ مَدِينَةُ عَمُورِيَّةَ ، فقال :

إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوُّ الظَّلِيمِ فَقَدْ

أَوْسَعَتْ جَانِحَاهُمَا مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ (٢)

فَالْحَطْبُ اسْتِعَارَةٌ لِلْقَتْلِ .

وقبلَ هذا البيتِ ما يُدُلُّ عليه ، لأنَّه قال .

أَحْسَى قَرَأَيْدِنَهُ صِرْفَ الرَّدَى وَمَضَى

يَحْتُ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنْ الهَرَبِ (٣)

مُوكَلًّا بِيَفَاعِ الأَرْضِ بِشَرْفِهِ

مِنْ خِيفَةِ الخَوْفِ لِأَنَّ خِيفَةَ الطَّرَبِ (٤)

إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوُّ الظَّلِيمِ . . . البيت .

(١) قضب الهندي السيف ، مصلته مسلوقة .

(٢) الديوان ١١ ، والعدو الإسراع ، والظليم ذكر النعام ، والجاحم

شدة الحرارة .

(٣) في الأصل «أحذى» موضع «أحسى» و «يحتث» ، موضع «يحث»

والتصويب عن الديوان ومعنى أحسى سقى ، والحث السوق .

(٤) في الأصل «يشرفها» «موضع» «يشرفه» والتصويب عن

الديوان ، واليفاع العالي ، ويشرفه يعلوه .

وأحسنَ من هذا كله قوله^(١) :

تَطَلُّ الطَّلُوبُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتَمَثَّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارُ المَوَائِلُ^(٢)
دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرُّبُوعُ رُبُوعَهَا وَلَا رَرٌّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلٌ^(٣)
يُعْقِنَ مِنْ زَادِ العُقَاةِ إِذَا انْتَحَى عَلَى الحَىِّ صَرَفَ الأَزْمَةَ المَتَحَامِلُ^(٤)

فقوله : « زاد العُقَاة » استعارة ، طُوِيَّ فِيهَا ذِكْرُ المُسْتَعَارِ لَهُ ، وَهُوَ أَهْلُ الدِّيَارِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يُعَقِّنَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ زَادُ العُقَاةِ

ولهُ فِي الغَزَلِ مِنَ الاستعارةِ مَا بَلَغَ بِهِ غَايَةَ اللطَافَةِ والرَّقَةِ ، وَذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

* إِنَّ عَهْدًا لَوْ تَعَلَّمَانِ ذَمِيمًا^(٥) *

فقال :

قَدْ مَرَرْنَا بِالدَّارِ وَهِيَ خَلَاءٌ فبَكَيْنَا طُلُوبَهَا والرُّسُ— وَمَا

(١) ديوان أبي تمام ٢٥٥ من قصيدة له في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل وقلبك منها مدة الدهر أهل

(٢) تطل تسكب ، تمثّل به تقتله .

(٣) الأغفال القفار .

(٤) في الديوان تعفين بالتاء ، وفي الأصل « ضرب الأزمة » موضع « صرف الأزمة » والتصويب عن الديوان ، وبين هذا البيت والبيت الذى قبله بيت لم يذكره ابن الاثير ، وهو :

فقد سحبت فيه السحائب ذيلها وقد أحملت بالنور منها الخمائل

(٥) صلد بيت وعجزه :

* أن تناما عن ليلتى أو تنميا *

وهو مطلع قصيدة في مدح أبي سعيد، وقد قدم من مكة . الديوان ٢٩٠ .

وَسَأَلْنَا رُبُوعَهَا فَانصَرَفْنَا بِسِقَامٍ (١) وَمَا سَأَلْنَا حَكِيمًا
كُنْتُ أَرعى النُّجُومَ (٢) حَتَّى إِذَا مَا
فَارَقُونِي أَمَسَيْتُ أَرعى النُّجُومًا
والبيت الثالثُ هو المخصوصُ بالاستعارةِ .

* * *

وعلى هذا المنهاجِ ورد قولُ البحترى (٣) :
وَأغرَّ في الزَّمنِ البَهِيمِ مُحجَّلٍ قَدْ رُحِتُ مِنْهُ عَلَى أغرَّ مُحجَّلٍ
والأغرُّ المحجَّلُ الأولُ هو المدوح ؛ والأغرُّ المحجَّلُ الثاني هو الفرس
الذي أعطاه إِياءَ .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ (٤) :
وَصَاعِقَةٌ فِي كَفِّهِ تَنكُفِي بِهَا عَلَى أَرْؤُسِ الأَعْدَاءِ حَسَنُ سَحَابٍ (٥)
وهذا من النَّمطِ العالى الذى شغلت براءةُ معناه وحسُنُ سبكه عن النَّظرِ
إلى استعارته ، والمراد بالسَّحَابِ الحَسَنِ : الأصابعُ .

(١) فى الديوان « بشفاء » .

(٢) رواية الديوان « كنت أرى البدور » هذا البيت قبل البيتين السابقين
فى رواية الديوان .

(٣) ديوان البحترى ٢ / ٢١٧ من قصيدة فى مدح محمد بن على
ابن عيسى القمى الكاتب ، ومطلعها :

أهلا بذكلم الخيال المقليل فعل الذى نهواه أولم ينعل

(٤) ديوان البحترى ٢ / ٢١١ من قصيدة مطلعها :

هيبه لمنهل الدموع السواكب وهبات شوق فى حشاه لواعب

(٥) رواية الديوان « من نصله » موضع « فى كفه » ، والأقران موضع «

الأعداء .

وكذلك وَرَدَ فِي آيَاتِ الْحَمَاسَةِ :

دَكَ طَوْدَ الْكُفْرِ دَكًا صَاعِقٌ مِنْ وَقَعِ سَيْفِكَ
أَرْسَلْتَهُ خَمْسُ سُحُبٍ نَشَأَتْ مِنْ بَجْرِ كَفِّكَ

وكذلك ورد قوله في آياتٍ يصف فيها السيف :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ (١)

وهذا من الحُسنِ على ما يشهدُ لنفسه ، كأنه قال : حملتُ حوائله سيقاً
أخضَرَ الحديدِ كالبَقْلَةِ .

وعلى هذا الأسلوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ المَتَنَبِيِّ :

فِي الْخَلْدِ إِنْ عَزَمَ الْخَلَيْطُ رَجِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودَ مُحُولاً (٢)
وكذلك ، وَرَدَ قَوْلُهُ (٣) :

* يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْغَمٍ (٤) *

(١) آخر بيت في قصيدة البحري التي مطلعها :

أهلاً بذلك الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل
وقد تقدم بيت من هذه القصيدة في الصفحة السابقة .

(٢) ديوان المتنبي ٣/٢٣٢ وهو مطلع قصيدة في مدح بدر بن عمار
وذكر الأسد ، وقد أعجله فضر به بسوطة .

(٣) ديوان المتنبي ٣/٣٥٧ من قصيدته التي أولها :

إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعراً متمم

(٤) صدر البيت ، وعجزه :

* وعينيه من تحت التريكة أرقم *

والمفاضة الدرع الواسعة ، والضميغ الأسد ، والتريكة : البيضضة ،

تشبهاً بالتريكة وهي بيضة النعامة إذا إنفلقت وخرج الفرخ فتركت ،
والأرقم : ضرب من الحيات ، يقول : هؤلاء الفتيان الذين حوله كلهم =

وأحسنُ هذا قوله في قصيدته التي مطلعها (١) :

* عُنْبِي اليمِينِ عَلَى عُنْبِي الوَعْيِ نَدَمٌ (٢) *

وَأَصْبَحَتْ بِقُرْمِي هَنْزِيْطًا جَائِلَةً تَرَعَى الطُّبَابَ فِي خَصِيْبٍ نَبْتُهُ اللَّمْ (٣)
فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصْرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ (٤)
وَلَا هَزِيْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاءَ لَهَا مِنْ شِبْهَيْهَا حَشْمٌ (٥)
وهذا من المליحِ القادر، فالخُلدُ استعارةٌ لمن اختفى تحت التُّرابِ خائفًا ،

= أسد في شدته ، وأرقم في بسائته ، يمد في درعه يدي أسد ، قوة وشدة ويفتح من تحت تريكته عيني أرقم إقداما وشجاعة .

(١) ديوان المتنبي ١٥/٤ وقد أنشدها في ستة خمسين وأربعين وثلاثمائة ؛ وهي آخر قصيدة قالها محضرة سيف الدولة .

(٢) صدر المطلع ، وعجزه :

ماذا يزيدك في إقدامك القسم

والمعنى : من حلف على الطفر يندم لا محالة ، لأنه ربما لم يظفر ، وهذا إشارة إلى تكذيب البطريق الذي حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلقى سيف الدولة في بطارقه ، ففعل ، فخيّب الله ظنه .

(٣) هنزيط : من بلاد الروم أو الطبا : جمع ظبية ، ظبية السيف . والخصيب المكان الكثير النبات ، واللمم جمع لمة ، وهي ما ألم بالمتكبر من الشعر ، وجائلة تجول للغارة ، يقول : أصبحت الخيل بهذا المكان تجول للغارة والقتل ، والسيوف ترعى في مكان خصيب من رعوهم إلا أن نبتة الشعر .

(٤) الخلد : ضرب من الفأر ، ليست له عيون .

(٥) الهزير : الأسد واللبد جمع لبدة ، وهي ما على كتفي الأسد من شعره ، والمهاة بقرة الوحش ، والحشم الخدم ، وهي حاشية الإنسان العظيم .

والبازُ استعارةٌ لمن طارَ هارباً ، والهزْبُ والمهامةُ استعارتان للرجالِ المُقاتلةِ والنساءِ من السبائا .

ومن هذا الباب قوله (١) :

كلُّ جريحٍ تُرَجِي سَلامَتُهُ إلا جَريحاً دَهتُهُ عَيناهَا (٢)

تُبَلُّ خَدَيَّ كُلِّما ابْتَسَمْتُ من مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنائِها (٣)

والبيتُ الثاني من الأبياتِ الحِسانِ التي تُتَوَصَّفُ ؛ وقد حَسَّن الاستعارةَ التي فيه أَنَّهُ جاءَ ذِكرُ المَطَرِ مع البَرَقِ .

وبلغني عن أبي الفتح بن جني (٤) — رحمه الله — أَنَّهُ شرح ذلك في

(١) ديوان المتنبي ٤ / ٢٧١ من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة أبا

شجاع فناخسرو سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، ومطلعها :

أوة بديل من قوائى واهما لمن ذأت والبديل ذكراها

(٢) من دهته : أى أصابته بعينها ، لم ترج سلامته

(٣) قال الواحدى : قال ابن جنى : دل هذا البيت على أنها كانت

متكئة عليه ، وعلى غاية القرب منه .

وقال ابن فورجة : أظنها وقعت عليه تبكى ، فوقع دمعها عليه :

ومعنى البيت : إن دموعى كالمطر ، تبل خدى ، كلما ابتسمت بكيت ،

فكان دموعى مطر برقه بريق ثنائها ، أى كان بكائى فى حال ابتسامها

كقوله ظلت أبكى وتبتسم .

(٤) هو أبو الفتح عثمان بن جنى ، كان من حذاق أهل الأدب

وأعلمهم بعلم النحو والتصريف ، صنف فيهما كتاباً أبداع فيها كالحصائص

والمنصف وسر الصناعة ، وصنف كتاباً فى شرح القوائى وفى العروض

وفى المذكور والمؤنث إلى غير ذلك ، ولم يكن فى شىء من علومه أكمل

منه فى التصريف ، فإنه لم يصنف أحد فى التصريف ولا تكلم فيه أحسن

ولا أدق كلاماً منه ، وكان أبو « جنى » مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد =

كتابه الموسوم بالْمَفَسَّر (١) الَّذِي أُلْفَهُ فِي شَرْحِ شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ ؛ فَقَالَ : «إِنَّهَا كَانَتْ تَبْزُقُ فِي وَجْهِهِ» فَظَنَّ أَنَّ أبا الطَّيِّبِ أَرَادَ أَنَّهَا كَانَتْ تَبْسُمُ ، فَيَخْرُجُ الرِّيقُ مِنْ فِيهَا ، وَيَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَشَبَّهَهُ بِالْمَطْرِ .

وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَذْهَبُ وَهْمُهُ وَخَاطِرُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَهْمُ هَذَا الرَّجُلِ وَخَاطِرُهُ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تُشَدُّ إِلَيْهِ الرَّحَالُ ، فَمَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ ؟ لَكِنَّ فَنَّ النِّصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ غَيْرُ فَنَّ النَّجْوِ وَالإِعْرَابِ !!
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الشَّرِيفِ الرِّضِيِّ (٢) :

إِذَا أَنْتَ أَفْنَيْتَ الْعَرَانِينَ وَالذَّرَا
رَمَتَكَ اللَّيَالِي مِنْ يَدِ الْخَامِلِ الْغَمْرِ
وَهَبَكَ أَتَمَّيْتَ السَّهْمَ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى

فَنَنْ لِيَدِ تَرْمِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَنْدَرِي (٣)
فَالْعَرَانِينَ وَالذَّرَاهَا عِظَاءُ النَّاسِ ، وَأَشْرَافُهُمْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَفْنَيْتَ
عِظَاءَ النَّاسِ رُمِيَتْ مِنْ يَدِ الْخَامِلِ .



= الأزدى ، وكان يقول الشعر ويجيده ، ودرس النحو ببغداد ، وتوفي ابن جنى يوم الجمعة ليلتين بقيتا من شهر صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة في خلافة القادر .

(١) لابن جنى كتاب كبير في تفسير ديوان المتنبي ، وهو ألف ورقة ونيف ، وكتاب آخر في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة - وانظر معجم الأدباء لياقوت ١٢ / ١١٠ .

(٢) الشريف الرضي هو أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي نقيب أشرف بغداد ، وأشعر بني هاشم ، توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) ديوان الشريف الرضي ١ / ٤٠٧ .

وإذ قد بينت أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له ؛ فإنها لا تحي إلا ملائمة مناسبة ، ولا يوجد فيها مبانة ولا تباعد ، لأنها لا تُذكر مطوية إلا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له ، ولو طويت ولم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعمّر فهمها ، ولم يكن المراد منها .

* * *

ورأيتُ أبا مُحَمَّدٍ عبدَ الله بن سنان الخفاجيّ — رحمه الله تعالى — قد خَطَطَ الاستعارة بالتشبيه المضمَرِ الأداة ، ولم يفرّق ، بينهما وتأسى في ذلك بغيره من علماء البيان ، كأبي هلال العسكري^(١) ، والغامّي^(٢) ، وأبي القاسم الحسَن بن بشر الأمدى .

على أن أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى كان أثبتَ القومَ قَدَمًا في فنِّ النصحَةِ والبلاغة ، وكتابهُ المسمّى بـ « الموازنة بين شعر الطائيين »

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، أبو هلال العسكري ، صاحب الصناعتين ، وكان مشهورا بالعلم والفقه ، والغالب عليه الأدب والشعر ، وله من التصانيف : التلخيص في اللغة ، جمهرة الأمثال ، شرح الحماسة ، لحن الخاصة ، الأوائل . . وغير ذلك ، قال ياقوت : ولم يبلغني شيء عن وفاته إلا أنه فرغ من إتمام كتابه « الأوائل » لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وللدكتور بدوى طبانة أحد محققى هذا الكتاب دراسة مفصلة في أبي هلال وبلاغته ونقده ، طبع بالقاهرة سنة ١٩٥١ م وطبعة أخرى سنة ١٩٦٠ تحت عنوان « أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » .

(٢) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامّي ، كان من فضلاء عصره ، وشعره مشهور ، وهو من شعراء نظام الملك .

يشهدُ له بذلك ، وما أعلمُ كيف خفيَ عليه الفرقُ بين الاستعارةِ والتشبيهِ
المضمرِ الأداةِ ؟!

ومما أوردَهُ ابنُ سنانٍ في كتابه الموسومِ بـ «سرِّ الفصاحةِ» قولُ امرئِ
القيسِ في صِفَةِ اللَّيْلِ :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَكْلِكِ

وهذا البيتُ من التشبيهِ المضمرِ الأداةِ ، لأنَّ المستعارَ له مذكورٌ ، وهو
اللَّيْلِ ، وعلى الخطأِ في خلطِهِ بالاستعارةِ ، فإنَّ ابنَ سنانٍ أخطأَ في الرَّدِّ على
الآمديِّ ؛ ولم يُوفقِ للصوابِ .

وأنا أتكلّمُ على ما ذكرهُ ، ولا أضايقه في الاستعارةِ والتشبيهِ ؛ بل أنزلُ
معهُ على مارآةٍ من أنه استعارةٌ ، ثمَّ أُبينُ فسادَ ما ذهبَ إليه .

وذاك أنَّ آمديَّ قالَ في كتابه «الموازنة» ، «إنَّ امرأَ القيسِ وَصَفَ
أحوالَ اللَّيْلِ الطويلِ ، فذكرَ امتدادَ وَسَطِهِ ! وتناقلَ صدره ، وترادفَ أَعْجَازِهِ
فمما جعلَ له وَسَطًا مُمتدًّا ، وصدراً ثقيلاً ، وأَعْجَازًا رَاقِدَةً لوسَطِهِ ، استعارَ له
اسمَ (الصُّلبِ) وجعله متمطياً من أجلِّ امتدادِهِ ؛ واسمَ (الككَلِكِ) وجعله
نائباً لتناقلِهِ ، واسمَ (العَجَزِ) من أجلِّ نهوضِهِ (١) .»

(١) تصرف ابن الأثير في نقل كلام الآمدي ، وهذا نصه نقلا عن
الموازنة (٢١٤) : وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات
المعاني ولا المجازات ، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو
إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل ، فذكر امتداده وسطه ، وتناقل
صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه وأواخره شيئا فشيئا ،
وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما
يكون على من يراعيه ويتقرب تصرّمه ، فلما جعل له وسطا يمتد ، وأعجازه =

فقال ابنُ سنان الخفاجيُّ معترضاً عليه : « إنَّ هذا الذي ذكره الأمدِيُّ ليسَ بِمَرَضِيٍّ غايةَ الرِّضا . وإنَّ بيتَ امرئِ القيسِ » ليسَ من الاستعارةِ الجيِّدةِ ولا الرديئةِ . بل هو وَسَطٌ . فإنَّ الأمدِيَّ قد أفصحَ بأنَّ امرأَ القيسِ لما جعلَ لِلَّيْلِ وسطاً ممتداً استعارَ لهُ (الصُّلبُ) وجعله مُتمطِّياً من أجل امتداده . وحيثُ جعلَ له آخراً وأوَّلاً استعارَ له عَجْزاً وَكَلْكَلاً . وهذا كله إنما يحسُنُ بَعْضُهُ مع بعضٍ ؛ فذكرُ الصُّلبِ إنما يحسُنُ من أجل العجزِ والوسطِ ؛ والتمطُّيُّ من أجلِ الصُّلبِ ؛ والكلكلُ لمجموع ذلك ؛ وهذه استعارةٌ مبنيةٌ على استعارةٍ أُخرى « (١) .

= رادفة للوسط ، وصدرا متناقلا في نهوضه ، حسن أن يستعير للوسط اسم الصاب ، وجعله متمطيا من أجل امتداده ، لأن تمطى وتمدد بمنزلة واحدة ، وصلاح أن يستعير للصدر اسم الكلكل ، من أجل نهوضه ، وهذا أقرب الاستعارات من الحقيقة ، وأشد ملاءمة لما استعيرت له .

(١) تصرف ابن الأثير أيضا في نقل كلام الخفاجي ، وهذا نصه نقلا عن سرالفصاحة (١٢٩) : (وهذا الذي قاله أبو القاسم لأرضي به غاية الرضا ، ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل بقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ، وسلامة نظره ، وصفاء ذهنه ، وسعة علمه ، لكنني أغلب الحق عليه ، ولا أتبع الهوى فيما يذهب إليه . وبيت امرئ القيس عندى ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها ، بل هو من الوسط بينهما . وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصاب ، وجعله متمطيا من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض ، فذكر الصلب إنما حسن لأجل العجز ، والوسط والتمطى لأجل الصلب ، والكلكل لمجموع ذلك ، وهذه الاستعارة المبنية على غيرها ، فإذلك لم أر أن أجعلها من أباغ الاستعارات ، وأجدرها بالحمد والوصف .

هذا حكايةٌ كلامه في الاعتراضِ على الأمدى .

وفيه نظرٌ من وجهين :

الأول : أنه قالَ هذا بيتٌ من الاستعارةِ الوُسْطى التي ليستُ بجيدةٍ ولا رديئةٍ . ثم جعلها استعارةً مبنيةً على استعارةٍ أُخرى . وعنده أن الاستعارةَ المبنيةَ على الاستعارةِ من أبعادِ الاستعارات .

وذلكَ أنه قَسَمَ الاستعارةَ إلى قسمين : قريبِ مختار . وبعيدِ مُطْرَح .

فالقريبُ المختارُ : ما كانَ بينه وبينَ ما استُعيرَ له تناسبٌ قوياً .
وشبّه واضح .

والبعيدُ المُطْرَحُ . إما أن يكونَ لبعدهِ مما استُعيرَ له في الأصل . أو لأنه استعارةٌ مبنيةٌ على استعارةٍ أُخرى . فيضمُنُ لذلك .

هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجي في تقسيمِ الاستعارةِ .

وإذا كانتِ الاستعارةُ المبنيةُ على استعارةٍ أُخرى عنده بعيدةً مُطْرَحة . فكيفَ جعلها وَسَطًا ؟ هذا تناقضٌ في القول !

الوجهُ الثاني . أنه لم يأخذ على الأمدى في موضعِ الأخذ . لأنه لم يَحْتَزْ إلا ما حَسُنَ اختيارُهُ .

وذلكَ أن حَدَّ الاستعارةِ على ما رآه الأمدى وابنُ سنانٍ . هو نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ . بسببِ مشاركةٍ بينهما . وإن كانَ المذهبُ الصحيحُ في حَدِّ الاستعارةِ غيرَ ذلكَ على ما تقدّمَ الكلامُ عليه .

ولكنِّي في هذا الموضعِ أنزلُ معهما على ما رأياه . حتى يتوجهَ الكلامُ على الحكمِ بينهما في بيتِ امرئ القيسِ .

وإذ حَدَدْنَا الاستعارةَ بهذا الحدِّ فيه يفرِّقُ على رأى ابن سنان بين

الاستعارة المرصية والاستعارة المطرحة . فإذا وجدنا استعارة في كلام ماعرَضناها على هذا الحد . فما وجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول إليه حكمنا له بالجوذة . وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة .

وبيتُ امرئ القيس من الاستعارات المرصية . لأنه لو لم يكن للنيل صدرٌ . أعني أولاً . ولم يكن له وسطٌ وآخر لما حسنت هذه الاستعارة .

ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صلباً . وجعله متمطياً . واستعار لصدره المتشاقل — أعني أوّله — كذلكاً ؛ وجعله نائماً ؛ واستعار لآخره عجزاً ؛ وجعله رادفاً لوسطه ؛ وكل ذلك من الاستعارات المناسبة .

وأما قولُ ابن سنان الخفاجي : « إن الاستعارة المبيّية على استعارة أخرى بعيدة مطرحة » فإن في هذا القول نظراً .

وذلك أنه قد ثبت لنا أصلُ نقيس عليه في الفرق بين الاستعارة المرصية والمطرحة ؛ كما أريناك ، ولا يمنع ذلك من أن تجيء استعارة مبيّية على استعارة أخرى ، وتوجد فيها المناسبة المطلوبة في الاستعارة المرصية ؛ فإنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس ؛ وهو قوله تعالى . « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ » (١) .

فهذه ثلاث استعارات يبنى بعضها على بعض :

فالأولى : استعارة القرية للأهل .

والثانية : استعارة الذوق للباس .

(١) سورة النحل الآية ١١٢ .

والثالثة : استعارة اللباس للجوع والخوف .

وهذه الاستعارات الثلاث من التناسب على ما لا خفاء به .

فكيف يدّم ابن سنان الخفاجي الاستعارة المبنية على استعارة أخرى؟
وما أقول إن ذلك شدّ عنه ، إلا لأنه لم ينظر إلى الأصل المقيس عليه ؛ وهو
التناسب بين المنقول عنه والمنقول إليه ؛ بل نظر إلى التقسيم الذي هو قسمه
في القرب أو البعد ؛ ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى تكون
بعيدة . فحكم عليها بالاطّراح .

وإذا كان الأصل إما هو التناسب فلا فرق بين أن يوجد في استعارة

واحدة : أو في استعارة مبنية على استعارة .

ولهذا أشباهه ونظائر في غير الاستعارة .

ألا ترى أن المنطقي يقول في المقدمة والنتيجة : كل إنسان حيوان ؛ وكل

حيوان نائم ؛ فكل إنسان نائم ؟

وكذلك يقول المهندس : في بعض الأشكال الهندسية : إذا كان خطّ

(ا ب) مثل خطّ (ب ج) وخطّ (ب ج) مثل خطّ (ج د) فخطّ (ا ب)

مثل خطّ (ج د) ؟

وهكذا أقول أنا في الاستعارة : إذا كانت الاستعارة الأولى مناسبة ؛

ثم بُني عليها استعارة ثانية ، وكانت أيضاً مناسبة ؛ فالجميع متناسب ؛ وهذا

أمر برهاني ؛ لا يتصور إنكاره .

وهذا الكلام الذي أوردته ها هنا هو اعتراض على ما ذكره ابن سنان

الخفاجي في الاستعارة ؛ فلا تظن أني موافقه في الأصل ؛ وإنما وافقته قسداً

لتبيين وجه الخطأ في كلامه ، وكيف يسوغ لي موافقته ، وقد ثبتت عندي

بالدليل أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له ؟

وفيما قدمته من الكلام كفاية .

النوع الثاني

في التشبيه

وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتشليل ، وجعلوا لهذا باباً مفرداً ؛ ولهذا باباً مفرداً ؛ وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ؛ يقال : شبهتُ هذا الشيء بهذا الشيء ؛ كما يقال : مثلتهُ به .

وما أعلمُ كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه ؟
وكنتُ قدّمتُ القول في باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه وبينها ، ولا حاجة إلى إعادته هاهنا مرة ثانية .

والتشبيه ينقسم قسمين : مظهرًا ومضمراً .
وفي المضمّر إشكالٌ في تقدير أداة التشبيه فيه في بعض المواضع .
وهو ينقسم أقسامًا خمسة :

فالأول : يقع موقع المبتدأ والخبر مفردين .
والثاني : يقع موقع المبتدأ المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف إليه .

والثالث : يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين

والرابع : يرد على وجه الفعل والفاعل .

والخامس : يرد على وجه المثل المضروب .

وهذان القسمان الأخيران هما أشكال الأقسام الخمسة في تقدير أداة التشبيه .

أما الأول فمكتولنا: (زيدٌ أسدٌ) فهذا مبتدأٌ وخبرُهُ ، وإذا قدّرت أداة التشبيه فيه كان ذلك ببديهةِ النَّظرِ على الفورِ ؛ فقيل : زيدٌ كالأسدِ .

وأما التسمُّ الثاني والثالثُ فإنهما متوسّطان في تقدير أداة التشبيه فيهما .

فإثني كقول النبي صلى الله عليه وسلم (الكمأةُ جُدريُّ الأرضِ) وهذا ينمّوع نوعين ؛ فإذا كان المضافُ إليه معرفةً كهذا الخبرِ النبويُّ لا يحتاجُ في تقدير أداة التشبيه إلى تقديم المضافِ إليه ؛ بل إن شئنا قدّمناه ، وإن شئنا أخرناه قلنا : الكمأةُ للأرضِ كالجدريِّ ؛ أو الكمأةُ كالجدريِّ للأرضِ ؛ وإذا كان المضافُ إليه نكرةً فلا بدَّ من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه ؛ فإن ذلك قول البُحترى^(١) :

غَمَامٌ سَمَاحٌ لَا يَغِيبُ لَهُ حَيًّا وَمِسْعَرٌ حَرَبٌ لَا يَضِيعُ لَهُ وَتَرٌ^(٢)
فإذا قدّرنا أداة التشبيه هاهنا قلنا . سَمَاحٌ كَالنَّهَامِ ؛ وَلَا يَقْدَرُ إِلَّا هَكَذَا ،
والمبتدأُ في هذا البيتِ محذوفٌ ؛ وهو الإشارةُ إلى الممدوح ؛ كأنه قال . هو
غَمَامٌ سَمَاحٌ .

ومن هذا النوع ما يشكّلُ تقديرُهُ أداة التشبيه فيه ؛ عل غيرِ العارفِ بهذا الفنِّ ؛ كقولِ أبي تمام :
أَيُّ مَرَعَى عَيْنٍ وَوَادِي نَسِيبٍ كَلْبَتُهُ الْأَيَّامُ فِي مَا حُوبٍ^(٣)

(١) ديوان البُحترى ١ / ٥٤ من قصيدة يمدح فيها المتوكل ، ومطامعها :

متى لاح برق أوبدا ظلل قفر جرى مستهل لا بكى ولا نزر

(٢) في الأصل يجب بالخاء المهملة ، وهو تحريف ، وفي الديوان

ما يغيب « وما يضيع » .

(٣) ديوان أبي تمام ٣٦ والبيت مطلع قصيدة له في مدح سليمان بن

وهب . قال الصولي : ويرويه قوم « أي مرعى عين » بكسر العين ، وهو =

ومراد أبي تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسناً؛ ثم زال عنه
حُسْنُهُ؛ فقال بأن العين كانت تلتذ بالنظر إليه كالتذاز السائمة بالمرعى؛ فإنه
كان يشبَّب به في الأشعارِ لحُسْنِهِ وطِيبِهِ:

وإذا قدرنا أداة التشبيه هاهنا قلنا. كأنه كان للعينِ مرعى؛ وللتشبيهِ
نزلاً ومألفاً.

وإذا جاء شيء من الأبيات الشعرية على هذا الأسلوب؛ أو ما يجري مجراه
فإنه يحتاج إلى عارفٍ بوضعِ أداة التشبيه فيه.

وأما الثالثُ فكقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وهل يكبُّ الناسَ على
مناخِرِهِم في نارِ جهنَّمَ إلا حَصَّاءُ أَلْسِنَتِهِمْ» كأنه قال: كلامُ الألسنةِ
كحصائدِ المناجِلِ.

وهذا القسمُ لا يكون المشبَّه به مذكوراً فيه؛ بل تُذكَرُ صِفَتُهُ؛ ألا ترى
أنَّ المنجَل لم يذكَّرْ هاهنا؛ وإنما ذكَّرتْ صِفَتُهُ وهي الحَصْدُ. وكلُّ ما يجيء
من هذا القسمِ فإنه لا يردُّ إلاً كذلك.

وأما القسمُ الرابعُ والخامسُ اللذان هما أشكالُ الأقسامِ المذكورةِ في تقدير
أداة التشبيه فيهما فإنهما، لا يتفطن لهما أنهما تشبيه.

= تصحيف، إنما يريد «مرعى عين» بفتح العين، جعل نظرها إلى الحسان
رعيا لها، ويروى من ملحوب، وقوله «وادي نسيب» أي كان هذا الوادي
فيه أهل يستحقون أن يقال فيهم النسيب، وملحوب اسم موضع،
وتردده في الشعر كثير، واجبته من شدد الحاء فهو من قولهم «لحبت
القتيل» إذا صرعته، وقال قوم: لحبه إذا قطعه بالسيف، وقيل معنى
لحبه أي ألقاه على الطريق الواضح، وهو اللاحِب، ومن روى لِحِبته
بالتخفيف فهو من القشر، يقال لِحِب اللحم إذا قشره — وانظر ديوان
أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١/١٢٢.

فَمَا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ » (١) وَتَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ: هُمْ فِي إِيمَانِهِمْ كَالْتَبَوَّءِ دَارًا؛ أَيْ أَهْمُ قَدْ اتَّخَذُوا الْإِيمَانَ مَسْكَنًا يَسْكُنُونَهُ؛ يَصِفُ بِذَلِكَ تَمَكَّنَهُمْ مِنْهُ .

وعلى هذا ورد قول أبي تمام .

نَطَقَتْ مُقَلَّةُ الْفَتَى الْمَلْهُوفِ فَنَشَكَّتْ بِفَيْضِ دَمْعِ ذُرُوفِ (٢)

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقْدِّرَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ هَاهُنَا قُلْنَا . دَمْعُ الْعَيْنِ كَنَطَقِ اللِّسَانِ ، أَوْ قُلْنَا: الْعَيْنُ الْبَاكِيَةُ كَأَنَّمَا تَنْطَقُ بِمَا فِي الضَّمِيرِ .

وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ فَكَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ (٣) يَهْجُو جَرِيرًا (٤) .

(١) سورة الحشر: الآية ٩ .

(٢) ديوان أبي تمام ٤٠٤ مطلع قصيدة له في ابن أبي سعيد يعاتبه .

(٣) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، أحد فحول الشعراء الأمويين ، نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويعالجه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاية العراق ، يمدحهم ويهجوهم ، ورحل إلى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم وله مع جرير نقائص تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام ، ويمتاز شعر الفرزدق بخشونه الألفاظ ، ووعورة المعاني ، والميل إلى الفخر في هجائه ، والفحش في غزله ، وقدمات سنة ١١٤ هـ .

(٤) ينتسب أبو حذرة جرير بن عطية بن الخطفي إلى يربوع من تميم ، كما ينتسب الفرزدق إلى دارم بن تميم كذلك ، وقد ولد باليمامة ، ونشأ في البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ، ويتكسب به لدى الولاية والخلفاء ، حتى اشتبك مع الفرزدق في المهاجى والتساب ، لعوامل سياسية واجتماعية ، ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ .

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ (١)
 فَشَبَّهَ هِجَاءَ جَرِيرٍ تَغْلِبَ وَائِلٍ بِيَوَلِهِ فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ؛ فَكَمَا أَنَّ الْبَوَلِ
 فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ لَا يُوَثِّرُ شَيْئًا؛ فَكَذَلِكَ هِجَاؤُكَ هُوَ لَا يُوَثِّرُ شَيْئًا.
 وَهَذَا الْبَيْتُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي أَقْرَأَهَا (٢) النَّاسُ بِالْحُسْنِ
 وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضًا (٣) :

قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيُفْعَمُ
 فَإِنَّ شَبَّهَ الْقَوَارِصَ الَّتِي تَأْتِيَهُ مُحْتَقِرَةً بِالْقَطْرِ الَّذِي يَمَلَأُ الْإِنَاءَ عَلَى صِفَرٍ
 مَقْدَارِهِ، يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ السَّكْرَةَ تَجْعَلُ الصَّغِيرَ مِنَ الْأَمْرِ كَبِيرًا.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُشْكَكُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ؛ وَيَخْلَطُونَهُ بِالِاسْتِعَارَةِ؛
 كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ فِي التَّعْزِيَةِ بَوْلِدٍ (٤) :

(١) ديوان الفرزدق ٢/ ٨٨٢ وهذا البيت ثاني أبيات قصيدته التي أولها :
 يَا بَيْنَ الْمِرَاغَةِ وَالْهَجَاءِ إِذَا التَقْتِ أَعْنَاقَهُ وَتَمَاحِكُ الْخِصْيَانِ
 وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَذْكَرُ الْفَرَزْدَقُ تَفْضِيلَ الْأَحْطَلِ إِيَّاهُ ، وَيَمْدَحُ بَنِي
 تَغْلِبَ ، وَيُهْجُو جَرِيرًا .

(٢) فِي الْأَصْلِ « الَّذِي أَقْرَأَهُ .. » .

(٣) ديوان الفرزدق ٢/ ٧٥٦ ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ لِمَا هَرَبَ مِنْ زِيَادِ
 ابْنِ أَبِيهِ نَزَلَ بِالرُّوحَاءِ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ
 الْفَرَزْدَقُ :

تَصْرَمُ عَنِّي وَدَبْكَرُ بْنُ وَائِلٍ وَمَا كَانَ عَنِّي وَدْهَمُ يَتَصْرَمُ
 قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي فَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْأَتَى فَيُفْعَمُ
 وَمَعْنَى الْأَتَى الْجُدُولُ .

(٤) ديوان البحتري ٢/ ٥٢٤ والبيت من قصيدة له في رثاء ابن أبي الحسن
 ابن عبد الملك بن صالح الهاشمي ، ومطلعها :

لَأَيَّةِ حَالٍ أَعْلَنَ الْوَجْدَ كَاتِمَهُ وَأَقْصَرَ عَنِ الدَّاعِي الصَّبَابَةَ لِأَمَّةِ

تَمَزَّ فَإِنَّ السَّيْفَ يَمْضِي وَإِنْ وَهَتْ
حَمَائِلُهُ عَنْهُ وَخَلَّاهُ قَائِمُهُ

وهذا ليس من التشبيه ، وإنما هو استعارة ، لأنَّ المستعار له مطوىُّ
الذِّكْر ، وهو المَمْزَى ، كأنه قال : تمزَّ فَإِنَّكَ كالسيفِ الذي يَمْضِي وَإِنْ
وَهَتْ حَمَائِلُهُ وَخَلَّاهُ قَائِمُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّكَ قَدَّمْتَ الْقَوْلَ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ بِأَنَّ التَّشْبِيهَ الْمَضْمَرِ
الْأَدَاةَ يَحْسُنُ تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ، وَالْإِسْتِعَارَةَ لَا يَحْسُنُ تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ
فِيهَا ، وَجَعَلْتَ ذَلِكَ هُوَ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ ،
وَقَرَّرْتَ ذَلِكَ تَقْرِيراً طَوِيلاً عَرِيضاً ، ثُمَّ نَزَّكَ قَدْ نَقَضْتَهُ هَاهُنَا بِقَوْلِكَ :
إِنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ مَا يُشَكِّلُ تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ، وَإِنِ
يَحْتَاجُ فِي تَقْدِيرِهَا إِلَى نَظَرٍ كَهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ لِلْفَرَزْدَقِ ، وَمَا
يَجْرِي مَجْرَاهُمَا .

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّي أَقُولُ : هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ لَا يَنْقُضُ عَلَى شَيْئًا
مِمَّا قَدَّمْتَ الْقَوْلَ فِيهِ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ ، لِأَنَّي قُلْتُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ الْمَضْمَرِ
الْأَدَاةَ يَحْسُنُ تَقْدِيرُ الْأَدَاةِ فِيهِ ، أَيْ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَقْدِيرِهَا فِيهِ عَنْ صِفَتِهِ الَّتِي
اتَّصَفَ بِهَا مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْإِسْتِعَارَةُ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا
قَدَّرْتَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ فِيهَا تَغَيَّرَتْ عَنْ صِفَتِهَا الَّتِي اتَّصَفَتْ بِهَا مِنْ فَصَاحَةٍ
وَبَلَاغَةٍ .

وَأَمَّا الَّذِي وَرَدَ هَاهُنَا مِنْ بَيْتِي الْفَرَزْدَقِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا مِنَ التَّشْبِيهِ
الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ فَإِنَّ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ لَا تَتَقَدَّرُ فِيهِ ، وَهُوَ عَلَى حَالَتِهِ مِنَ اللَّغْظِ ؛
حَتَّى تَدْبِثِينَ هَلْ تَغَيَّرَتْ صِفَتُهُ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ أَمْ لَا ؟ وَإِنَّمَا

تتقدّر أداة التشبيه فيه على وجهٍ آخر ، وهذا لا ينتقض ما أشرتُ إليه في باب الاستعارة .

* * *

وإذا ثبتت هذه الأقسام الأربعة فأقول : إن التشبيه المضمّر أبلغ من التشبيه المظهر وأَوْجَز .

أما كونه أبلغَ فالجمل المشبه مشبهاً به من غير واسطة أداةٍ ، فيكون هو إياه ، فإنك إذا قلت : « زيدٌ أسدٌ » كنتَ قد جعلته أسداً من غير إظهار أداة التشبيه .

وأما كونه أَوْجَز ، فلحذف أداة التشبيه منه .

وعلى هذا فإن التسمين من المظهر والمضمّر كليهما في فضيلة البيان سواءً ، فإن الفرض المقصود من قولنا « زيدٌ أسدٌ » أن يتبين حالُ زيدٍ في اتصافه بشهامة النفس ، وقُوّة البطش ، وجراءة الإقدام ، وغير ذلك مما يجزى مجراه ؛ إلا أننا لم نجد شيئاً ندكُّ به عليه سوى أن جعلناه شيئاً بالأسد ، حيث كانت هذه الصفات مختصةً به ؛ فصار ما قصدناه من هذا القول أكتشف وأبين من أن لو قلنا : زيدٌ شهمٌ ، شجاعٌ ، قوى البطش ، جرى الجنان ، وأشبه ذلك ؛ لما قد عُرف وعُهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به — أعنى الأسد — وأما زيد الذي هو المشبه فليس معروفاً بها ، وإن كانت موجودة فيه .

وكلا هذين التسمين أيضاً يختصُّ بفضيلة الإيجاز ، وإن كان المضمّر أَوْجَز من المظهر ؛ لأن قولنا « زيدٌ أسدٌ » أو « كالأسد » يسد مسدّ قولنا : زيدٌ من حاله كَيْتَ وكَيْتَ ؛ وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا ؛ مما يطول ذكره .

فالتشبيه إذاً يجمعُ صفاتٍ ثلاثة ؛ هي : المبالغة ؛ والبيان ؛ والإيجاز ؛ كما
أرى يتك ؛ إلا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعرُ المذهب ؛ وهو مقتل
من مقاتلِ البلاغة .

وسببُ ذلك أن حملَ الشيء على الشيء بالمائلة إما صورة ؛ وإما معنى
يعزُّ صوابه ؛ وتعسرُ الإجادة فيه ؛ وقلمًا أكثر منه أحدٌ إلا عثر ؛ كما فعل
ابن المعتز^(١) من أدباء العراق ؛ وابنُ وكيع^(٢) من أدباء مصر ؛ فإيهما

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٩ هـ ،
وقد نشأ وتربى تربية الخفاء ، وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره ، وأولع
بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويغ عبد الله هذا
بالخلافة ، ولكن جند المقتدر والأتراك حملوا على دار ابن المعتز ، وقتلوا
أصحابه حتى هزموهم ؛ وقبضوا على الخليفة ، وقتلوه أول ليلة من حكمه
سنة ٢٩٦ هـ ، وقد برع في الشعر لاسيما الأوصاف ، ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة
الأسلوب ، وهو صاحب كتاب البديع الذي يعد أول كتاب في البلاغة العربية وغيره .
(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي ... الضبي المعروف بابن وكيع
التنيسي الشاعر المشهور .

أصله : من بغداد ، ومولده بتنيس ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة
الدهر ، وقال في حقه : شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع في إبانه على أهل
زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام . وتستعبد
الأفهام . وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بين فيه سرقات أبي الطيب المتنبي ،
سماه « المنصف » وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة
ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي
بنيت له بها ، ووكيع لقب جده أبي بكر محمد بن خلف ، وكان
فاضلا نبيلًا فصيحًا ، من أهل القرآن وانتمه والنحو والسير وأيام الناس
وأخبارهم . وله مصنفات كثيرة — انظر وفيات الأعيان ٤ / ٢٢٨
طبعة دار المأمون — (القاهرة) .

أكثرًا من ذلك لاسيما في وصف الرياض والأشجار والأزهار والثمار ؛
لاجرم أنهما أتيا بالفتى البارد الذي لا يثبت على محك الصواب .
فعليك أن تتوقى ما أشرت إليه .

* * *

فائدة التشبيه :

وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما
تقصده به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به ؛ أو بمعناه . وذلك أو كد
في طرفي الترغيب فيه ؛ أو التنفير عنه .

الأتري أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك
مُثَبِّتًا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها .

وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقيح منها كان ذلك مُثَبِّتًا في النفس
خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها ؛ وهذا لا نزاع فيه .

ولنضرب له مثالًا بوضوحه فنقول : قد ورد عن ابن الرومي^(١) في مدح
العسل وذمه بيت من الشعر ، وهو :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تعب قلت : ذا قى الزنابير^(٢)

(١) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد ، وعاش فيها متأثرًا
بمزاجه اليوناني ، وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة في
الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء في أسلوب
جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر ، وخاصة الوصف والهجاء ، توفي ابن
الرومي سنة ٢٨٣ هـ .

(٢) هذا البيت ثاني أبيات ثلاثة ، وهذه هي مرتبة :

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير =

ألا ترى كيف مدح وذمّ الشيء الواحد بتصريف التشبيه المجازي
 المضمر الأداة الذي خيل به إلى السامع خيالاً يحسن الشيء عنده تارةً ويقبحه
 أخرى؟ ولولا التوصل بطريق التشبيه على الوجه لما أمكنه ذلك؟
 وهذا المثال كافي فيما أردناه .

* * *

واعلم أنّ من محاسن التشبيه أن يجيء مصدرياً ؛ كقولنا : أقدم إقدام
 الأسد ، وفاض فيض البحر . وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه كقول
 أبي نواس في وصف الخمر (١) :

ثمّ لما مزجوها وثبتت ونبّ الجراد (٢)
 ثمّ لما شربوها أخذت الرقاد (٣)

* * *

وقيل : إنّ من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر
 منه وأعظم .

= تقول دله مجاج النحل تمدحه وإن تدم فقل خرم الزنابير
 مدحا وذما جاوزت وصفهما حسن البيان يرى الظلماء كالنور
 والمجاج الربق ترميه من فيك ، والعسل وقد يقال نه مجاج
 النحل .

- (١) ديوان أبي نواس ٢٦٥ من قصيدة خميرية له أولها :
 استقنيها بسواد قبل تغريد المنادى
 (٢) في الأصل « وإذا ما مزجوها » موضع « ثم لما مزجوها والتصويب
 عن الديوان .
 (٣) في الأصل « وإذا ما شربوها » موضع « ثم لما شربوها » والتصويب
 عن الديوان .

وَمِنْ هَاهُنَا غَلَطَ بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي ذِكْرِ حَصْنٍ مِنْ حِصُونِ الْجِبَالِ مُشَبَّهًا لَهُ . فَقَالَ . « هَامَةٌ . عَلَيْهَا مِنَ الْعِمَامَةِ عِمَامَةٌ . وَأَنْمَلَةٌ . خَضِبَهَا الْأَصِيلُ . فَكَانَ الْهَلَالُ مِنْهَا قَلَامَةٌ » .

وهذا الكاتبُ حَفِظَ شَيْئًا ، وَغَابَتْ عَنْهُ أَشْيَاءُ !!
فإنه أخطأ في قوله « أَنْمَلَةٌ » وأتى مقدارًا للأَنْمَلَةِ بالنسبة إلى تشبيهِ حَصْنٍ على رأسِ جَبَلٍ ؟
وأصاب في المناسِبةِ بين ذكرِ الأَنْمَلَةِ والقَلَامَةِ ، وتشبيهها بالهلالِ .

فان قيل :

إن هذا الكاتبُ تَأَسَّى فِيمَا ذَكَرَهُ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ : « اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ »^(١) فَثَلَّ نُورَهُ بِطَاقَةٍ فِيهَا ذُبَالَةٌ .

وقال الله تعالى : « وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مِنْ أَنْزَلِ حَتَّى عَادَ كَالْمُرْجُونِ الْقَدِيمِ »^(٢)
فثَلَّ الْهَلَالَ بِأَصْلِ عَذْقِ النَّخْلَةِ .

فالجواب عن ذلك اني اقول :

أَمَا تَمَثِيلُ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى بِمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فَإِنَّ هَذَا مِثَالٌ ضَرَبَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : « يَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ » .

وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً ، وذلك أنَّ قَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا أَلْتَقَى فِيهِ مِنَ النُّورِ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ الشَّفَافَةِ . كَالزَّجَاجَةِ الَّتِي كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ بِصَفَائِهَا وَإِضَاءَتِهَا .

(١) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٢) سورة يس : الآية ٣٩ .

وأما الشجرة المباركة التي لاشرقية ولا غربية فإنها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى الشرق ، ولا إلى الغرب .

وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار ؛ والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار ، منيرة من قبل مصالحة الأنوار .
فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية .

وأما الآية الأخرى فإنه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم ، وذلك في هيئة محوله واستدارته ، لا في مقداره ؛ فإن مقدار الهلال عظيم ؛ ولا نسبة بالعرجون إليه ؛ لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقداراً .

وأما هذا الكاتب فإن تشبيهه ليس على هذا النسق ، لأنه شبه فيه صورة الحصن بأنملة في المقدار ؛ لا في الهيئة والشكل .

وهذا غير حسن ولا مناسب ؛ وإنما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الأنملة . فأخطأ من جهة ، وأصاب من جهة ، لكن خطأه غطى على صوابه .

* * *

والقول السديد في بلاغة التشبيه هو ما أذكره ، وهو أن إطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الأصغر بالأكبر غير سديد ، فإن هذا قول غير حاصر للغرض المقصود ؛ لأن التشبيه يأتي تارة في معرض المدح ، وتارة في معرض الذم ، وتارة في غير معرض مدح ولا ذم ، وإنما يأتي قصداً للإبانة والإيضاح ، ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر ؛ كما ذهب إليه من ذهب .

بل القولُ الجامعُ في ذلك أن يُقالَ : إن التشبيه لا يُعمدُ إليه إلا لضربٍ من المبالغة ، فإما أن يكونَ مدحاً ، أو ذمّاً ، أو إيضاحاً ؛ ولا يُخرجُ عن هذه المعاني الثلاثة .

وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بدَّ فيه من تقديرٍ أفضة « أفعل » فإن لم تُقدَّر فيه لفظة « أفعل » فليس بتشبيهٍ بليغٍ ، ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمَّن الأداة « زيدٌ أسدٌ » فقد شبهنا زيدا بالأسدِ الذي هو أشجعُ منه ؛ فإن لم يكن المشبَّه به في هذا المقام أشجعَ من « زيد » الذي هو المشبَّه به ؛ وإلا كان التشبيه ناقصاً ؛ إذ لا مبالغةَ فيه .

* * *

وأما التشبيهُ المظهرُ الأداة فكقوله تعالى «وله الجوارِ المنشآتُ في البحرِ كالأعلامِ»^(١) وهذا تشبيهٌ كبيرٌ بما هو أكبرُ منه ؛ لأنَّ خلقَ السفنِ البحريَّةِ كبيرٌ ، وخلقُ الجبالِ أكبرُ منه .

وكذلك إذا شبَّهَ شيءٌ حسنٌ بشيءٍ حسنٍ فإنه إذا لم يشبَّهَ بما هو أحسنُ منه فليس بوارديٍّ على طريقِ البلاغةِ .

وإن شبَّهَ قبيحٌ بقبيحٍ فهكذا ينبغي أن يكونَ المشبَّه به أقبح .

وإن قُصدَ البيانُ والإيضاحُ فينبغي أن يكونَ المشبَّه به أبينَ وأوضح .

فتقديرُ لفظةِ « أفعل » لا بدَّ منه فيما يُقصد به بلاغةُ التشبيه ؛ وإلا كان التشبيهُ ناقصاً فاعلم ذلك ، وقسْ عليه .

أقسام التشبيه :

واعلم أنه لا يخلو تشبيهُ الشئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام :

(١) سورة الرحمن ، الآية ٢٤ .

(١) إما تشبيهه معنى بمعنى . كالذى تقدم ذكره من قولنا « زيدٌ كالأسد » .

(٢) وإما تشبيهه صورةً بصورة . كقوله تعالى : « وعندهم قاصراتُ الطرفِ عينٌ * كأنهنَّ بيضٌ مكنونٌ »^(١) .

(٣) وإما تشبيهه معنى بصورة . كقوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ^(٢) » وهذا القسمُ أبلغُ الأقسامِ الأربعة . لتمثله المعاني الموهومة بالصُّور المُشاهدَة .

(٤) وإما تشبيهه صورةً بمعنى ، كقولِ أبي تمام .

وَفَتَكَتَ بِالْمَالِ الْجَزِيلِ وَبِالْعِدَا فَتَكَ الصَّبَابَةَ بِالْمَجِبِّ الْمَغْرَمِ^(٣)
فشبه فتكهُ بالمالِ وبالعدا — وذلك صورةٌ مرئيةٌ — بفتكِ الصَّبَابَةِ ،
وهو فتكٌ معنويٌّ . وهذا القسمُ أطفُفُ الأقسامِ الأربعة . لأنه نقلُ صورةٍ
إلى غيرِ صورةٍ .

وكلُّ واحدٍ من هذه الأقسامِ الأربعة المُشارِ إليها لا يخلو التشبيهُ فيه من
أربعةِ أقسامٍ أيضاً :

(١) إما تشبيهه مُفردٍ بمُفردٍ .

(١) سورة الصافات : الأيتان ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

(٣) لم أعر على هذا البيت في طبعة بيروت ، ويوحى معنى البيت
ووزنه بأنه من قصيدته التي قالها في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم بن
شبابة التي مطلعها :

نثرت فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض شجوا المغرم
وانظر ديوان أبي تمام ٣١٣ .

(٢) وإما تشبيهُ مركَّبٍ بمركَّبٍ .

(٣) وإما تشبيهُ مفردٍ بمركَّبٍ .

(٤) وإما تشبيهُ مركَّبٍ بمفردٍ .

والمرادُ بقولنا مُفردٌ ومركَّبٌ : أنَّ المفردَ يكونُ تشبيهَ شيءٍ واحدٍ بشيءٍ واحدٍ ، والمركَّبُ تشبيهَ شَيْئَيْنِ اثنَيْنِ بشَيْئَيْنِ اثنَيْنِ .

وكذلك المفردُ بالمركَّبِ ، والمركَّبُ بالمفردِ ، فإنَّ أحدهما يكونُ تشبيهَ شيءٍ واحدٍ بشَيْئَيْنِ ، والآخِرُ يكونُ تشبيهَ شَيْئَيْنِ بشيءٍ واحدٍ .

ولستُ أَعْنِي بقولِي « تشبيهَ شَيْئَيْنِ » أنَّه لا يكونُ إلا كذلك ، بل أردتُ تشبيهَ شَيْئَيْنِ بشَيْئَيْنِ فَمَا فَوْقَهُمَا ، كقولِ بَعْضِهِمْ فِي الخَمْرِ .

وَكَانَهَا وَكَانَ حَامِلٌ كَأَمِهَا إِذْ قَامَ يَجْلُوهَا عَلَى النُّدْمَاءِ
شَمْسُ الضُّحَا رَقَصَتْ فَتَنَّقَطَ وَجْهَهَا

بَدْرُ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ

فشبهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، فإنه شبه الساقى بالبدْرِ ، وشبه الخمرَ بالشمس ، وشبه الحبيبَ الذي فوقها بالكواكِبِ .

* * *

وَإِذْ بَيَّنْتُ أَنَّ التَّشْبِيهَ يَنْقَسِمُ إِلَى تِلْكَ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ الْمُضْمَرَ الْأَدَاةَ قَدْ قَدِّمْتُ الْقَوْلَ فِي أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ (١) .

فالقسمُ الأوَّلُ لا يَرُدُّ إِلا فِي تَشْبِيهِ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ .

والقسمُ الثاني لا يَرُدُّ إِلا فِي تَشْبِيهِ مُفْرَدٍ بِمُركَّبٍ .

(١) أنظر تفصيل هذه الأقسام الخمسة في صفحة (١١٥) من

هذا القسم الثاني .

والقسم الثالث لا يرد إلا في تشبيه مركب بمركب .
 والقسم الرابع والخامس لا يردان إلا في تشبيه مركب بمركب .
 ألا ترى أننا إذا قلنا في القسم الأول « زيدٌ أسدٌ » كان ذلك تشبيه
 مفردٍ بمفردٍ .

وإذا قلنا في القسم الثاني ما مثلناه به من الخبر النبوي وهو « الكمأة
 جذري الأرض » كان ذلك تشبيه مفردٍ بمركب ، وكذلك بيت البحري^(١)
 وبيت أبي تمام^(٢) المشار إليهما فيما تقدم .

وإذا قلنا في القسم الثالث ما أشرنا إليه من الخبر النبوي أيضاً الذي هو
 « وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم » كان
 ذلك تشبيه مركبٍ بمركب .

وإذا قلنا في القسم الرابع والخامس ما مثلناه به من بيتي الفرزدق^(٣)
 والبحتري^(٤) كان ذلك تشبيه مركبٍ بمركب .

-
- (١) البيت الذي يعنيه هو قول البحري :
 غمام سماح لا يغب له حياً ومسعر حرب لا يضيع له وتر
 (٢) بيت أبي تمام المقصود هو قوله :
 أي مرعى عين ووادي نسيب لحبته الأيام في ملجوب
 (٣) يقصد قول الفرزدق في هجاء جرير :
 ماضر تغلب وائل أهجوتها أم بلت حين تناطح البحران
 وكذلك قوله ،
 قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم
 (٤) يعني قول البحري في التعزية بولد ،
 تعز فإن السيف يمضي وإن وهت حمائله عنه وخلاه قائمه

وإذا كان الأمر كذلك وجاءك شيء من التشبيه المضمّر الأداة ، وهو من القسم الأول ، فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد ، وإذا جاءك شيء من القسم الثاني فاعلم أنه تشبيه مفرد بمركب ، وإذا جاءك شيء من القسم الثالث فاعلم أنه تشبيه مركب بمركب ، وكذلك إذا جاءك شيء من القسم الرابع والقسم الخامس فإنهما من باب تشبيه المركب بالمركب .

وانرجع إلى ذكر ما أشرنا إليه أولاً في تقسيم التشبيه إلى الأربعة الأقسام الأخرى التي هي : تشبيه مفرد بمفرد ، وتشبيه مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب ، وتشبيه مركب بمفرد .

فالقسم الأول منها كقوله تعالى في المضمّر الأداة « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ^(١) » فشبه الليل باللباس ، وذلك أنه يستتر الناس بعضهم عن بعض من أراد هرباً من عدو ، أو تبتاً لعدو ، أو إخفاء ما لا يحب الاطلاع عليه من أمره .

وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم ، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختفى به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم .

وكذلك قوله تعالى : « هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ ^(٢) » فشبه المرأة باللباس للرجل ، وشبه الرجل باللباس للمرأة .

ومن محاسن التشبيهات قوله تعالى : « نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ^(٣) » وهذا

(١) سورة النبأ : الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٣ .

يكاد ينقله تناسُّبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة ، والحِثُّ هو الأرض التي
تُحْرَثُ للزَّرْعِ . وكذلك الرَّحِمُ يُزْدَرَعُ فيه الولدُ اذ ذراعاً كما يُزْرَعُ البَدْرُ
في الأرض .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ (١) »
فشبهه بَرَأَ اللَّيْلِ مِنَ النَّهَارِ بِانْسِلَاخِ الْجِلْدِ عَنِ الْجَسْمِ الْمَسْلُوخِ ، وذلك أنه لما
كانت هَوَادِي الصُّبْحِ عِنْدَ طُلُوعِهِ مُلْتَحِمَةً بِأَعْجَازِ اللَّيْلِ أُجْرِيَ عَلَيْهِمَا اسْمُ
السَّلْخِ ، وكان ذلك أولى من أن يُوقِلَ . « يَخْرُجُ » لأنَّ السَّلْخَ أدلُّ على
الانْتِحَامِ مِنَ الْإِخْرَاجِ ، وهذا تشبيهٌ في غاية المُنَاسَبَةِ .

وكذلك وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا (٢) » فَشَبَّهُ انْتِشَارَ

(١) سورة يس : الآية ٣٧ والذي في الآية من قبيل الاستعارة ، فقد
طوى ذكر المستعار له ، قال أبو هلال العسكري في هذه الآية : إن هذا
الوصف إنما هو على ما يتلوح للعين لاعلى حقيقة المعنى ، لأن الليل
والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه لغروب الشمس ،
وإضاءته لطلوعها ، وليس على الحقيقة شيئين يسليخ أحدهما من الآخر
إلا أنهما في رأى العين كأنهما ذلك ، والسليخ يكون في الشيء الملتحم
بعضه ببعض ، فلما كانت هوادى الصبح عند طلوعه كالملتحمة بأعجاز
الليل أجرى عليها اسم السليخ ، فكان أفصح من قوله : « يخرج » لأن
السليخ أدل على الإلتحام المتوهم فيهما من الإخراج (الصناعتين ٢٧٣)

(٢) سورة مريم : الآية ٤ وهذه الآية أيضا من قبيل الاستعارة
قال أبو هلال : قوله تعالى « واشتعل الرأس شيبا » حقيقة كثر الشيب
في الرأس وظهر ، والاستعارة أبلغ ، لفضل ضياء النار على ضياء الشيب ، فهو إخراج
الظاهر إلى ما هو أظهر منه ، ولأنه لا يتلاقى انتشاره في الرأس ، كما لا
يتلاقى اشتعال النار (الصناعتين ٢٧٢) .

الشَّيْبُ بِاشْتِعَالِ النَّارِ ، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْبُ يُأْخِذُ فِي الرَّأْسِ ، وَيَسْعَى فِيهِ شَيْئًا
فَشِيئًا ، حَتَّى يُحْيِلُهُ إِلَى غَيْرِ لَوْ نَهَ الْأَوَّلُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ الَّتِي تَشْتَعَلُ فِي الْجِسْمِ ؛
وَتَسْرَى فِيهِ ، حَتَّى يُحْيِلُهُ إِلَى غَيْرِ حَالِهِ الْأُولَى

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ شَبَّهُ اتِّشَارَ الشَّيْبِ بِاشْتِعَالِ النَّارِ فِي سُرْعَةِ
النَّهَابِ ، وَتَعَدُّرِ تَلَاْفِيهِ ، وَفِي عَظْمِ الْأَلْمِ فِي الْقَلْبِ بِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ
إِلَّا الْجُودُ .

فهذه أوصافٌ أربعةٌ جامعةٌ بَيْنَ المَشْبِهِ والمَشْبُوهِ بِهِ ، وَذَلِكَ فِي الْغَايَةِ
القَصْوَى مِنَ التَّنَاسُبِ وَالتَّلَاوُمِ .

وقد وردَ فِي الْأَمْثَالِ « اللَّيْلُ جُنَّةُ الْهَارِبِ » وَهُوَ تَشْبِيهٌُ حَسَنٌ .

وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةِ .

وَمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ (١) .

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَتْ بِحَجْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَعَى كَانَتْ نَصَلًا

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَتْ شَمْسًا وَإِذَا الْأَرْضُ أُتَحَلَّتْ كَانَتْ وَبَلًا

سُخِرَ فِي التَّشْبِيهِ هَاهُنَا مُضْمَرٌ ، وَتَقْدِيرُهُ : كَانَتْ كَأَنَّهُ بَحْرٌ ، وَكَانَ كَأَنَّهُ
نَصْلٌ ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : كَانَتْ كَأَنَّهُ شَمْسٌ ، وَكَانَ كَأَنَّهُ وَبَلٌ .
وَهَذَا تَشْبِيهٌُ صُورَةٌ بِصُورَةٍ . وَهُوَ حَسَنٌ فِي مَعْنَاهُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ ؛ وَهُوَ فِي تَشْبِيهِ الْحَبِّبِ (٢) :

(١) ديوان المتنبي ٣ - ١٣٢ . من قصيدة يعزى فيها سيف الدولة
بأخته الصغرى ، ومطلعها :

إِنْ يَكُنْ صَهْبٌ ذِي الرِّزِيَةِ فَضَلًا فَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجْلَا

(٢) ديوان أبي نواس ٢٧٥ من قصيدة له أولها :

فَإِذَا مَا اعْتَرَضَتْهُ الْعَيْنُ مِنْ حَيْثُ اسْتَدَارَا
 خِلْتَهُ فِي جَنَبَاتِ الْكَأْسِ وَأَوَاتِ صِفَارَا
 وَهَذَا تَشْبِيهُ صُورَةَ بِصُورَةٍ أَيْضًا . وَقَدْ أُبْرِزَ هَذَا الْمَعْنَى فِي لِبَاسٍ آخَرَ .
 فقال (١) :

وَإِذَا (٢) عَلَاهَا الْمَاءُ أَلْبَسَهَا حَبِيبًا شَبِيهَ جَلَاغِلِ الْحَجَلِ
 حَتَّى إِذَا سَكَنْتُ جَوَاحِظَهَا كَتَبْتُ بِمِثْلِ أَكْرَاعِ النَّمْلِ
 وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (٣) .

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى
 كَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ (٤)

وهذا من أحسن التشبيه وأقربه ، إلا أن فيه إخلالا من جهة الصنعة .
 وهي ترتيب التفسير ، فإن الأولى إن كان قدّم تفسير التبسم على تفسير
 القطوب . بأن كان قال : « كالبرق والرعد (٥) » .

= دَعِ لِبَاكِهَا الدِّيَارَا وَأَنْفَ بِالْخَمْرِ الْخَمَارَا

وَأَشْرِبْنَهَا مِنْ كَيْتِ تَدْعِ اللَّيْلِ نَهَارَا

(١) ديوان أبي نواس ٣١١ من قصيدة مطلعها :

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمَحْسَنَ الضَّحِكَاتِ وَالْهَزْلِ

(٢) رواية الديوان « فإذا » .

(٣) ديوان البحتري ٢-١٦ من قصيدة له في مدح أبي نهشل

محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي ، ومطلعها :

إِنِّي تَرَكْتُ الصَّبِيَّ عَمْدَا وَلَمْ أَكُذِّبْ مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ وَلَا عَدْلٍ وَلَا فَنَدٍ

(٤) رواية الديوان .

* وسط العارض البرد *

(٥) والعجب أن ما اقترحه ابن الأثير هو نص رواية الديوان :

* كالبرق والرعد وسط العارض البرد *

فانظر أيها المنتمى إلى الفن . كيف ذهبَ على البحترى مثلُ هذا الموضع على قُرْبِهِ . معَ تقدُّمِهِ في صناعةِ الشعرِ؟ وليسَ في ذلكَ كبيرُ أمرٍ ، سِوَى أَنْ كانَ قَدَمٌ ما أخرَ لاغْيَرُ .

وإنما يُعذَرُ الشاعِرُ في مثلِ هذا المقامِ إذا حَكَمَ عليه الوزنُ والقافيةُ ، واضطُرَّ إلى تركِ ما يَجبُ عليه ، وأما إذا كانتِ الحالُ كالتى ذكرها البحترى فيخيندِ لا عُذْرَ له .

وسَيأتى لذلكَ بابٌ مفردٌ في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى ؛ وهو بابُ (ترتيب التقسيم) .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ (١) .

فِي مَعْرَكِ ضَنْكِ تَحَالٍ بِهِ الْقَنَا

بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعًا

وَمَنْ تَشْبِيهِ الْمَفْرَدِ بِالْمَفْرُودِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِيِّ (٢) .

خَرَجْنَ مِنَ النَّعْقِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَابِلٍ (٣)

فَلَمَّا نَشَفْنَ لِقَيْنَ السَّيَاطِ بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ (٤)

(١) ديوان البحترى ١/ ١٦٨ من قصيدة في مدح محمد بن يوسف ومطلعها :

فيم ابتداركم الملام واوعا أبكيت إلا دمنة وربوعا
(٢) ديوان المنتبي ٣ - ٢٤ من قصيدة له في مدح سيف الدولة ، ويذكر فيها استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود من الأسر ، ومطلعها :

إلام طماعية العاذل ولا رأى في الحب للعاقل
(٣) النقع الغبار ، والعارض السحاب ، والوابل المطر الكثير .
(٤) الصفا الصخر ، والسياط جمع سوط ، والماحل الذى لم يمطر .

وقد حوى هذان البيتان قُرْبَ التَّشْبِيهِ مع بَرَاعَةِ النِّظْمِ ، وَجَزَا لَةِ اللَّفْظِ .

* * *

وأما القسم الثاني : وهو تشبيه المركب بالمركب فما جاء منه مُضْمَرُ الأداة ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل — رضى الله عنه — وهو حديثٌ طویلٌ (يشتمل على فضائل أعمال متعددة ، ولا حاجة إلى إيراده ها هنا على نصّه ، بل نذكرُ الغرضَ منه ، وهو أنه قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أُمْسِكْ عَلَيْكَ هَذَا » وأشارَ إلى لسانه ، فقال معاذ « أَوْ نَحْنُ مُؤَاخِذُونَ بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ » ؟ فقال : « ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

فقوله : « حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » من تشبيه المركب بالمركب ، فإنه شبه الألسنة وما تَمْضَى فيه من الأحاديث التي يؤاخذُ بها بالمناجل التي تحصدُ النبات من الأرض .

ومما ورد منه شعراً قولُ أبي تمام^(١) :

مَعَشَرٌ أَصْبَحُوا حُصُونَ المَعَالِي وَدُرُوعَ الأَحْسَابِ والأَغْرَاضِ

فقوله « حصون المعالي » من التشبيه المركب . وذلك أنه شبههم في منعهم المعالي أن ينالها أحدٌ سواهم بالحصون في منعها من بها وحمايتها ، وكذلك قوله « دُرُوعَ الأَحْسَابِ » .

وأما المظهر الأداة فما جاء منه قوله تعالى « إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ والأَنْعَامُ

(١) ديوان أبي تمام ١٨٨ من قصيدة له في مدح أحمد بن أبي دؤاد

ومطلعها :

بدلت عبرة من الإيماض يوم شدوا الرحال بالأغراض

حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيدت وظن أهلها أنهم قادرون عليها
أناها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس (١) .

فُشِبِّهَتْ حَالُ الدُّنْيَا فِي سُرْعَةِ زَوَالِهَا وَانْقِرَاضِ نَعِيمِهَا بَعْدَ الإِقْبَالِ
بِحَالِ نَبَاتِ الأَرْضِ فِي جَفَافِهِ وَذَهَابِهِ حُطَاماً بَعْدَ مَا التَّفَّ وَتَكَافَفَ
وَزَيْنَ الأَرْضَ .

وَذَلِكَ تَشْبِيهُ صُورَةٍ بِصُورَةٍ . وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَجِيءُ فِي بَابِهِ .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في وصف حال المنافقين « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي
اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ (٢) » .

تَقْدِيرُهُ إِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ بِمَفَازَةٍ ،
فَاسْتَضَاءَ بِهَا مَا حَوْلَهُ ، فَانْتَقَى مَا يَخَافُ وَأَمِينَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ طُفِئَتْ
نَارُهُ فَبَقِيَ مُظْلِماً خَائِطاً ، وَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ إِذَا أَظْهَرَ كَلِمَةَ الإِيمَانِ اسْتَتَارَ بِهَا ،
وَاعْتَرَّ بِعِزِّهَا ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ ، فَإِذَا مَاتَ عَادَ إِلَى الْخُوفِ ، وَبَقِيَ
فِي الْعَذَابِ وَالنَّقْمَةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ فِي الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الأَثْرِجَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمِثْلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمِثْلُ
الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الحُنْظَلَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا مُرٌّ » .

وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب . ألا ترى أن النبي صلى الله عليه

(١) سورة يونس : الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧ .

وسلم شبه المؤمن القارىء ، وهو متَّصِفٌ بصفتين هما الإيمان والقراءة بالانترجة
وهي ذاتُ وصفين ، هما الطَّعمُ والرَّيحُ ، وكذلك يجرى الحكمُ في المؤمنِ غيرِ
القارىءِ ، وفي المنافقِ القارىءِ ، والمنافقِ غيرِ القارىءِ .

وقد جاءنى شئٌ من ذلكَ أوردتهُ في فصل من كتاب أُصِفُ فيه البرَّ
والمسيرَ ، قُلْتُ : « ولمْ أزلُ أُصِلُ الذَّمِّمِلَ بالذَّمِّمِلِ ، وألَّفُ الضُّجَابَ بالأصِيلِ
والأرضُ كالبَحْرِ في سَعَةِ صدرِهِ ، والمطايا كالجوارى راكِدةً على ظهْرِهِ ،
فكان الرَّكْبُ منها كماكانهم من الأَكْوَارِ ، ومسيرُهُم فيها على كُرَّةٍ
لاستقرُّ بها حركةُ الأدْوَارِ » .

وأما ماوردَ من ذلكَ شعراً فكقولِ البُحْتَرِيِّ (١) :
خُلِقَ مِنْهُمْ تَرَدَّدٌ فِيهِمْ وَلِيَتَهُ عِصَابُهُ عَنْ عِصَابِهِ
كالحَسَامِ الجُرَازِ (٢) يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ وَيُقَى فِي كُلِّ حِينٍ قِرَابَهُ
وكذلك ورد قولُ ابنِ الرومى (٣) :

أذْرِكُ ثِقَاتِكَ إِيَّاهُمْ وَقَعُوا فِي نَرَجِسٍ مَعَهُ ابْنَةُ الْعِنَبِ
فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتَ بِهَا سَبَّحْتَ مَنْ عُجِبَ وَمَنْ عَجَبَ
رَيْنِحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّهِ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ

(١) ديوان البُحْتَرِيِّ ١ - ١٢٠ من قصيدة في مدح ابنِ ثوابه ،

ومطلعها :

ان دعاه داعى الهوى فأجابه ورمى قلبه الصبى فأصابه

(٢) الجزار السيف القاطع .

(٣) ديوان ابنِ الرومى ١٧٦ من قصيدة له في علي بن عبد الله ،

وأول ما في الديوان منها :

يابن المسيب عشت في نغم وسلمت من هلك ومن عطب

وهذا تشبيهٌ صَدِيعٌ . إلا أن تشبيهَ البحرى أضعف ، وذلك أن هذا التشبيهَ صدرَ عن صورةٍ مشاهدةٍ ، وذلك إنما استنبطه استنباطاً من خاطره .

وإذا شئتَ أن تفرِّقَ بين صناعة التشبيه فانظر إلى ما أشرتَ إليه ها هنا فإن كان أحدَ التشبيهين عن صورةٍ مشاهدةٍ والآخر عن صورةٍ غير مشاهدة فاعلم أن الذى هو عن صورةٍ غير مشاهدة أضعف .

ولعمري إن التشبيهين كليهما لا بدّ فيهما من صورةٍ تحكى لكن أحداً منهما شوهدت الصورة فيه فحكيت . والآخر استنبطت له صورة لم تشهد في ذلك الحال . وإنما الفكر استنبطها .

ألا ترى أن ابن الرُّومى نظر إلى النرجس وإلى الخمر فشبهه . وأما البحرى فإنه مدح قومًا بأن خلق السباح باقٍ فيهم يثقل عن الأوّل إلى الآخر . ثم استنبطه لذلك تشبيهاً . فأذاه فكره إلى السيفِ وقربه التى تفتى فى كل حين . وهو باق لا يفتى بفنائها . ومن أجل ذلك كان البحرى أضعف . وسأورد هاهنا من كلامى نبذة بسيرة .

فمن ذلك ما كتبتُه من جملة كتاب إلى ديوان الخلافة . أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر « عكا »^(١) فى سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائة . قلت :

(١) بلد على ساحل بحر الشام ، كانت قديماً فى غاية الحصانة وقد اختلفت أيدي المتغلبين عليها ، وصارت بيد الفرنج واستنقذها منهم صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم استعادها الفرنج بعد ذلك ، وفى سنة تسعين وستمائة فتحها الملك الأشرف بن الملك المنصور قلاوون ، ونقض بيوتها وأبراجها ، وقتل من بها من الفرنج ، وكان ذلك من فتوح المسلمين العظيمة .

« وأحاطَ بها العدوُّ إحاطةَ الشَّاهِ بِالثُّغُورِ ، ونزلَ عليه نزولَ الظَّلماءِ على النُّورِ » .

وهذا من التشبيهاتِ المناسبةِ .

نَمَّ لَمَّا جِئْتُ إِلَى ذِكْرِ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُ وَإِزَالَتِهِ عَنْ جَانِبِ الشَّعْرِ قُلْتُ :

« وقد اصْطَدَمَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ ابْنَا شَمَامٍ ^(١) وَالتَّقَى مِنْ عَجَابَتِهِمَا ظِلَامٌ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْعَدُوُّ فِي التَّحْيِيزِ إِلَى جَانِبٍ . وَكَانَ كَحَاجِبٍ عَلَى عَيْنٍ . فَصَارَ كَعَيْنٍ فِي حَاجِبٍ . وَإِذَا تَرَعَزَعَ الْبِنَاءُ فَقَدْ هَوَى . وَإِذَا قُبِضَ مِنْ طَرَفِ الْبِسَاطِ فَقَدْ انْطَوَى » وهذا التشبيه في مناسباته كالأول . بل أحسن .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان . فقلتُ :

« وما شَبَّهْتُ كِتَابَهُ فِي وُرُودِهِ وَانْقِبَاضِهِ • إِلَّا بِنَظَرِ الْحَبِيبِ فِي إِقْبَالِهِ وَأَعْرَاضِهِ • وَكَلَّالِ الْأُمْرِينَ كَالسَّهْمِ فِي أَلْمِ وَقَعِهِ وَأَلْمِ تَرْعِيهِ . وَالْمَشُوقُ مِنْ اسْتَوَتْ صَبَابَتُهُ فِي حَالَتِي وَصَلَهُ وَقَطَعِهِ . وَمَا أزالُ عَلَى وَجَلٍ مِنْ إِرسَالِ كِتَابِهِ وَإِجْمَامِهَا . وَاشْتِبَاهِ لِمَهَا بِأَمَامِهَا » .

وممَّا جاء من هذا القِسْمِ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ الْفَطَّاحِ ^(٢) :

(١) ابنا شمام ، هما هضبتان في أصل جبل يقال له شمام ، يضرب بهما المثل في الاقتران والاصطحاب ، قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأيام غير ابني شمام

(٢) كان شاعرا حسن الشعر ، كثير التصرف فيه ، وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم اقتصر عن ذلك ، وكان كثيرا ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام وهو القائل :

تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْعَالِي كَمَا نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْبِ الْمَلِاحِ
يَحْدُوثُونَ الْعُيُونَ إِلَى شَذْرًا كَأَنَّ فِي عُيُونِهِمُ السَّمَاحُ
وهذا بديعٌ في حُسْنِهِ ، بليغٌ في تشبيهه .

وعلى هذا التهج ورد قول أبي تمام (١) :

خَلَطَ الشَّجَاعَةَ بِالْحَيَاءِ فَأَصْبَحَا كَالْحُسْنِ شَيْبَ لِعُفْرِيمَ بِدَلَالٍ
وهذا من غريب ما يأتي في هذا الباب ، وقد تغالت شبيعةُ أبي تمام في وصف هذا البيت . وهو لعفري كذلك .
ومن هذا القسم أيضاً قوله (٢) :

= هنيئاً لإخواني ببغداد عيدهم وعيدي بحلوان قراع الكتائب
وأشدها أبادلف ، فقال له إنك لتصف نفسك بالشجاعة وما رأيت
عندك ذلك أثراً ، فقال : أيها الأمير ، وما ترى عند رجل حاسر
أعزل ؟ فقال : أعطوه سيفاً ورمحاً ودرعاً ، فأعطوه ذلك أجمع ،
فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه فلقيه مال لأبي دلف يحمل
إليه من بعض ضياعه ، فأخذه وجرح جماعة من غلماناه ، فهربوا
وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره
بأبي دلف قال : نحن جنينا على أنفسنا وكنا أغنياء عن إهاجته ، لو كتب
إليه بالأمان ، وسوغه المال ، وأمره بالقدوم ، فرجع ، ولم يزل يمدحه حتى
مات .

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٩ من قصيدة له في مدح المعتصم ، ويذكر
أخذ بابك ، ومطلعها :

ألت أمور الشرك شر مال وأقر بعد تخمط وصيال

(٢) ديوانه ١٥١ من قصيدة يمدح فيها المعتصم . ويذكر لإحراق
الأفشين ، ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

كَمْ نِعْمَةٍ لِّلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ
فَكَانَهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
كَسَيْتَ سَبَائِبَ لَوْثِهِ فَتَضَاعَلَتْ
كَتَضَاعُولِ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ (١)

وكذلك قوله (٢) :

صَدَقَتْ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِرْ مُوَاهِبُهُ
كَالْفَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَأَفَاكُ رَيْقِهِ
عَنَى وَعَاوَدَهُ ظَنَى فَلَمْ يَحِبْ
وَإِنْ تَرَحَّلَتْ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ
وعلى هذا الأسلوب وَرَدَ قولُ عليِّ بنِ جبلة :

إِذَا مَا تَرَدَّى لِأَمَّةِ الْحَرْبِ أُرْعِدَتْ
حَسَا الْأَرْضِ وَاسْتَدَمَى الرِّمَاحُ الشَّوَارِعَ
وَأَسْفَرَ تَحْتَ النَّعْمِ حَتَّى كَانَهُ
صَبَاحٌ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ طَالِعُ

وقد أحسنَ عليُّ بنُ جبلة في تشبيهه هذا كلَّ الإحسان . وكمثله في الحُسن
قوله أيضاً في تشبيهه الحَبِّبِ فوقَ الحمر :

تَرَى فَوْقَهَا نَمَشًا لِلْمَزَاجِ تَبَاذِيرَ لَا يَتَّصِلْنَ اتِّصَالًا
كَوَجْهِ الْعَرُومِ إِذَا خَطَطَتْ عَلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْهُ حَالًا

(١) السبائب جمع سببية ، وهي شقة رقيقة ، تضاعلت أخفت
شخصها وتضاعرت ، والأطمار الثياب البالية .

(٢) ديوانه ١٦ من قصيدة له في مدح الحسن بن سهل ، وأولها :
أبدت أسى أن رأيتي مخلص القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب
ومخلص القصب ، أى في قصب شعره — وهي خصلة — سواد وبياض

ومن هذا القسم قولُ مُسلم بن الوليد .

تلقى المنية في أمثال عدتها كالسَّيلِ بقذفٍ جُمُوراً بِجُهودٍ (١)
وعلى هذا الأسلوب وردَ قول العباس بن الأحنف (٢) .

لأجزى الله دمعَ عيني خيراً وجزى الله كُلاًّ خيرٍ لسانِي
نمّ دمي فليس يكتم شيئاً ووجدتُ اللسانَ ذا كتمانِ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاهُ طيًّا فاستدلوا عليه بالغووانِ

وهذا من اللطيف البديع

ويُروى أنّ أبا نواسٍ لما دخلَ مضرَ مادِحاً للخصيبِ جالسٍ يوماً في رهطٍ
من الأدباء ، وتذكروا منارةَ بغداد ، فأنشده مرتجلاً .

ذكَرَ الكَرخَ نازِحُ الأوطانِ فصبا صبوةً ولاتَ أوانٍ (٣)

(١) من قصيدة له في مدح دواد بن حاتم بن خالد المهلب ، ومطلعها :
لاتدع بي الشوق إني غير معمود نهى النهى عن هوى الهيف الرعايد
(٢) هذه الأبيات منسوبة في الأمالي (٢٠٩/١) لأبي نواس ، قال القالي :
وكان أبو بكر بن دريد يستحسن قول أبي نواس في هذا المعنى «لاجزى الله دمع
عيني ... الأبيات» وكتب بهامش أصله «هذه الأبيات للعباس بن الأحنف .
وفي كتاب «التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه» ٦٦ مانصه «قال أبو علي :
وكان ابن دريد يستحسن قول أبي نواس : «لاجزى الله دمع عيني خيراً ..»
وهذا الشعر للعباس بن الأحنف بلا اختلاف ، وهو ثابت في ديوان ابن الأحنف
(٣) ديوان أبي نواس ٩٧ وهو مطلع قصيدة له في مدح الخصيب بن
عبد الحميد العجمي ثم المرادي ، وهو دهقان من أهل المزار شريف الآباء ،
وأيس بابن صاحب نهر أبي الخصيب ، ذلك عبد للمنصور يقال له
«مرزوق» . وكان هذا رئيساً في أرضه ، فانتقل إلى بغداد ، وصار كاتب
مهرويه الرازي ، ثم انتقل إلى الإمارة . وفي الأصل «الكرج» بالجرم موضع
«الكرخ» وهو تصحيف .

ثم أتم ذلك قصيداً مدح به الخصب ، فلما عاد إلى بغداد دخل عليه
العباس بن الأحنف ، وقال : أنشدني شيئاً من شعرك بمصر ، فأنشده :

* ذكر الكرخ نازح الأوطان *

فلما استتم الأبيات قال له . لقد ظلمك من ناواك ، وتخلف عنك من
جاراك ، وحرام على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك !

فقال له أبو نواس . وأنت أيضاً يا أبا الفضل تقول هذا ؟ أأنت القائل .

* لاجزى الله دمع عيني خيراً *

وأنشد الأبيات ، ثم قال . ومن الذي يُحسِن أن يقول مثل هذا ؟

* * *

ومن تشبيه المركب بالمركب قول البحرى (١) .

جدة يذود البخل عن أطرافها كالبحر يمنع ملاحه عن مائه

وهذا من محاسن التشبيهات .

وكذلك ورد قوله (٢) .

وتراه في ظلم الوغى فتخأله

قراً يكرُّ على الرجال بكوكب

(١) ديوان البحرى ٢ - ٤٠ من قصيدة له في مدح يوسف بن

محمد ، أولها :

ياغاديا والشعر خلف مسائه يصل السرى بأصيله وضحائه

(٢) ديوانه ٢ / ١٣٤ من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق ، وطلعها :

رحلوا فأية عبرة لم تسكب أسفاً ؟ وأى عزيمة لم تغاب ؟

ورواية الديوان « قمرًا يشد على الرجال »

وفي هذا البيت تشبيه بثلاثة أشياء بثلاثة أشياء . فإنه شبه العجاج بالظلمة ،
والمذوح بالقمر ، والسنان بالكوكب ، وهذا من الحسن النادر .

وكذلك ورد قوله (١) .

يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ كَانَ مَتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونِهَا (٢)
بِيضٌ تَسِيلُ عَلَى الْكِمَاةِ نُصُولَهَا سَيْلَ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بِيْدَاءِ (٣)
فَإِذَا الْأُسِنَّةُ خَالَطَهَا خِلَاتِهَا فِيهَا خِيَالٌ كَوَاكِبٍ فِي مَاءِ

فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمننا تشبيه المركب بالمركب . وإنما جئنا
بالبيت الأول سياقةً إلى معنأهما . وهو من التشبيه الذي أحسن فيه البحترى
وأغرب .

ومن هذا الباب ماورد لبعض الشعراء في وصفِ الحرِّ . فقال :

كَانَتْ سِرَاجُ أَنْاسٍ يَهْتَدُونَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ قَبْلَ النَّارِ وَالنُّورِ
تَهْتَرُ فِي الْكَأْسِ مِنْ ضَعْفٍ وَمِنْ هَرَمٍ
كَأَنَّهَا قَبَسٌ فِي كَفِّ مَقْرُورٍ

وقد يندر للناظم أو الناثر شيء من كلامه يبلغ الغاية التي لا أمد فوقها .
وهذان البيتان من هذا القبيل .

(١) ديوانه ٢٢٧/٢ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد يوسف ،

ومطلعها :

زعم الغراب منبئ الأنباء أن الأحبة آذنوا بتناء
(٢) الزغف اسم جنس جمعي واحدة زغفة ، وهي الدرع ، والنهاء جمع
نهي بكسر فسكون ، وهو الغدير .

(٣) رواية الديوان « بيض تسيل على الكمأة فضوؤها ، وهي أجود .

ومن أغرب ماسمعه في هذا الباب قولُ الحسين بن مطير^(١) يرثي معن ابن زائدة .

فَتَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ جَرَاهُ مَرْتَعًا^(٢)

* * *

القسم الثالث : في تشبيه المفرد بالمركب :

فَمَا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ »^(٣) .

وكذلك قوله تعالى : « مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاءُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ »^(٤) .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمنُ استنجاداً فقلت :

« وَهُوَ إِذَا اسْتَصْرَخَ أَصْرَخَ بَعْزَمٍ كَالشَّهَابِ فِي رَجْمِهِ . وَهَمْ كَالْقَوْسِ الْمَمْتَلِءِ بِنَزْعِ سَهْمِهِ . وَيَرَى أَنْ صَرِيحَهُ لَمْ يُجِبْ . وَأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُجِبْهُ بِالسَّيْفِ

(١) سماه في الأغاني الحسين بن مطير بن مكمل وأنه مولى لبنى أسد بن خزيمة ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة ، وهو شاعر إسلامي فصيح متقدم الزجر والقصيد ، يعد من فحول المحدثين ، وكلامه يشبه كلام الأعراب وأهل البادية ، ويمائل مذهبهم ، أدرك بنى أمية وبنى العباس ، ووفد على معن بن زائدة الشيباني لما ولي اليمن مادحاً فأجزل صلته .

(٢) ديوان الحماسة ١ / ٣٩٥ من أبيات أولها :

ألماع على معن وقولا لقبه سقتك الغواذي مربعاً ثم مربعا

(٣) سورة النور : الآية ٣٥

(٤) سورة إبراهيم : الآية ١٨

فكانه لم يُحِب . فهو مُغرَى جواده وحُسامه . ومُسَمَّع العدو صرير رُمحه
قبل قفَعَةِ لجامه .

وكذلك أيضاً ما كتبتُه في كتابٍ إلى بعض الإخوان أذمُّ الفِراقَ .

قلت :

« والفِراقُ شئٌ لا كالأشياء . وصاحِبُهُ مَيِّتٌ لا كالأموات . وحيٌّ
لا كالأحياء . وما أراه إلا كمنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .
وما يجعلُ صاحبها في ضَحَضاحِ منها إلا تواتر الكتب التي تقيه بعض الوفاء .
وتقومُ له — وإن لم يُسَقَ — مقامَ الإِسْتِقاء . »

وأما ماورد منه في الشعر فقول أبي نواس (١) .

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت

له عن عدوِّ في ثياب صديق

وكذلك قول أبي تمام يصف قصيداً له (٢) .

خذها مثقفة القوافي ربها لسوابغ النعماء غير كنود (٣)

(١) ديوان أبي نواس ١٩٢ من أبيات خمسة أولها :

أيارب وجه في التراب عتيق ويارب حسن في التراب رقيق

(٢) ديوان أبي تمام ٨٥ من قصيدة له في مدح عبد الله أحمد بن أبي داود .

مطلعها :

أرأيت أي سوائف وخذود غنت لنايين اللوى فزود

(٣) بين هذا البيت والبيت الذي بعده بيتان هما :

حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل ويريد

كالطعنة النجلاء من يد نائر بأخيه أو كالضربة الأخدود

كالدُرِّ والمرجانِ ألفَ نظمُهُ بالشذْرِ في عنقِ الفتاةِ الرُّودِ (١)
وكذلك ورد قول البُحْتَرِيِّ وهو من جملة قصيدته المشهورة التي وصف
فيها الفرسَ والسيفَ : وأولها .

* أهلاً بذليكم الخيالِ المقيَلِ (٢) *

فقال فيها من أبياتِ تَضَمَّتْ وصفَ السيفِ بيتاً أجادَ في تشبيهه :
وكانما سُودُ النِّمالِ وحُمُرُها دَبَّتْ بأيدٍ في قِوَاهُ (٣) وأرْجُلِ
فشبه فرِندَ السيفِ بديبب النمل سودها وحُمُرُها ، وذلك من التشبيه
الحسن .

وأما ما ورد منه مضمراً الأداة ، فكقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد
سُئِلَ عن العزْلِ ، فقال : « هو الوأدُ الخفيُّ » وهذا تشبيهٌ بليغٌ « والوَأدُ » هو
ما كانت العربُ تفعله في دفنِ البناتِ أحياءَ ، فجعل العزْلَ في الجِماعِ كالوَأدِ ،
إلا أنه خفيٌّ ، وذلك أنهم كانوا يفعلون بالبناتِ ذلك هرباً منهنَّ ، وهكذا من
يعزَلُ في الجِماعِ ، فإنما يفعلُ ذلك هرباً من الولدِ .

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « هو الوأدُ الصُّغرى » وهذا من
الحُسْنِ إلى غايةٍ تفضُّ لها العيونُ طرفَها ، ولا ينتهى الوصفُ إليها فيكون
تركٌ وصفها كوصفها .

(١) رواية الديوان « في عنق الكعاب » والشذر قطع الذهب ، والرود
الجارية الناعمة .

(٢) ديوان البحتري ٢/٢١٧ صدر مطلع قصيدة له في مدح محمد بن عيسى
القمي ، وعجز البيت :

* فعل الذي نهواه أولم يفعل *

(٣) رواية الديوان ٢/٢١٩ « في قراه » بالراء ، والقرا الظهر .

ومما جاءني من ذلك فصل من جملة كتابٍ ضمتهُ وصف القلم ، قلت :
 « جُدِعَ أنْفُهُ فصار في الكَيْدِ قصيراً ، وأرْهِفَ صدرُهُ فصار في المضاء
 عضباً شهيراً ، وقُمَصَ لباسَ السَّوادِ ، وهو شعارُ الخطباءِ ، فنطقَ بفصل
 الخطابِ ، ونكسَّ رأسَهُ . وهي صورةُ الإذلالِ . فاختال في مشيه من
 الإعجابِ . وأوحى إليه بنجوى الخواطرِ . وهو الأصمُّ . فأفضى بما سمعه
 إلى الكتابِ » .

وهذه الأوصافُ غريبةٌ جداً . ومن أغربها ذكرُ « قصير » عند
 جُدِعِ الأنفِ .

* * *

وأما القسم الرابع وهو تشبيه المركب بالمفرد :

فإنَّه قليلُ الاستعمالِ بالنسبةِ إلى الأقسام الثلاثة . وليس ذلك إلا لعدم
 النظير بين المشبَّه والمشبَّه به .

وعلى كثرةِ محافظته من الأشعارِ لم أجد ما أمثل به هذا القسم إلا مثلاً
 واحداً . وهو قول أبي تمام في وصف الربيع (١) :

يا صاحبيَّ تَقصِّياً نظريكما تَرياً وُجوهَ الأرضِ كيفَ تُصوِّرُ
 تَرياً نهاراً مُشمِساً قد شابهُ زهُرُ الرُّبَا فكأنما هو مُقَمَّرُ
 فسبَّه النهارَ المُشمِسَ مع الزهرِ الأبيضِ بضوءِ القمرِ . وهو تشبيهٌ حسنٌ
 واقعٌ في موقعه مع ما فيه من لُطفِ الصنعةِ .

ولربما اعترضَ في هذا الموضع معترضٌ . وقال : إنَّك أوردتَ هذا

(١) ديوان أبي تمام ١٥٧ من قصيدة له في مدح المعتصم ، ومطلعها :
 رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر

القسم من التشبيه . وذكرت أنه قليل . وليس كذلك !؟ فإن تشبيه شَيْئَيْن
بشيء واحدٍ كثيرٌ . كقول أبي الطيب المتنبي (١) .

تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُمْ كَأَنَّهَا فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ
فَشَبَّهَ إِشْرَاقَ الْأَعْرَاضِ وَالْوَجُوهِ بِإِشْرَاقِ الشَّيْمِ .

الجواب عن ذلك أنني أقولُ . هذا البيت المعترض به على ما ذكرته
ليس كالذي ذكرته . فإني أردتُ أن يشبّه شيطانَهما كشيء واحدٍ في الاشتراك
بشيء واحد .

ألا ترى أن نور الشمس مع بياض الزهر — وهما شيطان مُشتركان —
قد شُبَّها بضوء القمر . وأما هذا البيت الذي لأبي الطيب المتنبي فإنه تشبيهُ
شيطانين كلُّ واحدٍ منهما مفردٌ برأسه شيء واحد . لأنه شبّه إشراقَ الأعراضِ
وإشراقَ الوجوه بإشراقِ الشَّيْمِ . وهذا غير ما أردته أنا .

لكن ينبغي أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين .

أحدهما . تشبيه شيطانين مشتركين بشيء واحدٍ ، كالذي أوردته لأبي تمام .
وهو قليلُ الاستعمال .

(١) ديوان المتنبي ٥٨/٤ من قصيدة له في مدح علي بن إبراهيم التنوخي ،

مطلعها :

أحق عاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم
قال أبو الفتح بن جني : سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت ، فقال :
أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد عفت ودرست ، فصار
أحدثها عهداً قديماً . وقال الخطيب : أحق عاف بأن يبكي عليه همم
الكرام ، لأنها عفت كما تعفو الربوع فهي أحق بدمعك من كل الدارسات ،
وجعل القدم أحدث الأشياء عهداً بالهمم ، أي دروسها قديم ، فلا همم في الأرض .

والآخر . تشبيهُ شيئين منفردين بشيء واحد . كالَّذي ذكرته أنت
لأبي الطيّب التنّبي . وهو كثيرُ الاستعمال .

من معيب التشبيه :

وإذ ذكرنا أقسامَ التشبيه . وبيننا الحمودَ منها الذي ينبغي اقتفاء أثره .
وأتباع مذهبه . فلتنبه بوضه . ممّا ينبغي اجتنابه . والإضرابُ عنه .

على أنه قد قدّمنا القول بأن أحد التشبيه هو « أن يثبت للمشبه حكمٌ
من أحكام المشبه به » . فإذا لم يكن بهذه الصفة ؛ أو كان بين المشبه والمشبه
به بعدُ فذلك الذي يطرحُ ولا يُستعمل ؛ والذي يرد منه مضمرة الأداة
لا يكونُ إلا في القسم الواحد من أقسام المجازي ؛ وهو التوسّع ؛ وقد قدّمت
القول في ذلك في أول باب (الاستعارة) وضربتُ له أمثلةً منها قولُ
أبي نواس .

ما رَجَلَ المَالُ أَمَسَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الكَلَالَا

فجعل للمال رجلاً ؛ وذلك تشبيهٌ بعيدٌ ؛ ولا حاجة إلى إعادة ذلك الكلام
ههنا بجملته (١) ؛ لكن قد أشرت إليه إشارةً خفيفةً .

ومن أقبح ما سمعته من ذلك قول أبي تمام (٢) .

وَتَقاسمُ (٣) النَّاسُ السَّخَاءَ مَجْزَأً وَذَهَبْتَ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَمَامِهِ

وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الإِهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ فَرَثِهِ (٤) وَعُرُوقِهِ وَعِظَامِهِ

(١) أنظر كلامه بجملته في صفحة ٧٩ وما بعدها من هذا القسم .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٩٨ من قصيدة له في مدح أبي سعيد ، وأولها :

قل للأمير أبي سعيد ذى الندى والمجد زاد الله في إكرامه

(٣) رواية الديوان « وتقسام »

(٤) الإهاب الجلد ، والفرث السرجين في الكرش .

والتبجح الفاحشُ في البيتِ الثاني .

وكلُّ هذا التعسفُ في التشبيهِ البعيدِ دندنةٌ حول معنى ليسَ بِباطلٍ ؛
فإنَّ غرضه أن يقول . ذَهَبَ بالأعلى ؛ وترك للناس الأذنى ؛ أو ذَهَبَتْ بِالجيدِ ؛
وَتَرَكْتَ للناس الرديء .

وقد عيب عليه قوله (١) :

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

وقيل : إنَّه جعل للملام ماء ، وذلك تشبيهٌ بعيدٌ ، وما بهذا التشبيه عندي
من بأسٍ ، بل هو من التشبيهاتِ المتوسطة التي لا تُحمد ولا تذمُّ ، وهو قريبٌ
من وجه ، بعيدٌ من وجه .

أما سببُ قرْبِهِ فهو أنَّ الملام هو النولُ الذي يعْتَف به المولوم لأمرٍ
جناه ؛ وذلك مختصٌّ بالسمع ، فنقله أبو تمام إلى السقيا التي هي مختصةٌ
بالخلق ؛ كأنه قال : لاندقني الملام ، ولو تهيتاً له ذلك مع وزن الشعر لكان
تشبيهاً حسناً ، لكنه جاء بذكر الماء ؛ فخط من درجته شيئاً ؛ ولما كان
السمعُ يتجرع الملام أولاً أولاً كتجرع الحلقِ الماءَ صار كأنه شبيهٌ به ؛
وهو تشبيه معنَى بصورة .

وأما سببُ بعدِ هذا التشبيه فهو أنَّ الماء مُستلذٌّ ؛ والملام مستكرةٌ ؛
فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه .

(١) ديوان أبي تمام ٣ والبيت ثانی أبيات قصيدة له في مدح يحيى بن ثابت ،

ومطلعها :

فدك انتب أربيت في الغلواء كم تعدلون وأنتم سجراني

فهذا التشبيه إنْ بَعْدَ من وجهٍ فَقَدْ قُرِبَ من وجهٍ ؛ فَيُنْفَرُ هذا لهذا ؛
ولذلك جماعته من التشبيهات المتوسّطة التي لا تُحمد ولا تَدُمُّ .

وقد رُوِيَ — وهو روايةٌ ضعيفةٌ — أَنَّ بعضَ أهلِ الجانَةِ أرسلَ إلى
أبي تمامَ فارورةً ؛ وقال : إبعثْ في هذه شيئاً من ماءِ الملام ! فأرسلَ إليه
أبو تمامَ ؛ وقال : إذا بعثتُ إلى ريشةٍ من « جناحِ الذلِّ » بعثتُ إليك شيئاً
من ماءِ الملام !

وما كان أبو تمامَ ليذهب عليه الفرقُ بينَ هذينَ التشبيهِينَ ؛ فإنه ليس
جعلَ الجناحَ للذِّلِّ كجعلِ الماءِ للملام ، فإنَّ الجناحَ للذِّلِّ مناسبٌ ؛ وذلكَ أنَّ
الطائرَ إذا وَهَنَ أو تَعِبَ بَسَطَ جناحه وخَفَضَهُ ، وألْقَى نَفْسَهُ على الأرضِ ،
وللإنسانِ أيضاً جناحٌ ؛ فإنَّ يديهَ جناحاه ، وإذا خضعَ واستكانَ طأطأ من
رأسِهِ وخفضَ من يديه . فحسُنَ عند ذلكَ جعلُ الجناحِ للذلِّ ، وصارَ تشبيهاً
مناسباً ، وأما الماءُ للملام فليسَ كذلكَ في مُناسبةِ التشبيهِ .

وأما التشبيهُ المضمَرُ الأداةُ من هذا البابِ فقد أوردتُ له أمثلةً يستدلُّ بها
على أشباهِهِ وأمثاله ، فإنَّ لذكرِ المثالِ فائدةً لانتكونَ لذكرِ الحدِّ وحده .
فمن ذلكَ قولُ بعضهم :

ملا حاجبيك الشيبُ حتى كأنه ظبَاءُ جرتَ منها سنيحٌ وبارحُ

وكذلكَ قولُ الآخرِ يصفُ السهمَ :

كسَاها رطيبَ الرِّيشِ فاعتدلتْ له قِداحٌ كأعناقِ الظبَاءِ القوارقِ

فإنَّه شَبَّهَ السهمَ بأعناقِ الظبَاءِ ، وذلكَ من أبعَدِ التشبيهِاتِ .

وعلى نحوِ منه قولُ الفرزدقِ (١) :

(١) ديوانُ الفرزدقِ ٢ / ٧١٥ من قصيدته التي أولها :

إن الذي سمك السماءَ بنى لنا بيتسا دعائمه أعز وأطول

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ

جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ الْمَشْعَلُ (١)

فشيته الرجال في دروع الزرّاد بالجمال الجرب ، وهذا من التشبيه البعيد ؛
لأنّه إن أراد السواد فلا مقارنة بينهما في اللون ، لأن لون الحديد أبيض ،
ومن أجل ذلك سميت السيوف بالبيض ، ومع كون هذا التشبيه بعيداً فإنّه
تشبيه سخيف .

ومن التشبيهات الباردة قول أبي الطيب المتنبي (٢) :

وجرى على الورق النجيعُ القاني (٣)

فكأنه النارنجُ في الأغصانِ

وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم ، وإذا قُسمت التشبيهات بين البعد
والبرد حاز طرفي ذلك التقسيم .

وأشبع من هذا قول أبي نواس (٤) في الخمر :

(١) الكحيل القطران ، وحلق الحديد الدروع ، والمشعل الحديدية
التي يحرق بها الجلد ، ويروى « كأنهم » موضع « كما مشت »
(٢) ديوان المتنبي ٤ / ١٨٤ من قصيدة له في مدح سيف الدولة ،
أولها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى الحل الثاني

(٣) النجيع الدم ، والقاني الأحمر الشديد الحمرة .

(٤) لم أجد هذا البيت والبيت الذي بعده في ديوان أبو نواس ، ولعلهما

من جملة الأبيات التي وردت في ديوانه (٣٤٩) وهى :

أأدميت بالماء القراح جبينها يسمع في صحن الزجاج أنينها

فتمت سمعت أذنك عند مزاجها أنينا وألحانا تجيب دنينها =

كَانَ بَوَاسِرًا^(١) رَوَاكِدُ حَوْلَهَا وَزُرُقَ سَنَانِيرٍ تُدِيرُ عُيُونَهَا
والعجبُ أنه يقولُ مثل هذا الفث الذي لاملاءة بينه وبين ماشبه به ،
ويقرنه بالبديع الذي أحسن فيه وأبدع ، وهو :

كَانًا حُلُولٌ بَيْنَ أَكْنَافِ رَوْضَةٍ

إِذَا مَا سَلَبْنَاهَا مَعَ اللَّيْلِ طِينَهَا

فانظر كيف قرن بين ورودة وسعدانة ، لا بل بين بقررة ومرجانة .
وقد أكثر في تشبيه الخمر ، فأحسن في موضع وأساء في موضع ، ومن
إساءته قوله أيضاً في أبيات لامية^(٢) :

وَإِذَا مَا الْمَاءُ وَقَعَهَا أَظْهَرَتْ شَكْلًا مَنِ الْقَزَلِ

لُؤْلُؤَاتٍ يَنْحَدِرْنَ بِهَا كَانْحِدَارِ الدَّرِّ مِنْ جَيْلٍ^(٣)

= فصنها عن الماء القراح وهاتها
بأنية مخروطة من زبرجد
بكف تكاد الكأس تدمى بنانها
كان رجال الهند حول إنانها
(١) هكذا في الأصل ، ولم أف هذه الكلمة على معنى ، ولكني رأيت
في القاموس (١/٣٨٢) أن البياسرة جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة
العدو الواحد بيسرى . والنواخذة هم أهل السفن ، فلعن البواسار منها ، ويرجح
هذا ذكره « رجال الهند » في آخر أبيات الديوان المذكورة في الهامش السابق :

(٢) ديوان أبي نواس ٣١٧ من قصيدة أولها :

يَا مَبِيحَ الدَّمْعِ فِي الظَّلْلِ رَاكِبًا مِنْهُ إِلَى أَمَلِ

(٣) رواية الديوان في الشطر الثاني هكذا :

* كَانْحِدَارِ الدَّمْعِ فِي عَجَلِ *

ولامعني لاعتراض المؤلف على هذه الرواية .

فشبهه الحَبَبَ في انحداره بَنَمْلٍ صغارٍ يَنجدر من جَبَلٍ ، وهذا من البُعْدِ
على غايةٍ لا يحتاجُ إلى بيانٍ وإيضاحٍ .

* * *

وأعلم أنَّ من التشبيه ضرباً يسمَّى « الطرد والعكس » وهو أن يُجَعَلَ
المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به وبعضهم يسمِّيه « غلبة الفروع على الأصول ^(١) »
ولا تجد ^(٢) شيئاً من ذلك إلا والغرضُ به المبالغةُ ، فمَّا جاء من ذلك قولُ
ذِي الرِّمَّةِ ^(٣) :

ورمَلِ كَأردافِ العَدَارِي قطعُهُ إِذَا أَلِيسَتْهُ المَظلماتُ الحَنادِسُ ^(٤)
أَلاترى إلى ذِي الرِّمَّةِ ^(٥) كيف جَعَلَ الأَصْلَ فرعاً والفرعَ أصلاً ، وذلك

(١) أنظر الخصائص لابن جني ٣٠٨/١ وقد نقل ابن الأثير كلامه
كما ترى .

(٢) في الخصائص « ولا تكاد تجد » قال ابن جني : هذا فصل من
فصول العربية ظريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الأعراب ،
ولا تكاد تجد . الخ .

(٣) هو غيلان بن عقبة بن نهيس ، من مضر ، ومن الشعراء المتيمين
وصاحبه ميم بنت مقاتل المنقرى ، كان كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن
أبي موسى الأشعري وقيل إنه استسقى مرة فخرجت له « مية » وكانت بارعة
الجمال ، وكان على كتفه رمة — قطعة جبل بالية — فقالت له :
شرب ياذا الرمة ، فلزمته هذه الكنية منذ ذلك ، وازمه حب مية
من هذه النظرة .

(٤) من قصيدة لذي الرمة مطلعها :

ألم تسأل اليوم الرسوم السوارس بجزوى ؟ وهل تدرى القفار البسابس ؟

(٥) في الخصائص « أفلاترى ذا الرمة . » وقد تصرف ابن الأثير

في كثير من المواضع في هذا النص .

أن العادة والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكُشبان الأَنْقاء^(١) ، وهو مطرد في بابيه ، فعكس ذو الرمة القصة في ذلك ، فشبه كُشبان الأَنْقاء بأعجاز النساء ، وإنما فعل ذلك مبالغة ؛ أي قد ثبت هذا الموضوع وهذا المعنى لأعجاز النساء ، وصار كأنه الأصل ، حتى شُبّهت به كُشبان الأَنْقاء ، وعلى نحو من هذا جاء قول البحترى^(٢) :

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تمنّيها^(٣)
وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي أولها :

* سقى المطيرة ذات الطل والشجر^(٤) *

قال في تشبيه الهلال :

ولاح ضوء قميرٍ كاد يفضحنا مثل القلام قد قُدت من الظفر
ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه هو الأصل ، وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ .
وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب « الخصاص » وأورده هكذا مهملاً .

(١) الأَنْقاء جمع نقا ، وهو من الرمل القطعة تنقاد محدودة ، وهما نقوان ونقيان ، والجمع أَنْقاء ونقي « بضم فكسر » .

(٢) ديوان البحترى (٢٣/١) من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :

أنافعى عند ليلي فرط حبيها واوعة لى أبلديها وأخفيها

(٣) روى صدر البيت في الديوان هكذا :

* في حمرة الورد شكل من تلبهها *

(٤) هذا صدر البيت وعجزه .

* ودير عبدون هطال من المطر *

ولما نظرتُ أنا في ذلك ، وأنعمتُ نظري فيه تبين لي ما أذكره ، وهو أنه قد تقرر في أصل الفائدةِ المُستنتجة من التشبيه أن يشبه الشيء بما يطلقُ عليه لفظةُ « أفعل » أي يشبهه بما هو أبين وأوضح ، وبما هو أحسن منه أو أفتح ، وكذلك يشبه الأقلُّ بالأكثر ، والأدنى بالأعلى .

وهذا الموضع لا ينقضُ هذه القاعدة ، لأنّ الذي قدّمنا ذكره مطردٌ في بابه ، وعليه مدار الاستعمال . وهذا غير مطرد . وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف . وذلك أنّ تجملَ المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به . ولا يحسن في غير ذلك مما ليسَ بمتعارفٍ .

ألا ترى أنّ من العادة والعرف أن تشبه الإعجازُ بالكتبان . فلما عكسَ ذو الرّمة هذه القضية في شعره جاء حسناً لايقاً ؟ وكذلك فعلَ البحرى . فإنّ من العادة والعرف أن يشبه الوجهُ الحسنُ بالبدر . والقُدُّ الحسنُ بالقضيب . فلما عكسَ البحرى القضية في ذلك جاء أيضاً حسناً لايقاً ؟

ولو شبه ذو الرّمة الكتبانَ بما هو أصغرُ منها غير الإعجاز لما حسُن ذلك .

وهكذا لو شبه البحرى طلعةَ البدرِ بغير طلعةِ الحسناء . والقضيبَ بغير قُدّها لما حسُن ذلك أيضاً .

وهكذا القولُ في تشبيه عبد الله بن المعتزِّ صورة الهلال بالقلامه . لأنّ من العادة أن تشبه القلامه بالهلال ، فلما صار ذلك مشهوراً متعارفاً حسنَ عكسِ القضيّة فيه (١) .

(١) هذا نهاية الجزء الأول من النسخة الخطية المحفوظة في دار الكتب المصرية بخط أبي المكارم بن منصور الباشا وشنای الموصلى ، فرغ من كتابة هذا الجزء في يوم السبت الحادى والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة =

النوع الثالث

في التجريد

وهذا اسمٌ كنتُ سمعته . فقال القائل : التجريد في الكلام حسنٌ . ثم سكت فسألته عن حقيقته . فقال : كذا سمعت ! ولم يزد شيئاً . فأنعمتُ حينئذٍ نظري في هذا النوع من الكلام . فألقي في روعي أنه ينبغي أن يكون كذا وكذا . وكان الذي وقع لي صواباً . ثم مضى على ذلك برهةً من الزمان ووصل إليّ ما ذكره أبو عليّ الفارسي^(١) رحمه الله تعالى ، وقد أوردته هاهنا . وذكرتُ ما أتيت به من ذاتِ خاطري من زيادةٍ لم يذكروها . وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي .

فأما حدُّ (التجريد) فانه : إخلاص الخطاب لغيرك . وأنت تريد به نفسك . لا المخاطب نفسه . لأن أصله في وضع اللمعة من « جرّدتُ السيف » إذا نزعته من غمده . و « جرّدتُ فلاناً » إذا نزعته ثيابه . ومن هاهنا قال صلى

= اثنتين وعشرين وستمائة من الهجرة ، وفي أول هذا الجزء إجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من السنة نفسها ، أجاز بها الشيخ أبا محمد المظفر عضد الدين بن محمد بن علي بن جعفر بن زهير الدمشقي . (١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار محمد بن أبان الفارسي النحوي ، ولد بمدينة فساد واشتغل ببغداد ، ودخل إليها سنة ٣٠٧ ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار البلاد ، وأقام بحلب عند سيفي الدولة بن حمدان مدة ، وكان قدومه إليها سنة ٣٤١ ، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن بويه ، وتقدم عنده ، وعلت منزلته ، حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو . وكان مولده سنة ٢٨٨ هـ ووفاته ببغداد سنة ٣٧٧ هـ

الله عليه وسلم : « لَامَدَّ وَلَا تُجْرِدُ » وذلك في النهي عند إقامة الحدِّ أن يُمدَّ صاحبه على الأرض ، وأن تُجرَّد عنه ثيابه : وقد نُقلَ هذا المعنى إلى نوعٍ من أنواع علم البيان .

وقد تأملتُه ، فوجدتُ له فائدتين إحداهما أبلغُ من الأخرى .

فالأولى : طلبُ التوسُّع في الكلام ، فإنه إذا كان ظاهرُه خطاباً لغيرك ، وباطنه خطاباً لنفسك ، فإنَّ ذلك من باب التوسُّع وأظنُّ أنه شيءٌ اختصَّت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات .

والفائدةُ الثانية : وهي الأبلغُ ، وذلك أنه يتمكنُ المخاطبُ من إجراء الأوصافِ المقصودة من مدحٍ أو غيره على نفسه ، إذ يكونُ مخاطباً بها غيره ، ليكونَ أعذرَ وأبرأ من العهدة فيما يقوله غيرَ محجورٍ عليه .

وعلى هذا فإنَّ التجريدَ ينقسم قسمين :

أحدهما : تجريدٌ محضٌ .

والآخرُ : تجريدٌ غيرُ محضٍ .

^{التجريد}
التجربة المحض :

فالأوَّل — وهو المحضُ — أن تأتي بكلامٍ هو خطابٌ لغيرك ، وأنت تريدُ به نفسك ، وذلك كقولِ بعضِ المتأخِّرين وهو الشاعر المعروفُ بالخيصَ بيصَ^(١) في مطلع قصيدته له :

(١) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صهيمى التميمي ، الملقب بشهاب الدين ، المعروف بـخيص بيص ، الشاعر المشهور ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالرِّي : ثم غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، فأجاده مع جزالة اللفظ ، وله رسائل بليغة ، وكان أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغتهم ، وكان فيه تيه وتعظيم ، ولا يخاطب أحداً إلا بالكلام =

إِلَامَ يِرَاكُ الْمَجْدُ فِي زِيِّ شَاعِرٍ وَقَدْ نَحَلَتْ شَوْقًا فِرْوَعُ الْمُنَابِرِ
كَتَمْتَ بَعِيْبَ الشُّعْرِ حُلْمًا وَحِكْمَةً بِيَعِضْهُمَا يَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ
أَمَّا وَأَيُّكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ فَارِسُ السَّمَقَالِ وَمُحِي الدَّارِسَاتِ الْغَوَابِرِ
وَإِنَّكَ أُعْيِيْتُ الْمَسَامِعَ وَالنُّهَى بِقَوْلِكَ عَمَّا فِي بَطُونِ الدَّفَاتِرِ

فهذا من محاسن التجريد ، ألا ترى أنه أُجْرِي الخُطَابَ على غيره ، وهو يريد نفسه ، كى يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفارقة ، وعدّ ماعدّه من الفضائل التامة .

وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريدُ المُخْصُ .

وأما ما قصد به التوسع خاصة ، فكقول الصّمة بن عبد الله من شعراء الحماسة (١) :

خَنَنْتَ إِلَى رَبِّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رَبِّا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَا

وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع

لأنه قال :

= العربي . وكان يلبس زى الأعراب ، ويتقلد سيفاً . وقيل له الحيص بيص لأنه رأى الناس مرة فى حركة مزعجة وأمر شديد ، فقال : ما للناس فى حيص بيص ؟ أى فى شدة واختلاط ، فبقي عليه هذا اللقب توفى سنة ٥٧٤ هـ ببغداد ، ودفن فى الجانب الغربى فى مقابر قريش .

(١) كان شريفًا ناسكًا عابدا غزلا شاعرا مقلا من شعراء الدولة

الأموية ، والأبيات فى ديوان الحماسة (٢-٥٤) .

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحُمَى نَمَّ أَثْنِي عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا (١)
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرَّبَّاءَ
وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَفَا وَالْمُتَرْبَّاءَا

فانتقل من الخطابِ التجريديِّ إلى خطابِ النفسِ ، ولو استمرَّ على الحالةِ الأولى لما قُضِيَ عليه بالتوسُّعِ ، وإنما كان يُقضى عليه بالتجريدِ البليغِ الذي هو الطرفُ الآخرُ ، ويتأوَّلُ له بأن غرضه من خطابِ غيره أن يَنفِي عن نفسه سُمعةَ الهوى ومعرفةَ العشقِ ، لما في ذلك من الشهرةِ والفضاضةِ . لكن قد زال هذا التأويلُ بانتقاله عن التجريدِ أوَّلاً إلى خطابِ النفسِ .
وعلى هذا الأسلوبِ ورد قول أبي الطيبِ المتنبي (٢) :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فليُسْعِدِ النَّطْقُ إِن لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
وَاجز الأميرَ الَّذِي نَعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنَعْمَى الْقَوْمِ أَقْوَالُ
وهذان البيتانِ من مطلعِ قصيدةٍ يمدحُ بها فاتكاً الإخشيديَّ بمصرَ ، وكان وصله بصلَّةٍ سنِّيَّةٍ من نفقةٍ وكسوةٍ قبل أن يمدحه ، ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدةِ ، وهي من غررِ شعره ، وقد بنى مطلعها على المعنى المشارِ إليه من ابتداءِ فاتكٍ إيَّاهُ بالصلَّةِ قبل المديحِ .

وليسَ في التجريدِ المذكورِ في هذين البيتينِ ما يدلُّ على وصفِ النفسِ ،

(١) رواية ديوان الحماسة تجعل هذا البيت آخر الأبيات التي اختارها أبو تمام جميعاً « وتورد البيت الذي بعده قبل هذا البيت بخمسة أبيات (٢) ديوان المتنبي ٣- ٢٧٦ مطلع قصيدة له في مدح أبي شجاع فاتك سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد في الآيات الرائية المتقدم ذكرها ، وإنما هو توسعٌ لا غيرٌ .

التجريد غير المحض :

وأما القسم الثاني : وهو غير المحض ، فإنه خطابٌ لنفسك لا لغيرك ، ولئن كان بين النفس والبدن فرقٌ إلا أنهما كأنهما شيء واحد ، لملاقة أحدهما بالآخر .

وبين هذا القسم والذي قبله فرقٌ ظاهر ، وذلك أوّلى بأن يسمى تجريداً ، لأن التجريد لا تقُّ به ، وهذا هو نصف تجريدٍ . لأنك لم تجرّد به عن نفسك شيئاً . وإنما خاطبت نفسك بنفسك . كأنك فصلتها عنك . وهي منك .

فما جاء منه قول عمرو بن الإطنابة (١) :

أقولُ لها وقد جشأت وجاشتُ رُوَيْدِكَ مُحمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي (٢)

وكذلك قول الآخر (٣) :

(١) هو عمرو بن الإطنابة أحد بني الخرزج ، ومعنى الإطنابة المظلة ، واسم أم عمرو هذا ، وهو أحد من ملك الحجاز في الجاهلية ، وكان شاعراً مجيداً .

(٢) انظر شرح التبريزي ديوان الحماسة ٢ - ٢٧٣ ، وقد رواه « مكانك » موضع « رويدك » وقد تمثل بالبيت معاوية في إحدى وقعاته مع الإمام علي ، وكاد ينهزم ، فما لبث أن ثبت مكانه .

(٣) أحد بيتين اختارهما أبو تمام في ديوان الحماسة ١/٧٣ ونسبهما لأعرابي قتل أخوه ابناً له ، والبيت الآخر :

كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابتنى ولم ترد^(١)
وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطاباً لغيرك كالأول . وإنما المخاطب
هو المخاطب بعينه . وليس ثم شيء خارج عنه .

وأما الذي ذكره أبو عليّ الفارسيّ — رحمه الله — فإنه قال : إنّ العرب
تعتقد أنّ في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقة ومحصوله . فتخرج ذلك المعنى
إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان كأنه غيره . وهو هو بعينه . نحو قولهم « لئن
لقيت فلاناً لتلقين به الأسد . ولئن سألته لتسألنّ منه البحر » وهو عينه الأسد
والبحر . لا أنّ هناك شيئاً منفصلاً عنه . أو متميزاً منه .

ثمّ قال : وعلى هذا التمثيل كون الإنسان مخاطباً نفسه . حتى كأنه يقول
غيره . كما قال الأعشى :

* وهل تطيق وداعاً أيها الرجل^(٢) *

وهو الرجل نفسه لا غيره .

هذا خلاصة ما ذكره أبو عليّ رحمه الله .

والذي عندي فيه أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الأول . لأن الثاني هو
التجريد . ألا ترى أن الأعشى جرّد الخطاب عن نفسه وهو يريد بها .

(١) التأساء هي ما يؤتسى به من الحزن والتعزية حسن الصبر
وقوله : « إحدى يدي أصابتنى » أجراه على المثل والمجاز والمعنى :

أناجى النفس بهذا القول طلباً للتأسي وحسن الصبر .

(٢) هذا عجز مطلع قصيدته المشهورة ، وصدر البيت :

* ودع هريرة إن الركب مرتحل *

ويعلها بعض الرواة إحدى المعلقات .

وأما الأول . وهو قوله : « لئن لقيتَ فلاناً لتلقينَ به الأسد . ولئن سألتَهُ
لتسألنَّ منه البحر » فإنَّ هذا تشبيهٌ مضمرةُ الأداة . إذ يحسنُ تقديرُ أداةِ
التشبيهِ فيه .

وبيانُ ذلكَ أنكَ تقول : « لئن لقيتَ فلاناً لتلقينَ منه كالأسد . ولئن
سألتَهُ لتسألنَّ منه كالبحر » وليس هذا بتجريدٍ . لأنَّ حقيقةَ التجريدِ غيرُ
موجودةٍ فيه . وإنما هو تشبيهٌ مضمرةُ الأداة . ألا ترى أن المذكورَ هو
كالأسد . وهو كالبحر . وليسَ ممَّ شئٌ مجردٌ عنه . كما تقدم في الأبياتِ
الشعرية .

ويبطلُ على أبي عليٍّ قوله أيضاً من وجهٍ آخر . وذلكَ أنَّه قال . « إنَّ
العربَ تعتقدُ أنَّ في الإنسانِ معنىً كامناً فيه كأنه حقيقتهُ ومحصولُهُ . فتُخرجُ
ذلكَ المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسانِ كأنه غيره وهو هو » كالمثالِ الذي
مثله في تشبيهه بالأسد وتشبيهه بالبحر . وهذا ينتقضُ بقولنا . « لئن رأيتَ
الأسدَ لترينَ منه هضبةً . ولئن لقيتَهُ لتلقينَ منه الموت » فإنَّ الصورةَ التي
أوردناها في الإنسانِ ، وزعمُ أن العربَ تعتقدُ أنَّ ذلكَ معنىً كامناً فيه قد أوردنا
مثلاً في الأسد ، فتخصيصه ذلكَ بالإنسانِ باطل .

وكلا الصورتينِ ليسَ بتجريدٍ ، وإنما هو تشبيهٌ مضمرةُ الأداة :

وقد سبق القولُ بأنَّ التجريدُ هو أن تُطلقَ الخطابَ على غيرك ، ولا يكونُ
هو المراد ؛ وإنما المرادُ نفسك ؛ وهذا لا يوجدُ في هذا المثالِ المضمرةُ الأداة ، بل
المخاطبُ هو هو لا غيره ، فلا يطلقُ عليه إذاً اسمُ التجريد ، لأنه خارجٌ عن
حقيقته ، ومُنافٍ لموضوعه .

فإذا قال القائلُ : « لئن لقيتَهُ لتلقينَ به كالأسد ، ولئن سألتَهُ لتسألنَّ منه

كالبجر» لم يجرّد عن المقول عنه شيئاً ، وإنما شبهه تارةً بالأسد في شجاعته ،
وتارةً بالبحر في سخائه .

وما أعلمُ كيف ذهبَ هذا على مثل أبي عليّ — رحمه الله — حتى خلطه
بالتجريد ، وأجراه مجراه ؟

وأما قوله : إنّ العربَ تعتقدُ أنّ في الإنسانِ معنَى كامنًا فيه كأنه حقيقةٌ
ومحصولُهُ « فأقولُ : وغيرُ العربِ أيضًا تعتقدُ ذلك !

فإنّ عنيّ بالمعنى الكامن معنى الأنسانيّة الذي هو الاستعدادُ للعلوم والصناعات ،
فما هذا من الشيء الغريب الخفيّ الذي علمته العربُ خاصّةً وانفرد باستخراجه
أبو عليّ رحمه الله !

وإنّ عنيّ بالمعنى الكامن ما فيه من الأخلاقِ كالشجاعةِ والسَّخاءِ في
المثالِ الذي ذكره ، حتّى يشبّه بالأسد تارةً ، وبالبحرِ أُخرى ، فليسَ
الإنسانُ مختصًا بهذا المعنى الكامن دونَ غيره من الحيوانات ، بل الأسدُ
فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الإنسانِ ، ولهذا إذا بُولغ في وصفِ الإنسانِ
بالشجاعةِ شبّه بالأسد ، وكذلك في بعض الحيوانات من السَّخاءِ ما ليس في
الإنسانِ ، ومن الأمثالِ « أكرمُ من ديكٍ » لآلته إذا ظفرَ بحبّةٍ من الحنطة
أخذها في منقاره ، وطافَ بها على الدجاجِ ، حتّى يضعها في منقار
واحدةٍ منهن .

فالأخلاقُ إذاً مشتركةٌ بين الإنسانِ وغيره من الحيوانات . غير أنّ
الإنسانَ يجتمعُ فيه ما تفرّق في كثير منها .

وما أعلمُ ما أراد أبو عليّ — رحمه الله — بقوله : « إنّ في الإنسانِ معنَى

كامناً فيه كأنه حقيقتهُ ومحصوله « إلا أن يكون أحد هذين القسمين الذين
أشرتُ إليهما .

على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة والسخاء وغيره من الأخلاق
ليس عبارةً عن حقيقة الإنسان ، إذ لا يقالُ في حدّه : « حيوانٌ شجاعٌ ، ولا
سخيٌّ » بل يُقالُ : « حيوانٌ ناطقٌ » فالنطقُ الذي هو الاستعدادُ للعلوم
والصنائع هو حقيقةُ الإنسان .

فبطلَ إذاً قولُ أبي عليٍّ رحمه الله في تمثيله حقيقةَ الإنسان بالشجاعة
والسخاء .

فالخطأُ توجهٌ في كلامه من وجهين :

أحدهما : أنه جعل حقيقةَ الإنسان عبارةً عن خلقه .

والآخر : أنه أدخل في التجريدِ ما ليس منه .

وهذا القدرُ كافٍ في هذا الموضع فليتأمل .

النوع الرابع

في الالتفات

وهذا النوعُ وما يليه^(١) هو خلاصة علم البيان التي حوّلها يدُ ندنُ ، وإليها
تستندُ البلاغةُ ، وعنها يُمتنعن .

وحقيقتهُ مأخوذةٌ من التفاتِ الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يُقبلُ بوجهه
نارةً كذا ، وتارةً كذا .

وكذلك يكونُ هذا النوعُ من الكلامِ خاصةً ، لأنه يُنتقلُ فيه عن

(١) هو النوع الخامس « توكيد الضميرين » وسيأتى :

صِيغَةً إِلَى صِيغَةٍ ، كانتقال من خطابٍ حَاضِرٍ إِلَى غَائِبٍ ، أَوْ من خطابٍ غَائِبٍ إِلَى حَاضِرٍ ، أَوْ من فِعْلِ ماضٍ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ ، أَوْ من مُسْتَقْبَلٍ إِلَى ماضٍ ، أَوْ غير ذلكِ مِمَّا يَأْتِي ذِكْرُهُ مُفَصَّلًا .

ويُسَمَّى أَيْضًا « شِجَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ » وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الشِّجَاعَةَ هِيَ الْإِقْدَامُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ الشِّجَاعَ يَرْكَبُ مَا لَا يَسْتَطِيعُهُ غَيْرُهُ ، وَيَتَوَرَّدُ مَا لَا يَتَوَرَّدُ سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ هَذَا الْاِتِّفَاتُ فِي الْكَلَامِ ، فَإِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَخْتَصُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ .

وهو ينقسمُ إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة :

اعلم أن عامة المنتميين إلى هذا الفن إذا سُئِلُوا عَنِ الْاِتِّفَاتِ عَنِ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ ، وَعَنِ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ ، قَالُوا : كَذَلِكَ كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي أُسَالِبِ كَلَامِهَا . وَهَذَا التَّوَلُّهُ هُوَ عُكَّازُ الْعَمِيَانِ ، كَمَا يُقَالُ . وَنَحْنُ إِنَّمَا نَسْأَلُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي قَصَدَتْ الْعَرَبُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ .

وقال الزُّنْحَشَرِيُّ (١) رَحِمَهُ اللهُ : إِنْ الرَّجُوعَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ إِنَّمَا يَسْتَعْمَلُ لِلتَّفَنُّنِ فِي الْكَلَامِ وَالْاِتِّفَاتِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ ، تَطْوِيئًا لِنَشَاطِ السَّمَاعِ ، وَإِقْبَاطًا لِلْإِصْفَاءِ إِلَيْهِ .

(١) هو جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزُّنْحَشَرِيُّ ، كَانَ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ « وَاسِعَ الْعِلْمِ كَبِيرَ الْفَضْلِ ، مُتَفَنَّيًّا فِي عُلُومِ شَتَّى ، مُعْتَرِي الْمَذْهَبِ مُتَّجَاهِرًا بِذَلِكَ ، وَوُلِدَ بِزَنْجَشَرٍ مِنْ أَعْمَالِ خَوَارِزْمِ سَنَةَ ٤٦٧ وَتَوَفَّى بِقَصْبَةِ خَوَارِزْمِ لِيَاةٍ عَرَفَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

وليس الأمر كما ذكره ، لأنّ الانتقال في الكلام من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ إذا لم يكن إلا تطريةً لنشاطِ السّامع ، وإيقاظاً للأصغاء إليه ، فإنّ ذلك دليلٌ على أنّ السّامعَ يميلُ من أسلوبٍ واحدٍ . فينتقلُ إلى غيره ، ليجدَ نشاطاً للاستماع . وهذا قدحٌ في الكلام ، لا وصفٌ له ، لأنّه لو كان حسناً لما ملّ .

ولو سلّمنا إلى الزمخشريّ ما ذهبَ إليه لكان إنّما يوجدُ ذلك في الكلام المطوّل ، ونحن نرى الأمرَ بخلافِ ذلك ، لأنّه قد ورد الانتقالُ من الغيبةِ إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبةِ في مواضعٍ كثيرةٍ من القرآنِ الكريمِ ، ويكونُ مجموعُ الجانبينِ معاً يبلغُ عشرةَ ألفاظٍ أو أقلّ من ذلك .

ومفهومُ قولِ الزمخشريّ في الانتقالِ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ إنّما يُستعملُ قصداً للمخالفةِ بينَ المنتقلِ عنه والمنتقلِ إليه ، لا قصداً لاستعمالِ الأحسنِ : وعلى هذا فإذا وجدنا كلاماً قد استعملَ في جميعه الإيجازُ ، ولم يُنتقلِ عنه ، أو استعملَ فيه جميعه الإطنابُ ، ولم ينتقلِ عنه ؛ وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا : هذا ليس بحسنٍ ، إذ لم ينتقلِ فيه من أسلوبٍ . وهذا قولٌ فيه ما فيه .

وما أعلمُ كيفَ ذهبَ على مثلِ الزمخشريّ مع معرفته بفنِّ النصاحةِ والبلاغةِ ؟ .

والذي عندي في ذلك أنّ الانتقالَ من الخطابِ إلى الغيبةِ أو من الغيبةِ إلى الخطابِ لا يكونُ إلا لفائدةٍ اقتضته . وتلك الفائدةُ أمرٌ وراءَ الانتقالِ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ، غير أنّها لا تُحدُّ بِحدِّ ، ولا تُضبطُ بِضابطٍ ، لكنّ يشارُ إلى مواضعٍ منها ، يُقاسَ عليها غيرها ، فإنّا قد رأينا الانتقالَ من الغيبةِ إلى الخطابِ قد استعملَ لتعظيمِ شأنِ المخاطبِ ؛ ثم رأينا ذلك بعينه — وهو ضدُّ

الأول — قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، فعلنا جيفئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على ونيرة واحدة ، وإنما هو مقصورٌ على العناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر ، وإنما يؤتى بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه .
وسأوضح ذلك في ضرب من الأمثلة الآتى ذكرها :

فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب فكقوله تعالى في سورة الفاتحة
« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » .

هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، وإنما يختص به هذا الكلام من القوائد قوله : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » بعد قوله « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب ، لأن الحمد دون العبادة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبدُه ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ « الحمد » لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال : « الحمد لله » ولم يقل : الحمد لك ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » فخاطب بالعبادة إصراً حاجاً بها ، وتقرباً منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدود منها .

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة ، فقال : « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال : « غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ » عطفًا على الأول ، لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه ، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب ، فأسند النعمة إليه لفظاً وروى عنه لفظ الغضب تحثناً ولطفاً .

فانظر إلى هذا الموضع ، وتناسب هذه المعاني الشريفة التي الأقدام لاتكاد تطؤها ، والأفهام مع قريها صاحفة عنها .

وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب . لتعظيم شأن الخطاب ، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة ، لتلك العلة بعينها ، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً ، لأن مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه ، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه .

فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها .

ومن هذا الضرب قوله تعالى « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا » (١)

وإنما قيل : « لَقَدْ جِئْتُمْ » وهو خطاب للحاضر بعد قوله : « وَقَالُوا » وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة ، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى ، والتعرض لسخطه ، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه ، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكرراً عليهم ، وموبخاً لهم .

وما جاء من الالتفات مراراً على قصر متنه ، وتقارب طرفيه ، قوله تعالى أول سورة بني اسرائيل : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

فقال أولاً : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى » بلفظ الواحد ، ثم قال : « الَّذِي

(١) سورة مريم الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

بَارَ كُنَّا» بلفظ الجمع ، ثم قال : « إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ » وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك حوله ليريه من آياته إِنَّهُ هو السميع البصير . وهذا جميعه يكون معطوفاً « على أسرى » ، فلما خولفَ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه في الانتقالِ من صيغةٍ إلى صيغةٍ كانَ ذلك اتساعاً وتفنُّناً في أساليبِ الكلامِ ، ولقصدِ آخرَ معنى هو أعلى وأبلغُ .

وسأذكرُ ما سنح لي فيه ، فأقول :

لما بدأ الكلامَ بسُبْحانِ رَدَفَه بقوله : « الذى أسرى » إذ لا يجوزُ أن يقالَ : الذى أسرىنا ، فلما جاء بلفظِ الواحدِ ، واللهُ تعالى أعظمُ العظاءِ ، وهو أوثى بخطابِ العظيمِ في نفسه الذى هو بلفظِ الجمعِ استدركَ الأولُ بالثانى ، فقالَ : « بَارَ كُنَّا » ثم قالَ : « ليريهُ من آياتنا » فجاءَ بذلك على نسقِ « بَارَ كُنَّا » ثم قالَ : « إِنَّهُ هُوَ » عطفاً على « أسرى » وذلك موضعٌ متوسطُ الصفةِ ، لأن السمعَ والبصرَ صفتانِ يشارِكُهُ فيهما غيرُهُ ؛ وتلك حالٌ متوسطةٌ ؛ فخرجَ بهما عن خطابِ العظيمِ في نفسه إلى خطابِ غائبٍ .

فانظر إلى هذه الالتفاتاتِ المترادفةِ في هذه الآيةِ الواحدةِ التى جاءت لمعانٍ اختصت بها ؛ يعرفها من يعرفها ؛ ويجهلها من يجهلها .

ومما يَنخرطُ في هذا السلكِ الرجوعُ من خطابِ الغيبةِ إلى خطابِ النفسِ كقوله تعالى : « ثم استوى إلى السماءِ وهى دُخانٌ فقالَ لها وللأرضِ ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعينَ * فقضاهنَّ سبعَ سمواتٍ في يومينِ

وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرَها وزينا السماءَ الدنيا بمصابيحٍ وحفظًا ذلكَ تقدِيرُ
العزیز العليم (١) .

وهذا رجوعٌ من الغيبة إلى خطاب النفس ، فإنه قال : « وزينا » بعد
قوله : « ثم استوى » وقوله : « فقضاهن » . و « أوحى » والفائدة في ذلك
أن طائفةً من الناس غير المتشرِّعين يمتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا .
وأنها ليست حفظًا ولا رجومًا . فلما صار الكلامُ إلى هاهنا عدلَ به عن
خطابِ الغائبِ إلى خطابِ النفس . لأنه مهمٌّ من مهماتِ الاعتقاد . وفيه
تكذيبٌ للفرقةِ المكذِّبةِ الممتدة بطلانه . وفي خلافِ هذا الرجوعُ من
خطابِ النفسِ إلى خطابِ الغيبة .

ومما ينخرطُ في هذا السلكِ أيضاً الرجوعُ من خطابِ النفسِ إلى خطابِ
الجماعة ، كقوله تعالى : « وما لي لا أعبدُ الذي فطرني وإليه تُرجعون (٢) » .

وإنما صرفَ الكلامَ عن خطابِ نفسه إلى خطابهم لأنه أبرزَ الكلامَ لهم
في معرضِ المناصحة . وهو يريدُ مناصحتهم ليتلطفَ بهم ويدارِيهم ، لأن ذلكَ
أدخلُ في إحاضِ النصيح حيثُ لا يريدُ لهم إلا ما يريدُ لنفسه ، وقد وضعَ قوله
« وما لي لا أعبدُ الذي فطرني » مكانَ قوله : وما لكم لا تعبدون الذي
فطرکم ؟ ألا ترى إلى قوله « وإليه تُرجعون » ولولا أنه قصدَ ذلكَ لقال :
الذي فطرني وإليه أرجع ، وقد ساقهُ ذلكَ المساق إلى أن قال : « إني آمنْتُ
بربِّكم فاسمعون (٣) » .

(١) سورة فصلت : الآيتان ١١ و١٢ .

(٢) سورة يس : الآية ٢٢ .

(٣) سورة يس . الآية ٢٥ .

فانظر أيها المتأملُ إلى هذه النكتِ الدقيقة التي تترُّ عليها في آياتِ القرآنِ
الكريمِ ، وأنت تظنُّ أنك فهمتَ فحواها ؛ واستنبطتَ رموزَها .

وعلى هذا الأسلوبِ يجري الحكمُ في الرجوعِ من خطابِ النفسِ إلى
خطابِ الواحدِ كقوله تعالى : « حم * والكتابِ المبين * إنا أنزلناه في ليلةٍ
مباركةٍ إنا كنا مُنذرينَ * فيها يُفرقُ كلُّ أمرٍ حكيم * أمراً من عندنا إنا
كنا مُرسِلين * رحمةً من ربِّك إنه هو السميعُ العليمُ ^(١) » .

والفائدةُ هاهنا في الرجوعِ من خطابِ النفسِ إلى خطابِ الواحدِ تخصيصُ
النبي صلى الله عليه وسلم بالذكرِ والإشارةُ بأنَّ إنزالَ الكتابِ إنما هو إليه .
وإن لم يكن ذلك صريحاً ، لكن مفهومَ الكلامِ يدلُّ عليه .

وإذا تأملتَ مطاوى القرآنِ الكريمِ وجدتَ فيه من هذا وأمثاله أشياء
كثيرةً ، وإنما اقتصرنا على هذه الأمثلةِ المختصرة ليقاسَ عليها ما يجري
على أسلوبِها .

وقد وردَ في فصيحِ الشُّعرِ شيءٌ من ذلك ، كقول أبي تمامٍ ^(٢) :

وركبٍ يساقون الرُّكابَ زُجاجةً

من السيرِ لم تقصِدِ لها كفُّ قاطبٍ ^(٣)

(١) سورة الدخان الآيات : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦

(٢) ديوان أبي تمام ٤١ من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم

ابن عيسى العجلي ومطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(٣) قاطب مازج الخمر بالماء .

فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى

(١) وصارت لهم أشباحهم كالغوارب

يُصْرَفُ مَسْرَاهَا جُدَيْلُ مَشَارِقِ

(٢) إِذَا آبَهُ هُمُّ عُنْدِيكَ مَغَارِبِ

يَرَى بِالكَعَابِ الرُّودِ طَلْعَةَ نَائِرِ

(٣) وَبِالْعَرْمِسِ الْوَجْنَاءِ غُرَّةَ آئِبِ

كَأَنَّ بِهَا ضِعْفًا عَلَى كُلِّ جَانِبِ

(٤) مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبِ

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ قَدَّ

(٥) تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

هُنَالِكَ تَلْقَى الْجُودَ مِنْ حَيْثُ قُطِّعَتْ

(٦) تَمَائِمُهُ وَالْمَجْدَ مُرْخَى الدَّوَائِبِ

(١) رواية الديوان « لها » موضع « لهم » ، والغوارب الكواهل .

(٢) الجُدَيْلُ تصغير جَدَل ، وهو عود ينصب للجربى لتحتك به ،

ومنه « أنا جديليها المحكك وعذيقها المرجب » على سبيل الافتخار ،

آبُهُ أتاها ليلا ، والعذيق تصغير عذق ، وهو الفرع من النخلة .

(٣) الكعاب بارزة النهد ، الرود اللينة ، النائر طالب الذأر ،

العرمس الناقة الشديدة ، الوجناء عظيمة الوجنتين .

(٤) رواية الديوان « كأن به » موضع « كأن بها » .

(٥) العبس : الإبل البيض بشقرة .

(٦) رواية الديوان :

هنالك تلقى المجد حيث تقطعت تمائمه والجود مرخي الدوائب

والتمايم خرزات تعلق في عتق الصبي لدفع العين عنه ، والمفرد تميمة

ألا ترى أنه قال في الأول « يصرّف مسراها » مخاطبةً للغائب ، ثمّ قال بعد ذلك : « إذا العيسُ لاقَتْ بي » مخاطباً نفسه ؟ وفي هذا من الفائدة أنه لما صار إلى مشافهة المدوح والتصريح باسمه خاطبَ عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكروه ، والقرب من المحبوب ، ثمّ جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره ، وهو أيضاً خطاب الحاضر فقال : « هُنالك نلتى الجود » والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهدَه ، كأنه يصف له جود المدوح ، وما لاقاهُ منه ، إشادةً بذكره ، وتوبيهاً باسمه ، وحملاً لغيره على قصده . وفي صفته جود المدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة ، وهى قوله : « حيث قطعت تمامه » ما يقتضى له الرجوع إلى خطاب الحاضر ، والمراد بذلك أن محلّ المدوح هو مآلف الجود ومنشؤه ووطنه ، وقد يُراد به معنى آخر ، وهو أن هذا الجود قد أمنَ عليه الآفات العارضة لغيره من المنّ والمطل والاعتذار ، وغير ذلك ، إذ التمامُ لا تقطع إلا عن أمننت عليه المخاوف .

وعلى هذا التهج ورد قولُ أبي الطيب المتنبي في قصيدٍ يمدحُ به ابن العميد في النوروز^(١) ومن عادة الفرس في ذلك اليوم حملُ الهدايا الى ملوكهم فقال في آخر القصيدة :

كثّر الفكرُ كيف تُهدى كما أهدتْ إلى ربّها المليك عبادُهُ^(٢)

(١) ديوان المتنبي ٢ - ٤٧ والقصيدة في مدح أبي الفضل محمد ابن الحسين بن العميد « وتهنئته بعيد النيروز ، وأولها :
جاء نيروزنا وأنت مراده وورت بالذى أراد زناده
(٢) رواية الديوان « الرئيس » موضع « المليك » .

والذى عندنا من المال والخيلِ فنه هبانه وقباده
 فبعثنا بأربعين مهارة كل مهز ميدانه إنشاده (١)
 عدد عشته يرى الجسم فيه أربا لا يراه فيما زيادة (٢)
 فارتبطها فإن قلبا نماها مربط تسبق الجياد جياده

وهذا من إحسان أبي الطيب المعروف ، وهو رجوع عن خطاب الغائب
 إلى الحاضر ، واحتج أبو الطيب عن تخصيص أبياته بالأربعين دون غيرها من
 العدد بحجة غريبة ، وهى أنه جعلها كعدد السنين التى يرى الإنسان فيها من
 القوة والشباب وقضاء الأوطار ما لا يراه فى الزيادة عليها ، فاعتذر بالطف اعتذار
 فى أنه لم يزد التصيد على هذه العدة ، وهذا حسن غريب .

وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة فكقوله تعالى : « هو الذى يسيركم
 فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجريتم بهم برمج طيبة وفرحوا بها
 جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط

(١) يروى « بأربعين مهارة » بالجر ، على أنه بدل أو صفة على
 التأويل ، وبالنصب صفة على الموضع ، تقديره بعثنا أربعين « والبدل
 أيضا على الموضع ، وليس نصبه على التمييز ، لأن تمييز « الأربعين »
 مفرد ، والمهارة جمع مهارة ، وهو الفتى من أولاد الخيل .

(٢) أى : الأربعون عدد عشته ، دعاء له بأن يعيش هذا العدد
 من السنين على ما عاش ، وكان ابن العميد قد جاوز السبعين ، وناهز
 الثمانين فى هذا الوقت . والمعنى : زاد الله فى عمرك هذا العدد ، والجسم
 لا يرى من أرب العيش فيما زاد على الأربعين ما كان يراه فيما دونه ، فلهذا
 اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتا . قال أبو الفتح : الأربعون
 إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يعهد من أحواله فى جسمه وتصرفه .

بهم دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لئنْ أُعْجِزْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١) :

فإنه إنما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ، ليعجزهم منها كالخبر لهم ، ويستدعي منهم الإنكار عليهم ، ولو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بریح طيبة وفرحتم بها ، وساق الخطاب معهم الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أتت بها خطاب الغيبة ، وليس ذلك بخافٍ عن نقدة الكلام .

وما ينخرط في هذا السلك قوله تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » وتقطعوا أمرهم بينهم كلٌ إلينا راجعون (٢) .

الأصل في « تقطعوا » تقطعتم ، عطفاً على الأول ، إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة « الالتفات » كأنه ينمى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين ، ويقبح عندهم ما فعلوه ، ويقول . ألا ترؤن إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى . فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً ؟ وذلك تمثيل لاختلافهم فيه ، وتباينهم ، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون ، فهو مجازيهم على ما فعلوا .

وما يجري هذه الجرى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ، الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (٣) .

(١) سورة يونس : الآية ٢٢ .

(٢) سورة الأنبياء : الآيتان ٩٢ و٩٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

فإنه إنما قال « فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ولم يقل : فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَبِي ، عطفاً على قوله : « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » لكي تجرى عليه الصفات التي أُجريت عليه ، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوفُ بأنه النبيُّ الأميُّ الذي يؤمنُ بالله وبكلماته كأننا من كان ، أنا أو غيري ، إظهاراً للنصفية ، وبعداً من التعصّب لنفسه ، فقرر أولاً في صدر الآية أنه رسولُ الله إلى الناس ، ثم أخرج كلامه من الخطابِ إلى معرض القبيبة لفرضين .

الأول منهما : إجراء تلك الصفات عليه .
والثاني : الخروجُ من شهمة التعصّب لنفسه .

* * *

القسم الثاني : في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر :

وهذا القسمُ كالذي قبله في أنه ليس الانتقالُ فيه من صيغةٍ إلى صيغةٍ طلباً للتوسّع في أساليب الكلام فقط ، بل الأمر وراء ذلك ، وإنما يقصدُ إليه تعظيماً لحالٍ من أجرى عليه الفعلُ المستقبلُ ، وتفخيماً لأمره ، وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر .

فمما جاء منه قوله تعالى : « يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ * » إنَّ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١) .

فإنه إنما قال : « أَشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا » ولم يقل : وَأَشْهِدُكُمْ لِيَكُونَ

(٢) سورة هود : الآيتان ٥٣ و ٥٤ .

موازناً له وبمعناه ، لأن إظهاره الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت ، وأما إظهارهم فما هو إلا تهاون بهم ، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، ووجه به على لفظ الأمر ؛ كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه : « أشهد على أنى أحبك » تهكماً به ، واستهانة بحاله .

وكذلك يرجع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر ، إلا أنه ليس كالأول ، بل إنما يفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعل الأمر ، لمكان العناية بتحقيقه ، كقوله تعالى : « قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. » الآية (١)

وكان تقدير الكلام : أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد ، فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر ، للعناية بتوكيده في نفوسهم ، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب ، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأعمال بالنيات » .

واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية ، اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها ، وفتش عن دقائقها . ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكال ضروب علم البيان ، وأدقها فهماً ، وأغمضها طريقاً .

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٩ .

القسم الثالث : فى الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، وعن المستقبل
بالماضى :

فالأوّل : الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضى :

اعلم أن الفعلَ المستقبلَ إذا أُتى به فى حالة الإخبارِ عن وجودِ الفعلِ
كان ذلك أبلغَ من الإخبارِ بالفعلِ الماضى ، وذلك لأنَّ الفعلَ المستقبلَ
يوضِّحُ الحالَ التى يتبعُ فيها ، ويستحضر تلك الصورةَ ، حتى كأنَّ السامعَ
يشاهدُها ، وليس كذلك الفعلُ الماضى ، وربّما أُدخل فى هذا الموضعِ ما ليس
منه جهلاً بمكانه ، فإنه ليس كل فعلٍ مستقبلٍ يُعطفُ على ماضٍ يجارى
هذا الجرى :

وسأبين ذلك فأقول : عطفُ المستقبلِ على الماضى ينقسمُ إلى ضربين :

أحدهما بلاغىٌّ : وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل ، وهو الذى أنا بصدد
ذكره فى كتابى هذا الذى هو موضوعٌ لتفصيلِ ضروبِ الفصاحةِ والبلاغةِ .
والآخرُ : غيرُ بلاغىٌّ : وليس إخباراً بمستقبل عن ماضٍ ، وإنما هو
مستقبلٌ دلَّ على معنى مستقبلٍ غيرِ ماضٍ ، ويرادُ به أن ذلك الفعلَ مستمرُّ
الوجودِ لم يمضِ .

فالضربُ الأوّل كقوله تعالى : « والله الذى أرسلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » (١) .

فإنّه إنّما قال « فتثير » مستقبلاً ، وما قبله وما بعده ماضٍ ، لذلك المعنى
الذى أشرنا إليه ، وهو حكايةُ الحالِ التى يقعُ فيها إثارةُ الريحِ السحابِ
واستحضار تلك الصورةِ البديعةِ الدالّةِ على القدرةِ الباهرةِ .

(١) سورة فاطر : الآية ٩ .

وهكذا يُفعل بكلِّ فعلٍ فيه نوع تمييزٍ وخصوصيةٍ كحالِ تستغرب ،
أو تُهمُّ المخاطب ، أو غير ذلك .

وعلى هذا الأسلوب ماورد من حديث الزُّبَيْر بن العَوَّام —رضى الله عنه —
في غزوة بدر ، فانه قال : لقيتُ عبيدة بن سعيد بن العاص ، وهو على فرسٍ ،
وعليه لأمةٌ^(١) كاملة لا يرى منه إلا عَيْنَاه ، وهو يقول : « أنا أبوذاتِ
الكنوسِ ، وفي يدي عَنزَةٌ^(٢) فأطعنُ بها في عينه ، فوقع ، وأطأُ برجلي على
خده ، حتى خرجت العنزَةُ متعمِّقة^(٣) » .

فقوله « فأطعنُ بها في عينه ، وأطأُ برجلي » معدولٌ به عن لفظ الماضي
إلى المستقبل ، ليمثِّل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجرأة
على قتل ذلك الفارس المُستلِّم .

ألا ترى أنه قال أولا : « لقيتُ عبيدة » بلفظ الماضي ، ثم قال بعد
ذلك : « فأطعنُ بها في عينه » ولو عطفَ كلامه على أوله لقال : فطعنتُ
بها في عينه !

وعلى هذا ورد قول تأبَّطُ شراً^(٤) .

(١) الأمة ، وقد تخفف ، الدرع « أو السلاح ، أو أداة الحرب .
(٢) العنزَةُ — بفتحين — مثل نصف الرمح أو أكبر ، وفيها سنان
كسنان الرمح .
(٣) متعمِّقة ملوية .

(٤) اسمه ثابت ، وكنيته أبو زهير ، وهو من بني فهم « وفهم
وعدوان أخوان . وكان أحد العدائين ، وإنما لقب بـ تأبَّطُ شراً » لأنه
تأبَّط سكيना ذات يوم وخرج ، فسئلت عنه أمه ، فقالت : لأدرى
إنه تأبَّطُ شراً وخرج ! والبيتان في الأغاني (١٨ — ٢١٠) من جملة
أبيات أولها :

بَأْنِي قَدْ لَقِيتُ الْعُؤْلَ تَهْوِي سَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ مَحْضَحَانٍ (١)

فَأَضْرِبُهَا بِأَلَا دَهْشٍ نَفَرْتِ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَالْجِرَانِ (٢)

فإنه قصد أن بصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب العؤل، كأنه يبصرهم إياها مشاهدةً ، للمعجب من جراته على ذلك أهول ، ولو قال : « فضربتها » عطفًا على الأول ، لزالَت هذه الفائدة المذكورة .

فإن قيل : إنَّ الفعلَ الماضي أيضًا يتخيَّل منه السامعُ ما يتخيَّله من المستقبل !

قلت في الجواب : إنَّ التخيَّل يقع في الفعلين معًا ، لكنَّه في أحدهما وهو المستقبل أو كذا وأشدُّ تخيُّلاً ؛ لأنه يستحضِرُ صورةَ الفعل ، حتى كأنَّ السامعَ ينظر إلى فاعلها في حال وجودِ الفعلِ منه .

ألا ترى أنه لما قال تَابَطَ شَرًّا « فَأَضْرِبُهَا » تخيَّلَ للسامع أنه مباشرٌ للفعل ، وأنَّه قائمٌ بازاء العؤل ، وقد رفع سيفه ليضربها ، وهذا لا يوجد في الفعلِ الماضي ، لأنه لا يتخيَّل السامعُ منه إلا فعلاً قد مَضَى من غير إحضارٍ للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه ، وهذا لاخلاف فيه .

وهكذا يجزى الحكم في جميع الآيات المذكورة ، وفي الأثر عن الزبير رضی الله عنه ، وفي الأبيات الشعرية .

وعليه ورد قوله تعالى أيضاً وهو : « ذَلِكَ وَهَنٌ يُعْظَمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهَوً

= ألا من مبلغ فتیان فهم بملاقیت عند ریحی بطان
(١) في الأصل « بشهب » وهو تصحيف ، والسهب الأرض المستوية والصصححان والصصحح الأرض المستوية الواسعة .

(٢) الجران ، جران البعير ، وكذا الفرس : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي
مَكَانٍ سَحِيقٍ « (١) .

فقال أولاً : « خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ » بلفظ الماضي ، ثم عطفَ عليه المستقبل الذي
هو « فَتَخَطَفُهُ » و « تَهْوَى » وإنما عدل في ذلك إلى المستقبل لاستحضار
صورة خطف الطير إياه وهوى الريح به . والفائدة في ذلك ما أشرت إليه فيما
تقدم ، وكثيراً ما يراعى أمثالُ هذا في القرآن .

* * *

وأما الضربُ الثاني — الذي هو مستقبل — فكقوله تعالى : « إِنْ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » (٢) .

فإنه إنما عطفَ المستقبل على الماضي ، لأن كفرهم كان ووجد ، ولم
يستجدوا بعده كفراً ثانياً ، وصدّهم متجددٌ على الأيام لم يمضِ كونه ، وإنما
هو مستمرٌّ ، يستأنف في كل حين .

وكذلك ورد قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ
الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » (٣) .

ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا إلى المستقبل ، فقال : « فَتَصْبِحُ
الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً » ولم يقل : فأصبحت ، عطفاً على « أَنْزَلَ » وذلك لإفادة

(١) سورة الحج : الآيتان ٣٠ و ٣١ .

(٢) سورة الحج : الآية ٢٥ .

(٣) سورة الحج : الآية ٦٣ .

بماءٍ أثرِ المطرِ زماناً بعد زمانٍ ، فإنزالِ الماءِ مغشىً وجوده ، واخضرارُ الأرضِ باقٍ لم يمضِ ، وهذا كما تقولُ « أنعمَ على فلانٍ فأروحُ وأغدوا شاكرًا له » ، ولو قلتَ : فرحتُ وغدوتُ شاكرًا له ، لم يقع ذلك الموقعُ ، لأنه يدلُّ على ماضٍ قد كان وانقضى .

وهذا موضعٌ حسنٌ ينبغي أن يتأمل .

* * *

وأما الإخبارُ بالفعلِ الماضى عن المستقبلِ فهو عكسُ ما تقدّم ذكره ، وفائدته أن الفعلَ الماضى إذا أخبر به عن الفعلِ المستقبلِ الذى لم يوجد بعدُ كان ذلك أبلغَ وأوكدَ فى تحقيقِ الفعلِ وإيجاده ، لأنَّ الفعلَ الماضى يعطى من المعنى أنه قد كانَ ووُجِدَ ، وإنما يُفعلُ ذلك إذا كان الفعلُ للمستقبلِ من الأشياءِ العظيمةِ التى يُستعظمُ وجودها .

والفرقُ بينه وبين الأخبارِ بالفعلِ المستقبلِ عن الماضى أن الغرضَ بذلك تبيينِ هيئةِ الفعلِ : واستحضارِ صورته ، ليكونَ السامعُ كأنه يشاهدها ، والغرضُ بهذا هو الدلالةُ على إيجادِ الفعلِ الذى لم يوجدَ بعدُ .

فمن أمثلةِ الأخبارِ بالفعلِ الماضى عن المستقبلِ قوله تعالى : « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ » (١) .

فإنه إنما قال « ففزِعَ » بلفظِ الماضى بعد قوله « يُنْفَخُ » — وهو مستقبل — للإشعارِ بتحقيقِ الفزع ، وأنه كائنٌ لا محالةً ، لأنَّ الفعلَ الماضى يدلُّ على وجودِ الفعلِ ، وكونه مقطوعاً به .

(١) سورة النمل الآية ٨٧ .

وكذلك جاء قوله تعالى : « ويوم نَسِيرُ الجبال وتَرَى الأرضَ بارِزَةً وحَشْرَناهم فلم نَعُدِرْ منهم أحداً » (١) .

وإنما قيل : « وحشروناهم » ماضياً بعد « نسير » و « ترى » — وهما مستقبليان — للدلالة على أن حشروهم قبل التسيير والبروز ، ليشاهدوا تلك الأحوال كأنه قال : وحشروناهم قبل ذلك ، لأن الحشر هو المهيم ، لأن من الناس من ينكروه كالفلاسنة وغيرهم ، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي .

ومما يجرى هذا المجرى الإخبارُ باسم المفعول عن الفعل المستقبل ، وإنما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي ، وقد سبق الكلامُ عليه .

فمن ذلك قوله تعالى : « إن في ذلك لآيةً لمن خافَ عذابَ الآخرةِ ذلكَ يومَ مجموعٍ لهُ الناسُ وذلكَ يومَ مشهودٍ » (٢) .

فإنه إنما آثر اسم المفعول الذي هو « مجموع » على الفعل المستقبل الذي هو « يجمع » لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، وأنه الموصوفُ بهذه الصفة ، وأن شئتَ فوازنْ بينه وبين قوله تعالى « يومَ يجمعُكم ليومِ الجَمعِ » (٣) فإنك تعثرُ على صحة ماقلتُ .

النوع الخامس

في توكيد الضميرين

إن قيل في هذا : الموضع إن الضمائر مذكورة في كتب النحو ، فأى حاجة إلى ذكرها هاهنا ، ولم نعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته ؟

(١) سورة الكهف : الآية ٤٧ .

(٢) سورة هود الآية ١٠٣ .

(٣) سورة التغابن : الآية ٩ .

قلتُ : إن هذا يختصُّ بفصاحةٍ وبلاغةٍ ، وأولئك لا يتعرضون إليه .
وإنما يذكرون عدد الضمائر ، وأن المنفصل منه كذا ، والمتصل كذا ، ولا
يتجاوزون ذلك ، وأما أنا فإني أوردت في هذا الذريع أمراً خارجاً عن
الأمر النحوي .

وأعني بقولي « توكيد الضميرين » أن يؤكد المتصل بالمنفصل ، كقولك :
« إِنَّكَ أَنْتَ » أو يؤكد المنفصلُ بمنفصلٍ مثله كقولك « أَنْتَ أَنْتَ » ، أو
يؤكد المتصل بمتصلٍ مثله ، كقولك : « إِنَّكَ إِنَّكَ لعالم » أو « إِنَّكَ إِنَّكَ
لجواد » .

وإنما يؤتى بمثل هذه الأقوال في معرض المبالغة ، وهو من أسرار
علم البيان .

ولنتقدم في ذلك قولاً يحصره ، ويجمع أطرافه ، فنقول :

إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فانت بالخيار في توكيد أحد
الضميرين فيه بالآخر ، وإذا كان غير معلوم ، وهو مما يشك فيه ، فالأولى
حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه ، لتقرّره وتثبته .

فما جاء من ذلك قوله تعالى : « قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ
نَكُونُ نَحْنُ الْمُلقِينَ » (١) .

فإن إرادة السحرة الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده ، لأنهم لم
يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك : لَكَنَّهُمْ إِمَّا عَدَلُوا عَنْ مَقَابَلَةِ خَطَائِبِهِمْ
مُوسَى بِمِثْلِهِ إِلَى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما « نَكُونُ » و « نَحْنُ »
دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه ، والإلقاء قبله . لأن من شأن مقابلة

(١) سورة الأعراف : الآية ١١٥ .

خطابهم موسى بمثله أن كانوا قالوا : إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ ، لتكون
الجلتان متقابلتين ، فحيثُ قالوا عن أَنفُسِهِمْ : « وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُتْلِينَ »
استدل بهذا القول على رغبتهم في الإلقاء قبله .

توكيد المتصل بالمتصل :

وأما توكيد المتصل بالمتصل فكقوله تعالى في سورة الكهف : « فَأَنْطَلَقَا
حَتَّىٰ إِذَا تَقَيَّأُ غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ^(١) » .

وهذا بخلاف قصة السفينة ، فإنه قال فيها : « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ^(٢) » .

والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى ^(٣) ، فقال
في الأولى « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ . . . » وقال في الثانية : « أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ » .

وإنما جيء بذلك للزيادة في مكابحة العتاب على رفض الوصية مرّة على
مرّة ، والوسم بعدم الصبر .

وهذا كما لو أتى الإنسان ما نهىته عنه ، فلمتّه وعنفته ، ثم أتى ذلك مرّة
ثانية ، أليس أنك تزيد في لومه وتعنيفه ؟

وكذلك فعل هاهنا ، فإنه قيل في اللامة أولاً : « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ » ثم قيل
ثانياً : « أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ » وهذا موضع يدقُّ عن العثور عليه ببادرة النظر ،
مالم يُعْطَ التأمّلُ فيه حقّه .

(١) سورة الكهف : الآيتان ٧٤ و٧٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٧٢ .

(٣) أي أكد الضمير في قصة الغلام ولم يؤكد في قصة السفينة التي

هي الأولى في الترتيب القرآني .

توكيد المتصل بالمنفصل :

وأما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى : « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قَلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (١) » فتوكيد الضميرين هاشمنا في قوله « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » أنفي للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه للغلبة والقهر ، ولو قال : « لَا تَخَفْ إِنَّكَ الْأَعْلَى » أو « فَأَنْتَ الْأَعْلَى » لم يكن له من التقرير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » .

وفي هذه الكلمات الثلاث ، وهي قوله : إِنَّكَ ، أَنْتَ ، الْأَعْلَى ، ستُّ فوائد :

الأولى : « إِنْ » المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها ، كقولك « زيد قائم » ، ثم تقول : « إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ » ففي قولك : « إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ » من الإثبات لقيام زيد ما ليس في قولك : « زيد قائم » .

الثانية : تكرير الضمير في قوله « إِنَّكَ أَنْتَ » ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المسكاة في التقرير لغاية موسى والإثبات لقهره .

الثالثة : لام التعريف في قوله « الْأَعْلَى » ولم يقل : « أَعْلَى » ولا « عَالٍ » لأنه لو قال ذلك لكان قد نكَّره ، وكان صالحاً لكل واحدٍ من جنسه ، كقولك : « رجل » فإنه يصلح أن يقع على كل واحدٍ من الرجال ، وإذا قلت « الرجل » فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف ، وجعلته عالماً فيهم وكذلك جاء قوله تعالى : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » أي : دُونَ غَيْرِكَ .

الرابعة : لفظ « أَفْعَل » الذي من شأنه التفضيل ، ولم يقل « العالی » .

الخامسة . إثبات الغلبة له من العلو ، لأن الغرض من قوله : « الْأَعْلَى »

(١) سورة طه : الآيتان ٦٧ و٦٨ .

أى : الأغلب ، إلا أن في الأعلى زيادةً ، وهي الغلبة من عالي .

السادسة : الاستئناف ، وهو قوله تعالى : « لا تخف إنك أنت الأعلى » ، ولم يقل : « لأنك أنت الأعلى » لأنه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه كونهً عاليًا ، وإنما نفي الخوف عنه أولاً بقوله : « لا تخف » ، ثم استأنف الكلام ، فقال : « إنك أنت الأعلى » فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء ، وأثبت لذلك في نفسه .

وربما وقع لبعض الأغمار أن يعترض على ما ذكرناه في توكيد أحدِ الضميرين بالآخر ، فيقول : لو كان توكيدُهما أبلغ من الاقتصارِ على أحدهما لوردَ ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو أولى بما هو أبلغ وأوكد من القول ، وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختصُّ بذكر الله تعالى ، وقد وردَ فيها أحد الضميرين دون الآخر كتوله عز اسمه . « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملكَ من تشاء وتنزعُ الملكَ ممن تشاء وتوزعُ من تشاء وتُدلُّ من تشاء بيديك الخبيرُ إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ ^(١) » ولم يقل : « إنك أنت على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، فما الموجب لذلك إن كان توكيدُ أحد الضميرين بالآخر أبلغ من الاقتصارِ على أحدهما ! ؟

الجوابُ على ذلك أننا نقول : قدَّّمنا القولَ في أوّل هذا النوع أنه إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحبُ الكلام مُخَيَّرٌ في توكيدِ أحدِ الضميرين بالآخر ، فإن أكَّد فقد أتى بفضل بيانٍ ، وإن لم يؤكِّد فلأنَّ ذلك المعنى ثابتٌ لا يفتقرُ في تقريره إلى زيادةٍ تأكيدية كهذه الآية المشار إليها ، وهي قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك ، فإنَّ العلمَ بأنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ لا يفتقرُ إلى تأكيدٍ يقرُّه .

(١) سورة ال عمران : الآية ٢٦ .

وقد ورد ما يجرى مجرى هذه الآية مؤكداً كقوله تعالى : « وإذ قال الله
 يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأئمي إلهين من دون الله قال
 سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته
 فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام
 الغيوب (١) » .

فأكد في هذه الآية ولم يؤكّد في الأخرى ، وقد عرفتك الطريق
 في ذلك .

وأما إذا كان المعنى المقصود غير معلوم ، وهو مما يشك فيه ، فالأولى أن
 يؤكد بالضميرين في الدلالة عليه ، كقوله تعالى : « قلنا لا تخف إنك أنت
 الأعلى » فإن موسى لم يكن متيقناً أنه غالب للسحرة ، فلذلك أكد خطابه
 بالضميرين ، ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه .

توكيد المنفصل بمنفصل :

وأما توكيد المنفصل بمنفصل مثله ؛ فكقول أبي تمام (٢) :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خفّ الهوى وتوالت الأوطار

فقوله : « لا أنت أنت ولا الديار ديار » من الملبح النَّادِر في هذا الموضع ،
 لأنه هو هو والديار الديار ، وإنما البواعث التي كانت تبعث على قضاء الأوطار
 زالت فبقي ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ، ولا الديار في عينه من
 الحسَن تلك الديار .

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) ديوان أبي تمام ١٤٤ وهذا البيت مطلع قصيدة في مدح أبي سعيد

الشعري .

وعلى هذا ورد قول ابن الطيب المتنبي^(١) :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدَّكَ بِشْرِ الْعَلِكِ الْهَامُ

فقوله « أنت أنت » من توكيد الضميرين المشار إليهما ، وفائدته المبالغة في مدحه ، ولو مدحه بما شاء الله لما سدد مسدّ قوله : « أنت أنت » أى : أنك المشار إليه بالفضل دون غيرك .

وأما قوله « وأنت منهم » فمخرج عن هذا الباب ، وهو كلام مستأنف لا يتعلّق بتوكيد الضميرين ، كأنه قال : أنت الموصوفُ بكذا وكذا ، وأنت من هذا القبيل ، يريد بذلك مدح قبيله به .

وهذا البيت لم أمثل به اختياراً له واستجادةً ، وإنما مثلت به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل ، وإلا فالبيت ليس من المرضى ، لأن سبكه سبك عارٍ من الحسن ، وفيه تقديم وتأخير .

وقرأت في كتاب (الأغاني) لأبي الفرج أن عمرو بن ربيعة قال لزياد ابن الهبولة^(٢) : « يا خير الفتيان ، اردد على ما أخذته من إبلى » فردّها عليه ، وفيها فحلّها ، فنازعه الفحل إلى الإبل ، فصرّعه عمرو ، فقال له زياد : « لو صرّعتم يابنى شيبان الرّجال كما تصرعون الإبل لكرتم أنتم أنتم » فقال عمرو له : « لقد أعطيت قليلاً ، وسمت جليلاً ، وجررت على نفسك وبيلاً طويلاً » فقوله له : « لكرتم أنتم أنتم » أى : أنتم الأشداء ، أو الشجعان ،

(١) ديوان المتنبي ٤ - ٧٩ من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي

العجلي ، مطلعها :

فؤاد ماتسليه المدام وعمر مثل ماتهب اللثام

(٢) في القاموس المحيط (٤ - ٦٧) أن ابن هبولة ، أو الهبولة ،

أو الهبول : ملك من ملوكهم .

أَوْ ذَوُو النَجْدَةِ وَالْبَأْسِ ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى ؛ إِلَّا أَنْ فِي « أَنْتُمْ » الثَّانِيَةَ تَخْصِيصًا لَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَكُنْتُمْ أَنْتُمْ الشُّجْعَانُ دُونَ غَيْرِكُمْ ، وَلَوْ مَدَحَهُمْ بِأَيِّ شَيْءٍ مَدَحَهُمْ مِنْ وَصْفِ الْبَأْسِ وَالشَّدَةِ وَالشَّجَاعَةِ لَمَا بَلَغَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ، أَعْنَى « أَنْتُمْ » الثَّانِيَةَ .

وهذا موضعٌ من علم البيانِ تتسكَّأُ بحاسِنِهِ ، فَأَعْرِفُهُ .

النوع السادس

في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده

وهذا إنما يُعَمَدُ إِلَيْهِ لِنَائِدَةٍ ، وَهِيَ تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَظْهَرَ عِنْدَهُ الْإِسْمَ الْمَضْمَرُ أَوَّلًا .

ومثال ذلك قولُ القائل : « وَلَمَّا تَلَّاقَيْنَا وَبَنُو تَمِيمٍ أَقْبَلُوا نَحْوَنَا يَرْكُضُونَ ، فَرَأَيْنَا مِنْهُمْ أَسْوَدًا تُكَلِّمُ السَّابِقُ الْأَسْتِمَةَ إِلَى الْوُرُودِ ، وَلَا تَرْتَدُّ عَلَى أَعْقَابِهَا إِذَا ارْتَدَّتْ أَمْثَالُهَا مِنَ الْأَسْوَدِ ، وَتَنَاجَدَ بَنُو تَمِيمٍ عَلَيْنَا بِجَمَلَةٍ ، فَلَدْنَا بِالْفِرَارِ ، وَاسْتَبَقْنَا إِلَى تَوَلِيَةِ الْأَدْبَارِ » فَإِنَّهُ إِذَا قِيلَ : « وَتَنَاجَدَ بَنُو تَمِيمٍ » مَصْرَحًا بِاسْمِهِمْ ، وَلَمْ يَقُلْ « وَتَنَاجَدُوا » كَمَا قِيلَ « أَقْبَلُوا » لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِقْدَامِهِمْ عِنْدَ الْحَمَلَةِ ، وَثِبَاتِهِمْ عِنْدَ الصَّدْمَةِ ، لِأَسِيًّا وَقَدْ أَرَدَفَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « لَدْنَا بِالْفِرَارِ ، وَاسْتَبَقْنَا إِلَى تَوَلِيَةِ الْأَدْبَارِ » كَأَنَّهُ قَالَ : وَتَنَاجَدَ أَوْلَاكَ الْفِرْسَانُ الْمَشَاهِيرَ ، وَالْكُمَاةُ الْمُنَاكِرَ ، وَحَمَلُوا عَلَيْنَا حَمَلَةً وَاحِدَةً ، فَوَلَّيْنَا مُدْبِرِينَ مِنْهُمْ مَهْزَمِينَ .

ومما جاء من ذلك قوله تعالى : « أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الخالق ثم الله يُبْدِيهِ، النشأة الآخرة^(١)، ألا ترى كيف صرَّح باسمه تعالى في قوله: «ثم الله ينتهي، النشأة الآخرة» مع إيقاعه مبتدأ في قوله: «كيف يبدي» الله الخالق، وقد كان القياس أن يقول: كيف يبدي» الله الخالق ثم ينشئ» النشأة الآخرة.

والفائدة في ذلك أنه لما كانت الإعادة عندهم من الأمور العظيمة، وكان صدر الكلام واقعا معهم في الإبداء، وقرَّروا أن ذلك من الله، احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، وإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الإبداء، فوجب أن لا تعجزه الإعادة، فلذلك لالة والتنديه على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة أبرز اسمه تعالى، وأوقعه مبتدأ ثانياً.

وعلى هذا ورد قوله تعالى: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين^(٢)».

ألا ترى أنه قال أولاً: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم» فذكر مضمراً تقدّم الكلام فيه، ثم عطف المظهر الذي هو له، وهو قوله «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» وكان العطف لو أضمر كما أضمر الأول لقليل: ثم أنزل الله سكينته عليكم وأنزل جنوداً لم تروها؟

وفائدة الإظهار هاهنا للمطوف بعد إضماره أولاً التنويه بذكر رسول الله

(١) سورة العنكبوت: الآيتان ١٩ و ٢٠.

(٢) سورة التوبة: الآيتان ٢٥ و ٢٦.

صلى الله عليه وسلم ، وذكر المؤمنين ، أو لأنَّ الأمر عظيم ، وهو الانتصارُ بعد الفرار ، فأى الأمرين قدر كان لإظهارِ المعطوفِ مناسباً .

وهكذا يكون عطفُ المظهرِ على ضميره ، فإنه يستندُ إلى فائدةٍ بهم ذكرها فإن يكنْ هناك^(١) مثلُ هذه الفائدةِ وإلا فلا يحسنُ الإظهارُ بعدَ الإضمارِ .

وكذلك جاء قوله تعالى : « إذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قالوا ما هذا إلا رجلٌ يريدُ أن يصدِّدَكم عما كان يعبدُ أبؤكم وقالوا ما هذا إلا إفكٌ مفترىٌ وقال الذين كفروا للحقِّ لمَّا جاءهم إن هذا إلا سحرٌ مبين^(٢) » فإنه إنما قال : « وقال الذين كفروا » ولم يقل : وقالوا كالذى قبله للدلالة على صدور ذلك عن إنكارٍ عظيم ، وغضبٍ شديد ، وتعجبٍ من كفرهم بليغ ؛ لاسيما وقد انضاف إليه قوله : « وقال الذين كفروا للحقِّ لمَّا جاءهم » وما فيه من الإشارة إلى القائلين والمتقول فيه ، وما فى ذلك من المبادهة ، كأنه قال : وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرائتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحقِّ المبين قبل أن يتدبروه : إن هذا إلا سحرٌ مبين .

وعلى نحوٍ من ذلك وردَ قوله تعالى : « ص * وَالْقُرْآنِ ذى الذِّكْرِ بل الذين كفروا فى عزّةٍ وشقاقٍ * كم أهلكنّا من قبلهم من قرنٍ فنأدوا ولات حين مناصٍ » وعجبوا أن جاءهم مُنذرٌ منهم وقال الكافرونَ هذا ساحرٌ كذاب^(٣) .

(١) فى الأصل « فإن لم يكن هناك » وسياق المعنى يقتضى حذف « لم » والتقدير : إن يكن هناك مثل هذه الفائدة حسن الإظهار ، وإلا فلا يحسن الإظهار .

(٢) سورة سبأ الآية ٤٣ .

(٣) سورة ص : الآيات ١ و٢ و٣ و٤ .

وكان القياسُ أن يُقال : وقالوا هذا ساحر كذاب ، عطفًا على «عَجِبُوا»
 وإنما أتى باسمِ الكافرينَ -- مظهرًا بعد إضمار -- للأشعار بتعظيم
 ما اجترأوا عليه من القول في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لأنَّ هذا القول
 كان أهمَّ عندهم وأرْسَخَ في نفوسهم ، فصرَّح باسمِ قائله ، دلالةً على ما كان
 في أنفسهم منه .

النوع السابع

في التفسير بعد الإبهام

اعلم أنَّ هذا النوع لا يعتمدُ إلى استعماله إلا لَصْرَبٍ من المبالغة ، فإذا جِيءَ
 به في كلامٍ فإنما يُفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه ، لأنه هو الذى يطرقُ
 السَّمْعَ أولًا . فيذهبُ بالسَّامِعِ كُلَّ مذهب ، كقوله تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
 الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ^(١) » .

ففسر ذلك الأمرَ بقوله « أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ » وفي إبهامه أولًا
 وتفسيره بعد ذلك تفخيمٌ للأمر ، وتعظيمٌ لشأنه ، فإنه لو قال : وقضينا إليه
 أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ ، لما كان بهذه المكانة من الفخامة ، فإنَّ الإبهامَ
 أولًا يوقعُ السَّامِعَ في حيرةٍ وتفكيرٍ ، واستعظامٍ لما قرع سمعه ، وتشوُّفٍ إلى
 معرفته ، والاطلاع على كنهه .

وعلى نحوٍ من هذا جاء قوله تعالى : « قال قد أتيتَ سؤالك يا موسى *
 ولقد مننَّا عليك مرَّةً أُخرى * إذ أوحينا إلى أمك ما يُوحى . أن اقدفيه في
 التابوتِ فاقدفيه في اليمِّ ^(٢) » .

(١) سورة الحجر الآية ٦٦ .

(٢) سورة طه : الآيات ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ .

فسّر « ما يوحى » بقوله « أن اقدفيه » وهذا كالأول في إبهامه أولاً
وتفسيره ثانياً .

ومثلُ هذا وَرَدَ قوله تعالى في سورة أم الكتاب : « اهدنا الصراط
المستقيم . صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » فإنه إنما قال ذلك ولم يقل : اهدنا
صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ لِمَا فِي الْأَوَّلِ مِنَ التَّنْبِيهِ وَالِإِشْعَارِ بِأَنَّ الصِّرَاطَ
المستقيم هو صراطُ الْمُؤْمِنِينَ ، فدلَّ عليه بأبلغِ وجهٍ ، كما تقولُ : هل أدلُّكُ
على أكرمِ النَّاسِ وَأَفْضَلِهِمْ ؟ ثم تقول : فلانٌ ، فيكونُ ذلك أبلغَ في وصفه
بالكرم والفضل من قولك : هل أدلُّكُ على فلانٍ الأكرمِ الأفضلِ ؟ لأنَّك
ثبتُ ذكْرَهُ مُجْمَلًا وَمَفْصَلًا ، فجعلته علمًا في الكرم والفضل ، كأنَّك قلتَ :
مَنْ أَرَادَ رَجُلًا جَامِعًا لِلْخَصَلَتَيْنِ جَمِيعًا فَعَلَيْهِ فِى فِلَانِ !

فإن قيل : فما الفرقُ بين عطفِ المظهرِ على ضميره وبين التفسيرِ بعد
الإبهامِ فإنَّ المضمَرِ كالإبهامِ ؟

فالجوابُ عن ذلك أنى أقول :

إن كان سؤالك عن فائدتيهما فإنهما في الفائدة سواء ، وذلك أنهما إنما
يرادان لتمظيم الحال ، والإعلام بفخامة شأنها .

وإن كان سؤالك عن الفرقِ بينهما في العبارة ، فإنى أقول .

المضمَرُ يأتى بعدَ مظهرٍ تقدّم ذكره أولاً ، ثم يُعطفُ المظهرُ على ضميره ،
أى ضميرِ نفسه ، كالمثال الذى ضربناه فى بنى تميم .

وأما التفسيرُ بعد الإبهامِ فإنَّ المبهَمَ يقدّمُ أولاً ، وهو أن يذكر شىء يقعُ
عليه إبهامٌ محتملاتٌ كثيرة ، ثم يفسّر بايقاعه على واحدٍ منها ، وليس كذلك
عطفُ المظهرِ على ضميره .

ومَّا جَاءَ مِنَ التَّفْسِيرِ بَعْدَ الإِبْهَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) » .

الأثرى كيفَ قال : « أهدكم سبيلَ الرِّشَادِ » فأيهمَ سبيلَ الرِّشَادِ ، ولم يبيِّنْ أَىَّ سبيلٍ هو ، ثم فسَّرَ ذلكَ فافتتحَ كلامهُ بدمِّ الدنيا ، وتصغيرِ شأنها ، ثم نثى ذلكَ بتعظيمِ الآخرةِ والأطِّلاعِ على حقيقتها ، ثم ثلثَ بذكرِ الأعمالِ سيِّئها وحسنها ، وعاقبةِ كلِّ منهما ، ليُدبِّطَ عما يُتلفُ ، ويندبِّطُ لما يُزُلفُ ، كأنه قال : سبيلُ الرِّشَادِ هو الإِعْرَاضُ عَنِ الدُّنْيَا ، والرَّغْبَةُ فِي الآخِرَةِ ، والامْتِنَاعُ عَنِ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ ، خَوْفُ المَقَابِلَةِ عَلَيْهَا ، والمَسَارَعَةُ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، رَجَاءُ المَجَازَةِ عَلَيْهَا .

وكذلكَ وردَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَاذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ^(٢) » .

فإنه إنما قال « القواعد من البيت » ولم يقل « قواعد البيت » لما في إبهام القواعد أولاً وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين ما ليس في الإضافة .

ومَّا يَجْرِي هَذَا المَجْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أُبْلَغُ الأَسْبَابَ . أُسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُّوسَى ^(٣) » .

(١) سورة المؤمن : الآيات ٣٨ ، ٣٩ و ٤٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

(٣) سورة المؤمن : الآيتان ٣٦ و ٣٧ .

فإنه لما أراد تفخيم ما أمّل فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولاً ، ثم فسرها ثانياً ، ولأنه لما كان بوعها أمراً عجيبيّاً أراد أن يورده على نفس متشوّقة إليه ، يعطيه السامع حقه من التعجّب ، فأبهمه ليشوّف إليه نفس هامان ، ثم أوضحه بعد ذلك .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (١) .

فإنه قال أولاً : « أعظكم بواحدة » فأبهم الواحدة ، ثم فسرها بقوله : « أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تفكروا » (٢) .

وهذا في القرآن الكريم كثير الاستعمال :

وأما الإبهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن الكريم أيضاً ، كقوله تعالى : « وفعلت فعلتك التي فعلت » (٣) .

وكذلك ورد قوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (٤) أي للطريقة ، أو الحالة ، أو الملة التي هي أقومها وأسدّها ، وأي ذلك قدّرت لم تجد له مع الإفصاح ذوق البلاغة الذي تجده مع الإبهام ، وذلك لذهاب الوهم فيه كلّ مذهب ، وإيقاعه على احتمالات كثيرة .

وهذا كقول القائل : (لو رأيت عليّاً بين الصّفين) فإنه لو وصفه مهما

(١) سورة سبأ : الآية ٤٦ .

(٢) في الأصل « وأن » موضع « ثم » .

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٩ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٩ .

وصَف من نَجْدَةٍ وشجاعةٍ وثباتٍ وإقدامٍ وأطال القولَ في ذلكَ لم يكن بمثابة ما يترامى إليه الوهمُ مع الإبهام ، وهذا للعارف برُموز هذه الصنّاعة وأسرارها .

وعلى هذا الأسلوبِ ورد قوله تعالى : (ففَشِيهِمْ من اليمِّ ما غَشِيَهُمْ) (١) وأبلغُ من ذلك قوله تعالى : (والْمَوْتِفِكَةَ أَهْوَى . فَغَشَّاهَا ما غَشَّى) (٢) فإنه قال في تلك الآية : (ففَشِيهِمْ من اليمِّ ما غَشِيَهُمْ) فذكر (اليم) وهو البحر ، فصار الذي غَشِيَهُمْ إنما هو منه خاصّة ، وقال في هذه الآية : (فغَشَّاهَا ما غَشَّى) فأبهم الأمر الذي غَشَّاهَا به ، وجعله عامّاً ، وذلك أبلغ ؛ لأنّ السامع يذهبُ وهمه فيهِ كلَّ مذهب .

وأما ما جاء من ذلك شعراً فكقول البحريّ (٣) :

بَعِيدٌ مَقِيلِ الصَّدْرِ لا يَقْبَلُ التِي يُحَاوِلُهَا مِنْهُ الأَرِيبُ المُخَادِعُ (٤)
قوله (التي يحاولها) من الإبهام المقدم ذكره في الآية .
ومّا ينتظمُ بذلك قولُ الشاعرُ في أبياتِ الحماسة (٥) :

(١) سورة طه : الآية ٧٨ .

(٢) سورة النجم : الآيتان ٥٣ و ٥٤ .

(٣) ديوان البحريّ ٢ / ٤٦ من قصيدة له في مدح الفتح بن خاقان ،

مطلعها :

ألت وهل إلمامها لك نافع وزارت خيالا والعيون هواجع

(٤) رواية الديوان لصدر البيت هكذا

* مبيد مقيل السر لا يدرك الذي *

(٥) هو دريد بن الصمة ، من قصيدة قالها في رثاء أخيه عبد

الله بن الصمة « وأول المذكور منها في ديوان الحماسة ١ — ٣٤٢ :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي

صَبَاً مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ

فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ اِبْعُدِ (١)

قوله : (صَبَاً مَا صَبَا) من الإبهام الذي لو قَدَّرْتَ مَا قَدَّرْتَ فِي تفسيره لم تجدْ له من فضيلة البيان ما تجدُّ له مع الإبهام .

وعليه ورد قولُ أبي نواس :

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْفُؤَادِ بَدَلِيهِمْ

وَأَسَمْتُ سَرَحَ اللَّحْظِ حِينَ أُسَامُوا

وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ أَمْرُو بِشَبَابِهِ إِذَا عَصَارَةُ كُلِّ ذَاكَ أُنَامُ

قوله : (وبلغتُ ما بلغَ امرؤُ بشبابه) من هذا النمط المشار إليه ، وهو من

المليح النادر .

ومما يجرى على هذا النهج قولُ الآخر في وصف الخمر :

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا

وَفِي الزُّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِي

وَالكَلَامُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ كَالكَلَامِ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ .

ومثله ورد قولُ بعض المتأخرين : (فؤاد فيه مافيه) .

وعلى هذا وردَ قولِي فِي فِصْلِ مِنْ تَقْلِيدِ لِبَعْضِ الْوَزَرَاءِ ، فَقُلْتُ :

(وَأَنْتَ مُوَهَّلٌ لِوَاحِدَةٍ مَتَخَلِّقٌ لَهَا غُرْرَ الْجِيَادِ ، وَتَنَادِيهَا الْعَالِيَاءُ بِلِسَانِ

(١) صبا الأول من الميل ، والثاني من الصباء ، وهو حادثة السن .

والمعنى أنه مال إلى اللهو مدة صغرسنه ، فلما شاب ترك الملاهي . هكذا

شرحه التبريزي (١ / ٣٤٥) من ديوان الحماسة .

الإجماع، وتَفَخَّرُ بِهَا سُمِّرُ الأَقْلَامِ عَلَى سُمِّرِ الصَّعْدِ ، فَابْسُطْ يَدَكَ لِأَخْذِ كِتَابِهَا ،
 وَاسْمِعْ لَطِيبَ ذِكْرِهَا بَعْدَ سَعْيِكَ فِي طَلَابِهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الخُطَّابَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ
 لَكِنَّهَا صَدَّتْ بِكَ عَنِ خُطَّابِهَا ، وَلَقَدْ مَضَى عَلَيْهَا زَمْنٌ وَهِيَ نَفُورٌ ، حَتَّى اسْتَقْدَاهَا
 الْآنَ تَأْنِسُكَ ، وَلَمْ تَسْبِقِ الأَقْدَارُ بِاسْمِكَ إِلَّا لَتَكُونَ سُلَيْمَانِهَا وَهِيَ بَلْقَيْسُكَ .
 وَهَذَا الوَازِرُ كَانَ اسْمُهُ (سَلِيمَانَ) . فَسُقَّتُ المعْنَى إِلَيْهِ فِجَاءً كَمَا تَرَاهُ مِنْ
 الحَسَنِ وَاللَّطَافَةِ .

وَأَمَّا قَوْلِي (وَأَنْتَ مُؤَهَّلٌ لِوَأَحِدَةٍ) فَانَّهُ مِنَ الإِبْهَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ ،
 وَذَلِكَ بِخِلَافِ مَا وَرَدَ فِي الآيَةِ المُقَدِّمِ ذِكْرُهَا ؛ لِأَنَّ تِلْكَ مِنَ التَّفْسِيرِ
 بَعْدَ الإِبْهَامِ .

وَمَا يَنْتَظَمُ فِي هَذَا السَّلَاكِ (الأَسْتِثْنَاءُ العَدَدِيّ) وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ المَبَالَغَةِ ،
 لِطِيفِ المُأْخَذِ ، وَفَائِدَتُهُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَطْرُقُ سَمْعَ المُخَاطَبِ ذِكْرُ العَقْدِ مِنَ العَدَدِ
 فَيَكْثُرُ مَوْجِعُ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، وَهُوَ شَبِيهُهُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِبْهَامِ أَوَّلًا ، ثُمَّ التَّفْسِيرِ
 بَعْدَهُ ثَانِيًا ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ القَائِلِ : أُعْطِيْتَهُ مَائَةً إِلَّا عَشْرَةً ، أَوْ أُعْطِيْتَهُ أَلْفًا
 إِلَّا مَائَةً ، فَإِنَّ ذَلِكَ أبلغُ مِنْ أَنْ لَوْ قَالَ : أُعْطِيْتَهُ تِسْعِينَ ، أَوْ تِسْعِمَائَةً .

وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمِثَ فِيهِمْ أَلْفَ
 سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) (١) وَلَمْ يَقُلْ : تِسْعِمَائَةً وَخَمْسِينَ عَامًا ، لِفَائِدَةِ حَسَنَةٍ ،
 وَهِيَ ذِكْرُ مَا ابْتَدَأَ بِهِ نُوحٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَمَا كَابَدَهُ مِنْ طَوْلِ المَصَابِرَةِ ، لِيَكُونَ
 ذَلِكَ تَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَلْقَاهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَتَثْبِيتهَا لَهُ ، فَإِنَّ
 ذِكْرَ رَأْسِ العَدَدِ الَّذِي هُوَ مُنْتَهَى العُقُودِ وَأَعْظَمُهَا أَوْقَعُ وَأَوْصَلُ إِلَى الغَرَضِ
 مِنْ اسْتِطَالَةِ السَّمْعِ مَدَّةَ صَبْرِهِ ، وَمَا لَاقَاهُ مِنْ قَوْمِهِ .

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٤

النوع الثامن

في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات
أعلم أنه إذا كان الشيطان أحدهما خاصاً والآخر عاماً فإن استعمال العام
في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الإثبات ، وكذلك استعمال الخاص
في حالة الإثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي .

ومثال ذلك الإنسانية والحيوانية ، فإن إثبات الإنسانية يوجب إثبات
الحيوانية ، ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية ، وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي
الإنسانية ، ولا يوجب إثباتها إثبات الإنسانية .

ومما ينتظم بذلك الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي يكون بينها وبين
واحداهتا التأنيث ، فإنه متى أريد النفي كان استعمال واحداهما أبلغ ، ومتى
أريد الإثبات كان استعمالها أبلغ .

وكذلك يتصل بهذا النوع الصفتان الواردتان على شيء واحد ، فإنه إذا
لزم من وجود إحداهما وجود الأخرى اكتفى بها في الذكر ، ولم يحتاج إلى
ذكر الأخرى ، لأنها تبيء ضمناً وتبعاً ، أو أن يبدأ بها في الذكر أولاً ، ثم
تبيء الأخرى بعدها .

وأما الصفات المتعددة فإنه ينبغي أن يبدأ في الذكر بالأدنى مرتبةً ، ثم
بعدها بما هو أعلى منها ، إلى أن ينتهي إلى آخرها .

هذا في مقام المدح ، فإن كان في مقام الذم عكست القضية .

فالأول — وهو الخاص والعام — نحو قوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
اسْتَوْفَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) (١) ولم يقل : ذهب

(١) سورة البقرة : الآية ١٧ .

بضوئهم ، موازناً لقوله (فلما أضاءت) لأن ذكر النور في حالة النفي أبلغ ، من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة ، فلو قال : ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهب تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هي فرطُ الإنارة ، قال الله تعالى (هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا) (١) فكلُّ ضوءٍ نور ، وليس كلُّ نورٍ ضوءاً .

فالفرض من قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) إنما هو إزالة النور عنهم أصلاً ، فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء .

وكذلك أيضاً قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) ولم يقل (أذهب نورهم) لأن كلَّ من ذهب بشيء فقد أذهب ، وليس كلُّ من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأنَّ الذهابَ بالشيء هو استصحابُ له ومُضِيٌّ به ، وفي ذلك نوعُ اختِجَارٍ بالذهوب به ، وإمساكُ له عن الرجوع إلى حالته ، والعود إلى مكانه ، وليس كذلك الإذهب للشيء لزوال معنَى الاختِجَارِ عنه .

ومما يُحْمَلُ على ذلك الأوصافُ الخاصَّةُ إذا وقعت على شَيْئَيْنِ ، وكان يَلْزَمُ من وصفِ أحدهما وَصْفُ الآخر ، ولا يلزمُ عكسُ ذلك . ومثالُ قوله تعالى : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » (٢) . فإنه إنما خصَّ العَرْضَ بالذِّكْرِ ، دون الطُّولِ ، اللهمني الذي أشرنا إليه ، والمرادُ بذلك أنه إذا كانَ هذا عَرْضُهَا فكيف يكون طولها ؟

وهذا في حالة الإثبات ، ولو أريد النفي لكان له أسلوبٌ غير ما ذكرناه ؛ وهو أنه كان يخصُّ به الطولَ دون العَرْضِ .

(١) سورة يونس : الآية ٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

وأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس فنحو قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : (قال المأثم قومهم إنما أتراك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) (١) :

فإنه إنما قال (ليس بي ضلالة) ولم يقل : ليس بي ضلال ، كما قالوا ، لأن نفي الضلالة أبلغ من نفي الضلال عنه ، كما لو قيل : ألك تمر ؟ فقلت في الجواب : مالي تمر ، وذلك أنفي للتمر ، ولو قلت (مالي تمر) لما كان يؤدي من المعنى ما أداه القول الأول .

وفي هذا الموضوع دقة تحتاج إلى فضل تام ، فينبغي لصاحب هذه الصناعة مراعاته ، والعناية به .

فإن قيل : لافرق بين الضلالة والضلال ، وكلاهما مصدر قولنا ضلَّ بضلاً ضلالاً ، وضلَّ بضلاً ضلالةً ، كما يقال : لذَّ يَلِدُ لِذَاذاً وَلِذَاذَةً !

فالجواب عن ذلك : أن الضلالة تكون مصدراً كما قلت ، وتكون عبارة عن المرة الواحدة ، تقول ضلَّ بضلاً ضلالةً ، أي مرة واحدة ، كما تقول ضرب يضرب ضرباً ضربةً ، وقام يقومُ قومةً ، وأكلَ يأكلُ أكلةً :

والمراد بالضلالة في هذه الآية إنما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال ، فقد نفي ما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة .

* * *

وأما الصفتان الواردتان على شيء واحد فكقول الأشرئ النخعي (٢) :

-
- (١) سورة الأعراف : الآيتان ٦٠ و ٦١ .
(٢) هو مالك بن الحارث ، أحد بني النخع ، والأشتر لقب له ، كان شاعراً يمني من شعراء الصحابة ، شهد حرب القادسية أيام عمر بن الخطاب التي كانت بين المسلمين والفرس ، وكان لعل في حروبه مثل ما كان =

بَقِيْتُ وَفَرِيْ وَانْحَرَفْتُ عَلَى الْعُلَا

وَلَقِيْتُ أَضْيَاقِي بِوَجْهِ عُبُوسٍ (١)

إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً

لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ (٢)

خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِي شُرْبًا

تَعْدُو بِيضٍ فِي الْكَرْبِيهَةِ شُوسٍ (٣)

حَمِيَّ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَانَهُ

لِعَمَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسٍ (٤)

= على رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتب له على بولاية مصر ، فخرج يريد بها ، وبلغ ذلك معاوية ، فعظم عليه الأمر ، فبعث إلى المقدم على الحراج بالقلزم بعده وبميينه إن كفاه شرمالك فلما انتهى الأشتر إلى القلزم استقبله ذلك الرجل ، وعرض عليه النزول عنده فنزل فأتاه بطعام فأكل ، ثم جاءه بعسل وضع فيه سما فشربه فمات ، وذلك سنة ثلاث وثلاثين للهجرة ، فقال معاوية لما بلغه ذلك : إن لله جنوداً منها العسل .

(١) في الأصل «حلفت وفدى» موضع «بقيت وفري» والوفر المال ،

يقول : بقيت مالى ، ولم أنفقه فيما يكسبني الذكر الجميل .

(٢) يدعو على نفسه بما يكسبه السوء إن لم يشن أى يفرق الغارة على

ابن حرب يعنى معاوية بن أبى سفيان .

(٣) في الأصل «شرما» موضع «شربا» والتصويب عن الحماسة

٤٩/١ والسعالى الغيلان ، وقيل هى بنات الغيلان ، والشرب الضمر .

والبييض من البياض كناية عن الكرم ونقاء العرض ، والشوس جمع

أشوس ، وهو الغضببان أو المتكبر ، ونصب «خيلا» على أنه بدل من غارة

في البيت قبله .

(٤) في ديوان الحماسة (١/٤٩) - «مضان برق» موضع «لعان برق»

ألا ترى أنه رقى في التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال « لمانُ برق أو شعاعُ شمس » لأن لمانَ البرق دون شعاعِ الشمس ؟ !

ومما وردَ من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : « ما لهذا الكتابِ لا يُفادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا » (١) فإنَّ وجودَ المؤاخِذة على الصغيرة يلزم منه وجودَ المؤاخِذة على الكبيرة .

وعلى القياس المشار إليه أوَّلاً فينبغي أن يكون لا يفادر كَبِيرَةً ولا صغيرةً لأنَّه إذا لم يفادر صغيرةً ، فمن الأوَّلَى ألا يفادر كَبِيرَةً .
وأما إذا لم يفادرِ كَبِيرَةً ، فإنه يجوز أن يفادرِ صغيرةً ، لأنَّه إذا لم يعفُ عن الصغيرة فيقضَى القياسُ أنه لا يعفُوا عن الكبيرة ، وإذا لم يعفُ عن الكبيرة فيجوز أن يعفُوا عن الصغيرة .

غير أن القرآن الكريم أحقُّ أن يتبع ، وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه الآية ناقضٌ لما تقدّم ذكره .
وكذلك ورد قوله تعالى : (فَلَا تَقُلْ لهما أَفٌ ولا تَنْهَرهما) (٢) لأنَّ التأنيفِ أدنى درجة .

وقد تقدم قولِي في أول هذا النوع أنه إذا جاءت صِفَتان يلزم من وجودِ إحداهما وجودُ الأخرى أن يكتفى بذكرها دون الأخرى لأنَّ الأخرى تجيء ضمناً وتبعاً ، وأن يبدأ بها في الذِّكر ، ثم تجيء الأخرى بعدها ، وعلى هذا فيقال : أو لا : فلا تنهَرهما ولا تقلُّ لهما أفٌ ، لكن إذا لم يقلُّ لهما (أفٌ) امتنع أن ينهَرهما .

(١) سورة الكهف : الآية ٤٩

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣

وقد كان هذا هو المذهب عندي ، حتى وجدت كتاب الله تعالى قد وردَ
بمخلافه . وحينئذٍ عدتُ عما كنتُ أراهُ وأقول به .

* * *

وأما الصفاتُ المتعددةُ الواردةُ على شيءٍ واحدٍ فكقول أبي عبادة
البحترى في وصف نُحُولِ الرَّكَّابِ (١) :

يَتَرَقَّرِقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ غَمَاراً مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسْهُمِ مَبْرِيَةً بَلِ الْأُوتَارِ
الآتري أنه رقى في تشبيه نُحُولِهَا مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ، فشبَّهها أولاً
بِالْقِسِيِّ ، ثم بِالْأَسْهُمِ الْمَبْرِيَةِ ، وتلك أبلغُ في النُّحُولِ ، ثم بِالْأُوتَارِ ، وهي أبلغُ
في النُّحُولِ مِنَ الْأَسْهُمِ .

وكذلك ينبغي أن يكون الاستعمالُ في مثل هذا الباب .

وقد أغفل كثيرٌ من الشعراء ذلك فن جماتهم أبو الطيب المتنبي في
قوله (٢) :

يَابَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةَ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ
ويُنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِالْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ كَالْمُرْتَفِعِ

(١) ديوان البحترى ٢ / ٣٠ من قصيدة له في مدح أبي جعفر بن حميد ،
ومطلعها :

أبْكَاءُ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلَاوَا بَزِينِبَ عَنِ نَوَارِ
(٢) ديوان المتنبي ٣ / ٢١٥ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ، وقد
فصد لعلة مطلعها :

أَبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبِخْلِ فِي الْبَعْدِ مَا لَا تَكْلِفُ الْإِبِلَ

من محلٍّ إلى محلٍّ أعلى منه ، وإذا خالفه كان كالمخفض من محلٍّ إلى محلٍّ أدنى منه .

فأما قوله (يا بدر) فإنه اسم الممدوح ، والابتداء به أولى ، ثم بعده فيجب أن يقول : يارجل ، ياليت ، ياغامة ، يا بحر ، يا حام ، لأن الليث أعظم من الرجل . والبحر أعظم من الغامة ، والحمام أعظم من البحر ، وهذا مقام مدح ، فيجب أن يرتقي فيه من منزلة إلى منزلة ، حتى ينتهي إلى المنزلة العليا آخرًا ، ولو كان مقام ذم لعكس القضية .

وعلى مثله ورد قول أبي تمام يفتخر^(١) :

سَمَا بِي أَوْسٌ فِي الْفَخَّارِ وَحَاتِمٌ وَزَيْدٌ الْقَمْنَا وَالْأَثْرَمَانِ وَرَافِعٌ^(٢)

نَجُومٌ طَوَالِيعُ جِبَالٍ فَوَارِعٌ غِيُوثٌ هَوَامِيعٌ سُبُولٌ دَوَافِعٌ^(٣)

فإن السُّبُولَ دُونَ الْغِيُوثِ ، وَالْجِبَالَ دُونَ النَّجُومِ ، وَلَوْ قَدَّمَ مَا آخَرَ لَمَا

أَخْتَلَّ النَّظْمُ بِأَنْ قَالَ :

سُبُولٌ دَوَافِعٌ غِيُوثٌ هَوَامِيعٌ جِبَالٌ فَوَارِعٌ نَجُومٌ طَوَالِيعٌ^(٤)

وهذا عندي أشدُّ ملامةً من المتنبي ، لأنَّ المتنبي لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٩ من قصيدة له يصف فيها قومه ، ويفتخر

بهم ، ومطلعها :

أَلْأَصْنَعُ الْبَيْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ فَإِنْ تَكَ مَجْزَاعًا فَمَا الْبَيْنَ جَارِعٌ

(٢) بين هذا البيت والبيت الذي يليه :

وَكَانَ إِيَّاسٌ مَا إِيَّاسٌ وَعَارِفٌ وَحَارِثَةٌ أَوْ فِي الْوَرَى وَالْأَصَابِعُ

(٣) رواية الديوان « طواليع » موضع « طوالع » و « هواميع »

موضع « هوامع » .

(٤) هذا على رواية ابن الأثير ، أما على رواية الديوان فإن النظم

يختل بالتقديم والتأخير على النحو الذي افترضه ابن الأثير .

وتأخيرها ، وأبو تمام متمكّن من ذلك ، وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع
مع معرفته بالمعاني !!

النوع التاسع

في التقديم والتأخير

وهذا بابٌ طويلٌ عريض ، يشتمل على أسرارٍ دقيقةٍ ، منها ما استخرجته
أنا ، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان ، وسأورد ذلك مبيّناً .
وهو ضربان :

الأول : يختصُّ بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أُخِّرَ المقدم أو قدّم
المؤخر لتغير المعنى .

والثاني : يختصُّ بدرجة التقديم في الذكر ؛ لاختصاصه بما يوجب له ذلك ،
ولو أُخِّرَ لما تغيّر المعنى .

فأما الضربُ الأول فإنه ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : يكون التقديم فيه هو الأبلغ .

والآخر : يكون التأخير فيه هو الأبلغ .

فأما القسمُ الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ فكنتقديم المفعول على
الفعل ، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء
على العامل .

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك : زيداً ضربتُ ، وضربتُ
زيداً ، فإن في قولك « زيداً ضربتُ » تخصيصاً له بالضرب دون غيره ،
وذلك بخلاف قولك : « ضربتُ زيداً » لأنك إذا قدّمتَ الفعل كنتَ

بالخيارِ في إيقاعه على أى مفعولٍ شئت ، بأن تقول : ضربتُ خالدًا ، أو بكرًا
أو غيرهما ، وإذا أخرتهُ كَرِمَ الاختصاصُ للمفعول .

وكذلك تقديمُ خبر المبتدأ عليه ، كقولك : « زيد قائم » ، و « قائم
زيد » فقولك « قائم زيد » قد أثبت له القيامَ دونَ غيره ، وقولك « زيد
قائم » أنت بالخيارِ في إثبات القيام له ، وفيه عنه ، بأن تقول : ضاربٌ ،
أو جالسٌ ، أو غير ذلك .

وهكذا يجزى الحكم في تقديم الظرف ، كقولك : إن إلى مصير هذا
الأمر ، وقولك : إن مصيرَ هذا الأمر إلى ، فإنَّ تقديمَ الظرف دلَّ على أن
مصير الأمر ليس إلا إليك ، وذلك بخلاف قولك : إن مصيرَ هذا الأمر إلى ،
إذ يَحتملُ إيقاعَ الكلام بعد الظرف على غيرك ، فيقال : إلى زيد ، أو عمرو ،
أو غيرهما .

وكذلك يجزى الأمرُ في الحال والاستثناء .

وقال علماء البيان ، ومنهم الزَّخَشَرِيُّ — رحمه الله — : إنَّ تقديمَ هذه
الصُّورة المذكورة إنما هو للاختصاص ، وليس كذلك .

والذى عندى فيه أنه يُستعمل على وجهين :

أحدهما : الاختصاصُ .

والآخر : مراعاةَ نَظْمِ الكلام ؛ وذلك أن يكونَ نظمه لا يُحسن إلا
بالتقديم ، وإذا أُخِرَ المقدم ذهبَ ذلك الحُسن ، وهذا الوجه أبلغُ وأؤكدُ
من الاختصاص .

فأما الأوَّل — الذى هو الاختصاصُ — فنحو قوله تعالى : (قلْ أَفَغَيْرِ
اللهِ تَأْمُرُونِى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فاعْبُدْ
وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١).

فإنه إنما قال : « بل الله فاعبد » ولم يقل : بل اعبد الله ، لأنه إذا تقدم
وجب اختصاصُ العبادة به دون غيره ، ولو قال : بل اعبد لجاز ايقاع الفعل على
أى مفعولٍ شاء .

وأما الوجهُ الثاني — الذى يختصُّ بنظمِ الكلامِ — فنحو قوله تعالى :
(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

وقد ذكر الزمخشريُّ في تفسيره أنَّ التقديم في هذا الموضع قصد به
الاختصاص ، وليس كذلك ، فإنه لم يتقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص ،
وإنما قدَّم لِمَكَانِ نَظْمِ الْكَلَامِ ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له
من الحسن ما لقوله « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ألا ترى أنه تقدَّم قوله
تعالى : (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) فجاء
بعد ذلك قوله « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ، وذلك لمرعاةِ حُسْنِ النَّظْمِ السَّجْمِيِّ
الذى هو على حرف النون ، ولو قال : نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة ،
وزال ذلك الحسن .

وهذا غير خافٍ على أحدٍ من الناس ، فضلاً عن أرباب علم البيان .
وعلى نحو منه وردَّ قوله تعالى : (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قَلْنَا
لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٢)) وتقدير الكلام : فأوجس موسى في نفسه خيفةً ،
وإنما قدَّم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر
قصداً لتحسين النظم .

(١) سورة الزمر . الآيات ٦٤ و٦٥ و٦٦

(٢) سورة طه : الآيتان ٦٧ و٦٨

وعلى هذا فليس كلُّ تقديمٍ لما مكانه التأخير من باب الاختصاص ، فبطل
إذا ما ذهب إليه الزمخشري وغيره .

ومما وردَ من هذا البابِ قوله تعالى : (خُذُوهُ فَعُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمِ
صَلُّوهُ ^(١)) فإنَّ تقديمَ الجحيمِ على التَّصْلِيَةِ ، وإنَّ كانَ فيه تقديمُ المفعولِ على
الفعلِ ، إلَّا أَنَّهُ لم يكنْ هَاهُنَا للاختصاص ، وإِنَّمَا هو للفضيلةِ السَّجَّعِيَّةِ ، ولا
مِرَاءَ في أَنَّ هَذَا النِّظْمَ على هذه الصُّورَةِ أَحْسَنُ مِنْ أَنَّ لَوْ قِيلَ : خُذُوهُ فَعُلُّوهُ ثُمَّ
صَلُّوهُ الْجَحِيمِ .

فإن قيل : إِنَّمَا قُدِّمَتِ الْجَحِيمُ للاختصاص ، لِأَنَّهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ ، وَلَوْ أُخِّرَتْ
لجَازَ وَقُوعِ الفِعْلِ على غيرها ، كما يُقالُ : ضَرَبْتُ زَيْدًا ، وَزَيْدًا ضَرَبْتُ ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ السَّكَّامُ على ذلك .

فالجوابُ عن ذلك : أَنَّ الدَّرَكَ الأَسْفَلَ أعْظَمُ مِنَ الْجَحِيمِ ، فَكانَ يَنْبَغِي
أَنَّ يُحْصَى بِالذِّكْرِ دُونَ الْجَحِيمِ ، على ما ذهبَ إليه ، لِأَنَّهُ أعْظَمُ .

وهذا لا يذهبُ إليه إلا من هو بِنَجْوَةٍ عن رُمُوزِ الفِصَاحَةِ والبِلاغَةِ ،
ولفظَةُ « الْجَحِيمِ » ههنا في هذه الآيةِ أَوْلَى بالاستعمالِ مِنْ غيرها ، لِأَنَّها جِاءَتْ
ملائمةً لنِظْمِ السَّكَّامِ ، أَلَا تَرى أَنَّ مِنْ أَسْماءِ النَّارِ السَّمِيرَ ، وَلَطْفَى ، وَجَهَنَّمَ ؛
وَلَوْ وُضِعَ بَعْضُ هَذِهِ الأَسْماءِ مِكانَ الْجَحِيمِ لَمَّا كانَ لَهُ مِنَ الطَّلَاوَةِ وَالْحُسْنِ
ما لِلْجَحِيمِ ، وَالْمَقْصُودُ بِذِكْرِ الْجَحِيمِ إِنَّمَا هُوَ النَّارُ ، أَيُّ صَلْوَةِ النَّارِ ، وَهَكَذَا
يُقَالُ فِي (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةِ ذَرْعِها سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْتَلْسَكُوهُ) ^(٢) .

(١) سورة الحاقة : الآيتان ٣٠ و ٣١

(٢) سورة الحاقة : الآية ٣٢

فإنه لم يقدم السلسلة على السالك للاختصاص ؛ وإنما قدمت لمكان نظم الكلام .

ولا شك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل : ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ؛ والكلام على هذا كالكلام على الذي قبل .

وله في القرآن نظائر كثيرة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (١) .

فقوله « والقمر قدرناه منازل » ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص ، وإنما هو من باب مراعاة نظم الكلام ، فإنه قال : « الليل نسلخ منه النهار » ثم قال « والشمس تجري » فاقضى حسن النظم أن يقول « والقمر قدرناه » ليكون الجميع على نسق واحد في النظم ، ولو قال : وقدرنا القمر منازل لما كان بتلك الصورة في الحسن .

وعليه ورد قوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر » (٢) .

وإنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي .

وأما تقديم خبر المبتدأ عليه فقد تقدمت صورته كقولك : « زيد قائم » « وقائم زيد » .

(١) سورة يس : الآيات ٣٧ و ٣٨ و ٣٩

(٢) سورة الضحى : الآيات ٩ و ١٠

فِيمَا وَرَدَ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ » (١) .

فإنَّه إنما قال ذلك ولم يقل : وظنوا أنَّ حصونهم تمنعهم ، أو مانعتهم ،
لأنَّ في تقديم الخبر الذي هو « مانعتهم » على المبتدأ الذي هو « حصونهم »
دليلاً على فرط اعتقادهم في حصانتها ، وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم .

وفي تصويب ضميرهم إسماً لأنَّ وإسناد الجملة إليه دليلٌ على تقريرهم
في أنفسهم أنهم في عزَّة وامتناعٍ لا يُبالي معها بقصد قاصد ، ولا تعرَّض
متعرَّضٍ ، وليسَ شيءٌ من ذلك في قولك : وظنُّوا أنَّ حصونهم مانعتهم
من الله .

ومن تقديم خبر المبتدأ قوله تعالى : « قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمَ » (٢) .

فإنَّه إنما قدَّم خبر المبتدأ عليه في قولك « أَرَأَيْتُ أَنْتَ » ولم يقل :
أَنْتَ رَأَيْتُ ، لأنَّه كان أهمَّ عنده ، وهو به شديد العناية (٣) .

وفي ذلك ضربٌ من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيمَ عن آلهته ،

(١) سورة الحشر : الآية ٢

(٢) سورة مريم . الآية ٤٦

(٣) وهكذا في «مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل» للنسفي (٢٩/٣)

قال : إنه قدَّم الخبر على المبتدأ ، لأنه كان أهمَّ عنده .

ورأى جمهور النحاة أنَّ «أنت» فاعل للمبتدأ «راغت» المعتمد

على استفهام ، وليس مبتدأ مؤخرًا كما ذكر ، وذلك للفصل بين «راغب»

والمعمول «عن آلهتي» بأجنبي وهو «أنت» وانظر حاشية الصبان على شرح

وَأَنَّ آلِهَتَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْغَبَ عَنْهَا ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ : أَأَنْتَ رَاغِبٌ
عَنْ آلِهَتِي ؟ .

وَمِنْ غَامِضِ هَذَا الْمَوْضِعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا
هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » (١) .

فإنه إنما قال ذلك ، ولم يقل : فإذا أبصارُ الذين كفروا شاخصة لأمرين :
أحدهما : تخصيصُ الأبصارِ بالشُّخُوصِ دونَ غيرها ، أمَّا الأوَّلُ فلو قال :
فإذا أبصارُ الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضعَ موضعَ « شاخصة » غيره ،
فيقول ، « حائرة » أو « مطموسة » أو غير ذلك ، فلما قدم الضمير اختصَّ
الشُّخُوصُ بالأبصارِ دونَ غيرها .

وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ الشُّخُوصَ خَاصَّةً بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ دَلَّ عَلَيْهِ
بِتَقْدِيمِ الضَّمِيرِ أَوَّلًا ، ثُمَّ بِصَاحِبِهِ ثَانِيًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَإِذَا هُمْ شَاخِصُونَ دُونَ
غَيْرِهِمْ ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ أَرَادَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْمَشَارَ إِلَيْهِمَا لَقَالَ : فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ
كَفَرُوا شَاخِصَةٌ ، لِأَنَّهُ أَخْصَرَ بِحَذْفِ الضَّمِيرِ مِنَ الْكَلَامِ .

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سئِلَ عَنْ مَاءِ الْبَحْرِ ،
فَقَالَ : « هُوَ الطَّهُّورُ مَاؤُهُ ، الْجِلُّ مَيْتَتُهُ » وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : هُوَ الَّذِي
مَاؤُهُ طَهُّورٌ ، وَمَيْتَتُهُ حِلٌّ ، لِأَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ هَاهُنَا بِمَعْنَى الَّذِي .

وَأَمَّا تَقْدِيمُ الظَّرْفِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَقْصُودًا بِهِ الْإِثْبَاتُ فَإِنَّ
تَقْدِيمَهُ أَوْلَى مِنْ تَأْخِيرِهِ ، وَفَائِدَتُهُ إِسْنَادُ الْكَلَامِ الْوَاقِعَ بِهِدَهُ إِلَى صَاحِبِ
الظَّرْفِ دُونَ غَيْرِهِ .

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٧

فإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيرُه ، وكلا هذين الأمرين له موضع يختص به .

فأما تقديمه في النفي فإنه يقصد به تفضيل المنفى عنه على غيره ، وأما تأخيره فإنه يقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل .

فأما الأول — وهو تقديم الظرف في الإثبات — فكقولك في الصورة المقدمة : إنَّ إلىَّ مصير هذا الأمرِ ، ولو أخَّرت الظرفَ ، قلت : إن مصير هذا الأمرِ إلىَّ ، لم يعطِ من المعنى ما أعطاه الأول ، وذلك أنَّ الأوَّل دلَّ على أنَّ مصيرَ الأمرِ ليسَ إلاَّ إليك ، وذلك بخلاف الثاني إذْ يحتمل أن توقع الكلامَ بعد الظرف على غيرك ، فيقال : إلى زيد ، أو عمرو ، أو غيرهما .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى : « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » (١) .

وكذلك جاء قوله تعالى : « يُسَبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ » (٢) .

فإنه إنَّما قدَّم الظرفين هاهنا في قوله « له الملك وله الحمد » ليدلَّ بتقدمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره .

وقد استعمل تقديم الظرف في القرآن كثيراً كقوله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (٣) أى تنظر إلى ربها دون غيره ، فتقديم

(١) سورة الغاشية : الآيتان ٢٥ و ٢٦

(٢) سورة التغابن : الآية ١

(٣) سورة القيامة : الآيتان ٢٣ و ٢٤

الظرف هاهنا ليس للاختصاص^(١) ، وإنما هو كالذي أشرتُ إليه في تقديم
المفعول ، وأنه لم يقدم للاختصاص ، وإنما قُدِّم من أجل نظم الكلام ، لأنَّ
قوله تعالى :

« وجوه يومئذٍ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » أحسنُ من أن لو قيل : وجوهٌ
يومئذٍ ناضرة ناظرةٌ إلى ربها ، والفرقُ بينَ النظمين ظاهر .

وكذا قوله تعالى : (وَالتَّمَّتِ السَّمَاوَاتُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ
الْمَسَاقِ)^(٢) فإنَّ هذا رُوِيَ فيه حُسْنُ النَّظْمِ ، لا الاختصاصُ في تقديم
الظرف .

وفي القرآن مواضعٌ كثيرةٌ من هذا القبيل يقيسُها غيرُ العارف بأسرار
الفصاحة على مواضعٍ أخرى وُردت للاختصاص ، ولبستَ كذلك .
فإنها قوله تعالى : (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرَّةُ)^(٣) .

وقوله تعالى : (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)^(٤) . و « لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ »^(٥) . و (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)^(٦) .

فإنَّ هذه جميعها لم تقدم الظروفُ فيها للاختصاص ، وإنما قدمت للمراعاة
الحسن في نظم الكلام ، فأعرف ذلك .

(١) ناقض المؤلف نفسه بقوله إن تقديم الظرف هاهنا ليس للاختصاص
بعد تفسيره الآية بقوله « تنظر إلى ربها دون غيره » .

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٩ و ٣٠ .

(٣) سورة القيامة : الآية ١١ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٥٣ .

(٥) سورة القصص : الآية ٨٨ .

(٦) سورة هود : الآية ٨٨ .

وأما الثاني — وهو تأخير الظرف وتقديمه في النفي — فنحو قوله تعالى :
 (الْمَ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) ^(١) وقوله تعالى : (لا فيها غَوْلٌ ولاهُمْ
 عَنْهَا يُنْزَفُونَ) ^(٢) . فإنه إنما أحرَّ الظرف في الأوَّل لأنَّ القصدَ في إِبلاءِ حرفِ
 النفي الرِّيبَ نَفَى الرِّيبَ عنه ، وإثبات أنه حقٌّ وصدق ، لا باطل وكذب ، كما
 كان المشركون يدَّعونَه ، ولو قدَّم الظرف لقصد أن كتاباً آخر فيه الرِّيبَ
 لا فيه ، كما قصد في قوله تعالى : « لا فيها غَوْلٌ » فتأخير الظرف يقتضى النفي
 أصلاً من غير تفضيل ، وتقديمه يقتضى تفضيل النفي عنه ، وهو خمر الجنة على
 غيرها من سُحُور الدنيا ، أى ليس فيها ما في غيرها من العوَل . وهذا مثل قولنا :
 لا عيبَ في الدار ، وقولنا : لا فيها عيبٌ ، فالأوَّل نفي العيب عن الدار قطعاً ،
 والثَّاني تفضيلٌ لها على غيرها ، أى ليس فيها ما في غيرها من العيب ، فأعرف
 ذلك فإنه من دقائق هذا الباب .

وأما تقديم الحال فكقولك : « جاء راكباً زيدٌ » ، وهذا بخلاف
 قولك : « جاء زيد راكباً » ، إذ يحتملُ أن يكونَ ضاحكاً ، أو ماشياً ،
 أو غير ذلك .

وأما الاستثناء فجار هذا الجرى ، نحو قولك : « ما قام إلا زيداً أحدٌ » ،
 أو « ما قام أحدٌ إلا زيداً » ، والكلامُ على ذلك كالكلام على ما سبق .

المعاظلة المعنوية :

وأما القسم الثاني فهو أن يقدم ما الأوَّل به التأخير ، لأنَّ المعنى يمتلئ
 بذلك ويضطرب ، وهذا هو (المعاظلة المعنوية) وقد قدَّمنا القول في المقالة

(١) سورة البقرة : الآيتان ١ و ٢

(٢) سورة الصافات : الآية ٤٧

الأولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاظة تنقسم قسمين : أحدهما لفظي ،
والآخر معنوي .

أما اللفظي فقد كرناه في بابهِ (١) .

وأما المعنوي فهذا بابُهُ وموضعهُ ، وهو كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على
الموصوف ، وتقديم الصلة على الموصول ، وغير ذلك مما يردُّ بيانه .

فإن هذا القسم قول بعضهم :

فَقَدْ وَالشَّكُّ بَيْنَ لِي عَنَاءِ بِيُوشِكُ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ (٢)

فإنه قدَّم قوله « بوشك فراقهم » وهو معمول « يصيح » و « يصيح »
صفة لـ « صرد » ، وذلك قبيح .

ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال : هذا من موضع كذا رجلٌ وردَ اليومَ ،
وإنما يجوز وقوع الممولِّ بحيثُ يجوز وقوع العاملِ ! فكما لا يجوز تقديم
الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها .

ومن هذا النحو قول الآخر :

فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا

فإنه قدَّم خبر كأن عليها ، وهو قوله (خط) .

وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياسٌ عليه ، والأصلُ في هذا البيت : فَأَصْبَحْتُ

(١) انظر (النوع السابع - في المعاظة اللفظية) وقد سبق في صفحة ٣٩٦

وما بعدها من انقسام الأول من هذا الكتاب .

(٢) الصرد - بضم الصاد وفتح الراء - طائر ضخم الرأس يصيد

العصافير

بعد بهجتها قفراً ، كأنَّ قلماً خطَّ رسومها ، إلا أنه على تلك الحالة الأولى في الشعر
مختلٌّ مضطرب .

والمعاظلة في هذا الباب تتفاوت درجتها في التبحر ، وهذا البيت المشار
إليه من أقبحها ، لأن معانيه قد تداخلت ، وركب بعضها بعضاً .

ومما يجرى هذا المجرى قولُ الفرزدق :

إلى مَلِكٍ ما أمه من مُحاربٍ أبوه ولا كانت كَلِيبٌ تُصَاهِرُهُ (١)

وهو يريد إلى ملكٍ أبوه ما أمه من مُحاربٍ وهذا أقبح من الأوّل ،
وأكثرُ اختلالاً .

وكذلك جاء قوله أيضاً :

ولَيْسَتْ خُرَاسَانُ التي كانَ خَالِدٌ بها أَسَدٌ إِذْ كانَ سَيِّفًا أَمِيرُها

وحديثُ هذا البيت ظريف ، وذلك أنه فيما ذكر يمدحُ خَالِدَ بنَ عبدِ الله
القَسْرِيّ ؛ ويهجو أَسَدًا (٢) ، وكانَ أَسَدٌ وليها بعدَ خَالِدٍ ؛ وكأنه قال : وليست
خُرَاسَانُ بالبلدِ التي كانَ خَالِدٌ بها سَيِّفًا إِذْ كانَ أَسَدٌ أَمِيرُها .

وعلى هذا التقدير ففي (كان) الثانية ضميرُ الشأنِ والحديثُ ، والجملةُ
بعدها خبرٌ عنها ، وقدمَ بعضُ ما (إِذْ) مضافةً إليه ، وهو (أَسَدٌ) عليها وفي
تقديمِ المضافِ إليه أوشىء منه على المضافِ من القبحِ ما لا يخفاء به .

(١) ديوان الفرزدق ٣١٢/١ من قصيدة له في مدح الوليد بن عبد الملك

بن مروان ، ومطلعها :

كَمْ من منادٍ والشريفانِ دونه إلى الله تشكياً والوليد مفاقره

ورواية الديوان «أبوها» موضع «أبوه»

(٢) هو أسد بن عبد الله القسري .

وأيضاً فإنَّ أَسَدًا أَحَدُ جُزْأَيِ الْجُمْلَةِ الْمَفْسُورَةِ لِلضَّمِيرِ ، وَالضَّمِيرُ لَا يَكُونُ تَفْسِيرُهُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَوْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ قَبْلَهُ لَمَا احتَاجَ إِلَى تَفْسِيرٍ ، وَلِمَا سَمَّاهُ الْكُوفِيُّونَ (الضَّمِيرُ الْمَجْهُولُ) .

وعلى هذا النَّحْوِ وَرَدَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ أَيْضًا :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (١)
ومعنى هذا البيتِ : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملوكًا
أبو أمه أبوه .

وعلى هذا المثالُ المصوغُ في الشعرِ قد جاء مُشَوِّهًا كما تراه .

وقد استعملَ الْفَرَزْدَقُ مِنَ التَّعَاظِلِ كَثِيرًا ، كَأَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ ، لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا مَتَكَلِّفًا مَقْصُودًا .

وإلا فإذا تركَ مؤلِّفُ الكلامِ نَفْسَهُ تَجَرَّى عَلَى سَجِيَّتِهَا وَطَبْعِهَا فِي الْاِسْتِرْسَالِ لَمْ يَعْزُضْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّعَقُّيدِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الضَّرْبِ الْمَشَارِ إِلَى ، إِذِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِبْطَاحُ وَالْإِبَابَةُ وَإِفْهَامُ الْمَعْنَى ، فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا الْوَصْفُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ الْمَرَادُ بِهِ .

(١) ديوان الفرزدق ١٠٨/١ وقال جامع الديوان إن هذا البيت لم يرد في أصوله ، ولكنه ورد في عدة مراجع موثوق بها شاهداً للتعقيد المعنوي ، وقد قالوا فيه أنهم من قصيدة له من الطويل يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك ، ولكنني لم أجده في قصيدة ما ، فلعلها ضاعت ، أولعل البيت أهمل من بين أبيات القصيدة على فرض وجودها ، على أن رواية الديوان لم يذكرها قصيدة بائنة نصوا على أنه مدح بها إبراهيم بن هشام هذا - انظر شرح ديوان الفرزدق - مطبعة الصاوي - القاهرة ١٩٣٦ م .

ولافرقَ عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسيَّة والروميَّة
وغيرهما .

واعلم أن هذا الضربَ من الكلام هو ضدُّ الفصاحةِ ، لأنَّ الفصاحة هي
الظهور والبيان ، وهذا عارٍ عن هذا الوصف .

وأما الضرب الثاني^(١) الذي يختصُّ بدرجة التقدُّم في الذِّكر لاختصاصه
بما يوجب له ذلك فإنه ما لا يحصرُه حدٌّ ، ولا ينتهي إليه شرح ، وقد أشرنا
إلى نبذةٍ منه في هذا الكتاب ، ليستدلَّ بها على أشباهها ونظائرها .

فمن ذلك تقديم السَّببِ على المسبَّبِ ، كقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ) فإنه إِمَّا قَدَّمَ العبادةَ على الاستعانةِ لأنَّ تقديم القُرْبَةِ والوسيلةِ قبل
طلب الحاجةِ أنجحُ لحصولِ الطَّلَبِ ، وأسرعُ لوقوعِ الإجابةِ ، ولو قال : إِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ، وإِيَّاكَ نَعْبُدُ ، لكان جائزاً ؛ إلا أنه لا يسدُّ ذلك المسدُّ ، ولا يقعُ
ذلك الموقعُ .

وهذا لا يخفى على المنصفِ من أربابِ هذه الصَّناعةِ .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ
بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيراً) (٢) .

(١) سبق للمؤلف في هذا الفصل أن جعل التقديم والنأخير ضربين .
الأول يختصُّ بدلالة الألفاظ على المعاني ولو أخرج المقدم أو قدم المؤخر لتغير
المعنى ، والثاني يختصُّ بدرجة التقدُّم في الذِّكر ، لاختصاصه بما يوجب له
ذلك ، ولو أخرلما تغير المعنى .

(٢) سورة الفرقان : الآيتان ٤٨ و٤٩

فقدّم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس ، وإن كانوا أشرفَ محلاً لأنّ حياة الأرض هي سببُ حياة الأنعام والناس ، فلما كانت بهذه المثابة جعلت مُقدّمة في الذكر ، ولما كانت الأنعام من أسباب التعميش والحياة للناس قدّمها في الذكر على الناس ، لأنّ حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدّم سقى ما هو سببُ نمانهم ومعاشهم على سقيهم .

ومن هذا الضربِ تقديم الأكثر على الأقل ، كقوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا السِّكِّتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) (١) .

وإنما قدّم الظالم لنفسه للإيدان بكثرتة ، وأنّ معظم الخلق عليه ، ثم أتى بعده بالمقتصدين ، لأنهم قليلٌ بالإضافة إليه ، ثم أتى بالسابقين ، وهم أقلّ من القليل — أغنى من المقتصدين — قدّم الأكثر ، وبعده الأوسط ، ثم ذكر الأقلّ آخرأ .

ولو عكست القضية لكان المعنى أيضاً واقعاً في موقعه ، لأنّه يكون قد رُوِيَ فيه تقديمُ الأفضل فالأفضل .

ولنوضّح لك في هذا وأمثاله طريقاً تفقّهيه ، فنقول :

اعلم أنه إذا كان الشئان كل واحدٍ منهما مختصاً بصفةٍ فانت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر ، كهذه الآية ، فإنّ السابق بالخيرات مختصٌ بصفة الفضل ، والظالم لنفسه مختصٌ بصفة الكثرة ، فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ (١).
 فإنه إنما قدّم الماشي على بطنه ، لأنه أدلّ على القدرة من الماشي على رجلين
 إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشي ، ثم ذكر الماشي على رجلين ، وقدمه
 على الماشي على أربع ، لأنه أدلّ على القدرة أيضاً حيث كثرت آلات المشي
 في الأربع .

وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب .

فإن قيل : قد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي
 ذكرته كقوله تعالى في سورة هود : (وما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ * يومَ
 يَأْتِي لا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فأما الذين شَقُّوا
 فِي النَّارِ (٢)) ثم قال : (وأما الذين سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ (٣)) فقدّم أهل
 النار في الذّكر على أهل الجنّة ، وهذا مخالف للأصل الذي أصلته في هذا
 الموضوع !

فالجواب عن ذلك : أن هذا الذي أشرت إليه في سورة هود وما أشبهه
 له أسرار تحتاج إلى فضل تأمل ، وإيمان نظر ، حتّى تفهم .

أما هذا الموضوع فإنه لما كان الكلام مسوقاً في ذكر التخويف والتحذير
 وجاء على عقب قصص الأولين ، وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير ، كان
 الأليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى ، وهو ذكر أهل النار ، فمن
 أجل ذلك قدّموا في الذّكر على أهل الجنّة .

(١) سورة النور : الآية ٤٥

(٢) سورة هود : الآيات ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦

(٣) سورة هود : الآية ١٠٨

وإذا رأيتَ في القرآن شيئاً من هذا القبيل وما يجزى مجراه فتأمله ، وأؤمن
نظرك فيه ، حتى يتبين لك مكانُ الصواب منه .

واعلم أنه إذا كان مطلعُ الكلام في معنى من المعاني ، ثم يجيء
بعده ذكر شيئين أحدهما أفضلُ من الآخر ، وكان المعنى المفضول مناسباً
لمطلع الكلام ، فانت بالخيار في تقديم أيهما شئت ، لأنك إن قدمت
الأفضل فهو في موضعه من التقديم ، وإن قدمت المفضول فلأن مطلع
الكلام يناسبه .

وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضاً وارِدٌ في موضعه ، فمن ذلك قوله تعالى :
(وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَبَّهَا وَإِن تَصِبَّهُمْ سَيْئَةً بَمَا قَدَّمْت
أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهْبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا وَسَّيْبٌ لِّمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يَزَوْجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا
وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)^(١) .

فإنه إنما قدّم الإناث على الذكور مع تقدّمهم عليهن ، لأنه ذكر البلاء
في آخر الآية الأولى ، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ، ثم عقب
ذلك بذكره ملكه ومشيئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدّم الإناث ، لأن سياق
الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتي
هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهم ، والأهم واجب التقديم ، وليلى
الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاءً ذكر البلاء .

ولما أخرج ذكر الذكور ، وهم أحقّاء بالتقديم ، تدارك ذلك بتعريفه إبتاهم ،
لأن التعريف تنويه بالذكر ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام

(١) سورة الشورى : الآيات ٤٨ و٤٩ و٥٠ .

المذكورين الذين لا يخفون عليكم ، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقة من التقديم والتأخير ، وعرف أن تقديم الإنث لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتض آخر ، فقال : (ذكرانا وإنانا) وهذه دقائق لطيفة قل من يتذمها ، أو يعثر على رُموزها .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَوْنَهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (١) .

فإنه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء ، ومن حقها التأخير ، لأنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم ، ووصل ذلك بقوله : (وما يعزب) لأم بينهما ، ليلي المعنى المعنى .

فإن قيل : قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن ! !

قلنا : إذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقدمها من سبب اقتضاه ، وإن خفي ذلك السبب ، وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض !

النوع العاشر

في الحروف العاطفة والجارّة

وهذا موضع لطيف المأخذ ، دقيق المغزى ، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض إليه ، ولا ذكره . وما أقول إنهم لم يعرفوه ، فإن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى ، لأنه مذكور في كتب العربية جميعها .

(١) سورة يونس : الآية ٦١

ولستُ أعني بإيراده هاهنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة
تتبع [المعطوف] المعطوف عليه في الإعراب ، ولا أن الحروف الجارّة
تجرُّ ما تدخل عليه . بل أمراً وراء ذلك ، وإن كان المرجح فيه إلى الأصل
النحويّ .

فأقول : إن أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها ،
فيجعلون ما ينبغي أن يجرَّ بعلى [مجروراً]^(١) بني ، وفي هذه الأشياء دقائق
أذكرها لك .

حروف العطف :

أما حروف العطف فنحو قوله تعالى : (والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينُ *
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينُ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينُ)^(٢) .

فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع ، وتقديم الإطعام على الإسقاء ،
والإسقاء على الإطعام ، جائز ، لولا مراعاة حسن النظم ، ثم عطف الثاني بالفاء
لأن الشفاء يعقب المرضَ بلا زمانٍ خالٍ من أحدهما ، ثم عطف الثالث بثم ،
لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمانٍ ، ولهذا جيء في عطفه بثم التي
هي للتراخي .

ولو قال قائل في موضع هذه الآية : الذي يطعمني ويسقيني ، ويمرضني
ويشفيني ويميتني ويحييني ، لكان للكلام معنى تاماً ، إلا أنه لا يكون كعنى
الآية ، إذ كلُّ شيءٍ منها قد عطف بما يناسبه ، ويقع موقع السداد منه .

ومما جاء من هذا الباب قوله تعالى (قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أُكْفَرَهُ * من أيّ

(١) في الأصل « فيجعلون ما ينبغي أن يجر بعلى بني في حروف الجر »

وهي عبارة مختلطة لاتين عن المراد .

(٢) سورة الشعراء : الآيات ٧٩ و ٨٠ و ٨١

شَيْءٌ خَلَقَهُ * مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ *
ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (١) .

ألا ترى أنه لما قال : (من نظفة خلقه) كيف قال (قدّره) ، ولم يقل ثمّ قدره ، لأنّ التقدير لما كان تابعاً للخلاقة وملازماً لها عطفه عليها بالفاء ؟ وذلك بخلاف قوله (ثمّ السبيل يسره) لأنّ بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين إخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزماناً ، فلذلك عطفه بـ **ثُمَّ** .

وعلى هذا جاء قوله تعالى : (ثمّ أمانه فأقبره * ثمّ إذا شاء أنشره) لأنّ بين إخراجه من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحة ، وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ، ولذلك عطفهما بـ **ثُمَّ** ، ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخي ولا مهلة عطفه بالفاء .

وهذا موضع من علم البيان شريف ، وقلّما يتفطن لاستعماله كما ينبغي .

ومما جاء من ذلك أيضاً قوله تعالى في قصة مريم وعيسى عليهما السلام :
(حَمَلْتَهُ فَانْتَبَسَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ
يَالَيْتِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) (٢) .

وفي هذه الآية دليل على أن حملها به ، ووضعها إياه كانا متقاربين ، لأنّه عطف الحمل والانتبأذ إلى المكان الذي مضت إليه ، والمخاض الذي هو الطلق بالفاء ، وهى للفور ، ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بـ **ثُمَّ** التي هي للتراخي والمهلة .

ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى (قتل الإنسان ما أكرهه * من أيّ

(١) سورة عبس : الآيات ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢

(٢) سورة مريم : الآيتان ٢٢ و٢٣

شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدّره * ثم السبيل يسره) فلما كان بين تقديره في البطن ، وإخراجه منه مدة متراخية ، عطف ذلك بتم ، وهذا بخلاف قصة مريم — عليها السلام — فإنها عطفت بالفاء . وقد اختلف الناس في مدة حملها فقيل إنه كان كحمل غيرها من النساء ، وقيل : لا ، بل كان مدة ثلاثة أيام ، وقيل : أقل ، وقيل : أكثر .

وهذه الآية مزيلة للخلاف ، لأنها دلّت صريحاً على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على النور من غير مهلة ، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل ، أخذاً بما دلّت عليه الآية .

ومما ورد من هذا الأسلوب قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة نخلقنا العلقة مضغة نخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر)^(١) .

ففي الآية المقدم ذكرها قال : (من نطفة خلقه فقدّره) فعطف التقدير على الخلق بالفاء ، لأنه تابع له ، ولم يذكر تفاصيل حال الخلق ، وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله ، فبدأ بالخلق الأول ، وهو خلق آدم من طين ، ولما عطف عليه الخلق الثاني — الذي هو خلق النسل — عطفه بتم ، لما بينهما من التراخي ، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ، ولما انتهى إلى جعله ذكراً أو أنثى — وهو آخر الخلق عطفه بتم .

فإن قيل : إنه قد عطف المضغة على العلقة في هذه الآية بالفاء ؛ وفي

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤

أخرى بهم ، وهي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ ^(١)) .
 فالجوابُ عن ذلك ^(٢) ..

* * *

واعلم أن في حروف العطف موضعًا تلتبس فيه الفاء بالواو ، وهو موضع يحتاج فيه إلى فضل تأمل .

وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطفُ عليه إلا بالفاء دون الواو ، وقد يجيء من الأفعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ، ويعطى ظاهره أنه كذلك إلا أن معناه يكون مخالفاً لمعنى فعل المطاوعة ، فيعطف حينئذ بالواو ، لا بالفاء ، كقوله تعالى : (وَلَا تَطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ^(٣)) .

فقوله (أغفلنا قلبه) ههنا بمعنى صادفناه غافلاً ، وليس منقولاً عن (غفل) حتى يكون معناه صدّدناه ، لأنه لو كان كذلك لكان معطوفاً عليه بالفاء ، وقيل : فاتّبع هواه ، وذلك أنه يكون مطاوعاً ، وفعل المطاوعة لا يعطف إلا بالفاء ، كقولك : أعطيتُه فأخذ ، ودعوته فأجاب ، ولا تقول : أعطيتُه وأخذ ؛ ولا دعوته وأجاب ، كما لا يقال : كسرتُه وانكسر ، وكذلك لو كان معنى (أغفلنا) في الآية صدّدنا ومنعنا لكان معطوفاً عليه بالفاء ، وكان يقال : ولا تطيع من أغفلنا قلبه عن ذكركنا فاتّبع هواه ، فلما لم يكن كذلك ، وكان العطف عليه بالواو ، فطريقه أنه لما قال : (أغفلنا قلبه عن ذكركنا ؛ واتّبع هواه) أن

(١) سورة الحج : الآية ٥

(٢) لم يذكر هذا الجواب في أصول الكتاب التي بين أيدينا ولا فيما

طبع منه .

(٣) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

يكون معناه وجدناه غافلاً ، فقد غفل لا محالة ، فكأنه قال : ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، أى لا تطع من فعل كذا وكذا ، يعدد أفعاله التى توجب ترك طاعته ، فاعرف ذلك .

حروف الجر :

وأما حروف الجرِّ فإن الصَّواب يشدُّ عن وضعها فى مواضعها ، وقد علم أن (فى) للوعاء ، و (على) للاستعلاء ، كقولهم : زيد فى الدار ، وعمرو على الفرس ، لكن إذا أريد استعمال ذلك فى غير هذين الموضعين ما يشكّل استعماله عدل فيه عن الأولى .

فيمّا ورد منه قوله تعالى : قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١) .

ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود لخالفه حرّ فى الجرِّ ها هنا ، فإنه إنما خولف بينهما فى الدخول على الحقِّ والباطل لأن صاحب الحقّ كأنه مستعمل على فرس جوادٍ يركض به حيث شاء ، وصاحب الباطل كأنه مُنغمس فى ظلام منخفّض فيه : لا يدرى أين يتوجّه ، وهذا معنى دقيق ، قلما يراعى مثله فى الكلام .

وكثيراً ما سمعتُ إذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتبُ صديقه على أمر من الأمور ، فيقول له : أنت على ضلالك القديم كما أعهدك ، فيأتى بعلى فى موضع « فى » وإن كان هذا جائزاً ، إلا أن استعمال « فى » ههنا أولى ، لما أشرنا إليه .

ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة يوسف : (قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ
الْقَدِيمِ ^(١)) .

ومن هذا النوع قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَابْنِ السَّبِيلِ ^(٢)) .

فإنه إنما عدل عن اللام إلى [في] في الثلاثة الأخيرة للإيدان بأنهم
أرسخ في استحقاق الصدق عليهم من سبق ذكره باللام ، لأن [في] للوعاء
فنبه على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات ، كما يوضع الشيء في الوعاء ،
وأن يجعلوا مظنة لها ، وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخلص ، وتكرير
[في] قوله [وفي سبيل الله] دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين ،
وسياق الكلام أن يقال : وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ،
فلما جرى في مرة ثانية ، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله ، علم أن
سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه .

وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف ، فاعرفها ،
وقس عليها .

(١) سورة يوسف : الآية ٩٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٠

النوع الحادى عشر

فى الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية

والفرق بينهما

ولم اذكر هذا الموضوع لأن يجرى الأمرُ فيه على ما يجرى مجراه فقط ، بل لأن يقاسَ عليه مواضع أخرى مما تماثله وتُشابهه ، ولو كان شَبهاً بعيداً .

وإنما يُعدّلُ عن أحدِ الخطّابين إلى الآخر لضربٍ من التأكيد والمبالغة . فمن ذلك قولنا : قام زيدٌ ، وإنَّ زیداً قائمٌ ، فقولنا : [قام زيد] معناه الإخبار عن زيد بالقيام ، وقولنا : [إنَّ زیداً قائمٌ] معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضاً ، إلا أن فى الثانى زيادةٌ ليست فى الأول ، وهى توكيدهُ بأنَّ المُشَدَّدة التى من شأنها الإثبات لما يأتى بعدها ، وإذا زيدَ فى خبرها اللامُ ، فقليل : إنَّ زیداً قائمٌ ، كان ذلك أكثر توكيداً فى الإخبار بقيامه ، وهذا مثالٌ ينبئ على أمثلة كثيرةٍ من غير هذا النوع .

فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِذَا قَرَأَ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ)^(١) فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا خَاطَبُوا الْمُؤْمِنِينَ بِالْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ ، وَشَيَاطِينُهُمْ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الْمُحَقَّقة بِإِنَّ الْمُشَدَّدة ، لِأَنَّهُمْ فِي مَخَاطَبَةِ إِخْوَانِهِمْ بِمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنْ أَنفُسِهِمْ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَىٰ اعْتِقَادِ الْكُفْرِ ، وَالْبَعْدِ مِنْ أَنْ يَزُولُوا عَنْهُ عَلَىٰ صَدَقِ وَرَغْبَةِ وَوُفُورِ نَشَاطِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مُتَقَبَّلاً مِنْهُمْ ، وَرَأْتِجًا عِنْدَ إِخْوَانِهِمْ .

وأما الذى خاطبوا به المؤمنینَ فإنما قالوه تكلفاً وإظهاراً للإيمان

(١) سورة البقرة : الآية ١٤

(١) سورة البقرة : الآية ١٤

خوفاً ومداجاةً ، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظٍ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطنياً ، ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعثٌ قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين : [آمنا] وفي خطاب إخوانهم : [إننا معكم] .

وهذه نُكَّتْ تخفى على من ليس له قَدَمٌ راسخةٌ في علم الفصاحة والبلاغة .

وما يجرى هذا الجرى وُرُودُ لَامِ التوكيد في الكلام ، ولا يجيء ذلك إلا لضربٍ من المبالغة .

وفائدته أنه إذا عبر عن أمرٍ يعزُّ وجوده ، أو فعلٍ يكثر وقوعه ، جىء باللام ، تحقيقاً لذلك .

فمما جاء منه قوله تعالى في أول سورة المنافقين : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ^(١)) .

فانظر إلى هذه اللامات الثلاثة الواردة في خبر إن ، والأولى وردت في قول المنافقين ، وإنما وردت مؤكدة لأنهم أظهرُوا من أنفسهم التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتملقوا له ، وبالغوا في التماق ، وفي باطنهم خلافه ، وأما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيحٌ لا ريب فيه ، واللام في الثانية لتصديق رسالته ، وفي الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذين هم على خلافه .

(١) سورة المنافقون : الآية ١

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١) .

فإنه إنما جىء باللام ههنا لزيادة التوكيد في إظهار الحبة ليوسف عليه السلام والإشفاق عليه ، ليلغوا الغرض من أيهم في السحابة بإرساله معهم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) (٢) . ثم قال : أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (٣) .

ألا ترى كيف أدخلت اللام في آية الطعام ، دون آية المشروب ؟ وإنما جاءت كذلك لأن جعل الماء العذب ملحا أمهل إمكانا في العرف والعادة ، والموجود من الملح أكثر من الماء العذب ، وكثيرا ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة الثربة أحوالها إلى الملوحة . فلم يحتاج في جعل الماء العذب ملحا إلى زيادة تأكيد ، فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق ، وأما الطعام فإن جعله حطاما من الأشياء الخارجة عن المعتاد ، وإذا وقع فلا يكون إلا عن سخط من الله شديد ، فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره ، وتقرير إيجاده .

ومما يتصل بذلك قوله تعالى : (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ

(١) سورة يوسف : الآيتان ١١ و١٢

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٦٣ و٦٤ و٦٥

(٣) سورة الواقعة : الآيات ٦٨ و٦٩ و٧٠

الأوارثون) ^(١) فاللام في « لَنَحْنُ » هي اللامُ المُشارُ إليها .

وكذلك وردَ قوله تعالى : (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) ^(٢) فإن هذه اللام في قوله
(لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ) و (لَيُمَكِّنَنَّ) و (لَيُبَدِّلَنَّهُمْ) إنما جاءت لتحقيق الأمر ،
وإثباته في نفوس المؤمنين ، وأنه كائن لا محالة .

ومما يجرى هذا الجرى في التوكيد لام الابتداء المحققة لما يأتي بعدها ،
كقوله تعالى : (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا) ^(٣) فاللام
في [لِيُوسُفُ] لامُ الابتداء ، وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها
أى أن زيادة حبه إياها أمر ثابت لا مرأ فيه .

ومن هذا النوع قولُ بعضهم :

وَالشَّيْبُ إِن يَظْهَرُ فَإِنَّ وِرَاءَهُ عُمَرَاً يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي الْمَشِيبُ قِلَامَةً وَلَمَّا بَقِيَ مِنِّي أَلْبٌ وَأُكَيْسُ

فمؤله : [ولما بقي مني] تقديره : وما بقي مني ، وإنما أدخل على [ما]
هذه اللام قصداً لنا كيد المعنى لأنه موضع يحتاج إلى التأكيد ، ألا ترى أن
قوة العمر في الشباب ؟ ولما أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب — وليس مما
يوصف ، وإنما يذم — أتى باللام لتؤكد ما قصده من الصفة .

(١) سورة الحجر : الآية ٢٣

(٢) سورة النور : الآية ٥٥

(٣) سورة يوسف : الآية ٨

وكذلك ورد قول الشاعر^(١) من أبيات الحماسة :

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلُ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَضْيَدِ^(٢)
وَمَتَى نَجِدُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحُ وَإِنْ نَرَّ صَالِحًا لَانْفُسِدِ^(٣)

وهذا كثيرٌ سائغٌ في الكلام ، إلا أنه لا يتأتى لمكان العناية بما يعبر

به عنه .

ألا ترى إلى قول الشاعر : [إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا] فإنه لما كان الصَّفْحُ مما يشقُّ على النفس فعله ، لأنه مقابلةُ الشرِّ بالخير ، والإساءة بالإحسان ، أكدَه باللام ، وتحقيقاً له .

فإن عرى الموضع الذي يؤتى فيه بهذه اللام من هذه الفائدة المشار إليها وما يجرى مجراها فإن ورود اللام فيه لغير سبب اقتضاه .

وأكثرُ ما تستعملُ هذه اللام في جوابِ القسم ، لتحقيقِ الأمرِ المقسمِ عليه ، وذلك في الإيجابِ دونَ النفي ، لأنها لا تستعملُ في النفي .

ألا ترى أنه لا يقال : واللهِ للأقمت ، وإنما يقال : واللهِ قمت ، لكن في الإيجابِ تستعمل ، ويكون استعمالها حسناً ، كقولك : والله لأقوم^(٤) فإن

(١) هو مضرس بن ربيعي ، أحد بنى أسد ، شاعر جاهلي محسن ، وانظر

البيتين وما بعدهما في حماسة أبي تمام (٢ / ٣٦)

(٢) المجاهل جمع مجهولة ، وهي ما يحمل على الجهل ، والسالفة صفة

العتق ، والأصيد الذي يرفع رأسه كبراً .

(٣) رواية ديوان الحماسة «ومتى نخف» موضع «ومتى نجد» .

(٤) التوكيد بالنون هنا واجب ، لأن الفعل مضارع مثبت وقع جواباً

للقسم ، ولا اختيار حينئذ للمتكلم ، وإن كان التأكيد يحقق الغاية التي بينها ابن الأثير ، ولكن النون شرط في الصحة أيضاً .

أُضِيفَ إِلَيْهَا التُّونَانُ الْخَفِيفَةُ وَالثَّقِيلَةُ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي التَّأْكِيدِ ، كَقَوْلِكَ .
[وَاللَّهُ لَأَقْوَمَنَّ] .

وعلى ذلك وردت الآية المتقدم ذكرها ، وهي قوله تعالى : (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَوَابًا لِقَسْمٍ ؛ فَالْتُّونُ الْوَارِدَةُ بَعْدَ اللَّامِ زِيَادَةٌ فِي التَّأْكِيدِ وَهِيَ تَأْكِيدَانِ أَحَدُهُمَا مُرَدَّفٌ بِالْآخَرِ :

وكذلك فاعلم أن التُّونَ الثَّقِيلَةَ مُتَّصِلَةٌ بِهَذَا الْبَابِ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ فِي مَوْضِعٍ فَإِنَّمَا يَقْصِدُ بِهَا التَّأْكِيدَ .

فَمَّا جَاءَ مِنْهَا قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ ^(١) فِي مَعَابَةِ الْفَتْحِ بْنِ خَافَانَ ^(٢) :

هَلْ يَجْدِبِينَ ^(٣) إِلَى عَطْفِكَ مَوْقِفٌ ثَبَتُ لَدَيْكَ أَقُولُ فِيهِ وَتَسْمَعُ

(١) ديوان البحتري ٢١/١ من قصيدة له مطلعها :

شوق إليك تفيض منه الأدمع وجوى عليك تضيق عنه الأضلع
(٢) الذي في الديوان أنه قال هذه القصيدة في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ، وفي القصيدة ما يؤكد أنها في مدح الخليفة المتوكل ، لاوزيره الفتح بن خاقان ومن ذلك قوله :

شرفا بنى العباس إن أباكم	عم النبي وعيصره المتفرع
إن الفضيلة للذي استسقى به	عمر وشفع إذ غدا يستشفع
وأرى الخلافة وهي أعظم رتبة	حقاً لكم ووراثه ما تنزع
أعطاكموها الله عن علم بكم	والله يعطى من يشاء ويمنع
من ذا يساجلكم وحوض محمد	بسقاية العباس فيكم يشفع
ملك رضاه رضا الملوك وسخطه	حتف العدا ورداهم المتوقع
متكرم متورع من كل ما	يتجنب الممتلك المتورع
يا أيها الملك الذي سقت الورى	من راحتيه غمامة ما تقلع

(٣) في الأصل « تحملان » وهو تصحيف ، والتصويب عن الديوان .

ما زال لي من حُسن رأيك موئلاً
 فعلام أنكرت الصديق وأقبلت
 آوى إليّ من الخطوب ومفرّع
 نحوى ركاب^(١) الكاشحين تطلّع
 وأقام يطعم في تهضم جانبي
 من لم يكن من قبل فيه يطعم
 إلا يكن ذنبٌ فعدلك واسع
 أو كان لي ذنبٌ فعفوك أوسع

وهذه أبيات حسنة [مليحة] في بابها، يمحي بها حرّ الصدود، ويستمال
 بها صعر الخدود، وإنما ذكرتها بجملتها لكان حُسنها .

والبيت الأول هو المراد ألا ترى أنه قال : [هل يجابن إلى عطفك
 موقف] فالتون جاءت قصداً للتأكيد، وهو في هذا المقام مُتمنٍّ، فأحب أن
 يؤكد هذه الأمنية .

وكل ما يمحي من هذا الباب فإنه واقعٌ هذا الموقع، وإذا استعمل عبثاً
 لغير فائدة تقتضيه فإنه لا يكون استعماله إلا من جاهل بالأسرار المعنوية .

وأما ما يمثل به النجاة من قول القائل : والله لأقومنّ، فإنه مثالٌ نحوى
 يضرب للجواز، وإلا فإذا قال القائل : والله لأقومنّ، وأكده، كان ذلك
 لغواً، لأنه ليس في قيامه من الأمر العزيز، ولا من الأمر العسير، ما يحتاج
 معه إلى التأكيد، بل لو قال : والله لأقومنّ إليك، مهدداً له، لكان ذلك
 واقعاً في موقعه .

فافهم هذا، وقس عليه .

(١) في الأصل « جناب » موضع « ركاب » والتصويب عن الديوان .

النوع الثاني عشر

في قوة اللفظ. نقوة المعنى

هذا النوع قد ذكره أبو التتح بن جني في كتاب [الخصائص] إلا أنه لم يورده كما أوردته أنا، ولا نبته على ما نبهت عليه من النكته التي تضمنته وهذا يظهر بالوقوف على كلامي وكلامه .

فأقول: اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا النزاع فيه لبيانه .

وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة .

فن ذلك قولهم: حَسُنَ ، وأخْشَوْشَنَ ، فعنى [حَسُنَ] دون معنى [أخْشَوْشَنَ] لما فيه من تكرير العين، وزيادة الواو، نحو فَعَلَ ، وأفَعَوَعَلَ . وكذلك قولهم: أعْشَبَ المكانُ ، فإذا رأوا كثرة العُشْبِ قالوا: [أعْشَوْشَبَ] .

ومما ينتظم بهذا السلك: قَدَرَ ، واقتَدَرَ ، فعنى [اقتدر] أقوى من معنى [قدر] قال الله تعالى: (فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا)^(١) فمقتدر هاهنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على التنخيم للأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذلك أن [مقتدر] اسم فاعل من [اقتدر] و [قادر] اسم فاعل من [قدر] ولا شك أن [افتعل] [أبلغ] من [فعل] .

(١) سورة القمر: الآية ٤٢ .

وعلى هذا ورد قولُ أبي نُواسٍ (١) :

فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوًا مُقْتَدِرًا حَلَّتْ لَهُ نَقِمٌ فَأَلْفَاها

أى عفوتَ عنى عفوًا قادرٍ متمكِّن القدرة لا يردُّه شىءٌ عن إمضاء قدرته .
وأمثالُ هذا كثيرة .

وكذلك ورد قوله تعالى فى سُورة نُوحٍ عليه السَّلام : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (٢) فَإِنَّ [غَفَّارًا] أبلغُ فى المغفرة من [غَافِرًا] ، لأنَّ [فَعَّالًا] يدلُّ على كثرة صدُور الفعل ، و [فاعِلًا] لا يدلُّ على الكثرة .

وعليه وردَ قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٣)
فالتَّوَّابُ هو الذى تتكرَّر منه التوبة مرَّةً على مرَّة ، وهو [فَعَّال] ، وذلك أبلغُ من التائب الذى هو [فاعِل] ، فالتائبُ اسمُ فاعلٍ من تَابَ يَتُوبُ ، فهو تائبٌ ، أى صدرتُ منه التوبةُ مرَّةً واحدةً ، فإذا قيل [تَوَّابٌ] كان صدُور التوبة منه مرارًا كثيرة .

وهذا وما يجرى مجراه إنَّما يعتمدُ إليه لضربٍ من التوكيد ، ولا يوجدُ ذلك إلا فيما فيه معنى الفعليَّة ، كاسمِ الفاعلِ ، والمفعولِ ، وكالفعلِ نفسه ، نحو قوله

(١) ديوان أبي نواس ١٠٩ من أبيات أربعة كتب بها إلى الفضل بن الربيع بعد إطلاقه من السجن ، والأبيات الثلاثة التى قبل هذا البيت :

ما من يد فى الناس واحدة كيد أبو العباس أولاهما
نام التقاة على مضاجعهم وسرى إلى نفسى وأحياها
قد كنت خفتك ثم أمنى من أن أخافك خوفك الله

(٢) سورة نوح : الآية ١٠

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٢

نعالى : (فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ)^(١) فَإِنَّ مَعْنَى [كُتِبِكُوا] من الكَبِّ ، وهو القلب ، إلا أنه مكرّر المعنى ، وإنما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب ؛ لأنه مرضع يقتضى ذلك .

ولربما نظرَ بعض الجهال في هذا ، فحَسَّ عليه زيادة التصغير ، وقال : إنها زيادة ؛ ولكنها زيادةٌ نقص ، لأنه يُزَادُ في اللفظ حرفٌ ، كقولهم في الثلاثي في رَجَلٍ : « رُجَيْلٌ » ، وفي الرباعي في قنديل : [قَنَيْدِيلٌ] فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظتين .

وهذا ليس من الباب الذي نحنُ بصدد ذكره ، لأنه عارٍ عن معنى الفعلية ، والزيادة في الألفاظ لا توجبُ زيادةً في المعاني إلا إذا تضمنت معنى الفعلية ، لأن الأسماء التي لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحالَ معناها .

ألا ترى أننا لو قلنا لفظة [عذب] — وهي ثلاثيةٌ — إلى الرباعي ، قلنا [عَذِيبٌ] على وزن [جَعْفَرٌ] لاستحالَ معناها ، ولم يكن لها معنى .

وكذلك لو قلنا لفظة [عَسَجِدٌ] وهي رباعيةٌ إلى الخماسية ، قلنا : [عَسَجِدِدٌ] على وزن [جَعْمَرُشٌ] لاستحالَ معناها .

وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر ، فإن [قادر] اسمٌ فاعل [قدر] وهو ثلاثي ، و [مقتدر] اسمٌ فاعل [اقتدر] وهو رباعي ، فذلك كان معنى القدرة في اقتدر أشدَّ من معنى القدرة في قدر ، وهذا لا نزاع فيه .

وهذا البابُ بجملة لا يقصدُ به إلا المبالغة في إيراد المعاني ، وقد يستعملُ

في مقام المبالغة ، فينعكسُ المعنى فيه إلى ضده ، كما جاء لأبي كرام التميمي^(١)
من شعراء الحماسة ، وهو قوله :

لِلَّهِ تَيْمٌ أَيْ رُمَحٌ طِرَادٍ لَأَقَى الْحَمَامَ وَأَيْ نَصَلَ جِلَادٍ^(٢)
وَمِحْشٌ حَرْبٍ مُتَعَرِّضٍ لِلْمَوْتِ غَيْرَ مُكَذِّبٍ حَيَّادٍ^(٣)

فلفظة [حَيَّاد] قد وردت ههنا ، وإنما أوردتها هذا الشاعر ، وقصد بها المبالغة في وصف شجاعة هذا الرجل ؛ فانعكسَ عليه المقصد الذي قصدَه ، لأن [حَيَّاداً] من [حَيَّدَ] فهو [حَيَّاد] أي وجد منه الحيدودة مراراً ، كما يُقال : [قَتَلَ] فهو [قَتَّلَ] أي وجد منه القتل مراراً ، وإذا كان هذا الرجل غير حَيَّاد كان حائداً ، أي وجدت منه الحيدودة مرةً واحدةً ، وإذا وجدت منه مرةً كان ذلك جُبْنًا ، ولم يكن شجاعاً ، والأولى أن كان قال : غير مكذِّب حائد .

(١) اسمه زاهر -- كما في شرح التبريزي ٢٨٠/١ - وكان بارز رجلاً يقال له « تيم » وكان أحد الفرسان ، فقتله زاهر ، وأخذ يفخم أمره ، لأن ثنائه عليه وإكباره له راجع إليه ، إذ صار قتيله .

(٢) رواية الحماسة للشطر الثاني

* لَأَقَى الْحَمَامَ بِهِ وَنَصَلَ جِلَادَ *

واللام في « لله تيم » للتخصيص والتعجب ، مثل قولهم « لله درة » وقوله « أي رمح طرد » تعجب أيضاً .

(٣) في الأصل جِيَادَ موضع « حَيَّاد » والتصويب عن الحماسة ، وقوله محش حرب معطوف على رمح ، جعله آلة للحش ، وهو إيقاد النار ، وفي الحماسة غير معرود موضع « غير مكذِّب » والتعريف ترك المقصد وسرعة الانهزام ، والحَيَّاد المائل

وينبغي أن يُعلّم أنه إذا وردت لفظة من الألفاظ ويجوز حملها على التضعيف الذي هو طريق المبالغة ، وحملها على غيره ، أن يُنظر فيها ، فإن اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه .

فن ذلك قولُ البحترى في قصيدته التي مطلعها :

* مَنِ النَّفْسِ فِي أَسْمَاءٍ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا (١) *

وهي قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل — رحمه الله — وذكر فيها حديث الصّلىح بين بنى تغلب ، فمّا جاء فيها قوله :

رَفَعَتْ بِضَبْعِي تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ وَقَدْ بَلَّسَتْ أَنْ يُسْتَقِلَّ صَرِيْعَهَا
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا وَمَوْلَاكَ فَتَحُ يَوْمَ ذَلِكَ شَفِيْعَهَا
تَأَلَّفْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ بِهِمْ حَفَائِظَ أَخْلَاقٍ بَطِيءٍ رُجُوعَهَا
فَأَبْصَرَ غَاوِيَهَا الْحِجَّةُ فَاهْتَدَى وَأَقْصَرَ غَالِيَهَا وَدَانِي شَسُوعَهَا

فقوله [تألّفتم من بعد ما شردت بهم] يجوز أن تحذف لفظة [شردت] ويجوز أن تثقل ، والتثميل هو الوجه ، لأنه في مقام الإصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا ، وتباينت قلوبهم وآراؤهم .

وكل ما يجيء من الألفاظ على هذا النحو فينبغي أن يجزى هذا الجرى . وهاهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها ، وذلك أن قوّة اللفظ لقوة المعنى لا نستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها ، كتنقل الثلاثي إلى الرباعي ؛

(١) عجز هذا المطلع هو :

* بها وجدها من غادة وولوعها *

وهي أولى قصائد الديوان ٢/١ وقد قالها البحترى في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ويذكر صالح بنى تغلب .

وإلاّ فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعة لمعنى فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثى إلى مثل تلك الصيغة .

ألا ترى أنه إذا قيل فى الثلاثى [قَتَلَ] ثم نقل إلى الرباعى فقيل [قَتَلَ] بالشديد فإنّ الفائدة من هذا النقل هى التكثير ، أى أن القتل وُجد منه كثيراً ، وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)^(١) فَإِنَّ [كَلَّمَ] على وزن [قَتَلَ] ولم يُرَدّ به التكثير ، بل أريد به أنه خاطبه ، سواء كان خطابه إياه طويلاً أو قصيراً ، قليلاً أو كثيراً ، وهذه اللفظة رباعية ، وليس لها ثلاثى . فقلتُ عنه إلى الرباعى ، لكن قد وردت بعينها ، ولها ثلاثى ورباعى ، فكان الرباعى أكثر وأقوى فيما دلّ عليه من المعنى ، وذلك أن تكون [كَلَّمَ] من الجرح : أى جَرَحَ ، ولها ثلاثى وهو [كَلَّمَ] مخففاً ، أى جَرَحَ ، فإذا وردت مخففة دلّت على الجراحة مرة واحدة ، وإذا وردت منقّلة دلّت على التكثير .

وكذلك وردَ قوله تعالى : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)^(٢) فَإِنَّ لَفْظَةَ [رَتَّلَ] على وزن لفظة [قَتَلَ] ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة ، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأتى والتدبير ، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثى لها ، حتى تنقل عنه إلى الرباعى ، وإنما هى رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة .

وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة فى اللفظ والمعنى إلاّ بالنقل من وزنٍ إلى وزنٍ أعلى منه ، فأعرف ذلك .

(١) سورة النساء : الآية ١٦٤ .

(٢) سورة المزمل : الآية ٤ .

ومن هاهنا شدَّ الصواب عمَّن شدَّ عنه في [عالم] و [عليم] فإن جمهورَ علماء العربية يذهبون إلى أن [علما] أبلغُ في معنى العلم من [عالم] وقد تأملتُ ذلك ، وأنعمتُ نظري فيه ، فحصل عندى شكُّ في الذى ذهبوا إليه ، والذى أوجبَ ذلك الشكُّ هو أن عالماً وعلماً على عدّةٍ واحدةٍ ، إذ كلُّ منهما أربعةَ أحرفٍ ، وليسَ بينهما زيادةٌ ينقلُ فيها الأذنى إلى الأعلى .

والذى بوجبه النظر أن يكون الأمرُ على عكسِ ما ذكرُوه ، وذلك أن يكور [عالم] أبلغ من [عليم] ، وسببه أن عالماً اسمُ فاعِلٍ من [عَلِمَ] وهو مُتَعَدِّ ، وأن علماً اسمُ فاعِلٍ من [عَلِمَ] إلا أنه أشبهَ وزنَ الفعلِ القاصرِ ، نحو شرفٌ فهو شريفٌ ، وكرمٌ فهو كريمٌ ، وعظمٌ فهو عظيمٌ ، فهذا الوزنُ لا يكونُ إلا في الفعلِ القاصرِ ، فلما أشبهه [عليم] انحطَّ عن رتبةِ [عالم] الذى هو متعدِّ ، ألا ترى أن [فَعِلَ] — بفتح الفاء وكسر العين — يكون متعدِّياً نحو عَمَّ وحمَّدَ ، ويكونُ قاصراً غير متعدِّ ، نحو غضِبَ وشبِعَ ، وأما [فَعُلَ] — بفتح الفاء وضمَّ العين — فإنه لا يكونُ إلا قاصراً غير متعدِّ ، ولما كان [فَعِلَ] — بفتح الفاء وكسر العين — متردداً بين المتعدِّى والقاصرِ ، وكان [فَعُلَ] [بفتح الفاء وضمَّ العين] — قاصراً غير متعدِّ صار القاصرُ أضعفَ مما يدور بين المتعدِّى والقاصرِ ، وحيثُ كان الأمرُ كذلكُ وأشبهه وزنُ المتعدِّى وزنَ القاصرِ حطَّ ذلك من درجته ، وجعله في الرتبةِ دونَ المتعدِّى الذى ليسَ بقاصرٍ .

هذا هو الذى أوجبَ لى التشكيكُ فيما ذهبَ إليه غيرى من علماء العربية ولربما كان مذهبواً لى لأنه لأمر حَنِى عَنِى ، ولم أطاعَ عليه .

النوع الثالث عشر

في عكس الظاهر

وهو نفي الشيء بإثباته ، وهو من مُسْتَطَرَفَاتِ علم البيان ، وذاك أنك تذكر كلامًا يدلُّ ظاهره أنه نفيٌ لصفةٍ موصوفٍ وهو نفيٌ للموصوف أصلاً .

فما جاء منه قولُ عليِّ بن أبي طالبٍ — رضى الله عنه — في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُدْنِي فَلْتَمَانُهُ » أي : لَا تُدَاعُ سَقَطَاتُهُ .

فظاهرُ هذا اللفظ أنه كان ثمَّ فلتاتٌ ، غير أنها لا تُدَاع ، وليس المراد ذلك ، بل أراد أنه لم يكن ثمَّ فلتاتٌ فُتُنِي .

وهذا من أغرب ما توسَّعت فيه اللغة العربية ، وقد ورد في الشعر كقول بعضهم (١) :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ * (٢)

فإن ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضبٌّ ، ولكنه غير منجحر ، وليس كذلك ، بل المعنى أنه لم يكن هناك ضبٌّ أصلاً .

وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال . وسبب ذلك أن الفهم يكاد يأباه ، ولا يقبله إلا بقربنة خارجية عن دلالة لفظه على معناه ، وما كان عارياً عن قربنة فإنه لا يفهم منه ما أراد قائله :

وسأوضح ذلك فأقول : أمّا قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) وهو عمرو بن أحرر الباهلي من أبيات يصف فيها فلاة .

(٢) صدر هذا البيت قوله :

* لَا تَفْرَعُ الْأَرْبُ أَهْوَالَهَا *

[لا تَدْنَى فَلَئَانَهُ] فَإِنَّ مَفْهُومَ هَذَا اللفظ أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ فَلَئَاتٍ ، إِلا أَنَّهُا تَطَوَّى وَلَا تَنْشَرُ ، وَتَكْتُمُ وَلَا تَدَاعُ ، وَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَلَئَاتٍ إِلاَّ بِقَرِينَةٍ خَارِجَةٍ عَنِ اللفظِ ، وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَتْ فِي النُّفُوسِ ، وَتَقَرَّرَ عِنْدَ الْعُقُولِ أَنَّ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْرَةٌ^(١) عَنِ فَلَئَاتٍ تَكُونُ بِهِ وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْقَرُ ، فَلَمَّا قِيلَ : إِنَّهُ [لا تَدْنَى فَلَئَانَهُ] فَهَمْنَا مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَلَئَاتٌ أَصْلاً ، وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَجِرُ *

فإنه لا قرينة تخصّصه ، حتى يفهم منه ما فهم من الأوّل ، بل المفهوم أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ ضَبٌّ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مَنْجَجِرٍ .

ولقد مكثتُ زماناً أطوف على أقوال الشعراء ، قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا الجرى ، فلم أجِدْ إِلا بيتاً ، لامرئ القيس^(١) ، وهو :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ الدِّيَابِيُّ جَرَجَرًا^(٢)

(١) شعراء النصرانية ٤٧/١ من قصيدة قالها يصف توجهه إلى قيصر مستنجداً على بني أسد ، ومطلعها :

أرى أم عمرو دمعتها قد تحدرت بكاء على عمرو وما كان أصبراً

(٢) اللاحب الطريق ، سافه شمه ، وفي الأصل ساقه بالقاف ، وهو تصحيف والعود الجمل المسن وفيه بقية ، والدياب في نسبة إلى دياب وهي قرية بالشام تنسب إليها النجائب ، جر جر ردد صوته ، وفي الأصل « العود النياطي » ، وفي شعراء النصرانية « العود النباطي » . وروى ابن قتيبة البيت هكذا :

على ظهر عادي تحاربه القطا إذا سافه العود الديابي جرجرا

وانظر الشعر والشعراء ٦٧/١ - وفي اللسان ٦٦/١١ روى صدر البيت هكذا :

* على لاحب لا يهتدى بمناره *

فقوله [لا يهتدى لمناره] أى أن له مناراً إلا أنه لا يهتدى به ، وليس المراد ذلك ، بل المراد أنه لا منار له يهتدى به .

ولى أنا فى هذا بيت من الشعر ، وهو :

أَدْنَيْنَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَنْ يَرَى لَدِيُوْهِنَ عَلَى الطَّرِيقِ غَبَارُ

وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هوناً لحيائهن ، فلا يظهر لديوهن غبار على الطريق ، وليس المراد ذلك ، بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلاً ، أى أنهن محبتات ، لا يخرجن من بيوتهن ، فلا يكون إذاً لديوهن على الطريق غبار ، وهذا حسن رائق ، وهو أظهر بياناً من قوله :

* ولا ترى الضب بها ينججر *

فن استعمل هذا النوع من الكلام فليستعمله هكذا ، وإلا فليدع ، على أن الإكثار من استعماله عسير ، لأنه لا يظهر المعنى فيه .

النوع الرابع عشر

فى الاستدراج

وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى ، وهو مخادعات الأقوال التى تقوم مقام مخادعات الأفعال ، والكلام فيه وإن تضمن بلاغة ، فليس الغرض هاهنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنته من النسكت الدقيقة فى استدراج الخضم إلى الإذعان والتسليم . وإذا حُقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه ، لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ، ولا المعانى اللطيفة الدقيقة ، دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها :

والكلامُ في مثل هذا ينبغي أن يكونَ قصيراً في خِلايه ، ولا قصيراً في خِطابه .

فإذا لم يتصرّف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده ، وإلا فليس^(١) بكاتبٍ ولا شبيه له إلا صاحبُ الجدل ، فكما أن ذلك يتصرّف في المغالطات القياسية ، فكذلك هذا يتصرّف في المغالطات الخطائية .

وقد ذكرتُ في هذا النوع ما يُتعلّم منه سلوكُ هذه الطريق .

فن ذلك قوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)^(٢) .

ألا ترى ما أحسنَ مأخذَ هذا الكلام والطفه ، فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التّقسيم ، فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكونَ كاذبًا ، فكذبه يعودُ عليه ولا يتعداه ، أو يكونُ صادقًا ، فيصيبكم^(٣) بعضُ الذي يعدُّكم إن تعرّضتم له :

وفي هذا الكلام من حُسن الأدب والإنصاف ما أذكره لك . فأقول : إنما قال : [يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ] وقد علم أنه نبيٌّ صادقٌ ، وأن كل ما يعدّهم به لا بدّ وأن يصيبهم ، لا بعضه ، لأنه احتاج في مُقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريقَ الإنصاف والملاطفة في القول ، ويأتيهم من جهة المناصحة ، ليكون أدعى إلى سُكونهم إليه ، فجاء بما علم أنه أقرب

(١) سياق المعنى يقتضى حذف كلمة « وإلا » .

(٢) سورة المؤمن : الآية ٢٨ .

(٣) في الأصل « يصيبكم » .

إلى تسليمهم لقوله ، وأدخل في تصديقهم إياه ، فقال : [وإن يك صادقاُ
يُصِبْكُمْ بعض الذي يعدكم] وهو كلامُ المنصف في مقابلة غير المشتط ، وذلك
أنه حين فرّضه صادقاُ فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعدُّ به ، لكنه أردف
بقوله : [يصببكم بعض الذي يعدكم] ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيًا ، فضلا عن أن يتعصب له ،
وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل ، كأنه برّظلمهم^(١) في صدر الكلام
بما يزعمونه ، لئلا ينفروا منه .

وكذلك قوله في آخر الآية : [إن الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذابٌ]
أى هو على الهدى ، ولو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله للنبوة ، ولا
عصده بالبينات .

وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه مالا خفاء به ، وقد تضمن
من اللطائف الدقيقة ما إذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف .

ومما يجزى على هذا الأسلوب قوله تعالى : (واذكُرْ في الكتابِ
إبراهيمَ إنه كان صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ
يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)^(٢) .

هذا كلامٌ يهزُّ أعطاف السامعين ، وفيه من الفوائد ما أذكُرُه ، وهو أنه

(١) يقال برطل فلان فلانا رشاه ، فبرطل فارتشى .

(٢) سورة مريم : الآيات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥

لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه ويُنقذه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل ، رتب الكلام معه في أحسن نظام ، مع استعمال المجاملة واللفظ ، والأدب الحميد ، واخلاق الحسن ، مُستنصِحاً في ذلك بنصيحة ربه ، وذلك أنه طاب منه أولاً العلة في خطيئته طلب مُنبهٍ على تمارده ، مُوقظٍ من غفلته ، لأنّ المعبود لو كان حياً مميّزاً سميعاً بصيراً مقتدرًا على الثواب والعقاب ، إلا أنه بعضُ الخلق يستخفُّ عقلَ من أهله للعبادة ، ووصفه باربوبيّة ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبیین ، فكيف بمن جعل المعبود جماداً لا يسمع ولا يبصر ، يُعنى به الصنم ،

ثم نثي ذلك بدعوته إلى الحق ، مترفقاً به ، فلم يسم أباه بالجهل المطاق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال : إنَّ معي لطائفة من العلم وشيئاً منه ، وذلك علمُ الدلالة على سُلوك الطريق ، فلا تستكف ، وهب أني وإياك في مسيرٍ وعندى معرفةٌ بهداية الطريق دونك ، فاتبعني أُحجك من أن يضلَّ .

ثم ثلث ذلك بتثبيطه عمّا كان عليه ونهيه ، فقال : إنَّ الشيطان الذي استعصى على ربك ، وهو عدوك وعدوُّ أبك آدم ، هو الذي ورطك في هذه الورطة ، وألقك في هذه الضلالة ، وإِنَّمَا أُلغى إبراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في نصيحة أبيه لأنه لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنابتي الشيطان إلا التي تختصُّ بالله ، وهي عصيانه واستكباره ، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته آدم وذريته .

ثم رُبّع ذلك بتخويفه إياه سوء العاقبة ، فلم يصرّح بأنّ العقاب لاحقٌ به ولكنه قال : « إنِّي أخافُ أن يمسَّكَ عذابٌ » ، فنكر العذاب ملاطفةً لأبيه ، وصدّر كل نصيحةٍ من هذه النصائح بقوله [يا أبتِ] توشلاً إليه ، واستعطافاً .

وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه ، فإنه قال : (أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ)^(١) . فأقبل عليه بفظاظَةِ الكُفْرِ ، وَغِلَظِ العناد ، فناده باسمه ، ولم يقابل قوله « يَا أَبَتِ » بقوله « يَا بَنِيَّ » ، وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله « أَرَاغِبُ أَنْتَ ، لأنه كان أمّ عنده » وفيه ضربٌ من التّعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن أهله .

وفي القرآن الكريم مواضعٌ كثيرةٌ من هذا الجنس لا سيّما في مخاطبات الأنبياء — صلواتُ الله عليهم — للكفار ، والرّد عليهم ، وفي هذين المثلين المذكورين هاهنا كفايةٌ ومقنعٌ .

وبلغنى حديثٌ تفأوّض فيه الحسين بن عليّ — رضى الله عنهما — ومعاوية بن أبي سفيان في أمرٍ ولده يزيد ، وذلك أن معاوية قال للحسين : « أمّا أمك فاطمةُ فإنها خيرٌ من أمّ ، وبتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من امرأةٍ من كُلبٍ ، وأمّا حُبِّي يزيدَ فإني لو أعطيتُ به مثلك مِلاءَ الغُوطَةِ^(٢) لما رضيتُ ، وأمّا أبوك وأبوه فإنهما تحاكما إلى الله ، فحكم لأبيه على أبيك » .

وهذا كلامٌ من معاوية كَلَمًا أمرُرتُه بِفِكْرِي عَجِبْتُ من سَدَادِهِ ، فضلاً عن بلاغته وفصاحته . فإنّ معاوية عليمٌ ما لعلّ — رضى الله عنه — من السّبِق

(١) سورة مريم الآية ٤٦

(٢) الغوطة — بالضم ثم السكون وطاء مهملة — هي الكورة التي منها دمشق . استدارتها ثمانية عشر ميلاً ، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ولا سيما من شمالها ، فإن جبالها عالية جداً ، وتمتد فيها أنها تسقى بساقيها ، وهي أنزه بلاد الدنيا وأحسنها منظراً ، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١٠٠٦) .

إلى الإسلام والأثر فيه ، وما عنده من فضيلة العلم ، فلم يعرض في المناقشة إلى شيء من ذلك ولم يقل أيضاً : إن الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم ، لأن هذا لا فضل فيه ، إذ الدنيا ينالها البرّ والفاجر ، وإنما صانع عن ذلك كلفه بقوله : (إن أباك وأباه تحاكما إلى الله ، فحكّم لأبيه على أبيك) وهذا قول إيهامي يؤهم شبهة من الحق .

وإذا شاء من شاء أن يُناظر خصمه ، ويستدرجه إلى الصمت عن الجواب فليقل هكذا .

الباب الخامس عشر

في الإيجاز

وهو حذف زيادات الألفاظ ، وهذا نوع من الكلام شريف ، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة ، من سبق إلى غايتها وما صلى ، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلي ، وذلك لعلو مكانه ، وتعذر امكانه .

والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ ، ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ ، بحيث تعري عن أوصافها الحسنة ، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني ، فرُب لفظ قليل يدل على معنى كثير ، ورُب لفظ كثير يدل على معنى قليل .

ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة ، فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفستها ، ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة (أم الكتاب) وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيراً ، وليست من الكثرة

الى غاية تكونُ بها أمّ « البقرة » و « آل عمران » وغيرهما من السور الطوال
فعلينا حينئذٍ أن ذلك لأمرٍ يرجعُ الى معانيها .

معاني القرآن :

والكلامُ في هذا الموضوع يخرج بنا الى غير ما نحن بصدده ، لأنه يحتاجُ فيه
إلى ذكرِ المرادِ بالقرآنِ الكريم ، وما يشتملُ عليه سُورُهُ وآياته إلى حصر
أقسام معانيه ، لكننا نشيرُ في ذلك إشارةً خفيفةً ، فنقول :

المرادُ بالقرآن هو دعوةُ العبادِ إلى الله تعالى ، ولذلك انحصرت سُورُهُ
وآياته في ستة أقسامٍ : ثلاثة منها هي الأصول ، والثلاثة هي الفروع .

أما الأصولُ :

فالأوّلُ منها : تعريفُ المدعوِّ إليه ، وهو الله تعالى ، ويشتملُ هذا
الأصلُ على ذكرِ ذاته وصفاته وأفعاله .

والأصلُ الثاني : تعريفُ الصراطِ المستقيمِ الذي تجبُ ملازمتهُ في السلوكِ
إلى الله تعالى ، ويشتملُ هذا الأصلُ على التبتُّلِ بعبادةِ الله بأفعالِ القلبِ
وأفعالِ الجوارحِ .

والأصلُ الثالثُ : تعريفُ الحالِ بعد الوُصولِ إلى الله تعالى ، أعني بعدَ
الموتِ ، ويشتملُ هذا الأصلُ على تفصيلِ أحوالِ الدارِ الآخرةِ من الجنةِ والنارِ
والصراطِ والميزانِ والحسابِ ، وأشبه ذلك .

فهذه الأصولُ الثلاثةُ .

وأما الفروعُ :

فالأوّلُ منها : تعريفُ أحوالِ المُجيبينَ للدعوةِ . ولطائفِ صنعِ الله بهم .

من النصرة والإدالة ، وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمخاديين لها ،
وكيفية صنع الله في التدمير عليهم ، والتنكيل بهم .

والفرع الثاني : ذكر مجادلة الخصوم ومحاجتهم ، وحثهم بالمجادلة والمحاجة
على طريق الحق ، وهؤلاء هم اليهود والنصارى ، ومن يجرى مجراه من أرباب
الشرائع والفلاسفة والمُجدِّمة من غير أرباب الشرائع .

والفرع الثالث : تعريف عمارة منازل الطريق ، وكيفية أخذ الزاد والأهبة
للاستعداد ، وذلك قياس الشريعة ، وتبيين الحكمة في أوامرها التي تتعلق
بأفعال أهل التكليف .

فهذه الأقسام الستة المشار إليها هي التي تدور معاني القرآن عليها
ولا تتعداها .

وها هنا تقسيم آخر يطول الخطب فيه ، ولا حاجة إلى ذكره .

وإذا نظرنا إلى سورة الفاتحة ، وتأملنا ما فيها من المعاني وجدناها مشتملة
على أربعة أقسام من الستة المذكورة ، ولذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم
« أم الكتاب » .

كما أنه قال : « إن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن » ، وإذا نظرنا في
الأقسام الستة وجدنا سورة الإخلاص بمنزلة ثلث القرآن .

وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : « آية الكرسي سيدة آي القرآن » .

ويروى أنه سأل أبي بن كعب^(١) - رضي الله عنه - فقال : أي آية

• (١) هو أبي بن كعب بن قيس ، أبو المنذر الأنصاري المدني ، سيد
القراء ، وأقرأ هذه الأمة ، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفراً على
النبي بعض القرآن للإرشاد والتعليم ، وقرأ عليه من الصحابة ابن عباس ، =

ممكن في كتاب الله أعظم؟ فقال: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (١) فضرب في صدره، وقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»، وكلُّ هذا يرجعُ إلى المعاني، لا إلى الألفاظ، فاعرف ذلك وبينه لرموزه وأسواره.

* * *

وأعلم أنَّ جماعة من مُدَّعي علم البيان ذهبوا إلى أنَّ الكلام ينقسمُ قسَمين :

فمنه ما يحسنُ فيه الإيجاز، كالأشعار والمسكيات .

ومنه ما يحسنُ فيه التَّطْوِيلُ كالمُخَطَبِ والتَّقْلِيدَاتِ، وكتبِ الفُتُوحِ التي تقرأ في ملاء من عوامِّ الناس، فإنَّ الكلام إذا طال في مثل ذلك أثرَ عندهم وأفهمهم، ولو اقتصر فيه على الإيجاز والإشارة لم يقع لأكثرهم، حتى يقال في ذكر الحرب: «التقى الجمعان، وتطاعن الفريقان، واشتد القتال، وحجى النضال...» وما جرى هذا المجرى.

والمذهبُ عندي في ذلك ما أذكره، وهو أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام، لأنَّه لو كان شرطاً لوجبَ على قياسه أن يُستعمل في الكلام الألفاظ العامية المبتذلة عندهم، ليكون ذلك أقرب إلى فهمهم، لأنَّ العلة في اختيار تطويل الكلام إذا كانت فهم العامة إياه، فكذلك تجعل تلك العلة بعينها في اختيار المبتذل من الكلام، فإنَّه لاخلاف في أن العامة إلى فهمه أقرب من فهم ما يقلُّ ابتذالهم إياه، وهذا شيءٌ لا مدفوع .

= وأبو هريرة، ومن التابعين عبد الله بن عياش، وأبو عبد الرحمن السلمى، توفي سنة ثلاث وثلاثين .

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥ .

وأما الذي يجب توحيه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الألفاظ على المعاني ، بحيث لا تزيد هذه على هذه ، مع الإيضاح والإبانة . وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه ، فإن نور الشمس إذا لم يره الأعمى لا يكون ذلك نقصاً في استنارته ، وإنما النقص في بصر الأعمى ، حيث لم يستطع النظر إليه :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَى بَأْنٍ لَا تَفْهَمُ الْبَقْرُ

وحيث انتهى بنا القول إلى هذا الموضع فلنرجع إلى ماهو غرضنا ومهمنا من الكلام على الإيجاز ، وحده ، وأقسامه ، ونوضح ذلك إيضاحاً جلياً ، والله الموفق للصواب ، فنقول :

حد الإيجاز :

هو دلالة اللفظ على المعنى ، من غير أن يزيد عليه .

والتطويل هو ضد ذلك ، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه ، كقول العجيز السلولي^(١) من أبيات الحماسة .

طُوعُ الثَنَائِيَا بِالطَّيَايَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةِ مَنْ يَبْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ^(٢)

(١) هو ابن عبد الله بن عبيدة ، يصل نسبه إلى سلول بن مرة ، شاعر مقل إسلامي من شعراء بني أمية ، جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء لإسلام وكان كريماً جواداً اتصله الملوك والأمراء .

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٦٥ ثانياً أربعة أبيات اختارها أبو تمام أولها :

أن ابن عمي لابن زيد وإنه لبلال أيدى جلة الشول بالدم
والجلة لمسة من الإبل ، والشول النوق التي يجف لبنها ، ول أيدىها
يريد أنه يعرقها إذا أراد نحرها - والمعنى أن ابن عمه يقطع بالسيف أيدى
الإبل العظيمة السمينة قبل أن ينحرها للأضياف ، ليتمكن من نحرها .

فصدرُ هذا البيتِ فيه تطويلٌ لا حاجةٌ إليه ، وعجزُهُ من محاسنِ الكلامِ المتواصِفةِ ، ومَوْضِعُ التطويلِ من صدره أنه قال « طَلوعُ الثنايا بالمطايا » فإن لفظة « المطايا » فضلةٌ لا حاجةٌ إليها .

وبيانُ ذلك أنه لا يخلوا الأمرُ فيها من وجهين :

إمّا أن يريد أنه سَابِقُ الهمةِ إلى معالي الأمور ، كما قال الحجاجُ على المنبرِ عند وُضُوئه المراق :

* أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا (١) *

أى : أَنَا الرَّجُلُ المشهورُ السَّابِقُ إلى معالي الأمور :

فإن أرادَ العَجَبُ بقوله « طَلوعُ الثنايا » ما أشرتُ إليه فذِكرُ « المطايا » يفسدُ ذلك المعنى ، لأنَّ معالي الأمور لا يُرقى إليها بالمطايا .

وإن أرادَ الوجهَ الآخر ، وهو أنه كثيرُ الأسفارِ ، فاختصاصُهُ الثنايا بالذِّكرِ دونَ الأرضِ من المفاوزِ وغيرها لا فائدةٌ فيه .

وعلى كِلَا الوجهين فإنَّ ذكرَ المطايا فضلةٌ لا حاجةٌ إليه ، وهو تطويلٌ باردٌ غثٌ .

فقسْ على هذا المثالِ ما يجرى مجراه من التَّطويلاتِ التي إذا أُسْقِطتْ من الكلامِ بقيَ على حاله لم يتغيَّرْ شيءٌ .

وكذلك يجرى الأمرُ في ألفاظٍ يُوصَلُ بها الكلامُ ، فتارةً تجيءُ لفائدةً ، وذلك قليلٌ ، وتارةً تجيءُ لغَيْرِ فائدةٍ ، وذلك كثيرٌ ، وأكثرُ ما تردُّ في الأشعارِ ، ليوزنَ بها الأبياتُ الشعريةُ ، وذلك نحو قولهم : لعمري ، ولعمرك ،

(١) هنا صدر البيت ، وعجزه .

* متى أضع العمامة تعرفوني *

ونحو: أصبح، وظلّ، وأضحى. وبتّ، وأشباه ذلك، ونحو: باصاحي،
وياخليلي، وما يجرى هذا الجرى.

فمّا جاء منه قولُ أبي تمام:

أَقْرُوا - لَعْمَرَى - مُحْكَمِ السُّيُوفِ

وكانت أحقّ بفصل القضاء^(١)

فإنّ قوله «لعمري» زيادةٌ لأحاجة للمعنى إليها، وهي حشوٌّ في الكلام،
لأفائدة فيه، إلا إصلاح الوزن لاغير.

ألا ترى أنّها من باب القسم، وإنما يردُّ القسمُ في موضعٍ يؤكدُ به المعنى
المراد، إمّا لأنه مما يشكُّ فيه، أو مما يعزُّ وجوده، أو ما جرى هذا الجرى،
وهذا البيتُ الشعريُّ لا يفتقرُ معناه إلى توكيدٍ قسميٍّ، إذ لاشكُّ في أن
السيوفَ حاكمةٌ، وأنّ كلَّ أحدٍ يقرُّ لحكمها، ويدعن لطاعتها.
وكذلك قوله أيضاً:

إذا أنا لم أَلْمُ عَثْرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ أَلَوْمُ^(٢)

فقوله «الغداة» زيادةٌ لأحاجة بالمعنى إليها، لأنه يتمُّ بدونها، لأنّ عثراتِ

(١) ديوان أبي تمام ٣٤٨ من قصيدة يرثي بها خالد بن يزيد بن مزيد
الشيباني ومطلعها:

نعاء إلى كلي حتى نعاء فتي العرب اختط ربع الفناء
ورواية الديوان «أقروا لعمري بحكم السيوف».

(٢) ديوان أبي تمام ٤٢٥ من قصيدة يشكو فيها الدهر بنيسابور،
ومطلعها:

صريع هوى تغاديه المموم بنيسابور ليس له حميم

الدهر لم تنله الغداة ولا العشي ، وإنما نالته ، ونيلها إياه لا بد وأن يقع في زمنٍ من الأزمنة كأننا ما كان ، ولا حاجة إلى تعيينه بالذکر .

وعلى هذا ورد قولُ البحتری :

ما أحسنَ الأيَّامَ إلاَّ أنها بِاصاحبيِّ إذا مضتْ لم ترْجعِ (١)

فقوله « يا صاحبي » « زيادة » لا حاجة بالمعنى إليها ، إلا أنها وردت لتصحيح

الوزن لا غير .

وهذه الألفاظ التي ترد في الأبيات الشعرية لتصحيح الوزن لا عيبَ فيها ، لأننا لو عيناها على الشعراء لتحجرونا عليهم وصيقنا ، والوزن يضطر في بعض الأحيان إلى مثل ذلك .

لكن إذا وردت في الكلام المغمور فإنها إن وردت حشواً ، ولم ترد لفائدة ، كانت عيباً .

وقد ترد في الأبيات الشعرية ويكون ورودها لفائدة ، وذلك هو الأحسن كقول البحتری :

قومٌ أهانوا الوفرَ حتى أصبحوا أولى الأنام بكلِّ عرضٍ وافٍ (٢)

فقوله « أصبحوا » بمعنى صاروا ، أي أنهم صاروا أولى الناس بالأعراض

(١) ديوان البحتری ٢/٢١٥ من قصيدة له في مدح يوسف بن محمد ،

مطامعها :

بين الشقيقة فاللوى فالأجرع دمن حبسن على الرياح الأربع
ورواية الديوان « ما أحسن الأيام لولا أنها » .

(٢) ديوان البحتری ٢/١٦٧ من قصيدة له في مدح محمد بن عبد الله

ابن طاهر مطامعها :

لا زال محتفل الغمام الباكرون يهيم على حجرات أعلى الحجر

الوافرة ، وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشواً كما وردت في بيتي أبي تمام
المقدم ذكرهما .

وسأزيدُ هذا الموضعَ بياناً بمثالٍ أُضربُه للتطويل حتى يستدلَّ به على
أمثاله وأشباهه ؛ والمثالُ الذي أُضربه هو حِكَايَةُ أُوردتْ بمحضِ مني ،
وذلكَ أَنَّهُ جلسَ إليّ في بعضِ الأيامِ جماعةٌ من الإخوان ، وأخذوا في مفاوِضَةِ
الأحاديثِ ، وانساقَ ذلكَ إلى ذِكْرِ غرائبِ الوقائعِ التي تقعُ في العالمِ ، فذكر
كلُّ من الجماعةِ شيئاً ، فقال شخصٌ منهم : إنِّي كنتُ بالجزيرةِ العُمَريَّةِ في زمنِ
الملكِ فلانٍ ، وكنتُ إذْ ذاكُ صبيّاً صغيراً ، فاجتمعتُ أنا ونفرٌ من الصَّبَّيانِ في
الحارةِ الفلانيَّةِ ، وصعدنا إلى سطحِ طَّاحُونِ لَبْنِي فلانٍ ، وأخذنا نلعبُ على
السطحِ ، فوقَّعَ صبيٌّ منَّا إلى أرضِ الطَّاحُونِ ، فوطئه بغلٌّ من بغالِ الطَّاحُونِ ،
نَحْفِنَا أن يكونَ آذاهُ ، فأسرَعْنَا النزولَ إليه ، فوجدناه قد وَطَّئه البغلُّ ، نَحْفَتَنهُ
خِتانَةً صحيحةً حسنةً لا يَسْتَطِيعُ الصانعُ الحاذقُ أن يفعلَ خيراً منها . فقال له
شخصٌ من الحاضرينِ : واللهِ إن هذا عيٌّ فاحِشٌ ، وتطويلٌ كثيرٌ . لا حاجةَ
إليه ، فإنك بصددِ أن تذكرَ أنك كنتَ صبيّاً تلعبُ مع الصَّبَّيانِ على سطحِ
الطَّاحُونِ ، فوقَّعَ صبيٌّ منكم إلى أرضِ الطَّاحُونِ ، فوطئه بغلٌّ من بغالِ الطَّاحُونِ ،
نَحْفَتَنهُ ولم يُؤذِهِ ، ولا فرَّقَ بين أن تكونَ هذه الواقعةُ في بلدٍ نعرفُهُ ، أو في
بلدٍ لا نعرفُهُ ؛ ولو كانتَ بأقصى المشرقِ أو بأقصى المغربِ لم يكن ذلكَ قدحاً
في غرابتها ، وأمَّا أن تذكرَ أنها كانتَ بالجزيرةِ العُمَريَّةِ ؛ في الحارةِ الفلانيَّةِ ؛
في طَّاحُونِ بَنِي فلانٍ ، وكانَ زمنَ الملكِ فلانٍ ، فإنَّ مثلَ هذا كله تطويلٌ
لا حاجةَ إليه ، والمعنى المقصودُ يفهمُ بدونه !!

فاعلم أيُّهَا الناظرُ في كتابي هذا أن التطويلَ هو زياداتُ الألفاظِ في الدلالةِ

على المعاني، ومهما أمكنك حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معني من المعاني فإن ذلك اللفظ هو التطويل بعينه^(١).

قسما الإيجاز :

وأما الإيجازُ فقد عرّفْتك أنه دلالةُ اللفظ على المعنى ، من غير أن يزيد عليه .

وهو ينقسمُ قسمين :

أحدهما : الإيجازُ بالحذفِ ، وهو ما يحذفُ منه المفرد والجملة ، لدلالة فحوى الكلام على المحذوفِ ، ولا يكونُ إلّا فيما زاد معناه على لفظه .

والقسمُ الآخرُ : مما لا يحذفُ منه شيءٌ ، وهو ضربان :

أحدهما : ما ساقى لفظه معناه ويسمى (التّقدير) .

والآخر . ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى (القصر) .

واعلمُ أن القسم الأوّل — الذي هو الإيجازُ بالحذفِ — يُتنبّه له من غير كبير كلفة في استخراجِه ، لمكانِ المحذوفِ منه .

(١) البلاغيون على أن الزيادة إن كانت لغير فائدة وكانت تلك الزيادة غير متعينة اختص هذا باسم (التطويل) كما في قوله : « وأنى قولاً كذباً ومينا » فإن الكذب والمين واحد ، وإن كانت تلك الزيادة متعينة لفائدة اختص هذا باسم (الحشو) كقول الشاعر :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإن لفظ «الندى» فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى ، لأن الشجاع أو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك فلم يكن لشجاعته فضل بخلاف الباذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله .

وأما القسمُ الثاني فإنَّ التَّنْبِيهَ له عَسِرٌ ، لأنَّه يَحتاجُ إلى فَضْلِ تَأَمُّلٍ ،
وطولِ فِكرَةٍ ، خِفاءٍ ما يَستدِلُّ عليه ، ولا يَستَنبِطُ ذلكَ إلاَّ مِنَ رَسَتْ قَدَمِهِ فِي
مُمارَسَةِ عِلْمِ البَيانِ ، وصارَ له خَلِيقَةٌ ومَلِكَةٌ .

ولم أَجدُ أَحَدًا عَلمَ هَذينِ القَمَينِ بِعَلامَةٍ ، ولا قَيِّدَها بِقَيِّدٍ ، وقد أَشرتُ
إِلى ذلكَ فِيمَا يَأْتِي مِن هَذا البابِ عِندَ تَفصِيلِ أُمُثلِهِما ، فليُؤَخِّدْ مِن هَناكَ .

فإنَّ قِيلَ : إنَّ هَذا التَّقسِيمَ الَّذِي قَسَمْتَهُ فِي المَحذُوفِ وغيرِ المَحذُوفِ لَيسَ
بِصَحيحٍ ، لأنَّ المَعانِي لَيسَت أَجسامًا كالأَلْفاظِ ، حَتَّى يَصحَّ التَّقْدِيرُ بَينَهُما ، ثمَّ
لو سَلِمَت جِوازُ التَّقْدِيرِ فِي المِساوَةِ لم أُسَلِّمَ جِوازَ الزِيادةِ ، فليسَ لِقائِلٍ أنْ يَقولَ :
هَذا المَعنى زائِدٌ عَلى هَذا اللفظِ ، لأنَّهُ إنَّ قالَ ذلكَ قِيلَ : فَمِنَ أَيِّنَ فُهِمَتِ تَلكَ
الزِيادةُ الخارِجَةُ عَنِ اللفظِ ، وقد عَلمَ أَنَّ الأَلْفاظَ إِنما وُضِعَت لِلدَّلالَةِ عَلى إِفهامِ
المَعانِي ؟ فإنَّ قالَ إِنها فُهِمَتِ مِن شَئٍ خارِجٍ عَنِ اللفظِ ، قِيلَ لَه : فَتَلكَ
الزِيادةُ بِإِزاءِ ذلكَ الشَئِ الخارِجِ عَنِ اللفظِ ، والباقِي مُساوٍ لِللفظِ ، وإنَّ قالَ :
إِنها فُهِمَتِ مِنَ اللفظِ ، قِيلَ : فَكِيفَ تَفْهَمُ مِنْهُ وَهِيَ زائِدَةٌ عَلَيْهِ . فإنَّ قالَ :
إِنها فُهِمَتِ مِن تَركِيبِهِ ، لأنَّ التَركِيبَ أَمْرٌ زائِدٌ عَلى اللفظِ ، قِيلَ : الأَلْفاظُ
تَدلُّ بِانفِرادِها عَلى مَعنَى ، وَبِتركِيبِها عَلى مَعنَى آخَرَ ، وَاللفظُ المَرَكَّبُ يَدلُّ
عَلى مَعنَى مَرَكَّبٍ ، وَاللفظُ المَفرَدُ يَدلُّ عَلى مَعنَى مُفَرَدٍ ، وَتَلكَ الزِيادةُ إنَّ أُريدَ
بِها زِيادةُ مَعنَى المَرَكَّبِ عَلى المَرَكَّبِ فلا يَخِلو : إِما أَن تَكونَ تَلكَ الزِيادةُ
مَفهومَةٌ مِن دَلالَةِ اللفظِ المَرَكَّبِ عَلَیْها ، أوْ مِن دَلالَةِ شَئٍ خارِجٍ ، فإنَّ كانَتِ
مَفهومَةٌ مِن دَلالَتِهِ عَلَیْها لم تَكنْ زائِدَةٌ عَلَيْهِ ، إِذْ لو كانَتِ زائِدَةٌ عَلَيْهِ لَمادَّ
عَليها ، وَإِن كانَتِ مَفهومَةٌ مِن دَلالَةِ الشَئِ الخارِجِ عَنهُ فِهي بِإِزاءِ ذلكَ الشَئِ
الخارِجِ ، والباقِي مُساوٍ لِلباقِي ! .

فالجوابُ عن ذلك أن تقول :

هذا الذي ذكره كلامٌ شبيهٌ بالسفسطة ، وهو باطلٌ من وجهين :
أحدهما : أن المعاني إذا كانت لا تزيدُ على الألفاظ فيلزمُ من ذلك أن
الألفاظ لا تزيدُ أيضاً على المعاني ، لأنهما متلازمان على قياسك ، ونحن نرى
معنى قد دلَّ عليه بالألفاظ ، فإذا أسقطَ من تلك الألفاظ شيءٌ لا ينقصُ ذلك
المعنى ، بل يبقى على حاله .

والوجهُ الآخر : أن الإيجازُ بال حذفِ أقوى دليلاً على زيادة المعاني على
الألفاظ لأننا نرى اللفظ يدلُّ على معنى لم يتصمَّنه ، وفهمُ ذلك المعنى
ضرورةٌ لا بدَّ منه ، فعلمنا حينئذٍ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهومٌ من
دلالاته عليه .

فإن قيل : إن المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بدَّ له من تقدير لفظٍ
آخر يدلُّ عليه ، وتلك الزيادةُ بإزاء ذلك اللفظ المقدَّر ؟

قلتُ في الجوابِ عن ذلك :

هذا لا ينقضُ ما ذهبنا إليه من زيادة المعنى على اللفظ ، لأن المعنى
الزائد ظاهرٌ ، واللفظ الدالُّ عليه مُضمَّر ، وإذا كان مُضمَّرًا فلا ينطقُ به ؛
وإذا لم ينطقُ به فكأنه لم يكن ، وحينئذٍ يبقى المعنى موجوداً . واللفظ الدالُّ
عليه غير موجود ، وكذلك كلُّ ما يُعلم من المعاني بمفهوم الخطاب .

ألا ترى أنك إذا قلتَ لئن دخل عليك : « أهلاً وسهلاً » علم أن الأهل
والسهل منصوبان بعاملٍ محذوفٍ ، تقديره « وجدت أهلاً ولقيت سهلاً »
إلا أن لفظتي « وجدت » و « لقيت » محذوفتان ، والمعنى الذي دلَّ
عليه باق ، فصار المعنى حينئذٍ مفهوماً مع حذفهما ، فهو إذاً زائدٌ لا محالة

وكذلك جميع الحذوفات على اختلافها ، وتشعب مقاصدها ، وهذا النزاع فيه لبيانه ووضوحه .

وقد سَنَح لي في زيادة المعنى على اللفظ في غير الحذوفات دليل أنا ذا كرهه ، وهو أنا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة ، واللفظ واحد ، والمعاني التي تحته متعددة .

فأما الذي يدل على معنيين : فالكنائيات جميعها ، كالذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه — رضى الله عنهم — أنهم « كانوا إذا خرجوا من عنده إلا يتفرقون إلا عن ذَواق » وهذا يدل على معنيين :

أحدهما : إطعام الطعام ، أى أنهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا .
الأخر : أنهم لا يتفرقون إلا عن استفادة علم وأدب يقوم لأنفسهم مقام الطعام لأجسادهم .

وأما الذي يدل على ثلاثة معانٍ فكقول أبي الطيب المتنبى :
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً
مَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ (١)

(١) ديوان المتنبى ١/ ١٨٥ من قصيدة له في مدح كافور ، وقد حمل إليه ستمائة دينار ، مطالعها قوله :
أغالب فيك الشوق ، والشوق أغلب وأعجب من ذال هجر ، وهجر أعجب
وقد شرح العكبري البيت المذكور بقوله : يريد أن أشد الظلم وأقبحه حسد المنعم عليك ، يريد : من بات في نعمة رجل ، ثم بات حاسداً له فهو أظلم الظالمين ، يريد : أن الحاسدين يحسدونه ، وهو منقول من قول الحكيم : « أقبح الظلم حسد عبدك الذي تنعم عليه لك » .

فهذا يدلُّ على ثلاثة معانٍ :

الأول : أنه يحسدُ من أنعمَ عليه .

الثاني : ضدَّ الأول .

الثالثُ : أنه يحسدُ كلَّ ربِّ نعمةٍ كائنًا من كان ، أى : يحسدُ من باتَ في نعماءٍ نفسه يتقلبُ .

وهذا وأمثاله من أدلِّ الدليل على زيادة المعنى على اللفظ ، وهو شىءٌ استخرجته ، ولم يكن لأحدٍ فيه قولٌ سابق !

* * *

وحيثُ فرغنا من الكلام على هذا الموضوع فلننتهيه بذكر أقسام الإيجاز المتشابهة إليها أولاً ، وما ينصرفُ إليه ، فنقول :

الإيجاز بالحذف :

أما الإيجازُ بالحذف فإنه عجيبُ الأمر ، شبيهه بالسحر ، وذلك أنك ترى فيه تركَ الذِّكرِ أفصحَ من الذكر ، والصمتُ عن الإفادة أزيدُ للأفادة ، وتجهدك أنطلق ما تكون إذا لم تنطق ، وأنت ما تكون مُبيناً إذا لم تبين ، وهذه جملةٌ تنسكِرُها حتى تخبرُ ، وتدفعُها حتى تنظر .

والأصلُ في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف ، فإن لم يكن هناك دليلٌ على المحذوف ، فإنه لغوٌ من الحديث ، لا يجوزُ بوجهٍ ولا سببٍ .

ومن شرط المحذوف في حُكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلامُ إلى شىءٍ غثٍّ ، لا يناسبُ ما كان علمه أولاً من الطلاوة والحسن .

وقد يظهر المحذوفُ بالإعرابِ كقولنا « أهلاً وسهلاً » فإنَّ نصب الأهل

والسهل يدلُّ على ناصبٍ محذوفٍ ، وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهرُ
بالإعرابِ ، وإنما يظهرُ بالنظرِ إلى تمامِ المعنى ، كقولنا : « فلانٌ يحلُّ ويقعدُ »
فإن ذلك لا يظهرُ المحذوفُ فيه بالإعرابِ ، وإنما يظهرُ بالنظرِ إلى تمامِ المعنى ،
أى أنه يحلُّ الأمورَ ويعتدها .

والذى يظهرُ بالإعرابِ يقعُ في المفرداتِ من المحذوفاتِ كثيراً ، والذى
لا يظهرُ بالإعرابِ يقعُ في الجملِ من المحذوفاتِ كثيراً .

وسأذكرُ في كتابي هذا ما وصلَ إلى علمه ، وهو ينقسمُ قسمينِ :
أحدهما حذفُ الجملِ .

والآخرُ : حذفُ المفرداتِ .

وقد يردُّ كلامٌ في بعضِ المواضع ، ويكونُ مشتملاً على القسمينِ معاً .

* * *

القسم الأول - حذف الجمل :

فأما القسم الأول ، وهو الذى تحذف منه الجمل ، فإنه ينقسم إلى قسمين
أيضاً :

أحدهما : حذفُ الجملِ المفيدةِ التى تستقلُّ بنفسِها كلاماً . وهذا أحسنُ
المحذوفاتِ جميعها ، وأدملها على الاختصار ، ولا تكاد تجده إلا فى كتاب
الله تعالى .

والقسم الآخر : حذفُ الجملِ غيرِ المفيدةِ ، وقد وردَ هاهنا مختلطين .
وجملتهما أربعةٌ أضرب :

(١) الضرب الأول : حذف السؤال المقدر (ويسمى الاستئناف) :

ويأتى على وجهين :

الوجه الأول : إعادة الأسماء والصفات :

وهذا يحى تارة بإعادة اسم من تقدم الحديث عنه ، كقولك : أحسنتُ إلى زيدٍ ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان .

وتارة يحى بإعادة صفة ، كقولك : أحسنتُ إلى زيدٍ ، صدقك القديمُ أهلٌ لذلك منك .

وهو أحسنُ من الأوّل وأبلغ ، لانطوائه على بيان الموجب للإحسان وتخصيصه .

فمّا وردَ من ذلك قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ * ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هٰدٰى لِّلْمُتَّقِيْنَ * الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُوْنَ الصَّلٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ * وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَ * اُولٰٓئِكَ عَلَىٰ هٰدٰى مِنْ رَبِّهِمْ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ (١) .

والاستئناف واقع في هذا الكلام على « أولئك » لأنه لما قال : « ألم ذلك الكتاب » إلى قوله « وبالآخرة هم يوقنون » اتجه لسائل أن يقول : ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا — دون الناس — بالهدى عاجلاً ، وبالفلاح آجلاً .

الوجه الثاني : الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات :

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَآ اُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِيْ وَاِلٰهِيْ تَرْجِعُوْنَ * اَاتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهٖ اٰلِهَةً اِنْ يُّرَدَّنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُوْنَ * اِنِّىْ اِذَا لَبِى ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ * اِنِّىْ اٰمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاَسْمِعُوْنَ *

(١) سورة البقرة : الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ .

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ ﴿١﴾ .

فخرج هذا القول مخرج الاستثناف، لأن ذلك من مظان المسألة عن
حاله عند لقاء ربه .

وكان قائلاً قال : كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصب
في دينه والتسخطى لوجهه برؤحه؟ فقيل : « قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » ولم يقل : قيل
له ، لأنصبا الغرض إلى القول ، لا إلى القول له ، مع كونه معلوماً .
وكذلك قوله تعالى : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ » مرتب على تقدير سؤال
سائل عما وجد .

ومن هذا النحو قوله عز وجل : ﴿ يَا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ لِيَأْتِي
عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَاذْقِبُوا
لِيَأْتِيَنَّكُمْ رَاقِبٌ ﴾ ﴿٢﴾ .

والفرق بين إثبات الفاء في « سَوْفَ » كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اِعْمَلُوا
عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ رَاقِبٌ ﴾ ﴿٢﴾ فسوف تعلمون * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣﴾ . وبين حذف الفاء هاهنا في هذه الآية أن
إثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، وحذفها وصل خفي تقديرى
بالاستثناف الذي هو جواب لسؤال مُقدِّر ، كأنهم قالوا : فإذا يكون إذا
عملنا نحن على مكائنا ، وعلمت أنت . فقال : سوف تعلمون ، فوصل تارة

(١) سورة يس : الآيات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧

(٢) سورة هود : الآية ٩٣ .

(٣) سورة الزمر : الآيات ٣٩ و ٤٠

بالفاء ، وتارة بالاستئناف ، للتفنن في البلاغة . وأقوى الوصاين وأبلغها
الاستئناف ، وهو قسم من أقسام علم البيان تتكاثر محاسنه ، فأعرفه
إن شاء الله تعالى .

(٢) الضرب الثاني : الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب :

فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْفَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا
قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ (١) كأنه قال : وما كنت شاهداً لموسى وما
جرى له وعليه ، ولكننا أوحيناك إليك ، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة
الفترة ، ودل به على المسبب الذي هو الوحي ، على عادة اختصارات القرآن ،
لأن تقدير الكلام . ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي الى موسى إلى عهدك قرونًا
كثيرة ، فتطاول على آخرهم — وهو القرن الذي أنت فيهم — العمر ، أي أمد
انقطاع الوحي ، فاندurst العلوم ، فوجب إرسالك إليهم ، فأرسلناك ،
وعرفناك العلم بقصص الأنبياء ، وقصة موسى ، فالحذف إذا جملة مفيدة ، وهي
جملة مطولة ، دل السبب فيها على المسبب .

وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضاً : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتَ مِنْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٢) .

فإن في هذا الكلام محذوقاً لولاه لما فهم ، لأنه قال : « وما كنت بجانب

(١) سورة القصص : الآيتان ٤٤ و٤٥ .

(٢) سورة القصص : الآية ٤٦ وفي الأصل « لعلهم يهتدون »

وهو خطأ .

الطُّور إذ نادينا ولكن رحمةً من ربك » وهذا لا بدَّ له من محذوف ، حتى يستقيم نظم الكلام ، وتقديره ولكن عرفناك ذلك ، وأوحينا إليك رحمة من ربك ، لتندبر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك « فذكر الرحمة التي هي سبب إرساله إلى الناس ، ودلَّ بها على المسبب الذي هو الإرسال .

وأما حذفُ الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكايةً عن مريمَ عليها السلام : (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) (١) .

فقوله « ولنجعل آيةً للناس » تعليلٌ مَعْلَلُهُ محذوفٌ ، أى : وإنما فعلنا ذلك لنجعل آيةً للناس ، فذكر السبب الذى صدر الفعل من أجله ، وهو جعله آيةً للناس ودلَّ به على المسبب الذى هو الفعل .

ومما وردَ من ذلك فى الأخبار النبوية قصة : الزبير بن العوام — رضى الله عنه — والرجل الأنصارى الذى خاصمه فى شِراجِ الحرة (٢) التى يُسقى منها النحل ، فلما حضرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير « اسق ، ثم أرسل الماء إلى جارك » فنضب الأنصارى ، وقال : « يا رسول الله : إن كان ابن عمَّتِكَ ؟ فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر » وفى هذا الكلام محذوف تقديره : أن كان ابن عمَّتِكَ حَكَمْتَ له ؟ ، أو قضيت له . أو ماجرى هذا الجرى ، فذكر السبب الذى هو كونه ابن عمته ، ودلَّ به على المسبب الذى هو الحكم أو القضاء ، لدلالة الكلام عليه :

(١) سورة مريم : الآيتان ٢٠ و ٢١ .

(٢) الشرح — بفتح فسكون — مسير الماء من الحرة إلى السهل ،

وجمعها شراج ، بكسر الشين .

وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب فكقوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)^(١) أى : إذا أردت قراءة القرآن ، فاكتفى بالمسبب الذى هو القراءة ، عن السبب الذى هو الإرادة .

والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ؛ والذى دلّت عليه أنها بعد القراءة ، كقول القائل : « إِذَا ضَرَبْتَ زَيْدًا فَاجَسُ » ، فإن الجلوس إنما يكون بعد الضرب ، لا قبله .

وهذا أولى من تأويل من ذهب إلى أنه أراد : فإذا تعوذت فاقرأ ، فإن [فى] ذلك قلباً لا ضرورة تدعوا إليه . وأيضاً فليس كل مستعيزٍ أو اجبة عليه القراءة .

وعلى هذا ورد قوله تعالى : (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ)^(٢) .

والوضوء إنما يكون قبل الصلاة ، لا عند القيام إليها ، لأن القيام إليها هو مباشرة لأفعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك ، وهذا إنما يكون بعد الوضوء ، وتأويل الآية : إذا أردت القيام إلى الصلاة فاغسل ، فاكتفى بالمسبب عن السبب .

وكذلك ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلْيَتَوَضَّأْ) .

أى : إذا أراد القيام إلى الصلاة ، وإنما يعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل ، لأن الفعل مسبب عن الإرادة ، وهو مع القصد إليه موجود ، فكان منه بسبب وملابسة ظاهرة .

(١) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦ .

ومن ذلك قوله تعالى : (فقلنا اضرب بعصاك الحجرَ فانفجرت منه
اثنتا عشرةَ عينًا) (١) .

أى : فضربَ فانفجرت منه ، فاكتفى بالسبب — الذى هو الانفجارُ —
عن السبب الذى ، هو الضرب .

(٣) الضرب الثالث : وهو الاضمار على شريطة التفسير :

وهو أن يُحذف من صدر الكلام ما يؤتى به فى آخره ، فيكونُ الآخرُ
دليلاً على الأول .

وهو ينقسمُ إلى ثلاثة أوجه :

الأول : أن يأتى على طريق الاستفهام ، فتذكرُ الجملةُ الأولى دونَ

الثانية ، كقوله تعالى : (أفمن شرحَ اللهُ صدرهُ الإسلامَ فهو على نورٍ من
ربه فويلٌ للناسيةِ فلو بهم من ذكرِ اللهُ أولئك فى ضلالٍ مبينٍ) (٢) تقديرُ
الآية : أفمن شرحَ اللهُ صدرهُ للإسلام كمن أفسى قلبه . ويدلُّ على المحذوف
قوله « فويلٌ للناسيةِ فلو بهم » .

الوجه الثانى : يردُّ على حدِّ التثنية والإثبات ، كقوله تعالى : (لا يستوى

منكم من أنفق من قبلِ الفتحِ وقَاتَلَ أولئك أعظمُ درجةً من الذين
أنفقوا من بعدُ وقَاتَلُوا) (٣) تقديرُهُ : لا يستوى منكم من أنفق من قبلِ الفتحِ
وقَاتَلَ ، ومن أنفق من بعده وقَاتَلَ ، ويدلُّ على المحذوفِ قوله « أولئك
أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقَاتَلُوا » .

(١) سورة البقرة : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٢٢ .

(٣) سورة الحديد : الآية ١٠ .

الوجه الثالث : أن يرد على غير هذين الوجهين ، فلا يكون استفهاماً ،
ولا نفيّاً وإثباتاً ، وذلك كقول أبي تمام (١) .

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ
وهذا البيتُ مُتَخْتَفٌ نَسَخُ دِيْوَانِهِ فِي إِثْبَاتِهِ ، فَهِيَ مَا يَجِيءُ فِيهِ :
يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ خَيْفَةً غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ

ولبس بشيء ، لأن المعنى لا يصحُّ به .

وكنْتُ سُئِلْتُ عَنْ مَعْنَاهُ ، وَقِيلَ : كَيْفَ يَنْطَبِقُ عَجْزُ الْبَيْتِ عَلَى صَدْرِهِ ،
وَإِذَا تَجَنَّبَ الْآثَامَ وَخَافَهَا فَكَيْفَ تَكُونُ حَسَنَاتُهُ آثَامًا . فَفَكَّرْتُ فِيهِ ،
وَأَنْعَمْتُ نَظْرِي ، فَسَنَحَ لِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةٌ مِثْلُهُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) (٢) وَفِي صَدْرِ الْبَيْتِ إِضْمَارٌ مَفْسَّرٌ فِي
عَجْزِهِ ، وَتَقْدِيرُهُ أَنَّهُ يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ، فَيَكُونُ قَدْ آتَى بِحَسَنَةٍ ، ثُمَّ يَخَافُ تِلْكَ
الْحَسَنَةَ ، فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ ، وَهُوَ عَلَى طِبَاقِ الْآيَةِ سَوَاءً .

وَمِنَ الْإِضْمَارِ عَلَى شَرِيحَةِ التَّفْسِيرِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

سُنَّةُ الْعُشَاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنَ

خُذَفَ لَفْظَ الْاسْتِكَانَةِ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَذَكَرَهُ فِي الثَّانِي ، أَيْ : سُنَّةُ الْعُشَاقِ
وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الْاسْتِكَانَةُ ، فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنَ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ :
« فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنِ » ، وَهَذَا لِامْعْنَى لَهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَبْيُنْ سُنَّةَ الْعُشَاقِ

(١) ديوان أبي تمام ٢٨٠ من قصيدة له في مدح المأمون مطلعها :

دَمِنَ أَلَمِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمَ حَلِّ عَقْدَةِ صَبْرِهِ الْإِلَامُ

(٢) سورة (المؤمنون) : الآية ٦٠

ما هي فباي شيء يستن المسن منها . لكنه ذكر السنة في صدر البيت من غير بيان ، ثم بيدها في عجزه .

(٤) الضرب الرابع : ما ليس بسبب ولا مسبب ، ولا اضممار على شريطة النفسير ، ولا استئناف :

فأما ما حذف فيه من الجمل المفيدة فكقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : (قَالَ تَزْرَعُونَ سَمِعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كَانِ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ) (١) .

قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة ، تقديرها : فرجع الرسول إليهم ، فأخبرهم بمقالة يوسف ، فعجبوا لها ، أو فصدقوه عليها ، وقال الملك : ائتنوني به .

والمحذوف إذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة ، لأنه إذا ثبتت حاشيتا الكلام ، وحذف وسطه ظهر المحذوف ، لدلالة الحاشيتين عليه . وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضاً : (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَابِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (٢) .

(١) سورة يوسف : الآيات ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ .

(٢) سورة يوسف : الآيات ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ .

قد حذف أيضاً من هذا الكلام جملة مفيدة ، تقديرها : نعم إنهم مجهزوا
وساروا إلى مصر ، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه .

وقد ورد هذا الضرب في القرآن الكريم كثيراً ، كقوله تعالى في سورة
القصص : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ
بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا) (١) .

في هذا محذوف ، وهو جواب الاستفهام ، لأنها لما قالت : « هل أدلكم
على أهل بيت يكفلونه لكم » ؟ احتاج إلى جواب ، لينتظم بما بعده من رده إلى
أمه ، والجواب : فقالوا : نعم ، فدللتهم على امرأة ، نجىء بها ، وهي أمه ، ولم
يعلموا بمكانها فأرضعته ، وهذه الجملة الثانية — أعنى قوله تعالى : « فرددناه إلى
أمه » — تدل على المحذوف ، لأن رده إلى أمه لم يكن إلا بعد رد الجواب على
أخته ، ودلائلها إيتام على امرأة ترضعه .

ويكفي هذا الموضع وحده لمن يتبصر في مواقع المحذوفات وكيفيتها .

ومما يجرى على هذا المنهج قوله تعالى في قصة سليمان — عليه السلام —
وقصة المدهد في إرساله بالكتاب إلى بلقيس : (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ
كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) (٢) .

وفي هذا محذوف ، تقديره : فأخذ الكتاب ، وذهب به ، فلما ألقاه إلى
المرأة وقرأته قالت : يا أيها الملأ .

(١) القصص : الآيتان ١٢ و ١٣ .

(٢) سورة النمل : الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

ومن حذف الجمل المفيدة ما يُعسرُ تقدير الحذف منه بخلاف ما تقدم .
 ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها إذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من
 غير تقدير للمحذوفات التي حذفت منها ؛ ثم إذا قدر تلك المحذوفات سهل
 تقديرها ببديهة النظر .

والذي أذكره الآن ليس كذلك ، بل إذا تأمله المتأمل وجد غير
 متصل المعنى ، وإذا أراد أن يقدر المحذوف عسر عليه .

فمما جاء منه قوله تعالى : (وَمَا يَنْظُرُ هَوَلاءِ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مآلها من
 فَوَاقٍ . وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب . اصبرِ عَلَى ما يقولونَ
 واذكُرْ عَبْدانَ اداودَ ذا الأيدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)^(١) فهذا الكلام إذا أمّله المتأمل لم
 يجده متصل المعنى ، ولم يتبين له جىء ذكر داود عليه السلام رادقاً لقوله تعالى
 (اصبرِ عَلَى ما يقولونَ) ، وإذا أراد أن يقدر هاهنا محذوفاً يوصل به المعنى
 عسر عليه ، وتقديره يحتمل وجهين .

أحدهما : أنه قال : « اصبرِ عَلَى ما يقولون » وخوفهم أمر معصية الله ،
 وعظمها في عيونهم بذكر قصة داود الذي كان نبياً من الأنبياء . وقد آتاه الله
 ما آتاه من النبوة والملك العظيم ، ثم لما زل زلة قوبل بكذا وكذا ، فما الظنُّ
 بكم أنتم مع كفركم .

الوجه الآخر : أنه قال : « اصبرِ عَلَى ما يقولون » واحفظ نفسك أن تزل
 في شيء مما كلفته من مصابرتهم ، واحتمال أذاهم ، واذكر أخاك داود وكرامته
 عَلَى الله كيف زل تلك الزلة ، فلتقى من توبيخ الله مالتي ؟ !! .

(٢) سورة ص : الآيات ١٥ و ١٦ و ١٧ .

فهذا الكلام كما تراه يحتاج الى تقدير ، حتى يتصل بعضه ببعض ، وهو من أغمض ما يأتي من المحذوفات ، وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة .

* * *

وأما ما ورد من هذا الضرب في حذف الجمل التي ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا . قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ لِيُكُونَ لِي غُلَامًا وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا . قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا . يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (١) .

هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره ، وهو البشري بالغلام ، وتقديرها : ولما جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة .

وعلى هذا النهج ورد قوله تعالى : (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُنَّ أُمَّ لَا تَأْخُذُ بَلِجَنَّتِي وَلَا بَرَأْسِي إِنَّ خَشِيْتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (٢) .

(١) سورة مريم : الآيات ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ .

وقد حذف من هذا الكلام جملة إلا أنها غير مفيدة ، وتقديرها . فلما
رجع موسى ، ورآهم على تلك الحال من عبادة العجل قال لأخيه هارون :
مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني ؟ .

وكذلك ورد قوله تعالى في قصة سليمان — عليه السلام — من سورة النمل
(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ (١) أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ
عَفَرْتُ مَنِ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ
أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ .
قَالَ نَكُرُوا هَآءَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
لَا يَهْتَدُونَ) (٢) .

وفي هذا محذوف تقديره : فلما جاء به قال : نكروا لها عرشها ، لأن
تنكيره لم يكن إلا بعد أن جرى به إليه ، وقد أغنى عن المحذوف صدر الكلام
وآخره ، وكان ذلك دليلاً عليه .

وما ورد على ذلك شعراً قول أبي الطيب المتنبي (٣) :

(١) سقطت عبارة «يا أيها الملأ» من الأصول ومن المطبوع .

(٢) سورة النمل : الآيات ٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١ .

(٣) ديوان المتنبي ٤/ ١٥٦ من قصيدة له يذكر فيها مسيره من مصر ،
ويرثي فاتكا ، ومطلعها :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم وما سراه على خوف ولا قدم

لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا

قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ أَوْ جَسْمِي مِنَ السَّقَمِ (١)

وهذا البيتُ فيه محذوفٌ ، تقديرُهُ : لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لِإِنْضَائِي إِيَّاهَا فِي الْأَسْفَارِ ، وَلَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا ، فَالثَّانِي دَلِيلٌ عَلَى حَذْفِ الْأُولِ .

وهذا موضعٌ يحتاجُ في استخراجِه واستخراجِه أمثاله إلى فكرةٍ وتدقيقِ نظرٍ .

ومما يتصلُ بهذا الضربِ حذفُ ما يجيءُ بعدُ « أَفْعَلُ » كقولنا : « اللَّهُ أَكْبَرُ » فَإِنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامٍ ، أَيْ : أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَبِيرٍ ، وَأَوْ كَبَرٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُتَوَقَّعُ كَبِيرًا ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى .

ومثله يَرِدُ قَوْلُهُمْ : زَيْدٌ أَحْسَنُ وَجْهًا ، وَأَكْرَمُ خُلُقًا ، تَقْدِيرُهُ : أَحْسَنُ وَجْهًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَكْرَمُ خُلُقًا مِنْ غَيْرِهِ ، أَوْ مَا يَسُدُّ هَذَا الْمَسَدَّ مِنَ الْكَلَامِ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (٢) :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الْحُبَّةَ فِي الْوَرَى وَحَبَابَكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ

(١) يريد أن إلتعابها في السفر لم يكن بغضا لها مني ، ولكن أسافر عليها لأتق قلبى وأحفظه من الحزن ، وجسمى من السقم ، إذا غير الهواء والماء وسافر صرح جسمه ، وكذلك المحزون يتنسم بروح الهواء ، أو يصير إلى مكان يسر بالإكرام فيه .

(٢) ديوان البحتري ١ / ١١ من قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله ، ويذكر خروجه يوم الفطر ، ومطلعها :

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر وألام في كد عليك وأعذر

وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمْ وَأَجَلٌ قَدَرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ
أى : أنتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ مِنْ غَيْرِكَ .

* * *

القسم الثانى - حذف المفردات :

وأما القسم الثانى المشتملُ عَلَى حذف المفردات فإنه يتصرف عَلَى أربعة
عشر ضَرْبًا :

(١) الضرب الأول : حذف الفاعل والاكْتفاء فى الدلالة عليه بذكر الفعل :
كقول العرب : « أَرْسَلْتُ » وهم يُرِيدُونَ : جاءَ المطر ، ولا يذكرون
السَّمَاءَ .

ومنه قولُ حاتمِ (١) .

أَمَا وى ، ما يُعْنَى التَّوْبَهُ عَنِ الْفَقَى

إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّدْرُ

يُرِيدُ : النَّفْسَ ، وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذَكَرٌ .

وعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) (٢)
والضمير فى « بَلَغَتْ » لِلنَّفْسِ ، وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذَكَرٌ .

وقد نصَّ عثمانُ بنُ جُنَيْدٍ - رحمه الله تعالى - على عدم الجواز فى حذف

(١) ديوان حاتم الطائى ١١٨ - من مجموع يشتمل على خمسة دواوين
من أشعار العرب : للنابغة ، وعروة بن الورد ، وحاتم طى ، وعلقمة
الفحل ، والفرزدق (المطبعة الوهبية - القاهرة ١٢٩٣ هـ) - والبيت من
قصيدة رواها ابن الكلبي لحاتم ، ومطلعها :

أماوى قد طال التمجيب والهجر وقد عذرتنى من طلابكم العذر

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٦ و ٢٧ .

الفاعل ، وهذه الآية وهذا البيت الشعري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب إليه^(١) .

إلا أن حذف الفاعل لا يجوز على الإطلاق ، بل يجوز فيما هذا سبيله ، وذلك أنه لا يكون إلا فيما دلّ الكلام عليه .

ألا ترى أن التي تبلغ التراقي إنما هي النفس ، وذلك عند الموت ، فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة ، وإن كان الكلام خالياً عن ذكرها ، وكذلك قول حاتم « حَشْرَجَتْ » فإن الحشرجة إنما تكون عند الموت .

وأما قول العرب « أُرْسَلَتْ » — وهم يريدون أرسلت السماء — فإن هذا يقولونه نظراً إلى الحال ، وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجيء المطر ، ولم ترد في شيء من أشعارهم ، ولا في كلامهم المنثور ، وإنما يقولها بعضهم لبعض إذا جاء المطر

فالفرق بينها وبين « حَشْرَجَتْ » وبين « بَلَغَتْ التراقي » ظاهر ، وذلك أن « حَشْرَجَتْ » « وَبَلَغَتْ التراقي » يفهم منها أن النفس التي حشرجت ، وأنها هي التي بلغت التراقي .

وأما « أُرْسَلَتْ » فلولا شاهد الحال ، وإلا لم يجوز أن تكون دالة على مجيء المطر ، ولو قيل في معرض الاستسقاء : « إنا خرجنا نسالُ الله ، فلم نزل حتى أرسلت » ، لفهم من ذلك أن التي أرسلت هي السماء ، ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف ، وإلا كان لغواً لا يلتفت إليه .

(١) هنا ليس من باب حذف الفاعل إلا عند الكوفيين ، والضمير في الآية عائد إلى النفس ، وكذلك في بيت حاتم ، وفي قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » فإن الضمير في « توارت » عائد إلى الشمس ، ولم يتقدم لها ذكر ، وذلك إذا كان الاسم الظاهر مفهوماً من سياق الكلام .

(٢) الضرب الثاني : حذف الفعل وجوابه :

اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين :

أحدهما : يظهرُ بدلالةِ المفعولِ عليه ، كقولهم في المثل : « أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ »
فنصبُ « أَهْلَكَ » و « اللَّيْلَ » يدلُّ عَلَى محذوفٍ ناصبٍ ، تقديره « الْحَقُّ
أَهْلَكَ وَبَادِرِ اللَّيْلِ » وهذا مثلُ يُضْرَبُ في التَّحذِيرِ .

وعليه وَرَدَ قوله تعالى (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) (١) .

ومما ورد منه في الأخبارِ النَّبَوِيَّةِ أن جابراً تزوج ، فقال له رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم : ما تزوجتَ ؟ قال : نَيْبًا ، فقال : « فهِلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا
وَتَلَاعِبُكَ » : يريدُ : فهِلَّا تزوجتَ جَارِيَةً : لحذفِ الفعلِ ، لدلالةِ
الكلامِ عليه .

ومما ورد منه شعراً قولُ أبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِيِّ في قصيدته الكاويَّة التي يمتدحُ
بها عَضُدَ الدَّوْلَةِ أبا شُجَاعِ بْنِ بُوَيْهٍ ، ومطلعها (٢) :

* فِدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ * (٣)

وسأذكرُ الموضعَ الَّذِي حُذِفَ مِنْهُ الفعلُ وجوابه ، لتعلُّقِ الأبياتِ
بعضها ببعضٍ ، وهي من محاسنِ ما يؤتَى به في معنى الوداعِ ، ولم يأتِ لغيره
مثلها ، وهي :

(١) سورة الشمس : الآية ١٣ .

(٢) ديوان المتنبي ٣٨٥ / ٢ .

(٣) هذا صدر المطلع ، وعجزه :

* فلاملك إذن إلا فداكا *

إِذَا التَّوَدَّيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتُ لَا صَاحِبْتَ فَكَأ (١)
 وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَاءَ مَنِيَّ مُعَاوَدَةً لَقَلْتُ وَلَا مُنَاكَ (٢)
 قَدْ اسْتَشْفَيْتُ مِنْ دَاءٍ بَدَأَ وَأَقْتُلُ مَا أَعْلَاكَ مَا شَفَاكَ
 فَأَكْتُمُ مِنْكَ نَجْوَانًا وَأُخْفِي هُمُومًا قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَاكَ (٣)
 إِذَا عَاصِيَتُهَا كَانَتْ شَيْءًا مَادًّا وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَآكَ (٤)
 وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي : ذَا بِنَاكَ (٥)
 وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْحْنَا يَقْبَلُ رَحْلَ « تَرْوَك » وَالْوِرَاكَ (٦)

(١) إذا ظهر التوديع قال لي قلبي : اسكت ، ولا تتكلم بالوداع ، قال الواحدى ، ويجوز أن يكون المعنى : لا تمدح غيره ، ومعنى « لا صاحبت فاك » أى : لانطقت : دعاء عليه .

(٢) معناه : لولا أن قلبي أكثر ما يتمنى ويطلب معاودة خدمة الممدوح ، لقلت له : لا بلغت منك : وقال الواحدى : لا بلغت منك فى الارتحال ، حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إليه .

(٣) رواية الديوان « فأستر منك » موضع « فأكتم منك » .

(٤) الركاك : الضعاف ، وهو جمع ركيك كضعيف .

(٥) الثوبية مكان بالكوفة على بعد ثلاثة أميال منها . ومعنى البيت : كم دونها من إنسان حزين لفراقى ، فإذا قدمت فرح لقدمى ، فيقوله القوم . هذا السرور بالغم الذى كنت لقيته بالبعد ، وهذا كقول أبى تمام :

وليست فرحة الأبواب إلا لموقوف على ترح الوداع
 وقول ابن الرومى يخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فقلت لها إن اكتئاباً بشاخص سيبعه الله ابتهاجاً بقادم

(٦) الرضاب ماء الأسنان ، وتروك اسم ناقة أعطاه له عضد الدولة ، والوراك جلد يتخذها الراكب تحت وركه ، يقول : كم هناك من شخص عذب الرضاب ، إذا أنخت إليه ناقى قبل رحلها ووراكها إعجاباً بها ، يفديها بنفسه لإكرامها لها إذا أدنتى إليه .

يُحَرِّمُ أَنْ يَمْسَ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ (١)
يَحْدُثُ مَقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَ
وَمَا أَرْضَى أُمَّقْلَتَيْهِ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهتَ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَ (٢)
وَلَا إِلَّا بَانَ يُضْفِي وَأَحْكِي فَلَيْتَكَ لَا يَتِيَمُهُ هَوَاكَ

فقوله « ولا مناكا » . فيه محذوف ، تقديره : ولا صاحبت مناكا .
وكذلك قوله . « ولا إلا بَانَ يُضْفِي وَأَحْكِي » فإن فيه محذوفاً ، تقديره :
ولا أرضى إلا بَانَ يُضْفِي وَأَحْكِي .

وأما القسم الآخر : فإنه لا يظهر فيه قسم الفعل ، لأنه لا يكون هناك
منصوبٌ يدلُّ عليه . وإنما يظهر بالنظر إلى ملاءمة الكلام .

فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَعَرِضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (٣) .

فقوله : « لقد جئتمونا » يحتاج إلى إضمار فعلٍ . أي : فقيل لهم : لقد
جئتمونا ، أو فقلنا لهم .

وقد استعمل هذا في القرآن الكريم في غير موضع ، كقوله تعالى :

(١) في الأصل « عاق » موضع « عبق » ، والتصويب عن الديوان ،
وصاك الشيء بالشئ ، لصق به .

(٢) التبشك والابتشاك الكذب ، وأبشك القول ، وحرفه ،
واختلقه ، بمعنى .

(٣) سورة الكهف : الآية ٤٨ .

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ تُظَاهَرُونَ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) (١).

فقوله: «أَلَّذِينَ تُظَاهَرُونَ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» يحتاج إلى تقدير الفعل المضمر.

وكذلك ورد قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) (٢). فقوله: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ» لا بدَّ له من إضمار القول، أي: «وقلنا له: إن جاهدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا».

ومن هذا الضرب: (إِيقَاعُ الْفِعْلِ عَلَى شَيْئَيْنِ، وَهُوَ لِأَحَدِهِمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) (٣).

وهو (٤) لأمركم وحده، وإنما المرادُ أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ، وادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ، لأنَّ معنى «أَجْمِعُوا» من «أَجْمَعَ الْأَمْرَ»، إِذَا نَوَاهُ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ.

وقد قرأ أبي — رضى الله عنه — «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ» وهذا دليل على ما أشرتُ إليه، وكذلك هو مُثَبَّتٌ فِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥).

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٧١. (٤) وهو أى الفعل

(٥) هو عبد الله بن مسعود بن الحارث، أبو عبد الرحمن الهنلى المكي، أحد السابقين والبلريين والعلماء الكبار من الصحابة، أسلم قبل عمر. وعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول من أفشى القرآن من في رسول الله، توفي سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع، وله بضع وستون سنة.

ومن حَذَفِ الفعل ، بابٌ يسمَّى (باب إقامَةِ المصدرِ مَقَامَ الفعلِ) .
 وإِنَّمَا يُفْعَلُ ذلك لضربٍ من المبالغةِ والتوكيد ، كقوله تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ) ^(١) قوله : « فاضرب الرقاب » أصله : فاضربوا
 الرقابَ ضرباً ، مُحذَفَ الفعلُ ، وأقيمَ المصدرُ مقامه . وفي ذلك اختصارٌ ، مع
 إعطاء معنى التوكيد المصدرى .

وأما (حذفُ جوابِ الفعل) فإنه لا يكون في الأمرِ المحتمومِ كقوله تعالى :
 (فذرهمْ يُخوضُوا وَيَلْعَبُوا) ^(٢) فجزمَ « يخوضوا » و« يلعبوا » لأنهما جوابُ
 أمرٍ « فذرهم » .

وحذفُ الجوابِ في هذا لا يدخلُ في باب الإيجاز ، لأننا إذا قلنا ذرهمْ
 أى : انزركهم ، لا يحتاجُ ذلك إلى جوابٍ . وكذلك ما يجرى مجراه .
 وإنما يكونُ الجوابُ بالفاءِ في ماضٍ ، كقولنا : « قلتُ له : اذهبْ فذهبْ »
 وحينئذٍ يظهرُ الجوابُ المحذوفُ كقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
 فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) ^(٣) .

ألا ترى كيف حُذِفَ جوابُ الأمرِ في هذه الآية ؟ فإنَّ تقديره : قلنا
 اذها إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فذهباً إليهم ، فكذبوهما ، فدمرناهم

(١) سورة محمد : الآية ٤ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٣ .

(٣) سورة الفرقان : الآيتان ٣٥ و ٣٦ .

تدميراً ، فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها ، لأنهما المقصود من القصة بطولها ،
أعنى إلزام الحجة ببعثة الرُّسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم .

ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى : (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ . أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا تَرْتَعْ وَنَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ .
قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ
غَافِلُونَ : قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا خَاسِرُونَ . فَلَمَّا ذَهَبُوا
بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ)^(١) .

جواب الأمر من هذا الكلام محذوف ، تقديره : فأرسله معهم ، ويدلنا
على ذلك ما جاء بعده من قوله : « فلما ذهبوا به » .

كما حذف أيضاً في قوله هزاً وجل : (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ
أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ . يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ)^(٢) الآية .

جواب الأمر من هذا الموضع محذوف ، وتقديره : فأرسلوه إلى يوسف ،
فأتاه فقال له : يوسفُ أيُّها الصِّدِّيقُ .

وكذلك قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ
ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي

(١) سورة يوسف : الآيات ١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ . و« ترتع ونلعب » بالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو - وكذلك هو في الأصل ، وبانبياء
فيهما مدنى وكوفى ، وبكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال
من الرعى .

(٢) سورة يوسف : الآيات ٤٥ و٤٦ .

بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ . قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ (١) الْآيَةَ .
 ففي هذا الكلام حذف واختصار ، استغنى عنه بدلالة الحال عليه ،
 وتقديره : فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف ، فدعا الملك بالنسوة ، وقال
 لهن : ما خطبكم . . ؟

وهكذا ورد قوله تعالى (ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلفه قال إنك
 اليوم لدينا مكين أمين) (٢) .

وقد حذف جواب الأمر هاهنا ؛ وتقديره . فأتوه به فلما كلفه . . .

وفي سورة يوسف — عليه السلام — محذوفات كثيرة من أولها
 إلى آخرها .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه المحذوفات المذكورة هاهنا التي كأنها لم
 تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ؟ ودلالة الحال عليه .
 وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون محذوفات الكلام .

(٣) الضرب الثالث : حذف المفعول به :

وذلك مما نحن بصدده أخص ، فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب ،
 كقولنا : فلان يجل ويقد ، ويؤزم وينقض ، ويضر وينفع ، والأصل في
 ذلك على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشئ . على الإطلاق .

وعلى هذا جاء قوله تعالى : (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ
 وَأُخْيَا) (٣) .

(١) سورة يوسف : الآيتان ٥٠ و ٥١ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٥٤ .

(٣) سورة النجم : الآيتان ٤٣ و ٤٤ .

ومن بديع ذلك قوله عز وجل: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً
مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا
لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (١) .

فإن في هاتين الآيتين قد حذف المفعول به في أربعة أماكن ، إذ المعنى :
وجد أمة (٢) من الناس يسقون مواشيهم ، وامرأتين تذودان مواشيهما ، وقالتا :
لانسقي مواشينا ، فسقى لها مواشيهما . لأن الغرض أن يعلم أنه كان من الناس
سقى : ومن امرأتين ذود ، وأنهما قالتا : لا يكون منا سقى حتى يصدر
الرعاء (٣) وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقى . فاما كون المسقى
غنا وإبلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض .

وقد ورد في الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث (٤) من أبيات
الحماسة: (٥)

(١) سورة القصص : الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

(٢) الأمة الجماعة الكبيرة .

(٣) يصدر أى يرجع ، والرعاء جمع راع ، كقيام جمع قائم .

(٤) شاعر محسن ، هو ابن حريث بن جابر ، ولهم شاعران آخران
يقال لهما « البعيث » أحدهما : المجاشعي ، واسمه خداش ، شاعر مشهور ،
وله نقائض بين جرير والفرزدق ، والآخر : البعيث التغلبي ، وهو بعيث بن
رزام ، وكان يهاجى زرعة بن عبد الرحمن . حكاه الأمدى في « المؤلفات
والمختلن » .

(٥) ديوان الحماسة ١ / ١٤٩ من جملة أبيات أولها :

خيال لأم السلسيل ودونها مسيرة شهر للبريد المذبذب

دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَاسَاءِ ظَنُّهُ وَعَبَسُ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبٍ (١)
وَقَدْ عَلِمَا أَنَّ الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا سَوَى مُحَضَّرِيٍّ مِنْ حَاضِرِينَ وَغُيِّبَ (٢)

فالمفعول الثاني من «علما» محذوف، لأن قوله: «أَنَّ الْعَشِيرَةَ» في موضع مفعول «علما» الأول، وتقدير الكلام: قد علما أَنَّ الْعَشِيرَةَ سَوَى مُحَضَّرِيٍّ مِنْ حَاضِرِينَ وَغُيِّبَ لِإِغْنَاءِ عِنْدَهُمْ، أَوْ سِوَاهُ حَضُورُهُمْ وَغَيْبَتِهِمْ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى.

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ أَيْضًا: حَذْفُ الْمَفْعُولِ الْوَارِدِ بَعْدَ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (٣).

فمفعول «شاء» هاهنا محذوف، وتقديره: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهبَ بها.

وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ) (٤).

(١) في الأصل جدموضع «حد» والتصويب عن الحماسة، والحد الطرف والمنكب النكبة وهي النائبة - والمعنى دعاني يزيد وعبس انصرتهما، وقد كانا أشرفا على الهلاك، وذلك تفسير «ساء ظنه».

(٢) في الحماسة «خاذلين» موضع «حاضرين»، والغيب جمع غائب - يقول: استغاثنا بنى متيقنين أن كل عشيرتهما - إذالم أحضر - بين شاهد لا ينصر، وغائب لا يحضر، ودل بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستغاثة به.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٥.

وَمَا جَاءَ عَلَى مِثَالِ ذَلِكَ شِعْرًا قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (١) .

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدِ
الأصلُ في ذلك . لو شِئْتَ أَنْ لَا تُفْسِدَ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ لَمْ تُفْسِدِهَا ، فَحُذِفَ
ذَلِكَ مِنَ الْأَوَّلِ ، اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ فِي الثَّانِي .

وقد تقدّم أنّ من الواجبِ في حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَلَّا تَنْطِقَ بِالْحُذُوفِ ، وَلَا
تُظْهِرُهُ إِلَى اللَّفْظِ ، وَلَوْ أَظْهَرْتَ لَصِرْتَ إِلَى كَلَامٍ غَثٍّ .

ومجىءُ الْمَشِيئَةِ بِعَدِّ « لَوْ » وَبَعْدِ حُرُوفِ الْجَزَاءِ هَكَذَا مَوْقُوفَةً غَيْرَ مُعَدَّاةٍ
إِلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ شَائِعٍ بَيْنَ الْبُلْغَاءِ .

ولقد تَكَرَّرَ هَذَا الْحَذْفُ فِي « شَاءَ » وَ « أَرَادَ » حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَسْكَادُونَ
بِإِبْرَازِ الْمَفْعُولِ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْمُسْتَفْرَبِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (٢) .

وعلى هذا الأسلوبِ جَاءَ قَوْلُ الشَّاعِرِ (٣) :

(١) ديوان البحترى ٤٢/٢ من قصيدة له في مدح يوسف بن محمد ،

ومطلعها :

عجبا لطيف خيالك المتعاهد ولوصلك المتقارب المتباعد

(٢) سورة الزمر : الآية ٤ .

(٣) هو الخريمي ، واسمه إسحاق بن حسان ، ويكنى أبا يعقوب ،

وهو من العجم ، وكان مولى ابن خريم ، الذي يقال لأبيه « خريم الناعم »

وكان أبو يعقوب متصلا بمحمد بن منصور بن زياد ، كاتب البرامكة ،

وله فيه مدائح جياد ، ثم رثاه بعد موته ، فقال له أحمد بن يوسف

الكاظمي : يا أبا يعقوب ، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مراثيك

وأجود ! فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على

الوفاء ، وبينهما بون بعيد !

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ (١)

فلو كان على حدّ قوله تعالى : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » لوجب أن يقول : ولو شئت لبكيت دماً ، ولسكنته ترك تلك الطريقة ؛ وعدل إلى هذه ؛ لأنه أليق في هذا الموضوع . وسبب ذلك أنه كان بدعاً عجيباً أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً ، فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الأحسن أن يذكر ولا يضمّر .

(٤) الضرب الرابع : وهو حذف المضاف والمضاف اليه ، وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر :

وذلك بابٌ عريضٌ طويلٌ شائعٌ في كلام العرب ، وإن كان أبو الحسن الأخفش (٢) — رحمه الله — لا يرى القياس عليه .

(١) أنظر ديوان المعاني (٢/١٧٥) قال أبو هلال العسكري : وأخبرنا أبو أحمد قال : سمعت بن يزيد يقول : لو سئلت عن أحسن أبيات تعرفني المرأى لم أختار على أبيات الحريري :

ألم ترني أبنى على الليث بنينة	وأحشى عليه الترب لا أنخشع
وأعددت ذخرا لكل ملامة	وسهم المنايا بالذخائر مولع
وإني وإن أظهرت مني جلادة	وصانعت أعدائي عليه لواقع
ولو شئت أن أبكي دما لبكيتة	عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(٢) هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط ، وهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين ، كان مولى بنى مجاشع بن دارم ، من أهل بلخ ، سكن البصرة ، وقرأ النحو على سيديويه ، وكان أسن منه ، ولم يأخذ عن الخليل ، وكان معتزلياً ، دخل بغداد ، وأقام بها مدة ، وروى وصنف بها ، قال المبرد : أحفظ من أخذ عن سيديويه الأخفش ثم الناشيء ، ثم قطرب ، قال : وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام ، وأحذقهم بالجدل ، صنف الأوساط في النحو ، ومعاني القرآن ، والمقاييس =

فَمَا حَذَفَ الْمُضَافُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
 وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ)^(١) مُحَذَفِ الْمُضَافِ إِلَى يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ^(٢) ،
 وَهُوسُدُّهُمَا ، كَمَا حَذَفِ الْمُضَافُ إِلَى الْقَرْيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)^(٣)
 أَى : أَهْلَ الْقَرْيَةِ^(٤) .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى)^(٥) أَى : حَصَلَةُ
 مِنْ اتَّقَى ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ تَقْدِيرُهُ . وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مَنْ اتَّقَى ، وَالْأُولَى
 أَوْلَى لِأَنَّ حَذْفَ الْمُضَافِ ضَرْبٌ مِنَ الْإِتْسَاعِ ، وَالْخَبْرُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَ الْمَبْتَدَأِ ،
 لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ بِحَذْفِ الْأَعْجَازِ أَوْلَى مِنْهُ بِحَذْفِ الصَّدُورِ .

= فِي النُّحُوِّ وَالْإِشْتِقَاقِ ، وَالْمَسَائِلِ : الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ؛ وَالْعُرُوضُ وَالْقَوَائِدُ فِي
 وَالْأَصْوَاتِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَمَاتَ سَنَةَ ٢١٠ وَقِيلَ ٢١٥ وَقِيلَ ٢٢١ هـ -
 وَأَنْظُرْ بَغِيَةَ الْوَعَاةَ ٢٥٨ .

(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : الْآيَةُ ٩٦ .

(٢) هُمَا اسْمَانِ أَعْجَمِيَانِ بِدَلِيلِ مَنَعِ الصَّرْفِ ، وَهَمْزُهُمَا عَاصِمٌ فَقَطْ ، وَهَمَا
 مِنْ وَلَدِيَاثِ بْنِ نُوحٍ ، أَوْ يَأْجُوجُ مِنَ التَّرْكِ ، وَمَأْجُوجُ مِنَ الْجَلْبِ وَالذَّبْلِ . قَالَ النَّسْفِيُّ فِي
 تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ » قِيلَ :
 كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ ، وَقِيلَ : كَانُوا يَخْرُجُونَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ فَلَا يَتْرَكُونَ شَيْئًا
 أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلُوهُ ، وَلَا يَأْبَسُ إِلَّا أَحْتَمَلُوهُ .. كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السَّلَاحَ ، وَقِيلَ :
 هُمْ عَلَى صَنْفَيْنِ طَوَالَ مَفْرَطُو الطَّوْلِ ، وَقَصَارِ مَفْرَطُو الْقَصْرِ (٢٠ / ٣) .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ : الْآيَةُ ٨٢ .

(٤) عَقَبَ النَّسْفِيُّ عَلَى هَذَا الْآيَةِ بِمَثَلِ مَا عَقَبَ بِهِ ابْنُ الْأَثِيرِ ، قَالَ النَّسْفِيُّ
 (٦٩ / ٣) : أَى فَتَحَ سُدَّهُمَا ، فَحَذَفِ الْمُضَافَ ، كَمَا حَذَفِ الْمُضَافَ إِلَى الْقَرْيَةِ ، وَقَالَ
 فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ قَبِيلَتَانِ مِنْ جَنْسِ الْإِنْسِ ، يُقَالُ : النَّاسُ عَشْرَةٌ
 أَجْزَاءَ ، تِسْعَةٌ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ١٨٩ .

وقد حُذِفَ المضافُ مكرراً في قوله تعالى : (قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَمْرِ
الرَّسُولِ)^(١) أى : من أمر حافرِ فرس الرسول .

وهذا الضربُ أكثر اتساعاً من غيره .

ومما جاء منه شِعْراً قول بعضهم^(٢) من شعراء الحماسة :

إِذَا لَأَقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا^(٣)

هَلْ عَفُو عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسُرَتْ وَأَقْتَطَعُ الصُّدُورًا^(٤)

أراد : أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن والأوغام^(٥) ؛ أى : يزيل

ذلك بإحسانه من عفوه وغيره ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه .

وأما حذف المضاف إليه . فإنه قليل الاستعمال .

(١) سورة طه : الآية ٩٦

(٢) لم ينسبهما أبو تمام في ديوان الحماسة ٢/ ٢٧٣ ، ونقل التبريزي

عن أبي هلال ، أن البيتين لجنامة بن قيس أخى بلعاء بن قيس أحد بني أبي
بكر بن كلاب ، ومن شعرائهم ، وكان رئيساً على قبيلته يوم الفجار
الثاني ، لما قتل أخوه بلعاء بن قيس .

(٣) رواية ديوان الحماسة « كفى قومي » موضع « كفى قوما » ،

وقوله « بصاحبهم » يعنى به نفسه .

(٤) أراد بقوله « أصول الحق » أى ، أصل حتى ، وبقوله « اقتطع

الصدور » أى : آخذ ما سهل مأخذه ، والمعنى : إن سألت عن حقيقتي
فأسألي قومي ، فإنهم أخبر بصاحبهم ، ولو سألتهم عن حسن معاماتي لهم
ورأفتي بهم لأخبروك بأني أتسامح بما يجب لي عليهم من الحقوق ، وآخذ
اليسير منها ، ولا أستقصى في تقاضيها .

(٥) الأوغام جمع وغم ، ومن معانيه المناسبة هنا ، الحرب ،

والثرة ، والحقم الثابت في الصدر .

فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)^(١) أَيْ : مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ وَمِنْ بَعْدِهِ .

وَرَبَّمَا أُدْخِلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَوْ بُوِئِدَ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ)^(٢) قِيلَ : أَرَادَ ظَهَرَ الْأَرْضِ ، مُخَذِّفُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الْمَاءَ وَالْأَلْفَ قَائِمَةٌ مَقَامَ الْأَرْضِ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ « ظَهَرُهَا » يُرِيدُ بِهِ الْأَرْضَ ، لِأَنَّهُ ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَيْهَا .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ جَرِيرٍ^(٣) :

إِذَا أَخَذْتَ قَيْسٌ عَلَيْكَ وَخَذِفٌ
بِأَقْطَارِهَا لَمْ تَدْرِ مِنْ أَيْنَ تَسْرَحُ^(٤)
وَهَذَا لَا يُسَمَّى إِيجَازًا ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْوِيزٌ^(٥) بِالضَّمِيرِ عَنِ الضَّمِيرِ .

(٥) الضرب الخامس : وهو حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الآخر :

وَلَا يَكُونُ اطَّرَادُهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ، وَأَكْثَرُهُ يَجِيءُ فِي الشَّعْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَثْرَتُهُ فِي الشَّعْرِ دُونَ الْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ لِامْتِنَاعِ الْقِيَاسِ فِي اطَّرَادِهِ .

(١) سورة الروم : الآية ٤

(٢) سورة فاطر : الآية ٤٥

(٣) ديوان جرير (١١١) من قصيدة له مطلعها :

أجد رواح القوم أم لا تروح نعم كل من يعنى بجمل مترح

(٤) قيس وخندف قبيلتان . يقول : إذا أخذتا عليك الطرق لم يكن

لك رواح ولا مسرح ، بل تنجحرفلا تظهر . وهذه القصيدة إحدى

نقائضه في هجاء الأخطل . وفي الأصل « بأنظارها » موضع « بأقطارها »

وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان .

(٥) في الأصل « تعريض » - بالراء موضع الواو - وهو تحريف :

فَمَا جَاءَ مِنْهُ فِي الشُّعْرِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ مِنْ أَيْبَاتٍ فِي صِفَةِ إِيْوَانَ كِسْرَى ،
 فَقَالَ فِي ذِكْرِ التَّصَاوِيرِ الَّتِي فِي الْإِيْوَانَ — وَذَلِكَ أَنَّ الْفَرَسَ كَانَتْ تَحَارِبُ
 الرُّومَ فَصَوَّرُوا صُورَةَ مَدِينَةِ «أَنْطَاكِيَّةَ»^(١) فِي الْإِيْوَانَ وَحَرَبَ الرُّومَ وَالْفَرَسَ
 عَلَيْهَا — فَمَّا ذَكَرَهُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٢) :

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَاكِيَّةَ ازْتَنَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفَرَسٍ^(٣)
 وَالْمَنَايَا مَوَائِلَ وَأَنْوَشِيرَ وَأَنْ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرْفَسِ^(٤)
 فِي اخْضِرَّارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةَ وَرْسٍ

قَوْلُهُ « عَلَى أَصْفَرَ » أَي : عَلَى فَرَسٍ أَصْفَرَ ، وَهَذَا مَفْهُومٌ مِنْ قَرْبِنَةِ الْحَالِ ،
 لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ . « عَلَى أَصْفَرَ » عَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ فَرَسًا أَصْفَرَ .

وَالصَّفَةُ تَأْتِي فِي الْكَلَامِ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

(١) إِمَّا لِلتَّأَكِيدِ وَالتَّخْصِيسِ .

(٢) وَإِمَّا لِلدَّحِّ وَالذَّمِّ .

(١) أَنْطَاكِيَّةُ — بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ — مَدِينَةٌ هِيَ قَصْبَةُ
 الْعَوَاصِمِ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، مِنْ أَعْيَانِ الْبِلَادِ وَأَمْهَاتِهَا ، مَوْصُوفَةٌ بِالزَّاهَةِ
 وَالطَّيِّبِ وَالْحَسَنِ وَطَيِّبِ الْهَوَاءِ وَعَذُوبَةِ الْمَاءِ وَكَثْرَةِ الْفَوَاكِهِ ، وَسَعَةِ
 الْخَيْرِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلْبِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .

(٢) دِيْوَانَ الْبَحْتَرِيِّ ١٠٨/١ مِنْ قَصِيدَتِهِ السَّيْنِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

صَنَعْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ

(٣) فِي الدِّيْوَانَ « فَإِذَا » مَوْضِعٌ « وَإِذَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ « يَرْمِي » مَوْضِعٌ « يَزْجِي » وَ« الدَّرْفَسُ » مَوْضِعٌ

الدَّرْفَسُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَمَعْنَى يَزْجِي يَسُوقُ ، وَالدَّرْفَسُ هُوَ الْعِلْمُ
 الْكَبِيرُ . وَمَوَائِلُ قَائِمَاتٌ تَنْتَظِرُ الْعَمَلَ وَقْتَ الْحَرْبِ ، وَأَنْوَشِرُونَ أَحَدَ
 الْأَكَاسِرَةِ .

وكلاهما من مقامات الإسهاب والتطويل ، لامن مقامات الإيجاز والاختصار
وإذا كان الأمر كذلك لم يلقى الحذف به ، هذا مع ما يضاف إليه من
الالتباس وضدّ البيان .

ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بطويل ، لم يبين من هذا اللفظ المرور
به ، إنسان هو أم رُمح ، أم ثوب ، أم غير ذلك .
وإذا كان الأمر على هذا فحذف الموصوف إنما هو شيء قام الدليل عليه ،
أو شهدت به الحال ؛ وإذا استدلّ بهم كان حذفه غير لائق .

ومما يؤكد عندك ضعف حذفه أنك تجد من الصفات مالا يمكن حذف
موصوفه ، وذلك أن تكون الصفة جملة نحو : مررتُ برجلٍ قام أبوه ؛
ولقيتُ غلاماً وجهه حسنٌ . ألا تراك لو قلت : مررتُ بquam أبوه ، ولقيتُ
وجهه حسن ، لم يجز ؟

وقد ورد حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في غير موضع من القرآن
الكريم ، كقوله تعالى : (وَآتَيْنَا مُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) (١) فإنه لم يُرد أن
الناقة كانت مبصرة ، ولم تكن عمياء . وإنما يريد آية مبصرة : حذف
الموصوف ، وأقام الصفة مقامه .

ولقد تأملتُ حذف الموصوف في مواضع كثيرة ، فوجدتُ أكثر
وقوعه في النداء ، وفي المصدر .

أما النداء فكقولهم : يا أيها الظريف ، تقديره : يا أيها الرجل الظريف .

(١) سورة الإسراء . الآية ٥٩ .

وعليه ورد قوله تعالى: (يَأْتِيهَا السَّاحِرُ) (١) تقديره: يَأْتِيهَا الرَّجُلُ السَّاحِرُ .
وكذلك قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (٢) تقديره: يَأْتِيهَا الْقَوْمُ
الَّذِينَ آمَنُوا .

وأما المصدرُ فكقوله تعالى: (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى
اللَّهِ مَتَابًا) (٣) ، تقديره: وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا .

وقد أُقِيمَت الصِّفَةُ السَّيْبِيَّةُ بِالْجُمْلَةِ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ الْمُبْتَدَأِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
(وَأَنَا مِمَّنِ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ) (٤) أَيْ: قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ .

وأما حذفُ الصِّفَةِ وإِقَامَةُ الْمَوْصُوفِ مَقَامَهَا: فَإِنَّهُ أَقْلٌ وَجُوداً مِنْ حَذْفِ
الْمَوْصُوفِ وإِقَامَةِ الصِّفَةِ مَقَامَهُ ، وَلَا يَكَادُ يَبْقَى فِي الْكَلَامِ إِلَّا نَادِرًا ،
لَمَّا كَانَ اسْتِهَامَهُ .

فمن ذلك ما حكاه سيبويه (٥) - رحمه الله - من قولهم: «سِيرَ عَلَيْهِ

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٩ ، وتتمة الآية: (وقالوا يا أيها الساحر ادع
لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) .

(٢) تردد هذا النداء في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم .

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧١

(٤) سورة الجن: الآية ١١

(٥) هو أبو بشر، ويقال أبو الحسن، عمرو بن عثمان بن قنبر امام
البصريين، أصله من البيضاء من أرض فارس، ونشأ بالبصرة، وأخذ عن
الخليل ويونس وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمير، قال أبو عبيدة:
قيل ليونس بعد موت سيبويه: ان سيبويه صنف كتاباً في ألف ورقة من علم
الخليل، فقال ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل؟ جيئوني بكتابه،
فأما رآه قال: يجب أن يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه
عنى. وقال بعضهم: كنت عند الخليل فأقبل سيبويه؛ فقال: مرحباً بذا لا يعمل؛
قال: وما سمعت الخليل يقولها غيره واختلف في وفاته بين ١٨٠ و ١٦١ =

ليل» وهم يريدون : ليلٌ طويل ، وإنما حُذفت الصِّفة في هذا الموضع لما دلَّ من الحال عليه ، وذلك أَنَّهُ يُحْسَنُ في كلام القائل لذلك من التَّطْوِيع والتَّفْخِيم والتَّعْظِيم ما يقومُ مقامَ قوله : طويل ، وأنتَ تحسُّ هذا من نَفْسِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ ، وهو أَن يكونَ في مَدْحِ إنسانٍ والشَّناءِ عليه ، فتقولُ : « كان واللهِ رجلاً » أي : رجلاً فاضلاً ، أو شجاعاً ، أو كريماً ، أو ما جرى هذا الجورَى من الصِّفاتِ . وكذلك تقولُ : « سألتناه فوجدناه إنساناً » أي . إنساناً سمحاً ، أو جواداً ، أو ما أشبهه . فعلى هذا ونحوه تُحذفُ الصِّفةُ ، فأما إن عَرَبَتْ عن الدلالةِ عليها من اللفظِ أو الحالِ فإنَّ حذفها لا يجوزُ .

وقد تأملتُ حذفها فوجدته لا يسوغُ إلا في صفةٍ تقدّمها ما يدلُّ عليها ، أو تأخر عنها ، أو فهمَ ذلك من شيءٍ خارجٍ عنها .

أما الصِّفةُ التي تقدّمها ما يدلُّ عليها ، فقوله تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَآكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)^(١) حذفت الصِّفة ، أي : كان يأخذُ كلَّ سفينةٍ صحيفةً غصباً ، ويدلُّ على المحذوفِ قوله : « فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا » . فإنَّ عَيْبَهُ إِيَابَاهَا لم يُخْرِجْهَا عن كونها سَفِينَةً ، وإنما المأخوذ هو الصَّحِيحُ دُونَ المَعِيبِ ، فحذفت الصِّفةَ هاهُنَا لأنَّه تقدّمها ما يدلُّ عليها .

= و١٨٨ و ١٩٤ : بالبيضاء أو بشرارز ، أو بالذرب ، أو بالبصرة . وقال ابن الجوزي : مات بساوة . ومن أعجب العجب هذا الاختلاف الكثير في وفاة هذا العلم الإمام ! .

(١) سورة الكهف : الآية ٧٩ .

وأما التي تأخر عنها ما يدل عليها فقولُ بعض شعراء الحماسة (١) :

كلُّ امرئٍ سَتَيْمٌ مِنْهُ الْعِرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ (٢)

فإنه أراد كلَّ امرئٍ متزوجٍ ، إذ دلَّ عليه ما بعده من قوله : « ستيمٌ منه » ، « أو منها يتيمٌ » إذ لا تتيمُ هي إلا من زوجٍ ، ولا يتيمٌ هو إلا من زوجة . فجاء بعد الموصوفِ ما دلَّ عليه ، ولولا ذلك لَمَا صحَّ معنى البيت ، إذ ليس كلُّ امرئٍ يتيمٌ من عرسٍ ولا تتيمٌ منه عرسٌ إلا إذا كان متزوجاً .
وأما ما يفهمُ حذفُ الصفةِ فيه من شيءٍ خارجٍ عن الكلامِ فقولُ النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاةَ لجمارِ المسجدِ إلا في المسجدِ » فإنه قد علمَ جوازُ صلاةِ جاريِ المسجدِ في غير هذا المسجدِ من غير هذا الحديثِ ، فعلمَ حينئذٍ أنَّ المرادَ به الفضيلةُ والسكالُ ، وهذا شيءٌ لم يُعلمَ من نفس اللفظِ ، وإنما علمَ من شيءٍ خارجٍ عنه .

(١) هو يزيد بن الحكم الثقفى ، شاعر إسلامى عاصر الفرزدق وجريراً ، ومر عليه الفرزدق ذات يوم وهو ينشد فى المجلس شعراً ، فقال : من هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم ، أشهد الله أن عمى والدته ، وكان شاعر ثقيف فى الإسلام ، والبيت من قصيدة له يعظ فيها ابنه بدراً ، أولها .

يابدر والامثال بض ربها لذى اللب الحكيم

وهى فى ديوان الحماسة (٤١/٢) .

(٢) فى الأصل « ستيمٌ » وهو تحريف ، والتصويب عن ديوان الحماسة (٤٤/٢) والأيم من لا زوج له ، والعرس الزوج ، وتتيم منه تصبح المرأة أيما بموت الزوج وعكسه يتيم منها ، والمعنى أن الموت لا بد منه لكل حى ، وأن نظام الأسرة لا بد أن يفرط عقده .

(٦) الضرب السادس : وهو حذف الشرط وجوابه :

فَأَمَّا حَذْفُ الشَّرْطِ فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي
وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)^(١) .

فالفاء في قوله تعالى : « فاعبدون » جوابُ شرطٍ محذوفٍ ، لأنَّ المعنى :
إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِنَّ لَمْ تَخْلُصُوا إِلَى الْعِبَادَةِ فِي أَرْضٍ فَأَخْلَصُوا هُنَا فِي غَيْرِهَا ،
ثُمَّ حُذِفَ الشَّرْطُ ، وَعَوَّضَ مِنْ حَذْفِهِ تَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ مَعَ إِفَادَةِ تَقْدِيمِهِ مَعْنَى
الِاخْتِصَاصِ وَالِإِخْلَاصِ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى
مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ)^(٢) : أَيْ فَحَلَقَ فَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ .

وَكذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « النَّاسُ مُجْزِئُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ،
وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » أَيْ : إِنْ فَعَلَ الرَّءِيسُ خَيْرًا جُزِيَ خَيْرًا ، وَإِنْ فَعَلَ شَرًّا
جُزِيَ شَرًّا .

وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ حَاءُ قَوْلِهِ تَعَالَى « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ »^(٣) تَقْدِيرُ ذَلِكَ : فَأَفْطَرَ فَعِدَّةً مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٦

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٦

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٤ وفي الأصل « ومن كان منكم . . . »
بالواو بدل الفاء ، وليس كذلك في هذه الآية ، وإنما وردت بالواو في
الآية التالية (١٨٥) في قوله تعالى : « ومن كان مريضاً . . . »

ولهذا ذهب داودُ الظاهريُّ^(١) إلى الأخذِ بظاهر الآية ، ولم ينظرْ إلى حذفِ الشرطِ فأوجبَ القضاءَ على المريضِ والمسافرِ ، سواءَ أفطر أم لم يفطر .
ومن حذفِ الشرطِ قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^(٢) .

اعلم أن هذه الفاء التي في قول الشاعر :

* فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَ *^(٣)

وحقيقتها أنها في جوابِ شرطٍ محذوفٍ يدلُّ عليه الكلامُ كأنه قال :
إن صحَّ ما قلتم إن خراسان أقصى ما يراد بنا ، فقد جئنا خراسان ، وأن لنا
أن مخلص .

وكذلك هذه الآية ، يقول : إن كنتم منكرين للبعث ، فهذا يومُ
البعث ، أي : قد تبين بطلانُ قولكم .

(١) هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، المعروف بالظاهري ، كان زاهداً كثير الورع ، وكان من أكثر الناس تعصبا للامام الشافعي رضي الله عنه ، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين ، وكان صاحب مذهب مستقل ، وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية ، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد ، وكان مولده بالسوفة سنة اثنين ومائتين ، ونشأ ببغداد ، وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة .

(٢) سورة الروم : الآيتان ٥٥ و٥٦ .

(٣) جزء من بيت ، وهو بتمامه :

قالوا : خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القمبول ، فقد جئنا خراسانا

وأما حذفُ جوابِ الشرطِ ، فكفوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَذَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ آتَاكُمْ اللَّهُ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(١) فإنَّ جوابَ الشرطِ هاهنا محذوفٌ ، تقديره : إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ ويدلُّ عَلَى المحذوفِ قوله تعالى : « إِنْ آتَاكُمْ اللَّهُ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » .

(٧) الضرب السابع : وهو حذف القسم وجوابه :

فأما حذفُ القسمِ فنحو قولك : « لأفعلنَّ » أى : واللهِ لأفعلنَّ ، أو غير ذلك من الأقسامِ المحلوفِ بها .

وأما حذفُ جوابه فكفوله تعالى : (وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ)^(٢) .
فجوابُ القسمِ هاهنا محذوفٌ ، تقديره : لِيُعَذِّبَنَّ ، أو نحوه ، ويدلُّ عَلَى ذلك ما بعده من قوله : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ » إلى قوله : « سَوَّطًا عَذَابٍ » .

وتما ينتظم في هذا السلك قوله تعالى : (ق . وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ . بَلْ عَجَّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)^(٣) فإنَّ معناه :

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٠ .

(٢) سورة الفجر : الآيات ١-٨ .

(٣) سورة (ق) : الآيتان ١ و٢ .

ق ، والقرآن المجيد ، لتُبْعَثَنَّ ! والشَّاهدُ على ذلك ما بعده من ذكر البعثِ في قوله : أُنذِرًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (١) .

وقد وردَ هذا الضربُ في القرآن كثيراً ، كقوله تعالى في سورة النَّازِعَاتِ :
(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) (٢) .

جوابُ القسم هاهنا محذوفٌ تقديرُهُ : لتُبْعَثَنَّ ، أو لتُحْشَرَنَّ . ويدلُّ على ذلك ما أتى من بعده من ذكر القيامةِ في قوله : « يومَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ » وكذلك إلى آخر السورة .

(٨) الضرب الثامن : وهو حذف (لو) وجوابها :

وذلك من اللفظِ ضروب الإيجاز وأحسنها .

فأما حذف « لو » فكقوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (٣) .

تقديرُ ذلك : إذ لو كان معه آلهةٌ لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ .

وكذلك وردَ قوله تعالى : (وَمَا كُنْتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِارْتَابِ الْمُبْطِلُونَ) (٤) .

تقديره . إذ لو فعلتَ ذلك لارتابَ المبطلون .

وهذا من أحسن المحذوفات .

(١) سورة (ق) : الآية ٣

(٢) سورة النازعات : الآيات ١ - ٧ .

(٣) سورة (المؤمنون) : ٩١

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٤٨ .

ومما جاء من ذلك شعراً قولُ بعضهم^(١) في صدر الحماسة :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان^(٢)

إذا لقام بنصرى معشر خشن

عند الحفيظة إن ذو لوثه لانا^(٣)

و « لو » في البيت الثاني محذوفة ، لأنها في البيت الأول قد استوفت

جوابها بقوله « لم تستبح إيلي » ثم حذفها في الثاني ، وتقديرُ حذفها : إذ لو كنت منهم لقام بنصرى معشر خشن ، أو : إذ لو كانوا قومي لقام بنصرى معشر خشن .

وأما حذف جواب « لو » فإنه كثير شائع . وذلك كقولك : لو

(١) هو قريظ بن أنيف أحد بني العنبر ، وهو شاعر إسلامي ، قال البغدادي تبعث كتب الشعراء والتراجم ، فلم أظنر له بترجمة . وانظر ديوان الحماسة (١٣ / ١) .

(٢) قوله « بنو اللقيطة » هكذا في شرح الحماسة والشواهد ، وقال أبو محمد الأعرابي : والصواب ما أنشده أبو الندى :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي بنو الشقيقة من ذهل بن شيبان

قال : والشقيقة هي بنت عباد بن يزيد بن عوف بن ذهل بن شيبان ، وأما اللقيطة فهي أم حصن بن حذيفة من بني فزارة ، ولا اتصال لها بذهل بن شيبان ،

(٣) اللوثه اللين مع الضعف ، يقول : لو كنت من هذه القبيلة لما أغار بنو ذهل على إيلي ، ولو كان ذلك لقام بنصرى قوم صعب أشداء ، ينفعون عني ، ويأخذون بحقي ممن اعتدى على إذا لان ذو الضعف ولم يدفع ضيا ، ولم يحم حقيقة .

زُرْتَنَا ، لَوَأْمَتَ بِنَا ، مَعْنَاهُ . لِأَحْسَنَّا إِلَيْكَ ، أَوْ لِأَكْرَمَنَّاكَ ، أَوْ مَا جَرَى
هَذَا الْجَرَى .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا
قُوَّةَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ » (١) .

فَإِنَّ جَوَابَ « لَوْ » هَاهُنَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : لِأَيَّتْ أَمْرًا عَظِيمًا ، وَحَالًا
هَائِلَةً ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، مِمَّا جَرَى بِجَرَاهِ .

وَمِمَّا جَاءَ عَلَى نَحْوِ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُؤْنَ عَنْ
وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ » (٢) .

تَقْدِيرُهُ : لَوْ يَعْلَمُونَ الْوَقْتَ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ ، وَهُوَ وَقْتُ صَعْبٍ شَدِيدٍ
تَحِيطُ بِهِمْ فِيهِ النَّارُ مِنْ وَرَاءِ وَفُتَامَ ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ،
وَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ ، لَمَّا كَانُوا بِتِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ
وَالِاسْتَعْجَالِ ، وَلَكِنْ جَهَلَهُمْ بِهِ هُوَ الَّذِي هُوَ نُهُ عَلَيْهِمْ .

وَمِمَّا جَرَى عَلَى هَذَا النَّهْجِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى
رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٣) .

جَوَابُ « لَوْ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَحْذُوفٌ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَوْ أَنَّ
قُرْآنًا نَسِيْرْتُ بِهِ الْجِبَالَ) (٤) .

(١) سورة سبأ : الآية ٥١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآيات ٣٨ و ٣٩ .

(٣) سورة هود : الآية ٨٠ .

(٤) سورة الرعد : الآية ٣١ .

أى: لو أن لي بكم قوّة لدفتكم ، أو منعتكم ، أو ما أشبهه ، وكذلك قوله : « ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال » لكان هذا القرآن .

وهذا الضربُ من المحذوفاتِ أظهرُ الضروبِ المذكورة ، وأوضحها ، لعلمِ الخطابِ به ، لأنّ قوله تعالى - حكايةً عن لوط عليه السّلام - : « لو أن لي بكم قوّة أو أوى إلى ركنٍ شديدٍ » ، يقسارُ الفهمُ فيه إلى أنّ الكلامَ يحتاجُ إلى جوابٍ .

ومما جاء منه شعراً قولُ أبي تمامٍ في قصيدة البائية^(١) ، التي يمدحُ بها المعتصمَ عند فتحه مدينةَ عموريةَ : (٢) .

لو يعلمُ الكفرُ كم من أعصرُ كمنّت له المرأقبُ بين السمرِ والقضبِ^(٣)
فإنّ هذا محذوفُ الجوابِ ؛ تقديرُه : لو يعلمُ الكفرُ ذلك لأخذَ أهبةَ الحِذارِ ، أو غير ذلك .

واعلم أنّ حذفَ هذا الجوابِ لا يسوغُ في أيِّ موضعٍ كان من الكلامِ ، وإنما يحذفُ ما دلَّ عليه مكانُ المحذوفِ .
ألا ترى أنه قد وردَ في القرآنِ الكريمِ غيرُ محذوفٍ ، كقوله تعالى :

(١) من قصيدته التي أولها :

السيوفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حده الحد بين الجد والعب

(٢) عمورية - بفتح أوله وتشديد ثانيه - بلد ببلاد الروم ، غزاه

المعتصم ففتحها ، وكان من أعظم فتوح الإسلام .

(٣) رواية الديوان « كمنّت له المنية » وفي بعض الروايات « لم يعلم »

مكان « لو يعلم » ، و « خبأت » موضع « كمنّت » والسمر الرماح ، والقضب السيوف .

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ
أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْجُورُونَ (١) .

وهذا ليس كالذي تقدم من الآيات ، لأنَّ تلك علم مكان المحذوف
منها ، وهذه الآية لو حُذِفَ الجوابُ فيها لم يُعلم مكانه ، لأنه يحتملُ وجوهاً ،
منها أن يُقال : لما آمنوا ، أو لطلبوا ما وراء ذلك . وقد تقدّم التولُّ في أوَّل
باب الإيجاز أنه لا بدَّ من دلالة الكلام على المحذوف .

(٩) الضرب التاسع : وهو حذف جواب (لولا) :

فمن ذلك قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ
إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ
أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَبَدْرًا عَنْهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ
كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ (٢)) .

فجواب « لولا » هاهنا محذوف ، تقديره : لما أنزل عليكم هذا الحكم
بطريق التلاعُن ، وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه .

وكذلك ورد قوله تعالى : (إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

(١) سورة الحجر : الآيات ١٤ و ١٥

(٢) سورة النور : الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ .

الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١) .

تقديره : ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب ، أو فعل
بكم كذا وكذا .

(١٠) الضرب العاشر : وهو حذف جواب (لما) وجواب (أما) :

فأما حذفُ جواب (لما) فكقوله تعالى : (فلما أسلما وتلَّهُ لِّلْجَبِينِ *
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ (٢)) .

فإنَّ جوابَ « لَمَّا » هاهنا محذوفٌ ، وتقديره : فلما أسلما وتلَّهُ لِّلْجَبِينِ
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّؤْيَا كَانَ مَا كَانَ مِمَّا يَنْطِقُ بِهِ الْحَالُ ،
ولا يحيطُ به الوصفُ من استبشارِها واعتباطِهما ، وشكرهما على ما أنعمَ به
عليهما من دفعِ البلاءِ العظيمِ بعد حلُوله ، وما أشبهه ذلك ممَّا اكتسبَاهُ بهذه
الحِئنة من عِظَامِ الوصفِ دُنْيَا وَآخِرَةً ، وقوله : « إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »
تعليلٌ لتحويلِ ما خولَهما من الفرحِ والشُّرورِ بعد تلك الشدَّةِ العظيمةِ .

وأما حذفُ جواب (أمَّا) فنحو قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (٣) .

(١١) الضرب الحادي عشر : وهو حذف جواب (اذا) :

فمَّا جاء منه قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ

(١) سورة النور : الآيتان ١٩ و ٢٠ .

(٢) سورة الصافات : الآيات : ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (١).

ألا ترى كيف حذف الجوبُ عن « إذا » في هذا الكلام وهو مذكولٌ عليه بقوله : « إلا كانوا عنها معرضين » كأنه قال : وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ، ثم قال : ودأبهم الإعراضُ عن كل آيةٍ وموعظةٍ .

(١٢) الضرب الثاني عشر : حذف المبتدأ والخبر :

أما حذف المبتدأ فلا يكون إلا مفرداً ، والأحسنُ هو حذف الخبر ، لأنَّ منه ما يأتي جملةً ، كقوله تعالى : (وَاللَّائِي يَتُسَّنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأُنْحَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) (٣) .

وهاهنا قد حذف خبر المبتدأ ، وهو جملةٌ من مبتدأٍ وخبر ، وتقديرها : واللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .

ومما ورد منه شعراً قولُ أبي عُبادة البُحْتَرِيِّ (٣) :

كُلُّ عَذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ أَعْوَزَ الْعَذْرُ مِنْ بَيَاضِ الْعِدَارِ

(١) سورة يس : الآيتان ٤٥ و ٤٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٤ .

(٣) ديوان البُحْتَرِيِّ ٢/ ٢٩ من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ، ويستوهبه غلاماً ، ومطلعها :

أبكاء في الدار بعد الدار وسلوا بزئيب عن نوار

وهذا قد حذف منه خبر المبتدأ ، إلا أنه مفردٌ غيرُ جُملةٍ ، وتقديرُهُ : كلُّ
عذرٍ من كلِّ ذنبٍ مقبولٌ أو مسموعٌ ، أو ما جرى هذا الجرى .

(١٣) الضرب الثالث عشر : وهو حذف (لا) من الكلام وهي مرادة ،
وذلك كقوله تعالى : (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف)^(١) يريدُ به :
لا تفتأ ، أى : لا تزال ، وحذفت « لا » من الكلام ؛ وهي مرادة .

وعلى هذا جاء قولُ امرئ القيس^(٢) :
فقتُ يمينُ الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لذيك وأوصالي
أى : لا أبرحُ قاعداً ، وحذفت « لا » في هذا الموضع ، وهي مرادة .
ومما جاء منه قولُ أبي محجنٍ الثقفي^(٣) لما نهاهُ سعدُ بن

(١) سورة يوسف : الآية ٨٥ .

(٢) من قصيدته التي أولها :

ألا عم صباحاً أيما الظلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
(٣) ذكره ابن دريد في الاشتقاق (٣٠٤) فقال : كان شاعراً فارساً
شجاعاً ، شهيد يوم القادسية ، وكان له فيها بلاء عظيم ، وقد شهد
يومئذ عمرو بن معد يكرب وغيره من فرسان العرب ، فلم يبل أحد بلاءه . وذكره
ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٣٨٧/١) قال : هو من ثقيف ، وكان
مولعاً بالشراب ، مشتهراً به . وذكر ابن سلام أنه أبو محجن بن حبيب
ابن عمرو بن عمير الثقفي ، قال : وأبو محجن رجل شاعر شريف ، وكان قد
غلب عليه الشراب ؛ فضرب فيه مراراً ، ثم حبسه سعد بالقادسية في
القصر معه ، والناس يقتتلون ، فجال المسلمون جولة ، وهو ينظر .
وكان مقيداً يومئذ عند زيد ، أم ولد سعد بن أبي وقاص ، فقال لما :
أطلقني ؛ فلك الله ، لأن فتح الله على المسلمين وسلمت لأرجعن حتى
أضع رجلي في القيد ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد ، فأخذ الرمح ،
فخرج فقاتل ، فحطم المشركين ، وكان سبب الهزيمة (طبقات الشعراء
(٢٢٦)

أبي وقاص (١) - رضى الله عنه - عن شرب الخمر ، وهو إذ ذاك في قتال
الفرس بالقادسية (٢) :

رأيتُ الخمرَ سالحةً وفيها مناقبُ تهلكُ الرجلَ الحليماً
فلا واللهِ أشربها حياتي ولا أستقي بها أبداً نديماً
يريد : لا أشربها ، فحذف « لا » من الكلام ، وهي مفهومة منه .

(١٤) الضرب الرابع عشر : وهو حذف الواو من الكلام واثباتها :

وأحسنُ حذوفها من المعطوف والمعطوف عليه ، وإذا لم يُذكر الحرفُ
المعطوف به كان ذلك بلاغةً وإيجازاً كقول أنس بن مالك (٣) - رضى الله
عنه « كان أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثمَّ يصلُّون ولا يتوضَّئون »
أو قال : ثمَّ يصلُّون لا يتوضَّئون .

(١) اسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبيد مناف بن زهرة بن
كلاب القرشي الزهري ، ويكنى سعد أباً إسحاق ، كان سابع سبعة
في إسلامه ، أسلم بعد ستة . شهد بدرأً والحديبية وسائر المشاهد وهو
أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفى وهو عنهم راض . وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة . وبقيّة
أخباره في « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ٦٠٦ وما بعدها .

(٢) قرية قرب الكوفة من جهة البر ، بينها وبين الكوفة خمسة عشر
فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال عندها كانت الواقعة العظمى
بين المسلمين وفارس قتل فيها أهل فارس وفتحت بلادهم على المسلمين .
(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضحمة بن زيد ، خادم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، يكنى أباً حمزة ، سمى باسم عمه أنس بن النضر ، روى
عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن
عشر سنين ، وتوفى وأنا ابن عشرين سنة ، ومات أنس في الطف على
فرسخين من البصرة سنة إحدى وتسعين .

فقوله : « لا يتوضئون » بحذف الواو أبلغُ في تحقيق عدم الوضوء من قوله :
 « ولا يتوضئون » بإثباتها . كأنه جعل ذلك حالةً لهم لازمة : أى أنها داخلةٌ
 في الجملة ، وليست جملةً خارجةً عن الأولى . لأن واو العطف تُؤذنُ بانفراد
 المعطوف عن المعطوف عليه . وإذا حُذفتُ في مثل هذا الموضع صارَ المعطوف
 والمعطوفُ عليه جملةً واحدةً .

وقد جاء مثلُ ذلك في القرآن الكريم ، وذلك أنه يُذكرُ مجملٌ من
 القول كلُّ واحدةٍ منها مُستقلةٌ بنفسها ، ثم تُسرَدُ سرِّداً بغير عطفٍ . كقوله
 تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
 خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ
 أَكْبَرُ) (١) .

تقديرُ هذا الكلام : لا يألونكم خبالاً ، ودُّوا ما عنيتكم ، وقد بدتِ
 البغضاء من أفواههم ، فلما حُذفت الواوُ جاء الكلامُ أوجزَ وأحسنَ طلاوةً ،
 وأبلغَ تأليفاً ونظماً .

وأمثاله في القرآن الكريم كثيرٌ .

* * *

واعلم أنه قد حُذفت الواوُ وأثبتت في مواضع :
 فأما إثباتها فنحو قوله تعالى : (وَمَا أَهْلَكُنَا مِن قَوْمِنَا إِلَّا وَلَمَّا كَتَبَ
 مَعْلُومٌ) (٢) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٨

(٢) سورة الحجر : الآية ٤ .

وَأَمَّا حَذْفُهَا فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا أَهْلَكُنَا مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) (١) .

وعلى هذا فلا يجوزُ حذفُ الواو وإثباتها في كلِّ موضعٍ ، وإنما يجوزُ ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين .

ولنبينَ لك في ذلك رسماً تَدَّبُّعُهُ فنقول :

أعلمُ أنَّ كلَّ اسمٍ نكرةٍ جاء خبره بعدَ إلاَّ يجوزُ إثباتُ الواو في خبره وحذفها ، كقولك : مارأيتُ رجلاً إلاَّ وعليه ثيابٌ ، وإن شئتَ قلتَ إلاَّ عليه ثيابٌ ، بغيرِ واوٍ ، فإن كان الذي يقعُ على النكرة ناقصاً فلا يكونُ إلاَّ بحذفِ الواو ، نحو قولك : ما أظنُّ درهماً إلاَّ هوَ كافيك ، ولا يجوزُ « إلاَّ وهو كافيك » بالواو لأنَّ الظنَّ يحتاجُ إلى شيئين ، فلا يُعترضُ فيه بالواو ، لأنَّه بصيرٌ كالمكتفى من الأفعال باسمٍ واحدٍ .

وكذلك جوابُ ظننتُ ، وكان ، وإن ، وأشباهها ، نخطأُ أن نقول : إنَّ رجلاً وهو قائمٌ ، ونحو ذلك .

ويجوزُ هذا في « ليس » خاصَّةً ، تقول : ليسَ أحدٌ إلاَّ وهو قائمٌ . لأنَّ الكلامَ يتوهمُ تمامه بليسَ وبحرفِ ونكرةٍ ، ألا ترى أنك تقولُ : ليسَ أحدٌ ، وما من أحدٍ ، فجازَ فيها إثباتُ الواو ، ولم يجرِ في « أظنُّ » لأنك لا تقولُ : ما أظنُّ أحداً ، فأما « أصبح » و « أمسى » و « رأى » فإنَّ الواوَ فيهنَّ أسهلٌ ؛ لأنهنَّ توأمٌ في حالٍ ، و « كان » و « أظنُّ » ونحوهما بُنِينَ عَلَى النَّقْصِ ، إلاَّ إذا كانت [كان] تامَّةً .

(١) سورة الشعراء : الآية ٢٠٨ .

وكذلك « لا » في التَّنْزِيهِ وغيرها ، نحو لا رَجُلَ ، وما مِنْ رَجُلٍ ،
فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها .

واعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز القياس عليه ،
كقول بعضهم (١) .

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ سَبَبًا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ (٢)

قوله . « سَبَبًا الْكَتَّانِ » يريد : سَبَابًا الْكَتَّانِ (٣) .

(١) هو علقمة بن عبدة ، علقمة الفحل ، من قصيدته التي أولها :
هي ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ تأتلك اليوم مصروم
والقصيدة في شعراء النصرانية ٤٩٨ .

(٢) في الأصل «مقدم» وهي رواية شعراء النصرانية (٥٠١) بالقاف
موضع «مقدم» والمقدم الذي جعل الفدام على فيه ، وهو خرقة تجعل في فم
الإبريق ، والشرف المكان العالي المشرف .

(٣) هذا عيب من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن عند قدامة بن جعفر
سماه (التثليم) قال : وهو أن يأتي الشاعر بالألفاظ يقصر عنها العروض ،
فيضطر إلى ثلمها والتقص منها مثال قول أمية بن أبي الصلت :

ما أرى من يعينني في حياتي غير نفسي لإلأبني لإسرا
وقول علقمة بن عبدة :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ سَبَبًا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ
أراد «سبائب الكتان» فحذف للعروض .

وقال لبيد بن ربيعة : * درس المنا بمتالع فأبان *

أراد بالمنا « المنازل » وانظر «نقد الشعر» لقدامة ١٣٦ طبعة ليدن ،
والطبعة الثانية ٢٩٩ من كتاب «قدامة بن جعفر والنقد الأدبي» للدكتور
بدوى طبانه . والسبائب جمع سببية ، وهي الشقة من النسيج ، أو البيضاء
خاصة .

وكذلك قول الآخر .

يُذَرِّينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ ، إِجْنُوبِهَا فَكَاثِمًا تَذُكِي سَنَابِكُهَا الْحُبَا (١)
فهذا وأمثاله ممَّا يقْبَحُ ولا يَحْسُنُ ، وإنْ كَانَتِ الْعَرَبُ قَدْ اسْتَعْمَلَتْهُ فَإِنَّهُ
لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَسْتَعْمِلَهُ .

* * *

أما القسم الثاني من الإيجاز فهو ما لا يحذف منه الشيء :
وذلك ضربان :

أحدهما : ما ساوى لفظه معناه (٢) ، ويسمى (التقدير) .

والآخر : ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى (الإيجاز بالقصر) .

فأما (الإيجاز بالتقدير) فإنه الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه
وفي عدتها .

وأما الإيجاز بالقصر . فإنه ينقسم قسمين :

أحدهما : ما دلّ لفظه على احتمالات متعدّدة ، وهذا يمكن التعبير عنه بمثل
ألفاظه وفي عدتها ، والآخر : ما يدلّ لفظه على احتمالات متعدّدة ، ولا يمكن
التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ؛ لا ، بل يستحيل ذلك .

(١) في الأصل « بدر بن جندل حائر » وهو تحريف والتصويب عن
لسان العرب في مادة - ح ب ح ب والضمير في « يذرين » للخيل ،
والجندل الصخر . والحبا أراد به الحياحب ، وهو رجل من بني محارب بن
خصفة : ضرب بناره المثل لأنه كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان
فقلوا « نارالحياحب » .

(٢) ليس هذا من الإيجاز عند جمهور البلاغيين ، وإنما هو قسم
برأسه ، يسمونه « المساواة » .

الضرب الأول : الإيجاز بالتقدير :

ولنورد الآن الضرب الأول الذى هو (الإيجاز بالتقدير) :
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَىِّ شَيْءٍ
خَلَقَهُ * مِنْ نُطْقِهِ خَلَقَهُ قَدْرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ
إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) (١) .

فقوله : « قَتَلَ الْإِنْسَانَ » دُعَاءٌ عَلَيْهِ ، وقوله : « مَا أَكْفَرَهُ » تَعْجِبٌ
من إفراطه في كفران نعمة الله عليه .

ولا نرى أسلوباً أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ، ولا أخشن مساً ، ولا
أدَلَّ على سُخْطٍ ، مع تقارب طرفية ، ولا أجمعَ لِلْإِمَّةِ على قِصَرِ مَتْنِهِ !
ثمَّ إِنَّهُ أَخَذَ فِي صِفَةِ حَالِهِ مِنْ ابْتِدَاءِ حُدُوثِهِ إِلَى مُنْتَهَى زَمَانِهِ ، فَقَالَ :
« مِنْ أَىِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ » ؟ .

ثمَّ بَيَّنَّ الشَّيْءَ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ : « مِنْ نُطْقِهِ خَلَقَهُ قَدْرَهُ » أَى :
هَيَّاهُ لِمَا يَصْلَحُ لَهُ .

« ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ » أَى : سَهَّلَ سَبِيلَهُ ، وَهُوَ مَخْرَجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ،
أَوْ السَّبِيلَ الَّذِي يَخْتَارُ سَلُوكَهُ مِنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى ، لِأَنَّهُ تَالٍ
لِخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ تَيْسِيرُ سَبِيلِهِ لِمَا يَخْتَارُهُ مِنْ طَرِيقِ
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

« ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ » أَى : جَعَلَهُ ذَا قَبْرِ يُوَارَى فِيهِ .

« ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ » أَى : أَحْيَاهُ .

(١) سورة عبس : الآيات ١٧ - ٢٣ .

« كلاً » . ردع للإنسان عما هو عليه .

« لما يقض ما أمره » أى لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به ، يعنى أن إنساناً لم يخلُ من تقصير قط .

ألا ترى إلى هذا الكلام الذى لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك ، لأنك كنت تذهبُ بجزءٍ من معناه ؟ .

والإيجاز هو ألا يمكنك أن تستط شيئا من ألفاظه^(١) .

والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرةٌ ، كقوله تعالى : (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ)^(٢) .

فقوله : « فله ما سلف » من جوامع الكلم ، ومعناه أن خطاياها الماضية قد غفرت له . وتاب الله عليه فيها ، إلا أن قوله : (فله ما سلف) أبلغ ، أى أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه إنما هو له .

وكذلك ورد قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ)^(٣) .

ف (عليه كفره) كلمة جامعةٌ ، تُغنى عن ذكر ضروبٍ من العذاب ، لأن من أحاط به كفره فقد أحاطت به كلُّ خطيئة .

وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٤) .

(١) أى من ألفاظ هذا الكلام

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٣٩ .

(٤) سورة النحل : الآية ٩٠ .

فهذه الآية من جوامع الآيات الواردة في القرآن الكريم .
 وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَهَا عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ :
 يَا بَنَ أَخِي ، أَعِدَّهُ ، فَأَعَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَتَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ لَهُ
 لِحِلَاوَةَ ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمَشْعِرٌ ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمَغْدِقٌ ، وَمَا هُوَ
 بِقَوْلِ الْبَشَرِ .

ومن هذا النحو قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَاتَوَسُّوسًا
 بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ
 الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *
 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
 ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي
 غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (١) .

وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دلت على تخويف وإرهاب ،
 ترق له القلوب ، وتشعر منه الجلود ، وهي مُشتملة على قصرها على حال
 الإنسان منذ خلقه إلى حين حشره وحشر غيره من الناس ، وتصوير ذلك الأمر
 الفظيع في أسهل لفظ وأقربه ، وما مررت عليها إلا جددت لي موعظة ،
 وأحدثت عندي إيقاظاً .

ومن هذا الضرب ، وَرَدَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعَائِهِ لِأَبِي سَلَمَةَ (٢)

(١) سورة (ق) : الآيات ١٦-٢٢ .

(٢) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن محزوم القرشي
 المخزومي . اسمه عبد الله بن عبد الأسد . وأمه برة بنت عبد المطلب بن
 هاشم ، كان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبي أمية إلى أرض الحبشة ثم
 شهد بدرًا بعد أن هاجر الهجرةتين . وجرح يوم أحد جرحاً اندمل ثم انتفض
 فمات منه . وذلك ثلاث ماضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة ،
 وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته .

عند موته ، فقال : « اللهم ارفع درجته في المهتدين ، واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله يارب العالمين » .

وهذا دعاء جامع بين الإيجاز وبين مناسبة الحال التي وقع فيها ، فأوله مفتتحٌ بالمهم الذي يفتقر إليه المدعو له في تلك الحال ، وهو رفع درجته في الآخرة ، وثانيه مُردفٌ بالمهم الذي يؤثبه المدعو له من صلاح حل عقبه من بعده في الدنيا ، وثالثه مُختتمٌ بالجمع بين الداعي والمدعو له .

وهذا من الإيجاز البليغ الذي هو طباقٌ ما قصد له .

وكلامُ النبي صلى الله عليه وسلم كله هكذا ، كما قال : « أوتيتُ جوامعَ الكلم » .

وكذلك وردَ قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ ، فإنه قال : « هذا يومٌ له ما بعده » وهو شبيهٌ بقوله تعالى : (فله ما سلف) .

ولما جرح عمرُ بنُ الخطاب — رضى الله عنه — الجراحةَ التي مات بها اجتمع إليه الناسُ ، فجاءه شابٌّ من الأنصار ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله ، لك من محبة رسول الله وقدِم في الإسلام ما علمت ، ووُلِّيتَ فعدلتَ ، ثمَّ شهادةً .

وهذا كلامٌ سديدٌ ، قد حوى المعنى المقصودَ ، وأتى به في أوجز لفظٍ وأحسنه ، ومع ما فيه من الإيجاز فإنه مُستغرب ، وسببُ استغرابه أنه جعل المساءة بُشرى ، وأخرجها نَحْرَجَ السرَّة ، وتلطف في ذلك فأبلغ ، ولو أراد الكاتبُ البليغُ والخطيبُ المصنِّعُ أن يأتي بذلك على هذا الوجه لأعوزه .

ومن هذا النمط ما كتبه طاهر بن الحسين^(١) إلى المأمون^(٢) عند لقائه
[علي بن عيسى بن ماهان^(٣) وهزيمه إياه ، وقتله ، فكتب إليه : « كتابي
إلى أمير المؤمنين ، ورأس [علي بن عيسى بن ماهان^(٣) بن يدي ، وخاتمه
في يدي ، وعسكرة مصرف تحت أمري ، والسلام »^(٤) .

وهذا من الكتب المختصرة التي حوت الغرض المطول ، وما يكتب في
هذا المقام مثله .

(١) كان جده رزيق بن هامان ، مولى طلحة الطلحات الخزاعي المشهور
بالكرم والجلود المفرط ، وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون ، وسيره من
مروكرسى خراسان لما كان المأمون ، بها إلى محاربة أخيه الأمين ببغداد
لما خلع الأمير بيعته ، وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع
طاهر عنه ، فتواقعا ، وقتل علي في المعركة ومولد طاهر سنة تسع وخمسين
ومائة وتوفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع
ومائتين بمدينة مرو .

(٢) ويروى أنه كتب بهذا الكتاب إلى الفضل بن سهل أول وزراء
المأمون .

(٣) في الأصل « عيسى بن ماهان » والصحيح ما ذكرناه .

(٤) ويروى أن نص الكتاب إلى الفضل بن سهل « أطل الله بقاءك ،
وكبت أعدائك وجعل من يشنك فداك ، كتبت إليك ورأس علي
ابن عيسى في حجري وخاتمه في يدي ، والحمد لله رب العالمين » فلما
وصل الكتاب إلى الفضل نهض ، فسلم على المأمون بأمر المؤمنين ،
وأمد طاهرا بالرجال والقواد وسماه « ذا اليمينين وصاحب حبل الدين »

ولما ارسل المهلبُ بنُ أبي صُفْرة (١) أبا الحسن المدائني (٢) إلى الحجّاج بن يوسف يخبره أخبارَ الأزارقة كلّه كلاماً موجزاً كالذي نحنُ بصدد ذكره هاهنا. وذلك أن الحجّاج سأله ، فقال : كيف تركت المهلبُ ؟ فقال : أدرك ماأمّل ، وأمن ممّا خاف .

فقال : كيف هو جُنْدُه ؟ . قال : والدُّرُوفُ .

قال : كيف جُنْدُه له ؟ قال : أولادُ بررة .

قال : كيف رضاهم عنه ؟ . قال : وسِعَهُمْ بفضله ، وأغناهم بعدله (٣) .

قال . كيف تصنعون إذا لقيتم العدوَّ ؟ (٤) قال : نلتاقهم بجِدِّنا [فنقطعُ

(١) عمل المهلب لبني أمية ، وحارب عنهم الأزارقة ، وآخر ماتولى من الأعمال بلاد خراسان ، تولاها من جهة الحجاج يوم كان له العراقان وما زال عليهما حتى توفي سنة ٨٣ هـ ، وهو من كبار رجال الإسلام في تلك الدولة ، وقد اشتهر هو وآله بالكرم والشجاعة .

(٢) اختلط الأمر على ابن الأثير ، فإن المهلب لم يرسل أبا الحسن المدائني ، وإنما أرسل مالك بن بشير ، وأبو الحسن المدائني إنما هو رواية هذا الخبر فقط ، والصحيح ما ذكره صاحب العقد (١/١٢٢) أن أبا الحسن المدائني قال : لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطرى بن الفجامة صاحب الأزارقة بعث إلى مالك بن بشير ، فقال له : إني موفدك إلى الحجاج - فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير ، قال : ملك وبشارة ! كيف تركت المهلب ؟ . . . »

(٣) رواية العقد الفريد (١/١٢٢) : « وسعهم ، بالفضل وأقنعهم بالعدل » .

(٤) وفي العقد : « إذا لقيتم عدوكم » .

فيهم [(١)] وبتقوننا بجدهم [فيطمعون فينا] (١) قال : كذلك الجد إذا
لقي الجد .

[قال : فما حال قطري ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه .

قال : فما منعكم من اتباعه ، قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه] (١) .

قال : فأخبرني عن بني المهلب ، قال . هم أخلاس (٢) القتال بالليل ،
حماة السرح (٤) بالتهار .

قال : أيهم أفضل (٥) [قال : ذلك إلى أبيهم .

قال : لتقولن] (١) .

قال : هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها (٦) .

فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله هو الكلام الفصل الذي ليس
بمصنوع (٧) .

* * *

(١) زيادة عن العقد الفريد

(٢) في العقد « ولد المهلب » موضع « بني المهلب » .

(٣) في العقد « أعداء القتال » موضع « أخلاس القتال » .

(٤) في الأصل « السرح » بالجم المعجمة ، وهو تصحيف ، والسرح
هو المسال السائم من الأنعام ، ويروى : كانوا حماة السرح تهارا فإذا
أيلوا ففرسان البيات » .

(٥) وفي رواية : فأيمهم كان أنجد ؟

(٦) ويروى : « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها »

(٧) رواية العقد : « فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام

المطبووع لا الكلام المصنوع »

وقد وردَ في الأخبارِ النبويةِ من هذا الضربِ شيءٌ كثيرٌ ، وسأوردُ منه
أمثلةً يسيرةً .

فمن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : « الحلالُ بينٌ ، والحرامُ بينٌ ،
وبينَهُما أمورٌ متشابهاتٌ » :

وهذا الحديثُ من أجمع الأحاديثِ للعماني الكثيرةِ ، وذلكَ أنه يشتملُ
على جُلِّ الأحكامِ الشرعيَّةِ ، فإنَّ الحلالَ والحرامَ إما أن يكونَ الحكمُ فيهما
بيناً لا خلافَ فيه بين العلماءِ ؛ وإما أن يكونَ خافياً يتجاذبهُ وجوهُ التاويلاتِ ،
فكلُّ منهُم يذهبُ فيهُ مذهباً

وكذلك جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « الأعمالُ بالنيَّاتِ ، وإِنَّمَا لِكُلِّ
أمرٍ ما نوى » .

فإنَّ هذا الحديثَ أيضاً من جوامع الأحاديثِ للأحكامِ الشرعيَّةِ .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم . « المُضْعِفُ أميرُ الرِّكْبِ » . وقد
وردَ آخرُ هذا الحديثِ بلفظٍ آخر . فقال صلى الله عليه وسلم : « سيرُوا بسيرِ
أضعفكم » ، إلاَّ أن الأولَ أحسنُ ، لأنه أبلغُ معنَى ، فإنَّ الأميرَ واجبُ
الحكمِ ، فهو يُدَّبَعُ . وإذا كان المُضْعِفُ أميرَ الرِّكْبِ كانوا مؤتمرين له في
سيرهم ونزولهم ، وهذا المعنى لا يوجدُ في قوله « سيرُوا بسيرِ أضعفكم » ،

وأحسنُ من هذا كله ما وردَ عنه صلى الله عليه وسلم في حديثٍ مطوَّلٍ
يتضمَّنُ سؤالَ جبريلَ عليه السلام ، فقال من جملتهِ : « ما الإحسانُ » . قال :
« أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فقوله « تعبد الله كأنك تراه » من جوامع الكلامِ ، لأنه ينبوُ منابَ
كلامٍ كثيرٍ ، كأنه قالَ : تعبد الله مخلصاً في نيَّتِكَ ، وافقاً عندَ أدبِ الطاعةِ

من الخضوع والخشوع ، أخذاً أهبة الحذر ، وأشباه ذلك ، لأنَّ العبد إذا خدَمَ مولاهُ ناظراً إليه استتقى في آداب الخدمة بكلِّ ما يجدُ إليه السبيل ، وما ينتهى إليه الطوقُ .

ومما أطربني من ذلك حديثُ الحديبية ، وهو أنَّه جاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ^(١) إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقالَ له : إني تركتُ كعبَ بنَ لؤيِّ بنِ عامرِ بنِ لؤيِّ معهمُ العوذُ^(٢) المطافيلُ^(٣) ، وهم مقاتلوك وصادوك ، عن البيتِ « فقالَ له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ قَرِيشًا قد نهكتهمُ الحربُ ، فإن شاءوا ماددناهم مُدَّةً ، ويدعوا بيني وبينَ الناسِ ، فإن أظهر عليهم وأحسبوا أن يدخلوا فيما دخلَ فيه الناسُ ، وإلا كانوا قد جمَّعوا ، وإن أبوا فوالذي نفسى بيده لا أقاتلهمُ على أمرى هذا ، حتى تنفردَ سألتي هذه ، ولينفذنَّ الله أمره . »

وهذا الحديثُ من جوامعِ الكليمِ ، وهو من النصيحةِ والبلاغةِ على غايةٍ لا ينتهى إليها وصفُ الواصفِ .

* * *

(١) هو بدليل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعى ، أسلم يوم فتح مكة هو وابنه عبد الله بن بدليل وحكيم بن حزام بمر الظهران ، وقيل أسلم قبل الفتح ، وذكر ابن إسحاق أن قريشا يوم فتح مكة لجئوا إلى دار بدليل بن ورقاء الخزاعى ودار مولاه رافع « وشهد بدليل وابنه عبد الله حنيننا والطائف وتبوك .

(٢) العوذ الحديثات النتاج من الطباء وكل أنشئ .

(٣) المطافيل جمع مطفل يقال طفنانا لبنا تطفيلا إذا كان معها أولادها ، فرفقنا بها فى السير ، هذا هو الأصل ، والمطفل ذات الطفل .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ شِعْراً فَقَوْلُ النَّابِغَةِ (١) :

وَإِنَّكَ (٢) كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

وَتَخْصِيصُهُ الدَّيْلَ دُونَ النَّهَارِ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ !

وَكذَلِكَ قَوْلُهُ (٣) :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَحْأَ لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ

وعلى هذا الأسلوب ورد قول الأعشى في اعتذاره إلى أوس بن لام عن

هيجائه إياه :

وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي لِنَادِمٌ وَإِنِّي إِلَى أَوْسِ بْنِ لَامٍ لَتَائِبٌ

وَإِنِّي إِلَى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ عِذْرَتِي وَيَصْفَحَ عَنِّي مَا حَيَّيْتُ لِرَاغِبٌ

فَهَبْ لِي حَيَاتِي ، فَالْحَيَاةُ لِقَائِمٌ بِشُكْرِكَ فِيهَا خَيْرٌ مَا أَنْتَ وَاهِبٌ

سَأَخْجُو بِمَدْحِ فَيْكِ إِذْ أَنَا صَادِقٌ كِتَابَ هِجَاءِ سَارٍ إِذْ أَنَا كَاذِبٌ

(١) ديوان النابغة - من مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب - ٥٥ من قصيدة له في مدح النعمان بن المنذر ، والاعتذار إليه ، وهجاء مرة بن ربيعة لما قذف عليه عند النعمان ، ومطلعها :

عفا ذو حساً من فرتنى فالقوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

(٢) رواية الديوان « فإنك » بالفاء .

(٣) المصدر السابق ١٤ من قصيدة له أولها :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التي أهتم منها وأنصب

وهذا من المعانى الشريفة فى الألفاظ الخفيفة ، وهو من طناناث
الأعشى المشهورة .

وعلى نحو منه جاء قول الفرزدق (١) :
صَبَحْنَا هُمُ الشُّعَثَ الجِيَادَ كَأَنَّهَا قَطَا هَيْجَتَهُ يَوْمَ رِيحِ أَجَادِلِهِ (٢)
إلى كلِّ حَيٍّ قَدْ خَطَبْنَا بِنَاتِهِمْ بَارِعَنَ جَرَّارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلِهِ (٣)
إِذَا مَا التَّقِينَا نَكَحَّتْنَا رِمَاحُنَا مِنْ القَوْمِ أَبْكَارًا كَرَامًا عَقَائِلِهِ (٤)
وَإِنَّا لَمَنَاعُونَ تَحْتَ لَوَائِنَا حِمَانًا إِذَا مَا عَادَ بِالسَّيْفِ حَامِلِهِ

وهذا من محاسن مايجىء فى هذا الباب .

ومما يجرى هذا الجرى قول جرير (٥) :

(١) شرح ديوان الفرزدق ٧٣٦/٢ والنقائض ٦٢٩ الطبعة أوربا
من قصيدة فى هجاء جرير وأرلها :

سمونا لنجران اليماني وأهله ونجران أرض لم تديث مقاوله
وهى إحدى نقائضه وقد نقضها عليه جرير بقوله :

ألم تر أن الجهل أقصر باطله وأمسى عماء قد تجلت مخايله
(٢) رواية الديوان والنقائض :

صبحناهم الجرد والحياد كأنها قطا أفزعته يوم ظل أجادله
والأجادل جمع الأجدل وهو الصقر .

(٣) رواية الديوان للشطر الثانى :

* بارعن مثل الطود جم صواهله *

(٤) رواية الديوان « من الحى » موضع « من القوم »

(٥) ديوان جرير ٤٦٢ والنقائض ١/١٤٤ « طبع مصر » وهى من

قصيدة له فى هجاء البعث والفرزدق ، مطلعها :

عوجى علينا وأربعى ربة البغل ولا تقنلبنى لا يحل لكم قتلى

وهى نقيضة لقصيدة البعث التى أولها :

لهاج عليك الشوق أطلال دمنة بناصفة الجوين أوجانب الهجل

تَعَمَّى رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ مَنِيَّتِي وَمَا ذَادَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ زَائِدٌ مِثْلِي ^(١)
 فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جَهْلِهِمْ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي ^(٢)
 وكذلك ورد قوله متغزلاً ، وهو من محاسن أقواله ^(٣) .

سَرَّتِ الْمُهْمُومُ فَبِشْنَ غَيْرَ نِيَامٍ وَأَخُو الْمُهْمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ
 ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنزَلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْأَقْوَامِ
 وَلَقَدْ أَرَاكَ وَأَنْتَ جَامِعَةُ الْهُوَى أَثْنِي ^(٤) بِمَهْدِكَ خَيْرَ دَارٍ مَقَامِ
 طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ فَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ ^(٥) فَارْجِعِي بِسَلَامِ
 تُجْرِي السَّوَاكَ عَلَى أُغْرَى كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مَتُونِ نَعَامِ
 لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي حَدَّثْتَنَا لَوْ صَلَّتِ ذَاكَ فَكَانَ خَيْرَ زِمَامِ ^(٦)
 وَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلِي فِي مَوْكِبٍ ^(٧) طَرَفِ الْحَدِيثِ كِرَامِ

(١) رواية الديوان « لى الردى » موضع « منيتى » .
 (٢) فى الأصل « مثلى » موضع « جهلى » والتصويب عن الديوان
 والنقائض
 (٣) ديوان جرير ٥٥١ والنقائض ٢٥٦/١ وهى نقيضة قصيدة
 الفرزدق التى أولها :

عنى المنازل آخر الأيام قطر ومور واختلاف نعام

(٤) رواية الديوان « نبى » بالنون .

(٥) رواية الديوان « وليس ذا وقت الزيارة » .

(٦) فى الأصل « خير زمام » وفى الديوان « غير زمام » ، وإذا

كان لنا أن نفضل آثرنا رواية ابن الأثير ، لاتصال معنى الكلام ،
 ولذلك أبقيناها ، ورواية الموشح (١٦٧) توافق رواية الديوان .

(٧) رواية الديوان « فى فتية » ويروى الشطر الثانى أيضاً :

* فى فتية طرفى لحديث كرام *

لَوْلَا مُرَاقِبَةُ الْعُيُونِ أُرِينَا حَدَقَ الْمَهَا (١) وَسَوَالِفَ الْأَرَامِ
وَإِذَا صَرَفْنَا عُيُونَهُنَّ بِنَظَرَةٍ نَفَذَتْ نَوَافِذُهَا بِغَيْرِ سِهَامِ
هَلْ تَنْفَعَنَّكَ إِنْ قَتَلْنَا مُرْقَشًا (٢) أَوْ مَا فَهَانَ بِعُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ (٣)
وَحَلَاوَةُ هَذَا الْكَلَامِ أَحْسَنُ مِنْ إِجْجَازِهِ ، وَلَقَدْ أَعْوَزَ غَيْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ ،
حَتَّى أَقْرَأَ بِأَعْوَاذِهِ .

(١) رواية الديوان « أريننا مقل المهيا » وهى أجود ، لمناسبة ما بعدها فى الإخبار عن جماعة الإناث .

(٢) المرقش الأكبر ، هو عوف ، وقيل عمرو بن سعد من مالك ابن بكر بن وائل ، وهو عم ربيعة بن سفيان المعروف بالمرقش الأصغر والمرقش لقب غلب عليه لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقص فى ظهر الأديم قلم

وكان للمرقشين جميعا موقع فى بكر بن وائل وفى حروبها مع بني تغلب ، وبأس وشجاعة ونجدة ، وللمرقش الأكبر شعر حسن ، وهو يعد من أهل الطبقة الأولى فى الشعر ، وكان بنو بكر يدعون التقدم له ولعمرو بن قميثة ، إلا أن شعره قابل ، تولت عليه يد الضياع ، مات نحو سنة ٥٥٢ م ، ودفن فى أرض مراد . وسائر أخباره فى « شعراء النصرانية » ٢٨٢ .

(٣) يروى « ابن حذام » و « ابن حمام » و « ابن خذام » .
روى محمد بن سلام الجمحى (طبقات فحول الشعراء ٣٣) قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل الخميل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

قال ابن سلام : « وهو رجل من طيء ، لم يسمع شعره الذى بكى فيه ، ولا شعر ذكر فيه ، غير هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس » .

ومن باب الإيجاز الذي يسمّى « التقدير » قولُ عليّ بن جبّلة .

وما لامرئٍ حاولتهُ عنك مهربٌ ولو حَمَلتهُ في السَّماءِ المطالعُ
بلى هاربٌ ما يهتدى لمكانهٍ ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصُّبحِ ساطعُ

فهذا هو الكلامُ الذي ألفاظه وفاقُ معانيه ، فإنه قد اشتمل على مدح رجلٍ بشمول مُلكه وعموم سُلطانه ، وأنه لا مهربَ عنه إن يحاوله ، وإن صعد السماءُ ، ثم ذكر جميع المهاربِ في المشارق والمغربِ ، وأشار إلى أنه يبلغُ الظلام والضياء . وذلك مما تزدُّ عبارته على المعنى المندرج تحته ، ولا قصرته عنه .

ومن هذا الضربِ قولُ أبو نواسٍ (١) ، وهو من نادر ما يأتي في

هذا الموضع :

وَدَارِ نَدَامِي عَطَّلُوهَا وَأَدْجَلُوهَا بِهَا أَثْرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مَنْ جَرَّ الزَّقَاقَ عَلَى التَّرِي وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ (٢) جَنِيٌّ وَيَابِسُ
حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدُهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسُ
تُدَارُ (٣) عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجَدِيَّةٍ حَبَبْتُهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ

(١) ديوان أبي نواس ٢٩٥ وهي إحدى خمرياته .

(٢) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من جلد يحمل فيه الماء ونحوه ، والأضغاث جمع ضغث ، وهو القبضة من الحشيش ، وجنى جنى لساعته .

(٣) في الديوان « تدور » وقبل هذا البيت بيتان أغفلهما ابن

الأثير ، وهما :

ولم أدر منهم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يوم الترحل خامس
والبسابس - جمع بسبس بالفتح - وهو القفر .

قرارتها (١) كسرى وفي جنباتها مها تدرّيتها (٢) بالقسي الفوارس
فلراح (٣) ما زرت عليه جيوها (٤) وللماء ما دارت عليه القلائس

ومما انتهى إلى من أخبار ابن المزرع (٥) قال : سمعتُ الجاحظ يقول :
لا أعرفُ شعراً يفضّل هذه الأبيات التي لأبي نواس ، ولقد أنشدتها أبا شعيب
القال ، فقال : والله يا أبا عثمان ، إن هذا هو الشعر ، ولو قرأ لطن ، فقلتُ له :
ويحك ! ما تفارقُ عملَ الجرارِ والخزف ! .

ولعمري إن الجاحظ عرفَ فوصف ، وخبرَ فشكر ، والذي ذكره

هو الحق .

(١) في الأصل « قرارها » وهو تحريف ، والصواب عن الديوان .

(٢) أدرى الصيد ختله ، وادرى غفلته بمعنى تحينها .

(٣) رواية الديوان : « فللخسر » .

(٤) رواية الديوان : « جيوهم » ، والضمير عائد على الفوارس

في البيت قبله ، والمرد صورهم المرسومة على جنبات الكئوس .

(٥) هو يمرت بن المزرع بن موسى بن سيار العبدي ، من عبد

قيس البصرى ابن أخت أبي عثمان الجاحظ ، نحوى أديب راوية ،

ذكره الزبيدي في نحاة في مصر ، أخذ عن أبي عثمان المازني وأبي

حاتم السجستاني وعبد الرحمن بن أخي الاصمعي ونصر بن علي الجهضمي

وكان من مشايخ العلم والشعر ، أخبارياً حسن الآداب ، دخل بغداد ،

ومات بطبرية ، وقيل بدمشق سنة ثلاث أو أربع وثلاثمائة ، وكان له

ولد يقال : له مهلهل بن يموت .

وعلى هذا الأسلوب جاء قولُ أبي تمام (١) :

إنَّ القوافيَ والمسايميَ لم تزلْ مثل النُّظام (٢) إذا أصابَ فريداً
هيَ جوهرٌ نثرٌ فإنَّ ألقتهُ بالشعر صارَ قلائداً وَعُوداً
في كلِّ مُعتركٍ وكلِّ مقامةٍ يأخذن منه ذمّةً وَعُوداً
فإذا القصائدُ لم تكنْ خُفراءَها لم ترضَ منها مشهداً مشهوداً
من أجل ذلك كانتِ العربُ الأولى يدعون هذا سُودداً محدوداً
وَتندُّ عندهم العُلا إلا عُلاً جُعِلت لها مررَ القريض (٣) قيوداً

الضرب الثاني : الإيجاز بالقصر :

وأما الضربُ الثاني : وهو الإيجاز بالقصر : فإنَّ القرآنَ الكريمَ ملآنٌ منه
وقد تقدّم القولُ أنَّه قسمان (٤) :

أحدهما : ما يدل على احتمالات متعددة :

فمن ذلك قوله تعالى (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ
لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى * فَأَنْبِئِهِمْ فرِعُونَ
بِجُنُودِهِ فَفَشَّيْهِمْ مِنْ أَلِيمٍ مَا غَشَّيْهِمْ * وَأَضَلَّ فرِعُونَ قَوْمَهُ
وَمَا هَدَى (٥) .

(١) ديوان أبي تمام ٩٠ من قصيدة له في مدح خالد بن يزيد
الشبلي ، مطلعها :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئي بذلك شهيدا

(٢) رواية الديوان « الجمان » .

(٣) رواية الديوان « مرر القصيد » والمرر الحبال المحبكمة .

(٤) أنظر صفحة ٣٣٣ من هذا القسم .

(٥) سورة طه : الآيات ٧٧ و٧٨ و٧٩ .

فقوله : « فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ » من جوامع الكلم التي يستدلُّ على قَلَّتْهَا بِالْعَائِيِ الْكَثِيرَةِ ، أَى : غَشِيَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الْهَائِلَةِ وَالْخَطُوبِ الْفَادِحَةِ مَا لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَحِيطُ بِهِ غَيْرُهُ .

ومن هذا الصَّربِ قوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (١) .

فجمع في الآية جميع مكارم الأخلاق ، لأنَّ في الأمرِ بالمعروفِ صلةَ الرَّحِمِ ومنع اللسان عن الغيبة ، وعن الكذب ، وعن غَضِّ الطَّرْفِ عن المحرِّمات ، وغير ذلك . وفي الإعراض عن الجاهلين الصَّبر ، والحلم ، وغيرهما ،

وقال بعضُ الأعراب في دُعائه : « اللَّهُمَّ هَبْ لِي حَقِّكَ ، وَأَرْضَ عَنِّي خَلْقَكَ » ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هذا هو البلاغة » .

ومن ذلك قوله عزَّ وجلَّ : (أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) (٢) .

فإنَّه دخل تحت الأمن جميعُ المحبوباتِ ، وذلك أنَّه نفى به أن يخافوا شيئاً من الفقرِ ، والموتِ ، وزوالِ النعمة ، ونزولِ النِّقمة ، وغير ذلك من أصنافِ المكروه .

وأشبههُ هذا في القرآن الكريم كثيرةٌ ، فهو يكثرُ في بعض الصُّور ويقولُ في بعض قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ شَاءَ يَرْتَعْ فِي الرِّيَاضِ الْأَنْائِقِ فَعَلَيْهِ بِأَلْحَمَّ » .

ومن ذلك قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « انْخَرَجُ بِالضَّمَانِ » وذلكَ أنَّ رجلاً اشترى عبداً ، فأقامَ عنده مُدَّةً ، ثمَّ وجد به عيباً ، فغاصمَ البائعَ إلى

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه ، فقال : يا رسول الله ، إنه استغَلَ غُلَايَ ، فقال : « الخراجُ بالضمان » . ومعنى قَوْلِهِ « الخراجُ بالضمان » أن الرجل إذا اشترى عبداً فاستغله ، ثم وجد به عيباً دلّسه عليه البائع فله أن يردّه ، ويسترجع الثمن جميعه ، ولو مات العبدُ أو أبقَ أو سرقه سارقٌ ، كان في مال المشتري ، وضمانه عليه ، وإذا كان ضمانه عليه فخرأجه له ، أى له ما تحصل من أجره عمله .

وأما ماوردَ شعراً ؛ فقولُ السَّمَوَيْلِ بنِ عاديا الغَسَّانِي (١) من جملة أبياته اللامية المشهورة (٢) ، وذلك قوله منها :

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَجْمَلْ عَلَى النَّفْسِ ضِيمَهَا فإيسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

فإنَّ هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها من سماحة ، وشجاعة ، وعفة ، وتواضع ، وحلم ، وصبر ، وغير ذلك ، فإن هذه الأخلاق كلّها من ضيم النفس ، لأنها تجمد بمحملها ضيماً ، أى مشقة وعناء .

وقد تقدّم القول أن الإيجاز بالقصر يكون فيما تضمّن لفظه محتملات كثيرة . وهذا البيت من ذلك القبيل ، ولا أعلم أن شاعراً قديماً ولا حديثاً أتى بمثله ، وقد أخذهُ أبو تمام ، فأحسنَ في أخذه ، وهو :

وَظَلَمْتَ نَفْسَكَ طَالِباً إِنْصَافِهَا فمَجِيتُ مِنْ مَظْلُومَةٍ لَمْ تُظَلِّمْ

(١) هو السموعل بن غريص بن عاديا ، والناس يدرجون غريصاً في النسب ، وينسبونه إلى عاديا جده ، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيما . والسموعل يضرب به المثل في الوفاء ، لأنه أسلم ابنه ، ولم يخن أمانته في أذراع أودعها عنده امرؤ القيس .

(٢) ديوان الحماسة ١/ ٣٦ وأولها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فأز في بيته هذا بالمقابلة بين الضَّالِّين في الظُّلم والإِنصاف ، ثمَّ قال :
« فعجبتُ من مظلومةٍ لم تظلم » . وهذا أحسن من الأوَّل .

ومعنى قوله « ظلمتَ نفسك طالباً إِنْصافها » أى : أنك أكرهتها على
مشاقِّ الأمور ، وإذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ، ثمَّ إنك مع ظلمك إيَّها قد
أنصفتها ، لأنك جلبت إليها أشياءَ حسنةً تُكسبها ذكراً جميلاً ، ومجداً مؤثلاً ،
فأنت مُنصفٌ لها في صورة ظالم .

وكذلك قوله :

* فعجبتُ من مظلومةٍ لم تظلم *

أى : أنك ظلمتها ، وما ظلمتها ، لأن ظلمك إيَّها أدى إلى ما هو
جميلٌ حسنٌ .

وهذا القدر في الأمثلة كافٍ في هذا الباب .

* * *

القسم الآخر من الضرب الثاني ، فى الإيجاز بالقصر :

وهو الذى لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظٍ أخرى مثلها ، وفى عدتها ،
وهو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً ، وأعوزها إمكاناً ، وإذا وُجد فى كلام بعض
البلغاء فإنما يوجد شاذاً نادراً .

فإن ذلك ماورد فى القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (ولكم فى القصص
حياةٌ)^(١) .

فإن قوله تعالى : « القصص حياة » لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظٍ

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٩ .

كثيرة ، لأن معناه أنه إذا قُتِلَ القاتِلُ امتنع غيره عن القتل ، فأوجب ذلك حياة للناس .

ولا يلتفتُ إلى ماوردَ عن العربِ من قولهم : « القتلُ أنفى للقتل » .
فإن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية ، وليس كذلك ، بل بينهما فرقٌ من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن « القصاص حياة » لفظتان ، و « القتل أنفى للقتل »
ثلاثة ألفاظ .

الوجه الثاني : أن في قولهم « القتل أنفى للقتل » تكريراً ليس في الآية .

الوجه الثالث : أنه ليس كلُّ قتلٍ نافيًا للقتل ، إلا إذا كان على حكم
القصاص^(١) .

(١) قال أبو هلال العسكري : والإيجاز : القصر والحذف ، فالقصر
تقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، وهو قول الله عز وجل : « ولكم في
القصاص حياة » ويتبين فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب
في معناه ، وهو قولهم « القتل أنفى للقتل » فصار لفظ القرآن فوق هذا
القول ، لزيادته عليه في الفائدة ، وهو إبانة العدل المذكور القصاص ،
وذكر العوض المرغوب فيه لذكر الحياة ، واستدعاء الرغبة والرغبة
لحكم الله به ، ولإيجازه في العبارة ، فإن الذى هو نظير قولهم « القتل
أنفى للقتل » إنما هو « القصاص حياة » وهذا أقل حروفاً من ذلك ،
ولبعده من الكلفة بالتكرير ، وهو قولهم « القتل أنفى للقتل » ولفظ
القرآن برىء من ذلك . وبجس التأليف ، وشدة التلاؤم المدرك
بالجس ، لأن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام
إلى الهمزة (وانظر الصناعتين ١٧٥) .

وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب في بعض بيت من شعره ، فقال (١) :

وَأَخَافِكُمْ كِي تُفْعِدُوا أَسْيَافِكُمْ إِنَّ الدَّمَ الْمُعْتَرِ (٢) يَحْرُسُهُ الدَّمُ
فقوله : « إِنَّ الدَّمَ الْمُعْتَرِ (٢) يَحْرُسُهُ الدَّمُ » . أحسن مما ورد عن العرب من قولهم : « القتل أنفى للقتل » ،

ويروى عن معن بن زائدة (٣) أنه سأله أبو جعفر المنصور ، فقال له : أيما أحب إليك : دولتنا أو دولة بني أمية ، فقال : ذاك إليك ! .

فقوله « ذاك إليك » من الإيجاز بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظ كثيرة ، لأن معنى قوله « ذاك إليك » ، وهو لفظتان ، أنه إن زاد إحسانك على إحسان بني أمية ، فأنتم أحب إلى ، وهذه عشرة ألفاظ .

فإن قيل : كيف لا يمكن التعبير عن ألفاظ بألفاظ أخرى مثلها وفي

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٤ من قصيدة له في ملح مالك بن طوق ، مطلعها :
أرض مصردة وأخرى تشجم تلك التى رزقت وأخرى تحرم
والمصردة التى لا تنال من السقى إلا قليلا ، وتشجم تمطر على الدوام .
(٢) فى الأصل « المغرب » والتصويب عن الديوان ، ومعنى المعتبر المضطرب .

(٣) هو معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان فى أيام بني أمية متنفلا فى الولايات ، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ماجرى من محاصرة واسط أبلى معن مع يزيد بلاء حسناً ، فلما قتل يزيد هرب معن خوفاً من المنصور . ثم دخل معن فى شعبة المنصور ، وصار من خواصه ، وقتل معن بسجستان إذ كان والياً عليها سنة ١٥٢ هـ .

عدتها ، وفي المترادف من الألفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك ، فإنه إذا قيل :
« راح » ثم قيل : « مُدَامَة » . أو « سُلَاقَة » . كان ذلك سواء ، وقامت هذه
اللفظة مقام هذه اللفظة .

قلت في الجواب : ليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض .
ألا ترى أن لفظة « القصاص » لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ، ولما عبّر
عنها بالقتل في قول العرب « القتلُ أنفى للقتل » ظهر الفرق بين ذلك وبين
الآية في قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » ، فالذي أردته أنا إنما هو
الكلام الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها ، وفي عدتها ، فإن
كان كذلك ، وإلا كان داخلا في هذا القسم المشار إليه .

النوع السادس عشر

في الإطناب

هذا النوع من الكلام أنعمت النظر فيه ، وفي التكرير ، وفي التطويل ،
فلكنتي حيرة الشبه بينها طويلاً ، وكنت في ذلك كعمربن الخطاب — رضى
الله عنه — في الكلالة ، حيث قال : قد أعيانى أمر الكلالة (١) ، وكنت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كثيراً ؛ حتى ضرب في صدري ، وقال :
« ألا يكفيك آية الصَّيْف » ؟ .

(١) الكلالة من لا ولد له ولا والد ، وما لم يكن من النسب لحا ، أو
من تكلم نسبه بنسب كابن العم وشبهه ، أو هي الأخوة للأم ، أو بنو
العم الأبعد ، أو ما خلا الوالد والولد ، أو هي من العصبية من ورث معه
الأخوة للأم ، ولهم أحكام يرجع إليهما في قواعد الميراث .

وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذى هو (الإطناب) وجدته (١)
 ضرباً من ضروب التأكيد التى يؤتى بها فى الكلام قصداً للمبالغة . ألا ترى
 أنه ضرب مفرد من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره ؟ لأن من التأكيد ما يتعمق
 بالتقديم والتأخير ، كاستقديم المفعول ، وبالعراض ، كالعراض بين القسم
 وجوابه ، وبين المعطوف والمعطوف عليه ، وأشباه ذلك ، وسيأتى الكلام
 عليه فى باب .

وهذا الضرب الذى هو الإطناب ليس كذلك .

اختلاف علماء البيان فى الإطناب :

ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه ؛ فمنهم من ألقه بالتطويل الذى هو
 ضد الإيجاز (٢) ، وهو عنده قسم غيره ، فأخطأ من حيث لا يدري ، كأبى هلال
 العسكري والغامى ، حتى إنه قال : إن كتب الفتوح وما جرى مجراها مما
 يُقرأ على عوام الناس ينبغى أن تكون مطولة مطبناً فيها (٣) .

وهذا القول فاسدٌ ، لأنه إن عنى بذلك أنها تكون ذات معانٍ متعددة

(١) فى الأصل « وجدت » من غير الضمير ، والسياق يقتضيه .
 (٢) يفرق أبو هلال بين الإطناب والتطويل ، فالإطناب عنده بلاغة ،
 والتطويل عى ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ، والإطناب
 بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة (وانظر الصناعتين ١٩١) .
 (٣) عبارة أبى هلال فى الصناعتين ١٩٠ : « ولاشك فى أن الكتب
 الصادرة عن السلاطين فى الأمور الجسيمة ، والفتوح الجليلية ، وتفخيم
 النعم الحادثة ، والترغيب فى الطاعة ، والنهي عن المعصية ، سبيلها أن
 تكون مشبعة مستقصاة ، تملأ الصدور ، وتأخذ بمجامع القلوب « ولا نرى
 تناقضاً بين تفريقه بين الإطناب والتطويل ، ورأيه فى إشباع هذه الكتب
 واستقصائها بما يدل على الإطناب .

قد استُقصِيَ فيها شرحُ تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلمٌ ، وإن عني بذلك أنها تكون مكررة المعاني ، مطولة الألفاظ ، قصداً لإفهام العامة ؛ فهذا غيرُ مسلمٍ ، وهو مما لا يذهبُ إليه من عنده أدنى معرفةٍ بعلم الفصاحة والبلاغة .
ويكفي في بطلانه كتاب الله تعالى ، فإنه لم يُجمَعَلْ لخواصِّ الناس فقط ، وإنما جُمِلَ لعوامهم وخواصهم ؛ وأكثره ، لا بل جميعه مفهوم الألفاظ للعوام ، إلا كلمات معدودة ، وهي التي تسمَّى « غريب القرآن » . وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى المختصة بالألفاظ (١) .

وعلى هذا فينبغي أن تكون الكتبُ جميعها مما يقرأ على عوامِّ الناس وخواصهم ذات ألفاظٍ سهلةٍ مفهومةٍ ، وكذلك الأشعار والخطبُ ، ومن ذهب إلى غير ذلك فإنه بنجوةٍ عن هذا الفن .

وعلى هذا فإن الإطناب لا يختصُّ به عوامُّ الناس ، وإنما هو لخواصِّ ، كما هو للعوام .

وسأبين حقيقته في كتابي هذا ، وأحقق القول فيه ، بحيث تزول الشبهة التي خبط أرباب علم البيان من أجلها ، وقالوا أقوالاً لا تعربُ عن فائدة .

حقيقة معنى الإطناب :

والذي عندى فيه أنه إذا رجعنا إلى الأسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسباً لمسامه ، وهو في أصل اللغنة مأخوذٌ من أطنب في الشيء ، إذا بالغ فيه ، ويقال : أطنبت الرِّيح ، إذا اشتدت في هبوبها ، وأطنب في السير ، إذا اشتدَّ فيه .

(١) انظر تفصيل رأى ابن الأثير في هذا في صفحة ٢٢٧ وما بعدها من القسم الأول من هذا الكتاب .

وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مُسمّاه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني ، وهذا لا يختصُّ بنوع واحدٍ من أنواع علم البيان ، وإنما يوجد فيها جميعها ، إذ ما من نوع منها إلا ويمكنُ المبالغة فيه .

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يُقرَد هذا النوع من بينها ، ولا يتحقق إفراده إلا بذكر حدّه الدالُّ على حقيقته .

حد الاطناب :

والذي يُحدُّ به أن يقال : هو زيادةُ اللفظ على المعنى لفائدةٍ .

فهذا حدّه الذي يميزُه عن (التطويل) . إذ التطويلُ هو زيادةُ اللفظ عن المعنى لغير فائدة (١) .

(١) وعند البلاغيين أن (التطويل) هو أن يزيد اللفظ على أصل المراد لالفائدة ، ولا يكون اللفظ الزائد متعينا كقول عدى بن زيد العبادي :
فقدت الأديم اراشيه وأنى قولها كذبا ومينا
فإن الزائد هو «كذباً» أو «مينا» ولا يتعين أحدهما للزيادة ولا يرجح .
فإن كانت الزيادة متعينة اختص ذلك باسم (الحشو) وهو زيادة معينة لالفائدة كقول أبي الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لو لا لقاء شعوب
فإن لفظ «الندى» فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لو لا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يخاد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف الباذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله . وقد يكون الحشو غير مفسد للمعنى كقول الشاعر :

ذكرت أحيى فعاودنى صداع الرأس والوصب

فإن لفظ الرأس حشولا فائدة فيه ، لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس وليس بمفسد للمعنى ، وفي هذا وغيره أقوال يرجع إليها في موسوعات البلاغة .

وأما (التكريرُ) فإنه دلالة للفظ على المعنى مردداً ، كقولك لمن تُستدعيه ؛
أسرعُ أسرع ، فإنَّ المعنى مرددٌ ، واللفظ واحد .

وسيردُ بيان ذلك مفصّلاً في بابه بعد باب الإطناب ، لأنّي ذكرتُ الإيجاز ،
ثمَّ الإطنابَ ، ثمَّ التكريرَ ، وهي أبوابٌ يتبعُ بعضها بعضاً .

وإذا كان (التكريرُ) هو إيرادُ المعنى مردداً فمنه ما يأتي لفائدةٍ ، ومنه
ما يأتي لغير فائدةٍ .

فأما الذي يأتي لفائدةٍ فإنه جزءٌ من الإطناب . وهو أخصُّ منه ، فيقال
حينئذٍ : إنَّ كلَّ تكريرٍ يأتي لفائدةٍ فهو إطنابٌ ، وليس كلُّ إطنابٍ تكريراً
يأتي لفائدةٍ ، وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدةٍ فإنه جزءٌ من التطويل ،
وهو أخصُّ منه ، فيقال حينئذٍ : إنَّ كلَّ تكريرٍ يأتي لغير فائدةٍ تطويلٌ ،
وليس كلُّ تطويلٍ تكريراً يأتي لغير فائدةٍ .

وكنتم قدّمتُ القول في باب الإيجاز بأنَّ الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى
من غير زيادةٍ عليه .

وإذا تقرّرتْ هذه الحدودُ الثلاثة المشارُ إليها فإنَّ مثالَ الإيجاز والإطناب
والتطويل مثالُ مقصدٍ يسلكُ إليه في ثلاثة طرقٍ : فالإيجاز هو أقربُ الطرقِ
الثلاثة إليه ، والإطنابُ والتطويلُ هي الطريقتان المتساويتان في البعدِ إليه ،
إلا أنَّ طريقَ الإطنابِ تشتملُ على منزهِ من المنازه لا يوجدُ في طريقِ
التطويل^(١) ، وسيأتي بيان ذلك بضربِ الأمثلةِ التي تُسهّلُ من معرفته .

(١) هذا هو تمثيل أبي هلال ، وقد سبقَت الإشارةُ إلى شيء من

كلامه في الهامش (٢) من صفحة (٣٥٥) .

والإطنابُ يوجد تارةً في الجملة الواحدة من الكلام ، ويوجد تارةً في
الجل المتعدّدة .

والذي يوجد في الجمل المتعدّدة أبلغ ، لا تُساع المجال في إيرادها .
وعلى هذا فإنه بجملته ينقسم قسمين :

(١) القسم الأول : الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام :
وهو يرد حقيقةً ومجازاً .

أمّا الحقيقةُ فمثل قولهم : رأيتُه بعيني ، وقبضته بيدي ، ووطنتهُ بقدمي ،
وذقتهُ بفي ، وكلُّ هذا يظنُّ الظانُّ أنه زيادةٌ لأحاجة إليها ، ويقول إن الرويةُ
لا تكون إلا بالعين ، والقبض لا يكون إلا باليد ، والوطء لا يكون إلا بالقدم ،
والذوق لا يكون إلا بالفم ، وليس الأمر كذلك ، بل هذا يُقالُ في كلِّ شيءٍ
يعظمُ مناله ، ويعزُّ الوصولُ إليه ، فيؤكِّد الأمر فيه على هذا الوجه ، دلالةً على
نيله والحصول عليه ، كقول أبي عبادة البحرى (١) :

تأملُ من خلالِ السَّجْفِ وانظُرْ بعَيْنِكَ ما شَرِبْتُ ومن سَقَانِي (٢)
تجدُ شمسُ الضُّحَا تَدُنُوا بِشَمْسٍ إِلَى مِنَ الرَّحِيقِ الخُسْرُوَانِي
ولمَّا كانَ الحُضُورُ في هذا المجلسِ مما يعرُّ وجودُه ، وكان السَّقَانِي فيه
على هذه الصفة من الحسن ، قال : انظرْ بعَيْنِكَ .

(١) ديوان البحرى ١ / ٩٢ من قصيدة له في مدح المعترف بالله ، ومطلعها :

رويدك إن شانك غير شاني وقصرك لست طاعة من نهاني

(٢) السجف - بفتح السين وكسرهما - الستر ، والسجف الستران

المقرونان بينهما فرجة ، أو كل باب ستر بسترين مقرونين فكُل شق
سجف - وفي الديوان :

* تأمل من خلال الشك فانظر *

وعلى هذا وردَ قوله تعالى: (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ (١)).

فإنَّ هذا القولَ لما كان فيه افتراءً عظمَ اللهُ تعالى على قائله :

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (٢).

فصرَّحَ في هذه الآيةِ بما أشرتُ إليه من تعظيمِ الأمرِ المقولِ .

وفي مساقِ الآيةِ المشارِ إليها جاءَ قوله تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٣)).

أَلَا تَرَى أَنَّ مَسَاقَ الْكَلَامِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ لِرَوْجَتِهِ: «أَنْتِ عَلَيَّ كظَهْرِ أُمِّي» وَيَقُولُ لِمَمْلُوكِهِ: «يَا بُنَيَّ» فَضَرَبَ اللَّهُ لَذَلِكَ مَثَلًا، فَقَالَ: كَيْفَ تَكُونُ الزَّوْجَةُ أُمًَّا؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَمْلُوكُ ابْنًا؟ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الزَّوْجِيَّةِ وَالْأُمُومَةِ وَبَيْنَ الْعِبُودِيَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَالْجَمْعِ بَيْنَ الْقَلْبَيْنِ فِي الْجَوْفِ؛ وَهَذَا تَعْظِيمٌ لِمَا قَالُوهُ، وَإِنْكَارٌ لَهُ، وَلَمَّا كَانَ الْكَلَامُ فِي حَالِ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْظِيمِ أَتَى بِذِكْرِ الْجَوْفِ، وَإِلَّا فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْجَوْفِ، وَالتَّمْثِيلُ يَصِحُّ بِقَوْلِهِ: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ» وَهُوَ تَامٌ،

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤ .

(٢) سورة النور: الآية ١٥ .

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤ .

لكن في ذكر الجوف فائدة ، وهي ما أشرت إليها ، وفيها أيضاً زيادةُ تصوير
للمعنى المقصودُ ، لأنه إذا سمه المخاطب به صور لنفسه جوقاً يشتمل على قلبين ،
فكان ذلك أسرع إلى إنكاره .

وعليه وردَ قوله تعالى : (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ)^(١) .
فكما أن القلب لا يكون إلا في الجوف فكذلك السقف لا يكون
إلا من فوق ، وهذا مقامُ ترهيبٍ وتخويفٍ ، كما أن ذاك مقامُ إنكارٍ
وتعظيمٍ .

ألا ترى إلى هذه الآية بكاملها ، وهي قوله تعالى : (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)^(١) ، ولذكر لفظه « فَوْقِهِمْ » ، فائدةٌ
لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام ، وأنت تُحسّرُ هنا من نفسك ، فإنك
إذا تلوت هذه الآية يُخَيِّلُ إليك أن سقفاً خرَّ على أولئك من فوقهم ، وحصلَ
في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة .

وفي القرآن الكريم من هذا النوع كثيرٌ كقوله تعالى : (فَإِذَا نَفِخَ
فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً
وَاحِدَةً)^(٢) .

وقوله : (أفرأيتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)^(٣) .

(١) سورة النحل : الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحاقة : الآيتان ١٣ و ١٤ .

(٣) سورة النجم : الآيتان ١٩ و ٢٠ .

وكلُّ هذه الآياتِ إنما أُظنِبَ فيها بالتأْكِيدِ لِعانِ اقتضَتْها ، فإنَّ
النَّفْخَ في الصُّورِ الذي تقومُ به الأمواتُ من القُبُورِ مهولٌ عظيمٌ ، دَلٌّ على
القدرةِ الباهرةِ ، وكذلك حملُ الأرضِ والجبالِ .

فلما كانا بهذه الصِّفةِ قيلَ فيهما : « نَفْخَةٌ واحدة » و « دَكَّةٌ واحدة » .
أى أن هذا الأمرَ المهولَ العظيمَ سهلٌ يسيرٌ على الله تعالى ، يفعلُ ويمضى الأمرَ فيه
بنفخةٍ واحدةٍ ، ودكَّةٍ واحدةٍ ، ولا يحتاجُ فيه إلى طولِ مدَّةٍ ، ولا كلفةٍ مشمَّةٍ .
فجىءَ بذكرِ الواحدةِ لتأْكِيدِ الأعلامِ بأنَّ ذلكَ هينٌ سهلٌ على عِظَمِهِ .
وهذه المواضعُ وأمثالها تردُّ في القرآنِ الكريمِ ، ويتوهَّمُ بعضُ الناسِ
أنها تردُّ لغيرِ فائدةٍ اقتضَتْها . وليس الأمرُ كذلكَ ، فإنَّ هذه الأُمُراتُ البلاغيةُ
لا يتنبه لها إلا العارفون بها ، وهكذا يردُّ ما يردُّ منها في كلامِ العربِ .

وهاهنا نكتةٌ لا بدَّ من الإشارةِ إليها : وذلكَ أنِّي نظرتُ في قوله تعالى :
« نفخةٍ واحدة » و « دَكَّةٌ واحدة » وفي قوله تعالى : « وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى »
فوجدتُ ذلكَ غيرَ مقيسٍ على ما تقدَّم ، وسأبيِّنُه ببيانٍ شافٍ ، فأقول :

إنَّ قوله تعالى : « وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى » إنما جىءَ به لتوازنِ الفِقرِ
التي نُظمتِ السُّورةُ كلها عليها وهي : « وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى » ولو قيل :
« أفرأيتُمُ اللَّاتَ والعُزَّى وَمَنَاةَ » ولم يقل « الثَّالِثَةَ الأُخْرَى » لكانَ
الكلامُ عارياً عن الطلاوةِ والحُسْنِ . وكذلك لو قيل : ومناة الأُخْرَى من
غيرِ أن يقال « الثَّالِثَةَ » لأنَّه نقصٌ في الفِقرةِ الثَّانيةِ عن الأولى ، وذلكَ كَبَيْحٍ ،
وقد تقدَّم الكلامُ عليه في بابِ السَّجْعِ (١) ، لكنَّ التأْكِيدَ في هذه الآيةِ
جاء ضمناً لتوازنِ الفِقرِ وتبعاً .

(١) انظر صفحة (٣٣٣) وما بعدها من القسمِ الأولِ من هذا الكتابِ ،
لترى تقسيمَ المؤلِّفِ للسَّجْعِ ، وما يستحسن من أقسامه .

وأما « نفخةٌ واحدةٌ » و « دَكَّةٌ واحدةٌ » فإنما جيء بلفظ الواحدة فيهما - وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة - لمكان نظم الكلام ، لأن السورة التي هي « الحاقّة » جارية على هذا المنهاج في توازنها السجمي ، ولوقيل : « نفخة » - من غير واحدة - و « دَكَّة » - من غير واحدة - ثم قيل بعدها : « فيومئذٍ وقعت الواقعة » لمكان الكلام منشوراً^(١) محتاجاً إلى تمام . لكن التأكيّد جاء فيهما ضمناً وتبعاً .

وإذا تبين ذلك وأتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى : « ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه » ظاهرٌ ، وذلك أن « نفخة » هي واحدة ، و « مناة » هي الثالثة .

وأما ما جاء منه على سبيل الجواز ، فقوله تعالى : « فإنها لا تعى الأبصارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »^(٢) .

فائدة ذكر « الصدور » ها هنا أنه قد تُعورف وُعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب تشبيه ومثل ، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ، ونفيه عن الأبصار ، احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ، ليتقرر أن مكان العمى إنما هو القلوب ، لا الأبصار .

وهذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه ، وافرة لطائفه ، والمجاز فيه أحسن من الحقيقة ، لمكان زيادة التصوير في إثبات وصف الحقيقي للمجازي ونفيه عن الحقيقي .

(١) أى من غير مراعاة للتوازن ، ومعنى « محتاجاً إلى تمام » أى :

إلى تمام يكمل به التوازن .

(٢) سورة الحج : الآية ٤٦ .

(٢) ولما القسم الثاني المختص بالجميل ، فإنه يشتمل على ضروب أربعة :

(١) الأول منها : أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة ، إلا أن

كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر :

وذلك كقول أبي تمام (١) :

قَطَعَتْ إِلَى الزَّابِيَيْنِ هِسْبَاتَهُ وَالتَّائِثَ مَأْمُولِ السَّحَابِ الْمُسْبِلِ (٢)

مِنْ مِئْتَةِ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بَعْكَرٍ وَإِحْسَانٍ أَعْرَ مَحْجَلٍ

فقوله « مِئْتَةِ مَشْهُورَةٍ ، وَصَنِيعَةٍ بَعْكَرٍ ، وَإِحْسَانٍ أَعْرَ مَحْجَلٍ » تداخلت معانيه ، إذ المِئْتَةُ ، والصَنِيعَةُ ، والإِحْسَانُ ، متقاربٌ بعضُهُ مِنْ بعضٍ ، وليس ذلك بتكريرٍ ، لأنه لو اقتصر على قوله : مِئْتَةُ ، وَصَنِيعَةُ ، وَإِحْسَانُ ، لجاز أن يكون تكريراً ، ولكنه وصف كلَّ واحدةٍ من هذه الثلاثِ بصفةٍ أخرجتها عن حُكْمِ التكريرِ ، فقال : « مِئْتَةُ مَشْهُورَةٍ » ، فوصفها بالاشتهارِ لعظم شأنها ، و« صَنِيعَةُ بَعْكَرٍ » ، فوصفها بالبكارةِ ، أى : أنها لم يُؤْتِ بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلِ ، و« إِحْسَانٍ أَعْرَ مَحْجَلٍ » ، فوصفه بالفرةِ والتَّحْجِيلِ ، أى هو ذُو مُحَاسِنٍ مَتَعَدِّدَةٍ ، فلما وصف هذه المعانى المتداخلة التي تدلُّ على شيءٍ واحدٍ بأوصافٍ متباينة صارَ ذلك إطناباً ، ولم يكن تكريراً .

ولم أجدُ في ضُرُوبِ الإطنابِ أحسنَ من هذا الموضعِ ، ولا أَلْطَفَ ،

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٣ من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب ،

مطلعها :

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل تبلى غليلا بالدموع فيبلى

(٢) في الأصل « الزابيين » موضع « الزابيين » وهما نهران ، وفيه

« التائث » من غير واو العطف ، و« مأمور » موضع « مأمول » . والتصويب عن

الديوان ، ومعنى التائث أبطأ . والمسبل المطر .

وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيراً ، بخلاف غيره من الشعراء ،
كقوله (١) :

زكى سَجَايَاهُ (٢) تَضِيفُ ضِيوفَهُ وَيُرْجِي مَرْجِيَهُ وَيُسْأَلُ سَائِلُهُ

فإنَّ غرضه من هذا القول إنما هو ذكر المدوح بالكرم وكثرة العطاء
إلا أنه وصفه بصفات متعدّدة ، فجعل ضيوفه تضيف ، وراجيه يُرجى ،
وسائله يُسأل ، وليس هذا تكريراً ، لأنه لا يلزم من كون ضيوفه تُضيفُ
أن يكون راجيه مَرَجُواً ، ولا أن يكون سائلهُ مسئولاً ، لأنَّ ضيفه
يستصحبُ ضيفاً ، طمعاً في كرم مُضيفه ، وسائلهُ يُسألُ ، أى : يُعطى السائل
عطاءً كثيراً يصيرُ به مُعطيّاً ، وراجيه يُرجى ، أى أنه إذا تعلق به رجاء راجٍ
فقد أيقن بالفلاح والنجاح ، فهو حقيقٌ بأن يرجى ، لمكان رجائه إياه ،
وهذا أبلغ الأوصاف الثلاثة .

(٢) الضرب الثاني : يسمى النفي والاثبات :

وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ، ثم يذكر على سبيل الإثبات
أو بالعكس ، ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر ، وإلا كان
تكريراً . والغرضُ به تأكيدُ ذلك المعنى المقصود .

فمما جاء منه قوله تعالى : « لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِالْمُتَّقِينَ *

(١) ديوان أبي تمام ٣٧٨ من قصيدة له في رثاء القاسم بن طوق ، مطلعها :

جوى ساور الأحشاء والقلب واغله ودمع يضمم العين والجفن هامله

(٢) رواية الديوان :

* وكن سجاياه يضيف ضيوفه *

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » (١) .

واعلم أن لهذا الضرب من الإطئاب فائدة كبيرة ، وهو من أوكد وجوهه ، ألا ترى أنه قال : « لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » ، ثم قال : « إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ، والمعنى في ذلك سواء ، إلا أنه زاد في الثانية قوله : « وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير .

وهذا الموضع ينبغي أن يُعامل ، ويُنعم النظر فيه .

وعليه ورد قوله تعالى : « آلم * غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بضع سنينَ اللَّهُ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » (٢) .

فقوله : « يعلمون » بعد قوله : « لا يعلمون » من الباب الذي نحنُ بصدد ذكره ، ألا ترى أنه نفى العلمَ عن النَّاسِ بما خفيَ عنهم من تحقيقِ وعده ، ثم أثبت لهم العلمَ بظاهرِ الحياةِ الدنيا ؟ فكأنهم علموا وما علموا ، إذ العلمُ بظاهرِ الأمور ليس بعلم ، وإنما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور .

(١) سورة التوبة : الآيتان ٤٤ و ٤٥ .

(٢) سورة الروم : الآيات ١ - ٧ .

(٣) الضرب الثالث : وهو أن يذكر المعنى الواحد تاماً لا يحتاج إلى زيادة
ثم يضرب له مثال من التشبيهه :

كقول أبي عبادة البحترى^(١) :

ذاتُ حُسْنٍ لو استزادتُ من الحُسْنِ إليه لما أصابتْ مزيداً
فهيَ كالشمسِ بهجةً ، والقضيبِ اللَّسْدنِ قِداً ، والرَّيْمِ طرفاً وجيداً^(٢)
ألا ترى أن الأول كافٍ في بلوغ الغاية في الحُسْنِ ، لأنه لما قال :
« لو استزادتُ لما أصابتْ مزيداً » دخل تحتها كلُّ شيءٍ من الأشياءِ
الحسنةِ ، إلا أن للتشبيه مزيةً أخرى تفيدُ السامعَ تصويراً وتخيلاً ، لا يحصلُ
له من الأوَّل .

وهذا الضرب من أحسن ما يجيء في باب الإطناب .

وكذلك ورد قوله^(٣) :

تردد^(٤) في خُلقي سُودِدٍ سماحاً مُرجىً وبأساً مهيباً
فكالسيف إن جمته صارخاً وكالبجر إن جمته مُستثيباً

(١) ديوان البحترى ٢ / ٣٤ من قصيدة له في الفخر ، مطلعها :

إنما الغي أن يكون رشيداً فانقصا من ملامه أو فزيدا

(٢) روى هذا البيت في الديوان هكذا :

فهي الشمس بهجة ، والقضيب السغض لينا ، والرَّم طرفاً وجيداً

(٣) ديوان البحترى ١ / ٥٨ من قصيدة له في مدح الفتح بن أخافان

وعتابه ، ومطلعها :

لوت بالسلام بنانا خضيباً ولحظا يشوق الفؤاد الطروباً

(٤) رواية الديوان « تنقل » موضع « تردد » .

فالبيتُ الثاني يدلُّ على معنى الأول ، لأنَّ البحر والسيف للباس المهيب ،
إلا أنَّ في الثاني زيادة التشبيه التي تفيدُ تخيُّلاً وتصويراً .

(٤) الضرب الرابع : أن يستوفى معانى الغرض المقصود من كتاب
أو خطبة أو قصيدة :

وهذا أصعبُ الصُّرُوب الأربعةِ طريقاً ، وأضيقُها باباً ، لأنه يتفرَّعُ
إلى أساليب كثيرةٍ من المعانى ، وأربابُ النظم والنثر يتفاوتون فيه ، وليسَ
الخاطرُ الذي يقذفُ بالدرر في مثله إلا معدومَ الوجود ، ومثاله ومثاله
الإيجاز مثال مُجَمَّل ومُفَصَّل . وقد تقدّم القولُ أن الإيجازَ والإطنابَ
والتطويلَ بمنزلةٍ مقصدٍ يُسلكُ إليه ثلاثة طرق .

وقد أوردتُ هاهنا أمثلةً لهذه الأساليب الثلاثة ، وجعلتها على هيئةِ
المقصد الذي تُسلكُ إليه الطرق الثلاثة .

فمن ذلك ما ذكرته في وصف بُستانِ ذى فواكه متعدِّدة .

فإذا أريدَ وصفهُ على حكم (الإيجاز) قيل : « فيه من كلِّ فاكهةٍ
زوجان » وهذا [من] كلام الله تعالى (١) ؛ وقد جمع جميع أنواع
الفاكهة بأحسن لفظٍ وأخصره .

وإذا أريدَ وصفُ ذلك البستان على حكم (الإطناب) قيل فيه ما أذكره
وهو فصلٌ من كتاب أنشأته ، وهو :

« جنةٌ علَّتْ أرضها أن تسك ماءً ، وغنيت بينبوعها أن تستجدي
سماء ، وهى ذات ثمارٍ مختلفة الغرابة ، وتربةٌ منجبةٌ ، وما كلُّ تربةٍ توصف
بالنجابة .

(١) كما جاء في سورة الرحمن (آية ٥٢) قوله تعالى : « فيهما من كل
فاكهة زوجان » .

« فيها الشمس الذى يسبق غيره بقدمه ، ويقذف أيدى الجانين
بنجومه ؛ فهو يسمو بطيب الفرع والنجار^(١) ؛ ولو نظم في جيد الحساء
لاشتمه بقلادة من نضار^(٢) وله زمن الربيع الذى هو أعدل الأزمان ، وقد
شبهه بسن الصبا فى الأسنان .

« وفيها التفاح الذى رق جلده ؛ وعظم قده ، وتورد خده ؛ وطابت
أنفاسه ؛ فلا بان الوادى ولا رنؤه^(٣) ؛ وإذا نظر إليه وجد منه حظ
الشم والنظر ؛ ونسبته من سرر الغزلان أولى من نسبته الى منابت الشجر .

« وفيها العنب الذى هو أكرم الثمار طينة ، وأكثرها ألوان زينة ،
وأول غرس اغترسه نوح — عليه السلام — عند خروجه من السفينة ،
فقطفه يميل بكف قاطفه ، ويفرى بالوصف لسان واصفه .

« وفيها الرمان الذى هو طعام وشراب ، وبه شبهت هود الكعاب ،
ومن فضله أنه لا توى له فيرمى نواه ، ولا يخرج اللؤلؤ والمرجان من
فاكهة سواه .

« وفيها التين الذى أقسم الله به تنويرها بذكره ، واستتر آدم — عليه
السلام — بورقه إذ كشفت المعصية من ستره ، وخص بطول الأعتاق ، فما
يرى بها من ميل فهو نشوة من سكره ، وقد وصف بأنه راق طعاماً ، ونعم
جسماً ، وقيل : هذا كنيف مليء شهداً ، لا كنيف مليء علما .

(١) نجار الشيء — بكسر النون وضمها — والنجر أيضا — بفتح
النون — الأصل .

(٢) النضار الذهب أو الفضة ، والمعنى الأول هو ما يناسب هذا
الاستعمال .

(٣) الرند شجر طيب الرائحة ، والعود ، والآس .

« وَفِيهَا مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ مَا يُرْمَى بِلُونِهِ وَشَكْلِهِ ، وَيَشْغَلُ بِلَذَّةِ مَنْظَرِهِ عَنِ لَذَّةِ أَكْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي فَضَّلَ ذَوَاتِ الْأَفْنَانِ بَعْجُونه ، وَلَا تَمَائِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُلُوءِ : « هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ » (١) .

« وَفِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالِ الْفَاكِهَةِ وَأَصْنَافِهَا ، وَكُلُّهَا مَعْدُودٌ مِنْ أَوْسَاطِهَا لَا مِنْ أَطْرَافِهَا .

« وَلَقَدْ دَخَلْتَهَا فَاسْتَهْوَتْني حَسَدًا ، وَلَمْ أَلَمْ صَاحِبِهَا عَلَى قَوْلِهِ : « لَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا » (٢) .

فهذا الوصفُ على هذه الصورة يسمَّى (إطناباً) لأنه لم يعرَ عن فائدة .
وذلك الأوّل هو (الإيجازُ) لأنه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفاكهة .

وأما (التطويل) : فهو أن تعدّ الأصناف المذكورة تعدداً من غير وصف لطيفٍ ، ولا نعتٍ رائقٍ ، فيقالُ : مِشمش ، وتَفَاح ، وَعَنَب ، وَرَمَان ، وَنَخْل ، وَكَذَا ، وَكَذَا .

وانظر أَيْهَا المتأمل إلى ما أشرتُ إليه من هذه الأقسام الثلاثة في الإيجاز والإطناب والتطويل ، وقسْ عليها ما يأتي منها .
وسأزيدُ ذلك بياناً بمثالٍ آخر ، فأقول :

(١) سورة لقمان الآية ١١ .

(٢) مأخوذ من قوله تعالى : « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً » سورة الكهف : الآية ٣٥ .

قد وردَ في باب (الإيجاز) كتابُ كتبه طاهرُ بنُ الحُسينِ إلى المأمون - رحمه الله تعالى - يخبره بهزيمة [عليّ بن] ⁽¹⁾ عيسى ابن ماهانَ وقتله إياه ، وهو : « كتابي إلى أمير المؤمنين ، ورأسُ [علي ابن] ⁽¹⁾ عيسى بن ماهان بين يدي ، وخاتمه في يدي ، وعسكره مُصَرَّفٌ تحت أمرى ، والسلام . »

وهذا كتاب جامع للمعنى ، شديد الاختصار .

وإذ كتبَ ما هو في معناه على وجه (الإطناب) قيل فيه ما أذكره ، وهو ما أنشأته مثلاً في هذا الموضع ، ليُعلم به الفرقُ بين الإيجاز والإطناب ، وهو :

« أصدرَ كتابه هذا ؛ وقد نُصرَ بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة ؛ واقلب باليد الملامى والعين القريرة ؛ وكان انتصاره بجدّ أمير المؤمنين لا بجدّ نصله ؛ والجدّ أغنى من الجيش وإن كثرت أمدادُ خياله ورجله ؛ وجيء برأس [عليّ بن] ⁽¹⁾ عيسى بن ماهان وهو على جسدٍ غير جسده ؛ وليس

(1) زيادة ليست في الأصل ، وكان علي بن عيسى بن ماهان هو والفضل بن الربيع من رجال الأمين ، وكان علي بن عيسى صاحب أمره كله ، وعقد له في سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهمدان وقم وأصفهان ، حربها ونحراجها ، وقد شخص في هذه السنة إلى حرب المأمون ، حتى بلغ الرمي ، فلقية طاهر بن الحسين ، واستمر القتال بينهما إلى أن قتل على سنة ١٩٥ . وقد سبق إيراد هذا الكتاب قبل ذلك في هذا القسم الثاني .

لَهُ قَدَمٌ فَيَقَالُ : إِنَّهُ يَسْعَى بِقَدَمِهِ ، وَلَا يَدٌ ؛ فَيَقَالُ : إِنَّهُ يَبِطِشُ بِيَدِهِ ، وَلَقَدْ طَالَ وَطُولُهُ مُؤَوِّدٌ بِقَصْرِ شَانِهِ ، وَحَسَدَاتُ الضِّيَاعِ الطَّيْرِ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ مُحْسُودٍ عَلَى مَكَانِهِ ؛ وَأَحْضِرَ خَاتَمَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يَجْرِي عَلَى نَقْشِ أَسْطَرَّةِ ؛ وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يَصْدُرَ كِتَابُ الْفَتْحِ بِحُجَّتِهِ فَحَالَ زُرُودُ الْمَنِيَةِ دُونَ مَصْدَرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ مُرْتَعُهُ وَيَبِيلُ ، وَمَصْرَعُهُ جَلِيلٌ ، وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَإِنَّهُ عِنْدَ الضَّرْبِ كَلِيلٌ ، وَقَدْ نَطَقَ الْفَأَلُ بِأَنَّ الْخَاتَمَ وَالرَّأْسُ مُشِيرَانِ بِالْحُصُولِ عَلَى خَاتَمِ الْمَلِكِ وَرَأْسِهِ ، وَهَذَا الْفَتْحُ أَسَاسٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ بِنَاوِهِ وَلَا يُسْتَقَرُّ الْبِنَاءُ إِلَّا عَلَى أَسَاسِهِ ، وَالْعَسَاكِرُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرْبًا صَارَتْ لَهُ سَلَامًا ، وَأَعْطَتْهُ الْبَيْعَةَ عِلْمًا بِفَضْلِهِ وَلَيْسَ مِنْ تَابِعٍ تَقْلِيدًا كَمَنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا ، وَهِيَ الْآنَ مُصَرَّفُونَ تَحْتَ الْأَوَاسِرِ ، مُمْتَحِنُونَ بِكُشْفِ السَّرَائِرِ ، مَطِيفُونَ بِاللَّوَاءِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِاسْتِفْتَاكِ الْمَقَالِدِ ، وَاسْتَيْطَاءِ الْمَنَابِرِ ، وَكَمَا سَرَتْ خَطَوَاتُ الْقَلَمِ فِي أَمْنَاءِ هَذَا الْقُرْطَاسِ ، فَكَذَلِكَ سَرَتْ طَلَائِعُ الرَّعْبِ قَبْلَ الطَّلَائِعِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَيْسَ فِي الْبِلَادِ مَا يَفْتَقُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ بَابًا ، وَلَا يَحْسُرُ نَقَابًا ، وَعَلَى اللَّهِ إِمَامُ النَّعْمِ الَّتِي افْتَتَحَهَا ، وَإِجَابَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُقْتَرِحَاتِهِ الَّتِي اقْتَرَحَهَا ، وَالسَّلَامُ .

وَهَذَا الْكِتَابُ يُشْتَمَلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنْ الْمَعْنَى ، إِلَّا أَنَّهُ فَصَّلَ ذَلِكَ الْإِجْمَالَ .

وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى وَجْهِهِ (التَّسْطُوبِيلِ) الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَقِيلَ : « أُصْدِرُ كِتَابَهُ فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا ، وَالتَّقِي عَسْكَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرُ عَدُوِّهِ الْبَاغِي .

وَتَطَاعَنَ الْفَرِيقَانِ ، وَتَزَاخَفَ الْجَمْعَانِ ؛ وَحَمَى الْقِتَالَ ، وَاشْتَدَّ النَّزَالُ ،

وترادفت الكتابُ وتلاحقت المقانِبُ^(١) وُقُتِلَ [على بنُ] عيسى بنِ ماهانٍ واحْتُزَّ رأسُه وقُطِعَ ، ونُزِعَ الخاتمُ من يده وُخِلِعَ ، وترك جسدُه طعاماً للطيور والسباع ، والذئابِ والضباع ، وانجالت الواقعةُ عن غلب أمير المؤمنين ونصره ، وخذلان عدوه وقهره ، والسلام .

فهذا الكتابُ يشتملُ على تطويلٍ لا فائدة فيه ، لأنه كرر فيه معاني يتم الغرضُ بدونها ، وذكر ما لا حاجة إليه في الإعلام بالواقعة .
فانظر إلى هذه الكتب الثلاثة ، وتأملها كما تأملت الذي تقدمها .

وبعدَ ذلك إني أوردُ لك كتاباً وتقليداً يوضحان لك فائدة الإطناب ، أما الكتابُ فإنه كتابٌ كتبه عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب — رحمه الله — إلى ديوان الخلافة ببغداد يتضمن فتح البيت المقدس ، واستنقاده من أيدي الكفار ، وذلك في معارضة كتاب كتبه عبد الرحيم ابنُ عليّ البيساني^(٢) عنه ، وكان الفتحُ في السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

« خلد الله سلطانَ الديوان العزيز النبوي ، وجعل أيام دولته أتراباً ، ومناقب مجدها هضاباً ، وزادها على مرور الأيام شباباً ، وأوسعها توشيةً

(١) المقانِب جمع مقنّب — على زنة منبر — جماعة الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين . أو زهاء ثلثمائة .

(٢) هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني اللخمي ، ولد بعسقلان ، ونشأ ببلاد فلسطين ، حيث أم بالعربية والأدب ، ثم كتب في الإسكندرية في دواوينها حتى ظهر فضله ، فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ، ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ، ووزر بعده لابنه العزيز ، وتوفي سنة ٥٩٦ هـ .

وإذهاباً ، إذا أوسع غيرها تلاشياً وذهاباً ، ومنحها في الدنيا والآخرة عطاءً وفاقاً لا عطاءً حساباً ، ومثل جودها في عيُونُ الأعداء شيئاً عجاباً ، وأراهم منها وراءهم في اليقظة إرهاباً وإرعاباً ، وفي المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً ، لو جمعت المصور في صعيدٍ واحدٍ لكان هذا العصرُ عليها فاعراً ، وفازَ بسبقِ أوائلها وإن جاء آخراً ، وليس ذلك إلا لحظوته بالدولة الناصرية التي كستهُ خبراً ، وقلتهُ دُرراً ، ودوّنت له من المحامد سيراً ، وجعلت في كلِّ ناحيةٍ من وجهه شمساً وقرراً .

« وقبض الله لها من الخادم ولياً يوصلُ يومه في طاعتها بأمره ؛ ولا يرى إلا ومن نفسه في خدمتها رقيبٌ على نفسه ، وطالما سعى بين يديها بمساعٍ تفصّل بأخبارها محافل القوم ؛ ويقال له فيها : ماضرك ما صنعتَ بعد اليوم ، وقد سلفتُ منها آيات تَمَيلُ في أشباهها وأضرابها ، واستؤنف لها الآن واحدة تُدعى بأُمِّ كتابها . وهي فتحةُ البيتِ المقدّس الذي نفتحت له أبوابُ السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكبُ الظلماء . واستردّ حق الإسلام . وطالما سعتِ الهممُ في طلبه بالزاد والماء . ومن أحسن ما أتى به أنه آنس قبلته الثانية بقبائمه الأولى . وأطال منه كل ما قصرته يدُ الكفر وكانت هي الطولى . وبه صحّ لهذا البيت معنى اسمه . وانتقل إلى الطّهارة ونزاهتها عن الرّجس ووضيحه . ولم يجرّه الخادمُ حتى طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة . وكان مركزاً لداثرتها . فغادره وهو طرفٌ من أطراف الدائرة . ولما شارفَه نظر منه إلى ظلّة من الظلّل . ورأى بلداً قد استقرّ على متن الجبل مثل الجبل . ويطيفُ به وادٍ يستهزىء عِصمته بنوب الدهر . وقد انعطف على جوانبه انعطافُ الحبوّة على الظهر^(١) . والمسالكُ إليه مع ذلك ذاتُ تعاريجٍ ومعارجٍ

(١) يقال : احتبى بالثوب اشتمل ، أو جمع ظهره وساقيه بعمامة ونحوها والاسم الحبوّة بفتح الحاء وكسرهما .

وهي ضيقةٌ مُتَوَعِرَةٌ يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ الطَّرْقِ وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْمَنَاهِجِ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : هَذَا أَمْنِيَّةٌ لِمَنْ يَرَى . وَعِلْمٌ حَيْثُذِي أَنْ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ
 الْفَرَا (١) إِلَّا أَنْ لِسَانَ حَالِهِ خَاطِبُهُ وَهُوَ أَفْصَحُ الْخُطَابِ . وَقَالَ : اْمُدُّ يَدَكَ
 فَلَيْسَ دُونَهَا مِنْ حِجَابٍ .

«وكان قد برز من السلاح في لباس رائعٍ من المنعة . وأخرج من السوادِ
 الأعظمِ ما خدعَ العيونَ . والحربُ خُدعةٌ . وما يمنعُ رقابَ البلادِ بكثرةِ
 السَّوادِ . ولا يحصى بعوالمِ الأسوارِ بل بعوالمِ الصَّعَادِ . وفي يومٍ كذا وكذا خيمَ
 المسلمونَ في عُمرِ داره . ونزلوا منه نزولَ الجارِ إلى جانبِ جاره . ثم ارتادوا
 موقفاً للقتالِ . وإن لم يكنْ هناكُ موقفٌ يقربُ مناله . ولا يتسعُ مجاله . واتفقَ
 الرَّأْيُ على لسانِ المنجنيقِ في خطبةٍ عقليَّةٍ . أبلغَ خطاباً . وأدنى من المطلوبِ
 طلباً . وأنه إذا ضربَ بعصاه الحجرَ انبجستْ عيونُ أهله دِماءً . كما انبجستْ
 عيونُ الحجرِ ماءً .

« هذا وَالْعَزَائِمُ تنظرُ إلى هذا الرَّأْيِ نظرَ المُسْتَجْهِلِ . وتصدُّ عنه صدودَ
 المُسْتَعْجِلِ . وتقولُ : ما بارتِيادِ السهلِ تملكُ الصَّعَابِ . ومن ابتنى السيفَ
 صرْحاً لم ينأ عنه بلوغُ الأسبابِ . والحديدُ لا يفتحُ إلا بالحديدِ . والركنُ
 الشديدُ لا يُصدَمُ إلا برُكنٍ شديدٍ . فعندها صممَ الخادمُ أن يلقى البلدَ موائباً

(١) قال ابن السكيت : الفراء الحمار الوحشى ، وجمعه فراء ،
 قالوا : وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم
 أرنباً . والآخر ظيباً ؛ والثالث حماراً . فاستبشر صاحب الظبي بما نالا ،
 وتطاولا عليه ، فقال الثالث : « كل الصيد في جوف الفراء » أى : هذا
 الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده
 الناس أعظم من الحمار الوحشى ، ولا استعمال المثل بقية — انظر أمثال
 الميداني ٨٢/٢ .

لامواربًا . وأن يجعل للزحف جانبًا وللمنجنيق جانبًا . ونوى أن يبدى
صفحة وجهه أمام الناس . وتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في الاتقاء به
إذا اشتد البأس ، ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها . وأن النفاذ لأسنة
الرمح لا لكعوبها . ولا يشتفى من الوغى إلا من كان طرفه أمام طرفه .
ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمها من خلفه .

« ولما وقع الزحف صورع البلد صراعًا ، بعد أن قورع قراعا ؛ ثم هز
هزة طوته بيمينها . ونشرتة بشمالها . وأذاقته العذاب الأدنى دون العذاب
الأكبر من نكالها . وبدون ذلك يكون عرك أديمه . وعطف شكيمه . ولم
يكن قتاله بالسهم التي غايتها أن تصف أجنتها للمطار . وتنال بكلومها من
فوق الأسوار . بل بالشيوف التي إذا جالدت بدأ أخذت بكظمه وتوغلت
في هجمه . وأغنت سرعة خطواتها إليه عن المنجنيق وإبطاء هدمه . والسيف
ليس بمرتو من النفس التي تظل طائشة عند لقائها . جائشة عند استيفائها .
فالقوب توصف بأنها تجيش إذا كانت أعدادا . والنفوس لا تجيش إلا إذا
كانت ثمادا . وما يستوى وجوه الأفران في إقدامها وإحجامها . فمنها المظلم
إذا رابها الروع بإشراقها . ومنها المشرق إذا شابها الروع بإظلامها . وكانت
وجوه المؤمنين في هذا المقام أحظى بلباس الإشراق . وأتم أبدرا . والبدور
لا يكون تمامها في الحاق . فممنهم إلا من عرض نفسه ليوم العرض . ومشى
إلى جنة عرضها السموات والأرض . حتى اتسع المكر . وضاق بأعداء الله
المقره ، وحرقت أوعار الخنادق ، وصار الرجاء لمنطقة السور كالمناطق ، ولم
يستشهد منهم إلا عدد يسير ، لاندخله لأم التعريف ، وكانت أجنحة الملائكة
مطيفة بهم ، فأكرم بالمطاف به وبالمطيف .

« وقد أسعد الله أولئك بالشهادة التي هي الفوز الأكبر ، وقرنها بإدناء

مضاجعهم من الأرض المقدسة التي هي أرض الحشر، فما يسرُّهم أن يعودوا إلى الدنيا إلا للاستزادة من ثواب الجهاد. وأيسرُ ذلك أن أرواحهم في حواصل طيرٍ خضريٍّ تعلَّق من ثمار الجنة إلى يوم المعاد.

« ولما رأى الكفار أن صليهم قد صار خواراً، وأن زئيرهم قد انقلبَ خواراً، أذعنت أيديهم باستسلامها، وصانعتُ بالمال عن الرقاب واسترقاقها، وبالبلد عن النفوس وجمامها، فأبى السيفُ أن يترك رقاباً تغدَى بأكلها. ويحلُّ من عشقتها على مداومة وصالها.

« وذكر الخادمُ أن سلفَ هؤلاء انتزعَ هذا البلدَ قسراً، وفتك بمن كان به من المسلمين غدرًا، وذلك نأرٌ ذخره الله لك حتى تحظى في الآخرة بشوابه، وتنجمل في الدنيا بزينة أثوابه، والمسلمُ أخو المسلم يأخذُ بدمه، وإن تطاولتُ أمدادُ السنين على قدمه، فيا بعدَ عهدِ هذا النار من نأره، ويا طيب خبره عند سامعه، وحسن أثره عند ناظره.

« ولما تحقق العزمُ على ذلك أشار ذؤو الرأى بقبول الفدية المبذولة، وألَّا يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة، فإن النقد^(١) إذا أُخرج صار ذا أنيابٍ وأظفار، واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار. وهؤلاء إذا رأوا عينَ القتل تجرّدوا للقتال، وركبوا الأهوالَ للنجاة من الأهوال. ومن يُدع إلى خِطةٍ رُشد فليقبلها. ومن أنشط له عقل الأمور فلا يعقلها. وعلى كل حالٍ فإن الفدية للمسلمين أرغب. وأموالٌ يتقوى بها على العدو خيرٌ من دماء تذهب.

« هذا وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس،

(١) النقد بالتحريك جنس من الغنم.

ومن حُرْمَتُهُ عند الله خيرٌ مما طلعت عليه الشمس ، ولا يوازي فتحه عنوةً أن يتعدى إليهم أضرارُهُ ، ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطارُهُ .

« فرأى الخادمُ عند ذلك أن الرأيَ مشتركٍ ، وأنَّ له مُعترَكَ كما أن السيفَ له مُعترَكَ ، وتقررَ تسليمُ البلدِ وُدوعُ أهله قد خضبتْ أحداقها ، وأقرحتْ آماقها (١) ولم تطبْ أنفسهم بفرقِ قلمه حتى كادت الهامُ تفارق أعناقها ، فعلى حَبِّ ذلك الترابِ تقومُ قيامتهم ، وتشيلُ نعامتهم ، وإطالماً ابتهلوا عنده أيامَ الحصارِ ، واستنصروه فلم يحظوا منه بمعونةِ الانتصارِ ، وكيف يرجي النصرُ من معبودٍ تُقرُّ شيعته بقتله ؟ أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله ! . وهذه عقولٌ سَخيفةٌ نَفَذَ فيها كيدُ شيطانها ، وأخفى عنها محجةَ الحقِّ على وضوحِ بيانها .

« ولقد كان يومُ النسلِ عريضَ الفخارِ ، زائدَ العمرِ على عُمرِ أبويه من الليل والنهار ، واشتقَّ من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاكِ للكفار ، وزاده نخرًا إلى نخره أنه وافق اليومَ المسافرِ عن ليلةِ المعراجِ النبويِّ الذي كان في تلك الأرضِ موعده ، ومن صخرتها مصعده ، وذلك هو الإسراء الذي ركب إليه ظهرُ البراقِ (٢) واستفتح له أبواب السَّميعِ الطباقي ؛ ولقي فيه الأنبياءَ على إختلافِ درجاتهم ؛ فظفرَ خيرٌ ملقىً ببحيرِ لاقٍ . وبركةُ ذلك اليومِ سَرَّتْ إلى هذا فأطالت من شهرته ؛ وضمنته نصرَةُ الدِّينِ الحنيفِ الذي

(١) جمع مَأق ومؤق طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين ، أو مقدمها أو مؤخرها .

(٢) البراق دابة ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، قال صاحب القاموس (٢١٢/٣) وكانت دون البغل وفوق الحمار .

لله عناية بنصرته ؛ وجعلته تاريخاً يؤرخُ بفتححه كما أرخ للنبي صلى الله عليه وسلم
 بدار هجرته ؛ وإذا أنصف واصفه قال إنه لليوم البدرى في اقتراب النسب ؛
 وإنه العجيبة التي لم تجفل عنها الأيامُ في صفر وإمّا أجفلت عنها رجب .
 فما أكثر الفائز فيه والمغبون ؛ والمسرور والمحزون ؛ فمن جد راكم ؛
 ومن جد راجل ؛ ومن عزّ قادم وذلّ راحل .

» ولطالما جدّ الخادمُ في السعى له وأبصارُ العدا تزلقه ، وألسنتهم تسلقه .
 وما منهم إلا من أكره الشناعة بأن ذلك السعى للاستكثار من البلاد ،
 والله يعلم أنه لم يكن إلا للاستكثار من موارد الجهاد . لاجرم أن صدقَ النبية
 كان له عُقبى الدار ، وتلك الأقوال الكاذبة كان لها عُقبى البوار . ويوم
 هذا الفتح يفتقرُ قبله الى أيام تجلو بياضه عن سوادها ، ويلتجح لها بطون
 المساعي حتى يكون هو نتيجة ميلادها ، ولما ظفرَ به الخادم لم يكن لأهل
 النجامة^(١) ، فيه قولٌ يردُّ كذابه ، ولا يقبلُ صوابه ، والشهبُ الطالعة على
 ذوات السروج أصدقُ نبأً من الشهبِ الطالعة من ذوات البروج ؛ على
 أنهما وإن اتفقا رجماً فإنهما يختلفان علماً ، فلمْ هذه يُسألُ عنه نغر
 الأعتاق ؛ وعلم هذه يُسألُ عنه بطونُ الأوراق .

» ولما دخل البلدَ وجد به أمماً لولا أن ضربت عليهمُ الذلّة لدافعوا
 المنايا مكاثرة ؛ وغالبوا السيوف مصابرة ، وهم طوائفٌ مختلفةوا الألسنة
 والألوان ؛ وإن قيل إنهم أناسي فإن صورهم صورُ الجان ؛ ومنهم طائفةٌ
 استشعرت حبسَ نفوسها ؛ وخصت الشعْر عن أوساط رُؤوسها ؛ وتوحّشت
 بالرهبانية حتى ارتاعت العيونُ من أشكالها ولبوسها .

(١) النجامة عمل المنجم والمتنجم والنجم من ينظر في النجوم بحسب

مواقفها وسيرها .

« ولما رأوا طلعة الإسلام داخلة عليهم أعانوا بالجوار (١) ، واصطرخوا جميعاً كما يصطرخون غداً في النار ؛ وزادهم غيظاً إلى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صارَ الناقدُ أذناناً ؛ وكلمة الكفر إيماناً ؛ وأقيمت الجمعة ؛ وهي أولُ جمعة حظيَ الأقصى بمشهدها ؛ وحضرتها الأمة الإسلامية بأخمرها وأسودها ، فمن بكى بدمعة سروره الباردة ، ومن مجيلٍ نظره في نعمة الله الواردة ، ومن شاكر للزمن الذي أبقاه إلى يومه هذا الذي كلُّ الأيام له حاسدة ، من كان مولده تقدم قبله أو بعده فكأنه لم يولد ، وكانت هذه الجمعة في رابع شعبان ، وهو الشهر الذي جملة الله طليعة لشهر الصيام ؛ وليلة نصفه هي الليلة المعروفة بإحياء قيامها إلى حين وفاة شخص الظلام . والتي يُغفرُ فيها لأكثر من شعر غم كلبٍ من ذوى الذنوب والآثام .

« وَجىء باللواء الأسود ، فرُكز من المنبر في أعلاه . ونطق لسانُ حاله .
 قال : من كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مولاةً فأنا مولاة . ولم يكن لسانُ الخطيبِ بأفصحَ بياناً من لسانه . غير أن هذا يزهي ببلاغ موعظته وهذا يزهي بعزة سلطانه . ولما ذُكرت سماتُ الخلافةِ المعظمة أتبعها الناسُ بالدعاء الذي ملأ المسجد بعجيجه . وسبق الكرامُ الكاتبون بزَميله إلى السماء ووشيجه . وكان اليومُ فصلاً . والموقفُ حفلاً . وذلك الدعاء فوضاً لا نقلاً .

« ولا ينتهى الوصفُ إلا ماشوهدَ بالبلدِ من الآثارِ العجيبة التي تستلبُ العجّلان . وتستحلبُ الأذهان . وتستنطقُ الألسنة بالتسبيحِ لله الذي فطر الإنسان ومن جملة ذلك ما تُبوهى في حُسنه من البيع والصوامع . ذواتِ الأبنية الرّوائح . التي رُوِّصتْ بالزُّخارف ترويض الأزهار . ورُفعت معاقدها حتى

(١) الجؤار رفع الصوت بالدعاء ، والتضرع ، والاستغاثة .

كادت النجوم تُوحى إليها بالأسرار ، وما منها إلا ما يقال إنه إرم ذات العباد .
التي لم يُخلق مثلها في البلاد . ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تحيروا في توسيعها
بضروب الاختيار . وجعلوها أعاجيب للأسماع والأبصار . وقبل فيها هذه
روضات جنان لا أفنية ديار .

هذا إلى غيره مما وُجد من معبودات القوم الموصوفة بأنها آلهة الصناب .
اللاتى من ذوات النصب . وأكثر ذلك وُجد في المسجد موضوعاً . وعلى قببته
مرفوعاً . فأنزلت على قرونها . واستنّ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
طعن عيونها واستوطن المؤمن مكان الكفور . وبدلت الظلمات بالنور .
وقالت الصخرة : الآن جُمع بينى وبين الحجر الأسود لخطب الإسلام . والجمع
بين الأختين في هذا الأمر من الحلال لا من الحرام : وقال الأقفى : سبحان
الذى أسرى إلى بجنده . كما أسرى بعبده . وأعادلى عهد الفتح الأول بهذا
الفتح الذى أتى من بعده . وعود الناهب أرحى لدوام أحقابه . وخلود
الإنسان لا يكون إلا فى مآبه . وهذا هو الخطب الذى جد للإسلام عهد
ابن خطابه (١) — رضى الله عنه — إلا أن مُستنقذ الطريدة أولى بها من
صاحبها . واثن غصبها يد غالبة فقد جاء الله باليد التى غصبتها من غاصبها .
« هذا ولم يستنقذها الخادم إلا بانضاء سلاح أنفته الواقعة الأولى التى
استأصلت حماة البلاد . واستباححت أغياها بقتل الأسود . فكانت لهذا الفتح
عنواناً . ولتقرير أصوله بنياناً . ولم ينج بها من طواغيت الكفر إلا طاغية
ترايس . فإن السيوف أسارته وبفؤاده فلق من أوجالها . وفى عينيه دهمش
من أهوالها . وقد قرن الله هذا الفتح ببشرى موته . وكفى المسلمين مئونة
الاهتمام لقوته . ففرّ من الواقعة . ولم ينج بذلك الفرار . واعتصم بذات

(١) يشير إلى فتوح المسلمين فى خلافة عمر الخطاب رضى الله عنه .

جداره . فقتله الخوفُ من وراء الجدار . ولا فرق بين قتيل خوف السفار وبين قتيل السفار . ولقد فرّ من المكروه إلى مثله . ولكنه انتقل من ميتة عزّه إلى ميتة ذلّه .

« وكذلك آثارُ الخادم في أعداء الله . فهم هلكى بسيفه في مواقف الطراد . فإن فرّوا فبخوفه على جنوب الوساد . وبعد هذه فهل يمترون في أن دماءهم قد استجابت لمراده وأنّ سوءَ لديه من أمكنَ منها في دنوه ومن امتنع منها في بعاذه . وكلُّ ذلك مستمدٌّ من الاستنصار بعناية الديوان العزيز التي من شأنها أن تجعل الرؤيا حقًا ، وأحاديث الآمال صدقًا ، وتقرّبُ بعيدات الأمور حتى تجعل الشرق غربًا والغرب شرقًا ، فهذا الفتح منسوبٌ إليها ، وإن كان الخادمُ هو الساعى في تسهيله ، والمجاهد بنفسه وماله في سبيله ، فعلى عطف دولتها ترقمُ أعلامه ، وفي أيامها تورّخُ أيامه .

« ولو أبيع للقلم الخيلاء في مقام المقال ، كما أبيع لصاحبه في مقام القتال ، لاختالت مشيئته في هذا الكتاب ؛ ولقال ، وأسهب ، فليس إلاّ كشارُ هاهنا من الإسهاب ، لكنّه منعه من ذلك أن يكون ممن فخر بعمله فأبطله ، وأرسل خطابه إلى الديوان العزيز ؛ فلم يقبضه بالأدب حين أرسله ؛ وقد ارتاد من يبلغ عنه مشاريع هذه الوقائع التي اختصرها ، ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ؛ ويكون مكانه من النباهة كريمًا كما كانها ؛ وهى عرائسُ المساعي ؛ فأحسنُ الناس بيانًا مؤهّلًا لإبداع حسناتها ؛ والسائر بها فلانٌ وهو راوى أخبار نصرها التي صجّبتها في تجميع الرجال ، وعوالى إسنادها مأخوذة من طرق العوال ، والأيام والليالي رُواة ؛ فما الظنُّ برواية الأيام والليالي ؟ .

وستتلو هذه الأخبار الصادقة بمشيئة الله أخبارًا مثلها صادقة ؛ وما

دامت السيوف ناطقةً في يد الخادم فالألسنة عنها ناطقة ، وللآراء العالية مزيدُ العلوّ إن شاء الله تعالى .

وأما التقليد ، فإنه تقليد انشأته لمنصب الحسينية ، وهو :

« أما بعد ، فقد جعل الله جزاء التمكين في أرضه أن يقام بمحدود فرضه ، ونحن نسأله التوفيق لهذا الأمر الذي ثقل حمله ؛ وعُدِمَ أهله ، فقد جرى بنا في زمن أصبح الناس فيه سُدىً ، وعاد الإسلام فيه غريباً كما بدا . وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراف (١) اليوم الأخير ؛ وغرُبات في الأمة حتى لم يبق إلا حثالة (٢) كحثة التمر والشعير .

« ومن أهم ما قرّر بناه ؛ ونقدّم عناه ؛ ونصلح به الزمن وأبنائه ، أن نمضي أحكام الشريعة المطهرة على ما قرّرت في تعريف ما عرفته ، وتكبير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تنزل منه بمنزلة السلك من العتد ، والكف من الزند . وقد أخلصنا النية في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ؛ ويصطفى لها ولا يصطفىها ؛ وهو أنت أيها الشيخ الأجلّ « فلان » ، أحسن الله لك الأثر ؛ وصدق فيك النظر ، فتوّ لها غير موكول إليها ؛ بل معاناً عليها .

« واعلم أن الناس قد أماتوا سنناً وأحيوا بدعا ، وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيماً ؛ وأظلم منهم من أقرّم على أمرهم ؛ ولم يأخذهم بقوارع زجرهم ؛ فإن السكوت عن البدعة رضا بمكانها ؛ وترك النهي عنها

(١) الاشراف العلامات .

(٢) الحثالة ما لا خير فيه ، والرديء من كل شيء .

كالأمر بإتيانها . ولم يأت بنا الله تعالى الا ليُعيدَ الدين قائمًا على أصوله
صادعًا بحكم الله فيه وحُكم رسوله .

« ونحن نأمرُك أن تتصنَّحَ أحوالِ الناس في أمرِ دينهم الذي هو
عِصمةُ مالمُ . وأمر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم . فابدأ أولاً
بالنظر في العقائد ، واهد فيها الى سبيل الفرقةِ الناجية (١) الذي هو سبيلُ
واحدٌ ، وتلك الفرقةُ هي السلفُ الصالحُ الذين لزموا مواطنَ الحقِّ فأقاموا ،
وقالوا : ربُّنا الله ثم استقاموا . ومن عداهم شعبٌ دانوا أديانًا . وعبدوا من
الأمواءِ أو ثنائًا ، واتبعوا مالمُ ينزلُ به الله سلطانًا (ولو نشأ لأربنا كهُم فمعرفتهم
بسيماهم وتعرفتهم في لحنِ القولِ واللهُ يعلمُ أعمالكم) (٢) فمن انتهى من
هؤلاء إلى فلسفةٍ فاقتله ولا تسمع له قولًا ، ولا تقبل منه صرْفًا ولا عدلًا ،
وليكن قتلُه على رموس الأَشهاد ، ما بين حاضرٍ وباد ، فماتكدت الشرائعُ
بمثل مقالته ، ولا تدنست علومها بمثل أثر جهالته والمنتقمي إليها يعرفُ بِنكره ،
ويُستدلُّ عليه بظلمةِ كفره ، وتلك ظلمةٌ تدركُ بالقلوب لا بالأبصار ، وتظهرُ
زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الأنوار ، وما تجده من كتبها التي هي
سمومٌ ناقعةٌ ، لا علومٌ نافعةٌ ؛ وأفاعٍ مُلغفةٌ ، لا أقوالٌ مُؤلَّفةٌ ، فاستأصلِ شأفتها (٣)

(١) يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليأتين
على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين
وسبعين ملة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، تزيد عليهم
ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : يارسول الله من الملة
الواحدة ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي . وفي هذا الحديث روايات ،
والملة الواحدة هي الفرقة الناجية .

(٢) سورة محمد : الآية ٣٠ .

(٣) الشأفة الأصل ، واستأصل الله شأفته أذبه ، وأزاه من أصله .

بالتمزيق ، وافعل بها ما يفعله الله بأهلها من التحريق ، ولا يقنئك ذلك حتى
تجتهد في تتبع آثارها ، والكشف عن مكان أسرارها . فن وجدت في بيته
فليؤخذ جهاراً ، ولئيمكّل به إشهاراً ، وإيقل هذا جزاء من استكبر استكباراً ،
ولم يرجُ الله وقاراً .

« وأما من تحدّث في القدر ، وقال فيه بمخالفة نصّ الخبر ، فإيس في شيء
من ربقة الإسلام ، وإن تنسك بمداومة الصلاة والصيام ، قال النبي صلى الله
عليه وسلم : « القدرية مجوس هذه الأمة » . والمراد بذلك أنهم ماثلوا بين الله
والعبد ، والضيء والغلّمة . فعلاج هذه الطائفة أن تجزى بأن تُحزى ، فليقابل
جمعها بالتكسير ، واسمها بالتصغير ، ولتنقل إلى ثقل الحدود عن خفة التعزيز
ومن كان منها ذا مكانة ناهية فليهبط ، أو شهادة عادلة فليسقط :

« وكذلك يجرى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم ، أو قال بحدوث
القرآن القديم ، ومن ملحدى القرآن فرقة فرقت بين المعنى والخط ، وفرقة
قالت فيه بالشكل والنقط ، وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم ، وعييت
بصائرهم ، وعظمت عند الله جرائمهم ، تُغذّم بالتوبة التي تطهر أهلها ، وتجب
ماقبلها ، وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان ، والقلب لاه في قبضة
النسيان ، بل هي عبارة عن الندم على مافات ، واستئناف الإخلاص فيما هو
آت ، وقد جعل الله التائب من أحبابه ، ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ،
ومن فضله أن الملائكة يستغفرون لذنبه ، ويشفعون له إلى ربه ، فإن أبت هذه
الطوائف إلا أصراراً ، ولم يزدن دعواؤك إلا فراراً ، فاعلم أن الله قد طبع على
قلوبهم طبعاً ، وألحقهم بالذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وكانوا
لا يستطيعون سماعاً ، فغذّم عند ذلك بحدّ الجلد ، فإن لم ينجع فبحدّ ذوات

الحدُّ ، فإن هذه أمراضٌ عَمَى لا تُرجى لها الإفاقة ، ولا تُبرىء منها إلا
الدَّماءُ المراقبة .

« وأما الفرقةُ المدعوَّةُ بالرافضة التي هي لما رَفَعَهُ اللهُ خافضةً ، فإنهم أناسٌ
ليسَ لهم من الدين إلا اسمه ، ولا من الإسلام إلا رسمه ، وإذا نَقَّبَ عن مذهبهم
وُجِدَ على العصبية موضوعاً ، ولغير ما شرعه اللهُ وَرَسُولُهُ مشروعاً ، ذُبُّوا عن
على — رضى اللهُ عنه — فأسلموه ، وأخروه إذ قدَّموه ، وهؤلاء وضعوا
أحاديثَ فنقلوها ، وأولَّوها على ما أولَّوها ، فتبع الأخر منهم الأول على غمَّة ،
وقالوا : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ .

« وههنا هيرٌ ما ذكرناه من عقائدٍ محلولة ، ومذاهبٍ غير منقولةٍ ولا
مقبولةٍ ، وبالهدى يتبين طريقُ الضَّلالِ ، وبالصحة يظهر أثر الاعتلال ، ولا عقيدة
إلا عقيدةُ السنة والكتاب ، ولا دين إلا دينُ العجايز والماء والحراب .

« وإذا فرغنا من الوصية بالأصول التي هي للدين مَلَاكٌ ، فلنُتَبِعِهَا بالفتروع
التي هي لَهُ مِسَاكٌ :

« وأوَّلُ ذلك الصلاة ، وهي في مَبَانِي الإسلام الخمس أو كدُخْمِيسِهِ ، وآخرُ
ما وصَّى به رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم عند مفارقة نفسه . ومن فضلها أنها
العمل الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، ولا عذر في تركها لأحد من النَّاسِ ،
فيقال : إنه يُعَذَّرُ ، فاجمع الناس إليها ، واحمِلْهُمْ عَلَيْهَا ، ومُرِّمْهم بالاجتماع
لها في المساجد ، ونادِ فيهم بفضيلةِ صلاة الجماعة على صلاة الواحد ، وراقِبْهُمْ
هند أوقات الأذان في الأسواق التي هي معركة الشيطان ، فمن شُغِلَ بتمشير
مكسبه ، ولها عنها بالإقبال على هوه ولعبه ، نفذهُ بِالآلَةِ العَمَرِيَّةِ التي تضع من
قدره ، وتذيقه وبال أمره ، ولا يمنعك عن ذى هيبه هيبته ، ولا عن ذى شيبه

شيبته ، فإنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه
وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ،

» ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذي هو في الأيام بمنزلة الأعياد في
الأعوام ، وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المجاب ، التي ما صادفها عبدٌ إلا
ظفرَ بالطلّاب ، فسرّ الناسَ بابتدائه في البواكر ، والنور فيه بقربان
البدنات (١) الأخبار ، فإنه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله ، وبه فضل هذا
الدين على أهل الكتاب من قبله — فهو واسطة عقد الأيام السبعة ، ولاشتماله
على مجموع فضائها سمى يوم الجمعة ، وفي الأعوام مواسم لصلوات مخصوصة
كالتراويح في شهر رمضان ، والرياض في أول جمعة من رجب ، وليلة
النصف من شعبان ، فلتعلم المساجد في هذه المواسم التي تكثر فيها شهادات
الذقلام في كتب الطاعات ، ومحو الآثام ، ومن حضرها وليس همّه إلا أن يمرّ
بها طروقاً ويواعد إليها أخذانه رفناً أو فسوقاً ، فهؤلاء هم الخلف الذين أضعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات . فابعث عليهم قوماً يسلبونهم سلباً ؛ ويوجعونهم
ضرباً ، ويمثلون عيونهم بهابة وقلوبهم رعباً ، فبيوت الله مطهرة من هذه
الأدناس ؛ ولم تعمر لشياطين الإنس ، وإنما عمرت للناس ، فلا يحضرها إلا راعم
وساجد أو ذاكر وحامد .

وهاهنا عظيمة عضيه (٢) ؛ وفاحشة ينقعه لها من ليست نفسه بفقية ؛
وهي الربا ؛ فإنه قد كثرت أكله ؛ وتظاهر به فاعله ؛ وقال فساق الفقهاء
بتأويله ؛ وتوصلوا إلى شبهة تمليته ، ولا يتسارع إلى ذلك إلا من أعى الله
قلبه ؛ ومحق كسبه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود ؛

(١) البدنات الاضاحي .

(٢) العضيه الإفلك والبهتان .

حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فُجِمَلُوهَا ؛ وَبَاعُوهَا وَأَكَلُوهَا . أَمَّا هُنَّ . . وَنَحْنُ
 نَأْمُرُكَ أَنْ تَشْمُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ تَشْمِيرًا يَرْهَبُهُ النَّاسُ ، وَلَا تَدْعُ رَبًّا حَتَّى تَضَعَهُ
 وَأَوَّلَ رَبًّا تَضَعُهُ رَبًّا الْعَبَّاسِ ^(١) ؛ فَمَأْدِيبُ الْكَبِيرِ قَاضٍ بِتَهْذِيبِ الصَّغِيرِ .
 وَالْأَسُوءَةُ بِالرَّفِيعِ خِلَافُ الْأَسُوءَةِ بِالنَّظِيرِ ؛ وَجَلُّ مُعَامَلَةِ الرَّبِّ تَجْرَى فِي سَوَاقِ
 الصَّوْفِ الَّذِي تَخْتَلَفُ بِهِ النُّقُودُ ؛ وَتَفْتَرِضُ فِيهِ الْعُقُودُ ؛ وَيَخَاضُ فِي نَارِ
 نَيْرِهِ إِلَى النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ، وَبِهِ قَوْمٌ أَوْسَعُوا عَيْونَ الْمَوَازِينِ غَمَزًا ،
 وَأَلْسِنَتَهَا هَمَزًا وَلَمَزًا ؛ وَأَصْبَحَ الدَّرْهَمُ وَالِدِّينَارُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَمَيْنِ :
 السَّلَاتِ وَالْعَزْمِيِّ ؛ وَلَا يُرَى مِنْهُمُ إِلَّا مَنْ الْحَرَصُ مُفَاضٌ عَلَى ثِيَابِهِ . وَقَدْ
 جَمَعَ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَرَامِ وَالْمُهْجُومِ عَلَى ارْتِكَابِهِ . فَعَدَّلَ مِيلَ هَؤُلَاءِ تَعْدِيلًا
 وَتَحَوَّلَ عَلَى مَرُورِ الْأَيَّامِ تَحْوِيلًا ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ مِنَ الْكَيْلِ
 وَالْمِيزَانِ أَمْرَيْنِ هَلَكْتَ فِيهِمَا الْأُمُّ السَّائِقَةُ . فَبِأَثَرِهَا بِيَدِكَ مَبِاشِرَةً
 الْإِخْتِيَارِ وَالْإِخْتِيَارِ . وَلَا تَقِلْ أَهْلَهُمَا عَثْرَةً فَإِنَّ الْأَفْئَلَةَ لَا تَنْتَهِي عَنِ
 الْعِثَارِ . وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ سَوَادِ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَزُكْ غُرْسُهُ . وَلَا فَهَيْتُ
 نَفْسُهُ وَإِسْهُهُ إِلَّا فَرْجَهُ أَوْ ضِرْسَةَ . نَخِذْهُمْ بِآلَةِ التَّعْزِيرِ الَّتِي هِيَ نَزَّاعَةٌ
 لِلشَّوْيِ ، تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَمَنْ آثَارَهَا أَنَّهُ تَرَجُّ أَرْضَ الرَّأْسِ
 رَجًّا . وَتَفْرَجُ سَمَاءَهُ فَرْجًا . وَيَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ هَدْيًا وَنَهْجًا . وَقَدْ كَثُرَ فِي
 الْأَسْوَاقِ الْخِلَابَةُ وَالنَّجْشُ ^(٢) . وَتَلَقَّى الرَّثْكَانَ . وَبِيعُ الْحَاضِرِ لِلْبَادِي

(١) من خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
 قوله : « وإن ربا الجاهلية موضوع - أي ساقط لاحتساب عليه -
 وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب » .
 (٢) النجش أن تواطىء رجلا إذا أراد بيعا أن نمدهه ، أو أن
 يزيد الإنسان أن يبيع ببيعة فقساومه فيها بثمن كثير . لينظر إليك ناظر
 فيقع فيها ، أو أن ينفر الناس عن الشيء إلى غيره .

وتنفيق السّاعة باليمين الكذّابة وكلّ هذه من المحظورات التي وردت الأخبارُ
النبويّةُ ببيانها ، والنهي عن تورّد مكانها . فنّ قارف شيئاً منها جاهلاً بتحريمه
فقومّه بالتعليم ، واهدّه إلى الصّراط المستقيم ، ومن عرف ما اقترف فأذقه حرّاً
التأديب ، قبل أن يُذاق غداً حرّاً التعذيب ، وأعلمه أنّ الأرزاق بيد الله تعالى
لا ينقصها عجزُ القاعد ، ولا يزيدُها حرصُ الكادح ، وقد ينقلبُ الجاهد فيها
بصفقة الخاسر ، والوادمُ بصفقة الراجح ، ومن سُنّه الله تعالى أن يُنعمَ الحلال وإن
كان يسيراً ، ويمحقَ الحرام وإن كان كثيراً .

« ومن الناس من آتاه الله مالا فبثّ في الأسواق جنودَ ذهبه وورقه ،
واحتمكر ماحله الميزانُ من ذوات رطله ، ووسّعه الكيل من ذوات وسّته ،
فأصبح فقراءً بلده في ضيقٍ من عدم الرّفق ومدد الرّزق ، فليمنع هؤلاء أن
يجمّلوا رزق الله محتكراً ، ومعاشَ عباده محتجراً ، وليؤمروا بأن يتراحوا ،
ولا يتزاحوا ، وأن يأخذ الغني منهم بقدر الكفاف ، ويترك للفقير ما يعينه على
الإسعاف ، قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : « لاحكرة في سوقنا ،
لا يعمدُ رجالٌ بأيديهم فضولٌ من أذهب إلى رزقٍ من أرزاقِ الله تعالى ينزلُ
بساحتنا ، فيحتكرونه علينا ؛ ولكن أيّما جالبٍ جلب على عمود كبده فذلك
ضيفُ عمر ، فليبيع كيف شاء الله ، وليمسك كيف شاء الله » .

« وأما التسعيرُ فإنه وإن آثره القاطنون ، وحكم به القاسطون ، وقيل :
إن في ذلك للفقير تيسيرَ العسير ؛ فليس لأحدٍ أن يكون يد الله في حفظ
ما رَفَع ، وبذلِ ما منع ، فتف أنت حيث أوقفك حكم الحق ، ودع ما يعنُّ لك
من مصلحة الخلق ، ولا تكن ممن اتبع الرأى والنظر ، وترك الآية والخبر ،

فحكمة الله مطوية فيما يأمر به على أسنة رسله ، وليست مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ؛ ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (١) .

« وتما تأمرك به أن تمحو الصغيرة كما تمحو الكبيرة ، فإن لم الذنوب كالثقل يصير مجتمعه سيلاً متدفقاً ؛ وكان أوله قطراً متفرقاً .

« وقد استمرّ في الناس عوائد تهاونوا باستمرارها ، ولم ينظروا إلى ثقل أوزارها ، فن ذلك ابس الذهب والحري الذي لم يلبسه إلا من عدم عند الله خلّاقاً ؛ وإن قيل إنه شعارٌ للفي فلم يزد صاحبه من الحسنات إلا إملاقاً ، وللبس عبادة مع التّموى أحسن في العيون شعاراً ، وأعظم في الصدور وقاراً .

« وابتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنيةً يمنع منها حق الصدقات ، وهو حقٌ يقاتل مانعه ، ويُعصى في استعمالها أمر الله وهو حدٌّ من حدوده يعاقب عاصيه ، ويثاب طائعه .

« وكذلك يجري الحكم في الصور المرقومة في البيوت والثياب ، وعلى الستور المعلقة على الأبواب ، وإخراجها في ضروب أشكال الحيوان ، للاعبه الصبيان ، وذلك مماثلةً لخلق الله في التقدير ، ولهذا يؤمر صانعه بنفخ الروح فيما صورّه من التصوير .

« وما يُعاطف نكيره إطالة الذبول الاجترار ، والمباهاة لما فيها من عنجهية التّية والاستكبار ، ولن يخرق صاحبها الأرض بإعجابه ، ولا يبلغ طول

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

الجبال بإطالة ثيابه^(١) . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر يوم
القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاً » .

« ومما هو أشد نكيراً أمرُ الحمامات ، فإن الناس قد أصرُّوا بها على
الاجهار وترك الاستتار ، والتهاون بأمر العورات التي لصاحبها اللعنة وله
سوء الدار .

« والنساء في هذا المقام أشدّ تهالكاً من الرجال ، وقد ابتذلن أنفسهن
حتى أفرطن في فاحشة الابتذال ، ولهنّ محدثاتٌ من المنكر أحدثها كثرة
الإفراء والإتراف ، وأهمل إنكارها حتى سرّت في الأوساط والأطراف ،
وقد أحدثن الآن من الملابس ما لم يخطر للشيطان في حساب . وتلك من لباس
الشهرة الذي لا يستترُ منه إسبالُ مرطٍ^(٢) ولا إذناء جلبابٍ .

« ومن جملتها أنهنّ يفتصّين عصائب كأمثال الأسنمة ، ويخرجن
من جهارة أشكالها في الصور الملعنة ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بها فيما ورد عنه من الأخبار ، وجعل صاحبها ممدوداً من زمرة أصحاب النار .

« ومما حميد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الألحان ، وتلك
قراءةٌ تخرج حروفها من غير خرج ، وتبدوا معوجةً وهو قرآنٌ
عربيٌّ غير ذى عوج ، وقد أمر الله بترتيبه ، وإبراده على هيئة تنزيهه ، فنس
قرأه بالترجيع والترديد ، وزلزل حروفه بالتمطيط والتديد ، فقد ألحقه
بدرجات الأغاني ، وذهب بما فيه من طلاوة الألفاظ والمعاني .

(١) مأخوذ من قول الله تعالى : ولا تمش في الأرض مرحاً
إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً « سورة الإسراء :
الآية ٣٧ .

(٢) المرط : بالكسر كساء من صوف أو خز وجمعه مروط .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإيأكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتائب وسيجيءُ بعمى قومٌ يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوزُ حناجرهم مفتونةٌ قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » .

« ويلتحقُ بذلك اقتناء الثينياتِ المغنّياتِ اللاتي يلعبنَ بالعتول لبعنَ بالأسماع ويغنّينَ الشيطانَ بغنائهنَّ عن بثّ الجنود والأشباع ، وفتياً النفس الأمارة في ذلك أن تقول : هؤلاء إملاءٌ يحلُّ نعمةُ سماعهنَّ كما يحلُّ ما تحت قناعهنَّ ، وقد علم أن لكلِّ شيءٍ تماماً ، وقد ينقلبُ الحلالُ فيصيرُ حراماً . ومن حامٍ حول الحمى يوشكُ أن يقع فيه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبمعوا الثينياتِ المغنّياتِ ، ولا تشتروهنَّ ، ولا تملوهنَّ ، ولا خير في تجارةٍ فيهنَّ ، وثمنهنَّ حرامٌ » . وفي مثل هذا أنزلتُ : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ)^(١) .

وكذلك يجرى الحكم في المواشيطة اللاتي يجمعان الحسن موفوراً ، والقبح مستوراً ، ويخدعن نظر الناظر حتى يجعلنه مسحوراً ، فهنَّ يبدن صدقاً من كذبٍ وجداً من لعب ، وفعلهنَّ هذا من الفسح الذي نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وقال ، إنه ليس منه^(٢) ، وقد لمن الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والواشرة والمستوشرة^(٣) .

(١) سورة لقمان : الآية ٦

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » أو من غش أمتي فليس مني » .

(٣) الواصلة التي تصل شعرها بشعر غيرها ، والواشرة التي تحدد أسنانها ، والواشمة التي تشم يدها أو غير ذلك من أعضائها ، والمستفعل من كل هذه الأشياء من يطلبها .

« ومن غش المنكرات أيضاً خضابُ الشَّيبِ الذي يخالفُ فيه الظاهر الباطن ، ويتخلَّق صاحبه بخلقِ الكاذبِ الخائن ؛ وهَبَ أنه أخفى لون شعره وهل يخفى أخلاقَ لباسِه . وإذا استسنَّ ملائمُ المرءِ . فلا يغنيه سواد عارضه ، ولا سوادُ رأسه ، وقد جعل اللهُ الشَّيبَ من نعمه المبشِّرة بطول الأعمار ، وسمَّاه نوراً للوَّنه وهدايته ولا تستوى الظلمات والأنوار ، قال النبي صلى اللهُ عليه وسلم : [« قَوْمٌ يَخْضِبُونَ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » . والأولى بصاحب (١)] الشَّيبُ أن يشتغل بتغيير صِيفَةِ الْكِتَابِ (٢) وَيَذُوبُ فِي مَحْوِ سَوَادِ الْعِقَابِ بِدِيَاضِ الثَّوَابِ ، فَنَفِي بَقِيَّةِ عَمْرِهِ مَنَدُوحَةً لِادْخَارِ مَا يَحْمَدُ ذُخْرُهُ ، وَتَبْدِيلِ مَا تَقَدَّمَ سَطْرُهُ .

« ومما خولفت فيه السنَّة عقدُ مجالسِ التعازي لحضور الناس ، وإظهار شعارِ الأَسْوَدِ والأَزْرَقِ مِنَ اللَّبَاسِ ، وَالتَّشْبِيهِ (٣) بِالْجَاهِلِيَّةِ فِي النَّوْحِ وَالنَّدْبِ ، وَمَجَاوِزَةَ دَمْعِ الْعَيْنِ وَخَشْوَعَ الْقَلْبِ إِلَى الْإِعْلَانِ بِإِسْخَاطِ الرَّبِّ ، وَقَدُّ تَوَاطَأِ النِّسَاءِ عَلَى ضَرْبِ الْخِيَامِ عَلَى الْقُبُورِ ، وَجَعْلِ الْأَعْيَادِ مَوَاسِمَ لِاجْتِمَاعِ الزَّائِرِ وَالْمَزُورِ ، فَصَارَتِ الْمَآئِمُ بَيْنَهُمْ وَلَائِمٌ وَالْمُنَادِبُ عِنْدَهُمْ مَادِبٌ ، وَرَبِّمَا نَشَأَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَفْضُ طَرْفًا ، وَيَجْدَعُ أَنْفًا ، وَيُوجِبُ حَدًّا وَقَذْفًا ، وَهَكَذَا أَهْمَلُ أَمْرَ الْأِسْلَامِ فِي تَشْبِيهِ أَهْلِ الذَّمِّ بِأَهْلِهِ ، وَمَا كَانُوا يُشَابَهُوهُ فِي زِيَّ غَرَّتِهِ وَمُخَالَفَوهُ

(١) سقط هذا الحديث من أصول الكتاب وجميع طبعاته . وقد أكملنا الحديث الشريف ، ونقلنا الكلمتين الواردتين بعده من رسائل ابن الأثير (١٤٧) التي حررها وحققها الأستاذ أنيس المقدسي - بيروت ١٩٥٩ م .
(٢) أي محو ما كتب عليه من ذنوب بالتوبة والعمل الصالح .
(٣) في الأصل « التشبيه » وهو تحريف ، والصواب عن رسائل ابن الأثير .

في سلوك سُبُهله ، ولا بدَّ من الفِيار بأن يشدَّ النصرانيُّ عقدةَ زناره ، وَيُصَفِّرُ اليهودى أعلى إزاره .

« ولِيَمْنَعُوا مِنَ التَّظَاهِرِ ^(١) بِطَفْيَانِ النِّعْمَةِ وَعُلُوِّ الْهَمَةِ ، وَيُؤْمَرُوا بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حَكَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَأَخَذُوا فِيهِ بِالِاخْتِفَاءِ وَالْاِكْتِتَامِ ، نَحْمُورَهُمْ تُسْتَرُّ ، وَشَعَائِرُ دِينِهِمْ لَا تَظْهَرُ ، وَمَوْتَاهُمْ تَقْبَرُ بِالْخَمُولِ قَبْلَ أَنْ تَقْبُرَ ، فَلَا يُوْقَدُ خَلْفَ مِيْتِهِمْ مُصْبِحًا ، وَلَا يَتَّبِعَ بِنَدْبٍ وَلَا صِيْحًا .

« ومما عرف الناس مُنْكَرَهُ إِثَارَةُ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَكْبَادٍ رَطْبَةٍ ، وَأَخْلَاقٍ صَعْبَةٍ ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا مَا يَحِلُّ أَكْلُهُ ، وَلَا يَحِلُّ قَتْلُهُ ، كَالْكَبْشِ ، وَالْحِجَلَةِ ، وَالْدِيكِ ، وَالشَّمَانِيِّ ، وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ اقْتِنَائِهَا ، وَالْمَوَاطِبَةِ عَلَى إِضْرَامِ شَحْنَائِهَا ، وَرَبَّمَا نَشَأَ مِنْ ذَلِكَ فَتْنَةٌ تَقُولُ إِلَى ضِرَابٍ ، وَشَقِّ ثِيَابٍ ، وَإِحْدَاثِ شَجَاجٍ ، وَإِثَارَةِ عَجَاجٍ ، وَتَحْرُشٍ إِلَى أَحْزَابٍ كَثِيرَةٍ وَأَفْوَاجٍ .

« وَيَتَّصِلُ بِهَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَشْيَاءٌ أُخْرَى تَجْرِي مَجْرَاهَا فِي التَّقْدِيمِ ، وَتَنْزَلُ مِنْزِلَتَهَا فِي التَّحْرِيمِ ، فَحَاكَمَ فِيهَا بِحَكْمِكَ ، وَامْضُ فِي شِبْهَاتِهَا بِدَلِيلِ عِلْمِكَ ، وَنَبِّ عِنَّا فِي التَّنْذِيرِ وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ ، حَتَّى يَتَّقُوا الْأُودَ ، وَيَتَّضِحَ الرُّشْدَ ، وَيَمْكُثَ فِي الْأَرْضِ مَا يَنْفَعُ وَيُذْهِبُ الزَّبَدَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ الَّذِي يَسْمَعُ وَيَرَى ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى .

« وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عِبَادَةٌ يَتَعَلَّقُ نَفْعُ صَاحِبِهَا إِلَى غَيْرِهِ ، وَتَسْتَضِيْفُ خَيْرَ الْأُمُورِ بِهَا إِلَى خَيْرِهِ ، وَهِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ الَّذِي تَقَانُلُ فِيهِ عَوَاصِي النُّفُوسِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « الظَّاهِر » وَهُوَ تَحْرِيفٌ :

وتضربُ فيه رُءوس الشَّهوات التي هي أَمْنَع من معاقِد الرُّءوس ، فقتيله يحيا ،
بقتله ، وجريحه يؤسَى بمجراحة نصله . وبمثل هذا الجهاد تُسْتَنْزَل أمداد النِّعم
مضغمة ، كما تستنزل أمداد النصر مردفة ، فأقدم عليه ذا عزمٍ باتر ، وطرفٍ
ساهر ، وقدمٍ ثابتٍ صابر ، حتى تظلَّ لمعاقل الشيطان فأمحماً ، وتكونَ فيمن
دعا إلى الله وعمل صالحاً .

« واعلم أنك في صديحة كلِّ يومٍ يبتدرُّك الملك والشيطان ، وكلّ منهما
يقول : يا أيها الإنسان ، فإن أجبت نداء الملك كتبك في زمرة من مهَّد لجنبه ،
وخاف مقام ربه ، وعُرِّجَ بعملك ^(١) إلى الله طيباً نشره ، مضاعفاً أجره ، وإن
أجبت نداء الشيطان كتبك في زمرة من أغواه ، وقرنك بمن أغفل الله قلبه
واتَّع هواه ، ثم نزل به إلى الأرض خبيثاً مخبئاً ، وأقبل به على إخوانه من
الشياطين محدثاً .

« وهذا آخر ماعهدناه إليك من العهد الذي طوّقت اليوم بكتابه ،
وستناقش غداً على حسابه ، وكما جعلناه لك في الدنيا ذكراً فاجعله لك في الآخرة
ذخراً ، إن شاء الله تعالى ، والسلام » .

* * *

وهذا الذي ذكرته في هذين من الكتاب والتقليد يتضمَّن إطناباً ، مستوفى
الأقسام ، ولولا خوف الإطالة التي لا حاجة إليها لأوردتُ قصائد من الشعر
أيضاً ، حتى لا يخلو الموضوع من ضربٍ أمثلةٍ من المنظوم والمشور ، ولكن
في الذي ذكرته كفاية لمن يحمله على أشباهه ونظائره .

(١) في الأصل « وعرج بك » ورواية رسائل ابن الأثير (١٤٨)

أنسب ، ولذلك آثرناها .

فإن قيل : إن الأطناب في الكلام قد وضعتوه إسماً على غير مسمى ،
فإن الكلام لا يخلو من حالين : إما أن لا يزيد لفظه على معناه ، وهو (الإيجاز)
أو يزيد لفظه على معناه ، وهو (التطويل) ، وليس هاهنا قسم ثالث ، فما
الإطناب إذاً . . ؟

قلت في الجواب : إعلم أن (الإيجاز) هو ضد (التطويل) ، كما أن
السواد ضد البياض ، غير أن بين الضدين مراتب ومنازل ليست أضداداً ،
فالإطناب لا إيجاز هو ولا تطويل ، كما أن الحمرة أو الخضرة ليست بياضاً
ولا سواداً .

وقد قدمنا القول أن الإطناب يأتي في الكلام مؤكداً كالذي يأتي بزيادة
التصوير للمعنى المقصود ، إما حتمية وإما مجازاً ، والتطويل ليس كذلك فإنه
التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه ، يفهم ذلك المعنى بدونهِ . فإذا حذفت تلك
الزيادة بقي المعنى المعبر عنه على حاله ، لم يتغير منه شيء .

وهذا بخلاف الإطناب ، فإنه إذا حذفت منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى
تغير ذلك المعنى ، وزال ذلك التأكيده عنه ، وذهبت فائدة التصوير والتخييل
التي تفيد السامع ما لم يكن إلا بها .

ألا ترى إلى قوله تعالى (فإنها لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب
التي في الصدور) وهذا لا يسمى إيجازاً ، لأنه أتى فيه بزيادة لفظ ، وهو ذكر
الصدور ، وقد علم أن القلوب لا تكون إلا في الصدور ، ولا يسمى تطويلاً ،
لأن التطويل لا فائدة فيه أصلاً ، وهذا فيه فائدة ، وهي ما أشرنا إليه وكذلك
بأقسام الإطناب التي تنبئنا عليها ، وهذا الانزاع فيه .

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأشير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد السحونى و دكتور بدوى طبانة

القسم الثالث

النوع السابع عشر

في التكرار

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ،
وما [أشبه] ذلك مما يختلط بهذا النوع القوي هو « تكرير المعاني
والألفاظ » .

واعلم أن هذا النوع من مقائل علم البيان ، وهو دقيق المأخذ .

وحدته هو : دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، وربما اشتبه على أكثر الناس
بالإطناب مرة وبالتطويل أخرى . وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه
الأنواع الثلاثة في باب الإطناب (١) فلا حاجة إلى إعادته هاهنا .

وأما التكرير فقد عرفته ، وهو ينقسم قسمين :

أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى

والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ . فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى

فكقولك لمن تستدعيه « أتيرع أتيرع » ومنه قول أبي الطيب المتنبي (٢) :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِبْرَائِيلَ وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك : « أظني ولا تمصني » .

فإن الأمر بالطاعة نهى عن الممصية .

(١) أنظر صفحة ٣٥٧ من القسم الثاني من هذه الطبعة .

(٢) ديوان المتنبي ٧٩/٤ من قصيدته في مدح الميث بن علي العجلي ، ومطلعها :

فؤاد ما تسليه اللدام وعمر مثل ما تهب اللثام

وكلٌ من هذين التسمين ينقسمُ إلى مُفيدٍ ، وغير مُفيدٍ :

ولا أغني بالمُفيدِ ها هنا ما يَمْنِيهِ النُّحاةُ ، فإنه عندهم عبارة عن النظرِ للركب ، إقامِ الاسمِ مع الاسمِ ، بشرطِ أن يكونَ للأولِ بالثاني علاقةٌ مَعْنَى يَسَعُ مكلفاً جملاً ، وإما من الاسمِ مع الفعلِ التامِّ للتصرفِ على الشرطِ أيضاً ، وإما من حَرَفِ التَّدْءِ مع الاسمِ ، فهذا هو المُفيدُ عندَ النُّحاةِ .

وأنا لم أقصدُ ذلكَ ها هنا ، بل مقصودي من التَّفِيدِ أن يَأْتِيَ لِمَعْنَى ، وغيرِ للفيدِ أن يَأْتِيَ لِمَعْنَى .

واعلمَ أنَّ لفيدِ من التكريرِ يَأْتِي في الكلامِ تَأْكِيداً له وتَشْيِيداً مِنْ أَمْرِهِ . وَإِنَّمَا يُنْعَلُ ذلكَ للدلالةِ على العِنَايَةِ بالشئِ الذي كَرَّرْتَ فيه كَلِمَتَكَ ؛ إما مُبَالَغَةً في مَدْحِهِ ، أَوْ فِي ذَمِّهِ أَوْ غَيْرِ ذلكَ ، ولا يَأْتِي إِلا في أَحَدِ طَرَفَيْ الشئِ المقصودِ الذِّكْرُ ، والوسطُ عَارِضٌ مِنْهُ ، لأنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هو المقصودُ بالمُبَالَغَةِ ، إما بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ غَيْرِهَا ، والوسطُ ليسَ من شرطِ المُبَالَغَةِ ، وغيرُ المُفيدِ لا يَأْتِي في الكلامِ إِلا عَمِيّاً وَخَطَلاً من غيرِ حاجةٍ إِليه .

[التكرير في اللفظ والمعنى]

أما الأول ، وهو الذي يوجدُ في اللفظِ والمعنى ، فإنه ينقسمُ إلى ضربين : مُفيدٍ ، وغيرِ مُفيدٍ .

فالأولُ المُفيدُ ، وهو فرعان :

الأول : إذا كُلم التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والقصود به

عرضه مختلفاه :

كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَعَدَكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ لَكُمْ ،
وَتَوَدُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ
الْحَقَّ بِحَمَاتِهِ وَيَقَطَعَ دَائِرَةَ الْكَافِرِينَ ، لِاحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطَلُ الْبَاطِلُ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ^(١) ﴾

هذا تكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله « يحق الحق » و« ليحقق الحق » .
وإنما جيء به ها هنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين ،
والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وأنه ما نصرهم
وخذّل أولئك إلا لهذا الغرض .

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُلْ
اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي • فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ^(٢) ﴾ .

فكرر قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ »
وقوله « قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي » والمراد به فرضان مختلفان ، وذلك أن

(١) سورة الأنفال : الآيات ٨ و ٧ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

الأوّل إخباراً بأنه مأثورٌ من جوةِ اللهِ بالعبادةِ له والإخلاصِ في دينه ، والثاني إخباراً بأنه يخصُّ اللهَ وحده دونَ غيره بعبادته ، مخلصاً له دينه ، ولدلائله على ذلك قدّم المعبودَ على فعلِ العبادةِ في الثاني ، وأخره في الأوّل ، لأنّ الكلامَ أولاً واطّبع في الفعلِ نفسه وإيجادِهِ ، وثانياً فيمن يفعلُ الفعلَ من أجله ، ولذلك رتب عليه « فاعبدوا ما شئتم من دونه » .
وعليه وردَ قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ آمَنَ يَذُهِبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

وظاهر الأوّل والثاني أنهما سواء في اللفظ ، وليس كذلك ، لأنّ الثاني فيه تخصيصٌ غيرٌ موجودٍ في الأوّل ، ألا ترى أنا إذا قلنا « زيدٌ الأفضل » وقلنا « الأفضل زيدٌ » كان في الثاني تخصيصٌ له بالفضل ، وهذا التخصيصُ لا يوجدُ في القولِ الأوّل الذي هو « زيدٌ الأفضل » ويجوز أن تُبدلَ صفةُ الفضلِ فيه بغيرها أو بضدّها ، فيقال « زيدٌ الأنجل » أو « زيدٌ الأقمص » وإذا قلنا « الأفضل زيدٌ » وجب تخصيصُهُ بالنفس ، ولم يكن تغييرُ عنه .

وكذلك يجزى الحكمُ في هذه الآيات ، فإنّ الله تعالى قال : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ثم قال : « لَمْ يَذُهِبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » فوصفهم بالامتناعِ عن الذهابِ إلا بإذنه ، وهذه صفةٌ يجوزُ أن تُبدلَ بغيرها

من الصفات . كما قال تعالى في موضع آخر ﴿ إِنَّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (١) .

فجاء بصفة غير تلك الصفة . ولما قال : « إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله » وجب تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره ،
وهذا موضع حسن في تكرير المعاني .

ومما يعثمن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ
مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ *
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢) .

وقد ظن قوم أن هذه الآية تكريرٌ لا فائدة فيه ، وليس الأمر كذلك ،
فإن معنى قوله « لا أعبد » يعنى في المستقبل بين عبادة آلهتكم ، ولا أنتم
تاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، « ولا أنا عابدٌ ما عبدتم » .
أى : وما كنتُ عابداً تدافعاً فيما سلف ما عبدتم ، يعنى أنه لم يمتد بيني
عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجح ذلك معنى في الإسلام ؟
« ولا أنتم عابدون » في الماضي في وقت ما ما أنا على عبادته الآن .

ومما يجزى هذا الجزى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٥ .

(٢) سورة الكافرون .

(٣) سورة فاتحة الكتاب : الآيات ١ و٢ و٣ .

فكرر « الرحمن الرحيم » مرتين ، والفائدة في ذلك أن الأول يتعلق
بأمر الدنيا ، والثاني بأمر الآخرة .

فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع إلى خلق المالكين في كونه خلق كلاً منهم
على أكمال صفة ، وأعطاه جميع ما يحتاج إليه حتى البقرة والذباب . وقد يرجع
إلى غير الخلق كإدراك الأرزاق وغيرها .

وأما ما يتعلق بأمر الآخرة فهو إشارة إلى الرحمة الثانية في يوم القيامة .
ذى ذو يوم الدين .

وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرراً لا فائدة في تكرره ،
فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر فأنتم نظرك فيه فانظر إلى سوابقه
وتوابعه ، لتكشيف لك الفائدة منه .

ومما ورد في القرآن الكريم مكرراً قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِكِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١) ﴾ .

فكرر قوله : « فاتقوا الله وأطيعوا ^(٢) » ، إيؤكداه عندهم ، ويقرره
في نفوسهم ، مع تعليق كل واحد منهما بملء ، فجعل علة الأول كونه أميناً
فيما بينهم ، وجعل علة الثاني حسم طمعه فيهم ، وخلوه من الأغراض
فيما يدعونه إليه .

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٠٥ - ١١٠ .

(٢) زيادة عن الأصل يقتضيهما السياق .

ومن هذا الحق قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ . وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ . إِنْ كُنَّ إِلَّا كَذِبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابٌ ^(١) ﴾

وإنما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة ، فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإهام ، ثم جاء بالجملة الاستثنائية ، فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ، لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم . وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً ، وبالاستثنائية ثانياً ، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص لليلة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض ، وبه تعرف مواقع التكرير ، والفرق بينه وبين غيره ، فأنه إن شاء الله تعالى .

الفرع الثاني من الضرب الأول ^(٢) :

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد ، والمزاد به غرض واحد ، كقوله تعالى : ﴿ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرٌ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرٌ ^(٣) ﴾ .

والتكرير دلالة التعجب من تقديره ، وإصابته الغرض ، وهذا كما يقال : ﴿ قَتَلَهُ اللهُ مَا أَشْجَمَهُ أَوْ مَا أَشْعَرَهُ . ا . ﴾

(١) سورة ص : الآيات ١٢ و١٣ و١٤ .

(٢) أى التكرير المفيد .

(٣) سورة المدثر : الآيات ١٩ و٢٠ .

وعليه وَرَدَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« أَلَا يَا اسْمِي نُمُّ اسْمِي نُمَّتْ اسْمِي ^(١) »

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالتسمية ، وكل هذا يُجَاهُ بِهِ لتقرير المعنى المراد إثباته .

وعليه ورد الحديث النبوي ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْفَكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيًّا ،
فَلَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، إِلَّا أَنْ يُطَلَّقَ عَلِيٌّ ابْنَتِي وَيُنْفَكِحَ
ابْنَتَهُمْ »

فقوله « لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ » من التكرير الذي هو أشدُّ

موقفاً من الإيجاز ، لأنَّ صِيَابَ العنَايَةِ إِلَى تَأْكِيدِ القَوْلِ فِي مَنَعِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنهُ - مِنَ التَّرْوِجِ بَابِنَةِ أَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ .

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ^(٢) .

ومن أجل ذلك نقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » لأنَّ قولنا

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مثل قولنا « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وهما في المعنى سَوَاءٌ ،

وإما كَرِهْنَا القَوْلَ فِيهِ لتقرير المعنى وإثباته ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُخَالِفُ

فِيهِ كَالنَّصَارَى وَالتَّنَوُّيَةِ .

(١) صدر بيت وعجره * ثلاث تحيات وإن لم تكلمى * والبيت في ديوان الحماسة ٢/٦٣٧

والبيت ثلاث ثلاثة أبيات رواها أبو تمام ، ولم ينسبها لصاحبها ، والأبيات هي :

ولا غرو إلا ما يخبر سالم بأن بني أشباهها نذروا دى

ومالي من ذنب لايهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسمي

نعم فاسمى تم اسمي نمت اسمي ثلاث تحيات وإن لم تكلمى

(٢) سورة القيامة : الآيات ٣٤ و٣٥

والتكريرُ في مثلِ هذا المقامِ أبغ من الإيجازِ ، وأحسنُ وأشدُّ موقفاً
ومما جاء في مثلِ هذا قوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنفِثُ بِهَا
بُيُوتَهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ،
فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۗ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ كَافِرِينَ ۝ (١) ۙ

قوله : « مِنْ قَبْلِهِ » بعد قوله : « مِنْ قَبْلِ » فيه دلالةٌ على أن عهدَهُم
بالمطرِ قد بُدئ وتناول ، فاستحکم بأْسهم ، وتمادى إِبْلَاهُهم (٢) ، فكان
الاستبْشَارُ على قدرِ اغْتِمَامِهِمْ بذلك .

وعلى ذلك وردَ قوله تعالى : ﴿ قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ۝ (٣) ۙ

فقوله : « لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يقومُ مقامَ قوله
« وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ » ، لأنَّ من لا يؤمنُ باللَّهِ ولا باليومِ الآخرِ لا يدينُ
دينَ الحقِّ ، وإنما كرَّرَ هَاهُنَا للخطبِ على الأُمُورِ بِمَقَالِمِهِمْ ، والتسجيلِ عليهم
مَالِدَةً ، وَرَجْمِهِمْ بِالْعِظَائِمِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَوْجُوبِ قِتَالِهِمْ وَحَرْمِهِمْ .

وقد قلنا : إنَّ التكريرَ إنما يأتي لما أُنْهَى من الأمرِ ، بصرفِ العنايةِ إليه
ليثبت ويتقرر .

وكذلك وردَ قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أُنذَرْنَا كُنَّا

(١) سورة الروم : الآيتان ٤٨ و ٤٩

(٢) الإِبْلَاسُ اليأسُ ، يقال : أبلس إذا يئس .

(٣) سورة التوبة الآية ٢٩ .

تُرَابًا أُنْيًا لَنِي خَلَقِي جَدِيدٍ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ
الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(١) ﴿

فتكريرُ لفظَةِ « أُولَئِكَ » من هذا البابِ الذي أشرنا إليه ، لمكان
شدة النكير ، وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث .

وعلى هذا وردَ قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمْ الْأَخْسَرُونَ ^(٢) ﴾ .

فإنه إنما تكررت لفظَةُ « هُمْ » للإيذانِ بتحقيقِ الخسار ، والأصلُ فيها
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْأَخْسَرُونَ ، لكن لما أريدَ تأكيدُ ذلكَ جيءَ بتكريرِ
هذه اللفظةِ المُشارِ إليها .

وكذلكَ قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ^(٣) ﴾ .
وأمثالُ هذا في القرآنِ كثيرٌ .

وكذلكَ وردَ قوله تعالى في سورة القصص :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي ائْتَنَصَرَهُ بِالْأَمْسِ
بَسْتَضْرِحُهُ قَالَ ، أَنَا مُوسَى ابْنُكَ أَنعوى مُبِينٌ . فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي
هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَمُقَاتِلَ كَمَا قَاتَلْتُمْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ^(٤) ﴾ .

(١) سورة الرعد : الآية ٥ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥ .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٧ .

(٤) سورة القصص : الآيتان ١٨ و ١٩ .

فقوله تعالى « فلما أن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ » بـ « كَرِيرِ » « أن » مرتين دليلٌ على أن مؤمناً - عليه السلام - لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول ، بل كان عنه إبطاءٌ في بسط يده إليه ، فعبّر القرآن عن ذلك في قوله تعالى « فلما أن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ » .

وجرت بيبي وبين رجلٍ من النعمانيين مفاوضةً في هذه الآية ، فقال : إن (أن) الأولى زائدة ، ولو حذفت فقيـل : فلما أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ ، لكان المعنى سواءً ، ألا ترى إلى قوله تعالى (فلما أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه) (١) وقد اتفق النحاة على أن « أن » الواردة بعد « لما » وقبل الفعل زائدة .

فقلت له : النحاة لافتياً لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ، ولا عندهم معرفةٌ بأمرارهما من حيث إنهم نحاة ، ولا شك أنهم وجدوا « أن » ترِدُ بعد « لما » وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب ، فظنوا أن المعنى بوجودها كالمعنى إذا سقطت ، فقالوا : هذه زائدة . وليس الأمر كذلك ، بل إذا وردت « لما » وورد الفعل بعدها بإسقاط « أن » دل ذلك على الفور ، وإذا لم تستقط لم يدلنا ذلك على أن الفعل كان على الفور ، وإنما كان فيه تراخٍ وإبطاء .

وبيان ذلك من وجهين :

أحدهما : أنني أقول : فائدة وضع الألفاظ أن تكون أدلة على المعاني ، فإذا وردت لفظة من الألفاظ في كلام مشهور له بالفصاحة والبلاغة ، فالأولى

(١) سورة يوسف : الآية ٩٦ .

أن تُحْمَلَ تلك اللفظة على معنى ، فإن لم يوجد معنى بعد التنقيب والتفتير
والبحث الطويل قيل : هذه زائدة ، دُخِلَها في الكلام كزوجها منه .

ولما نظرتُ أنا في هذه الآية وجدتُ لفظاً « أن » الواردة بعد « لما »
وقبل الفعل دالة على معنى ، وإذا كانت دالة على معنى فكيف يسوغ
أن يُقال إنها زائدة ؟ .

فإن قيل : إنها إذا كانت دالة على معنى فيجوز أن تكون دالة على
غير ما أشرت أنت إليه .

قلتُ في الجواب : إذا ثبت أنها دالة على معنى فالذي أشرت إليه معنى
مناسب واقع في موقعه ، وإذا كان مناسباً واقعاً في موقعه فقد حصل المرادُ منه ،
ودلّ الدليلُ حينئذٍ أنها ليست بزائدة .

الوجهُ الآخر : أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قد حان في كلام
الله تعالى ، وذلك أنه يكون قد نطقَ بزيادة في كلامه لا حاجةَ إليها ، والمعنى
يتمُّ بدونها ، وحينئذٍ لا يكون كلامه مُنجزاً ، إذ من شرط الإعجاز عدمُ
التطويل الذي لا حاجةَ إليه ، وإن التطويل عيبٌ في الكلام ، فكيف
يكون ما هو عيبٌ في الكلام من باب الإعجاز ؟ هذا محال .

وأما قوله تعالى : « فلما أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه » فإنه إذا نظِرَ
في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته منذ القوة في الجُبِّ إلى أن جاء
البشير إلى أبيه عليه السلام وجدَّ أنه كان نائمًا باطلاً بعيداً ، وقد اختلَبَ المفسرونُ
في طول تلك المدة ، ولو لم يكن ثمَّ مدةٌ بعيدةٌ وأمدٌ متطاولٌ لما جرىء بأن بعدَ
« لما » وقبلَ الفعل ، بل كانت تكون الآية : فلما جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه .

وهذه دقائق ورموز لا تُؤخذ من النحاة ، لأنها ليست من شأنهم .
واعلم أن من هذا النوع قسماً يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع
اختلاف اللفظ ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة .

وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام ، فمنه
قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ
الْأَلِيمِ ﴾ (١) والرجز هو العذاب .

وعليه ورد قول أبي تمام (٢)

سَوْسٌ يَثْقُلُ الْعَيْبُ مَضْطَلَعٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخَطُوبُ وَجَلَّتْ
وَالثَّقْلُ هُوَ الْعَيْبُ ، وَالْعَيْبُ هُوَ الثَّقْلُ .

وكذلك ورد قول البحري (٣)

وَيَوْمَ تَمَثَّلَ لَلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ بَعَيْنَيْنِ مَوْصُولًا بِلِحْظِهِمَا السَّخْرُ
تَوَهَّنَتْهَا الْوَى رَأَجَفَانِهَا الْكَرَى

كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَاتَ بِأَعْيَانِهَا الْخَمْرُ

فإن السكرى هو النوم .

(١) سورة سبأ : الآية ٥ .

(٢) ديوان أبي تمام . من قصيدة له يمدح فيها حبيش بن العاق ، ومطلعها .

نساثلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت

(٣) ديوان البحري ١/٥٤ من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :

مضى لاح برق أوبدا طلل قفر جرى مستهل لا بكى ولا نزر

ورُبِّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَتَاعِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَظَنُّوهُ
تَمَّالًا فَائِدَةً فِيهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الْفَائِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّأْكِيدُ لِلْعَنَى الْمَقْصُودِ
وَالْمِبَالِغَةُ فِيهِ .

أَمَّا الْآيَةُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ » أَيْ : عَذَابٌ مُضَاعَفٌ
مِنْ عَذَابٍ . وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْمِبَالِغَةَ فِي وَصْفِ الْمَدْرُوحِ
تَحْمَلُهُ لِلْأَنْفَالِ .

وَأَمَّا بَيْتُ الْبَحْتَرِيِّ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشْبَهَهُ طَرَفًا فِيهَا لِفُتُورِهِ بِالنَّائِمِ ، فَكَرَّرَ
الْمَعْنَى عَلَى طَرِيقِ الْمَضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ تَأْكِيدًا لَهُ ، وَزِيَادَةً فِي بَيَانِهِ .

وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُذَكِّرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ .

وَلَرَبِّمَا أُذْخِلَ فِي التَّسْكِيرِ مِنْ هَذَا النُّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَذْكُرْهُ
عَلَيْهِ أَيْضًا أَحَدٌ سِوَايَ .

فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) فَلَمَّا تَكَرَّرَ
« إِنَّ رَبَّكَ » مَرَّتَيْنِ عَلِيمٌ أَنْ ذَلِكَ أَذَلُّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢)

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ

(١) سورة النحل : الآية ١١٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٠ .

أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفَعِّلُوا فَلَاحْتَسِبْتَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ (١) ﴿

وهذه الآيات يُظَنُّ أنَّها من باب التكرير، وليست كذلك .

وقد أتممت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير ، وذلك أنه أطال الفصل من الكلام ، وكان أوله ينتقل إلى تمام إلا يفهم إلا به ، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ، ليكون مقارناً لتمام الفصل ، كمن لا يجي ، الكلام منشوراً لا سيما في « إن وأخواتها » .

فإذا وردت « إن » وكان بين اسميها وخبرها فُسحة طويلة من الكلام فإعادة « إن » أحسن في حكم البلاغة والفصاحة ، كالذي تقدم من هذه الآيات .

وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة (٢) .

أَسْحِنَا وَقَفِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً وَنَأَى حَيْبٍ إِنْ ذَا لِعَظِيمٍ
وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَمْدِهِ عَلَى مِثْلِ دَعَا إِيَّاهُ لِكَرِيمٍ (٣)

فإنه لما أطال الكلام بين اسم « إن » وخبرها أعيدت « إن » مرة ثانية ، لأن تقدير الكلام : وإن أمراً دامت موائيق عمده على مثل هذا الكريم ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٢) ديوان الحماسة ١٠٥/٢ ولم ينسبها أبو تمام .

(٣) رواية البيت الثاني في ديوان الحماسة :

وإن أمراً دامت موائيق عمده على مثل ما قاسيته الكريم
وعلى هذه الرواية لا يكون البيت موضعاً للاستشهاد ، لأنه لا تكرار فيه .

(م — ٢ المثل السائر)

لكن بين الأسماء الخبر مدى طويل ، فإذا لم تعد « إن » مرة ثانية لم يأت على السلام سهبة ولا روتق .

وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء إما طبعا وإما علما .

وكذلك يجرى الأمر إذا كان خير « إن » عاملا في معمول يطول ذكره ، فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن .

وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيُّهَا يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ هَشْرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ^(١) ﴾ .

فلما قال : « إِنِّي رَأَيْتُ » ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول « رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » .

وكذلك جاءت الآية المذكورة هاهنا مثل هذه وهي قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ^(٢) ﴾ فإنه لما طال الفصل أعاد قوله ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ فاعلم ذلك وضع يدك عليه .

وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّرُوءَ بِعَهْمِكُمْ ^(٣) » .

(١) سورة يوسف : الآية ٤ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .
(٣) سورة النحل : الآية ١١٩ .

وكذلك الآية الأخرى هي : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ
مَا فُتِنُوا » .

ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد قوله عز وجل :
﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ أَتَبُوءُونَ أَهْدِيكُمُ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ
الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ^(١) ﴾

فإنه إنما كرر نداء قومه هاهنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سفة
العقلية ، ولأنهم قومهم وعشيرته ، وهم فيما يوجبهم من الضلال ، وهو يعلم
وجه خلاصهم ، ونصيحتهم عليه واجبه ، فهو يتحزن لهم ، ويتألف بهم ،
ويستدعي بذلك الأبتهموه ، فإن مرورهم سروره ، وغمهم غمه ، وأن
ينزلوا على نصيحته لهم .

وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز ، وأشد مؤقفاً من الاختصار ،
طعنه إن شاء الله تعالى .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر : ﴿ فَذُقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ
وَأَقْدَبَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ ^(٢) ﴾ .

فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيراً ، وقائده أن يجددوا عند استماع
كل نبي من أنباء الأولين أذكراً وإيقاظاً ، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً ،
إذا سمعوا الحديث على ذلك والبعث إليه ، وأن تفرغ لهم النصا مرات ،
لئلا يغلبهم السهو ، وتشتتوا عليهم العفلة .

(١) سورة المؤمن : الآيتان ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة القمر : الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

وهكذا حُكِمُ التَّكْرِيرِ فِي قَوْلِهِ تَمَالَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ عَدَّدَهَا عَلَى عِبَادِهِ .
وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ .

وَمَا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوعِ شِعْراً قَوْلُ بَعْضِ شُعْرَاءِ الْحَمَاسَةِ (١) :

إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمَوْثَلِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُفَى الْجَزَلُ (٢)
فَقَوْلُهُ « هُنَاكَ هُنَاكَ » مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أْبْلَغُ مِنَ الْإِيجَازِ ، لِأَنَّهُ
مَعْرُضٌ مَدْحٌ ، فَهُوَ يَقَرِّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَاعِنَدَ الْمَدْحِ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ
الْمَذْكُورَةِ مُشْبِهاً لِبِهَا ، كَأَنَّهُ قَالَ أَذْلكُمْ عَلَى مَعْدِنِ كَذَا وَكَذَا
وَمَقَرُّ وَمُقَادِرِهِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِرِ بْنِ هِنْدٍ (٣) :

جَزَى اللهُ عَنِّي غَالِباً مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَكَانَ الدَّهْرُ نَابَتْ نَوَائِبُهُ (٤)

(١) نَسَبُهُ أَبُو تَمَالٍ إِلَى خَلْفِ بْنِ خَلِيفَةَ مَوْلَى قَيْسِ بْنِ نَعْلَةَ ، وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِي مَجِيدٌ
مَقَلٌّ : نَاصِرٌ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ ، وَيُحَدِّثُ بِالْأَقْطَعِ ، لِأَنَّهُ قَطَعَتْ يَدُهُ بِسَرِقَةِ أَهْمِ بِهَا .
(٢) رِوَايَةُ دِيوَانَ الْحَمَاسَةِ ٣٣٦/٢ « الْمُوَيْدِ » مَوْضِعُ « الْمَوْثَلِ » وَالْبَيْتُ مِنْ جِلَّةِ
أَبْيَاتِ أَوْلَاهَا :

عَدَلَتْ إِلَى فُخْرِ الْعَشِيرَةِ وَالْمَهْوَى لِلْبَيْمِ وَفِي تَعْدَادِ مَجْدِهِمْ شَغَلَتْ
(٣) هُوَ ابْنُ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ رِوَاحَةَ ، هَكَذَا قَالَ التَّبْرِيذِيُّ ،
وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِي مَقَلٌّ .

(٤) بَعْدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بَيْتَانِ ، وَهِيَ :
إِذَا قَلَّتْ عَوْدُوا عَادَ كُلُّ شَمْرِيذٍ أَشْمُ مِنَ الْفَتْيَانِ جَزَلٌ مَوَاهِبُهُ
إِذَا أَخَذَتْ بَزْلَ الْخَمَاسِ سِلَاحُهَا تَجَرَّدَ فِيهَا مَتَابِ الْمَالِ كَاسِبُهُ
رَاجِعٌ دِيوَانَ الْحَمَاسَةِ ٢٩١/٢ . رَلِمَ يَنْسَبُ أَبُو تَمَالٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلْمَسَاوِرِ ، وَلَكِنَّهُ
رَوَاهَا بَعْدَ أَبْيَاتِ الْمَسَاوِرِ أَوْلَاهَا :

فَدَأَى لَبْنِي هِنْدٌ غَدَاةَ دَعْوَتِهِمْ بِجَوْ وَبَالَ النَّفْسِ وَالْأَبْوَاتِ
ثُمَّ رَوَى بَعْدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةَ ، وَنَسَبَهَا لِأَخْرَجَ . وَرِوَايَةُ الْحَمَاسَةِ فِي الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ « جَزَى اللهُ خَيْرًا غَالِبًا .. » .

فَكَمْ دَأْفَمُوا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاَحَتْ عَلَى وَمَوْجٍ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ^(١)

فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد ، لأن تلاحم الكرب عليه كفعالي الموج من فَوْقِهِ . وإنما سوغ ذلك لأنه مقامٌ مدح وإطراء ، ألا ترى أنه يصف إحصان هؤلاء القوم عند حدثانٍ دهرٍ في التكرير ، وفي قبائله لو كان القائل هاجياً ، فإن الهجاء في هذا كالمُدح ، والتكرير إنما يَحْسُنُ في كِلَا الطَرَفَيْنِ لآ فِي الْوَسِطِ .

واعلم أنه إذا وردت « إن » المكسورة المُنْفَقَةَ قبل « ما » كانت بمعنىها سواء .

ألا ترى إلى قوله تعالى : « إنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ » فـ « إن » و « ما » بمعنى واحد ، وإذا أُورِدَتْ مِنْ بَعْدِ « ما » كانت من باب التكرير كقولنا : « مَا إِنْ كَذَبَا وَكَذَا » ، أي : ما يكون كذاً وكذاً ، وإذا وردت في الكلام فإنما ترد في مثل ما أقرنا إليه من التكرير ، فإن استعملت في غير ما يكون منها لفائدة يُفْتِجُهَا تَكْرِيرُهَا كان استعمالها لغواً لافائدة فيه .

وقد زعم قومٌ من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب المُنْتَبِي أتى في هذا البيت بتكريرٍ لا حاجة به إليه ، وهو قوله^(٢) :

الْعَارِضُ التَّهْنُ ابْنُ الْعَارِضِ التَّهْنِ ابْنِ الْعَارِضِ التَّهْنِ ابْنِ الْعَارِضِ التَّهْنِ

(١) الغوارب أعلى الموج وأعلى الظهر .

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٩/٤ من قصيدة له في مدح أبي عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي

الأنطاكي ، ومطلعها :

أفاض الناس أعراس لنا الزمن يخلو من المم أخلام من الفطن

وليس في هذا البيت من تكرير ، فإنه كقولك « الموصوف بكذا وكذا
ابن الموصوف بكذا وكذا » أي : أنه عريق النسب في هذا الوصف .

وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم
في وصف يوسف الصديق عليه السلام « الكريم ابن الكريم يوسف بن
يهوب بن إسماعق بن إبراهيم » .

ولقد فأوضي في هذا البيت المشار إليه بمض علماء الأدب ، وأخذ يطن
من جهة تكراره ، فوقفته على مواضع الصواب فيه ، وعرفته أنه كالخبر
النبوي من جهة المعنى سواء بسواء ، لكن لفظه ليس بمرضي على هذا
الوجه الذي قد استعمل فيه ، فإن الألفاظ إذا كانت حسناً في حال انفرادها
فإن استعمالها في حال التزكيب يزيد حُسناً على حُسنها ، أو يذهب
الحسن عنها .

وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى من الصنعة اللفظية (١) .

ولو تهيأ لأبي الطيب المتنبى أن يبدل لفظه « العارض (٢) » بلفظة
« السحاب » أو ما يجزى مجراها لكان أحسن .

وكذلك لفظه « الهين (٣) » فإنها ليست بمرضية في هذا الموضع
على هذا الوجه . ولفظه « العارض » وإن كانت قد وردت في القرآن ،

(١) انظر صفحة (٢١١) من القسم الأول من هذه الطبعة .

(٢) العارض السحاب يطر في الأفق ، ومنه قوله تعالى « عارض ممطرنا » .

(٣) حفت السماء تهين هتنا وهتونا وهتنا وهتنا ، وتهانت : انصبت ، أو هو فوق
المطل ، أو الضيف الدائم ، أو مطر ساعة ثم يفر ثم يعود ، وسحاب هائن وهتون .

وَهِيَ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ وُرُودِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوُرُودِهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الشَّرْعِيِّ ظَاهِرٌ .

وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وبيت لأبي الطيب أيضاً ، وهو في لُقَاةِ الْفِطْيَةِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْأَقَاظِ الْمُفْرَدَةِ فَلْيُؤْخَذْ مِنْ هُنَاكَ (١) .

وكثيراً ما يقع الجهال في مثل هذه المواضع ، وهم الذين قيلَ فيهم :

وَكَذًا كُلُّ أَخِي حَذَاقَةٌ مَا مَشَى فِي بَابِ إِلَّا زَلِقَ

فَتَرَى أَحَدَهُمْ قَدْ جَمَعَ نَفْسَهُ ، وَظَنَّ عَلَى جَهْلِهِ أَنَّهُ هَالِمٌ ، فَيُسْرِعُ فِي وَصْفِ كَلَامٍ بِالِإِبْجَازِ ، وَكَلَامٍ بِالتَّطْوِيلِ ، أَوْ بِالتَّكْرِيرِ ، وَإِذَا طَوَّلَ بِأَنْ يُبَدِيَ سَبَبًا لِمَا ذَكَرَهُ لَمْ يَوْجِدْ عِنْدَهُ مِنَ الْقَوْلِ شَيْئًا ، إِلَّا تَحَكُّمًا تَخَضُّعًا صَادِرًا عَنِ جَهْلِ تَخَضُّعٍ .

الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى :

وهو غير المفيد ، فمن ذلك قولُ مروان الأصغر (٢) :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبْدًا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا أَعْلَى أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدٍ

وهذا من العيب الضعيف ، فإنه كرر ذكر « نَجْدٍ » في البيت الأول ثلاثاً ،

(١) انظر صفحة (٢١٣) من القسم الأول من هذه الطبعة، وقد وازن فيها بين استعمال كلمتي « العسل » و « الشهد » في شعر للأعرج ولأبي الطيب وآية من القرآن الكريم .
(٢) هو أبو السمت مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان الأصغر ، ويقال لجدّه مروان بن أبي حفصة مروان الأكبر . كان شاعراً ساقط الشعر ، حاصر الوائقي والمتوكل ، وله قصائد عدة في المتوكل وأحمد بن أبي دؤد .

وفي البيت الثاني ثلاثاً ، ومُرادُه في الأول الثناء على نجدٍ ، وفي الثاني أنه تَلَفَّت إليها نَاطِرًا من بَنَدَادٍ ، وَذَلِكَ مَرَّتِي بَعِيدًا .

وهذا المعنى لا يحتاجُ إلى مثلِ هذا التكرير .

أما البيتُ الأولُ فيجُمَلُ على الجائزِ من التكريرِ ، لأنه مقامُ تشويقٍ وتحزُّنٍ ومَوْجِدَةٍ بَيَّرَاقِ نَجْدٍ . ولما كان كذلك أُجِيزَ فيه التكريرُ ، على أنه قد كان يُمكنُه أن يصوغَ هذا المعنى الوارد في البيئتين معاً من غيرِ أن يأتي بهذا التكريرِ المُتتابعِ سِتَّ مَرَّاتٍ .

وعلى هذا الأسلوبِ وردَ قولُ أبي نُوَاسٍ (١) :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ الْتَرَحُّلُ خَامِسٌ (٢)

ومُرادُه من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، ويا عَجَبًا له يأتي بمثلِ هذا البيتِ السَّخِيفِ الدَّالِّ على العيِّ الفلَحِشِ في ضِمْنِ تلك الأبياتِ العَجِيبَةِ اللُّحْثَنِ التي تقدِّمُ ذكرها في بابِ الإيجازِ (٣) ، وهي :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا أوردناه في صدرِ هذا النوعِ ، وهو قولُ أبي الطَّيِّبِ :

(١) ديوان أبي نواس (٢٩٥) من جملة أبيات من خرباته أولها .
وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا بها أثر منهم جديد ودارس
(٢) رواية الديوان في هذا البيت :
أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمَيْنِ بَعْدَهُ ويومًا له يوم الترحل خامس
(٣) راجع صفحة (٣٤٦) من القسم الثاني من هذه الطبعة .

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ^(١)
فهذا هو التكريرُ الفاحشُ الذي يؤثرُ في الكلامِ نقصاً .
الآ تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي فِي سُوءِ الْجَوَارِ ، وَلَا مِثْلِي فِي
مُصَابَرَتِهِمْ وَمُقَامِي عِنْدَهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ .
وعلى نحوٍ من ذلك جاء قولُ أيضاً :
وَقَلَّعْتُ بِأَلْتِهْمِ الَّذِي قَلَّقَلَ الْحَشَا قَلَّاقِلَ عَيْسِ كَلْمُنَّ قَلَّاقِلُ

* * *

(التكرير في المعنى دون اللفظ)

وَأما القسمُ الثاني من التكرير ، وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ .
فذلك ضربان : مفيدٌ وغيرُ مفيدٍ .

الضرب الأول : المفيد

وهو نوعان :

الأول إذا طرأ التكرير في المعنى برل على معنيين مختلفين :

وهو موضعٌ من التكرير مشكل ، لأنه يسبقُ إلى الوم أنه تكرر يدلُّ
على معنى واحدٍ .

فيماء جاء منه حديثُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ^(٢) فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، وَذَلِكَ

(١) من قصيدته التي أولها :

فؤاد ما تسايه المدام وعمر مثل ماتهب اللتام
وقد سبق في صفحة (٣) من هذا القسم الثالث .

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، حليف قريش ، ويقال إنه من مذحج وقيل هو
حليف الزبير بن العوام . شهد بدر والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن خمس وستين
سنة . وصلى عليه عثمان ، وقد شهد افة لحاطب بالإيمان في قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمُ أَوْلِيَاءَ ... » . وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن
عبد البر ٣١٢/١

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ^(١) وَالْمُقَدَّادَ^(٢) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَقَالَ : « اذْهَبُوا إِلَى رَوْضَةِ خَاحٍ^(٣) ، فَإِنَّ بِهَا ظَمِيمَةً مَعَهَا كِتَابٌ ، فَأَتُونِي بِهِ » قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَنَزَجْنَا تَعَمَّادِي بِنَا خَيْلُنَا ، حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، وَإِذَا فِيهَا الظَّمِيمَةُ ، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصِهَا^(٤) ، وَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَسْجَلْ عَلَيَّ ، إِنِّي كُنْتُ إِسْرَاءَ مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَقْسِمِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَمْ قَرَابَةٌ يَخْمُونُ بِهَا أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَكَّةَ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَخْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنِ دِينِي ، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ » .

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم الزبير . وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولم يتخلف عن غزوة غزاهما رسول الله ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن الستة الذين هم أهل الشورى ، ومات مقتولا في فتنة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن زبيمة البهراوى ، من بهراء من قضاة ، وقيل هو كندى من كندة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وكان من الفضلاء النجباء الكبار الحيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، ودفن في أرضة بالجرف ، فحل إلى المدينة ، ودفن بها ، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين .

(٣) خاخ : موضع بين الحنين ، به روضة خاخ ، بقرب حمراء الأسد من المدينة ، قال الأحرص .

ليست لياليك من خاخ بمائة كما عهدت ولا أيام ذى سلم

(٤) القيصة : الضفيرة ، وعقص الشعر ضفره على الرأس .

قوله « ما فعلت ذلك كُفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ، ولا رِضاً بالكُفْر
بعدَ الإسلام » من التكرير الحسن .

وبعضُ الجهالِ يظنُّه تكرريراً لا فائدةَ فيه ، فإن الكُفْرَ والارتدادَ عن
الدينِ سِوَاهُ ، وكذلك الرِضَا بالكُفْرَ بعدَ الإسلامِ ، وليس كذلك . والذي
يدلُّ عليه اللفظُ هوَ أنّي لم أفعلْ ذلك وأنا كافرٌ ، أي : باقٍ على الكُفْرِ ،
ولا مُرتدّاً ، أي : أني كُفرتُ بعدَ إسلامي ، ولا رِضاً بالكُفْرَ بعدَ الإسلامِ ،
أي : ولا إظهاراً للجانبِ الكُفْرِ على جانبِ المسلمين . وهذا حسنٌ في مكانه ،
واقِعٌ في مَوْقِعِهِ .

وقد يُحملُ التكريرُ فيه على غيرِ هذا الفرعِ الذي نحنُ بصددِ ذكره هاهنا ،
وهوَ الذي يكونُ التكريرُ فيه يدكُّ على معنى واحد ، وسيأتي بيانهُ في الفرعِ
الثاني الذي يلي هذا الفرعِ الأوّل .

والذي يجوزُهُ أن هذا المقامُ هو مقامُ اعتذارٍ وتنصّلٍ مما رُمِيَ به من تلكِ
القارعةِ العظيمةِ التي هيَ نفاقٌ وكُفْرٌ ، فكَرَّرَ المعنى في اعتذارِهِ قصداً
لِما كيدٍ والتقريرِ لما ينفى عنه ما رُمِيَ به .

ومما ينتظمُ بهذا السلكِ أنه إذا كانَ التكريرُ في المعنى يدكُّ على معنيينِ :
أحدهما خاصٌّ ، والآخِرُ عامٌّ كقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

فإنَّ الأمرَ بالمعروفِ خيرٌ ، وليسَ كلُّ خيرٍ أمراً بالمعروفِ ، وذلكَ أنَّ
التَّخْيِرَ أنواعٌ كثيرةٌ من جملتها الأمرُ بالمعروفِ .

تفائدة التكرير ها هنا أنه ذكر الخالص بعد العام للتنبيه على فضله ،
كقوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ (٢) .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ (٣) .

فإن الجبال داخلة في جُمة الأرض ، لكن لفظ الأرض عام ، والجبال
خاص . وقادته ها هنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها .

وقد وردَ هذا في القرآن الكريم كثيراً .

ومما وردَ منه شعراً قول [المفتح الكِنْدِيُّ (٤)] من أبيات الحماسة (٥) :

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَيَبْنَ بَنِي عَمِّي لَخُتِيفٌ جِدًّا

إِذَا أَكَلُوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا نَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ نَجْدًا (٦)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٨

(٢) سورة الرحمن . الآية ٦٨

(٣) سورة الأحزاب . الآية ٧٢

(٤) يياض في الأصل موضع اسم الشاعر ، وهو محمد بن ظافر بن عمير ينتهي نسبه إلى
كندة بن عفيرة ، وإنما لقب بالفتح لأنه كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا حسر اللثام من
وجهه أصابته العين ويلعقه هنت ومشقة ، فسكان لا يعشى إلا مقنعا ، هكذا ذكر التبريزي .
وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية ، وكان له محل وشرف ومروءة
في هشيرته ، وكان متخرفا في عطاياه ، سمح اليد بماله ، لا يرد سائلا عن شيء سأله إياه .
(٥) ديوان الحماسة ٣٣/٢ من جملة أبيات أولها .

يعاتبني في الدين قومي وإنما ديواني في أشياء تكسبهم حدا

واظفر أمالي القائل ١/٢٨٠ وفيها ثلاثة أبيات ليست في رواية أبي تمام .

(٦) رواية الحماسة « فإن أكلوا .. » ورواية الأمالي « فإن يأكلوا .. »

وَإِنْ ضَيَّعُوا عَيْنِي حَفِظْتُ عُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُمْ لَمْ رُشِدَا
فهذا من الخاصِّ والعامِّ ، فإنَّ كلَّ لحمٍ يؤكل للإنسانِ فهو تضبيعٌ لغيبه ،
وليس كلُّ تضبيعٍ لغيبه أكلًا للحمِّه .

ألا ترى أن أكل اللحم هو كفايةٌ عن الاغتيابِ ؟ وأما تضبيعُ الغيبِ ،
فمِنه الاغتيابِ ، ومنه التخلُّي عن النصرة والإعانة ، ومِنه إهمالُ السَّمي في كلِّ
ما يعود بالنفعِ كأنما ما كان .

وعلى هذا فإنَّ هذين البيتين من الخاصِّ والعامِّ المُشكر إليه في الآيةِ المقدمِ
ذِكْرُها ، وهو موضعٌ يرد في الكلامِ البليغِ ، ويظنُّ أنه لا فائدةَ فيه .

• • •

الفرع الثاني : إذا طهر التكرير في المعنى برل على معنى واحد لا غير

وقد سبقَ مثالُ ذلك في أوَّل هذا البابِ ، كقولك : « أَطِئْنِي وَلَا تَمَعْنِي »
فإنَّ الأمرَ بالطاعةِ نَهَى عن المعصيةِ ، والفائدةُ في ذلك تثبيتُ الطاعةِ في
نفسِ المخاطبِ .

والكلامُ في هذا الموضعِ كالكلامِ في الموضعِ الذي قبله من تكريرِ اللفظِ
والمعنى إذا كانَ الفرضُ به شيئًا واحدًا ، ولا نجدُ شيئًا من ذلك يأتي في الكلامِ
إلا لنا كيدَ الفرضِ المنصُودُ به ، كقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّالِكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ،
وَإِنْ تَمَعْنُوا وَتَصَفَحُوا وَتَوَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

فإنه إنما كرّر العفوَّ والصَّفْحَ والمَغْفِرَةَ - والجميعُ بمعنى واحدٍ -
للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزَّوْجِ عَنْ زَوْجَتِهِ .

وهذا وأمثاله يُنظَرُ في النُّرُضِ المقصودِ به ، وهو موضِعُ يكونُ التكريرُ
فيه أَوْجِزَ من لِحَةِ الإيجازِ ، وأولى بالاستعمالِ . وقد ورد في القرآن كثيراً
كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام :

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فإنَّ البَثَّ والحزنَ بمعنى واحد ، وإنما كرّره هاهنا لشِدَّةِ الخُطْبِ النازلِ
به ، وتكاثرِ مسأله التَّفَادِيَةِ في قلبه ، وهذا المعنى كالذي قبله .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (٢) بعد ثلاثة وسبعة
تنوبٍ مناسب قوله ثلاثة وسبعة مرتين ، لأنَّ « عشرة » هي ثلاثة وسبعة ،
ثم قال « كَامِلَةٌ » ، وذلك توكيدٌ ثالثٌ ، والمرادُ به إيجابُ صَوْمِ الأيامِ
السبعة عند الرجوع في الطريق على الفوز ، لا عند الوصول إلى البلد ، كما ذهب
إليه بعضُ الفقهاء .

وبيانه أني أقول : إذا صدر الأمرُ من الأمر على المأمور بلفظ التكرير
مجرداً من قرينة تُخْرِجُهُ عَنْ وَصْفِهِ ، ولم يكن موقفاً بوقتٍ معينٍ ، كان
ذلك حتماً على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفوز ، فإنك إذا قلت
لمن تأمره بالقيام : « قُمْ قُمْ قُمْ » ، فإنما تريد بهذا اللفظ المسكر أن يبادر
إلى القيام في تلك الحال الحاضرة .

(١) سورة يوسف . الآية ٨٦

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٦ وقبل هذه الجملة « فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام

في الحج وسبعة إذا رجعتم » .

فَإِنْ قُلْتَ : الْفَرْضُ بِتَكَرُّرِ الْأَمْرِ أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي نَفْسِ الْأُمُورِ أَنَّهُ مُرَادٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْفَرْضُ الْحُثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِنَالِ الْأَمْرِ ؟

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ الْمَرَّةَ الْوَاحِدَةَ كَافِيَةٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ أَنَّ الْقَدَى أَمِيرٌ بِهِ مُرَادٌ مِنْهُ ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ لَا تَحْتَمِلُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، أَوْ دَالَّةً عَلَى زِيَادَةِ مَعْنَى لَمْ نَكُنْ فِي الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ .
فَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ كَانَ ذَلِكَ تَطْوِيلًا فِي الْكَلَامِ ، لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ .

وَقَدْ وَرَدَ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَهَذِهِ آيَةِ الْمَشَارِكِ إِلَيْهَا وَغَيْرِهَا مِنْ آيَاتِ ، وَالتَّطْوِيلُ فِي الْكَلَامِ عَيْبٌ فَاحِشٌ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ وَالْفَصَحَاءِ ، وَالْقُرْآنُ مُمَجَّزٌ بِبِلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ؟ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الزِّيَادَةُ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةَ . وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَتِلْكَ الزِّيَادَةُ هِيَ الْحُثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِنَالِ الْأَمْرِ .

فَإِنْ سَأَلْتَنِي لِذَلِكَ ، وَإِلَّا فَيُبَيِّنُ مَعْنَى تِلْكَ الزِّيَادَةِ بَيَانًا غَيْرَ مَا ذَكَرْتَهُ أَنَا ، وَلَا أَرَاكَ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ ! فَإِنْ قُلْتَ : إِنْ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ » لَوْ لَا أَنَّ نُؤُودَ كَدَّ بِقَوْلِهِ : « تِلْكَ عَشْرَةٌ » لَطُنَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِمَعْنَى « أَوْ » أَيْ : فَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَوْ سَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ ، فَلَمَّا قِيلَ « تِلْكَ عَشْرَةٌ » زَالَ هَذَا اللَّطْنُ ، وَتَحَقَّقَتِ الْوَاوُ أَنَّهَا عَاطِفَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِمَعْنَى « أَوْ » .

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : هَذَا بَاطِلٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :

الْوَجْهُ لِأَوَّلِ : أَنَّ الْوَاوَ الْعَاطِفَةَ لَا تُجْعَلُ بِمَعْنَى « أَوْ » أَيْنَ وَرَدَتْ مِنْ

الكلام ، ولما تجعل بمعنى « أَوْ » حالَ ضرورةٍ ترجيحِ جانبها على جانبِ
جانبها عاطفةً ، لأنَّ الأصلَ منها أن تكونَ عاطفةً ، فإذا عدلَ بها عن أصلها
احتاجَ إلى ترجيحٍ ، ولا ترجيحَ لها هنا .

الوجهُ الثاني : بلاغِيٌّ ، وذلكَ أنَّ القرآنَ الكريمَ مُنتَهَى البلاغَةِ
والفصاحةِ لمكانِ إعجازِهِ ، فلو كانَ مَعْنَى الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ »
تقيل : فتلاثةُ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ ، ولم يُخْتَجَّجْ إلى هذا التَّطويلِ
في قوله : فتلاثةُ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ تلكَ عَشْرَةٌ كاملةٌ .

الوجهُ الثالثُ : أنَّ هذا الصَّوْمَ حُكْمٌ من أحكامِ العباداتِ ، والعباداتُ
يُحِبُّ فيها الاحتياطُ ، وأنَّ تُؤدَّى على أكلِ صَوْرَةٍ ، لِئلا يدخلها النقصُ ،
وإذا كانَ الأمرُ على ذلكَ فكيفَ يُظنُّ أنَّ الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ » ؟

الوجهُ الرابعُ : أنَّ السبعةَ ليستَ مماثلةً للثلاثةِ حتى تُجعلَ في قبالتها ، لأنَّ
معنى الآيةِ إذا كانتِ الواوُ فيها بمعنى « أَوْ » إمَّا أنَّ تصوموا ثلاثةَ أيامٍ
في الحجِّ أو سبعةً إذا رَجَعْتُمْ .

فإنَّ قلتَ : هذا تعبدٌ لا يُعقلُ معناهُ كغيرِهِ مِنَ التَّعْبُدَاتِ التي لا يُعقلُ
معناها ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ لنا من التَّعْبُدَاتِ ما لا يُعقلُ معناه ، كعددِ
رَكَعَاتِ الصَّلَوَاتِ ، وعددِ الطَّوَافِ والسَّمِيِّ ، وأشباهِ ذلكَ ، ولنا ما يُعقلُ
معناه كهذه الآيةِ ، فإنَّا نقولُ التفاوتَ بَيْنَ الصَّوْمِ فِي الحَصْرِ والسَّفَرِ ، ونقولُ
التفاوتَ بَيْنَ العددِ الكَثِيرِ والعددِ القَلِيلِ .

وعلى هذا فلا يخلو إمَّا أن يكونَ صومُ الأيامِ السبعةِ عند الرُّجوعِ في

الطريق أو عند الوصول إلى البلد ، فإن كان في الطريق فإنه أشق من الصوم بمكة ، لأن الصوم في السفر أشق من الصوم في الحضر ، فكيف يُجعل صوم سبعة أيام في السفر في مُقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة ؟ وإن كان الصوم عند الوصول إلى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول إلى البلد ، لأن كليهما صوم في المقام ببلد من البلاد ، لا تفاوت بينهما حتى يُجعل صوم ثلاثة أيام في مُقابلة سبعة أيام ، على غير مثال ولا نسأل .

فعلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ فِي « سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ » بِمَعْنَى « أَوْ » فَتَحَقَّقْ أَنَّهَا إِذَا لَمَعَطَ خَاصَّةً .

وإذا كانت للمعطف خاصة فتأكيدها بشمسة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الأيام السبعة في الطريق قبل الوصول إلى البلد .

فإن قلت : إن الصوم بمكة أشق من الصوم في الطريق ، لأن الواجب عليه الصوم بمكة في نصب وتعب بتصرف زمانه في السعي والطواف والصلاة والعمرة وغير ذلك ، قلت في الجواب : هذا لا يلزم ، إذ الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد ، وما عدا ذلك نافلة لا يلزم ، ونحن في هذا المقام ناظرون إلى ما يجب لا إلى النافلة ، والذي يجب أدائه بمكة يُفرغ منه في ساعة واحدة ، فكيف تجعل الزيادة على ذلك دليلاً يورد في هذا المقام ؟ هذا غير وارد ، وهذا ورد في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَقَرْتُمْ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ عَسِيرٍ ﴾^(١) فقوله (غير عسير) بعد قوله (عسير) من هذا النوع المشار إليه ، وإلا فقد علم أن العسير لا يكون يسيراً ، وإنما ذكرها هنا على هذا الوجه لتعظيم

(١) المدثر

شأن ذلك اليوم في عسره وشده على الكافرين .
وكذلك ورد قوله تعالى ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه
إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وعلتكم يدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا
وبينكم المداوة والبنضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾^(١) فإن البنضاء والمداوة بمعنى
واحد ، وإنما حسن إيرادها معاً في معرض واحد ، لتأكيد البراءة بين إبراهيم
صلوات الله عليه والذين آمنوا به ، وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده .
والمبالغة في إظهار القطعية والمصادفة ورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع
كالإيجاز في موضعه ، ولن ترى شيئاً يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل
إلا وهو لأمر اقتضاء ، وإن خفي عنك موضع المر فيه فاسأل عنه أهل العارفين .
ومما ورد منه شعراً قول بعضهم في أبيات الحماسة^(٢) :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَاً بَعِيداً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتَادِمُ وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلِي
فَإِنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِقْتَادِمَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ ، وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ لِلتَّنْوِيهِ
بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيجَابِ لِحَقِّهِ . وَهَلِي هَذَا وَرَدَّ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ
الَّتِي يَمْدَحُهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مِنْهَا^(٣) :

(١) المتحفة ٤ .

(٢) هو بكبير بن الأخنس كما في البيان والتبيين (٢٣٣/٣) على أن المقطوعة ليست
منسوبة إلى أحد في شرح الحماسة لتبريزي والمرزوقي ولا في عيون الأخبار (٣٤١/١)
ولا في وفيات الأعيان في ترجمة المهلب بن أبي صفرة . وفي البيان والتبيين (فقيراً بعيد الدار
بدلاً من (بعيداً عن الأوطان) والبيت الثاني في البيان .

فما زال بي لإطانيهم واقترادهم وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي
وفي شرح الحماسة للمرزوقي « في زمن محل » بدلاً من (في زمن المحل)
(٣) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألم تقمض عينك ليلة أرمداً وعادك ما عاد السليم مسهداً

وفي الديوان (ولا من حتى) شرح الديوان ١٣٥ .

فَالَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجَى حَتَّى تَلْفَاقَ مَعْدَاً
فَإِنَّ الرَّجْبِيَّ وَالْمَكَلَالََةَ مَعْنَاهَا سَوَاءٌ ، وَإِنَّمَا حَسَنَ تَكَرُّرِهِ هَاهُنَا لِإِشْعَارِ
بِيعْدِ الْمَسَافَةِ .

الضرب الثاني منه القسم الثاني في تكرير المعنى دوره اللفظ :

وهو غير المقيد ، فمن ذلك قول أبي تمام :

قسم الزمان رُبُوبَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلَانًا^(١)
فَإِنَّ الصَّبَا هِيَ الْقَبُولُ .

وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
الْوَسْطَى ﴾^(٢) فيما يرجع إلى تكرير اللفظ والمعنى ، ولا مثل التكرير في قوله تعالى :
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٣) فيما يرجع إلى تكرير
المعنى دون اللفظ ، وقول أبي تمام : الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير .
وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطاً كثيراً ،
والأكثر منهم أجازوه ، فقالوا : إن كانت الألفاظ متغايرة والمعنى المعبر
عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعييب ، وهذا القول فيه نظر ، والقى عندي

(١) البيت من قصيدته في مدح مالك بن طوق ومطلعها :

قف بالطول الدارسات علانا أمست حبال قطينهن رنانا

(ديوان أبي تمام ٣١٤/١) . وفي الفاموس المحيط : القبول ربيع الصبا لأنها تقابل
الدبور أو لأنها تقابل باب الحكمة أو لأن النفس تقبلها (مادة قبل)
وفي شرح الحماسة للرزوقي : قيل في القبول إنها الصبا ، وقال النصر بن شميل :
القبول ربيع بين الصبا والجنوب .

وقال ابن الأعرابي : القبول كل ربيع لبنة طيبة المنس تقبلها النفس ، فليس لارد على أبي
تمام وجه . وقال ابن المستوفى : الصحيح أن الصبا هي القبول ، وما الذي منم أبا تمام أن يجعل
موضع (قبولها) (جنوبها) فسكان يسلم من التشنيع عليه (ديوان أبي تمام ٣١٥/١) وقد
ذكر الحفاحي نقد البيت (مر الفصاحة ٢٢٥) . وكذلك أبو هلال ذكره (الصناعتين ١٢١) .

(٣) آل عمران ١٠٤

(٢) البقرة ٣٨

فيه أن الفائز يعاب على استعماله مطلقاً إذا أتى لغير فائدة ، أما الناظم فإنه يعاب عليه في موضع دون موضع .

أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها ، وأما الموضع الذي لا يعاب فيه فهو الأهجاز من الأبيات ، لمكان القافية ، وإنما جاز ذلك وإن لم يكن عيباً ، لأنه قافية ، والشاعر مضطر إليها ، والمضطر يحل له ما حرم عليه ، كقول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها :

(ألا انمّ صباحاً أيها الطلل البالي)

فقال :

وهل ينعمن إلا سعيدٌ محمّدٌ قليلُ الموم لا يبيت بأوْجال^(١)
وإذا كان قليل الموم فإنه لا يبيت بأوْجال ، وهذا تكرير المعنى ، إلا أنه ليس بعيب ، لأنه قافية .

وكذلك قال الخطيئة : -

قالت أمامة لا تمزغ فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد غلبا
هلا التمسنا لنا إن كنت صادقاً مالا نعيش به في الناس أو نشباً^(٢)
فأبيت الأول معيب ، لأنه كرر العزاء والصبر ، إذ معناه واحد ، ولم يرد

(١) ديوان امرئ القيس ٢٧ والمطلع في الديوان :

(ألا انم صباحاً) والبيت الثاني :

وهل يعمن إلا سعيد محمّد قليل الموم ما يبيت بأرجال
الأوْجال : جمع وجل وهو المزج .

(٢) البيتان من قصيدته في مدح بفض ، ومطلعها :

مافت أمامة بالركبان آونة يا حسنه من قوام ما ومنتقبا
وف الديوان (في المزج) بدلا من (الناس) ديوان الخطيئة ١٢١ .

حافية ، لأن القافية هي الباء ، وأما البيت الثاني فليس به عيب ، لأن التكرير جاء في النسب ، وهو قافية .

وبما يجري هذا الجرى قول المنفل اليشكري :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخِطْمِ فِي الْيَوْمِ الْمَطْمِ
السَّكَابِ الْمَسَاءِ تَرْتِمْ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ (١)

فإن الدمقس والحريير سواء ، وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ، فإن قيل إن الحريير هو الإبريسم للنسوج بدليل قوله تعالى : ﴿ وَجِزَامٌ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ (٢) فإنه لم يرد خيوط إبريسم ، وإنما أراد أثواباً من الإبريسم ، وأما الدمقس فإنه خيوط الإبريسم مخلوطة ، بدليل قول امرئ القيس :

وَشَحْمٌ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ (٣)

فإنه لم يرد إبريسماً منسوجاً ، وإنما أراد خيوط الإبريسم ، فالجواب عن ذلك أنه لو حمل بيت المنفل على ذلك لفسد معناه ، لأن المرأة لا ترتفل في خيوط من الإبريسم ، وإنما ترتفل في الأثواب منه ، وأما قول امرئ القيس (كهداب الدمقس) فإنه لو كان الدمقس هو الخيوط المخلوطة من الإبريسم لما

(١) البيتان من قصيدته التي مطلعها .

إن كنت عاذلي فسيرى نحو العراق ولا تهوري

(الأصمعيات ٥٢)

(٢) الإنسان ١٢ .

(٣) الفطر من البيت :

فظل المسدري برغم بلحمها
والبيت من المطلقة التي مطلعها :

قفا نيك من ذكرى حبيب ونزل
بسقط الوى بين الدخول وحومل

(الديوان ١١)

احتاج أن يقول كهذاب ، فإن الهداب جمع هُذب ، ثم قال (المتل) ، فدل
بذلك على أن الدمقس يطلق على الإبريسم سواء كان منسوجاً أو غير منسوج ،
وكذلك الحرير أيضاً ، وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة ، ألا ترى أنه لما
قال للنخل (ترفل في الدمقس وفي الحرير) ففهم من ذلك أنه أراد أثواباً من
الدمقس ومن الحرير ، لأن الرُفول لا يكون في خيوط من الإبريسم ، وإنما
يكون في أثوابه .

وعما يجري على هذا المنهج قول الآخر من شعراء الحماسة^(١) :

إني وإن كان ابن عمي غائباً له قاذِفٌ من خَلْفِهِ وورائه
فإن خلفاً ووراء بمعنى واحد ، وإنما جاز تكرارهما لأهمها قافية ، وعلى هذا
ورد قول أبي تمام .

دِمْنٌ كَانَ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِباً دِمْنًا لَدَى آثَارِنَا وَحُقُودًا^(٢)

فإن الدمنة هي الحقد . وكذلك قول أبي الطيب المتنبي :

بِحُرِّ تَعْوَدَانِ يُذِمُّ لَأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْجُدْثَانِ

(١) هو الهذيل بن مشجعة البولاني . المعنى أنه يقاثل دونه إذا كان هو هادياً له ،
وقد تخلف عنه ابن عمه ، ويقاثل ورائه إذا تقدمه ابن عمه ، فقوله (من ورائه) من البين
الظاهر أنه بمعنى القدام (شرح ديوان الحماسة للرزوقي ٤/١٦٨)

(٢) البيت من قصيدته في مدح خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها :

طلل الجسيم لقد عفوت حميداً - وكفى على رزئي بذاك شهيداً

وفي الديوان (لدى آرامها) بدلا من (لدى آثارنا)

الدمن الأول جمع دمنة وهي آثار القوم في الديار ، ثم يسمى المنزل دمنة لأن الدمنة فيه .
والدمن الثاني جمع دمنة ، وهي الحقد وبقيته في القلب ، وعنى بالآرام النساء شبهها بالظباء
البيض ، يقول إن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آثارنا (ديوان أبي تمام ٢/٤١١) .

فتركته وإذا أدم من الورى راعاك واستثنى بنى حمدان^(١)
فإن الدهر وطوارق الحدنان سواء ، وإنما جاز استعمال ذلك لأنه قافية .
وأما ما ورد في أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنقرة :

حُيِّت من طللٍ تقادم عنده أقوى وأقفر بعد أم المهيم^(٢)
فقوله أقوى وأقفر من المعب ، لأنهما لفظان وردا بمعنى واحد غير ضرورة ؛
إذ الضرورة لا تكون إلا في القافية كما أرىك .

وأما ما ورد من صدور الأبيات فكقول البحترى :

ألمت وهل للمأما بك نافع وزارت خيالا والعيون هواجم^(٣)

فإن قول (ألمت) وقوله (زارت خيالا) سواء ، فلا فرق إذا بين صدر
البيت ومجزئه ، فإن قيل إنه أراد بالإمام زيارة اليقظة ، ثم قال (وزارت خيالا)
فالجواب عن ذلك أنه لم يرد إلا زيارة المنام في الحالتين ، لأنه قال : (ألمت وهل

(١) البطان من قصيدته في مدح سيف الدولة عند انصرافه من بلد الروم سنة ٣٤٥ ،
وأشده إيما بأمد ، ومطلمها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهل المجل الثاني

(شرح ديوان المتنبي ٣/٣٩٥) .

بحر هنا خبر لمبتدأ محذوف ، أى النهر الذى عبره سيف الدولة بحر . يذم لأهله :
بجورهم . الحدنان : نوابب الدهر . بنو حمدان : عشيرة سيف الدولة ، أى أن هذا النهر الذى
عبره سيف الدولة بحر تنوود أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنح المدو من العبور
إليهم ، لكن لما هرته أبت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك
لا يقدر على عبوره .

(٢) من معلقته التى مطلمها :

هل غادر البهراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد تومم؟

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خاقان ، (الديوان ٢/٧٦) وفى الديوان

لك نافع :

إمامها بك نافع) ولو كان في اليقظة لما قل وهل إمامها بك نافع ، فإنه لا نفع
أبغ من زيارة المحبوب في اليقظة ، وهذا غير خاف لا يحتاج إلى السؤال عنه .
فإن قيل لم أجزت ذلك لناظم وحظرتة على الناثر ؟

قلت في الجواب : أما الناثر فإنه إذا سجع كلامه فالغالب أن يأتي به مزدوجا
على فقرتين من الفقر ، ويمكنه إبدال تلك الفقرتين بغيرها ، فيسلم منه ، وأما الشاعر
فإنه يصوغ قصيدا ذا أبيات متعددة على قافية من التوافي ، فإذا تكرر لديه شيء
من الكلام في آخر بيت من الأبيات عسر إبداله من أجل القافية ، وهذا غير خاف
والسؤال عنه غير وارد .

وهذا الذي ذكرته إذا ورد في غير القافية سمي إخلاء ، ويقال إن البحترى
كان يُنخل كثيرا في شعره ، وهو لعمرى كذلك ، إلا أن حسن سبكه ، ورونق
ديباجته يفقر له ذلك . ويروى عنه أنه كان إذا أمثل بين يدي الفتح بن خافان
وزير المتوكل مادحا له اختال بين يديه محجبا بنفسه ، فقدم خطوات ؛ ثم تأخر ،
وقال أي شيء تسمعون ؟ فقم عليه ذلك بعض حسدته ، وحمل الفتح بن خافان
عليه ، فقال له الفتح : لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مدفورا له فيما يقوله .

النوع الثامن عشر

في الاعتراض

وبعضهم يسميه المشو ، وحدثه كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب
لوسط لبق الأول على حاله .

مثال ذلك أن نقول زيد قائم ، فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر ،
فإذا أدخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد والله قائم ، ولو أزلنا القسم منه بقى
على حاله ، وإذا أدخلنا في هذا الكلام لفظا مركبا قلنا : زيد على ما به من المرض

تاتم ، فأدخلنا بين المبتدأ والخبر لفظاً مركباً وهو قولنا على ما به من المرض ، فهذا هو الاعتراض ، وهذا حده .

واعلم أن الجائز عنه وغير الجائز يؤخذ من كتب العربية ، فإنه يكون مُستقصى فيها ، كاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والوصف ، وبين المظوف والمظوف عليه ، وأشبه ذلك مما يحسن استعماله ، وكاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وبين إن وإسما ، وبين الجار والجرور ، وأمثال ذلك مما يقيح استعماله ، وليس هذا مكانه ، لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا إليه في صدر الكتاب .

وليس المراد هنا من الاعتراض إلا ما يُفترق به بين الجيد والردى ، لا ما يُعلم به الجائز وغير الجائز ، لأن كتابنا هذا موضوع لقد ذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفى البلاغة والفصاحة ، فالذى أذكره في باب الاعتراض إنما هو ما اشتمل على شيء من هذين الوصفين المشار إليهما .

[قسما الاعتراض]

واعلم أن الاعتراض ينقسم إلى قسمين :

أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة ، وهو جار مجزى التوكيد .

والآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة ، فإما أن يكون دخوله فيه كحز وجهه ، وإما أن يؤثر في تأليفه تقصاً وفي معناه فساداً .

[القسم الأول]

وهو الذى يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم - وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم - إنه لقرآن كريم ^(١) ﴾ ، وذلك اعتراض بين القسم

الذى هو فلا أقسم بمواقع النجوم ، و بين جوابه الذى هو ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾
وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو قسم و بين
صفته التى هى عظيم ، وهو قوله ﴿ تعلمون ﴾ فذالك اعتراض كما ترى .

و فائدة هذا الاعتراض بين القسم و جوابه إنما هى تمظيم شأن المقسم به فى نفس
السامع ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ لو تعلمون ﴾ اعتراضاً بين الصفة والموصوف ،
و ذلك الأمر بحيث لو علم و فى حقه من العظيم ،

و هذا مثل قولنا : إن هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عظمة قدرته
حق قدره . فإن ذلك يكبره فى نفس الخاطب ، و يظل مُتطلماً إلى معرفة عظمة .
و كذلك ورد قوله تعالى ﴿ ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ﴾^(١) .
و تقديره و يجعلون لله البنات و لهم ما يشتهون ، فاعتراض بين الموصوفين بسبحانه ،
و هو مصدر يدل على التنزيه ، فكأنه قال و يجعلون لله البنات وهو منزه عن
ذلك ، و لهم ما يشتهون ، و فائدة هذا هنا ظاهرة .

و كذلك ورد قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام ﴿ قالوا لنفقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ
وَأَمِنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَابَ زَعِيمٍ ﴾ قالوا تالله - لقد علمتم - ما جئنا لنفد في الأرض
وما كنا سارقين ﴿^(٢) فقوله (لقد علمتم) اعتراض بين القسم و جوابه ، و فائدته
تقرير إثبات البراءة من الفساد ، و النزاهة من تهمة السرقة ، أى أنه قد علمتم هذا
منا ، و نحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه .

و قد ورد الاعتراض فى القرآن كثيراً ، و ذلك فى كل موضوع يتعلق بنوع من
خصوصيته المبالغة فى المعنى المقصود .

و من هذا القسم قوله تعالى ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل -

(٢) يوسف ٧٢ .

(١) النحل ٥٧ .

(٣) النحل ١٠١ .

قالوا إنما أنت مفتري بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٣﴾ فهذا الاعتراض بين إذا وجوابها ، لأن تقدير الكلام وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر ، فاعتراض بينهما بقوله تعالى ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ وهو مبند وخبره ، وفائدته إعلام القائلين أنه مفتر أن ذلك من الله وليس منه ، وأنه أعلم بذلك منهم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَلَّتْهُ أُمَةٌ وَهَذَا عَلَى عَلِيٍّ وَهَنٌ - وَفِصَالَهُ فِي طَائِفِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (١)

الآ ترى إلى هذا الاعتراض الذي قد طبق بفضيل البلاغة ؟ وفائدته أنه لما أوصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق في حمل الولد وفضاله ، إيماءاً بالتوصية بها وتذكيراً بحقوقها ، وإنما خصها بالذكر دون الأب ، لأنها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه ، ومن ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أرب ؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك .

ومما جاء على هذا الأسلوب قوله عز وجل ﴿ وإذا قتلتُم نفساً فادارأتم فيها - والله مخرج ما كنتم تكتمون - فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيي الله الموتى ويربكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ (٢)

فقوله ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ اعتراض بين العطف والمطوف عليه ، وفائدته أن يقرر في نفوس مخاطبين وقلوب السامعين أن تدارأتم في إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتابه ، لأن الله تعالى مظهر ذلك ، ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان : وإذا قتلتُم نفساً فادارأتم فيها ، فقلنا اضربوه ببعضها . ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

ومما ورد من ذلك شعراً قول امرئ القيس .

ولو أن ما أسمى لأذنى معيشة كفاي - ولم أطلب - قليل من المال

ولكننا أسَمَى لمجدٍ مؤنثٍ وقد يُدْرِكُ الجَدَّ المؤنثَ أمثالي^(١)
تقديره كفاً قليل من اللال ، فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله (ولم أطلب)
وقائده تحقير المعيشة ، وأنها تحصل بتغير طلب وعناء ، وإنما الذي يحتاج إلى
الطلب هو الجَدَّ المؤنث .
وكذلك قول جرير :

واقْد أَرَأَى - والجديدُ إلى بلي - في مَوْكِبٍ طُرْفِ الحديثِ كرام^(٢)
تقديره في موكب طرف الحديث ، فاعترض بين المفعولين ، وإنما جاء بهذا
الاعتراض تعريضاً عما مضى من الذة وذلك التنعيم الذي فاز به من عشرة أولئك
الأحباب ، (فكأنه قال)^(٣) : ولقد أهدى في كذا وكذا من الذة ، وذلك قد
مضى وسلف وبلى جديده ، وكذلك كل جديد فإنه إلى بلي .

والاعتراض إذا كان هكذا كسا الحديث لطفاً إن كان غزلاً ، وكساه أبهة
وجلالاً إن كان مديحاً . أما ما يجري مجراه من أساليب الكلام ، وإن كان
هجاء كساه تأكيداً وإثباتاً كقول كثير عزة :

لو ان الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطاللا^(٤)

(١) من قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صياحاً أيها الطلل البالي
وعل يمين من كان في العصر الخالي
(الديوان ٣٩) للؤنث الذي يثمر وبفيد ، وهو أيضاً الكثير .

(٢) من قصيدته في الرد على الفرزدق ، ومطلعها :

سرت الهوم فبت غير نيام
وأخو الهوم يروم كل مرام
والبيت في الديوان هكذا :

ولقد أَرَأَى والجديد إلى بلي
في فتية طرف الحديث كرام
(الديوان ٥٥١) .

(٣) ما بين قوسين زيادة رأينا أنها توضح المراد .

(٤) ديوان كثير ١٠١/١ .

قوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره ، وفائده هاهنا التصريح بما هو المراد ، وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض : لو أن الباخرين رأوك ، فاعترض بين اسم أن وهو الباخرين ، وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ ، أو الخبر القى هو « وأنت منهم » .

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول سوار بن للضرب السعدي :

فلو سألت سراة الحمى سألني على أن قد تلون بي زمانى
تخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي فكلُّ قد بلّاني^(١)
وهذا اعتراض بين لو وجوامها ، وهو من فائق الاعتراض ونادره ، وتقديره .
فلو سألت سراة الحمى سلمى تخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي ، وفائدة « على
أن قد تلون بي زمانى » أى أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان ، يريد تنقل
حالاته من خير وشر ، وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم
يعجمه ولا أبان عنه .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإن النقي لى إن لحظت مطالبى من الشعر إلا فى مديحك أطوع^(٢)

(١) فى الأصل نسبة الشعر للضرب السعدي ، والصواب نسبتها إلى ابنه سوار (شرح التبريرى للحجاسة ١/١٢٥) .

(٢) من قصيدته فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف النفرى ، ومطالعها :

ألا إنه لولا الخبط المودع وربيع هفا منه مصيف ومرج

الديوان ٢/٣٣٣) قال أبو الفتح عثمان بن جنى : الفصل بين المضاف والمضاف إليه كثير ، وقد جاء الطائي الكبير بالتقديم والتأخير فقال : (البيت) وتقديره أن النقي - لو لحظت مطالبى - أطوع لى من الشعر ، إلا فى مديحك ، أى فإنه يطيعنى فى مديحك ويسارع لى . وهذا كقوله أيضاً معنى ولفظاً :

تفاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وهذا البيت فيه اعتراض :

الأول : بين إسم إن وخبرها ، تقديره ، وإن النفي أطوع لي من الشعر ،
فاعترض بين الاسم والخبر بقوله « إن لحظت مطالبي » .
أما الاعتراض الثاني : فقوله « إلا في مديحك » فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة ،
وموضعها التأخير ، فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر إن .

وتقدير البيت بجملة « وإن النفي أطوع لي من الشعر إن لحظت مطالبي إلا
في مديحك » وفائدة قوله إلا في مديحك من الاعتراض الذي اكتسب به الكلام
رقة وفائدة حسنة ، والمراد به وصف جود المدوح بالإسراع ، ووصف خاطر
شعره بالإسراع إذا كان في مدحه خاصة دون غيره ، فهذا الاعتراض يتضمن
مدح المدوح والملاح معاً ، وهو من محاسن ما يجيء في هذا اللوضع .

وكذلك ورد قوله :

رَدَدْتَ رَوْنِقَ وَجْهِ فِي صَحيفته رَدَّ الصَّقَالِ بِيَاءَ الصَّارِمِ التَّلِيمِ
وما أبالي - وخير القول أصدقه - حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أَمْ حَقَنْتَ دُمِي (١)

فقوله « وخير القول أصدقه » اعتراض بين المفعول والفعل ، لأن موضع
حقنت نصب ، إذ هو مفعول أبالي ، وفائدته إثبات ما مائل به بين ماء الوجه
والدم ، أي أن هذا القول صدق ليس بكذب .

[القسم الثاني] :

وأما القسم الثاني وهو والذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان :

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف والبيتان في الديوان هكذا :

رَدَدْتَ رَوْنِقَ وَجْهِ فِي صَحيفته رَدَّ الصَّقَالِ بُوْجَه الصَّارِمِ التَّلِيمِ
وما أبالي وخير القول أصدقه حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أَوْ حَقَنْتَ دُمِي

(الديوان ٢١٨/٣) الصقال : الاسم من الصقل . التلیم : السريع القطع .

الضرب الأول : يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به قبحا ولا حسناً ، فمن ذلك قول النابغة :

يقول رجال مجهولون خليفتي لعل زيادا - لا أبا لك - غافل^(١)
فقوله لا أبا لك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه ، وليس مؤثراً في البيت حسناً ولا قبحاً .

ومثله جاء قول زهير :

سَبَّحْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَبِيشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا - لا أبا لك - بِسَامٍ^(٢)
وقد وردت هذه اللفظة وهي « أبا لك » في موضع آخر ، فكان للاعتراض بها فائدة حسنة ، كقول أبي تمام :

« عتابك عني - لا أبا لك - واقصدي »^(٣)

فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم .

الضرب الثاني : وهو الذي يؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً ، وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقديم والتأخير ، وإنما جيء به ذكره هنا مكرراً لإتمام التقسيم الاعتراضي فيما أفاد وفيما لا يفيد ، وقد ذكرت من ذلك مثالا واحداً أو مثالين ، فما ورد منه قول بعضهم :

(١) من قصيدة في رثاء النعمان بن المنذر ، مظهرها :

دعك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل
(٢) من معلقته التي مظهرها .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بمجوانة الدراح فالتنم
(٣) لم نتمر على النس في ديوانه .

فَقَدَّ وَالشُّكَّ بَيْنَ لِي عَنَاءَ بَوْشَكِ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ (١)

فإن في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكركم ، وهو الفصل بين
قد والفعل القدى هو بَيْنَ ، وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال
الأتراها تعد مع الفعل كالجزم منه ، ولذلك أدخلت عليه اللام المراد بها تأكيد
الفعل كقوله تعالى ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ﴾ (٢) وكقوله
﴿ واقد علوا لمن اشتراه ﴾ (٣) وقول الشاعر :

ولقد أنجم رجلى بها حذر الموت وإلى لقرور (٤)

إلا إن فصل بين قد والفعل بالقسم ، فإن ذلك لا بأس به نحو قولك :
قد والله كان ذلك ، وقد فصل في هذا البيت أيضاً بين المبتدأ الذى هو الشك وبين
الخبر الذى هو عناء بقوله « بَيْنَ لِي » وفصل بين الفعل الذى هو « بَيْنَ » وبين
فاعله الذى هو « صرد » بخبر المبتدأ الذى هو عناء ، فجاء معنى البيت كما تراه ،
كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض .
ومن هذا الضرب . قول الآخر :

نظرت وشخى - مطلع الشمس - ظله إلى الغرب حتى ظل الشمس قد عقل
أراد : نظرت مطلع الشمس وشخى ظله إلى الغرب حتى عقل الشمس أى
حاذها ، وعلى هذا التقرير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو
« شخص » وبين خبره الجملة وهو قوله ظله إلى الغرب ، وأغظ من ذلك أنه

(١) أصل التركيب فقد بين صرد يصيح بوشك فراقهم ، والشك لى عناء .

(٢) الزمر ٦٥ . (٣) البقرة ١٠٢ .

(٤) من مقطوعة عمرو بن معديكرب (شرح ديوان الحماسة للموزونى ١٨١/٣)
الضمير في قوله بها للفرس . والمعنى : أركضها وأستدر جريها ، ذهاباً في الفرار ، واحترازاً
من الموت ، وإنى لكثير الحرب إذا كان الحرب أغنى ، وإلى مراغمة العدو أدمى .

فصل بين الفعل وفاعله بالأجنبي ، وهذا وأمثاله مما يفسد المعاني ويورثها اختلالاً .
واعلم أن الفائز في استعمال ذلك أكثر ملاممة من الفاظم ، وذلك أن الناظم
مضطر إلى إقامة ميزان الشعر ، وربما كان مجال الكلام عليه ضيقاً فيلقيه طلب
الوزن في مثل هذه الورطات ، وأما الناثر فلا يضطر إلى إقامة الميزان الشعري ،
بل يكون مجال الكلام عليه واسعاً ، ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراضاً يفسده
توجه عليه الإنكار ، وحق عليه الذم .

النوع التاسع عشر

في السكناية والتعريض

وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً . وقد تكلم علماء
البيان فوجدتهم قد خلطوا السكناية بالتعريض ، ولم يفرقوا بينهما ، ولا حدوا كلا
منهما محد يفصله عن صاحبه ، بل أوردوا لها أمثلة من النظم والنثر ، وأدخلوا
أحدهما في الآخر ، فذكروا للسكناية أمثلة من التعريض ، وللتعريض أمثلة من
السكناية . فمن فعل ذلك الغامبي^(١) وابن سنان الخفاجي^(٢) والمسكري^(٣) .
فأما ابن سنان فإنه ذكر في السكناية قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامها ورُضتْ فذاتُ صعبةٍ أئى إدلال^(٤)

(١) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامبي . كان من فضلاء مصر ، وله شعر
مشهور ، وهو من شعراء نظام الملك (الباب لابن الأثير ١٦٦/٣) .

(٢) الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ
مؤلف سر الفساحة .

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل المسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ مؤلف كتاب
الصناعاتين .

(٤) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صبأحا أيها الطال البالي وهل يمين من كان في العصر الحالي

(الديوان ٢٢) .

صرنا إلى الحسنى : إلى ما نحب من الأمور . رضت : ابتنتها بالكلام والمداورة كما يروض
الدمر أو الحصان بالسير .

وهذا مثال ضربه للكناية كَلَى المباشرة ، وهو مثال للتعريض^(١) .

ووجدت في كتاب الذكوة لابن حمدون البغدادي ، وكان مشار إليه عندهم بفضيلة ومعرفة لا سيما في فن الكتابة ، فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصوراً على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيهما نظماً ونثرًا ، وهو محشوٌّ بالمخاطب بين هذين القسمين من غير فصل بينهما ، وقد أورد أيضاً في بعضه أمثلة غثة باردة .

وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما ، وأميز أحدهما عن الآخر ، ليُعرف كل منهما على انفراده فأقول :

[الكناية] :

أما الكناية فقد حُدَّتْ بحدٍّ ، فقيل هي اللفظ الدال على الشيء ، على غير الوضع الحقيقي ، بوصف جامع بين الكناية والمكْنَى عنه ، كاللحم والجماع ، فإن الجماع اسم موضوع حقيقي ، واللحم كناية عنه ، وبينهما الوصف الجامع ، إذ الجماع لحم وزيادة ، فكان دالاً عليه بالوضع المجازي .

وهذا الحد فاسد ، لأنه يجوز أن يكون حدًّا للتشبيه ، فإن التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقي لجامع بين المشبه والمشبه به وصفة من الأوصاف ، ألا ترى أنا إذا قلنا : زيد أسد ، كان ذلك لفظاً دالاً على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والأسد ، وذلك الوصف هو الشجاعة ، ومن ها هنا وقع الخلط لمن أشرت إليه في الذي ذكره في حد الكناية .

(١) قال ابن سنان الحفاجي : ومن هذا الجنس حسن الكناية مما يجب أن يكنى عنه في الوضع الذي لا يحسن فيه التصريح ، وذلك أصل من أصول الفصاحة ، وشروط من شروط البلغة ، إلى أن قال . ومما يستحسن من الكنایات قول امرئ القيس (البيت) لأنه كنى عن المباشرة بأحسن ما يكون من العبارة (سر الفصاحة ١٥٦) .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم قالوا في حد الكناية إنها اللفظ المحتمل ،
يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه . وهذا قاسد
أيضا ، فإنه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية .

دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فافعل ما شئت »
فإن هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه ، وبيان ذلك أنه يقول في أحد
معانيه : إنك إذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء فافعل ما شئت ، أما معناه
الآخر فإنه يقول : إذا لم تفعل فعلا يستحى منه فافعل ما شئت ، وهذا ليس
من الكناية في شيء ، فبطل إذا هذا الحد .

ومثال الفقيه في قوله إن الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد أن
يُحَدِّدَ الإنسان فأتى بِحَدِّ الحيوان ، فمير بالأعم عن الأخص ، فإنه يقال كل إنسان
حيوان ، وليس كل حيوان إنسانا ، وكذلك يقال ها هنا ، فإن كل كناية لفظ
محتمل ، وليس كل لفظ محتمل كناية .

والذي عندي في ذلك أن الكناية إذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز ،
ووجاز حملها على الجانبين معا ، ألا ترى أن اللبس في قوله تعالى : ﴿ أَوْلَامَتَهُمُ
النِّسَاءُ ﴾ يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ،
ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصاحبة الجسد الجسد ، فأوجب
الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس ، وذهب غيره
إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية . وكل موضع
ترد فيه الكناية فإنه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ، ويجوز حمله على كليهما معا ،
وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز ، لأنه لا يجوز حمله إلا على
جانب المجاز خاصة ، ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، ألا ترى أنا
إذا قلنا : (زيد أسد) لا يصح إلا على المجاز خاصة ، وذلك أنا شبهنا زيدا
بالأسد في شجاعته ، ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، لأن

زيداً ليس بالحيوان ذا الأربع والذئب والوبر والأنياب والخالب .

وإذا كان الأمر كذلك فعدُّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز . والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، يقال كئيت بكذا عن كذا ، فهي تدل على ما تكلمت به ، وعلى ما أردته في غيره ، وعلى هذا فلا تخلو إما أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، وليس لنا قسم رابع ، ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، لأن ذلك هو اللفظ المشترك ، وإذا أطلق من غير قرينه فمخصه كان مُشهماً غير مفهوم ، وإذا أضيف إليه القرينة صار مختصاً بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالف لفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد بعينه لا يتعداه إلى غيره ، وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، لأن المجاز لا بد له من حقيقة نُقِلَ عنها ، لأنه فرع عليها .

وذلك اللفظ الدال على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة ، فإن كان لها شركة في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، وها هنا تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريد شيئاً غيره ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره ، وإذا أُخْرِجَتِ الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا محال ، فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة ، وأنت تريد المجاز ، وهذا الكلام

في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق .

واعلم بأن الكناية مشتقة من السر ، يقال كسيتُ الشيء إذا سترته ، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي بُسِّرَتْ فيها المجاز بالحقيقة ، فمكون دالة على السَّارِ وعلى المستور معا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ سَتَرْنَا عَنْ أَبْصَارِكُمْ ﴾ فإنه إن حل على الجماع كان كناية ، لأنه سَتَرَ الجماع بلفظ اللبس الذي حقيقته مصاحفة الجسد الجسد ، وإن حل على الملامسة التي هي مصاحفة الجسد الجسد كان حقوة ، ولم يكن كناية ، وكلاهما يتم به المعنى .

وقد تأولتُ الكناية بغير هذا ، وهي أنها مأخوذة من الكُنْيَةِ التي يقال فيها أبو فلان ، فإننا إذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله وفد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد ، كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله ، فإن شئنا ناديناه بهذا ، فإن شئنا ناديناه بهذا ، فكلاهما واقم عليه ، وكذلك يجري الحكم في الكناية ، فإننا إذا شئنا حملناها على جانب المجاز ، وإذا شئنا حملناها على الحقيقة ، إلا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَسْمَى لَه تِسْعَ وَتِسْعُونَ نَمِجَةً وَوَلِي نَمِجَةً وَاحِدَةً ﴾^(١) فكُنِيَ بذلك عن النساء ، والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ، ولولا ذلك لقبل في مثل هذا الموضع إن أَسْمَى لَه تِسْعَ وَتِسْعُونَ كِبْشًا وَوَلِي كِبْشٍ وَاحِدٍ ، وقيل هذه كناية عن النساء ، ومن أجل ذلك لم يُلْتَفَتْ إلى تأويل من تأول قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ ﴾^(٢) أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية ، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا .

فإن قيل فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنية الشيء إذا سترته ،
ومن الكنية ؟

للت في الجواب : أما اشتقاقها من كنية الشيء إذا سترته ، فإن المستور
فيها هو المجاز ، لأن الحقيقة تفهم أولا ويتسارع إليها الفهم قبل المجاز ، لأن
دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية ، وأما المجاز فإنه يُفهم بعد فهم الحقيقة ، وإنما
يفهم بالنظر والفكرة ، ولهذا يحتاج الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ،
فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى ، وهو مهتور بالحقيقة ، ألا ترى الى قوله تعالى :
{ أو لاسم النساء } فالفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي ملاسة الجسد الجسد ،
وأما المجاز القوي هو الجماع ، فإنه يفهم بالنظر والفكر ، ويحتاج القاهب إليه
الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ .

وأما اشتقاقها من الكنية فلأن عبد الله في هذه الصورة المذكورة هو حقيقة
هذا الرجل ، أى الاسم الموضوع بإزائه أولا ، وأما أبو محمد فإنه طارىء عليه
بعد عبد الله^(١) لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولد اسمه محمد ، وكذلك الكناية
فإن الحقيقة لها هو الاسم للوضوع أولا فى أصل الوضع ، وأما المجاز فإنه طارىء
عليها بعد ذلك ، لأنه فرع ، والفرع إنما يكون بعد الأصل ، وإنما يُعمد الى
ذلك الفرع المناسبة الجامعة بينه وبين الأصل على ما تقدم الكلام فيه ، وهذا
التقدير كاف فى الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار إليهما .

فإن قيل إنك قد ذكرت أقسام المجاز فى باب الاستعارة التى قدمت ذكرها
فى كتابك هذا ، وحصرتها فى أقسام ثلاثة ، وهى التوسم فى الكلام ، والاستعارة ،
والتشبيه ، ونراك قد ذكرت الكناية فى المجاز أيضا ، فهل هى قسم رابع لتلك

(١) كان فى الأصل قاب بين الاسمين محمد وعبدالله ، فصححناها هكذا ليتلاءم الكلام
هنا مع سابقه عند قوله إنها مأخوذة من الكنية .

الأقسام الثلاثة أم هي من جملتها ؟ فإن كانت قدما رابعا فذلك نقض للحصر الذي حصرته ، وإن كانت من جملتها فإنك أعدت ذكرها ها هنا مرة ثانية ، وهذا المكرر لا حاجة إليه .

فالجواب عن ذلك أني أقول : أما الحصر الذي ذكرته في باب الاستعارة فهو ذاك ، ولا زيادة عليه ، وأما الكناية فهي جزء من الاستعارة ، وكذلك الكناية فانها لا تكون إلا بحيث يُطَوَّى المسكتى عنه ، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام ، فيقال كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، ويُفترق بينهما من وجه آخر ، وهو أن الاستعارة لفظها صريح ، والعريخ هو ما دل عليه ظاهر لفظه ، والكناية ضد الصريح ، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ ، وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم ، والآخر الصريح ، والآخر المحل على جانب الحقيقة والمجاز . وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء من المجاز ، وعلى ذلك تكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص .

وكان ينبغي أن تذكر الكناية عند ذكر الاستعارة في النوع الأول من هذه الأنواع المذكورة في المقالة الثانية ، وإنما أفردتها بالذكر ها هنا من أجل التمييز ؛ لأن من العادة أن يذكر جميعاً في مكان واحد .

وقد يأتي في الكلام ما يجوز أن يكون كناية ، ويجوز أن يكون استعارة ، وذلك يختلف باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى ما بعده ، كقول نصر بن سيار في أبياته المشهورة التي يحرض بها بني أمية عند خروج أبي مسلم :

أرى خال الرماد وميضَ بَجْرٍ ويوشض أن يكون له ضرامُ
فإن النار بالزندان توري وإن الحرب أولها الكلامُ

أقول من التعجب : ليت شعري أليفاظ أم نيام ؟
فإن هَبُّوا فذاك بقاءه مُلكٌ وإن رَقَدُوا فإني لأنام^(١)

فألبت الأول لوروده بمفرده كان كناية ، لأنه لا يجوز عمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز ، أما الحقيقة فإنه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلل الرماد ، وأنه سيضطرم ، وأما المجاز فإنه أراد أن هناك ابتداء شرٍّ كامن ، ومثله بوميض جمر من خلل الرماد ، وإذا نظرنا إلى الأبيات في جعلتها اختص البيت الأول منها بالاستمارة دون الكناية ، وكثيراً ما يردُّ مثل ذلك وبشكل لتجاذبه بين الكناية والاستمارة ، على أنه لا بشكل إلا على غير العارف .

[التعريفهم]

وأما التعريض : فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي ، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : والله إنى لاحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا عريان والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب ، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، إنما دل عليه من طريق المفهوم ، بخلاف دلالة اللمس على الجماع . وعليه ورد التعريض في

(١) كان نصر بن سيار واليا على خراسان لهشام بن عبد الملك ، وقد بعت إليه بهذه الأبيات يمدده فيها ذبوع السخط على بني أمية هناك ، وانتشار الدعوة لبني العباس .
والأبيات في الأهالي ١٥ / ١٢٦ ومروج الذهب ٢ / ٢٥٢ والمقد الفريد ١ / ٢٤٠
مكنّا :

أرى خلل الرماد وميض نار	ويوشيك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالمودين تمدكي	وإن الحرب أولها السلام
فإن لم تطفئوها تحن حرباً	مشمرة يشيب لها الفلام
أقول من التعجب ليت شعري	أليفاظ أم نيام ؟
فإن يك هومنا أضعوا نياماً	فقل قوموا فقد حان القيام
شعري من رحالك ثم قولي	على الإسلام والحرب السلام

خطبة النكاح ، كقولك للمرأة : إنك نخلية وإني أعرب ، فإن مثل هذا لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا .

والتعريض أخفى من الكناية ، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي ، وإنما سمي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عُرْضه أى من جانبه ، وعُرْض كل شيء جانبه .

واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ، فتأتى على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتى في اللفظ المفرد البتة .

والدليل على ذلك أنه لا يُفَسِّمُ المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وإنما يُفَسِّمُ من جهة التلويح والإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب ، وعلى هذا فإن بيت امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتعريض ، فإن غرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لم يذكره ، بل ذكر كلاما آخر يُفَسِّمُ الجماع من عُرْضه ، لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراده امرؤ القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا ، وهذا لا يخاف به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض ، وميزنا أحدهما عن الآخر ، فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ، ونبدأ أولا بالكناية فنقول :

الكناية

اعلم أن الكناية تنقسم قسمين : أحدهما ما يحسن استعماله ، والآخر ما لا يحسن استعماله ، وهو عيب في الكلام فاحش ، وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة . تمثيلاً : وإزدافاً ، ومجاورة .

فأما التمثيل :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنى آخر ، ويكون ذلك مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ، كقولهم فلان نقي الثوب ، أى منزه من العيوب .

وأما الإزداف :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنى آخر ، ويكون ذلك إزدافاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ولازمًا له ، كقولهم فلان طويل النجاد ، أى طويل القامة ، فطول النجاد إزداف لطول القامة ولازم له ، بخلاف نقاء الثوب في الكناية عن النزاهة من العيوب ، لأن نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة .

وأما المجاورة :

فهى أن يزيد ذكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنترة :
بزجاجة صفراء ذات أميرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم^(١)
يريد بالزجاجة الخمر ، فذكر الزجاجة وكنى بها عن الخمر ، لأنها مجاورة لها .

(١) من معلقته . الأسرة : جمع سر وسرور وهما الخط من خطوط اليد والجنبهة وغيرها وتجمع أيضاً على أسرار ، والأسرار تجتمع على أسرارير .
أزهر : لبريق مشرق . مقدم : مسدود الرأس بالقدم وهو هنا المصفاة .

وهذا التقسيم ليس صحيح ، لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم الأصل ، كقولنا : الحيوان ينقسم أقساما منها الإنسان ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الأسد ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الفرس ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها غير ذلك ، وهاهنا لم يكن التقسيم كذلك ، فإن التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية ، لأن الكناية إنما هي أن تراد الإشارة الى معنى ، فيوضع لفظا لمعنى آخر ، ويكون ذلك اللفظ مثلا المعنى الذى أريدت الإشارة إليه .

الآتى الى قوله تعالى : ﴿ إن هذا أخى له نسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة ﴾^(١) فإنه أراد الإشارة الى النساء فوضع لفظا لمعنى آخر وهو النماج ، ثم مثل به النساء ، وهكذا يجرى الحكم فى جميع ما يأتى من الكنايات ، لكن منها ما يتضح التمثيل فيه ، وتكون الشبهة بين الكناية والمكنى عنه شديدة المناسبة ، ومنه ما يكون دون ذلك فى الشبهة . وقد تأملت ذلك وحققت للنظر فيه ، فوجدت للكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهة ، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة فى قوة المناسبة والمشابهة ، ألا ترى الى قولهم « فلان نقى الثوب » وقولهم « اللبس » كناية عن الجماع ، فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شها ، لأننا اذا قلنا : نقاء الثوب من الدنس كمنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة ، وإذا قلنا « اللبس كالجماع » لم يكن بتلك الدرجة فى قوة المشابهة ، وهذا الذى ذكر فى أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا ، غير سائغ ولا وارد ، بل الكناية كلها هى ذاك ، والذى قدمته من القول هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيرى كذلك .

وأما الإرداف :

فإنه ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختلف بصفة تخصه وهي أن تكون الكناية دليلا على للسكنى عنه ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكنایات ، ألا ترى أن طول النجاء دليل على طول القامة ولازم له ، وكذلك يقال فلان عظيم الرماح ، أي كثير إطعام الطعام ، وعليه ورد قول الأعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها « له إبل قليلات المسارح ، كثيرات للبارك ، إذا سمعت صوت المزهرة أيقن أنها هوالك »^(١)

وعرض الأعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم ، إلا أنها لم تذكر ذلك باللفظ الصريح ، وإنما ذكرته من طريق الكناية على وجه الإرداف الذي هو لازم له .

وكذلك ورد في الأخبار النبوية أيضا ، وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأته عن غسلها من الحيض ، فأمر أن تغتسل ، ثم قال : « خذي فرصة من مسك فتطهري بها »^(٢) قالت : كيف أنظف بها ؟ فقال : تطهري بها . قالت : كيف أنظف بها ؟ قال سبحان الله ، تطهري بها . فاجتذبتها عائشة رضي الله تعالى عنها إليها ، وقالت : تدبعي بها أثر الدم ، فقولها « أثر الدم » كناية عن الفرج على طريق الإرداف ، لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في الفرج ، فهو رادف له .

وما ورد في ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القُوطِ إما لنوفل أبوها وإما عيدُ شمسٍ وهائم^(٣)

(١) من وصف الزوجة الماشرة لزوجها ، والنس في البخاري « له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، إذا سمعت صوت المزهرة أيقن أنها هوالك » .
(صحيح البخاري ٣/٦٨٤) .

(٢) صحيح البخاري ١/٤٩ . . الفرصة بكسر الفاء خرقفة أو قطنة تسمح بها المرأة من الحيض .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٠ .

فإن بمد مهوى القرط دليل على طول العنق .

ومن لطيف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بالفتحة **مِثْل** ، كقول الرجل إذا نفى عن نفسه الفبيح « مثل لا يفعل هذا » أى أنا لا أفعله ، فنفي ذلك عن مثله ، ويريد نفيه عن نفسه ، لأنه إذا نفاه عن يمانه وبشابهه فقد نفاه عن نفسه لا عمالة ، إذ هو بنفى ذلك عنه أجدر . وكذلك يقال « **مِثْلُكَ** إذا سئلت أعطى » أى أنت إذا سئلت أعطيت ، وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضع أنه يحمل من جماعة هذه أوصافهم وتثبيتاً للأمر وتوكيداً ، ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرأس فيه قدمه .

وهذا مثل قول القائل إذا كان في مدح إنسان « أنت من القوم الكرام » أى لك في هذا الفعل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دخيلاً فيه .

وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ وهو السميع البصير ^(١) ، والفرق بين قوله ليس كمثل شيء ، وبين قوله ليس كالله شيء ، هو ما أشرت إليه ، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا **مِثْلَ** له حتى يكون لمثله مثل ، وإنما ذكر ذلك على طريق المجاز قصداً للمبالغة .

وقد يأتي هذا للموضع بنحو لفظة **مِثْل** وهي مقصودة ، كقولك للعربي « العرب لا **تُخْفِرُ** القدم » أى أنت لا تخفف القدم ، وهذا أبلغ من قولك : أنت لا تخفف القدم ، لما أشرت إليه . وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي :

أست من القوم الذى من رماحهم نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مَهْجَةُ الْبُخْلِ ^(٢)

(١) الشورى ١١ .

(٢) من قصيدة في رثاء أبي الهيثم عبد الله بن سيف الدولة وقد توفى سنة ٣٣٨ ، والبيت في الديوان :

أست من القوم الألى من رماحهم ندام ومن قتلهم مهجة البخل
(ديوان المتنبي ٣/٢١١)

وإذا فرغت من ذكر الأصول التي قَدِّمْتُ ذكرها ، فإني أتبعها بضرب الأمثلة نثراً ونظماً ، حتى يزداد ما ذكرته وضوحاً .
فمن ذلك ما ورد في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (١) ، فإنه كَتَبَ عن الغيبة بأكل الإنسان لحماً إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله مَيْتًا ، ثم جعل ماهو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فهذه أربع دلالات واقعة على ما قُصِدَتْ له مطابِقةً للمعنى الذي وردت من أجله .

فأما جعل الغيبة كأكل الإنسان لحماً إنسان آخر مثله فشديد للمناسبة جدا ، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل لأكل لحماً الإنسان لحماً من يفتابه ، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة ، وأما جعله كلعن الأئمة فلما في الغيبة من الكراهة ، لأن العقول والشرع مجتمعان على استكراهها ، أمران بتركها والبعد عنها ، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحماً الأئمة في كراهته . ومن المعلوم أن لحماً الإنسان مستكراه عند إنسان آخر ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته لحماً أخيه ، وهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة . وأما جعل اللحم مَيْتًا فمن أجل أن المقتاب لا يشعر بغيته ولا يحس بها . وأما جعله ماهو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فلما جُبِلَتْ عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكفاية تجدها من أشد الكفايات شَبَهاً ، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قُصِدَتْ له .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَكُمْ أَرْضَهُمْ وِدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

وأرضاً لم تطأوها ﴿١﴾ ، والأرض التي لم يطأوها كفاية عن منا كح النساء ، وذلك من حَسَنِ الكناية ونادره .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أوديةً بقدرها فاحتمل السيلُ زبداً رابياً ﴾ (٢) فكفى بالماء عن العلم ، وبالأودية عن القلوب ، وبالزبد عن الضلال ، وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه للوسوم بإحياء علوم الدين ، وفي كتابه الموسوم بالجواهر ، والأربعين ، فأشار بها إلى أن في القرآن الكريم إشارات وإيماءات لا تنكشف إلا بعد الموت ، وهذا يدل على أن الغزالي رحمه الله تعالى لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات التي لفظها يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز . وقد رأيت جماعة من أئمة الفقه لا يحقون أمر الكناية ، وإذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز ، وليس الأمر كذلك ، وبينهما وصف جامع ، كهذه الآية وما جرى مجراها ، فإنه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم ، وكذلك حمل الأودية على مهابط الأرض وعلى القلوب ، وهكذا يجوز حمل الزبد على الغناء الرابي الذي تقذنه السيول ، وعلى الضلال ، وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمله على الطرفين معاً سوى الكناية .

وبلغنى عن الفراء النحوى أنه ذكر في تفسير آية وزعم أنها كناية ، وهي قوله تعالى : ﴿ وقد مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وعند الله مَكْرَهُمْ ، وإن كان مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولَ منه الجبال ﴾ (٣) فقال إن الجبال كفاية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الآيات .

وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية ، لأن الكناية لا تسكون إلا فيما جاز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز ، والجبال هنا لا يصح بها المعنى إلا إذا حمت على جانب المجاز خاصة ، لأن مكر أولئك لم يكن تزول منه جبال الأرض ، فإن ذلك محال .

(٢) الرعد ١٧ .

(١) الأحزاب ٢٧ .

(٣) إبراهيم ٤٦ .

وأما ما ورد في الأخبار النبوية فقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا ، وكان لها ابن عم يحبها ، فراودها عن نفسها ، فامتنعت عليه ، حتى إذا أصابتها شدة فجاءت إليه تسأله ، فراودها ، فسكنته من نفسها ، فلما قدم منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها . وهذه كناية واقعة في موقعها .

ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رُوَيْدُكَ سَوْفُوكَ بالقوارير »^(١) يريد بذلك النساء ، فكسى عنهن بالقوارير ، وذلك أنه في بعض أسفاره وغللام أسود اسمه أنجشة يحمدو ، فقال له يا أنجشة رُوَيْدُكَ سَوْفُوكَ بالقوارير ، وهذه كناية لطيفة .

وكذلك ورد حديث الحديبية ، وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الركة^(٢) ، جاءه بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخِزَامِيِّ في نفر من قومه من أهل تهامة ، فقال : « تَرَكْتَ كَسْبَ بِنِ أُوَيْيَ وَعَامِرَ بْنَ أُوَيْيَ زَلُّوا عِدَادَ مِيَاهِ الْحَدْيِيَّةِ ، مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَائِيلُ وَمِمْ مَقَانِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ »^(٣) وهذه كناية عن النساء والصبيان ، والعوذ جمع هائذ وهي الناقة التي وضعت وقوى ولدها ، وهذا يجوز حمله

(١) كان أنجشة يحمدو بالنساء ركابهن . ويرتجز بنسب الشعر والرجز وراءهن ، فلم يؤمن أن يصيبهن ما يسمعن من رقيق الشعر فيهن ، أو يقيم في قلوبهن حداؤه ، فأمر أنجشة بالكف عن نشيده وحدائه حذار صبوتهن إلى غير الجميل . وقيل إن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في الشئ واشتدت فأزججت الراكب فأتبعته فنهأه من ذلك ، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة . « لسان العرب مادة قرر والنهاية لابن الأثير ٣/٢٤٠ .

(٢) الركة : البئر .

(٣) العوذ : جم هائذ وهي من الإبل الحديثة النتاج . المطائيل : التي معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان .

وفي سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري أن الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم بشر بن صفيان الكعبي أوبسر ، وأنه لقيه بصفان ، وهو منهل بين الجحفة ومكة أو بين المسجدين ، أو غير ذلك . فقال : يا رسول الله هذه قریش قد سمعوا بيسرك فخرجوا معهم العوذ المطائيل ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بنى طوى يخلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً .

(سيرة ابن هشام ٢/٣٠٩ وتاريخ الطبري ٣/٧٢)

على طريق الحقيقة ، كما جاز حمله على طريق المجاز ، أى معهم الأموال من الإبل ،
ومى كانت جل أموال العرب ، أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها ،
ولما جاز حل العوذ للطفيل على النساء والصبيان وعلى الأموال كان من
باب الكناية .

ومن ذلك ما ورد فى إقامة الحد على الزانى ، وهو أن يشهد عليه برؤية العيل
فى المَكْحُولَةِ ، وذلك كناية عن رؤية الفرج فى الفرج .

ومن لطيف الكنايات أن امرأة جاءت لعائشة رضى الله عنها فقالت لها :
« أُقَيِّدْ بَعْلِي ؟ » فقالت عائشة رضى الله عنها « لا » . أرادت المرأة أن تضع لزوجها
شيئاً يمنعه عن غيرها ، أى تربطه أن يأتى غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تقييد
الجل ، وباطنه ما أرادت المرأة وفهمته عائشة منها .

وكذلك يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : « هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال :
حَوَاتُ زَحْلِي الْبَارِحَةِ » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقْبِلْ وَأَذْبِرْ وَأَتَقِ
الدُّبْرَ وَالْحَيْضَةَ » .

ويروى أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فمكثت المرأة
عنده ثلاث ليال لم يَدْنُ منها ، وإنما كان ملتفتاً إلى صلاته ، فدخل
عمرو بعد ثلاث ، فقال : كيف ترين بَعْلَكَ ؟ فقالت : نعم البَعْلُ إلا أنه
لم يُفَتِّشْ لَنَا كَفْتًا ، ولا قَرُبَ لَنَا مَضْجَعًا . فقولها لم يفتش لنا كفتاً ولا قرب
لنا مضجعاً من الكناية العراء الظاهرة .

ومن أطف ما بلغنى فى هذا قول عبد الله بن سلام ، فإنه رأى على رجل
ثوباً مصفراً ، فقال : « لو أن ثوبك فى تنور أهلك أو تحت قدرم كان خيراً » .
فذهب الرجل وأحرقه نظراً إلى حقيقة قول عبد الله ، وظاهر مفهومه ، وإنما أراد

المجاز منه ، وهو لو صرفت تمنه إلى دقيق تمجزه أو حطب تطبخ به كان خيراً ، والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين ، فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فمضى وأحرق ثوبه ، ومراد عبد الله غيره .

ومن هذا القسم ما ورد من أمثال العرب ، كقولهم إياك وعقيلة الملح . وذلك كناية عن المرأة الحسنة في منبت السوء ، فإن عقيلة الملح هي اللؤلؤة تكون في البحر ، فهي حسنة وموضعها ملح .

وكذلك قولهم : ليس له جلد النمر ، كناية عن العداوة . وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الأسد ، ولبس له جلد الذئب ، وليس له جلد الأرقم ، لأن هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر ، إذ العداوة محتملة في الجميع ، وكذلك قولهم : « قلب له ظهر الميخن » كناية عن تغيير المودة . وما ورد في ذلك شعراً قول أبي نواس :

لا أذود الطير عن شجره قد بلوت الدُّ من تمره^(١)

وهذا له حكاية ، وهو أنه كان لأبي نواس صديقة تنشاه ، فقيل له إنها تختلف إلى آخر من أهل الرِّيب ، فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوماً من الأيام ، فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ، ثم إن ذلك الرجل جاءه وكان صديقاً له فكلمه ، فصرف وجهه عنه ، ثم نظم قصيدته المشهورة التي مطلعها « أيها المنتاب عن عفره » وهذا البيت من جملة أبياتها .

وكذلك ورد قوله أيضاً :

(١) من قصيدته في مدح العباس بن عبيد الله ، التي مطلعها :

أيها المنتاب عن عفره لست من ليل ولا من سمره

(الديوان ٤٢٧)

المنتاب : المتردد مرة بعد مرة . العفر : يسكون الفاء من ليالي الشهر السابعة والثامنة والثاسعة . وحرك الفاء لضرورة الشعر ، يقول : أيها الزائر للسير والحديث لست مني ولست منك ، لأن ليل لا يشبه ليلك ، وسمرى بعيد عن سمرك ، لأنني وني وأنت غادر .

وناظرة إلى من الثَّاقِبِ تلاحظى بظرفٍ مُتَرَابٍ
كشفتُ قِناعها فإذا عجوزٌ مُمَوَّهةٌ القِمارِ بالخِضابِ
فما زالت تُحَمِّسُنِي طويلاً وتأخذ في أحاديث التَّصَابِي
تُحاول أن يقوم أبو زياد ودون قيامه شَيْبُ العَرَابِ
أنتِ بجرابها تكتمال فيه فقامت وهي قارعةُ الجِرابِ (١)

فقوله : أنتِ بجرابها تكتمال فيه كناية ، إذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة
والمجاز ، وكذلك الكيل أيضاً .

ومما جاء من هذا الباب أيضاً قول أبي تمام في قصيدته التي يستعطف بها
مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

« أَرْضٌ مُصَرَّدةٌ وَأَرْضٌ مَنجَمٌ »

مالي رأيت ترابكم يَبِيسُ الثَّرَى مالي أرى أطوادكم تَقْدِمُ (٢)

فيبس الثرى كناية عن تَنَكُّر دات البين ، تقول يبس الثرى يبى وبين
خلان إذا تنكر الود الذي بينك وبينه ، وكذلك تهدم الأطواد ، فإنه كناية عن
خفة الحلوم وطيش العقول .

(١) ليست في الديوان .

(٢) مطلع القصيدة في الديوان : أرض مصردة وأخرى تتجم .

مصردة : قليلة الرى والمطر . تتجم : يدوم عليها المطر .

والبيت في الديوان هكذا :

مالي رأيت ترابكم يبساً له مالي أرى أطوادكم تهدم

الضمير في (له) يعود على شخص المذكور في القصيدة من قبل اسمه مالك ، أغضبه هؤلاء
وهو عظيم جليل النفع . (الديوان ١٩٩)

ومن الكناية الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعاتب فيها سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها :

« وا حرّ قلباه بمن قلبه شميمٌ »

وشرٌّ ما فنصتُهُ راحتي قدصٌ شهبُ البزاةِ سواهُ فيه والرخمُ (١)

بشير بذلك إلى أن سيف الدولة يستوى في المثال منه هو وغيره ، هو البازي وغيره الرخمة ، وإن حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزاً .

وعلى هذا ورد قول الأقيشير الأسيدي ، وكان عتينا لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما يصف ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجل من قيس فأشدد الأقيشير :

ولقد أروح بمشرفِ ذى ميعة عَميرِ المَكْرَةِ ماؤهُ يَتَفَصِدُ
مَرِحٍ يطير من المِراحِ كُماهُ وبكادِ جِلْدِ إهابه يَتَقَدَدُ (٢)

(١) الديوان ١١٦/٤ مطلع القصيدة :

وا حر قلباه بمن قلبه شميمٌ ومن مجسمى وحال عنده سقم

شمم : بارد . الشهب : جم أشهب وهو ما فيه بياض يخالطه سواد ، الرخم : جم رخمة وهي طائر من الجوارح الكبيرة الجسم الوحشية الطباع ، قالوا إنه موصوف بالقدر والقدر . البزاة : جم باز وهو ضرب من الصقور .

(٢) الميعة : المراد بها القوة والنشاط ، من ماغ الشيء يمى إذا جرى على وجه الأرض متبسطة ، وماغ الفرس إذا جرى .

يتفصد : يسيل ويجرى على الأرض .

والبيتان في الأغاني (١٠ / ٨٣) هكذا

ولقد أروح بمشرف ذى شمرة عسر المكرة ماؤهُ يتفصد

مرح يطير من المراح كُماهُ وتكاد جلدته به تتقدد

والصواب الأقيشير كما في الأغاني لا الأقيس كما في الأصل . ويتفصد بالفاء لا بالالف كما

كانت بالأصل .

ثم قال له : أتبصر الشعر ؟ قال : نعم ، قال : فما وصفتُ ، قال : فرسا .
قال : أفكنت تركبه لو رأيته ؟ قال : إى والله وأنتي عطفه ، فكشف له عن
أبره ، وقال : هذا وصفتُ فقم واركبه ، فوثب الرجل عن مكانه ، وقال : قبحك
الله من جلس سائرَ اليوم .

وكذلك أيضا يحكى أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك ،
وكان جميل الوجه ، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد ،
فراوده عن نفسه ، فوثب من عنده ، ودخل على هشام وهو يقول :

إنه والله لولا أنت لم ينبج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام : ولم ذلك ؟ قال :

إنه قد رام منى خبطة لم يرَها قبله منى أخذ

قال : ما هي ، قال :

راح جهلاى وجهلا بآبى يدخيل الأفعى على حبس الأسد^(١)

قال : فضحك هشام . وقال : لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك .

ومن أطف ما سمعته في هذا الباب قول أبى نواس في الهجاء :

إذا ما كنت جارَ أبى حُسينِ فتمَ ويداك في طَرفِ السَّلاج

فإن له نساء سارقاتِ إذا ما بينَ أطرافِ الرماح

مرَّفنَ وقد نزلتُ عليه أبرى فلم أظفرَ به حتى الصَّباح

(١) حبس الأسد : المراد غيله ، لأن الحبس الجبل العظيم ونطاق المودج وثوب بطرح
على الفراش للتوم عليه .

فجاء وقد تمدّش جانباه بَيْنَ إِلَى من ألم الجراح^(١)
تتمهده عن العضو المشار إليه بأطراف الرماح تعبير في غاية اللطافة والحسن .
وقد أُدْخِلَ في باب الكناية ما ليس منه كقول نُصَيْب :

فماجُوا فَأَثَمُوا بِالْقَى أَنْتَ أَهْلٌ ولو سكتوا أُنْذِتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٢)

فهذا يروى من الجاحظ ، وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن
النصاحة والبلاغة ، فإن الكناية هو ما جاز حمله على جانب الحقيقة ، كما يجوز
حمله على جانب المجاز ، وهاهنا لا يصح ذلك ولا يستقيم ، لأن الثناء للحقائب
لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه للضمير الأداة الخارج عن الكناية ،
والمراد به أن في الحقائب من عطايك ما يعرب عن الثناء ، لو سكت أمحاجها عنه .

ما يقبح ذكره من الكناية :

وأما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية فإنه لا يحسن استعماله ،
لأنه عيب في الكلام فاحش ، وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه .

فما جاء منه قول الشريف الرضي يربى امرأة :

« إن لم تكن نَصلاً فَعَمْدُ نِصَالٍ »^(٣)

-
- (١) ليست الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .
(٢) الصناعتين ٢١٤ وحيون الأخبار ٢٩٩/١ والأغانى ١٣٠/١ من مقطوعة في
مدح سليمان بن عبد الملك .
(٣) البيت في الديوان هكذا .

إلا يكن نَصلاً فَعَمْدُ نِصُولٍ غالته أحداث الزمان بقول
أولا يكن بأبي شبول ضيفم ندى أخلافه فأم شبول
في تمزية أبي سعيد طى بن محمد بن أبي خلف عن أخت له توفيت .

(ديوان الشريف الرضى ٦٧٧/٢)

وفي هذا من سوء الكناية مالا يخفاء به ، فإن الوم يسبق في هذا الموضع إلى ما يبيح ذكره ، وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق ، فمسخه وشوه صورته ، فإن الفرزدق رثى امرأته فقال :

وَجَفَنُ سِلَاحٍ قَدْ رَزَزْتُ فَلَمْ أُنْخِ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبَيِّثْ إِلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
وفي جوفه من دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنِيَا أُمُهَلَّتْهُ لِيَالِيَا^(١)
وهذا حسن بديع في معناه ، وما كُنِيَ عن امرأة ماتت بِجُمُوعٍ^(٢) أحسن من هذه الكناية ، ولا أَفْخَمَ شَأْنًا ، فجاء الشريف الرضى فأخذ معناها وفعل به ما ترى ، وليس كل من تصرف في المعاني أحسن في تصريفها ، وأبقى هذه الرموز في تأليفها .

وقد عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبي فأحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الكناية ، فأخطأ حيث قال :

أَبَى عَلَى شَخَفِي بِمَا فِي حُجْرِهَا لِأَعِيفٍ عَمَّا فِي سَرَائِلَاتِهَا^(٣)
وهذه كناية عن الزهارة والعمفة إلا أن الفجور أحسن منها .

وقد أخذ الشريف الرضى هذا المعنى فأبرزه في أحسن صورة حيث قال :

(١) البيتان في الديوان هكذا .

وعند سلاح قد رززت فلم أنخ عليه ولم أبث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو ان المنيالي أنسأته لياليا
(الديوان ٢ / ٨٩٤)

(٢) ماتت المرأة بجموع : مثقلة أى هنراء أو حاملاً أو مثقلة والمراد هنا أنها حامل .
(٣) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران (الديوان ١ / ٢٥٥) وقد ذكره أبو هلال في الصناعتين وعابه ٣٧٥ . قال صاحب بن عباد : كان الشعراء يصفون المآزر تزيهاً لألفاظها عما يستشتم ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح ، وكثير من الدهر أحسن عندي من هذا العفاف . واعتذر بعضهم عن المتنبي بأنه قال : سراييلاتها ، جمع سرايل وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي ، يريد أنه مع حبه لوجههن يعف عن أبدانهن .

أَحْنُ إِلَى مَا تَضَمَّنَ الْخُمْزُ وَالْحَلِيَّ وَأَصْدِفُ عَمَا فِي ضَمَانِ الْمَآزِرِ^(١)
وَأَمْثَالِ هَذَا كَثِيرٌ ، وَفِيهَا ذِكْرُنَاهُ مِنْ هَذِينَ الْمَثَالِينَ مَتَّبِعٌ .

وَأَمَّا التَّعْرِيفُ فَقَدْ سَبَقَ الْإِعْلَامُ بِهِ ، وَعَرَفْنَاكَ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُتَابَةِ ،
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَطَلْتَ هَذَا بَالِهْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرٌ مِنْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ ﴾^(٢) ، وَغَرَضُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
هَذَا الْكَلَامِ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ قَالَ : فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ ، وَذَلِكَ
عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ ، وَهَذَا مِنْ رَمُوزِ الْكَلَامِ ، وَالتَّوَلُّ فِيهِ أَنْ قَصَدَ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرُدَّ بِهِ نِسْبَةَ الْفِعْلِ الصَّادِرِ عَنْهُ إِلَى الصَّنَمِ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَقْدِيرَهُ لِنَفْسِهِ
وَإِثْبَاتِهِ عَلَى أَسْلُوبِ تَعْرِيفٍ يَبْلُغُ فِيهِ غَرَضُهُ مِنْ إِثْرَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ ،
وَقَدْ يُقَالُ فِي هَذَا غَيْرُ مَا أُشْرَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّ كَبِيرَ الْأَصْنَامِ غَضِبَ أَنْ تَعْبُدَ مَعَهُ
هَذِهِ الْأَصْنَامَ الصَّغِيرَةَ فَكَسَرَهَا ، وَغَرَضُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ
مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هُوَ دُونَهُ فَإِنَّ مِنْ هُوَ دُونَهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَجَمَلُ إِسْحَاقَ
الْقَوْلِ إِلَى كَبِيرِ الْأَصْنَامِ مِثَالًا لِمَا أَرَادَهُ .

وَمِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
مَا تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَكَ تَبَّكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرَّأْيِ وَمَا رَى
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَازِبِينَ ﴾^(٣) ، قَوْلُهُ مَا تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا
تَعْرِيفٌ بِأَنَّهُمْ أَحَقُّ مِنْهُ بِالنَّبُوءَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ
لَجَعَلَهَا فِيهِمْ ، فَقَالُوا هَبْ أَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَلَأِ وَمَوَازِيهِمْ فِي الْمَنْزَلَةِ ، فَاجْعَلْكَ أَحَقُّ
مِنْهُمْ بِهَا ؟ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا رَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ .

(٤) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ التِّي مَطْلَعُهَا :

بَغِيرِ شَفِيعِ نَالِ عَفْوِ الْمَقَادِرِ أَخُو الْجِدِّ لَا مُسْتَنْصِرًا بِالْمَعَادِرِ

وَفِي الدِّيْوَانِ (يَحْنُ) بَدَلًا مِنْ (أَحْنُ) وَيَصْدَفُ بَدَلًا مِنْ أَصْدَفِ (الدِّيْوَانُ ٣٤٣)

(٦) هُوَ ٢٧٥ .

(٥) الْأَنْبِيَاءُ ٦٣ .

وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية ، فعزله ، فلما قدم إليه قال له : عزائك ثلاث لو لم تكن إلا واحدة ممنن لأوجبت عزلك : إسداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك أمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رَمَلَةٌ استعدتكَ على زوجها عمر بن عثمان فلم تُبَدِّها .

فقال له مروان : أما عبد الله بن عامر فإنى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام عَهِمَ أين موضعه ، وأما كراهتى أمر زياد فإن سائر بنى أمية كرهوه ، وأما استعداء رَمَلَةٍ على عمر بن عثمان فوالله إنه لتأتى على سنة وأكثر . وعندى بنت عثمان فمأأ كشف لها ثوبها . يريد ذلك أن رَمَلَةٌ بنت معاوية إنما استعدت لطلب الجماع فقال له معاوية : يا ابن الوزغ^(١) لست هناك ، فقال مروان : هو ذاك . وهذا من التعريضات اللطيفة .

ومثله فى اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة ، فدخل عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال له عمر : أية ساعة هذه ؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين انقلبتُ من أمر السوق فسمعت النداء ، فما زدت على أن توحّات . فقال عمر : والوضوء أيضا ، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالنُسل^(٢) .

فقلوه «أية ساعة هذه» تعريض بالإنكار عليه ، لتأخره عن الحجى إلى الصلاة ، وترك السَّبْقِ إليها ، وهو من التعريض العربى عن الأدب .

ووقفت فى كتاب العقدة^(٣) على حكاية تعريضية حسنة للموقع ، هى أن

(١) الوزغ : الرجل الفاسد المريض الفسل . والوزغة عرصة سام أبرص جمعها وزغ .

(٢) فى الصناعتين ١٦ ذكر لهذا الحوار موجز ، وفى نهايته : أما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال . « من أتى الجمعة فليغتسل » .

(٣) العقدة الفريد لابن عبد ربه .

امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر في بيتي » فقال :
ما أحسن ما ورتت عن حاجتها ، املأوا بيئتها خبزاً وسمناً ولحماً .

ومن خفي التعريض وضمضه ما ورد في الحديث الشريف ، وهو أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابنتي بنته ، وهو يقول : « والله إنكم
لَتُجَبِّونَ وَتُبَخِّلُونَ وَتُجَمَّلُونَ ، وإنكم من ربحان الله ، وإن آخر وطأة وطئها
الله بوجج » (١) .

اعلم أن وججاً بالطائف ، والمراد به غزاة حنين ، وحنين واد قبيل
وجج ، لأن غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
المشركين ، وأما غزوات الطائف ونهوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيها وطأة
أى قتال ، وإنما كانتا مجرد خروج إلى الفزو من غير ملاقاته عدو ولا قتال .

ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « وإن آخر وطأة
وطئها الله بوجج » على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته ،
لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع
الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سنتان ونصف ، فكأنه قال : وإنكم من
ربحان الله أى من رزقه ، وأنا مفارقكم عن قريب ، إلا أنه صانع عن قوله :
وأنا مفارقكم عن قريب بقوله : وإن آخر وطأة وطئها الله بوجج ، وكان ذلك
تعريضاً بما أراده وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم .

وعما ورد في هذا الباب شعراً قول الشَّمَيْذِرِ الحَارَنِيِّ :

بِئْسَ عَمَلًا تَدْرِكُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ النَّبِيِّ الْقَوَافِيَا (٢)

(١) اسم واد بالطائف لا بلد به ومنه ، « آخر وطأة وطئها الله بوجج » يريد غزوة
حنين لا الطائف (القاموس المحيط مادة وجج) .

(٢) الصواب الشَّمَيْذِرِ وكانت بالأصل الشميد . ورد الشعر في شرح ديوان الحماسة
للرزوقي (١٤٤/١) وللتبريزي ٦١/١ .

الضمير على وزن زبير موضع قرب ذات عرق وموضع بديار بني كلاب .

وليس قصده ها هنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم والقلبة ، الا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشعر ، وجعله تعريضا لما قصده ، أى لا تفتخروا بعد تلك الواقعة التى جرت لكم ولنا بذلك المكان .

ومن أحسن التمریضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون فى أمر بعض أصحابه وهو : « أما بعد فقد استشفع بى فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطول فى إلحاقه بنظارته من الخلاصة ، فأعلته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك تَعَدَّى طاعته » .

فوقع للمأمون فى ظهر كتابه : « قد عرفت تمريرك وتبريضك لنفسك ، وقد أجبناك إليها » (١) .

واعلم أن هذين القسمين من الكناية والتمریض قد وردا فى غير اللغة العربية ، ووجدتهما فى اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذى فى أيدي النصارى قد أتى منهما بالكثير .

ومما وجدته من الكناية فى لغة الفرس : أنه كان رجل من أساورة (٢) كسرى وخواصه ، فقيل له إن الملك يختلف إلى امرأتك ، فهجرها لذلك ، وترك فراشها ، فأخبرت كسرى ، فدعاه وقال له : قد بلغنى أن لك عينا عذبة وأنت لا تشرب منها ، فما سبب ذلك ؟ قال : أيها الملك ، بلغنى أن الأسد يردّها نخفته ، فاستحسن كسرى منه هذا الكلام ، وأسنى عظامه .

(١) فى الصناعتين نفس هذه الرسالة مع تغيير ٣٦٨ .
(٢) الأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرهما وهو القائد من الفرس أو هو الفارس .

النوع المشرون

في المغالطات المعنوية

وهذا النوع من أحلى ما استعمل في الكلام وأطفه ، لما فيه من التورية ،
وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض ، والنقيض أحسن
موقفاً وأطف مأخذاً ، فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة ،
من ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

يَشَاهُمُ بِكُلِّ أَقْبٍ نَهْدٍ لِقَارِسِهِ عَلَى الخِيلِ الخِيَارِ
وَكُلِّ أَصْمٍ يَعْسِلُ جَابِيَاهُ عَلَى الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌّ جُمَارُ
يَغَادِرُ كُلَّ مَلْتَفَةٍ إِلَيْهِ وَلِبَتُهُ لِقَمَلَيْهِ وَجَارُ^(١)

فالتملب هو هذا الحيوان المعروف ، والوجار اسم بيته ، والتملب أيضاً هو
طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف
اللسنان ، وهذا نقل المعنى من مثله إلى مثله .

وعليه ورد قول المتنبي :

بِرَعْمِ شَيْبِ فَارِقِ السَيْفِ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى العِلَاتِ يصطاحبان

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقف ببنى عقيل وقشير وبنى العجلان وبنى
كلاب حين ماتوا وخالفوا عليه (الديوان ٢/٢٤٣) .
يشاهم : يطردم . الأقب : الضامر البطن . نهدي : مرتقم . يقول لأنه يطردم بكل فرس
ضامر نهدي لفارسه الخيار ، إن شاء لحق وإن شاء سبق . أصم : رمح صلب ليس بأجوف .
يعسل : يضطرب . ميار : مسال مهرق . يغادر : يترك والضمير للرمح . اللبة : أعلى الصدر .
التملب . المراد هنا ما دخل من الرمح في السنان . الوجار : بيت الوحش من ضميم وتطلب
ونحوهما يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعابه
في نحره .

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَاتٌ لِسَيْفِهِ رَفِيقَكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ (١)
فَإِنْ شَبَّيْنَا الْخَارِجِيَّ الَّذِي خَرَجَ عَلَى كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ وَقَصَدَ دِمَشْقَ
وَحَاصَرَهَا وَقَتَلَ عَلَى حِصَارِهَا كَانَ مِنْ قَيْسٍ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالْبَيْنِ عِدَاوَاتٍ
وَحُرُوبٍ ، وَأَخْبَارَ ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ .

وَالسَّيْفُ يُقَالُ لَهُ يَمَانِيٌّ فِي نَسَبِهِ إِلَى الْبَيْنِ ، وَمَرَادُ الْمُقْبَلِيِّ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ
أَنَّ شَبَّيْنَا لَمَّا قَتَلَ وَفَارَقَ السَّيْفُ كَفَهُ فَكَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِسَيْفِهِ أَنْتَ يَمَانِيٌّ
وَصَاحِبُكَ قَيْسِيٌّ ، وَلِهَذَا جَانَبَهُ السَّيْفُ وَفَارَقَهُ ، وَهَذِهِ مِثَالَةٌ حَسَنَةٌ ، وَهِيَ كَالأُولَى
إِلَّا أَنَّهَا أَدَقُّ وَأَعْمَضُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ أَيْبَاتِ يَهْجُوبِهَا شَاعِرًا لِحُجَاءِ مِنْ جَهْلَتِهَا قَوْلُهُ :
وَخَاطَبْتُمُ بَعْضَ الْقُرَّانِ بِيَمِضِهِ فُجِئْتُمْ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ
وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الشُّعْرَاءَ اسْمُ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَنْعَامُ اسْمُ
سُورَةٍ أَيْضًا ، وَالشُّعْرَاءُ جَمْعُ شَاعِرٍ ، وَالْأَنْعَامُ مَا كَانَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ .
وَكَذَلِكَ وَرَدَ بَعْضُ قَوْلِ الْعِرَاقِيِّينَ يَهْجُوبِ رَجُلًا كَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ
الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مَبْلَغٌ عَنِ الْوَجِيهَةِ رِسَالَةٌ وَإِنْ كَانَ لَا تُجِدِي لَدَيْهِ الرِّسَالَةُ

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ بَعْدَ قَتْلِ شَبَّيْبِ الْعُقَيْلِيِّ بِدِمَشْقِ سَنَةِ ٣٤٨ هـ
لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ . (الديوان ٤/٤٧٢) .

كَانَ شَبَّيْبٌ مِنَ الْقُرَّاطَةِ ، وَكَانُوا مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَتَوَلَّى شَبَّيْبٌ مَعْرَةَ النِّعَانِ دِهْرًا
طَوِيلًا ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ فَوْقَ عَمْرَةَ آلَافٍ ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى كَافُورٍ ،
وَقَصَدَ دِمَشْقَ فَحَاصَرَهَا ، فَيُقَالُ إِنَّ امْرَأَةً أَلْقَتْ عَلَيْهِ رَحِيًّا فَصَرَعَتْهُ فَانْهَزَمَ مِنْ كَانُوا مَعَهُ ،
وَيُقَالُ إِنَّهُ حَدَّثَ بِهِ صَرِيعٌ مِنَ الْخَمْرِ فَتَرَكَهُ أَصْحَابُهُ وَمَضُوا فَأَخَذَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ وَقَتَلُوهُ .
قَيْسٌ : مِنْ قَيْسِ الْعَدْنَانِيَّةِ . يَمَانِيٌّ : مِنَ الْبَيْتَانِيَّةِ .

وَكَانَ بَيْنَ هَذِهِمَا وَأَوْلَادِكَ شِقَاقٌ وَتَنَازُعٌ وَاخْتِلَافٌ ، يَقُولُ : كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ أُغْرَتِ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيْفِهِ لِكَثْرَةِ قَطْعِهِ إِيَّاهَا ، فَقَالَتْ لِسَيْفِهِ : إِنَّ شَبَّيْبًا الَّذِي يَصَاحِبُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ ،
وَالسَّيْفُ الْجَيِّدَةُ تَنْسَبُ إِلَى الْبَيْنِ ، فَفَارَقَهُ سَيْفُهُ لَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مَخَالَفٌ لَهُ فِي الْأَصْلِ .

تَذَهَبَتْ لِنَعْمَانَ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَفَارَقَتْهُ إِذْ أَعْوَزَتْكَ الْمَاءَ كُلَّ
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيِي الشَّافِعِي تَدِينُنَا وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الْقَدَى مِنْهُ حَاصِلٌ
وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لِاشْكَ صَائِرٌ إِلَى مَالِكِ قَاطِنٌ لَمَّا أَنَا قَاتِلٌ

ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ، ومالك هو خازن النار ، وهذه مغالطة لطيفة .

ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب هو قول أبي العلاء ابن سليمان في الإبل (١) :
صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
إِذَا أَرَادَتْ رَشْدًا أَغْوَاهَا مِحَالُهُ مِنْ رِقِّهِ إِيَّاهَا (٢)
فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا ، وعلى الضرب في الأرض وهو السير فيها ، وكذلك دمَّاهَا فإنه لفظ مشترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دمَّاه إذا أسال دمه ، ودمَّاه إذا جعله كالدمية وهي الصورة ، وكذلك لفظ الفَنَاءَ فإنه يطلق على غيب الثعلب ، وعلى إذهاب الشيء إذا لم يَبْقَ منه بقية ، يقال أفناه إذا أذهب ، وأفناه إذا أطعمه الفَنَاءَ وهو غيب الثعلب ، والرشد والغوى

(١) يريد الشاعر الفيديوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المرعي المولود بالمرة سنة ٣٦٣ هـ والمتوفى بها سنة ٤٤٩ .

(٢) ليس البيتان بسقط الزند ولا بالازوميات وقد جاء بلسان العرب مادة (دى) : دى الراعى الماشية جعلها كالدى ، وأنشد أبو العلاء :

صَلْبُ الْعَصَا بِرَعِيَّةِ دِمَاهَا يَبُودُ أَنْتَ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
أى أنه أرعاهما فسمنت حتى صارت كالدى .

وذكر في مادة (فتى) أن الراجز وصف راعى غم فقال :

صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دِمَاهَا يَقُولُ نَيْتَ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
وأفناها أى أنيت لها الفناء وهو غيب الثعلب حتى تغز وتسمن .

وجاء في كتاب العسا لأسماءة بن منقذ (نوادير المخطوطات ١٨٨) : « قال الراعى يصف راعى :

صَلْبُ الْعَصَا بِضَرْبَةِ دِمَاهَا إِذَا أَرَادَ رَشْدًا أَغْوَاهَا
والضربة هي السيرة والسفرة ، ودمَّاه أى تركها كالدمية ، وأغواها أى أرعاهما .
والفناء وهو نبت تسمن عليه الإبل » .

نبتان^(٣) يقال أغواه إذا أضله ، وأغواه إذا أطعمه الغوى ، ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبات ، وطلب رشداً إذا طلب الهداية ، وبعض الناس يظن هذه الأبيات من باب اللفظ ، وليس كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة ، وذلك معنى ظاهر يُستخرج من دلالة اللفظ عليه ، واللفظ هو الذى يستخرج عن طريق الحزْر والحُص ، لا من دلالة اللفظ عليه ، وسأوضح ذلك إيضاحاً جلياً فى النوع الحادى والمشرى ، وهو الذى يتلو هذا الباب ، فليؤخذ من هناك .

ويروى فى الأخبار الواردة فى غَزَاةِ بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يقصد بدرأ ، فلقبهم رجل من العرب فقال : **مِنَ القوم ؟** فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ماء ، فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء ، لينظر أى بطون العرب يقال لها ماء ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهته ، وكان قصده أن يكتم أمره .

وهذا من المغالطة المثلثية ، لأنه يجوز أن يكون المراد أن خلفهم من ماء . وقد جاءنى شئ من ذلك فى الكلام للنثور ، فمنه ما كتبت فى فصل من كتاب عند دخولى إلى بلاد الروم ، أصف فيه البرد والتلج ، قلت : **« ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدرّ فى خلفه ، والدمع فى طرفه ، وربما تعدى إلى قلب الخاطر فأجفه أن يجرى بوصفه ، فالشمس مأسورة ، والبار مقرورة ، والأرض شهباء غير أنها حويّية ، ومسيّلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تُخض »** ومكان المغالطة من هذا الكلام فى قولى **« والأرض شهباء غير أنها حويّية لم تُرَض »** فإن الشهباء من الخليل يقال فيها حويّية أى لها حول ، ويقال إنها مَرَوَّضة أى ذلّت للركوب ، وهذه الأرض مضى للتلج عليها حول ففى شهباء حويّية ، وقولى لم تُرَض أى لم تسلك بعد .

(٣) لم نجد فى اللسان ولا القاموس أن الرشداً والغواء أو الغوى نوعان من النبات ، وإنما وجدنا أن حب الرشاد نبات وكذلك الفاعلة .
والشطر الرابع غامض لعل فيه تصحيحاً لم تهتد إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم قلت : « واولقد نزلت منه بمهلي الصنع
أحنفي الأخلاق (١) ، ولقيته فكأنى لم أرع من أجب بلوغة الفراق ، ولا كرامة
للأهل والوطن حتى أقول إنى قد استبدلت به أهلا ووطناً ، وعهدى بالأيام وهى
من الإحسان فاطمة ، فاستولدتها بجواره حسناً .

وهذه تورية لطيفة ، فإن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن
رضى الله عنهما ولدها ، وفاطمة هى اسم فاعل من القَطَام ، يقال قَطَمْتُ فهِى
فاطمة ، كما يقال فُطِمَ فهو فاطِم (٢) ، والحسن هو الشيء الحسن الأسلوب .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت :
« وعهدى بقلبي وهو يتحلى من البيان بأسمائه ، وتبرز أنوار المعاني من
ظلماته ، وقد أصبحت يدى منه وهى حاملة الخطب ، وأصبح خاطرى أبا جهل
بعد أن كان أبا لهب .

وهذا أحسن من الأول وأحلب عبارة ، فانظر أيها المتأمل إلى ما فيه من
التورية اللطيفة ، ألا ترى أن الخاطر يُحمد فيوصف بأنه وقاد وملتهب ، ويُذمُّ
فيوصف بأنه بليد وجاهل ؟ وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان ، وكذلك
حالة الخطب هى المرأة المعروفة ، وإذا ذمَّ القلم قيل انه حطَبٌ ، وإن صاحبه
حاطب ، فلما نعتت أنا هذا المعنى الذى قصدته جئت به على حكم المغالطة ،
ووريت فيه تورية .

والمسلك الى مثل هذه المعانى وتصحيح المقصد فيها عمر جدا ، لا جرم أن
الإجادة فيها قليلة .

(١) مهلي : نسبة إلى المهلب بن أبى صفرة القائد الباسل الذى حارب الخوارج مرات ،
وكان كريماً جديداً . أحنف : نسبة إلى الأحنف بن قيس عاش إلى الدولة الأموية وكان مشهوراً
بالعلم وكرم الخلق .

(٢) فى القاموس المحيط مادة فطم : ناقة فاطم بلغ حوارها سنة . وأفطمت السخلة حان
أن تقطع ، فإذا فطمت فهِى فاطم ومقطومة .

وبما يجرى هذا الجرى ما ذكرته في وصف شخص بمعالى الأمور وهو:
« من أبرّ مساعيه أنه حاز قفلَ المَكْرُماتِ ومفتاحها ، فإذا سئلَ مَنْقَبَهُ كانَ
مَناعها ، وإذا سئلَ مَوْهَبَهُ كانَ مَناعها ، وأحسنُ أثرأ من ذلك أنه أخذَ بأعنةِ
الصَّعابِ وألانَ جِراحها ، فإذا شهدَ حَوْمَةَ حربٍ كانَ منصورها ، وإذا لقيَ مُهْجَةً
خَطَبَ كانَ سَفاحها . »

والمخالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح ، فإنهما لقب خليفتين
من بنى العباس ، والسفاح أول خلفائهم ، والمنصور أخوه الذى ولى الخلافة من
بعده ، وهما أيضا من النصر في حومة الحرب ، والسفاح الذى هو الإراقة ،
والمهجة دم القلب ، فكأنى قلت هو منصور في حومة الحرب ومُربقٌ لدم
الخطوب ، وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح ،
وهذا من المخالطة المثالية لا من النقيضية ، ولا خفاء بما فيها من الحسن .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب إلى بعض الإخوان فقلت : « وقد علمتُ أن
ذلك الأُنس بقربه يُعقَّبُ إباحشا ، وأن تلك الذمَّة من لقائه تجعل الأ كباد عطاشا ،
فإن شيمة الدهر أن يُبدلَ الصَّفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا ، وأيام برِّه قصرا ،
وما أقول إلا أنه تعرَّ بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها حدَّ القمع ، ورأى العيش
فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع . »

والمخالطة في هذا الكلام هى في ذكر الخفض والرفع ، فإن الخفض هو سعة
العيش ، والخفض هو أحد العوامل النحوية ، وارتفاع هو من قولنا رفعت الشيء
إذا أزلته ، والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا ، وهذا من المخالطات الخفية .
ومن ذلك ما كتبه في فصل أصف فيه العجى وكنت إذ ذاك بحسن سُمِّيَ سَاط
وهو بلد من بلاد الأرمين ، فقلت : « ومما أكره في حال المرض بهذه الأرض
أن الحى خَيِّمت بها فاستقرت . ولم تقنع بأهلها حتى مَرَّتْ إلى تربتها ، فترى

وقد أخذتها النافض^(١) فاقشعرت ، ولم يُشكل أمرها إلا لأنها حتى أزمينية .
سَمَعَجَمَةُ اللسان ، وقد تشبه الأمراضُ وأهلُ بلادها في الإبان ، وإذا كانت
الحمي كافرًا لم تزل للمسلم حربًا ، وشكاتها لا تُسمى شكاة ، وإنما تسمى
طعنا وضربا ، ولهذا صارت الأدوية في علاجها ليست بأدوية ، وأصبحت أيام
نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية ، وليس موسمها في فصل معلوم بل كل
فصول العام من موسمها ، ولو كانت تبتها تصيبين أو ميا فارقين بكتاب لترجمته
بمبدها وخادها .

والمغالطة هاهنا في قولي : وأصبحت أيام نحرها في الناس مبتدأة بأيام تروية ،
والمراد بذلك أنها تُقبل بفترة من غير تروية أي من غير تلبث ، ويوم النحر هو
يوم عيد الأضحى ، وقبلة يوم يُسمى يوم التروية ، فالمغالطة حصلت بين نحر الحمي
للناس ونحر الضحايا ، إلا أن يوم النحر مبتدأ بيوم تروية ، ولاخفاء بما في هذه
المغالطة من الحسن والاطافة .

وأما القسم الآخر وهو النقيض فإنه أقل استعمالا من القسم الذي قبله ،
لأنه لا يتبها استعماله كثيرا .

فن جملة ما ورد شعر البعضهم وهو قوله :

وما أشبه تشريها بمالٍ فإن نَفَقَتْ فأكد ما تكونُ

يقال نَفَقَتْ السلعة إذا راجت ، وكان لها سوق ، ونَفَقَتْ الدابة إذا ماتت ،
وموضع للناقضة هاهنا في قوله إنها إذا نَفَقَتْ كسدت ، فجاء بالشيء ونقيضه ،
وجعل هذا سببا لهذا ، وذلك من المغالطة الحسنة .

ومن ذلك ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلد من

(١) النافض : حمى الرعدة مذكر . يقال أخذته حمى بنافض وحمى نافض ، ونفضته
الحمي فهو منفوض .

بلاد الكفار ، فقلت في آخر الكتاب : وقد ارتاد الخادم من يُبلِّغُ عنه مشاريح هذه الوقائع التي اختصرها ، ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تممّلت لمن حضرها ، ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها ، وهي عرائس المساعي ، فأحسن الناس بيانا مؤهلاً للإبداع حسابها ، والسائر بها فلان ، وهو راوى أخبار نصرها ، التي صححتها في تجميع الرجال ، وعوالى إسنادها مأخوذة من طرف العوالم ، والليالي والأيام لها روضة ، فما الظن برواية الأيام والليالي ،

في هذا الفصل مغالطة تقيضية ومغالطة مثلية ، أما المغالطة المثلية فهي في قولى « وعوالى أسنادها مأخوذة من طرف العوالم » وقد تقدم الكلام على هذا وما يجرى مجراه في القسم الأول ، وأما المغالطة التقيضية فهي قولى : « وهو راوى أخبار نصرها التي صححتها في تجميع الرجال » وموضع المغالطة منه أنه يقال في رواية الأخبار فلان عدلٌ صحيح الرواية ، وفلان مجروح أى صقيم الرواية ، غير موثوق به ، فأنتيتُ بهذا المعنى على وجه التقييض ، فقلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجميع الرجال أى تجريحهم في الحرب ، وفي هذا من الحسن ما لا يخفاء به .
وقد أوردت من هذه الأمثلة ما فيه كفاية ومقنع .

فإن قيل إن الضرب الأول من هذا النوع هو التجنيس الذى لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذى مثلته ، وفي قول أبى الطيب ثعلب ووجار ، فإن الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضا طرف السنان ، وكذلك باقى الأمثلة ، قلت في الجواب إن الفرق بين هذين النوعين ظاهر ، وذلك أن التجنيس يذكّر فيه اللفظ الواحد مرتين ، فهو يستوى في الصورة ويختلف في المعنى ، كقول أبى تمام :

بكل فتى ضربٍ يُرَضُّ لاقنا مُحَيًّا مُحَلِّي حليهِ الطاعنُ والضربُ^(١)

(١) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى (الديوان ١/١٩٩) -
الحيا : الوجه .

فَالضَّرْبُ الرَّجْلُ الْخَفِيفُ ، وَالضَّرْبُ هُوَ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ فِي الْقِتَالِ ، فَالْفِظُ لَا يَدُ مِنْ ذِكْرِهِ مَرَّتَيْنِ وَالْمَعْنَى فِيهِ مُخْتَلَفٌ ، وَالْمُخَالَطَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، بَلْ يَذْكَرُ فِيهَا الْفِظُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَيُدَلُّ بِهِ عَلَى مِثْلِهِ وَلَيْسَ بِمَذْكَورٍ .

النوع الحادى والعشرون

في الأحاجي

وهي الأغاليط من الكلام ، وتسمى الألتاز جمع لئز^(١) ، وهو الطريق الذي ياتوى وبشكل على سالكة ، وقيل جمع أئز بفتح اللام وهو ميلك بالشئ عن وجهه ، وقد يسمى هذا النوع أيضاً المئى ، وهو يشبه بالكناية تارة وبالتعريض أخرى ، ويشبهه أيضاً بالمخاطبات المعنوية ، ووقع في ذلك عامة أرباب هذا الفن ، فمن ذلك أن أبا الفرج الأصفهاني ذكر بيتي الأفيثير الأسدي في جملة الألتاز وهما :

ولقد أروح بمشرف ذي مئعة عسير المكرة ماؤه يتفصد
مرح يطير من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يتقد^(٢)

وهذان البيتان من باب الكناية ، لأنهما يمحلان على الفرس وعلى المصو المحصوص ، وإذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الألتاز ؟ وكذلك فعل الحريري في مقاماته فإنه ذكر في الأحاجي التي جعلها على حكم الفتاوى كناية ومخالطة معنوية ، وظن أنهما من الأحاجي الملتيرة ، كقوله :

(١) اللئز على وزن نهر وعلى وزن قفل وبضم اللام والفتح معاً ، وتعريبهما ، وبضم اللام وفتح الفين : الليل بالشمس عن وجهه (القاموس المحيط)
(٢) البيتان في الأغاني للأفيثير الأسدي لا الأقيس كما في الأصل ، هكذا :
ولقد أروح بمشرف ذي شعرة عسير المكرة ماؤه يتفصد
مرح يطير من المراح لعابه ويكاد جلدته به تتقد
(الأغاني ١٠ / ٨٢) مائة التقد . والصواب يتفصد بالفاء لا بالقاف . وسبق قد شرحهما .

« يحملُ للصائم أن يأكل نهاراً » (١) والنهار من الأسماء المشتركة بين النهار الذي هو ضد الليل وبين فرخ الحَبَّازِى فإنه يسمى سهاراً ، وإذا كان من الأسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لا من باب الأحاجي ، والألفاظ شئ منفصل عن ذلك كله ، ولو كان من جلته لما قيل لنز وأحجية ، وإنما قيل كناية وتعمير ، ومنه ما يطلق عليه المغالطة ، ومنه شئ آخر خارج عن ذلك فجعل لنزاً وأحجيةً .

وكنيت قدمت القول بأن الكناية هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز ، فهو يحمل عليهما معاً ، وأن التعمير هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالاته عليه حقيقة ولا مجازاً ، وأن المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيان أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعي ، والآخر دلالة اللفظ على المعنى وتقيضه ، وأما اللفز والأحجية فإيهما شئ واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والخز لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازاً ، ولا يفهم من عرضه ، لأن قول القائل في الضرس :

وصاحب لا أملُ الدهرِ صُحْبَتُهُ يَشْتَقِي لِنَفْسِي وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدٍ

ما إن رأيت له شخصاً فذوقتُ عَيْنِي عَلَيْهِ افترقنا فرقة الأبد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من

(١) المقامة الثانية والثلاثون ، فيها مائة مسألة فقهية ملفزة ، منها : أيجوز للمعدور أن يفطر في شهر رمضان ، قال : ما رخص فيه إلا للصبيان . قال : فهل للمعسر أن يأكل فيه ، قال : نعم بل فيه . المعدور : المتبادر أن للمعدور من أصابه عذر يحمل له الفطر وهو أيضاً المحتون فلا يسوغ له الفطر ، وهنا تورية . المعسر : من دخل بعمره ، وهو لا يجوز له أن يفطر ، وهو أيضاً المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليسترخ ثم يرتحل ، وهو ممن يباح لهم الفطر .

طريق المفهوم ، وإنما هو شيء يُخَدَسُ وَيُحْزَرُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عبورها عليه .

فإن قيل إن اللفز يعرف من طريق المفهوم ، وهذان البيتان يعلم معناهما بالمفهوم .

قلت في الجواب : إن القدي يعلم بالمفهوم إنما هو التمريض ، كقول القائل إني فقير وإني محتاج ، فإن هذا القول لا يدل على المسألة والطلب لا حقيقة ولا جهازاً ، وإنما فهم منه أن صاحبه ممرض للطلب ، وهذان البيتان ليسا كذلك ، فأيهما لا يشتعلان على ما يفهم منه شيء إلا بالحدس والحزر لا غير ، وكذلك كل لفظ من الألفاظ .

وإذا ثبت هذا فاعلم أن هذا الباب الذي هو اللفز والأخجية والمعنى يتنوع أنواعاً :

فمنه للمصحف ، ومنه للمكوس ، ومنه ما ينقل إلى الآلات غير العربية ، كقول القائل اسمي إذا صحفته بالفارسية آخر ، وهذا اسمه اسم تركي ، وهو دنكر بالذال المهملة والنون ، وآخر بالفارسية ديكر بالذال المهملة والياء الممجة بثنتين من تحت ، وإذا صحفت هذه الكلمة صارت دنكر بالنون ، فانقلبت الياء نوناً بالتصحيح ، وهذا غير مفهوم إلا لبيض الناس دون بعض .

وإنما وضع واستعمل لأنه مما يشهد القرينة ويحدد الخاطر ، لأنه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر ، وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلاً ، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه ، وربما أتى منه بما يكون حسناً وعليه مسحة من البلاغة ، وذلك عندي بين بين ، فلا أعده من الأحاجي ولا أعده من فصيح الكلام .

فما جاء منه قول بعضهم :

قد سقيت آباهم بالنار والفار قد نشق من الأوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الإبل ذور وجاهة وتقدم ولم
يُسَمَّ معلوم ، فلما وردت إليهم الماء عرفت بذلك الوسم ، فأفرج لها الناس حتى
شربت ، وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده ، وجعل أحدهما سبياً
للآخر ، فصار غريباً عجيباً ، وذلك أنه قال سُميت بالنار ، وقال إن النار تُشْفَى
من الأوار ، وهو العطش ، وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب .

ومما يجرى على هذا النهج قول أبي نواس في شجر الكرم :

لنا هَجْمَةٌ لَا يُدْرِكُ الذَّنْبُ سَخْلَهَا وَلَا رَأَاهَا زَوْ الْفِحَالَةَ وَالْحِطْرُ
إِذَا امْتَحِنَتْ أَوَانُهَا مَالٌ صَفْوُهَا إِلَى الْحَوْ إِلَّا أَنْ أُوَامِرَهَا خَضِرٌ^(١)

ومن هذا القبيل قول بعضهم :

سَبَّحُ رَوَاحِلُ مَا يُبَيِّنُ مِنَ الْوَتَا شِيمٌ تَسَاقُ بِسَبْمَةِ زُهْرٍ
مُتَوَاصِلَاتٌ لِأَلْدُوبِ يُمِلُّهَا بَاقٍ تَعَاقِبُهُمْ عَلَى الدَّهْرِ^(٢)

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام لزمان ولياليه وهى الأسبوع ، فإن الزمان
عبارة عنه ، وذلك من الألفاظ الواقعة في موقعها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدته
التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهى :

(الرأى قبل شجاعة الشجمان) فقال :

(١) الديوان ١٠٢ وفي الأصل لا يدري بدلا من لا يدرك ، وغض بدلا من نزو .
الهجمة : القدح العظيم الضخم . السخل : جم سخلة وهى ولد الشاة . نزو : وثب . الفحالة :
جم الفحل . الحطر : الإبل السكتيرة . الحو : الذى فى القاموس الحو سواد إلى خضرة أو حمرة
إلى سواد . والحو جم أحوى وحواء وهو النبات الضارب إلى سواد لشدة خضرته أو الأحمر
إلى سواد .

(٢) شيم : جم أشيم وشيما وهو الذى به علامة .

وَحَشَاءُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوَائِمٍ عُقْمَ الْبُطُونِ حِوَالِكَ الْأَلْوَانِ
تَأْتِي بِمَا سَبَبَ الْخَبُولُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحِيسَانِ مَرَابِضُ الْغَزْلَانِ^(١)
وهذا حسن في بابه .

ومن ذلك قول بعضهم في حَجَرِ الْمَمَكِ :

وَمُدْرِيعٍ مِنْ صِبْغَةِ اللَّيْلِ بُرْدَهُ يُفَوِّفُ طَوْزًا بِالْغَضَارِ وَيُطْلَسُ
إِذَا سَأَلُوهُ عَنْ قَوِيصَيْنِ أَشْكَلَا أَجَابَ بِمَا أَعْيَا الْوَرَى وَهُوَ آخِرَسُ

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل
زماننا فأجاب عنه ببيتين على وزنه وقافيته وهما :

سَوَالِكُ جَلُودٍ مِنَ الصَّخْرِ أَسْوَدٌ خَفِيفٌ لَطِيفٌ نَاعِمٌ الْجِسْمِ أَطْلَسُ
أُفِيمَ بِسُوقِ الصَّرْفِ حُكْمًا كَأَنَّهُ مِنَ الزَّنْبِجِ قَاضٍ بِالْخُلُوقِ مُطْلَسُ
وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائك بمزارة ابن عمر ، وليس عنده من أسباب
الأدب شيء سوى أنه قد أصاح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير ، وهو
مع ذلك يقول الشعر طبعا ، وكان يجيد في الكثير منه .

ومن الألفاظ ما يرد على حكم المسائل الفقهية ، كالقدي أوردده الحريري في
مقاماته^(٢) . وكنت ستأت عن مسألة منه وهي :

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة (الدبوان ٤/٣٨٩) حشاه : الضمير عائد على
الماء . عادية : راقصة . عقم : جمع عقيم وهو الذي لا يلد . يقول إن سيف الدولة حشا
ماء النهر سفنا تمدو ولا قوائم لها ، وهي عقم لا تلد ، وألوانها سود لأنها مطوية بالقار ،
شبهها بالحيل العادية ، والحيل من عاداتها أن تنتج ، ولها قوائم ، وهذه السفن تحمل النساء
اللاتي سباهن القرسان ، وكانهن غزلان والسفن مرابض لها . (٢) يفوف : يزخرف .
رجعنا (صيغة) بدلا من صنعة .

(٢) اللقمة الثانية واللاتون بها مائة مسألة فقهية ملفزة ، وهناك مقامات غيرها فيها
ألفاظ شتى من النحو وغيره .

ولى خالةٌ وأنا خالها ولى عمّةٌ وأنا عمّها
فأما التي أنا عمّ لها فإن أبى أمّه أمّها
أبوها أخى وأخوها أبى ولى خالة هكذا حُكِمَها
فأين الفقيه الذى عنده فزونُ الدرّاية أو علمُها
يُبينُ لنا نسبها خالصا ويكشفُ لِنَفْسِ ما همّها
فاسنا مجوسا ولا مشركين شريمةً أحدُ أنثىها

وهذه المسألة كُتِبَتْ إلى فتأملتها تأمل غير مُتَجَلِّجٍ فى الفكر ، ولم ألبث
أن انكشف لى ما نحتما من اللفز ، وهو أن الخالة التي الرجل خالها تصور على
هذه الصورة ، وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم إحداهما عائشة واسم الأخرى
فاطمة ، فأولد عائشة بنتا وأولد فاطمة ابنا ، ثم زوج بنته من أبى امرأته فاطمة ،
فجاءت بنت ، فتلك البنت هى خالة ابنه ، وهو خالها ، لأنه أخو أمها .

وأما العمّة التي هر عمها فصورتهان رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوج
أخاه من أمه أم أبيه فجاءت بنت ، فتلك البنت هى عمته ، لأنها أخت أبيه ،
وهو عمها لأنه أخو أبيها .

وأما قوله ولى خالة هكذا حُكِمَها ، فهو أن تكون أمها أخته ، وأختها أمه
كما قل أبوها أخى وأخوها أبى ، وصورتهان أن رجلا له ولد ولولده أخت من
أمه فزوجها من أبى أمه ، فجاءت بنت ، فأختها أمه وأمها أخته .

وأحسن من ذلك كله وألطف وأحل قول بعضهم فى الخللخال :

ومضروبٍ بلا جُرمٍ مليح اللون معشوقٍ
له قدّه اللال على مليح القدِّ معشوقٍ
وأكثر ما يرى أبدأ على الأمشاط فى الشوق

وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الآيات فقال : قد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً ، وظن أنها الأمشاط التي يرَجِّلُ بها الشعر ، وأن السوق سوق البيع والشراء .

واعلم أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو ضرور وألوان ، فمنه الحسنُ الذي أوردت شيئاً منه كما تراه ، ومنه المتوسط الذي هو دونه في الدرجة ، فلا يوصف بحسنٍ ولا قُبْحٍ ، كقول بعضهم :

رأحتُ ركائبهم وفي أكوارها ألفان من عُمِّ الأثْمِيلِ الوَاعِدِ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بأَرْكَبِ حَمَلَتْ حَدائقِ كالأظلامِ الرَّاكِدِ^(١)

وهذا يصف قوماً وفدوا على ملك من الملوك ، فأعطاهم نخلا ، وكتب لهم بها كتاباً ، والأثْمِيلُ الموضع الذي كتب لهم إليه ، والعُمُّ العظام الرءوس من النخيل ، والواعدُ الأقفاء^(٢) من النخيل ، فلما حلوا الكتب في أكوارهم فكأنهم حلوا النخل ، وهذا من متوسط الأناز .

وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلا بمسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القهض الداخل أو القهض الخارج والبياض والحمره وغيرها ، واثن كان معناه دقيقاً يدل على فَرْطِ الدكاءِ فإن لا أعدده من اللغة العربية ، فضلاً عن أن يوصف بصفات الكلام الحمودة ، ولا فرق بينه وبين لغة القرس والروم وغيرها من اللغات في عدم الفهم .

وأما ما ورد من الأناز نثراً فقد أنز الحريري في مقاماته أنازاً ضمنها ذكر

(١) كان البيت الثاني (ما إن رأيت ولا بأرك هكذا) فرجنا تصحيحه ليستقيم للغي ، وأغلب الظن أن كلمة (هكذا) مقعمة لما وجد الناسخ أن في الشطر كلمة ناقصة (ما إن رأيت ولا سمعت) فلما لم يجد كلمة (بأرك) كتب : هكذا .
(٢) جمع قنوب بكسر القاف وضمة الكسابة

الإبرة والمِرْوَدِ وذِكْر الدينار وهي أشهر كما يقال من « قفانك »^(١) فلا حاجة إلى إيرادها في كتابي هذا .

وقد ورد من الألفاظ شيء في كلام العرب المفسور ، عهد أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد في أشعارها .

وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئاً منها ، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئاً ، لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الألفاظ ،

وأما ما ورد لعرب فيروى عن امرئ القيس وزوجته عدة من الألفاظ ، وذلك أنه سألهما قيل أن يتزوجا فقال : ما ائذان وأربعة وثمانية ؟ فقالت : أما الاثنان فتديا المرأة ، وأما الأربعة فأخلاف الناقة ، وأما البانوية فأطبباء الكلبة ، ثم إنه تزوجها وأرسل إليها هدية على يد عبده ، وهي حُلة من عَصَب^(٢) البين ونَحْي من عسل ، ونَحْي من سمن ، فزل العبد ببعض المياه واس الحلة فطلق طرفها بسمة^(٣) فانشق ، وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف^(٤) ، فسأل عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها الهدية ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يُقَرَّبُ بعيداً ويُبعد قريباً ، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخى يَرَقُبُ الشمس ، وأخبره أن سماء كم انشقت ، وأن وطايكم نَضِيباً .

فماد العبد إلى امرئ القيس وأخبره بما قالته له ، فقال : أما أبوها فإنه ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما أمها فإنها ذهبت تقبل امرأة^(٥) ، وأما أخوها فإنه في مَرَحٍ برعاه إلى أن تقرب الشمس ، وأما قولها إن سماء كم انشقت فإن

(١) مشهورة كقصيدة امرئ القيس التي مطلعها « قفانك من ذكرى حبيب ومنزل »

(٢) العصب : ضرب من البرود . النحى : زق السمن .

(٣) السمرة : شجرة شائكة جمعها سمر .

(٤) خلوف : غائبون عن الحى .

(٥) تقبل على وزن تعلم : أى تتلقى الولد عند الولادة .

الحلقة انشقت ، وأما قولها إن وعاءيكم نضيبا فإن النحيين نقصا ، ثم قال للعبد :
اصدقني ، فقال له : إني نزلت ماء من مياه العرب وفعلت كذا وكذا .

فهذا وأمثاله قد ورد عنهم إلا أنه يسير

وكذلك يروى عن شَنَّ بن أنصَى وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا امرأة
تلائمه ، فصاحبه رجل في بعض أسفاره ، فلما أخذ منهما السير قال له شَنَّ :
أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فقال له الرجل : يا جاهل هل يحمل الراكب راكبا ؟ فأمسك
عنه ، وسارا حتى أتيا على زرع ، فقال شَنَّ : أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ؟ فقال له
يا جاهل : أما تراه في سبيله ، فأمسك عنه .

ثم سارا ، فاستقبلتهما جنازة ، فقال شَنَّ أترى صاحبها حيا ؟ فقال له الرجل :
ما رأيتُ أجهل منك ، أترام حلولا إلى القبر حيا ؟

ثم لهما وصلا إلى قرية الرجل فسار به إلى بيته ، وكانت له بنت فأخذ
يُطَرِّفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ ، فقالت ما نطق إلا بالصواب ، ولا استفهم إلا عما يُسْتَفْهَمُ
عن مثله . أما قوله : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ فإنه أراد أن يحدثني أم أحدثك حتى تقطع
الطريق بالحديث .

وأما قوله أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ، فإنه أراد هل استأنف ربُّه ثمته
أم لا ؟ وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فإنه أراد هل خَلَّفَ لَهُ عَقِيبًا يَحْيَا بِذِكْرِهِ
أَمْ لَا ؟ فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شَنَّ وحدثه بتأويلها ، فخطبها فزوجها إياها .
وأدق من هذا كلُّه وألطف ما يحكى عن رجل من المناقذة أصحاب شيرز
وهو أولهم الذي استفذه من أيدي الروم بالمسك والخديعة ، ولذلك قصة طريفة
وليس هذا موضع ذكرها ، وكان قبل ملكه في خدمة محمود بن صالح صاحب
حلب ، وكان إذ ذاك يلقب بسديد الملك ، فنيا به مكانه ، وحدثت له حادثة
أوجبت له أن هرب ومضى إلى مدينة طرابلس^(١) في زمن بني عمار أصحاب

(١) بلد بالشام ، بفتح الطاء وضم الباء واللام . وكانت في الأصل ترابلس .

البلد ، فأرسل إليه ابن صالح واستعطفه ليعود إليه ، فخافه ولم يعد ، فأحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه أئمة مودة أكيدة ، وأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتابا عن نفسه يؤثقه من جهة ابن صالح ليعود ، فما وسمه إلا أن يكتب ، وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره ، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هآك ، نأفكر وهو يكتب في إشارة عمية لا تُفهم ، ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ ، فأداه فسكره أن كتب في آخر الكتاب عند إبهائه « إن شاء الله تعالى » وشدد إن وكسرها ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار في يده وعلم ما فيه قال : هذا كتاب صديقي وما يُشئني ، ولو أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لما كتب إلى ولا غرني ، ثم عزم على العود ، وكان عنده ولده ، فأخذ الكتاب وكرّر نظره فيه ، ثم قال له : يا أبتِ مكانك ، فإن صديقك قد حدّرك وقال لا تعد ، فقال : وكيف اقل : إنه قد كتب « إن شاء الله تعالى » في آخر الكتاب ، وشدد إن وكسرها ، وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدرُ مثله عن سهو ، ومسى ذلك أنه يقول : « إن الملائمة يأمرون بك ليقتلوك »^(١) وإن شككت في ذلك فأرسل إلى حلب .

وهذه من أعجب ما يلقى من حدة الذهن وقطنة الخاطر ، ولو لا أنه صاحب الحادثة الخوفة لما تفتن إلى مثل ذلك أبدا ، لأنه ضرب من علم الغيب ، وإنما الخوف دله على استنباط ما استنبطه

ووجد لبعض الأدباء لُغز في حَمَام ، فمنه ما أجاد فيه كقولهِ : « وقد أظلمنا

تسميات ذات نجوم ، لا استراق لها ولا نجوم ، وهي مَرَكِبَةٌ في ذلك سميت
استدارته ، وسكنت إدارته .

أعجب بها من أنجم عند الصباح ظاهره
لكمها إذا ندا نجم الظلام غارة

فهي على القياس جنة نعيم ، مبنية على لظى جحيم ، لا خلود فيها
ولا مقام ، ولا تزاور بين أهلها ولا سلام ، أنهارها متدافقة ، ومياهها متزفرقة ،
والأكواب بها موضوعة ، والنمارق عنها مزوعة .

يُطبع بها المولى أوامر عبده ويصبح طوعاً في يديه مقاتله
ويرفع عنه التاج عند دخوله وتسلم من قبل الجلوس غلائله

التجمل بها ممدوم ، والخادم فيها مخدوم ، يُنكرها النسب من البرد ،
ويكره حرها إذا جاوز الحد .

هذا اللفظ من فصيح الألفاظ ، ولا يقال إن صاحبه في القسي صانع العكاز ،
وإذا تطرز غيره بلهعة من الوثى فهذا كله طراز .

وما سمعته من الألفاظ الحسان التي تجرى في المحاورات ما يُحسكي عن عمر
ابن هبيرة وشريك النُميري ، وذلك أن عمر بن هبيرة كان ساراً على بردون
له وإلى جانبه شريك النُميري على بئله ، فتقدمه شريك في المسير ، فصاح به عمر :
اغضض من لجامها ، فقال : أصلح الله الأمير إسمها مكتوبة^(١) . فتبسّم عمر ،

(١) كانت في الأصل مكتوبة .

ثم قال: وَيُبْحِكُ ، لم أرَ هذا ، فقال له شريك : ولا أنا أردتُهُ .

وكان عمر أراد قول جرير :

فُضِنَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمْسِيرٍ . فلا كُفْبًا بَلَفْتِ وَلَا كِلَابًا (١)

فأجابه شريك بقول الآخر :

لَا تَأْتِنَنَّ فَرَارِيًّا خَزَاتِ بِهِ هَلِي قَلْوَصِكَ وَاكْتُبْنَهَا بِأَسْيَارِ (٢)

وهذا من الألفاظ اللطيفة ، وتأنف كل من هذين الرجلين ليشبهه
الطف وأحسن .

ومما يجزى هذا البحرى أن رجلا من تميم قال لشريك البهري : ما في
الجوارح أحبُّ إلى من البازي . فقال له شريك : إن كان يصيد القَطَا .

وكان النخعي أراد قول جرير :

أَنَا الْبَازِيُّ الْمُسَطِّلُ عَلَى نُمْسِيرٍ أُنَيْعَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابًا (٣)

وأراد شريك قول الطرماح .

تُمِيمٌ بِطُرُقِ الْأَوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

(١) ديوان جرير ٧٥ من قصيدة في هجاء الراعي .

(٢) البيت لسالم بن دارة في هجاء بني فزارة (الشمر والشمراء ١/٣٦٤) .

القلوص : الناقة الشابة . ا كتبها : قيدها .

(٣) الديوان ٧٢ من هجاء للراعي .

واعلم أن خواطر الناس تتفاضلُ كتفاضل الأشخاص ، ومن هنا قيل : سبحان خالق أبي موسى وعمرو بن العاص^(١)

النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب .

وحقيقة هذا النوع أن يُجملُ مَطْلَعُ الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فتحةً ففتحاً ، وإن كان هناءً فهناءً ، أو كان عزاءً فعزاءً ، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني .

وقائده أن يُعرف من مَبْدَأِ الكلام ما المرادُ به ، ولِمَ هذا النوع ؟

والقاعدة التي يُبْنَى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن ينظر ، فإن كانت مديحاً صريحاً لا يختص بمحادثة من الحوادث فهو مُحْتَبَرٌ بين أن يفتحها بقرنل أو لا يفتحها بقرنل بل يرتجل المديح ارتجالاً من أولها كقول القائل :

(١) يحسن أن نعقب على ابن الأثير في الأماز برأى ابن سنان المفاجي ، وقد سبقه بنحو قرنين من الزمان ، قال المفاجي : « فإن قيل : ما تقولون في السلام الذي وضع لقرأ ، وقصد ذلك فيه ؟ قيل : إن الموضوع على وجه الإفااز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه ، وجعل ذلك فنا من الفنون التي تستخرج بها أدهام الناس ويمتن أذهانهم . فلما كان وضعه على خلاف وضع السلام في الأصل كان القول فيه مخالفاً لقولنا في فصيح الكلام ، حتى صار يحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض ، أو ما جرى مجرى ذلك وقد كان شيخنا أبو العلاء يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً . (سر الفصاحة ٢١٥) .

إن حارت الأهابُ كيف تقولُ في ذا المقام فعذرها مقبولُ
سامحٌ بفضلك مادحيك فما لهمُ أبدأ إلى ما نستحقُّ سبيلُ
إن كان لا يرضيك إلا تحمينُ فالحسنون إذاً لديك قليلُ
فإن هذا الشاعر ارتجَلَ المديحَ من أول القصيدة ، فأتى به كما ترى حسنًا
لاحقًا .

وأما إذا كان القصيدُ في حادثة من الحوادث كفتح مَعْقِلٍ^(١) أو هزيمة
جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بنزل ، وإن فعل ذلك دلُّ
على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية ، أو على جهله بوضع الكلام
في مواضعه .

فإن قيل إنك قلت يجبُ على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك ؟
قلت في الجواب : إن النزل رِقَّةٌ منخفضةٌ ، والألفاظ التي تنظمُ في الحوادث
المشار إليها من فحل الكلام ومعين القول ، وهى صيدُ النزل ، وأيضا فإن
الأسباع تكون متطالمةً إلى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء بالخلوض في
ذكرها لا الابتداء بالنزل ، إذ المهمُّ واجبُ التقديم .

ومن أدب هذا النوع ألا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمديح
ما يُتطيرُ منه ، وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس ، فينبغى أن
يختز من في مواضعه ، كوصف الديار بالدُّور وللنازل بالعماء وغير ذلك من
تشتت الألف ودم الزمان ، لا سيما إذا كان في التهاني ، فإنه يكون أشدُّ قبها ،
وإنما يستعملُ ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ، ومتى كان الكلام
في المديح مفتتحا بشيء من ذلك نظير منه سامحه .

(١) كانت بالأصل مقل .

ولأنما خُصَّتْ الابتداءات بالاختيار ، لأنها أولُ ما يَطْرُقُ السَّمْعُ من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده تَوَفَّرَتِ الدواعي على استماعه .

ويكفيك من هذا البابِ الابتداءاتُ الواردةُ في القرآن الكريم ، كالتحميدات المفتتحة بها أوائلُ السُّور ، وكذلك الابتداءاتُ بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وكقوله تعالى في أول سورة الحجج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين الإصغاء إليه .

وكذلك الابتداءات بالحروف ، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ وَطَسْ وَحَمٌ ﴾ وغير ذلك ، فإن هذا أيضاً يَبْعَثُ الاستماعَ إليه ، لأنه يَقْرَعُ السَّمْعَ شَيْءٌ غَرِيبٌ ليس له بمثله عادة ، فيكون سبباً للتَطَلُّعِ نحوه والإصغاء إليه .

ومن قبيل الابتداءات قولُ ذِي الرُّمَّةِ : « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لَمَّا بَنَسَكِبُ »^(١) ، لأن مقابلة المدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبحه وكرهته .

ولما أُنشِدَ الأَخطلُ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ قصيدته التي أولها « خَفَّ الطَّيْنُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا »^(٢) قال له عند ذلك : لا بل منك ، وتطير

(١) كانت عين عبد الملك دأمة الدمع ، فلما افتتح ذو الرمة قصيدته في مدحه بقوله :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأن من كلِّ مفرية سرب

وهو لا يخاطبه في الحقيقة وإنما يخاطب نفسه على سبيل التجريد ، لم يسترح عبد الملك إلى قبج المواجهة بهذه الصورة ، لأنها توهم أنه هو المراد ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة ، وكرهه وأمر بإخراجه .

(٢) الشطر الثاني : وأزعجتهم نوى في صرفها غير (الديوان ١٠٤)

من قوله فغيرها ذو الرمة وقال : « خَفَّ القَطْبَيْنُ فراحُوا اليومَ أو بكرُوا » .
ومن شاء أن يذكر الديار والأطلال في شعره فليبدأ بأدب القطامي على
جفاء طبعه وبُعدِه عن فطانة الأدب ، فإنه قال : إنا مُحْيِوُكَ فاسنَمَ أيها
الطلل^(١) ، فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة .

وقد قيل إن امرأ القيس كان يجيد الابتداء بكفوله : « ألا انتم
صَبَاخًا أيها الطللُ البالي »^(٢) وكفوله : « قفا نَبِيك من ذِكْرِي حبيب
ومَنزِل »^(٣)

ومما يُكرَهُ من الابتداءات قولُ أبي تمام : « تَجَرَّعُ امسى قد أنقَرَ
الجِرْعُ الفرد »^(٤) . وإنما اتقى أبا تمام في مثل هذا المسكروه تَدْبِئُهُ للتجنيس
بين تَجَرَّعُ والجِرْع ، وهذا دأب الرجل ، فإنه كثيراً ما يقع في ذلك .

وكذلك استُقبِحَ قولُ البحتري : « فؤادُ ملاءِ الحزنُ حتى تصدَّعا »^(٥) .
فإن ابتداء المديح بمثل هذا طيرةٌ ينبو عنها السمع ، وهو أجدر بأن يكون
ابتداء مرثية لا مديح ، وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحتري وهو من
مُفلقِي الشعراء .

-
- (١) الشطر الثاني : وإن بليت وإن طالت بك الطليل (الأغاني ١٦ / ١٨) .
 - (٢) الشطر الثاني : وهل يعمن من كان في العصر الخالي (الديوان ٢٧) .
 - (٣) السطر الثاني : بسقط الأوى بين الدحول فحومل (الديوان ٨) .
 - (٤) تكلمة البيت : ودع حسي عين يجتنب ماها الوجد (الديوان ٨٠ / ٢) .
 - (٥) الجرع : ما سهل من الأرض . الحسى : ماء قليل في الأرض .
 - (٥) ليس المطلع بديوانه .

وحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَعْرِهِ بِالْمِيدَانِ جَلَسَ فِيهِ ، وَجَمِيعَ أَهْلِهِ
وَاصْحَابِهِ ، وَأَمْرَمَ أَنْ يُخْرَجُوا فِي زِينَتِهِمْ ، فَارَأَى النَّاسَ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ فِي الْإِنشَادِ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَأَنشَدَ شِعْرًا حَسَنًا
أَجَادَ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الْبَيْتِ وَهَقَّهَا فَقَالَ :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَيْلَى وَتَحَاكِرِ يَا بَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَتَطَيَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ ، وَتَغَامَزَ النَّاسَ عَلَى إِسْحَاقِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ ذَهَبَ
عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطَوْلِ خِدْمَتِهِ لِلْمَلُوكِ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ
وَانصَرَفُوا ، فَمَا عَادَ مِنْهُمْ اثْنَانِ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَخَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى
مُرٍّ مِّنْ رَأْيِ وَخَرِبَ الْقَعْرُ^(١) .

فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِينَةٍ فَلْيَذْكُرْ كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ ،
حَيْثُ قَالَ :

قَعْرٌ عَلَيْهِ نُجْمَةٌ وَسَلَامٌ خَلَّتْ عَلَيْهِ جَاهِلُهَا الْأَيَّامُ^(٢)

وَمَا أَجْدَرُ هَذَا الْبَيْتَ بِمَفْتُوحِ شِعْرِ إِسْحَاقِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَنشَدَهُ الْمُعْتَصِمُ ،
فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُ لَسَكَانَ حَسَنًا لَاتِقًا .

(١) الصناعتين ٤٣٢ وفي سر النفاحة ١٧٥ أن أبا نواس أنشد الفضل بن يحيى قصيدته التي مطلعها :

أربع البلى إن المشوع لبأدى عليك واني لم أخنك ودأدى

فتطير الفضل من هذا الابتداء . فلما انتهى إلى قوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رأمين وغاد

استحکم تطيره ، فلم يمس إلا أسبوع حتى نكب بنو برمك ، وقتل جعفر بن يحيى .

(٢) الصناعتين ٤٣٣ . وبه (نشرت) .

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال : من أجاد الابتداء والمطلع ،
الآ ترى إلى قصيدة أبي نواس التي أولها :

يا دارُ ما فعلتَ بكِ الأيامِ لم تَبْقِ فيكِ بشاشةٌ تُستام^(١)

فإنها من أشرف شعره وأعلاه منزلةً ، وهي مع ذلك مُستكرهةُ الابتداء ،
لأنها في مدح الخليفة الأمين ، وافتتاحُ المديحِ مذكر الديار ودُورها مما يُقطِّرُ
منه ، لا سيما في مشافة الخلفاء والملوك ، ولهذا يختار في ذكر الأماكن والمنازل
ما رُقَّ لفظه وحسَّنَ النطقُ به كالغُذيبِ والنوَيْرِ ورامة وبارق والعَتِيقِ وأشياء
ذلك^(٢) ، ويختار أيضاً أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأميمة وفوز وما جرى
هذا المجرى .

وقد عيب على الأخطل في تغزله بقُدور وهو اسم امرأة ، فإنه مستقبح في
الذكر ، وقد عيب على غيره الغزل باسم تماخر ، فإنه وإن لم يكن مستقبحاً في
معناه فإنه ثقيل على اللسان ، كما قال البحري :

إن للبين مئة لا تُؤدِّي ويبدأ في تماخِرٍ بيضاء^(٣)

فغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل ، ويثقل من خفته ، وأمثال هذه
الأشياء يجب مراعاتها والتحرز منها .

وقد استثنى من ذلك ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الوقائع ، فإن

(١) الديوان ٤٠٧ .

(٢) أسماء أماكن ومياه يكثر ورودها في الشعر وبخاصة في الغزل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١) .

ذكره لا يكره ، وإن كان في اسمه كراهة ، كما ذكر أبو تمام في شعره مواضع
مكروهة الأسماء لضرورة ذكرِ الوقائع التي كانت بها ، كذكر الحشال وعقوقس
وأمثالهما ، وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هنزيط وشميصاط وما جرى مجراهما ،
وهذا لا عيب في ذكره ، لسكان الضرورة التي تدعو إليه .

وهكذا يسأخُ الشاعر والكاتب أيضاً في ذكر ما لا بد من ذكره وإن
قبح ، ومهما أمكنه من التورية في هذا المقام فليسلكها ، وما لا يمكنه فإنه
معذور فيه .

واعلم أنه ليس من شرط الابتداء ألا يكون مما يتطيرُ منه فقط ،
فإن من الابتداءات ما يستقبح وإن لم يتطير منه ، كقول أبي تمام : « قَدَكْ
أَتَيْبُ أَرَبَيْتَ فِي الْفُلُوءِ » (١) . وكقوله : « تَتَقِي جَمَّاتِي لَسْتُ طُوعَ
مُؤَنِّي » (٢) . وكقول أبي الطيب المتنبي : « أَقْلُ نَعَالِي بَلَهْ أ كَثْرَهْ مَجْدِ » (٣)

(١) قَدَكْ أَتَيْبُ أَرَبَيْتَ فِي الْفُلُوءِ كم تعذلون وأنتم سجراني
مطلع قصيدته في مدح محمد بن حسان الضبي (الديوان ١/٢٢) . قدك : حسبك .
أتب : استعنى . سجراني : أصدقائي .

(٢) تَقِي جَمَّاتِي لَسْتُ طُوعَ مُؤَنِّي وليس جنبي إن عدك بمصهي
مطلع قصيدته في مدح عياش بن لهيعة الحضرمي (الديوان ١/١٥٣) .
تق : أمر للواحد من تق الخفف . جمّاتي : المراد نوراني وعصيانِي . الجنيب :
المجنوب ، والمراد به هواه ونفسه . يقول لماذله إن عدك لا يجدي نفماً ، لأن لا أطيع
المؤنب ، وليس قلبي منقاد إلى إذا لامني أحد .

(٣) أَقْلُ نَعَالِي بَلَهْ أ كَثْرَهْ مَجْدِ وذا الجد فيه نلت أم لم أقل جد
مطلع قصيدته في مدح محمد بن سيار بن سكرم التيمي (الديوان ٢/١٠٧) .
الفعال : الفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . بله : اسم فعل بمعنى دع . الجد بكسر
الهمزة : الاجتماع ، وبتنحها الحظ . يقول : أقل فلي مجد ، دع أ كثره ، فكل أنعالي قليها
وكثيرها في سبيل المجد ، وهذا المعنى الدائب في سبيل المجد يعد حظاً لي سواء نلت مطلوبي
أم لم أنله .

وكفوله : « كُنِّي أَرَانِي وَبِكَ لَوْمَتِكَ أَلْوَمَا » (١) .

والعجب أن هذين الشاعرين المفلقين ببعدئان بمثل ذلك ، ولهما من الابتداءات الحسنة ما أذكره .

أما أبو تمام فإنه افتتح قصيدته التي مدح بها المعتصم عند نتيجه مدينة عمورية فقال :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من السكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ والأعيبِ
بيضُ الصفائحِ لاسودَّ الصفائحُ في متونهنَّ جِلاهُ الشكِّ والرَّيبِ

هذه الأبيات لما قصه ، وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تُفتح في ذلك الوقت ، وأفاضوا هذا حتى شاع وصار أحدوثه بين الناس ، فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى ، وجعل السيفَ أصدقَ من السكتبِ التي خَبِرَتْ بامتناع البلد واعتصامها ، ولذلك قال فيها :

والعلمُ في شُبوبِ الأرماعِ لامعةٌ بينَ الخميسينِ لافي السبعةِ الشُّبِ
أين الروايةُ أم أين النجومِ وما صاغوه من زُخرفِ فيها ومن كَذِبِ
تخرُّصاً وأحاديثاً ملفِّفةً . ليستَ بلمعِ إذا عدتْ ولا غَرَبِ (٢)

وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب .

(١) كني أرائي وبك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجبا

مطلع قصيدته في مدح لإنسان مجهول (الديوان ١٨٤/٤) .

كني : دعي . أرائي : يريد عرفني وأهلقي . وبك : كلمة تعجب وإنكار . هم فاعل أرائي . أنجم : أطلع . يقول لهاذلة : اترك عدل ، فقد أرائي الهم المقيم على فؤادى القادم مع الميبب أن لومك إياي أحق بأن يلام مني .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ٤٥/١) .

الصفائح : السيوف . النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي . الغرب : شجر ضيف لاقوة له .

وكذلك قوله في قصيدة يمدحه بها أيضا، ويذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظفره به ، وهي من أمهات شعره قال :

الحق أبلجُ والسيوف عوارٍ فحذارٍ من أسدِ العرينِ حذارٍ^(١)
وكذلك قوله متغزلا :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما وأن تُعتبَ الأيامُ فيهم فرُبما^(٢)
وهذا من الأهزال الحلوة الرائقة ، وهو من محاسن أبي تمام المعروفة .

وكذلك قوله في أول مرثية :

أصمَّ بك الناعي وإن كان أنتما وأصبح معنى الجود بعدك بلنعا^(٣)

وأما أبو الطيب فإنه أكثر من الابتداءات الحسنة في شعره ، كقوله في قصيدة يمدح بها كافورا ، وكان قد جرت بينه وبين سيده نزعةٌ ، فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال :

حَسَمَ الصَّلْحُ ما اشتمَّتْهُ الأَعادي وأذاعته ألسُنُ الحَسادِ^(٤)
وهذا من بديع الابتداء ونادره

(١) في مدح المعتصم (الديوان ٢/١٩٨) .

(٢) في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٣/٢٣٢) تمتب : من أعتب إذا أعطاه العتي أو طلبها إليه . فربما : فربما دنا البعيد .

(٣) الديوان ٣٧٤ طبعة محمد جمال والمطلع بالموازنة ٩٤ وبمعجم البلدان ٨/٨٨٨ في رثاء أبي نصر محمد بن حيد الطائي .

(٤) كان قوم من الفلجان اتصلوا بابن الإخشيد سيد كافور ، وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافور ، فطالبه بتسليمهم إليه ، فسلمهم بعد أن امتنع مدة سببت وحشة ، ولما تسلمهم كافور ألفاهم في النيل واصطلحا (الديوان ٢/١٥٦) .

وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان ابن الشُّشُتِيق حلف لياقِينَه
كِفاحاً ، فلما التقيا لم يطق ذلك وولى هاربا ، فافتتح أبو الطيب قصيدته بَفَحْوَى
الأمر فقال :

عُقْبِي الْيَمِينَ عَلَى عُقْبِي الرَّغْبَى نَدَمٌ ماذا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ
وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَعَائِدُهُ مادلُ أَنْكَ فِي الْمَيْعَادِ مُتَّهِمٌ (١)

وكذلك قوله وقد طارق سيف الدولة إلى مصر ، فجمع بين ذكر فراقه إياه
ولقائه كافوراً في أول بيت من القصيدة فقال :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذَمٍّ وَأَمْ وَمَنْ يَمَّتُّ خَيْرٌ مِمِّمْ (٢)

ومن البديع النادر في هذا الباب قوله متغزلاً في مطلع قصيدته الغافية وهي :

أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الْعَشَاقِ تَحَسَّبُ الدَّمْعَ خَلْقَةً فِي الْمَأَقِ (٣)؟

وله مواضع آخر كثيرة لا حاجة إلى ذكرها .

ومن محاسن الابتداءات التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته
في كتاب الروضة لأبي العباس المبرِّد ، فإنه ذكر غزوة غزاها الرشيد هارون
رحمه الله في بلاد الروم ، وأن يقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية ، فلما عاد عنه

(١) (الديوان ١٦٧/٤) يقول : من حلف أن عاقبة الحرب له كانت عاقبة الندم ،
لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . بشر إلى أن
الطريق المسمى ابن شمشيق أقسم عند ملك الروم أنه لا بد أن يظفر بسيف الدولة ، وسأله
أن ينجده ببطارقته وبالمدد والمدد ، ففعل ، فغاب ظنه واتهمز .

(٢) (الديوان ٣٣٣/٤)

(٣) مطلع قصيدته في مدح أبي العاشر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان
(الديوان ١٢١/٣) يريد أنها لكثرة عشاقها الباكين تنوم أن الدم خلقة في العيون
فلا ترحم من يبكي .

واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض تقفور العهد ، فلم يجسر أحدٌ على إعلام
الرشيد ، لمكان هيئته في صدور الناس ، وبذل يحيى بن خالد لشراء الأموال
على أن يقولوا أشعاراً في إعلامه ، فكلمهم أشفق من لقائه بمنثل ذلك ، إلا شاعراً
من أهل جدة يكنى أبا محمد ، وكان شاعراً مقلِّعاً ، فنظم قصيدة وأنشدها الرشيد ،
أولها :

تَمَّضَ الذي أعطيته تقفُورُ فليهِ دائرة البوارِ تدور
أبشُرُ أميرَ المؤمنين فإيه فتح أمك به الإله كبير
تقفور إنك حين تغدِرُ أن نأى عنك الإمام لجاهلٍ مغرور
أظننت حين غدرتَ أنك مُفليتَ هيلتكَ أمك ، ماظننت غرور

فلما أنهى الأبيات قال الرشيد : أو قد فعل ؟ ثم غزاه في بقية الثلج وفتح
مدينة هرقله .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ما رواه من شعر سُديف
في تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بني أمية فقال : قدم سُديف من مكة
إلى الحيرة والسفاح بها ، ووافق قدومه جلوس السفاح للناس ، وكان بنو أمية
يجلسون على الكرامى تكريماً لهم ، فلما دخل عليه سُديف حمر لثامه ، وأنشده
أبياتاً من الشعر ، فالتفت رجلٌ من أولاد سليمان بن عبد الملك ، وقال لآخر
إلى جانبه : قتلنا والله العبدُ . فلما أنهى الأبيات أمر بهم السفاح فأخرجوا
من بين يديه ، وقتلوا عن آخرهم ، وكتب إلى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل
من وجدوه معهم .

ومن الأبيات :

أصبح الدين ثابتاً في الأساس باليهليل من بني القباس
أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد إباس
لا تُقبلن عبدة شمس عذاراً واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كخ الواسي
أقصمهم أيها الخليفة وأخيم عنك بالسيف شاة الأرجاس
واذكرن مضرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس
ولقد ساءتني وساء سوائي قربهم من منابر وكراسي^(١)
وهذه الأبيات من فاخر الشعر وفادره افتتاحاً وابتداءً وتمريضاً وتأليفاً ،
ولو وصفتها بما شاء الله وشاء الإسماعيل والإطنا ب لما بلغت مقدار ما لها من الحسن .

ومن لطيف الابتداءات ما ذكره منيار ، وهو :

أما وهوها عذرة وتفضلاً لقد نقل الواشي إليها فأتحلاً
سسى جبهته لكن تجاوز حده وأكثر فارتابت ولو شاء قللاً^(٢)

(١) الأبيات من قصيدة بالأغاني ٩٢/٤ مع تفسير لطيف . زيد : المراد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين . وكان قد خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك ، وقتل وصلب سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ . القتييل الذي بجانب المهراس (وكانت بالأصل الهرماس) المراد حمزة بن عبد المطلب ، قتله وحشى غلام جبير بن مطعم يوم أحد ، والمهراس ماء بأحد ، وقد نسب الشاعر قتل حمزة إلى بني أمية لأن قائد الناس يوم أحد كان أبا سفيان بن حرب ، ولأن وحشى قتله بتحريض هند أم معاوية ، وقالوا إنها لاكت قطعة من كبد حمزة . رقله : نخله . طالت وفانت اليد . والمراد اقض على كبيرهم وعلى صغيرهم .

(٢) الديوان ١٩٤/٣ عذرة : معذرة . أحمل : بالغ في مكروه وكيد .
كان قد وشى به بعض حماده في أمر يتصل بالملك شاهنشاه جلال الدولة أبي طاهر بن بويه ، ثم تبينت براءته وأنعم للملك عليه ، فأنشأ قصيدة يمدحه بها ويعرض بالواشي .

فإنه أبرز الاعتذار في هيئة النزول ، وأخرجه في معرض النسب ، وكان قد وُثِيَ به إلى المدوح ، فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن .
وما جاء على نحو ذلك قول بعض المتأخرين من العراقيين :

وراءك أقوال الوُشاةِ الفواجِرِ ودونك أحوال القرامِ المُخامرِ
ولولا ولوغُ منك بالصدِّ ما سَعَوْا ولولا الهوى لم أُنتدب للمعذرِ

فسلك في هذا القول مسلك مهبّار ، إلا أنه زاد عليه زيادة حسنة ، وهي المعاتبة على الإصغاء إلى أقوال الوشاة والاستماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى .

ومن الحذاقة في هذا الباب أن تُجملَ التحميداتُ في أوائل الكتب السلطانية مناسبةً لمآني تلك الكتب ، وإنما خصّصتُ الكتب السلطانية دون غيرها لأن التهاميد لا تصدر في غيرها ، فإنها تكون قد تضمنت أموراً لا تُقضى بالتهاميد ، كفتح مقل^(١) أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا المجرى .

ووجدت أبا إسحاق الصابى على تقدمه في فن الكتابة قد أدخل هذا الركن الذى هو من أركان الكتابة ، فإذا أتى بالتهاميد في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبةً لمعنى ذلك الكتاب ، وإنما تكون في وادٍ والكتاب في وادٍ ، إلا ما قلُّ من كتبه . فمما خالف فيه معناه أنه كتب كتاباً يتضمن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها ، وكان ذلك فتحاً عظيماً ، فابتدأ بالتهاميد فقال : « الحمد للهوب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلى المجيد

(١) كانت بالأصل مقل .

الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُنعتُ إلا برفع النعوت ، الأزلى
بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا مُنْذُ أمدٍ محدود ، الدائم لا إلى
أجلٍ معدود ، الفاعل لا من مادة استمدها ، ولا بآلة استعملها ، الذى لا تدركه
العين بلحاظها ، ولا تمثله الألسن بألفاظها ، ولا تُخلقه العصور بمرورها ،
ولا تُهزِمُهُ الدهور بكَرُورها ، ولا تصارعه الأجسام بأقطارها ، ولا تجانسه
الصُّور بأعراضها ، ولا تجاربه أقدام النظر أو الأشكال ، ولا تزاحمه مناقب
الفرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذى لا كُفء له ، والقدُّ الذى لا توأم
معه ، والحى الذى لا تخزيمه التنون ، والفيوم الذى لا تشغله الشنون ،
والقدر الذى لا تؤدّه المضلات ، والخبير الذى لا تغيبه المشكلات .

وهذه التعميدة لا تناسب الكتاب الذى افتتح بها ، ولكنها تصلح أن
توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ، ككتاب الشامل للجوينى
أو كتاب الاقتصار أو ما جرى مجراها ، وأما أن توضع فى صدر كتاب
فتتح فلا .

وهو وإن أساء فى هذا الموضع فقد أحسن فى مواضع أخرى ، وذلك أنه
كتب كتاباً عن الخليفة الطائف - رحمه الله تعالى - إلى الأطراف ، عند عودته إلى
كرسى ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيع - رحمه الله تعالى - من فادحة الأثر
فقال : « الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته ، وواصل الحبلى بعد بقاته ، وجابر
الوَهْن إذا انشلم^(١) ، وكاشف الخطب إذا أظلم ، والقاضى للسلمين بما يصمُّ
نَشْرَم ، ويَشُدُّ أزرَم ، ويصلح ذاتَ بينهم ، ويحفظ الأئمة عليهم ، وإن

(١) كانت بالأصل (نلم) .

شابت ذلك في الأحيان شوائب من الخدثان ، فلن تتجاوز بهم الحد الذي يُوَقِّظُ غَافِلَهُمْ ، وَيُذَبِّهُ ذَاهِلَهُمْ ، ثم إنهم عائدون إلى فضل ما أولاهم الله وعودهم ، وَوَقَّتْ لَهُمْ وَوَعَدَهُمْ ، من إيمان ميرزبهم وإعذاب ميرزبهم ، ولأعزاز جانبهم ، وَإِذْلالُ مُجَانِبِهِمْ ، وإظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون .

وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب ، وإن كانت المعاني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب ، وقدمت القول فيه في باب السجع ، فليؤخذ من هناك .

ومن المبادئ التي قد أُخْلِقَتْ وصارت مزدرة أن يقال في أوائل التقليدات إن أحقَّ الخِدمِ بأن تُرعى خدمة كذا وكذا ، وإن أحق من قُلْدِ الأعمال من اجتمع فيه كذا وكذا ، فإن هذا ليس من المبادئ المستحسنة ، ومن استعمله أولاً فقد ضَعَفَ فكرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ ، والذي تبعه في ذلك إما مُقَلِّدٌ ليس عنده قدرةٌ على أن يختار لنفسه ، وإما جاهلٌ لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردى .

وأهل زماننا هذا من الكتاب قد قَصَرُوا مبادئ تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها ، وإن أنوا بتحميدة من التعاميد كانت مبانة لمعنى التقليد الذي وُضِعَتْ في صدره .

وكذلك قد كان الكتاب يستعملون في التقليدات مبدأ واحد لا يتجاوزونه إلى غيره ، وهو « هذا ما عهد فلان إلى فلان » والتحميد خير ما افتتح به التقليداتُ وُكْتُبُ الفتوح وما جرى مجراها ، وقد أنكرت ذلك على استعماله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية والي فقلت : « كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس

بذى شان ، ولا يوضع في ميزان ، ولا يُجسَنى من أفنان ، وغاية ما يقال هذا ما عهدَ فلان إلى فلان ، وتلك فاتحة لم تكن جديدةً فتخلق^(١) بتطاول الأيام ، ولا حسنةَ النظم فيضاهي بمثلها من ذوات النظم ، وهذا التقليد مفتتح بحمد الله الذى تكفل لحامده بالزيادة ، وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله بالإعادة ، وهو الذى بلغ بنا من مآرب الدنيا منتهى الإرادة ، وسلم إلينا مقادها فذلل لنا بها كل مقادة ، ووسد الأمر منا إلى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة ، ونرحو أن يجمع لنا بين سعادة الأولى والأخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك السعادة . ثم نصلى على نبيه محمد الذى ميزه الله على الأنبياء بشرف السيادة ، وجعل انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الإيوان من آيات الولادة ، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا في الإشادة ، وبسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة . أما بعد كذا وكذا ، ثم أهيت التقليد إلى آخره .

ومن الحذاقة في هذا الباب أن يجعل الدعاء في أول الكتاب من السلطانيات والإخوانيات وغيرها متضمناً من المعنى ما بنى عليه ذلك الكتاب ، وهذا شيء انقردت بابتداعه ، وتراه كثير فيما أنشأته من المكتاتبات ، فإنى توخيته فيها وقصدته . فمن ذلك ما كتبه في الهناء بفتح وهو « هذا الكتاب مُشافة بخدمة الهناء للمجلس السامى الفلانى جدد الله له في كل يوم فتحا ، وبدل عرش كل ذى سلطان لديه صرحا ، وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضحى ، وكتب له على لسان الإسلام ولسان الأيام ثناء خالدا ومدحا ،

(١) تخالق : تبنى .

وأسكنه بعد العمر الطويل داراً لا يظماً فيها ولا يَضْحَى ، ثم أخذت بعد ذلك في إنشاء الكتاب المتضمن معاني ما يقتضيه ذلك الفتح .

ومن ذلك ما ذكرته في الهناء بمولود وهو « جَدَدَ اللهُ مَسْرَاتِ الْمَجْلِسِ السَّامِي الْفَلَانِي وَوَصَلَ صَبُوحَ هِنَائِهِ بِنُبُوقِهِ ، وَأَمْتَمَهُ بِسَلِيلِهِ الْمُبَشِّرِ بِطُرُوقِهِ ، وَأَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَضِيَهُ بِنُورِهِ ، وَبَرَزَنِي عَنْ فَوْقِهِ ، وَسَرَّ بِهِ أَبْكَارَ الْمَعَانِي حَتَّى تَخْلُقَ أَعْظَافَهَا بِخُلُوقِهِ ، وَجَمَلَهُ كَزَرْعٍ أُخْرِجَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَمَاطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ » ثم أخذت في إتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى .

فتأمل ما أوردته ها هنا من هذين اللتالين ، وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعاني التي تبي عليها كتبك ، فإن ذلك من دقائق هذه الصناعة .

وأما فوائح الكتب التي أنشأها فمنها ما اخترعته اختراعاً ولم أسبق إليه ، وهي عدة كثيرة ، وقد أوردت ها هنا بعضها .

ومن ذلك مفتتح كتاب إلى ديوان الخلافة وهو «نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز النبوي ، جعل الله الخلود لدوائه أوطاناً ، والحدود لها أركاناً ، ونصب أياها في أيام الدهر أعياناً ، وصورها في وجهه عيناً وفي عينه إنساناً ، ومد ظالها على الناس عدلاً وإحساناً ، وجمع الأمم على دين طاعتها وإن تفرقوا أدياناً ، وآتاها من معجزات سلطانه ما لم يترك به لغيرها ساطاناً ، فارتاح الخادم لالتقامها ، وبسط يده لاستسقامها ، وقال رحمة مرسلة لا تخشى رعوذها ، ولا تخلف وعودها ، ومن شأنها ترويض الصنائع التي تبقى آثارها ، لا الخائل التي تذوي أزهارها ، وقد يعبر عن الكتاب ونائله بالسحاب ووابله ، فإن صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع الصواب ، وصدق حينئذ قول القائل : إن البحر عنصر السحاب ،

لكن فرّق بين ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه ، وبين ما يسم الأَرْضَ الساجدة ،
وبين ما يُسمى الأقدار الخالصة ، وما زالت كتب الديوان العزيز تُضربُ لها
الأمثال ، وتُضَرَفُ شُحُوحُها الآمال ، ويُرى الحسد فيها حسناً وإن عد في غيرها
من سيء الأعمال ، وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتاح كتاب كتيبه إلى بعض الإخوان ، وأرسلته
إليه من اللوصل إلى أرض الشمال من بلاد الروم ، وهو « طلع كوكب من أفق
المجلس السامى لا خلت سيادته من عدو وحاسد ، ولا شينت بتوأم يُخرجها من
حكم الواحد ، ولا عدمت صُحبة الجدود المتيقظة في الزمن الرائد ، ولا أوحشت
الدنيا من ذكره الخالد ، الذى هو عمر خالد ، ولا زال مرفوعاً إلى المحل الذى
يُتلم به أن الدهر للناس ناقد ، والسكواكب مختلف مطالعها في الشمال والجنوب ،
فمنها ما يطلع دائماً في أحدها وهو في الآخر دائم الغروب ، وكتاب المجلس
كوكب لم ير بهذه الأرض مطلقاً ، وإن عُلم من السماء أين موضعه ، ولا ظهر
الآن للخادم سبّح له حامداً ، وخر له ساجداً ، وقال قد عبّدت السكواكب من
قبل فلا عجب أن أكون لهذا الكوب طابداً ، وها أنا قد أصبحت بالمكوف
على عبادته مُغرّى ، وقال الناس هذا ابن أبى كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة
الشمرى » وهذا مطلع غريب ، والسياقة التالية لطالعه أغرب .

ومن أغرب ما فيها قولى « وها أنا قد أصبحت بالمكوف على عبادته مغرى ،
وقال الناس هذا ابن أبى كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشمرى » والمراد
بذلك أن أبا كبشة كان رجلاً في الجاهلية يعبد الشمرى ، فخالف بذلك دين
قومه ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش هذا قد خالف ديننا ، وسموه
(م - ٨ - المثل السائر)

ابن أوى كبشة ، أوى أنه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه فى عبادة الشمرى ، فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء كما تراه مبتدعاً غربياً .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبه إلى بعض الإخوان وهو « طلعت من الغرب شمسٌ فقيل قد آذنت أشراطُ الساعة بالافتراق ، ولم يُسلم أن تلك الأنوار إنما هى أنوارُ الكتاب ، لم تألف الأبصارُ من قبله أن تطعمَ لشمسٍ من المغرب ، وليس ذلك إلا كتاب المجلس لا سلبه الله مزية هذا الوصف الكريم ، وآتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذى علم عليم ، وأخى النفوس من كلمها برُوح كليمه كما شفى عليها من أفلامه بسُقيا الكليم ، ولما ورد عن الخادم صار ليله نهاراً ، وأصبح الناس فى الحديث به أطواراً ، والنصف منهم يقول قد جرت الشمس إلى مستقرها ، والشمس لا تجد قراراً » وهذا الكتاب فى الحسن والفرابة كالذى قبله .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبه إلى الإخوان وهو « تأوب زوزٌ من جانب المجلس السامى أدنى الله داره ، وجعل كلماته التامة جاره ، وأنهدأ أفعالَ التقوى ليله وأفعالَ المسكارم نهاره ، ووهبه من أعمار العمر طواله ، ومن أعمار العيش قصاره ، ولا أقدَر السابقين إلى العالى أن يجزوا معه ، ولا أن يشقوا غباره ، وليس ذلك الزوزُ إلا سطوراً فى قرطاس ، ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله فى ملاطفة الإيفاس ، والله لا يصنعُ تمشى هذا الزائر ويُقره عيني برؤيته حتى لا أزال به قرير الناظر ، ومع هذا فانى عاتب لتأخره ، وها هنا مظنة العتاب ، ومن تأخر عنه كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتياب ، والظنين بالمودة لا يرى إلا ظنينا ، وقد قيل إنها وديعةٌ وقليل ما يحج على الودائع أميناً » وهذا فصل من الكتاب .

وَمِنْ جَمَلَةِ الْكُتُبِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا مَفْتَحُ كِتَابِ كَتَبْتَهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ
« سَمِعْتُ رَوْضَةَ مِنْ جَانِبِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ جَعَلَ اللَّهُ الْعَالِي لَهُ رِذَاءً ، وَنَهَائِيَاتِ
الْمَسَامِيِّ لَهُ ابْتِدَاءً ، وَفِدَاءَهُ بَيْنَ يُقَعَّرُ عَنْ دَرَجَتِهِ حَتَّى تَكُونَ الْأَكْرَامُ لَهُ فِدَاءً ،
وَهَدَى الْحَامِدَ لِأَفْعَالِهِ وَأَهْدَى الْبِقَاءَ لِأَيَّامِهِ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ لَهُ الْأَمْرَانِ لَهُ هُدًى
وَإِعْدَاءً ، وَآتَاءً مِنَ السِّيَادَةِ مَا يَجْمَلُ أَعْدَاءَهُ أَصَادِقُ ، وَمِنْ السَّعَادَةِ مَا يَجْمَلُ
أَصْدِقَاءَهُ أَعْدَاءَهُ ، فَاسْتَشَقَّ الْخِدَامَ رِيَّاهَا^(١) ، وَتَلَفَّيَ بِالتَّحِيَّةِ مُحَيَّاهَا ، وَاسْتَمْتَعَ
بِأَزْهَارِهَا الَّتِي أَنْبَتَهَا سُقْيَا الْأَقْلَامِ ، لَا سَمْتِي الْعَمَامِ ، وَقَالَ هَذَا رَيْبِ الْأُرُوحِ
لَا رَيْبِ الْأَجْسَامِ ، وَلَوْ رَامَ الْإِحَاطَةَ بِوَصْفِهَا لَسَكَاتِ الْأَقْوَالِ الْمَطْوُولَةُ فِيهَا
مُخْتَمِرَةٌ ، وَسَكَنَتْهُ إِكْتَفَى بِأَنْ رَفَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ أَنْ الْجَنَّةُ فِي شَجَرَةٍ ،
وَمِنْ أَوْصَافِهَا أَنَّهُمَا جَاءَتْ رَائِدَةٌ ، وَمِنْ شَأْنِ الرُّوضِ أَنْ يُرْتَادَ ، وَحَلَّتْ مُحَاسِنُهَا
الَّتِي هِيَ فِي غَيْرِهَا مِنْ حِظِّ الْبَصْرِ ، وَفِيهَا مِنْ حِظِّ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْفَوَادِ ، وَلَمَّا
سَرِحَ فِيهَا نَظْرُهُ وَجَدَ شَوْقَهُ حَامَةً تُفَرِّدُ فِي أَكْنَافِهَا ، وَتَرُدُّ الشَّجَا لِبُعْدِ أَلْفِهَا ،
إِذَا رَدَدْتَهُ الْجَاهُ لِقَرَبِ الْأَفْهَى ، وَهَذَا قَوْلُ عِنْدَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ عِلَامَةٌ ، وَإِذَا تَمَثَّلَ
كِتَابُ الْحَبِيبِ رَوْضَةٌ فَهَلْ يَتِمَّتْ شَوْقُ مَحَبَّةِ الْإِحْمَامَةِ ؟ أَوْ فَرَقَ بَيْنَ هَذِهِ وَبَيْنَ
أَخْوَاتِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَطْوَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ تَمَلَّى شَجْوَهَا عَلَى صَفْحَاتِ الْقُلُوبِ وَتَلَّكَ
تَمَلِيَةً عَلَى عَذَابَاتِ الْأُورَاقِ .

وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب ، وفيه معنيان مبتدعان ،
وأعجبهما وأغربهما أقول « حتى يتمثل أن الجنة في شجرة » وهذا مستخرج من
الحديث النبوي .

وَمِنْ جَمَلَةِ الْكُتُبِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا مَفْتَحُ كِتَابِ كَتَبْتَهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ
« تَضَوَّعَتْ نَفْسُهُ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ وَسَقَاهُ ، صَانَ وَدَمَهُ

(١) كانت بالأصل (رياهما).

وَوَقَاهُ ، وَبَسْرَى إِقَاءَ الْمَصَا بِمُنْقَاهُ ، فَتَطَرَّتِ الطَّرِيقَ الَّتِي سَابَرْتُهَا ، وَالرَّيْحَ الَّتِي
جَاوَرْتُهَا ، فَأَفْرَشْتُهَا خَدْنِي ، وَضَمَمْتُ عَلَيْهَا وُدِّي ، وَجَعَلْتُهَا رُذْنًا^(١) لِحَبِيبِي
وَلَعِطِيمَةً لِرُذْنِي ، وَسِيخَابًا^(٢) لِمَعْقَدِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفْثَةِ طَيْبٍ ، وَلَكِنَّهَا
كِتَابٌ حَبِيبٌ ، فَإِنْ مَنَاشِقُ الْأَرْوَاحِ غَيْرُ مَنَاشِقِ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَسْتَوِي عَرَفُ
الطَّيْبِ وَعَرَفُ الْأَقْلَامِ ، ثُمَّ مَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْكِتَابِ بَعْدَ أَنْ صَالَحْتُ يَدَ مُوَصَّلِهِ .
كَأَنَّ صَالِحَتِ عَيْقَبَ مَبْدَلَهُ^(٣) ، وَقَالَتْ أَمَلًا بِنِ أَدْنَى مِنَ الْحَبِيبِ مَزَارًا ، وَأَهْدَى
أَسْبَى قُرَّةً وَلَقَابِي قَرَارًا .

وهذا في الغرابة كأخواته التي تقدمت ، ولم أستقص ما اخترعته من هذا
الباب في مطالع الكتب .

وأما ما أتيتُ فيه بالحسن من المعاني ولكنه غير مخفوع ، فن ذلك مطلع
كتاب كتبه عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل إلى الملك
الأفضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة ، أما التعزية فيوفاة أخيه الملك العزيز
عنان صاحب مصر ، وأما التهنئة فيبوراة الملك من بعده وهو « لا يعلم القلم أينطق
بلسان التعزية أم بلدان التهنئة ، لكنه جمعها جميعا فأتى بهما على حُكْمِ التثنية ،
وفي مثل هذا الخطاب يظل القلم حائرا ، وقد وقف موقف الخط والرضا فسخط
أولا ثم رضى آخرا ، وهذا البيت الفاصري يتداول درجات الملافا تَمْضَى إِلَّا وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُ ، وَشَمْسُهُ وَأَقْمَارُهُ تَتَنَاقَلُ مَطَالِعَ السُّعُودِ فَيَغِيبُ مِنْهَا غَائِبٌ إِلَّا وَآخِرُ يَطْلُعُ ،
وَالنَّاسُ إِنْ فُجِّمُوا بِمَاجِدٍ ، رَدَّافُهُ مِنْ بَعْدِهِ مَاجِدٌ ، وَإِنْ قِيلَ إِنْ الْمَاضِي كَانَ وَاحِدًا

(١) كانت في الأصل ردعاً

(٢) الدخاب على وزن كتاب فلادة من مسك (نوع من الطيب) وفرنفل وعسل

بلا جوهر .

(٣) العبق : مصدر عبق الطيب إذا فاحت رائحته ، وكانت في الأصل (عبق)

المنديل : على وزن مقعد المود أو أجوده كالمنديل .

تقبل بل الآتي هو الواحد ، وهذا فصل من أول الكتاب .
ثم كتبت في هذا المعنى كتابين آخرين وفي القدي أوردته من هذا الفصل مفتح .

ومن هذا الأسلوب ما كتبتته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه ، وكانت
الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا وهو (لقاء كُتِبَ الأحباب كلقاء الأحباب ،
وقد تأتي بعد يأس منها فيشتبه دمع السرور بدمع الاكثاب ، ومن أحسنها كتاب
المجلس السامي الفلاني جعل الله الآيالي له صححبا ، والمعاني له عجبيا ، ورفع مجده
حقوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ، ولا زال اسمه في الأنواء
عذا ، وذكره في الألسنة رطبيا ، ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا ،
ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق ، وإنما ذكرت ها هنا مبدأه لأنه
الغرض المقصود في هذه الموضع .

ومن ذلك ما كتبتته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه وهو « البُشْرَى
تمطى للكتاب كما تُعطى لرسوله ، وكل منهما يُوفى حقَّ قدره وينزل في منزله ،
وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامي الفلاني لازال محله أنيسا ، وذكره لفرقدين
جلسيا ، وسعَّيه على المسكارم حبيسا ، ومجده جديد الملابس إذا كان المجد ليبسا ،
وهنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرت من الذي قبله ، فإني لم أذكر
إلا مبدأه الذي هو الغرض .

وما ينتظم هذا السالك ما كتبتته في صدر كتاب يتضمن تعزية وهو « لو لم
جلس قلبى ثوب الحداد لمجر مداده ، ونصاعته سواده ، وبعده عن قرينته ، وعاد
إلى طينته ، وحرم على نفسه أن يمتطى يدا ، أو يجرى إلى مدى ، لكنه أحد
فندب وبكى فسكَّب ، وسطر هذا الكتاب من دموعه ، وضمنه ما حملته أحناء
خلوعه ، وإنما استعار ذلك من صاحبه الذي أعدها ، وأبدى إليه من عزمه

ما أبداء ، وهو نائب عنه في تمزية سيدنا أحمدَ الله صبره، ويسر أمره ، وأرضى عنه
دهره » ثم أنهيت الكتاب إلى آخره .

ومن محاسن هذا الباب أن يفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم ، أو
بمخبر من الأخبار النبوية ، أو ببيت من الشعر ، ثم يبنى الكتاب عليه ، فمن ذلك
ما كتبه في ابداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو :

ومنَ طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنما مفاثيمُهُ البِيضُ الخِفافُ الصَّوارمُ^(١)

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم ، وجمالنا السيف وسيطه إلى استنتاج
الملاك المقيم ، ورواية المجدلا تُنصَبُ إلّا على النَّصَبِ ، والراحة الكبرى لاتنال
إلا على جسر من الثعب^(٢) ، وكتابنا هذا وقد استولينا على مملكة فلاية وهي
للمملكة التي تُسمى الآمال دونها صرغى ، وإذا قيس إليها غيرها من الممالك
كانت أصلا وكان غيرها فرعا » وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه في مفتح تقليد بالحسبية وهو « ولتكن منكم أمة يدعون
إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون^(٣) »

(١) من قصيدة التثني في مدح سيف الدولة ، التي مطلعها .
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

الديوان ١٢٢/٤ .

(٢) من قول أبي تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من الثعب

من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

الديوان ٤٥/١ .

(٣) قرآن كريم سورة آل عمران ١٠٤ .

هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذرؤ الأوامر
الطاعة وذرؤ المأمور ، وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين
عليهما ، فنبدأ أولاً بحمده الذي هو سبب للزيد ، ثم لناخذ في القيام بأمره
الذي هو على كل نفس منه رقيب عتيد ، ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى
الأرض حتى تزكو بطونها ، وتنام عيونها ، ويشترك في بركات السماء ساكنها
ومسكونها ، والأمر بذلك جليل إن لم تتوزع الأُكفُ ثقل على الرقاب ،
وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدة من مستناب ومستناب ،
وقد اخترنا مدينة فلانة رجلاً لم نأل في اختياره جمداً ، وقد مناهيه خيرة الله التي
إذا صدقت نيتها صادقت رُشداً ، وهو أنت أيها الشيخ فلان ، قابسط يدك
بقوة إلى أخذ هذا الكتاب ، وكن كحكمة من حسنافا التي يرجح بها ميزان
الثواب ، وحقق نظرنا فيك فإنه من الله الذي ليس دونه حجاب .

فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التقليد عليها ، وهو من محاسن
للبادئ الافتتاحات .

وكذلك فعلت في موضع آخر وهو مفتتح كتاب كتبه إلى شخص كلفته
السفارة إلى مخدومه في حاجة عرضت وهو « إن أوزى الناس بإبراهيم الَّذِينَ
انبعوه وهذا النبيُّ والذين آمنوا^(١) » . هذا القول مجتمِع آثاره ، وتُحمَلُ عليه
أَنْظَارُهُ ، وأولى الناس بسيدنا من شاركه في الحُمة أدبه ، وإن لم يشاركه في الحُمة
نسبه ، فإن المناقب أقرب ، والمآثر أواصر :

وليس يَعْرِفُ لِي فَضْلِي وَلَا أَدْبِي إِلَّا أَمْرُو كَانَ ذَا فَضْلٍ وَذَا أَدْبٍ

ونتيجة هذه المقدمة بَثُّ خُلُقِهِ السَّكْرِيمِ عَلَى عَوَارِفِ أُنْفُسِهِ ، وَاسْتِهْدَاءِ صَنِيعَةِ جَاهِهِ الَّتِي هِيَ أَكْرَمُ مِنْ صَنِيعَةِ مَالِهِ ، وَلَا تِجَارَةَ أَرْبَحُ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ ، وَالسَّاعَى فِيهَا شَرِيكَ فِي السَّكْسَبِ بَرِيءٌ مِنَ الْخَسَارَةِ .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ فَيُسَلِّكُ بِهَا هَذَا الْمَسْلُكَ ، بَأَن يَذْكَرُ الْخَبَرَ فِي أُصْدُرِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ ، وَلِنَذْكَرُ مِنْهَا وَلَوْ مِثْلًا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَوْقِيعُ كِتَابَتِهِ لَوْحٍ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَتُوفَى وَالِدُهُ وَنُقِلَ مَا كَانَ بِاسْمِهِ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَتَوَرَّتِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ كَلًّا أَوْ ضِيَاعًا فَلَيْ وَعَلَى » وَهَذَا خُلُقٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ حَسَنَةً ، وَأَسَالِيبِ الْمَسْكَرَمِ بِأَسْرَافِهَا مَوْضُوعَةٌ فِي ضَمْنِهِ ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَمْشَى عَلَى أَثَرِهِ ، فَتَنْتَزِلَ مَنزَلَةُ رَدِيفِهِ ، أَوْ نَتَشَبَّهُ بِهِ فَتَبْلُغَ مَبْلَغَ مُدَّةِ أَوْ نَصِيفِهِ ، وَقَدْ أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ فِي قَوْمٍ صَحْبُونَا فَأَسَفْنَا بِمَبَاغِي الْإِنْعَامِ ، وَاحْتِدَامِ صُحْبَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَسْكَفْنَا أَيْتَامَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ حَتَّى وَدَّوْا أَنْ يَكُونُوا أَمَّ الْأَيْتَامِ ، وَهَذَا ابْنُ فُلَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَمَّنْ كَانَ لَهُ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ قَدَمٌ صِدْقِي وَأَوْلِيَّةٌ سَبْقِي ، وَحَفِظَ كِتَابَ الْحِفَاظَةِ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي تَلَاوُثِهِ أَقْرَأْ وَارْقَ .

ثُمَّ أَهْبَيْتُ التَّوْقِيعَ إِلَى آخِرِهِ ، فَتَأَمَّلْ مَفْتَتِحَ هَذَا التَّوْقِيعِ ، فَإِنَّهُ تَصْمِنُ نَصَ الْخَبَرِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ ، وَقَدْ ضَمَّنْتَهُ بَعْضَ خَبَرِ آخِرِ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ أَقْرَأْ وَارْقَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأْ وَارْقَ وَرَتَلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنْ مَنَزَلْتِكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا .

وَقَدْ مَنَاتُ لَكَ هَاهُنَا أَمْثَالًا يُقْتَدَى بِهَا فَاحْذُ حَذْوَهَا وَامْضِ عَلَى سَهْبِهَا ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

النوع الثالث والمشرون

في التخلص والاعتضاب

وهذا النوع أيضا كالتى قبله في أنه أحد الأركان الخمسة التى تقدمت الإشارة إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب ، وينبغى أيها المتوضح لهذه القضية أن تصرف إليه جل همتك ، فإنه منهم عظيم من مهمات البلاغة . . .

[التخلص]

أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعانى ، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيئ عليه ، ويكون متبعا للوزن وللقافية فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته ، وأما النائر فإنه مطلق العنان ،ضى حيث شاء ، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على النائر .

وأما الاعتضاب فإنه ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذى هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثانى علاقة بالأول ، وهو مذهب العرب ومن يليهم من الحضرمين .

وأما المحدثون فإنهم تصرفوا في التخلّص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة ،
فن ذلك قول أبي تمام :

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا الشُّرَى وَخَطَا المَهْرِيَّةَ القُودُ
أَمَطَعَ الشَّمْسِ تَبَغِي أَنْ تَوُومَ بِنَا قَفَلْتُ كَلَاءً وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الجُودُ^(١)

وهذان البيتان من بديع ما يأتي في هذا الباب ونادره .

وكذلك قوله أيضاً في وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكره وما وصفه به
من الأوصاف فقال :

خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرِّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الإِمَامُ وَهَدِيَهُ المَتَيْسِرُ
فِي الأَرْضِ مِنَ عَدْلِ الإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنَ النَّبَاتِ القَضُّ سُرُجٌ مُزْهِرٌ
تَفَسَّى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودَهُ أبدأ عَلَى مَرِّ البَالِي يُذَكِّرُ^(٢)

وهذا من أطف التخلّصات وأحسنها .

(١) في مدح عبد الله بن طاهر لما خرج إليه (الديوان ١٣٢/٢) قومه : بلد بين العراق وخراسان وطبرستان بالقرب من أصفهان . المهرية : الإبل الكرمية نسبة إلى مهرة ابن حيدان . قود : طويولات الأضلاع للأفرد قوداء . والقي بالديوان (تبغى أن تؤوم بنا) .

(٢) من قصيدته في مدح المنتصم (الديوان ١٩١/٢) والذي بالديوان (يروض فعله) بدلا من جوده ، وفي الأصل (على مر الزمان ويذكر) فأصلنا القطر من الديوان . يريد أن الرياض تنسى وتذبل أما فعله فلا ينسى ولا ينسى .

وكذلك قوله في قصيدته الفائية التي أولها « أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا »
فقال فيها^(١) :

غَيْدَاهُ جَادَ وَوَلِيُّ الْحَسَنِ سُمَّهَا فصافهما بيديه جنة ألقا
يُضِحِي الْمَذُولَ عَلَى تَأْيِيبِهِ كَلِفًا بُمْدَرَمَنْ كَانَ مَشْفُوقًا بِهَا كَلِيفًا
وَدَعِ فَوَادِكَ تَوَدِيعَ الْفِرَاقِ فَمَا أَرَاهُ مِنْ سَقَرِ التَّوَدِيعِ مُنْصَرَفًا
يُجَاهِدُ لِلشُّوقِ طَوْرًا نَمَّ يَجْذِبُهُ جِهَادُهُ لِلْقَوَائِي فِي أَبِي دَلْفَا

وهذا أحسن من الذي قبله ، وأدخل في باب الصنعة .

وكذلك جاء قوله :

زَعَمْتَ هَوَاكَ عَفَا الْعِدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُوعَ الْوَلِيِّ وَرَسُومَ
لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ التَّوَى صَبْرًا وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمَ
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا عَدَّتْ نَقَمِي عَلَى إِلْفِ سَوَاكَ تَحُومًا^(٢)

وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزل منه .

(١) من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان ٢/٣٥٩) .
التي مطلعها .

أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا فلا تكفن من شانك أو يكفا
وفي الديوان (روضة ألقا)

ولي الحسن : الحسن المتوالي للمتابع ، من الولي وهو للطر بعد للطر .

(٢) من قصيدته في مدح أبي الحسين محمد بن الميثم بن شبابة (الديوان ٣/٢٨٩) .
التي مطلعها :

أسبق طلوعهم أجنس هزيم وغدت عليهم خضرة وضيع
كان الأصل (التوى أجيل) و (ما حلت من سنن الوداد) .

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة
التي أولها « أجارة بَيْتَيْنَا أبوك غيور » فقال عند الخروج إلى ذكر
المدوح :

تقول التي من بيتها خَفٌ مَرَكَبِي عزيزٌ علينا أن رَاكَ تَسِيرُ
أما دون مِصْرٍ لِغَيْيٍ مُتَطَلِّبُ بلى إن أسباب الغنى لكثير
تقات لها واستمبجلتها بوادِرُ جرت فخرى في جُريهن عَبيد
ذريتي أكثرُ حاسِدِيكَ برحلة إلى بلد فيها الخصب أمير^(١)

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية
التي أولها « عواذلُ ذات الخال في حواسد » :

وأوردُ نَفْسِي والمُهَنْدُ في يَدِي مواردَ لا يُصِدِّرَنَّ مِنَّ لا يُجَالِدُ
ولكن إذا لم يحمل القلبُ كفه على حاة لم يحمل الكفُ ساعدُ
خليلٌ لاني لا أرى غيرَ شاعرٍ فلم منهم الدغوى ومنى القصائدُ ؟
فلا تَمَجِّبْها إن السيوفَ كثيرةٌ ولكن سيف الدولة اليوم واحد^(٢)

(١) الديوان (٤٨٠) من قصيدته في مدح الخصب . بالديوان (من بيتها) و فيه
(الخصب) . بوادر : دموع مستبقات . صير : رائحة ذكبية ، أى اختلط
بهما بغيرها .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسد وإن ضجيع الخود من أساجد
(الديوان ١/٣٠٥) .

لا يصدرن من لا يجالد : أورد نفسي في الحرب . وارد ملاك لا يرجع واردها حيا .
ومنى البيت الثاني أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف ؟ فإذا لم تقو الكف بقوة
القلب فإنها لا تقوى بقوة الساعد .

وهذا هو الكلام الآخذ بفضله برقاب بعض .

الآثرى إلى الخروج إلى مدح للمدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ، ثم إن أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة بيت واحد من بدائمه المشهورة .

وكذلك قوله أيضاً وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات ، وهو في قصيدته الثانية التي أولها « يَرْبُ مَحَامَهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا » فقال في أمثلتها :

وَمَطَالِبِ فِيهَا الْمَلَائِكُ أُتْبِتَهَا	تَبَّتَ الْجَفَانِ كَأَنِّي لَمْ آتِنَا
وَمَقَابِ بِمَقَابِ غَادِرَتَهَا	أَقْوَاتٍ وَحَشِ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِنَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا	أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَّهَاتِنَا
الْقَابِلِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا	فِي ظَهْرِهَا وَالْعَائِنُ فِي أَلْبَانِنَا
فَكَأَنَّهَا تُتَجِّتُ قِيَامًا نَحْتَمُّ	وَكَأَنَّهُمْ وَلِيُوا عَلَى صَهْوَاتِنَا
تِلْكَ النُّفُوسُ الْقَابِلَاتُ عَلَى الْعَلَا	وَالْمَجْدُ يُغْلِبُهَا عَلَى شَهْوَاتِنَا
سُفِيَّتْ مُفَابِعُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى	بِيَدَيْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِنَا ^(١)

== ومعنى البيت الرابع أنه في الشعراء ممتاز كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع الظير وإن كان له أشباه وظائر في التسمية .

(٢) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران (الديوان ١/٢٥٥) .

مقاب : جمع مقب وهو الطائفة من الخيل تجتم للفاة . أقوات : مفعول ثان لفادرتها يقول رب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتنا لاوحوش التي كانت قوتنا له يصيدها ويذبحها ويأكلها .

أقبلتها فرر الجياد : جعلتها تقبل فرر جيادها التي أوصلتها إلى أهدائها وشفت سدورها منهم ، كأن هذه الفرر أيدي بني عمران . تتجت : ولدت . صهواتها : جمع صهوة وهي مقعد فارس على الحصان .

فانظر إلى هذين التخلصين البديين ، فالأول خرج به إلى مدح قوم المدوح ،
والثاني خرج به إلى نفس المدوح ، وكلاهما قد أغرب فيه كل الإغراب .
وعلى هذا جاء قوله :

إِذَا صُنْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَهَالًا لِمَنْ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا إِعْلَامًا
وَإِلَّا نَحَاكَتَنِي الْقَوَافِي وَطَاقَنِي
عن ابن عبيد الله ضَمَفُ الْعَزَامِ (١)
والشعراء متفاوتون في هذا الباب ، وقد يُقَصِّرُ عنه الشاعر الملقب المشهور
ملا الإجابة في إيراد الألفاظ واختيار المعاني ، كالمحترق فإن مكانه من الشعر
لا يُجْهَل ، وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءها بعيداً
مكانها ، وكالقناة ليناً مسمهاً خشناً سينها ، وهو على الحقيقة قَيْئَةُ الشعراء في الإطراب ،
وعَنْقَؤُومٍ في الإغراب ، ومع هذا فإنه لم يُؤَفَّقْ في التخلص من الغزل
إلى اللديح ، بل اقتضبه اقتضاباً .

وقد حفظت شعره فلم أجده من ذلك شيئاً مرضياً إلا اليسير ، كقوله
في قافية الباء من قصيدة .

وكفاني إذا الحوادثُ أظلمت - من شهاباً بفرقة ابن شهاب (٢)

وكقوله في قافية الدال من قصيدة :

قَصَدَتْ لَنَجْرَانِ الْعِرَاقِ رِكَابُنَا يَطْلُبُنْ أَرْحَبَهَا مَحَلَّةَ مَاجِدِ

(١) من قصيدته في مدح أبي عمدة الحسن بن عبيد الله بن طه (الديوان ٤ / ٣٠٣) .
كان الأصل (مصالاً لفاتك) .

(٢) من قصيدته في مدح أحد ابن اسماعيل بن شهاب التي مطلعها :

ما على الركب من وقوف الركاب في مغاني الصبا ورسم التصابي
الديوان ١ / ٧١ .

أَلَيْتُ لَا تَلْقَيْنَ جَدًّا صَاعِدًا فِي مَطْلَبٍ حَقِي تَفْخَنَ بِصَاعِدٍ^(١)
وكقوله في قصيدته التي أولها « حَلَفْتُ لَهَا مَا لَمْ يَوْمِ التَّفَرُّقِ » فإنه تشوق
فيها إلى العراق من الشام ، ووصف العراق ومنازله ورياضه فأحسن في ذلك كله ،
ثم خرج إلى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضها برقاب بعض فقال :
رِبَاعٌ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ لَمْ تَزَلْ غَنَى تَقْدِيمِ أَوْ فَسْكَ كَأَيُّ لَوْفِقٍ^(٢)

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني ، وكذلك ورد قوله
في قصيدته التي أولها : « مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ كَيْلِي نُحْيِيهَا » فإنه وصف البركة
فأبدع في أوصافها ، ثم خرج منها إلى مدح الخليفة المتوكل فقال :

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفِئِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَاذِيهَا^(٣)
وأحسن ما وجدته له ، وهو مما تَلَطَّفَ فِيهِ كُلُّ التَّلَاتُفِ قوله في قصيدته
التي يمدح بها ابن بسنظام ومطلعها « نَصِيبُ عَيْنِيكَ مِنْ سَحَابٍ وَتَسْجَمٌ » فقال
عند تلخيصه إلى اللديح :

هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌّ بِي فَرَاغَةٌ أَيَّامُهُ لِي فِي أَحْقَابِ أَيَّامٍ ؟
لَوْ أَنَّهُ بَابِلُ عَمْرٍ يُجَاذِبُهُ إِذَا تَطَلَّبْتَهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامٍ^(٤)

(١) من قصيدته في مدح صاعد بن مخلد (الديوان ١/١٥٨)
في الأصل (فقلك أزجيبها علة ما جد) ولا معنى له ، و«ه» (حتى تناخ) والديوان
أصوب .

(٢) تكملة المطلع : وبالوجد من قلبى بها التعلق (الديوان ٢/١٢٢) وبالديوان
(نسكا كما لمهق) .

(٣) تكملة المطلع : نعم ونسألهما عن بعض أهلها (الديوان ٢/٣١٨) .

(٤) لم نشر على الشعر ولا على البحتين في ديوانه . وقوله (لو أنه بابل عمر) فيه
تحريف وغموض .

من دون الله هل ينصرونكم أو يثبتصرون ، فكذبكروا فيهمام والعاون ،
وجنود إبليس أجمعون ، قالواوم فيها يمتصنون ؕ والله إن كنا لفي ضلالٍ مبين ،
إذ نسويكم رب العالمين ، وما أضلنا إلا الجرمون ، قالنا من شافعين
ولا صديقٍ حميم ، فلو أن لنا كرةً ففكروا من المؤمنين « (١) » .

هذا كلام يُسبكر العقول ، وَيَسْحَرُ الأبواب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة ،
فإنه متى أنعم فيه نظره ، وتدرأ ثنائه وَمَطَاوِي حِكْمَتِهِ علم أن في ذلك غنى عن
تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن ، ألا ترى ما أحسن ما رتب لإبراهيم عليه
السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال
مستفهم ، ثم أُنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنضر ولا تنفع ، ولا تُبصر
ولا تسمع ، وعلى تقليد آباءهم الأقدمين فكسّره ، وأخرجه من أن يكون
شبهة فضلاً عن أن يكون حجة ، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي
لا تجب العبادة لإلهه ، ولا يبغي الرجوع والإجابة إلا إليه ، فصور المسألة في
نفسه دُوْهُمْ بقوله: «فإنهم عدو لي» ، على معنى أنى فسرت في أمرى فرأيت عبادتى
لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبها ، وآزت عبادة من الخير كأه في يده ،
وأوام بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه ، لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم
إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى القبول لقوله ، وأبعث على
الاستماع منه ، ولو قل فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك الثابتة ، فتخلص عند تصويره
المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى ، فأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم

شأنه ، وتعدد نعمه ، من لَدُنْ خَلَقَهُ رَأْسَاهُ إِلَى حِينِ وِفَاتِهِ ، مع مَا يُرَجَّى فِي الآخِرَةِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، لِيَعْلَمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مِنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ حَقِيقٌ بِالْعِبَادَةِ ، وَاجِبٌ عَلَى الْخَلْقِ الْخُضُوعُ لَهُ وَالِاسْتِكَانَةُ لِعَظَمَتِهِ .

ثم خرج من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه ، فدعا الله بدعواتِ المخلصين ، وَابْتِهَالًا إِلَيْهِ ابْتِهَالِ الْإِوَابِينِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ مِنْ مَوْلَاهُ إِذَا قَدِمَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَتَضَرَّعَ الْاعْتِرَافَ بِالنِّعْمَةِ كَانَ ذَلِكَ أُنْبَرَعَ لِلْإِجَابَةِ ، وَأَنْ يَنْجَحَ لِحُصُولِ الطَّلِبَةِ .
ثم أدرج في ضمن دعائه ذِكْرَ الْبَيْتِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَجَازَاةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّقَاهُ بِالْجَنَّةِ وَمَنْ ضَلَّ مِنْ عِبَادِهِ بِالذَّارِ ، لِيُجْمَعَ بَيْنَ التَّرْغِيبِ فِي طَاعَتِهِ ، وَالتَّرْهيبِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ .

ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند معاينة الجزاء ، وهو سُؤَالٌ مُوَضَّحٌ لَهُمْ مُسْتَهْزِئٌ بِهِمْ ، وَذِكْرٌ مَا يُدْفَعُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ النَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ ، وَتَمَنَّى الْعُودَةَ لِيُؤْمِنُوا . . .

فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ ببعضه برقاب بعض ، مع احتوائه على ضروب من المعاني ، فَيَحْتَلِصُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى الْآخِرِ بِإِطِيفَةٍ مَلَأْتُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ أَفْرِغَ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ ، فَخَرَجَ مِنْ ذِكْرِ الْأَصْنَامِ وَتَنْفِيرِ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ مِنْ عِبَادَتِهِمْ إِبَاهَا ، مع ما هي فيه مِنَ التَّعَرُّيِّ عَنْ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، حَيْثُ لَا تَضَرُّوهُ لَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَسْمَعُ ، إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَوْصَفَهُ بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَعَظَّمَ شَأْنَهُ ، وَوَعَدَّ دِينَهُ ، لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا لَهُ .
ثم خرج من هذا إلى دعائه إِيَّاهُ وَخُضُوعَهُ لَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ إِلَى ذِكْرِ يَوْمِ

القيامه وثواب الله وعقابه ، فندبر هذه التخلصات الطيبة المودعة في أثناء هذا الكلام .

وفي القرآن مواضع كثيرة من التخلصات ، كالذي وَرَدَ في سورة الأعراف ، فإنه ذكر فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية من آدم إلى نوح عليهم السلام ، وكذلك إلى قصة موسى عليه السلام ، حتى انتهى إلى آخرها الذي هو :

﴿واختار موسى قومَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لمِيقَاتِنَا ، فلما أَخَذْتَهُم الرِّجْفَةَ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَايَاسِ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنا هُذُنَا إِلَيْكَ ، قالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَعْلَمُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(١)﴾ .

هذا تخلص من التخلصات الحسان ، فإن الله تعالى ذكر الأنبياء والفرون

للاضية إلى عهد موسى عليه السلام ، فلما أراد ذكرنا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض .

الآثرى أنه قال قال موسى عليه السلام « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة » فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين آمنوا من حالم كذا وكذا ، ومن صفتهم كيت وكيت ، وم الذي يتبعون الرسول النبي الأمي ، ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته إلى آخر الكلام .

ويا لله العجب كيف يزعم الغامبي أن القرآن خالٍ من التخلص ؟ ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام ، فإنها قصة برأسها ، وهي مضمّنة شرح حاله مع إخوته من أوائل أسره إلى آخره ، وفيها عدة تخلصات في الخروج من معنى إلى معنى ، وكذلك إلى آخرها .

ولو أخذت في ذكر مافي القرآن الكريم من هذا النوع لأطلت ، ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة^(١) .

وقد جاني من التخلصات في الكلام للنشور أشياء كثيرة ، وسأذكر هاهنا نبذة يسيرة منها ؛ فن ذلك ما أوردته في كتاب إلى بعض الإخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الأشواق فقلت « وكما أن هذه

(١) أورد الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ٤٣/١ - ٥٥ دعوى الغامبي التي ذكرها ابن الأثير ، وذكر أمثلة من التخلص في القرآن الكريم ، بعضها ذكره ابن الأثير ، ونرجع أن الزركشي نقل من ابن الأثير لأن الزركشي توفي سنة ٧٩٤ وابن الأثير توفي سنة ٦٣٧ .

الأوصاف في شأنها بديعة ، فكذلك شوق في شأنه بديع ، غير أنه لجره فصل صيف وهذا فصل ربيع ، فأنا أمل أحاديثه العجيبة على النورى ، وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أستغض حديث من قتله الهوى .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه إلى بعض الإخوان أيضا وأرسلته إليه من بلاد الروم ، وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقته منه ، ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الشوق فقلت « وما أشكوه من بردها أن الفرو لا يلبس إلا في شهر ناجر ، وهو قائم مقام الظل الذي يتبرّد به من لفتح المواجر ، ولقرط شدته لم أجد ما يخففه ، فضلا عما يذهبه ، فإن النار للمدة له تطلب من الدفء أيضا ما أطلبه ، لكن وجدت نار أشواق أشدّ حرّاً ، فاصطليت بحمرها التي لا تُذكّر كى بزناد ، ولا تؤزل إلى رماد ، ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشدّ من حرّ الفؤاد . غير أنى كنت في ذلك كن مدّ خلة بخلة ، واستشفي من هامة بطة ، وأقتل ما أعلك ماشفاك ، فاظنك بمن يصطلى نار الأشواق . وقد قنع من أخيه بالأوراق ، فضنّ عليه بالأوراق . »

وما ينتظم في هذا العقد ما ذكرته في مفتتح كتاب يتضمن عناية ببعض للتظلمين فاستطردت فيه إلى ذكر المكتوب إليه وهو « هدايا السكارم أنفس من هدايا الأموال ، وأبقى على تعاقب الأيام والليال ، وقد حل هذا الكتاب منها هدية نورث خذاً ، وتكسب مجداً ، وهى خير توابا وخير مرّداً ، ولا يسير بها الاستحجية طبع على الكرم ، وخيقت من عنصر الدائم ، كسجية مولانا أعلاه الله هلو تفخر به الأرض على السماء ، وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ، ولازالت أبادية نخجلة صوب الغمام ، معدية على نوب الأيام ، مغنية بشرف فضلها على شرف الأخوال والأهمام . وتلك الهدية هى تجديد الشفاعة في أمر

فلان ، ومن إيمان المرء سعيه في حاجة أخيه ، وإن لم يمس به شيء أسباب أو أخيه .
فإن المؤمن إخوة وإن تباينت مناسبتهم ، وتفاوتت مراتبهم ، ومن صفاتهم أن
يسمى بذمتهم أدنام ، وخيرهم من عناه من الأمر ما عناه . ثم مضيت على
هذا النهج إلى آخر الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه من كتاب إلى صديق استحدثت مودته ، وهو من
أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ، ثم سار عني فكتبت إليه أسند به
رطباً ، فقلت « هذه المسكانية ناطقة بلسان الشوق الذي تزف كليمه زفيف
الأوراق ، وتسجع سجع ذوات الأطواق ، وتهف وهي مقيمة بالموصل
فدسج من هو مقيم بالعراق ، وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد ،
وود استجدت حلتة ، واللذة مقترنة بكل شيء جديد . وأرجو ألا يبلى قدم
الأيام لهذه الجدة لباساً ، وأن يعاذ في نظرة الجن والإنس حتى لا يخشى جنة
ولاباسا . وقد قيل إن للمودات طعماً ، كما أن لها ونماً ، وأن ذا اللب يصادق نفساً
قبل أن يصادق جسماً . وإني لأجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذها دوامها ، وقد
أذكر أنني الآن بحلاوة الرطب الذي هو من أرضها ، وغير عجيب لمناسبة
الأشياء أن يذكّر بعضها ببعضها ، إلا أن هذه الحلاوة تنال بالأفواه ، وتلك
تنال بالأسرار ، وفرق بين ما يُفتَرَسُ بالأرض وما يُفتَرَسُ بالقلب في
شرف الثمار ، فلا ينظر سيدنا على في هذا التمثيل ، وربما كان ذلك تعريضاً
ينوب مناب التطفيل . »

وهذا من التخلصات البديعة ، فانظر أيها المتأمل كيف سقت الكلام
إلى استمداء الرطب ، وجملت بعضه آخذاً برقاب بعض ، حتى كأنه أفرغ
في قالب واحد ، وكذلك فليكن التخلص من معنى إلى معنى .
وهذا القدر من الأمانة كاف للتعلم .

ومما استظرف من هذا النوع في الشعر قول (ابن الزمكرم)^(١)
الموصلى وهو :

وإبل كوجّه البرقعيديّ مظلمٍ ورزد أغانيه وطول قرونه
سريت ونوى فيه يوم مشردٍ كعقل سليمان بن فهيد ودينه
على أوتقٍ فيه التفات كأنه أبو جابر في خطبه وجنونه^(٢)
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه^(٣)

وهذه الأبيات لها حكاية ، وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش
ملك العرب وكان صاحب الموصل ، فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من
ليالي الشتاء وفي جلستهم هؤلاء الذين هجاء الشاعر ، وكان البرقعيدي مغنيا

(١) ذكر ياقوت هذه الأبيات غير منسوبة إلى قائمها (مادة برقميد) .

ورجعنا إلى كثير من كتب الأدب ، لعلمنا نهدي إلى تصويب اسم القائل (ابن
الزمكرم) كما ذكره المؤلف ، فلم نثر على ضالتنا . ثم رجعنا إلى الكامل في التاريخ لابن
الأثير ، وتعقبنا كل ما ذكر عن قرواش الذي جاء ذكره في الأبيات ، فوجدناه يذكر
أن الشاعر اسمه ابن الزمكرم (الكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧) أما فوات الوفيات لابن شاكر
٢٦٥/٢ فهو يذكر الأبيات منسوبة لطاهر الجزرى .

(٢) أولق : الولق : الناقة السريعة ، والأولق : الجنون وشبهه ، وامله ذكر
(الأولق) مريدا به التذكير ليدل به على الجمل السريع ، وإن كانت اللغة لا تطاوعه
في هذا .

(٣) البرقعيدي : منسوب إلى برقميد ، بلد من أعمال الموصل ، منه بنو حمدان التغلبيون
سيف الدلة وأهله . والأبيات في هجاء سليمان بن فهيد الموصل ومدح قرواش ابن المقلد
أمير بني عقيل ، مع تغيير يسير (معجم البلدان مادة برقميد) .

والأبيات في الكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧ كما هي ، عدا ظلمة بدلا من مظلم . وهي
كما قال في قرواش وابن فهيد والبرقعيدي وأبي جابر ، وقد أجمع أهل البيان على أنها غاية في
الجودة ، لم يقل أحد خيرا منها في معناها .

وقد مات قرواش أو قتل سنة ٤٤٤ (فوات الوفيات ٢٦٥/٢) ،

أو سنة ٤٤٢ (البداية والنهاية ١٢/٦٢) .

وسليان بن فهد وزيراً ، وأبو جابر حاجباً ، فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجوهم المذكورين ويمدحه ، فأنشد هذه الأبيات ارتجالاً ، وهي غريبة في بابها لم يستمع بمثالها ، ولم يرَ ضَ قائلها صناعة التناص وحادها حتى رقى في معانيه للقصودة إلى أعلى منزلة ، فابتدأ البيت الأول بهجو البرقيدي ، فجاءه في ضمن مراده ذكرُ أوصاف ليل الشتاء جميعها ، وهي الظلمة والبرد والطول ، ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شُبِّهَتْ به مطابقة له ، وكذلك البيت الثاني والثالث ، ثم خرج إلى المديح بالطف وجه وأدق صنعة ، وهذا يسمى الاستطراد ، وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات .

وما يجرى على هذا الأسلوب ماورد لابن الحجاج البغدادي وهي أبيات لطيفة جداً :

ألا ياماه دجلةً لست أدري بأنى حاسدك طول عمري
ولو أنى استطلت سكرتُ سُكراً عليك فلم تكن ياماه تجرى
قال الماء : ما هذا عجيبٌ بما استوجبهُ ياليت شعري
قلت له : لأنك كل يوم تمرُّ على أبي الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شيء يضيِّقُ عن احتمالك فيه صبري^(١)

وما علمت معنى في هذا القصد الطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ ، ويكفي ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الأبيات .

(١) معاهد التنصيص ٢٥٣/٤ وفيه البيت الثالث هكذا :

فقال الماء قل لي كل هذا بم استوجبه ياليت شعري

وفي البيت الأخير كلمة صدرى بدلا من صبري .

ولا تظن أن هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة ،
وقات من تقدمهم لما عندهم من قسفت العيش وغلظ الطبع ، بل قد تقدم أولئك
إلى هذا الأسلوب وإن أقلوا منه وأكثر منه المحدثون ، وأى من من محاسن
البلاغة والفصاحة لم يسبقوا إليه ؟ وكيف لا وهم أعلم ومنهم أعلم وعندهم أخذ ؟

فإن ذلك ما جاء للفردق وهو :

ورَكِي كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُم لَهَا بَرَّةٌ مِنْ جَذَمِهَا بِالْمَحَابِ
تَمَرَوْا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تُلْفَسُهُمْ عَلَى شُعْبِ الْأَكْوَادِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا مَا رَأَوْا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيَهُمْ نَارٌ غَالِبٌ (١)

فانظر إلى هذا الاستطراد ما أغلفه وأخفاه .

واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأتي به قبيحا ، كما فعل أبو الطيب المتنبي
في قصيدته التي أولها [مَلِكٌ الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا] فقال عند الخروج من
الغزل إلى المدح :

غدا بك كل خِلْوٍ مُسْتَمَامَا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيْعًا
أحبك أو يقولوا جِرًّا نَمَلٌ سَمِيرًا وَابْنِ إِبْرَاهِيمَ رَيْعًا (٢)

(١) الديوان ٣٠/١ وكان البيت الأول بالأصل (عندما ، لها قوة) والبيت الثاني
(بخبطون) أما البيت الثالث فقد كات بالأصل (إذا آنسوا) وهي رواية معاهد التنصيص
وفي الأغاني (إذا استوضحوا) .

(٢) الديوان ٤٢٧/٢ في مدح علي بن إبراهيم التنوخي . ملك القطر : المطر الدائم .
الخلو : الخالي من الهوى : المدهام : التذهب اللب من الهوى . الخليع : الذي ترك المياه
وتهتك في الهوى . أو يقولوا : إلى أنت يقولوا . نير : جبل بالحجاز . ريع : أخيف . ابن
إبراهيم . هو علي المدوح .

هذا تخلص كما تراه وارد ليس عليه من مسحة الجمال شيء ، وما هنا يكون
الاقتضاب أحسن من التخلص .

فينبغي لسالك هذه الطرق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن واتاه التخلص حسفا
كأينبغي ، وإلا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب .
ولهذا نظائر وأشباه ، وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي أولها :

« أَحْيَا وَأَيَسْرُ مَا كَسَيْتُ مَا قَتَلَا » فقال :

عَلَّ الْأَمِيرَ بَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكْتَنِي فِي الْمَوَى مَثَلًا^(١)
وَالإِضْرَابُ عَنِ مِثْلِ هَذَا التَّخْلِصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَمَا أَلْقَاهُ فِي الْهَوَى
إِلَّا أَبُو نَوَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا^(٢)
عَلَى أَنْ أَبَا نَوَاسٍ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ قَيْسِ بْنِ ذُرْجِجٍ ، لَسَكَنَهُ أَفْسَدُهُ وَلَمْ يَأْتِ
بِهِ كَمَا أَنَى بِهِ قَيْسٌ ، وَلِذَلِكَ حِكَايَةُ وَهوَ أَنَّهُ لَمَّا هَامَ بُلْبُنَى فِي كُلِّ وَادٍ وَجُنَّ بِهَا
رَقَّ لَهُ النَّاسُ وَرَحِمَهُ ، فَسَعَى لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ إِلَى أَنْ طَلَقَهَا مِنْ زَوْجِهَا وَأَعَادَهَا
إِلَى قَيْسٍ ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ :

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي عَلَى الْإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيقِ
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعًا فَمَا أَلْنَيْتُ كَانِ أَيْ عَتِيقِ
سَعَى فِي جَمْعِ شَبْلِي بَعْدَ صَدْعِهِ وَرَأَى حِدَّتْ فِيهِ عَنِ طَرِيقِ
وَأَطْفَا لَوْهَةً كَانَتْ بِقَلْبِي أَغْصَنِي حَرَارَتُهَا بِرِيقِي^(٣)

(١) الديوان ٣/٣٥٢ في مدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي النجفي .

(٢) الديوان ٤٧٤ .

(٣) الأغاني ٨/١٢٩ كان في الأصل (وقد جربت) و (رأى حرت)

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بَوْنٌ بعيد ، وقد حكى عن ابن أبي عتيق أنه قال : يا حبيبي أميكُ عن هذا اللديح ، فما يسمعه أحد إلا ظنني قوادا .

[نار فتنضاب]

وأما الانتضاب فهو الذي أشرنا إليه في صدر هذا النوع ، وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه .

فمن ذلك ما يقرب من التخالص وهو فصل الخطاب ، والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد ، لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض للسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد .

ومن الفصل الذي هو أخصن من الوصل لقطة هذا ، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب أولى الأيد والأبصار ، إنا أخالصنام بمخالصة ذكرى الدار ولما هم عندنا لمن اصطفين الأخيار ، واذكر إسماعيل واليسع وذالكفضل وكل من الأخيار ، هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ^(١) 》 .

الآ ترى إلى ما ذكرته قبل (هذا) ؟ ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام ، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال « هذا ذكر » ثم قال « وإن للمتقين لحسن مآب » ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد

أن يعقبه بذكر أهل النار قال « هذا وإن للطاغين شرًّا مآب » وذلك من فصل الخطاب الذي هو أطف موقفا من التخاص .

وقد وردت لفظة هذا في الشعر ، إلا أن ورودها فيه قليل بالنسبة إلى الكلام المنشور ، فن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدي^(١) في قصيدة أولها .
« العيش غَضٌّ والزمان فريرٌ » .

إني ليمجبنى الزمنا في سحرةٍ ويروق لي بالجاشرية زير^(٢)
وأكاد من فرح السرور إذا بدا ضوء الصباح من الستور أطير
وإذا رأيتُ الجوّ في فضيةٍ لغنيم في جنباتها نكسر
مفوشة صدرَ البزاة كأنه فيروزجٌ قد زانه بلور
نادت ب اللذات ويحك فأنهز فرصَ المني يا أيها للفرور
رمل بي إلى جور السقا فياني أهوى سقا الكأس حين تجور
هذا وكم لي بالجنة سكرة أنا من بقايا شرها مخور
باكرتها وغصونها مفزورة والماء بين مرزها^(٣) مذعور
في صفة : أناد والنديم وقينة والكأس والزمار والأطنبور

(١) من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزائر التي فيها الموصل . اسمه أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان . وكان أميا ، وشعره كله ملح وتحف وطرف ، ولا تغلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر (بقيمة الدهر ٢ / ٢٠٨) .

(٢) الجاشرية : شرب مع الصبح ، وهي أيضا السحر . الزر : وترن : أوتار العود .

(٣) المرز بالفتح الجباس الذي يحمس الماء ، فارسي معرب (هامش القاموس مادة مرز) والمرز جمع مرز ، يريد أن الأخصان متشابكة تحبس الماء . مفزورة : أصابها مطر غزير أو ماء كثير .

هذه الأبيات حسنة وخروجها من شدق هذا الرجل الخباز عجيب ، ولو
جاءت في شعر أبي نواس لثارت ديوانه .

والاقتضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى ، والتخلص بالنسبة إليه قطرة
من بحر ، ولا يكاد يوجد التخلص في شعر الشاعر الجيد الا قليلا بالنسبة إلى
للقتضب من شعره .

فن الاقتضاب قولُ أبي نواس في قصيدته النونية التي أولها .

« يا كثير النوح في الدِّمَنِ »

وهذه القصيدة هي عين شعره ، والملاحاة للعيون ، وهي تنزل منه منزلة
الألف لامنزلة النون ، إلا أنه لم يكتمل حسنها بالتخلص من الفزن إلى المديح ،
بل اقتضبه اقتضابا ، فبينما هو يصف الخمر ويقول :

فاسقني كاسيا على عدلٍ كرهت مسموعه أذى
من كسيت اللون صافية خير ما سئسنت في بدني
ما استقرت في فؤاد فقئ فدرى ما لوعة الحزن
حتى قال .

تضحك الدنيا إلى مالكٍ قام بالآثار والسفن
سنّ للناس الندى فندوا فكان البخل لم يسكن^(١)
فأكثر مدائح أبي نواس مقتضبة هكذا ، والتخلص غير ممكن في كل
الأحوال ، وهو من مستصعبات علم البيان .

ومن هذا الباب الذي نحن بصدد ذكره قول البحترى في قصيدته المشهورة
بالجودة التي مدح بها الفتح بن خافان وذكر لقاءه الأسد وقتله إياه ، وأولها

(١) الديوان ٤١٢ ومطلها :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

« أجدك ما يفك بسرى لزينبا »

وهي من أمهات شعره ، ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل إلى المديح ، فإنه بينما هو في تغزله وهو يقول :

هبدنك إن منيت منيت موعدا جهاماً وإن أرتت خلبا
وكنت أرى أن الصدود الذي مضي دلال فما إن كان إلا تجنبا
فوا أسفاً حتاماً أنال ما نأ وآمن خوافاً وأعتب مذنبا ؟

حقى قال في أثر ذلك :

أقول لركبٍ معتقين تدرعوا على عجلٍ قطعاً من الليل قهياً
ردوا نائل الفتح بن خاقان إنه أعم ندى فوسم وأبسر مطلباً^(١)

فخرج إلى المديح بنهد وصلة ولا سبب .

وكذلك قوله في قصيدته المشهورة بالجودة التي مدح بها ابن خاقان أيضاً ، وذكر نجاته عند انخساف الجسر به وقد أغرب فيها كل الإغراب ، وأحسن كل الإحسان ، وأولها (متى لاح برق بداطلل قفر) :

فيينا هو في غزلها حقى قال :

لعمرك ما الدنيا بنا قصة الجدى إذا بقى الفتح بين خاقان والقطر^(٢)
نخرج إلى المديح مقتضياً له متعلقاً به ، وأمثال هذا في شعره كثير .

(١) الديوان ٥٥/١ وفي الديوان (علمتك إن منيت) و (أقرب مطلباً) .

(٢) الديوان ٢١٧/١ ومطلع النصيدة .

متى لاح برق أو بدا طلل قفر جرى مستهل الدمع لا بكى ولا نزر

النوع الرابع والعشرون في التماسب بين المعاني

ويقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول في المطابقة، وهذا النوع يسمّى "البديع" أيضا ، وهو في المعاني ضدّ التجنيس في الألفاظ ، لأنّ التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدّين

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى . وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه ، غير أن الأسماء لامشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة .

ولننظر نحن في ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللفظ ، وقد وجدنا الطَّباق في اللغة من طابق البعيرُ في سيره إذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدّها ، والموضع الذي يقعان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد ، فقدامة سمي هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سُمي به ، وذلك مناسب وواقع في موقعه ، إلا أنه جعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ، ولا بأس به إلا إن كان مثله بالضدين كالسواد والبياض ، فإنه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثل الذي مثله (١) .

(١) ذكر قدامة أن الناس يضعون من صفات الشعر المطابق والمجانس ، وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى . ومعناها أن تكون في الشعر معان متفارقة قد اشتركت في لفظه =

وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مُسمّاه ، هذا الظاهر لنا من هذا القول ، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن .

وانرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته فنقول : الأليق من حيث المعنى أن يُسمى هذا النوع المقابلة ، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين ، إما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضده ، وليس لنا وجه ثالث ، فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراها فإنه ينقسم قسمين : أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى ، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ .

(المقابلة في اللفظ والمعنى)

أما المقابلة في اللفظ والمعنى فكقولُه تعالى « فَليَضْحَكُوا قليلاً وَايبسُوا كثيرا^(١) » فقابل بين الضحك والبكاء والتليل والكثير .

وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم^(٢) » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

== واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة . ثم حرف (المطابق) بأنه ما يشترك في لفظه واحدة بعينها ، وحرف (المجانس) بأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق (قد الشعر ٩٢ طبعة برل . ليدن) .

وقد سبق الآدمي ابن الأثير إلى نقد قدامة في تصرفه في المصطلحات ، قال الآدمي : وهذا باب — أعني المطابق — لقبه قدامة (المتكافئ) وسمى ضرباً من التجانس (المطابق) وما علمت أن أحد فعل هذا غيره ... ولم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل عبداقة ابن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها (الموازنة بين أبي تمام والبحتري ١ / ٢٧٥ طبعة دار المعارف) .

(١) التوبة ٨٢ .

(٢) الحديد ٢٣ .

ومن الحسن المطبوع الذى ليس بمتكاف قول على رضى الله عنه لعثمان رضى
الله عنه : « إن الحق ثقيل مرى ، والباطل خفيف ورسى ، وأنت رجل إن صدقت
سيخطت ، وإن كذبت رخصت » فقابل الحق بالباطل ، والثقل المرى بالخفيف
الورى ، والصدق بالكذب ، والسخط بالرضا ، وهذه خمس مقابلات فى هذه
الكلمات الفصار .

وكذلك ورد قوله رضى الله عنه : « لما قال الخوارج لاحكمم إلا لله
تعالى : « هذه كلمة حق أريد بها باطل » . وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن
جبير رضى الله عنه وقد أحضره بين يديه ليقتله ، فقال له ما اسمك ؟ قال سعيد بن
جبير ؟ قال ، بل أنت شقى بن كسير . وقد كان الحجاج من الفصحاء المدودين ،
وفى كلامه هذا مطابقة حسنة ، فإنه نقل الاسمين إلى ضدّهما ، فقال فى سعيد شقى
وفى جبير كسير .

وهذا النوع من الكلام لم يختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات .
ومما وجدته فى لغة الفرس أنه لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره :
« حَرَ كْنَا بِسْكُونِهِ » .

وأوّل كتاب الفصول لأبقرراط فى الطب قوله : العرقصير والصناعة طويلة
وهذا الكتاب على لغة اليونان .

ومن كلامى فى هذا الباب ما كتبه فى صدر مکتوب إلى بعض الإخوان
وهو : « صدر هذا الكتاب عن قلبٍ مُتَمِيمٍ ، وَجَدِيدٍ سَائِرٍ ، وَصَبْرٍ مُلِيمٍ ، وَجَزَعٍ
عَظِيمٍ ، وَخَاطِرٍ دَهْشَتِهِ لَوْعَةُ الْفِرَاقِ فَلَيْسَ بِخَاطِرٍ » .

وكذلك كتبت إلى بعض الإخوان أيضا فقلت : « صدر هذا الكتاب عن
قلب مأنوس باقائه ، وطرف مستوحش لقراءته ، ثمذا مروّع بكآبأ إظلامه ،
وهذا ممتع بهجة إشرافه ، غير أن لقاء القلوب لقاء عُنَيْتٍ بمنله خواطر
(م - ١٠ المثل السائر)

الأفكار ، وتتفاجى به وراء الأستار ، وذلك أخو الطيفِ الملمِّ في المنام ، القدى
يومه بقاء الأرواح على لقاء الأجسام .

ومن هذا النوع ما ذكرته في كتاب أصف المسير من دمشق إلى الموصل
عن طريق المناظر فقلت في جملة : « ثم نزلت أرض الخابور ففرَّبت الأرواح
وشرفَّت الجسوم ، وحصل الإعدام من المسارِ والإيزال من الهموم ، وطالبتني
النفس بالعود والقدرة مفلسة ، وأويت إلى ظل الآمال والآمال مُشمسة » .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب إلى بعض الإخوان وعرضت فيه
بذكر جماعة من أهل الأدب فقلت : « وهم مسئولون الأينسونى في نادى فضلهم
الذى هو منبع الآمال وماتقط اللآل ، فوجوه أفاضله مشرقة بأيدى الأفلام
المتسودة ، وقلوب معانيه مستنبطة بنار الخواطر المتوقفة ، والواغل إليه
بشكر من خمرته التى تنبه العقول من إغفائها ، ولا يشعر بها أحدٌ غير أكتافها »
وهذه الفصول المذكورة لاختفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة .

ومما ورد من هذا النوع شعراً قول جرير :

وأعور من نبيهان أمّا نهاره فأعمى وأما آيله فبصير^(١)

وكذلك ورد قول الفرزدق :

قبَّحَ الإلهُ بنى كليبٍ إنهم لا يَغْدِرُونَ ولا يَقُونَ لِحار

يستيقظون إلى نهيقِ حارمٍ وتنامُ أعينهم عن الأوتار^(٢)

فقابل بين العذر والوفاء ، وبين التيقظ والنوم ، وفي البيت الأول معنى

يسأل عنه .

(١) من قصيدته في هجاء أعور نيهان (الديوان ٢٦٤) يريد أنه في النهار أعمى عن
الأميرات ، وفي الليل يصير بالسيئات .

(٢) ديوان الفرزدق ٤٤٨ / ٢ في هجائه لجرير من قصيدة مطلعها :

يا بن المراغة إنما جاريتي بمسبقين لدى القعال قصار

كان بالأصل (بجمار) .

وكذلك ورد قول بعضهم :

فلا الجودُ يُبقي للمالَ والجدُّ مقبلٌ ولا البخلُ يُبقي للمالَ والجدُّ مُدبرٌ
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع ،
فإن إحسانه قوله :

ما إن ترى الأحسابَ بيضاً وضجاً إلا بحيث ترى المفايا سودا
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضاً :

شرفٌ على أولى الزمانِ وإنما خالقُ المناسِبِ أن يكونَ جديداً^(١)
وعلى هذا المنهج ورد قوله :

إذا كانت النعمى سلوباً من امرى غدت من خليجى كنهه وهى مُتبع
وإن عثرت سودُ الليالى وبيضا بوحده أُميتها وهى مجتمِع
ويوم يظل العزُّ يُحفظُ وسطه بضميرِ العوالى والنفوسُ تُضيع
بصيفٍ من الهيجا ومن حاجِمِ الوغى ولكنه من وابلِ الدمِ مربع^(٢)
ومن هذا الأسلوب قوله أيضاً :

تقرب الشمة القُصوى إذا أخذت سلاحها وهو الإزفالُ والرملُ
إذا تظلمت من أرض فصلتُ بها كانت هى العزُّ إلا أنها دُلُّ

(١) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد بن يزيد الشيبانى ، ومطلعهما :

طلل الجميع لقد هفوت حميدا وكفى على رزنى بذلك شهيدا

(الديوان ١/٤١٠) كان في الأصل (سوف) بدلا من شرف، يريد أن ما كان حديثا جديدا كان خلقا لا يتفكر فيه

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢/٣٩٧) كان في الأصل (وهو تبع) و (هيجاء) و (حاجم) ، السلوب : التى سلب منها ولدتها . المتبع التى يتبعها ولدها . خليجى كفه المراد الكف الواحدة . يقول : إذا كانت النعمة من نعم واحدة فإن نعمة هذا المدح يتبعها غيرها من النعم . بصيف من الهيجا : هذا اليوم سيف من حر الحرب . مربع : مجتمع .

الدُرُضِيَّاتُكَ مَا أُرْتَمَتْ آتَقَهَا والمهَادِيَّاتُكَ وهى الشَّرْدُ الضَّلُّ (١)
وعلى هذا النحو ورد قوله :

وفاضرة الصَّبَا حين استَبَكَّرَتْ طِلَاعَ المِرْطِ والدزغ اليَدِيَّ
تَشَكَّى الأَيْنَ من نِصْفِ مَرِيحٍ إذا قَامَتْ ومن نِصْفِ بَطْنِ (٢)

وقد جاء لأب نواسٍ ذلك فقال :
أقلنى قد نَدِمْتُ على الذنوب وبالإقرار عُدْتُ من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب كما استعميتُ صخطك من بعيد (٣)

فقابل بين الأضداد من الجحود والإقرار والعمو والسخط والقرب والبعد .
وعلى نحو من ذلك ورد قول على بن جبلة في أبي دافع البجلي (٤) وهو :

أَيُّمُ المَهِيرِ ونِكَاحُ الأَيِّمِ يومك يوم أبوس وأنعم
وجمعُ نَجْدٍ ونَدَى مقسم
وكذلك قوله أيضا :

هو الأمل المبسوط والأجل الذى يُبرءُ على أيامه الدهر أو يَخْلُو

(١) من مقطوعة يصف فيها شدة البرد بخراسان ويصف الإبل (الديوان ٣٦٠)
والبيت الأخير بالديوان قبل الأول . والذى بالديوان (وهى الرشد والضلل) والإرقان والرمل
ضربان من السير . ذلل : مطيعة متقادة .

(٢) من قصيدته في مدح الحسن بن وهب (الديوان ٣ / ٣٥١) .

استبكرت : تم شبابها . طلاع المرط : ملؤه يعنى مرط المرأة .

اليدي : الواسم ، ويروى اليدي بالياء وهو البديع المجيب .

نصف سريم : يريد خصرها الرقيق . نصف بطيء يريد ردفها الثقيل

(٣) الديوان ٤٥٣ . وليس البيت الثانى به ، وبعد البيت الأول :

وإن تصفح فأحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

(٤) يعرف على بن جبلة بالمكوك ، كان مداحا مجيدا ووصافا بارعا ، وكان ضريرا ،

مدح المأمون وحيد بن عبد الحميد الطوسى وأكثر من مدح أبى دافع وأجاد ومدح غير

هؤلاء (طبقات الشعراء لابن المعتز ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٥٠ وتاريخ بغداد ٣٥٩/١١

وشذرات الذهب ٣٠/٢) .

ولا تحسُن الأيام ففعلُ فَعَلَهُ وإن كان في نصريهما التَّنْقِضُ والفعل
فِعْشٌ واحداً أما الشَّراءُ فمُسَلَّمٌ مُبَاحٌ وأما الجار فهو حَتَّى بِسَلْ
وعما جاء من هذا القسم قول البحرى :

أحسنَ اللهُ في ثوابك عن قَسْرٍ مضاع أحسنتَ فيه البلاء
كان مستتمعا قَعَزٌ وَخَرَوُ مَا فَأَجْدَى وَمُظْلِمًا فَأَضَاءُ (١)
ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله :

أشكو إليك أناملًا ما تنطوى بخلا وإملافا تُقصِّمها لليد
أرضيهم قولاً ولا يرضونى فعلاً وتلك قضية لا تُقصدُ
فأدُمُ منهم ما يَدُمُ ورءا صاحتهم فحمدتُ مالا يُحمدُ (٢)
وعلى هذا النهج ورد قوله :

وتوقَّعي منك الإساءة جاهداً والعيدُ أن أتوقعَ الإحسانا
وكما بسرِّك لينُ مَسِيٍّ راضيا فكذلك فإخشِ خُسوفتى غضباناً (٣)
وأما أبو الطيب المتنبي فإنه استعمل هذا النوع قلباً في شعره ، فن ذلك
قوله :

يقالُ إذا لاقوا خِفافاً إذا دُهِوا كثيراً إذا شدُّوا وقليل إذا هُدُّوا (٤)

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢/١) .
(٢) من قصيدته في مدح أبي أيوب بن أخت أبي الوزير الديوان (١٧٦/١) والنس
بالديوان (ما تنطوى ببسا) والضمير في أرضيهم عائد على الناس في قوله :

الناس حولك روضة ما تترقى ربا النبات ومنهل ما يورد

(٣) من قصيدته في عتاب أبي العباسي بن بسطام الديوان (٢٧٩/٢) .

(٤) من قصيدته في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي ، التي مطلعها : =

وكذلك قوله :

لِلرَّبِّ مالٌ كِلاَسَتْ شَمْلُهُ تَجْمَعُ فِي نَشْتِيتهِ لِلْأَمَلِ شَمْلٌ (١)

بما استمدبته قوله في هذا الباب :

كَانَ سُهَادَ اللَّيْلِ يَنْشَقُّ مُقَاتِي فِيبْنِهِمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصَلٌ (٢)

ومما جاء من هذا الباب :

لَمَّا اعْتَمَقْنَا لِلوَدَاعِ وَأُعْرِبَتْ عِبْرَاتُنَا عَنَّا بِدَمْعِ نَاطِقِ

فَرَقَنْ بَيْنَ مَعَاجِرٍ وَمَحَاجِرٍ وَجَمَعَنْ بَيْنَ بَنَفْسِجٍ وَشَقَاتِقِ (٣)

وهذا تحته معنى يسأل عنه غير المقابلة ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالبنفسج والشقاتق هو عارض الرجل وخذ المرأة ، لأن من العادة أن يشبه العارض بالبنفسج . وهذا قول غير سائغ ، لأن العارض إنما يشبه بالبنفسج عند أول ظهوره ، فإذا طرأ وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شُبه بالبنفسج ، لأنه يكون بين الأخضر والأسود ، وليس في الشعر ما يدل على أن تلودع كان شابا قد طرأ عارضه ، والذي يقتضيه المبنى أن المرأة قامت للوداع فزقت خمارها ، ولطمت

== أقل فعالي بله أكثره مجد وذا الجدي فيه نلت أم لم أنل جد
الديوان ١٠٨/٢) تقال : نعت لمشايع في البيت السابق له ، يريد أنهم تقال الوطاة
على . المدو : خفاف : سريعو الإجابة للنجدة . كثير لإشادوا دلالة على أن الواحد منهم يسد
مسد الجماعة .

(١) من قصيدته في مدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي ، التي مطلعها :
عزيز أسي من داؤه الحدق النجل عياء به مات المحبون من قبل
(الديوان ٣/٣٧٠) شت : تفرق . الشمل : الاجتماع ، أي كلما تفرق شمل ماله
اجتمعت معاليه .

(٢) من القصيدة نفسها .

(٣) المعاجر : جمع معجر على وزن منبر ثوب تمتجر به المرأة .

المحاجر : جمع محجر على وزن مجلس وهو للمعين .

حدها ، فجمعت بين أثر العلم ، وهو شبيه بالبنفسج ، وبين لون الخلد وهو شبيه
الشقائق ، وفرقت بين خمارها وبين وجهها بالتزيق ولهاك وموجدة على الوداع ،
هذا هو معنى البيت لا ما ذهب إليه هذا الرجل .

[المقابلة في المعنى دور اللفظ] :

وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فما جاء منه قول المفتح الكندي
من شعراء الحماسة :

لهم جُلٌّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قول مالى لم أكلفهم رِفداً (١)
فقوله تتابع لى غنى بمعنى قوله كثر مالى ، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من
جهة اللفظ ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام
وقعد وحل وعقد وقل وكثر ، فإن القيام ضد القعود ، والحل ضد العقد ، والقليل
ضد الكثير ، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابله بألفظ مركب كان
ذلك مقابلة معنوية لا لفظية ، فأعرف ذلك .

[مقابلة الشيء بما ليس بضده] :

وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده فهي ضربان : أحدهما ألا يكون مثلاً
والآخر أن يكون مثلاً ، فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين :

الأول : ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب ، كقول قُرَيْب
ابن أُنَيْف :

(١) اسم الشاعر محمد بن ظفیر بن عمیر ، من شعراء الدولة الأموية وكان فيما قالوا
جيلاً مشرق الوجه ، فكان يستوجهه لجماله ، فسمى المفتح . وهذا البيت من أبيات اختارها
أبو تمام في الحماسة ، أولها .

يماني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا
(شرح ديوان الحماسة للرزوقي ٣/ ١١٧٨ .

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَفْرَعةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(١)
فقابل الظلم بالمنفرة ، وليس ضدًا لها ، وإنما هو ضد العدل ، إلا أنه
لما كانت المنفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم ، وعلى هذا
جاء قوله تعالى « أَشِدُّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ »^(٢) فإن الرحمة ليست ضد
الشدّة ، وإنما ضد الشدة اللين ، إلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين
حَسُنَتْ المقابلة بينها وبين الشدة .

وكذلك ورد قوله تعالى « إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ »^(٣) . فإن المصيبة سيئة ، لأن كل مصيبة سيئة
وليس كل سيئة مصيبة ، فالتقابل ها هنا من جهة العام والخاص .

النوع الثاني : ما كان بين المقابل والمقابل به بُعْدٌ ، وذلك مما لا يحسن استعماله
كقول أم النجيف وهو سعد بن قُرظ وقد تزوج امرأة كانت تهتم عنها فقالت من
أبيات تدمها فيها :

تَرَبَّصْ بِهَا الْأَيَّامَ عَلَّ صُرُوفَهَا سَتَرِمِي بِهَا فِي جَاحِمٍ مُنْتَسِرٍ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدَمَنَاهُ إِلَيْهِ بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِمَةِ الْحِرِّ^(٤)

(١) من أبيات في الحماسة ، يقرع فيها قومه على تظليلهم من نصرتهم ، أولها :

لو كنت من مازن لم تستبح لبل بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
(شرح الحماسة للرزوقي ٢٢/١ والتبريزي .

(٢) الفتح ٢٩ .

(٣) التوبة ٥٠ .

(٤) في الأصل أم المنصف ، وابن قرظ ، لكن الذي في شرح الحماسة للتبريزي ٣٥٢/٤

وفي شرحها للرزوقي ١٨٦٢/٤ هو ما أنبتناه .

فقولها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة ، بل الأولى أن كانت قالت بضيق الأخلاق واسعة الحر ، حتى تصح المقابلة ، وهذا مما يدل على أن العربي غير مهتم إلى استعمال ذلك بصنعتة ، وإنما يجيء له منه ما يجيء بطبعمه لا بتكافئه ، وإذا أخطأ فإنه لا يعلم ولا يشعر به ، والدليل على ذلك أنه لو أبدت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة ، وإنما يُنذَرُ من يُنذَرُ في ترك المقابلة في مثل هذا المقام إذا كان الوزن لا يواتيه . . .

وأما المخدثون من الشعراء فإيهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه ، لا جرّم أنهم أشدُّ ملامة من العرب .

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

لَمَنْ تَطَلَّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُتْرَدْ سَهَا سُرُورٌ مَحَبٌ أَوْ إِسَاءَةٌ مَجْرَمٌ^(١)

فإن المقابلة الصحيحة بين المسحبِّ والمُبغض لا بين المحبِّ والمجرم ، وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها ، وإنما هي بعيدة ، لأنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضالك .

[المواخاة بين المعاني .]

ومما يتصل بهذا الضرب من الكلام يسمّى المواخاة بين المعاني والمواخاة بين المباني ، وكان ينبغي أن نمقده له بابا مفردا ، لكننا لما رأينا أنه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به .

(١) هذه هي رواية الديوان (٣٤٣/٤) وفي الأصل يطلب ويرد ومساءة . والبيت من قصيدة في مدح كالفور .

أما المواخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لا مع الأجنبي ،
مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به ، فإن
ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة ، وإن كان جائزا .
فمن ذلك قول السكيت :

أم هل ظمانٌ بالعياء رافعةٌ وإن تكامل فيها الدلُّ والشنبُ^(١)

فإن الدلُّ يذكر مع الفنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما
أشبهه ، وهذا موضع يفاظ فيه أرباب النظم والنثر كثيرا ، وهو مظنة الغلط ،
لأنه يحتاج إلى ناقب ففكرة وحذق ، بحيث توضع للمعاني مع أخواتها لا مع
الأجنبي منها .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج أنه اجتمع نُصَيْبٌ والسكيت وذو الرمة
فأنشد السكيت « أم هل ظمانٌ » البيت ، فعمد نُصَيْبٌ واحدة ، فقال له
السكيت : ماذا تعنى ؟ قال خطأك ، فإنك تباعدت في القول ، أين الدلُّ
من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

كُمِيَاهُ فِي شَفَقِيهَا حُوَّةٌ ، لَعَسُ فِي لَانَاثٍ وَفِي أُنْيَاهَا شَنْبُ^(٢)

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك :

لَهُ اعْتِدَالٌ وَانْتِهَابٌ قَدَّ وَجِلْدُهُ بِشِبْهِ وَشَى الْبُرْدِ

(٢) ليس البيت بالهشاميات . الشنب : ماء ورقة وعذوبة وبرد في الأسنان .

(١) الأغاني ١/١٣٤ مع بعض تفسير . الشنب : ماء ورقة وعذوبة وبرد في الأسنان .
لياء : سمراء الشفة . الحوة : حرة مشوبة بسواد . اللعس : سواد مستحسن
في الشفة .

كانها الرَّدَابُ في الفِرْدِ مُحَمَّدَوْدُبُ الظَّهْرُ كَرِيمُ الْجَدِّ (١)
فإنه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجَدِّ ، وهذا لا يناسب هذا ، لأن الظهر من
جمله الخَلْقُ ، والجَدُّ من النسب ، وكان ينبغي أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه
وبواخيه .

وكذلك أخطأ أبو نواس في قوله أيضاً :

وقد حَلَفْتُ يَمِيناً مَبْرُورَةً لَا تُكْذَبُ

رَبِّ زَمَزَمَ وَالْحَوْضِ وَالصَّفَا وَالْمَحْصَبِ (٢)

فإن ذكر الحوض مع زمزم والصفاء والمحصب غير مناسب ، وإنما يذكر
الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراها ، وأما زمزم والصفاء والمحصب فيذكر
معها الركن والحطيم وما جرى مجراها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله أيضاً :

أَحْسَنُ مِنْ هَنْزِلِ بَدْيِ قَارِ مَنْزِلُ خَمَارَةٍ وَخَمَارِ

وَشَمُّ رَمْحَائِهِ وَرَمَجِيَّةِ أَحْسَنُ مِنْ أَيْنِقِ بَأْ كَوَارِ (٣)

فالبيت الثاني لامقارنة بين صدره وعجزه ، وأين شم الريحان من الأينق

(١) في الديوان تحقيق الغزالي (٦٤٥) مقطوعة في وصف ديك هندي ، أولها :

أنت ديك من ديوك الهند كريم هم وكريم جد

وليس بهاذن البيتان . لكنهما في ديوانه من قصيدة في وصف ديك (الطبعة الموسومة)

(٢) من مقطوعة مطلعها :

جدان مالك تقضب على في غير مقضب

(الديوان ٧٢٤) .

(٣) المطام في الديوان (١٦٠) :

أحسن من منزل بدى قار منزل خماره بالانبار

الأكوار : جمع كور وهو الرجل .

بالأكوار ؟ وكان ينبغي له أن يقول شَمُّ الرِّيحَانِ أَحْسَنُ مِنْ شَمِّ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ ،
وَرَكُوبُ الْفَتَيَاتِ الرُّودِ أَحْسَنُ مِنْ رَكُوبِ الْأَبْنِقِ بِالْأَكُوَارِ ، وكل هذا
لَا يُعْتَنُّ لَوْضَعِهِ فِي مَوَاضِعِهِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ . وقد كان يقاب على " السمو " في بعض
الأحوال حتى أسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ، ثم إنى
كنت أتأمل ما صنعته بمد حين فأصلح ما سموتُ عنه .

[المُواخَاةُ بَيْنَ الْمَبَانِي]

وأما المُواخَاةُ بَيْنَ الْمَبَانِي فَإِنَّهُ يَتَمَلَقُ بِمَبَانِي الْأَلْفَاظِ .

فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح :

مُتَقَفَّاتٌ سَكَبْنَ الْعُرْبَ سُمْرَتَهَا وَالرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَضَا^(١)

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد ، غير أن فيه نظرا ، وهو قوله العرب
والروم ، ثم قال العاشق ، ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن ، إذ كانت
الأوصاف تجري على (سهج) واحد ، وكذلك قوله سمرتها زرقتها ، ثم قال القضا ،
وكان ينبغي أن يقول قضنها أو دقمها .

وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد :

تَقَدَّصَتْ بِكَ الْأَحْلَاسُ أَنْفَاصَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعَتْ نِزَاعَهَا الْأَمْصَارُ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ يُشْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ^(٢)

(١) البيت من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان ٣٥٩/٣)

ونصه في الديوان :

مُتَقَفَّاتٌ سَكَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعُرْبَ سُمْرَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَضَا
مُتَقَفَّاتٌ مَقْرَمَاتٌ . القضا : النخاعة والضمور ، يقول إنها مقومات معدلات ، سمر
كالرب ، زرق الأسننة كالروم ضامرة كالعاشق .

(٢) من رثائه ليزيد بن يزيد ، والبيتان في الديوان ٣١٣ =

والأحسن أن يقال السهل والوعر، أو السهول والأوعار، ليكون البناء اللفظي واحداً، أي أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الإفراد، ولا يكون أحدهما مجموعاً، والآخر مفرداً :

وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر :

صَـرَّاهُ تَجَدَّاهُ مَرَّازٍ بِهـَا جَآتِ عَنِ النَّظْرَاءِ وَالنَّمِيلِ (١)

فجمع وأفرد في معنى واحد، وهو أنه قل النظراء مجموعاً، ثم قل المثل مفرداً، وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل، أو النظراء والأمثال .

وعلى ذلك ورد قوله أيضاً، والإنكار يتوجه فيه أكثر من الأول، وهو :

أَلَا يَا بَنِي الَّذِينَ قَنَوا فَنَوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبْقَى

وَمَالِكٌ فَاعْلَمَنَّ فِيهَا مُقَامٌ إِذَا اسْتَكَلَّتْ آجِالاً وَرَزَقاً (٢)

وموضع الإنكار هاهنا أنه قال آجالاً ورزقاً، وكان ينبغي أن يقول أرزاقاً أو أن يقول أجلاً ورزقاً، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الأجل فقال آجالاً، والإنسان ليس له إلا أجل واحد، ولو قال أجلاً وأرزاقاً، لماعيب، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة، لاختلاف ضرورها وأجناسها .

== نقضت بك الآمال أحلاس الفنى واسترجمت نزاعها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة أننى عليها السهل والأوعار
الأحلاس : جمع حلس وهو الذى يوضع تحت الرجل
(١) من قصيدته التى مطلعها :

كان الشباب مطية الجهل وعسن الضحكات والمزل
(الديوان ٤٢) المرازب والمرازبة جمع مرزبان وهو أحد الحكام والقواد الفرس .

(٢) رواية الديوان ٩٨ (المطبعة العمومية)

أَلَا يَا بَنِي الَّذِينَ قَنَوا وَبَادُوا أَمَا وَاقِهْ مَا بَادُوا لَتَبْقَى
وَمَالِكٌ فَاعْلَمَنَّ بِهـَا مُقَامٌ إِذَا اسْتَكَلَّتْ آجِالاً وَرَزَقاً

وإذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا النار مطالباً به دون الناظم، لمكان إمكانه من التصرف . وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجباً في الاستعمال ، وأنه لا يحسن المحيد عنه ، حتى مررتُ بي في القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى في سورة النحل ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ أَنِ اتَّبِعُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) . ولو كان الأحسن لزوم للبناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال ، أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين .

وكذلك ورد قوله تعالى :

﴿ أولئك الذين صمّ الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ (٢) فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع .

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿ حتى إذا ما جاءوها شهده عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ﴾ (٣) فذكر السمع بلفظ الإفراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع .

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ، ولو كان هذا معتبراً في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام ، والأخذ في مقام الفصاحة والبلاغة إنما يكون منه والمول عايه .

وينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتهما قبلةً للبشر المؤمنين ﴾ (٤) .

(١) النحل ٤٨ .

(٢) النحل ١٠٨ .

(٣) فصلت ٢٠ .

(٤) يونس ٨٧ .

وربما قيل إن هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وإفراد ، وظنُّ أنها من هذا الباب ، وليس كذلك لأنها مشتملة على خطاب موسى وهارون عليهما السلام أولاً في اتخاذ المساجد لقومهما ، ثم نثى الخطاب لهما ولقومهما جميعاً ، ثم أفرد موسى عليه السلام ببيشارة المؤمنين ، لأنه صاحب الرسالة .

[مقابلة الشيء بمجنس]

الضرب الثانى فى مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلى فرعين : أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد ، والآخر مقابلة الجملة بالجملة .

النوع الأول كقوله تعالى « نسوا الله فسيهم »^(١) وكقوله تعالى « ومكروا مكراً ومكراً مكرأ »^(٢) وقد روى هذا الموضوع فى القرآن الكريم كثيراً ، فإذا ورد فى صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلاً ، كقوله تعالى « من كفر فعليه كفره »^(٣) وكقوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »^(٤) ، وهذا هو الأحسن ، وإلا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه ، كان ذلك جائزاً . لكن الأحسن هو ما ورد فى كتاب الله تعالى ، وعليه مدار الاستعمال .

وهذا الحكم يجرى فى النظم والنثر من الأسجاع والأبيات الشعرية ، فأما إن كان ذلك غير جواب ، فإنه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية . الا ترى أنه قد قولت الكلمة بكلمة هى فى معناها وإن تسكن مساوية لها فى اللفظ ، وهذا يقع فى الألفاظ المترادفة ، ولذا يُستعمل ذلك فى الموضع الذى ترد فيه الكلمة غير جواب .

(١) التوبة ٦٧

(٢) النمل ٥٠

(٣) الروم ٤٤ .

(٤) الشورى ٤٠

فما جاء منه قوله تعالى تعالى : « وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِمَا يَفْعَلُونَ » (١) ولو كان لا تورد الكلمة إلا بمثلاً لقل وهو أعلم
بما تعملون .

وكذلك قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخضم إذ تسوروا المحراب ،
إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا نخف ، خصمان ، بفسى بمضنا
على بعض » (٢) فقال لا تخف بعد قوله ففزع ، ولما كان هذا في معنى هذا
قوبل أحدهما بالآخر ، ولم يقابل اللفظ بنفسه .

وكذلك جاء قوله تعالى : « لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض
ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » (٣) فذكر الاستهزاء
الذي هو في معنى الخوض واللعب ، وقابل به الخوض واللعب ، ولو ذكره على
حد المماثلة والمساواة لقال : أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون
وتلعبون ..

فإن قيل إنك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ، ونرى قد ورد
في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها » (٤) ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها ، فالجواب على ذلك أني أقول أردت
أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ، ولسكنك شيدته ، والذي ذكرته هو

(١) الزمر ٧٠

(٢) من ٢١ - ٢٢ .

(٣) التوبة ٦٥ .

(٤) يونس ٢٧

دليل لي لالك ، ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى « جزاء سيئة بمثلها » وبين قوله « جزاء سيئة سيئة مثلها » ، إذا المعنى واحد لا يختلف ، ولو جاء عوَضًا عن السيئة لفظًا أخرى في معناها كالأذى والسوء أو ماجرى مجراها لصح لك ما ذهبت إليه .

وقد ذهب بعض المتصدرين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وإن لم يكن جوابًا كالذي تقدم ، فينبغي أن تُعاد بعينها في آخره ، ومتى عدل عن ذلك كان مَعِيبًا ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب للثعبي ، فقال إن أبا تمام أخطأ في قوله :

بَسَطَ الرَّجَاءَ لَنَا بَرَّغِيمِ نَوَائِبِ كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعَ الْأَمَالِ^(١)

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضا في عجزه ، أو كان ذكرَ الْأَمَالِ في صدر البيت وعجزه .
وكذلك أخطأ أبو الطيب الثعبي في قوله :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَّصَتْ غُرُورُ^(٢)

فإنه قال إنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ ، وكان ينبغي أن يقول إنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ عَلِيمٌ ، ليكون ذلك تناوبًا صحيحًا .

وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس بشيء ، بل للمعتمد عليه في هذا الباب أنه

(١) من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء ، مطلعها :

كفى وذاك فإني لك قائلٍ ليست هوادي عزمي يتوالى
(الديوان ٧٦/٣)

(٢) من رثائه لمحمد بن إسحاق التبوخي (الديوان ٢٧٨/٢)

إذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز استعمالها في المقابلة بينهما ، والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن الكريم ، وكفى به دليلا ، وهذه الرموز التي هي أمرار الكلام لا يَتَفَطَّنُ لا استعمالها إلا لأحدر رجلين : إما فقيه في علم البيان قد مارسه ، وإما مشقوق اللسان في الفصاحة قد خُلقَ عارفاً بلطائفها ، مستغنياً عن مطالعة معانيها ، وهذا لا يكون إلا عربي الفطرة يقول ما يقوله طبعاً ، على أنه لا يُسدِّدُ في جميع أقواله ، ما لم تكن معرفته الفطرية بمزوجة بمعرفته العرفية .

الفرع الثاني في مفاصلة الحمد بالمحمد :

أعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مُسْتَقْبَلَةً قوبلت بمستقبله ، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية ، وربما قوبلت الماضية بالمستقبله ، والمستقبله بالماضية ، إذا كانت إحداها في معنى الأخرى .

فمن ذلك قوله تعالى : « قل إن ضللتُ فإنما أضِلُّ على نفسي ، وإن اهتديتَ فبِإِذْنِ رَبِّي »^(١) فإن هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان للتقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديتَ فإنما اهتديتَ لها .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضارٌّ لها فهو بسببها ومنها ، لأنها الأمانة بالسوء ، وكل ما هو لها مما ينفعها ، فهداية ربها وتوفيقه إياها ، وهذا حُكْمٌ عام لكل مكلف ، وإنما أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَسْتَدِدَّ ذلك إلى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل تحتَه مع علوِّ مَحْمَلِهِ وسداد طريقتِهِ كان غيره أولى به .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « ألم يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا »^(٢) فإنه لم يراعِ التقابل في قوله « ليسكنوا فيه ومبصرًا » ، لأن

(١) سورة سبأ ٥٠ .

(٢) سورة النمل ٨٦ .

القياس يقتضى أن يكون « والنهار ليُبصروا فيه » وإنما هو مرادى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وهذا النظم المطبوع غير المحسكف ، لأن معنى قوله مبصرا ليُبصروا فيه طُرُق القلب في الحاجات .

واعلم أن في تقابل المعانى بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل ، وزيادة نظر ، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنشور وبالأهجاز من الأبيات الشعرية .

فما جاء من ذلك قوله تعالى في ذم المنافقين : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ^(١) . » وقوله تعالى : « وإذا قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس قلوا: أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ^(٢) . »

ألا ترى كيف فصل الآية الأخرى بيملون ، والآية التي قبلها يشعرون . وإنما فعل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل ، تحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتب الناظر العلم والعرفة بذلك ، وأما التناقض وما فيه من البنى المؤتى إلى الفتنه والفساد في الأرض فأمر دينوى مبنى على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتناور ، فهو كالحسوس عندم ، فلذلك قال فيه « يشعرون » ، وأيضا فإنه لما ذكر السقه في الآية الأخيرة وهو جهل ، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا ، فقال « لا يعلمون » .

وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا ، كقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ^(٣) . » وكقوله تعالى :

(١) سورة البقرة ١١ - ١٢ .

(٢) سورة البقرة ١٣ .

(٣) سورة الحج ٦٣ .

« مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ^(١) ». وكقوله : « الْمُرْسَلُونَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ لِيُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يُحِبُّونَ ». وَبِمَنْعِكُمُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ^(٢) » .

فإنه إنما فصّلت الآية الأولى بلطيف خبير ، لأن ذلك في موضع الرحمة خلقه بإنزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فإنما فصّلت بغنى حميد ، لأنه قال : « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » له لا لحاجة ، بل هو غني عنها جواداً بها ، لأنه ليس كل غني نافعاً لغيره ، إلا إذا كان جواداً منيعاً ، وإذا جادوا نفعهم حده المنعم عليه واستحق عليه الحمد ، فذكر الحميد ليدل على أنه الغني النافع بغناه خلقه .

وأما الآية الثالثة فإنها فصّلت برءوف رحيم ، لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر بهم ، وتسييرهم في ذلك المول العظيم ، وخلق السماء فوقهم ، وإمساكها إياها عن الوقوع ، حسن أن يفصل ذلك بقوله رءوف رحيم ، أي أن بهذا الفعل فعل رءوف بكم رحيم لكم .

واعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قد أوجد هذه الملامم والمناسبات في كلامنا ناظراً أو ناظراً .

ومن الآيات ما تشكّل فاصلته فتحتاج إلى فكرة وتأمل ، كقوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُرَكَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَمَامَةً عَلَيْهَا إِذْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ^(٣) » .

فإنه قدوردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ، ويظن الظان أن هذا كذلك ، ويقول إن التوبة مع الرحمة لأمم الحكمة ، وليس كما يظن ، بل الفاصلة بتواب حكيم أو لى من تواب رحيم ، لأن الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التي أمر بها ، وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده ، وذلك حكمة منه ، ففصّلت الآية الواردة في آخر الآيات بتواب حكيم ، فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة .

وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه نفعا ولا أعظم فائدة

وما جاء من هذا الباب قول أبي الطيب للنتبي :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الأبطال كلى هزيمةً ووجهك وضاحٌ وتفرُّك باسمٍ
وقد أخذ على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخر البيت الثانى
وأخر البيت الثانى آخر البيت الأول لكان أولى .

ولذلك حكاية ، وهى أنه لما استنشه سيف العولة يوماً قصيدته التى أولها :
« على قدر أهل العزم تأتي العزائم » (١) .

فلما بلغ إلى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك ، كما أنتقد على امرئ .
النتيس قوله :

كأنى لم أركب جوراً للذة ولم أتبعن كاعبادت خلمخال

(١) مطلع القصيدة في مدح سيف الدولة لابن نثر الحدث ٣٤٣ هـ
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام للكلام

• ولم أشتبا الوقت الروي ولم أقل: ليلتي كرمي كرامة بعد إختلال (١)

فبيبتك لم يلغشم شطراهما ، كما لم يلغشم شطرا بيتي امرى القيس ، وكان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لو اتف ووجهك وضاح وشرك باسم
صرت بك الأبطال كلتي هزيمة كأنك في جنن الردى وهو نائم

نقال للتأني: إن صح أن القمي استدرك على امرى القيس هذا علم بالشمر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، وهولانا يعلم أن التوب لا يعلمه البراز كما يعلمه الحائك ، لأن البراز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله ، وإنما قرآن امرؤ القيس النساء باذة الركوب الحديد ، وقرن السباحة بسبب الطمر الأضياف بالشجاعة في منازقة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتيتته بذكر الردى في آخره ، ليكون أحسن تلاؤما ، ولما كان وجه المهزم الجريح عبوساً وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وشرك باسم ، لأجمع بين الأضداد .

القسم الثاني في صفة التقسيم وفساره :

ولسنا نريد بذلك هاهنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب إليه المتكلمون ، فإن ذلك يقتضى أشياء مستحبة ، كقولهم الجواهر لا تخلو إما تكون مجتمعة أو مفترقة ، أو لا مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة ، أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة . ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل ، لاستيفاء الأقسام جميعها ، وإن كان من جملتها ما يستحيل وجوده .

(١) من قصيدته التي مطلعها :

وهل يعدن من كان في العصر الضال

الأعم صباحا أيها الظلل البال

(الديوان ٢٧)

وإنما يزيد بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه اللفظ مما يمكن وجوده ، من غير أن يُترك
منها قسم واحد ، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ، ولم يشارك غيره ، فتارة
يكون التقسيم بلفظة إما ، وتارة بلفظة بين ، كقولنا بين كذا وكذا ، وتارة بلفظة
منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا ، وتارة بأن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم
يقسم ، كقولنا : فانشعب القوم شعباً أربعمائة : فشعبة ذهبت يميننا ، وشعبة ذهبت
شمالا ، وشعبة وقفت بمكانها ، وشعبة رجعت إلى ورأسها .

فما جاء من هذا القسم قوله تعالى : « ثم أوزننا الكتاب الذين أضطأنا
من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابق بالخيرات »^(١) .
وهذه تسمية صحيحة ، فإنه لا يخلو العباد من هذه الثلاثة ، فإما عاصٍ ظالم
لنفسه ، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات ، وإما مقتصد بينهما .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « وكنتم أزواجاً ثلاثة ، فأصحاب اليمين ما أصحابُ
اليمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحابُ المشأمة والسابقون السابقون^(٢) . وهذه الآية
منطبقة المعنى على الآية التي قبلها ، فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب
اليمين هم المقتصدون ، والسابقون هم السابقون بالخيرات .

وعلى نحو ذلك جاء قوله تعالى : « هو الذي يُريكم البرق خوفاً وطمعاً »^(٣)
فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطمع ، وليس لنا قسم ثالث .

فإن قيل إن استيفاء الأقسام ليس شرطاً ، وترك بعض الأقسام لا يقدحُ
في الكلام ، وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « لا يستوي أصحابُ

(١) سورة فاطر ٣٢

(٢) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(٣) سورة الرعد ١٢

النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون «^(١) فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار ، فالجواب على ذلك أني أقول هذا لا ينقضُ على ما ذكرته ، فإن استيفاء الأقسام يلزم فيما استقبهم الإجمال فيه ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم » فإنه حيث قال (فهم) لزم استيفاء الأقسام الثلاثة ، ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز ، وأما هذه الآية التي هي « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة » فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر ، للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا بالأصحاب الجنة

وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى ، فإنه إنما يُنظرُ فيه إلى المُستبهم وغير المستبهم فاعرفه .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يُعجبون بقول بعض الأعراب ، ويزعمون أن ذلك من أصح التفسيرات وهو قولهم : « النعمُ ثلاث : نعمة في حال كونها ، ونعمة تُرجى مستقبله ، ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجيه ، وتفضل عليك بما لم تحسبه » .

وهذا القول فاسدٌ ، فإن في أقسام النعم التي قَسَمَها نقصا لا بد منه ، وزيادة لاحاجة إليها ، فأما النقصُ فإففال الدمة الماضية ، وأما الزيادة فقوله بعمد المستقبله « ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة » ، لأن النعمة التي تأتي غير مُحْتَسَبَة داخله في قسم النعمة المستقبله ، وذلك أن النعمة المستقبله تنقسم قسمين : أحدهما يُرجى حصوله ، والآخر لا يُحْتَسَب ، فقوله « ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة » يوم أن هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخل فيه .

وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول: النعم الثلاث نعمة ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلة ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية ، وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ، ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها .

ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طابق به مفصل الصواب ؟
وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى في قوله :

جِئْتُ لَنَا فِرْقُ الْأَمَانِي مِنْكُمْ بِأَبْرٍ مِنْ رُوحِ الْحَيَاةِ وَأَوْصِلِ
فَصَنِيمَةً فِي يَوْمِهَا وَصَنِيمَةً قَدْ أُخْوِكَ وَصَنِيمَةً لَمْ تَحْوِلِ
كَالْمُزْنِ مِنْ مَاضِي الرَّبَابِ فَتَقْبِلِ مُتَنَظِّرٍ وَتُحْيِمِ مُتَمَلِّلِ (١)

ووقف أعرابي على مجلس الحسن البصرى رضى الله عنه فقال : « رحم الله عبدا أعطى من سعة ، أو آتى من كفاف ، أو أمر من قلة » فقال الحسن البصرى : ما ترك لأحد عذرا .

وقد عاب أبو هلال العسكري على جميل قوله :

لو كان في قلبى كَقَدَرِ قَلَامَةٍ حُبًّا وَصَلْتُكَ أَوْ أُنْتُكَ رَسَائِلِ (٢)

فقال أبو الهلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل (٣) ، وليس الأمر

(١) من مدحه لأحمد بن أبي دواد الإباضى (الديوان ٤٩/٣) في الأصل فوق بدلا من فرق .

(٢) قبل هذا البيت أبيات منها :

فرب طارئة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالرفق بعد نعت حي يثنيه عن وصالك شاغلي

(الديوان ٨٣)

(٣) الصناعمين ٣٤٨ .

كما وقع له ، فإن جيلا إنما أراد بقوله وصلتك أى أتيتك زائرا وقاصدا ،
أو كنت راسلتك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين ، إما زيارة
وإما رسالة .

ومن أعجب ما وجدته فى هذا الباب ما ذكره أبو الملاء محمد بن غانم
المعروف بالغامى^(١) وهو قول الدهاس بن الأحنف :

وِصَالِكُمْ هَجْرٌ وَحَبِيبِكُمْ قَوْلٌ وَعَطْفُكُمْ صَدٌّ وَسِدُّكُمْ حَرْبٌ^(٢)

ثم قال الغامى : هذا والله أصح من تقسيمات إقليدس^(٣) .

ويافى العجب ، أين التقسيم من هذا البيت ؟ هذا والله فى وادٍ والتقسيم
فى وادٍ ، ألا ترى أنه لم يذكر شيئا تخضره القسة ، وإنما ذم أحبابه فى سوء
صنيعهم به ، فذكر بعض أحواله معهم ، ولو قال أيضا :

وَلِيْنِكُمْ عُنْفٌ وَقَوْلُكُمْ نَوَىٰ وَإِعْطَاؤُكُمْ مَنَعٌ وَصِدْقُكُمْ كِذْبٌ

لكان هذا جائزا . وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ، ولو أنه تقسيم لما احتل
زيادة ، والأولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الغامى إلى باب المقابلة ، فإنه
أولى به ، لأنه قابل الوصل بالهجر ، والعطف بالصد ، والسلام بالحرب .

ومن فساد التقسيم قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها :

« ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا » فقال :

(١) الديوان ١٣

(٢) سبق التعريف بالغامى . إقليدس : رياضى هندسى يونانى قديم .

قَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسَمِّدًا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ حَذُولًا^(١)

فإن المشوق يكون حزينًا ، والمسعد يكون معينًا ، وكذلك يكون عازرًا .
وكثيرا ما يقع البهقري في مثل ذلك .

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي وهو .

فأفخر فإن الناسَ فيكَ ثلاثةٌ مُستَـمَظِّمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ^(٢)

فإن المستمظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستمظما ، ومن شرط التقسيم
ألا تتداخل أقسامه بعضها في بعض .

ومن هذا الأسلوب ما ورد في أبيات الحماسة^(٣) وهو :

وَكُنْتَ امْرَأً إِمَّا اتَّمَمْتُكَ خَالِيَا قَبَخْتُ وَإِمَّا قَلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ

فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

فإن الخيانة من الإثم ، وهذا تقسيم فاسد .

(١) في مدح محمد بن علي عيسى القمي . والشطر الثاني هو : « مقصرا من صباية أو

مطيلا » الديوان ٢١٠/٢

(٢) من قصيدة في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، مطلعها :

لله يا منازل في القلوب منازل أفقرت أنت ومن منك أو اهل

(الديوان ٤٥٥/٢)

وفي الديوان (يا أفخر) يريد ما هذا أفخر ، غذف للنادي كقراءة علي بن حمزة (ألا
يا اسجدوا لله الذي يخرج الحب) أو أن حرف النداء هنا لتفنيه مثل ألا ، كقول ذي الرمة :

ألا يا اسلمى يادارى على البلى ولا زال منهلا بجر عائتك القطر

(٣) ذكر التبريزي أن القائل عبد الله بن عام السلوي ، وكان قد وشى به واشى إلى

زياد بن أبي سفیان ، ثم جم بينهما زياد ، فقال عبد الله لواشى هذين البيعين وفي الحماسة

(وأنت امرؤ إما اتتمتكت)

(شرح التبريزي لديوان الحماسة ١٤٢/٣ وشرح الرزوقي ١١٣٩/٣)

ومما جاء من ذلك ثرا قول بعضهم في ذكر منزهين « فمن جريح مُتَصَرِّجٍ
بدمائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » فإن الجريح قد يكون هاربا ، والهارب
قد يكون جريحا . ولو قال فَمِنْ بين قتيل ومأسور وفاج ، لصح له التقسيم ،
أولو قال فَمِنْ بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا ، لعدم الناجي بينهما .

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى حيث قال :

غَادَرْتُهُمْ أَيْدِي الْمَتِيَّةِ صُجُوحًا بِالْقَنَا بَيْنَ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ
فَهُمْ فَرَقَتَانِ بَيْنَ قَتِيلٍ قُنِصَتْ نَفْسُهُ بِمَحْدِّ الْحَدِيدِ
أَوْ أُسِيرَ غَدَالُهُ السَّجْنُ لِحْدًا فَهُوَ حَيٌّ فِي حَالَةِ الْمَأْخُودِ
فِرْقَةٌ لِلسُّيُوفِ يَنْفُذُ فِيهَا السُّحُكُومُ قَصْدًا أَوْ فِرْقَةٌ لِلقَبُودِ^(١)

ومن فساد التقسيم قول أبي تمام :

وَمَوْقِفٌ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مَنْقَطَمٌ صَالِيهِ أَوْ مَجْهَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ^(٢)

فإنه جعل صالي هذا الموقف إما ذليلا عنه أو هالكا فيه ، وهاهنا قسم ثالث
وهو ألا يكون ذليلا ولا هالكا ، بل يكون مُقَدِّمًا فيه ناجيا . وفي هذا نظر
على من ادعى فساد تقسيمه ، فإن أبا تمام قصد التلويح في وصف هذا الموقف ،
فقال إن الناس فيه أحدٌ رجلين : إما ذليل عن مَوْرِدِهِ ، وإما هالك فيه ، أي
أنه لا ينجو منه أحد يَرِدُهُ .

وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه .

(١) ليست بديوانه .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بالله والقي في الديوان (ومشهد بين حكم القل)

ترتيب التفسير

والقسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصحح من ذلك وما يفسد .
اعلم أن هذه الترتيب في ذلك أن ويذكر في الكلام معان مختلفة ، فإذا عيّد
إليها بالذكر لتفسر قدم للقدم وأخر المؤخر ، وهو الأحسن ، إلا أنه قد ورد
في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ، ولم يرع فيه تقديم للقدم
ولا تأخير المؤخر ، كقوله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من
السماء والأرض إن نشأ نخيف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء
إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ^(١) » ولو قدم تفسير المقدم في هذه الآية وأخر
تفسير المؤخر لقال إن نشأ نسقط عليهم كسفاً من السماء أو نخسف بهم
الأرض .

وكذلك ورد قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فاما الذين
اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .
وأما الذين ابيضت وجوههم ^(٢) » فقدم المؤخر وأخر المقدم .
والقسمان وردا جعباً في القرآن الكريم .

فما روى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى : « وما تؤخره إلا لأجل
معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فاما الذين
شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض
إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين

(١) سورة سبأ ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ^(١)»

ومن ذلك قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصرة^(٢) .

وكذلك قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الليل أنسكنوا فيه والنهار مُبصراً^(٣) » فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التميش .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب تمزية وهو فصل منه قلت : ولقد أوحشت منه للعالي كما أوحشت المنازل ، وآمت المسكارم كما آمت الحلائل ، وعمت لوعة حطبه فما تشكك كل إلا إلى ثا كل ، وما أقول فيمن عدت الأرض منه حياها ، والحامد تحياها ، فلو نطق الجاد بلسان ، وتصور المعنى ليران ، لأفربت تلك عن ظمأ صيدها ، وبرزت هذه حاسرة حول فقيدتها .

ومن ذلك ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان قلت « وما زالت أيادي سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكتابها ، فهذه متطولة بترقية وزدها ، وهذه آخذة بسنة أغبائها ، وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متحلية بفواضل الإكثار ، وفي الثانية أنها تأتي متحلية بفضائل الاختصار ، فاختصار هذه في فوائد أقلامها ، كتطويل تلك في عوائد إنعامها ، وقد أصبحت خواطري مستغرقة بإنشاء القول المبكر في شكر الفضل المطول وجراب البيان المختصر ،

(١) سورة هود ١٠٥

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة يونس ٦٧ كان في الأصل تحريف في الآية .

وما جعل الله لها من سلطان للبلادة ما يستعمل بأداء حقوق تُنقل على الرقاب ،
ومقابلة بلاغات تُنقل على الأبواب .

وما جاء من ذلك شعرا قول إبراهيم بن العباس :

لنا إبلٌ كُومٌ يَضِيقُ بها الفَصَا وَيَقْتَرُّ عنها أرضها وسماؤها
فإن دورنها أن تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنا ومِنَ دورنا أن تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُها
حِمْيَ وَقِرَى فَاَلَمُوتُ دُونَ مَرَامِها وَأُيسِرُ حَطَبِ يَوْمَ حُقِّ كَفَاؤُها^(١)

وهذه الأبيات من نادر ما يحىء في هذا الباب معنى وترتيب تفسيره .

وما جاء منه أيضا قول أبي تمام :

وما هو إلا الوخى أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ نُبَيْلٌ ظَبَاءُهُ أَخَذَ عَى كُلِّ مَا قَلَّ
فهذا دواء الداء من كلِّ عالمٍ وهذا دواء الداء مِن كلِّ جاهلٍ
وكذلك قوله أيضا :

وكان لهم غَيْثًا وَرِطْنَا فَمُعِدِّمٌ فَيَسْأَلُهُ أَوْ بَاحِثٌ فَيَسْأَلُهُ^(٢)

وهذا من بديع ما يأتي في هذا للباب .

ومما ورد منه قول علي بن جبلة :

حَقٌّ وَقَفَّ الأَيَّامَ بِالرَّحْطِ وَالرِّضَا عَلَى بَدَلِ عُرْفِ أَوْ عَلَى حَدِّ مُنْصَلٍ

ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس :

(١) ديوان إبراهيم بن العباس بن محمد بن سول ١٦٣ كوم : جمع كوماه وهي الناقة الضخمة السنام

(٢) من لصيدته في مدح المتصم والأشبين التي مطلعها :

غدا الملك معمور الحمى وللنازل منور وحف الروض عذب الناامل

الديوان ٧٩/٣

(٣) الديوان ٣٢٧ في رثاء القاسم بن طوق

يَرْجُو وَيَحْشَى حَالَتَيْكَ الْوَرَى كَأَنَّكَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ^(١)

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين ، وهو القاضي الأَرَجَانِي :

يَوْمَ الْمَتِيمِ فِيكَ حَوْلٌ كَامِلٌ يَتَعَابُ الْفَصْلَانِ فِيهِ إِذَا أُنِيَّ
مَا بَيْنَ حَرِّ جَوْسَى وَمَاءِ مَدَامِجٍ إِنْ حَنَّ صَافٍ وَإِنْ بَكَى وَجَدَا شَتَا^(٢)
ومأخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله :

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوْلَجَاتٍ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِيمٍ أَوْ حَامِلًا تَقْلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعًا عِنَا وَرَأَاكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْقَوْمِ^(٣)

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول
في البيت الأول ثانيا في البيت الثاني ، والأولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبا ،
ففسر ما هو أول في البيت الأول بما هو مكان في البيت الثاني .

(١) من نصيده التي مدح بها العباس بن الفضل بن الربيع ، التي مطلعها :

أَمْنِكَ لِلْمَكْتُومِ إِظْهَارِ أَمْ مِنْكَ تَغْيِيبِ وَإِنْكَارِ
الديوان ٤٤٤ تغيب : دفاع هي

(٢) من مدحته للفقير جمال الدين بن الحسن بن سليمان ، ومطلعها :

يَا مَعْرُضًا قَدْ أَنْ أَنْ تَلَفْتَا تَعْدِيبِ قَلْبِي الْمَسْتَهَامِ لِي مَتَى

(٣) كان القمقام بن عوف بن معبد بن زرارة قد أصاب دما في بني سعد بن زيد مناة
وهرب ، فشكاه بنو سعد إلى والي البصرة حينئذ عبيد الله بن زياد ، فبعث وراءه رئيس
شرطته هبيرة بن ضمضم الجاشعي ، وقال له : لئن لم تأتي به قتلتك ، فظفر به هبيرة ، فامتنع عليه ،
فصوب إليه هبيرة الرمح ليستسلم وهو لا يريد قتله ، فأصابه الرمح في جوفه فات مكانه ،
وعاد هبيرة خائبا ، فقال الفرزدق أياتا يعرض فيها بضمضم ، مطلعها .

وقائلة والدمع يحدر كحلها لبئس المدى أجرى إليه ابن ضمضم
والبيتان في الديوان هكذا :

لَقَدْ خَنَتْ قَوْمًا لَوْلَجَاتٍ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمٍ أَوْ حَامِلًا تَقْلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا وَمُطَاعًا عِنَا وَرَأَاكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْقَوْمِ
(الديوان ٧٤٩/٢ شزرا : المراد في غضب . الوشاح القوم : الرمح .

واعلم أن الناظم لا ينكر عليه الذي ينكر على النار ، لأن الناظم يضطره
الوزن والقافية إلى ترك الأولى .

وأما فساد التفسير فإنه أفصح من فساد ترتيبه ، وذلك أن يؤتى بكلام ثم
يفسر تفسيراً لا يناسبه ، وهو عيب لا تسامح فيه بحال . وذلك كقول بعضهم :

فيا أيها الحيرانُ في ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعالَ إليه تلقَ من نور وجهه ضياءً ومن كفيه بجزأ من الندى

وكان يجب على هذا الشاعر أن يقول بإزاء بنى العدا ما يناسبه من النصرة
والإعانة أو ما جرى مجراها ليكون ذلك تفسيراً له ، كما جعل بإزاء الظلمة
الضياء ، وفسرها به ، فأما أن جعل بإزاء ما يتخوف منه مجراً من الندى ،
فإن ذلك غير لائق .

النوع الخامس والعشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط

اعلم أن هذه المامى الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والإفراط توجد في
كل شيء من علم وصناعة وخلق ، ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة ،
حتى تتبين نقلها إلى هذا النوع من الكلام .

فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل
إلى أحد الطرفين ، قال الله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات ^(١) » فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان ، والاقتصاد وسط بينهما .

وقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يُقتروا وكان بين ذلك قَوَامًا ^(١) » فالإسراف والإقتار طرفان، والقَوَام وسطٌ بينهما .

وقال الشاعر ^(٢) .

عليك بالقتند فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلقُ
وأما التفريط فهو التقصير والتصنيع ، ولهذا قال الله تعالى : « ما فرطنا
في الكتاب من شيء » ^(٣) أي ما أهملنا ولا ضيعنا .

وأما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحد ، فيقال أفرط في الشيء إذا أسرف
وتجاوز الحد ، والتفريط والإفراط هما الطرفان البعيدان ، والاقتصاد هو
الوسط المعتدل .

وقد نُقِلَتْ هذه المساني الثلاثة إلى هذا النوع من علم البيان .

أما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى للضمير في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبرُ
عنه في منزلته .

وأما التفريط والإفراط فهما ضدان ، أحدهما أن يكون المعنى للضمير في
العبارة دون ما يقتضيه منزلة المعبر عنه ، والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته .

[التفريط]

والتفريط في إيراد المعاني الخطأية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه ،
والإفراط يجوز استعماله ، فنه الحسن ، ومنه دون ذلك ،

(١) سورة الفرقان ٦٧ .

(٢) هو سالم بن إبسة . شرح المهاسنة للبريزي ٢/٢٣٦ وللرزوقي ٧١٠ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨

فما جاء من التفريط قول قول الأعشى :

وما مُزِيدٌ من خليج الفسرا ت جَوْنٌ فَوَارِبُهُ تَلْتَعِمُ
بأجودَ منه بَمَاعُورِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَقِمِ (١)

فإنه مدح ملكا بالجد بما عونه ، والماعون كل ما يستعان من قدوم أو
خصعة أو قدير أو ما أشبه ذلك ، وليس للوك في بذله مدح ، ولا لأوساط
الناس أيضا ، وفي مدح السوقه به قولان ، ومدح الموك به عيب وذم فاحش ،
وهذا من أفتح التفريط .

ومما يجرى هذا المجرى قول الفرزدق :

ألا ليتنا كنا ببييرين لا رِزْدٌ على حاضرٍ إلا نُنْشَلُ ونُقَذَفُ
كلانا به عرٌّ يخافُ قرانهُ
طَلَى النَّاسِ مَطْلِي الْمَشَاعِرِ أَخْشَفُ (٢)

(١) من قصيدته في مدح قيس بن معد يكرب ، التي مطاهاها :

أتهجر غائبه أم نلم أم الجبل واه بها منجدم
الديوان ٣٥ .

(٢) من إحدى نقائضه (الديوان ٢ / ٥٥١) والبيتان في الديوان هـ - كذا :

فإليتنا كنا ببييرين لا نرد على منهل إلا نشل ونقذف
كلانا به عر يخاف قرانه على الناس مطلق المشاعر أخشف
وكان بالأصل (قرانه) و(المشاعر) .

المنهل : الماء . نشل : نطرد . العر بفتح العين : الجرب وضمها فرح ليست بالجرب .
القراف : الخاضة وداء يقتل البعير . المشاعر : أصول النخزين والإبطان ، لأنها أول
ما يشتد فيها الجرب . ويروي الأشاعر . الأخشف : الجلد اليابس من الجرب .

ولكثير عزة أمنية مثل هذه في قوله :

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة
كلانا به عر فن يرنا يقل
فكون لقي مال كثير مفضل
إذا ما وردنا منها صاح أهله
بميرات ترمى في الخلاء ونزب
على حسنها جرباه تمدى وأجرب
فلا هو يرمانا ولا نحن نطلب
علينا فلا تنفك ترمى ونضرب

(للوشم ١٥٥)

هذا رجل ذهب عنه حين نظم هذين البيتين ، فإن مراده منهما التفضل
بمحبوبه ، وقد قصر تمنيه على أن يكون هو ومحبوبه كجهدين أجريين ،
لا يقربهما أحدهما ولا يقربان أحداً إلا طردهما ، وهذا من الأمانى السخيفة ، وله
في غير هذه الأمانة مندوحات كثيرة .

وما أشبه هذا بقول القائل :

يَا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَهُ امْتَقِلْ غَيْرِي فَلِلْأَفْدَاحِ أَوْ لِلْأَكْوَسِ
وَإِذَا حَكَمْتَ لَنَا بَعَيْنَ مُرَاقِبٍ
فِي الدَّمْرِ فَلَنْتَكُّ مِنْ عُيُونِ التَّرْجِسِ
فَانظُرْ كَيْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْأَمْنِيَتَيْنِ .

ومما أخذ على أبي نواس في قصيدته لليبية اللوصوفة التي مدح بها الأمين
محمد بن الرشيد وهو قوله :

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر
أَمْلاً لَعَقْدِ حِبَالِهِ اسْتَحْكَامٌ (١)
فإن ذكر أم الخليفة في مثل هذا اللوضع قبيح .

وكذلك قوله في موضع آخر :

وليس كجدتيه أم موسى إذا نسيته ولا كاختران (٢)

(١) من قصيدته في مدح الأمين التي مطلعها :

بادار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام

(الديوان ٤٠٧)

(٢) من مدحته للأمين ، التي أولها :

رضينا بالأمين من الزمان فأضحى الملك معمور المنان

وهذا النوع من الحديث لا فائدة فيه ، فإن شرف الأنساب إنما هو إلى الرجال لا إلى النساء . وبإلتي شمرى أما سمع أبو نواس قول قُتَيْبَةَ بنت النضر في النبي صلى الله عليه وسلم :

أحمد ولأنت نجلٌ كريمٌ
من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرَقُ
ما كان ضَرْكٌ لو مَنَنْتَ ورُبَّما
مَنْ النَّتَى وهو المَنْيِظُ المَحْنَقُ (١)

فإنها ذكرت الأم بغير اسم الأم ، وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الأنيق . وكذلك فليكن للادح إذا مدح ، وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكاؤه يوما كان يوصف به من القطنلة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره .

وليس لقائل أن يتراض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام « قال يا ابن أمِّ لا تأخذْ بلبحيق ولا برأسي » (٢) فإن الفرق بين اللوضمين ظاهر ، لأن للنكر على أبي نواس إنما هو التحلف باسم الأم وهي زبيدة ، وكذلك اسم الجدة وهي الخيزران ، وليس كذلك ما ورد في الآية . فإن قيل قد ورد في القرآن الكريم ما بسوغ لأبي نواس مقالته وهو قوله تعالى :

(١) وفدت قتيبة بنت النضر بن الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بقتله عقب غزوة بدر، فألعدته أبياتا أولها:

ياراكبا إن الأئيل مظنة
بلغ به ميتا فإن تحية
من صبح خاسة وأنت موفق
ما إن تزال بها الركائب تحقق .

سيرة ابن هشام (٣٥٩/١) والإصابة ٨٠٨ قسم النساء ومعجم البلدان (الأئيل) والسنة ٣٠/١
وذكر ابن إسحاق في السيرة وأبو الفرج في الأغاني ٩/١ والمصري في زهر الأدب ٢٧/١
أنها بنت الحارث ، وتكون إذا أخت النضر لابنته

الأئيل : موضع كان فيه قبر النضر . المظنة : المنزل المعلم : من صبح خاسة : تريد من
من صبح ليلة خامسة ليلة التي تبدأ فيها السير إلى الأئيل وأنت على الطريق غير عادل عنه
تحقق : تضرب وتتهرك .

(٢) - ورة طه ٩٤

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلتي من دون الله^(١) » فناداه باسم أمه ، فقلت الجواب عن ذلك من وجهين .

أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودي باسم أمه ضرورة ؛ إذ لو كان له أب لنودي باسم أبيه .

الوجه الآخر أن هذا النداء إنما هو من الأهل إلى الأدنى ، إذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده ، وهذا لا يكون تفریطاً ، لأنه لم يبرهنه بما هو دون منزلته .

على أن أبا نواس لم يوقفه في هذه العترة إلا ما سمعه عن جرير في مدح صهر بن عبد العزيز كقوله :

وَنَبِيَّ الْمَجْدِ يَا عَمْرَ بْنَ آيَلِيٍّ وَتَسْكُنِي الْمُنَجِّلَ السَّنَةَ الْجَمَادَا^(٢)
وكذلك قال فيه كثيرٌ عزة أيضاً .

وليس للميب من هذا يخاف ، فإن العرب قد كان يبرر بعضها بعضاً بنسبته إلى أمه دون أبيه ، ألا ترى أن صهر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حنتمة ، وإنما كان يقول ذلك من بغض منه ، وإنما قول النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن صفيية « بشره قاتل ابن صفيية بالنار » فإن صفيية كانت عمه النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما نسبه إليها رفعا لقدره في قرب نسبه منه وإنه ابن عمته ، وليس هذا كالأول في الغرض من صهر رضى الله عنه في نسبه إلى أمه^(٣) .

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

أبت هيثاك بالمدن الرقادا وأنكرت الأماذق والبلادا

(الديوان ١٣٤)

(٣) لم يكن النسب إلى الأم تحقيرا ، كما توهم ابن الأثير .

فقد كانت له بواعث شتى ، منها تكريم الأم المنجبة وتمجيدها ، ومنها الفخر بها لرافقتها ، ومنها مدح أبنائها بنسبهم إليها ، ومنها أن تكون الأم أعظم شهرة من الأب وعزاة .

وكان في قابل من الأحيان لتعظيم (المرأة في الشهر الجاهل للكتور أحمد الحوفي ٨٠)

وقد طاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة قول أبي نواس في قصيدته السينية
التي أولها « نَبِيَّةٌ أَدْرِيكَ قَدْ نَمَسَ » . فقال من جعلها :

وَرِثَ الْخِلَافَةَ خَامِسًا وَبَخِرَ سَادِسَهُمْ سَدَسًا^(١)

قال وفي ذكر السادس نظر ، وباعجباله مع معرفته بالشعر ، كيف ذهب
عليه هذا الموضع ، أما قرأ سورة الكهف ؟ يريد قوله تعالى : « ويقولون خمسة
سادسهم كلهم^(٢) » وهذا ليس بشيء ، لأنه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه
وهو قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآهُمْ مِنْ حَيْثُ يُرِيدُ . وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(٣) » .

وعما عبته على البحترى قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة
عند لقائه الأسد التي مطلعها « أَجِدُّكَ مَا يَنْفِكُ يَمْرِي زَيْنِيَا » . قال :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَتَهُ حِينَ تَنْبَرِي لَهُ مُصَلِّيًا عَضْبًا مِنْ الْبَيْضِ بِقَضْبًا
فَلَمْ أَرْضِرْ غَامِثِينَ أَبْصَدَقَ مِنْكُمْ حِرًّا كَأِذَا الْهَيْبَةُ لِلنُّكْسِ كَذَّبًا^(٤)

قوله إذا الهيباة النكس تقريظ في المدح ، بل كان الأولى أن يقول إذا
البطل كذب ؛ وإلا فأى مدح في إقدام المقدم في الموضع القدي يفر منه الجبان .

(١) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤١٧)

والمعروف أنه سادس خلفاء بني العباس ، والحمة هم عبد الله السفاح والنصور والهادي والمهدي
والرشيد . وسدسهم صار لهم سادسا

(٢) سورة الكهف ٢٣ .

(٣) سورة المجادلة ٧

(٤) مطلع القصيدة :

أَجِدُّكَ مَا يَنْفِكُ يَمْرِي زَيْنِيَا خِيَالٌ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأْوِيَا

وفي الأصل تبتري بدلا من تبرى (الديوان ٥٦/١)

الأقال كما قال أبو تمام :

فَقِيَّ كَمَا ارْتَادَ الشَّجَاعُ مِنَ الرَّدَى مَفْرًا اغْدَاةَ الْمَأْزِقِ ارْتَادًا مَهْرَعًا^(١)

وهي أسلوب البهتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة :

وَأَنى لِقَوْلٍ لِعَاقِيٍّ مَرَحِبًا وَلِلطَّالِبِ المَعْرُوفِ إِنَّكَ وَاجِدُهُ

وَأَنى لِمَنْ أَسْطَى الكَفَّ بِالنَّدَى إِذَا شَنِجَتْ كَفَّ البَخِيلِ وَسَاعِدُهُ^(٢)

وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل ،

وإنما الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم .

ومن هذا الباب قول أبي تمام .

يَقِظُ وَهُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِفْضًا ، عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقٌ^(٣)

فإنه أراد أن يمدح قدم

وعما هو أقبح من ذلك قوله أيضا :

تَشَقَّى الحَرْبُ مِنْهُ حِينَ تَنْتَلِي مَرَاجِلَهَا بِشَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(٤)

وقد استعمل هذا في شعره حتى أغش كقوله :

(١) من رثائه ل محمد بن حميد ، ومطلع القصيدة :

أصم بك الناعي وإن كان أسما وأصبح مفتي الجود بمدك بلقا

وقد تقدمت القصيدة .

(٢) الفائل هو إياس بن الأرت (شرح الحماسة للبربري ٤/٢١٨) وللرزوقي ٤/١٦٨٥

العاقى : طالب للمروف أو الطعام . شنجت كفه وساعده : كتابة من ظهور الجذب والبخل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ؛ ومطلعها :

ما عهدنا كذا بكاء المشوق . كيف والدم آية المشوق

الديوان ٢ / ٤٣٠ .

(٤) من مدحته لبعض بني عبد الكرم الطائين (الديوان ٢١٧) ومطلعها :

أرامة كنت مألّف كل ريم لو استمعت بالأنس المقيم

تنق : تجعل لها أتانق وهي الحجارة التي ينصب عليها القدر . المراجيل : القدور . وفي الأصل

(ينق الحرب) . ليست القصيدة بالديوان .

أَنْتَ ذَكْوٌ وَذُو السَّمَاحِ أَوْ مَوْ سَى قَلِيبٌ وَأَنْتَ ذَلْوٌ الْقَلِيبِ^(١)

ومراد من ذلك أنه جعله سبباً لمطاء المشار إليه ، كما أن الذلوة سبب في امتزاج الماء من القليب ، ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب إلى حدّ يُدَنِّدُنْ أبو تمام حوله هذه الدبذنة ويلقيه في هذا المثال السخيف ، على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره ، بل أوردتها في مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله :

مَا زَالَ بَهْنَدِي بِالْمَسْكَارِمِ وَالْمَلَا حَقِي ظَنْنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ^(٢)

فإنه أراد أن يبالغ في ذكر المدح بالهج بالمسكارم والملا ، فقال ما زال بهندي ، وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت .

وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين :

وَيَلْحَقُهُ عِنْدَ الْمَسْكَارِمِ هَزَةٌ كَمَا انْتَقَضَ الْمَجْهُودُ مِنْ أُمِّ مِلْدَمٍ^(٣)

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسناً ، وكم من يتأول معنى كريماً فأساء في التصدير عنه حتى صار مذموماً كهذا وأمثاله .

(١) القليب : البئر . ليست القصيدة بالديوان . البيت بالصناعتين ٣٥٦

(٢) من مدحه لأبي الحسين محمد بن شبابة بن الهيثم التي مطلعها :

أَسْفَى طَوْلَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٍ وَهَدَّتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةَ وَتَعِيمٍ

(الديوان ٢٨٩/٣) والبيت في الديوان هكذا :

ما زال يهنى بالمواهب دائماً حتى ظننا أنه محموم

ويروي بالمواهب والندی .

أجش : يوصف به الرعد كأن به جشة وقوة . هزيم : رعد ذو صوت ، أو رعد بمطر .

(٣) أم ملدم : الحمى .

ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي :

ذهب الفين تهرهم مُدَّأهم هز الكُمامة عوالي المران
كانوا إذا مُدَّحُوا رأوا ما فيهمُ فالأزيمية منهمُ بمكان (١)

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا وإلا فليسكت .

ووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد هاب على حسان بن ثابت
رضى الله عنه قوله :

إنا الجففاتُ الفرُة يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من بجمدة دما (٢)

وقال إنه جمع الجففات والأسياف جمع قلة وهو في مقام نخر ، وهذا مما
يحط من المعنى ويضع منه ، وقد ذهب إلى هذا غيره أيضا ، وليس بشيء لأن
الفرض إنما هو الجمع ، سواء أ كان جمع قلة أم جمع كثرة .

(١) الديوان ٤٧٤ من لصيدة ، طلعتها :

للمادحون اليوم أهل زماننا أولى من الحاجين بالجرمان

(٢) كان النابغة الذياني تضرب له قبة من آدم بسوق هكاظ ، يجتمع إليه فيها الشعراء ،
فدخل إليه حمان بن ثابت وهنئه الأعمى وقد أنشده شعره ، وأنشدته الحنساء إحدى مراتبها ،
فقال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك ، لقلت إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من
كل ذات مثانة ، فقات والله ومن كل ذي خصيتين . فقال حسان : أنا والله أشعرك ومنها
قال النابغة : حيث تقول ماذا ، قال حيث أقول :

لنا الجففات الفر يلمعن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بناخالوا أكرم بنا ابنا

فقال النابغة : إنك لشاعر ، لولا أنك قلت عدد جفانك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر
بمن ولدك . وفي رواية أخرى أنه قال له : قلت الجففات فقلت المدد ، ولو قلت الجفان لكان
أكثر ، وقلت يلمعن في الضحا ، ولو قلت يبرقن بالدجا لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف
بالليل أكثر طروقا ، وقلت يقطرن من نجدة دما ، فدالت على قلة القتل ، ولو قلت يجرى
لكان أكثر ، لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان
منكسرا منقطعا .

ويدل على ذلك قوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً قانتاً حينما ولم يك من المشركين ، شاكرًا لأنمه اجتهاد وهداه إلى صراطٍ مستقيم » (١) أتري نعم الله كانت قليلة على إبراهيم صلوات الله عليه ؟

وكذلك ورد قوله عز وجل في سورة النمل « وأذخلك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آياتٍ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ، فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين . وحججوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » (٢) فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة ، وما كان قوم فرعون بالقليل حتى يجمع نفوسهم جمع قلة ، بل كانوا مئين ألوفا ، وهذا أيضا مما يبطل قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضوع ،

وكذلك ورد قوله عز وجل « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » (٣) والنفوس الكفواة والنائمة لا ينتهي إلى كثرتها كثرة لأنها نفوس كُُل من في العالم .

وأعلم أن للمدح ألفاظا تخصه وللاذم ألفاظا تخصه ، وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الأدب ألا نخطب الملوك ومن يقاربه بكاف الخطاب ، وهذا غلط بارد ، فإن الله الذي هو مَلِكُ الملوك قد خطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقيل « إياك نعبد وإياك نستعين » .

وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة ، إلا أني قد راجعت نظري في ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبه منهم بأيامهم (٤) والعوائد لا حكم لها ،

(٢) سورة النمل ١٢ - ١٤
(٤) كانت في الأصل (بأيامهم)

(١) سورة النحل ١٢٠ - ١٢١
(٣) سورة الزمر ٤٢

ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق في ترك الخطاب بالكاف ،
لكنني تأملت أدب الشعراء والكتاب في هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب
في الشعر ، ويعاب في الكتابة إذا كان الخطاب دون الخطاب درجة ، وأما إن
كان فوقه فلا عيب في خطابه إياه بالكاف ، لأنه ليس من التفريط في شيء ،
فمن خطاب الكاف قول النابغة :

وإنك كالليل القدي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسم^(١)

وكذلك ورد قوله أيضاً :

حلفت فلم أترك لنفسك ربيبة وليس وراء الله للمرء مذنب^(٢)

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضاً فقال أبو تواس :

إليك أبا المصور عذبتُ نافتى زيارة خيلٍ وامتحان كريم

لأعلم ما تأتي وإن كنت طالا بأنك مما تأت غير ملوم^(٣)

وكذلك ورد قول السلايمي^(٤) :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

وبشرت آمالي بملك هو الوري وداري الدنيا ويوم هو الدهر^(٥)

(١) من قصيدته في الاعتذار إلى النعمان بن المنذر (الديوان ٧١)

(٢) من اعتذاره للنعمان بن المنذر (الديوان ١٧)

(٣) من قصيدة في مدح الفضل بن الربيع ، مطلقها :

لمن دس تزاد حسن رسوم على طول ما أدوت وطيب نسيم

(الديوان ٤٤٧)

(٤) من أشهر شعراء العراق ولد بكرخ بباداد ٣٣٦ هـ وينسب إلى بني مخزوم (بنيمة

الدهر ٣٩٥/٢)

(٥) قصارى المطايا : مدقها وفاتيها . وكانت بالأصل نصار الطايا (بنيمة الدهر ٤٠١/٢)

وعليه ورد قوله البحرى :

واقعد أنيتك طالبا فبسطت من

أقبل وأطاب جودك كمنك مطلي^(١)

وجل خطاب الشعراء المدوحين إنا هو بالكاف .

وذلك محذور على الكتاب ، فإنه ليس من الأدب عندم أن يخاطب الأذى الأعلى بالكاف ، وإنما يخاطبة مخاطبة النائب لا مخاطبة الماضر .

على أن هذا الباب بجملة 'يوكل' النظر فيه إلى فطانة الخطيب والشاعر ، وليس مما يؤقف فيه على المسوع خاصة .

ومن اللطف ما وجدته أنك إذا خاطبت المدوح أن تترك الخطاب بالأمر بأن تقول افعل كذا وكذا ونخرجه مخرج الاستفهام ، وهذا الأسلوب حسن جدا ، وعليه مسحة من جمال ، بل عليه الجمال كله .

فما جاء منه قول البحرى فى قصيده أولها . « بؤدى لو يهوى الذول ويعشق » فقال فيها :

فهل أنت يا ابن الراشدين محتبى بياقوتة تبهى على ونشرق؟^(٢)

وهذا من الأدب الحسن فى خطاب الخليفة ، فإنه لم يخاطبه بأن قال ختمنى بياقوتة على سبيل الأمر ، بل خاطبه على سبيل الاستفهام ، وقد أعجبني هذا المذهب وحسن عندى .

(١) الديوان ٢٠/١

وفيه (إني أنيتك) . أطلب جودك كمنك مطلي : أعطاني ما طلبت

(٢) من قصيدته فى مدح المعتز بالله ، والشطر الثانى من البيت هو :

فيلم أسباب الهوى كيف تطلق

(الديوان ١٢٤/٢)

تبهى : تحسن وتجميل . ويصح أن تكون تبهى على وزن تطلى والمعنى واحد . . .

وقدحذا حذو البحترى شاعر من شعراء عصرنا ، فقال في مدح الخليفة الناصر
محمد بن الله أبي المباس أحمد من قصيدته على قافية الدال ، فقال من أبيات يصف
بها قصيدته :

أَمْقَبُولَةٌ يَا ابْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ نَبِيِّ لَمْ يَكْ بَوْصِفِي غَاذَةُ الشَّعْرِ رُوْدُهُ (١)

فقوله أمقبولة من الأدب الحسن الذي نسج فيه على منوال البحترى .

وهذا باب مفرد ، وهو باب الاستفهام في الخطاب ، وإذا كان الشاعر فطنًا
عالمًا بما يعضه من الألفاظ والمعاني تصرف في هذا الباب بضرور التصرفات ،
واستخرج من ذات نفسه شيئاً لم يسبقه إليه أحد .

واعلم أن من المعاني ما يُعبَّرُ عنه بألفاظ متعدّدة ، ويكون المعنى المندرج تحتها
واحداً ، فمن تلك الألفاظ ما يليق استعماله بالمدح ، ومنها ما يليق استعماله بالذم ،
ولو كان هذا الأمر يرجع إلى المعنى فقط لسكانت جميع الألفاظ الدالة عليه سواء
في الاستعمال ، وإنما يُرجعُ في ذلك إلى العرف دون الأصل .

ولنضرب له مثالا ، فنقول : هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك
قياساً على وحق رأسك ؟ وهذا يرجع إلى أدب النفس دون أدب الدريس ، فإذا
أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكرَ الرأسِ والمهامةَ والكاهلَ وما جرى هذا
الجرى ، فإذا أراد أن يهجوَ ذكرَ الدماغِ والقَدالَ (٢) وما جرى هذا
الجرى ، وإن كانت معاني الجميع مقاربة . ومن أجل ذلك حسنت الكناية في
الموضع الذي يقبح فيه التصريح .

(١) الرؤد والرأد والرئد : الشابة المسنة . المعنى هل تقبل في مدحى لك غاذة من شعري

(٢) قال : مجتمع مؤخر الرأس

ومن أحسن ما بلغني من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قَبَاتَ بنِ أَشِيمَ فقال له : أنت أ كَبِيرُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أ كبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد .

فانظر إلى أدب هذا العربي القدي من شأنه وشأن أمثاله جفاء الأخلاق ، والبعد عن فطانة الآداب .

ابو فرط :

وأما الإفراط فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرون ، وللذهب عندي استعماله ، فإن أحسن الشعر أ كذبه ، بل أصدقه أ كذبه ، لكنه تفاوت درجاته ، فمنه المستحسن القدي عليه مدار الاستعمال ، ، ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى ، لأنه مهما ذكر به من المغالاة^(١) في صفاته فإنه دون ما يستحقه .

ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنتره :

وأنا المنيّة في المواطنِ كلِّها والطننُ مني سابقُ الآجالِ^(٢)

وقد يروى^(٣) بالياء وكلا المعنيين حسن إلا أن الياء أكثر غلوا .

ومما جاء على نحو ذلك قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضْرِبَةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرتَ دَمًا^(٤)

(١) كانت الكلمة بالأصل (المعاملات)

(٢) ديوان عنتره ١٢٩ والبيت بالديوان هكذا :

وأنا المنية حين تشتجر القنا والطنن مني سابق الآجال

(٣) يروى سابق الآجال ، أي يسوقها .

(٤) روى البيت هكذا بالدمر والشعراء لابن قتيبة ١٧٨ والبيت بالأغانى ٣١/٣ هكذا

إذا ما غضبنا غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت النما

ومنه ما يستهجن ، كقول النابغة الذبياني :

إذا ارتفعتْ خاف الجبانُ رعاها ومن يتعلّق حيث علّق . يفرّق (١)

وهذا يعرف طول قامتها (٢) لكفه من الأوصاف المنكرة التي خرّجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وأخفتْ أهلَ الشركِ حتى إنه لتخافك النطفُ التي لم تخلق (٣)

وهذا أشد إفراطاً من قول النابغة .

وبروي أن العتاني لقي أبا نواس فقال له أما استحييت الله حيث تقول ،
وأشده البيت ، فقال له : وأنت ماراقت الله حيث قلت :

مازلتُ في عمّرات الموت مُطرّاً يضيّق عني وسَمِيعُ الرأى من حيلي
فلم تزلْ دائماً تَسْعَى بُلطفك لي حتى اختلّتْ حياتي من يدي أجلى

فقال له العتاني : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ، ولكنك قد
أعددت لكل ناصح جواباً :

(١) من أبيات له في النزول ، وبعده :

وإن ضحكك للعصم ظلت روايا إليها وإن تبسم لل المزن يبرق
وتعتت : تقرط ، الرهنة : القرط

الديوان من مجموعة دواوين طبعة المطبعة الأهلية ببيروت ص ٥٦

(٢) لعله يريد طول عنقها ، لأن البيت كناية عن طول الرقبة لاطول القامة

(٣) من مدحة لرشيد ، مطالعها :

خلق الشباب وشرنى لم تخلق ورميت في هرض الزمان بأفوق

الديوان ٣٦٨ خلق مل وزن سمع وكرم ونصر : بل . الفقرة : الحدة والنشاط . هرض :
هدف . أفوق : سهم كسر فوفه أى موضع الوتر من السهم :

وقد أورد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال :
كَدَّتْ مَنَادِمَةُ الدَّمَاءِ سُيُوفَهُ فَاتَّقَلْنَا تَمْتَّازُهَا الأَجْفَانُ
حَقِي الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ (١)

وما يحىء في هذا الباب ما يجري هذا الجرى .

وقد استعمل أبو الطيب المتنبى هذا القسم في شعره كثيراً فأحسن في مواضع
منه ، فن ذلك قوله :

هَجَابًا تَمْتَرُ العِيقَانُ فِيهِ كَانَ الجُرِّ وَعَثَّ أَوْ خَبَارُ (٢)

ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال :

هَقَدَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا هَيْثَرًا لَوْ تَبَقَّصِي مَنَفَا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا (٣)

(١) من مدحه للرشيده ، مطلعها :

حى الديار إذ الزمان زمان واذ الشباك لنا حرى ومعان

الديوان ٤٠٤

الرحم : بكسر الراء وسكون الحاء ، وبكسرهما معاً مقر الجنين في بطن أمه . الشباك :
جم شبكة . حرى : خليق بنا . معان : هون . يريد أن شباك الهوى فيها مضى كانت تصيب .

(٢) من مدحة لسيف الدولة ، مطلعها :

طوال لنا تطاهاها قصار وقطرك في ندى ووفى بحار

الديوان ٢٤٣

هجابا : منصوبة على التبعية لما قبلها في بيت سابق . والعجاج : الثيار .

العقبان : جم عقاب وهو طير جارح . الوعث : المسكان السهل اللين الذى تنفوس فيه
الأقدام . الحبار : ملان من الأرض واسترخى . يريد أن العقبان التى تسير فوق الجيوش تمتر
في ذلك العبار السكثيف ، فكأن الجوارض لينة تنفوس فيها أرجلها .

(٣) من قصيدة في مدح بدر بن عمار (الديوان ٤٢٠/٤) السنايك : جم سنك وهو

طرف مقدم الحافر . العثير : الثيار . العنق : سير شديد .

وهذا أكثر مغالاة من الأول .

ومن ذلك قوله أيضاً :

كأَنَّ تَقَلُّمَ لَتَسْلُكِهِمْ فَالطَّنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوِافِ مَايَسَّعُ (١)

وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَسَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَاوَرَاءَهَا (٢)

لكن أبو الطيب أكثر غلواً في هذا المعنى ، وقيس بن الخطيم أحسن ، لأنه قريب من المسكن ، فإن الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء ، وأما أن يحمل للظنون مسلكاً يسلك كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل ، ولا يقال فيه بهيد .

أوفتصاه :

وأما الاقتصاد فهو وسط بين المنزلتين ، والأمثلة له كثيرة لا تحصى ، إذ كل ماخرج عن الطرفين من الإفراط والتفريط فهو اقتصاد .

ومن أحسنه أن يجعل الإفراط مثلاً ، ثم يستثنى فيه بلو أو يكاد وماجرى مجراها .

فمن ذلك قوله تعالى « يكاد البرق يخطف أبصارهم (٣) » وكذلك قوله عز وجل : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه إبداً (٤) » وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيراً .

(١) من مدح حيف الدولة ، مطلع القصيدة :

غبرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

الديوان ٣٩٢/٢

(٢) شرح الحامسة للرزوق (١٨٤/١) يصف طعنته لابن عبد القيس :

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر لما نفذ لولا الشراع أضاءها

الشراع : يفتح الشين الدم المتفرق ، يريد أن الطعنة كانت تظهر الضوء لولا الدم المنبثق

من الجرح . (٣) سورة البقرة ٢٠ (٤) سورة الجن ١٩

ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق :

يَسْكَدُ يُسَكِّدُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ^(١)
وكذلك ورد قول البحتري :

فلو أن مشتاقا تسكَّانَ فوق ما في وَسْمِهِ لَسَمَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ^(٢)
وهذا هو اللذهب المتوسط .

النوع السادس والعشرون

في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء البيان يَفْضِلُونَ الاشتقاق عن التجنيس ، وليس الأمر كذلك ، بل التجنيس أسرار لمهذين النوعين ومن الكلام ، وذلك أن التجنيس في أصل الوضع من قولهم : جانس الشيء الشيء إذا ماله وشابهه ، ولما كانت

(١) من قصيدة منسوبة للفرزدق ، وليست في ديوانه مطالعها :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقي النقي الطاهر العلم

وذلك أن هشام بن عبد الملك كان يطوف بالبيت ، فأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبر ، جلس عليه ، وبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين فطاف ، وأني ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ، فعاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي أكرمه الناس وأعظموه ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم في نفوس أهل الشام ، فقال الفرزدق - وكان حاضرا - هذه القصيدة .

(زهر الآداب ٦٥/١ والأغاني ٤٠/١٩) وتروى القصيدة للحزب السكتاني

عمرو بن عبيد بن وهب في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وتروى لداود بن سلم في مدح ثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس . وتروى لابن المنقري في علي بن الحسين .

(٢) من قصيدته في مدح المتوكل وتمنئته بعيد الفطر ، مطالعها :

أخني هوى لك في الضلوع وأظهر وآلام في كدم عليك وأعذر

(الديوان ٢١١/١) وبالأصل (لو أن)

الحال كذلك ووجدنا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنائه علمنا
أن ذلك يُطلق عليه اسمُ التجنيس .

وكذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يُطلق عليه
اسم التجنيس أيضا .

فالتجنيس إذا ينقسم قسمين : أحدهما تجنيس في اللفظ ، والآخر
تجنيس في المعنى .

فأما الذي يتعلق باللفظ فإنه لم يُنقل عن بابه ولا غيّر اسمه ، وقد تقدم
ذكره في باب الصناعة اللفظية .

وأما الذي يتعلق بالمعنى فإنه نُقل عن بابه في التجنيس ، وسمى الاشتقاق «
أى أحد المعنيين مُشتقٌّ من الآخر . وهو على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير أن
تأخذ أصلا من الأصول فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ،
كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو سَلِمَ وسَلِمَ
وسَلِمَانٌ وسَلَمَى والسَلِيمُ اللدبع أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة .

والأصل في ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أول لمسمى أول ، ثم يجد مسمى
آخر أو مسميات شبيهة بالمسمى الأول ، فيضع لها اسما كالاسم الأول ،
كقوله ضَرِيرٌ اسم الأعمى ، والضَرَضُ الضيف ، والضَّرَاءُ الشدة من الأسر ،
والضَّرَّةُ بالضم المزال وسوء الحال ، والضَّرُّ الضيقُ والضَّرَّةُ إحدى
الزوجتين ، فإن هذه المسميات كلها تدل على الأذى والشر ، وأسمائها متشابهة
لم تخرج عن الضاد والراء ، إلا أنا الآن لانلم ما هو الأول منها حتى نحكم على
الثاني أنه مشتق منه ، لكن نعم في السليم اللدبع أنه مشتق من السلامة ، لأنه

خدها ، قيل من أجل التفاؤل بالسلامة ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول ،
كقولنا هَشَمَكَ هاشم ، وحاربك محارب ، وسالمك سالم ، وأصاب الأرض
صَيَّب ، فهذه الألفاظ كلها أفعالها واحد ومعناها واحد ، أما هاشم فإنه لم يسم بهذا
الاسم إلا لأنه هَشَمَ الثريد في عام مَحَلٍ فسمى بذلك ، وأما محارب فإنه اسم
فاعل من حارب فهو محارب ، وأما سالم فمن السلام وهو اسم فاعل من سلم ،
وأما الصَيَّب فهو المطر الذي يشتد صوتُه أي وقفه على الأرض .

ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «أَسَلِمُ سَأَلَهُ اللهُ ،
وَرِغْفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةٌ عَصَتْ اللهُ ، فَإِنْ أَسَلِمُ وَغَفَارٌ وَعُصَيَّةٌ أَسْمَاءُ
مُجَابِلٌ ، وَلَمْ تَسْمِ أَسَلِمٌ مِنَ السَّالَةِ ، وَلَا غَفَارٌ مِنَ الْغَفْرَةِ ، وَلَا عُصَيَّةٌ مِنَ التَّصْنِيرِ
عَصَا . وهذا هو التجنيس ، وليس بالاشتقاق ، والنظر في مثل ذلك يحتاج إلى فكرة
موتدبر ، كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق .

ومما جاء من ذلك شعرا قول البحري :

أَجِئْتِي سَلَمِي بِكَاطِبَةٍ اسَلَمًا^(١)

وكذلك قول الآخر :

وما زال مَعْقُولًا مَعْقَالٌ مِنَ النَّدَى وَمَا زَالَ مَجْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسٌ^(٢)

وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس ، حيث قيل فيه معقول
ومعقال ومجوس وحابس ، وليس الأمر كذلك .

وهذا الموضوع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفة . وقد تقدم القول

(١) مطلع قصيدته في مدح أحمد وإبراهيم ابني المدير . وعجزه : (وتعلم أن الهوى
مأجنتا) الديوان ٢/ ٢٣٩ .

(٢) جرير في هجاء الفرزدق . والبيت في الديوان (٢٢٦) هكذا .
فما زال معقولا معقال عن الملا وما زال مجبوسا عن المجدح حابس

أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وعقال ومعقول وحابس
ومحبوس اللفظ فيها واحد والمعنى أيضا واحد ، فهذا مشتق من هذا ، أى قد شق منه .
وكذلك ورد قول عنقره :

لقد علم القبايل أن قومي لهم حد إذا ليس الحديد^(١)
فإن حدا وحديدا لفظها واحد ومعناها واحد .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتعقد عليه وعلى
راكيبه معنى واحدا يجمع تلك التركيب وما تصرف منها ، وإن تباعد شيء من
ذلك عنها رُدَّ باطاف الصنعة والتأويل إليها ، ولتضرب لذلك مثلا فنقول إن
لفظة (ق م ر) من الثلاثي لها ست تراكيب وهي ق م ر ، م ق ر ، ر ق م ،
م ق ر ، م ق ر ، م ر ق فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة ،
فأقرب شدة شهوة اللحم ، وقمر الرجل إذا غاب من يقامره والرقم الداهية
وهي الشدة التي تلحق الإنسان من دهره ، وعيش مرق أى ضيق ، وذلك وع
من الشدة أيضا ، والمقر شبه الصبر يقال أمقر الشيء أمره ، وفي ذلك شدة على
الذائق وكراهة ، ومرق السم إذا نفذ من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته .
واعلم أنه إذا سقط من تراكيب الكلمة شيء فجاز ذلك في الاشتقاق ، لأن
الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة ، بل من شرطه أن الكلمة
كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها .

فمثال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظه (وس ق) فإن لها خمس تراكيب
وهي وس ق ، وق س ، س وق ، ق وس ، وس ق ، وسقط من جملة التراكيب

(١) في شرح الحماسة للمرزوقي ٢٨٨/١ نسبة البيت إلى حيان بن ربيعة . وروايته هكذا:

لقد علم القبايل أن قومي ذو وجود إذا ليس الحديد

قسم واحد وهو س ق و ، وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا ، قالوسق من قولم استوسق الأمرأى اجتمع وقوى ، والوقس ابتداء الحرب ، وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء ، والسوق متابمة للسير ، وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق ، والقسوة شدة القلب وغلظه ، والقوس معروفة ، وفيها نوع من الشدة والقوة لزعها المهم وإخراجه إلى ذلك المرمى المتباعد .

واعلم أنا لا ندعى أن هذا يطرده في جميع اللغة ، بل قد جاء شيء منها كذلك ، وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من التقليل ، وهي مع ذلك دالة على معنى واحد ، وهذا من أعجب الأسماء التي توجد في لغة العرب وأغربها ، فاعرفه .

إلا أن الاستعمال في النظم والنثر إنما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير ، وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الألفاظ الواردة عليه ، والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد في اللغة إلا قليلا ، وأيضا فإن الحُسنَ اللفظي الذي هو الفصاحة إنما يقع في الاشتقاق الصغير ولا يقع في الاشتقاق الكبير ، ألا ترى إلى هذين الأصلين الواردين هاهنا وهما (ق ر م) و (و س ق) إذا نظرنا إلى تراكيبهما ، وأردنا أن نسبُكُهما في الاستعمال باتٍ منهما مثل ما يأتي في الاشتقاق الصغير حسنا وروثنا ، لأن ذاك لفظه لفظ تجنيس ، ومعناه معنى اشتقاق ، والاشتقاق الكبير ليس كذلك .

النوع السابع والعشرون

في التضمين

هذا النوع فيه نظر بين حسن يكتب به الكلام طلاوة ، وبين معيب عند قوم ، وهو عندم معدود من عيوب الشعر ، ولكل من هذين القسمين مقام .

التضمين المحمى

فأما الحسن الذى يكتب به الكلام طلاوة فهو أن يضمن الآيات والأخبار النبوية ، وذلك يرد على وجهين: أحدهما تضمين كلى ، والآخر تضمين جزئى .

فأما التضمين الكلى فهو أن تُذكر الآية والخبر بجملة ، وأما التضمين الجزئى فهو أن تُدرج بعض الآية والخبر فى ضمن كلام ، فيكون جزءا منه ، كالتى أوردته فى حل الآيات والأخبار فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب .

وقد قيل إنه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى غضون الكلام من غير تبين ، كى لا يشبهه ، وهذا القول لا أقول به ، فإن القرآن الكريم أبين من أن يحتاج إلى بيان ، وكيف يخفى وهو للعجز الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ، فإن كانت المناوضة فى التفرقة بينه وبين غيره من الكلام إذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه ، وإن كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره .

ومذهبى فى هذا هو ما تقدم ذكره فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب ، وهو أحسن الوجهين عندى ، وذاك أنه لا تؤخذ الآية بكاملها ، بل يؤخذ جزء منها ويجعل أولاً لكلام أو آخرها ، هذا إذا لم يقصد به التضمين ، فأما إذا

خَصِدَ التَّضْمِينُ فُتُوْخَذُ الْآيَةُ بِكُلِّهَا ، وَتُدْرَجُ دَرَجًا ، وَهَذَا يَنْكُرُهُ مَنْ لَمْ يَذُقْ مَادِقَتَهُ مِنْ طَعْمِ الْبَلَاغَةِ ، وَلَا رَأَى مَارَأَيْتُهُ .

التضمين المغيب

وأما المغيب عند قوم فهو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصائين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول منهما مُسْتَفِيدًا إِلَى الثَّانِي ، فَلَا يَقُومُ الْأَوَّلُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالثَّانِي ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْدُودُ مِنْ عِيُوبِ الشَّعْرِ . وَهُوَ عِنْدِي غَيْرُ مَغِيْبٍ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ سَبَبَ عَيْبِهِ أَنْ يُعَلِّقَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ عَلَى الثَّانِي فَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ يُوْجِبُ عَيْبًا ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ فِي تَعَلُّقِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ وَبَيْنَ الْفَقْرَتَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْثُورِ فِي تَعَلُّقِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِي ، لِأَنَّ الشَّعْرَ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ مَوْزُونٍ مُعْتَمِدٌ عَلَى مَعْنَى ، وَالْكَلامُ الْمَسْجُوعُ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ مُعْتَمِدٌ عَلَى مَعْنَى ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَظَعُ فِي الْوِزْنِ لَا غَيْرَ .

وَالْفِقْرَةُ الْمَسْجُوعَةُ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِمَعْضَى بَعْضُهَا قَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ « فَأَقْبَلْ بِمَعْضُومِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدُوقِينَ ، أَتُذَمِّتَانِ وَكَذَلِكَ أَرَابًا وَعِظَامًا أَنَا كَلْدَيْنُونَ ^(١) » .

فَهَذِهِ الْفَقْرَةُ الثَّلَاثُ الْأَخِيرَةُ مَرْتَبِطٌ بِمَعْضَى بَعْضٍ ، فَلَا تَفْهَمُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَّا بِالَّتِي تَلِيهَا ، وَهَذَا كَالْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ فِي ارْتِبَاطِ بَعْضِهَا بِمَعْضَى ، وَلَوْ كَانَ عَيْبُهُ لَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ أَيْضًا « فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بَفَائِتِينَ إِلَّا مِنْ هَوَاصِلِ الْجَحِيمِ ^(٢) » ، فَالْأَيْتَانِ الْأُولَيَانِ لَا تَفْهَمُ إِحْدَاهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِي .

(١) سورة الصافات ٥١ - ٥٢

(٢) سورة الصافات ١٦١ - ١٦٢

وهكذا ورد قوله عز وجل في سورة الشعراء: «أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتّعون»^(١) ، فهذه ثلاث آيات لا تقم الأولى ولا الثانية إلا الثالثة ، ألا ترى أن الأولى والثانية في معرض استفهام يفتقر إلى جواب ، والجواب هو في الثالثة ؟ .

ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم :

ومن البلوى التي لي من لها في الفام كفته

أن من يعرف شيئا يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقم بنفسه ولا يرم معناه إلا بالبيت الثاني ؟

وقد استعملته العرب كثيرا ، وورد في شعر حول شعرائهم ، فمن ذلك قول امرئ القيس :

قلت له لما تملط بصلبه وأزدف أمجازا وناه بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل^(٢)

وكذلك ورد قول الفرزدق :

وما أحد من الأقوام عدوا عروق الأكرمين إلى التراب

محتفظين إن فضلتونا عليهم في القديم ولا غضاب^(٣)

(١) سورة الشعراء ١٠٥ - ١٠٧

(٢) من معلقته ، في وصف الليل (الديوان ١٨) وقيل البيتين :

وليل كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع الموم ليتلى

(٣) من فخر الفرزدق لما اجتمع هو وجريه وكثير وابن الرطاح عند سليمان بن عبد الملك

وقال لهم : أنشدونا من فخرم شيئا حسنا ، فبدرهم الفرزدق فقال :

ولورفع السحاب إليه قوما علونا في السماء إلى السحاب

(الأغانى ٢٣/١٩ والديوان ٣٦/١)

وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة:

أَعْمَرِي أَرَدْتُ الْمَرْءَ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كَلِمَةٌ مَرَّ كَبٍ
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغِيٌّ جَزِيلٌ وَلَمْ يُخَيِّرْكَ مِثْلُ مَجْرَبٍ (١)

الضرب الثاني من التضمن ، وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره
كلاماً آخر لغيره ، قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك
التضمن لكان المعنى تاماً .

وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جعظة :
قَمِ قَاتِقِيهَا يَا غِلَامَ وَغَنِّي ذَهَبَ الْقَيْنِ يُعَاشُ فِي أَكْنَاهِمُ (٢)
ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب القين يعاش في أكناهم لكان
المعنى تاماً لا يحتاج إلى شيء آخر ، فإن قوله قم قاتقها يا غلام وغني فيه كفاية ،
إذ لا حاجة له إلى تعيين الغناء ، لأن في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لاعلى
الغرض المقصود .

وقد ورد هذا في عدة مواضع من شعر أبي نواس في الحمريات ، كقوله
في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب :

قَلْتُ هَلْ لَكَ فِي الصَّبَاءِ تَأْخُذُهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ هَمِّ الْقَالِمِشْ مُقْتَبِلُ
جِبْرِتِ كَشَمَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَةٌ يُحِيطُ بِالسَّكَّاسِ مِنَ الْأَلَمَاءِ شُعْلُ

= والرواية في الديوان :

مروى الأكرمين على انساب
عليهم في القدم ولاغضب

فا أحد من الأقوام عدوا
محتفظين إن فضلتونا

محتفظين : غضاب من الفيظة بمعنى الغضب

(١) شرح المروزي للحماسة ٣٥٨/١ والغائل هو خالد بن فضلة كان الحيوان ٣/١٠٣

والبيان والديبين ٣/٢٥٠

(٢) الشطر الثاني صدر بيت لليد بن ربيعة :

وبقيت في خلف كجلد الأجر

ذهب الذين يعاش في أكناهم

«قال هاتِ وأسمنا على طربِ»
«ودع هريرة إن الركب مرتحل» (١)
وكذلك قوله أيضاً :

وظني خلوبِ اللفظ خلوي كلامه
نحلتُ له منها نخرًا لوجبه
فهمتُ إليه والكرمي كحلُ عينه
إلى أن تجلَى نومُه عن جفونه
فأعرضَ مُزورًا كأنَّ بوجهه
فما زلتُ أرقيه وألثمُ خده
إلا فاسلبي بادارتي على البلى
مقبلةُ له سهلٌ وجانبه وغرُ
وأمكنَ منه ما يحيط به الأزرُ
فقبلته والصبُّ ليس له صبرُ
وقال: كسبت الذنوبَ قلتُ: لي الذنُ
تفقؤُ رمانٍ وقد بردَ الصدرُ
إلى أن تقنَى راضياً وبه سُكرُ
ولا زال منهلًا بجرعائك الفطر (٢)

وقد استعمل هذا الضربَ كثيراً الخطيبُ عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله ،
فن ذلك قوله في بعض خطبه وهو : « فيا أيها النقلة المطرقون ، أما أنتم بهذا
الحديث مُصدّقون ، فالكم منه لا تُشفقون ، فوربَّ السماء والأرض إنه لحق مثل
ما أنكم تنطقون (٣) » .

٣٧٤

(١) الديوان ١١٦ كانت بالأصل (ذات حر) و (وتطير بالكاس) و (غبنا على
طرب) ذات هن : ذات فرج . مقبل : نصير . حريرة : منسوبة إلى الحريرة بالمرأ . لأنها:
بريقها والشر الأخير من مطلع قصيدة الأعمى :
ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وهاها أيها الرجل
(الديوان ٥٥)

(٢) الديوان ١٠١

وق الديوان (سكت له منها) و (راضياوله الشكر) . نحلت : أعطيت . تفقؤ رمان: رمان
متكسر ، يبرد حمرة الوجه من الجبل أو الأثار التي فيه من تلك الليلة . الليت الأخير لى
الرمة . الجرعاء : الرملة الطيبة للنبث لاوهونة فيها أو السكتيب جانب منه ومل وجانب حجارة
(٣) (فوربَّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) سورة القاربات ٢٣

الحمد لله
بسم محمد بن نباتة

النوع الثامن والعشرون

الإرصاد

وحقيقته أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أُرصد لها ، أي
أَعَدَّها في نفسه ، فإذا أُنشد صدرَ البيت عَرَفَ ما يأتي في قافيته ، وذلك من
عمود الصنعة ، فإن خبر الكلام مادل بعضه على بعض .

وفي الافتخار بذلك يقول ابن نُباتة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أُنشِدْتَ فِي التَّوْمِ مِنْ طَرِبٍ صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَائِفُهَا
يَنْدَى لَهَا الرَّابِكُ الْمَجْلَانُ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْفَضْبَانُ يُطْرِبُهَا^(١)
فمن هذا الباب قول النابغة :

فِدَاءَ لِمَرِيءٍ سَارَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ رَوْقِ رَبِّهَا عَمِّي وَخَالِي
وَلَوْ كَفَى الْبَيْنَ بِنَتِكَ خَوْفًا لِأَفْرَدْتُ الْبَيْنَ عَنِ الشَّالِ^(٢)

الآ ترى أنه يُعَلِّمُ إذا عرفت القافية في البيت الأول أن في البيت الثاني
ذكر الشال ؟ .

وكذلك جاء قول البحتری :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ الْقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحَلِّ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمْتَهُ بِمَحْرَامِ^(٣)

(١) يتيمة الدهر ٣٧٩/٢ وكان بالأصل يطوبها .

(٢) من مدحه للنعمان بن المنذر والاعتذار له

وبالأصل « ولو كفى البين نبتك خوفا »

(٣) من قصيدته في مدح المتوكل ، التي مطامها .

الأهل أناها بالمقرب سلاي وهل خبرت وجدى بها وغراي

(الديوان ٢٢٢/٢)

فليس يذهب على السامع - وقد عرف البيت الأول وصدر البيت الثاني -
أن عجزه هو ما قاله البحرى .

وقد جاء الإرساد في الكلام المنشور كما جاء في الشعر .

فمن ذلك قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ^(١) » .

فإذا وقف السامع على قوله تعالى (لقضى بينهم فيما فيه) عرف أن بعده
يختلفون ، لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضا قوله عز وجل : « فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم
من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ^(٢) » وعلى نحو منه جاء قوله تعالى :
« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن
أودق البيوت لبيت العنكبوت ^(٣) » فإذا وقع السامع على قوله عز وجل
(وإن أوهن البيوت) يعلم أن بعده بيت العنكبوت .

ورأيت أبا هلال العسكري قد سمي هذا النوع التوشيح ^(٤) ، وليس

(١) سورة يونس ١٩

(٢) سورة العنكبوت ٤٠

(٣) سورة العنكبوت ٤١

(٤) في كتاب الصناعتين ٣٨٢ « سمي هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة
بهذا المعنى ، ولو سمي تبيينا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبنى عن مقطعه ،
وأوله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بعجزه ، حتى لو سمعت شمرا ، أو عرفت زواية ، ثم سمعت
صدر بيت منه وفتت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه . . . » ومن هذا يبدو أن ابن الأثير
قد وهم في نسبة لسمية هذا الفن (التوشيح) إلى أبي هلال العسكري ، والحقيقة أن الذى سماه
بذلك قدامه بن جعفر ، لأنه حمل التوشيح من أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر
معنى البيت ، وقال في تعريفه : هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به ، حتى
أن الذى يعرف قافية القصيدة إذا سم أول البيت منها عرف آخره ، وبانت له قافيته (نقدا للصر)

كذلك ، بل تسميته بالإرصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم سَمَاءً ولاق به ،
وأما التوشيح فإنه نوع آخر من علم البيان ، وسيأتى ذكره بعد هذا النوع
إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم
البيان ، حتى إن أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقاداً منه أن ذلك النوع
نوعان مختلفان ، وليس الأمر كذلك ، بل هما نوع واحد .

فمن غلط في ذلك الغامبي^(١) ، فإنه ذكر باباً من أبواب علم البيان وسماه
التبليغ ، وقال : هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية
فيها ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها ، حتى يتم وزنه ، فيبان بذلك
الغاية القصوى في الجودة ، كقول امرئ القيس :

كَانَ عَيْونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِيَانِنَا وَأَرْحَلُنَا الجَزْعُ القَدِي لَمْ يُتَقَبِّ^(٢)

فإنه أتى بالتشبيه تاماً قبل القافية ، ولما جاء بها بلغ الأمد الأقصى في المبالغة .

ثم إن الغامبي ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه الإشباع ، فقال : هو
أن يأتي الشاعر بالبيت مُمَلَّقَ القافية على آخر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك
إلا حذقاً الشراء ، وذلك أن الشاعر إذا كان بارعاً جَلَبَ بقدرته وذكاؤه
وفطنته إلى البيت - وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه - قافية متممة
لأعاريضه ووزنه ، فجاءها نعتاً للمذكور ، كقول ذي الرمة :

(١) أبو العلاء بن غانم المعروف بالغامبي كان من فضلاء عصره وشمرائه

(الباب ٣/١٦٦)

(٢) الديوان ٥٣ الجزع القدي لم يتقب : شبه عيون الوحش فيها من سواد وبياض
بجزع غير منقب لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه .

قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ لِلسَّلْسَلِ (١)

هذا كلام الغامى بعينه ، والبايان المذكوران سواء ، لا فرق بينهما بحال .
والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يُؤْتَى بِقَافِيته ،
وكذلك بيت ذى الرمة ، ألا ترى أن امرأ القيس لما قال : « كان عمون الوحش
حول خباتنا ، وأرحلنا الجزع » أتى بالتشبيه قبل القافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة
حسنة ، وهى قوله لم « يثقب » .

وهكذا ذو الرمة فإنه لما قال :

قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ ...
أتى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتي بالقافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة
وهى قوله : المسلسل .

واعلم أن أبا هلال العسكري قد سمي هذين القسمين بوجهما الإيصال (٢) ،
وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتي بالمقطع

(١) ديوان ذى الرمة ٧٢ العيس : التوفى البيض . أخلاق الرداء : الرداء القى صلب
خلقا وقطعا

(٢) الصناعتين ٣٨٠ « هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتي
بالمقطع فيزيد معنى آخر زيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا . وأصل الكلمة من قولهم
وغل في الأمر إذا أبعد القهاب فيه .

وقد وهم ابن الأثير هنا أيضا في نسبة تسمية هذا الفن (الإيصال) إلى أبي هلال العسكري .
والحقيقة أن هذا الفن من مستخرجات قدامة ، وهو واضح لقبه ، وجعله من أنواع
اثنلاف القافية مع سائر معنى البيت ، وروى قدامة أن عماد بن يزيد النحوى قال : حدثنى
التوزى قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى المعنى الضخيس فيجعله
بإفظة كبيرا ، أو إلى الكبير فجعله خسيما ، أو ينقضى كلامه قبل القافية ؛ فإذا احتاج إليها أفاد
بها معنى . قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذو الرمة ، وأورد البيت المذكور هنا . ثم قال :
فتم كلامه قبل « المسلسل » ثم قال « المسلسل » فزاد شيئا . ثم قال ذو الرمة

أظن الذى يجدى عليك سؤالها دموعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئا

فيزيد فهمه معنى آخر ، وأصل الإيفال من أوغل في الأمر إذا أبعده الذهاب فيه ، ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة (قف العيس في أطلال مية فاسأل) وهذا أقرب أمدأ من الغامى ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه بامم واحد ، ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغامى .

وليس الأخذ علم الغامى في ذلك مناقشته على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن ينتصب لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخل في الآخر فيذهب عنه ويخفى عليه^(١) ، وهو أشهر من فلقى الصباح .
وهاهنا ما هو أغرب من ذلك ، وذلك أنه قد سلك قوم في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان ، وهي بَنجوة عنه ، لأنها في واد وعلم البيان في واد .

فمن فعل ذلك الحريري صاحب المقامات ، فإنه ذكر تلك الرسالة^(٢) التي هي

- (١) في الأصل (فيذهب عليه ويخفى عنه) فرجعنا هذا التصويب .
(٢) في المقامة الحلبية (السادسة والأربعون) عشر مقطعات من الأبيات في كل مقطعة ثلاث لفظي . فن ذلك الأحياف أى كلمة مهملة وأخرى معجمة مثل قوله :
اسمح فيث السماح زين ولا تحب آملا تضيف
ولا تظن الدهور تبقى مال ضنين ولو تلتف
ومن ذلك العواطل أى الخالية من الحروف المعجمة ، مثل :
أعدده لمسادك حد السلاح وأورد الأمل ورد السماح
ومن ذلك العرائس أى المعجمة كلها مثل :
شفتنى بجهن طي غضيف غنج يقتضى تفيض جفى

الخ الخ

وفى المقاومة السمر قندية (الثامنة والعشرون) خطبة مهملة الحروف مثل قوله :
أحمده حمد موحد مسلم ، وأدعوه دعاء مؤمل مسلم ؟ وهو أفة لا إله إلا هو الواحد الأحد ،
العادل الصمد ، لا والده ولا ولد ، ولا دره معه ولا مساعد ، أرسل عمدا للإسلام ممهدا ،
وللملة موطلا

وفى للمقامة الرقطاء (السادسة والعشرون) رسالة مكونة من كلمات حرف مهملة
وتاليه معجم ، مثل :

أخلاق سيدنا تحب ، وبمقوته ياب ، وقربه تحف ، ونأبه تلف ، وخطبه نسب ، وقطيعته
نصب ، وغربه تألقى ، وشبهه تألقى الخ

كلمة معجبة وكلمة مهمة ، والرسالة التي حرف من حروف ألفاظها معجم والآخر
غير معجم ، ونظم غيره شعراً آخر كل بيت منه أول البيت الذي يليه ، وكل هذا
وإن تضمن مشقة من الصناعة فإنه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة ، لأن الفصاحة
هي ظهور الألفاظ مع حسنها على ما أشرت إليه في مقدمة كتابي هذا ، وكذلك
البلاغة فإنها الانتهاء في محاسن الألفاظ والمعاني ، من قولنا بلغت المكان إذا
انتهيت إليه .

وهذا الكلام المصوغ مما أتى به الحريري في رسالته وأورده ذلك الشاعر
في شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة ، وإنما يأتي ومعانيه غثة باردة ، وسبب
ذلك أنها تستكره استكرهاها ، وتوضع في غير مواضعها ، وكذلك ألفاظه
فإنها تبيح مكرهه أيضاً غير ملائمة لأخواتها ، وعلم البيان إنما هو الفصاحة
والبلاغة في الألفاظ والمعاني ، فإذا أخرج عنه شيء من هذه الأوضاع المشار إليها
لا يكون محدوداً منه ولا داخلاً في بابها .

ولو كان ذلك مما يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لورد في كتاب الله عز
وجل وهو مدن الفصاحة والبلاغة ، أو ورد في كلام العرب للفصحاء ، ولم يره
في شيء من أشعارهم ولا خطبهم .

ولقد رأيت رجلاً أديباً من أهل المغرب وقد تغفل في شيء عجيب ، وذلك
أنه شجرة شجرة ونظامها شعرا ، وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضروب من
الأصاليب انبعاثاً لشعب تلك الشجرة وأغصانها ، فتارة تقرأ كذا وتارة يكون
جزء منه هاهنا ، وتارة هاهنا ، وتارة يقرأ مقلوباً ، وكل ذلك الشعر وإن كان له
معنى إلا أنه ضرب من الهذيان ، والأولى به وبأمتنا أن يلتحق بالشعبذة والمعالجة
والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة .

ورأيت أبا محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الأبواب في كتابه^(١) فقال : ينبغي ألا تستعمل في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيمهم ، ولا الألفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم ، لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة^(٢) ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :
مَوْدَةٌ ذَهَبٌ أَثْمَارُهَا شَبُهٌ وَهَيْئَةُ جَوْهَرٍ مَعْرُوفُهَا عَرَضٌ^(٣)
وبقوله أيضا :

خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بِالْمَقُولِ حَيَاتُهَا كَتَلْعَبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ^(٤)

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة .

إن الذي تكرهون منه هو الذي يشبهه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب إليه فأقول : أما قوله إنه يجب على الإنسان إذا خاض في علم أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل العلم وأصحاب تلك الصناعة ،

(١) سر الفصاحة ١٥٩

(٢) تكملة كلام الخفاجي : وبهذا شرف كلام أبي عثمان الجاحظ ، وذلك أنه إذا كاتب لم يعدل عن ألفاظ الكتاب ، وإذا صنف في الكلام لم يخرج من عبارات المتكلمين ، فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ، ولا يحسن غيره (١٥٩)

(٣) من قصيدته في عتاب هياش بن لهيعة التي مطلعها :

ذل السؤال شجبا في الخلق معترض من دونه شرق من تحته جرض الديبواز ٤٠٠ طيمة محمد جمال .

الجوهر والعرض من اصطلاحات علماء الكلام . الجرض : الفضة .

(٤) الديوان ٣٣/١ من قصيدته في مدح محمد بن حسان الضبي ، وهذا البيت من خرباته فيها ، خرقاء : وصف الخمر بالخرق وهو في الأصل العجز من إحسان العمل ، يقال للمرأة خرقاء ، أي أن الخمر لا تحسن أن تعمل شيئا لكنها تلعب بالعقوق ، ويفيرها من حال إلى حال ، كانتعمل الأفعال بالأسماء ، فترفعها تارة وتنصبها تارة . الحياض : طرائق الماء فيها إذا مزجت

فهذا مسلم إليه ، ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة ، لأنها موضوعة على الخوض في كل معنى ، وهذا لا ضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره ، فإذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني وأداه ذلك إلى استعمال معنى قهقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحذفه عنه ، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى الذي قصده .

الآن نرى إلى قول أبي تمام في الاعتذار :

فإن يك جرمٌ عنَّ أو تلكُ ذفوةٌ هل خطأ مني فمُذري على عمدٍ (١)

فإن هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار عن الذنب ، وكان ينبغي له على ما ذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظنا الخطأ والعمد اللتان هما من أخص ألفاظ الفسحاء .

وكذلك قول أبي الطيب المتنبي .

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسَهُم والأغصُرَا
نُصِفُوا إِنَّمَا نَسَقَ الحِسَابَ مُقَدِّمًا وَأَتَى فذلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)

(١) الديوان ١١٧/٢ من مدحه لأبي المنيث الرافقي واعتذاره له

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفضل محمد بن العميد ، التي مطلعها :

بَادِ هودَكَ صَبْرَتِ أُمِّ لَمْ تَصْبِرَا وَبِكَأَنَّ لَمْ يَجِرْ دَمْعًا أَوْ جَرَى

وقوله لقيت كل الفاضلين ، معطوف على كلام سابق يتحدث فيه عن مثل فلاسفة وعلماء

وعظماء وكرماة في شخص ابن العميد . (الديوان ٣١٦ / ٢) لسقوا : سردوا . فذلك : حكاية

قول الحاسب إذا أجل حسابه ، فهي فاعل أتى أي أن هؤلاء الفاضلين تتابوا متقدمين عليك

في أزمانك ، فلما أتيت بدمج ما كان فيهم من فضائل ، فكنت بمثابة إجمال الحاسب الذي

تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل فيكتب في آخرها ذلك كذا وكذا

(الديوان ٣١٦/٢)

وهذا من المعاني البديعة ، وما كان ينبغي لأبي الطيب أن يأتي في مثل هذا
الوضع بلفظة ذلك التي هي من ألفاظ الحساب ، بل كان يترك هذا المعنى الشريف
الذي لا يتم إلا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب إليه ، وهذا محض
الخطأ وعين الخطأ .

وأما أنكره على أبي تمام في قوله :

مَوَدَّةٌ ذَهَبٌ أَمَارًا شَبَّهِهُ وَهَيْئُهُ جَوْهَرٌ مَعْرُوفٌ عَرَضُ

فإن هذا البيت ليس مفكرا لما استعمل فيه من ألفاظ الجواهر والعرَض
التيين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين ، بل لأنه في نفسه ركيك ، لتضمنه
لفظة الشبَّه فإنها لفظة عامية ركيكة وهي التي أسخفت بالبيت بجملة ، ورب
قليل أفسد كثيرا ، وأما لفظا الجواهر والعرَض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما .

وأما البيت الآخر وهو :

خَرَقَاهُ يَلْعَبُ بِالْقَوْلِ حَبَابُهَا كَتَلَمَّ بِ الْأَفْعَالِ بِ الْأَسْمَاءِ .

فليس بمنكر ، وهل يشك في أن التشبيه الذي تضمنه واقع في موقعه ؟ ألا
تري أن الفعل ينقل الاسم من حال إلى حال ، وكذلك تفعل الخمر بالمقول في
تنقل حالها ، فما الذي أنكره ابن سنان من ذلك ؟
وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الأسلوب مالا يُدافع في حسنه ، وهو قوله :

عَوَامِلُ رَزَقٍ أَعْرَبَتْ لَفْظَ الرَّدَى فَجِسْمٌ لَهُ خَفِضٌ وَرَأْسٌ لَهُ نَصَبٌ

فإنه لما حصل له للشابهة في الاسمية بين عوامل الرياح والعوامل النحوية
حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب ، وعلى ما ذكر ابن سنان فإن ذلك
غير جائز ، وهو من مستحسنات المعاني هذا من أعجب الأشياء

وهل هذا الأسلوب ورد قول بعضهم :

وفى من مازين فاق أهل البصرة
أمه معرفة وأبوه نكيره

وهل يشك في حسن هذا المعنى ولطافته ؟

وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين بهجو طيبيا ، فقال :

قال حمار الطيب توما لوأ نصفوني لكنت أركب
لأنى جاهل بسيط وراكبي جهله مركب

وهذا من المعنى الذى أغرب فى الملاحظة ، وجمع بين خفة السخرية ووقار
النفصاحة .

وقد تقدم القول فى صدر كتابى هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة
أن يعلق بكل علم وبكل صناعة ، ويخوض فى كل فن من الفنون ، لأنه مكافئ
بأن يخوض فى كل معنى ، فأضمت يدك على ما ذكرته ونصت عليه ، وارك
ماسواه ، فليس القائل بمله واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده .

وهذا النوع إذا استعمل على الوجه المرصى كان حسنا ، وإذا استعمل
بخلاف ذلك كان قبيحا ، كما جاء فى كلام أبى العلاء بن سليمان المعرى وهو قوله
فى رسالة كتبها إلى بعض إخوانه « حرس الأسعادات ما أذنت التاء فى الظاء ،
وتلك سعادة بغير انتهاء » وهذا من الفث البارد ، لكن قد جاء فى الشعر ما هو
حسن فائق كقوله :

قدونكم خفص الحياة فإننا نصبنا المطايا فى الفلاة على اللطام^(١)

(١) شرح التنوير على سقط الزند ١٠٩/٢ نصبنا المطايا : أمددناها للسير . خفص
الحياة : لينها ونميتها .

والخفض والنصب من الإعراب النحوي ، والخفض رفاهة الميش ، والقطع من منصوبات النحو ، والقطع قطع الشيء يقال قطمته إذا بترته .

النوع التاسع والعشرون

في التوشيح

وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین ، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيا من بحر على عروض ، وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيا من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، كذلك يتجرى الأمر في الفقرتين من الكلام المنشور ، فإن كل فقرة منهما تصاغ من سبعتين ، وهذا لا يكاد يتعمل الا قليلا وليس من الحسن في شيء ، واستعماله في الشعر أحسن منه في الكلام المنشور .

فن ذلك قول بعضهم :

اتلمّ ودُمّت على الحوادث مارتا ركننا تبيير أو هضابُ حراء^(١)
ونل المراد مُمكنًا منه على رنغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا الجيد الذي يأتي في هذا النوع ، إلا أن أثر التكلف عليه باذظاهر ، وإذا نظر إلى هذين البيتين وجدواهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ، وذلك أن يقال :

(١) تبير : جبل بظاهر مكة . حراء : جبل بمكة به غار تحنت فيه رسول الله .

أسلم ودُمتَ على الحوا دث مازسا ركنا شير
ونل للراد ممكنا منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريري في مقامته نحو قوله :

ياخاطِبَ الدنيا الدنيَّةِ إنها شَرَكَ الردى وقَرارةُ الأ كَدَارِ
دارمى ما أضحكَّتْ فى يومها أبكَّتْ فداً بُدأ لها مِن دار
وإذا أَظَلَّ سحابها لم يَنْتَقِمِ منه صَدى لَجْهائِه القَرارِ^(١)

واعلم أن هذا النوع لا يستعمل إلا متكلفاً عند تماطى التمكن من صناعة
النظم ، وحسنه متوطناً بما فيه من الصناعات لا بما فيه من البراعة .

الآتى أنه لو نُظِمَ عليه قصيد من أوله إلى آخره يتضمن غزلاً ومديحاً على
ما جرت إعادة القصائد أليس أنه كان يجيء بارداً غثاً لا يسلم منه على محك النظر
عشره ؟ والعشر كثير ، وما كان على هذه الصورة من الكلام فإننا يستعمل
أحياناً على الطبع لا على التكلف ، وهو وأمثاله لا يحسن إلا إذا كان يسيراً كالرقم
فى التوب أو الشية فى الجلد .

(١) من الممكن أن تقرأ الأبيات هكذا ، وقد وردت على الوجهين فى المقامة الشعرية
(الثالثة والعشرون) ١٦٦

ياخاطب الدنيا الدنيا
دارمى ما أضحكَّتْ فى يومها أبكَّتْ فداً
وإذا أَظَلَّ سحابها لم يَنْتَقِمِ منه صَدى

لم ينتقم منه صدى : لم يرتو منه عطش

النوع الثلاثون

في السرقات الشعرية

ولربما أعترض معترض في هذا الموضوع فقال قد تقدم نثر الشعر في أول الكتاب ، وهو أخذ النثر من الناظم ، ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم ، فلم يكن إلى ذكر السرقات الشعرية إذاً حاجة ، ولو أنعمَ هذا المعترض نظره لظهر له الفرق ، وعلم أن نثر الشعر لم يُتعرَّض فيه إلى وجوه المأخذ وكيفية التوصل إلى مداخل السرقات ، وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلاً .

واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الأول^(١) ، لكن لا ينبغي لك أن تمجّل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة ، فكثيراً ما رأينا من عجّل في ذلك ففتر وتعاطى فيه البدئية فمقر .

والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء^(٢) بحيث يكون ذلك أخفى من سواد الغراب ، وأطرف من عَنقَاء مُتَرَبِّبٍ في الإغراب .

(١) قال أبو هلال السكري : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقدمهم ، والسب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم . (الصناعتين ١٩٦)

(٢) قال القاضي الجرجاني : فإن الشاعر الماذق إذا علق المعنى المختلس عدله عن نوعه وصنعه ، وعن وزنه وفظه ، وعن رويه وقافيته . فإذا مر بالنبي الفحل وجدما أجنبيين متباهدين ، وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة التي تجمعهما (لوساطة ١٩٩) وقال أبو هلال : والماذق يخفي ديبه إلى المعنى يأخذه في مسترة فيصيح له بالسبق إليه أكثر من يجره (الصناعتين ١٩٨)

وقد ذهب طائفة من العامة إلى أنه ليس لقائل أن يقول إن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعاً، فإن قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وإنه لم يبق معنى من المعاني إلا وقد طرق مراراً .

وهذا القول وإن دَخَلَ في حيز الإمكان إلا أنه لا يُلتَمَتُ إليه ، لأن الشعر من الأمور المتناقلة ، والذي تَفَلَّتُهُ الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيما يعين لها من الحاجات ، ولم يزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائداً فناقصاً ، فقصد القصائد ؛ وهو أول من قصد ؛ ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية . وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ؟ ثم تقابح المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التي علفت على البيت ، وانفتح للشعراء هذا الباب في التفصيل . وكثرت المعاني المقولة بسببه ، ولم يزل الأمر ينمى ويزيد ، ويؤتى بالمعاني الغربية واستمر ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة الحمدانية ، فمظم الشعر وكثرت أساليبه ، وتشعبت طرقه ، وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بين عبيد البحرى وأبو الطيب المتنبى .

فإذا قيل إن المعاني المبتدعة سبق إليها ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته .

والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة . ومن القدي يحجر على الخواطر ، وهي قاذفة بما لانهاية له ؟ إلا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ، ولا يطاق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى تباع الآخر الأول ، كقولهم في الغزل :

عَفَتِ الدِّيارُ وما عَفَّتْ آثارُهنَّ من القلوبِ

وكقولهم إن الطيف يجود بما يَبْخَلُ به صاحبه ، وإن الواشى لو علم بمزار

الطيف لساءه ، وكقولهم في المديح إن عطاءه كالبحر وكالسحاب ، وإنه لا ينح
عطاء اليوم عطاء غد ، وإنه يجود ابتداء من غير مسألة وأشباه ذلك ، وكقولهم
في المرأى إن هذا الرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأبعد والأقرب ،
وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، وإنه بعد هذا الذاهب لا يمد
للغنى ذنب ، وأشباه ذلك .

وكذلك يجرى الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر
عليها من غير كلفة ، وتستوى في إيرادها ، ومثل ذلك لا يُطلق على الآخر
فيه اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى الخصوص كقول
أبي تمام :

لانتكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والياس
فأله قد ضرب الأفل لنوره مثلاً من المشكاة والنهراس

فإن هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام ، وكان لا ابتداعه سبب والحكاية
فيه مشهورة ، وهى أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى مطلعها
« ما فى وقوفك ساعة من باس »^(١) انتهى إلى قوله :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى جليم أحنف فى ذكاء إياس

فقال الحكيم الكندي : وأى فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف
العرب ؟ فأطرق أبو تمام ، ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه إياه
بعمر وحاتم وإياس ، وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه ، فمن أتى من بعده
بهذا المعنى أو بجزء منه فإنه يكون سارقاً له .

(١) من قصيدته فى مدح أحمد بن المعتصم (الديوان ٢٤٢/٢)

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه :
وأنت الشمسُ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ
فَمَا شَأْنُ عَيْشَةِ الْقَمَرَيْنِ بِمُحْيَا بِضَوْسُهُمَا وَلَا يَتَحَاسِدَانِ
وَلَا مَلَكَ سِوَى مَلِكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرِثًا سِوَى مَنْ تَقْتَلَانِ
وَكَانَ أَبْنَا عَدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْتِي حُرُوفِ الْأَنْبِيَّانِ^(١)

وهذا معنى لأبي الطيب ، وهو الذي ابتدعه أى أن زيادة أولاد عدوك
كزيادة التصغير ، فإنها زيادة نقص .

وما ينبغي أن يقال إن ابن الرومي ابتدع هذا المعنى الذى هو :

تُشْكِي الْحَبَّ وَتُفَلِّي الدَّهْرَ شَاكِيَةً^(٢)

كألقوسٍ تُضْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ يِرْنَانٌ

فإن علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي ، وليس كذلك
ولكنه مأخوذ من المثل المضروب ، وهو قولهم (يَلْدَغُ وَيَهِي)^(٣) .
ويضرب ذلك لمن يبتدىء بالأذى ثم يشكو ، وإنما ابن الرومي قد ابتدع معانى

(١) الديوان ٤٨٦/٤ من قصيدته التي مطلعها :

مفاني الشدب طيبا في المفاني بمنزلة الريح من الزمان

(٢) اشكى الحب . تزيد أذى وتفعل به ما يوجب شكواه : تصمى الرمايا : تصيب
المصيد فتقتله مكانه . وى الأصل (يشكى ويانى) ، لكن قبل البيت قوله :

يارب حسانة منهن قد فعلت سوءا رقد تفعل الأسواء حسانا
وهذا يعين تأنيث الفعلين .

(٣) يهى : يهى ، من صامت المقرب تصى إذا صاحت ، ومنه حديث علي رضي الله عنه
« أنت مثل المقرب تلدغ وتهى » ، أى تلدغ وهى صائحة . تاج العروس مادة صأى

آخر غير ما ذكرته ، وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المتقدمة ، بل الغرض أن يبين المعنى المتدع من غيره . والقى عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدلائل على سرقة .

واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثرها ،^(١) وكنت ألفت فيها كتاباً ، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخاً وسلخاً ومسحاً .

أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى رمة من غير زيادة عليه ، مأخوذاً ذلك من نسخ الكتاب .

وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد القى هو بعض الجسم المسلوخ .

وأما المسح فهو إحالة المعنى إلى مادونه ، مأخوذاً ذلك من مسح الأدميين قرده

وما هنا قسمان آخران أخلفت بذكرهما في الكتاب القى ألقته ؛ فأحدها أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده ، وهذان القسمان أيضاً بنسخ ولا سلخ ولا مسح :

(١) من العلماء والقاد القين درسوا السرقات القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني مؤلف الوساطة ، فقد قسم المعاني ثلاثة أقسام : المعاني المشتركة التي لا يجوز ادعاء السرقة فيها ، والمعاني المتبدلة التي كانت في أصلها مخترعة ثم استفاضت وتوقلت فليس أحد أولى بها من أحد ، والمعاني المختصة التي حازها المتدعي فلسكها ، فصار المتدعي مختلساً سارقاً (الوساطة ١٧٩)

وكذلك أبو هلال العسكري الذي أفاض في الكلام في السرقات وضرورها وتكلم في الأخذ الحسن ووسائله والبيع وضروره (الصناعتين ١٩٦)

وكل قسم من هذه الأقسام يتفرع ويتفرع به للقسم إلى مسالك
دقيقة ، وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب ، والله الموفق
للصواب .

ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأسماء
الكثيرة التي لا يحصرها عدد ، فن رام الأخذ بنواصيها والاشتغال على قواصيها
بأن يتصفح الأسماء تصحفا ويقنع بتأملها ناظرا ، فإنه لا يظفر منها إلا بالحواسي
والأطراف ،

وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسة ، ودخلت مدينة دمشق
فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون بيت من شعر ابن الخياط في قصيدة لها ولها :

خذ من صبا نجد أمانا لقلبه (١) .

ويزعمون أنه من المعاني الغريبة ، وهو .

أغارُ إذا آنت في الحمى أنه حذارا عليه أن تكون لهُ

(١) تكلمة البيت : « فقد كاد رايها يطير بلبه »

وهو مطلع قصيدة لطيفة منها :

ويا كما ذاك النسيم فإنه	متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى لو أحببتنا لعلمتا	محل الهوى من مفرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى	يتوق ، ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه	وشوق على بعد المزاد وقربه
وفى الركب مطوى الضلوع على جوى	متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطرت من جانب الرمل نفضة	تضمن منها داؤه دون صحبه
ومحتجب بين الأسننة معرض	وفى القلب من إعراضه مثل حجه
أغار إذا آنت في الحمى أنه	حذارا وخوفا أن تكون لهُ

والأبيات لأحمد بن محمد بن علي بن صدقة النقلي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي

قلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله :

لَوَقَاتِ الدَّنْفِ المَشُوقِ فَدَيْتُهُ عَمَّا بِهِ لِأَعْرَتِهِ بِفِدَائِهِ (١)

وقول أبي الطيب أدقُّ معنى ، وإن كان قولُ ابن الخياط أرقَّ لفظاً .
ثم إنِّي وَقَفْتُهمُ على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من
شعر المتنبي .

وسافرت إلى الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يُعجبون
ببيت من الشعر يعزُّونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة (٢) ، وكان حديث
عهد زماننا هذا في آخر الدولة العلوية بمصر ، وذلك البيت من جهة قصيدة له
يمدح بها بعض خلفائها عند قدومه عليه من اليمن وهو :

فهل دَرَى البيتُ أني بعدُ فُرَّقته ما سيرتُ من حَرَمٍ إلا إلى حَرَمٍ (٣)

قلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادحا لبعض

(١) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أهلٌ ياعذول بدائه وأحقُّ منك بجفنه وبمائه
الديوان ١/١ أي أن القلب أدري منك أيها اللأم بدائه وما أدرك من ألم الهوى ، فهو يبتس
شفاه في البكاء ويامر الجفن به .

الدنف : المريض من العشق . أعرته : بقتله على النيرة . بدائه : بفدائك إياه .
(٢) عمارة الهيمي : شاعر سياسي كبير ولد سنة ٥١٥ هـ باليمن ، ثم رحل إلى مصر
سنة ٥٥٠ هـ في عهد الخليفة الفائز ووزيره يومئذ طلائع بن زريك ، ونال من الكرم
ما ألج لسانه بالشكر .

ولما سقطت الدولة الفاطمية حزن عليها حزنا شديدا ، لكنه اضطر إلى مدح صلاح الدين
الأيوبي . ثم انهم بالاشتراك في مؤامرة لخلع صلاح الدين ، فسلم فبمن صلحوا سنة ٥٦٩ هـ

(٣) من قصيدته في مدح الخليفة الفائز بن الظاهر ووزيره الصالح ، التي مطلعها :

الحمد لله ليس بعد العزم والهمم حمدا يقوم بما أولت من النعم

(ديوان عمارة الهيمي)

الخلفاء في حَبَّة حَبَّهَا ، وذلك بيت من جملة أبيات خمسة :

يا من رأى حَرَمًا يَسْرِي إلى حَرَمٍ طُوبَى لِمُسْتَلِيمٍ يَا تَبِي وَمُنْتَزِمٍ (١)
ثم قلت في نفسى يالَّ العجب ! ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء
الذين دَرَسَتْ أَسْمَارُهم ، ولاهما من لم يُعْرَفْ ولا اشتهر أمره ، بل هما كما يقال
أشهر من الشمس والقمر ، وشعرهما دأر في أيدي الناس ، بخلاف غيرها ،
فكيف خَفِيَ على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخياط وهمارة المأخوذان من
شعرهما ؟ وعلت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للأشعار والاعتناع بالنظر
في دواوينها .

ولما نصبت نفسى للخوض في علم البيان ودرمت أن أكون معدوداً من
علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل ما في الكتب إلى الصدور ،
والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور .

ليس بِبَلِيمٍ مَا حَوَى الفِطْرُ مَا القَلَمُ إلا ما حَوَاهِ الصَّدْرُ

ولقد وقعت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفذت شطرا من العمر
في المحفوظ منه والمسموع ، فألقيه بحر الأبوَاف على ساحله ، وكيف يُدْتَمَى
إلى إحصاء قول لم يخص أسماء قائله ؟ فمعد ذلك اقتصرت منه على ما تكثر
فوائده ، وتنشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من
قَصَرَ نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى
الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فتمى ووجد ذلك فكل مكان خِيَمَتْ
فهو بابل .

(١) ليس البيت بديوانه

وقدا كتفتت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد
(البحترى) وأبى الطيب المنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم لآت الشعر وعزاه
ومناؤه^(١) ، الذين ظهروا على أيديهم خسنانه ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم
قرابة المحدثين .

(١) يريد أنهم آله الشعر .

اللات : صنم كان لأهل الطائف وكانت قريش وسائر العرب تعظمه ، وهو صخرة مربعة
وسموا به فقالوا : زيد اللات وتم اللات (الأضنام لابن السكلى ١٦) وقيل إنه بيت كان
بنخلة فميدته قريش (تفسير الطبرى ٣٥/٢٧) ويرى بروكلمان أن اللات هى الإلهة التى كانت
تعرف فى الطائف بالربة أى السيدة ، وهى تقابل الأم الكبرى للالهة عشتار عند الساميين
الشماليين (العرب والامبراطورية الميرية ٢٧) وذكر الطبرى أن اللات مشتقة من الله ،
ألحقت به التاء فأنت ، كما قيل عمرو للمذكر وللأنثى عمرة (تفسير الطبرى ٣٤/٢٧)
وطلت اللات لى فجر الإسلام إذ بعث النبي أباصفيان والمغيرة بن شعبة لهدمها بالطائف .
(دخلان ٣٧٩/٢) بعد أن أسلمت ثقيف ، وهلاها المغيرة يضرب بالمعول ، وخرجت نساء
ثقيف حسرا يبكين عليها ويتهمن بالجين رجالهن لأنهم لم يدافعوا عنها (ابن هشام ١٩٨/٤)
المرى :

كانت المرى أعظم الأصنام عندهم . وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض ، فبنى
عليها بيت ؟ وكانوا يسمعون فيه الصوت . وسموا بها فقالوا هب المرى . وكانوا يزورونها
ويهدون إليها ويتقربون بالذبيح عندها (الأضنام ١٨) ويختلف المؤرخون فى عبادتها ،
فابن هشام يذكر أنهم قريش وبنو كنانة (السيرة ٨٧/٤) وغيره يذكر أنهم غطفان . وهى
شجرة سمرة بعث إليها النبي خالد بن الوليد فقطعها . وزعموا أنها خرجت منها شيطانة مكشوفة
الرأس ناضرة الشعر ، تضرب رأسها وتولول فضربها خالد بالسيف فقتلها وهو يقول :

يا عز كفر الله لا سبحانك
إنى رأيت الله قد أهانك

فلما رحم إلى النبي أخبره بما فعل ، فقال : تلك المرى ولن تمديدا (أخبار مكة لللازرقى
٧٤/١ والنيسابورى على هامش الطبرى ٤١/٢٧) والزيبي دخلان على هامش السيرة الحلبية
٣٤٠/٢ . وتسمية المرى مشتقة من اسم الله تعالى العزيز أو هو مؤنث الأعز كما ذهب
النيسابورى (الطبرى ٣٤/٢٧) والنيسابورى على هامشه)
مناة :

أقدم أصنامهم ؟ كانت تعظمه الأوس والمزرج ومن ينزل يثرب ومكة وماحولها ،
ويذبحون له ويهللون ، وضموا به فقالوا هب مناة وزيد مناة (الأضنام ١٣) . وهى صخرة
سميت بذلك لأن دماء القرابين كانت تنعى عندها أى تراق وظلت قائمة إلى أن بعث النبي
سعد بن زيد أو أباصفيان بن حرب أو على بن أبى طالب فهدمها (الزبيبي دخلان ٣٤٢/٢)
ويرى بروكلمان أنها إلهة القضاء والقدر ، وكانت معروفة فى مكة ، ثم شاعت عبادتها
على الخصوص بين قبائل هذيل البدوية المجاورة (العرب والإمبراطورية الميرية ٧٧)

إلى فصاحة القدماء ، وجهت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء .

أما أبو تمام فإنه رَبُّ معانٍ ، وصَيْقَلُ ألبابٍ وأذهانٍ ، وقد شَهِدَ له بكل معنى مبتكر لم يَمْشِ فيه على أثرٍ ، فهو غير مُدَاْفِعٍ عن مقام الإغراب الذي رَزَّ فيه على الأضراب .

ولقد مارستُ من الشعر كل أولٍ وآخرٍ ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيبٍ وتنقيحٍ ، فمن حفظ شعر الرجل وكشَفَ عن غامضه ، وراضٍ في فكره برائضه ، أطاعته أَعِنَّةُ الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت أذام ، نَحْذَرُ في ذلك قول حكيم ، وتعلم تفوق كل ذي علم عليم .

وأما أبو عبادَةَ البحتری فإنه أَحْسَنَ في سَبْكِ اللفظ على المعنى ، وأراد أن يَشْمَرَ فَنَتَى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزاة على الإطلاق ، فبينما يكون في شَطَفِ نَجْدٍ إِذْ تَشَهَّتْ رِيْفُ العِراقِ .

وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتری . ولعمري إنه أنصف في حكمة ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادَةَ أتى في شعره بالمدنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلاحة الماء ، فأدرك بذلك بُعدَ المرام مع قربهِ إلى الألفهام . وما أقول إلا أنه أتى في مدانيه بأخلاق الفألية^(١) ، ورَقِيَ في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبى فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه ، ولم يُعْطِ الشعر من قواده ما أعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم

والأمثال ، واختصّ بالإبداع في وصف مواقف القتال .
وأنا أقول قولاً لست فيه مُتأثراً ولا منه متلثماً ، وذلك أنه إذا خاض في
أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أنفاله ، حتى
وصف معركة كان لسانه تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد توأصلا ،
فطريقته في ذلك تَضِلُّ بسلكه ، وتقوم بعذر تاركه . ولا شك أنه كان يشهد
الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه . ومع هذا فإن
وأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط ، فيما مُفَرِّط في وصفه وإما مُفَرِّط .
وهو وأن انفرد بطريق صار أبا عُذْرِهِ ، فإن سعادة الرجل كانت أكبر
من شعره ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف
وفوق الإطراء .

ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تظَلِّينُ كَرِيحاً بعد رُؤيته إن الكرام بأَسْخامِ يَدَا خَتَمُوا
ولا تُبَلِّ بِشعرٍ بعد شاعِرِهِ قد أُنْصِدَ القولُ حَقَّ أَجْدِ الصَّمَمِ (١)

ولما تأملت شعره بعين المَدَدَةِ البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل
صاحبها وما عَوَّى ، وجدته أقساماً خمسة : خمسٌ في الغاية التي انفرد بها دون غيره ،
وخمسةٌ من الشعر الذي يساويه فيه غيره ، وخمسٌ من متوسط الشعر ، وخمسةٌ
دون ذلك ، وخمسةٌ في الغاية المتفجرة التي لا يُبْأَى بها ، وعدمها خير من وجودها ،

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عني أئيبين على عفى الرضى ندم ماذا يزهك في إلبامك القسم
لأنه بلته أن الطريق أدم عند ملكك أن يهزم سيف الدولة ، فلما حارب سيف الدولة هزمه
الهيوان ١٦٧/٢ . شاعره : يزيد نفسه .

ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت
عرضه شارة لسهام الأقوام . ولما نزلها هنا أن يسأل ويقول : لم عدت إلى
شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟ .

فأقول : إنني لم أعدل إليهم اتفاقاً ، وإنما عدت إليهم نظراً واجتهاداً ،
وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديماً وحديثاً ، حتى لم أترك ديواناً لشاعر
مُفلق يثبّت شعره على المحك إلا وعرضته على نظري ، فلم أجد أجمع من ديوان
أبي تمام وأبي الطيب للعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجاً منها لطيف الأغراض
والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عبادة ، ولا أنقى ديباجة
ولا أبهج سبكاً ، فاخترت حينئذ دواوينهم ، لاشتغالها على محاسن الطرفين من
للعاني والألفاظ . وما حفظتها ألفت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها .

وقد أوردت في هذا الموضوع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ،
ونبت على غوامض منها ، وكنت قدمت القول أني قسمتها إلى خمسة أقسام ،
منها الثلاثة الأول ، وهي النسخ والسلك والمسخ ، ومنها القسمان الآخران ، وما أظن
أبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها وتفريعها فأقول :

(الفسخ)

أما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعاً ، أو في أخذ المعنى
وأكثر اللفظ ، لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب ، وعلى ذلك فإنه ضربان :

المؤول :

يسمى وقوع الحافر على الحافر^(١) ، كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أمتي وتجدل^(٢)
وكقول طرفة :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أمتي وتجدل^(٣)
وقد أكثر الفرزدق وجريز من هذا في شعرهما ، فنه ماوردًا فيه مورد
امرئ القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق :

أتمدل أحساباً لثاماً حمانها بأحسابنا إني إلى الله راجع^(٤)
وكقول جرير :

أتمدل أحساباً كراماً حمانها بأحسابكم إني إلى الله راجع^(٥)

(١) ذكر أبو هلال البتيني والآتين وغيرها ، على أنه مما أخذ بلفظه ومعناه ، وادعى
أخذه أو ادعى له أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول ، ثم علق على ذلك بأنه معيب
وإن ادعى الآخر أنه لم يسمه قول الأول ، بل وقع لهذا كما وقع لذاك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها
إلا الله عز وجل ، والمعيب لازم للآخر (الصناعتين ٢٢٩) .

(٢) من مملته - الديوان ٩

(٣) من مملته . جبهة أشعار العرب ١٣٠

(٤) البيت بديوان الفرزدق :

أتمدل أحساباً لثاماً أدقة بأحسابنا إني إلى الله راجع

(الديوان ٢/٥١٩)

(٥) البيت كذلك في ديوانه ٣٧١

ومنه ما تساوبا فيه انظا بلفظ كقول الفرزدق :

وغر قد نسقتُ مشمراتٍ طوالع لا تطيقُ لها جوابا
بسكل ثمنية وبسكل تفر غرائمهن تنسبُ انتسابا
يلفن الشمس حين تسكون شرقا ومسقط رأسيها من حيث غابا^(١)

وذلك قال جرير من غير أن يزيد .

وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليل كان يتحدث إليها الشباب ،
ودخل الفرزدق إليها وجعل يحدّثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل
إليها فأقبلت عليه ، وتركت الفرزدق ، ففاض ذلك فقال لفتى : أتصارعني ؟
فقال : ذلك إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرة وجلس على
صدره ، فصرط فوثب الفتى عنه ، وقال يا أبا فراس ، هذا مقام المائذ بك والله
ما أردتُ ما جرى فقال : ويحك والله ما بى أنك صرعتني ، ولكن كأني ببن
الأتان - - - يعني جريرا - - - وقد بلغه خبري فقال يهجونى :

جلست إلى ليلي لتعظي بقربها نغانك دبر لا يزال يمحون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاه كما شد جربان الدلائص قيون

قال فوالله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر ، فقال فيه هذين البيتين^(٢)
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا اللوح وأعجبه .

(١) الديوان ١٢٣/١ من هجائه لجرير . والبيت الأول في الديوان هكذا :

وغر قد نسقت مشمرات طوالع لا تطيق لها جوابا
وفيه (غواربهن) . وفي الأصل (وسقت)

(٢) ليس البيتان في ديوان جرير

ويقال إن الفرزدق وجريرا كانا ينطقان في بعض الأحوال عن ضمير واحد ، وهذا عندي مستبعد ، فإن ظاهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى ، وإلا فإذا رأينا شاعرا متقدما الزمان قد قال قولا ، ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذ منه . وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة ، فكيف تتفق الألسنة أيضا في صوغها الألفاظ ؟

ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها :
(دع عنك لومي فإن اليوم إقراء^(١)) .

دارت على فتية ذل الزمان لهم فإصابتهم إلا بما شاءوا
وهذا من على الشعر ، ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد وهو :

لنفي على فتية ذل الزمان لهم فإصابتهم إلا بما شاءوا
وما أعلم كيف هذا^(٢) .

(١) ديوان أبي نواس ٦ والبيت بالديوان هكذا :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فإصابتهم إلا بما شاءوا
(٢) رواية الأغاني (٢٤/١) : قال الوليد بن يزيد يوما : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجه البريد إلى المدينة ، فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هيئت ، فلكت بالخر والماء ، وأتى بمعبد فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما ستر قد أرخى ، فقال له : غنى بمعبد ، ففناه هذه الأبيات
لنفي على فتية ذل الزمان لهم فإصابتهم إلا بما شاءوا
ما زال يعدو عليهم ريب درهم حتى تفتأوا وريب الدهر هدهد
أبكي فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء
وفي الأغاني رواية أخرى ١٢٣/٦ تنوير هذه ، ملحظها أن الحنين بن الضحاك قال في قصيدة له مطلعها :

بدلت من نفعات الورد باللاء ومن صبوحك دار الإبل والشاة

الضرب الثاني من الفسخ :

وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثرا لفظ ، كقول بعض المتقدمين يمدح
مقيداً صاحب الغناء :

أجاد طويس^١ والشريجي^٢ بعده وما قصبات^٣ السبق^٤ الألقيد

ثم قال أبو تمام .

محاسن أصناف المغنين جمة^٥ وما قصبات^٦ السبق^٧ إلا لمهد

وهذه قصيدة أولها :

غدت تستجير^٨ الدمع^٩ خوف نوى غد^{١٠}

فقال :

وقائم^{١١} أضل^{١٢} النصير^{١٣} فيها وفرعه^{١٤} إذا عدد^{١٥} الإحسان^{١٦} أو لم يقدر^{١٧}

فهما تكن^{١٨} من وقع^{١٩} ببد^{٢٠} لا تكن^{٢١} سوى حسن^{٢٢} مما فعلت^{٢٣} مراد^{٢٤} (١)

محاسن أصناف المغنين جمة البيت .

== أبياتا ، أعجب بها ؛ فقال له سامعها : أنت تحوم حول أبي نواس في قوله :

دع منك لوى فإن اللوم لإغراء وداوئي بالنى كانت مي الداء

وتفاضيا ، فاستدل سامعه بأبيات أبي نواس (دارت على فتية) ، وفي رواية أخرى أن
أبا نواس والحسين بن الضحاك تناحدا لصيدبتهما ، وحكما بينهما ابن مناذر .

(١) من قصيدته في مدح أبي سميد محمد بن يوسف الطائي ، ومطامها في الديون

٢٢/٢ هكذا :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد فتادا عندما كل مرقد

السلخ

وأما السلخ فإنه ينقسم إلى اثني عشر ضرباً ، وهذا تقسيم أوجبته القسمة ،
وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه .

فالأول : أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه ، وهذا
من أدق السرقات مذهباً ، وأحسنها صورةً ، ولا يأتي إلا قليلاً ،
فن ذلك قول بعض شعراء الحماسة :

أقد زادني حُباً لنفسِي أني بفيض إلى كل أسرى غير طائل^(١)

أخذ المتنبى هذا المعنى ، واستخرج منه معنى آخر غيره ، إلا أنه شبيه به ، فقال :
وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني فاضل^(٢)

والعبرة بأن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى عسر خامض ، وهو غير متبين
اللمن أعرق في ممارسة الأشعار ، وخاص في استخراج المعاني ، وبيانه أن الأول
يقول إن بفض الذي هو غير طائل إيبي مما زاد نفسي حُباً إلى ، أي جعلها في
عيني ، وحسنها عندي ككون الذي هو غير طائل مبغض ، والمتنبى يقول : إن ذم
الناقص إيبي شاهد بفضي ، فذم الناقص إياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك

(١) الشعر للطرماح بن حكيم الطائي (شرح الحماسة للرزوقي ١/٢٢٧ والأغانى ١٠/١٥٠)

غير طائل : غير فاضل ، دون خسيس .

(٢) من قصيدته في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، ومطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل ألفت أت ومن منك أو اهل

ورواية الديوان (بأنى كامل) وهي أولى من (فاضل) لتضاد كلمة ناقص الديوان ٣/٤٦٨

الرجل ، وشهادة ذم الناقص إياه بفضله كتحسين بنض الذي هو غير طائل
نفس ذلك الرجل عنده .

ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكرته وأبين ، كقول أبي تمام :

رَعْتَهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حَقِيْبَةً رَعَاهَا وَمَا هِ الرَّوْضَ يَنْتَلِ سَاكِبَةً (١)

أخذ البحرى هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه ، كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه :

شَيْخَانٌ قَدْ تَقَلَّ السَّلَاحُ عَلَيْهِمَا وَعَدَا مَا رَأَى السَّمِيْعَ الْمُبْصِرِ

رَكِبَا الْفَنَاءَ مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْقَنَاءَ فِي عَسْكَرٍ مُتَحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ (٢)

فأبو تمام ذكر أن الجبل رعى الأرض ثم سار فيها فرعته ، أى أهزنته ،

فكانها فطت به مثل ما فعل بها . والبحرى نقل هذا إلى وصف الرجل

بمُلُوِّ السن والهرم ، فقال : إنه كان يحمل الرمح في القتال ، ثم صار يركب عليه ،

أى يتوكأ منه على عصا ، كما يفعل الشيخ الكبير .

وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام :

لَأُظْلِمَ النَّأْيُ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا

مِنْ قَبْلِ وَشَكِ النَّوْىُ عِنْدِي نَوْىٌ قَدْ فَا (٣)

(١) من قصيدته في مدح أبي العباس عبد الله بن طاهر ، التي مطلعها :

هن عوادى يوسف وصواحيه فمز ما قدما أدرك السؤال طالبه
(الديوان ٢٣٠/١) الفيافي : الأماكن الخالية والقفار ، يريد أن مركوبه هزل من سيره
في القفار بعد ما كان سميئا ، فكانها رعته بعد ما رعى نبتها .

(٢) من رثائه لقومه (الديوان ٤٥/٢) وفي الديوان البيت الثاني قبل الأول

(٣) من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي التي مطلعها :

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا فلا تكمن عن شأنك أو يكفا
(الديوان ٣٥٩/٣) فذف بضم القاف والقال وفتحهما بعيدة ، أى لا أكذب على النأى
فأقول إنه فرق بيننا ، فقد كانت أخلاقها لي قبل الفراق فرقا يعنى الوصول إليها .

أخذه البحترى فقال :

أَعَانِكُ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي
إِلَيْكَ فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ هُوَ مُبْعِدِي^(١)
وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكبر بياناً .

الضرب الثانى من الملح :

أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وذلك مما يصعب جداً ، ولا يكاد
يأتى إلا قليلاً .

فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَاهِيَالٍ وَمُقْتَرَاً
مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبَاعَ عُدْرًا أَوْ يَفَالَ رَغِيْبَةً وَمُبَاغُ نَفْسٍ عُدْرَاهَا يَمِثُّ مُنْبَجِحَ^(٢)
أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَسَقَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مِيتَةً
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ^(٣)

فَعُرُوَّةُ بْنُ الْوَرْدِ جَمَلَ اجْتِهَادَهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ عُدْرًا يَقُومُ مَقَامَ النَّجَاحِ ،

(١) الديوان ١/١٩٦ من قصيدته فى مدح أحمد بن المدبر

(٢) شرح الحماسة للرزوق ١/٤٦٥ وديوان عروة بن الورد ٨٨ وفيهما (أو يصيب

رغيبه)

(٣) من رثائه لمحمد بن حميد الطوسى ، ومطالع القصيدة :

كَذَا فليجبل الخطب وليقدح الأمر فليس لعين لم يفن ماؤها عذر

الديوان ٣١٩ وفى الأغانى ١٥/٩٩ أبيات منها .

وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد الجتهد في لقاء العدو قائما
مقام الانتصار ، وكلا المعنيين واحد ، غير أن اللفظ مختلف .

وهذا الضرب في مرقاة المعاني من أشكلمها وأدقها وأغرَّها وأبعدها
مذهبها ، ولا يتفطن له ويستخرجهُ من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض .
وقد يجيء منه ما هو ظاهر لا يبلغ في الدقة ما بلغ هذه الأبيات المشار إليها ، كقول
ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحماسة :

فقد جَسِرَ نَفْسًا فَقَدْنَا نَاكَ أَفْنَا

أَمِنَّا عَلَى كَدِّ الرِّزَايَا مِنَ المِرْزَعِ^(١)

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال :

وقد عَزَى رِبِيعَةً أَنْ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

وهذا من البديع النادر .

وهاهنا ما هو أشد ظهورا من هذين البيتين في هذا الضرب من السرقات
الشعرية ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة التي يقوم بعضها مقام بعض ، وذلك
لا اعتداد به لمكان وضوحه

(١) من رثاء عبد الله بن المقفع ليحيى بن زياد أو لابن أبي العوجاء عبد الكريم شرح
الحماسة للمرزوق ٨٦٣/٢ والتبريزي .

وابن المقفع هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد الباناء الأولين والمترجمين السابقين ، وهو
من سلالة فارسية . كان أبوه المقفع مجوسيا ، وسبب تلقيبه بالمقفع أنه كان يعمل في جباية
الحراج لولاية الرائق زمن بني أمية فخان في بعض المال فضربه الوالي حتى تقفعت يده أي تشنجت .
ولد ابن المقفع حوالي ١٠٦ هـ وسماه أبوه روزبة ، ونشأ بالبصرة ، وتعلم على علماء عصره
وطى أبيه ، وأجاد العربية والفارسية ، ثم كتب لولاية من بني أمية ومن بني العباس ، وترجم
كثيرا من كتب الفرس إلى العربية وقتل سنة ١٤٢ هـ لضغينة سياسية ولأنهاه بالزندقة

لكن قد يحىء منه ما هو وصفه من صفات الترادف، لا الاسم نفسه، فيكون
حسنا كقول جرير:

ولا تَمْنَعَكَ من أربٍ لِحَامِهِمْ سِوَا ذُو العِمَامَةِ وَالخِمَارِ (١)
أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى فقال:

وَمَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَآةٌ كُن في كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ (٢)

الضرب الثالث من السلم:

وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ، وذلك من أفصح السرقات وأظهرها
شناعة على السارق، فمن ذلك قول البحرى في غلام:

فَوَيْلٌ لِمَنْ خَفَّ الصَّغِيرَ إِنْ وَكَلِ الأُمُورَ

إِلَيْهِ وَدُونَ كَيْدِ الكِبَارِ (٣)

سبقة أبو نواس فقال:

لَمْ يَخْفَ من كِبَرٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِ من الأُمُورِ وَلَا أُرْدَى من الصَّغِيرِ (٤)
وكذلك قوله (البحرى) أيضا:

كُلُّ عِيدٍ لَهُ إِقْضَاءٌ وَكُنْفَى كُلِّ يَوْمٍ من جُودِهِ في عِيدِ (٥)

(١) من قصيدته في حجاج الفرزدق والبعيث (الديوان ١٩٢) وقيل البيت بيت لاحتس .
الأرب: الحاجة القبيحة التي ذكرها في البيت السابق

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة بعد أن أوقع بهني كلاب الحارثيين عليه، التي مطلعها
بغيرك راعياً عسب الزناب وغيرك صارما نلم الضراب
وهو يعير في البيت إلى ما فعله سيف الدولة بهم؛ إذ سب نساءهم، فصار الرجال كالنساء ذلاً
وخزياً .

(٣) من قصيدته في مدح أبي جعفر بن حميد واسمها به غلاما (الديوان ٢٥/٢) وفي
الديوان (الضار) بدلا من (الصغير) .

(٤) ليس البيت في ديوانه

(٥) ليس البيت في ديوانه .

أخذه من علي بن جبلة :

لأعيد يوم من الأيام منتظراً والناس في كل يوم منك في عيد^(١)

وكذلك قوله (البحري) :

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منّا السؤال جاد ابتداء^(٢)

أخذه من علي بن جبلة :

أعطيت حتى لم تدع لك سائلاً وبدأت إذ قطع الغداة سؤالها

وقد انتضح البحري في هذه المأخذ غاية الافتضاح ، هذا على بسطة باعه في الشعر وفناه عن مثلها .

وقد سلك هذا الطريق نحو الشراء ، ولم يستكفوا من سلوكها ،

فمن ذل ذلك أبو تمام فإنه قال :

قد قلصت شفتاه من حنيطته فخيّل من شدة التعميس مئتمها^(٣)

سبهه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال :

وإذا شئت أن ترى الموت في صو

رة ليت في لبدتي رثيال

فالقته غير أننا لبدته أبيض صارم وأسمر قال

تلحق لينا قد قلصت شفتاه فيرى ضاحكا لعين الصيال

(١) هاء مجيد المدح وبخاصة مدح أبي دلف المجل وحيد الطوسي والأأمون (طبقات

الشعراء لابن الأثير ١٧٠ والضر والدمراء ٥٥٠)

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١)

(٣) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٦٥/٣) قلصت : أبرزت

أسنانه من شدة الغضب

وكذلك قال أبو تمام .

فلم أمدحك تفخيماً بشعري ولكنني مدحت بك المدحاً^(١)

أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال :

ما إن مدحت محمداً بمقاتلي لكن مدحتُ مقاتلي بمعد^(٢)

ولاشك أن أبا بكر رضي الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضي

الله عنه ، فقال له عمر : استخلف غيري ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما حيوّناك بها ، وإنما حبوناها بك .

وهكذا فعل ابن الرومي ، فما جاء له قوله :

جرّخته العيونُ فاقْتَصَّ منها بجوى في القلوب دامي الندوب^(٣)

سبقة أبو تمام فقال :

ذميتُ بالاحْظَاتِ وَجَنَّتَهُ فاقتَصَّ ناظرُهُ من القلوب^(٤)

(١) من مدحه لإسحاق بن إبراهيم (الديوان ١/٣٤٥)

(٢) ليس البيت بديوان حسان .

وحسان هو حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي النجاري أشعر شعراء رسول الله . وقد عمر طويلاً حتى كلف بصره في حياته ، ومات سنة ٦٤ هـ زمن معاوية عن عشرين ومائة سنة . كان حسان من بيت عريق في الشعر ، إذ كان أبوه وجدته شاعرين ، وكان ابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين . واشتهر حسان بأنه شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي زمن النبوة ، وشاعر النبيين كلها في الإسلام .

(٣) ديوان ابن الرومي ١٧٣/٢

الندوب : الجروح . الجوى : الألم والوجد .

(٤) لم نجد البيت في ديوانه

وكذلك قول ابن الرومي :

وَكَلْتُ مَجْدَكَ فِي اقْتِضَائِكَ حَاجَتِي وَكُنِّي بِهِ مُتَقَاضِيًا وَوَكِيلًا^(١)
سببه أبو تمام فقال :

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَرْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي^(٢)
وكذلك قال ابن الرومي :

وَمَالِي عَزَاءٌ عَنِ شَبَابِي عَلِمْتُهُ سِوَى أَنِي مِنْ بَعْدِهِ لَا أُخَلِّدُ^(٣)
سببه منصور البري فقال :

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي عَلَى فَوْتِ الشَّبَابِ أُمِّي لَوْلَا تَعَزَّيْتُ أَنْ الْعَيْشَ مُنْقَطِعٌ^(٤)
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبّي ، فما جاء منه قوله :

فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ^(٥)

(١) ليست بديوانه المطبوع .

(٢) من قصيدته في مدح ابن دواد التي مطلعها :

بدلت هجرة من الإجماع يوم شدوا الرجال بالأغراض
(الديوان ٢ / ٣١٦)

(٣) الديوان ٣٩٤ من قصيدته التي مطلعها :

أبين ضلوعي حجرة تتوقد على ما مضى أم حسرة تتجدد

(٤) من قصيدته في مدح الرشيد (الأغاني ١٢ / ١٨) ومنها في الشباب :

ما تنقض حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجيم
بان الشباب وفاتني بلذته صروف دهر وأيام لها خدع
ما صكنت أوفى شبابي كنه غرته حتى اقتضى فاذا الدنيا له تبسم
ومنصور النمرى كان هند الرشيد مقدما ، وكان الرشيد يعطيه ويجزل له ، وكان يتظاهر
بأنه عباسي المذهب وهو في باطن نفسه شيعي .

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما استنقذ من أسر الحارثي أبا وائل تغلب بن

داود ، ومطلعها :

إلام طماعية الماذل ولا رأي في الحب للعائل =

أخذه من قول الفرزدق :

كَانَ الْفِدَاءُ لَهُ صُدُورُ رِمَاحِنَا وَالخَيْلُ إِذْ رَهَجَ الْعُبَارُ مُشَارًا^(١)
وكذلك قوله (المتنبي) أيضاً :

أين أَرَمْتِ أَيُّهَا هَذَا الْهَامُ نحن نَبَتُ الرُّبَا وَأنتِ النَّامُ^(٢)
أخذه من بشار حيث قال :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاءَ الْقَطَارِ^(٣)
وكذلك قوله (المتنبي) :

فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْفُرُوبَا
لَأُصْبِحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا^(٤)

== (الديوان ٣ / ١٨٦) النضار : الذهب . القنا الذابل : الرماح . أى ضمن لهم الذهب ثم أعطاهم صدور الرماح . وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأتخذ أبا وائل .

(١) من قصيدة له في مناقضة جرير (الديوان ٢ / ٤٦٩)

(٢) مطلع قصيدته في مدح لالتنبي حينما عزم على الرحيل عن أنطاكية .

(الديوان ٤ / ٧٩) .

(٣) من قصيدته في الفخر (الديوان ٣ / ٢٤٧) والبيت في الديوان :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْلَفَهُ الْقَطَارُ
القطار : بكسر القاف جمع قطار وقطرة والمراد المطر ، وبضم القاف المطر الغزير .

(٤) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار التميمي .

(الديوان ١ / ١٦٧) التي مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيبا

أخذه من ابن الرومي حيث قال :

أَسْلِمٌ قَدْ سَلِمَتْ مِنَ الصَّيُوبِ أَلَا قَسَلَمٌ كَذَاكَ مِنَ الْخَطُوبِ (١)

والذي عندي في الضرب للشار إليه أنه لا بد من مخالفة المتأخر المتقدم ،
إما بأن يأخذ المعنى فيزيده معنى آخر ، أو يوجز في لفظه ، أو يكسوه عبارة
أحسن من عبارته .

ومن هذا الضرب ما يستعمل على وجه يزداد قبحة ، وتكثر البشاعة به ،
وهو أن يأخذ أحد الشعراء معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية ، فيودعه
قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ، ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من
طوق أو نطاق ، ثم صاغها في مثل ماسرقتها منه ، والأولى به أن كان نظم تلك
الجوهرة في عقد أو صاغها في سوار أو خلخال ليكون أكرم لأمرها .

ومن فعل ذلك من الشعراء قانقضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته
التي أولها : (غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع (٢)) .

لم يُسَلِّمِ السِّكْرُ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَضْحَابُ وَالشَّيْعُ

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيتها أولها :
« أَى الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَنْصَدِعُ (٣) » .

(١) من قصيدته في مدح سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري (الديوان ١/٢٩٥)

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة ؛ التي مطلعها :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

(الديوان ٣/٣٩٣) يقول إن هذه الوقعة التي هزم فيها المسلمون قد خذل فيها الجند سيف
الدولة لسكره كره على الأعداء بنفسه ، فدافعت نفسه عن نفسه

(٣) الديوان ٣٢٢ في رثاء بني حيد

وهذا المعنى الذى أورده أبو الطيب مأخوذ من بيت منها وهو :
ما طالب عنكم من الإقدام أكرمته في الرّوع إذ غابت الأنصار والشّيم
وليس في السرقات الشعرية أفصح من هذه السرقة ، فإنه لم يكتب الشاعر
فيها بأن يسرق للمنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقة .

الضرب الرابع منه السلمح :

وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس ، وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنة عن حد
السرقة ، فن ذلك قول أبي نواس :

قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فأجبتهمُ أشهى المطىِّ إلى ما لم يُرَكَّبِ
كم بين حبة لؤلؤٍ مَشْفُوءَةٍ لَيْسَتْ وَحَبَّةٌ لَوْلُؤٍ لَمْ تُشَقَّبِ (١)

فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك :

إن اللطية لا يلدُّ ركوبها حتى تُذَلَّلَ بالزمام وترُكَّبَا
والحبُّ ليس بنافعٍ أرباباًه حتى يُفصَلَ في النّظام ويُشَقَّبَا (٢)

ومن هذا الباب قول ابن جعفر :

ولما بدّا لي أنها لا تُريدني وأن هواها ليس عني بمنجلى
تمنيتُ أن تهوى سيواى لعلمها

تذوقُ صباياتِ الهوى فترقِّ لي (٣)

(١) الديوان ٢٩ (المطبعة العمومية)

(٢) الديوان ٣٠٥

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر ينتمى نسبة إلى أبي طالب ، وهو قاتل هذين البيتين
(الأغانى ١٩/١٤٢) وفى الأغانى (لاوردنى)

وقال غيره :

ولقد سررتي صدودك عني في طلائيك وامتناعك مني
حذراً أن أكون مفتاح غيري وإذا ما خلوت كنت التمني

أما ابن جعفر فإنه تذاب (١) وألقى عن منكبهِ رداء الغيرة ، وأما الآخر
فجاء بالضد من ذلك وتعالى به غاية الغلو .

وكذلك ورد قول أبي الشَّيْص :

أجدُ اللامةَ في هواكِ قديزةً شغفاً بذكرِكِ فليلمني اليوم (٢)

أخذ أبو الطيب للظن هذا المعنى وعكسه يقال :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنْ لِللَّامَةِ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

وهذا من السرقات الخفية جداً ، ولأن يسمي ابتداء أولى من أن يسمي
سرقه ، وقد توخيته في شيء من شمرى فجاء حسناً ، فمن ذلك قولي :

(١) ورد في الأغاني ١٤٢/١٩ نسبة اليه إلى ابن جعفر أيضاً . وذلك أن التوكل
سأله عن تدينه في البيتين الأولين فقال له ابن جعفر : جعلت فداك ، اسم بيتين قاتهما في
الغيرة ، وأنشده البيهقي .

(٢) تذاب وتذاب : استخفى وتحامل ، من تذاب لتناقة إذا استخفى لها مقبها
بالذنب ليطلقها على غير ولدها .

(٣) في الأغاني أن علي بن عبد الله أنشد لنفسه أبيانا ، منها هذا البيت (الأغانى
١٤٢/١٩) وفي المقدم القريد ٣٧٤/٥ نسبتها إلى أبي الشَّيْص ، وكذلك في شرح الرزوقي
للحماسة ٣٧٣/٣ . أما الشاعر فاسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو ابن عم دهل الشاعر
وكان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، والقيص معناه في الأصل التمر الرديء .
والآيات من :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد اللامة في هواك قديزة حيا لذكرِكِ فليلمني اليوم
أشبهت أعدائي فصررت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وأمنت نفسي صاغرا مامن يهون عليك ممن يكرم

(٤) من أبيات أجازها باقتراح سيف الدولة (الديوان ١/١)

ولولا الكرامُ وما سَنَوهُ من كَرَمٍ لم يَدْرِ قاتِلُ شِعْرِ كَيْفَ يَمْتَدِّحُ
أخذه من قول أبي تمام :

ولولا خِلالُ سَنَها الشَّرِّ ما دَرَى
بُناةُ المَلا من ابنِ تَوْتَى للكَارِمِ (١)

الضرب الخامس من الملح :

وهو أن يؤخذ بعض المعنى ، فمن ذلك قول أمية ابن أبي الصلت يمدح
عبد الله بن جدعان :

عطاؤك زَيْنٌ لامرئٍ إن حَبَوْتَهُ يَهْذِلُ وما كُلُّ العطاءِ يَزِينُ
وليس بِشَيْنٍ لامرئٍ بَدَلُ وجهِه إلبك كما بَعْضُ السَّوَالِ يَشِينُ (٢)

أخذه أبو تمام فقال :

قُدِّمَ عطاياهُ وَفَرَأَ وَهِيَ إن شِهرَتِ كانت فَخاراً لمن يَفْؤُهُ مُؤْتَنَقاً
مازَلْتُ مَنظَرًا أُعْجِبُوبَةً زَمَنًا حتى رَأيتُ سَؤَالَ يَجْتَنِي شَرَفًا (٣)

فأمية بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين ؛ أحدهما أن عطائك زين ، والآخر أن

(١) من قصيدته في مدح أحمد بن دواد (الديوان ١٨٣/٣) وفي الديوان (بناة الندى)

(٢) الأغانى ٣/٨ والديوان ٦٣

أمية شاعر جاهل حفل ديوانه بالتوحيد والكونيات والبث والحساب الخ قال فيه
الأصمعي ذهب أمية في شعره بعامية ذكر الآخرة، وذهب عنتره بعامية ذكر الحرب، وذهب عمر بن
أبي ربيعة بعامية ذكر الفسب (الأغانى ٤/١٢٥) وقد أدرك الإسلام وتوفي سنة ٩٠هـ وكان
قد قرأ الكتب واتصل بالقدسيين وليس الموح وتنسك وحرم الخمر والوثان
وعبد الله بن جدعان جواد عربي مشهور ربما كان النبي يحضر طعامه ، وقد حضر في داره
قبل النبوة خلفاً لرد الظالم

(٣) من مدحه لأبي ذلف الجبل مطلعها .

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفاً فلا تكفى عن شائيك أو يسكفا

(الديوان ٢/٣٦٥)

خطاه غيرك شين ، وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لاغير .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة :

وَأَثَلَ مَالِمْ بِمَجْهَوْلِهِ مُتَقَدِّمٌ وَإِنْ نَالَ مِنْهُ آخِرٌ فَهَوَّ تَابِعٌ

قال أبو الطيب المتنبي :

تَرَفَّعَ عَنْ عَوْنِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيًّا (١)

فعل بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين : أحدهما أنه فعل مالم يفعل أحد من تقدمه ، وإن نال منه الآخر شيئاً فإنما هو مقتدبه وتابع له . وأما أبو الطيب فإنه لم يأت إلا بالمعنى الواحد ، وهو أنه يفعل مالا يفعل غيره ، غير أنه أبرزه في صورة حسنة .

ومن ذلك قول أبي سام :

كَلِمَةُ رَبِّهِ الْمَجِيدِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُبْتَدَأْ عَرَفَ إِذَا لَمْ يُتَعَمَّرْ (٢)

قال البحرى :

وَمِثْلُكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالَ أَمَادَهُ وَإِنْ صَنَعَ لِلْعُرُوفِ زَادَ وَتَمَّ (٣)

فأبو تمام قال إن المدح يَرُبُّ صنيعه ، أى يستديبه ، ويعلم أنه إذا لم

(١) من قصيدته في مدح كافور التي مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب النايا أن يكن أمانياً
(الديوان ٥٢٨/٤ العون : جم عوان وهي التي فوق البكر دون الفارض . المنذرى :
جم عذراء وهي البكر ، أى أنه أجل قنرا من أن يفعل في المكرمات فعلا قد سبقه إليه
أحد ، وإنما يأتي بها ابتداءً

(٢) من مدحه لابن شيبانه ٢٤٨/٣

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خالان التي مطلعها :

يهون عليهما أن آيت متيا أحالج شوقا في الضمير مكنيا
(الديوان ٢٢٧/٢)

يستعمله فما ابتدأه ، والبحترى قال إنه يستعمله صنيعة لاغير ، وذلك بعض ما ذكره أبو تمام .

وكذلك قال البحترى :

اذْفَعْ بِأَمثالِ أَبِي غالِبٍ عَادِيَةَ العُدْمِ أو اسْتَمْتَفِ (١)

أخذه ممن تقدمه ، حيث قال :

انْتَجِ الفَضْلَ أو تَحْمِلْ عن الدُّنْيا فها تان غايَةَ الهَيْمِ

قالبحترى أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه .

وكذلك ورد قول ابن الرومي :

نَزَلْتُمْ على هام المعالي إذا ارتبتي إليها أناسٌ غيرُكم بالسَّلامِ (٢)

أخذه أبو الطوب المتنبى فقال :

فوقَ السماءِ وفوقَ ما طَلَبُوا فإذا أرادوا غايَةَ نَزَلُوا (٣)

وهذا بعض المعنى الذى تضمنه قول ابن الرومي ، لأنه قال إنكم نزلتم على

هام المعالي وإن غيركم يرقى السهارقيا ، وأما المتنبى فإنه قال إنكم إذا أردتم غايَةَ نزلتم ،

وأما قوله (فوق السماء) فإنه يعنى عنه قول ابن الرومي (نزلتم على هام المعالي) إذ

للمعالي فوق كل شيء ، لأنها مختصة بالعلو مطلقا .

(١) من قصيدته فى مدح أبي غالب بن الدبرالتي مطلعها :

لم تبلغ الحق ولم تنصف عين رأيت بيناً فلم تذف

(الديوان ١٠٢/٢)

(٢) ليست بديوانه المطبوع

(٣) من مدحه لمضد الدولة بقصيدة مطلعها :

انك فإنا أبا الطلل نبي وترزم تحتنا الإبل

(الديوان ٣٧/٤)

الضرب السادس من السليح :

وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر، فما جاء منه قول الأخنس بن شهاب :
إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَانُنَا كَانَ وَصْلُهَا خَطَانًا إِلَى أَعْدَانَا فَضَارِبٌ (١)

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه ، وهو قوله :

إِنَّ قَصَرَ الرَّمْحُ لَمْ يَنْشِ الْخَطَا عَدَدًا

أَوْ عَرَّدَ السِّيفُ لَمْ يَهْمَمْ بِتَعْرِيدٍ (٢)

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعرة :

غَرَائِبُ أَلْفٍ إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخَذْنَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُعَلَّمَا (٣)

أخذه أبو تمام فزاد عليه ، إذ قال في وصف قصيدته ، وقرن ذلك

بالممدوح :

غَرَائِبُ لَأَقْتِ فِي فَنَائِكَ أَنْسَمَا

مِنَ الْمَجْدِ فَهَيَّ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبٍ (٤)

(١) شرح الحماسة للمرزوق ٢/٢٧٧ وفيه (وإن قصرت)

وهو الأخنس بن شهاب بن شريق ينتهي نسبه إلى تغلب ، شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدمر . وهو غير الأخنس بن شريق الثقفي الصحابي

(٢) من قصيدته في مدح داود بن يزيد المهلبى (الديوان ١٥٩) تمرید : عدم قطع ، أى لم يهم بإبعاد السيف عن الضريبة

(٣) من قصيدته في هجاء البعيث (الديوان ٥٤٢) والنس في الديوان :

فَأَنَّى لَهَا جِيهَمٌ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ شُرُودُ إِذَا السَّارَى بَلِيلٌ تَرْنَمَا

غَرَائِبُ أَلْفًا إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخَذْنَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُعَلَّمَا

(٤) من مدحه لأبي دلف بقصيدة مطلعها :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبٍ أَذْبَلَتْ مِصْوَنَاتِ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ

(الديوان ١/٢٢١)

وكذلك ورد قول ولد منلة بن عبد الملك :

أذلّ الحياوة وكرة اللت وكلاً أراه طاماً وبيلاً
فلن لم يكن غيرُ إحداها فنهدأ إلى اللوت سبراً جميلاً
أخذه أبو تمام قال :

مَثَلَ اللوتَ بينَ عينيه والذئبَ لَ وكلاً رآه خطباً عظيماً
ثم سارت به الحسيمة قدماً فأما العدا ومات كريماً^(١)
فزاد عليه بقوله « فأما العدا ومات كريماً » .

ويروي أنه نظر عبد الله بن علي رضي الله عنه عند قتال مروانة إلى فتى
عليه أبهة الشرف ، وهو يولي في القتال بلاء حسناً ، فناده : يا فتى لك الأمان ،
ولو كنت مروان بن محمد . قال : إلا أكنه فلت بدونه .

قال : فلك الأمان ، ولو كنت من كنت . فأطرق ثم تمثل هذين البيتين للذكورين .
وكذلك ورد قول أبي تمام :

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سوددٌ ولو برزت في زيمٍ عذراء ناهيد^(٢)
أخذه من قول ابن المعتز بن غيلان :

ولستُ بنظارٍ إلى جانب الملا إذا كانت التلياء في جانب النقر^(٣)

(١) الديوان ٣٣٤ في رثاء جعفر الطائي

(٢) من مدحه لابن الحسن عمه بن المهيم بن شبابة التي مطلعها .

فقوا جعدوا من عهدكم بالمعاد وإن هي لم تسع لشعان ناشد

(الديوان ٦٨/٢)

(٣) تصويب اسمه من الأغاني ١٢ / ٥٤ وكان في الأصل المعتدل ، بغير ابن . =

إلا أنه زاده زيادة حسنة بقوله : « ولو برزت في زى عذراء فاهد » .

ومما يجرى هذا الجرى قول البحرى :

خَلَّ عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا وَأَوْعَمَّرُوا أَوْ كَالْحَدِيثِ لِلْمَعَادِ (١)

أخذه من قول أبي نواس :

قُلْ لِمَنْ يَدِي سَلَمِي سَفَاهَا لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةٌ ظَفِيرِ
إِنَّمَا أَنْتَ مُلْصَقٌ مِثْلُ وَأَوْ أَلْحَقْتَ فِي الْمَجَاءِ ظَلْمًا بِتَمْرٍ (٢)

إلا أن البحرى زاد على أبي نواس في قوله : أو كالحديث المعاد .

وهكذا ورد قول البحرى أيضاً :

رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْفَرَاتِ وَأَمَلُوا جَذْلَانَ يُبَدِّعُ فِي السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ (٣)

أخذه من مسلم بن الوليد في قوله :

رَكِبْتُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مَوْخِرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بِنَانٍ بَعْدَ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ (٤)

== وهو عبد الصمد بن المنذر بن غيلان . وفي الأغاني :

ولست بيمال إلى جانب الفنى إذا كانت الفلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما ينوبني وحسبك أن ألق أثنى هل الصبر

(١) من هجائه لعل بن الجهم (الديوان ١/١٩١)

(٢) في هجاء أشجع السلمي (الديوان ٥٤٥) وكان في الأصل (سليما) والبيت

الغاني بالديوان :

إنما أنت من سليمان كواد ألحقت في الهجاء ظلما بعسرو

(٣) من مدحته لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ١/٦٢)

(٤) الديوان ١١١ وروى ركبنا إليه البحر . مؤخراته : أو آخر ركوبه . والضمير

في أوفت يعود على السفينة المذكورة قبل ذلك

إلا أن البحترى زاد عليه بقوله : « جذلان يبدع في الدجاج وينرب » .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وليس في مُسْتَنْكَرٍ أن يَجْمَعَ العالَمَ في واحدٍ (١)

وهذا البيت قد لُجج به الناس لهجا كثيرا ، ومنهم من ظنه مبتدعا لأبي نواس ، ويحكي عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دواد (٢) فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يُعْتَبُ كُلُّ واحد ، وأنت الناس جميعا ؛ قال : من أين هذه يا أبا تمام ؟ قال : من قول الخاذق أبي نواس ، وأنشده البيت ، وهذه الحكاية عندي موضوعة لأن أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى إنه قال : لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال ، وما كان يخفى عليه أن هذا المعنى ليس لأبي نواس ، وإنما هو مأخوذ من قول جرير :

إذا عَصَيْتَ عليك بَنُو تميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُم غَضابا (٣)

إلا أن أبا نواس زاد زيادة حسنة ، وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد ، وذلك أبلغ .
ومما ينتظم في هذا السلك قول الفرزدق :

(١) من مدحته لها رون الرشيد (الديوان ٤٥٤)

(٢) هو ابن أبي دواد الإباضي ، كان من جالة العلماء في عصر الأمويين ، وقد عرف فضله ، فأوصى أخاه المعتصم به ، وكتب في كتاب الوصية له بالخلافة « وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارقك ، أشرك في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك » فكان المعتصم لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، ثم حسنت حاله كذلك عند الواثق بعد المعتصم ، ثم فُلج في خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٠ هـ .

ويقول ابن خلكان « دواد » بضم الدال وفتح الواو . وفي القاموس المحيط في مادة « داود » : وأحمد بن أبي دواد معروف . ومن هذا يظهر لك خطأ من يهجز الواو ، وقد وقع في ذلك كثير .

(٣) الديوان ٧٨ من قصيدته في هجاء الراعي النخري

عَلَامٌ تَلْفَتَيْنِ وَأَنْتَ تَنْحِي وَخَيْرُ النَّاسِ كَلِمُهُ أَمَامِي
مَتَى تَأْتِي الرُّصَافَةَ نَسْتَبِيحِي مِنَ الْأَنْسَاعِ وَالِدَبْرِ الدَّوَامِي (١)

أخذه أبو نواس فصار أمك به ، وأحسن فيه غاية الإحسان ، فقال :

وإذا الطيُّ بنا بلغنَّ محمداً فظهورهن على الرجال حرام (٢)

فانزردق قال : (تستبجى من الأنساع والدبر الدوامي) وليست استراحتها
بمانعة من معاودة إنسابها مرة أخرى ، وأما أبو نواس فإنه حرم ظهورهن على
الرجال ، أي أنها تُتَفَقَى من السفر إعفاء مستمرا ، ولا شك أن أبا نواس لم ينتبه
لهذه الزيادة إلا من فعل العرب في السائبة والبحيرة (٣) .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول المعنى :

وَمَلْهُومِي زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهَا بِالْقَبَا مُخْمَلٌ (٤)

(١) من قصيدته في مدح هشام بن عبد الملك (الديوان ٨٣٥) وفي الديوان
(إلام تلفتين)

(٢) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤٠٧)

(٣) السائبة : البعير يدرك نتاج نتاجه فيسبب أي يترك لا يركب والناقاة كانت تسبب في
الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سببت أو كان الرجل إذا
قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من حرب أو مشقة قال هي سائبة ، وكانت لا تختم من ماء
ولا كلاباً ولا تركب .

البحيرة : كانوا إذا لبتت الناقة أو الشاة عشرة أبطن يجرها وتركوها ترعى وحرموها
لحمها إذا ماتت على نسائها وأكلها الرجال ، أو التي خليت بالأراع ، أو هي ابنة السائبة ،
وكانوا يجرمون لحمها وركوبها .

(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٢٤١/٣)

ملفومة : كناية مجتمعة ، والكلمة معطوفة على كلمة مرفوعة من قبل . زرد ثوبها . ثيابها
دروع لها . والزرد حلق الدرع . أي حال بينهم وبين ما يشتمون جيشك الذي اتخذ فرسانه
الدروع لباسهم ، إلا أن ذلك الثوب يحل بالرماح كالخيل لتلك الثياب

أخذه من أبي نواس في قوله :
أَمَامَ تَخْيِسِ أَرْجُونَ كَأَنَّهُ قَبِيصٌ مَحُوكٌ مِنْ قَنَا وَجِيَادٍ^(١)

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس بهذا المعنى .

وكذلك قال أبو الطيب المتنبي :
وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي السَّكْرَمِ الْأَوَّلِ^(٢)
فأخذه أنا وزدت عليه قلت :

أَنْتَ فِي الْجُودِ أَوْلَى وَقَضَى اللَّهُ بِالْأَلَا يُرَى لَكَ الدَّهْرُ ثَمَانٍ

وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة إلى غيره .

الضرب السابع من السامع :

وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا هو
المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة .

فن ذلك قول أبي تمام :

جَذْلَانٌ مِنْ ظَفِيرِ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعَتْ مَخْضُوبَةٌ مِنْكُمْ أَنْظَارُهُمْ بَدِيمٌ^(٣)

(١) من قصيدته في مدح الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (الديوان ٤٧٣) الخسيس :
لجيش العظام . أرجوان : أحمر

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أينفم في الخيمة العذل وتشمل من دهرها يشمل

(٣) من قصيدته في مدح مالك بن طوق التقي (الديوان ١٩١/٤) وجذلان حاء
من الفاعل في البيت السابق :

قد انثنى بالنايا في أسنته وقد أقام خباركم على اللقم
اللقم : الضربين الواضح .

أخذه البحارى فقال :

إذا اختَرَبْتَ يوماً ففاضت دِمَاؤُهَا

تَذَكَّرْتَ القُرْبَى ففاضت دُمُوعُهَا (١)

ومن هذا الأسلوب قولها أيضا ، قال أبو تمام :

إن السكّام كثيرٌ في البلاد وإن قَلَّوا كما غَيَّرُهم قَلَّوا وإن كَثُرُوا (٢)

وقال البحارى :

قَلَّ السكّامُ فصار يَكْثُرُ فَذُهمُ ولقد يَهْلُ الشئ حتى يَكْثُرُ (٣)

وعلى هذا النحو ورد قول أبى نواس :

يَدُلُّ على ما فى الضمير من الذى

تَقَابُ عَيْنَيْهِ إلى شَخْصٍ مَنْ يَهْوَى (٤)

أخذه أبو الطيب اللببى فقال :

وإذا خامرَ الهوى قلبَ صَبٍّ فعليه لِكَلٌّ عَيْنٍ دَلِيلٌ (٥)

(١) من قصيدته فى مدح المتوكل وذكر صلح بنى تَقَاب (الديوان ٣١٦/٢) والضمير عائد على الفرسان من الطرفين

(٢) من قصيدته فى مدح عمر بن عبد العزيز الطائى (الديوان ١٨٦/٢)

(٣) من قصيدته فى مدح إسحاق بن كنداج (الديوان ٢١/٢) فذم : فريدم ،

(٤) من قصيدة فى النزول والخمر مطلعها :

شجائى وأبلانى تذكر من أهوى وأبسى ثوبا من الضرر البلوى

(الديوان ١١٨)

(٥) من قصيدته فى مدح سيف الدولة (الديوان ٣٣٤/٣) التى مطلعها :

ليلى بعد الظاعين شكول طوال وليل العاشق بن طويل

وعما ينتظم في هذا السلك قول أبي الطيب المتنبى :

إذا ما ازدَدتُ من بعدِ التناهِى فقد وَقَعَ انْتِقاِصِي في اِزْدِيادِ^(١)

أخذه ابن نباتة السعدي^(٢) فقال .

إذ كان نُقصانُ الفتى من تمامه فكلُّ صحيحٍ في الأناامِ عَليهِ

وكذلك ورد قول أبي العلاء ^{المعري} بن سليمان في مرثية :

وما كُلفَةُ البَدْرِ المَنيِرِ قَدِيمَةً ولكنها في وَجْهِهِ أَزْرُ اللَّطَمِ^(٣)

أخذه للشاعر المعروف بالقيسري قال :

وأهوى التي أهوى لها البدرُ ساجداً ألسنتُ ترى في وجهه أزرَ الثربِ

وكذلك قول ابن الرومي :

إذا شئتَ عَينُ امرئٍ شَبَّ نَفْسِهِ فَمَينُ سِوَاهُ بِالشَّاءِ أَجْدَرُ^(٤)

عاشق

(١) من مدحه لعبي بن إبراهيم التنوخي (الديوان ٩١/٢) والنس في الديوان :

إذا ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازديادي

يريد أنه إذا بلغ الشباب نهايته فزيادة العمر بعد ذلك زيادة في نقصان ، لا يقرب على

هذا من ضعف الشيخوخة ، كما قال عبد الله بن طاهر :

إذا ما زاد عمرك كان نقصا ونقصان الحياة من التمام

وكما قال آخر :

إذا اسق الهلال وصار يدرا تبينت الحاق من الهلال

(٢) تقدم التعريف به . والاسم يروى بضم النون وبفتحة وهو أبو نصر عبد العزيز

محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد خول الشعراء . توفي سنة ٤٠٥ في بغداد .

(٣) من قصيدته في رثاء أبي إبراهيم العلوي (سقط الزند ٢٩٢/١) وفي الديوان

(اللطم) يريد أن السكافة التي ترى فيه ليست قديمة ولكنها من لطمه لا بلغه نعى التنوخي .

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال :

إذا كان شَيْبِي بَغِيضًا إِلَى فِكَيْث يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيْبًا (١) ؟

وما يَنْخَرُطُ فِي هَذَا السَّلَكِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

مُحْضَرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَبَدَتْهَا عُقُودَهَا

أخذه أبو تمام فقال :

كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عَتِيدٍ مَلَاةٌ

وَحُسْنًا وَإِنْ أُضْحِثَتْ وَأَمْسَتْ بِلَا حِقْدٍ (٢)

ثم أخذه البحترى فقال :

إِذَا أَطْفَأَ الْيَاقُوتَ بِإِشْرَاقٍ وَجْهَهَا فَإِنَّ عَدَاءَ مَا تَوَخَّضَتْ عُقُودَهَا (٣)

وأمثال هذا كثيرة ، وفيما أوردناه مقنع .

المضرب التامم منه السليخ :

وهو أن يُؤْخَذَ الْعَفَى وَيُسَبَّكَ سَبْكَكَ مَوْجِزًا ، وَذَلِكَ مِنْ أَحْسَنِ السَّرْقَاتِ ،

لأن فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول ، وسعة باعه في البلاغة .

(١) القائل هو أبو هلال العسكري ، وقبل البيت قوله :

فلا تعجبا أن يعين المشيب فإعين من ذلك إلا معيا

(الصناعتين ٤٨)

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفيث الرافعي (الديوان ١١١/٢) وبالديوان تقديم

أمست على أضحت

(٣) من قصيدته في مدح صاعد بن مخلد (الديوان ١٥٦/١) وبالديوان (حسنها)

بدلا من (وجهها) .

فمن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وقاز بالطيبات الفـانكُ اللهم (١)

أخذه سلم الخاسر - وكان تلميذه - فقال :

من راقب الناس مات غمًا وقاز بالآلة الجسور (٢)

فبين البيتين لفظتان في التأليف .

ومن هذا الأسلوب قول أبي تمام :

برزت في طلب العالی واحدا فيها تسيير مؤوراً أو مُنجدا

عجباً بأنك سالم في وخشة في غاية مازلت فيها مفرداً (٣)

(١) الديوان ٧٥/٢ - الفانك : القائل واستماره للجريء والذي لا يبالي إنسكار الناس . اللهم : المعنى بالشئ المتأخر عليه المقام .

(٢) ذكر أبو هلال في الصناعتين ٢١٤ إن بشار لما سمى بيت سلم قال : ذهب ابنه القاعة يبيت . وفي شرح ديوان بشار ٧٥/٢ وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٠٠ أنه قال : فهو أخف منه وأعذب ، واقه لا أكلت ولا شربت اليوم . فلما بلغ ذلك سلماً استنفع إلى بشار بجماعة ، فذهبوا به فقال بشار : أين هو الخبيث ؟ قالوا : هاهوذا ، فقام إليه وسلم ، فقبل سلم رأسه وقال له : يا أبا معاذ خربحك وتلميذك . قال بشار : ياسلم من أذى يقول ؟ من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... قال : أنت يا أبا معاذ . قال : فن أذى يقول : من راقب الناس مات غمًا ... قال : خربحك يا أبا معاذ . قال : أفأخذ معاني التي قد عنيت بها وتميت في استنباطها ، فتكسوها ألقاظاً أخف من ألقاظي . حتى يروى ما تقول وبذهب شهرى ؟ لأرضى عنك أبداً . فإزال يضرع إليه والقوم يشفون حتى رضى عنه .

وسلم الخاسر هو سلم بن عمرو شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والهادي وهارون والبرامكة . وسمى بالخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى طنبوراً (الأغانى ٧٣/٢١)

(٣) من مدحته لأحمد بن عبد الكريم الطائي (الديوان ١٠٤/٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

عَرَبِيَّةُ الْخَلَائِقِ الزُّهْرُ فِي النَّاسِ وَمَا أَوْحَشْتَهُ بِالْتَّغْرِيبِ (١)

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالْدهْرِ عَيْنَا غَيْرَ غَافِلَةٍ
مَنْ جُودَ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّ مَا جَرَّحَا (٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

الْدهْرُ يُفْسِدُ مَا اسْتَطَاعَ رَأْحَهُ يَنْتَبِعُ الْإِفْسَادَ بِالْإِصْلَاحِ (٣)

وعلى هذا ورد قول ابن الرومي :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِكَ ابْنَ حَنْفِيَّةٍ
إِذَا التَّرْنُحُ أَذْنَاهُ مِنَ الصُّدْرِ أَبْدَأَ (٤)

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحموي (٥) فقال :

فَهَوَّ كَالسُّهْمِ كَلِمَا زِدْتَهُ مِنْكَ دُنُوًّا بِالتَّرْنُحِ زَادَكَ هُبْدًا

(١) من قصيدته في مدح يحيى بن علي النجم (الديوان ١٠٦/١)

(٢) من قصيدته في مدح أبي العباس (الديوان ٤٥٧)

(٣) من قصيدته في مدح أحمد بن شيخ (الديوان ١٠٤/٢)

(٤) غير موجود بالديوان

(٥) هو أبو المجد مسلم بن الحضر بن مسلم بن قسيم الحموي - التنوخي ، ذكره الهادي في المزيدة في شعراء حماة بأسلوبه المزعج المصنوع بقوله « أبو المجد مجيد الشعر ، وحيد للدمر فريد للعصر ، ذورقة للقلوب مسترقة ، والمعقول مسترقة ... » إلى أن قال « كان نالك العيسراني وابن منير في زمانهما ، وسبقهما في ميدانهما ، نبيغ في عصر شيخوختهما ، وبلغ إلى درجتهما ، وراق شعرهما سحره ، وفاق شعرهما شعره ، لهكته خانة عمره ، وقل عبا =

ولقيت جماعة من الأدباء بالشام ، ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذي ابتدع هذا المعنى ، وليس كذلك ، وإنما هو لابن الرومي .

وما يجري هذا المجرى قول أبي العتاهية :

وإني لمعدوزٌ على فرط حبها لأن لها وجهاً يدلُّ على عذري^(١)
أخذه أبو تمام فقال :

له وجهٌ إذا أبصرته ته فاجاك من عذري^(٢)
فلوجز في هذا المعنى غايه الإيجاز .

وما يجري على هذا المهبج قول أبي تمام :

كانت مساءة الركباني تخبرني

عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت

أذني أحسن مما قد رأى بهري

شبابه ، وحل حبا آدابه ، وأمر جنى جنابه ، وحل شوب بشابه ، وذلك في سنة نيف وأربعين وخمسة « ومن العجيب أن يقول المهاد بعد ذلك « ووجدت في ديوانه لنا فاحشا ، ووهنا بالخطل جائشا . ونظرت في ديوان شعره ، فالتقطت فرائد دونه ، وفلائد شعره... » وقال عنه ابن عساكر : شاب شاعر ، قدم دمشق ، ومدح أتابك زكي . واختار له طائفة من الأبيات [وانظر خزينة العصر ، وجريدة العصر ٤٣١/١ قسم شعراء الشام - بتحقيق الدكتور شكري فيصل - دمشق ١٩٥٥]

(١) ليس بالديوان

(٢) الديوان ٣٧٤

أخذه أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال :

وَأَمَّا تَكْبِيرُ الْأَخْبَارِ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَقِينَا صَفْرًا انْتَلَبَرْنَا الْخَيْرُ (١)

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

كَمْ صَارِمٍ فَضِبَ أُنَافَ عَلَى فَتَى مِنْهُمْ لِأَغْبَاءِ الْوَعَى جَمَالِ
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى انْتَبَزَهُ

وَطَنَ النَّهْيِ مِنْ مَقَرِّقٍ وَقَدَّالِ (٢)

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال :

يَسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ (٣)

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء .

أَمِنْ خَوْفٍ فَتَقَرَّرَ تَوَجُّدُهُ وَأَخْزَتْ لِنَفَاقِ مَا تَجَمَّمُ
فَصَرَتْ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ وَمَا كَفَتْ تَعْدُو النَّبَى تَصْنَعُ

(١) من مدحه لعل بن أحمد بن عامر الأظاكي (الديوان ٣/٤١١)

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد هزيمة الغرمية (الديوان ٣/١٤١)

في الأصل كَمْ صَارِمٍ فَضِبَ أُنَافَ عَلَى فَتَى . يقول هذا الصارم سبق إلى هذا الفتي الشيب فسلبه رأسه وأم دماغه الذي هو وطن العقل .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة وقد انتصر على الروم

مطالعا :

عقبى العين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم

(الديوان ٤/١٨٣)

أخذه أبو الطيب للثني فقال
ومن يُنذِقِ الساعاتِ في جمعِ ماله
مخافةً فقرِ فالذي فعلَ الفقرَ (١)

الضرب التاسع منه السليخ :
وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا ، أو خاصا فيجعل عاما ، وهو من
السرقات التي يسامحُ صاحبها .

فمن ذلك قول الأخطل :
لأنته عن خلقٍ وتأنى مثله عازٌ عليك إذا فماتَ عظيم (٢)
أخذه أبو تمام فقال .

الوم من بجات يدها وأغتدى
للبخل تربا ساء ذاك صنيعا (٣)

وهذا من العام الذي جعل خاصا ، ألا ترى أن الأول هي عن الإتيان
بما يذمى عنه مطلقا ، وجاء بالخلق منكرا فجعله شائعا في بابه ، وأما أبو تمام
فإنه خصص ذلك بالبخل ، وهو خلق واحد من جملة الأخلاق .

(١) من مدحه لعل بن أحمد بن عامر الأنطاكي ، ، ومطلع القصيدة :
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر
(الديوان ٣٠٥/٢)
(٢) وروى لأبي الأسود الدؤلي وروى للمتوكل الليثي وقد أكد ذلك الأمدى في
الترغيب والترغيب ١٧٩ والمرزبانى في معجم الأدياء ٤١٠
(٣) النص بالديوان صفحة ٢٨٦ هكذا :
الوم من بجات يدها وأغتدى فى تالدى للثنائين مطيعا
أبى فأعصى الماذلين وأغتدى للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

وأما جعل الخاص عاما فسنقول أى تمام :

ولو حَارَدَتْ شَوْلٌ حَدَّرَتْ إِقْلَاحَهَا

ولَكِنَّ مُنِعَتْ الدَّرُّ وَالضَّرْعُ حَافِلٌ (١)

أخذه أبو الطيب المعنى فجعله عاما إذ يقول :

وما يُؤَلِّمُ الحِرْمَانُ من كَفِّ حَارِمٍ

كما يُؤَلِّمُ الحِرْمَانُ من كَفِّ رَازِقٍ (٢)

الضرب العاشر من السلم :

وهو زيادة البيان مع المساواة فى المعنى ، وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له

مثال بوضحه .

فما جاء منه قول أى تمام :

هو الصَّنْعُ إن يَمَجَّلُ فَنَفَعُ وإن يَرِثُ فَللرَّيْثُ فى بعض المواطن أُنْفَعُ (٣)

(١) من قصيدة فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات

(الديوان ١٢٩/٣)

أى أن مطلق دام وطال مع طول أمل فيك ، ولو كان ذلك لإعوازك لمذرتك ، ولكنك حرمتنى ومالك كثير ، وعطاؤك ممكن .

حاردت : قل لبيها . الشول : النوق القليلات اللين ، جمع شائلة . حافل : ممتلئ

(٢) من قصيدة فى مدح سيف الدولة بن حمدان مطلقها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وجرى السوابق

(الديوان ٧٧/٣)

(٣) من قصيدة فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، مطلقها :

أما إنه لولا الخليط المودع وربيع عفا منه مصيف ومرمب

(الديوان ٣١٩/٣)

والفاية بالديوان (أسرع) بدلا من (أنفع)

أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله :

ومن الخير بطنه سيبك عني أسرع الخشب في اللبيرة الجهم^(١)

وهذا من المتبدع لامن المسروق ، وما أحسن ما أتى بهذا المعنى في المثال

المناسب له .

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

قد قَلَصَتْ شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ فَنَحِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّمْيِيسِ مُبْتَسِمًا^(٢)

أخذه أبو الطيب المتنبى فقال :

وجاهل مداه في جهله ضحكى حتى أتته يدُ فِرَاسَةٍ وَفَمُ

إذا رأيت نيوبَ آيِثٍ بارزةً فلا تظننَّ أن الآيِثَ مُبْتَسِمًا^(٣)

وما يتخطر في هذا السلك قول أبي تمام :

وكذاك لم تُفْرِطْ كَأَبَةِ عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِي^(٤)

(١) من قصيدة في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المرى الخراساني مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

(الديوان ٢٨٦/٤)

سيبك : عطائك . الجهم : السحاب التي لاماء فيه

(٢) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٧٠/٣) أي قد أبرزت

شفتاه أسنانه من شدة الغضب

(٣) من قصيدته في عناب سيف الدولة التي مطلعها :

واحر قلباه بمن قلبه شيم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(الديوان ١٠٤/٤) شيم : بارد . والبيت الثاني بالديوان (إذا نظرت) يد فِرَاسَة :

يد باطشة شديدة الأقراس .

(٤) من قصيدته في مدح المعتصم مطلعها :

آلت أمور الشرك شرآل وأقر بعد تخمط وصيال

(الديوان ١٣٢/٣)

أحذه أبو عبادة البحرى قال :

وقد زادها إفراطاً حسن جوارها
لاخلاق أصفارٍ عن الجيد خيب
وحسن دَراري الكوا كيب أن ترى
طوالع في داجٍ من الليل غيب^(١)

فإنه أتى بالمعنى مضر وباله هذا المثل الذي أوضحه وزاده حسناً

الضرب الحارى عشر من الملح:

وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقاً
واحدة فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر .

فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية بولدين صغيرين :

تجدُّ نأوبَ طارقاً حتى إذا قلنا أقامَ الدهرَ أصبحَ راحلاً
نجمان شاه الله ألا يطلمأ إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلا
إن الفجيرةً بالرياض نواضراً لأجلُ منها بالرياض ذوابلاً
لهذي على تلك الشواهدِ فيما لو أُخِّرتَ حتى تكونَ شمائلاً
إذ الهلالَ إذا رأيتَ نُموه أيقنتَ أن سيكونَ بذراً كاملاً
قلْ للأميرِ وإن لقيتَ موقراً منه برَّيبُ الحادثاتِ حلاً حلاً
إن تُرزَ في طرفيَ نهارٍ واحدٍ رزَّ أبنٍ هاجماً لوعةً وبلا بلا
فالتقلُّ ليس مُضاعفاً لمطية إلا إذا ما كانَ وهماً بازلاً
لا غرؤَ إن فنَّانٍ من عيادته لِقيا حاماً للبرية آكلاً

(١) من نصيبته في مدح الفتح بن خاقان (الديوان ١/٥٠) وبالديوان (خلائق أصفار) داج غيب : مظلم شديد الظلام .

إن الأشاء إذا أصاب مُشَدَّبٌ منه انمهلٌ ذُرّاً وأثٌ أسافلا
شمخت خِلالك أن يواسيك امرؤٌ أو أن تذرَ كَرّاً ناسياً أو غافلا
إلا مواعظُ قادها لك سَمَحَةٌ إنسجاحُ لُبِّك سامعاً أو قاتلا
هل تنكفُ الأيدي بهزاً مُهنِداً إلا إذا كان الحسام القاصِلاً (١)

وقال أبو الطيب في مرثية بطفل صغير :

فإن تك في قبرٍ فإنك في الحشا
وإن تك طفلاً فالأسي ليس بالطفل
ومثلك لا يُبكي على قدرِ سنه
ولكن على قدرِ الفِراسَةِ والأصل
أنت من القوم الذي من رماحهم

نداهم ومن قتلاهم مُهجةُ البخل ؟

بمولودهم صمتُ اللسان كغيره
أسلمهم علياؤهم عن مصابهم
عزّاءك سيفِ الدوحة المبتدى
رتنصُرهُ بين الفوارس والرّجل
ولكن في أعطائه منطلق الفصل
ويشتمهم كسبُ الثناء عن الشغل
فإنك نصل والشدائد للفصل
وتنصُرهُ بين الفوارس والرّجل

(١) ليست القصيدة بديوانه بشرح التبريزي ولا بطبعة محمد جمال

تاوب طارقا : رجع زائرا . شمائل : طباع . موقر : رزين . حلاجل : رزين
أو سيد شجاع . وهم : جل ضخم قوى ذلول . بازل : جل بلغ التاسعة من عمر فاكتدل .
فتنان : المراد ولدان . الأشاء : صفار النخل . انمهل . اعتدل وانتصب . أث : النف وكثر .
إنسجاح : سماحة . المهند : النيف . الحسام القاصل : السيف القاطع .

بنفسى وليدٌ عادٍ منَ بَيدِ حمِلِه
بداً وله وعدُ السَّحابِ بالرَّوى
وقد مدَّت الخيلُ العِناقُ عُيونَهَا

إلى وَرَقَتِ تَبْدِيلِ الرُّكَّابِ مِنَ النَّعْلِ

وَرَبِيعَ لَهُ جَيْشُ العَدُوِّ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَعَلَى (١)

فتأمل أيها الناظم إلى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد ،
وكيف هام كل واحد منهما في واد منه ، مع اتفاقهما في بعض معانيه ؟ .

وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المفضول ،
فأقول : أما الذى اتفقا فيه فإن أبا تمام قال :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا لَوْ أُخِّرْتُ حَتَّى تَكُونَ شِمَانِلًا
وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ قَالَ :

عَمَلُهُ دَهْمٌ صَدَّتْ لِسَانُ كَثِيرِهِ وَاسْكَنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَصْلِ

(١) من مرثيته لأبي الهيثم عبد الله بن سيف الدولة (الديوان ٢٠٩/٤) وبالديوان
(الخيلة والأصل) و (الألى من رماحهم) . الفراسة : الخيلة . الأعطاف : جم عطف وهو
الجانب . منطق الفصل : القول الصائب الحاسم . مصابهم : إصابتهم . الشقل : الاهتمام بما هنا
كسب الثناء والمحامد . عزاءك : تمز عزاءك ، أو الزم عزاءك . به : الضمير يعود على العزاء .
فصل : سيف . الرجل : جم راجل وهو الماشى . تطرق بالحلل : لا تخرج الولد من بطنها .
الروى : الرواء والرى . غلة : عطش . المحل : الجديب . الخيل العناق : الكرام . الركاب
مانوضم فيه الرجل من السرج . ريم : أخيف . جاشت : غلت وهاجت . الضروس :
الشديدة العض .

فأى بالمعنى الذى أنى به أبو تمام ، وزاد عليه بالصناعة اللفظية ، وهى المطابقة
فى قوله صمت اللسان ومنطق الفصل .

وقال أبو تمام :

نجمان شاء الله ألا يطلما إلا ارتداد الطرفِ حتى بأفلا

وقال أبو الطيب :

بدآ وله وعد السحابة بالزوى وصدّ وفينا غلة البلد المحل

فوافقته فى المعنى وزاد عليه بقوله (وصدو فينا غلة البلد المحل) لأنه بين
قدر حاجتهم إلى وجوده وانتفاعهم بحياته .

وأما ما اختلفا فيه فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضاً ، وذلك
أن معناه أمتن من معناه ، ومبناه أحكم من مبناه .

وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان
وقدمه ، لأمع فضيلة القول وتقدمه ، وأبو تمام وإن كان أشعر عندى من
أبى الطيب فإن أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع .

وبيان ذلك أنه تد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى .

وأما الذى اختلفا فيه فإن أبا الطيب قال :

عزاهك سيف الدولة المقتدى به فإنك تصل "شداوند للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من يبقى أبى تمام اللذين هما :

أن ترزنى طرفى نهار واحد رزأين هاجا لوعة وبلابلا

فالتنقلُ ليس مُضاعفاً لطبيّةٍ إلا إذا ما كانَ وَهْمًا بازلا
فإن قول أبي الطيب (والشدايدُ للانصل) أكرم لفظا ومعنى من قول
أبي تمام (إن الثقل إنما يضاعف للبازل من المطايا) .

وقوله أيضا :

تحون المنايا عهده في سليه وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما :

لأَعْرَوْا إن فننان من عهده لِقيا حِمامًا للبرية آ كلا
إن الأشاء إذا أصاب مُسَدَّبٌ منه أنمَلٌ ذرأ وأث أسافلا

وكذلك قال أبو الطيب :

ألسن من القوم الذي من رماحهم

ندام ومن قلامهم مُهَجَّةُ البُخْلِ

تسليهم علياؤهم عن مصابيحهم ويشغلهم كُتبُ الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما :

سمعتُ خِلاكَ أن يُواسِيكَ امرؤ

أو أن تُذَكِّرَ ناسيا أو غافلا

إلا مَواعظ قَادها لك سَمَحَةٌ إسْجَاحُ لُبِّكَ سامعا أو قاتلا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتقنين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين

المتقنين .

وقد ذهب قوم إلى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين ، واحتجوا على ذلك بأن قلوا : المفاضلة بين الكلامين لا تكون إلا باشتراكهما في المعنى ، فإن اعتبار التأليف في نظم الألفاظ لا يكون إلا باعتبار المعاني المدرجة تحتها ، فإلم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى فإنه لا يعلمُ مواقعُ النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه وانساق ذلك اللفظ أو اضطرابه ، وإلا فكلُّ كلامٍ له تأليفٌ يخصه بحسب المعنى المُدرَجِ تحته ، وهذا مثل قولنا : العسلُ أحلى من الخَلِّ ، فإنه ليس في الخَلِّ حلاوة حتى تناس حلاوة العسل عليها .

وهذا القول قاسد ، فإنه لو كان ما ذهب إليه هؤلاء من منع المفاضلة حقا لوجبَ أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورتديته وحسنه وقبيحه ، وهذا محال .

وإنما خفيَ عليهم ذلك لأنهم لم ينظروا إلى الأصل الذي تقع المفاضلة فيه . سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ، ومن هنا وقع لهم الغلط .

وسأبين ذلك فأقول : من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة ، فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين اللذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما ، فمتى وجدّا في أحد الكلامين دون الآخر ، أو كانا أحص به من الآخر ، حُكِمَ له بالفضل .

وقرأت في كتاب الأغانى لأبى الفرج في تفضيل الشعر أشياء تتضمن خبطا كثيرا ، وهو مروى عن علماء العربية ، لكن عذرهم في ذلك ، فإن معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خلاف معرفة النحو والإعراب .

فما وقتت عليه أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الأخطل فقال : لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً (١) .

وهذا تفضيل بالأعصار لا بالأشمار ، وفيه ما فيه ، ولولا أن أبا عمرو عندي بالمسكان التلي لبسط لساني في هذا الموضوع .

وسئل جرير عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فقال : أما الفرزدق ففي يده نبتة من الشعر وهو قابض عليها ، وأما الأخطل فأشدنا اجترأ ، وأرمانا للفرائص (٢) ، وأما أنا فمدينة الشعر .

وهذا القول في التفضيل قول إقناعي (٣) لا يُحصَلُ منه على تحقيق ، لكنه أقرب حالا مما روى عن أبي عمرو بن العلاء .

وسئل الأخطل عن أشعر الناس فقال : الذي إذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع ، فقيل لمن ذاك ؟ قال : الأعشى . قيل : ثم من ؟ قال طرفة .

وهذا قول فيه بعض التحقيق ، إذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس ، لأن المعاني الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها .

وسئل الشريف الرضي عن أبي تمام وعن البحتري وعن أبي الطيب ، فقال : أما أبو تمام فخطيب منير ، وأما البحتري فواصف جؤذر (٤) ، وأما المتنبى فقاتل عسكر .

(١) الأغانى ١٦٣/٧ وفيه تفضيل له على معاصريه

(٢) الفرائص : جرم فريضة وهي الأجمة بين الجنب والكف ، والمراد المقاتل . وكانت

بالأصل (الفرائض) ولطها الفرائص كما رجحنا ، أو القريض بمعنى الشعر

(٣) يريد أنه كلام خطابي لا دليل عليه .

(٤) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والمراد أنه صاحب فزل

وهذا كلام حسن واقع في موقعه ، فإنه ، وصف كلا منهم بما فيه من غير تفضيل .

ويروى عن بشار أنه وصف نفسه بحودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنني نظمت اثني عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد ، فيكون لي حينئذ اثنا عشر ألف بيت .

وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لاله ، لأن باقلا الذي يُضْرَبُ به المثل في العيب لو نظم قصيدا لما خلا من بيت واحد جيد ، ومن الذي ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد ؟ لكن كان الأولى ببشار أن قال : لي اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن إلا وجيدها أكثر من رديئها ، وليس في واحدة منهن ما يَنْقُطُ ، فإنه لو قال ذلك وكان محببا لاستحق التقدم على الشعراء ، ومع هذا فقد وصل إلى ما في أيدي الناس من شعره مُقَصِّدا ومُقَطَّعا ، فما وجدته بتلك النايبة التي ادعاهها ، لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة إلى رديئه ، وتندر^(١) له الأبيات اليسيرة .

وبلغني عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما أنهم قالوا : هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة ، وهم عندي معذرون ، لأنهم ما وقفوا على معاني أبي تمام ، ولا على معاني أبي الطيب ، ولا وقفوا على ديباجة أبي عبادة البحرى وهذا الموضع لا يُسْتَفْتَى فيه علماء العربية وإنما يُسْتَفْتَى فيه كاتبٌ بليغ أو شاعر مُفْلِحٌ ، فإن أهل كل علم أعلم به . وكذا لا يُسأل الفقيه عن مسألة حسابية فكذلك لا يُسأل الحاسب عن مسألة فقهية ، وكما لا يسأل أيضا النحوى عن مسألة طيبة ،

(١) تندر : هنا بمعنى تظهر وتشتهر من الدور لا من النبرة

فكذلك لا يسأل الطبيب عن مسألة نحوية . ولا يعلم كُـلَّ علم إلا صاحبه الذي
قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره .

على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب إلى الناس قاطبة ، وما من
أحد إلا ويحب أن يتكلم فيه ، حتى إنى رأيت أجلاف العامة ممن لم يَحْطُ بيده ،
ورأيت أَعْتَامَ^(١) الأجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة ، كلهم يخوض في فن
الكتابة والشعر ، ويأتون فيه بكل مَضْحِكَةٍ ، وهم يظنون أنهم عالمون به ،
ولا لوم عليهم ، فإنه بلغنى عن ابن الأعرابي^(٢) - وكان من مشاهير العلماء -
أنه عرض عليه أرجوزة أبي تمام اللامية التي مطلعها :

(وعاذلٍ عدلته في عدله)

وقيل له هذه لفلان من شعراء العرب ، فاستحسنها فاية الاستحسان ، وقال :

هذا هو الديباج المَسْرُوعِي^(٣) ، ثم استكتبها ، فلما أنهاها قيل له :
هذه لأبي تمام ، فقال :

من أجل ذلك أرى عليها أثر الكُفَّة . ثم أتى الورقة من يده ، وقال :
ياغلام خرق خرق^(٤) .

(١) الأعمى : من لا يفتح شيئاً ، جمه فتم على وزن قفل .

(٢) أبو عبد الله محمد بن زياد كان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة ، وكان ريبياً المفضل
الذي وسمع منه الدواوين وصحبها ، وكان من أحفظ الناس للغة والأنساب ، توفي سنة ٥٢٣هـ
(الفهرست ٦٩ ووفيات الأعيان ١ / ٤٩٢)

(٣) الديباج المسروعي : المرير الفارسي الفاخر

(٤) في الصناعتين ٤٥ أن ابن الأعرابي كان يأمر بكتابة جميع ما يجري في مجلسه .
فأشده رجل يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب ، على أنها لبعض القرب .
سارية لم تكتمل ببعض كدراء ذات هطلان محض

فإذا كان ابن الأعرابي مع علمه وفضله لا يَدْرِي أَيُّ طرفيه أطولُ في هذا
افن ، ولا يَعْلَمُ أَيُّن يَضَعُ يده فيه ، ويبلغ به الجهل إلى أن يقف مع التقليد
الشفيع الذي هذا غاية ، فإلذي يقول غيره ؟ وما الذي يتكلم فيه سواء ؟

والمذهب عندي في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر
العرب أولا وآخرا ، ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ،
علم ما أشرتُ إليه .

ولا ينبغي أن يُوقَفَ مع شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ، فإن
كلام أولئك أجاد في معنى اختص به ، حتى قيل في وصفهم : امرؤ القيس
إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا شرب .

وأما الفرزدق وجريرا والأخطل فإنهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني
المتخلفة ، وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون ، وهم أبو تمام وأبو عبادة البحرى
وأبو الطيب المتنبي^(١) ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء .

أما أبو تمام وأبو الطيب فرَبَّا المعاني ، وأما أبو عبادة فرَبَّ الألفاظ
في ديباجتها وسبكها . وبلغني أن أبا عبادة البحرى سأل ولده أبا الفوث عن
الفرزدق وجريرا أيهما أشعر ، فقال : جريرا أشعر . قال : وبم ذلك ؟

.....

فقال ابن الأعرابي . اكتبوها . فلما كتبوها قيل له : إنها لحبيب بن أوس ، قال :
خرق خرق ، لاجرم أن أثر الصنعة فيها بين .

(١) لقد قال منذ بضعة أسطر إن الفرزدق وجريرا والأخطل هم أشعر العرب أولا
وآخرا . وما هوذا يقول إن أبا تمام والبحرئى والمتنبي أشعر منهم ، فكيف ذلك .

قال : لأن حَوَكة شبيهة بِحَمْرَك (١) . قال نَكَيْتَكَ أملك ، أَوْفَى الحكم
عصية ؟ قال يا أبت فمن أشبه ؟ قال : الفرزدق . قال : وبم ذاك ؟ قال :
لأن أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي : القَيْن ، والزَّنا ، وضرب
الرومى بالسيف ، والنقى من للسجد ، ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك .
وأما الفرزدق فإنه يهجو جريرا بأسماء مختلفة ، ففى كل قصيد يرميه بسهام فهد
السهام التى يرميه بها فى القصيد الآخر (٢) . وأنا استكذب راوى هذه الحكاية ،
ولا أصدقه ، فإن البيهقى عندى ألب من ذلك ، وهو طارف بأسرار الكلام ،
خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديته ، وكيف يدعى على جرير أنه لم يهج
الفرزدق إلا بتلك المعانى الأربعة التى ذكرها ، وهو القائل :

لما وضعتُ على الفرزدق مِيسِمِي وعلى البَيْتِ جَدَّعتُ أنفَ الأخطلِ (٣)

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد .

ولقد تأملت كتاب النقائض فوجدت جريرا رب تمزُّل ومدح وهجاء
وانتخار ، وقد كسا كل معنى من هذه المعانى ألفاظا لا تفتق به . ويكتفه من
ذلك قوله :

وعادِ عَوَى من غير شيء رَمَيْتُهُ بقارة أنفاذا تَمَطَّرُ الدِّمَا
عانى لقوالٍ لكل غريبةٍ وَرُودِ إذا السارى بلبيل تَرَنَّا
تَرُوجٍ بأفواه الرواة كأنها شَبَا هُنْدُوانِ إذا هَزَّ صَمَّا

(١) يربط أسلوبه وتعبيره .

(٢) فى الصناعتين ٢٤ ذكر لهذا التفضيل موجز

(٣) الديوان ٤٤٣ .

غرائب الألف إذا حان وزدها أخذت طريقاً لقصائد مُدُلما^(١)

ولولم يكن لجرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء ، وسأذكر من هجائه للفردق ما ليس فيه شيء من تلك المعاني الأربعة التي أشار البحرى إليها ، فمن ذلك قوله :

وقد زعموا أن الفردق حية وما قتل الحيات من أحد قبلي
لم تراني لا تُبيل ربيتي فمن أرم لا تُحطىء مقائله نبلي
رأيتك لا تحمي عقلاً ولم تُرد قتالاً فما لاقت شر من القتل^(٢)
وقوله :

أباغ هديتي الفردق لها عيبٌ بزاد على حسيرٍ مُثقل
إني انصبت من السماء عليكم
حق اختطفك يا فردق من عل^(٣)

(١) كان بالأصل (بقافية أنفاذا يقطر الدما) و (جروح بأفواه الرواة) و (هز صمصا) . وبالديوان (قرأ . هندواني) الديوان ٤٤٤ أنفاذا : أقطارها . ورود : كثيرة الورود يريد أن قصائده سريعة التبع . خروج بأفواه الرواة : دائمة على ألسنتهم لا يستطيعون كتابتها . شيا هندواني : حد سيف . صم : قطع وأصاب الفصل . معلوم معروف

(٢) من هجائه للبعث والفردق (الديوان ٤٦٤) وترتيب الأبيات في الديوان أن الثالث هو الثاني ، وبين الأول والثاني ثلاثة أبيات ، وبين الثاني والثالث ستة أبيات . وبالأصل (لا أنبل رميتي) فأصلحناها من الديوان .

لا تبيل رميتي : لا يتجو من رمي من أرميه ولا يشق . المقال : القلوس الفتنية والمراد للمرأة

(٣) من هجائه للفردق (الديوان ٤٤٤ ، ٤٤٨) والبيت الثاني هنا قبل الأول في

الديوان . وفي الديوان (عب بزاد) حسير : كليل عهد

وقوله :

زَهْمُ الْفَرَزْدَقِ أَنْ سَيِّئَةً تَمَلُّ مِرْبَعًا أَبْشَرُ بَطُولِ سَلَامَةٍ بِأَمْرِ بَعِ
 وَرَأَيْتُ نَفْكَ بَافِرَزْدَقٍ قَصَّرَتْ وَرَأَيْتُ قَوْسَكَ لَيْسَ فِيهَا مَتْرَعٌ
 إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمُهُ
 حَيْثُ التَّقَتْ حُسْشَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ (١)

وقوله :

أَحَارْتُ خُذْ مَنْ شَدَّتْ مِنَّا وَمِنْهُمْ وَدَعْنَا قَمِينَ نَجْدًا تُمَدُّ قَوَاضِيَهُ
 لَبِثْتُ سِلَاحِي وَالْفَرَزْدَقُ لَعْبَةٌ عَلَيْهِ وَشَاخًا كَرَّجٍ وَجَلَّاجِلُهُ
 فَلَسْتُ بِذِي عِزٍّ وَلَا ذِي أُرُومَةٍ وَمَا تَمَطَّ مِنْ ضَمِيمٍ فَإِنَّكَ قَابِلُهُ (٢)

وقوله :

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنْ مَجَاشِعًا لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُورَةِ طَارُوا

(١) من هجائه للفرزدق (الديوان ٣٤٨ ، ٣٥١) والبيت الثاني هنا موضعه بالديوان بعد أبيات من الثاني . مريم : لقب لراوية جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه . الحمشاء : العظم الناتج خلف الأذن . الأخدع : عرق في صفحة العنق . وبالديوان (ووجدت قوسك) متزع : مد .

(٢) من هجائه للفرزدق (الديوان ٤٨٥) بالأصل (فضائله) والأبيات بالديوان هكذا ، مع تباعد ما بينها :

ليست أذاتي والفرزدق لعبة عليه وشاخا كرج وحلاجه

أحارث خذ

ولست بذى دره ولاذى أرومة وما تخط من ضميم فإنك قابله

كرج : السكرج المهر والسكرجى الخنث . الجلاجل : جمع جلجل وهو الجرس الصغير .

قد يُؤسرون فلا يُفك أسيرهم وبقولهم قَسَلَمُ الأوتار^(١)
وقوله :

بني مالكٍ إن الفرزدقَ لم يزل
يُلقي الخازي من لدن أن تيفعا
مددت له الناياتِ حتى زكته
قعود القوافي ذَا علوبٍ مؤقعا^(٢)
وقوله :

ألا إنما كان الفرزدقُ تملباً
ضفاً وهو في أشدقِ كَيْثِ ضهارم^(٣)
وقوله :

مهلاً فرزدقُ إن قومك فيهمُ
الظاعنون على العمى بجمعهم
خورُ القلوبِ وخيفةُ الألامِ
والنازلون بشرٌ دارٍ مقام^(٤)

(١) من رثائه لزوجته (الديوان ٧٠٧) كان بالأصل (قَسَلَمُ الأوتار) وبالديوان (فايفك)

(٢) من هجائه لفرزدق (الديوان ٣٣٤) كان بالأصل (أن تيفعا) والبيتان بالديوان هكذا :

بني مالك إن الفرزدق لم يزل
مددت له النايات حتى فضته
فلو الخازي من لدن أن تيفعا
جريح الدنابي فاني السن مقطعا

فلو الخازي : رضيها . ذو علوب : المراد جروح . بولع : مرى من قرب أو مكوى
الدنابي : العجز . مقطع : لاقدرة له على الضراب

(٣) (الديوان ٥٥٨) الضهارم : الأسد القوي الشديد . ضفا : صاح

(٤) هذان البيتان كما في النفاض مما هجابه جرير فسان بن ذهل السليطي ، ورواية
النفاض للبيت الأول : (أبي أدبرة إن فيكم فاعلموا) ولكنهما في الديوان من هجاء جرير
للفرزدق (الديوان ٥٥٧) .

وقوله :

إِذَا سَفَرَتْ يَوْمًا نَسَاهُ مُجَاشِعٌ بَدَتْ سَوَاةٌ مِمَّا تُجِنُّ الرِّاقِعُ
مَبَاشِيمٌ عَنْ غَيْبِ الخَزِيرِ كَأَنَّمَا تُصَوِّتُ فِي أَعْضَابِنِ الضَّمَادِعِ
رَأَتْ مَالِكُ نَبِلَ الفِرْزَدِقِ قَصَّرَتْ

عَنِ العُلُوِّ لَا يَأْتِي عَنِ العُلُوِّ بَارِعٌ
أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا كَرَامًا حَمَاهَا بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ
إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ شَرِّ قَبِيلَةٍ وَأَعْظَمُ عَارًا قَيْلٍ : تَلِكُ مُجَاشِعٌ (١)

وقوله :

عَلِقَ الأَخْيَطِلُ فِي حِيَالِي بَعْدَمَا عَثَرَ الفِرْزَدِقُ ، لَا لَمَّا لِلعَائِرِ
لَقِيَ الفِرْزَدِقَ مَالِقِيَتَ وَقَبْلَهُ طَاحَ البَعِيثُ بِنَهْرِ غَرَضٍ وَافِرِ
وَإِذَا رَجَوْا أَنِ يَنْقُضُوا لِي مِرَّةً
مَرَّسَتْ قَوَامِي عَلَيْهِمْ وَمَرَّارِي (٢)

ولجزير . مواضع كثيرة في هجاء الفِرْزَدِقِ غير هذه ، ولولا خوف الإطالة

(١) من هجائه للفِرْزَدِقِ والبَيْتِ (الديوان ٢٦٧) وترتيبها هنا يخالف ترتيبها في الديوان . والبَيْتِ الأَوَّلُ بالديوان هكذا :

رَأَتْ مَالِكُ نَبِلَ الفِرْزَدِقِ قَصَّرَتْ عَنِ المَجْدِ إِذْ لَا يَأْتِي العُلُوُّ نَازِعٌ

وكان بالأصل (رأت ملاما مثل) و (غيب المهريز)

نبل الفِرْزَدِقِ : شعره . لا يأتى : لا يقصر . العلو : رفع اليدين بالسهم الى أقصى غاية مباحيم : متخيات . الخزير : حساء من دسم . الأهناج : الأمعاء . مجاهم : قوم الفِرْزَدِقِ

(٢) من هجائه الاخطل (الديوان ٣٠٧)

كان بالأصل (التيس) بدلا من البَيْتِ . ورواية الديوان (لقى الأخطل ما لقيت) و (أن ينقضوا من لوى) لالما له : لا اتماش له من سقطته .

لاستقصيتها جميعا .

ولو سلمتُ إلى الباحثي ما زعم من أن جريرا ايس له في هجاء الفرزدق
إلا تلك اللتان الأربعة لا عترضت عليه بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة .

وذاك أن الشاعر الملقب أو الكاتب للبلغ هو الذي إذا أخذ معنى واحدا
تصرف فيه بوجوه التصرفات ، وأخرجه في ضروب الأساليب ، وكذلك فعل
جرير ، فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالفتن كل غريبة ، وتصرف فيه تصرفا
مختلف الأنحاء ، فمن ذلك قوله :

أَلْتَهَى أَبَاكَ مِنَ الْكَارِمِ وَالْمَلَأَ

لِي الْكُتَائِفِ وَارْتَفَعَ الْمِرْجَلِ (١)

وقوله :

وَجِدَ الْكُتَيْفُ ذَخِيرَةً فِي قَبْرِهِ وَالْكَلَيْتَانِ جُمَعْنَ وَالْمُنْشَارُ
يَبْسُكِي صَدَاهُ إِذَا تَصَدَّعَ مِرْجَلُ أَوْ إِنْ تَفَلَّقَ بُرْمَةٌ أَهْشَارُ
قَالَ الْفَرَزْدَقُ رَقِيْبِي أَكْبَارَنَا

قالت : وكيف ترقع الأكيار (٢) ؟

وقوله :

إِذَا آبَاؤُنَا وَأَبُوكَ عُدُّوا أَبَانَ الْمُتَعَرِّقَاتُ مِنَ الْعَرَابِ

(١) من هجائه لفرزدق (الديوان ٤٤٧) ارتفاع الرجل : إصلاحه ، لي الكتائف :
إصلاح الضباب لأن الكتيفة الضبة ، أو الكتيفة كلبتا الحداد يعيره في الحالين بالحدادة
(٢) من قصيدته في رثاء زوجته (الديوان ٢٠٢) بالأصل (الكتيف . والنشار)
وبالديوان (تلم برمة) الكتيف : الضبة وكتبتا الحداد . المنشار : هو المنشار . تعلق برمة
أعشار : تتكسر قدر أجزاء عسرة . الأكيار : جمع كير .

فَأَوْزَنَكَ الْعَلَاةَ وَأُورَثُونِي رِبَاطَ الْخَلِيلِ أَفْنِيَةَ الْقِبَابِ
وَسَيْفُ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فَأَعْلَمُوهُ قَدُومٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ النَّصَابِ (١)

فانظر أيها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها
جرير وأدارها على هجاء الفرزدق بالتمين، فقال أولا: إن أباه شغل عن المكارم
بصناعة القيون، ثم قال ثانيا: إنه يبكي عليه ويندبه بمد الموت اليرنجل والبرمة
الأعشار التي يصلحها، ثم قال ثالثا: إن أمك أوردتك آفة القيون، وأورثني
أبي رباط الخليل.

وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها، ولا حاجة
إلى التطويل بذلك ها هنا، وهذا القدر فيه كفاية.

وحيث انتهى بنا القول إلى ها هنا فلنرجع إلى النوع الذي نحن بصدد ذكره،
وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد، فما جاء منه قول النابغة:

إِذَا مَا هَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَابِ
جَوَانِحُ قَدْ أُيْقِنَ أَنْ قَبِيلَهُ

إِذَا مَا التَّقَى الْجَمَانُ أَوْلُ غَالِبِ (٢)

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا، وأوردوه بضروب
العبارات.

(١) الديوان ٢٧، ٢٩ - كان بالأصل (جدوا بأن المفرقات من الغراب) وف
الديوان (الفرزدق قد علمت). المفرقات: القرف والمفرقة من الفرس وغيره ما يدان المهجنة
أى أمه عربية لا أبوه. أبان: استبان. المراب: الخالصة العروبة. العلاة: السندان.
الرباط: الخيل أو الخمس منها أو المكان المدد للرباطة

(٢) (الديوان ٤٣) من مدحه لعمر بن الحارث الأصغر بن الحارث الأهرج بن
الحارث الأكبر بن أبي شمر الضماني حين هرب إلى الشام ونزل عنده. جوائح: مائلات
للقوم والافتقار.

قال أبو نواس :

تَنَمَّى الطَّيْرُ عَزْوَتَهُ ثِقَّةً بِأَحْمٍ مِنْ جُزْرِهِ (١)

وقال مسلم بن الوليد :

قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتِ وَرَقَنَ بِهَا فَمَنْ يَتَّبِعْتَهُ فِي كُلِّ مِرَّةٍ تَحَلِّ (٢)

وقال أبو تمام :

وقد ظَلَّتْ أَعْنَاقُ أَعْلَامِهِ ضُحَىً بِعَقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَقِي كَأَنَّهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ (٣)

وقد ذكر هذا المعنى غير هؤلاء ، إلا أنهم جاء وبشئ واحد لا تفضل بينهم فيه ، إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في اللفظ . ولم أر أحداً أغرب في هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَشْرَبَتْ أَرْوَاحَ الْعِيدَا وَقُلُوبَهَا خَوْفًا فَأَنْفَسُهَا إِلَيْكَ تَطْيِيرُ

(١) من قصيدته في مدح العباس بن عبيد الله (الديوان ٤٣١) وزهر الآداب ٤/١٣٤ ورواية الديوان (تأني الطير فدوته) ومعنى تتأني تقصد . الجزر : جم جزور وهو البعير أو الناقة المحزورة ، والمراد قتل الحرب .

(٢) من قصيدته في مدح يزيد بن يزيد الشيباني (الديوان ١٢) .

(٣) من قصيدته في مدح المعتصم والأفعبين (الديوان ٨٢) وفي الديوان (عقبان أعلامه) شبه الأعلام بالعقبان ، وجعل عقبان الطير آفة لها كما اعتادت من أكل لحوم الأعداء . وفي أخبار أبي تمام لاصول حدثت عن هذا المعنى قال فيه الذي سبق إليه مسلم وأبو نواس ، وسبقهم جميعا إليه النابغة ، ثم قال إن معنى النابغة من قول الأفوه الأودى الشاعر الجاهل :

فترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستار

(أخبار أبي تمام ١٦٤) ومثل هذا بالصناعتين ٢٢٥

لَوْ حَا كَمَتَكَ فَطَالَ بَتُّكَ بِذَخْلِهَا شَهِدْتَ عَلَيْكَ مُخَالِبٌ وَنُورٌ^(١)

فهذا من المليح البديع الذي فصل به مسلم غيره في هذا المعنى .

وكذلك نمل أبو الطيب للتعجب ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب ، وأبدع ، وجاز الإحسان بجملة ، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره .

فما جاء منه قوله :

تَقَدَّى أَنَّهُمُ الطَّيْرُ عُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ الكَمَلَا أَخْدَانُهَا وَالقَشَاعِيمُ
وَمَا ضَرَّهَا حَلَقٌ بِغَيْرِ مُخَالِبٍ وَقَدْ خَلَقْتَ أَسْيَافَهُ وَالقَوَائِمُ^(٢)

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره قال :

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ تَرْجُفُ تَحْتَهَا

سَحَابٌ إِذَا اسْتَسَقَّتْ سَقَمَتَا صَوَارِمِهِ^(٣)

وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب .

(١) من قصيدته في مدح منصور بن يزيد (الديوان ٢٢٠) بالديوان (ملاحم ونسور) - دخلها : نأرها

(٢) من مدحه لسيف الدولة بقصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(الديوان ١٢٢/٤) أحداثها والقشاعيم : صفاتها وكبارها . القوائم : مقابض السيوف

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٥٥/٤) ورواية الديوان (يرحف تحتها).

وقال في موضع آخر :

وَدِي لَجَبٍ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُنَارُ بِسَالِمٍ
تَمَرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَهْفَةٌ تُطَالِمُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَامِ
إِذَا ضَوَّرَهَا لِآقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةٌ تَدَوَّرُ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَامِ (١)

وهذا من إيجاز أبي الطيب المشهور ، ولولم يكن له من الإحسان في شعره
إلا هذه الأبيات لاستعق بها فضيلة التقدم .

ومما ينتظم بهذا النوع ماوارد عليه أبو عبادة البحرى وأبو الطيب المتنبى في
وصف الأسد ، وقصيدتهما مشهورتان ، فأول إحداها :

(أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرَى لَزِينَهَا)

وأول الأخرى (فِي الْخَلْدِ إِنْ عَزَمَ التَّلْطِيطَ رَحِيلًا) .

أما البحرى فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة في أبياته الرائية
التي أولها :

أَقْلَمُ لَوْ شَهِدْتِ بَيْطُنَ خَبْتِ وَقَدْ لَاقَى الْمِزْرُؤُ أَخَاكَ بِشِرَا (٢)

وهذه الأبيات من البط العالى الذى لم يأت أحد بمثله ، وكل الشعراء لم
تسم قرائمهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ، ولولا خوف الإطالة
لأوردتها بجملة ، لكن الغرض إنما هو المفاضلة بين البحرى وأبي الطيب

(١) من قصيدته في مدح الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج (الديوان ٤/٣٠٤)

ذو لب : ذو جلبة ، يصف الجيش . القشام : النسور . البيض : جم بيضة وهي الخوذة .

(٢) من مقابلات بديع الزمان الهمداني : وأغلب الظن أن بشرا هذا شخص اخترعه

البيديه وأجرى على لسانه الأبيات .

فيما أورده من المعاني في هذا القصد المشار إليه .

فما جاء للبحرئى من قصيدته :

وَمَا تَنْقِمُ الحَسَادُ إِلَّا أَسَالَةً لَدَيْكَ وَعَزَمْنَا أَرْبَحِيًّا مُهْدَبًا
وَقَدْ جَرَّبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً فَضَلَّتْ بِهَا السَّيْفَ الحُصَامَ المَجْرَبًا
غَدَاةً لِقَيْتِ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ يُمَحِّدُ نَابًا لِإِقَاءِ لِقَاءِ وَخَلْبًا
إِذَا شَاءَ غَادَى عَانَةً أَوْغَدَا عَلَى عَقَائِلِ يَسْرِبِ أَوْ تَقْنَسَ رَبْرَبًا
شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَفْتُهُ حِينَ تَنْبَرِي لَهُ مُضَلَّتًا عَضْبًا مِنَ البَيْضِ مِقْضَبًا
فَلَمْ أَرْضِرْ غَامِينَ أَصْدَقَ مَسْكَا عِرَاكَا إِذَا الْهَيْبَةُ الفُكْسُ كَذَبًا
هَزْبَرًا مَشَى يَبْنِي هَزْبَرًا وَأَغْلَبَا مِنَ القَوْمِ يَفْشَى بِاسِيلِ الوَجْهِ أَغْلَبَا
أَدَلَّ بِشَنْبٍ نَمَ هَالَتَهُ صَوْلَةٌ رَاكَ لَهَا أَمْضَى جَنَابًا وَأَشْعَبَا
فَأَحْبَجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْعَمًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
فَلَمْ يُفْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوُكَ مُقْبِلًا وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ انْتَهَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدُّهُ نَبَا (١)

وعما جاء لأبي الطيب المشبئ في قصيدته :

أَمْعَرُ اللَّيْثِ الهَزْبَرِ بِسَوْطِهِ لَمَنْ ادْخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولَا ؟
وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ البُحْبُورَةَ شَارِبًا وَرَدَ الفِرَاتَ زَيْبَرُهُ وَالنَّيْلَا

(١) من قصيدته في مدح عبد الله بن دينار ووصف مبارزته للأسد (الديوان ٥٥) بالديوان (وماتنقم الحساد) و (يوم تنبرى) . أرمي : الأرمي الواسع الخلق . مخدر : ملازم للأجمة . غادى عانة : باكر قطيعا من حمر الوحش . عقائل سرب : طياء نفيسة . تقنص ربربا : افترس قطيعا من بقر الوحش . مقضب : قاطع . ضرغامين : أسدين . النكس : الجبان . هزبر : أسد . أغلب : ضمخ العنق والأسد يوصف بذلك . أدل بشنب : انبسط بالهياج . أمضى جنانا : أفوى قلبا .

مَمَّخَضِبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا بَسٌ فِي فِيهِ مِنْ لِبْدَانِيهِ غِيَلًا
مَا قُوِبَتْ عَيْنَاهُ الْأَطْلَقَاتَا تَحْتَ الدَّجَى نَارَ الدَّرِيْقِ حُلُولًا
فِي رُخْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيْمَ وَالتَّحْلِيلَا
يَطَأُ الْأَثْرَى مُتَرَقِّقًا مِنْ نِيَاهِهِ فَكَأَنَّهُ أَسَى يَجْمَسُ عَلِيَلَا
وَبُرْدٌ مُفْتَرِّقُهُ إِلَى بَأْفُوخِهِ حَتَّى تَصِيْرَ رَأْسَهُ إِكْسِيَلَا
قَهَمَتْ مَخَافَتُهُ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَةً مَشْكُولَا
أَلْفَى فَرِيْسَتَهُ وَزَجَرَ دُونَهَا وَقَرُبَتْ قُرْبًا خَالَهُ تَطْنِيَلَا
فَتَشَابَهَ الْقُرْبَانِ فِي إِقْدَامِهِ وَمَخَافَنَا فِي بَدَلِكَ لِلْأَكُولَا
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيَهُ فِيكَ كِلَيْهِمَا مَقَامًا أَزَلَّ وَسَاعِدَا مَفْتُولَا
مَازَالَ يَبْتَمِعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّوَلَا
وَكَأَنَّا تَعَرَّضْنَا عَيْنَ قَادِقِي لَا يُبْعِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيَلَا
أَفْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّيْنِيَّةِ تَارِكِ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثْرَةَ قَلِيَلَا
وَالْعَارُ مَضَانُ وَلَا يَسُ بِمَخَافِ مِنْ حَتْفِهِ مِنْ خَافَ عَمَّا قَبِيَلَا
خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ فَاسْتَنْصَرَ التَّنْسِيْمَ وَالتَّجْدِيَلَا
تَمِيحُ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَمَقَّى يُهْرَوْلُ أَمْسِ مِنْكَ مَهُولَا
وَأَمْرُهُ عَمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ وَكَقَتْلِهِ إِلَّا يَبُوتَ قَتِيَلَا
تَلَفُ الْقَدَى اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خَلَّةً وَعَظُ الْقَدَى اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيَلَا^(١)

(١) من لصيدته في مدح بدر بن عمار لما خرج إلى أسد فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بكرة انترسها بعد أن شتم وثل ، فوثب إلى كفل قوسه ، فأهبطه عن سبل سيفه ، فضربه بالسوط فرغه في التراب ، فأحاط به الجيش فقتله (الديوان ٤٣٤/٣) بالديوان (و بربر دونها) و (فتشابه الخلقان) =

وسأحكم بين هاتين القصيدتين ، والذي يشهد به الحق وتنقيه العصية
أذكره ، وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عدداً ، وأسد مقصداً ، الأرى
أن البحترى قد قصرَ مجموع قصيدته على وصف شجاعة المدوح في تشبيهه
بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ، ولم يأت بشيء سوى ذلك ، وأما أبو الطيب فإنه
أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أَمَعَّرَ اللَّيْثَ الْهَزْبِرُ بِسَوَطِهِ لَمَنْ أَدَّخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟

ثم إنه تَفَنَّنَ في ذكر الأسد ، فوصف صورته وهيئته ، ووصف أحواله
في انفراده في جنسه ، وفي هيئة مشبه واختياله ، ووصف خلق مخله مع شجاعته ،
وشبه للمدوح به في الشجاعة ، وفضله عليه بالسخاء ، ثم إنه حَظَّفَ بعد ذلك
على ذكر الأفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل نفسه بقاء للمدوح ، وأخرج ذلك
في أحسن مخرج ، وأبرزه في أشرف معنى .

وإذا تأمل للعارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر
ما أشرت إليه .

والبحترى وإن كان أفضل من للتنبى في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ، فالتمنى

أفضل منه في الفوص على المعاني .

== معفر: بمرغ في التراب . الهزبر : الأسد الشديد . الصارم : السيف القاطم . ورد : لوته
عمر . البحيرة : بحيرة طبرية . الفرات والنيل : نهرا في العراق ، والنيل أيضا نهر بمصر
لكن المبالغة على هذا تكون قد جاوزت النلو . القيل : الأجمة . البدة : الشعر المجتم على
كنتف الأسد . الفريق الملول : الجماعة النازلة بمكان . الغفرة : الشعر المجتم على قفاه .
الليافوخ : الرأس . الإكليل : التاج . الكمي : البطل المنتصر في سلاحه . مشكول : مقيد .
زجر : صاح ، وكذلك بربر . تطفل : تطفل أي دخول على الأكل من غير دعوة . تشابه
القربان أو الخلقان أي تشابههما في الجرأة والإقدام ، وتخالفتا في أن الأسد يجمل بطعامه
وأنت جواد . متن : جانب الصلب . أزل : قليل لحم العجز والفضذين مقتول : متدمج شديد .
زوره : وسط صدره . ادنى : قرب . مضاض : مؤلم . التجديل : الانطراح على الأرض .
ابن عمته : الأسد الذي هرب من بدر بعد ذلك

وعما يدلك على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية ، لعله أن
بشراً قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ، ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ،
ونظافة أبي الطيب لم يقع فيها وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذبل بشر ، لأنه
قصر عنه تقصيراً كثيراً ، وما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك
الطريق ، وسلك غيرها فجاء فيما أورد مبرزا .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد
اثنان منها على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معانٍ كتوارد البحترى
والمعنى ها هنا وعلى وصف الأسد ، وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى
واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ، ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فإن
بعد المدى يُظهر ما في السوابق من الجواهر^(١) ، وعنده يتبين ربح الراجح وخسر
الخاصر . فإذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر إلى قصيدتها
في مرثي النساء التي مفتتح إحداها :

يا أخت خدر أخ يا بنت خير أب
وهي لأبي الطيب
ومفتتح الأخرى

غُرُوبُ دَمْعٍ مِنَ الْأَجْفَانِ يَنْهَمِلُ^(٢) وَحُرُوقُ بَقْلِيلِ الْحَزَنِ تَشْتَعِلُ^(٣)

وهي لبحترى ، فإن أبا الطيب انفرد بابتداع ما أتى به في معاني قصيدته ،
والبحترى أتى بما أكثره غثاً بارداً ، وللتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء
امرأة ورجل .

ومن الواجب أنه إذ سلك الناظم أو الناثر مسلكاً في غرض من الأغراض

(١) السوابق : الخيل الجياد السبابة . يريد أن بعد الغاية يظهر ما في الخيل للتسابق
من كرم ونفاة

(٢) مطلع قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة (الدوان ١/٩٩)

(٣) ليست بديواته

الايخرج عنه ، كالذي سلكه هذان الرجلان في الرثاء بامرأة ، فإن من حداقة الصنعة أن يذكّر ما يليق بالمرأة دون الرجل .
وهذا الموضع لم يأت فيه أحد بما يثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده ،
وأما غيره من مُقلّي الشعراء قديماً وحديثاً فإنهم قصّروا عنه .
وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتحتها :

نَيْدُ الْمَشْرِفِيَةِ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا النَّوْنُ بِلَا قَتَالٍ (١)
وكفى بها شاهداً على ما ذكرته من انفرادها بالإبداع فيما أتى به .

والفتيا عندي بينه وبين البحرى أن أبا الطيب أفقذ في المضيق ، وأعرف باستخراج المعنى الدقيق ، وأما للبحرئى فإنه أعرف بصوغ الألفاظ، وحوك ديباجتها .
وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتفاقهما في المعنى أبين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه ، لأنهما مع الاتفاق في المعنى يتبين قولاهما ويظهران ظهوراً يُعَلِّمُ بيديهما النظر ، ويتسارع إليه فهم من ليس بثاقب الفهم ، أما اختلفا في المعنى فإنه يحتاج في الحكم بينهما فيه إلى كلام طويل يَمَرُّ فهمه ، ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض ، بل لا يتفطن له إلا القذ الواحد من الناس .

ولى في هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين اللغنيين المختلفين ، وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عربياً ، وأقت الدليل على ما نصصت عليه ، وما منعت من إيرادها في كتابي هذا إلا أنها سمحت لي بعد تصنيفه وشيوعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به .

وحل هذا الأسلوب توارد للبحرئى والشريف الرضى على ذكر القذ ،
في قصيدة للبحرئى دالية أولها .

(١) في رثاء والده سيف الدولة (الديوان ٣/١٧٠)
المشرفية : السيوف . العوالى : الرماح .

(سلامٌ عليكم لا وفاء ولا عهد) (١)

ومقطوعة للشريف الرضى أولها :

وعارى الشوى وللنكبين من الطوى

أنيح له بالليل عارى الأشاجم (٢)

وقد أجاد البحترى في وصف حاله مع الذئب ، والشريف أجاد في وصف

الذئب نفسه .

المسوخ

وأما المسوخ ، فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ، والقسمه تقتضى

أن يُقرنَ إليه ضده ، وهو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة .

فالأول كقول أبي تمام :

وقول أبي الطيب للتنبى :

فنى لا يرى أن الفريضة ممتلئ ولكن يرى أن العيوب مقاتل (٣)

(١) من قصيدته في وصف الذئب حين لقبه (الديوان ١/١٨٥)

(٢) من قصيدته في وصف الذئب (الديوان ٥٠٢)

الشوى : جم شواة وهي جلدة الرأس أو اليدين أو الرجلان أو الأطراف . الطوى : الجوع الأشاجم : أصول الأصابع التي تنصل بمصب ظاهر الكف ، للفرد أشجم

(٣) من قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات

مطلعها :

مى أنت من ذهلية الحى ذاهل وقلبك منها مدة الدهر آهل

(الديوان ٣/١٢٦)

الفريضة : عرق في العنق ، واللحمة التي بين الجنب والكف لاتزال ترهه

وقول أبي الطيب للفتى :

بَرَى أَنْ مَا بَانَ مِنْكَ لِنَارِي بِأَقْتَلَ مَا بَانَ مِنْكَ لِمَائِي (١)
فهو وإن لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ، ومثاله في ذلك كمن أودع
الموتى شُملاً وأعطى الورد جُملاً (٢) وهذا من أرذل السرقات .

وعلى نحو منه جاء قول عبد السلام بن رُغبان :

نَحْنُ نُعَزِّبُكَ وَمِنْكَ الْهُدَى مُسْتَخْرَجٌ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبَلٌ
قَوْلُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ وَبِهِ تَعْقِلُ
إِذَا عَفَا عَنْكَ وَأَوْدَى بِنَا الدَّهِرِ فَذَلِكَ الْمُحْسِنُ الْمُجْبِلُ (٣)
أخذه أبو الطيب فتاب أعلاه أسفه فقال :

إِنْ يَكُنْ صَبْرٌ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنْ الْأَفْضَلُ الْأَعَزُّ الْأَجْلاً
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزِّيَ عَنِ الْأَخْسَبِ بَابِ فَوْقِ الَّذِي يُعَزِّبُكَ عَقْلاً
وَبِالْفَاظِ اعْتَدَى فَإِذَا عَزَا كَ قَالَ الَّذِي لَهُ قَاتَ قَبْلاً (٤)

والبيت الأخير من هذه الأبيات هو الآخر قدرا ، وهو المخصوص بالسخ .
وأما قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة ، بل يسمى

إصلاحاً وتهدياً

(١) من قصيدته في مدح أبي القاسم طاهر بن الحسين مطلعها
أعيذوا صباحي فهو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لحظ الحباب
(الديوان ١/١٨٣)

المعنى أنك ترى أن الذى ظهر من الإنسان لِنَارِي بالسيف كالمنق ليس بأقتل بماظهر
لمائب ، فالمعنى أشد من القتل .

(٢) الشمل : الضمالة على وزن كتاب شيء مثل الخلاة ينطلى به ضرع الشاة إذا ثقلت
أو غاس بالعنز ، والجمل شمل . الجمل : دويبه تشبه الخنفساء .

(٣) الأغانى ١٢/١٤٢ من قصيدته في تمزية جعفر بن علي الهاشمي . وقبل البيت الأخير
نحن فدى لك من أمه والأرض والأخر والأول

(٤) من قصيدته في تمزية سيف الدولة في أخته الصغرى وتسلية عن أخته الكبرى
مطلعها .

فن ذلك قول أبي الطيب المتنبى :

لو كان ما تعطيتهم من قبيل أن تعطيتهم لم يعرفوا التأميلا^(١)

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يُبق جودك لي شيئا أومله تركتني أضعب الدنيا بلا أمل^(٢)

وهي هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة بصف فيها اللب بالسكره والصولجان ، فقال من جعلتها .

جنٌ على جنٍّ وإن كانوا بشرٌ كأنما خيطاوا عليها بالإبر^(٣)

ثم جاء للمتنبى فقال :

فكانها نتجت قياما تحتمهم وكانهم ولدوا على صهواتها^(٤)

وبين القولين كما بين الماء والأرض ، فإنه يقال ليس للأرض إلى السماء نسبة محسوسة ، وكذلك يقال هاهنا أيضا ، فإنه بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف ، فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة .

== إن يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الأفضل الأعمز الأجيلا
(الديوان ٣ / ٣٠١) يريد أن المزي لسيف الدولة يهتدى بالفاظه ، ويخاطبه بما تلمحه من قوله ، فقدره مرتفع عن التحرية .

(١) من منحه لسيف الدولة (الديوان ٤ / ٤٤٩)

(٢) الديوان ٤١١ ويتيمه الدهر ٢ / ٣٨٨ من مدحه لسيف الدولة بن حمدن

(٣) ليست بالديوان . وهي أرجوزة مطلقها .

قد أشهد الهو بفتيان فرر من ولد العباس سادت البعر

(٤) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران (الديوان ١ / ٢٥٥) نتجت :

ولدت . الصهوات : للراد مقاعد الفرسان على ظهور الخيل .

القصيدة مطلقها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

[تم القسم الثالث من كتاب المثل السائر لابن الأثير]

يليه القسم الرابع ، محتويا على :

١ - نكحة المثل السائر .

٢ - كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد .

٣ - - فهارس الكتاب متنوعة ومفصلة .

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
يضياء الدين بن الأثير

قدمه وحققه وعلق عليه

دكتور بدوي طبانه

دكتور أحمد الحوفي

القسم الرابع

ويليه

كتاب الفلك الدائر على المثل السائر

لابن أبي الحديد

تكملة باب السرقات

وربما ظن بعض الجهال أن قول الشماخ :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلَتْ رَحْلِي عَرَابَةَ فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَرْتَيْنِ^(١)

وقول أبي نواس :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَا بَلَّغْنَا مُحَمَّدًا فَظَهَرُوا هُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(٢)

من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة ، وليس كذلك ، فإن قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى عبارتين ، إحداهما قبيحة والأخرى حسنة ، فإن الحسن والقبح إنما يرجع إلى التعبير لا إلى المعنى نفسه ، وقول أبي نواس هو عكس قول الشماخ ، وقد تقدم مثل ذلك فيما مضى من ضروب السرقات .

(١) الديوان ٩٢ والأغاني ١٠٢/٨ عرابة بن أوس كان سيدا من سادات قومه وجوادا من أجوادهم . في كتاب الصناعتين ٢١٠ أن أبا نواس قال : والله ما أحسن الشماخ حيث قال (البيت) هلا قال كما قال الفرزدق :

علام تلتفتين وأنت تحقني وخير الناس كلهم أمامي
مني تردى الرصافه تستريحني من التهجير والدبر الدامي
وكان قول الشماخ عيبا عندي ، فلما سمعت قول الفرزدق تبته ، فقلت :
وإذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
لربنا من خير من وطئ الحما فلها علينا حرمة وذمام
وقلت : (وذكر ثلاثة أبيات أخر) .

ثم ذكر أبو هلال بعد أن فرغ من كلام أبي نواس أن الشماخ تبع ذا الرمة في قوله :
إذا ابن أبي موسى بلالا يلقته فقام بفأس بين وصليك جازر
والشماخ بن ضرار شاعر مخضرم ، شهد له الحطيئة بأنه أشعر غطفان
(٢) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤٠٨)

الآثرى إلى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف الرضى ، فقال
أبو الطيب :

إِنِّي عَلَى شَفْعِي بِمَا فِي خُرْهَا لِأَعِفَّ عَمَّا فِي سَرَا وَبِلَاتِيهَا^(١)

وقول الشريف الرضى :

أَحِرُّ إِلَى مَا تَضَمَّنُ الْخَمْرُ وَالْحَلَى وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي صَمَانِ الْمَازِرِ^(٢)

فالمنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح .

وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعاً لا يكاد يخرج عنها شيء ، وإذا أنصف الناظر في الذي أتيت به هاهنا علم آتى قد ذكرت ما لم يذكره غيري ، وأنا أسأل الله التوفيق لأن أكون لفضله شكورا ، وألا أكون مختالا بخورا .

وإذ فرغت من تصنيف هذا الكتاب ، وحررت القول في تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما ، فينبغي أن أختمه بذكر فضيلتهما فأقول :

اعلم أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة ، ولولا ذلك لما نخر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواقف ، فقال تارة : « أنا أفصح من نطق بالضاد » . وقال تارة : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ لِي أَحَدٌ قَبْلِي ، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يَبِيعُ فِي قَوْمِهِ ، وَبِيعْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ، وَأُجِلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ ،

(١) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران التي مطلعها :

سرب بحاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

(الديوان ١ / ٢٥٢)

(٢) الديوان ٣٤٣ وفي الديوان (يمن ، ويصدق)

وجعلت لي الأرض طيبةً وطهوراً ، ونصرت بالرعب بين يديّ مسيرة شهر ،
وأوتيت جوامع الكلم .

وما سُمِعَ بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر بشيء من العلوم سوى
علم الفصاحة والبلاغة ، فلم يقل إنه أقمه الناس ، ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب
ولا بغير ذلك ، كما قال : أنا أفصح من نطق بالضاد .

وأيضاً فلو لم تكن هذه الفضيلة من أعلى الفضائل درجة لما اتصل الإعجاز
بها دون غيرها ، فإن كتاب الله تعالى نزل عليها ، ولم ينزل بمعجز من مسائل
الحساب ولا من مسائل الطب ولا غير ذلك من العلوم ، ولما كانت هذه الفضيلة
بهذه المكانة صارت في الدرجة العالية .

والمنثور منها أشرفُ من المنظوم لأسباب ، من جملتها أن الإعجاز لم
يَتَّصِلْ بالمنظوم ، وإنما اتصل بالمنثور .

الآخر أن أسباب النظم أكثر ، ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين
من الكتاب ، بل لا نسبة لهؤلاء إلى هؤلاء ، ولو شئت أن تُخَصِّصَ أربابَ
الكتابة ، من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدت منهم من يستحق اسم
الكاتب عشرة ، وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم عدداً كثيراً ،
حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة ، كل منهم شاعر
مُفْلِقٌ ، وهذا لا نجد في الكتاب ، بل ربما ندر الفرد الواحد في الزمن الطويل .

وليس ذلك إلا لوعورة المسلك من النثر ، وبعد مناله ، والكاتب هو أحد
دِعَامَتِي الدولة ، فإن كل دولة لا تقوم إلا على دعامتين من السيف والقلم ،
وربما لا يفتقر الملك في ملكه إلى السيف إلا مرة أو مرتين ، وأما القلم فإنه

يفتقر إليه على الأيام ، وكثيرا ما يستغنى به عن السيف ، وإذا سئل عن الملوك الذين غبرت أيامهم لا يوجد منهم من حَسُنَ اسمه من بعده إلا من حظى بكاتب خَطَبَ عنه ، وفتحَ أمر دولته ، وجعل ذكرها خالدا يتناقله الناس ، رغبة في فصل خطابه ، واستحسانا لبداعة كلامه ، فيكون خلود ذكرها في خفارة ما دَوَّنه قلبه ، ورقته أساطيره .

وليس الكاتب بكاتب حتى يضطر عدو الدولة أن يروى أخبار مناقبها في حفله ، ويصبح لسانه حامد لساعياها ، وقلبه ما به من غلة .

ولقد أحسن أبو تمام في هذا المعنى حيث قال :

سَأْجِدُ حَتَّى أُبْلَغَ الشَّمْرَ شَأْوَهُ إِنْ كَانَ طَوْعًا لِي وَلَيْسَتْ بِجَاهِدٍ
فَإِن أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوٌّ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ^(١)

وهذا الذي ذكرته حق وصدق ، لا ينكره إلا جاهل به ، وأنا أسأل الله الزيادة من فضله ، وإن لم أكن أهلا له ، فإنه هو من أهله .

ووقفت على كلام لأبي إسحاق الصابي في الفرق بين الكتابة والشعر ، وهو جواب لسائل سأله فقال : إن طريق الإحسان في منشور الكلام يخالف

(١) من قصيدته في مدح أبي الحسين محمد بن المهدي بن شبابة التي مطلعها :
فتوا جددوا من عهدكم بالمهاد وإن من لم تسمع لنعقدان فاشد
(الديوان ٢ / ٧٧)

يروى بالديوان (كان لي طوعا وكان طوعا لي) يريد أن قصائده في مدح أبي الحسين يجب بها أعداؤه فيروونها ، فإن أعدوا فكأنهم قدحموا .

طريق الإحسان في منظومه ، لأن الترسل هو ما وضع معناه ، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه ، وأنغر الشعر ماغض ، فلم يعطك غرضه إلا بعد بماطلة منه .

ثم قال بعد ذلك : ولسائل أن يسأل فيقول : من أى جهة صار الأحسن في معنى الشعر الغموض وفي معانى الترسل الوضوح ؟

فالجواب أن الشعر بُني على حدود مقررة ، وأوزان مقدره ، وفُصِّلَت آيياته ، فكان كل بيت منها قائماً بذاته ، وغير محتاج إلى غيره ، إلا ما جاء على وجه التضمين وهو عيب . فلما كان النفس لا يمتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضة وضربه وكلاهما قليل ، احتجج إلى أن يكون الفصل في المعنى ، فاعتمد أن يلفظ ويدق .

والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق ، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتفصل إلا فصولاً طوالاً ، وهو موضوع وضع ما يهذ هذ^(١) أو يمر على أسمع شئ من خاصة وزعية ، وذوى أفهام ذكية وأفهام غبية ، فإذا كان متسلسلاً ساغ وقرب ، فجميع ما يستحب في الأول يكره في الثاني ، حتى إن التضمين عيب في الشعر وهو فضيلة في الترسل .

ثم قال بعد ذلك : والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء إنما أغراضها التي يرمون إليها وصف الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء والأوطار ، والتشبيب بالنساء ، والطلب والاجتداء ، والمديح والمجاء ، وأما المترسلون فإنما يترسلون في أمر سداد ثغر ، وإصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، أو احتجاج على فتنه ، أو مجادلة لمسألة ، أو دعاء إلى ألفة ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية برزية ، أو ماشا كل ذلك .

(١) يهذد : يقطع في سرعة أو مرة بعد مرة .

هذا ما انتهى إليه كلام أبي إسحاق في الفرق بين الترسل والشعر .
ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان ،
كيف يصدر عنه هذا القول الناكبُ عن الصواب ، الذي هو في باب ،
ونصي^(١) النظر في باب ، اللهم غفراً .

وسأذكر ما عندي في ذلك لا إرادةً للطنن عليه ، بل تحقيقاً لحل النزاع
فأقول : أما قوله : إن الترسل هو ما وضح معناه ، والشعر ما غمض معناه ، فإن
هذه دعوى لا مستند لها ، بل الأحسن في الأمرين معاً إنما هو الوضوح والبيان .

على أن إطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدلُّ على الغرض
الصحيح ، بل صوابُ القول في هذا أن يقال كل كلام من منشور ومنظوم
فينبغي أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة ، لأنها إن لم تكن مفهومة فلا
تكون فصيحة ، لكن إذا صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال

في فهم معانيها ، فمن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ، ومنه ما لا يفهمه
إلا الخاصة وتتفاوت درجات فهمه ، ويكفي من ذلك كتاب الله تعالى ، فإنه
أفصح الكلام ، وقد خوطب به الناس كافة من خاص وعام ، ومع هذا فنه
ما يتسارع الفهم إلى معانيه ، ومنه ما يَنْفَمِضُ فمعرفته ، والألفاظ المفردة ينبغي
أن تكون مفهومة ، سواء كان الكلام نظماً أو نثراً ، وإذا تركبت فلا يلزم
فيها ذلك ، وقد تقدم في كتابي هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من مواضعها .

وأما الجواب الذي أجاب به في الدلالة على غموض الشعر ووضوح الكلام
المنثور ، فليس ذلك بجواب ، وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائماً بذاته ،

فَلِمَ كَانَ مَعَ ذَلِكَ غَامِضًا؟ وَهَبَ أَنْ الْكَلَامَ الْمَشُورَ كَانَ وَاحِدًا لَا يَتَجَزَأُ، فَلِمَ كَانَ وَاضِحًا؟ ثُمَّ لَوْ سَلْتِ إِلَيْهِ هَذَا فَمَاذَا يَقُولُ فِي الْكَلَامِ الْمَسْجُوعِ الَّذِي كُلُّ فِقْرَةٍ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ؟ .

أَمَا قَوْلُهُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْكَاتِبِ: «إِنَّ الشَّاعِرَ مِنْ شَأْنِهِ وَصَفَ الدِّيَارَ وَالْأَنْمَارَ وَالْحَنِينِ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْأَوْطَارِ، وَالتَّشْبِيبَ بِالنِّسَاءِ، وَالطَّلَبَ وَالْاجْتِدَاءَ، وَالْمَدِيحَ وَالْمُهْجَاءَ، وَإِنَّ الْكَاتِبَ مِنْ شَأْنِهِ الْإِفَاضَةَ فِي سَدَادِ تَعْرِ، أَوْ إِصْلَاحِ فِسَادٍ، أَوْ تَحْرِيطِ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ احْتِجَاجِ عَلَى فِتْنَةٍ، أَوْ مَجَادَلَةِ لِمَسْأَلَةٍ، أَوْ دُعَاءِ إِلَى الْفِتْنَةِ، أَوْ نَهْيِ عَنِ الْفِرْقَةِ، أَوْ تَهْنِئَةِ بِعَطِيَّةٍ، أَوْ تَعْرِيزَةِ بَرَزِيَّةٍ» فَإِنَّ هَذَا تَعَكُّمٌ مَحْضٌ لَا يَسْتَنْدُ إِلَى شِبْهِةٍ، فَضَلَا عَنِ بَيِّنَةٍ .

وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْكَاتِبِ فِي هَذَا الْمَقَامِ؟ فَكَيْمَا يَصِفُ الشَّاعِرُ الدِّيَارَ وَالْأَنْمَارَ، وَيَحْنُ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْأَوْطَارِ، فَكَذَلِكَ يَكْتُبُ الْكَاتِبُ فِي الْإِشْتِيَاقِ إِلَى الْوَطَنِ، وَمَنْازِلِ الْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ، وَيَحْنُ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْأَوْطَارِ، وَلِهَذَا كَانَتِ الْكُتُبُ الْإِخْوَانِيَّاتِ بِمَنْزِلَةِ الْفَزْلِ وَالنِّسَبِ مِنَ الشِّعْرِ .

وَمَا يَكْتُبُ الْكَاتِبُ فِي إِصْلَاحِ فِسَادٍ أَوْ سَدَادِ تَعْرِ أَوْ دُعَاءٍ إِلَى الْفِتْنَةِ أَوْ نَهْيٍ عَنِ الْفِرْقَةِ أَوْ تَهْنِئَةِ أَوْ تَعْرِيزَةِ، فَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ .

فَإِنَّ شَدَّةَ عَنِ الصَّابِ قِصَائِدِ الشُّعْرَاءِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَانِي فَكَيْفَ حَقِيٌّ عَنْهُ قِصِيدَةُ أَبِي تَمَامٍ فِي اسْتِعْطَافِ مَالِكِ بْنِ طَلُوقٍ عَلَى قَوْمِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

(لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي) (١)

(١) الشطر الثاني: أو كفت من شأويه طول عتاب (الديوان ١ / ١٠٨)

للأوان : تثنية شأو وهو الطلق، واستمارة ما هنا للدمر كأنه يذهب إلى فعله التمر. ووضه، والمراد من البيت أنه لو نفع عتابه للدمر لعاب

أم كيف أخل بالنظر في ديوان أبي الطيب المتنبي ، وهما في زمن واحد ، فما تأمل قصيدته في الإصلاح بين كافور الإخشيدي وبين مولاه التي مطلعها :

(حَسَمَ الصلح ما اشتتهه الأعادي ^(١)) .

وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيدة أبي عبادة البحترى في غزو البحر التي مطلعها :

(ألم ترتفليسَ الربيع المبكر ^(٢)) :

ولو أخذتُ في تعداد قصائد الشعر في الأغراض التي أشار إليها وخصَّ بها الكاتب لأطلتُ ، وذكرت الكثير الذي يحتاج إلى أوراق كثيرة ، وكل هذه الفروق التي نص عليها وعددها فليست بشيء ، ولا فرق بين الكتابة والشعر فيها .

والذي عندي في الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه :

الأول : من جهة نظم أحدهما ونثر الآخر ، وهذا فرق ظاهر .

الثاني : أن من الألفاظ ما يُباب استعماله نثراً ولا يباب نظماً ، وذلك شيء استخرجته ، ونهت عليه في القسم الأول المختص باللفظة المفردة في المقالة الأولى من هذا الكتاب ، وسأعيد هاهنا شيئاً فأقول : قد ورد في شعر أبي تمام قوله :

(١) تكلمة البيت : وأذاعته ألسن الحساد (الديوان ٧ / ١٥٦) كان قوم قد حاولوا أن يفسدوا ما بين ابن الإخشيدي وكافور ، فطالب كافور بسليمهم إليه ، فامتنع ابن الإخشيدي ثم سلمهم ، وصالح كافورا

(٢) في مدح أحمد بن دينار بن عبد الله ووصف مركب اتخذه وهو والي البحر ، وغزاه في بلاد الروم (الديوان ١ / ٢٧) . والفطر الثاني : وماحاك من وشى الرياض للشعر . التنفيس : السير في النفس . الوشى : الزخرف . اللعسر : الطيب الرائحة القادحة

هي العِرمِسُ الوجْناه وابنُ مِلَمَّةٍ
وجأشٌ على ما يَحْدِثُ الدهرُ خافِضٌ (١)

وكذلك ورد في شعر أبي الطيب المتنبي كقوله :

ومَهْمَةٌ جُبْتُهُ على قَدَمِي تَعَجِرُهُ عنه العِرامِسُ الذُّلُّ (٢)

فلفظة المهمة والعِرمِس لا يُعاب استعمالها في الشعر ، ولو استعمالا في كتاب أو خطبة كان استعمالهما معيبا . وكذلك ما يشا كلهما ويناسبهما من الألفاظ ، وكل ذلك قد ضبطته بضوابط ، وحددته بحدود تفصله عن غيره من الألفاظ ، فليؤخذ من المقالة الأولى ، ولولا خوف التكرار لأعدته هاهنا .

الثالث : أن الشاعر إذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره ، واحتاج إلى الإطالة بأن ينظم مائتي بيت أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك ، فإنه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه ، بل يجيد في جزء قليل ، والكثير من ذلك رديء ، غير مرضي ، والكاتب لا يُؤْتَى من ذلك ، بل يظيل في الكتاب الواحد إطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطينس أو أكثر ، وتكون مشتملة على ثلاثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة ، وهو مجيد في ذلك كله ، وهذا لا نزاع فيه ، لأننا رأينا وسمعناه وقلناه .

(١) من قصيدته في مدح دينار بن عبد الله التي مطلعها :

مهارة النقا لولا الشوى والبايض وإن محض الإعراض لي منك ما حضى

(الديوان ٢ / ٢٩٤) وبالديوان (هي المرة)

الحرة : الجيدة . العِرمِس : الناقة الصلبة . الوجناه : الناقة الشديدة . الملم : القديد من كل شيء ، والملمة الشديدة . الجأش : النفس أو القلب (تاج العروس) . خافض : الخفض الدعة وعيش خافض ناعم وادع

(٢) من قصيدته في مدح بدر بن عمار (الديوان ٢ / ٤٠٥)

مهمة : فلاة . العِرامِس : جمع عِرمِس وهي الناقة الصلبة الشديدة . الذل : اللذلة بالعمل . الروضة بالسير ، جمع ذلول الذكر والمؤنث .

وعلى هذا فإنى وجدت المعجم يَفْضَلُونُ العرب في هذه النكتة المشار إليها ، فإن شاعرهم يذكركتابا مصنفا من أوله إلى آخره شعرا ، وهو شرح قصص وأحوال ، ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم ، كما فعل الفردوسى في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه ، وهو ستون ألف بيت من الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وهو قرآن القوم ، وقد أجمع القوم وفصحاؤهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه^(١) ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها ، وعلى أن لغة المعجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ،
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ؟

(١) الفردوسى هو أبو القاسم الفردوسى أكبر شعراء الفرس في القرن الرابع الهجرى . ويراة الإيرانيون أكبر شعراء الفرس جميعا . ولد بين سنين ٣٢٠ و ٣٣٠ هـ وتوفى سنة ٤١١ أو ٤١٦ هـ وهو ناظم ملحمة الفرس الكبرى المعروفة بالشاهنامه أى كتاب الملوك . والمشهور أن آياتها ستون ألف بيت ، ولكن النسخ المختلفة الموجودة الآن تزيد على ذلك وتنقص ، وقد اتصل الفردوسى بالسلطان محمود الفزنوى وقدم له الشاهنامه ، فأعرض عنه ، ولم يحسن جائزته . فترك الشاعر مفاضا ، وهجاه بأبيات مثبتة في بعض نسخ الشاهنامه . وله غيرها قصة يوسف وزليخا ، وليست الشاهنامه مقصورة على تاريخ الفرس وحروبهم ، بل بها روايت في الوصف والقصص العاطفى والمغزات والحكم وهى فوق ذلك مثال فى روعة الأسلوب .

الفلك والدار
على المثل السائر
لابن أبي الحديد

قدّم له ، وحققه ، وعلق عليه

دكتور أحمد الحوفي و
دكتور بدوي طبائنه

تصدي

رأينا أن نضم إلى كتاب المثل السائر أهم كتاب في الرد عليه ، هو (الفلك
الدائر على المثل السائر) لابن أبي الحديد ، لتسكتمل الفائدة بهما معا .
وفي هذه الصفحات التي تصدر بها الكتاب نعرف بمؤلفه ونعرف
بالكتاب نفسه .

ابن أبي الحديد^(١)

هيات :

هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ،
المدائني المعتزلي الشيعي الفقيه الشاعر .

ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وكان من أعيان العلماء الأفاضل ، بارعا
في علم الكلام على مذهب المعتزلة ، أدبيا جيد النثر والشعر .

اشتغل زمنا في الدواوين السلطانية ، وأدرك إغارة المغول على بغداد ، ولما هجم
عليها هولاء كوفي ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦ هـ وأسرف في التخريب والتقتيل
كان ابن أبي الحديد وأخوه موفق الدين أحمد بن أبي الحديد من الذين نجوا
من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي^(٢) . وقابل خواجه

(١) اعتمدنا في التعريف به على فوات الوفيات لابن شاكر ٦/١ وعلى ما نقل في نهاية
شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من (معجز الآداب في معجم الألقاب) لأحد محمد بن أبي المعالى
الشياني القوطي . وعلى محاضرات الحضري في تاريخ الدولة العباسية ،
(٢) كان وزيراً المستنعم بالله ، وكان من كبار رجال الشيعة . وكانت الفتنة كثيرة بين أهل
السنة والشيعة ، وكان يسوؤه أن الشيعة مضطهدون من أهل السنة ، وأن البيت العباسي يعضد
أهل السنة . ف يقال إن الوزير كاتب هولاء كو وحررضه على فتح بغداد ، وهو يريد إسقاط الخلافة
العباسية وبعض المؤرخين يدل على هذه التهمة ، وبعضهم يبرئها منها .

نصير الدين الطوسي ، فوكل الإشراف على خزائن الكتب ببغداد إليه وإلى أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب .

ولكن أيامه لم تطل ، فقد توفى في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فإنها كثيرة تدل على كلفه بالثقافة الشرعية والأدبية ، وقد سلم بعضها من عادة الدهر ، وطبع .

١ - شرح نهج البلاغة .

ألفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي . وهو شرح مفصل لخطب ورسائل الإمام علي ، يحتوي على مسائل كثيرة لم يحتو عليها كتاب من جنسه . ولما فرغ من تأليفه بعثه إلى الوزير مع أخيه مؤيد الدين أبي المعالي ، فأرسل إليه الوزير مائة دينار ، وجلة سنوية ، وفرسا .

وقد طبع هذا الشرح .

٢ - العبرى الحسان .

وهو كتاب فريد الوضع ، اختار فيه نصوصا شتى من علم الكلام والتاريخ والشعر ، وأودعه قطعا من إنشائه وترسلاته ومنظوماته ، وقد ذكره في كتابه الفلك الدائر .

٣ - الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة للسيد المرتضى ،

في ثلاثة مجلدات .

٤ - شرح المحصل للإمام نجر الدين .

وهو نقض لكتاب المحصل وردود عليه .

- ٥ - نقص المحصول في علم الأصول .
- وهو رد آخر على الإمام نجر الدين .
- ٦ - شرح مشكلات الفرر لأبي الحسن البصرى في أصول الكلام .
- ٧ - شرح الياقوتة لابن نويخت في علم الكلام أيضاً .
- ٨ - الوشاح الذهبى في العلم الأدبى .
- ٩ - انتقاد المصطفى للغزالي ، في أصول انفعه .
- ١٠ - الحواشى على كتاب المفصل في النحو .
- ١١ - الفلك الدائر على المثل السائر

شعره :

له شعر كثير ، أجله وأكثره شهرة القصائد السبع العَوِيَّات ، نظمها
في صباه بالمداين سنة ٦١١ هـ في الإشادة بعلى بن أبى طالب . ويروى أنه نظم
فصيح ثعلب في يوم وليلة .

١ - من شعره ما كتب به إلى الوزير ابن العلقمى لما بعث إليه مكافأة
على تأليف شرح نهج البلاغة :

أياربَّ العباد رفعت صنمى وطلت بمفكبي وبَلَلت ريقى

وَزَيْغَ الْأَشْمَرِيِّ^(١) كَشَفْتَ عَنِّي
 فَلَمْ أَسْأَلْكَ تَنْبِيَاتِ الطَّرِيقِ^(٢)
 أَحَبَّ الْإِعْتِزَالَ وَنِصَابِيهِ
 ذَوَى الْأَلْبَابِ وَالنَّظَرَ الدَّقِيقَ
 فَأَهْلَ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ أَهْلِي
 نَعَمْ فَرِيقَهُمْ أَبَدًا فَرِيقِي
 وَشَرَحَ النَّهْجَ لَمْ أَدْرَكَهُ إِلَّا
 بَعُونَكَ بَعْدَ مَجْهَدَةٍ وَضَيْقِ
 تَمَثَّلَ إِذْ بَدَأَتْ بِهِ لِعَيْنِي
 هُنَاكَ كَذِرْوَةَ الطَّوْدِ السَّحِيقِ
 فَتَمَّ بِحَسَنِ عَوْنِكَ وَهُوَ أَنَايَ
 مِنَ الْعَيُوقِ^(٣) أَوْ بَيْضِ الْأَنْوُقِ^(٤)
 بِأَلِ الْعَلَمِيِّ وَرَتَّ زِنَادِي
 وَقَامَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْفَضْلِ سُوقِي
 فَكَمْ ثُوبٍ أَنْيَقُ نَلْتُ مِنْهُمْ
 وَنَلْتُ بِهِمْ ، وَكَمْ طَرِيفٍ عَتِيقِ^(٥)
 أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُمْ وَأَنْحَسَى
 عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِالْخَنْفَقِيِّ^(٦)

(١) الأشمري هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشمري ، ينتسب إلى أبي موسى الأشمري ، كان معتزليا أولا ، ثم خرج على مذهب المعتزلة وحاربهم بمثل سلاحهم ، وأخذ من مذهبهم بعض الآراء ، ومن مذهب خصومهم بعضها ، وكون لنفسه مذهبا مختارا حاول فيه أن يوفق بين العقول والمنقول ، وهو أميل إلى مذهب أهل السنة ، يثبت الصفات لله تعالى من علم وقدرة وإرادة ، وهي صفات أزلية قائمة بذاته تعالى . ويقول بإمكان رؤية الخالق سبحانه وتعالى في الآخرة ، لكن يستحيل أن تكون الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة .

ومذهبه في الوعد والوعيد يخالف المعتزلة من كل وجه :
 ولكن بعض العلماء الكبار من أهل السنة لم يوافقوه على آرائه كلها ، ورأوا أن بعضها مشوب بآراء المعتزلة .

(الملل والنحل ١ / ٨٥)

(٢) تنبيات الطرق : الطرق المنتوبة المعوجة .

(٣) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف الحجر الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٤) بيض الأنوق : على وزن صبور العقاب والرخة ، وهو أهن من بيض الأنوق لأنها تمززه فلا يكاد يظف أحد ؛ لأن أوكارها في القل الصلبة .

(٥) الطرف : الفرس الأصيب السكريم .

(٦) الخنفيق : السريمة جدا من النوق والفرلان وحكاية جرى الخيل ، وهو مثنى فيه

اضطراب وللراد الداهية .

٢ - ومن شعره قوله في مناجاة الله وبيان مذهبه في الاعتزال :

وَحَقِّكَ لَوْ أَدَخَلْتَنِي النَّارَ قُلْتُ لِلَّهِ
وَأَفْنَيْتُ عَمْرِي فِي دَقِيقِ عُلُومِهِ
هَبُونِي مَسِيئًا أَوْضَعَ الْعِلْمُ جِهْلَهُ
أَمَّا يَبْتَضِي شَرْعُ التَّكْرَمِ عَفْوَهُ
أَمَّا رَدَّ زَيْغِ ابْنِ الْخَطِيبِ وَشَكَّهُ
أَمَّا كَانَ يَنْوِي الْحَقَّ فِيمَا يَقُولُهُ
وَأَيُّهُ صِدْقُ الْعَبْدِ أَنْ يَعْذِبَ الْأَسْمَهُ
إِذَا كَانَ مِنْ يَهْوَى عَلَيْهِ يَصْبُهُ
ذِينَ بِهَا قَدْ كُنْتُ مِنْ يُحِبُّهُ
وَمَا بَغَيْتِي إِلَّا رِضَاهُ وَقُرْبُهُ
وَأَرْبَعَةٌ دُونَ الْبَرِيَّةِ ذَنْبُهُ (١)
أَيَحْسُنُ أَنْ يُنْسَى هَوَاهُ وَحُبُّهُ؟
وَتَمْوِيهِمْ فِي الدِّينِ إِذْ عَزَّ خَطْبُهُ؟
أَلَمْ تَنْصُرِ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ كُتْبُهُ
إِذَا كَانَ مِنْ يَهْوَى عَلَيْهِ يَصْبُهُ

فرد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى بقوله :

عَلِمْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّكَ آخِذٌ
فَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ فِي الْحَشْرِ مَا يُرْمَى
وَتَنْفِي صِفَاتِ اللَّهِ وَهِيَ قَدِيمَةٌ
وَتَعْتَقِدُ الْقُرْآنَ خُلُقًا وَمُحَدَّثًا
وَتُثْبِتُ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ مَسْئِلَةً
وَأَشْيَاءَ مِنْ هَذِي الْفَضَائِحِ جَمَّةً
وَمَنْ ذَا الَّذِي أَضْحَى قَرِيبًا إِلَى الْهُدَى
بِقَوْلِ اعْتِزَالٍ جَلَّ فِي الدِّينِ خَطْبُهُ؟
وَذَلِكَ اعْتِقَادٌ سَوْفٌ يُرْدِيكَ غَيْبَهُ
وَقَدْ أُثْبِتَتْهَا عَنْ إِهْلِكَ كُتْبُهُ
وَذَلِكَ دَاءٌ عَزَّ فِي النَّاسِ طِبُّهُ
يَكُونُ بِهَا مَا لَمْ يُقَدِّرْهُ رَبُّهُ
فَأَيُّكُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ وَحِزْبُهُ؟

وجاء عن الدين الحنيفي ذنبه
وماصر نحر الدين قول نظمته
وفيه شناع مفرط إذ نسبته

(١) أوضع العلم جهله : لزمه ، من أوضعت الإبل إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرحه .

٣ — ومن شعره قوله :

لولا ثلاث لم أخف صرعتي ليست كما قال فتى العبد^(١)
أن أنصر التوحيد والعدل في كل مكان باذلا جهدي
وأن أناجي الله مستمتعا مخلوة أحلى من الشهد
وأن أتية الدهر كبراً على كل لثيم أصغر الخد
لذاك لا أهوى فتاة ولا خمر ولا ذا مئعة نهد

(١) يريد طرفة بن العبد حيث قال :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتي وجدك لم أحفل متى قام عودي
فهنن سبقي الماذلات بشربة كبيت متى ما تمل بالماء تزبد
وكرى إذا نادى المضاف مجنبا كسيد الفضا نيته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب يهكنة تحت الطراف العمد

(من معانيه طرفة بن العبد)

عودي : من يحضره عند موته وينوح عليه .

الكميت : من الخمر التي تضرب إلى السواد . متى ما تمل بالماء : أي تمزج به .

كرى : عطشى . المضاف : الذي نزلت به الهوموم : المحنّب : فرس في وظيفه احد يداب
ليس بالاعوجاج الشديد وهذا يدل على القوة . سيد : ذئب . الفضا : شجر ، وذئابه

أخيت الذئاب . المتورد : الذي يطلب أن يرد للاء :

الدجن : المطر الغزير والباس القيم الأرض . بهكنة : المرأة الممتلئة أو الحميقة الروح

المليحة الطيبة الرائحة . معجب : يجب من رآه . الطراف العمد : الحباه ذو الأعمدة من آدم

الفلك الدائر على المثل السائر

- ١ -

ألف هذا الكتاب ليرد به على كتاب ابن الأثير (المثل السائر في أدب
الكاتب والشاعر) لأنه وجد فيه - كما قال في المقدمة - المحمود والمردود .

أما المحمود فإنشاء ابن الأثير وصناعته ، إلا في الأقل النادر .

وأما المرذود فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه وتحامله على الفضلاء ،
وإفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتقريظ لملمه وصناعته .

كذلك قصد من تأليفه إلى أن يبين لمن راقهم كتاب المثل السائر من أكابر
أهل الموصل وبغداد مافي الكتاب من وجوه النقص وألوان المآخذ ، وأن
يُعلم ابن الأثير ورؤساء بلده أن في خدم المستنصر من يفوقه علما وافتنانا .

وكان كتاب المثل السائر قد وصل إليه في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ
فتصفحه ، وعلق عليه في خمسة عشر يوما كما ذكر في المقدمة ، ولم يعاود النظر فيه
مرة ثانية .

ولما ألفه كتب إليه أخوه موفق الدين هذين البيتين :

المثل السائر ياسيدي صَنَّفْتَ فِيهِ الْفَلَكَ الدَّائِرَا

لكن هذا فلكٌ دائرٌ أَصْبَحْتَ فِيهِ الْمَثَلَ السَّائِرَا

وقد قدم كتابه إلى خزانة كتب الخليفة المستنصر بالله^(١) .

(١) أبو جعفر النصور المستنصر بالله بن الظاهر : بوجع بالخلافة يوم وفاة والده في ١٤
من رجب سنة ٦٢٣ (١١ يوليو سنة ١٢٢٦) واستمر في الخلافة إلى أن تولى في ١٠
من جمادى الآخر سنة ٦٤٠ وله آثار جليلة في بغداد منها المدرسة المستنصرية ، وكان شهما
حوادا عادلا .

أما تسمية الكتاب فقد أراد بها — كما ذكر في المقدمة — نقض كتاب المثل وإبطاله ومحوه ، لأنهم يقولون لما باد ودثر قد دار عليه الفلك ، كأنهم يريدون أنه قد طحنه ومحاه .

— ٢ —

رأينا أن نخرج هذا الكتاب ، لأنه وثيق الصلة بكتاب المثل السائر ، وهو في جملته تعليق عليه ونقله ، وتوسعة لمجال الدراسات البلاغية والنقدية .

والنسخة التي اعتمدنا عليها مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩ هـ على نفقة الميرزا محمد الشيرازي ، في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط .

وطبعها رديئة جداً ، تنوء بالتحريف والأغلاط ، وليس بها ترتيب ما ، وكل ما بها من شعر مدمج بالثر إدماجا .

وكثيرا ما يكتب المؤلف بالإشارات إلى بعض النصوص ، وكثيرا ما يذكر النص مبتورا ، سواء أكان آية قرآنية أم بيت شعر أم مثلا ، وكثيرا ما يورد النصوص غير منسوبة إلى قائلها ، وفي بعض الأحيان ينسبها إلى غير قائلها .

فاجتهدنا في معالجة هذا كله .

صححنا النصوص المحتاجة إلى تصحيح ، وأكملنا ما يحتاج إلى إكمال ، ونسبنا النصوص المجهولة إلى قائلها ما استطعنا ، وصوبنا نسبة بعضها إلى أصحابها ، ورجعنا كل نص إلى مصدره الذي أخذ منه أو الذي صححناه منه .

وراجعنا ما نقله من (المثل السائر) فقرة فقرة ، سواء أكان النقل كاملا أم ملخصا ، ونبهنا على ذلك .

وعرفنا بكثير من الأعلام والأحداث التي ذكرها في كتابه .

وشرحنا ما يحتاج من نثر المؤلف إلى شرح .

يتبين من دراسة (الفلك الدائر) أن ابن أبي الحديد كان معجبا بنثر ابن الأثير ، وبراعته في حل المنظوم ، والاقتياس من القرآن الكريم والحديث النبوي ، ويغلب على نقده الموضوعية .

ونستطيع أن نقسم نقده ثلاثة أقسام :

١ - بعضه حق ، مثله قوله :

(١) قال المصنف - ابن الأثير - : « ولا أدعى فيما أفتته فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سَبَق اللسان » . ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتب بديع في إغرابه ، وليس له صاحب من الكتب فيقال إنه متفرد من بين أصحابه » .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : وهل يدعى أحد فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هداني لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة وإنما تكون مُتَّبَعَة » .

فن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى ابتداع أشياء لم يُسَبَق بها ، وورقه فيها درجة الاجتهاد التي يتبعها الناس كيف يقول : لا أدعى فيما أفتته فضيلة إلا وبلغتها ؟

(ب) وكان ابن الأثير قد نبه الكُتَّاب على أن يعملوا فيما يعلمون ما يتصل بالنحو والصرف واللغة وقال : « وأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتب ، لكن الشاعر ربما احتاج إليه ، لأنه قد يضطر في بعض الأحوال إلى إدغام حرف ، وإلى فك إدغام من أجل إقامة الميزان الشعري » . ثم قال بعد ذلك : « وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذى يكتب فى هذا المعنى مشتملا على الترهيب والترهيب والمساحة فى موضع والمحاققة فى موضع » .

وتلقف ابن أبى الحديد كلمة (المحاققة) فعلق عليها بقوله : قد ظهرت فائدة علم الإدغام فى باب الكتابة ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظه المساحة بلفظة المحاققة ، وسها عن أن المحاققة بفك الإدغام غير جائزة .

(ح) قال ابن الأثير : « وقد مدح أبو الطيب كافورا بقوله :

فما لك تُغنى بالأُسِنَّة والقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بغير سِنَانٍ ؟
وما لك تَخْتَارُ القِسِيَّ وإِنَّمَا عن السعدِ يرعى دونك المَلَوَانَ ؟

وهذا يحتمل المدح والذم ، بل هو بالذم أشبه ، لأنه يقول إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك ، بل بجدِّ وسعادة ، وهذا لافضل فيه ، لأن السعادة ينالها الخامل والجاهل ومن لا يستحقها . وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا الفن فى القصائد الكافوريات » .

وعلق ابن أبى الحديد على هذا تعليقا يدل على ذوقه الصائب ، واطلاعه الواسع ، وتحرره مما تناقله الناس ، فقال : إن الناس واقع لهم واقع ظريف مع المتنبي فى هذا الباب ، وكان أصله الشيخ أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله .

وزعم بعضهم أن المتنبي كان يبغض كافورا ويَحْنَقُ عليه ، فكان يقصد ذلك ويتعمده بالشعر الموجه الذي يحتمل المدح والذم .

ومنهم من زعم أن كافورا كان يتفطن لذلك وبغضى عنه ؛ وينقلون هذا عن المتنبي .

وما كان ذلك قط ، ولا وقع شيء منه ، ولا قصد أبو الطيب نحو ذلك أصلا .

ثم ضرب أمثلة من مدح المتنبي لسيف الدولة ، فيها مدح بالجدِّ وحسن الحظ ، كقوله :

ولقد رُمْتَ بالسعادة بعضا من نفوسِ العدا فأدركتَ كُلاً
وقوله :

إذا سعت الأعداء في كَيْدِ مجده سعى جدُّه في كيدهم سعى مُحْنَقِ
وقوله :

لو لم تكن تجرى على أسيافهم مُهْجَاتُهم لجرتَ على إقباله
وقوله :

هم يَطْلُبُونَ قَمَنَ أذْرِكُوا وهم يكذبون فمن يَقْبَلُ
وهم يتمنون ما يشتهون ومن دونه جدُّك المقبل

وضرب أمثلة أخرى من شعر المتنبي فيها إشارة بالخط المواتي والسعد المسعف ، ثم قال : ولكن سيف الدولة لما اشتهر بإخلاص أبي الطيب له عدل

الناس عن هذا الشعر الذى يتضمن ذكر الجدد والخطف فلم يذكره ، ولم يجعلوه متوسطا بين المدح والذم ، وقالوا ذلك فى كافور لما حدث تغييره مع أبى الطيب ، وانحرف كل منهما عن صاحبه ، ومجاهرة أبى الطيب له بالهجاء بعد أن فارقه . ثم زاد الفكرة تأكيدا بأمثلة من شعراء آخرين .

(د) قال ابن الأثير فى تفسير بيت أبى صخر الهذلى :

عجبتُ لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

إنه يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعى الدهر سرعة تقضى الأوقات مدة الوصال ، فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حالته الأولى فى السكون والبطء .

والآخر أنه أراد بسعى الدهر سعى أهل الدهر بالتأتم والوشايات ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية .

فعلق ابن أبى الحديد بقوله : التفسير الثانى هو الصحيح ، والأول غير صحيح ، واللفظ لا يحتمله ، وفى البيت ما يمنع منه ، لأنه قال (بينى وبينها) وهذه اللفظة تمنع من أن يريد سرعة تقضى الزمان أيام وصالنا ، فإنها قرينة حمل لفظ السعى على العناية والنميمة بالشر ، لا على السعى بمعنى الحركة والسير .

ألا تراهم يقولون سعى فلان بين فلان وفلان بالشر ، أى ضرب بينهم ، وحمل بعضهم على بعض ، ولا يقولون سعى بينهم من السعى بمعنى الحركة والسير ؟

وليس هذا مقصود البيت . ولو أراد السعي بمعنى سرعة مرور الزمان
لقال عجبت لسعي الدهر أيام وصلنا ، أو ما يشبه ذلك .

وفساد المعنى الأول ظاهر عند من له أدنى نقد للمعاني الشعرية .

(هـ) قال ابن الأثير : الأسماء المترادفة هي التي يتحد فيها المسمى ، وتختلف
أسماءه ، كالخمر والراح والمدام .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : هذا من أمثال الغلطات التي نبه عليها
المنطقيون ، فقالوا قد يُظنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفة ، وهي في الحقيقة
متباينة ، كالسيف والصارم والمهَّند ، فكل واحد من هذه مباين للآخر ،
فالأسماء الموضوعه لها متباينة في الحقيقة ، وإن ظنَّ في الظاهر أنها مترادفة .

وكذلك ما مثل به هذا المصنف ، فإن الخمر اسم موضوع لهذا الشراب
المخصوص ، والراح اسم لما تراح النفس إليه ، والمدام اسم لما يُدام استعماله ،
فالمعاني متباينة لاحتمال ، وإن توهمَّ في الظاهر أنها مترادفة .

(و) قال ابن الأثير في بيان المشترك اللفظي : إن مقصود واضع اللغة
البيان والتجنيس ، والبيان يحصل بالألفاظ المتباينة الكافية في الإفهام ،
وأما التجنيس فإنه عمدة الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة .

ورد ابن أبي الحديد بأن عدم الاشتراك اللفظي لا يذهب التجنيس ، فإن
التجنيس يحدث بين لفظتين متشابهتين في حروفهما الأصيلة ، كقول أبي تمام :
« متى أنت عن ذُهَلِيَّةِ الحَيِّ ذَاهِلٌ ؟ »

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا ، ولا يستعمل التجنيس بالمشترك
إلا نادراً .

وردّاً أيضاً بأن عدم التجنيس لا يذهب حسن الكلام ، وضرب أمثلة بأدب عبد الحميد وابن المقفع ومن قبلها ومن بعدها من الفصحاء ، وقال : فهل ترى لأحد منهم تجنيساً في كلامه إلا أن يقع اتفاقاً غير مقصود ؟

٢ — وبعضه بجانب للحق ، إذ كان الصواب فيما قاله ابن الأثير .

من ذلك أن ابن الأثير ذهب إلى أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة ، وثقافة متنوعة ، وقد قيل : ينبغى للكاتب أن يتعلق بكل علم ، ويخوض في كل فن ، وملاك هذا كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تنفى تلك الآلات شيئاً ...

وعلق ابن أبي الحديد على هذا بأنه من دعاوى الكُتّاب وتزويقاتهم ، ولا يُعوّل عليه محصل ، لأن الفنون التي يذكرها الكتاب ، ويزعمون أن الكتابة مفتقرة إليها ، إن أرادوا بها ضرورتها لها فهذا باطل ، لأن سحبان وائل وقس بن ساعدة وغيرها من خطباء العرب ما كانت تعرفها ، كذلك من كان في أول الإسلام من الخطباء كعاوية وزيايد وغيرها .

وإن أرادوا أنها متممة ومكملة فهذا حق ، لكن عدمها لا يقتضى سلب اسم الكتابة ، مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

ويبدو من تعليقه هذا أنه غفل عما تنبه إليه ابن الأثير من ضرورة الثقافة للكاتب .

ولم يكن موقفاً في تمثيله بقسّ وسحبان وعاوية وزيايد ، لأن هؤلاء خطباء ، ولم يعرض ابن الأثير لثقافة الخطباء ، بل عرض لثقافة الكتاب والشعراء .

والذى يقرأ ما كتبه ابن الأثير فى هذا الفصل يحده قد أشرك الشعراء مع الكتاب فى ألوان الثقافة ، واختص الشعراء بنوع منها هو علم العروض والقوافى الذى يقام به ميزان الشعر .

فلا محل إذاً لاعتراض ابن أبى الحديد بقوله : مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

- وبعضه يبدو منه أن ابن أبى الحديد يتحامل أحياناً ، ويقسو على ابن الأثير ، وإن كانت السمة الغالبة على كتابه أنه نقد موضوعى مدعوم بالبراهين .

من ذلك قوله : إن هذا الموضع من المواضع التى اشتبهت على هذا الرجل .

وقوله : وهذا من الغلط على ما تراه .

وقوله : إن كان هذا الرجل ممن يبنى القياس فى الشرعيات كالمناه كلاماً أصولياً ، كما نكلم الشيعة والنظام وأهل الظاهر وغيرهم ممن نفى القياس فى الفقه .

وإن كان يعترف بالقياس فى الشرعيات فالقياس فى النحويات كالقياس فى الشرعيات .

وإذا كان ابن أبى الحديد قد أخذ على ابن الأثير إعجابه بفته وإشادته بكتابه ، فإن ابن أبى الحديد قد تورط فى مثل هذا .

من ذلك قوله :

وقد كنت شرعت في حلّ سينيات المتنبي ، وأن أجعل ذلك كتابا مُفَرِّدا ، وأنا أورد هاهنا بعض ذلك ، ليكون معارضا لما جاء به هذا الرجل .

ومن ذلك أنه أورد مثالا من نثره في حل بيتي المتنبي :

بناها فأعلى والقنا يَفْرَعُ القنا وموجُ المنايا حوله متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جُثِّ القتلِ عليها تمام

وأورد مثالين لابن الأثير في حل البيتين .

ثم قال : ومن عنده أدنى ذوق في فن الكتابة يعرف الفرق بين كلامنا وهذا الكلام .

ثم قال : والزيادات العجيبة ، والتسميطات والأسجاع التي أتينا بها تزي على ما أتى به هذا الكاتب ، وتتجاوزه أضعافا مضاعفة .

ومن هذا ما ذكره في المقدمة من الزهو بعلماء بغداد والفخار بأدبائها ، وتفضيلهم على من سواهم تفضيلا مبالغا فيه ، وهو يريد نفسه ، وإن كان قد حاول أن يستل نفسه ممن أشاد بهم .

نص الكتاب

الحمد لله الذي فَآوَتْ بَيْنَ عُقُولِ الْبَشَرِ وَأَخْلَاقِهِمْ ، كما فَآوَتْ بَيْنَ أَعْمَارِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ ، فكان من خَفَايَا تَدْبِيرِهِ ، ولطائف حِكْمَتِهِ وتَقْدِيرِهِ ، أن أَرْضَى كلاًّ منهم بِعَقْلِهِ وَخُلُقِهِ ، لا بَعْمَرِهِ وَرِزْقِهِ ، فلست تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الرَّاضِيَ بِعَقْلِهِ وَآرَائِهِ ، الْمُعْجَبُ بِمَا يَرشَحُ مِنْ إِنْائِهِ ، الْحَامِدُ لِسَجِيَّتِهِ ، الزَّارِي عَلَى النَّاكِبِينَ عَنْ طَرِيقَتِهِ ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ (١) »

وَقَالَ أَنْ تَجِدَ مِنْهُمْ الْقَانِعَ بِدُنْيَاہِ ، الرَّاضِيَ عَنْ وَقْتِهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ [الله] (٢) وَأَعْطَاهُ .

فَلَا تَرَى إِلَّا قَانِطاً أَوْ سَاخِطاً أَوْ حَاسِداً أَوْ غَابِطاً ، دَأْبُهُمُ الْكَذْحُ وَالنَّصَبُ وَالْجِدُّ وَالطَّلَبُ ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِهِ [صلى الله عليه وسلم] (٣) : « لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ [لَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ] (٤) .

وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المُوَيَّدِ بِرُوحِ قُدْسِهِ ، والمعصومِ مِنَ الْخَطَا فِي الْقَوْلِ وَلِبْسِهِ ، وَالْحَاكِمِ بَأَنٍ مِنْ جُمْلَةِ الثَّلَاثِ الْمُهْلِكَاتِ عُجِبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ [مِنْ] (٥) نَوْعِهِ وَجِنْدِهِ .

وبعد ، فقد وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ نَصِيرِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمُوصِلِيِّ الْمَعْرُوفِ

(١) سورة الإسراء ٨٤ .

(٢) ما بين قوسين زيادات يقتضيا السياق .

(٣) ما بين قوسين زيادات يقتضيا السياق .

(٤) ما بين قوسين زيادات يقتضيا السياق .

(٥) ما بين قوسين زيادات يقتضيا السياق .

بابن أثير الجزيرة ، المسمى « كتاب المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر »
فوجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمرذول .

أما المحمود منه فإنشاؤه وصناعته ، فإنه لا بأس بذلك إلا في الأقل
النادر . وأما المرذود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فإنه لم يأت
في ذلك في الأكثر الأغلب بما يلفت إليه مما يعتمد عليه .

فداني على تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية أمور ، منها إزراؤه
على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم ، فإن في ذلك ما يدعوا
إلى الغيرة عليهم ، والانتصار لهم .

ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتبجح برأيه ، والتقريب لمعرفته
وصناعته ، وهذا عيب قبيح يحبط عمل الإنسان والاجتهاد ، ويوجب المقت
من الله والعباد .

ومنها أنه قد أومأ مراراً في كتابه إلى عتاب دهره ، إذ لم يعطه على
قدر استحقاقه ، فأردنا أن نعرفه أن الأرزاق ليست على مقادير الاستحقاق ،
وأن الرزق مقسوم لا يجلبه الفضل ، ولا يرده النقص .

ومنها أن جماعة من أكابر الموصلي قد حسن ظنهم في هذا الكتاب
جداً ، وتمصّبوا له ، حتى فضّوه على أكثر الكتب المصنفة في هذا الفن ،
وأوصلوا منه نسخاً معدودة إلى مدينة السلام^(١) وأشاعوه ، وتداوله
كثير من أهلها .

فاعترضتُ عليه بهذا الكتاب ، وتقرّبتَ به إلى الخزانة الشريفة المقدّسة النبوية الإمامية المستنصرية ، عمّر الله تعالى بعاتها أنديّة الفضل ورباعه ، وأطال بطول بقاء مالهما يد العلم وباعه ، وجعل ملائكة السماء أنصاره وأشياؤه ، كما جعل ملوك الأرض أعوانه وأتباعه .

وكان أكثرُ قَصْدِي في ذلك أن يَعْلَمَ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ وَرُؤْسَاءِ بِلَدْتِهِ أَنَّ مِنْ أَصَاغِرِ حَوْلِ (١) هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ — فَالْعُجْبُ مُبِيرٌ ، وَلَا أَنْبِيَاءَ عَنِّي فِثْلِي كَثِيرٌ — مَنْ إِذَا أَلْفَزَ أَدْرَى ، وَإِذَا ضَرَبَ أَفْرَى (٢) وَإِذَا رَشَقَ أَضْمَى (٣) ، وَإِذَا نَسَكَأَ (٤) أَدْمَى ، وَأَنَّ دَارَ السَّلَامِ ، وَحَضْرَةَ الْإِمَامِ مَاخَلَّتْ كَمَا تَزَعُمُ الْمَوَاصِلَةُ مِمَّنْ إِذَا سُوِّقَ خَلَّى ، وَإِذَا بُوَسِّرَ (٥) فَازَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى (٦) ، وَإِذَا خَطَبَ خَضَعَتْ لِبِرَاعَتِهِ الْمَنَاصِلُ (٧) ، وَإِذَا كَتَبَ سَجَدَتْ لِبِرَاعَتِهِ الدَّوَابِلُ ، وَإِذَا شَاءَ عَلَّمَ النَّاسَ السَّحْرَ ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى

(١) الحول : الخدم والعيبد والإماء وغيرهم من الحاشية ، لواحد والجمع والمذكر والمؤنث

(٢) فرى وأفرى : شق .

(٣) أضمى الصيد : رماه فقتله مكانه .

(٤) نكأ القرحة هل وزن منه : قشرها قبل أن يبرأ فندبت . ونكى الأعداء

نكاية : جرحهم .

(٥) بسر : من معانيها قهر وابتداء الشيء ، ويظهر أن المؤلف صاغ من الفعل بأسر بمعنى غالب وسابق ، ثم بناه للجوهول .

(٦) القدح الملل : أحد قذاح المسر عند العرب في الجاهلية ، وهي ميدان يتخذ من

النبي وهو شجر متين لين تصنع منه القسي والسهام ، والقذاح الرابحة سبعة وغير الرابحة ثلاثة ، والملل أكثر الرابحة حظا لأن له سبعة أنصبة .

(٧) للمناصل : جمع منصل وهو السيف .

المَلَكِينَ بَبَائِلَ ، وَأَنَّ فِي الْأَغْفَالِ الْمَعْمُورِينَ مِنْ رَعَايَاهَا مِنْ لَوْهَدَرَ^(١) لَقَرَّتْ
لَهُ الشَّقَاشِقُ^(٢) ، وَلَوْ نَطَقَ لَتَجَلَّتْ بِشُمُوسِهِ الْمَهَارِقُ^(٣) ، وَلَوْ جَرَدَ حُسَامٌ
قَلَمَهُ لَقَالَ الْمَلِكُ لِلسَّيْفِ اغْرُبْ فَأَنْتَ طَالِقٌ ، فَكَيْفَ بَسَدَنَةٌ^(٤) كَعَبْتِهَا
وَالْحَافِينَ بِشَرِيفِ سُدَّتِهَا^(٥) ، فحَوْلِ الْبِلَاغَةِ الَّذِينَ إِذَا رَكَضَ أَحَدُهُمْ
فِي حَلْبَةِ الْبَيَانِ أَحْجَلَ الْبُرُوقَ ، وَسَخَّرَ بِالرِّيَّاحِ ، وَإِذَا ضَرَبَ الْأَعْدَاءَ
بِصَارِمِ اللِّسَانِ قَدَّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ ، حَتَّى تُوَقَّدَ نَارُ الْحِبَابِ
فِي الصَّفَاحِ^(٦)

وهذا الكتابُ وَقَعَ إِلَى فِي غُرَّةِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،
فَتَصَفَّحُهُ ، أَوْلَا أَوْلَا فِي ضَمَنِ الْأَشْغَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ الَّتِي أَنَا بَصَدَدِهَا ، وَعَلَّقْتُ
فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي أُنْمَاءِ تَصَفَّحِهِ عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُسْتَدْرَكَةِ فِيهِ إِلَى نِصْفِ الشَّهْرِ
الْمَذْكُورِ ، فَكَانَ مَجْمُوعٌ مَطَالَعَتِي لَهُ وَاعْتِرَاضِي عَلَيْهِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَلَمْ

(١) هدر البعير هدرًا وهديرا : صوت في غير شقشة

(٢) الشقاشق جمع شقشة بالكسر : شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج .

(٣) المهارق . جمع مهرق وهي الصحيفة .

(٤) السدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبة أو خادم بيت الصنم .

(٥) السدة : باب الدار .

(٦) من قول النابغة في مدح الفاسنة ووصف سيوفهم :

تقد السلوق المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباب

السلوقي : الدروع المنسوبة إلى سلوق على وزن صبور بلدة باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب .
الصفاح : حجارة عراض رقائق . الحباب : ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج ، ومنه نار
الحباب . أو نار الحباب ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ، وقيل كان
أبو حباب رجلا لا يوقد ناره إلا بالخطب الشخت ثلاثرى ، وقيل إنهما من المحببة وهي الشررة
تسقط من الزناد .

أَعَاوِذَ النَّظَرِ فِيهِ دَفْعَةٌ ثَانِيَةٌ ، وَرُبَّمَا يَسْنَحُ لِي عِنْدَ الْمَاعُوذَةِ نُكْتٌ أُخْرَى ،
وَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ أَحَقَّقْتُهَا .

وَقَدْ سَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ (الْفَلَكَ الدَّائِرَ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ) لِأَنَّهُ شَاعَ
مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَكَثُرَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ أَنْ يَقُولُوا لِمَا بَادَوْدَتَّرَ « قَدْ دَارَ عَلَيْهِ الْفَلَكَ »
كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنَّهُ قَدْ طَحَنَهُ وَحَا صُورَتَهُ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :
إِنْ كُنْتَ تَنْشُدُهُمْ فَإِنَّهُمْ هَمَدُوا وَدَارَ عَلَيْهِ الْفَلَكَ (١)

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الْمَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَأَسْتَمْتِحُّهُ الْهُدَايَةَ إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ
بِمَنَّةِ وَكِرْمِهِ .

— ١ —

قَالَ الْمَصْنَفُ : « نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبْلُغَ بِنَا مِنَ الْحَمْدِ مَا هُوَ أَهْلُهُ (٢) » .

أَقُولُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَا تَسَكَّلَمُ سَأَلَ أَمْرًا يَسْتَحِيلُ عَقْلًا ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لِأَنْهَاءِ مَا هُوَ
أَهْلُهُ مِنَ الْحَمْدِ ، سِوَاءَ جَمَلِ الْحَمْدِ بِمَعْنَى الْمَدْحِ أَوْ أَخَصَّ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَانَ جَلَالَتَهُ تَعَالَى وَعَظَمَتَهُ وَصِفَةَ كَمَالِهِ لَا تَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ ،
وَلَا تَنْقَطِعُ عِنْدَ حَدٍّ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَانَ نِعْمَتَهُ لِأَنْهَاءِ لَهَا بِتَعْرِيبِهِ إِبَانًا لِلثَّوَابِ
وَالنِّعِيمِ الَّذِي لِأَنْهَاءِ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ سَبَّحَانَهُ أَهْلٌ لِلْحَمْدِ الَّذِي لِأَنْهَاءِ لَهُ عَلَى

(١) لَيْسَ الْبَيْتُ بِدِيْوَانِهِ .

(٢) نَسَ عِبَارَةُ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي أَوَّلِ الْمَقْدِمَةِ : « نَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَبْلُغَ بِنَا

كلا التفسيرين ، ويستحيل أن يبلغ بنا إلى ذلك ، لأن القوة المتناهية لا تقوى على أمورٍ غير متناهية .

وليس لظان أن يظن هذا القول يجرى مجرى قول الناس الحمد لله كما هو أهله ، فإن ذلك كلام مجمل ، لا يتضمن سؤالا ، ولا يقتضى دعاءه تعالى أن يجعلنا حامدين حمدا لا بداية له ولا نهاية .

— ٢ —

قال المصنف : « وأن يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية النطق وفضله » (١)

أقول : هذا أيضاً سؤال أمر مستحيل ، لأن النطق هو كال الصورة الإنسانية إن أخذ على تفسير التعليم الطبيعي ، والفضل المميز إن أخذ على تفسير التعليم المنطقي . وعلى كلا التفسيرين فيه يكون الإنسان إنساناً ، فيستحيل أن يفضلته البيان في مرتبة وفضيلة ، لأن الفرع لا يفضل الأصل الذى لولاه لما كان .

واعلم أن هذين الاعتراضين قد يعتد المصنفُ عنهما بأنه إنما قال ذلك على سبيل المبالغة ، ويسمى غلواً ، وهو مستهجنٌ في الكتابة وأحدُ عيوبها القبيحة ، وإنما يسلكه الشعراء ، وأما الكاتب فني سعة عنه ، ومذهب الكتابة غير مذهب الشعر .

(١) عبارة ابن الأثير : « وأن يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية الفضل وأصله »

قال المصنف : وأن يُوقِّفنا للصلاة على رسوله محمد الذى هو أفصح من نطق بالضاد ، ونسخ بهديه شريعة كل هاد^(١) .

أقولُ في هذا الكلام عيبٌ ظاهرٌ ، وذلك أنه عطفَ الفعل وهو « نسخ » على الاسم وهو « أفصح » وهذا قبيح . ألا ترى أنه يقبحُ أن يُقالَ : زيدٌ أفصحُ القوم ، وضربَ زيد . والوجه أن يقال الذى هو أفصح من نطق بالضاد ، والمضوخ بهداه شريعة كل هاد .

قال المصنف : « ولأدعى فيما ألفتُهُ فضيلةَ الإحسان ، ولا السلامة من سبقِ اللسان » . ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا ترَكَت الهوى قلتُ إن هذا الكتاب بديع في إعرابه ، وليس له صاحبٌ من الكتب ، فيقالُ إنه متفردٌ من بين أصحابه »^(٢) .

أقول : وهل يدعى أحدٌ فضيلةَ الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هدانى لأبتدعَ أشياء لم تكن من قبلى مُبتدعةً ، ومنحني درجةَ الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعةً

(١) عبارة ابن الأثير : « وأن يوقفنا للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذى هو أفصح من نطق بالضاد . ونسخ هدية شريعة كل هاد » ٣٥/١ .

(٢) عبارة ابن الأثير : « فيقال إنه متفرد بين أصحابه من إخوانه أو من أتباعه »

وإنما تكون مُتَّبَعَةً» (١) . فمن يَزَعُمُ أن الله هداه في هذا الفن إلى إبتداع أشياء لم يَسْبِقْ بها ، ورزقَهُ فيها بُلُوغَ درجةِ الاجتهاد التي يَتَّبِعُهَا الناسُ ، ولا تكونُ تابعةً لأحدٍ منهم ، كيف يقول لا أدعى فيما أَلْفَتُهُ فضيلةً إلا وبلَغَتْهَا ؟ .

قال المصنف : « موضوع الحساب هو الأعدادُ من جهةٍ ما يَعرِضُ لها من الصَّرْبِ والقِسْمَةِ ونحوها ، ومَوْضُوعُ الطبِ بَدَنُ الإنسانِ من جهةٍ ما يُصِحُّ ويُمَرِّضُ ، وموضوع النحو هو اللفظ من جهة الدلالة على المعنى من طريق الوضع اللغويِّ ، وموضوع علم البيان هو اللفظ والمعنى من جهة الحسن والقبح . ثم قال : صاحب هذا العلم هو والنحو يشتركان في النَّظَرِ في دِلالةِ الألفاظ على المعنى من جهة الوَضْعِ اللغويِّ ، وتلك دلالةٌ عامَّةٌ ، وصاحبُ علم البيان يَنْظُرُ في فَضِيلَةِ تلك الدلالة ، وهي دلالةٌ خاصةٌ » (٢) .

أقول أما موضوع علم النحو فغير ما ذكر ، بل الذي ذكر موضوع علم اللغة ، لأن اللغوي هو الذي ينظر في الألفاظ من حيث كانت دِلالةً بالوضع

(١) المقدمة ١/٣٧ .

(٢) قال ابن الأنبر : « وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية ، وهو والنحو يشتركان في أن النحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب . ألا ترى أن النحو يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة . ٣٩/١ .

اللغوى على المعانى ، وأما موضوعُ علم النحو فهو الألفاظ من جهة تغيّرات
تلتق أو آخرها أو تلتحقها أنفُسها على قول من جعل التصريف جزءاً من
النحو ، ولم يجعله علماً مفرداً .

قال المصنف : « وقد غلِطَ مُفسِّرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى ،
وما في الشعر من الكلمات اللغوية ، وتبَيِّنِ مواضع الإعراب فيه دُونَ
ما تَصَمَّنَهُ مِنْ أسرار البلاغة والفصاحة » .

أقول : إن مُفسِّرى الأشعار جعلوا قَصْدَهم وكَدَّهم كَشْفَ مُرادِ الشاعر
لِيُعْلَمَ ، فَفَسَّرُوا الألفاظَ اللغوية وما في الشعر من إعرابٍ نَحْوِيٍّ يَتَعَلَّقُ
فهمُ المعنى به ، وتارة يشرحون المعنى فقط ، إذا لم يَكُنْ في البيت ألفاظٌ لغوية ،
ولا يَرْتَبِطُ المعنى بإعرابه ، كأنهم إنما وَضَعُوا الشُّرُوحَ المَصْنُوعَةَ لِتَفْسِيرِ مُرادِ
الشاعر فقط ، فكلُّ ما يذكرونه من زيادةٍ على ذلك مقصودةٌ بالعرضِ
لا بالذاتِ ، وإذا كانت الحال هكذا لم يَجْزَأَنَّ يُقالَ إنهم غلِطُوا لإخْلالهم
بِنَقْدِ الشعر والكلامِ على ما فيه من عِلْمِ الصنعة الشعرية ، والبحثِ عن
فصاحته وبلاغته ؛ لأن ذلك قَدْ مُفْرَدٌ لم يَضَعُوا شُرُوحَهم له ، وكذلك لم
يَتَكَلَّمُوا في العَرُوضِ والقَوافي ودقائقِ التصريف . فَإِن قلتَ قد تَكَلَّم
كثيرٌ مِنْ شارحي الأشعار في العروض والقوافي ودقائقِ في التصريف أيضاً ،
قلتُ : وقد تَكَلَّم كثيرٌ من شارحي الأشعار في نَقْدِها ، وبحثوا عن فصاحتها
وبلاغتها وما تَحْتَمُّها من أسرارِ ذلك . ثم يقال له إن جُهورَ مُفسِّرى القرآن

اقتصرُوا على شرح المعاني واللفظة والإعرابِ وأسبابِ النزولِ ، وما يتضمنه الكتابُ العزيزُ من الفقهِ والأصولِ ونحوها ، ولم يذكروا في تفاسيرهم نَعْدَمًا فيه من البلاغةِ والفصاحةِ وأسرارها ، فإن ارتكبتَ من ذلك قياسك ، وغَطَّتَ المفسرينَ ، كنتَ مُغلَطًا لأَكابرِ الصحابةِ ، كعلِيِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام ، وعبدِ اللهِ بنِ عباسٍ ، وهما اللذان أُخِذَ عِلْمُ التفسيرِ كُلَّهُ عنهما ، ويكفيك ذلك قُبْحًا وشناعةً ، وإن لم تُغلَطْ المفسرينَ ، فقد انتقصَ ما قلتهُ من شرح الأشعار .

- ٧ -

قال المصنف : « وصناعةُ تأليفِ الكلامِ من المنثورِ والمنظومِ تفتقرُ إلى آلاتٍ كثيرةٍ . وقد قيل إن كلَّ ذِي علمٍ يسوغُ له أن ينسبَ نفسه إليه ، فيقال فلانُ الكاتبُ لما يفتقرُ إليه من الخوضِ في كل فنٍ » (١) .

أقولُ هذا الكلامُ من أبهاتِ (٢) الكتابِ وتزويقاتهم ، ولا يعولُ عليه مُحصِّلٌ ، وهذه الفنون التي يذكُرُها الكتابُ ، ويزعمون أن الكتابةَ مُفتقرةٌ إليها ، إن أرادوا بها صرورها لها فهذا باطلٌ ، لأن سحجانَ (٣)

(١) ملخص من كلام ابن الأثير ١/٤٠ .

(٢) الأبهات : جمع أبهة على وزن سكرة وهي العظمة والكبر .

(٣) سحجان وائل خطيب فصيح يضرب به المثل في البيان والفصاحة ، خطب أمام معاوية فلم يشمر شاعر ولم يحطب خطيب ، لأنهم بهروا بفصاحته (البيسان والتبيين ١/٦ ،

وُقِسًا^(١) وَغَيْرَهَا مِنْ خُطْبَاءِ الْعَرَبِ مَا كَانَتْ تَعْرِفُهُمَا ، وَكَذَلِكَ مَنْ
كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْخُطْبَاءِ كَمَاوِيَّةَ^(٢) وَزِيَادَ^(٣) وَغَيْرَهُمَا .

وَإِنْ أَرَادُوا أَنَّهَا مُتَمِّمَةٌ وَمُكَمَّلَةٌ فَهَذَا حَقٌّ ، وَلَكِنْ عَدَمَهَا لَا يَقْتَضِي
سَلْبَ اسْمِ الْكِتَابَةِ ، مَعَ أَنْ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ السُّكُوتُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الشَّاعِرُ وَزِيَادَةَ .

- ٨ -

قَالَ الْمَصْنِفُ : « وَمِنْ أَقْسَامِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَا لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِعَلَامَةٍ ،
كَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ عَلَامَةٌ تُبَيِّنُ أَحَدَهُمَا عَنِ
الْآخَرِ ، وَإِلَّا لِأَشْكَالِ الْأَمْرِ ، كَقَوْلِكَ « ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا » بِالْوَقْفِ عَلَيْهِمَا
وَيَكُونُ زَيْدٌ هُوَ الْمَضْرُوبُ ، فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَنْصِبْ زَيْدًا وَتَرَفَعَ عَمْرًا لَمْ يُفْهَمَ مَاذَا

(١) قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهلي من قبيلة إياد ، كان يخطب الناس ويعظمهم
في سوق عكاظ ، وسممه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : رأيتني بالسوق على جبل أحر
وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل
ما هو آت آت (البيان والتبيين ١/٣٠٨) .

وقال الجاحظ : وإياد مزية ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جله بمكاظ وموعظته ، وهذا إسناد تعجز
عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال (البيان والتبيين ١/٥٢) .

(٢) معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية سنة ٤١ هـ وكان من دعاة العرب
ونصحاءهم .

(٣) زياد بن أبيه أحد ولاة معاوية وخطباء العرب المشهورين وساستهم . الحقه
معاوية بنسب أبي سفيان سنة ٤٤ هـ فكان عضده القوى وولاه البصرة والكوفة وسائر
العراق ، ولم يزل والياً حتى توفى :

أردت . ومن هذا قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (١) .

أقول إن هذه الآية لا مدخل لها في هذا الموضوع ، لأننا لو وقفنا على الفاعل والمفعول منها لم نحصل الالتباس ، لعلنا أن الله لا يخشى أحداً لا من العلماء ولا من غيرهم ، فالآية تدلُّ بنفسها لا بعلاقة لفظية على أنه تعالى مفعولٌ ، وأن العلماء فاعل ، بخلاف ما إذا وقفنا على زيد ومحمد في ضرب زيد محمداً ، فقد بان أن تمثيله بهذه الآية مضاهياً بضرب زيد محمد غير صحيح ، وأن أحدَ المثاليين لا يشابه الآخر .

— ٩ —

قال المصنف : « وكل خماسيٌّ يُحذفُ منه في التصغير حرفٌ ، سواء كان في الكلمة حرف زائد أو لم يكن ، مثال الزائد منطلق تصغيره مُطيلق ، فإن كان في الكلمة حرفان زئدان استنبقيت الميم لأنها زيدت لمعنى وأسقطت الثون لأنها زيدت لغير معنى ، ومثال الأصول جخميرش تصغيره جخمير » (٢) .

أقول : هذه القضية على إطلاقها غيرٌ صحيحة ، فإنهم قالوا في تصغير حمراء ونحوها خميراء ، وهي خماسية ، ولم يسقطوا شيئاً ، وكذلك لفظة أجمال (٣) صفروها فقالوا أجيئمال ، فهذه الخماسيات ما أسقطوا منها شيئاً ، ولا تصرفوا فيها بشيء سوى ياء التصغير فقط ، ومن الخماسيات ما تصرفوا فيه نوعاً تصرفاً ،

(١) اللؤلؤ السائر ١/٤٥ ، والآية من سورة فاطر ٢٨ .

(٢) اللؤلؤ السائر ١/٤٩ .

(٣) أجمال : جمع جمل .

ولم يَسْقِطُوا منه شيئا ، نحو ميزان قانهم قالوا مُؤَيَّرِينَ ، فأبدلوا ولم يسقطوا ،
وبالجملة فقوله كلُّ خماسيٍّ لا بدُّ أن يسقطَ بعضُ حروفه قولٌ غيرُ صحيح .

قال المصنف : « وقد غلطَ أبو نُوَاسٍ فيما لا يغلطُ فيه مثلهُ حيث قال :
كان صُغْرَى وكُبْرَى من فواقهما حَصْبَاءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهب ^(١)
فإن فُعْلَى أفعل لا يجوز حذف اللام منها إلا إذا أُضِيفَتْ ، وإنما يُحذفان
من فُعْلَى التي لا أفعلَ لها ، نحو حُبَلَى ^(٢) .
أقول إنَّنا لا ننكر أن كثيرا من أئمة العربية طعنَ في هذا البيت ، لكنَّ
كثيرا منهم انتصرَ له ، وقالوا قد وجدنا فُعْلَى أفعل في غيرِ موضعٍ
وارادةً بغير لام ولا مضافة ، مثل دُنْيَا في قول الراجز .
« في سَعَى دُنْيَا طَالَ ما قد مدَّت »
وقول الآخر « لا تَبْحَلَنَّ بدنيا وهي مقبلة » . ومثلها أُخْرَى ، وقد جاء جُلَّى
في قوله :

وإن دعوت إلى جُلَّى ومكرمة ^(٣)

(١) ديوان أبي نواس ٢٤٣ وأكثر الرواة على أنها (فواقها) وهي الفواخات التي
تعلو الماء أو الحجر .

(٢) اللؤلؤ الساثر ١/٥٢ .

(٣) تسكلة البيت : يوما سراة كرام الناس فادهينا .

من قصيدة لبعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء (حزن) النهشل ،
مطلما :

إنا عبيوك يا سلمى لغيرنا وإن سقيت كرام الناس لا سقينا
(شرح الحماسة المرزوقى ١/١٠٠) .

وقالوا : طَوَّبَى لَكَ .

وفي البيت وجه ، وهو أن يُجْمَلَ مِنْ فِي قَوْلِهِ مِنْ فَوَاقِعِهَا زَائِدَةٌ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي فِي الْحَسَنِ ، زِيَادَةٌ مِنْ فِي الْوَاجِبِ ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ ^(١) .

ويحتج بقوله تعالى : « فِيهَا مِنْ بَرْدٍ » أَي فِيهَا بَرْدٌ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ فَعَلَى مِنَ الْبَيْتِ مِضَافَةٌ ، وَقَدْ وَقَعَ الْإِتْفَاقُ عَلَى جَوَازِهِ .

(١) أبو الحسن الأخفش ، يرى هو والكسائي وهشام زيادة (من) بلا شرط مستدلين بقوله تعالى : « وَيَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » لَأَنَّ (مِنْ) فِي حَيْزِ الْإِيجَابِ وَهِيَ زَائِدَةٌ دَاخِلَةٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، قَالُوا : وَلَوْ لَمْ تَقُلْ بِزِيَادَتِهَا فِي الْآيَةِ لَزِمَ التَّنَاقُضُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنْ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا » ، وَأَجِيبُ بِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى « وَيَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » خُطَابٌ لِقَوْمِ نُوحٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنْ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا » خُطَابٌ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْخُطَابُ لِأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَلِمْ التَّنَاقُضُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ ، لِأَنَّ غُفْرَانَ بَعْضِ الذُّنُوبِ لَا يَتَنَاقَضُ غُفْرَانُ كُلِّهَا ، بَلْ عَدَمُ غُفْرَانِ بَعْضِهَا يَتَنَاقَضُ غُفْرَانُ كُلِّهَا .

والصحيح أن (من) في الآية تَبْعِيضِيَّةٌ ، أَي يَغْفِرُ لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذُنُوبِكُمْ كَمَا قَالَ سَيِّبُوهُ . وَالْجَهْوَرُ يَشْتَرِطُ لَزِيَادَةَ (مِنْ) ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ :

أحدها أن تكون مسوقة بنفي نحو « مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ » أَوْ نَهْيٍ بِلَا نَحْوِ « لَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ » أَوْ اسْتِفْهَامٍ بِهَلٍ خَاصَّةٍ .
مثل قوله تعالى : « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ » وَبَعْضُهُمُ الْمُنْحَقُ الْمَمْرُةُ بِهَلٍ فِي هَذَا الْبَابِ .

الثاني أن يكون مجرورها نكرة كما تقدم .

الثالث أن يكون مجرورها المنكر فاعلاً أو مبتدأً أو اسماً لكان أو مفعولاً به . . .
وبعض الكوفيين أجازوا زيادتها بشرط تكبير مجرورها فقط .

ونقل السمد عن القوم أن (من) لا تزداد في الإثبات إلا في تمييزكم الخبرية إذا فصل منها بفعل متعمد كقوله تعالى : « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ .

قال المصنف : « وقد غلط أبو تمام في قوله :

بالقائم الثامن المستخلفِ اطَّأَدَتْ قواعدُ الملكِ ممتدًّا لها الطَّوْلُ^(١)

والصواب اتَّطَدَتْ بالتاء ، لأن التاء تبدل من الواو في موضعين :

أحدهما مقيسٌ عليه كهذا الموضع ، لأنك إذا بنيتَ افتعل من الوعدِ قلت اتَّعدَ ، وهنا يجب أن يكون اتَّطَدَ لأنه من وَطَدَ يَطِدُ ، مثل وَعَدَ يَعدُ »
أقول : قرأت بخط أبي زكريا رحمه الله : قال : العلماء : اشتقاق اطَّأَدَتْ من الطَّوْدِ ، وهو الجبلُ بُني على افْتَعَلْتَ من ذلك ، فقيل اطَّأَدَتْ لينا غير مهموز لأن تاء الافتعال إذا كان بعدها تاء قلبت ألفا ، ثم همزها في الشعر للضرورة .

قال المصنف : « وقد لحن أبو نواس في أمرٍ ظاهرٍ ، فقال لمحمد

ابن الأمين :

ياخَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرَ الْمَيْمُونُ^(٢)
فَرَفَعَ بَعْدَ الْأَسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمَوْجِبِ »

أقول إن أبا نواس يستعمل في شعره مذهب الكوفيين كثيراً ، وهذا

من جملة مذاهبهم ، وقد قال :

(١) تصويب البيت من المثل السائر ١/٥٣ .

الديوان ١٦٧ .

(٢) ديوان أبي نواس ٣٣٧ ومنه أكلنا الشطر الثاني وصحناه .

لمن طللٌ عـافي المحل دفين (عفا عَهْدُهُ إلا خوالدُ جُون^(١))
فابتدأ بقوله خوالد جون ، وحَذَفَ الخبرَ وتقديره فَإِنَّ الأَمِينَ لَا يَفْضُلُهُ .
على أن من الناس مَنْ رَوَاهُ «إِلَّا النَّبِيَّ الطَّاهِرَ المَيْمُونَ» فنصب اللفظتين
الأوليتين على الاستثناء من المَوْجِبِ وَنَعْتِهِ ، وَرَفَعَ المَيْمُونَ على حذف المبتدأ ،
تقديره هو الميمون ، ويجوز في الوصف إذا كُرِّرَ أَنْ يَتَّبَعَ وَأَنْ يُسْتَأْنَفَ .

— ١٣ —

قال المصنف : « وقد خفي على أبي الطيب المتنبي أمرٌ ظاهر ، فقال بِصِفِ نَاقَةَ :
وتَكَرَّرَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكِ تَقَعَانَ فِيهِ وَلَيْسَ مَسْكَاً أَذْفَرَا
فجمع في حال التثنية فقال رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكِ تَقَعَانَ فِيهِ وَلَيْسَ
لِلنَّاقَةِ إِلَّا رُكْبَتَانِ »^(٢) .

أقول إن هذا من اتساع العَرَبِ ومذاهبها غَيْرُ بَعِيدٍ ، كقولهم : امرأة
ذات أوزراك ، وهما وِرَاكٌ ، وقال الشاعر :
وَلَا رَهْلٌ لِبَاتِهِ وَبَادِلُهُ^(٣) وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ فِي حِكْمِ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ فِي الْغَمِّ
الَّتِي نَفَسَتْ فِي الْحَرْثِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ .

(١) من أبيات له في مدح الأمين ، منها :

وَلِي عَهْدٍ مَا لَهُ قَسْرِينَ وَلَا لَهُ خَبِيءٌ وَلَا خَدِيدِينَ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِبَلِي هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ
إِلَّا النَّبِيَّ الطَّاهِرَ المَيْمُونَ زَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الدِّينِ

(٢) التصويب من ديوان المتنبي ١/٣٦٨ ومن المثل السائر ١/٥٥٠ .

(٣) هذا هو الشطر الثاني من البيت :

فَنِي قَدْ قَدَّ السِّيفُ لَا مِتْضَائِلَ وَلَا رَهْلَ لِبَاتِهِ وَأَبَاجِلَهُ

وهو من قصيدة لزيغب بنت الطائرية في رثاء أخيها :

(شرح الحماسة للرزوقي ٣/١٠٤٦)

رهل : مسترخ . اللبات : الأبالج : جم أبل وهو عرق في بامان

القرع وعرق فليظ في الرجل .

وعلى رواية (بآدله) فإنها جم بآدله وهي لحم بين الإبط والثندوة .

قال المصنف : « فأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتبٍ ، لكنَّ الشاعرَ ربَّما احتاجَ إليه ، لأنه قد يَضْطَرُّ في بعض الأحوالِ إلى إدغامِ حَرْفٍ أَوْفَكٍ أو إدغامٍ من أجلِ إقامة الميزان الشعري . »

أقول إن المعرفة بأبواب الإدغام ومبأ حثه كما يحتاجُ إليه الشاعرُ لإقامة الميزان الشعري قد يحتاجُ إليه الكاتبُ للقربنة ، وقد يُصيبُ فيه وقد يُخطئُ .

مثال الخطأ أن تقول « وأخلص بعدما نافق ، وأصحب بعدما شاقق » فقد دعته القربنة إلى أن أخطأ في فكَّ الإدغام في موضع لا يجوز فكه فيه .
ومثال الصواب أن يقال أوْلاهْمُ بالإحسانِ مَنْ لم يَفْشَ ولم يُمارِقْ ، ولم يَشُقَّ عصا ولم يَشَاقِقْ .

قال المصنف : « والأسماء المترادفة هي التي يتحد فيها المسمَّى وتختلف أسماؤه ، كالخمر والراح والمُدَامِ ، فإن المسمَّى بها شيء واحد ، والأسماء كثيرة (١) . »
أقول : هذا الموضع من أمثال الغلطات التي نَبه عليها المنطقيُّون ، فقالوا قد يُظنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفة ، وهي في الحقيقة متباينة ، كالسيف والصارم والمهند موضوع للنسوب إلى الهند ، فكل واحدٍ من هذه المعاني

مباينٍ للآخر ، فالأسماء الموضوعَةُ لها متباينةٌ في الحقيقة ، وإن ظُنَّ في الظاهر أنها مترادفةٌ .

وكذ ما مثَلَ به هذا المصنّفُ ، فإن الخمراسم موضوع لهذا الشراب المخصوص ، وإن كان مُشتقاً غير مُرتَجَلٍ ، والراحُ اسم لما ترتاح النفس إليه ، والمُدَامُ اسم لما يُدَام استعمالُهُ ، كأنه أُدِيمَ بِدَامٍ فالمعاني متباينةٌ لا محالة ، وإن تَوَهَّم في الظاهر أنها مترادفةٌ .

- ١٦ -

قال المصنف : « والأسماء المشتركة هي التي تتحد ، وتختلف مُسمياتها كالعَيْن »^(١) .

أقول ينبغي أن تزداد في ذلك زيادةٌ فيقال هي التي وُضِعَتْ لها وَضْعاً أوْلاً ، ويكون ذلك احترازاً عما يَدُلُّ على شيء بالحقيقة وعلى غيره بالجاز فإنه مُتَّحِدٌ وتختلف مُسمياته ، ولا يُسَمَّى مُشْتَرِكاً .

- ١٧ -

قال المصنف : من الناس من منع وُقُوعَ اللفظ المُشْتَرِكِ بمعنى أنه لا يكون حقيقةً في مُسميتين ، بل يكون مجازاً في أحدهما ، واحتجَّ بأن ذلك مُحِلٌّ بفائدة وَضْعِ اللغة ، لأن مقصودَ الواضع الإِفْهَامُ والإِبَانَةُ ، والاشتراك يُحِلُّ بذلك .

(١) قال ابن الأثير : كذلك يحتاج (السكاتب) إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعَيْن فإنها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغيره ... (المثل السائر ١/٥٦) .

ثم أجاب فقال لا نُسَلِّمُ أن مقصودَ الواضع هو البيانُ فقط ، بل البيان والتجنيس ، فالبيان يحصل بالألفاظ المتباينة التي هي كافية في الإفهام ، وأما التجنيس فإنه مهمٌّ في هذه اللغة ، لأنه عمدةُ الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة ، وهي وإن أُخِلَّتْ بفائدة البيان إلا أنه إخلالٌ يمكن استدراكه بالقرينة الدالة على المراد من اللفظ المُشْتَرَك ، والإخلالُ بوضع الألفاظ المشتركة تَسْقُطُ به الفصاحة والبلاغة وروَوْ نَقْها ، ولا استِدْرَاكُ له بحالٍ ، فكان وَضْعُ الألفاظِ المُشْتَرَكَةِ مُتَعَيِّنًا^(١) .

أقول: لا نُسَلِّمُ أنه بتقدير عَدَمِ الألفاظ المشتركة يذهب التجنيس من الكلام ، ولا يزول رَوَوْ نَقْه وبهاؤه كما زعم هذا الرجل ، وبَيَّأْنُهُ أَنَّ التجنيس يُحْصَلُ بِتَشَابُهٍ لَفْظَتَيْنِ فِي الحُرُوفِ الأَصْلِيَّةِ ، وإن كانت في إحداهما زوائد ليست في الأخرى ، مثاله قولُ أبي تمام :

مَتَى أَنْتَ عَن ذُهْلِيَّةِ الحَيِّ ذَاهِلٌ^(٢) .

وقوله :

تَطِلُّ الطُّلُوبُ الدَّمْعَ مِنْ كُلِّ مَوْقِفٍ

وقوله :

مَنَازِلُ لَمْ يُخْفِ الرِّبْعِ رُبُوعِهَا

(١) ملخص ما قاله ابن الأنبر ٥٧/١ .

(٢) نكمتك : وقلبك منها مدة الدهر أهل

وهو مظم قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ١١٢ / ٣) .

فذهُليَّةٌ منسوبةٌ إلى ذُهَلٍ اسم رجل ، وذاهل فاعل ذَهَلَ عن الأمرِ
يَذْهَلُ . ويُطل الطلُولُ كذلك ، لأن يُطلُّ مضارعٌ أَطَلَّ دَمَهُ أَي أَهْدَرَهُ ،
والطلول جمع طَلَل ، وهو ما شَخَّص من آثار الديار . وكذلك الربيع وهو
العُشْب والرُّبُوع جمع رَبِيع وهو المنزل ، فهذه كلها تتضمن التجنيس ، وليست
من المشتركات ، لأنها ليست لفظتين متماثلتين دالتين على مُسمَّين مختلفين ،
كلفظة العَيْن .

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا ، ولا يَسْتَعْمَلُ فيه التجنيس
بالمشترك إلا في النادر أيضاً ، فلو كان كل تجنيس في الذَّهْنِ بالمشترك فقط لم
يكن ذلك من المقصودات الأصيلية التي تَقْتَضِي وضع المشترك مع ما فيه من
تَرَدُّدٍ فَهَمَّ السَّامِعِ وَعَدَمِ معرفته ، فإن مَحْدُورَ ذلك أعظم من تَرْوِيقِ
اللفظِ بالمشركات ، خصوصاً ويمكن استدراك غير اللفظ بغير التجنيس ، كالمطابقة
والمقابلة وغيرها من أنواع البديع .

وَالعَجَبُ من قَوْلِ هذا الرجل إن عدم التجنيس يذهبُ حُسْنَ الكلامِ ،
وقوله إن واضع اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه المفصاحة والبلاغة ، فوجد من مهمات
ذلك التَّجْنِيسَ الذي لا يَقُومُ إلا بالأسماء المشتركة ، وهو يرى القرآن عارياً
عن التجنيس ، وهو أَحْسَنُ الكلامِ وَأفْصَحُهُ وَأَبْلَغُهُ ، كما قال تعالى : « اللهُ
نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ (١) » .

وليت شعري كيف تحتاجُ البلاغةُ إلى التجنيس؟ أتراه يَعْلَمُ ما البلاغة؟

(١) الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ،
ثم تلبس جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله .
سورة الزمر ٢٣ .

ألم يَسْمَعْ كَلامَ عبد الحميد بن يحيى^(١) وابن المقفع^(٢) ومن جاء بعدها من الكتاب، ومن كان قبلهما من فصحاء العرب الذين كلامهم محضُ البلاغة؟ فهل تَرَى لأحد منهم تجنيساً في كلامه، اللهم إلا أن يقع ذلك اتفاقاً غير مقصود قصده؟

قال المصنّف: وقد استعملَ المشترك في الكلام العزيز قال سبحانه: «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة»^(٣) فالساعة الأولى هي القيامة، والساعة الثانية هي هذا المقدار المخصوص من الزمان^(٤).

أقول لذهب أن يذهب إلى أن الساعة في الموضوعين بمعنى واحد، وهو هذا المقدار المعين من الزمان، وسميت القيامة ساعة لما يجري فيها من الأهوال والأمر الشاقة، وهذه عادتهم إذا استعظموا أمراً يقع في زمان مخصوص اكتفوا بذكر ذلك الزمان في الدلالة عليه، كقولهم يوم الجمل^(٥) ويوم ذي قار^(٦) وليله الهزير^(٧)، وقوله سبحانه: «هذا يومكم الذي كنتم

(١) عبد الحميد بن يحيى مولى فارسي لبني عامر نشأ بالشام في أخريات الدولة الأموية، وكتب لمروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ ويعتبر من الزعماء الذين كان لهم أثر عظيم في النثر الفني. توفي سنة ١٣٢ هـ.

(٢) ابن المقفع هو عبد الله بن المقفع أحد خول البلاغة في العصر الساسي الأول ولد حوالي ١٠٦ و قتل سنة ١٤٢ وله مؤلفات شتى منها الأدب الكبير والأدب الصغير وترجمة كلية ودمتة.

(٣) سورة الروم ٥٥.

(٤) لم نجد هذا النص في كلام ابن الأثير عن المشترك ولكننا وجدناه قد استبدل بالآية في التجنيس الحقيقي (للثعلب السائر ١/٣٤٣)

(٥) موقعة كانت بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير والسيدة عائشة سنة ٣٦ هـ بالقرب من البصرة، وانصر فيها علي بن أبي طالب، وانحصر بعدها النزاع بين حزبين اثنين هما حزب معاوية بن أبي سفيان. وحزب علي بن أبي طالب.

(٦) يوم ذي قار أشهر الوفاة بين بني بكر بن وائل وبني شيبان وبني عجل وبين كسرى وحلفائه من العرب، كان النصر فيه للعرب، وكان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة. وقد أشاد الشعراء بانصار العرب أيما إشادة (مروج الذهب ١/١٣٤ والنظية والإشراف ٢٠٨ والأغانى ٢/٢٩ و ١٣٢/٢٠٠ وتاريخ الطبري ١٤٦/٢).

(٧) ليلة الهزير: ليلة بصفين كانت بين علي ومعاوية، حدث معاوية أنه هم فيها بالفرار، لولا أبيات لعمر بن الإبنابة ثبتته وقوته على البقاء (العمدة ١/١٠) ومن أيام العرب في الجاهلية يوم الهزير بين بكر بن وائل وعم (القاموس المحيط مادة هر).

تُوعَدُونَ^(١) » ولم يقل أحدٌ من لفظة يوم مشتركة ، وأنها في هذا الموضع بمعنى القيامة وفي غيره بمعنى هذا الزمان المخصوص ، وعلى هذا يكون معنى قوله تقوم الساعة أن تحضر الساعةُ التي وُعدُوا بالمجازاة فيها ، فلا تكونُ اللفظةُ مشتركةً كما زعمه هذا المصنّفُ ، أو يكون مجازاً في القيامة حقيقة في الوقت المخصوص ، فلا يتم أيضاً ما يريد من الاشتراك .

ويؤكد بطلانَ الاشتراك أن العرب لم تكن تعرفُ القيامة فيضعوا لها لفظاً الساعة ، كما وضعوا لفظة الفرس لهذا الحيوان المخصوص ، اللهم إلا أن يقال إنها حقيقة شرعية ، فيكون ذلك تسليماً لما يقوله المعارض ، لأن الحقيقة الشرعية مجازٌ حقيقي في أصلِ الوضع .

- ١٩ -

قال المصنف : وقد تعسّف قومٌ وأجابوا عن شبهة الاشتراك في اللفظة فقالوا : الأسماء المشتركة إنما وضعتها قبائلٌ مختلفةٌ لا واضع واحد . قال : وهذا باطل ، لأنه قد ورد من الجموع ما يقعُ على مسمّين مختلفين مثل كعاب جمع كعب وجمع الكعبة لهذه البنية المخصوصة ، وقد ورد لفظ المفرد وجمعٌ لغيره على وزنه ، مثل الراح اسم الخمر ، وجمع راحةٍ وهي راحة الكفّ ، ومثل عقاب للعقوبة وجمعُ عقبة ، ونظائر هذا كثيرة^(٢) .

أقول لصاحبِ هذا الجوابِ أن يقولَ إن هذه الجموع أيضاً وضعتها قبائلٌ مختلفون ، فوضع بنو تميمٍ مثلَ الكعاب جمع كعبة ، وكذلك ما جاء مثل الراح المفرد بمسّمى والراح الجمع لمسّمى آخر يجوز أن يكون ورداً عن قبيلتين كل واحدة منهما وضعت اللفظة بمسّمى غير ما وضعت القبيلة الأخرى له ،

(١) سورة الأنبياء ١٠٣ لا يميزهم الفزع الأكبر ، وتلقاهم لللائكة هذا يومكم الذي كنتم تُوعَدُونَ .

(٢) المهمل السائر ١/٥٩

فالقَدَرُ الأولُ عن وقوع الاشتراك في اللفظة مُطَرِّدٌ فيما ظَنَّ هذا المصنف أنه لا يمكن
اطِّرادُهُ فيه حَدْوُ النَعْلِ بالنَعْلِ .

قال المصنف « وَحَدُّ المَثَلِ هو القولُ الوجيزُ المرسلُ ليعْمَلَ عليه ^(١) » .
هذا باطل بقوله تعالى : « أقيموا الصلاة ^(٢) » فإنه قولٌ وجيزٌ أُرْسِلَ ليعْمَلَ
عليه ، وليس بمثل ، وأيضاً فإنَّ أَرَادَ بقوله ليعْمَلَ عليه أى ليعمل بمُوجِبِ ما فيه
من الاقتضاء والطلب ، فهذا باطل بأكثر الأمثال ، نحو قولهم : هو أفعَلُ
من كذا .

وإن أَرَادَ بقوله ليعمل عليه أن يُسْتَعْمَلَ في الموضع اللائق ، فكلُّ بَيْتٍ
شِعْرٍ من أشعار الجاهلية والمُحدَثين قولٌ وجيزٌ مرسلٌ يستعمل في موضع يليق
به ، وذلك يقتضى أن يكون الشعر كله أمثالا ، ولم يقل بذلك قائل .

والصحيح أن يُقال المثلُ يُطَلَقُ على نوعين : أَحَدُهُما ما قُصِدَ به
المبالغة بلفظه أفعَلُ ، كقولهم : أشغلُّ من ذات النَّحَّيْنِ ^(٣) ، والثاني كلُّ كلامٍ
وجيزٍ منشورٍ أو منظومٍ قيل في واقعة مخصوصه تَضَمَّنَ معنىً وحكمةً ، وقد تهبأ
بتضمُّنه ذلك لأنَّ يُسْتَشْهَدُ به في نظائر تلك الواقعة .

قال المصنف : وقد كتبت كتابا لمن اقترحه على أذكر فيه فتح مصر معارضا
لكتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيهقي في المعنى فقلت فيه . « ومن

(١) المثل السائر ١/٦٢ .

(٢) تكرر هذا الأمر في سورة البقرة ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ وفي سور أخرى .

(٣) كانت امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة تبيع السمن في الجاهلية ، فأناها خوات بن جبير
الأنصاري يبتاع منها سمنا ، فلم ير أحدا عندها ، وساومها ، فحبا نحيا — وعاء لبن —
ف نظر إليه ، ثم قال : أمسكبه حتى أنظر إلى غيره ، فلما حلب آخر قال أريد غير هذا فأمسكبه ،
فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه ، حتى قضى ما أراد وهرب (جمع الأمثال للبيداني
: ٧٠٠/١)

مُجَلَّتْهَا مَا فَعَلَهُ الْخَادِمُ فِي الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ قَامَ بِهَا مَنِبَرٌ وَسِرِيرٌ ، وَقَالَتْ
مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَرَدَّ الدَّعْوَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ إِلَى مَعَادِيهَا ، وَأَذْكَرَ الْمُنَابِرَ
مَا نَسِيَتْهُ بِهَا مِنْ زَهْوِ أَعْوَادِهَا ، وَلَمْ يُعِدِّهَا إِلَى وَطَنِهَا حَتَّى تَفَرَّبَتْ لَهَا
الْأَرْوَاحُ عَنِ أَوْطَانِهَا ، وَسَهَرَتْ لَهَا أَجْفَانُ الشُّيُوفِ سَهَرَ الْعِيُونِ عَنِ
أَجْفَانِهَا .

قال فانظر إلى كيف أتيت فيه بكلام الحباب بن المنذر
الأنصاري^(١) حيث قال يوم السقيفة للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير . والقصة
مشهورة ، فقال أبو بكر : بل نحن الأمراء وأنتم الوزراء قال : وهذا
نكتة هذا الفتح التي عليها الموعول ، ومر كزه الذي عليه يدور .

وعجيب من عبد الرحيم بن علي البيهقي مع تقدمه في فن الكتابة كيف
فاته أن يأتي به في كتابه^(٢) .

أقول إن القاضي الجليل الفاضل النبيل أبا علي عبد الرحيم كان موقفا حيث
لم يذكر ما ذكره هذا الرجل وأعجب به ، وذلك أن الحباب بن المنذر
والأنصار راموا أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير ، وملوك الدولة

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجوح بن زيد السلمي . يكنى أبا عمرو ، شهد بدر وهو
ابن ثلاث وثلاثين سنة .

كان يقال له ذو الرأي ، وهو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
ينزل على ماء بدر لقاء القوم .

وشهد أحدا والحدق والمشهد كلها مع رسول الله ، وهو القائل يوم السقيفة : أنا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير .

مات في خلافة عمر رضي الله عنه . الاستيعاب ٣١٦/١ .

جذيلها المحكك : الجذيل عود ينصب للجرب لتحتك به ، ومنه : أنا جذيلها المحكك وهو
تصغير تعظيم . يريد أنه محكم يحكك يشفق الناس برأيه كما تشتق الإبل الجربى باحتكاكها بهذا العود .
عذيقها المرجب : العذيق النخلة يكثر حملها فيجعل تحتها دعامة تسمى الرجبة ، أو المراد أنه
نافع كريم كهذه النخلة التي يكثر حملها .

(٢) ملخص من اللؤلؤ المسائر ٦٦/١

الطَّالِبِيَّة^(١) بمصر لم يقتصرُوا على أن يكون منهم خليفة ومن الأئمة العباسية خليفة ، بل كانوا يَدْعُونَ أن الخلافة ليست إلا لهم خَاصَّةً ، دُونَ غيرهم ، وما زالت الحربُ بين الفريقين قائمَةً ، والمنهجُ سَائِمَةً على ذلك ؛ ولو لم يَكُنْ إلا مَا جَرَى في الأيامِ القائِمَةُ لكفى . فكيف كان القاضي الفاضل على جلالته من يَذْهَبُ عليه هذا ، وَيُسَبِّهُ واقعتهم بواقعة الأنصار ، ويُورِدُ كلامَ الجباب ابن المنذر ، وَيُسَوِّهُ وَجْهَ رسالته الحسنة به ؟ وإنما رُصِّعَ الرِّسَالَةُ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ المشهورةِ إذا كانت مطابقةً للحالِ الحاضرة ، لا إذا كانت مخالفةً لها ، فأما الكلامُ المنشور الذي أنشأه في هذا فليس من جيِّدِ قوله ، وفيه مالا يَجُوزُ ، وإن جاز فهو على ضَعْفٍ شديدٍ وَتَكَلُّفٍ عظيم . فمن ذلك قوله : « وَأَذْكَرَ المنايرِ مَا نَسِيَتْهُ بِهَا مِنْ زَهْوِ أَعْوَادِهَا » فإن الباءَ في بها لا محالة متعلقة بزهو ، وإلا لم يَبْقَ للكلامِ معنى ، وحينئذ التقدير « وَأَذْكَرَ المنايرِ مَا نَسِيَتْهُ مِنْ زَهْوِ أَعْوَادِهَا » وحرف الجر إذا تعلق بالمصدر صار من صلته ، فلا يجوز تقديمه عليه إلا على تأويل بعيد ، وهو أن يُقَدَّرَ مثله شيء قد دلَّ عليه المصدر المتأخر ، وهو في هذا الموضع خاصة متعذر التقدير أو مُسْتَهْجَنُ التقدير .

ومن ذلك قوله « وَسَهَّرَتْ لَهَا أَجْفَانَ السُّيُوفِ سَهَرَ الْعَيُونِ عَنْ أَجْفَانِهَا » فقوله سهر العيون عن أجفانها كلام بارد ، لأن العيون لا تسهرُ عن الأجفان ، وما سمعنا من نثر ولا نظم سهرت عيني عن جفني . ولا شبهة أنه أراد وسهرت لها أجفان السُّيُوفِ سَهَرَ الْعَيُونِ ، فلم يَسْتَوْسِقْ^(٢) له ذلك ، فأتى بلفظٍ إما ألا يكون صحيحاً أصلاً ، أو يحتاج في تصحيحه إلى تعبٍ شديد ، ليس تحت اللفظ من المعنى الغريب ما يساوي ذلك التعب .

(١) الطالبيية هي الفاطمية .

(٢) لم يستوسق . لم يجتمع .

قال المصنف: وإنما قصدنا أن يكون الكتاب [الذي يكتب] في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاqqة في موضع^(١). أقول قد ظهرت فائدة علم الإدغام في باب الكتابة كما قدمناه ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظة المسامحة باقظة المحاققة ، وسهياً عن أن المحاققة بفك الإدغام غير جائزة .

قال المصنف: اللفظ قد يُتأوَّلُ في المعنى وضده ، وقد يُتأوَّلُ على المعنى وغيره الذي ليس بضدّه . والأولُ أغربُ وأظرفُ . فما جاء منه قوله عليه السلام : « صلاةٌ في مسجدى هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ في غيره من المساجد إلا المسجدَ الحرامَ »

قال فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدّان : أحدهما أن المسجد الحرام أفضلُ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من المسجد الحرام ، إلا أن صلاةً واحدةً فيه لا تفضّلُ ألفَ صلاةٍ في المسجد الحرام ، بل تفضّلُ مادونها بخلاف المساجد الباقية ، فإن ألفَ صلاةٍ فيها تقصّرُ عن صلاةٍ واحدةٍ فيه^(٢) .

أقول هذا الحديث لا يدلُّ على أن المسجد الحرام أفضلُ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على أن مسجد رسول الله أفضلُ من المسجد الحرام ، وليس الأمر كما توهمه هذا الرجل ، وإنما يدلُّ على أن حكم المسجد الحرام مخالفٌ لهذا الحكم الذي قد حكم به صلى الله عليه وسلم في حقِّ مسجده وباقي المساجد ، لأن تقدير الكلام كلُّ مسجدٍ في الأرض إذا صلّي فيه ألف صلاةٍ فهي في الفضيلة دون الصلاة الواحدة في مسجدى ، وأستثنى من هذا الحكم

(١) المثل السائر ٧١/١

(٢) ملخص من المثل السائر ٧٦/١

المسجد الحرام قَدَلَّ في المطابقة على أن المسجد الحرام يُخَالِفُ باقي المساجدِ في هذا الحكم .

هذا هو الذي يدل عليه هذا اللفظ فقط ، ولا يَدُلُّ على شيء آخر ، لا أَفْضَلِيَّةَ مسجده على المسجد الحرام ، ولا أَفْضَلِيَّةَ المسجد الحرام على مسجده .

لكن هذه المخالفة تحتمل أموراً ، منها أن يكون مسجده عليه السلام لا تَفْضُلُ الصلاة الواحدة فيه أَلْفَ صلاةٍ في المسجد الحرام ، بل تَفْضُلُ تِسْعَمِائَةٍ صلاةٍ أو ثمانمائة صلاة مثلاً .

ومنها أن يكون مسجده صلى الله عليه وسلم تَفْضُلُ الصلاة الواحدة فيه صلاةً واحدةً قى المسجد الحرام ، لا فَرَقَ بينهما .

ومنها أن تكون الصلاة الواحدة في المسجد الحرام أَفْضَلَ من صلاةٍ كثيرةٍ في مسجده ، إما ألف صلاة أو أَقَلَّ منها أو أكثر ، ومراتب ذلك غير متناهية ولا معلومة ، فهذه الاحتمالات كلها تَدْخُلُ تَحْتِ المخالفة التي دَلَّ الاستثناء عليها .

فقد ظهر أنه لم يُصَبِّ في قوله إن هذا الحديث يمكن أن يستخرج منه مَعْنِيَانِ ضِدَّانِ ، هما أَفْضَلِيَّةُ مسجده عليه السلام ، للمسجد الحرام ، والآخر أَفْضَلِيَّةُ المسجد الحرام لمسجده عليه السلام ، لأننا قد بَيَّنَّا أن الحديث إنما يَدُلُّ على أن حكم المسجد الحرام مُخَالِفٌ لما قد حَكَمَ به في حَقِّ مسجده وَبِقِيَّةِ المساجد ، ولا يدل على شيء آخر لافي هذا ولا في ذاك ، لكن المخالفة المدلول عليها يمكن انقسامها إلى أَفْضَلِيَّةٍ كل واحد منهما ، وإلى تساويهما أيضاً .

فالحاصل أن الحديثَ مَادِلٌ عَلَى شَيْئَيْنِ ضِدِّينِ كَمَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وإن سَلَّمْ له أنه قد دَلَّ فَإِنَّهُ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الْمَسَاوَةِ ، وَهِيَ أَمْرٌ ثَالِثٌ ، قُصِدَتْ
أَيْضًا ، وَهِيَ شَيْءٌ غَيْرُ أَفْضَلِيَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُصَنِّفُ ، فَقَدْ
ظَهَرَ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ مُسْتَدْرِكٌ عَلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ .

— ٢٤ —

قال المصنف : وقد قال أبو الطيب المتنبى :

وأظلمُ أهلِ الظُّلَمِ مَنْ باتَ حاسدًا لَمَنْ باتَ في نَمائِهِ يَتَقَلَّبُ

قال : هذا البيتُ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ ضِدَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ
يَحْسُدُ الْمُنْعَمَ ، وَالْآخَرَ [أَنَّ الْمُنْعَمَ يَحْسُدُ] الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ ^(١)

أقولُ أَمَّا وَلاَ فَإِنَّ هَذَيْنِ الْمَعْنِيَيْنِ لَيْسَا بِضِدِّينِ ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمَا مَعًا ، فَيَكُونُ
زَيْدٌ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى عَمْرٍو ، ثُمَّ حَسَدَهُ ، وَعَمْرٌو يَحْسُدُهُ أَيْضًا ، فَيَكُونُ الْمُنْعَمُ وَالْمُنْعَمُ
عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحْسُدُ صَاحِبَهُ ، فَقَدْ بَطَلَ التَّضَادُّ الَّذِي ذَكَرَهُ ، وَوَجَبَ
دُخُولُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْقِسْمِ الْآخَرَ ، وَهُوَ أَنَّ تَتَأَوَّلُ اللَّفْظَ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ
لَا عَلَى الْمَعْنَى وَضِدَّهُ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ لَفْظَةَ الْبَيْتِ تُشْعِرُ بِأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ
يَحْسُدُ الْمُنْعَمَ ، وَكَذَلِكَ سِيَاقُ الشِّعْرِ ، أَمَّا لَفْظُ الْبَيْتِ فَلِأَنَّهُ سَمَّاهُ ظَالِمًا وَقَالَ
إِنَّهُ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ ، وَلاَ شُبُهَةَ أَنْ مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَحَسَدَ مِنْ أَنْعَمَ بِهَا
عَلَيْهِ وَوَدَّ زَوَالَ نِعْمَتِهِ ، وَاتَّقَالَهَا إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ كَافَأَ الْإِحْسَانَ
بِالإِسَاءَةِ ، وَكَانَ ظَالِمًا . فَإِذَا أَنْعَمَ إِنْسَانٌ عَلَى غَيْرِهِ ، ثُمَّ حَسَدَ ذَلِكَ الْغَيْرَ فَإِنَّهُ

(١) التصويب من المثل السائر ٧٧/١

والبيت من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أغاب فيك الشوق والشوق أغاب وأعجب من ذا الهجر والرصل أعجب

الديوان ١٢٨/١

لا يُسَمَّى ظالماً ، لأنه لم يكافئ الإحسانَ بالإساءة . نعم قد يسمى بخيلاً كما قال ابن هاني :

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفْسًا فَاسْتَرَدَّ رُبَّمَا جَادَ بِخَيْلٍ فَحَسَدٌ^(١)

وأما سياق البيت فإن هذا المصنف ذكر في بيت أبي الطيب وهو :

فَإِنْ نَلْتُمْ مَا أَمَلْتُ مِنْكُمْ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءِ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرَدُّهُ^(٢)

أنه ليس متردداً بين المدح والذم كما قد توهمه قوم ، لأن سياق الشعر يقتضى أنه أراد المدح لا الذم ، وإذا كان كذلك فسياقُ هذا الشعر يقتضى أنه أراد أن المنعمَ عليه يحسدُ المنعمَ ، لأنه قال :

تَرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمِرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمَدْرَبُ

إِذَا طَلَبُوا جَدًّا وَأَعْطُوا وَحُكِّمُوا وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيَّبُوا

وَلَوْ جَازَ أَنْ تَعْطَى عِلَّاكَ وَهَبْتَهَا وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ

وَأَظْلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مِنْ بَاتِ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ^(٣)

فهذا يدل على أن المدح يعطى هؤلاء وهم يحسدونه ، وإذا كانت السياقة تدل على أنه أراد هذا المعنى خرج من كونه دالاً على معنيين ضدين كما حكّم به في البيت المتقدم .

(١) هر أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي ، ولد بالأندلس بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل بالأدب وسهر في الشعر ، ولما خرج معز الدولة يريد مصر شيعة ومدحه بقصيدة مشهورة ، ثم جاء إلى مصر ليأخذ به فقتل بيرة سنة ٣٦٢ .
(وفيات الأعيان ٤/٤٩)

(٢) من قصيدته في مدح كافور التي مطلعها :

أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بيتنا وهي جنده

الديوان ١/٢٦٢

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة

الديوان ١/١٢٨

قال المصنف : وقد قال أبو الطيب أيضاً في كافور :

فألك تُعنى بالأسِنَّةِ والقَنَا وَجَدُّكَ طَعَانٌ بغير سِنَانِ
ومالك تختار القِسيَّ وإنما عن السَّعْدِ يَرْمِي دُونِكَ الملوَانِ^(١)
فإن هذا يحتمل المدحَ والذمَّ ، بل هو بالذمَّ أشبهٌ ، لأنه يقول إنك لم
تَبْلُغْ ما بَلَغْتَهُ بِسَعْيِكَ واهتمامك ، بل بِجِدِّ وسَعَادَةِ ، وهذا لأفضَلِ فيه ،
لأن السعادة بناها الخاملُ والجاهلُ ومَنْ لا يستحقها . قال : وأكثُرُ ما كان
المتنبى يَسْتَعْمِلُ هذا القَنَّ في القصائدِ الكافوريَّاتِ^(٢) .

أقول إن الناسَ واقعٌ لهم واقعٌ ظريفٌ مع المتنبى في هذا الباب ، وكان
أصلهُ الشيخ أبو الفتح عُثمان بن جِيٍّ^(٣) رحمه الله ، فإنه نَبَهُ المتنبى ، ولم يكن
ذلك لبُغضِهِ لكافور وحنَقِهِ عليه ، فصار فيه حديثٌ طويل .

وزعمَ مَنْ جاء بعده أن المتنبى كان يَقْصِدُ ذلكَ وَيَتَعَمَّدُهُ وَيَمْدَحُهُ بالشعرِ
الموجِّهِ الذي يَحْتَمِلُ المدحَ والذمَّ .

ومنهم مَنْ يزعمُ أن كافورا كان يَتَفَتَّنُ لذلكَ ، وَيُفْضِي عنه ، وَيَنْقُلُون
هذا عن المتنبى ، وما كان ذلكَ قَطُّ ولا وَقَعَ شيءٌ منه ، ولا قَصَدَ أبو الطيبِ
نحو ذلكَ أصلاً .

(١) رواية الديوان تقديم البيت الثاني على الأول . وفيه (يرمى دونك الثقلان) .

الديوان ٢٤٧/٤ .

(٢) المثل السائر ٧٨/١

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني الإمام النحوي ، كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم

بالنحو والتصريف ، صنف في ذلك كتباً تفوق فيها على المتقدمين وأعجز من مثلها المتأخرين ،
منها المحصن وشرح ديوان المتنبى . وكان يحضر مجلس المتنبى ويناظره ، وكان المتنبى
يجيب بذكائه وحذقه ويقول : هذا الرجل لا يعرف قدره كثير من الناس .

ولد حوالي سنة ٣٣٠ وتوفي سنة ٣٩٢ هـ (معجم الأدباء ٨١/١٢)

فأما هذان الشيطان فقد قال في سيف الدولة أبي الحسن^(١) مثلها كثيرا ،
نحو قوله له :

ولقد رمت بالسعادة بعضاً من نفوس العدا فأدر كنت كلاً^(٢)
وقوله له :

إذا سمعت الأعداء في كيد مجده سعى جدّه في كيدهم سعى مُحَنِّق^(٣)
وهذه الرواية الأولى من رواية من روى (سعى مجده في جدّه) لأن قوله
بعدها :

وما ينصر الفضل المبين على العدا إذا لم يكن فضل السعيد الموفق
يؤكد ما ذكرناه
ونحو قوله له :

لولم تكن تجرى على أسيافهم مَهْجَاتُهُمْ لَجَرَّتْ عَلَى إِقْبَالِهِ^(٤)
ونحو قوله له :

هم يطلبون فمن أدركوا وهم يكذبون فمن يقبلُ

-
- (١) سيف الدولة بن حمدان أمير حلب الذي مدحه المنبي كثيراً .
(٢) من قصيدته في تغزية سيف الدولة بأخته الصغرى وتسلية بالكبرى التي مطلعها :
إن يكن صبر ذى الرزية فضلا تكن الأفضل الأعز الأجيلا
الديوان ٩٦/٤
(٣) صوبنا البيت من الديوان .
وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
لمينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ولاحب ما لم يبق منى وما يبق
الديوان ٤٥٧/١
(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
لا الحلم جاد به ولا يمثاله لولا ادكار وداعه وزياله
الديوان ٥٠/٢

وهم يتمنون ما يشتهون ومن دونه جدك المقبل^(١)
وقد قال لعضد الدولة أبي شجاع وهو أعظم ملكاً من سيف الدولة
أبي الحسن، وأشدُّ بأساً، وأكثر انتقاداً للشعر، وهو يدكرُ هزيمته (وهشودان)
وهو بعيد عن عسكرِ لدولة أبيه :

وليت يومئ فناء عسكره ولم تكن دانياً ولا شاهداً
ولم يغيب غائب خليفته جيش أبيه وجدّه الصاعد^(٢)

وقال له في هذه القصيدة وقد صرح بأنه يقهر الأعداء بالجد فقط :

إن كان لم يعمد الأمير لما لقيت منهُ فيمنه عامداً
فلا يبئل قاتل أعاديه أقانما نال ذاك أم قاعد^(٣)

وقال له في قصيدة الوداع :

وأياً شئت يطرُق فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
أيقده في الحية المنزل وتشمل من دمرها بشمل
الديوان ٥٩/٢

(٢) من قصيدته في مدح عضد الدولة أبي شجاع حينما حارب وهشودان ملك
الديلم وهزموه وأتى عسكره ، ولم يحضر عضد الدولة القتال في الوقتين ، ولم يكن قريباً منهما
فكتب النصر له وهو غائب ، كأن سمعه ناب عنه في قتالهم .
مطلع القصيدة :

أزائر ياخيال أم طائد أم عند مولاك أتى راقده
الديوان ٢٩٨ / ١

(٣) الخطاب موجه إلى ملك الديلم الذي لم يقصده الأمير بنفسه .
ومعنى البيت الثاني أن من قتل أعاديه لا يبالي أقتلهم فأما أم قاعدا ، بنفسه أم بغيره .
قال الواحدى : كان حقه أن يقول لا يبالي بحذف الياء للجزم لكنه ناس على قولهم لا يبيل
يعنى لا تبال وإنما جاز ذلك لسكون الاستعمال ولم يكثر استعمالهم لا يبيل فيجوز فيه ما جاز
في غيره .

يُشْرِدُ يَمْنُ فَنَّا خُسْرَ عَنِي فَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ^(١)

وقال لغيره من ممدوحيه :

نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كَلِمًا أَرَمَعْتَ شَيْئًا أَرَمَعَا
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرَ الْعَصَى كَأَنَّهُ عَيْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَتَى مَسْرَعَا^(٢)

ولكن سيف الدولة لما اشتهر بإخلاص أبي الطيب في ولايته عدل الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذِكْرَ الْجَدِّ وَالْحَظِّ ، فلم يذكروه ، ولم يجعلوه مَوْجَهًا متوسطًا بين المدح والذم ، وقالوا ذلك في كافور لما حدث تغيره مع أبي الطيب ، وانحرف كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، ومجاهرة أبي الطيب له بعد مفارقتة بالهجاء .

ولو تاملت الأشعار كلها وأردت أن تستنبط منها ما يمكن أن يكون هجاء لقدرت .

هذا السيد الحميري من الشيعة العلوية^(٣) ، لا يختلِفُ في ذلك اثنان

(١) من قصيدته في وداع أبي شجاع عضد الدولة ومدحه التي مطلعها :
فدى لك من يقصر عن مداك فلا ملك إذن إلا فداك
فنا خسرو : اسم عضد الدولة . الطمن الدراك : المتتابع .
الديوان ١٧/٢

(٢) من قصيدته في مدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب التي مطلعها :
أرکائب الأحباب إن الأدمع تطس الخدود كما تطسن اليرمعا
تطس : تدق . اليرمع . حجارة بيض صفار رخوة :
الديوان ٤٢٤/١

(٣) شاعر شيعي ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٧٣ فأدرك الدولة الأموية والعباسية وكان من غلاة الشيعة ، يفرط في سب أصحاب رسول الله وأزواجه ، فتعاضى الناس شعره . ولولا ما في شعره من سب السلف ما تقدمه أحد من طبقاته (الأغاني ٣/٧) .

وقال أبو عمرو والمجاهز في كتاب الياقوتة إن بعض الشيعة أنشدَ أبا مُحمَّد قولَ السَّيِّدِ :

أُقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآئِنَةِ المرءَ عَمَّا قَالَ مَسْمُورُ
أَنْ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْهُدَى وَالْبِرِّ مَجْبُولُ
وَأَنَّهُ كَانَ الْإِمَامَ الَّذِي لَهُ عَلَى الْأُمَّةِ تَفْضِيلُ
كَانَ إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْهَا الْقَنَا وَأَحْجَمَتْ عَنْهَا الْبَهَائِلُ
يَمْشِي إِلَى الرَّوْعِ فِي كَفِّهِ أبيضَ ماضِي الحَدِّ مَصْقُولُ
مَشَى الْعَفْرَنِيَّ بَيْنَ أَشْبَالِهِ أَضْجَرَهُ لِلْقَنْصِ الْغَيْلُ^(١)
ذَاكَ الَّذِي سَلَّمَ فِي لَيْلِهِ عَلَيْهِ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلُ
مِيكَالٌ فِي الْأَلْفِ وَجَبْرِيلُ فِي أَلْفٍ وَيَتْلُوهُمْ إِسْرَافِيلُ
فِي يَوْمِ بَدْرٍ بَدَا كُلُّهُمْ كَأَنَّهُمْ طَيْرٌ أَبَائِيلُ^(٢)

تقال أبو مُحمَّد في هذا : إن الشاعر لم يمدح صاحبك ، وإنما هجاه في موضعين : أحدهما أنه زعم أن علياً مجبول على البرِّ والهدى ، ومَنْ جُبِلَ عَلَى أمرٍ لم يُمدَحْ عليه ، لأنه لم يكتسبه بسعيه .
والثاني أنه زعم أنه أُيد في حروبه بالملائكة ، ولا فضيلة له إِذًا في الظفر ، لأنَّ أَبَاحِيَةَ التَّمِيمِيَّ^(٣) لو أيدَهُ هُوَ لَاءَ لَقَهَرَ الْأَعْدَاءَ وَغَلَبَهُمْ .

(١) أسد عفرني : شديد .

(٢) البيتان الأولان بالأغاني ٣/٧

(٣) أبو حبة التيمري اسمه الهيثم بن ربيع شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، مدح الخلفاء فيما ، وكان أروع جباناً كذاباً بخيلاً ، وله في الأكاذيب أخبار شتى (الأغاني ١٥ / ٦١) منها أنه دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظننه أماً ، فانتضى سيفه الذي كان يسجده لعاب النية ، ووقف في وسط داره وهو يقول : أيها المفتر بنا والمجتريء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير فليل ، وسيف صقيل ، لعاب النية التي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، اخرج بالفتو عنك قبل أن أدخل بالقوبة عليك ، إنى واثق إن أدع قيساً إليك لا تقم لها ، وما قيس ؟ عملاً ؟ وافقه الفناء خيلاً ورجلاً . فبينما هو كذلك إذا السكاب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذي مسحك كلباً ، وكفاني حرباً .

واعلم أن الشعراء مازالت على قديم الدهرٍ وحديثه بمدحون الرئيسِ
بِعُلُوِّ جَدِّه ، ومساعدة الأقدارِ له ، ومطاوَعَةِ الأفلَکِ والسکوابِ والدهرِ
لإرادته . وأقوالُهُمْ في هذا أكثرُ من أن تُوردَ وتُحکى ، وإن كان
الأصلُ في إكثارهم من ذلك أن يُهدُوا (إلى) أَسْماعِ أعداءِ المدحِ وخصومه ،
ويُوقِرُوا في صدورهم ، ويُدَيِّمُوا في نفوسهم أنه مَنْصُورٌ من السماء ، وأنه مُحاطٌ
بالعنايةِ الإلهية ، وأنَّ السکوابَ تُساعده ، والأفضليَّةَ والاقدارَ تجزى على
مُرَّاده ، فيوقِعُوا الرُّعبَ منه في الصدور ، والخوفَ في القلوبِ ، إلى أن
يَنخَذِلَ مَنْ يَناوِثُه من غيرِ حَرْبٍ ولا كَيْدٍ .

وقد رُوِيَ أن مَلِكَ الصِّينِ عَرَضَ عَسْكَرَهُ إلى الإسكندر فاستعظمه ،
ورأى ما هالَهُ ، فقال : قد كُنتُ قادراً على أن أُصَادِمَكَ بهذه العساكِرِ
العظيمةِ ، لكنِّي رأيتُ الأفلَکَ ناصرةً لك ، فرأيتُ ألا أحاربَ مَنْ
تَنصُرُهُ . ثم أعطاه الطَّاعَةَ ، ودفعَ إليه الإتاوَةَ .

قال المصنف : فأما ما يدل على الشيء وغيره ، لا على الشيء وضده ،
فمثل قوله تعالى في قصة إبراهيم وولده « فبشّرناه بغلامٍ حلِيمٍ . فلما بلغَ معه
السَّعْيَ قال يا بُنَيَّ إني أَرى في المنام أني أذبحُك » إلى قوله « فبشّرناه بإسحاقَ
نبيّاً من الصالحين ^(١) » قال : فقوله فبشّرناه بإسحاقٍ يحتمل أن يكون استئنافاً
لذكر إسحاق بعد ذكر الغلام الحلِيمِ صاحبِ القصة الذي هو إسماعيل . ويحتمل
أن يكون قوله وبشّرناه بإسحاقٍ بنبوته بعد البشارة بميلاده ، أو يكون قوله
فبشّرناه بغلامٍ حلِيمٍ إشارةً إلى إسحاق وهو بشرى الولادة فقط ، وقوله وبشّرناه

(١) سورة الصافات الآيات ٩٩ - ١١٢ .

ياسحاق نبياً بشري النبوة ، ويكون هو صاحب القصة لاغير^(١) .

أقول هذا القسمُ بأنَّ يُجْعَلَ في جُمْلَةِ الْقِسْمِ الأوَّلِ وهو ما بَدَلُ على الشيءِ وضِدَّهُ أَلْيَقُ ، لأن هذه الآية تُجَادِبُهَا حَتْمًا ، لأنه يَسْتَحِيلُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا ، لأنَّ النَّاسَ مَجْمُوعُونَ على أن أحدهما هو الذي يبيح لا كلاهما ، فكل واحد من القولين يناقض الآخر ويضادّه ، فتكون الآية من باب ما يمكن استخراج أمرين متناقضين منه ، فلا وَجَهَ لِإِدْخَالِهَا في هذا الْقِسْمِ ، ولا هي من صُورَةِ إِبْنِ صَحَّحَ أَنَّ هَذَيْنِ الْإِحْتِمَالَيْنِ يَتَجَادَبَانِهَا على السواء .

والصحيح أن حملها على أن الذبيح هو إسماعيل أَرْجِحُ وَأَظْهَرُ مِنْ حَمْلِهَا على أنه إسحاق ، لأن الظاهر يقتضي البشارة بمولد إسحاق لا بنبوته ، لأنه إذا قيلَ قَدْ بُشِّرَ عِمْرَانُ بِمُوسَى تَبَادَرَتِ الْأَفْهَامُ إلى البشارة بمولده ، ولأنه عَطَفَ على قوله « رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ، فبشرناه بفلام حليم » ثم قال « وبشرناه بإسحاق » فهذه البشارة هي مثل تلك البشارة الثانية (وكلاهما بالولد ، ولأنه لو كان صاحب القصة هو إسحاق والمراد بالبشارة)^(٢) البشارة بنبوته لقال وبشرناه به نبيا من الصالحين ، لأن قبله ضمائر كثيرة تَرَجَّعُ إليه ، فلو كان هو المراد لآتى بالضمير كالضمائر المتقدمة .

قال المصنف : ومن هذا القسم أيضا ما يحكى أن الحرورية ظفرت برجل فقالت له : ابرأ من عليّ وعثمان .

(١) عبارة ابن الأثير : قوله تعالى « وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين » قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده ، وقد يكون استثناءً بذكره بعد ذكر إسماعيل وذبحه . والأوّل متعاضد بين هذين الأمرين . ولا دليل على الاختصاص بأحدهما : ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح إسماعيل ولا إسحاق ، وكذلك لم يرد في الأخبار التي صحت عن رسول الله صل الله عليه وسلم ... ٨٠/١ .

(٢) ما بين لوسين تكلمة تم المعنى ملحقه بهامش النسخة الأصلية .

فقال أنا من عليٍّ وعمان بريء. فهذا يدل على معنيين : أحدهما أنه بريء من عثمانٍ وخذاه ، والآخر أنه بريء منهما معا ، ولكن الرجل لم يرِدْ (إلا) الوجه (الأول) (١) .

والرواية أنا من عليٍّ، ومن عثمان بريء بإثبات من الثانية ، وهو الصحيح ، لأنها لو حذفت لمطفَ بالواو على عاملين ، وهو غير جائز ، بل التقدير أنا من أصحابه ، وأنا من عثمان بريء . ولم أجد لفظه من في النسخة التي وقفتُ عليها بهذا الكتاب ، واملِ الناسخ قد أوهم .

وأبضا فإن هذه الحكاية بأن تُلحقَ بالقسم الأول أولى ، لأنه قد استُخرج منها معنيان متضادان : أحدهما البراءة من عثمان والاتباع له ، والثاني البراءة من عليٍّ وعمان ، ولا أرى أن أحد هذين القسمين منافٍ للآخر ، فهو بالقسم الأول أشبه .

قال المصنف : ومن هذا ما يحكى أن عبد المسيح بن بَقِيلَةَ دخل على خالد بن الوليد بالحيرة ، فقال له خالد : من أين أتيتَ أترك ؟ قال من ظَهْرِ أَبِي . قال : من أين خرجتَ ؟ قال : من بَطْنِ أُمِّي . قال : علامَ أتتَ ؟ قال . على الأرضِ . قال فِيمَ أتيتَ ؟ قال : في نِيَابِي . قال : ابنُ كَمْ أنتَ ؟ قال : ابنُ رجلٍ واحدٍ . قال : وهذا من توجيه الكلام على نَمَطِ حَسَنِ ، وهو يَصْلُحُ أن يكون جواباً لخالدٍ عما سأل ، وَيَصْلُحُ أن يكون جواباً لغيره مما ذكره عبد المسيح (٢) .

(١) ما بين قوسين تكملة من ابن الأثير ٨٢/١ .

(٢) التل السائر ٨٢/١ .

أقول إن اللفظ الذي يُحتملُ على المعنى وغيره في هذه الحكاية هو ألفاظ خالد علام أنت ؟ يَحْتَمِلُ أن يريد به على أيِّ حال أنت ، أو على أيِّ دين ، أو على أيِّ عَزمٍ ، وَيَحْتَمِلُ أن يُريدَ به على أيِّ مكان أنت ، وكذا بقية الألفاظ ، فعبد المسيح ترك ما عَلِمَ أنه غَرَضُ خالدٍ ، وَعَدَلَ إلى الحِمْلِ الآخر الذي يَعْلَمُ أنه ليس بفَرْضِهِ ، فقول المصنف « هذا من تَوَجِيهِ الكلام على نَمَطِ حَسَنِ وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد » هو إشارةٌ بغير شك إلى أن ألفاظ عبد المسيح ليست موجَّهَةً ، بل الموجَّهُ ألفاظ خالد ، لأنها هي المحتملة الأمرين ، فقد بان أن قَوْلَ المصنِّف أن ألفاظ عبد المسيح موجَّهَةٌ ليس بصحيح ، وأيضاً فقَوْلُهُ « وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سأل ، ويصلح أن يكون جوابا لغيره » غير صحيح أيضا ، لأن هذه الأجوبة لا تصلح أن تكون أجوبةً لخالد ، لأن خالدا سأل عن أمرٍ ، فأجاب عبد المسيح عن غيره ، فالذي قال عبد المسيح لا يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سأله عنه ، بخلاف ما قاله هذا الرجل .

قال المصنف : وقد ورد في التوراة : لا تأكل الجذى بلبن أمه . وهذا التحريم يحتمل وجهين : أحدهما ما دلَّ عليه ظاهر اللفظ ، وهو تحريم أكل الجذى بلبن أمه خاصَّةً ، فإذا أُكِلَ بلبن غير (ابن) أمه جاز ولم يكن حراما ، واليهود لا تقول بذلك . والآخر أن كل شيء من اللحوم بكل شيء من اللبن حرام ، وهو قولُ كافة اليهود . الثاني الذي في التوراة لا تُنضج الجذى بلبن أمه ، أى لا تأكل (١) .

وهذه سواء كانت لا تُنضج أو لا تأكل خارجة عن هذا القسم الذي

قَبْلَهُ أَيْضاً ، لِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى إِنْضَاجِ الْجَدَى بِلَبَنِ أُمِّهِ ، أَوْ تَحْرِيمِ أَكْلِهِ بِلَبَنِ أُمِّهِ ،
وَلَيْسَ مِنْهَا مَا يَدُلُّ بِالمَطَابِقَةِ وَلَا بِالتَّضَمُّنِ وَلَا بِالِاتِّزَامِ عَلَى تَحْرِيمِ أَكْلِ الْجَدَى
بِغَيْرِ لَبَنِ الأُمِّ ، وَالْيَهُودُ لَا تَحْرِمُ أَكْلَ اللَّحْمِ بِاللَّبَنِ بِمَجْرَدِ هَذِهِ الآيَةِ ، بَلْ
بِنُصُوصٍ أُخْرَى تَقْلِبُهَا فِقْهًا وَهُمْ عَنْ نِيَّتِهِمْ ، فَادْخَالَ هَذِهِ الآيَةَ فِي بَابِ الأَلْفَاظِ
الْمُتَرَدِّدَةِ فِي المَعَانِي المُخْتَلِفَةِ لَا وَجْهَ لَهُ .

قال المصنف : وما يجرى على هذا النهج ما حُكِيَ عن أفلاطون^(١)
أَنَّهُ قَالَ : تَرَكَ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ الأَطْبَاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ إِذَا لَطَفَ
الْمَرِضَ وَانْتَهَى إِلَى غَايَةِ فَهُوَ دَوَاءٌ ، فَتَرَكَهُ حِينَئِذٍ وَالإِضْرَابَ عَنْهُ دَوَاءً .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالتَّرْكِ الوَضْعَ ، أَيْ تَرَكَ وَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى
الدَّوَاءِ دَوَاءً ، يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى حَذْقِ الطَّيِّبِ فِي وَقْتِ عِلاجِهِ^(٢) .

أقول إن مراد الحكيم ليس واحداً من هذين التفسيرين ، ومرادة
ظاهر ، كقول العامة دائماً وهو أَنَّ تَرَكَ التَّدَاوِيَّ حَيْثُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ هُوَ
التَّدَاوِيَّ بَعِيْنِهِ ، وَقَدْ شَرَحَ ذَلِكَ جَالِينُوسُ^(٣) ، فَقَالَ : الحِمِيَّةُ فِي الصِّحَّةِ
كَالتَّخْلِيْطِ فِي المَرَضِ . فَأَمَّا التَّفْسِيرُ المَذْكُورُ فَبَارِدَانٌ جَدَا ، وَخُصُوصاً
الثَّانِي مِنْهُمَا ، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ أَنْ يُحْمَلَ السَّكَّامُ عَلَيْهِ . وَلَيْسَتْ الأَدْوَاءُ كُلُّهَا

(١) أفلاطون من أكبر فلاسفة اليونان ولد نحو سنة ٤٢٨ قبل الميلاد ، وله الفضل
في جمع الآراء الفلسفية المتنازعة واستنباط فلسفة خاصة به ، وقد خلف كتباً كثيرة في الفلسفة
صاغها في أسلوب حوار ، متأثراً في ذلك بأستاذه سقراط ، واتخذ سقراط بطلاً لكثير
من المناقشات ، وهو في فلسفته أديب فنان .

(٢) الملل السائر ١/٨٣ .

(٣) جالينوس طبيب يوناني قبل الميلاد يعتبر من أساطين الطب في عصره ، ونقل
العرب كثيراً من آرائه في كتبهم الطبية وقد توفى بعد بعثة المسيح .

كما يوضع الدواء على داء عارض في الأعضاء الظاهرة وسطح البشرة ، وبالجملة فهو تفسير ركيك لا يُستَحْسَنُ حَمَلُ كَلامِ ذلك الحَكيمِ الفاضل عليه .

قال المصنف : وما ينخرط في هذا السلك قول أبي صخر الهذلي :

عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ (١)

قال : وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعى الدهر مُرْعَةَ تَقَضَّى الأوقاتِ مُدَّةَ الوصالِ ، فلما انقضى الوصلُ عاد الدهرُ إلى حالته الأولى في الشكونِ والبُطءِ ، والآخر أنه أراد بِسَعَى الدهرِ سَعَى أَهْلِ الدَّهْرِ بِالمَنَائِمِ والوِشَايَاتِ ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصلِ سكنوا وتركوا السَّعَايَةَ (٢) .

أقول : التفسير الثاني هو الصحيح ، والأول غير صحيح ، واللفظ لا يَحْتَمِلُهُ ، وفي البيت ما يمنع منه ، بيان ذلك أنه قال « بيني وبينها » وهذه اللفظة تمنع من أن يُرِيدَ سرعة تَقَضَّى الزَّمانِ أَيامَ وِصالنا ، فإنها قرينة تحمل لفظَةَ السَّعَى على السَّعَايَةِ والنميمة بالشرِّ لا على السَّعَى بمعنى الحركة والسير ، ألا تراهم يقولون سَعَى فلانٌ بين فلان وفلان بالشر ، أى ضرب بينهم ، وحَمَلَ بعضهم على بعض ، ولا يقولون سَعَى بينهم من السَّعَى بمعنى الحركة والسير ، إلا أن يراد أنه كان يتحرك ويسير بين قومٍ مفترقين في أما كن شتى ، وليس

(١) البيت من قصيدة لأبي صخر الهذلي وليست لأبي كبير الهذلي كما في الأصل وهو عبد الله بن سلم السهمي الهذلي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، مظلما :
أما والقي أبكى وأضحك والقي أمات وأحيا والقي امره الأمر
شرح الحماسة للرزوقي ١٧٣١/٣ والأمالى ١/١٤٨ .
(٢) لئلا السائر ١/٨٤ .

هذا مَقْصُودَ البيت ، ولو أراد السعي بمعنى سُرْعَةٍ مُرَوِّرِ الزمان لقال
عَجِبْتُ لَسَعِي الدهر أَيامَ وَصَلْنَا أو ما يُشْبِهُ ذلك ، وبالجُمْلَةِ فَسادُ المَحْمَلِ
الأوَّلِ ظاهرٌ عند مَنْ له أدنى تَقَدُّ للمعاني الشُّعْرِيَّةِ .

- ٣٢ -

قال المصنف : وليس كلُّ مَنْ حَمَلَ ميزانا سُمِّيَ صَرَّافًا ، ولا كلُّ
مَنْ وَزَنَ بِهِ سُمِّيَ عَرَّافًا^(١) .

أقول : العَرَّافُ هو الكاهِنُ ، وليس الوَزْنُ من الكَهانةِ ولا يُناسِها ،
ولو قال ولا كلُّ مَنْ تَفَرَّسَ أو مَنْ تَكَهَّنَ سُمِّيَ عَرَّافًا كان أَوْلَى ، اللهم
إلا أن يُرِيدَ ليس كلُّ مَنْ وَزَنَ بِخاطِرِهِ أَيْ لَمَحَ وَتَقَدَّ سُمِّيَ عَرَّافًا ، فيجوزُ ،
لكنه تأويلٌ بعيدٌ ، وخَيْرُ الكِنَايَةِ ما كان معناه جَلِيًّا ، ويُعْمَدُ فيها مِنْ
وضوح المعنى ما لا يُحْمَدُ في كثير من الشُّعْرِ .

- ٣٣ -

قال المصنف : والفرق بين الترجيح البياني والترجيح الفقهي أن هناك
يُرْجِّحُ بَيْنَ دَلِيلَيْهِ الخُصْمَيْنِ في حكم شرعي ، وهاهنا يُرْجِّحُ بَيْنَ جانِبَيْ
فصاحةٍ وبلاغةٍ في ألفاظٍ ومعانٍ خطابية .

وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي يُرْجِّحُ بَيْنَ خبر الواحد مثلاً
وبين خبر التواتر ، وبين المُسْنَدِ والمُرْسَلِ^(٢) ، أو ما جَرَى هذا الجرى ، وهذا
لا يتعرض له صاحبُ علم البيان ، لأنه ليس من شأنه ، ولكن الذي من
شأنه أن يُرْجِّحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ ومجاز ، أو بين حَقِيقَتَيْنِ ، أو بين مجازين ،
ويكون في ذلك كله ناظرًا إلى الصَّنَاعَةِ الخطابية^(٣) .

(١) المثل السائر ١ / ٨٦ .

(٢) خبر الواحد ما رواه الواحد . التواتر هو الذي رواه جمع يؤمن نواظره على
الكذب واستمر هذا في إسناده . المسند هو الذي ذكر جميع رواياته إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم . المرسل هو الذي سقط منه الصحابي الذي رواه عن الرسول .

(٣) كان في العبارة سقط فأصلحناها من المثل السائر ١ / ٨٦ .

أقول إنه قد أطال في هذا الفصل وأسهب بما لا ثمرة له إلا تسويد الكاغد، وتضييع الزمان ، فإن كلَّ أحدٍ يَعْلَمُ أن البابَ المَعْقُودَ في هذا العِلْمِ للترجيحاتِ لا يكونُ مُتَضَمَّنًا لترجيحاتِ الفقهاء ، ولا تَرَجِيحاتِ النُّجاة ، ولا تَرَجِيحاتِ الاصوليين ، فأىُّ حاجةٍ له إلى أن يَقْصَّ هذه القِصَصَ ، وَيُطِيلَ هذه الإطالة ؟ ومن العجب قوله « وبيان ذلك » وهذه لفظة تُقَالُ فيما يَحْتَاجُ إلى بيانٍ وِزْهَانٍ . فأما مَنْ قال إن مباحثِ النُّجاةِ مثلا في باب الصَّلَةِ والموصولِ غَيْرُ مباحثِ الفلاسفةِ في ماهيةِ الزمانِ والمكانِ ، فإنه لا يَنازِعُهُ في ذلك عاقلٌ حتى يَحْتَاجُ إلى أن يقول « وبيان ذلك » .

- ٣٤ -

قال المصنف : والترجيحُ إنما يَقَعُ بينَ مَعْنَيَيْنِ يَدُلُّ عليهما لفظٌ واحدٌ ، ولا يخلو الترجيحُ بينهما من ثلاثة أقسام : إما أن يكونَ اللفظُ حَقِيقَةً في أحدهما مجازا في الآخر ، أو حَقِيقَةً فيهما معا ، أو مجازا فيهما معا .

قال : والترجيحُ بين الحقيقتين أو بين المجازين يَحْتَاجُ إلى نظر .

وأما التَّرجيحُ بين الحقيقة والمجاز فإنه يُعْلَمُ بالبديهية لمكان الاختلاف بينهما ، والشيطان الختلفان يَظْهَرُ الفرق بينهما ، بخلاف الشيتين المتشابهين^(١) .

أقول : الذي يُعْلَمُ بالبديهية هو الفرقُ بين الحقيقة والمجاز لا التَّرجيحُ ، لأنَّ إذا عَلِمْنَا في لفظٍ مُسْتَعْمَلٍ في شعرٍ أو خطابةٍ أنه مُرَدَّدٌ بين مَسْمُومَيْنِ وهو موضوع لأحدهما وضعا أو لآءٍ ومنقول إلى الآخر ثانيا ، فقد علمنا الفرقَ ، وأما ترجيحُ أحدِ المَحْمَلَيْنِ على الآخر فإنه لا يُعْلَمُ الترجيحُ بين محمليين في لفظ واحد ، وكلاهما حَقِيقَةٌ أو كلاهما مجازٌ إلا بالنظر ، ويدل على ذلك

الآية التي قد أوردتها بمد هذا الكلام بلا فصل ، وهي قوله « شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ » فإن لفظة الجلود هاهنا مترددة عنده بين الجلود الحقيقية وبين الفروجِ على سبيل المجاز ، ويحتاجُ ترجيحُ أحدِ المتخلمين على الآخر إلى نظرٍ دقيق .

قال المصنف : وبيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز قوله تعالى : « حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ^(١) » قال فالجلود هاهنا يمكن أن تكون هذه الجلود الحقيقية ، ويمكن أن يراد بها الفروج مجازا ، لكن المانع البلاغيّ منع من حمل لفظ الجلود في هذا الموضع على حقيقتها ، لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه . قال : ويمكن أن يستدلّ على ذلك من وجه آخر استنباطا بأن يقال إما أن يراد بالجلود هذه الجلود المعروفة والجوارح التي هي ذوات الأعمال ، والأول باطل ، لأن شهادة الجلود وهي غير فاعلة شهادة باطلة ، لأن المراد الإقرار بأن تقول اليدُ أنا أخذتُ كذا ، وتقول الرجلُ أنا مشيتُ إلى كذا ، وكذلك بقية الجوارح ، وهو باطل ، لأنه قد دخلَ تحته السمعُ والبصرُ فلا يكونُ لتخصيصهما بالذكر فائدةً ، أو بعض الجوارح فيكون ذلك البعض هو الفروج ، لأن حمله عليها أو لى من وجهين :

أحدهما أن الجوارحَ قد ذُكِرَتْ في القرآن شاهدةً على صاحبها بالمعصيةِ ما عدا الفرجَ ، فكان حَمْلُ الجِلْدِ عليه أو لى ليستكمل ذِكْرُ جميع الأعضاء ، والثاني أنه ليس في الجوارح ما يُكْرَهُ التصريحُ بذكره إلا الفرجُ ، فكُنِيَ عنه بالجِلْدِ كراهيةً لذكره . ثم سأل نفسه : لِمَ لا يجوز أن يراد كُلُّ الجوارحِ

ويكون ذِكْرُ السَّمْعِ والبَصَرِ من باب التفضيل كقوله تعالى : « فَاكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ » (١) وهما من الفاكهة ؟

وأجاب فقال : هذا الكلام يؤيد استدلالنا ، لأن النخل والرمّان إنما أُفْرِدَا بالذكر لفضيلتهما على الفاكهة ، وليس السمع والبصر أفضلَ وأكثرَ وزراً من غيرها من الأعضاء في المعصية ، لأن قُصَارَى العِضَيَانِ بهما إِبْصَارٌ مُحَرَّمٌ أو سَمَاعٌ مُحَرَّمٌ ، وكل ذلك لا يوجبُ الحُدُّ ، وأما غيرها من الأعضاء فيقع به الكبائرُ التي توجبُ الحدودَ ، فكان ينبغي أن تكون تلك الأعضاء هي المخصوصة بالذکر دُونَ السمع والبصر (٢) .

هذا مُلَخَّصٌ ما ذكره بعد حذف التطويلات .

أقول : أما الوجه الأولُ فليس بشيء ، لأنه ما زاد على أن قال هذا مانع بلاغِيٌّ يمنع من حَمْلِ الجلود على حقيقتها ، وأن تُحْمَلَ على الفُروَجِ ، وهذا ضعيفٌ لأنه بمنزلة قول من يقول إن الجلودَ في قوله تعالى « كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » (٣) بمعنى الفروج ، وإن هذه الآية نَزَلَتْ في الزُّنَاةِ ، وكَتَبَ عن الفُروَجِ بالجلودِ لأنها كنايةٌ لطيفة ، وأيضاً كان سبحانه قد ذَكَرَ ثلاثةَ أجزاءٍ مِنَ أجزاءِ بَدَنِ الإنسانِ ، وهي السَّمْعُ والبَصَرُ والجِلْدُ ، وقال إنها تَشْهَدُ عليهم ، فلم حَمِلَ الجِلْدُ على الفرجِ ؟ لأجل أن الفرجَ يَلِيْقُ ألا يذَكَرَ تصریحاً ، ويحسن أن يُكْتَنَى عنه بغيره أولى من أن يُحْمَلَ السَّمْعُ والبَصَرُ على الفرجِ لهذه العلة ، وإنما يتعين حَمْلُ الجلدِ على الفرجِ إذا كان بين لفظيَّ

(١) سورة الرحان ٦٨ (فيها فاكهة ونخل ورمّان) .

(٢) التل السائر ٨٨/١ .

(٣) سورة النساء ٥٦ .

الجِلْدِ وَالْفَرْجِ أَوْ مَعْنَاهَا مَنَاسِبَةٌ لِأَتَحْصِلَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْفَرْجِ وَلَا بَيْنَ الْبَصَرِ وَالْفَرْجِ ، وَنَحْنُ لَا نَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهَا بَعِيدٌ عَنِ الْفَرْجِ لِأَمْنَابَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ أَنْ الْجِلْدَ جِزءٌ مِنْ أَجْزَاءِ مَا هِيَ الْفَرْجِ ، فَمَعْبَرٌ عَنِ الْكُلِّ بِالْبَعْضِ ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًا .

فَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُ لَهُ ثَانِيًا ، وَإِبْطَالُهُ أَنْ يَرَادَ بِالْجُلُودِ هَذِهِ الْجُلُودُ الْحَقِيقِيَّةُ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلَةُ ، بِخِلَافِ الْأَعْضَاءِ كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَابَ عَنْهُ بِالضَّحْكَ مِنْ عَاقِلٍ يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْيَدَ هِيَ الَّتِي فَعَلَتْ الشَّيْءَ ، وَأَنَّ اللِّسَانَ هُوَ الَّذِي قَمَلَ النَّطْقَ ، وَهَذَا وَهْمٌ عَامٌّ لَا يَمْتَقَدُّهُ مَحْصَلٌ ، فَإِنَّمَا إِبْطَالُهُ أَنْ تَكُونَ الْجُلُودُ هِيَ جُمْلَةُ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ فَلَا يَكُونُ لِإِفْرَادِهَا بِالذِّكْرِ فَائِدَةً ، فِجَوَابِهِ مَا سَأَلَ عَنْهُ نَفْسَهُ ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مَا أَرَادَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ » .

وقوله هذا لا يجوز ، لأن العصيانَ بالسمع والبصر أخفُّ ، فيقال له بل هو هذا الترتيب ، والصحيح في نظم الكلام ، لا كما توهمته ، مثال ذلك يقال دخلتُ قريةً كذا فوثب على الولدان والنساء وكلِّ مَنْ فيها . يوَدُّ الولدان والنساء ويخصهم بالذكر ، لأنه ليس من شأنهم أَنْ يَثْبُوا بِالرَّجَالِ وَيَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ إِذَا تَرِيدُ أَنْهَ وَثَبَ عَلَيْكَ الضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ ، فَكَذَلِكَ الْآيَةُ تَقْدِيرُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مَا الْمَعْصِيَةُ بِهِ صَغِيرَةٌ ، وَالْمَعْصِيَةُ بِهِ كَبِيرَةٌ .

ثم يقال له سلّمنا أنه ليس المرادُ كلُّ الجوارح بل بعضها فلم قلتَ إن ذلك البعض هو الفرجُ ؟

وقوله « لأن سائرَ الأعضاء قد ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهَا تَشْهَدُ إِلَّا الْفَرْجَ

فوجب أن يكون هو المراد بالجلود لتكامل شهادة كل الأجزاء « باطلٌ لأنه لم يُذكر في القرآن شهادة الأعضاء ، وإنما ذُكر شهادة الأيدي والأرجل والسمع والبصر والألسنة والجلود في آيات مُتفرقة ، فأما القلوب فلم يُذكر لها صريحُ شهادةٍ ، بل قال : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » ^(١) ولا ذُكر شهادة الذوق وهي اللهاة فيما ذاقته من الحرام والحلال ، ولا شهادة حاسة اللمس بما لمسته من المحرمات ، فقد بطلَ قوله إنه إنما وقع الإخلال من جميع الأعضاء من الشهادة بالفرج وحده .

وأما قوله إنه يجبُ حمله على الفرج لأنه مما يُكرهه التصريحُ بذِكره ، فوجب أن يُجعل هذا اللفظ كنايةً عنه ، فباطلٌ ، لأنه تعالى قد ذكره في غير موضع ، فقال : « والذين هم لفروجهم حافظون » ^(٢) وقال : « وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » ^(٣) وقال تعالى : « ويعلم ما في الأرحام » ^(٤) وما رأيناه كنى في هذه المواضع بكناية أصلاً .

قال المصنف . وما أُستدل به على مُرادِ التكلم بقرينةٍ دقيقةٍ لطيفةٍ قوله صلى الله عليه وسلم « من جعل نفسه قاضياً للمسلمين فقد ذُبِحَ بغير سكينٍ » ^(٥) قال ومعناه أن مَنْ جعل قاضياً فمُدحِلَ بينه وبين نفسه وهوها ،

(١) سورة الإسراء ٣٦ .

(٢) سورة المؤمنون ٥ .

(٣) سورة النور ٣١ .

(٤) سورة لقمان ٣٤ .

(٥) النص في المثل السائر : وأما ما يستدل عليه بقرينة لبست من توابه ، فإن ذلك أرق من الأول ، وألطف مأخذاً . فما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم : من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين ، ٩٣/١ .

لأنه يكون محمولاً على الامتناع من أخذ الرشا، ومأموراً أن يحكم لعدوه على صديقه، وأن يرفع الحجاب بينه وبين الناس، ويجلس للقضاء في وقت راحته، ويُنْعَبَ نفسه ويُجْهِدُها. قال: فلما اشترك القضاء والذبح في الألم الشديد، وكان الذبح الحقيقي هو قَطْعَ الحُلُقُومِ، والقضاء هو قَطْعَ النَّفْسِ عن هواها، لا جَرَمَ كان الشخصُ الذي يُجْعَلُ قاضياً مذبوحة ذبحاً معنوياً. قال: وهذا موضعٌ غامضٌ لطيف^(١).

أقول إن تأويلات الباطنية^(٢) لآيات الكتاب العزيز أُوَقِعَ وَأَقْرَبَ إلى العقل من هذا التأويل، وكيف يجوز أن يُنسَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أرادَ هذا المعنى؟ وهل هذا إلا في قَوْمٍ أن يُقالَ من رُتِبَ قاضياً فإنه بَتَّعَبٌ، ومجدُ مَشَقَّةٍ، وينقطع عليه كثير من أوقات راحته؟ ومنصبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلُّ وأعظمُ من أن يكون هذا المقدارُ فَخْوَى كلامه.

(١) يتصرف من ١/٩٣.

(٢) فرقة من الإسماعيلية الذين ينسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق. وفي رأيهم أن الأرض ان تخلص من إمام حتى قائم إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور. ولهم آراء شتى منها أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. وأشهر ألقابهم الباطنية، ولأنهم لهذا القرب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً.

وهم يلقبون بالعراق الباطنية والقرامطة والزرديكية، ويلقبون بخراسان التعليمية والمعتدة.

ويقولون نحن إسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.

وقد خلط الباطنية القدماء كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج. ومن آرائهم نفي للصفات لأن إثباتها الحقيقي يقتضى شركة بين الله تعالى وسائر الموجودات وذلك تشبيه.

ولهم دعوة جديدة تزعمها الحسن بن محمد الصباح في القرن الخامس الهجري.

(الملل والنحل ١/١٧٠).

ومعلوم أنه إنما أُخْرِجَ هذه اللفظة مُخْرَجَ التحذير لأصحابه من القضاء ،
لما فيه من التعرض للآثامِ والمواخذةِ الأخرويةِ ، وأنه ليس كلُّ أحدٍ يَقْدِرُ
على صَبْطِ نفسه عن الميل إلى أحدِ الخصمَيْنِ ، ولا يَمْلِكُ سَوْرَةَ الفَضْبِ
التي تُفْضِي به إلى الحكمِ بغيرِ الحَقِّ ، ولا يستطيعُ تَجَنُّبَ المراقبةِ والحجابهِ
لأبناءِ الدنيا وأصحابِ السلطانِ ، ولذلك كان الصحابةُ والتابعون رضوانِ الله
عليهم يتأدَّونَ من القضاءِ ، ويفرُّونَ منه ، وَيَسْتَتِرُونَ الدَّهْرَ الاطْوَلَ إذا
نُدِبُوا إليه ، ويتحملون مشقةَ الهَرَبِ والاستِتَارِ ومفارقةِ الأوطانِ حذرا
من عِقَابِ الآخرةِ لا غَيْرُ .

وكيف يُحذِرُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أصحابه وأُمَّتهُ من الدخولِ
في القضاءِ لكَوْنِهِ مجاهدةً لهوى النفسِ ، وَكَوْنِهِ يُورِثُ التَّعَبَ والمَشَقَّةَ
الدينيةَ ، وهو يأمرهم بالجهادِ ومناهضةِ المشركينِ وقتلِ أولادهم وآبائهم
وإخوانهم في طاعةِ الله ورسوله ؟

ومعلومٌ أن ذلك أَصْعَبُ وَأَشَقُّ منا متاعبِ القضاءِ بأضعافٍ مضاعفةٍ ،
وهم مأمورون به لما فيه من ثوابِ الجهادِ ، فكذلك القضاءُ متاعبهُ ومَشاقُّهُ
مغمورةٌ بما فيه من ثوابِ الانتصارِ للحكمِ بالحَقِّ ، ونُصْرَةِ المظلومِ ، وإقامةِ
شعائرِ الإسلامِ ، وما أعلمُ ما أقولُ فيمن حَمَلَ كلامَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك التَّأويلِ الرَّدِيءِ .

قال المصنف : ومثالُ ما يتردَّدُ بَيْنَ معنيينِ وَيَحْمَلُ على أحدهما القَِيْبَةُ
المتقدمةُ في أولِ الكلامِ قوله تعالى : « لا تجملو دُعَاءَ الرسولِ بينكم كدعاءِ
بعضكم بعضا »^(١) فإنه يحتملُ أن يريد به لا تدعوه باسمه فتقولوا يا محمد ،

(١) سورة سبأ : ٥٤ .

كما يدعو بعضكم بعضاً بأسمائكم ، ويحتمل أن يُريدَ به أنكم إذا حَضَرْتُمْ في مجلسه فلا يَكُنْ حضوركم كحضوركم في مجالسكم ، أى لا تفارقوا مجلسه إلا بإذنه ، والزموامه الأدب . قال : والحمل على هذا الحمل أولى (١) لأن قيل هذه « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه » (٢) .

أقول : هذه قرينةٌ متقدمةٌ لعمرى ، ولكن في الآية قرينةٌ أخرى متأخرةٌ تقتضى حمله على حَمَلٍ آخَرَ غيرِ هذا وغيرِ الحملِ الأوَّلِ ، ولعله الأصحُّ ، وهو أن يراد بالدُّعاء الأمرُ ، يقال دَعَا فلان قومه إلى كذا أى أمرهم به وندبهمُ إليه ، قال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحْيِيكُمْ » (٣) أى ندبكم . وقال سبحانه « وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم » (٤) أى أمرتهم وندبتهم . والقرينةُ المتأخرةُ قوله « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » (٥) « فلم كان حَمَلُ الآية على ما ذكره لأجل القرينة المتقدمة أولى من حمله على هذا الحمل لأجل القرينة المتأخرة ؟

- ٣٨ -

قال المصنف في حد الحقيقة : هي اللفظُ الدالُّ على مَوْضوعِهِ الأَضْلَى ، والمجازُ ما أُريدَ به غيرُ المعنى الموضوع له في أصل اللُغة . وهو مأخوذٌ من جازَ من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه ، فالمجازُ إذنُ اسمٍ للمكان الذى يُجاز فيه ، كالمعارجِ والزَّارِ وأشباههما .

-
- ١) للثل السائر ١/٩٤ .
 - ٢) سورة النور ٦٢ .
 - ٣) سورة الأفعال ٢٤ .
 - ٤) سورة نوح ٧ .
 - ٥) سورة النور ٦٣ .

وحقيقته هو الانتقال من مكان إلى مكان ، فجُمِلَ ذلك لنقل الألفاظ من محلٍّ إلى محلٍّ (١) .

أقولُ : أما حدُّ الحقيقةِ الذي ذكره فنقوضُ بلفظِ الدَّابَّةِ إذا استُعْمِلَتْ في الدُّودِ والقَمَلَةِ ، فإنها قد دَتَّتْ على موضوعها الأصليِّ ، لأنها موضوعةٌ لما يَدِبُّ ، مع أنها بالنسبة إلى الوضعِ العُرْفِيِّ مجازٌ ، فإذن قد دخل المجازُ العُرْفِيُّ فيما جعله حدًّا لمُطَلَقِ الحقيقةِ ، وبلقطةِ الصَّلَاةِ إذا استُعْمِلَتْ في الدُّعاء ، فإنها قد دَتَّتْ على موضعها الأصليِّ ، فيكون قد دخل المجازُ الشَّرْعِيُّ فيما جعله حدًّا لمُطَلَقِ الحقيقةِ ، وهو غيرُ جائزٍ .

والواجبُ أن يُقالَ : الحقيقةُ ما أُفِيدَ بها ما وُضِعَتْ له في أصلِ الاصطلاح الذي وقعَ التخاطبُ به ، فيدخلُ في ذلك الحقيقةُ اللغويةُ والعرفيةُ والشَّرعيةُ .

فأما ما ذكره في حدِّ المجازِ فهو باطلٌ أيضاً في الحقيقتين العرفيةِ والشَّرعيةِ ، فإنهما يدلان على غير ما وُضِعَ له في الأصلِ ، وهما حقيقتان .

على أن قوله : « المجاز ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة » ليس بجيِّدٍ ، لأنه لو عَبَّرَ بالسماء عن الأرض لكان قد أَرَادَ باللفظِ غيرَ المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وليس مجازاً ، والأجودُ أن يُبدَلَ لفظ ما أريد به بلفظ ما أُفِيدَ به ، أو ما يُبدَلُ ، وفيه مع ذلك الإشكالُ الذي ذكرناه أولاً .

وأصلحُ ما قيل في حدِّ المجازِ أَنَّهُ لما أُفِيدَ به معنىٌ مصطاحٌ عليه غيرُ ما اصطاح عليه في أصلِ تلك المواضع التي وقعَ التخاطبُ بها ، لعلاقة بينه وبين المعنى الأولِ .

وهذا القيد الأخير يُتِمُّ تحديدَ المجازِ ، لأنه لولا تلك العلاقة لما كان مجازاً من الأول ، بل كان وضماً جديداً .

ومن العَجَبِ أن هذا الرجل قال : « المجاز اسم للمكان الذي يُجاز فيه » ثم قال عَقِبَهُ بلا فصل : « المجاز هو الانتقال من مكان إلى مكان ^(١) » فتارةً يجعل الفعل هاهنا اسماً للمكان كالمقام لموضع الإقامة ، وتارةً يجعله اسماً للمصدر كالمقام من قال يقول قولاً ومقالاً ، وهذه مناقضة ظاهرة .

فأما قوله : « فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل » فإنه أراد من مُسَمَّى يعدل عن اللفظ الجيد إلى اللفظ الرديء ، فإنه يوهم أن المعنى شيء يحل فيه اللفظ ، ولسنا نضايقه في ذلك وأمثاله .

قال المصنف : والفرق بين الحقيقة والمجاز بتبادُرِ الفهم عند الإطلاق إلى الحقيقة دون المجاز ، كالشمس لهذا الكوكب المخصوص دون الوجه المستحسن فإن قلت : فإننا نرى الألفاظ تُبادِرُ عند سماع كثيرٍ من الألفاظ العرفية إلى غير حقائقها الأصلية ، كالفائض الذي لا يفهم منه إلا الحاجة المخصوصة دون المظمن من الأرض . قلت هذا شيء يذكركه الفقهاء ولا طائل له ، لأن المعتبر بمبادرة أفعال الخاصة من الناس لا العامة ، كالحدادين والنجارين والمخازين والحائك والاساكفة ، ومعلوم أن الخواص من العلماء لا يفهمون من الفائض إلا المظمن من الأرض . قال : والعجب من الفقهاء كيف دَوَّوْا هذا وذهبوا إليه ^(٢) .

(١) اللؤلؤ السائر ١/١٠٥ .

(٢) ملخص من ١٠٦/١ وما بعدها .

أقول: الجواب الصحيح أن يُقال إن تبادُرَ الأفهام إلى أن المراد بالفائض الحاجةُ المخصوصةُ ، وبالذَّابَةِ الفَرَسُ ، وبالرَّأوِيَةِ المَزَادَةُ ، وبالمَلِكِ الرَّسُولُ الرَّوْحَانِي خَاصَّةً ، دليلٌ على أن هذه الألفاظَ حقائق في الوضع العرْفِي الجديد ، وذلك لا يَنْقُضُ قَوْلَنَا إن تبادُرَ الافهام إلى المعنى دليلٌ على أن اللفظ حقيقةٌ فيه ، لأنَّنا قد قلنا به وَجِبِهِ ، وجعلنا هذه الألفاظَ حقائقَ ، ولكنها عُرْفِيَّاتٌ . فأمَّا الجواب الذي أجاب به فليس بِجَيِّدٍ ، لأنه إما أن يُنْفِىَ الحقائقَ ، العُرْفِيَّةَ أو يُثْبِتُهَا ، فإن أثبتتها فقد بَطَلَ قَوْلُهُ إنه لا إعتبار بمواضع أهل العُرْفِ ، وإن نفاها فهو باطلٌ ، لأن الحقائق الأصلية اللغوية ما كانت حقائق لقرآن أنزله الله تعالى فيها ، بل لأن طائفةً من الناس تواضعوا عليها ، فلأى حال كانت مواضع العَرَبِ في الجاهلية على ألفاظٍ مخصوصة لمعان مخصوصة تقتضى جعلها حقائقَ في مُسَمِّيَّاتِهَا ، ولاتكون مواضعُ طائفةٍ أخرى موجودين الآن على ألفاظٍ مخصوصة لمعانٍ مخصوصةٍ تقتضى جعلها حقائقَ في مُسَمِّيَّاتِهَا ؟

أليس وَضَعُ الأَكْرَادِ والفَرَسِ والتَّرِكِ والرُّومِ لغاتهم وألفاظهم لمعانٍ قد اصطالحوا عليها بينهم يُوجِبُ جَعْلَ تلك الألفاظِ حقائقَ فيما وَضِعَتْ له ؟ فليس الأمرُ في هذا الباب موقوفاً على مواضعِ العرب قبل الإسلام ، فقد ظهر أن الذى دَوَّنه الفقهاء هو الحقُّ ، وأن ما اعترضهم به ليس بِحَقٍّ .

ونحن نستنبط بعد هذا من نَصِّ كلامه ما نَحْضُهُ به ، وننتصر به للفقهاء عليه ، وذلك أنه قال ما هذه صورته : إن كان إطلاق اللفظ بين عامة الناس من إشكافٍ وَحَدَادٍ وَنِجَارٍ وَخَبَازٍ وَمَنْ جَرَى مجراهم ، فهؤلاء لا اعتبارَ بهم ولا اعتدادَ بأقوالهم .

فيقالُ له ما تعني بالإشكافِ ؟ كلُّ صانعٍ أم صانعِ النِّعالِ خاصة ؟

فإن قال صانع النعال خاصة، قيل له فأنت من الخاصة لا من العامة، وقد تبادر ذهنك إلى ما ليس بحقيقة أصلية، لأن كلَّ صانعٍ إسكافٌ عند العرب، وكتب اللغة كلها تشهد بذلك. وإن قال أردتُ كلَّ صانع، قيل له لا تماط، فإنك قلتَ من إسكافٍ وحدادٍ ونجارٍ وخباز، فجعلت الإسكافَ صاحبَ صناعةٍ مفردةً كالنجار والحداد، ولو أردتَ العمومَ لقلتَ من حدادٍ ونجارٍ وخبازٍ وغيرهم من الأساكفة، ولم تقل ذلك.

فإذا كان نصُّ كلامك يشهدُ عليك أن ذهنك قد تبادر إلى الاصطلاح العرُفيِّ وهو قصرُ لفظةِ الدَّابةِ على هذا الحيوانِ المخصوص، فقد بطلَ قولك إنه لا يتبادر إلى أفهام الخاصة عند إطلاق كلِّ لفظٍ إلا حقيقتهُ لا غيرُ.

قال المصنف: والفرق بين الحقيقة والمجاز أنَّ الحقيقة جائزةٌ على العموم في نظائرها، كقولنا فلان عالم، يصدق على كل ذي علم، بخلاف: « واسأل القرية ^(١) » لأنه لا يصحُّ إلا في بعض الجمادات دون بعض، إذ المرادُ به أهلُ القرية، لأنهم ممن يصحُّ السؤال عنهم، ولا يجوز أن يُقالُ واسأل الحجر والتراب ^(٢).

أقول: أما دعوى وجود أطراد الحقيقة ففيه كلامٌ، فإننا قد رأيناها غير مطرّدة في مواردنا، إما لأنَّ العقلَ يمنعُ من ذلك، كلفظة الدليل عند من يقولُ إنه حقيقة في فاعل الدلالة، فإنه لما كثر استعماله في نفس

(١) سورة يوسف ٨٢ .

(٢) المثل السائر ١/١١٠ .

الدلالة لا جرم لم يحسن استعماله في حق الله تعالى إلا مقيداً كقولهم : يادليل المتحيرين ، وإما لأن الشرع يمنع من ذلك ، كتسميته تعالى بالفاضل والسخي ، فإن الشرع يمنع من ذلك ، مع حصول حقيقتها له تعالى ، وإما لأن اللغة تمنع من ذلك ، كامتناع استعمال الأتلق في غير الفرس ، ولا يصح أن يُعتدَر عنه بأن الأتلق موضوع للملون بهذين اللونين ، بشرط أن يكون فرساً ، لأنه يلزم عليه أن يجوز في كل مجاز لا يطرد أن يكون سبب عدم اطراده لاشتراط كونه ذلك المسمى بعينه ، وحينئذ لا يمكن الاستدراك بعدم الاطراد على كونه مجازاً .

وأما قوله « عالم » لما كان موضوعاً لذي العلم اطرده في كل علم ، « واسأل القرية » لم يطرد في كل الجمادات ، فإنه استدلال على أمر كلى بصورة جزئية .

ومن أين له أن كل حقيقة فإنها جارية في الاطراد تجرَى قولنا « عالم » لذي العلم ، وأن كل المجازات لا تطرد كقوله « واسأل القرية » ؟ ولم لا يجوز أن يكون المجاوز وإن لم يجب اطراده فإن بعضه قد يطرد لا على سبيل الوجوب ؟

ولا يمكن أن يدعى أنه قد استقرى الألفاظ كلها فلم يجد فيها مجازاً مطرداً ، ولو كان ذلك قد وقع لكانت ألفاظ المجاز كلها قد علمت وعلم أن ما عداها حقيقة قبل العلم بنفي اطرادها ، وذلك يقتضى أن يكون الفرق بين الحقيقة والمجاز قد وقع قبل هذه الدلالة .

قال المصنف : واعلم أن كل مجازٍ فله حقيقةٌ ، لأنه لا يصح أن يُطلق عليه اسمُ المجازِ إلا لقلبه عن حقيقةٍ موضوعةٍ له ، وليس من ضرورة كل حقيقة أن تكون مجازاً ، فإن من الأسماء ما لا تجاز له ، كأسماء الأعلام التي وُضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات (١) .

أقول : هذا يدلُّ على أنه يتوهم أن أسماء الأعلام حقائق في الأشخاص المسمين بها ، وليس كما توهمه ، لأن الحقيقة ما أُفيدَ به ما وُضِعَ له ، ونعني بقولنا ما وُضِعَ له وُضِعَ أهل اللغة وأرباب الاصطلاح ، فتكون اللفظة حقيقةً تبعاً لكونها موضوعةً لشيء قبل استعمال المستعمل ، حتى إذا استعملها المستعملُ فيما وُضِعَتْ له كانت حقيقةً فيه ، وأسماء الأعلام لم تقع على مسمياتها المعنوية بوضع من أهل اللغة ولامن الشرع حتى يكون من أتبعهم فيها في أصل موضوعهم فقد استعملها على حقيقتها .

وهذا الكلام كما ينبغي أن تكون الحقيقةً داخلةً في أسماء الأعلام ينبغي أن يكون المجاز أيضاً داخلاً فيها .

والصواب أن يقال : المجاز هو المستعمل في غير موضوعه الأصلي لمشابهة بينهما . وهذا تصريح بأن من ضرورة تحقيق المجاز ثبوت الحقيقة ، وليس يلزم من كون اللفظ موضوعاً لشيء أن يصير موضوعاً لشيء آخر بينه وبين الأول مشابهةً ومناسبةً ، لجواز أن يُعَدَّ ذلك عن بعض المسميات .

(١) المثل السائر ١/١١٠ : بتصرف .

وهاهنا دقيقةٌ ، وهي أن دلالة اللفظ على المعنى في الموضوع الأول فد خلت عن كونها حقيقةً ومجازاً ، لأن الحقيقة استعمالُ اللفظ في موضوعه الأصلي ، فلا تكون الحقيقة حقيقةً إلا إذا كانت مسبوقاً بالوضع الأول ، والمجاز هو المستعملُ في غير موضوعه الأصلي ، فيكون هو أيضاً مسبوقاً بالوضع الأول ، فثبت أن شرطَ كونِ اللفظ حقيقةً أو مجازاً حصولُ الوضعِ الأول ، فالوضع الأول واجب ألا يكون حقيقةً ولا مجازاً .

وهذا الكلامُ على ظاهره يقدحُ في قولنا المجاز فرع الحقيقة ، ومتى وجدَ الأصلُ فالمجازُ لا يكون مجازاً إلا والحقيقةُ موجودةٌ ، لأن المجاز لا يستدعي إلا مجردَ كونهِ موضوعاً قبلاً ذلك لمعنى آخر ، فهو يتوقف على ذلك فقط لا على الحقيقة ، لأن الوضع الأول ليس بحقيقة .

وجوابه أننا لا ندعي أن المجاز يتوقف على الحقيقة ، بل متوقفٌ على أنه موضوع في الأصل لمعنى آخر ، متى استعمل اللفظ في ذلك الموضوع كان حقيقةً .

قال المصنف : فأما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقد أكثر الناس فيه ، وخلاصةُ ما ذكروه أن الفصاحة هي الظهور ، يقال أفصحَ بفتح إذا ظهرَ ، ثم يقفون عند هذا ولا يكشفون عن السرفية^(١) .

أقول : قد وقفت لأبي محمد بن الحشَّاب على رسالة في الفرق بين الفصاحة والبلاغة أتى فيها بنوادر شريفة . وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتاب

الصناعتين كلاما جيدا في هذا المعنى^(١) . وقد ذكرنا نحن في كتاب « العبقري » الحسان « أقوالا كثيرة في هذا الباب ، وما أظن أن أحدا ممن يتصدى لكلام في هذا الفن إلا وقد قال قولا بالغا في هذه المسألة ، فما أعلم كيف يدعى هذا الرجل على الناس أنهم يقتصرون في هذا البحث بتيفك اللفظتين لا غير .

(١) قل أبو هلال العسكري : البلاغة من قولهم بانفت الغاية إذا انتهت إليها ، وبلغتها فقيرى ، وبلغ الشئ منتهاه ، والمبالغة في الشئ الانتهاء إلى غايته . فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ، وهى البلاغ أيضا . ويقال للدنيا بلاغ لأنها تؤدي إلى الآخرة . والبلاغ أيضا التبليغ في قول الله عز وجل : « هذا بلاغ للناس » أى تبليغ . ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغا ، كما يقال نبل نبالة إذا صار نبيلًا . ويقال : أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه .

والبلاغة من صفة الكلام لامن صفة المتكلم ، وتسمية المتكلم بأنه بليغ توسع ، والحقيقة أن كلامه بليغ ، كما تقول فلان رجلكم محكم والحقيقة أن أفناله محكمة ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية الزائدة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل الزائدة وهو البعير ونحوه ، ولنا سمي حامل الشعر راوية .

فأما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وأفصح الصبح إذا أضاء ، وأفصح اللبن إذا أنجحت رغوته فظهر . وأفصح الأجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح وبين .

وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجمان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له .

وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان ، فلا يسمى الألتغ والتتمام فصيحين ، لنقصان آلتها عن إقامة الحروف ، وعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، لأن الفصاحة تمام آلة البيان ، فهى مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هى إنهاء المعنى إلى القلب ، فسكانها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن البيغاء يسمى فصيحًا ولا يسمى بليغًا ؛ إذ هو يقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذى يؤديه . ويجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحًا بليغًا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكبره فح ولا متكاف وخم ، ولا يمتنه من أحد الاسمين شئ ، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه نظامه وفضل حزالة سمي بليغًا ولم يسم فصيحًا .

قال المصنف : ولا يجوز أن تُفسَّر الفصاحة بهذا لوجهين : أحدهما أن اللفظ قد يكون ظاهر المعنى عند زيد لا عند عمرو ، فيجب أن يكون فصيحاً غير فصيح ، وهذا محالٌ ، بل الفصح يجب أن يكون فصيحاً مطلقاً .

والثاني أن اللفظ القبيح الذي يندبو عنه السمع ولكنه ظاهر المعنى يجب أن يكون فصيحاً ، وهذا محالٌ ، لأن الفصاحة وصفٌ حسنٌ ، فلا يجوز أن يكون اللفظ قبيحاً^(١) .

أقول إن أرباب علم البيان لم يقتصروا في حد الفصاحة على أنها ظهور المعنى من اللفظ فقط ، بل قالوا في حدّها وحقيقتها ما يعرفه من تمارس كتبهم ، ولو قالوا ذلك لم يكن ما أورده عليهم قادحاً في كلامهم .

أما الوجه الأول فإنه ليس من شرط الفصح أن يكون ظاهراً مكشوف المعنى لكل سامع ، فإن الزنج والرؤم لا يفهمان المراد بالقرآن ، ولا يقدح ذلك في كونه فصيحاً ، والفصاحة أمر نسبي لأنها صفة اللفظ ، واللغات والألفاظ تختلف باختلاف الأمم قرونها وبلادها .

وأما الوجه الثاني فلأن القبيح الظاهر المعنى فصيحٌ من حيث ظهور معناه وإن كان قبيحاً من وجه آخر ، ونظير ذلك الكلام الفصح يتصمّن شتم الأنبياء والتناء على إبليس والشياطين أو غير ذلك من الوجوه التي يقبح

(١) ذكر ابن الأثير ثلاثة اعتراضات ، لمس ابن أبي الحديد ثانيها وثالثها ، ولم يذكر أولها وهو : أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهراً بينما لم يكن فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً
المثل السائر ١ / ١١٣ .

لأجلها ، فإنه حسنٌ من وجهٍ وقبيحٌ من وجه ، وليس يُلزَمُ من قبحِ الشيء من جهةٍ ألا يكون حسناً من جهةٍ أخرى ، كما لا يلزم من كَوْنِ سماعِ صَوْتِ العودِ حراماً ألا يكون لذيذاً .

قال المصنف : والفصاحةُ مختصةٌ بالألفاظِ دون المعاني ، لوجوه منها أن الفصيح هو المألوف الاستعمال ، وإنما كان مألوف الاستعمال لحسنه ، وحسنه يُدركُ بالسمع ، لأنه أمرٌ عائدٌ إلى تركيبِ حروفه وخففتها وتباعدِ مخارجِها ، والذي يُدركُ بالسمع يكون صوتاً يأتلف من مخارج الحروف ، وكل ما ليس بسموع لا يكون فصيحاً^(١) .

أقول هذا الكلام يحتمل أمرين : أحدهما أن يجعلَ حدَّ الفصاحة هي الألفاظُ المألوفةُ الاستعمال ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال لخفتها وسلاستها . والآخر ألا يجعلَ ذلك حدّاً للفصاحة ، بل مراده تعليل اختصاص اللفظ بوصف الفصاحة ، وكون المعاني لا يجوز أن توصفَ بالفصاحة .

فإن أرادَ الأوّلَ لم نضابقِ على ذلك ، لأن لكل واحد أن يتكلم بما شاء ، ويقول عنيتُ به كذا وكذا . وإن أرادَ الثاني وهو الظاهر من كلامه قيل له إن كان كثرةُ الاستعمال وسلاسةُ اللفظ تُوجبُ أن يُسمَى اللفظُ فصيحاً فليس

(١) المثل السائر ١ / ١١٥ وليست به هذه الجملة (وكل ما ليس بسموع لا يكون فصيحاً) بل ملخص قوله : إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة ، لأنها مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال لمكان حسنها ، لأن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها ، فاختروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه ، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها لظهورها وبيانها ، فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن .

ذلك بمنع من أن توجد دلالة أخرى على تسمية المعنى فصيحاً ، فليس ذلك بمنع ، لأن دلالة على ما تدعيه لا توجب انتفاء الأدلة على إطلاق هذه اللفظة على المعنى ، فغاية ما في الباب أنك استدلت على أن اللفظ يطلق عليه الوصف بالفصاحة ، فلم قلت إن الوصف بالفصاحة لا يطلق على المعاني ؟

قال المصنف : وأيضاً فإن لفظي المُرْتَنَة والِدِيْمَة كلفظة البُعاق ، فكل واحد من هذه الألفاظ يدلُّ على معنى واحد ، ولو كانت الفصاحة ترجع إلى المعاني لما اختلفت هذه الألفاظ ، ولا كان فيها ما يُستحسن استعماله ، وفيها ما يُستقبح ، لأنها في الدلالة على المعنى سواء . لكن لا ريب في حُسن استعمال اللفظتين الأوليين ، وأما لفظة البُعاق فقيحة منكرة^(١) .

أقول إن هذا الرجل يتوهم أن مَنْ قال إن المعاني قد توصف بالفصاحة فقد أراد المعاني المفردة ، وهذا غلط ، فإن أحدا لم يقل ذلك .

وإنما قالوا إن الكلام المرْكَب الدَّالُّ على معنى قد يُسمى فصيحاً أيضاً ، وقد يقولون لمعنيين أحدهما أكثرُ بيانا وأَوْضَحُ عند السامعين : هذا المعنى أفصح من هذا ، بل قد يقال له بليغ ، والفصاحة للألفاظ ، فوقع بينهم النزاع في ذلك ، لافي اللفظة المفردة الدالَّة على المسى المفرد .

قال المصنف : وأيضاً فإن الفصيح على وزن فَعِيل بمعنى فاعل ، نحو كريم

وشريف ولطيف ، والفاعل للإبانة عن المعنى هو اللفظ لا غير ، وكانت الفصاحة مختصةً به لا غير^(١) .

أقول إن هذا الموضع من المواضع التي اشتبهت على هذا الرجل ، وذلك أن أفعال الطبائع نحو فصيح وظريف وشريف وكريم إنما تُعطى الأتصاف بتلك الصفة فقط ، ولا تُعطى معنى الفاعلية أصلاً ، ولا تدل على المؤثر . ألا ترى أن قولنا كريم واطيف لا يدل على أنه فعل الكرم واللطف ، وإنما يدل على أنه ذو لطف وكرم فقط ، مع قطع النظر عن الفاعل لهما من هو .

فالفصيح معناه ذو الفصاحة ، لا فاعل الفصاحة ، كالجميل والصبيح معناها ذو الجمال والصباحة لفاعلهما ، وهذا الرجل توهم أن فصيحاً فاعل الفصاحة ، ثم بَيَّ الدليل على هذا وقال إن فاعل الإبانة للمعنى والمسكيت له هو اللفظ ، فكان الفصيح هو اللفظ ، وهذا من الغلط على ما تراه .

وعلى أنه لو كان ما توهمه صحيحاً لكان لخصمه أن يقول : المعنى الواضح هو الذي فعل الفهم والإدراك في نفس السامع ، وأوضحه له فأنكشف له فخواه ومفراه ، فهلاً سميت المعنى فصيحاً بهذا الاعتبار ؟

وإن النزاع في هذه المسألة لفظي تخض . والذي قاله المحققون أنا وجدنا الاصطلاح واللغة يشهدان بأن الفصاحة للألفاظ والبلاغة المعاني ، فإنهم يقولون : هذا معنى دقيق ، وهذا معنى غامض ، ولهذا يقولون في الحيوان غير الناطق كالببغاء هو فصيح ، لإقامته الحروف ولا يسمونه بليفاً ، إذ ليس له

تَمَسَّدُ إِلَى الْمَعْنَى ، وَإِذَا كَانَ أَهْلُ اللَّفْظِ وَالِاسْتِعْمَالِ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ وَجَبَ اتِّبَاعُهُمْ لِأَنَّ الْبَحْثَ لَفْظِي .

قال المصنف : واعلم أن البيانَ علمٌ عقلي يُدْرِكُ بِالذَّوْقِ وَالْعَقْلِ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ ، وليس كعلم النحو ، فإنه تقليدُ العُرفِ ، والذي تَكَلَّفَهُ النَّحَاةُ مِنَ التَّمَلُّاتِ وَاهٍ لَا يَثْبِتُ عَلَى تَحَكُّمِ النَّظَرِ ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَمِعُوا مِنْ وَاضِحِ اللَّفْظِ رَفَعَ الْفَاعِلِ وَنَصَبَ الْمَفْعُولِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ أَبْدَاهُ لَهُمْ ، فَاسْتَخْرَجُوا لِذَلِكَ أُدْلَةً وَعِلَلًا ، وَإِلَّا فَنَ أَيْنَ عِلْمٌ هُوَ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتِ الْوَاضِحَ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصَبِ الْمَفْعُولِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ أَبْدَاهُ الَّتِي ذَكَرُوهَا^(١) .

أقول : إن كان هذا الرجل ممن يَنْفِي الْقِيَّاسَ فِي الشَّرْعِيَّاتِ كَلَّمَنَاهُ كَلَامًا أُصُولِيًّا كَمَا تَكَلَّمَ الشَّيْخَةُ وَالنِّزَامُ^(٢) وَأَهْلُ الظَّاهِرِ^(٣) وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ نَفَى الْقِيَّاسَ فِي الْفِقْهِ ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَرِفُ بِالْقِيَّاسِ فِي الشَّرْعِيَّاتِ فَالْقِيَّاسُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ كَقِيَّاسِ فِي النَّحْوِيَّاتِ ، لِأَنَّا عَلِمْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتِ الْوَاضِحَ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصَبِ الْمَفْعُولِ هِيَ الْوَجُوهُ الَّتِي يَذْكُرُهَا النَّحَاةُ ، لِكُونِهَا

(١) بصرف من ١١٩/١ .

(٢) النِّزَامُ هُوَ لِابْرَاهِيمَ بْنِ سِيَّارِ بْنِ هَانِيءِ الْبَصْرِيِّ ، انْفَرَدَ فِي الْاِهْتِزَالِ بِمَذْهَبِ خَاسٍ ، وَكَانَ أَسَاتِذَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ مُتَكَلِّمًا عَالِمًا أُدْبِيًّا لَهُ نَثْرٌ جَيِّدٌ وَشِعْرٌ رَفِيقٌ ، وَوَقَدْ بَقِيَ مَذْهَبُهُ الْكَلَامِيُّ عَلَى الشُّكِّ وَالنَّجْرِيَّةِ . تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٢١ هـ .

(٣) أَهْلُ الظَّاهِرِ هُمُ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ الرَّأْيَ وَالْقِيَّاسَ ، أَسَّسَ لِلْمَذْهَبِ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ الْأَصْفَهَانِيُّ الْأَصْلُ الْبَغْدَادِيُّ الدَّارِ ، وَعَمَادُ مَذْهَبِهِ لِانْكَارِ الْقِيَّاسِ ، وَالِاِهْتِمَادِ عَلَى أَنَّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَبْقَى بِعَمْرِقَةِ الْوَجَابِيَّاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ ، وَالْجُرْيِ عَلَى تَقْدِيمِ ظَوَاهِرِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ عَلَى التَّمَلُّيلِ الْعَقْلِيِّ لِلْأَحْكَامِ .

مَاتَ بِبَغْدَادٍ سَنَةَ ٢٧٠ هـ وَنَشَرَ مَذْهَبَهُ بِمَدِينَةِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ لِتُوُفِيَ سَنَةَ ٢٧٩ هـ .

وَوَقَدْ كَثُرَ اتِّبَاعُ الْمَذْهَبِ بِالْعِرَاقِ وَفَارَسَ وَالْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ انْقَرَضُوا بِمَدِينَةِ الْحَامَةِ .

مناسبةً ، والحكم ثابت على وَقْفِهَا ، نحو قولهم الفاعل للفعل الواحد لا يكون إلا واحداً ، والمفعولات قد تكثر وتتعدد ، والفعلُ واحدٌ ويتعمدُ مع ذلك إلى أشياء ، كالمفعولات في المعنى نحو الحال والظرف والمصدر ، فكان الفاعل أَخْفَ لِقَلْبَتِهِ ، فَأَعْطِيَ الرَّفْعَ وهو أَثْقَلُ الحركات تَمْدِيلاً بين الثقيل والخفيف . ونحو قولهم لَمَّا كَانَ الفَعْلُ وَالْفَاعِلُ جَمَلَةً مُفِيدَةً كالمبتدأ والخبر أُعْطِيَ الفاعلُ إعرابَ المبتدأ وهو الرفع للمشابهة بينهما من الجهة المذكورة ، وغير ذلك من الوجوه التي قد ذكرناها في كتاب (العبقري الحسان) وذكرها غيرنا ، فصار ذلك كتحليلِ سُقُوطِ قَضَاءِ الصَّلَاةِ عَنِ الحَائِضِ بِالمَشَقَّةِ ، فإنه مناسبٌ ، وقد ثَبَتَ الحُكْمُ عَلَى وَقْفِهِ فِي سُقُوطِ قَضَاءِ الرُّكْعَتَيْنِ المُنْقَطِعَتَيْنِ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي السَّفَرِ ، فهذا تحليلٌ متفقٌ بين القايسين على صحته . ولم يكن لقائل أن يقول من أين علمتم أن الحكمة التي دعت إلى إسقاط قضاء الصلاة عن الحائض هي المشقة ، لأن الشارع لم يذكر ذلك ، وإنما حَكَمَ بسقوط القضاء فقط ولم يذكر العلة .

قال المصنف : فأما نثر المنظوم فينبغي أن يكون كذا وكذا ، ثم ذكر له شروطاً ، وضرب من كلامه أمثلة أكثرها جيداً ، وفيها ما ليس بجيد مثل قوله : « فِسرْنَا فِي غَمَامَةٍ مِنَ الكِتَابِ ، تَظَلُّهَا غَمَامَةٌ مِنَ الطُّيُورِ الْأَشَائِبِ ، فَهَذِهِ يَضُمُّهَا بَحْرٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَهَذِهِ يَضُمُّهَا بَحْرٌ مِنْ صَمِيدٍ » ^(١) وذلك لأن الصعيد وجه الأرض ، والطيور التي تظل الجيش إنما يضمها بحر من الجو والهواء لا من الأرض . ومثل قوله في ذكر الصليب : « ولم يعلموا أن الله كتب عليه الهوان

(١) بتصرف واختصار ١٤١/١ وأصلنا النص من المثل السائر .

عَقِبَ تِلْكَ الْكِرَامَةَ، وَأَنَّهُ ذُو شَعْبٍ أَرْبَعٍ، وَالتَّرْبِيعُ نَحْسٌ فِي عِلْمِ النُّجُومَةِ^(١)»
فإن لفظة النجماء لفظة رديئة مستغفلة ، على أن لا نَعْرِفُ صَحَّتْهَا أَوْ جَوَازَهَا ،
وَلَا سَمِعْنَاهَا إِسْمًا لِلتَّنَجِيمِ وَلَا مُصَدَّرًا .

ومثل قوله: « قد عَدَّ الخادمَ اِحْتِمَالَ تَثْقِيلِهِ مِنْ جُلَّةِ الْإِيَادِي الَّتِي أَثْقَلَتْهُ
وَأَرَادَ أَنْ يَنْجِرِي مَعَهَا بِسَوَابِقِ شُكْرِهِ فَأَعَجَلَتْهُ وَمَا أَمَهَلَتْهُ ، وَهُوَ الْآنَ
مُرْتَهَنٌ مِنْهَا بَيْنَ قَدِيمٍ وَجَدِيدٍ ، وَأَصْبَحَ كَخِرَاشٍ إِذْ تَكَاثَرَتِ الطَّبَّاءُ عَلَيْهِ
فَلَا يَدْرِي لِكَثْرَتِهَا مَا يَصِيدُ^(٢) » فَإِنْ تَشَبَّهَ نَفْسَهُ بِخِرَاشٍ قَبِيحٌ جَدًّا ، لِأَنَّهُ
إِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ خِرَاشًا فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْمُ كَلْبٍ فَهُوَ مَعْدُورٌ ، حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ
مُرَادَ الشَّاعِرِ ، وَإِنْ كَانَ يَدْرِي فَقَدْ شَبَّهَ نَفْسَهُ تَشْبِيهًا قَبِيحًا . أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي
اسْتَقْبَحَ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَوْلَ الرَّضَوِيِّ الْمَوْسَوِيِّ^(٣) :

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ جَانِبَيْكَ مَقَاعِدُ الْعُوَادِ
لَأَجْلِ لَفْظَةِ مَقَاعِدُ؟

وقول أبي الطيب المتنبي :

أَذَاقَ الْفَوَائِي حُسْنَهُ مَا أَذَقْتَنِي وَعَفَّ فِجَازَهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرَمِ^(٤)

(١) ١٤٥/١

(٢) ١٤٨/١

(٣) هو الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ينتهي نسبه إلى الحسين
ابن علي ولد ببغداد سنة ٣٥٩ وكان من أكابر الشعراء .

(٤) صحنا البيت من ديوان المتنبي ، وهو من قصيدته في مدح الحسين بن إسحاق

الغنوشي التي مطلعها :

ملاي النوى في ظلها غايه الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم

الديوان ٢/٣٢٠

وقد استقبح ابن الأثير بيت المتنبي وقال : وإن الصرم في اللغة القطع ، فغيرها العامة ، =

لأجل لفظة الصرم .

وقول أبي تمام :

أعطيتني دبة القليل وليس لي عقلٌ ولا حقٌ عليك قديم^(١)

لأجل قوله ليس لي عقل .

ومثل قوله^(٢) في صفة فرس : وخَلَفَهَا جَنِيبٌ من الخليل يُقْبِلُ بِجِدْعٍ
وَيُدْبِرُ بِصَخْرَةٍ ، وينظر من عَيْنٍ جَحْظَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ حَشْرَةٍ «^(٣) فَإِنَا
مَاسِمْنَا إِلا عَيْنَا جَاحِظَةٌ ولم نسمع جَحْظَةً ، ولو قال من عين حَذِرَةٌ لاستغنى عن
جَحْظَةٍ التي لم تستعمل .

وقد كان زاد في القرائن قرينة ، وأتى بلفظة اسرىء القيس في قوله :

وَعَيْنٌ لَهَا حَذِرَةٌ بَدْرَةٌ شَقَّتْ مَا قِيَمَا مِنْ أُخْرٍ^(٤)

والعين الحذرة هي المكتنزة الصلبة .

وجعلتها دالة على الحمل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صاداً ، ومن أجل ذلك
استكراه استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها ، لكن للكروه منها ما يستعمل على صيغة
الاسمية ، كما جاءت في هذا البيت . وإذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرمة وتصرم
فإنها لا تكون كريمة ، لأن استعمال العامة لا يدخل في ذلك .
(المثل السائر ١ / ٢٥٥) .

(١) من قصيدته في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة التي مطلعها :

أَسْقَى طَلُوعَهُمْ أَجْسِدَ هَزِيمٍ وَغَدَّتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٍ

الديوان ٢٩٢/٣ .

(٢) بريد ابن الأنثى .

(٣) من كتاب له ١ / ١٥٤ .

(٤) صوبنا البيت من لسان العرب مادة آخر . قاله امرؤ القيس في وصف فرس حجر

- أتى - . عين حذرة : مكتنزة صلبة . بدرة : تبدر بالنظر ، ويقال هي النامة كالبدرة .
شقت من آخر : مفتوحة كأنها شقت من مؤخرها .

ومثل قوله إن إنسانا كلفه أن يُرَّصَّ قوله «إن الملائكة لا تدخلُ بيتا فيه صورة ولا تمثال» في فصل من الكتابة فقال «قد أصبح الخادم وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يظهر أثره في طاعة السرِّ ، وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداها فإن دخوله إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تدخلُ بيتا فيه تمثال ولا صورة» (١) .

فإن ترصيع الخبر في هذا المقصد بعيدٌ جدا ، لأن الولاء والإيمان ليسا بصورة ولا تمثال . ثم إن ما عداها أمرٌ يُغمُّ ويتسع جدا إلى ما لا نهاية له ، وقد يكون مضادا لها كالكفر والنفاق ، ولا يحسنُ أن يقال الكفر ونية الخروج على الإمام لا يدخلان في قلب ، لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال ، ولا هذا مناسبٌ ذاك ، ولا قريبٌ منه ، وقد سألت بعض الأصدقاء هل يمكن استعمالُ هذا الخبر في الكتابة وإخراجه في معرض آخر ، أظن من هذا . فقلت : قد يمكن ذلك بأن يكتب إلى صديق أو حبيب : قد تمثَّلتُ صورتك في سوادِ العينِ وسويداءِ الجنانِ ، وملأت أقطارها ، فلم يبقَ لغيرها فيهما مكان ، فإذا صليت الظهر لم أعلم أركعتان هي أم ثمان ؟ وقد منعت صورتك القلبية محالها من اعتقاد الهدى ، وفرغته لاعتقاد الضلال ، لأنهما من آثار الملك والشیطان ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال .

واعلم أن هذا الباب وهو حلَّ النظم هو عين هذا الكتاب وخلاصته ووجه جميعه ، وطراز حلتِهِ ، وكأنه لم يُصنَّفْهُ إلا لأجله ، وليظهر صناعته فيه .

على أن كتابته كلها إذا تاملها العارف بهذا الفن وجدّها من هذا الباب، لأنها إما مأخوذة من منظوم، أو ترصيع آية أو خبر أو مثل أو واقعة، وهذه إحدى طرائق الكتاب عندي، وإليها أذهب، ولها أستعمل.

وقد كنت شرعت في حلّ سيفيات أبي الطيب المتنبي^(١) لشهرتها، وغلبتها على ألسنة الناس، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أتقرب به أيضاً إلى الخزانة الشريفة - عمرها الله تعالى - فخرج بمضه، وصدفة عن إمامه عوائق الوقت أو شوائغه.

وأنا أوردتها هنا بمض ذلك، ليكون معارضاً لما جاء به هذا الرجل، ولكيلا يكون كتابنا هذا مقصوداً على المناقضات النظرية والمؤاخذات الجدلية في علم الكتابة فقط، بل يكون حاوياً لذلك، ولجزء من الكتابة نفسها

فصل في الترهنة بعيد:

«لا زالت المواسم تغشاك وأغصانها وريقة، وحدائقها أنيقة، والأعياد تلقاك، وأنت عيدها على الحقيقة، ولا برحت تهتصر من الشباب لدار طيباً، وتتنصو من الأعياد سلاً وتلبس قشيباً، فهذا اليوم الشريف في الأيام مثلك في الأنام، لكنه أوحد عام محصور، وأنت أوحد الأعوام وندهور، ولا أحيل ذلك على تحض الجّد الذي أشهرك، وحاسدك راقد، وشانتك قاعد.»

هذا محلول قوله:

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُه وعيدٌ لمن سَمَى وضحى وعَيداً
ولا زالت الأعياد لبسك بعده تسلم مخروفاً وتعطى مجدداً

(١) سيفيات المتنبي هي قصائده في مدح سيف الدولة بن حمدان أمير حلب والموصل:

فذا اليومُ في الأيامِ مثلكَ في الوري كما كنتَ فيهمِ أوحداً كان أوحداً
هو الجُدُّ حتى تَفْضَلَ العَيْنُ أَخْهَا وحتى يكونَ اليومُ لليومِ سَيِّداً^(١)

وقد زدت عليه بأن جعلت توحيدَه بالاستحقاق لا بالجَد والإنفاق ، وفيه
زيادةٌ أخرى وهي عمومُ توحيدِه وخصوصُ توحيد العيد في أيام العام مفردة .

فصل في لقاء عدو :

«فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت التشوق قد فعل فيها بئر حائه ، فعلى قنأ
الأمير في صدور أعدائه ، فإنه جعلهم هلكتي يطعمون مخلوجةً وسلكي ،
فالفضاء الرخبُ لديهم أخرجُ من القابوت ، ونسجُ داود عليهم أو هنُ من
بيتِ المنكبوت » .

هذا محلول قوله^(٢) :

نودُّهم والبينُ فينا كأنه قنأ ابنِ أبي الهيجاء في قلب فيلقِ
قواضٍ مواضٍ نسجُ داود عندها إذا وقعت فيه كنسح الخلدردنق

وفيه أيضاً حل قول امرئ القيس :

(١) من مدحه سيف الدولة ، وتهنئته بالعيد .
الديوان ١٨٩/١ .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة ، مطلعها :

لمينيك ما بلق الفؤاد وما لقي ولاعب ما لم يبق مني وما بق

الديوان ٤٦١/١ .

أبو الهيجاء : والده سيف الدولة : الفيلق : الكتيبة من الجيش . نسج داود : الدروع .

الخلدردنق : المنكبوت .

نظمنهم سُلُكِي ومُخْلُوجَةٌ كَرَكْ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^(١)

فصل فى وصف من هزم

«أَجْفَلَ إِجْفَالَ النَّعَامِ ، وَانْقَشَعَ انْقِشَاعَ الْعَامِ ، يَتَوْهَمُ كُلَّ حَفِيفٍ يَسْمَعُهُ
رَشَقَ نَابِلٍ ، وَيَرَى الْأَرْضَ فِي عَيْنِهِ كِفَّةَ حَابِلٍ . وَقَدْ كَانَ أَبِي الْأَيْنِ كُصَّ
لَهُ قَدَمٌ ، وَعُقْبَى يَمِينِ الْجَبَانَ حِنْثٌ وَنَدَمٌ ، وَإِذَا تَرَزَلَتِ الْأَقْدَامُ لَمْ تَرُدَّ الْيَمِينُ
فِي الْأَقْدَامِ ، وَالْحَرْبُ يُحَسِّنُ الْمَزَائِمَ ، وَيُغَيِّرُ الْعَزَائِمَ ، وَيَجْعَلُ أَمْوَنَ شَيْءٍ
مَا يَقُولُ اللَّوْائِمُ » .

هذا محلول قوله :

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ^(٢)

وقوله :

وَالْعِيَانُ الْجَلِيلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالَ^(٣)

(١) من قصيدته التي مطلعها :

يا دار مية بالحائل فالسهب فالجبتين من عائل

الديوان ١٥١ ولحان العرب مادة لأم

سلكى : مستقيمة : مخلوجة : معوجة . كرك لأمين على نابيل : مر الشاعر بنابيل
وصاحبه يناوله الريش في سرعة تشبه به .

(٢) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة حينما قيل في مجلسه إن البطريق أقسم عند ملك
الروم أنه سينتصر على سيف الدولة ، وسأله أن ينجده بالمحاربين ، ففعل ، فانهزم .
(الديوان ٢ / ٢٩٤) .

(٣) صححنا البيت من الديوان . وهو من قصيدة في مدح سيف الدولة لما نهض لينقذ

نهر الحدث من الروم ، ومطلعها :

هكذا هكذا وإلا فلا لا

ذى العالى فليطون من تمالى

(الديوان ٢ / ١٠٩) .

وقول بعض شعراء الحماسة :

ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل^(١)

وقول القائل :

إذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهونُ شيء ما يقول العواذلُ

فصل في الصّح عمه الجرائم

« سَيْفُ الإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ أَقْتَلُ مِنْ سَيْفِ الْقَتْلِ وَالِاسْتِئْصَالِ ، وَطَلْمَا غَلَّ يَدَا مُطْلِقُهَا ، وَاسْتَرْقَّ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا ، إِلَّا أَنْ اللَّئِيمُ يُفْسِدُهُ الْإِحْسَانُ ، وَيَصَاحِحُهُ الْمَهْوَانُ ، كَمَا يَنْفِرُ مِنَ الضَّمِيمِ ذُو الْأَنْفِ الْحَيِّ ، وَيَفِرُّ عَنْهُ فِرَارُ الطَّائِرِ الْوَحْشِيِّ » .

هذا محلول قوله :

وما قتل الأحرارَ كالغفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليد؟

إذا أنت أكرمت الكريمَ ملكته وإن أنت أكرمت اللئيمَ تمرداً^(٢)

(١) القائل هو الطرماح بن حكيم الطائي وهو من نخول الشعراء الإسلاميين وفصحاءهم ، وكان صديقاً للسكريت ، والبيت من أبيات له بديوان الحماسة .

الكفة : يجوز أن يريد بها الحفيرة التي ينصب فيها الحابل الحباله ، أو يريد بها ناموس الصياد ، أو هي الحباله نفسها ، لأنها تحبل كالطوق ، وهذا أقرب لأن الحليل فسر الكفة على ذلك ، وجازت إضافتها إلى الحابل كما تضاف الحباله إليه .
الحابل : ناصب الحباله (شرح الزروقي ١/٢٢٨) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
(الديوان ١/١٩١) .

وقال الرضي الموسوي :

مامقاي على الهوانِ وعندي مقولٌ صارمٌ وأنفٌ حميٌ
وإباءٌ محققٌ بي عن الضيم كما راع طائرٌ وحش^(١)
وأدخلت أيضاً فيه لفظة لبعض الخوارج قالها لقطري بن الفجاءة^(٢) ،
والقصة مشهورة .

فصل في ذكر المرسلات :

« وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم أذراعا، وقصدوا بهما تزجية للوقت
ودفاعا ، فظاهرُها الإعظامُ لنا والإجلالُ ، وباطنها الإزجاء لهم والانهالُ
هذا محلول قوله :

دروعٌ لملك الروم هذي الرسائلُ يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغِلُ
هي الزردُ الصنّاقِ عليه ولفظها عليك ثناء سابغ وفضائل^(٣)
فصل :

« باب المعمور كعبة الحيا ، ومنغناطيس الشفا ، فالملك تقبلُ بساط ديوانه ،
وتقصرُ عن تقبيل كُمة وبنانه »
هذا محلول قوله :

تقبل أفواه الملوك بساطه ويسكبُرُ عنها كُمة وبراجمه^(٤)

(١) ديوان الشريف الرضي ٥٤٦ وقد سبق التعريف به .

(٢) زعيم من زعماء الخوارج شاعر خطيب .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة حينما جاء إليه رسول ملك الروم (الديوان
٩٠/٤) ورواية الديوان (يرد) بدلا من (ينذب) التي في الأصل .

(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

وفاؤكا كالربيع أشجاء طامسه بأن تعددا والدمع أشفاه ساجه

فصل :

« إذا كان الهوى من القلب في الشَّافِ والصَّمِيمِ ، واللوم يحوم حول ذلك الحِمَى والحريم ، وكلما شاهد الحرفتي ثار ، وكلما عابن النار استطار ، لا جرم أنه يستحيل جوهره هباء ، ويذهب زبده جُفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويُلقى عَصَاهُ ، ويستقر به النوى » .

هذا محلول قوله :

عدل العواذلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وهوى الأحيّةِ منه في سَوْدَانِهِ
يشكو الملامُ إلى اللوائمِ حرّه ويصدُّ حينَ يلمُنَ عن بُرَحَانِهِ^(١)
فألقتُ عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينًا بالإيابِ المسافر

فصل في ذكر معفل :

« حَمَاهَا فَأَجَلَى ، وبنها فأعلى ، ونيران المرّان تضطرم ، وأمواج الأرماع تلتطم ، وشبّا الظبّا يصطدم ، ولظى الوغى تحتم ، فقررت بعد انزعاجها ، وسلمت بعد ارتجاجها ، وشفيت من ألمها ، وبرئت من لَمَمِهَا ، وأصبحت متقلّدة بغمام من أشلاء الفوارس ، تدفع عنها عين العائِنِ ونفس النافِسِ ، وليست كقلائد عرّاف اليمامة وعرّاف نجد ، ولكنها قلادة طرّفاها الشرف وواسطها المجد » .

== البراجم : مفاصل الأصابع ، مفردها برجة .

(ديوان اللثبي ٢/ ٢٣٩) .

(١) الديوان ١/١

وقد حلت في هذا قوله في وصف قلعة الحدث :

بناها فأغلى والقنا يقرعُ القنا . وموجُ للنايا حوَّها متلاطمٌ
وكان بها مثل الجنونِ فأصبحتُ

ومن جئتِ القتلى عليها تمامٌ^(١)

وأشرت فيه إلى قوله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين عليهما السلام :
أعيذكما من عَيْنِ العائِنِ ونَفْسِ النَّافِسِ^(٢) . وإلى قول عروة بن حزام :
ضمنت لعراف اليمامة حُكْمَهُ وعَرَافُ نجد إنْ هما شفياني^(٣)

- ٤٧ -

وقد نثر هذا المصنف هذين البيتين ، فقال : « بناها والأسنّة في بناها
متخاصمةٌ ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة ، فاحلّت الحرب عنها
حتى زلزلت أقطارها برُكُضِ الجياد ، وأصيبت بمثل الجنون ، فعُلقتُ عليها
تمامٌ من الرءوس والأجساد ، ولا شك أن الحرب تُعردُّ عَمَنُ عَزَّ جانبه ،
وتقول ألا هكذا فليُكسبِ المجدَ كاسبه »^(٤) .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما بنى نجر الحداث ، ومطلعها :
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام الكرام
(الديوان ٢/٢٦٩) :

(٢) النفس : من معانيها العين والحسد ، يقال نفسه بنفسه إذا أصابه بعين (القاموس
المحيط مادة نفس) .

(٣) عروة بن حزام بن مهاصر شاعر غزل عذري قصر حبه على عفره بنت عمه ،
وحالت عوانق دون تزواجه بها ، فرض حق قضى نجه سنة ٢٨ أو ٣٠ .
ورواية البيت (جهلت) بدلا من (ضمنت) .

الأغاني ١٥٣/٢٠ وقوات الرقيات لابن شاكر ٣٥/٢ وتزيين الأسواق لداود
الأنطاكي ٧٥ .

(٤) للذلل السائر ١/١٣٥

ونثرها على أسلوب آخر فقال : « بناها ودُونَ ذلك البناء شوك الأَسَل ،
وطوفان المنايا الذي لا يقال سَاوِي منه إلى جَبَل ، ولم يكن بناؤها إلا بعد أن
هَمَدَتْ رموسٌ عن أعناق ، وكأنما أُصِيبَتْ بجنون فَمَلَّقت القتلى عليها مكان
التمائم ، أو شينَتْ بِعَطَلٍ فَمَلَّقت مَكَان الأَطواق (١) » .

ومنَّ عنده أدنى ذَوْقٍ في فن الكتابة يَعْرِفُ الفَرْقَ بين كلامنا وهذا
الكلام .

وقد نثر هذا الكاتب البيت الثاني خاصة فجاء أصلح مما قاله في نثر البيتين
وهو : « سَرَى إلى حِصْنٍ كذا مستعيدا منه سَبِيَّةً نزعها العدوُّ اختلاسا ،
وأخذها مخادعةً لا افتراسا ، فأزلها حتى استقادها ، ولا نزلها حتى استعادها ،
وكانما كان بها جنون فبعث لها من عزائمها عزائم ، وعلق عليها من رموس
القتلى تمائم » (٢) .

وهذا وإن كان حسنا لكن الزيادات العجيبة والتسمييات والأسجاع التي
أتينا بها نحن تزرى على ما أتى به هذا الكاتب ، وتتجاوزها أضمافا مضاعفة .

فصل :

« أنا أستعين بك عليك ، فالخصومة فيك ومنك وإليك ، وأستميحك
عَدْلَ قَضائِكَ الذي عَمَّ الخَلْقَ وَعَدائي ، وشَمِلَ الناسَ وتَخَطَّاني . وأُعِيدُ
مِرآةَ فِكْرِكَ وهو الجَوْهرُ الشَّرِيفُ ، والشَّعَافُ اللطيفُ ، ألا يظهر فيها تلبيس

(١) المثل السائر ١/١٣٦

(٢) المثل السائر ١/١٣٥ ومنه أصلحنا النص .

الحاسدِ ، وبُهتانِ الكاشحِ المعانِدِ ، وأخلاقكِ التي تُظلمُ إذا قيستَ في الأُطافةِ
بالسُلفةِ ، وفي الصفاءِ بالصَّهْبَاءِ ، أن تحملِ قَذَى الفِئسِ الصُّرَاحِ ، وهي أُلُفٌ من
أن تُمزجَ بالماءِ القِرَاحِ «
هذا محلول قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملي

فيك الخِصامُ وأنت الخِصمُ والحكمُ^(١)

وقول غيره :

أخلاقك الفِرُّ الصَّفَايا ماها

حَمَلَتْ قَذَى الواشين وهي سُلَافُ ؟

واللَبْسُ في مكنون رأيك ماله يَخْفَى وأنت الجَوهَرُ الشَّفَافُ ؟

فصل في صفة جبس :

قد تَسَرَّبَلَ قَيْصاً من الزَّرْدِ المَحْكَمِ إلا أنه مُحَمَّلٌ بِالرِّمَاحِ ، وَتَرَدَّى
بُرْداً من النَّقْعِ المَظْلَمِ إلا أنه مُعَلَّمٌ بِوَمِيضِ الصَّفَاحِ ، تَسْحَبُ جِيادُه الحَديدِ
فَتُخَالِها تَمَشِي بغيرِ قِوَامِ ، وَتَسْتَفِي بَعْدَه عَنِ المِخَالِبِ بَعْدَ أَنْ خُلِقَتْ رِمَاحُه
والصَّوَارِمِ ، ولا يَعْرِفُ في بَرِيقِهِ البَرَامِكِ فَالثِيَابِ مِثْلُهَا وَالعِائِمِ ، وَبَطْنِ حَديدِهِ
ماءٌ ، وَهُوَ يَخْدَعُ خَدَعَ السَّرَابِ ، تَحْسَبُ خَيْالَتُهُ ساكِنةً وَهِيَ تَمْرَمُ
السَّحَابِ .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

واحر قلباه بمن قلبه شيم ومن يجسمي وحالي عنده سقم
(الديوان ٢/٢٠٨) .

هذا محلول قوله :

وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ نُوهُمُ _____ ولكنه بالقننا مُحْمَلٌ (١)

وقوله :

أَتُوكَ يَجْرُونَ الحَديدَ كَأَنَّمَا سَرَوَا بِجِيَادِ مَالِمْ قَوَائِمُ
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ البَيضُ مِنْهُمُ نِيَابُهُمْ مِنْ مِطْلَعِهَا وَالعَائِمُ

وقوله :

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسِيافُهُ وَالقَوَائِمُ (٢)

فصل :

« المَادَّةُ طَبِيعَةٌ غَالِبَةٌ ، وَسَجِيَّةٌ إِلَى فِعْلِ المَعْتَادِ جَازِبَةٌ . وَعَادَتِكَ طَمَنٌ
الأَحْدَاقِ ، وَضَرْبُ الأَعْنَاقِ ، وَطِبَالٌ وَنِبَالٌ يَهُوِيَانِ ذَاكِ ، وَأَنْتِ تُبَاغُ النَفُوسَ
هَوَاهَا ، وَالقُلُوبُ مُنَاهَا ، فَأَجْرُ مَتَمَاهَا عَلَى أَعْرَاقِكَ ، وَمَعْمُودُ عَوَائِدِكَ وَأَخْلَاقِكَ ،
فَإِنَّ المَلِكَ لَا تُثَبِّتُ دَعَائِمَهُ ، حَتَّى يُخَضَّبَ بِالدَّمِ صَوَارِمُهُ » .

(١) من سدحة لسيف الدولة مطلمها :

أيقده في الخيمة المذل وتشمل من دهرها يشمل

(الديوان ٦٢/٢) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة مطلمها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(الديوان ٢٧٢/٢) .

هذا محلول قوله :

لكل امرئ من دهره ماتعمّودا

وعاداتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي العِدَا^(١)

وقوله أيضا :

لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٢)

وقول ابن هند :

سِوْفَكَ تَهْوَى أَنْ تَبِيحَ لَهَا العِدَا فَلَا تَحْرَمْنَهَا إِنْ عَادَتْكَ الدَّأَى

فصل في شرح قوله :

لَا تَمْدُلُ المَشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ

حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ^(٣)

نثره هذا المصنف فقال : « لَا تَمْدُلُ المَحَبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ ، حَتَّى تَطْوِيَّ

الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ »^(٤).

(١) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة .

(الديوان ١/١٨٥) .

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم مرضا نظرت وحات أن أسلم
الديوان ٢/٣٨٣

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أعلم يا عدول بدائه وأحق منك بجهنم وبعائه
الديوان ١/٣

(٤) المثل السائر ١/١٣٣

ونثره أيضا على وجه آخر فقال : « إذا اختلفت العينان في النظر ، فالمعدّلُ
ضَرَبٌ من الهدّر »^(١) :

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « لا تمعدّل الحب في حبه ، حتى ينطق
لسانك عن قلبه » ، ومنها : « المتبول يمعدّل المتبول ، والفرار مغرّى بالمشغول » .
ومنها : « لو ذقت ما يذوق العاشق لتركت عدّله وعرفت عدّره ، ومن يضعّ يده
في الماء يجد برّده ويعرف حرّه » ومنها : « إذا لم يتوارد القلبان على مؤرّد
واحد ، فالعاذل يضرب في حديد بارد » ومنها : « لو اتحدت الفرائز والأخلاق ،
لمدّرت المشتاق في الأشواق ، ولكن النفس الواحدة لا تدبّر تدبيرين ، كما
لا يكون الاتفاق واحدا ولا الواحد اثنين » . ومنها : « لو كنت تود بقلبي ،
وتراني بطرفي لمدّرتني فيما أبدى ، ورحمتي مما أخفي » وفي هذا إشارة إلى قوله
في هذه القصيدة :

ما الخلُّ إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه^(٢)

فصل في صفة السيوف :

« فنهدنا إليهم وفي أيدينا النار الموقدة في الرءوس ، المعبودة قبل ملة الجوس ،
التي يفسدها الماء ، ولا يطفئها الهواء ، ولا تحرق الأغمار ، ولا خدمت ليلة الميلاذ .
ترمي بالدم لا بالشرر ، وتوقد بالناس لا بالحجر ، تحكم تارة بالتعظيم وتارة

(١) المثل السائر ١/١٣٣

(٢) الديوان ٤/١

بالتصغير ، وتجمع قوماً جَمَعَ السَّلَامَةَ ، وقوماً جمع التَّكْسِيرِ « .

هذا محلول قوله :

وفى أكَفَهُمُ النَّارَ الَّتِي عُبِدَتْْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضَطَّرَمُ

هِندِيَّةٌ إِنْ تُصَفَّرُ مَعْشَرًا صَفَّرُوا

بِحَدِّهَا أَوْ تَعْظَمُ مَعْشَرًا عَظَّمُوا^(١)

وفدزدت عليه زيادات كثيرة ، ورمزت إلى الخبر الوارد في أن نار فارس

خدمت ليلة ميلاد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وخرجتُ إلى قوله تعالى : « إنها

ترمى بشرر كالثَّغْرِ »^(٢) وقوله سبحانه « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »^(٣) ثم

خرجت إلى نكتة نحوية وهي جمع السلامة وجمع التَّكْسِيرِ .

فصل :

السيف بالضارب لا بمضاء المَضَارِبِ ، والحَسَامُ في يد الجبان كَهَامٌ ،

والكَهَامُ في يد الشجاع حُسَامٌ ، ولذلك قال عمرو لعمر : لا لَوْمَ عَلَىَّ وَلَا حَيْفَ ،

فإِنِّي لَمْ أَتَحَلَّكَ السَّاعِدَ ، وَإِنَّمَا نَحَلَّتْكَ السَّيْفَ « .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عقبى اليبين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القمم

الديوان ٣٠٠/٢

(٢) سورة المرسلات ٣٢

(٣) سورة التحريم ٦

هذا محلول قوله :

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حدّه مثل الجبان بكفّ كل جبان^(١)

فصل في العتاب

« العتاب نسيم الحياة ، والعتب سموم الحياة ، فأنا أعاملك بالأول ، لأنه من نسيم الأحياب ، والود باق مابق العتاب ، وأجلّ مجدك الرفيع المباني عن المعاملة بالثاني » .

نظرت في هذا إلى قوله :

هـذا عتابك إلا أنه مقّة قد ضمن الدرّ إلا أنه كليم^(٢)

فصل في ذكر السبابا

فلم يعتصم منا إلا رباتُ الفتاخ والوشاح^(٣) ، ومن شيمها جر الذبول لاجر الرماح ، فإنهن طعن فيه بالعدو بالمرّان ، وكان لهن أوجه شفيح إلينا ، وهو الشفيح العريّان ، فنحن بين لاه ولاعب ، وأهلهن عليهن بين باك ونادب ، وهذه سجية الدنيا تعمّر البيت بخراب البيّت ، وتميت الحى بحياة الميت .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

الديوان ٤٣٢/٢

(٢) من قصيدته في عتاب سيف الدولة ، مطلعها :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن يجسى وحالي عنده سقم

الديوان ٢٦٦/٢

(٣) الفتاخ : جمع فتخة وهي الخاتم أو الخلخال .

الوشاح : أديم عريض مرصم بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشعها .

هذا محلول قوله :

فلم يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الطُّبَا لَمَى شَفْتَيْهَا وَالثَّدْيُ الدَّوَاهِدُ
تَبَكَّى عَلَيْهِنَّ البَطَارِيقُ فِي الدُّجَى

وهن لدينا مُلَقِيَاتٌ كوَاسِد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد^(١)
وقد رمزت فيه إلى قول القائل :

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الذبول^(٢)
وقول آخر :

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا

فصل في شرح قوله :

إن القتيـلَ مُضَرَّجًا يدموعه مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بدمائه^(٣)

نثره المصنف فقال « القتيـل بسيف الميـون ، كالقتيل بسيف المـنون ،

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عواذل ذات الغال في حواسد وإن ضجيج الخود مني لماجد

الديوان ١٨٣/١

(٢) فائـة عمر بن أبي ربيعة — الأغانى ١٣٣/٨

(٣) ديوان المتنبي ٥/١ وقبله قوله :

لا تمذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
فجعل جريان الدموع كجريان الدماء ، لأن العاشق مثل القتيـل .

غير أن ذاك لا يُجَرِّدُ من غمده ، ولا يُقَادُ صاحبه بعمّده « ونثره على وجه آخر
فقال : « دَمْعُ الحُبِّ ودم القَتِيلِ ، متفقان في التشبيه والتمثيل ، ولا تجِدُ بينهما
بَوَناً ، سوى أنهما يختلفان لونا »^(١)

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : القَتِيلِ المَشْحَطِّ في نَجْمِهِ ، كالعاشق
المشخرط في دموعه ، وكلا المائنين دمٌ ، إلا أن هذاسال على أصل الخلقه ، وهذا
صعد من حرقة الفرقه « .

ومنها « القَتِيلِ الذي قطعت سرايينُ نَجْمِهِ ، أرواحُ من القَتِيلِ الذي قطعت
سرايينُ دموعه ، فذاك قد فارق الدنيا فأمنَ شرَّها وخيرها ، وهذا كلما نضجت
جلوده بُدِّلَ جلوداً غيرها »

ومنها « الدمع دمٌ أَحَالَتْ لونه نار الهوى فابيضَّ ، وقطعتْ سِلْكَهُ يَدُ
النَّوَى فتبدد وارقضَّ ، ولا فَرَّقَ بينهما عند البَصْرِ والبصيرة ، إلا أن هذا
يسِيلُ من عَضْوٍ واحد ، وذاك من أعضاء كثيرة » .

ومنها « مصارع العشاق كمصارع الشجعان ، يتماثلان في المعنى وإن
اختلفا في العيان ، وكلا القَتِيلين شهيدٌ ، فهذا نَزِيفٌ من العَيْنِ وذاك من
الوَرِيدِ » .

فصل

فله آراؤك التي نَكَّستِ القوم عن صهوات الشواهِق لا من صهوات

(١) المثل السائر ١/١٣٣

السوابق ، وطمّنت فرسانها برماح الكيّدِ والحظّ لا برماح سمّهر^(١) ،
فكأنّما كانت جبالها تشكو عطلّ الأعناق ، فنظّمت جيادك لها مكانَ
القلائدِ ، وأدرتّها مكانَ الأطواقِ ، وخصّبتَ ذلك الصّعيدَ بمخضاب من الدماء
لا من الكتم^(٢) والجَنَاءِ ، وجعلت حمّامه سُجوداً في غير محراب ، وهُجوداً
لا يزون حُكماً إلا حُكّم العذاب ، وكَم هدّمت لهم من حصنٍ بعد حصنٍ ،
في مشهد بعد مشهد ، وأعدتّها أطلالا ، ولكنها لبت لخبولة بُبْرقة مَهْمَد ،
وجعلت عمارة تلك المعالم كرواجع الوشوم في نواشر المعاصم ، وأذقت الرّدى
أهلها والجنّادل ، وسقّت مافوق المعائل حتى كدت تسوق المعائل .

هذا محلول قوله :

تفكسهم والسابقات جبالهم وتظعن فيهم والرياح المكاييد
وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى
وخيلك في أعناقهن قلائد
مُخَصَّبة والقوم صرعى كأنها وإن لم يكونوا ساجدين مساجد
وألقن بالصفّصاف سابورَ فأنهوى
وذاق الرّدى أهلاهما والجلامد^(٣)

(١) سمّهر : رجل كان يقوم الرماح فنسبت إليه . الخط : مرأى بالبحريين ، كانت ترد
إليه رماح من الهند .

(٢) الكتم : بالتجريك نبت يخلط بالوشم يختضب به .

(٣) الديوان ١٨٢/١ وق الديوان البيت الثالث مقدم على الأبيات .

يقول إنك نزلهم من جبالهم منكوسين أو من خيولهم التي كأنها الجبال . المشمخرات :
المرتفعات . الصفّصاف وسابور : حصنان متيمان للروم .

وأضفنا إليه من مواضع آخر ما كمل به المعنى ، وهو قول الشاعر .
وأرضك أرضك إن تأتينا تنم نومةً ليس فيها حلمٌ
وزدنا عليه أن نفوسهم تعذب بعد الموت فيتألمون ، كما يتألم النائم بالأحلام
المرعبة ، وقول طرفة بن العبد :

لخولة أطلالٌ بيرةٌ مَهْمَدٌ^(١)

وقول زهير :

ديار لها بلرقتين كأنها رواجع وشم في نواشر معصم^(٢)

وقول البحتري :

وقد سقت ما فوق الماقلٍ منهم فلم يبق إلا أن تسوق الماقلًا
وزدنا على لفظة أبي الطيب وهي (مخضبة) قول عليّ وقد قبض لحيته : « أما
والله لتخضبنَّ هذه بخضابِ دَمٍ لا خِضابِ عِطْرِ وَعَنْبِرٍ » فخرج من مجموع هذا
ما وقفت عليه .

فصل

« عُدْرُ الخليفةِ واضحٌ في السقوط ، لأنها علتْ على مولانا فتأهبت له

(١) من مطلم مملته :

لخولة أطلال بيرة شهيد
(٢) من مملته التي مملها .

أمن أول دنة لم تكلم
بمسومة الدرج فالتظلم

بالمهبط ، وَعَلِمَتْ عَجْزَهَا عَنْ أَنْ تَشْمَلَ مِنْ يَشْمَلُ الزَّمَانَ ، وَأَنْ تَمْلُوَ مَنْ يَمْلُو عَلَى بَهْرَامِ^(١) وَكِيُونَ^(٢) ، فَأَرْجَاؤُهَا فِي السَّمَةِ بِمَيْثُورٍ كُضُّ فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنْهَا جَحْفَلٌ ، وَلَكِنهَا تَضِيقُ عَنِ الْعَالَمِ الْمَجْمُوعِ فِي الْوَاحِدِ الْأَجْمَلِ ، وَتَقْصُرُ عَنْهُ وَتَطُولُ عَلَى الْقَنَا الذُّبْلِ ، وَأُظْهِمَ لَمَّا أُشْرَقَتْ بِأَنْوَارِهِ ، وَتَاهَتْ لَمَّا عُدَّتْ مِنْ جُجَلَةِ دِيَارِهِ ، لَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا فَخَرَّتْ وَضَعْفَتْ ، وَرُبَّ نَفْسٍ أَفْرَطَ عَلَيْهَا الْفَرَحُ فَزَهَقَتْ . وَلَوْ رُزِقَ النَّاسُ مَارُزِقَتٍ مِنَ الشَّرْفِ الْبَاذِخِ الْبُنْيَانِ ، لَخَانَتْهُمُ الْأَرْجُلُ وَخَرَّتْ وَأَسْجُودَ لِلجِبَاهِ وَالْأَذْقَانِ ، وَمَاسَقَطَتْ عَبَثًا وَإِنَّمَا أَشَارَتْ بِالرَّحِيلِ ، كَمَا أَنَّ الْفَضْوَاءَ^(٣) مَا خَلَّاتُ^(٤) . وَإِنَّمَا حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ .

هذا محلول قوله :

أَيَقْدَحُ فِي الْخَلِيمَةِ الْمُدَّلِّ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ ؟
 وتعلمو الذي زُجِلَ تحته مُحَالٌ لِمَمْرُكٍ مَا تُسْأَلُ ؟
 تضيقُ بشخصك أرجلُها وَيَرُكُضُ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ
 وتقصُرُ ما كفتَ فِي جَوْفِهَا . وَتُرُكُزُ فِيهَا الْقَنَا الذُّبْلُ

(١) بهرام : ملك فارسي حكم الفرس قبل الإسلام . وهم أربعة بهذا الاسم ، ولعله يقصد بهرام جور بن زردجرد ، وهو الذي ربي تربية عربية في الحيرة في عهد النعمان بن المنذر ثم تولى ملك فارس بعد أبيه وضيظ أمورهما وحى حدودها (تاريخ الطبرى ٢/٧٤) :

(٢) كيوان : نجم في السماء هو القى يسمى زحل .
 (٣) الفصواء : اسم ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم .
 (٤) خللات : حرقت أو بركت فلم تبرح .

رأت لون نورك في لونها كلون الفزالة لا يُفسل
وأن لها شرفا باذخا وأن الخيام بها تَخْجَلُ
فلا تنكرون لها صرعةً فن فرح النفس ما يقتل
ولو بُلِّغَ الناسُ ما بُلِّغَتْ لخاتمهم حولك الأرجل
ولمّا أمرت بتطنيبها أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل^(١)

وزدت على ذلك الخبر المشهور وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركب ناقته القصواء في عام الحديبية متوجّهاً إلى مكة ، فلم تَنْبَعِثْ تحته ، فزجرها مراراً وزجرها أصحابه فلم تنبعث ، فقالوا خَلَّتْ القصواء ، فقال النبي ماخَلَّتْ ، وإنما حبسها حابسُ الفيل . وجرى من تَوَقُّفِهِ عَنْ مَكَّةَ وَصُلْحِهِ قريشا في تلك السنة ما هو مشهور .

فصل

« هنيئاً لأهل كذا جميلُ رأيك وحسنُ بلائِكَ ، وعميمُ آلائِكَ ، فقد

(١) من قصيدة الفتني يدح بها سيف الدولة ويذكر الخيمة التي أوقعتها للريح ، وكان سيف الدولة قد ضرب خيمة كبيرة بما فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها ، فهبت ربح شديدة أوقعت الخيمة ، فتكلم الناس في ذلك (الديوان ٥٩/٢) وقد صححنا الآيات من الديوان :

الجحفل : الجيش العظيم . الفلما الذيل : الرماح اللينة . الفزالة : الشمس . لا يفسل : لا يزول : التطيب : مد الأظناب .

كان الدهر جارَ عليهم واعتدى فتفتته فاعتدل ، واعترق العظم منهم
وانتقى ، فزجرته فانتقل ، فأمرك ممتثل في خطبه ، وخوفك مائل في قلبه ،
فإن شك فليحدث بهم ضرباً من الحادثات ، لترقل له القنا باللهازم الرّاعفات ،
فيوماك يومٌ يُحمِدُ نارَ الحربِ والحرب ، ويوم يُبرِدُ أوارَ الجذبِ
والسغبِ .

هذا محلول قوله (١) .

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم
وأنت حزبُ الله صرت لهم حزياً

وأنت رعت الدهرَ فيها وريبه

فإن شك فليحدثُ بساحتها خطبا

فيوما تخيل تطردُ الرّومَ عنهم ويوما مجودٍ تطرد الفقر والجدا

وقول أبي حية النّميرى :

أما إنه لو كان غيرك أرقلتُ إليه القنا بالرّاعفاتِ اللهازم (٢)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما بنى مرعش ، ومعلمها :

فدينك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

الديوان ١ / ٤٤

(٢) أرقلت : أمرعت . اللهازم : جمع لهزمة ، وهى الناقه تحب الأذنين ، والمراد
منا الأحناق .

فصل

« كريم ما شتّم ولا شتّم ، ولا ظلم ولا ظلم ، فالملوك تشتمّ بالفعل
لا بالقول ، كالأسود لا تفرس بالحيل بل بالحوّل ، وما أفرجت الأعداء عن
البلاد حُبّاله بل حذر من شدة نكاله ، ولا عزبت عنه بقيا عليه ، ولكن
خوفا من ضرر نباله . »

هذا محلول قوله :

ولم تفرق عنه الأسد رحمةً ولم تترك الشام الأعدى له حبا
ولكن نفاها عنه غير كريمة كريم الثنا ما سب قط ولا سببا^(١)
وقد أضيف إليه قول الأول :

وتجهل أيدينا ويحكم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
وقول الآخر :

فما بقيت على تركتاني ولكن خفنا ضرر النبال

- ٥٠ -

فصل في هل قومه

تباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له منهن ورد وأدهم^(٢)

(١) الديوان ٤٨/١ من قصيدته في بناء مرعش .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم . . . أكل فصيح قال شعرا منيب

الديوان ٢٥١/٢ .

ورد : ما بين السمكيت والأشقر من الخيل .

أدم : أسود . نجوم القذف : هي التي تقذف بها الشياطين .

قد حله المصنف فقال : « تركب ظهر الليل تبارى مسير شهبه ، وتستقرب
بُمدَ المدى فى نَيْلِ مطلبه ، غير أن ذاك يَفْرِى أديم الغياهب ، وهذا يَفْرِى
أديم السبابِ (١) » .

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « فازلنا نقطع الأدهمَ الواقفَ بالدهمِ
السَّارَاتِ ، ونُسارى الشَّهْبَ النَّيَّراتِ بالشَّهْبِ الطَّائِراتِ ، إلا أن تلك نجوم
القَذْفِ والرَّجُومِ ، وهذه نجوم الغارة والهجوم .

ومنها :

« فازلت أبارى أدهمَ الليلِ بذهمِ الخيلِ ، وأجارى شهبهُ بالشَّهْبِ التى
تَسْبِقُ جَرَى السَّيْلِ ، حتى وَرَدَتْ مدينةَ كذا قُبَيْلَ الصَّبَاحِ ، والرُّبَيَّا (٢)
مَعْتَرِضَةٌ تَعْرِضُ أَنْباءَ الوِشَاحِ . ومها أدهمُ (٣) مَقْدُودٌ (٤) من الغياهبِ (٥) ،
مَطْلُومُ الوَجْهِ يبعضُ السكواكبِ ، يَفُوتُ الرِّياحَ إذا جَرَى ، وَيَسْبِقُ
النَّجُومَ إذا انكدرت (٦) ، إلا أن تلك تَقْذِفُ من أنصتَ لَيَسْمَعَ
واسترقَ » .

(١) المثل السائر ١/١٥٣ .

السباب : جمع سبب وهو المفازة .

(٢) مجموعة نجوم صغار متقاربة .

(٣) أدهم : أسود .

(٤) مقودود : مقطوع والمراد مخلوق .

(٥) الغياهب : جمع غيب وهو الظلام والعديد الظلمة .

(٦) انكدرت : تناثرت وسارت .

فسطاط مصور :

« فرأيتُ إلى خيمته من الحرير مُصَوَّرَةً بأنواع التصاوير ،
تَكَادُ آسَادُهَا تَزَارُ وَتَصُولُ ، وَفُرْسَانُهَا تَنْطِقُ وَتَقُولُ ، وَأَفْرَاسُهَا
تَرْكُضُ وَتَجُولُ . لَمْ تُغْنِ الْحَائِمُ عَلَى حَدَائِقِ جِنَانِهَا ، وَلَا حَاكَتْ أَيْدِي
السَّحَابِ رِيَاضَ جُدْرَانِهَا ، وَلَا عَطَّتْ^(١) إِلَى فُرُوعِ الْأَرَاكِ أَعْنَاقَ غَزَلَانِهَا ،
وَلَا خَضَعَتْ رَعِيَّتُهَا لِمُلُوكِهَا ، وَلَا نَظَمَتْ عِقْدَ عِدَارِهَا فِي سَلُوكِهَا ، إِذَا
صَافَحَتْ الرِّيَّاحُ جِلْبَابِهَا ، وَنَازَعَتْهَا أَهْدَابِهَا ، مَا لَتْ مَيْلَ الْغَزَلِ ، وَرَقَصَتْ
رَقِصَ الشَّرَابِ الثَّمَلِ^(٢) ، قَدْ تَأَلَّفَتْ الْأَضْدَادَ فِيهَا تَأَلَّفَ الْأَضْرَابُ
وَالْأَشْكَالُ ، فَالْكَلْبُ ضَيْفُ الْأَرْنَبِ وَالْفَهْدُ وَنَزِيلُ الْغَزَالِ » .

هذا محلول قوله :

وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِييَةِ كُلِّهِ

حَيًّا بَارِقِي فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمَةٌ

عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكُمَا سَحَابَةٌ

وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تُغْنِ حَمَائِمُهُ

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَرَبٍ مُوَجَّهٍ مِنْ الدَّرِّ سَمِطٌ لَمْ يُثَقِّبَهُ نَاعِمُهُ

تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا يَحَارِبُ ضِدًّا ضِدَّهُ وَيَسَالِمُهُ

(١) عطت : مدت أعناقها ورءوسها متطاولة إلى الشجر لتتناول منه .

(٢) الثمل : النشوان الذي أثر فيه الشراب .

إذا صَرَبْتَهُ الرِّيحَ مَاجَ كَأَنَّهُ

تَجُولُ مَذَاكِيهُ وَتَدَايِ ضِرَاغِمِهِ^(١)

فصل

« قِصَارُ رُمْحِكَ أَطْوَلُ مِنْ ظِلِّهَا ، وَطَوَّلُ رِمَاحِ أَعْدَانِكَ أَقْصَرُ مِنْ زِيَجَاجِهَا^(٢) وَنِصَالِهَا^(٣) . وَكَمْ مِنْ رِمَحٍ قَصُرَ فَأَطْلَيْتَهُ بِمُخْطَاكَ ، وَكَمْ مِنْ بَلَدٍ بَعْدَ فِقْرَبْتِهِ بِسُرَاكَ ، وَقَطْرُكَ فِي النَّدَى وَالرَّذَى سُبُولٌ وَبِحَارٌ ، وَعِزْمَكَ فِي الْخُصُومِ وَالْعِدَا نُصُولٌ وَشِفَارٌ ، وَأَنَامِلُكَ رَاجِحَةٌ وَلَكِنْ خَلَقْتَ سُبُوفَكَ مِنْ عَجَلٍ ، فَكَلِمَا نَهَيْتَهَا عَنْ وُلُوعِ الدِّمَاءِ قَالَتْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ^(٤) . وَقَدْ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدول عند نزوله أنطاكية بعد ظفوره بمحصن برزويه وكان جالساً تحت خيمة من الدبياج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان مطالعها : رفاؤ كما كالربع أشجاء طاسمه . بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجه
الدبوان ٢٣٨/٢

ماء الشيبية : نصارتها وحسنها . حيا : مطر . بارق : سحاب ذو برق . قازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من حرير . شأعته : ناظر إليه يرجو المطر . دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة . لم تفن حاتمته : يصف الخيمة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ولكن الحاتم لا تتفنى على أغصانها لأنها صور غير ذات روح . ثوب موجه : ذو وجهين . سطم من الدر : أراد به الدوائر البيض على حاشية الأنواب التي اتخذت منها الخيمة . يحارب ضد ضده ويسالنه : ترى الوحوش مصطاحه بالخيمة مع أن من طبعها التفارس وقد تفتتت على الدبياج في صور المتعابة ، لكنهن لا تتعارب لأنها جاد لا روح فيه . المذاكي : السنة من الخيل : تدأى : تختل وتخدع . الضراغم : الأسود .

(٢) الزحاج : جمع زج وهو الحديدية التي في أسفل الرمح .

(٣) النصال : جمع نصل وهو حديدية الرمح والسهم والسيف .

(٤) مثل قديم قاله ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، كان الحارث بن كعب قد قتل ابنا لضبة ، ثم لقيه ضبة في الحج فقتله . فقيل له : يا ضبة أفي الشهر الحرام ؟ فقال سبق السيف العذل :

يَنْسَبُ الْجَاهِلُ حِلْمَكَ أَحْيَانًا إِلَى تَدْبِيرٍ أَوْ خِدَاعٍ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّيْثَ لَا يَأْكُلُ الْجِيْفَةَ ، وَلَا يَفْتَرِسُ الضَّبَاعَ .

هذا محلول قوله :

طُولُ قَنَاصٍ تَطَاعَنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نِدَى وَوَعَى بَحَارُ
وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَمَانِي أَنَاةً تَنْزُءُ كِرَامَةً وَهِيَ احْتِقَارُ^(١)

وقول السموأل :

إِذَا قَصَرْتَ أَسِيْفَانَا كَانَ وَصْلَهَا خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَطَوَّلُ^(٢)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقع ببعض العرب الذين تمردوا عليه .
الديوان ٣١٦/١ وصحفتنا الأبيات من الديوان .

(٢) لم نجد هذا البيت في أبيات السموأل التي بديوان الحملة وأولها :
إِذَا الرَّءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلَّ رِْدَاءٍ بِرْتَدِيهِ جَمِيلٍ
(شرح المرزوقي ١١٠/١)

ولاق البيان والبيتين ضمن بعض الأبيات السابقة ١٨٥/٣ .
ولي المفضليات ٧/٢ بيت للأخنس بن شهاب بن شريك الغفلي هو :
وإن قصرت أسيفاننا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب
وقال نعلب : هذا البيت تتنازعه الأنصار وقريش وتقلب ، فقد زعم علماء الحجاز أنه
اضرار بن الخطاب الفهري أحد بني محارب من قريش . وقال الأنباري في ترجمة الأخنس
هو أول العرب وصل قصر السيوف بالمخطأ ، وذكر البيت ، ثم قال : ومنه استرق كعب
ابن مالك الأنصاري قوله :

فصل السيوف إذا قصرن يخطونا قدما ولنحقتها إذا لم نلحق
على أن قيس بن الخطيم أخذه بلفظه تقريبا فقال :
إِذَا قَصَرْتَ أَسِيْفَانَا كَانَ وَصْلَهَا خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ
وأما البيت الذي نسبته الأنباري لكعب بن مالك فقد نسبته ابن قتيبة في الشعر والشعراء
لريبعة بن مقروم ، وذكر أنه من قول قيس بن الخطيم إذ أن قيساً أخذه منه .
خزانة الأدب ٣ / ١٦٤ والمفضليات ٧/٢

فصل

«عزائمك لا تفلُّ ، وآراؤك لا تفضلُ ، ومدائحك لا تملُّ ، وأحكامك لا تميلُ ، وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه لاختطاف الأرواح ، وهذا لاختطاف الرؤوس . وكل دم لم تحصبه^(١) ظبأك أصبح مظلولا ، وكل ممت لم تشارك فيه عدو خيانةً وغلولا .»

هذا محلول قوله :

شريكُ المنايا والنفوسُ غنيمَةٌ فكلُّ ممت لم يمته غلولا^(٢)

فصل في حل قوله

وما الحسَنُ في وجوهه الفتي شرفا له

إذا لم يكن في فعله والخلايق^(٣)

قد نثرناه على وجوه منها : «شرف الفتي بأفعاله ، لا بحسنه وجماله ، كالسيف يقطع بجموههه ، لا بحسن منظره .»

ومنها « لو كان شرفُ الإنسان بصورته وخلقه لا بمعناه وخلقه ، لما قيل ما الإنسان إلا القلبُ واللسانُ .»

(١) لم تحصبه ظبأك : لم تصفك وتبسطه سيوفك .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

ليالي بمد الطاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
الديوان ٨٨/٢ .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وبحرى السوابق
الديوان ٤٦٩/١ .

ومنها: « لا تغر في الصُّورة المليحة ، وأفعالها قبيحةٌ ، كاشجرة السامية الخضراء الناضرة ، وفي أكلها الفاقة (١) » .

ومنها: « لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظَهَرَ ، لا بما بَطَنَ من المعنى واستتر ، لكانت صورة الفمَارِق (٢) ، أشرفَ من الحيوان النَّاطِقِ » .

فصل في هبته عسكر

« للامير أيدى الله جيشان: النُّسورُ في الجوّ والجياد في الدَّو (٣) ، فكان الفِضَاءُ ثوبٌ مطيرٌ (٤) بالجوارح والعقبان ، وكان العز فرسٌ مُحجَّلٌ بالسَّوابِقِ والفرسان ، فعسكر الطير ضيفٌ يستطعم عسكرَ السَّيفِ ، فإذا رمى بهما جيشا نفاه ، فأباد هذا أرواحه ، وأباد هذا أشباحه » .

هذا محلول قوله :

له عسكرٌ اخيلٍ وطيورٍ إذا رمى بها عسكرٌ لم يبقَ إلا جاججةٌ

سحابٌ من العقبان يزحفُ تحتها

سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمه (٥)

(١) الفاقة : الداهية :

(٢) الفارق : جمع فمرق وفمركة وهي الوسادة أو الطنفسة .

(٣) الدو : الدوبة وهي الفلاة .

(٤) ثوب مطير : منقوشة فيه صور الطيور .

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

وقاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسمدا والدمع أشقاء ساجمه

الديوان ٢/٢٤٠ ومن الديوان صحفنا الأبيات

وقد حله هذا المصنف فقال :

« فسرنا في غمامة من الكتائب ، تظلمها غمامة من الطيور الأشائب ^(١) فهذه يضمها بحر من حديد ، وهذه يضمها بحر من صعيد ^(٢) » .

فصل

« حسامٌ لولا ترَفُّقُ الماء في جوانبه ، لتلمست النار الموقدة من مضاربه ،
فقد أضرَّ به حُبُّ الجماجم والأعناق حتى عاد نضواً كالهلال ، وودت سباع
الطير والوحش أنها تفديه بالخالب والأنياب إذا فدى غيره بالأفئس
والأموال ، فأحسن ما حُضِبَ بالدم الممار ، لا بالسجد والنضار ، والحسناه
حسناه وهي في الأسمال والأطمار . وإذا كان الحلي لإتمام النقص يعمل ،
فتشَّف الأفضل أنبل ، وعطل الأكمل أنجل » .

هذا محلول قوله :

أحسن ما يُحَضَّبُ الحديدُ به وخاضبِيهِ النَّجِيعُ وَالْفَضْبُ
فلا تَشِينَنَّهُ بالنضار فما يجتمع الماء فيه والذهب ^(٣)

(١) الأشائب ، الأخطاط جمع أشابة بضم الهززة .

(٢) للتل السائر ١/١٤١ .

(٣) عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة ، وفيها سيف غير مذهب ، فأمر بتذهيبه ،
فقال المتنبي هذين البيتين :

الديوان ١/٥٢ .

فصل في ذكر الدنيا

«هي الهرة تأكل أولادها ، والموتورة تظهر أحقادها ، أخون من البغايا^(١) ، وأخدع من الحنايا^(٢) ، تصيد الصقر بالخرَب^(٣) ، وتكسر النبع^(٤) بالقرَب^(٥) ، تغدير بأضيافها ، وتقتل أزواجها ليلة زفافها ، أفنت العسائر والقبائل ، ولم يحصلوا من حبها على طائل .»

هذا محلول قوله :

فلا تَنَلْكَ اللَّيَالِيُ إِنْ أَيْدِيهِمْ

إِذَا ضَرَبْنَ كَثْرَنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ

وَلَا يُعْنُ عَدُوا أَنْتَ قَاهِرُهُ

فإِنَّهُمْ يَصِيدُونَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ^(٦)

وقوله :

فَذِي الدَّارِ أَخُونُ مِنْ مُومِسٍ وَأُخْدَعٌ مِنْ كِفَّةِ الحَابِلِ

(١) البغايا : الطلائع تكون قبل ورود الجيش .

(٢) الحنايا : جم حنية وهي القوس .

(٣) الحرب : محركة ذكر الحباري .

(٤) النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام .

(٥) القرب : نبت ضيف يذبت على الأنهار .

(٦) من قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة . وقد صححنا البيت من الديوان .

تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى جِهَاتٍ وَمَا يَحْتَضِرُونَ عَلَى طَائِلٍ^(١)

فصل

« فلما أبوا الإشتقاقا وجماحا ، واستنزلوا حيننا عليهم مكتوبا ولهم مباحا ، هَدَّ
الأمير أيداه الله إليهم في كتيبة حسناء ، تهز حوله جانبها ، كما تَنْفُضُ الْعُقَابُ
جَنَاحَيْهَا ، فهورَيبُها في السَّيرِ ، وحارسها في النزول ، وطليعها في النَّفيرِ ،
وسائقها في القُفولِ »

هذا محلول قوله :

يهز الجيش حولك جانبيهِ كما نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ^(٢)

وقول البحتری :

طليعتُهُمْ إِنْ وَجَّهَ الْجَيْشَ غَازِيَا

وسائقَهُمْ إِنْ وَجَّهَ الْجَيْشَ قَافِلَا^(٣)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

الإم طماعية العاذل ولأرأى في الحب للعائل

الديوان ٣٨/٢ .

المومس : الموصة : الفاجرة . الكفة : الشرك . الخابل : الصائد بالعرك .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقف بيني كلاب ، مطلعها :

بغيرك راعيا عبت الذئاب وغيرك صارما نلم الضراب

الديوان ٥٥/١ .

العقاب : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأُنثى قوى الخالب له منقار أعقف .

(٣) من قصيدته في مدح محمد بن يوسف التي مطلعها :

أرى بين ملتف الأراك منازل موائل لو كانت مهاها موائلا

الديوان ٢٠٤/٢ ومنه أصلنا البيت .

فصل في صفة الخيل :

جيش قد حملت فيه الرِّجالُ على السَّلاب^(١) ، بل الأفاعى على العقارب ،
وغلب فيه فاتهم الأبرد^(٢) على الغزلان ، بل الأجادل^(٣) على العقبان ،
خوارقُ الأرضِ فلا تحمل إلا الأبطال والحديد ، ومتبدلاتُ الأحوالِ فكم
لهما من بئر ممطرة وقصيرٍ مسيدٍ .

من كل جِيَّاش^(٤) العنان ، مضمونِ السَّبْقِ يَوْمِ الرَّهَانِ ، إن قرَعَ
الطَّوْدَ فصقرٌ جارحٌ ، أو ركب البحرَ فنون^(٥) سايج ، لها من النقع براقعُ
وجلال^(٦) ، ومن الكواكب غررٌ ، ومن الأهلةِ فعالٌ . قد خالفتنا
صدورها ، وعاهدتنا لباتها ونحورها أن تجول مع فارسها حيث جال ، وأن
تخوضَ دونه المسكارهَ والأهوالَ ، وأن تجرى في اللصيق ولو أمَّ السَّراطَ ،
وأن تلج المأزق^(٧) وإن كان أضيّقَ من سُمِّ الخياط .

هذا محلول قوله :

فاتهم خوارقَ الأرضِ ما نَحَّ حِلِ إلا الحديدَ والأبطلا

(١) السلاب : جمع سلاب وسلابة وهو الفرس الطويل العظيم .

(٢) الأبرد : النمر .

(٣) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٤) كانت بالأصل (جناس) .

(٥) النون : الحوت .

(٦) الجلال : جمع جل بضم الجيم وفتحها ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٧) كانت بالأصل (المارق) .

خافيات الألوان قد نسج النع مع عليها براقعا وجلالا
حالفته صدورها والعوالى لتخوضن^١ دونه الأهوالا
ولتمضين^٢ حيث لا يجد الرم يح مداراً ولا الحصان مجالا^(١)

الترصيع بالآيات القرآنية وغيرها :

أما الترصيع بالآيات القرآنية والحكم النبوية والأمثال في الكتابة فقد
ذكر هذا المصنف من إنشائه فصولا تتضمن ذلك .

ولما كنا قد ذكرنا في حل المنظوم ما عارضنا به ما ذكره وجب أن نذكر
من كلامنا في ترصيع الآيات والأمثال فصولا تعارض ما ذكره أيضا .

فمن ذلك قولي في توقيع إلى أحد النظائر ببعض الصدقات الشريفة المتقبلة :
« وليحرس فلان عليه هذا المشرب النмир عن رتق التكدير^(٢) ، ولا يشوه
وجه هذه المبرة المتقبلة بالمطل والتأخير ، وليحذف عنه أسباب الإرجاء
والمدافعات ، ومطا عن الاعتراض والتأويلات ، فهذه صدقة يصدق بها مالك
الرق ، وإمام الحق ، وسيد الخلق ، جعل الله تعالى صدقاته المبرورة التي

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما نهض إلى نهر الحدث لينقذه من الروم .

الديوان ١٠٥/٢ ومنه أصاحنا الأبيات .

أتمهم : أي الجياد .

(٢) كان الأصل (زبق التكدير) .

لا تدرِكها الأوهام ، ولا تَحْصُرُها الأفهام ، ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ
أقلامٌ^(١) ، جنودا مجندة حول لوائه المنصور ، وكافة لدولته الشريفة بالخلود
إلى يوم النسخ في الصور ، ومُعَقَّبَاتٌ من بين يديه ومن خلفه من أمر الله^(٢)
تَحْفَظُه أحقابا ، وباقياتٌ صالحات هي عند الله أَحْسَنُ عملا وخَيْرٌ ثوابا^(٣) .

وهذا الفصل قد رصع بثلاث آيات من الكتاب العزيز واقعةٍ مواقعها .
ومن ذلك قولي من جملة من كتاب أصف فيه حربا : « حتى إذا زُلْزِلَتِ
الأرض عليهم زلزالها ، وأُخْرِجَتِ أُنْقَالُهَا^(٤) ، وعركتهم الحرب عَرَكَ الرِّحَا
فِنِقَالِهَا^(٥) ، وَعَصَبَتَهُمُ الْهَيْجَاهُ عَصَبَ السَّلْمِ^(٦) ، وغمرتهم غمر البين ،
وَهَزَّمُ الرُّوعَ هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحَى عِيدَانَ يَبْرِينَ^(٧) ، لم يكن إلا كَحَسْوَةِ
طائرٍ ، أو خطوةٍ سائرٍ ، حتى خالطت السيوفُ أجسامهم » . فأول هذا الكلام

من الكتاب العزيز . وقولي وعركتهم من قول زهير

فتمرككم عرك الرحا بنقالها^(٨)

(١) سورة لقمان ٢٧ (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) :

(٢) سورة الرعد ١١ (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) .

(٣) سورة الكهف ٤٦ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير أملا) .

(٤) سورة الزلزلة ١ ، ٢ (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أنقالها) .

(٥) الثقال : ما يوضع بين الوحي والأرض .

(٦) السلم : شجر .

(٧) يبرين : رمل شرق حجر اليمامة .

(٨) تكلمة البيت :

وتضر إذا ضر يتموها فتضرم .

من مطلقته .

وقولى وعصبتهم من قول الحجاج لأهل العراق: والله لأعصِبَنَّكُمْ عَصَبَ
السَّلمِ ، ولأَلْحُونَكُمْ لِحْوَةَ المَصَا ، ولأَعْمُرَنَّكُمْ بِفُمارِ البين .

وقولى وهزيم من قول الشاعر :

يَهْزُرُنُ المَشى أَعْطافاً مُنعمَةً هَزَّ الجَنوبَ ضُحى عَيْدَانِ يَبْرِينَا

وأَحْسَنُ ما نَقَلَ المَنْظومُ أو غيرَه إلى السَّكْتابَةِ إذا كان هَكَذا ، لأنَّ الشاعِرَ
ذَكَرَ هَذَا التَّشْبِيهَ فى الفِزْلِ فَعَلِبْتَهُ أنا إلى وَصْفِ .

وقولى حَسوَةَ طائِرٍ من قول الباخَرزى شاعِرِ المَجم^(١) :

ولو غبْتَ عن هَدين حَسوَةَ طائِرٍ لزالَ نِظامٌ أو نُفُضَ خِتامٌ

ومن ذلك فى توقُّعِ لِبعضِ العَدولِ ، وقَد رتبَه مشرفاً بِبعضِ الأعمالِ أَحذرَه
من الخِيانَةِ ، وأنَه إن واقعَ ذلكَ أُخِذَ طَيْلَسانُهُ ، وأَسْقِطتِ عَدالَتَهُ ؛ وهوَ
كِنَياةٌ لَطيفَةٌ تَنزِعُ إلى القُرآنِ الكَرِيمِ ، سَكُوناً إلى أمانَتِهِ ونِزاهَتِهِ ، ووُثوقاً
بِحَريَّتِهِ واستِتابَتِهِ وكِفايَتِهِ ، إلى تَمَمُّصِهِ بِجِلبابِ الدِّيانَةِ ، وتَحليهِ بِمِجْلاها ، وإِخْلاداً

(١) هو أبو الحسن على بن الحسن الباخَرزى الشاعِرُ المَشهُورُ .

قالَ عَنه ابنُ خَلِكانَ إنَّه كانَ أوحدَ عَصْرِهِ فى فَضْلِهِ وَذَهِنِهِ والسَّابِقُ إلى حِيازَةِ القَصَبِ
فى نَظْمِهِ ونَثْرِهِ .

اشْتَغَلَ أوَّلُ أمرِهِ بالفِقهِ على مَذْهَبِ الشافِعى ، ثم مالَ إلى السَّكْتابَةِ ، وبرعَ فى الشعرِ ،
وصنَّفَ كِتابَ (دِميةِ القَصْرِ وَعَصرةِ أهلِ العَصْرِ) وهوَ مَطْبُوعٌ .

ويَعتَبَرُ ذِيلَ السَّكْتابِ بِقِيةِ الدَهرِ لِلتَّعالِى .

وقَد وَضَعَ البَيهَقى كِتاباً كالذَّيْلِ لِلدِميةِ سَماءَ (وشاحِ الدِميةِ) قَتَلَ الباخَرزى فى مَجْلاسِ
أَنسِ سَنَةِ ٤٦٧ بِلَدَةِ باخَرزِ ، وهى نَاحِيةٌ من نَواحِى نِيسابورِ بِها قُرى ومِزارِعُ .

(وَفِياتُ الأعيانِ ١/٣٦٠ وَهَضْرَاتُ الدَهبِ ٣/٣٢٧) .

إلى ما هو موسوم به من العدالة التي يقترن لفظها إن شاء الله بمعناها ، ثم أتمت هذا الكلام بما يناسبه إلى أن قلت : « وأهم ما نقرضه عليه ، والدنيا ألفت به إليه ، لزوم الأمانة والعفاف ، وصيانة العرض وحفظ الأطراف ، فليحذر أن تدليه الأطماع بغرورها ، وجهلها ، وتلهيه بحلاوة شهادها عن إبرئحلها ، وليسكن من إغواء الشيطان بإطعامه الشجرة على أنم حذر ، وأشد فرق ، فإنه إن استزله نزع عنه لباس الرضا ، ثم لا يتمكن من خصف الورق ، فليحرس قاعدة العدالة التي هي مرسوم موسوم بشعارها ، ومندوب إلى اقتفاء آثارها ، والاهتداء بمنارها . »

فهذه الكناية من قوله تعالى : « يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما^(١) . » وقولي في أول التوقيع التي يقترن لفظها إن شاء الله بمعناها لا يخفى ما فيه من الخلاوة في هذا الموضع .

ومن ذلك قولي في جملة وصايا يتضمنها توقيع لبعض النظار : « أيد الله نائب الأعمال الواسطية وحراسة الارتفاعات بالسطوة التي تزهب النفوس ، وتغض لها الأبصار وتنعكس الرؤوس ، وتحفظ بها الأموال المتمزقة في أقصى الديار ، المشردة تحت الكواكب كتبدد الكواكب ، فهو شجاعها المقدام ، وصارمها الصمصام ، وقد نبهنا عمرو إن كنا لا ننام ، فليستأصل شأفة^(٢) المفسدين ،

(١) سورة الأعراف ٢٧ .
(٢) شأفة : أصل .

وليفظ عليهم ، وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم . فالسياسة شמוש
جامع لا يصحب^(١) إلا بالسيف والنطع ، وعروس فارك لا تقطف حتى يخلق
«ملؤها بالنجيع» .

وقد رصت هذا الفصل ببعض قوله تعالى :

« وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب

الخانثين »^(٢) وحلت فيه قول الشاعر :

إن المعالي عروس غير واصلة ما لم يخلق رداؤها بنضح دم
ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع فى الوصاة بتخير العمال : وعامله ونوابه
بالأعمال فهم جدوة من ناره ، وأثر من آثاره ، وشعاع من شمس ، ودوحة
من غرسة ، وفضيلتهم نتيجة فضله ، واختيار المرء بضعة من عقله ، فليحسن
فى ارتيادهم ، واختيارهم ، وليجمل فى اصطناعهم واصطفائهم ، وليتخير
أرباب الأغراض الزكية ، والأفعال المرضية ، والتجربة ، والمسألة ، والشباب ،
والحيلة ، فإن كبا منهم سابق — والجواد قد يكبو — ونبا منهم صارم —
والحسام قد ينبو — عاجله بالتقويم والإرشاد ، فإن أصرر فبالتهويف
والإيعاد ، وإن فاء فبالإقصاء والإبعاد ، وإن أنس من أحد ما يقده
فى الأمانة ، ويشهد بوقوع الخيانة عاقبه معاقبة المجرمين ، وجعله نكالا
لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين^(٣) .

(١) يصحب : يتقاد .

(٢) سورة الأنفال ٥٨ .

(٣) سورة البقرة ٦٦ (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) .

آخر هذا الفصل من القرآن العزيز . وقد تضمن أيضاً أمثالا غير خافية .
ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع : « وليواصل بالحوال الدائرة فى أوقاتها
مواصلةً تُوجب له الزيادة ، وتَسْتَدِرُّ له أخلاف السعادة ، وتجمعه ممن وَضَحَتْ
براهينه ، وتَقَلَّتْ موازينه ، وأنار صَبَاحَهُ ، وفازت قَدَاحَهُ ، ويُطلق عَقْلَهُ
لسانهُ إذا خَرَسَ العاجزُ فلا يفوه ، وببَيَضُ وجهه يومَ تَبَيَضُ وجوهُ
وتَسْوَدُ وجوهُ^(١) » . موضع الترصيع من هذا الكلام بالألفاظ القرآنية
الشريفة واضح .

ومن ذلك قولى فى آخر هذا التوقيع : « وليطالع الديوان العزيز بصالح
الأعمال ، ومتجددات الأحوال ، فى أوقاتها وأزمانها من غير إرجاء يُفْضِي
إلى فوائها وبُطْلانها ، ليدبّر من تقدماته العالية ، وآرائه السامية بما يجعله من
الأرشدِين دليلاً ، والأوضحين سبيلاً ، وينتظم باقتفائه واحتذائه فى سلك
الذين التحق سيرهم فى الإخلاص بإعلانهم ، ويُمد بتابعه وامْتِثاله من الذين
يَسْمَى نورهم بين أيديهم وبأيامهم^(٢) » .

وموضع الترصيع من هذا الفصل بالآية أيضاً ظاهر .

ومن ذلك ما كتبتة فى بعض التوقيعات لناظر من نظار السواد
والضياغ : « فى الأمهاتُ الحواملُ ، والمرضعاتُ الكوافلُ ، فليتحخير بها
طيبة البقاع ، ضامنة بنمو الارتفاع فتتحير الضياع كتخير المذالكح ، من أحسن
فيها الاختيار اليوم أنجبت عرسه غداً ،

(١) سورة آل عمران ١٠٦ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) .

(٢) سورة الحديد ١٢ (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم

وبأيامهم) .

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا^(١) ،
وَالْفَدَائِدِينَ^(٢) فَهِيَ حَامِلَةُ الْأَثْقَالِ ، وَعَامِرَةُ الْأَعْمَالِ ، وَمَرَاكِبُ الْبِضَاعَةِ
وَرَأْسُ الْمَالِ ، فليجتهد في إراحة عاملها^(٣) والسلامة من دَرَكَ نَقْصِهَا وَخَلَلِهَا
وَمَاعِصَاهُ يُعْوِزُهَا يُتِمُّهُ ، وَمَا تَسَرَّبَ مِنْهَا يَجْمَعُهُ وَيَلْمُهُ ، فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ
بِأَنْ خَلَقَهَا كَثِيرَةً الْحَرَثِ ، وَسَقَامَ مِمَّا فِي بَطُونِهَا مِنْ بَيْنِ دَمٍ وَفَرثٍ^(٤) .
وَالآيَاتُ الْمُدْرَجَةُ فِي غَضُونِ هَذَا الْكَلَامِ ظَاهِرَةٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « فَإِذَا تَمَّ ارْتِفَاعُهُ ، وَتَسْكَامِلُ صَلَاحُهُ
وَإِبْنَاعُهُ ، وَبَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ لِمِعَادِهِ ، وَدَنَا الْوَقْتُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ وَأَتُوا حَقَّهُ
يَوْمَ حَصَادِهِ ، فَلْيُؤْصِلْ بِالْحَوْلِ إِدْرَارًا ، وَلِيَنْدُبْ نَفْسَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ لَيْلًا
وَنَهَارًا ، وَلِيُرْهِفْ لِلِاسْتِيفَاءِ وَالِاسْتِخْرَاجِ شِبَا الْعَزْمِ ، وَلِيَنْصَبْ لِذَلِكَ انْتِصَابًا
أَمْثَالَهُ مِنْ ذَوِي الْبَصِيرَةِ وَالْحَزْمِ ، فَاسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ وَالْحَقُوقِ هُوَ النَّيْجَةُ الْمُرَادَةُ ،
وَالنَّمْرَةُ الْمُسْتَفَادَةُ ، وَذَلِكَ الْمَخْضُ عَنْ هَذِهِ الرُّبْدَةِ أَسْفَرٌ ، وَذَلِكَ السَّرَارُ^(٥)
عَنْ هَذَا الْهَلَالِ أَبْدَرُ^(٦) ، وَذَلِكَ الْفَرَسُ لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ أَثْمَرٌ ، وَذَلِكَ الْبَدَلُ
لِهَذِهِ النَّفْسِ النَّفِيسَةِ صَوْرٌ ، وَعَلَى قَالِبِهَا تَصَوَّرَ ، وَالْمَصْجَعُ فِي الْاسْتِيفَاءِ بَعْدَ

(١) : سورة الأعراف ٥٨ (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا) .

(٢) : الفدائق : على وزن سحاب وعداد : الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث جمع فدائدين . وفي الأصل (الفدين) وقد أراد بالفدادين البقر كما يتبين من السياق .
(٣) في الأصل (عالمها) .

(٤) : سورة النحل ٦٦ (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُزَكِّمَ بِمَا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِمًا لِلشَّارِبِينَ) .

(٥) : السرار : آخر ليلة من العمير .

(٦) : أبدرنا : طلع لنا البدر أو سمرنا في ليلته .

ازْتِكَاذِهِ السَّابِقِ وَتَعْبِهِ مُسْتَحِقُّ الْمَثَلِ الْإِلَهِيِّ : كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا^(١) ، وَنَاهِيكَ بِهِ .

فَأُولَٰ هَذَا الْفَصْلِ آيَةٌ وَآخِرُهُ آيَةٌ أُخْرَى^(٢) .

وَفِي وَصَايَا التَّوْقِيعَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْكَلَامَ النَّبَوِيَّ قَوْلِي فِي تَوْقِيعِ بَعْضِ
النِّظَارِ : « وَلِيُعْنِ بِأَمْرِ الْأَكْثَارَةِ ، فَإِنَّهُمْ عَمَّارُ الْأَرْضِ وَالضِّيَاعِ ، وَقِيَامُ الْمَالِ
وَالرَّافِعِ ، وَجُنْدُ السَّوَادِ ، وَأَوْتَادُ الْبِلَادِ ، وَلِيَشْمَلَهُمُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ،
وَلِيُؤْمِنَهُمْ بِوَأَثِقِ الْجُورِ وَالْإِجْحَافِ ، وَلِيَسَهِّلُ إِذْنَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلِيُوَاصِلَ
إِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، فَالْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَنْبُتُ وَيُقِيمُ بِالْبِشْرِ وَالطَّلَاقَةِ ، وَيَنْفِرُ وَيَقِرُّ
بِالْعُنْفِ وَالْفِظَاطَةِ ، وَالِاسْتِقْصَاءِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِرَاقٌ ، وَفِي الْحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ :
إِذَا لَمْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ . وَيَقَالُ إِنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ أَجْمَعُ
لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْهَا » .

وَأَمَّا الْكِتَابَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْأَمْثَالَ وَهِيَ مُرَصَّعَةٌ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَامِ وَالنِّسْكَتِ ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي جُمْلَةِ تَوْقِيعِ : « وَأَهْمٌ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَإِنْ كَانَ شِيمَتَهُ ، وَآ كَدُ
مَا يُوصَى بِهِ ، وَإِنْ كَانَ خُلُقَهُ وَسَجِيَّتَهُ ، الِاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا اشْتَهَرَ بِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ

(١) الْأَنْكَاتُ : جَمْعُ نَسْكَتٍ عَلَى وَزْنِ بَثْرٍ وَهُوَ الْغَزْلُ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الشَّعْرِ يَرِيمُ وَيَنْمِجُ
فَإِذَا خُلِقَتِ النَّسِيجَةُ قَطَعَتْ قِطْعًا صَفَارًا وَنَسْكَتُ خَيْطُهَا الْمَبْرُومَةُ وَخَلَطَتْ بِالصُّوفِ الْجَدِيدِ
وَنَفِثَتْ بِهِ ثُمَّ ضَرَبَتْ بِالْمِطَارِقِ وَغَزَلَتْ ثَانِيَةً وَاسْتَمَلَتْ . وَمِنْ هَذَا نَسْكَتُ الْمَهْدِ وَهُوَ
قَفْضُهُ بَعْدَ إِحْكَامِهِ كَمَا تَنْسُكُ خَيْطُ الصُّوفِ الْمَقْرُولِ بَعْدَ إِبْرَامِهِ .

(٢) الْآيَةُ الْأُولَى (وَأَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٤١ .
وَالْآيَةُ الثَّانِيَّةُ (وَلَا تَنْكُوتُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) سُورَةُ النَّحْلِ ٩٧ .

التي فاز من تَدَرَّعَ بِأَمْوَالِهَا ، وتملق بِأَسْبَابِهَا ، وتعلّى بِسِمَطِهَا ووشاحها ،
وتَجَلَّى في لألاءِ إِضْبَاحِهَا ، وارتقى أعلى مراتبها ، واقتنى أَشْنَى مناقبها ،
وارتدى بآرديتها ، واجتنبَ بِأَنْدِيَتِهَا . وَضِيرَ مَنْ نَضَا وَأَنْضَى رِكَابَهَا ، وَعَنَّدَ
عن طريقها ، والقيام بحقوقها ، وباعها بِالثَمَنِ الْبَخْسِ ، وَوَكَسَ فِيهَا شَرَّ وَكَسَ ،
وَرَجَعَ بِالْجِدِّ الْمَنعُوسِ ^(١) ، والحظ المنحوس ، والرأس المنكوس ، مُتَلَفِّفًا
في العاجل بشوب الخِزْيِ وَالصَّغَارِ ، متعرضا في الآجل لِلنَّكَالِ وَالْبَوَارِ ،
فالحرّة لا تَأْكُلُ بِئَدْيِهَا وَإِنْ جَاعَتْ ، ولو اضطرَّتْ إِلَى الدُّنْيَا لَمَا أَطَاعَتْ ،
وَرُبَّ أُمَّ كَلَةٍ هَاضَتْ ، وزيادة زِيدَ عَلَيْهَا فَفَاضَتْ ، وطلما تَتَوَبُّ الْبِطْنَةُ
بصاحبها ، ثم يندم على سوء عاقبتها ، ومن أَكَلَ قَلِيلًا نَامَ قَرِيرًا ، وَالثَّرِيءُ
من القناعة غنيٌّ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا .»

فهذا الفصل يشتمل على أمثال عدة ^(٢) مع ما فيه ^(٣) من شرف الصنعة .

ومن ذلك ما قلته في توقيع بعض النظار بأعمال السواد : « وليجتهد في تربية
المزروعات ، ونسك ^(٤) كرتبة الأولاد ، وليحرسها من بوائق العيب والفساد ،

(١) النسب بين الرأى والجسم وضمهها وكساد السوق .

(٢) تجوع الحرّة ولا تأكل بتديها ، أى لا تكون ظئرا وإن آذاها الجوع . وأول
من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدى ، وكان حليفا لعنقة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر
إلى ابنته الزباء وكانت من أجل أهل دهرها ، فأعجب بها ، فخطبها ، فاستمهلها عنقه ،
واستشار امرأته ، فاستشارت ابنتها ، ثم لم تزل بها حتى طلبتها على رأيها ، ففروجا الحارث ،
ورحل بها إلى قومه ، وبينما هو يوما جالس بفناء داره وهى إلى جانبه أقبل شباب من
بنى أسد ، فسبكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : ماى وللشيوخ الناهضين كالقروخ .
فقال لها : نسكك أمك ، تجوع الحرّة ولا تأكل بتديها (جمع الأمثال للبيداني ١/ ٨٢) .

(٣) بالأصل (معانيه) .

وليستكثر من نواطيرها^(١) وسقاتها، في تطوافه عليها بنفسه في معظم أوقاتها،
ففضيلة العمل في استتمامه، والهلل حسنٌ وليس كحسنة لتمامه، وليهتهم
بإصلاح (السكرور) و (البريدات) و (الرؤف) و (المرادات) ليأمن عليها
من الانفتاح والانفجار، وتأسيس أساسها على شفا جرف هار. وليكن
من الاعتناء بها والاهتمام بحيث يحلم بها في المنام، ويتخيلها في الأحلام، فإن
الزلل فيها مذهب الأموال ومحتاج الرعية، وهي من المصالح الكلية، لامن
الحققات الجزئية، فإياه أن يستصغر منها الصغير، أو يستحقر الحقير، فرب
أمر قل ثم جل، وفي المثل أول الغيث طل^(٢).

فهذا الفصل يشتمل على أمثال مأخوذة من الشعر، فمنها من قول أبي تمام

هذا الهلال يروق أبصار الورى حسنا وليس كحسنة لتمامه^(٣)

ومنها من قوله أيضا :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث طل ثم ينسكب

ومن ذلك قولى في هذا التوقيع : « وإياه أن يسلك في حراسة الأموال مسلك

المداهنة، أو يذهب في السياسة مذهب الإغضاء والملاينة، فتضيع حركاته،

(١) النواطير : جمع ناطور وهو حارس الكرم والنخل .

(٢) الطل : المطر الضميف .

(٣) من أبيات في مدح إسحاق بن أبي ربيع أولها :

لولا أبو يعقوب في إبرامه سبب الملا لانحل ثنى زمانه

الديوان ٢٦٩/٣ .

وتَذَهَبُ حَسَنَانَهُ ، وبصيح كالتى أراقت سَجَلَهَا^(١) أو يصبح كالتى نقضت غَزَلَهَا ، وَيَكْتَثُرُ الْعَبَثُ وَالْفَسَادُ ، ويستحكم الطبع ويزداد ، فأذعى الأشياء إلى انحلال النظام وَضَعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ الْإِنْتِقَامِ .

وَلِيَنْتَصِبَ لِاسْتِيفَاءِ الْأَمْوَالِ وَحَمْلِهَا ، فقد عَلِمَ أَنَّهَا الثَّمَرَةُ الْمُنْتَظَرَةُ ، وَالغَايَةُ الْمُرْتَقِبَةُ ، وَالرُّبُودَةُ الَّتِي تَمْخُضُ عَنْهَا هَذِهِ الْحَرَكَاتُ ، وَالنَّيْجَةُ الَّتِي تَقْدَمُ لَهَا هَذِهِ الْمَقْدَمَاتُ ، فليواصل بها مواصلةً يَحْنِي جَنَاهَا ، وَيَحْمَدُ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرَاهَا ، وليطالع الديوان العزيز بجارى أحواله ، ومصالح أعماله ، لِيَدَبِّرَ مِنْ آرَائِهِ الْعَالِيَةِ ، وَتَقَدِّمَاتِهِ السَّامِيَةِ ، بما يُبَصِّرُهُ وَيُرْشِدُهُ ، وَيُوقِّعُهُ وَيُسَدِّدُهُ ، ويحميه من موارد الرَّدَى ، ويجعله من الذين اهتمدوا وزادهم هُدَى .

فهذا الفصل يتضمن آيتين من الكتاب العزيز وهما « كالتى نقضت غزلهامن بعد قوة أنسكأنا^(٢) » و « الذين اهتمدوا زادهم هدى^(٣) » :

و يشتمل على أمثال شعرية وهى قول المتنبي :

وَوَضَعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا

مَضِرٌّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(٤)

(١) السجل : الدلو .

(٢) سورة النحل ٩٢ .

(٣) سورة محمد ١٧ .

(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة ونهنته بالعبد ، مطلقها :

لسل امرىء من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
الديوان ١/١٩١ .

وقول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى^(١) .

ومن ذلك ما قلناه في توقيح بعض كتاب الأعمال : « وليرتب بديوان المعاملات
نائبا جلدأ يثق بأمانته ، ويطمئن إلى كفايته ، يقوم مقامه ، ويسد مسدده ، فإنه
لاغنى له عن المساعد على أقاله ، والمماضله في جميع أحواله ، فالوادي لا يزخر^(٢)
بغير شعابه^(٣) ، والبيت لا يقوم إلا بعمده وأطنابه^(٤) ، والسيف يحتاج إلى
القائم^(٥) ، والخوافي عدة للقوادم . »

فهذا الفصل يتضمن أمثالا شعرية منها قول أبي تمام :

فاضمم قواصيمهم إليك فإنه لا يزخر الوادي بغير شعاب
والسهم بالريش اللوام ولن ترى بيتا بلا عمد ولا أطناب^(٥)
ومنها قول بشار :

(١) قال للفضل : أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر وهو باليامة
أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائي قد سلكتها في الجمالية ،
ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل الماء ، فاشتري خالد مائة شارب ، فعطشها ثم سقاها
الماء ثم كتبها وكم أفواها وسلك للمغازة بها ، فلما مضى يومان نحر الإبل واستخرج
ما في بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، وبعد أربعة أيام بدا لهم السدر ، فقال
خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى (مجمع الأمثال ١/٣٠٣) .

(٢) شعاب الوادي : جمع شعب بكسر السين وهو الطريق في الجبل ومسيل الماء
في بطن أرض .

(٣) الأطناب : جمع طناب بضم الطاء والنون وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت
وهو أيضا الوتد .

(٤) قائم السيف : مقبضه .

(٥) من قصيدته في مدح مالك بن طوق التليي ، مظهرها :

لو أن دهرنا رد رجح جواب أو كف من شأوبه طول عتاب
الديوان ١/٩٤ .

اللوام : الذي يلائم بعضه بعضا ، وذلك أجود الريش عندهم .

ولا تجمل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى عدة للقوادم

وما خبيرٌ كفَّ أمسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم^(١)

ومن ذلك ما قلناه في هذا التوقيع أيضا وهو :

« وليباشر بنفسه ، أو من يقوم مقامه كل ما يستوفى ويحرر ويقرر ويحل ويصدق ، ويستظهر على الأموال المستوفاة بختمه ، ويضبط الحقوق بعمله وعلمه ، فهو الشاهد المصدق في النقص والإبرام ، وحذام في صناعته ، والقول ما قالت حذام^(٢) » وموضع المثل من هذا الفصل والبيت الذي فيه معلومان .

ومن ذلك قولى في هذا التوقيع أيضا عند وصية الكاتب بقوانين وقواعد يعتمدها في هذا الحساب ورفعِهِ : « ولا حاجة له إلى أن يُجرى له في هذا الباب ما يتبعه ويقفوه ، ولا يُمثل له ما يظأ عقبيه ويتلوه ، فغيره تفرع

(١) من نصيدة له ألدتها إبراهيم بن عبد الله بن حسن .

الأغانى ٢٩/٣ .

(٢) أى القول السديد المتد به ما قالته ، وإلا فالصدق والكذب يستويان في أن

كلا منهما قول .

يضرب هذا المثل في التصديق : قال ابن السكبي : إن للمثل للجم بن صعب والد حنيفة

وعجل ، وكانت حذام امرأته فقال فيها زوجها الجيم :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

مجم الأمثال ٣٥/٢ .

له العَصَا^(١) ، وسواه يُقَعِّعُ له بِالْحِصَا ، والعَوَانُ لا تُعَلِّمُ الحِمْرَةَ^(٢) ،
والفَطْنِ^(٣) لا يُوصَى إلا مَرَّةً . وإذا احتاج الحَسَامُ إلى العِمْدِ والجِوَادُ إلى
الهِمَزِ ، فهو^(٤) الغنْيُ بُرُشده عن الإرشاد ، وابن جَلَا وطلَّاعُ النَّجَادِ^(٥) .»

هذا الفصل يتضمن أمثالا عدة منها : فغيره يقرع له بالعصا ، من
قول الشاعر :

لدى الحلم قبل اليوم ما تَقَرَّعُ العَصَا وما عَلَّمَ الإنسان إلا ليطلعا

(١) قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب المدونى — وقيل
غيره — وكان من حكماء العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما . فلما طمن في السن
أنكر من عقله شيئا ، فقال لبنيه إنى قد كبرت سنى وعرض لى سهو ، فإذا رأيتمونى
خرجت من كلامى فاقرعوا لى الجين بالعصا . وهو الذى يريده المتلصس بقوله :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليطلعا
وللثل يضرب لمن إذا نبه انتبه (مجم الأمثال ١/٢٥) .

(٢) بالأصل (القران) . والعوان هى للمرأة المتزوجة . والخمرة الاختيار أى أنها
لا تحتاج إلى من يطلعا وضع الحمار . يضرب المثل للرجل المجرّب (مجم الأمثال ١/١٣) :

(٣) فى الأصل (الكفن) .

(٤) فى الأصل (فهى) .

(٥) يضرب للمشهور المتعالم ، وهو من قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع الهامة تعرفونى

وتمثل به الحاج فى خطبته بالكوفة . قال بعضهم ابن جلا النهار ، وحكى عن عيسى
ابن عمر أنه كان لا يصرف رجلا يسمى بضرب (فعل ماض) ، ويحتج بهذا البيت ،
ويقول : لم ينون جلا لأنه على وزن فعل . قالوا : لا حجة له فى البيت لأن الشاعر أراد الحسكاية
فحكى الاسم على ما كان عليه قبل التسمية . وتقديره أنا ابن الذى يقال له جلا الأمور وكشفها .

وذو الحلم هو عامر بن الظرب المدوّاني حكيم العرب ، وقصته مشهورة ، وكذلك الفطن لا يُوصى إلا مرة .

وأما ابن جلا وطلاع النجاد فمثل شعري أصله قول القائل :

أنا ابن جَلَا وِطَّلَاعُ الثَّنَايَا متى أَضَعُ العِمَامَةَ تعرفوني

ومن ذلك ما كتبه في توقيع كاتب آخر وهو « حيث تَوَقَّلَ (من) »^(١) هذه الصناعة قَلَّلَهَا ، واجْتَابَ^(٢) مَلَابِسَهَا وحُلَمَلَهَا ، وكشفت التجربة أنه ابنُ بَجْدَتِهَا ، ورضيع دِرَّتِهَا وجُهَيْنَةُ أَخْبَارَهَا ، وجَوَادِ مِضْمَارِهَا ، ونَسِجُ وَحْدِهَا ، وصَمُصَامَةُ غَدِهَا ، واشتهرتُ عنه الأمانةُ التي تَقَمَّصَ بُرْدِهَا ، واستلان سُبُلَهَا^(٣) ، ونهيج طريقها ، وحمى حقيقتها .

وفي هذا الكلام أمثال كثيرة ، وألفاظ تجرى مجرى الأمثال^(٤) :
ومن ذلك ما كتبه في وصايا توقيع بعض النظار وهو : « الحركة الدائمة التي

(١) كان بالأصل تحريف في كلمة (توَقَّل) وأضفنا (من) ليستقيم المعنى .
(٢) كانت الكلمة في الأصل (وأجَاب) فرجعنا أنها اجْتَابَ بمعنى قطع وفصل .
(٣) في الأصل (واستلام شبلها) فرجعنا هذا التصويب .
(٤) عند جهنية الخبر اليقين . مثل له قصة طويلة من هشام بن الكلبي .
وقال الأصمعي وابن الأعرابي هو جفنية بالفاء ، وكان عنده خبر رجل مقتول ، وفيه يقول الشاعر :

تسائل عن أيها كل ركب وعند جفنية الخبر اليقين
فسألوا جفنية فأخبرهم خبر القتل ، وقال بعضهم هو حفيضة بالحاء .
بضرب في معرفة الشيء حقيقة .

مجم الأمثال ١/ ٣٠٤ .

ابن بجدتها : البجدة الأصل ودخلة المعنى وباطنه ، وعنده بجدة ذلك أي علمه .
يقال للعالم بالشيء وللدليل الهادي .

تذهب الكلال ، وتُرهِفُ الكليل ، وتنزع العُلَّ وتَشْفِي الغليل ، وتُعْقِبُ الراحة ، وإن عَجَلَت النَّصَبَ ، وتُقَوِّمُ الأعمال مقام الدواء للوَصَب . فليكن لها ملازما ، وعليها مواظبا ، ولمهاد الدَّعة وجانب السكسل مُجانبا ، فمن لم تُسَوِّدَ البيداء لم تُسَوِّدِ العلياء ، ومن لم تَلْفَحْ جِسْمَهُ السَّائِمُ لم تَبَيِّضْ وجهه المكارم .

وهذا مأخوذ من قوله :

ما ابيضَّ وجه المرء في طلب العلاء حتى يسود وجهه في اليد
ومن ذلك قولي في هذا التوقيع لناظر قد رتب على زراعة غيره ، وأمر بتربية ذلك المزروع وهو : « وبتربية المزروعات لسنة كذا الخراجية ، وترتيب النواطير والحفظة لها ، وتعاهدُها بالسقي عند حاجتها . فليكن معظمُ زمانه مصروفاً إليه ، وموقوفا عليه ، فهذا الارتفاعُ إن لم يكن غارسه فهو حارسه ، وإن كان قد سبقه إنشاؤه وابتدأه فعلية تربيته وإتمامه ، فالأعمالُ بختامها ، والمبادئُ بإتمامها ، وليس البناء لمن وَضَعَ أُسَّهُ ، بل لمن كَمَلَهُ ، ولا الصيدُ لمن أثاره ، بل لمن حَصَلَهُ . »

في هذا الكلام من الأمثال المشهورة قولهم : « الأعمالُ بخواتيمها » ، ومن الأمثال النبوية قوله : ليس الصيد لمن أثاره ، بل لمن حصله .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع توصيةً بالمعاملات لسنة كذا الخراجية :
« فليضاعف رجالها ، وليعمرُ أعمالها ، فهو مُفْتَتِحُ ارتفاعه ، وبيكرُ خِدْمته ،
(م - ١٠ - المثل الثاني ج)

والشاهد على وفور اجتهاده ، وعلو همته ، وعليه الاعتماد والمعول ، فليحذر
أن يقال إذا ما أول .

هذه إشارة إلى البيت المشهور الذي قد صار مثلاً وهو :

إذا ما أول الخطى أخطا فلن يُرجى لآخره انتصار
ومن ذلك قولي : « فليحكم بُنيانها ، وليشيد أركانها ، ليستر عوارها ،
وبأمن انفجارها ، وتثبت تحت المياه عند طغيانها ، وتقوى على تمردها
وعضيانها . وليحذر عاقبة الهوينان فيها ، ومغبة الإهمال لأمرها ، فالدخان
تلهب ناره ، والشر تبذو صفاره . »

هذان مثلان مشهوران قد وقعا في هذا الكلام موقعهما .

ومن ذلك ما قلته في الوصاة بالأكرّة^(١) : « والاكرّة فهم جنده الذي
به يحارب ، وسيفه الذي به يضارب ، فليُسجح في ملكته^(٢) ، وليُنصف
ضعيفهم في معاملته ، وليؤفرّ عليهم حصصهم وحقوقهم ، وليخفف ما استطاع
رسومهم وطسوقهم^(٣) ، فهم جند الرغبة ، لاجند الرهبة ، وعبيد البروالإحسان ،
لا عبيد الظلم والظفان . ومن طوق الأجياد ، فقد أوثق الأقياد ، ومن
لم يملك القلوب لم يملك الأجساد . والأكرّة جند لا تزال البلاد ساكنة

(١) الأكرّة : جمع أكار وهو المرات .

(٢) الملكة حركة الامتلاك مع القدرة على الاستعداد .

(٣) الطسق بالفتح ما يوضع من الخراج على الأقدنة أو شبه ضريبة معلومة .

آمنة ، ما سكتوا وأمنوا ، وفي الحكمة القديمة : استوصوا بأهل الخراج ، فلا تزلون سماناً ما سمينوا .»

في هذا الكلام من الأمثال قولهم : ملكت فأسجج^(١) ، وقول أردشير بن بابك : استوصوا بأهل الخراج فإنكم ماترلون سمانا ما سمينوا . وفيه نظر إلى قول المتنبي :

وقيدتُ نفسي في هواك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً^(٢)

ومن ذلك ما صدرت به توفيقاً في تقيظ بعض النظار وهو : « لما كان فلان من الرجال الأفراد الذين عليهم الخناصر تُعقد ، وإذا طلبت النظائر مثلهم تعزُّ وتُفقد ، وكانت شمائله وشواهدة تنطقُ عنه بالكفاية ولو لم يُخبرْ ويُشهد ، له مخايل الفراسة بخصائص النجابة ، وقد دلت سوابق الاختبار له على حسن الاختيار ، وإثبات سؤالف مآثر خدماته على حميد الآثار ، واستحقاق الإيثار . وكان الديوان العزيز قد بلاه في حالتي عمله وعظلمته ، وعرف ما نطوى عليه أنباء بُردية في يوم فقره وثروته ، وكان في أيام خدماته

(١) الإسجاج : حسن العفو ، أي ملكت الأمر فأحزن العفو . وأصله السهولة والرفق . قال أبو عبيدة : يروى عن عائشة أنها قالت لعل يوم الجمل حين ظهر على الناس فدفا من هودجها ثم كلمها بكلام : ملكت فأسجج . فجزها عند ذلك بأحسن جهاز ، وبعث معها أربعين امرأة ، وقيل سبعين حتى قدمت المدينة .
(بمع الأمثال ١٥٨/٢) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة وتمنيته بعيد الأخص ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطمن في العدا
الديوان ١٩٤/١ .
وكان في الأصل (ومن قصد الإحسان) فأصلحناه من الديوان .

الرجل الشَّهْمَ الذي يَنْفُذُ نَفوذَ السَّهْمِ ، ويدرك بحسه الثَّاقِبِ خَفِيَّ الوَهْمِ
إِذا سَقَى به أرضاً صَاحِباً^(١) ، وإن رَمَى به رَمِيَّةً أصابها ، وإن عالج تَدْبِيرُهُ
معاملةً سَقِيمَةً أبرأ أو صَاحِباً .

هذا إلى ما خُصَّ به من سياسةٍ تمنع خِطابَ الضَّمِيرِ ، فضلاً عن خَطواتِ
التَّدْبِيرِ ، وإمانةٍ ضَمَّ عليه إهابها ، وُسْمِيعَ قَرَقَعَةٍ جِلْبَابِها ، وضَمًّا عليه
سِرِّبَالِها ، وتَخَبُّ وِراءَهُ أذْيالِها . ومن أيام عَطَلتَهُ رَبُّ الصِّيَّانَةِ التي لا تُجْحَدُ ،
ومُدَّخِرُ القِنَاعَةِ التي هي كَنْزٌ لا يَنْفُذُ ، والصَّابِرِ على البُؤْسِ بل على العَطَبِ ،
بل لا يَصْبِرُ على النارِ إلا خالِصُ الذهبِ . فرأى الديوانُ العَزِيزُ إعادةَ النظرِ
بالمعاملاتِ الفِلانِيَّةِ إليه ، والتَّعْوِيلِ في إصلاحِ فاسدِها وتَقْوِيمِ ما نَدِها عليه .
عِلْمًا أَنَّهُ قد سَلَّمَ القَوْسَ إلى باريها ، وأضافَ العَقِيلَةَ إلى كَفِّها وكافِها .
في هَذَا الكَلامِ مِنَ الأَمْثالِ والنِّسَكِ الرائقةِ ما لا خَفَاءَ به .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع من الوصايا : « وليهمَّ أولاً بحفظ البذور التي
هي رأس المال ، وذخيرة الأعمال ، والعروس التي تُجْتَنَى ثَمَارُها ، والبضاعة التي
إذا حُرِّسَتْ أمِنَ بوارِها ، والتفريط في القليل عنها ليس بقليل ولا قريب .
وفي المثل : كم بذي الأثل دوحَةٌ من قَضِيبِ^(٢) ، وليتخيرها خاليةً من الفس

(١) صابت السماء : أمطرت ، وجادت الأرض ، فهو لازم ومتعمد كما في تاج العروس
مادة صوب .

(٢) الأثل : شجر واحدته أنثى وهي السمرة أو شجرة من العضاه طويلة مستقيمة
تمل منها القصاع والأفداح . الدوحة : الشجرة الضخمة . القضيبي : الفصن . والمعنى كم من شجرة
ضخمة أصلها فرع صغير .

والدَّعَل ، فالنَّشُّ في المتاجر الدنيوية ، والغش في المتاجر الدينية ، كلاهما يُبْصَل
المَعْل ، ومن هَوْنٍ في البَذْرِ فَيَوْمَ الحِصَادِ يَنْدَمُ ، وكل امرئ على ما قدم
يُقَدِّمُ ، ولا يتولد عن المدموم إلا المدمم ، ومن أشبه أباه فما ظلم ^(١) .

هذا الفصل يتشعب شعبا ، فنه ما يَنْزِعُ إلى الخبز النَّبَوِيِّ وهو قوله
« وإنا لكم لتقدمون على ما قدمتم » ، ومنه ما هو مأخوذ من قول القائل :

إذا أنت لم تزرعْ وأدركتَ حاصدا
ندمتَ على التَّقْصِيرِ في زَمَنِ البَذْرِ
ومنه ما يَرْجِعُ إلى قوله أبي تمام :

لا تَذِيلَنَّ صَفِيرَ هَمِّكَ وانظر
كم بذى الأثل دوحَةً من قضيب ^(٢)

(١) مثل معناه أن من أشبه أباه لم يضع الشبه في غير موضعه ، لأنه ليس أحد أولى
به منه بأن يشبهه . ويجوز أن يراد فا ظلم الأب أي لم يظلم حين وضع زرعه حيث أدى
إليه الشبه . وكلا القولين حسن .
(جمع الأثال ١٧٠/٢) .

(٢) لا تذيّلين : لا تهملين . المهم : المزن أو الهمة . الأثل : شجر معروف يعظم
ويكبر . أي لا تهمل نظرك في صغير همك ؛ فإن كان خيرا فإنه يثمر وتمظم المنفعة به ، وإن
كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يتفاقم .

وهذا المعنى قصدته نهشل بن حرى في قوة :
قال الأتارب لا يفرك كثرتنا وأغن شأنك هنا أيها الرجل
على بني يشد الله أزرهم والنبي يذبت قضباننا ويكتهل
وبيت أبي تمام من قصيدته في مدح سليمان بن وهب التي مطلعها :
أي مرعى عين ووادى نسيب لحبته الأيام في ملحوب
الديوان ١٢٧/١ .

وانصبت كلمة (دوحة) مع أنها تميز لسكن الخيرية ، لأن من شروط جر تمييزكم الخيرية
الاتصال ، فإن فصل نصب تمييزها حلا على الاستفهامية ، وذلك جائز في السعة ، والصحيح
اختصاصه بالشعر (حاشية الصبان على الأشموني) .

وقد دخل فيه أيضا المثلُ السائرُ : من أشبه أباه فما ظلمَ .

وقولى « ولا يتولّد عن المدموم إلا العدم » نكتةٌ كلامية^(١) .

وقولى « إن الغشّ الدنيوى كالغشّ الدينى كلاهما يُبطلُ العمل » ، لا يخفى

ما فيه من الخلاوة مع لطف الصنعة .

ومن ذلك قولى فى الوصاة بحراسة الارتفاع وهو : « وحراسةُ الغلّات عند

الإدراك والحصاد ، وإظهارُ الورعةِ التى تُشرد بالرفاد ، وتُعنى عن تجريد

السيوف من الأعماد . فأنت رضيعُ لبانها ، لا شريكِ عنانها^(٢) ، والمضروبةُ

بين أمثاله الأمثال ، والمنقوضةُ لديه الأحماسُ ، والمحطوطةُ إليه الرّحال .

وسبيلُك الأخذُ على للفتيلِ والنقييرِ ، وألّا يُحتقر فى هذا الباب ما هو أحقرُ من

الحقير ، فقليلُ الجناية يدعو إلى كثيرها ، وربما تهاجُ كبيراتُ الأمور

بصغيرها ، والشّراكُ بالشّراكِ^(٣) يتصل ، ومن الذّودِ إلى الذّودِ إبلٌ » .

فى هذا الفصل من الأمثال والنسكت قولهم : هما رضيعا لبان^(٤) ، وقولهم :

هما شريكا عنان . ومن بيت الحماسة :

« يهيج كبيرات الأمور صفارها »^(٥) .

(١) من اصطلاح علماء الكلام .

(٢) الضان فى الشركة أن تكون فى شيء خاص دون سائر ما للشريكين ، أو هو

التساوى فى الشركة ، لأن عنان الدابة له طائتان متساويتان .

(٣) الشراك : سير النعل .

(٤) يقال هو أخوه بلبان أمه ، لأن اللبان بالكسر الرضاع ، قال يعقوب وابن السكيت

لا يقال بلبن أمه ، لأن اللبن الذى يشرب . وفى الأمثال هما فرسا رهان ورضيعا لبان .

(٥) لشبيب بن البرصاء :

وبيت البحترى :

من لَفَا هذا إلى محسوس ذا ومن الذَّوْدِ إلى الذَّوْدِ إبِل (١)

ومن ذلك ما قلته من الوصاة بتخير النواب والعمال وهو : « والمستنابون بالأعمال فهم اليدُ الباطِشَةُ ، والرَّجُلُ السَّاعِيَةُ ، والعَيْنُ الباصِرَةُ ، والأذُنُ الواعِيَةُ ، وأنت لهم بمنزلة الجسدِ ذى الأَدَوَاتِ ، والقلبِ المستعملِ للأعضاء والآلات ، فإذا صحَّحُوا كُنتَ الصحيحَ السليمَ ، وإذا سَمَّوْا كُنتَ للربضِ السقيمِ ، لأنهم أجزاءك وأباضك ، فصحَّتهم صحَّتْكَ ، وأمراضهم أمراضك . فأذْكَ عليهم عيونَ التَطَّلُعِ ، ولا تُخْلِمْهم من التَصَفُّحِ والتَمَتُّعِ ، واجعلهم نُصَبَ عِينِكَ ، وتجاهَ ناظرك ، وتِلْقَاءَ وَجْهِكَ ، وإزاءَ خاطرك ، فمن كان أميناً أَقْرَبَتْهُ وَأَدْنَيْتَهُ ، ومن شككت فيه طَرَدَتْهُ وَأَقْصَيْتَهُ ، ومن ثَبَّتَ عليه هَفَوَتْ ، أو صَحَّتْ عليه عَثَرَتْ أو كَبُوتْ ، فسبيلك أن تَنَكَّلَ به ، وتبالغ في حُسْنِ أدبه . ولا تَسَلُكْ في ذلك مَسَلَكَ الجاملَةِ والمُدَاهِنَةِ ، فما كلُّ وقتٍ تصلح

== وإن لترك الضيفنة قد بدا تراها من المولى فما أستنبرها
عخافة أن تجنى على وإنما يهيج كبيرات الأمور صغبرها
(شرح المرزوق ١١٢٣/٣) .

(١) في الأصل (من لفا هذا إلى محسوس ذا) . والتصويب من الديوان .
وقبل البيت قول البحترى :

أصل التمر إلى النزر وقد يبالغ الحبل إذا الحبل وصل
ديوان البحترى ٢١٥/١ .

اللغاء : على وزن سماء التراب وكل خسيس حقير يسير . محسوس : من خس فلان
صيب فلان إذا جعله خسيساً دينياً حقيراً .

الذود : من ثلاثة أبيرة إلى عشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين
الثنتين والستع . وقولهم (الذود إلى الذود إبِل) يدل على أنها في موضع اثنتين لأن الثنتين
إلى العنتين جم (القاموس المحيط مادة ذود) .

الملائنة ، وليس كلُّ ذنبٍ يَحْتَمِلُ الإغْضَاءَ وَالطَّيَّءَ ، ومن الأمراض ما لا يُحْسَمُ
إلا بالكسَى وَأَفْسَدُ الأَشْيَاءِ لقانون الرِّبَاسَةِ وَضَعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ السِّيَاسَةِ ،
وَأَدْعَى الأَشْيَاءَ إلى انحلال النَّظَامِ ، الصَّفْحُ عن ذوى الذنوب والأجرام .

وهذه الأخيرة ، قد تقدم نظيرها ، وهو قولنا : فأدعى الأشياء إلى انحلال
النظام ، وَضَعُ العَفْوِ مَوْضِعَ الاتِّتِقَامِ ، وقد ذكرنا بيت أبي الطيب الذى
أخذناها منه (١) .

ومن ذلك قولى فى خاتمة الوصايا فى هذا التوقيع : « ولا حاجة لنا مع كماله
وسداده ، وهذبه أُلْجِمِعَ عليه ورشاده ، إلى استقصاء ما فى الوصايا والأوامر ،
ولوتيقن الكناية لقال فيها كم ترك الأول للآخر ، فهو يخترع من محاسن
التصرف من الخدمة ما يعجز عنه الكبير من أرباب السياسة والتدبير ،
ويستنبط بحبرته ما يستغنى به عن يرشده ، ولا يثبتك مثل خبر » (٢) .

فآخر هذا الفصل من الكتاب العزيز ، وصدرة مثل شعرى نظمه أبو تمام
فقال :

لازلت من شكرى فى حلة لا بسبها ذو سب فآخر
يقول من تفرع أشعاه كم ترك الأول للآخر

ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع : « وليطالع الديوان العزيز بأحوال عمليه

(١) البيت الذى يريد هو :

وضع الندى فى موضع السيف بالملا مضر كوضع السيف فى حوض الندى

(٢) سورة فاطر ١٤ .

(٣) من قصيدته فى مدح أبى سعيد التى مطلعها :

قل للأمر الأرحم الذى كفاه للبادى وللحاضر

الديوان ١٦١/٢ .

في أوقاتها ، من غير إزْجاءٍ يُفْضِي إلى فَوَاتِهَا ، مستمداً من تدييره الصَّابِ
وَرُشْدِهِ ، مَا يُبْصِرُ بِهِ سَبِيلَ قَصْدِهِ ، وَمُسْتَنْجِداً من رأيه النَّاقِبِ ما إذا شَدَّ
بِرْزَنْدِهِ ضَرْبَ بِنَصْلِ يَقْطَعُ الهَامَ من غَنْدِهِ .

هذا يتضمن من الأمثال الشعرية قول أبي الطيب المتنبي :

إذا شَدَّ رِزْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ في يَدِي ضَرْبْتُ بِنَصْلِ يَقْطَعُ الهَامَ مُعَمَّداً^(١)

ومن ذلك قولِي في توقيع بعض مُشْرِ في الأعمال في ذكر الأمانة : « فإِنِهَا
الدَّرْعُ الَّتِي تَسْخَرُ بِالنَّبَالِ ، وَتَهْزَأُ بِالنِّصَالِ ، وَتَضْمَنُ سَلَامَةَ دَارِعِهَا يَوْمَ
النِّزَالِ . وَقَلَّ مَنْ أَصْبَحَ مِنْهَا حَاسِراً ، إِلَّا وَأُمْسَى في صَفْقَتِهِ خَاسِراً ، أَوْ كَانَ
لَهَا مُجَانِباً ، إِلَّا وَنَزَلَ عَنِ السَّمَادَةِ جَانِباً ، فَالْأَمَانَةُ سِرُّ المَرءِ وَجَوْهَرُهُ ، وَباطنُ
الإنسانِ وَخَبِيرُهُ ، وَبِهَا يُسَدَّلُ عَلَى شَرَفِ نَفْسِهِ وَدِيَانَتِهَا ، وَمِنْهَا يُعْلَمُ ثَمَنُهَا
وَمَقْدَارُ قِيَمَتِهَا ، فَإِنْ كَمَلَتْ وَتَمَّتْ دَلَّتْ عَلَى عِزَّةِ النَفْسِ وَعُلُوِّهَا ، وَاحْتِقَارِهَا
لِدُنْيَا الحُطَامِ وَسُمْوُهَا ، وَإِنْ نَقَصَتْ أَبَانَتْ عَنِ لُزْمِ المَرءِ وَنَقَصِهِ ، وَكَشَفَتْ عَنِ
شَرِّهِ وَحِرْصِهِ ، فَيَسْتَسَلِفُ عَاجِلاً أَقْبَحَ الذُّكْرِ ، وَيَتَحَمَّلُ آجِلاً أَثْقَلَ الوِزْرِ ،
وَقَلَّ أَنْ يَعْدَمَ بَيْنَهُمَا تَقْدِيمُ العُقُوبَةِ وَتَعْجِيلُهَا ، وَطُرُوقُ الحَادِثَةِ وَحُلُولِهَا ،
فَلتَكُنْ عِصْمَةَ اللَّهِ مِنْ يَسْتَشْعِرِ الحَذَرَ ، وَبِشَاهِدِ الأَشْيَاءِ بِالبَصِيرَةِ قَبْلَ
مِشَاهَدَتِهَا بِالبَصَرِ . »

وفي أول هذا الفصل معنى قول الراجز ، وقد صار مثلاً :

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

لسل امرئ من دهره ما تمودا وعادات سيف الدولة الطعن في المدا
الدوان ١٩٣/١ .

وَنَثْرَةٌ^(١) تَهْرَأُ بِالنِّصَالِ كَأَنَّهَا مِنْ خِلْعِ اللَّهْلَالِ

ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع : « غير مستهين بالنزير اليسير ، ولا مُغض عن الأمر الحقيق ، ولا مسامح فى الفتيل ولا النقيير ، فقد يهذى الأبوسُ الغويرُ ، وكم مطرٍ بدؤه مُطِيرٌ » .

فى هذا الكلام ثلاثة أمثال : أحدها الفتيل^(٢) والنقيير^(٣) ، والثانى قولهم عسى الغويرُ أبوساً^(٤) . وقد نظمه أبو تمام فقال :

أهدى لها الأبوسَ الغويرُ كم مطرٍ بدؤه مُطِيرٌ^(٥)

ومن ذلك قولى فى توقيع لبعض المشرفين أيضا : « سكوناً إلى تدرُّبِهِ من العِفَّة والنزاهة بأوفى جِنَّةٍ ، والاعتصامِ من حولها وقوتها بأتمِّ حَوْلٍ ، وأعظمِ مُنَّةٍ ، واتحادها ألزمُ فرضٍ وآكدُ سُنَّةٍ ، فليواظب على حجِّ كعبتهما ، والتوجه إلى قبيلتهما ، والتدبُّين بشرِّعهما ، والسلوك فى شِرْعتهما ، وليستمر

(١) النثرة : الدرع المساء أو الواسعة .

(٢) الفتيل : السحاة التى فى شق النواة .

(٣) النقيير : النسكئة فى ظهر النواة .

(٤) الغوير : تصغير غار . الأبوس : جمع بؤس وهو الشدة . وأصل المثل فيما يقال من قول الزباء حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير على طريقه : عسى الغوير أبوساً . أى لعل الشر بأبيكم من قبل الفار . وجاء رجل إلى عمر ابن الخطاب يحمل لقيطاً فقال عمر : عسى الغوير أبوساً . قال ابن الأعرابي إنما عرض بهذا الرجل ، أى لملك صاحب اللقيط . ونصب أبوساً على معنى عسى الغوير بصير أبوساً . وقال أبو على جمل عسى بمعنى كان ونزل منزلته . بضرب لارجل يقال له لعل الشر جاء من جهتك .

جمع الأمثال ١/٣١٢ .

(٥) لم نذكر على النص بدوانه .

على التَّغَشَى بِيُزْدَمَا أَلْسِنِي ، وَالتَّمَرِّي عَنْ ثُوبِ الْإِسْفَافِ الدَّنِيِّ ، وَليَكُنْ فِي إِحْرَازِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ إِذَا عَرَضَ مَا هَرَا ، وَلِنَفْسِهِ عَنِ مَطْعَمِ السُّوءِ إِنْ اعْتَرَضَ قَاهِرًا ، وَفِيمَا يَثْبِتُ نَدَمَهُ جَاهِدًا ، وَلِلشَّيْطَانِ الْمَسْئُولِ لَهُ مُجَاهِدًا ، لِيَكُونَ بِأَفْعَالِهِ الْحَسَنَةِ مَكَافِيًا لِلْإِنْعَامِ ، وَمُسْتَحَقًّا لِزِيَادَةِ الْمَوْهَبَةِ وَالِدَوَامِ ، فَقَدِيمًا قَبِيلَ فِي الْمَثَلِ الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزِمُكَ الْعَمَلُ .

وقد ذكره عبد الحميد بن يحيى الكاتب في رسالته إلى الكاتب .

ومن ذلك قولِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْحِصَادِ ، وَتَفَتَّقَتِ الْأَكْمَامُ عَنْ نِيَمَارِ الْاجْتِهَادِ ، رَتَّبَ مِنَ الْأَعْوَانِ مَنْ يَثِقُ بِمُنَاصَحَتِهِ ، وَيَسْكُنُ إِلَى حِرَاسَتِهِ ، وَأَذَكِّي عَلَيْهِمْ عَيْونَ التَّطَلُّعِ ، وَأُضْفِي إِلَيْهِمْ بِمَسَامِعِ التَّصَفُّحِ وَالقَتْبِيعِ ، فَمَنْ وَجَدَهُ لِلْمَحْجَّةِ سَالِكًا ، وَلِلدَّاءِ تَارِكًا ، أَقْرَهُ وَاسْتَحْدَمَهُ ، وَأُذِنَاهُ وَأُكْرِمَهُ ، وَمَنْ أَلْفَاهُ عَنِ الْجَدِّ (١) نَاكِبًا ، وَلَا تَبَّاعِ الطَّمَعِ رَاكِبًا ، أَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ وَتَقْوِيمَهُ ، وَفَرَمَى بِضَرْبِ السِّيَاسَةِ أَدِيمَهُ ، وَجَمَلَ مَا يَعْتَمِدُهُ مِنْ نِكَالِهِ رَادِعًا لِأَمْثَالِهِ ، وَنَافِعًا لَهُ فِي مَسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ وَمَآلِهِ ، فَلَيْسَ الْكَهْلُ كَالْحَدَثِ الصَّبِيِّ ، وَلَا الْقَارِحُ (٢) كَالْجَذَعِ (٣) الْفَتِيِّ . وَالْحَوَادِثُ ذَخِيرَةٌ الْعَوَاقِبِ ، وَالْمِصَائِبُ أَمَانُ التَّجَارِبِ » .

هذا معنى قولهم في المثل المشهور : إن المصائب أمان التجارب .

(١) الجدد : المراد الطريق الواضح .

(٢) القارح : البازل وهو البعير في سنته الخامسة .

(٣) الجذع : البعير في سنته الثالثة .

ومن ذلك قولى فى آخر هذا التوقيع : « فحقيقٌ عليه بعدَ تعيينه واختباره ،
وإفراذه بالتقديم والتأهيل وإيثاره ، أن يهجرَ لذّة الرقادِ فى بلوغ المراد ،
وأن يكونَ لبِنُ المهادرِ عنده أخشنَ من شوكِ القتادِ (١) ، إلى أن يقال له قد
رقيتَ ولقيتَ ، وعلج بك فشفيتَ » .

هذا ينظر إلى قول ديك الجن (٢) :

فإذا شوفى بنى كنت حماما وإذا علج بى كنت شفاء

ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع أيضاً : « وليواصل مُتجدّاتِ العملِ
فى أوقاتها ، على اختلاف أنواعها وجهاتها ، ولا يستحقّرُ منها حقيراً ،
ولا يستصغرُ صغيراً ، فالكتاب سطرٌ إلى سطرٍ ، وأول الغيثِ قطرٌ إلى قطرٍ » .
هذا هو البيت المشهور للطائى :

وأرزقُ الفجرُ يبْدُو قبلَ أبيضِهِ وأوّلُ الغيثِ طلٌّ ثمّ ينسكبُ (٣)

ومن البديع النادر اللفظة التى ضممتها إليه وهى قولى : فالكتاب سطر
إلى سطر .

ومن ذلك قولى فى توقيع لبعض النظار : « وليشرعْ فى تطوافِ المعاملاتِ

(١) القتاد : شجر له شوك .

(٢) اسمه عبد السلام بن رغبان وديك الجن لقب غلب عليه .

وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين فى شعره ، وكان من ساكن
ولم يرح نواحى الشام ولا وفد إلى العراق أو غيره منتجعاً بشعره ، وكان يقشع تشيعاً
(الأغاني ١٢/١٣٦) .

(٣) سبق هذا البيت فى توقيع لابن أبى الحديد .

واستقرأها ، ونَصَفَحَها واستَبْرَأَها ، ومشاهدة مزروعها وضياعها وورساتيقها^(١) ويقاعها ومحاوليلها وأعمدتها وتواحيها وأَكْرَبَها^(٢) ، ليحصل عنده صُورُها وأشكالها ، ويثبت في ذهنه هيئتها وخيالها ، ولا يقنع بالأخبار والسماع ، والتمويل على ما في المطالعات والرقاع .

فليس انْخَبَرَ كالعيان ، ولا التَّقْلِيدُ كالْبُرْهَانِ ، ومن عَوَّلَ على سماع الأقوال ، واكتفى بها عن مشاهدة الأحوال ، قَصُرَتْ بِنَانُهُ عند المطاولة ، وأُفْحِمَ لسانُهُ عند المجادلة ، وكان مُنْقَطِعَ المادة ، محتاجاً لنقصه إلى التمام والزيادة .

ولْيُوَاصِلِ الحركة التي يُدْرِكُ بها ما بَعْدَ من أَعْمَالِهِ ونَأْيِ ، كما ذرأه ما قَرَّبَ إليه ودنا ، بحيث يكون كلُّ عاملٍ من عَمَلِهِ ، ومُتَقَدِّمٍ من أَكْرَبِهِ ورجاله ، لا يأمن هُجُومَهُ على غِرَّةٍ ، وقدومه على فِتْرَةٍ ، فتكون عَمَلُهُ كُلُّهَا آخِذَةً أَهْبَتَهَا ، لابسَةً زِينَتَهَا ، منتظرةً طُلُوعَهُ عليها ، مرتقبَةً وصولَهُ إليها ، فلا يزال الاجتهاد فيها بَيْنَ المنار ، ظاهر الآثار .

هذا المعنى ينظر إلى قول (بنت) المنتشر بن (وهب) الباهلي^(٣) في قصيدتها المشهورة :

(١) الرساتيق : جمع رستاق فارسي معرب والمراد الزرعة .
(٢) الأكرة : جمع أكار وهو الحرات .
(٣) كان الأصل (أخت المنتشر بن الباهلي) .
وهي الدعجاء بنت المنتشر بن وهب بن سلمة . قال السيد المرتضى في أماليه : إن هذه القصيدة من المرأتى للفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة ، وقيل إنها للدعجاء أخت المنتشر والصواب بنته .

لَا يَأْتِي مِنَ الْقَوْمِ مُسْمَاهُ وَمُضَبَّحُهُ

من كل أَوْبٍ وإن لم يَفْزُ يُذْتَظَرُ

ومن ذلك قولي في صدر توقيع لـكاتب : « لما كانت الكتابة الفلانية محتاجةً إلى ناهض بأعبائها ، فارح لغمائها ، كاشف لمبهمها ومجبولها ، ضابط لمجملها وتفصيلها ، نثلت^(١) كنانة الرجال ، وعجمت عيدان النصال ، وانتصبت صوارم الكتّاب الأجلاد ليوم الجلال ، وأجريت سوابق الكتابة في مضمار السباق والطراد ، كان فلان أوراها زندا ، وأزواها عدا ، وأصفاها ورذا ، وأضفاها برذا ، وأتقنها صناعة ، وأوسمها بضاعة ، وأطهرها جيبا ، وآمنها غيبا ، وأبعدها عيبا ، فمؤل عليه في الكتابة بالأعمال المذكورة ، علما أن قلبه يتمم نقصها ، ويرقع خرقها ، ويرأب صدعها ، ويجمع شملها ، ويحجز وهنها ، ويكلم شعثها ، ويسد خللها ، ويمحو زللها ، ويحيي رؤسها الدائرة ، ويعمر ربوعها العافية » .

أول هذا الفصل مأخوذ من قول الحجاج في خطبته بالكوفة : إن أمير المؤمنين نثل كنانته فمجمها عوداً عوداً ، فوجدني أشدها عوداً ، وأصلبها مكسيرا^(٢) .

== وكثير من الأدباء ينسب المرئية إلى أهني باهلة واسمه عامر بن الحارث بن رباح ، وهو أخو النعمان لأمه ، ومرثيته في جبهة أشعار العرب بين المرثي السبع .
(خزائن الأدب والكامل للبرد وجبهة أشعار العرب والأسميات وتاج المروس)
٥٦٧/٢ .

(١) نثلت الكنانة : استخرج الرجل نثلهما فثتما .

وفي الأصل (نكبت) .

(٢) عجم الرجل العود إذا عضة ليعرف صلب هو أم رخو . هذا هو الأصل فيه .

والخطبة بتاريخ للطبري ٢١٠/٧ وتهذيب الكامل للبرد ١٧٠/١ .

وَباقِي أَلْفَاظِ هَذَا الْفَصْلِ ثَلَاثٌ تَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ .

ومن ذلك قولِي في صدرِ تَوْقِيعِ بِصَلَحٍ أَنْ يَوْقِعَ بِهِ لِعَارِضِ الْجَيْشِ وَهُوَ :
« عَوَائِدُ الدِّيَوَانِ الْعَزِيزِ إِهْدَاءُ عَقَائِلِ النَّعْمِ إِلَى الْأَكْفَاءِ ، وَإِسْدَاءُ صَنَائِعِ الْكِرَامِ
إِلَى الْأَوْلِيَاءِ ، وَإِبْدَاعُ الْمَعْرُوفِ حَيْثُ يُنْشَرُ وَيُشْكَرُ ، لِأَحْيَافٍ يُجَحِّدُ وَيُكْفِرُ ،
وَعِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ مَوَاقِعَهُ ، لِأَعْنَادٍ مِنْ يُنْفَرُ وَأَقَمَهُ ، وَأَنْ يَتَخَيَّرَ لِعَرُوسِ إِحْسَانِهِ
أَطْيَبَ الْمَفَارِسِ وَأَزْكَاهَا ، وَأَخْلَقَهَا أَنْ يَحْلَوْا لِي حُسْنَاهَا ، لِتَسْكُونَ نِعْمَهُ
مُسْتَقَرَّةً فِي نِصَابِهَا ، رَافِلَةً فِي قَشِيبِ جِلْبَابِهَا ، مُودَعَةً حَيْثُ تُصَانُ الْوَدَائِعُ
وَتُرْكَو الصَّنَائِعُ .

ولَمَّا كَانَ فُلَانُ الرَّجُلِ الَّذِي تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ ، وَلَا تَعْدِلُهُ الْأَمْثَالُ ،
وَالْمَهْدَبَ الَّذِي لَا يُسْأَلُ لَهُ أَمْرٌ الرَّجَالِ ، وَالْفَائِزَ بِشَرَفِ الْإِسْتِعْلَاءِ عَلَى الْأَوْلِيَانِ
وَالْحَائِزَ لِقَصَبِ السَّبْقِ يَوْمَ الرَّهَانِ ، وَالْمَتَّوِّحِدَ بِمَخَصَّائِهِ عَنْ مُزَاحِمَةِ الْمُنَاطِبِ ،
وَالْمُنْفَرِدَ عَنِ الْأَضْرَابِ بِجَمِيلِ الصَّرَائِبِ ، رَأَى الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ
بَرْدَ النَّظَرِ فِي دِيَوَانِ الْعَرْضِ الْمَعْمُورِ إِلَيْهِ ، عُلَمَا بِاسْتِقْلَالِهِ وَاضْطِلَاعِهِ ، وَثِقَةً
بِسَعَةِ صَدْرِهِ وَامْتِدَادِ نَاعِهِ ، وَسَكُونًا إِلَى إِغْذَائِهِ وَغَنَائِهِ ، وَإِيْفَائِهِ وَوَفَائِهِ ، وَعَامَهُ
وَتَيْقِظَهُ ، وَحَزْمَهُ وَتَحْفَظَهُ ، وَطَمَأْنِينَةً إِلَى قِيَامِهِ بِالْمُهْمِ ، وَدِفَاعَهُ لِلْمَلِكِ ، وَثَبَاتَهُ
حِينَ تَصِيحُ الْجُلُومُ ، وَانْتِصَارَهُ حِينَ يَجْمِيسُ الْخِصُومُ . فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ
بِالشُّكْرِ الَّذِي يَكُونُ لَزِيادَتِهَا مُقْتَضِيًا ، وَلِمَضَاعَفَتِهَا مُمْتَرِيًا^(١) ، وَلَا مِثْلَهَا

(١) ممتريا : المراد جالبا وجاذبا من مرى الضرع إذا مسعه ليدر .

مُسْتَعِدًّا ، ولما أخلَقَ منها مُسْتَعِجِدًّا ، فالنعمة ضيف قِراءُ الشكر إن وَجَدْتَهُ لم تَرِمُ^(١) ، وإن فَقدْتَهُ لم تُقِمِ » .

في هذا الكلام إشارة إلى قول النابغة :

ولستَ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لا تَلْمُهُ على شَعَثِ أَيْ الرجالِ المَهْدَبِ^(٢)

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « ولينتصب لاستيفاء أموال الإقطاعات انتصابا يَظْهَرُ أثرُهُ ، ويُجْتَنَى مَرُّهُ ، في ضِمْنِ قوَّةٍ خاليةٍ من العُنفِ ، ولينٍ لا يُذَسَّبُ معه إلى ضعفٍ ، فالزعماء كَثَرَمَ اللهُ أُولو الحَمِيَّةِ ، والنفوس الأبيَّةُ ، وعلى الحقيقة فهم السباعُ الوَحْشِيَّةُ في الصُّورِ الإنسيَّةِ . فليحسِنُ التوصلُ في مُداراتهم ، والاستيفاء منهم ، والاستماعة بهيِّبةِ الدِّبوانِ العزيزِ عليهم ، غيرَ مراقِبٍ من ذلك لعظيمِ منهم ولا جليلٍ ، ولا مُغْضٍ عن كثيرٍ مما عليهم ولا قليلٍ . فبالمالِ تُسْتَمالُ الرجالُ ، وتُبَلِّغُ الآمالُ ، وتُفْتَحُ الصَّيَاصِي^(٣) وتملكُ النَّوَاصِي ، ويُسْتَدَنِّي القاصِي . والجُنْدُ بِالْمالِ يُجْمَعُ ، والمُلْكُ بِالْجُنْدِ يُمْنَعُ » .

في هذا الفصل إشارةٌ إلى الفزري^(٤) في صفة الأتراك :

من رأى قبلَهُمُ مجتمعا خِلقةَ الناسِ وأخلاقِ الأسودِ

(١) لم ترم : لم تزل .

(٢) من قصيدته في الاحتذار للنعمان بن المنذر .

(٣) الصياصي : الحصون جمع صيصية .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشعري ، كان شاعرا

محسنا . ولد بفضة سنة ٤٤١ هـ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ بين مرو وبلخ ودفن بها .

ومن ذلك ما قلت في صدر توقيع لفاظر بالسواد: «لما كان فلان من خَيْرِ
رشاده فعلا، وسداده قولا»، وتكاملت محاسنه وخصائصه، فلا يقال فيها
لولا، وسبقت له سوابق الكتابة التي تقلد نطاقها، وأقام أسواقها، وأحكم
ميثاقها، واجتلى بها عقائل الحماد بمد أن أغلى صداقها، وحجّت مذاهبه
في حال إصداره وإيراده، وشهدت بعفافه وأمانته ألسنة أوليائه وحساده،
رأى الديوان العزيز الإناعام عليه بنظر كذا، فليستل الله التوفيق والخيرة،
وليقدّم تقواه فهي أنفع عُدّة، وأنفس ذخيرة، وليتوجه إلى الأعمال
المذكورة بصدر رحب الفناء، وعزم نافذ المضاء، وأمل واثق بشمول
الآلاء، وليستك في جميع أنحاء مسلك أمثاله من ذوى الرّشاد والتحصيل،
ولا يتبع الهوى فيضّل عن سواء السبيل»^(١).

آخر هذا الكلام من القرآن العزيز، وفي أوله إشارة إلى قول القائل:

ليس فيها ما يقال له كملت لو ان ذابك لا أقول

وأنا ختم هذا الفصل بتوقيع كتبت له بعض الزعماء، وقد رتب شحينة واسط
وهو: «أولى الأَوْلِيَاءِ باجتلاء عقائل النعم الجزيلة، وامطاء كواهل الرّتب
الجليلة، واعتلاء صموات المنازل السنيّة، وارتقاء درجات المناصب العلية
من محض طاعته وعبوديته، واستوى سيره في الإخلاص وعلايقه،

(١) سورة م ٢٦ (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).

وحَسَنَتْ أفعاله وآثاره ، وطابت أباؤه وأخباره ، وكرَّم مَنبِيئُهُ ، وعَظَمَ مَشْهُدُهُ ، وأَبْرَزَ يومُهُ على أَمْسِهِ ، وأَزْبَنَ على يومه غَدُهُ .

ولما كنت أيها الأميرُ الأَجَلُ فلانَ الدِّينِ الجامعَ هذه الأوصافِ والخصائصِ ، والتحلِّي من جواهرِ المناقبِ بما لم تَظْفَرُ بمثله يدُ غائِصٍ^(١) ، واقترنَتْ بمسألتك التي سألتَ منها السيوفُ نفوساً ومهجا ، وبرمايتك التي لم يجعل اللهُ تعالى فيها عِوَجاً ولا أُمَّتاً^(٢) .

هذا مع ما خُصِّصَتْ به من وُفُورِ آياتك ، ورُجْحانِ حِصَانَتِكَ ، وعُلُوِّ همتك ، وطهارةِ شيمتك ، وأَنَّكَ بذَذْتَ الأشْكالِ والأضْرابِ ، وأوتيتَ حَزَمَ الشَّيْخوخَةِ في عُنُقُونِ الشَّبَابِ ، رَبُّنِي الإِنْعَامُ عليك بَرْدٌ شَحِيحَةُ الأَعْمَالِ الواسِطِيَّةِ إِلَيْكَ ، لاسْتِقْبَالَ كَذَا .

فَتَقَوَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي تُرَضِّيكُ بِشُكْرِ يُرَضِّيهَا ، وَهَذِهِ المَنْزِلَةَ الَّتِي تُضَاهِيكَ بِحَمْدٍ يُضَاهِيهَا ، وَتَوَجَّهْ إِلَى الأَعْمَالِ المَذْكُورَةِ بِصَدْرِ رَحْبٍ ، وَرَأْيٍ مُصِيبٍ ، وَسَيْفٍ مِنْ دَمِ أَهْلِ الكَيْدِ خَضِيبٍ ، وَاسْتَشْعِرْ تَقْوَى اللهِ فَالعَاقِبَةُ لِأَهْلِهَا وَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهَا ، وَلْتَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَتَدَّكَّرْ لَهَا كَلِمَةً قَصِيْرَةً غَيْرَ طَوِيلَةٍ : « إِنْ اللهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا »^(٣) وَنَاهِيكَ بِهَا فَضِيلَةً .

(١) بالأصل (بما لم يظفر مثله بدعائس) .

(٢) الأمت : الموج والاختلاف في الشيء والغيب .

(٣) سورة النحل ١٧٨ .

وابدأ بالرفق الذي ما دخل في شيء إلا زانه ، ولا استعان به أحد
في مشكل إلا أعانه .

والتق الناس ببشرِك ولطفك وطولك^(١) ، ولاتبدهم بالفظاظلة ، فلو كنت
فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك^(٢) .

والرعايا فهم الودائعُ عندك الموثوق لهم أن تلحقهم أمانك ورفقك ،
وتفرشهم^(٣) سداك ورتدك ، واكففت عنهم الأذى ، وأزح عنهم القذى ،
وقل لهم كما أذبك الله حسناً ، وبدلهم من بعد خوفهم أماناً ، ولا تمدن عينيك
إلى ما متعنا^(٤) ، وكن لهم حسيبة^(٥) من الجوز وحضنا ، وأحهم ثمن
يتعرض بهم في عرض هذا^(٦) الأني ، واسلك بالمعدلة فيهم صراطاً سويّاً ،
واجل قويهم في الباطل ضعيفا ، وضميفهم في الحق قويا .

وحراسة الارتفاقات الديوانية بالسطوات المرهوبة ، والنقمت المصنوبة ،
والهيبة التي تملأ القلوب ارتياحاً ، وتطير الأنفُس منها شماعاً ، فأنت فارسها

(١) الطول والطائل والطائلة : الفضل .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ (ولو كنت فظاً ...) .

(٣) تفرشهم سداك : توسع لهم فيه أي تشملهم به .

(٤) سورة طه ١٣١ (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا

لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

(٥) الحسبة : من قولهم حسن الحسبة أي حسن التدبير .

(٦) الأني بفتح الهززة أو كسرهما وسكون النون فيها والأناة بالمد الوهن والساعة

المُعَلِّمُ^(١)، وشُجَاعُهَا الْمُقَدَّمُ، وَلَيْشُهَا الَّذِي تُحْجِمُ اللَّيْثُ وَلَا يُحْجَمُ، فَا مَدُّ دَوَّطَانِكَ عَلَى أَهْلِ الرَّيِّبِ وَالْفَسَادِ، وَشَرَّدَ بِهِمْ عَنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْبِلَادِ، وَاتَدَبَ لِلْقِيَامِ بِسِيَاسَتِهِمْ كَاتِدَابِكَ لِلْقِيَامِ بِالْفَرَضِ، فَمَا كَانَ لَزِيمًا أَنْ تَكُونَ لَهُ سِيَاسَةٌ حَتَّى يُنْخَنَ^(٢) فِي الْأَرْضِ .

وَالْأَمْوَالُ الْمُتَمَزِّقَةُ فِي أَقْصَى الْأَعْمَالِ وَنَائِبِهَا^(٣) لَا تُحْرَسُ إِلَّا بِإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ عَلَى جَوَانِبِهَا، وَمِنَ الْجَوْرِ الْبَيْنِ وَالْحَيْفِ وَضَعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ السَّيْفِ .

وَنَوَابِكُ الَّذِينَ تَرْتَبُّهُمْ فِي الْأَعْمَالِ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى حِرَاسَةِ الْأَمْوَالِ، فَاصْلِحْهُمْ أَوْلًا وَطَهِّرْهُمْ، لِيَحْضُلَ بِهِمُ الصَّلَاحُ وَالطَّهَارَةُ، وَلَا تَرَضَ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَأْمُرُ النَّاسَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ الْأَمَارَةَ .

وَأَلْزَمَهُمْ بِمَدَاوِمَةِ فِعْلِ الْخَيْرِ يَكُونُوا (أَهْلَهُ)، وَلَا تَجْعَلْهُمْ مِمَّنْ يَنْهَى عَن خُلُقِي وَيَأْتِي مِثْلَهُ .

وَأَقِمْ عَلَيْهِمُ الْأَرْصَادَ، وَأَقْعُدْ لَهُمُ بِالْمِرْصَادِ، وَرُضْنَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ مَنَاجِكِ الْقَوِيمِ، وَاهْتِدَاءِ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَلِمَهُمْ مِنْ سَجَايَاكَ الْحَمُودَةَ مَا لَمْ يَعْلَمُوا « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمِي » :

وَحِرَاسَةُ الطَّرِيقِ وَالْمَذَاهِبِ، وَحَمَايَةُ الْمَسَالِكِ وَالْمَشَارِبِ، وَقَعَّ كُلَّ نَاجِمٍ

(١) الفارس المعلم : بكسر اللام هو الذي يجعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب .

(٢) ينخن : من أنخن في العدو أي بالغ الجراحة فيهم ، وأنخن فلانا إذا أوهنه ، وقوله تعالى (حتى إذا أنخنتموه) أي غلبتموه وكثرت فيهم الجراح .

(٣) بالأصل (ودنايها)

بفساد ، أو قادح للشَّرِّ بزناد ، أو نُحِيف سبيلٍ ، أو قائِدِ رَعِيلٍ^(١)

فكن في ذلك كالليث السَّبِّ^(٢) ينهض إلى فريسته ، والصقْرِ القَطِمِ^(٣)
بِنَقْضٍ على طَرِيدته ، حتى تُوسِعَ كلَّ ساعٍ بالفسادِ قَتلاً وأُمرأً ، وتوثِقَ
كلَّ عادلٍ عن السِّدادِ حَبَساً وحَصراً ، وتَأْمنَ السُّبُلُ والأَطرافُ ، وتصبح
الناسُ فيها كحمامِ الحَرَمِ لا يَخَافُ .

فهذه الأعمالُ مظلمةٌ ، فكن أضواً من السِّراجِ ، وهذه المدرةُ^(٤)
حجاجيةٌ^(٥) فكن أهيبَ من الحجاجِ .

وقد تلخَّصَ من مجموع وصايا المالك أن يكون الملك ذا الوينين : أزهرَ
وأقتمَ ، وذا طمَّين : أحلى من العسلِ ، وأمرأً من العلقمِ ، وذا وجهين :
طلقٍ وشتمٍ^(٦) ، وذا يومين : يوم بُؤسٍ ونعيمٍ .

والدعامةُ التي تقومُ بها السِّياسةُ ، وينصبُّ عليها عملُ الرِّياسةِ هي القوةُ
من غيرِ عنفٍ ، واللِّينُ من غيرِ صَعْفٍ ، فالرعيةُ كريضٍ هذه زُبْدَةُ علاجِهِ ،
والسياسةُ كبَدَنٍ هذا تعديلُ مزاجِهِ .

واجعلْ أعظمَ كَدِّكَ ، وغايةَ قَصْدِكَ ، استجلابَ الأدعيةِ الصالحةِ

(١) الرميل : الجماعة من الخيل ، وللراد هنا الثوار الخيالة .

(٢) السبب : الجائع ، وكذلك ساقب وشغبان .

(٣) القطم : الذي يشتمى اللحم . والقطامي بفتح القاف وضمها الصقر .

(٤) للدره : المدينة .

(٥) حجاجية : حجاج بلدة في يهيم .

(٦) شتم : كربه الوجه عابس . كانت بالأصل (ستم) .

لهذه الأيام الشريفة الزاهرة ، التي يَحْسُدُهَا سَائِرُ الأيام ، ويتنافسُ الناسُ عليها فلا يبيعون ساعاتها بالأعوام ، أن تدوم لأهلها فهم من الحوادث في أمان ، وتُظَنُّ لِرَوْقِهَا ونَضَارَتِهَا أنها أيام الجنان ، أيدّها اللهُ بدوامٍ لا تَمَسُّكَ لسحابه ، وبقاء لانفادٍ لحسابه .

فهذه معظم وصايا التوقيع المذكور ، وقد تضمنت من ترصيع الآيات الشريفة والآيات الشعرية والنسكت والأمثال جملة صالحة .

أما الآيات الشريفة فقوله تعالى « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً^(١) » وقوله تعالى « والعاقبة للمتقين^(٢) » وقوله تعالى « مع الذين اتقوا^(٣) » وقوله تعالى « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك^(٤) » وقوله « وقولوا للناس حسناً^(٥) » وقوله « وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً^(٦) » وقوله « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم^(٧) » وقوله : « يأخذون عرض هذا الأدنى^(٨) » وقوله « أهدك صراطاً سوياً^(٩) » وقوله « شرّد بهم من

(١) سورة طه ١٠٧

(٢) سورة الأعراف ١٢٨ (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)
وسورة القصص ٨٣ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يربدون علوان الأرض ولا يفسدوا
والعاقبة للمتقين) .

(٣) سورة النحل ١٢٨ (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

(٤) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٥) سورة البقرة ٨٣ .

(٦) سورة النور ٥٥ .

(٧) سورة طه ١٣٩ .

(٨) سورة الأعراف ١٦٩ .

(٩) سورة مريم ٤٣ (فأتبعني أهدك صراطاً سوياً) .

خَلَفَهُمْ^(١) » وقوله « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يَبْنَحِينَ
في الأرض^(٢) » .

نقلته أنا إلى السياسة فقلت ما كان لزعيم أن تكون له سياسة حتى يَبْنَحِينَ
في الأرض^(٣)

ولا يَبْنَحِي ما في النقل من اللطافتين . وقوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر
وَتَنْهَوْنَ أَنْفُسَكُمْ^(٤) » وقوله : « واقعدوا لهم كل مرصد^(٥) » وقوله : « صراطك
المستقيم^(٦) » وقوله : « وفوق كل ذي علم عليم^(٧) » .
وأما حَلَّ الأبيات الشعرية فقول الشاعر :

حالك اليومَ فوقَ حالكِ بالأَمْسِ وأرجوكِ المزيدي غدًا^(٨)
قد نثرناه نحن فقلنا : وأبرَّ يومه على أمسه ، وأرْبَى على يومه غده .
وقول السموأل :

تَسِيلُ على حَدِّ السُّيُوفِ نفوسُنَا ولَيْسَ على غيرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ^(٩)

(١) سورة الأنفال ٥٧ (إِذَا تَقَفْتُمْ فِي الْمَرْبِ فَفَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) .

(٢) سورة الأنفال ٦٧ .

(٣) جملة مكررة في الأصل حذفناها .

(٤) سورة البقرة ٤٤ .

(٥) سورة التوبة ٥ .

(٦) سورة الأعراف ١٦ (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) .

(٧) سورة يوسف ٧٦ .

(٨) حذفنا في من (في الأمس) ليستقيم الوزن .

(٩) في شرح الحماسة للرزوقي ١١٠/١ روايتان : (حد الظلمات) و (حد السبوف)

ونسبة القصيدة إلى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أو للسموأل بن عدياء .

وأول الأبيات قوله :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جليل

أخذناه فقلنا : بمسألتك التي سألت منها السيوف نفوسا ومهجا .

وقول المتنبي :

وشيخٌ في الشباب وليس شيخاً يُسمى كلٌّ من بلغ المشيباً^(١)

حللناه نحن فقلنا : وأوتيت حزمَ الشيخوخة في عنقوان الشباب .

وقول قطري بن الفجاءة^(٢) من شعراء الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لاتراعي

أخذناه فقلنا : تملأ القلوب ارتياحا ، وتطير النفوس منها شعاعا .

وقول المتنبي :

لا يسلمُ الشرف الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ^(٣)

(١) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي التي مطلعها :
ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيبا
الديوان ١٠١/١

(٢) في الأصل (عمرو بن الإطناية) والصواب أن البيت من أبيات لقطري بن الفجاءة
كما في شرح التبريزي للحماسة ٥٠/١

(٣) من قصيدته في مجاء إسحاق بن إبراهيم بن كيفلخ مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت وختل أن أسلم
وكان أبو الطيب قد سار من الرملة يريد أنطاكية فنزل بطرابلس وبها إسحاق هذا ،
وكان مجالسه ثلاثة من بني حيدرة ، فقالوا لإسحاق : أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟
وجملوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج بيده لحفته ألا يمدح أحدا إلى مدة . فعاقبه من
طريقه ينتظر المدة . ومات الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوما . فجهاد التنبي وأمل
القصيدة على من يثق به ، ثم فر إلى دمشق .

(الديوان ٣٧٩/٢)

حللناه فقلنا : والأموالُ المتمزقةُ في أقاصي الأعمال ونائبها لا تحرسُ
إلا ببارقة الدماء على جوانبها .

وقول المتنبي أيضا : « ووضع الندى في موضع الانتقام »^(١) حللناه فقلنا :
ومن الجوزِ البينِ والحيفِ ، وضعُ الصفحِ في موضعِ السيفِ .

وقد حللت هذا البيت بعبارات ثلاث والمعنى واحد وقد تقدم ذكرها ،

وهي : أفسدُ الأشياء لقانونِ الرياسة ، وضعُ العفوِ موضعَ السياسة .

والثانية فأدعى الأشياء إلى انحلال النظام ، وضع الصفح موضع الانتقام .
والثالثة هذا الموضع .

وقول القائل :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم^(٢)

(١) يشير إلى قول المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف بالملا مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقد سبق .

(٢) المشهور أن هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة له أولها :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه فاقوم أعداء له وخصوم

وقد وقع في قصيدة للمتوكل بن عبد الله الليثي نفسه بهمضم إليه . وهو شاعر في عهد يزيد
بن معاوية ، وقصيدته أولها .

لثانبات بندي الحجاز رسوم فيبطن مكة عهدهن قديم

قال شارح أبيات الإيضاح : نسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلي والمتوكل بن نهمش بن
مسافع الليثي ، وللطرماح بن حكيم والحسان بن ثابت ولاخطل .

وقال : الصحيح عندي أنه لأبي الأسود أو للمتوكل الليثي ، وقد رأيت في قصيدة كل منهما

(شرح شواهد المغني للسيوطي وخرانة الأدب للبغدادي وشواهد العيني) .

وذكر الأمدى في اللؤنات والمختلف ١٧٩ وذكر المرزبان في معجم الشعراء ٤١٠

أنه للمتوكل الليثي .

أخذناه نحن قفلنا : وألزمهم ب مداومة فعل الخير يكونوا أهله ، ولا تجملهم
من ينهى عن خلق ويأتي مثله .

وقول ابن هرمة :

كريم له وجهان وجهٌ لذي الرضا

أسيلٌ ووجهٌ في الكريهة باسل^(١)

أخذناه قفلنا : وذا وجهين طلق وشتيم .

وقول الشاعر :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤسٌ ويومٌ نعيمٌ فيه للناس أنعمٌ

أخذنا قفلنا : ذا يومين : يوم بؤس ويوم نعيم .

وقول الشاعر :

تنافس الناسُ في أيام دولته فما يبيعون أياما بأعوام

أخذناه قفلنا : ويتنافس الناس عليها ، فما يبيعون ساعاتها بالأعوام .

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة شاعر مجيد أدرك العصر العباسي .

وقد مدح للصور بقصيدة مطلعها :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل .

حتى انتهى إلى قوله :

له لحظات عن حفاف سريره إذا كرها فيما عقاب وفائل

(الأغانى ١٧٢/٥) .

وقول المتنبي :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَأَنَّى فذلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (١)

أخذناه نحن فقلنا : بدوام لا تماسك لسحابه ، وبقاء لانفاد لحسابه .

وأما الأمتال والنسكت فقولهم . مادخل الرفق في شيء إلا زانه .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه على قريش : اللهم اشدد وطأتك

على مُصْرَ .

وقد صار ذلك مثلاً سائراً .

وقولهم السياسة لِينٌ من غير ضعف ، وقوةٌ من غير عُنف .

و يقال إن أول من قال ذلك أبو بكر الصديق . وقولهم : هذا عصر تحسده

الأعْصُرُ الخالية ، وقد جاء في الشعر كثيراً ، كقول ابن هانيء :

فأما الليالي السالفاتُ فَقَطَّعَتْ أَناملها من حَسْرَةٍ وتندم

وأما الليالي الحاضراتُ فأدركتُ مآربها من بهجةٍ وتكرم

(١) من قصيدته في مدح أبي الفتح محمد بن العميد التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجرد دمك أو جرى

وقبل البيت قوله :

من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

وسمعت بطليموس دارس كتبه متاسكا متبديا متحضرا

ولقيت كل الفاضلين كأغا رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوالنا ...

(الديوان ١/ ٣٧٠)

أى أنه جمع من الفضل ما في أولئك السابقين جيها ، لأنهم مضوا متتابعين متقدمين على ابن العميد ، فلما أتى كان فيه من الفضائل ما كان فيهم ، مثل الحساب تذكرت تفاصيله أولا ثم تجمل التفاصيل فتسكتب في آخر الحساب .

وفي الفصول المذكورة من الألفاظ والنكت الجارية مجرى الأمثال ، عدا ما ذكرناه ما لا يخفأ به .

فهذه نبذة من حلّ المنظوم ذكرناها كمجالة القرى^(١) ، وكهيئة الطارق إذا عرا^(٢) .

إن وجدنا أدنى فسحة أتمننا ما شرعنا فيه من حلّ سيفيات أبي الطيب المتنبي ، وتقريبها إلى خزانة مالك الأمر ، ووارث الدهر ، جعله الله بألطافه وكراماته الجليلة ممنوحا ، وأعطاه من البسطة في الملك والعمر ما لم يعطه الإسكندر ونوحا .

قال المصنف : وقد ذكر ابن سنان الخفاجي أن أحد ما يشترط في حسن اللفظة أن تكون مخارج حروفها متباعدة .

قال : وهذا باطل ، لأنه لو كان العلم بحسن اللفظة وقبحها مشروطا بتباعد مخارجها أو تقاربها ، لوجب ألا يحكم على الفور بقبح لفظة أو حسنها حتى تعتبر مخارج الحروف .

ونحن نجد الأمر بعكس ذلك ؛ فإننا ساعة ما نسمع اللفظة نفقي بحسنها أو قبحها . وما ذاك إلا لأن هذا أمر يرجع إلى حاسة السمع ، فإذا استحسننا

(١) عجالة القرى : ما يقدم في سرعة للضيف .

(٢) الطارق : من يطرق الباب ليلا . عرا : غفى وجاء طالبا المعروف .

شيئاً أو استقبحته ، وَجَدَتْ ما تستحسنه متباعداً مخارج الحروف ، فاستحسنها واستقباحها إنما قَبْلَ اعتبارِ المخارجِ لابعده (١) .

أقول : ليس مُنْكَرٍ أَنْ يُعْلَمَ المَعْلُولُ قَبْلَ العِلَّةِ ، والمشروط قبل الشرط .
الآن ترى أنك إذا رأيتَ الجاريةَ الحسناءَ ، فإنك تستحسنها على الفورِ ، ولا يتوقفُ استحسانك إياها على أن تستحضرَ في ذهنك عِلَّةَ الحُسْنِ من رِقَّةٍ شَفَتَيْهَا وأنفِها وامتدادِ سالفَتَيْهَا ، ومخالطةِ الحرَّةِ للبياضِ في بشرةِ وجهها ، وغير ذلك من أسبابِ الحُسْنِ . ولا يطن حكماً بالحُسْنِ على الفورِ في تعليلي الحُسْنِ بهذه الأمور ؟

ومن ذلك أنه قد اعترفَ أن كل ما نستقبحه من الألفاظ تجده متقاربَ الحروف ، وما تستحسنه منها تجده متباعداً الحروف ، ولكنه زعم أنه لا يُعْلَلُ الاستقباحَ والاستحسانَ بهما ، فقال له إذا كان تقاربُ المخارجِ والاستقباحُ متلازمينِ لا يفترقان ، فلا بُدَّ من أمرٍ أَوْجَبَ مُلازِمَتَهُما ، فيمكنك أن تقولَ إن الاستقباحَ أَوْجَبَ تَقَارُبَ المخارجِ فيما هو متقاربُ المخارجِ ، وهو أمرٌ ذاتيٌّ له لا يتوقفُ على الاستقباحِ .

فإذا لم يكن الاستقباحُ أَوْجَبَ تَقَارُبَ المخارجِ ولا بُدَّ للملازمةِ إياه من سببٍ ، فلا سببَ إلا أن يُقالَ : المخارجُ عِلَّةُ الاستقباحِ .

(١) للنل السائر ١/٢٢٢ بتلخيص .

قال المصنف : وقد وجدنا ألفاظا متقاربة الخارج وهي غير مستقبحة ، كلفظة
مَلَعَ إِذَا عَدَّ وَأَسْرَعَ^(١) .

أقول إن ابن سنان لم يدعِ الاطراد المطلق ، وإنما قال إن الأكثر
الأغلب استقباح الألفاظ المتباعدة الخارج ، إذا لم توجد فيها علة أخرى
توجب استقباحها ، والشاذ لا يعتد به .

على أن هذا لازم له ؛ لأنه قد اعترف أن كل لفظة متقاربة مخارج
الحروف فإنها مستقبحة ، وإن لم يعلل الاستقباح بذلك .

فأورده على ابن سنان لازم على ما اعترف هو به من تلازم الأمرين .

قال : وقد غلط أبو نواس في لفظة الظرف فقال :

اختصم الجود والجمال	فيك فصارا إلى جدال
فقال هذا يمينه لي	للمرف والبذل والنوال
وقال هناك وجهه لي	للظرف والحسن والكمال
فافترا فيك عن تراض	كلاما صادق المقال ^(٢)

(١) اللؤلؤ السائر ١/٢٢٥ .

(٢) اللؤلؤ السائر ١/٢٥٦ .

قال : فوصف الوجه بالظرف ، والظرف من صفات النطق خاصة ، وليس كما يتوهمه العامة من حسن الصورة ودَمَانَةِ الأخلاق^(١)

أقول : إن هذا الذي ذكره قد قاله كثيرٌ من الناس ، وقال كثير من الناس غير ذلك ، فإن صاحب ديوان الأدب قال : الظرف الكياسة ، ولم يزد على ذلك ، وهكذا قال صاحب الصحاح . ومعلومٌ أن الكياسة لاتكون راجعةً إلى النطق اللساني خاصة ، وعلى كل الأحوال فأبو نواس لم يقلط ، لأن أداة الظرفِ وهي اللسان على ما يريده جزء من أجزاء الوجه ، فإذا قال الجمالُ إن وجهه هذا المدوح لى ، لأنه محلُّ الظرفِ ، ومحلُّ آلهِ الشيء محلُّ الشيء ، كما يقال : الرأسُ محلُّ الشَّمِّ والذوق ، لأنه محلُّ آلتيهما^(٢) .

قال المصنف : وقد غلط أبو تمام في قوله .

ودَمَانَةُ الخَلْقِ التي لو مَازَجَتْ
خُلُقَ الزمانِ القدمُ عادَ ظريفًا

فوصف الخلق بالظرف ، والظرف يختص باللسان والنطق^(٣) . أقول :

(١) عبارة ابن الأنبر : فأبو نواس غلط ها هنا في أنه وصف الوجه بالظرف ، وهو من صفات النطق ، وأبو تمام غلط في أنه وصف الخلق بالظرف ، وهو من صفات النطق أيضاً ، إلا أن هذا غلط لا يوجب في هذه اللفظة قبجا ، لكنه جهل بمعرفة أصلها في وضع اللفظة .

(٢) يظهر أن في العبارة سقطا لأن جواب إذا لم يم .

(٣) المثل السائر ١/٢٥٧ .

من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي سعيد عمه بن يوسف ، وقبل البيت قوله :

لك هضبة الحلم التي لو وازقت أجأ إذن نقلت وكان خفيفا =

لو سلمنا له ما يُريدُهُ من تفسير الظرف لكان لقول أبي تمام مذهبٌ لا بأسَ به ، لأن تهذيب الأخلاق ورياضتها وتسهيل حزنها وتدميته مما يمين على حسن التوصلات النطقية ، ويؤثر في تلطيف الألفاظ ، وإصابة الأغراضِ بهما .

ألا ترى أن النبطيَّ الجافي لا يكاد يبلِّغُ أغراضه بالكلام ، ويحسِّنُ التوصلَ إلى إدرالك ما يرويه بلسانه ، بخلاف مَنْ قد خالطَ وجربَ ، وراضَ أخلاقه وهذبَ نفسه ؟ فن هذا الوجه جعل أبو تمام دَمائِمَ الخلقِ مؤثرةً في الظرفِ ، وإن كان عائداً إلى النطق اللساني خاصةً .

قال المصنف : وقد ذكر ابن سنان الخفاجي في كتابه أن من أوصافِ الكلمة أن تكون مؤلَّفةً من أقلِّ الأوزانِ تركيباً ، وأنها إذا طالت قَبِحتْ

ومثل ذلك بقول المتنبي :

إن الكرامَ بلا كرامٍ منهمُ مثلُ القلوبِ بلا سويداواتِها
فإن لفظة سويداواتها قبيحة لطولها .

= والببت بالديوان هكذا :

وحلاوة الشيم التي لو ما زجت خلق الزمان القدم عاد ظريفا
(ديوان أبي تمام ٣٠٩) .

قال: ليس الأمر كذلك، فإنها لو قبحت أطولها، لقبح قوله تعالى «فسيكفيمكم الله»^(١)، وقوله سبحانه: (لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ^(٢)) فإن إحداهما تسمة أحرف، والأخرى عشرة أحرف^(٣).

أقول: أَلَسْتَ قَلْتَ فِي بَابِ الْمَعَاظِلَةِ إِنَهُمَا مِمَّا وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى قَبْحِهِ، وَقَلْتَ إِنَهَا تَكَرُّرِ الْحُرُوفِ، وَمِثْلَتْ لَهَا بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

«جَنَى جَنَاتٍ وَجَنَّاتٍ الْحَبِيبِ». وقولهم:
«وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(٤)».

فلقائل أن يقول لك: قد ورد في القرآن الكريم مثل ذلك وهو قوله تعالى:
(بِسْلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ، وَأُمَمٍ سُنِمَتَهُمْ
ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٥)).

فهذه ميمات كثيرة يتلو بعضها بعضاً، فإما أن يكون استعمالها في القرآن غير مستحسن، أو يكون مستحسناً، فإن لم يكن مستحسناً مع أنها قد استعملت، فاختر لابن سنان أن تكون الكلمة الطويلة كقوله: «لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ» غير مستحسنة، وقد استعملت، وإن كانت المغالطة قبيحة إلا في القرآن الكريم،

(١) سورة البقرة ٣٧.

(٢) سورة النور ٥٥ (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليدخلنهم في الأرض)

(٣) للثل السائر ١/٢٦٥.

(٤) للثل السائر ١/٤٠١ وفيه البيت كاملاً:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(٥) سورة هود ٤٨ (قيل يأنوح اهبط بسلام منا ٠٠٠٠).

فَاخْتَرْنَا لابن سِنَانٍ أَنْ يَكُونَ كَثْرَةُ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ قَبِيحَةً إِلَّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

وبالجملة فإما أَنْ يَلْزِمَكَ مَا أَلْزَمْتَهُ أَوْ تَتَخَلَّصَ مِمَّا يَتَخَلَّصُ بِهِ .

قال المصنف: وأكثر أسجاع الصَّابِيِّ (١) وابن العميد (٢) وكثير من المتقدمين والمتأخرين من الكتاب بتكرير المعنى بعينه في السجعتين اللزودجتين ، كقول الصَّابِيِّ فِي التَّحْمِيدِ: «لَا تُخَلِّقُهُ الْعُصُورُ بِمُرُورِهَا ، وَلَا تُهْرِمُهُ الدُّهُورُ بِكُرُورِهَا» . ثم قال في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: «فَلَمْ يَدْعُ^(٣) لِلْكَفْرِ أَوْ أَرَأَى إِلَّا طَمَسَهُ وَمَحَاهُ ، وَلَا رَسَمًا إِلَّا أَرَاهُ وَعَفَاهُ» . قال : ولا فرق بين تحوُّ الأثر ولا تعفية الرسم ، ولا بين مرور العصور ، وكرور الدهور .

قال : ومثل قوله: «لم تزل الدولة العباسية تعتلُّ طَوْرًا ، وتَصِحُّ أطوارًا ،

(١) أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون ، كان كاتب الإنشاء في بغداد عن الخليفة وعند عز الدولة بن بختيار بن ماز الدولة بن بويه ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكان على مذهب الصابئة كما يدل على ذلك اسمه ، وله صداقة مع الشريف الرضى ، وقد اشتهر بكتابه المسجوعة ، وله رسائل مطبوعة (وفيات الأعيان ١٢/١ وبتيمة الدهر ٢٣/٢ ومجمع الأدباء ١/٣٢٤) .

(٢) أبو الفضل محمد بن العميد . والعميد لقب أبيه على عادة أهل خراسان في التنظيم كان وزيراً لركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة سنة ٣٢٨ وكان متوسماً في اللغة والنجوم والأدب حتى سموه الأستاذ والرئيس والملاحظ الثاني . وهو صاحب مذهب في النثر معهور .

(٣) وفيات الأعيان ٤/١٨٩ .

(٤) في اللؤلؤ الدائر (لم ير للكفر) .

وتَلْتَاثُ مرةً وتَسْتَقِيلُ مراراً ، من حيث أَضْلُهَا راسخٌ لا يَتَزَعَّزَعُ ، وبُنْيَانُهَا ثابتٌ لا يَتَضَعُّعُ .

قال : وهذه الأَسْجَاعُ كلها متساوية المعاني ، فإن الاعتلال والالتياك والطَّورَ والمرةَ والرسوخَ والثباتَ سواء . ثم ذكر عدة مواضع من كلامه يجري هذا المجرى ^(١) .

أقول هذه سُنَّةُ السِّكِّتَابِ وعادتهم مازالوا عليها قديماً وحديثاً ، وهم يرون ذلك من باب سَمَةِ العبارة والاعتدال على الألفاظ .

ثم إن السجعة الثانية توكِّدُ معنى الأولى ، والتأكيدُ عُندَةُ البَيَانِ والكتابة ، ولذلك أَحَبُّوا فيها الإطالة ، وفي الشطر الاختصار .

ولهم في هذا الباب عُدْرٌ يتضمن تعليله . والسبب الذي لأجله تَوَسَّعُوا في عباراتِ الكتابةِ وَأَسْهَبُوا ، واقتصرُوا في النِّظْمِ واختصروا أن القرآن الكريم وهو على غاية الإيجازِ والاختصارِ قد تضمن ذلك في كثير من المواضع نحو قوله : (أعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ) ^(٢) فَالرَّبُّ هاهنا والملك والإله بمعنى ، فكل واحدة من هذه السِّجَّعَاتِ قد أُعْطِيَتْ معنى الأخوى .

ومثل قوله : (لنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا) ^(٣) . فإن الجنات هي البساتين ، ولا مَعْنَى للبساتين إلا ما كان محتويًا على الحب والنبات .

(١) المثل السائر ١/٢٨٧ ومنه أصلنا النص .

(٢) سورة الناس .

(٣) سورة النبأ ١٥ ، ١٦ .

ومثل قوله: (إنهم كانوا لا يرجون حساباً، وكذبوا بآياتنا كذباً باهياً)^(١)
فإن عدم اعتقادهم للحساب هو تكذيبهم بالآيات .
ومثل هذا في القرآن العزيز كثيرٌ جداً .

فإن قلت: يمكن إن يقال إن الملكَ غيرُ الإلهِ ، لأن أمير كل بلدة يوصف بأنه ملكها ، ولا يوصفُ بأنه إلهها ، وكذلك رب الدار لا يقال له إلهها ، وأيضاً يمكن أن يُقال إنه أراد بالحَبِّ الأوقات ، وبالنبات مالا ساق له من الشجر ، وبالجناتِ ماله ساقٌ ، وغير ذلك من التأويلات .

قلتُ: إذا شرعت في هذا كان لقائل أن يقول إن قول الصابي: لا تُخلقهُ العصورُ غير قوله لا تُهَرِّمُهُ الدهورُ ، لأن الهرم إنما يكون للحى المختار ، والإخلاق أعمُّ من ذلك ، لأنه يكون للجماة ، فزاد أنه لا تُغيِّره الأوقاتُ ، على كلا مذهبي المتكلمين والحكماء .

وقوله: «لم يدع له أثراً من آثارِ الديارِ والأماكن ولا رسماً» من قولهم قدر سمت لك في هذا الكتاب رسوماً فاعمل بها . وأيضاً فإنَّ تَعَتَّلَ غير تَلْتَثَثُ ، لأن الالتياث الضعْفُ فقط ، وإن لم يكن عن علة ، ولذلك أعقبه بقوله نَسْتَقِلُّ ، كما أعقب الاعتدالَ بالصحة . ومثُلُ هذه التَّدْقِيقَاتِ الخَفِيَّةِ في التأويلات لا يتعذر تحصيلها على من عنده فقهٌ في موارد هذه الصناعة .

قال المصنف والتصريحُ سبعة أنواع^(١) .

الأولُ أن يستقلَّ كلُّ واحدٍ من المِصْرَاعَيْنِ بنفسه استقلالاً تاماً ، وهو التصريح الكامل ، كقول امرئ القيس :

أفأظم مهلاً بعضَ هذا التبدال وإن كنت قد أزمعتِ هجرى فأجملِي^(٢)
وقول المتنبي :

إذا كان مدحٌ فالنسب المقدمُ أكل فصيح قال شعراً متمِّمٌ؟^(٣)

الثاني : أن يكون المِصْرَاعُ الأولُ مستقلاً بنفسه ، والثاني غير مستقل بنفسه ، بل يكون مرتبطاً بالأول كقول امرئ القيس :

فَإِنَّا نَبِّئُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
يَسْقُطِ اللَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملِ^(٤)

وقول أبي تمام :

ألم يَأْنِ أَنْ تَرَوِي الظَّاءَ الحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ المَبْدَدَ نَاطِمٌ؟^(٥)

(١) المثل السائر ١/٣٣٨ .

(٢) من معلقته .

(٣) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة .

الديوان ٢/٢٤٩ .

(٤) مطلع المعلقة .

(٥) مطلع قصيدته في مدح أحمد بن أبي دواد .

الديوان ٢٨٥ .

والثالث : أن يمكن وَضْعُ كُلِّ واحدٍ من المصراعين موضع الآخر ، وهو التصريح الموجّه ، كقول ابن الحجّاج :

من شروط الصَّبوح في المِهْرَجَان خِفَّةُ الشُّرْبِ مَعَ خَلْوِ المَكَانِ (١)
وهذا في الجودة كالنوع الثاني .

والرابع : أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه ، ويفتقر فهم معناه إلى الثاني وهو مذموم ، ويسمى التصريح الناقص ، كقول المتنبي :

مفاني الشَّعْبِ طيباً في المفاني بمنزلةِ الرِّبيعِ من الزَّمانِ (٢)

والخامس : أن يكون التصريحُ بلفظةٍ واحدةٍ في الضرب والعروض ، إما حقيقةً كقول عبيد بن الأبرص :

وكلُّ ذى غيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ (٣)
وإما مجازاً كقول أبي تمام :

فتى كان شرباً للعفاةِ ومُرْتَعِي فأصبح للهِندِيَّةِ البيضِ مرْتَعاً (٤)

(١) بقيمة الدهر ٦٥/٣ .

(٢) مطلع قصيدته في مدح عضد الدولة وولديه ، ووصف شعب يوان .
الديوان ٤٨١/٢ .

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

أفقر من أهله ملحوب فالقطيات فالذنوب

(٤) من قصيدته في رثاء أبي نصر محمد بن حميد الطائي التي مطلعها :

أصم بك الناعي وإن كان أسما وأصبح مغي الجور بعدك بلقه
الديوان ٣٧٤ .

العفاة : طلاب العطاء . مرتعى : موضع رعى . مرتع : مسرح .

والسادس : أن يُذكَرَ مصراعُ الأول ويكون معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني ، ويسمى التصريع المعلق ، وهو معيبٌ جداً ، ومثله قول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجليْ بصُبحِ وما الإصباحُ منكِ بأُمثَلِ^(١)

فإن المصراع الأول معلق على قوله بصبح .

ومثله قول المتنبي :

قد علمَ البينُ مِنَّا البينَ أجفانا تدمي وألف في ذا القلبِ أحرزانا^(٢)

فإن المصراع الأول مُعَلَّقٌ على قوله تدمي .

والسابعُ : أن يكون التصريعُ في البيت مخالفاً لقافيته ، ويسمى التصريع المنتظم ، وهو أفصح التصريعات ، كقول أبي نواس :

أقِلني قد نَدِمْتُ على الذَّنوبِ وبالإقرارِ عُدْتُ من الجُحودِ^(٣)

(١) من معلقته

(٢) مطلع قصيدته في مدح أبي سهل سعيد بن عبد الله الأنطاكي

الديوان ٤٥٧/٢

يريد أن الفراق قد علم الأجداف الفراق ، فالتلقى سهراً ، وجمل الفراق يؤلف الحزن

لاغراباً في الصنعة

والبيت الآخر

(٣) أحد بيتين كتب بهما إلى الفضل بن الربيع ، والبيت الآخر هو :

وإن تصفح فإحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

الديوان ١٠٩

أقول إن النوع السادس عند التحقيق هو النوعُ الثاني ، فإن كان الثاني جيداً كما زعم فالثاني معيب .

بيانه أن المصراعَ من النوع السادس مستقلٌ بنفسه ، غيرُ محتاجٍ إلى الذي يليه أضلاً ، لأنه لو وَقَفَ على قوله . « ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى » لكان مفيداً ، لأنه سأل الليل أن ينجلى وينكشف ، وهذا كلام تامٌ مستقلٌ بنفسه ، كقوله : « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » بل أتمُّ استقلالاً منه ، لأنه إذا ذَكَرَ الحبيبَ والمنزِلَ ولم يَنْعَمَتهما كان الكلام يخرج عن الإفادة . وقوله لليل : « ألا انجلى » معناه واضح ، كأنه قال ما أطولك ياليل فانكشِف .

وبيت المتنبي مثل هذا ، بل أتمُّ استقلالاً ، لأن قوله « قد علمَ البينُ منا البينَ أجفاً » كلامٌ حسنٌ مفيدٌ عند من يفهم معناه ، ومعنى هذا المصراع أن البينَ قد علمَ أجفاننا البينَ ، أى فراقَ الأَحْبابِ قد علمَ أجفاننا أن يفارقَ بعضها بعضاً . وهذا معنى لطيفٌ ، وكلام حسنٌ مستقلٌ بنفسه ، لا حاجة له إلى المِصْرَاعِ الثاني ، ولا هو مُعَلَّقٌ عليه أضلاً .

وليس قوله « تَدْعَى » يوجب تَعَلُّقَ المِصْرَاعِ الأولِ عليه ، لأن موضعه النصب ، من حيث كان صفةً لقوله (منزل)^(١) فلا فصل بين الموضعين .

(١) هكذا بالأصل ولعل الصواب (من حيث كان صفة لقوله أجفاننا كما أن يسقط اللوى

صفة لقوله منزل)

واعلم أنه قد أُخِلَّ في أقسام التصريع بقسمين آخرين : أحدهما أن يكون معنى المصراع الأول مُبَايِنًا لمعنى المصراع الثاني بالكَلْبِيَّة ، لارابطة بينهما ، كقول المتنبي :

جَلَلًا كما بيَ قَلِيكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنُ الشَّيْحُ^(١) ؟
فإنه لا مناسبة بين صدر البيت وعجزه ، وإن ثبت أن بينهما مناسبة كما قد تكلفه قوم فما الغرضُ المِثَالُ ، وإنما الغرضُ التَّمْثِيلُ .

وهذا غير القسم الأول الذي ذكره المصنف ، لأن قوله « وإن كنت قد أزمعت هَجْرِي فَأَجْمَلِي » له ارتباطٌ معنويٌّ في الجملة بقوله « أفاطم مهلا » وتقدير الكلام إن كان صدك دلالةً فأمهلي منه ، وإن كنت قد أزمعت الهَجْرَ والقطيعَةَ بالسكبية فأجملي من ذلك .

والقسم الثاني التصريع في العروض بحركة تخالف حركة الضرب ، نحو أن يكون أحدهما بالرفع والآخر بالجر ، كقول أبي نواس :

اختصم الحسنُ والجمالُ فيك فصارا إلى جدال
وهذا يخالف القسم السابع الذي ذكره المصنف ، لأن ذلك اختلافُ الحرفين ، وهذا اختلاف الحركتين .

(١) مطلع قصيدته في مدح مساور بن عمدة الرومي .

الديوان ١٦٤/١ ومنه أصلنا البيت .

الجل : الأمر العظيم . التبريح : الجهد والعدة . الرشأ : ولد الضبية . الشح : نبات

طيب الرائحة .

قال المصنف : فأما التّجنيس^(١) فهو أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً، وهذا ينقسم إلى أقسام يدخل فيها ما هو التّجنيس الحقيقي وما يشبهه به .

قال : وقد يُظنّ أن قول أبي تمام :

أظنّ الدّمعَ في خَدّي سُبَيْقِي رسوماً من بكائي في الرسوم

من هذا الباب نظراً إلى مساواة اللفظ ، وهو غلطٌ ، لأن المعنى غير مختلف

فيهما ، ومن شرط التّجنيس وما يشابهه اختلافُ المعنى مع تماثل اللفظ .

ثم قال : فنال التّجنيس الحقيقي قول أبي تمام :

من القوم جَمَدٌ أبيضُ الوجه والنّدى

وليس بنانٌ يُجْتَدَى منه بالجَمَدِ^(٢)

قال : الجمعد : السيد ، ويقال للبخيل إنه لجمعدُ البنانِ . قال ومثل قوله :

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْمَهْدَى مُصَلَّتَةً

تَهْتَزُّ مِنْ قُضْبِ تَهْتَزُّ فِي كُتُبِ

(١) اللؤلؤ السائر ١/٣٤٢ وما بعدها بإيجاز .

(٢) من قصيدة يمدح بها جفص بن عمر الأزدي .

بيض إذا أنتضيت من حجبها رجعت

أحق بالبيض أبدانا من الحجب^(١)

قال فالقضب : السيوف ، والقضب : القدود ، والبيض : السيوف ،

والبيض : النساء^(٢) .

أقول إن لفظي قُضِبَ في البيت الأول ، ولفظي البيض في البيت

الثاني ، خارجة عن باب التجنيس بالكلية ، لأن القُضِبَ جمع قُضَيْبٍ ، وهو

العود الزشيق من الشجرة ، هذا هو حقيقة هذا اللفظ في أصل وضعه ، وإنما

سُمِّي السيف به مجازاً أيضاً .

ولا تظن أن تسمية السيف قضيبياً من حيث كان قاطعاً ، من القُضِبِ وهو

القطع ، فيكون قَمِيلٌ بمعنى فاعل ، كقدير وعليم ، لأنهم لو كانوا أرادوا ذلك

لسمّوا السيفَ العظيمَ العَرضَ قُضِيبياً ، وما رأيناهم سمّوه بذلك ، وإنما سمّوا به

السيف اللطيف .

ومثل ذلك البيض فإنها ليست من أسماء النساء ، والبيضاء امرأة لفظتين

مترادفتان كالؤمن والهكوك^(٣) ونحوهما ، ولا البيض من أسماء الشيوف

(١) أصلتا البيتين من اللؤلؤ السائر ومن الديوان ١٠ والبيتان من قصيدته في مدح

المصم لما فتح مورية ومطلمها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده المد بين الجد واللعب

(٢) اللؤلؤ السائر ٣٤٤/١ وليس عبارة ابن الأثير : « فالقضب السيوف والقضب القدود

على حكم الاستارة ، وكذلك البيض السيوف ، والبيض النساء .

(٣) من معاني اللؤلؤن للصدق والرائق والفاخر وقابل للحرمة .

ومن معاني الهكوك للكان الفليظ الصلب أو النهل ضد . والسمن والمجن .

ولا سمعنا أن الأبيض اسم السيف ، كما أن الليث اسم الأسد ، وإنما البيضُ
عبارة عن أشياء ذوات بياض فقط ، ثم استُعيرت اللفظة للسيوف والنساء صفةً
لا أسماءً وهذا أمر خارج عن باب التجنيس ، ولو كان هذا من التجنيس لوجب
إذا قيل في الليل أسود وفي الجنة سوداء وفي أسود من قولهم عندي الأسودان
أن يكون هذا تجنيساً ، ولم يقل ذلك أحدٌ ، لأن هذه الصفات تختلف موصوفاتها
ولا تختلف هي .

فلئن كان مثل هذا تجنيساً ، فليكن بيتُ أبي تمام الأولُ تجنيساً ، لأن
رسوم للدمع هي مجاربه وآثاره ، ورسوم الدار جمع رسم وهو مصدر رسمتُ
الدار ، أي عَفَيْتُهَا قال : (أَمِنْ رِمْمِ دَارٍ مَرَبِعٍ وَمَصِيفٍ) وهذا أشدُّ
اختلافاً من البيض والبيض ، والقضب والقضب .

قال المصنف : ومن التجنيس أيضاً قول أبي تمام :

أَناسٌ إِذَا مَا اسْتَلَحَمَ الرَّوْعُ صَدَّعُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَّابِ (١)

قال لفظ الصدور في البيت واحد والمعنى مختلف .

(١) المثل السائر ١/٣٤٤ من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجل
مطلما :

على مثلها من أربع وملاعب أذبلت مصونات الدموع السواكب
صدعوا : شققوا . العوالي : الرماح . الكتائب : الجيوش .

أقول . وهذا أيضا من القرار الأول الذي قلنا إنه ليس بتجنيس ، لأن الصدر اسم لهذا المصنوع المخصوص ، لكنه لما كان هو مُقَدَّم الإنسان ، نُقِلَ إلى صدور العوالى وهى رءوسهما وما يَتَقَدَّمُ منها ، وإلى صدور الكتاب وهى ما يتقدم منها أيضا ، فالعنى واحد فى الموضوعية ، وإذا اتحد المعنى خرج عن باب التجنيس .

قال المصنف : ومن أقسام التجنيس أن يقع الاختلاف فى الوزن والتركيب بحرف واحد ، كقول محمد بن وهيب :

قَسَمْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بِأَسَاوِنَاثِلَا فَمَا لَكَ مَوْتُورٌ وَسَيْفُكَ وَاتِرٌ^(١)

أقول إن إدخال هذا البيت فى التجنيس من ظريف الأشياء ، فإن المعنى فى الكلمتين واحد ، وإنما يَخْتَلِفُ الفاعل وصيغة المفعول كالمضروب ، ولو كان هذا تجنيسا لَوَجِبَ أن يكون قَوْلُ القائل : « ضربت زيدا بالعصا ضربا فَلَقَ المضروب بالضارب » قد تَضَمَّنَ لتجنيس فى أربعة مواضع : الفعل ، والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول . وهذا مما لم يذهب إليه ذاهب .

قال المصنف في باب الموازنة : مما جاء في الموازنة شعراً قول الأول (١) :

إِنْ يَمْتَلُوكَ فَقَدْ تَلَّكَ عُرُوشَهُمْ بُمْتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
بِأَشَدِّهِمْ بَأْسًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقَدًا عَلَى الْأَصْحَابِ
فَإِنْ بَأْسًا وَقَدًا عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ .

أقول إنه قال في أول قسم الألفاظ المركبة إن صناعة تركيب الألفاظ والمعاني تنقسم إلى ثمانية أقسام ، منها السجع وهو يختص بالمشور ، ومنها التصريح وهو يختص بالمنظوم ، ومنها التجنيس وهو عامٌ لهما ، ومنها الموازنة وهي تختص بالمشور (٢) .

وهو هنا يذكّر أن في الشعر موازنة ، وذلك نقض لما قدّمه .

قال المصنف في الكلام عن الصناعة المنوية : وصاحب هذا الفن لا يحتاج إلى ما ذكره الحكماء في علم المنطق في الشعر . وقد قرأت كلام أبي علي بن سينا في المنطق ، وتأملت ما قاله في الشعر فوجدته يقول إن ذلك

(١) المثل السائر ١ / ٣٨٠ والبيتان لربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين أحد بني اسد . وربيعة هذا هو أبو ذؤابة الأسدي . وقد نسب الشعر في حاشية أبي تمام ١ / ٣٥٤ لرجل من بني نصر بن قعين . وفي الحاشية والمثل السائر (على أصحابه) بدلا من (على أعدائهم) .
(٢) المثل السائر ١ / ٢٧١ .

يُورَدُ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ وَنَتِيجَةٍ . قَالَ وَقَدْ كَانَ ابْنُ سَيْنَا يَنْظُمُ الشَّعْرَ وَلَا يَرْتَبُهُ عِنْدَ إِفَاضَتِهِ فِي صَوْنِهِ بِالْأَصَالَةِ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَخْطُرْ الْمَقْدِمَتَانِ وَالنَّتِيجَةُ لَهُ بِيَالٍ ، وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَحْضَرَ الْمَقْدِمَتَيْنِ وَالنَّتِيجَةَ ، ثُمَّ آتَى بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ بَعْدَهُمَا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ فِقَاقِعُ وَالْفَاقِظُ طَوَّلَ الْقَوْمِ بِهَا كُتِبَتْهُمْ (١) .

أقول : هذه جنافيةٌ عَجَبِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْعُوهُ قَرَّطُ اعْتِقَادِهِ فِي نَفْسِهِ ، وَشَفَقُهُ بِمَا يَخْطُرُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى قَوْمٍ لَا يَعْرِفُ أَقْوَامَهُمْ ، وَلَا يُحْصَلُ مَعْنَى اصْطِلَاحَاتِهِمْ ، فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَبْلُغَ رُتَبَتَهُمْ ، وَيَبْرَأَ فِي دَرَجَتِهِمْ ، إِلَى أَنْ يَنْقُضَ عَلَيْهِمْ ، فَيَقَعُ هَذَا الْمَوْقِعَ .

وليس مراد القوم بالشعر ما يتوهمه .

(١) ملخص من المثل السائر ٢/٥ قال ابن الأثير : اعلم أن المعاني الخطابية قد حصرت أصولها ، وأول من تكلم في ذلك حكاه اليونان ، غير أن ذلك المصر كلبي لا جزئي ، وعالم أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا ، وانساق الكلام إلى شيء ذكره لأبي علي بن سينا في الخطابة والعمره ، وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني ، وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجملته ، فإنه طول فيه وعرض ، كأنه يخاطب بلس اليونان ، وكل التي ذكره فهو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا .

ثم مع هذا جميعه فإن معول القوم فيما يذكر من السلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا ما لم يخطر لأبي سينا ببال فيما صاغه من شعر وكلام مسجوع ، فإن له شيئا من ذلك في كلامه ، وعند إفاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر للمقدمتان والنتيجة له ببال . ولو أنه فكر أولا في المقدمتين والنتيجة ، ثم آتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما آتى بشيء ينتفع به ، ولطال الخطب عليه .

بل أقول شيئا آخر : وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموه ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمه وعندم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع ، وتطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والعمره ، وهي كما يقال فقايق ليس لها طائل ، كأنها شعر الإيبوردي .

والذى يُريدونه بالشعر يأتي في كل قياسٍ مُحْتَمِلٍ يَعْلَمُ العاقلُ كَذِبَهُ ،
لكنه يُجَدِّثُ له مع ذلك نَوْعَ قَبْضٍ أو بَسْطٍ أو إِقْدَامٍ أو إِحْجَامٍ ، كما يقال :
لا تأكلوا العسل ، فإنه ثمرة مَقِيئَةٌ (١) ، أو يقال للحلواء الرطبة المزعفرة
لا تأكلها فإنها غائط . فالعقلُ والحسُّ يكذِّبان هذا الكلام الذى هو في قوة
قياس ، صُورَتُهُ هكذا : كلُّ غائطٍ فهو غير ما كَلَّةٍ . ومع علمه بكذبه يتقبَّضُ
عن الأكل . وأكثرُ إقدامِ الناسِ وإحجامهم بسببِ هذه التَّخَيُّلاتِ
والأوهام ، وهى الأَقْيَسَةُ الشَّعْرِيَّةُ التى يذكرونها ، وإنما سُمِّيتْ شِعْرِيَّةً
لمشابهتها مقاصد الشعراء في تَخَيُّلاتهم وتزويقاتهم .

وأما توهمه أن الشاعر يحتاج وقتَ نظمِ الشعرِ إلى استعمالِ مقدمتين
ونتيجةٍ ، وقوله إن ابن سينا كان ينظم شعرا ولا يُرتَّبُ المقدمتين وقتَ نظمه ،
فتوهمٌ بعيدٌ ، وإن كان القوم عنده بهذه الصورة ويراهم بهذه العين
فإنه لم يعرفهم . . .

قال المصنف : وقد تصفَّحتُ كتابَ الخصائص لأبى الفتح ابنِ جِئى ،
فوجدته قد ذكر في الحجاز شيئا يتطرقُ النظرُ إليه ، وذلك أنه قال : لا يُعدَّلُ
عن الحقيقةِ إلى الحجاز إلا لِمَمانٍ ثلاثة : وهى الاتساع ، والتشبيه ، والتوكيد ،

(١) ثمرة مقيئة ، يفتق هذا مع قول الشاعر :
نقول هذا مجاز النحل نمدحه وإن ذممت فقل في الزفاير
وكان بالأصل (مرة مقيئة) .

فإن عُدَّتْ هذه الثلاثة كانت الحقيقة البتة . فمن ذلك قوله تعالى : « وأدخلناه في رحمتنا » (١) .

فهذا الكلامُ اجتمعت فيه المعاني الثلاثة المذكورة .
أما الاتساع فإنه زاد في أسماء الجهات والحال اسمًا هو الرحمة .
وأما التشبيه فإنه شبه الرحمة — وإن لم يصحَّ الدخول فيها — بما يصحَّ الدخول فيه .

وأما التوكيد فإنه أخبر عما لا يُدرك بالحاسة بما يُدرك بالحاسة تعالياً بالمخبر عنه ، وتفصيلاً له ، إذ صيّر بمنزلة ما يُشاهد ويُعائِنُ .

قال والكلامُ عليه من ثلاثة وجوه : أولها أنه جعل وجودَ هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود الحجاز ، وعدمها سبباً لعدمه ، وهذا خطأ ، فإنه ليس وجودُ [هذه الثلاثة سبباً لوجود] الحجاز بل وجود واحد منها أيها كان سببَ وجوده .
وأيضاً فلو كان وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود الحجاز لسكان عدم أحدها أيها كان سبباً لعدمه ، كما إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً ، والحيوانية والنطق سبب وجود الإنسان ، فإذا عدمَ واحدٌ منهما بطلَ أن يكون إنساناً ، وكذلك كل صفة تكون مقوية لوجود شيء من الأشياء ، كان وجودها يُوجب وجود ذلك الشيء ، وعدمُ واحد منها يُوجبُ عدمه (٢) .

(١) بالأصل (وأدخلناهم) .

(٢) ما بين قوسين زيادة يقتضيا السياق .

(٣) المثل السائر ٢/ ٨٥ . وهنا زيادات ليست بالمثل السائر ، لأن ابن الأثير قال : هذا

مجموع قول أبي الفتح - رحمه الله - من غير زيادة ولا نقص . والنظر يتطرق إليه من ثلاثة =

أقول : ليس مراد أبي الفتح - رحمه الله - ما ظنّه ، فكيف يذهبُ إلى أن يقولَ المجازيةُ متوقفةٌ على اجتماع هذه الأمور الثلاثة ؟ وقد حصرتُ ضَرْبَ أمثلةٍ كثيرةٍ للمجاز في كتابه هذا ، وكلُّ موضعٍ منها مختصُّ بواحدٍ من هذه الثلاثة فقط ، وإنما ذكرَ هذه الآيةَ لُيَبِّينَ بها أنه قد وَجَدَ مَوْضِعاً اجتمع فيه الشروطُ الثلاثةُ التي يتوقفُ المجازُ عليها لمعانٍ ثلاثة ، مثل قوله في كتاب اللّمع : والكلامُ كله ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف ، فإنه لا يُرِيدُ أن كل لفظٍ من الكلامِ يَجْتَمِعُ لها أن تكونَ اسماً وفعلًا وحرفًا ، وإنما مراده أن كل لفظٍ من الكلامِ فإنها لا تخلو عن هذه الأنواع الثلاثةِ ، بل تكونُ واحداً منها أيها كان ، ولكنه يتسامح في اللفظ اعتماداً على فَهْمِ السامعِ ، وثقةً بأن مثلَ هذا الكلامِ لا يزالُ الناسُ يستعملونه في محاوراتهم .

فأما قوله : (فإذا عُدِمَتْ هذه الثلاثةُ كانت الحقيقةُ البتّةُ لا غيرُ) جيدٌ لا اعتراضَ عليه ، لأنه لو عُدِمَ أحدها فقط لم تأتِ الحقيقةُ متعينةً البتّةُ ، لأنَّ أحدَ القسمين الباقيين يكفى في حُسْنِ المجازِ ، وإنما تتعَيَّنُ الحقيقةُ البتّةُ إذا عُدِمَتِ الثلاثةُ كلها .

ومن هذا الموضعِ يجب أن يفهمَ معنى قوله : « لا يُعَدَّلُ عن الحقيقةِ إلى المجازِ إلا لمعانٍ ثلاثة » لأنه لو كان أراد اجتماعَ معانٍ ثلاثة لما قال : « فإذا عُدِمَتْ هذه

== أوجه . الأول أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز ، بل وجود واحد منها سبباً لوجوده . ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً ، وإذا وجد الانساع وحده كان ذلك مجازاً . ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً لعدمه ، ألا ترى أننا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً ، فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان ، وإذا عدم واحد منهما بطل أن يكون إنساناً ، وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده ، وعدم واحد منها بوجود عدمه .

الثلاثة كانت الحقيقة البتة « لأن الذي لا يحسن استعماله إلا عند اجتماع عدة أشياء ينتفى حُسن استعماله عند انتفاء واحدٍ فقط من تلك الأشياء ، لأنه إذا انتفى أحدها فقد زال اجتماع تلك الأشياء الذي جعلنا حُسن الاستعمال موقوفاً عليه .

وأما تمثيله بالإنسان والحيوانية والنطق فتمثيل غير مطابق لما نحن فيه ، لأن حملنا كلام أبي الفتح على ما قد توهمه خطأ ، إلا إن حملناه على المحمل الصحيح ، فاجتماع هذه الأشياء الثلاثة التي أشار أبو الفتح إليها ليس مقوماً للمجاز ، ولا هي أسباب وجوده ، وإنما هي شرائط حُسن استعماله ، فكيف مثل ذلك بأجزاء الماهية المقومة ؟ .

قال المصنف : الوجهُ الثاني أنه ذكر التشبيه والتوكيد ، وكلاهما شيء واحدٌ على الوجه الذي ذكره ، لأنه شبه الرحمة وهي لا تدرك بالبصر بمكان يُدخل فيه ، وهو صورةٌ تدرك بالبصر ، فدخل تحت ذلك التوكيد الذي هو إخبارٌ عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة (١) :

أقول : إن لقوله تعالى : (وأدخلناه في رحمتنا) اعتبارين : أحدهما أنه جعل الرحمة ظرفاً وصريحاً بذلك حين أتى بلفظة (في) وهي مختصة بالظرفية ، والرحمة هي إرادة الثواب ، والإرادة لا تكون ظرفاً .

(١) الثل السائر ٨٦/٢ . وليس عبارة ابن الأنبر (يعاقد يدرك بالحاسة) .

والثاني أن فَحَوَى الكلام : رَحْمَتُنَا قد دَخَلَ فيها قومٌ ، كما يقول دارنا قد دخلها قومٌ ، والدخولُ حركةٌ مخصوصةٌ ، وكل حركةٌ فهي مرئيةٌ بالبصر ، فقد أَخْبَرَ عما لا يُدْرِكُ بالبصر ، وأحدُ هذين الاعتبارين مغايرٌ للآخر ، ألا ترى أن قولهم (فلان قد عَضَّ الدهر) فَحَوَاهُ أمرٌ يُدْرِكُ بالبصر وهو العَضُّ ، فلا جُلَّ تَغَايُرِ هذين الاعتبارين جعلهما أبو الفتح - رحمه الله - قسامين .

قال المصنف : على أن التوكيدَ ها هنا لا أعلم ما أراد به ، لأنه لا يُؤْتَى به في اللغة العربية إلا للمعنيين : أحدها أنه يَرِدُ بألفاظٍ محصورةٍ ، نحو نفسه وعينه وكله وغير ذلك مما هو مذكور في كُتُبِ الدُّعَاةِ ، والآخر أنه يَرِدُ على وجه التكرير ، كقولك قام زيد قام ، يريد فكَرَّرَ اللفظُ تحقيقاً وتوكيداً للمعنى المقصود ، وأبو الفتح لم يَرِدْ أحدُ هذين القسمين ، فلا يكون له معنى إلا أن يريد إبرازَ المعنى الموهوم إلى صُورَةِ المشاهدةِ ، وقد عَبَّرَ عنه بالتوكيد ، فيكون ذلك هو التشبيهَ بَعَيْنِهِ ، فلا حاجةَ إلى إيرادِهِ بالدُّكْرِ (١) .

أقول : ما أراد أبو الفتح رحمه الله شيئاً مما تَوَهَّمَهُ هذا الرجل ، وقد اعترف بأنه لم يفهمَ مُرَادَهُ مع ظهوره . وذلك أن أحدَ الأغراضِ الصحيحةِ في نقلِ العبارةِ عن موضعها الأَصْلِيِّ إلى غيره تَأَكِيدُ المعنى على وَجْهِ يَفْعَلُ في نفس السامعِ مالا تَفْعَلُهُ الحقيقةُ ، كقوله تعالى : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَجْبَاهَا الثَّقَلَانِ) (٢)

(١) المثل السائر ٨٦/٢ بتلخيص .

(٢) سورة الرحمن ٣١ الثقلان : الإنس والجن .

ومراده سَنَقَصِدُ ، ولم يَقُلْ ذلك ، لأن في الفَرَاغِ معنى ليس في القَصْدِ ، وهو التهديد والوعيد ، فإن قَوْلَ الْمَلِكِ لصاحب الجريمة : سَأَفْرَغُ لَكَ يَتَّصِمَنُ من التخويف مالا يَتَّصِمَنُهُ قوله سَأَقْصِدُ لَكَ .

وقوله تعالى : (ولما سَكَتَ عن موسى الغَضَبُ)^(١) ومراده ذهب ، لكنَّ (سكت) آ كدُ لما يُريده ، لأن فيه دليلاً على تَوَقُّعِ عود غضبه إذا عاودوا النكرَ في عبادتهم العجل ، كما أن الساكت يُتَوَقَّعُ كلامه .

وكقوله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)^(٢) مراده عَمَدُنَا ، لكنَّ (قَدِمْنَا) آ كدُ وَأَبْلَغُ ، كأنه كان يأمهاله لهم كالفائب عنهم ، ثم قَدِمَ منهم على ما لا ينبغي ، فجازاهم بحسبه ، فهذا هو مراد الشيخ أبي الفتح رحمه الله .

قال المصنف : والوجه الثالث أنه قال : وأما الانساع فإنه زاد في أسماء الجهاتِ والمحالِّ اسمًا هو الرحمة . قال : ويلزم على قياسِ هذا القول أن يكون (جَنَاحَ الذُّلِّ) في قوله تعالى : (واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) هكذا يكون قد زاد في أسماء الطيور اسما هو الذُّلُّ ، وأن يكون قول أبي تمام .

لَيْسَتْ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَعْنَى التَّيَّمُّمُ بِالصَّعِيدِ

(١) سورة الأعراف ١٥٤ (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) .
(٢) سورة الفرقان ٢٣ .

زيادة في أسماء اللباس ، وهو الإنسان^(١) .

أقول : إن هذا الذي أزمته أبا الفتح رحمه الله لا يَمْنَعُ من التزامه ، بل هو قياسٌ مُطَرَّدٌ في جميع التَّوَسُّعات ، فما الذي أنكرتَ من ذلك؟ وإنما يَصَحُّ اعتراضك لو أَلْزَمْتَهُ شيئاً لا يُقَدَّرُ على التزامه ، ويحتاجُ إلى بيان الفرق بينه وبين المسألة التي الكلامُ فيها ، فأما إذا كان الكلُّ ينساقُ سياقةً واحدةً فأىُّ مَحْذُورٍ يلزمُ أبا الفتح من ذلك ؟

قال المصنف : قد نظرتُ في كتاب (أصول الفقه) للغزالي فوجدته قد قَسَمَ المَجَازَ إلى أربعة عَشَرَ قِسْماً . قال : وهذه الأقسامُ الأربعة عَشَرَ تَرْجِعُ إلى ثلاثة أقسامٍ : وهى التشبيهُ ، والتوسُّعُ ، والاستعارةُ . قال : وبالتقسيمِ لا يَصَحُّ في شيءٍ إلا إذا اِخْتَصَّ كل قسم من الأقسام بصفة لا يَحْتَصُّ بها غيره^(٢) .

أقول أنا قَبِلَ النظر في اعتراضاته على الغزالي [لا بد من تقديم مقدمة]^(٣) وهى أنه لا بُدَّ في سائر المجازاتِ من عَلاقَةٍ بين الأصلِ المنقولِ عنه والفَرَعِ المنقولِ إليه ، وإلا لم تكن تلك اللَّفْظَةُ مجازاً من تلك الحقيقة ، بل تكون وَضْعاً جديداً لا تَمَلِّقُ له بغيره ، وليس الكلامُ في ذلك ، فالأصوليون قد

(١) للثل السائر ٨٧/٢ بتلخيص .

(٢) للثل السائر ٨٨/٢ .

(٣) كانت بالأصل تقدم مقدمة .

اتفقوا على أنه لا بُدَّ من علاقةٍ وارتباطٍ في الجملة ، لكنهم قسّموا تلك العلاقةَ وذلك الارتباطَ أقساماً كثيرة ، فقالوا : قد تكون تلك العلاقةُ باعتبار كذا ، وقد تكون باعتبار كذا إلى آخر الأقسام .

قال هذا الرجل : إن تلك الاعتبارات التي يذكرونها متداخلةٌ ، لا لأنه قد شملها الأمرُ الأعظم وهو العلاقةُ من حيثُ هي علاقةٌ ، بل لأنها في خصوصياتها التي ابتدعها الأصوليون متداخلةٌ ، وقد صحّت اعتراضاتُه ، وإلا فهي ساقطة .

قال المصنف : فالقسْمُ الأولُ من الأقسام التي ذكرها الغزالي وهو تسميةُ الشيء باسمٍ ما يشاركه في الخاصيةِ كقولهم للشجاع أسدٌ ، وللبليد حمارٌ . قال : وهذا القسم إما داخلٌ في الاستمارةِ إن دُكرَ المنقولُ إليه فقطً ، كقولك ركبتُ أسداً ، أوفى التشبيه المذوفِ الأداةِ إن ذكر المنقولُ والمنقولُ إليه معاً ، كقولك زيدٌ أسدٌ (١) .

أقول : إننا لا نخالفه في هذا ، ولكن ننظرُ فيما يقوله فيما بعدُ .

قال المصنف : والقسم الثاني تسميةُ الشيء باسمٍ ما يُؤوّلُ إليه ، كقوله تعالى : (إني أراي أَعْصِرُ خمرًا) وإما رأى أنه يعصرُ عنباً . قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم المذكور قبْلَهُ بصفةِ المشابهةِ بين المنقولِ منه والمنقولِ إليه ، وهو

من باب الاستعارة ، بل هذا أَوْغَلُ في المشابهة منها ، لأن الحجر من العنب ،
وليس الأسد من الرجل ، ولا الرجل من الأسد^(١) .

أقول : هذا القسم خارجٌ عن القسم الذي قَبَلَهُ ، لأن القسم الذي قبله
هو تسمية الشيء باسم ما يشابهه في خاصيته ، كتسمية الشجاع أسداً ؛ لأن
الشجاعة من أخصِّ صفات الأسد ، ولذلك لم يُسَمَّوا الأبحرَ أسداً ، لأنه لم يكن
البحرُ من صفات الأسد الخاصة ، فالبحرُ والعنبُ ليت شعري في أي البخواص
اشتركا حتى يقول إن هذا القسم داخلٌ في القسم الذي قبله ؟ .

فأما قوله : بل هذا أَوْغَلُ في المشابهة من الأسد للشجاع ، لأن الحجر من العنب ،
وليس الأسد من الإنسان ، فإنه يقال له ليس كَوْنُ الحجر من العنب مما يقتضى
المشابهة التي يُنْقَلُ لأجلها اسم أحدهما إلى الآخر ، فإن الدقيق من الحنطة ،
ولا يجوز أن يقال إنه لما كان منها كان أَوْغَلَ في التشابه من استعارة الأسد
لشجاع ، فوجب أن يُطْلَقَ على الحنطة لفظ الدقيق .

وتحقيق هذا الموضع هو أن كَوْنَ الشيء بعنطٍ من غيره ، أو استحيل
غيره إليه ، لا يقتضى أن يكون بين الأمرين مشابهة في أمرٍ خاصٍّ لأحدهما
قد اشتهر به ، وضرب المثل به في فنه ، كما اشتهر الأسد بالشجاعة ، وضربت
به الأمثال فيها ، فذلك نُقِلَ اسمُ الأسد إلى الشجاع ، للمشابهة في ذلك
الأمر الخاص ، ولم يُنْقَلِ اسم الدقيق إلى الحنطة ، ولا نُقِلَ اسمُ الحجر إلى

العنب ، بالاعتبار الذي به نُقِلَ اسمُ الأسدِ إلى الشجاع ، بل باعتبارِ آخرَ وهو تسميةُ الشيءِ باسمِ ما يُؤوِلُ إليه .

وقد حقق الأصوليون هذا القسمَ تحقيقاً أزيدَ من هذا ، فقالوا : من أقسامِ المجازِ إطلاقُ اسمِ السَّبَبِ على المسبَّبِ ، ولا يثبت في العلومِ الحِكْمِيَّةِ ، لأنَّ العِللَ أربعةٌ : الفاعل ، والصُّورة ، والمادة ، والغاية . وكانت أنواعُ هذا القسمِ أربعةً :

الأولُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العِلَّةِ الفاعليةِ إما حقيقةً أو ظناً ، كتسميةِ المطرِ سماءً ، الثاني تسميةُ الشيءِ باسمِ العلةِ الصُّوريةِ ، كتسميتهم اليدَ بالقُدرةِ ، الثالثُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العِلَّةِ القابليةِ ، كقولهم سالَ الوادى ، يَعنون المطرَ ، الرابعُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العلةِ الغائبيَّةِ ، كتسميةِ العَقْدِ بالنكاحِ ، والعنبِ بالخمَرِ .

قال المصنف : والقسم الثالث تسمية الشيء باسم فرعه ، كقول الشاعر .
وما العيشُ إلا نومةٌ وتَشوُّقٌ وتمرٌّ على رأسِ النخيلِ وماءُ
فسمى الرُّطْبَ تمرًا . وهذا القسم والذي قبله سواها ، لأن هناك سُمِّيَ العِنْبُ خمرًا ، وها هنا سُمِّيَ الرطْبُ تمرًا ، لأنه أَضْلُ التمرِ ، وها داخلان في القسم الأول .

قال وهبٌ : أنَّ الغزاليَّ لم يُحَقِّقْ أمرَ المجازِ ، وقسمه أقساماً لا حاجةَ إليها ،

ألم يَنْظُرْ إلى هذين القسمين اللذين هما العنبُ والخمرُ ، والرُّطْبُ والتَّمْرُ ، ويعلم
أنهما شيء واحد ، لافرقَ بينهما^(١) ؟ .

أقول : بل بينهما فرقٌ ظاهرٌ لو أمعنتَ النظرَ ، لأن العنبَ إذا صار خمرًا
فقد استحال من صورةٍ إلى صورةٍ مباينةٍ الأولى في جميع أحوالها ، إلا فيما لا بُدَّ
من الاشتراك فيه كالجنسيةِ ونحوها ، فهو كالماء يستحيلُ هواءً ، والهواءُ يستحيلُ
ناراً ، والرُّطْبُ إذا صار تمرًا لم يستحيلْ إلى صورةٍ أخرى ، بل هو ذلك الجسمُ
يَعْنِيهِ ، إلا أنه يَبَسَ وجَفَّ بعد أن كان رطْبًا ، كاللحمِ الغريصِ يصيرُ قديدًا ،
والتينِ الرُّطْبُ يصيرُ يابسًا ، فإِنما تَغَيَّرَ منه عرضٌ واحدٌ ، وهو الرطوبةُ التي تبدلت
باليبوسةِ لا غيرُ . فَبَيَّنَ الأمرينِ فرقٌ واضحٌ ، وبحسبِ ذلك الفرقِ جُعِلَ
أحدُ القسمين غيرَ الثاني .

فأما قوله : وهما داخلان في القسمِ الأولِ أيضاً ، فإنه ليس بداخل
في القسمِ الأولِ ، لأن معتمدَ القسمِ الأولِ المشابهةُ في الوصفِ الأخصِّ ، ولا
مشابهةٌ بين الإنسانِ والنطفةِ .

فإن المصنف : والقسمُ الخامسُ تسميتهُ بما يدعو إليه ، كتسميتهم الاعتقاد
قولاً ، نحو قولهم هذا يقولُ بقولِ الشافعي ، أي يمتقدُّ اعتقاده .
قال : وهذا القسمُ يدخلُ في القسمِ الأولِ أيضاً ، لأن بين الاعتقاد والقول
مناسبةٌ كالمناسبةِ بين السَّببِ والمسبَّبِ ، والباطنِ والظاهرِ^(١) .

(١) المثل السائر ٢/٨٩ .

(٢) المثل السائر ٢/٩٠ .

أقول : إن كان يعنى بهذه المناسبة الاشتراك في صفة خاصة ، كاشتراك الشجاع والأسد في الشجاعة ، فليس الأمر كذلك ، لأن الاعتقاد القلبيّ مثل هذه للمشاركة ، وإن أراد مناسبة أعمّ من هذا أى بينهما علاقة وارتباط ، وهو الذى أراده ، لأنه مثله بمناسبة السبب للمسبب ، فهذا مُسَلَّم . ولكن نحن لم نمنع أن بين المجاز وبين موضوعه الأصليّ مناسبة في الجملة ، وكيف نمنع ذلك ، ولولا المناسبة لم يكن مجازاً ؟ .

فإن كان يحاول أن يرّد الأقسام كلّها إلى قسم واحدٍ لأجل أن الأقسام تشترك في أن بين المنقول إليه والمنقول عنه مناسبة ، فإنه لم يفهم مراد الأصوليين في هذا الموضع ، وما هو إلا مثل أن يقول لهم : لا تقسموا الحكم إلى واجبٍ ونَدْبٍ ومَحْظُورٍ ومَكْرُوهٍ ، لأن هذه الأقسام قد اشتركت في أنها اقتضاء أمرٍ من المكلف . فالواجبُ ما اقتضى فعله لا بد منه ، والحرامُ ما اقتضى تركه لا بد منه ، والنَدْبُ ما اقتضى فعله مع تجويز تركه ، والمكروه ما اقتضى تركه مع تجويز فعله ، فهل يجوز لقائل : لما كان الاقتضاء يعمُّ هذه الأقسام ، وتبين خصوصيتها ، فلا تفصلوها ، ولا تجعلوها أقساماً متعددة ؟ .

قال المصنف : والقسم السادسُ تسميةُ الشيء باسم مكانه ، كقولهم للطير سماء ، لأنه ينزل منها . قال : وهذا القسم أيضاً داخلٌ في الأول للمناسبة

بين المنقول والمثقول إليه . قال : على أن تسمية المطر سماء يغلب على الظن أنه حقيقةٌ وليس بمجاز^(١)

أقول : قد بيننا أنه لا بدّ من مناسبة ما ، ولكن هذا القسم ليس بداخل في القسم الأول ، لأن مناسبة القسم الأول هي المشابهة ، كالحمار والبليد ، والأسد والشجاع ، ولا مشابهة بين المطر والقملك ، فإنه توهم أنه لأجل العلوّ ، فالمطر الذي يمسك في الأرض أي ما يُسمى سماء ، قالوا : ما زلت أظأ السماء حتى جئتك . ونحن قد بيننا لم سموا المطر سماء . وأما قوله إنه حقيقة فيه ف قريب ، ولا يبعد أيضا ذلك عندي .

قال المصنف : والقسم السابعُ تسميتهم الشيء باسم ما يُجاوره ، كقولهم للمزادة رَاوِيَةٌ ، وإنما الراويةُ الجملُ الذي يَحْمِلُهَا . قال : وهذا القسم من باب التوسّع لا من باب التشبيه ، ولا من باب الاستمارة ، لأنّ على قياسه ينبغي أن يُسمى الجمل زاملة ، [لأنه يحملها]^(٢) .

أقول : إنا قد استظرفنا اعترافه أنّ هذا القسم خارجٌ عن الأول ، فمَجِبْنَا منه كيف لم يُدْهِه إليه بأمرٍ ما يتعلّق به ، مثل أن يقول إن المزادة يُنتَفَعُ بها ، والبعير يُنتَفَعُ به ، فتشأبها في عموم الانتفاع بهما ، ونحو ذلك من التعلّقات الضعيفة التي جرت عادته أن يتمسك بها .

(١) المثل السائر ٢/٩٠ .

(٢) المثل السائر ٢/٩١ وما بين القوسين زيادة من المثل السائر .

واعلم أن من الأصوليين مَنْ جعل هذا القسم مُفرداً برأسه ، وقال إن المجاورة علاقة ما بين المتجاورين ، فنُقِلَ بطريقها اسمُ المجاور إلى صاحبه ، وهؤلاء يلزمهم قوله : فهلا سَمَوْا الجملَ مزادةً لأنه يحملها ؟ . لأن استعمال اللفظ في معناه المجازيَّ عنده لا يؤخذ قياساً في كل موضع ، ألا يرى أنهم يُطلقون النَّخْلَةَ على الرجل الطويل ، ولا يطلقونها على غيره من الطَّوال ؟ ولأنه لو كُنِيَ في استعمال اللفظ المجازي مُجرَّدُ علاقةٍ وصِلَةٍ كيف كانت لقالوا للأبخر أسد ، لأن الأسد أبخر ، فلمَ كَمْ يقولوا ذلك ؟ علمنا أن هذا أمر لا يَطْرُدُ ، وأيضاً فإن هذا الرجل يَلْزَمُهُ ما أَلْزَمَهُمْ ، لأنه إن كان يلزمهم لَمَّا قالوا إن هذا المجاز لأجل المجاورة أن يُسَمَى الجمل زاملةً أيضاً على طريق الاتساع .

ومن الأصوليين من جعل هذا القسم من أقسام المجاز بسبب العلة القابلية ، وقال إنه بمنزلة تسمية الشراب كأساً ، لأن الكأسَ قابلٌ للشراب .

قال المصنف : القسم الثامن تسمية الشيء باسم جزئه ، كقولهم : أَبْعَدَ اللهُ وجهه ، وإنما يريدون سائر جُثَّتِهِ .

قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، وهو تسمية الشيء باسم فرعه^(١) .

أقول : قد بيَّنا أنه لا يَدْخُلُ هذا وأمثاله في القسم الأول بوجه من الوجوه أصلاً .

(١) المثل السائر ٩١/٢ .

وقد قال الأصوليون إنه قد يُسمَّى الجزء باسم الكل ، كإطلاق اللفظ العام ، مع أن المراد به الخصوص ، نحو قوله تعالى : (اقتلوا المشركين)^(١) . والمراد بعضهم ، وقد يُسمَّى الكل باسم الجزء ، كما يقال الزنجي أسود ، والمراد أسود البشرية ، لكن المجاز الأول أدخل في باب المجاز وأولى من الثاني ، لأن الجزء يلازم الكل ، وأما الكل فلا يلازم الجزء .

قال المصنف : والقسم التاسع تسمية الشيء باسم ضده ، كقولهم جَوْنٌ للأبيض ، وهو اسم للأسود ، قال : وهذا ليس من المجاز ، بل هو حقيقة في الموضعين ، مثل شمتُ السيف إذا أعمدته وسلته^(٢) .

أقول إن تسمية الشيء باسم ضده قد ذكره الأصوليون ، وقالوا إنه كقوله تعالى : (جزاء سيئة سيئةً مثلها)^(٣) وقوله : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)^(٤) . وما رأيانهم ذكروا هذا المثال الذي حكاه ، ولا يبعد عندي أن يكون ما اعترض به عليه صحيحا ، فإن أكثر أهل اللغة قالوا إن الجَوْن من الأضداد ، وليس إفسادُ المثالِ مُوجِباً لإفسادِ المثلِ عليه ، ومن الناس من جعل قوله تعالى : (جزاء سيئة سيئةً مثلها) من باب المجاز

(٢) سورة التوبة • (فإذا ساخ الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .

(٣) لائل السائر ٩١/٧ قال ابن الأثير : لأن من الأسماء المشتركة ، كقولهم شمت السيف

إذا سلطته ، وشتمه إذا أعمدته ، فدل الشيم على الضدين مما بالوضع الحقيقي .

(٤) سورة الشورى ٤٠ .

(٥) سورة البقرة ١٦٤ .

لا التشبيه ، وهو الذى يسمى استمارة ، وهو القسمُ الأولُ الذى حاول هذا الرجل أن يُعيدَ إليه أكثر هذه الأقسام . وقالوا إن جزاء السيئة يشبه السيئة فى كونها سيئةً بالنسبة إلى من وَصَلَ ذلك الجزاء إليه ، وليت هذا الرجل لَمَّا حاول أن يعيد الأقسام إلى القسم الأول بيِّنهُ فى هذا القسم ، فهذه المشابهة أوردتها ، فكان يأتى بشيء له ذوقٌ .

قال المصنف : والقسم العاشر تسميةُ الشيءِ بفعله ، كتسمية الخمر مُسْكراً . قال : وهذا القسم داخلٌ فى القسم الأول ، وأى مشاركةٍ أقربُ من هذه للمشاركة ؟ فإن الإسكار صفةٌ لازمةٌ للخمر ، وليست الشجاعةُ صفةً لازمةً لزيد ، لأنه يمكن أن يكون زيدٌ ولا شجاعة ، ولا يمكن أن يكون خمرٌ ولا إسكار ، ألا ترى أنهم لم يُسمِّ خمرًا إلا لإسكارها ، فإنها تخمِّرُ العقلَ أى تَسْتُرُهُ (١) .

أقول : إن هذا الرجل لم يَعْلَمْ المراد بهذا القسمِ ، فإن السكر هو الفاعل ، من أَسْكَرَ يُسْكِرُ ، فهو مُسْكِرٌ ، كالضارب فاعل من ضرب يضرب فهو ضارب ، ولا يكون الإنسان ضاربًا إلا إذا ضرب . وأما قَبْلَ وقوع الضرب منه وبعد انقضاء الضرب لا يكون حقيقة ، لأنه ليس فى تلك الحال بضارب ، والقوم قالوا إن الخمر تُسمى مسكراً قبل ألا تُشْرَبَ وتُسْكِرَ شاربها ، فقد

سَمَّوْا الشَّيْءَ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وبأثره قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَهُ وَيُؤْتِرَهُ ، وهذا هو
المجاز ، وليس يَصْلُحُ أَنْ يُجَابَ عَنْ هَذَا بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا دَاخِلٌ
فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، وَأَيُّ مِشَارَكَةِ أَقْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْمِشَارَكَةِ ، لِأَنَّ الْإِسْكَارَ لَيْسَ
صِفَةً لَازِمَةً لِلخَمْرِ ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ اللَّازِمَةُ لَهَا الْقُوَّةُ عَلَى الْإِسْكَارِ .

والقوم ما قالوا إنَّ المجاز في قولنا الخمر قوية على الإسكار ، بل في قولنا
الخمر مسكرة ، وبهذا بَطَلَ قَوْلُهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَمْرٌ وَلَا إِسْكَارٌ ، وَقَدْ يُمْكِنُ
أَنْ يَكُونَ زَيْدٌ وَلَا شَجَاعَةٌ ، فَإِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الْإِسْكَارَ الَّذِي يَرِيدُونَهُ هَاهُنَا
هُوَ الْإِسْكَارُ بِالْقُوَّةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مُرَادَهُمْ ، بَلْ مُرَادُهُمُ الْإِسْكَارُ بِالْفِعْلِ ، وَباعتباره
جعلوا قولنا الخمر مسكرة مجازاً .

ومما يوضح غلطه في هذا الموضع أنه لو كان الإسكارُ صِفَةً لَازِمَةً لِلخَمْرِ ،
وَلَا تَوْجِدُ خَمْرٌ إِلَّا وَهِيَ مَسْكَرَةٌ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَه وَادْعَاهُ ، لَسَكَانٌ إِطْلَاقٌ
لِغَلْظَةِ الْمَسْكَرِ عَلَى الْخَمْرِ حَقِيقَةً ، كإِطْلَاقِ لَفْظَةِ اللَّيْثِ عَلَى الْأَسَدِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ
هَذَا الْقِسْمُ دَاخِلًا فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، كَقَوْلِنَا لِلشَّجَاعِ أَسَدٌ ، وَلِلْبَلِيدِ حِمَارٌ ؟ وَأَيْنَ
الْمِثَالَةُ بَيْنَ هَذَا الْمَوْضِعِ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقِسْمِ ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِسْمَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْئَيْنِ
تَشَابَهَا فِي صِفَةٍ خَاصَةٍ بِأَحَدِهِمَا ، فَنَقُلُ اسْمَهُ إِلَى مَا شَابَهُ ، وَلَيْسَتْ الْخَمْرُ مِشَارَكَةً
فِي شَيْءٍ آخَرَ يَسْمَى مَسْكَرًا فِي مَعْنَى الْإِسْكَارِ ، فَنَقُلُ اسْمَهُ إِلَيْهَا .

قال المصنف: والقسم الحادى عشر تسميةُ الشيء بكُلِّه، كقولك فى جواب
سائلٍ سألت: ما فعل زيدٌ؟ قلت: القيامُ. فإن القيامَ جنسٌ يناول
جميعَ أنواعه.

قال: وهذا القسم لا ينبغى أن يدخُلَ فى أقسامِ المجاز، لأن القيامَ لزيد
حقيقةٌ، فإن قلتَ يشتمل على جميع أنواعه من الماضى والحاضر والمستقبل،
قلتُ فهذا من أقربِ أقسامِ المجازِ مناسبةً، لأنه إقامةُ المصدرِ مقامَ الفعلِ
الماضى، والمصدر أصلُ الفعل، وعلى هذا فإن القسمَ داخل فى القسمِ الأول^(١).

أقول: إننا قد ذكرنا تسميةَ الجزءِ بالكلِ كيف يكون، وضررنا لذلك
مثلاً، فأما هذا الذى ذكره فإنه شىء غَلَطٌ، قاله أبو الفتح عثمان بن جنى
فى كتاب الخصائص، ووهِمَ فيه، لأنه ظنَّ أن المصدرَ لفظٌ يدل على أشخاص
تلك الماهية، وليس بصحيح، بل المصدرُ لفظٌ يدل على مجرد الماهية، وهو
القَدْرُ المشترك بين الواحد والكل.

فأما الماهيةُ من حيث هى، فلا تستلزم الوحدَةَ والكثرةَ، لأنها
لو استلزمت إحداهما لما كانت مجردةً من حيث هى، وقد فرضناها كذلك،
فإذن لا المصدر ولا الفعلُ المشتقُّ من المصدرِ يدلُّان على الكثرة وعلى

(١) اللؤلؤ السائر ٢/٩٣.

الوحدة ، لكنَّ أبا الفتح ذكر مثل هذا القسم بمثال مطابق فقال : أنا إذا قلت ضربت عمراً ، فإني إنما ضربتُ بعضه .

فأما هذا المصنف فلم يعترض على الكلام كما ينبغي ، أما أولاً فلأنه ظن أن المصدر هاهنا يقوم مقام الفعل الماضي ، وليس بصحيح ، لأنك إذا قلت فعلَ زيدُ القيامَ فقد أقررت أنه صدر عنه أثرٌ ما مفعولٌ حسب صدور الآثار عن المؤثرات ، والفعل الماضي ليس بأثر يصدرُ عن المؤثر ، ولا المستقبل أيضاً ، ولا الحاضر ، لأن الفعل الذي هو قسم للاسم والحرف لو كان أثراً لمؤثراً لكان اسماً لا فعلاً .

وأما ثانياً فلأنه لو صحَّ ما قاله لما كان هذا القسم داخلًا تحت القسم الأول ، لأن كونه أصلاً له لا يقتضى وقوعَ المشابهة بينهما بنقلِ اسم أحدهما للآخر ، وقد قرَّرنا ذلك فيما تقدم..

قال المصنف : القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لميرفائدة ، كقوله تعالى (فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) معناه فبرحمة من الله . قال : وهذا خطأ ، أما أولاً فإن الجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وُضِعَ له في أصل اللغة ، وهذه الآية دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة .

وأما ثانياً : فإن لفظة (ما) هاهنا غيرُ خاليةٍ من المعنى ، لأنها تعطي من

الفخامة والفصاحة والجزالة ما لا تعطى الآية عند قَدِّها ، كقول الزَّبَّاءِ
(ولكنه شِيمةٌ ما أناس) ^(١) قال وهذا شيء لا يعرفه إلا أهله .
والغزاليُّ معذورٌ في ألاَّ يعرف ذلك ، لأنه ليس من فَنِّه ^(٢) .

أقول إن ما قاله الغزالي وغيره في هذا الموضوع مأخوذ من قول شيخنا
أبي عبد الله البصري المتكلم ، فإنه قال : الحقيقة ما انتظم لفظها معناها من
غير زيادةٍ ونقصانٍ ولا نقلٍ ، والمجازُ ما لا ينتظم لفظه معناه إلا لزيادةٍ ونقصانٍ
أو نقلٍ ، كزيادة الكاف في قوله تعالى : (ليس كمثل شيء) ^(٣) فإنَّ لو أسقطنا
الكاف استقام المعنى . ومثال النقصان قوله : (وأسأل القرية) ^(٤) ، فإننا إذا
زدنا فيه لفظة الأهل استقام المعنى . ومثال النقل قولنا : رأيت أسدا ، تعنى به
الرجل الشجاع ، فإنه منقول من السبع .

وإذا أردنا الكلام على هذا الوجه كان قوله (فيما رحمة) مجازاً ، لأنه
لا ينتظم اللفظ معناه إلا بحذف (ما) .

قلنا : لانسلم أنَّ هذا مجاز ، بل هذه دالة على الوضع اللغوي المنطوق به
في أصل اللغة ، فيقال له أما أولاً فإنَّ القوم حَدُّوا المَجازَ بِحَدِّه هو موجودٌ في هذا
الموضع ، ولا يجوز أن يقال لن حَدِّبْ أَمْرًا بِحَدِّ : لم قلت إن هذا هذه ؟ لأنَّ القوم
قد اختاروا أن يضعوا اللفظ المَجازَ لِمَا كان بهذه الصفة . والمنازعةُ بعد ذلك
لهم منازعةٌ لفظيةٌ .

(١) وردت هذه الجملة في كلمات لها مع جذية الأبرش ، قال ابن الأنبر : معنى الكلام
ولكنه شِيمة أناس ، وإنما جاءت لفظه ماها من تنضياً لشأن صاحب تلك الشِيمة وتنظيماً
لأمره ، ولو أسقطت لما كان للكلام هذه الفخامة والجزالة .

(٢) المثل السائر ٢/٩٤ .

(٣) سورة الشورى ١١ .

(٤) سورة يوسف ٨٢ .

وأما ثانياً فلأن (ما) في هذا الموضع حرف ، والحروف لا يدخلها المجاز بالذات ، لأنها غير مستقلة بأنفسها بالمفهومية ، بل لا بد أن تنضم إلى شيء آخر لتحصيل الفائدة ، فإن انضمت إلى كلام يرتبط به ، ويحل إسقاطها بالمعنى للمفهوم منه فالركب حقيقة ، وإلا فهو مجاز .

ولا شبهة في أن (ما) في هذا الموضع ليست مرتبطة بغيرها ارتباطاً مفهوماً للمعنى المطلوب .

فأما جوابه الثاني فيلزم عليه أن يكون قوله تعالى : (واخفض لهما جناح الذل)^(١) حقيقة لا تعطى من الفخامة والفصاحة ما لا تعطيه الآية عند حذفه . وكذلك القول في سائر المجازات .

فإن قال إنني لم أجعل إفادة هذه اللفظة الفخامة والجزالة مخرجة لها من باب المجاز ، وإنما منعت قول من قال إنه لا فائدة فيها أصلاً ، قيل له : فإذا اعترفت أنها من باب المجاز فقد سلمت قول الغزالي ، فلا معنى لتنتقصه ، وتقول هو معذور في ألا يعرف هذا ، لأنه ليس من فنه ؟ والغزالي إنما أراد بقوله إن (ما) زائدة لا معنى لها في خصوص المقصد المطلوب بالآية لا غير ذلك .

قال المصنف : القسم الثالث عشر تسمية الشيء بحُكْمِهِ ، كقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) فسمى النكاح هبةً .

قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، للمشابهة بين النكاح والهبة في التَّمَكِين من الانتفاع والتصرف^(١) .

أقول : إن هذا الاعتراضَ الذي ذكره صحيحٌ لامنازعة فيه ، ثم إننا نقولُ إن تمثيل هذا القسم بالنكاح هبة فلم يُسَمَّ الشيء بحكمه ، بل بما يفيد مثلَ حكمه ، وفرَّقَ بين الحكم وبين المفيد لمثلِ الحكم . على أن أكثر المفسرين لم يذهبوا إلى أنه سَمِيَ النكاح هبة ، بل جعلوا لفظة الهبة حقيقةً صريحةً في هذه الواقعة .

قال المصنف : القسمُ الرابعُ عشرُ النقصانُ الذي لا يَبْطُلُ به المعنى ، كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، نحو قوله : (ثم يَرَمُ به بَرِيثًا)^(٢) أى شخصاً ، وكحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله (وأسأل القرية) أى أهلها . قال : وهذا القسم داخل في القسم الأول ، لأن الصفة لازمةٌ للموصوف . وقوله (وأسأل القرية) دل على الساكن بالمسكن .

قال : فهذه أقسام المجاز التي ذكرها الغزالي قد انتهت في تقسيمها ، وإنما يَرْجِعُ إلى ثلاثة أقسام : التوسع ، والتشبيه ، والاستعارة^(٣) .

أقول : قد تكرر منا إيضاحُ غلطه في إعادة هذه الأقسام إلى القسم الأول ،

(١) المثل السائر ٢/٩٥ .

(٢) المثل السائر ٢/٩٥ (ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريثًا) سورة

النساء ١١٢ .

(٣) المثل السائر ٢/٩٦ .

الذى يَتَوَهَّمُ عَوْدَهَا إليه ، لأن الصفة لولازمت الموصوف لما كانت من باب
المشابهة الموجودة في السَّبْعُ والشجاع ، بل كانت بابا آخر ، وكذلك الدلالة
بالمسكن على الساكن ، هي مجاز باعتبار آخر غير ذينك الاعتبارين .

وكل قسم من هذه الأقسام له خصوصيةٌ يفرد بها ، ويمتاز عن غيره بها ،
ولو أن هذا الرجل يَقِفُ على التقسيمات العقلية الدقيقة في العلوم الحكمية
والكلامية التي يمتاز كل قسم منها عن الآخر بما هو أدقُّ من الشعر ، ولا يفهمه
إلا الراسخون في العلم ، لسكانت هذه التقسيمات في امتياز بعضها عن بعض
أجلى من فَلَاقِ الصُّبْحِ ، لأنه ليس فيها من الغموض ما يُوقِعُ في مثل هذا العالط .
على أنه زعم أنه قد أعادها إلى ثلاثة : وهي الاستعارة ، والتشبيه ،
والتوسع ، ولم يُعِدْ منها إلى التشبيه شيئاً أيضاً .

قال المصنف : ومن شَرَطِ بلاغة التشبيه أن يُشَبَّهَ الشيء بما هو أكبرُ
منه وأعظمُ ، كما قال بعض كتاب^(١) مصر في تشبيه حصن من حصون الجبال :
« هامةٌ عليها من النمامةِ عِمَامَةٌ ، وأُنْمَلَةٌ خَضَبُهَا الأصيل ، فكان الهلالُ
منها قَلَامَةٌ » : فإنه أخطأ في قوله أنملة ، وأى مقدار للأنملة بالنسبة إلى حصن
على رأس جَبَلٍ ؟ قال : فإن قلت فقد قال الله عز وجل :

(١) هو التفاضى الناضل رئيس ديوان الإنشاء وصاحب الطريقة الفاصلية ووزير صلاح
الدين الأيوبي توفي سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) فشبهه نوره بما هو دونه ، وقد قال سبحانه في القمر : (حتى عادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ) فشبهه بما هو دونه ، قلت : هذه الآية تشبيها لطيف غريب ، لأنه أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، لأن قلبه عليه السلام وما هو عليه من الصفاء والشَّفَافِيَةِ كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، والشجرة المباركة التي لا شرقية ولاغربية هي ذات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه من أرض الحجاز التي لا تميلُ إلى المشرق ولا إلى المغرب ، وزيت هذه الزجاجة مضيء من غير أن تمسه نارٌ ، معناه أن فطرته صافية من الأكدار مُنيرةٌ من قبيلِ مصاحفة الأُنوار ، فهذا هو المراد من التشبيه من هذه (الآية) .

وأما الآيةُ الثانيةُ فإنه تعالى شَبَّهَ الهلالَ بالْعُرْجُونِ في نُحُولِهِ واستدارته لافي مقداره ، لأن مقدار الهلال عظيم لا نسبة للْعُرْجُونِ إليه ، لكنه شبهه به في الهيئة والشكل (١) .

أقول إن التشبيهَ يَحْسُنُ وَيَقْبَحُ باعتبار الجهة التي وقع التشبيه فيها ، فإذا شَبَّهَ العظيمُ مقدارا (بأقل منه) في المقدارية قبح ، وكانت القضية كاذبةً . فإن شَبَّهَ به لافي المقدار ، بل في أمر آخر يتناسبان فيه كان حسناً ، وهذا كقوله تعالى في صفة الصحابة رضي الله عنهم : (كزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطَّاءٌ) (٢) ، فإن عاقله

(١) المثل السائر ١٢٢/٢ .

(٢) سورة الفتح ٢٩ الشطء : فراخ الزرع أو ورقه أو ما حول أصل النبات .

لا يقول : هذا التشبيهُ قبيحٌ ، لأن أجسام الصحابة وجثثهم أكبرُ وأعظمُ مقداراً من الزرع ، لأنه ما أراد التشبيه في المقدارية ، بل في أمرٍ آخر .

وهكذا قوله : (حتى عاد كالعرجونِ القديم) لا يريد مقداراً ، بل شكله .

وكذلك تشبيه الكافر بالكلب في قوله : (فثله كمثل الكلب

لئن تحمّل عليه يلهث)^(١) .

لا يعنى الصورة والجثة ، بل معنى آخر ، وكذلك هذا الكاتبُ

المِصْرِيُّ . والذي حمل هذا الرجل على أن عابه بما عاب به نفسه ، حسده له .

وهو لا يعنى أن الحصن العظيم على ذروة الجبل الشاهق كالأئمة

في مقدارها وجثتها ، بل بينه وبين الأئمة مشابهة لطيفة وهي أن الأئمة

جسمٌ صغيرٌ ناتئٌ من جسمٍ كبيرٍ وهو البدنُ ، وكذلك الحصنُ على الجبل ،

وهذا هو الذى أراد الرجل ، والأمر فيه واضحٌ بينٌ .

فأما تفسيره الآية النور فظريفٌ جداً ، أما أولاً فلأنه سبحانه لوقال :

(مثل نورى كالنور الذى فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم) لكان ركيكاً .

وأما ثانياً فلأنه قال : (مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة)

فإذا كان قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الزجاجة ، ولا شبهة أن المصباح

الذى فيها هو النور ، والمشكاة ما هى ؟ فقد زعم أنها ذات النبى صلى الله عليه

وآله وسلم ، فإنه قد قال إن ذات النبي هي الشجرة المباركة ، فلا يبقى للمشكاة ما تُحْمَلُ عليه .

وأما ثالثاً فإن الله تعالى وصف الشجرة بأنها زيتونة لاشرقية ولا غربية ، ونرى هذا المفسر قد فسر قوله لاشرقية ولا غربية ، ولم يفسر قوله زيتونة ، وقد كان الواجب عليه أن يفيدنا بتفسير ذلك .

وأما رابعاً فلأن غلاة الباطنية^(١) الذين يقولون في قوله سبحانه وتعالى : (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدقٍ علياً)^(٢) المراد به علي بن أبي طالب أعذر في تأويلاتهم ، وأقرب إلى الأذهان من هذا الرجل .

وأما خامساً فإنه لم ينفصل من السؤال ، لأنه لو سلم له جميع ما ذكره ، أليس قد شبه الله تعالى نوره بنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ونور محمد دون نور الله تعالى لأنه مستفاد من نوره ، وما يستفاد من أصل يكون دون الأصل المستفاد منه ، وقد توجه الإشكال .

قال المصنف: فأما التجريد فهو إخلص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك .

قال : وهو نوعان : تجريد بمعنى التوسع فقط ، وتجريد حقيقة . فأما

التجريد بمعنى التوسع ، فكقول الصمة القشيري :

(١) الباطنية أشهر ألقاب الإسماعيلية ، وهم الذين يثبتون الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وقد خلط القدماء منهم كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج ، ولهم آراء غريبة ذكر الشهرستاني طرفاً منها (الملل والنحل ١/١٧٢) .

(٢) سورة مريم ٥٠ .

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

فانه قال بعد أبيات :

وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْنَنِي

عَلَى كَبِدِي مِنْ حَرِّهِ أَنْ تَقَطَّعًا^(١)

فانتقل إلى ذكر نفسه ، ولو لم يُقَلْ (وأذكر أيام الحمى) لقضينا عليه بأنه

تجريد حقيقة .

ومثال التجريد الحقيقي قولُ الحَيْصِ بَيْصَ :

إِلَامَ يِرَاكِ الْمَجْدُ فِي زِيِّ شَاعِرٍ وَقَدْ تَحَلَّتْ شَوْقًا فِرْوَعُ الْمُنَابِرِ

فانه لم ينتقل إلى هذا بعد ذكر نفسه ، بل استمر على التجريد ، لأنه قال

بعد هذا البيت :

كَتَمْتَ بَعِيْبَ الشَّعْرِ عِلْمًا وَحِكْمَةً بِيَعْضِهِمَا يَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ

أَمَّا وَأَيُّكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ فَارِسُ الْمَقَالِ وَنُحْيِي الدَّرَاسَاتِ الْغَوَابِرِ

وَإِنَّكَ أَغْنَيْتَ الْمَسَامِعَ وَالنَّهْيَ بِقَوْلِكَ عَمَّا فِي بُطُونِ الدَّفَاتِرِ^(٢)

أقول : إنه قد انتقل بعد هذا إلى ذكر نفسه ، فمدل عن كاف الخطاب ،

إلى ياء الضمير ، إلى تاء المتكلم فقال :

تَطَاوَلْ لَيْلِي مَا أَرَى ذَا نَبَاهَةِ يُجَلِّي دُجَى ظَلَمَائِهِ عَنِ خَوَاطِرِي

(١) البيت في لائل السائر وفي ديوان الحماسة (على كبدي من خشية أن تصدعا) .

(٢) لائل السائر ٢/١٦٣ .

سَهْرَتْ لِبَرْقٍ مِنْ دِيَارِ رَبِيعَةٍ وَلَمْ أَكُ لِلْبَرْقِ اللَّمَّوعِ بِسَاهِرٍ
قال: كَانَ الصَّمَّةُ الْقَشِيرِيُّ فِي شَعْرِهِ لَمْ يَأْتِ بِالتَّجْرِيدِ الْحَقِيقِيِّ ، لِعَوْدِهِ بَعْدَ
أَبْيَاتٍ عَنْ كَافِ الْخَطَابِ ، فَالْحَيْضَ بَيْضَ مِثْلُهُ .

قال المصنف: وقد قال أبو علي الفارسي رحمه الله إن العرب كانت تعتقد
في الإنسان معنى كامناً فيه، كأنه حقيقته ومحصوله، فتُخْرِجُ ذلك المعنى إلى
ألفاظها مجرّداً من الإنسان، كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم: لئن لقيت
فلانا لتلقين منه الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر، وهو بعينه الأسد
والبحر، لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه ومتميزاً منه.

وهذا ليس بتجريد، بل هو تشبيه مضمّر الأداة، وتقديره لتسألن منه
كالبجر، ولتلقين منه كالأسد، وليس هو من التجريد المشار إليه في الأبيات
الشعرية، ولا حقيقة التجريد موجودة فيه^(١).

أقول إن الحدّ الذي حدّ هذا الرجل التجريد به لم يأت فيه نصٌّ من كتاب
الله تعالى، ولا ورد عن رسول الله، وإنما هو حدّ اختاره هو، وفسر التجريد
به، فإنه حَجَرَ على أبي علي رحمه الله أن يجعل التجريد شيئاً آخر. ومعلوم أن هذه
الاصطلاحات والمواصفات موكولة إلى آراء العقلاء واختياراتهم، فأبو علي

(١) اللؤلؤ السائر ١٦٧/٢ وفي كلام ابن أبي الحديد زيادة لا تخل بالمعنى، ليست

رحمه الله قد اختار أن يُسمي قولهم (إذا سألت زيدا سألت البحر) تجريدا ، وقد شرح ذلك وأوضحه بقوله إن ظاهر هذه اللفظة أن المسؤل غير زيد ، لأن ألفاظها تقتضى ذلك ، ألا ترى أنك تقول صحبتُ زيداً فاقبتبتُ منه العلم ، وقتلتُ فلانا فأخذت منه السلب . فيقتضى ظاهره بأن العلم غير المصحوب ، وأن السلب غير المقتول ، فهكذا يقتضى ظاهر قوله سألته فسألت منه البحر ، أن البحر غيره .

فأبو على رحمه الله سَمَاءَ تجريداً ، وهو غير مانع لك من اصطلاحك ولا مُشَاحٍ لك في حَدِّكَ الذى ذَكَرْتَهُ للتجريد ، فكذلك أنت لا تجورُ ولا تضايقه في اصطلاحه وتجريده .

قال المصنف : وأيضاً فهذا يتنتقض بقول العرب : لئن رأيت الأسد لترين منه هضبةً ، ولئن لقيته لتلقين منه الموت . فأى معنى لتخصيص أبى على ذلك بالإنسان ؟ مع أن العرب تستعمل هذا اللفظ في الإنسان وغيره (١) .

أقول إن أبا على لم يرد أن هذا الاستعمال مقصور على الإنسان فقط ، ولا صرّح بذلك ، ولا كنى عنه ، ولا هو مفهوم من قبحوى قوله إن العرب تعتقد في الإنسان معنى كامناً فيه لا يدل على نفى الحكم عما عداه ، وإنما مثل بالإنسان ، لأنه أشهر ، ولأن استعماله فيه ودورانه على ألسنتهم وفي ألفاظهم أكثر .

قال المصنف : وقد سبق القولُ بأن التجريد هو أن تُطْلَقَ الخطابَ على غيرك ولا يكونَ هو المرادَ ، بل المراد شيئاً آخر ، وهذا لا يوجد في هذا الموضع ، لأن قوله إن لَقِيْتَهُ لَتَلْقَيْنَ منه الأسدَ ، لم يُجَرِّدْ عن المنقول عنه شيئاً ، وإنما شَبَّهَ بالأسد في شجاعته ، وأداة التشبيه مُضْمَرَةٌ ، وما أعلم كيف ذهب هذا عن أبي على رضي الله تعالى عنه (١) .

أقول : قد بينا أن المنازعةَ في هذا الموضع لفظيةٌ لا طائِلَ تحتها ، ولو أن أبا على رضي الله تعالى عنه اختار أن يسمى المجاز تجريداً بمعنى أنه لفظ قد جُرِّدَ عن موضوعه الأول ، أي خُلِعَ عنه ، وجُعِلَ لغيره ، واصطَلَحَ هو ونفسه ، أو هو وأصحابه على ذلك ، هل كان لنا أن نخاصمهم ، وننازعهم ، ونقول لهم قد أخطأتم في هذا الاصطلاح وهذه المواضع ؟ وهل المعاني تَسْتَحِقُّ الأسماءَ المخصوصةَ لذاتها حتى يكون الإنسانُ مخطئاً إذا وَضَعَ لفظاً مخصوصاً لمعنى مخصوص ؟ وقد فسرنا نحن قول أبي على رضي الله عنه المقصد الذي قصده .

قال المصنف : وقول أبي علىٍ إن العربَ تعتقد أن في الإنسان معنًا كامنا فيه كأنه حقيقة ومحصوله ، فنير العرب أيضا تعتقد ذلك

الكامنِ معنى الإنسانية ، وهو الاستعداد للعلوم والصنائع ، فكلُّ أحدٍ يَعْرِفُ ذلك ، ولا خصوصية للعرب فيه . وإن عَنَى بالمعنى الكامنِ الأخلاقَ كالشجاعة والسخاء ، فليس هذا مختصاً بالإنسان ، بل جميعُ الحيواناتِ يُوجدُ فيها ذلك ، كالشجاعة في الأسد ، والسخاء في الدَّيِّك ، وما أعلم ما أراد أبو علي بهذا الكلام .

على أن هذا القِسْمَ الأخيرَ ليس عبارةً عن حقيقةِ الإنسانِ ، فإنه لا يقال في حَدِّه حيوانٌ شجاعٌ ، ولا حيوانٌ سخىٌ ، بل حيوانٌ ناطقٌ ، فقد أخطأ أبو علي من وجهتين : أحدهما أنه جعلَ حقيقةَ الإنسانِ عبارةً عن خُلُقِهِ ، والثاني أنه أدخلَ في التجريد ما ليس منه^(١) .

أقول : إن أبا علي رضی الله عنه لا يُلزِمُهُ تفسيرُ ما كانت العربُ تُتَخِيلُهُ وتوهمُهُ في الإنسانِ ، ولا هذا من وظيفته ، ولكنَّ أبا علي قال إننا لما وجدنا العربَ الذين صنَّعنا البحثَ عن تجاريِّ كلامهم يُخاطِبونَ في الشعرِ أنفسهم ، فيقولون : قلت لقلبي ، وقال لي ، وقلت لنفسى ، وقالت لي ، ويقولون : سألت منه لما سأله البحر ، فيأتون بلفظة منه ، كما يأتون بها في قولهم غصبتُ منه السَّيفَ ، وأخذتُ منه الثوب ، فيفيد ظاهر كلامهم أن المسئولَ منه غيره ، كما أن المنصوب منه غيره ، أفادنا إكثارهم من هذا وتكرارهم لاستعماله أنهم يتوهمون أن في هذه البنيةِ المشاهدةِ أمراً كامناً ، هو محصول الإنسان ، وهذا الهيكلُ الظاهرُ هو

(١) لائل السائر ١٦٩/٢ .

كالتألب لذلك المعنى ، وكالتفشر لذلك اللب ، ومن الجائز أن يكون هذا المعنى الباطنُ غَيْرَ القسمين الذين قد ذكرهما المصنف ، وهما مُجَرَّدُ الاستعدادِ للعلوم وأخلُقُ فليتناظر في تقييضِ ، خصوصاً ومذاهب العقلاء في هذا الموضوع كثيرة جداً ، وكلها خارجة عن هذين القسمين الذين قد ظنَّ هذا الرجل أنه لا يمكن تفسيرُ ما تَوَهَّمَهُ العربُ إلا بواحد منهما ، ثم يقال له لم لا تفسر قول أبي على رحمه الله بالوجه الأول وهو قولك إن غير العرب أيضاً تعتقد ذلك ، فيقال لك إن أبا على ما قال إنه لا يعتقد ذلك أحدٌ من الأمم إلا العرب خاصةً ، وإنما كانت صناعتهُ البَحْثَ عن مجارى كلام العرب ، وقال إنهم لا يعتقدون كذا وكذا ، لأنه لا يَنْظُرُ في لغة أمة أخرى غير العرب ، وإنما كتبهُ وتصانيفهُ مقصورةٌ على البحث عن لغاتهم خاصةً ، فلا يدل كلامه على نفي هذا الحكم عن غير العرب .

وأيضاً فلو فسَّرَ قوله بالتفسير الثاني — وإن كنا نعلم أنه رحمه الله لم يرِدهُ — لما تَوَجَّهَ عليه ما اعترضَ به ، لأنه لم يُفَرِّدِ الإنسانَ خاصةً من دون سائرِ الحيوانِ بهذا الحكم ، وإنما ضربه مثلاً ، لأنه النوع الأعرَفُ ومن العجب قولهُ : ولا أعرف ما أَرَادَهُ أبو على بقوله : إنهم يتوهمون في الإنسان معنى كما منا هو حقيقته ومحصوله ، إلا أن يكون أحدَ هذين القسمين اللذين أشرتُ إليهما .

ولا شبهة أن هذا الرجل ما وقَفَ على أقوال العقلاء في هذا الموضوع ، فإن مذاهبهم كثيرة ، وكل منهم يذهب إلى أن حقيقة الإنسان ومحصوله أمرٌ وراء

هذه البنية المشاهدة ، ولم يذهب منهم ذاهبٌ إلى أحد هذين القسمين اللذين قد توهمَ هذا الرجلُ أنه لا يمكنُ المصيرُ إلى غيرها .

فأما قوله إن أبا علي رضى الله عنه أخطأ حيث جعل حقيقةَ الإنسانِ عبارةً عن الخلقِ ، فإن أبا علي رضى الله عنه أخطأ ، وقال هذا الكلامُ لا عن نفسه ولا عن غيره ، أما إنه لم يقله عن نفسه فمعلومٌ ، وأما إنه لم يقله عن غيره فلا أنه قال عن العرب إنهم اعتقدوا أن في الإنسان معنى كما منا كأنه حقيقةً ومحصوله ، فصَرَخَ بأداة التشبيهِ وهي كأن ، وما قال عنهم إنهم قالوا إن ذلك المعنى هو حقيقة الإنسان ، ليقول لهم ذلك المعنى وهو خلقه ، وخلقُه غير داخل في حدِّه وحقيقته .

وينبغى للناس إذا حكوا شيئاً شرعوا في تقضيه أن يتأملوا ما حكوا ، ثم ينقضوا ، وبالجملة فمقام الشيخ أبي علي رضى الله عنه مقامٌ جليلٌ يقتضى أن يُحترمَ ويُصانَ ، ولا يُستعملَ معه التَّسْرُعُ بالتَّخْطِئَةِ والرَّدِّ ، وإذا وجدَ في كلامه ما يُستَدْرِكُ استُدْرِكْ مع استعمالِ الأدبِ .

قال المصنف في الالتفات : هو الانتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب وبالعكس ، وما يجرى بجرى ذلك . وقال إن الزَّحَّشَرِيَّ قال إن الرجوع من أحدِ هذين النوعين إلى الآخر إنما استعمله العربُ تَقَنُّنًا في الكلام ، وانتقالاً من أسلوب إلى أسلوب ، تَطْرِيقَةً لسماع السامع ، وإيقاظاً للاستماع إليه .

قال : وليس الأمر كما ذكر ، لأن هذا الكلام يتضمن أن السامع قد يَمَلُّ من أسلوب واحدٍ ، فينتقلُ إلى غيره لينشِطَ السَّمْعَ للاستماع ، وهذا قدح في الكلام ، لا وَصْفٌ له ، لأنه لو كان حسناً لما مَلَّ (١) :

أقول : لكم قلت إنه إذا كان حسناً لا يَمَلُّ ، وهل اللالُ إلا من اللذِّ ؟ ألا ترام كيف يقولون مَلَّ فلان التنزه في البستان ، ويقولون قد مَلَّتُ من أكل الحلواء ، ومَلَّتُ من سماع الأغاني ؟ ولأن الأشياء الكريهة المملولة لا يقال لها مَلَّتُها ، ألا ترام يستقبحون قول من يقول قد مَلَّ المحبوسُ من الحبس ، والمضروب من الضرب ؟ فالذي ذكره المصنف عكسُ الصحيح .

قال المصنف : وأيضاً فلوصحَّ ما قاله لكان الالتفات إنما يوجد في الكلام المطوَّل الذي من شأنه أن يَمَلَّهُ السامع لطوله ، والأمر بخلاف ذلك ، لأننا قد وجدنا الالتفات في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ومجموع الجانبين معا لا يبلغ عشرة ألقاظٍ (١) .

أقول : لما كان مُرادُ الواضع الإِفْهَامَ للسامع ، وكان الإِفْهَامُ لا يَحْضُلُ إلا بالإِضْفَاءِ ، احتالَ الواضعُ لتحصيل الإِضْفَاءِ بكلِّ طريقٍ ، فكان من تلك الطرق نَقْلُ الخطابِ من الحضورِ إلى الغيبةِ وبالعكس ، ليجد السامع ما يوقِظُهُ

(١) المثل السائر ٢/١٧١ .

(٢) للمثل السائر ٢/١٧٢ .

وينبئه على الاستماع . لأنه باستمرار الخطاب على نمط واحد ربما قد يَمَلُّ ، فنُقِلَ من أسلوبِ الخطابِ إلى أسلوبِ آخرٍ مستأنفٍ ، ليَطْرَأَ على ذلك السَّهْوِ الذي عساه حَصَلَ فَيُزِيلَهُ ، ثم لفرط العنايةِ بالإفهامِ وَقَعَ ذلك في قصيرِ الكلامِ حَسَبَ وقوعه في طَوِيلِهِ ، لافي كل قصير منه ، كما أنه لم يقع في كل طويل منه ، ولكن بحسب ما تقتضيه المصلحة .

ولهذه العلة أنزل في القرآن الكريم ألفاظٌ وحروفٌ غير مفهومة ، مثل طسم والمص وغيرها ، ليعارض المشركون فيها عند سماعها ، فيكون ذلك كالأستحجار لهم إلى سماع غيرها من الآيات المنزلة ، فإنها إذا قرعت أسماعهم قرعها أمر غريب تنزع النفس عند سماعه ، وتَدَشَوَّقُ إلى معرفته ، فينبعث الداعي إلى سماع ما بعدها ليفسر ما به ، كما يفسر بعض الكلام ببعض ، فتحصل الفائدة من وقوفهم على فصاحة القرآن وسرِّ إعجازه .

ونظير اعتراض المصنف وهو قوله : لو كان هذا خوفاً للملال كان في طويل الكلام دون قصيره ، أن يعترض هنا المثال الذي قد مثلنا به فيقال : لو كان هذا هو المراد من هذه الحروف لكانت في جميع السور بل في السورة الواحدة مرات كثيرة ، لتكون أَدْعَى للمشركين إلى تأمله . والجواب عن الموضعين واحدٌ ، وهو أن ذلك إنما يكون بحسب ما تقتضيه المصلحة ، ولهذا كرر سبحانه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ^(١) مراراً كثيرة في سورة واحدة ، لما كانت

(١) سورة الرحمن .

المصلحة تكراره ، فالخطيبُ أعرفُ بما يخاطبُ به ، وأدرى بما يتوصلُ به إلى اجتناءِ ثمرةِ الخطابة ، سواء كان البارى سبحانه أو واحدا منا .

قال المصنف : وعلى هذا فيجب إذا وجدنا كلاما قد استعمل فيه الإيجازُ أو الإطناب - ولكنه لم يقع فيه الالتفات لكن كل واحدٍ من الطرفين واقعٌ موقعه - أن نقول هذا ليس بحسنٍ إذا لم يُنتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب على مثل الزخشرى مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة^(١) .

أقول : إن هذا الاعتراض من أعرف ما يحكى وذلك أن الزخشرى ما جعل حُسنَ الكلام مقصورا على الالتفات كالشروط التي تُقدم عند عدم شروطها ، ولكنه قال إن الالتفات مما تستعمله العرب ، ووجه استعمالها أنه يحصلُ منه نوعٌ تنبيهٍ ما للسامع وتجديدٌ لنشاطه إلى سماع الخطاب ، فلا يلزم من ذلك أن كل خطاب لا التفات فيه فإنه لا يكون حسنا ، كما إذ قلنا إنما حُسن استعمالُ المطابقة والتجنيس في الشعر لكذا وكذا ، لا يلزم منه أن يكون كل شعر لا تجنيس فيه ولا مطابقة غيرُ حسنٍ .

وعَبر هذا الكلام أن محسنات الشعر والخطابة أمور كثيرة ، فإذا قَدِم بعضها قام غيره مقامه ، فحصل الحُسنُ المطلوبُ .

لكن لو فقدت كلُّ الحسنات لَزِمَ لا محالة ألا يكون الكلامُ حسنًا .
فقد بان أن هذا الموضع ما ذَهَبَ على الزمخشري ، وإنما ذهب على
من اعترضه .

ثم يقال له : أَلَسْتَ الْقَائِلَ : قد يُمدَّلُ عن لفظَةِ الغيبةِ إلى لفظَةِ الحضورِ
تعظيمًا ، كقوله تعالى (إياك نعبد) فإنه عدَلَّ عن لفظ الغيبة وهو قوله (الحمد
لله رب العالمين) لأن العبادة أعظم من الحمد ، فجعل العبادة بكاف الخطاب
لمعظم شأنها ، وكاف الخطاب أصرَحُ وأدَلُّ من هاء الغيبة ، فجعل الأَظْمَرُ للأَظْمَرِ ،
فيقال لك : فقد قال سبحانه في موضع آخر (واعبدوه واشكروا لله إليه ترجعون)^(١)
فيجب أن تكون هذه الآية غيرَ حسنةٍ لفقْدِ المعنى الذي ذكرته ، كما قلت
إنه لو كان الالتفات حسنا كما قاله الزمخشري لوجب أن يكون كلُّ خطابٍ واقع
موقعه ، والالتفات فيه غيرُ حَسَنٍ ، فكل ما يجيب به فهو جوابُ الزمخشري .

قال المصنف : وقد يؤكِّدُ الضميرُ المتَّصِلُ ، كقوله تعالى : (لا تَخَفْ إِنْكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى) وقد يؤكِّدُ الضميرُ المتَّصِلُ بالمنفصل : وذلك مثل قول أبي تمام :
لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ حَفَّ الْهَوَى وَتَوَلَّتِ الْأَوْطَارُ
ومثل قول المتنبي :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ جَدُّكَ الْمَلِكُ الْهَمَامُ^(٢)

(١) سورة النكبات ١٧ .

(٢) رواية الدبوان والنل السائر (وجدك بشم) المثل السائر ١٩٧/٢ .

أقول : إن هذين البيتين لا يَضْلُحُ أن يُمَثَّلَ بهما على توكيد الضائر ، وذلك أن التوكيد ما لو حَذَفَ وبقي المؤكَّدُ يَبْقَى اللفظُ دالَّ على المعنى ، إلا أنه غير مؤكِّد له كالأية التي استشهد بها ، فإنه لو حذفت أنت لبقى إنك الأعلى ، وهو كلام مفيد للمعنى ، إلا أنه غير مؤكِّد .

وكقوله تعالى : (إنك أنت علام الغيوب)^(١) وكقوله : (إِمَّا أَنْ تُنْقِصَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقِينِ)^(٢) ولو حُذِفَ أنت الثانيةُ من بيت أبي تمام أو من بيت المتنبي لخرج الكلام عن الإفادة أصلاً . وكيف يفيد وهو مبتدأ وخبر ، وقد حذفت الخبر ؟ ومراد أبي تمام لست أيتها المرأة كما كنتُ أَعهدُ ولا الديارُ كما كنتُ أَعهدُ ، ولو كان قوله لا أنت أنت من باب التوكيد لكان قوله ولا الديار ديار من باب التوكيد .

وكذلك قول القائل :

فما الناسُ بالناسِ الذين عهدتهم ولا الدارُ بالدار التي كنتُ أعرف

وفي ذلك امتزاج أبواب البيان بعضها ببعض ، وهو غير جائز .

ومراد المتنبي بقوله أنت أى أنت المشهور الذى يَسْتَقْفِنِي عن شرح صفاته ومما دحه ، كما يقول : قد قتل زيد بيده أسداً والأسد الأسد . وكقول الراجز : (أنا أبو النجم وشعري شعري) وهذا معنى آخر غير التوكيد ، ولكنه قد اشتبه على هذا المصنف لا محالة .

(١) سورة المائدة ١١٦ .

(٢) سورة الأعراف ١١٥ .

قال المصنف : ومثال تأكيدِ الضميرِ المتصلِ بالمتصلِ قوله تعالى : (ألم أقلنْ لك إنك لن تستطيعَ معي صبراً) ثم شرع يبين لماذا قال لك ها هنا ، وقال من قبل (ألم أقل إنك) ولم يقل لك في خرق السفينة^(١) .

أقول : أما قوله لك فوجهه مشهور قد قاله الناس من قبل ، وذكره مَنْ يَتَمَطَّى استخراجِ الدقائقِ والمعانيِ الغامضةِ من القرآن ، وليس غرضنا الآنَ عن البحثِ في صحة ذلك وفساده ، ولكنَّ تمثيله بهذه الآية على تأكيدِ الضميرِ المتصلِ فليس من هذا الباب أصلاً ، وإنما عدَّي الفعل منها إلى المفعول بحرف الجر لا غير ، ولو كان هذا تأكيداً للضمير لكان قولنا مررت بزبد تأكيدا للضمير ، وهذا مالا يقوله أحدٌ .

وكيف يتَوَهَّمُ أن قوله لك تأكيد للضمير في قوله إنك ، وأين أحدهما من الآخر ؟ نعم لو قال سبحانه (ألم أقل أنا لك) كان قوله أنا تأكيدا للضمير في قوله (ألم أقل) فيكون تأكيداً للمتصل بالمنفصل لا بالمتصل .

فإن قيل لعله لم يتكلم في التأكيد على الاصطلاح النحوي ، بل على اصطلاح آخر يرجع إلى علم البيان والبلاغة ، فلا يلزمه ما ذكرت .

قيل : لعمري إن غرضه البحث في علم البيان ، ولكنه لم يخرج هذا الفصل

والكلام فيه إلا على الاصطلاح النحوى ، فلما أراد أن يطبق الآيات والأشعار عليها وقع في الغلط كما رأيت .

قال المصنف في باب العام والخاص إنه تعالى قال : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِّى اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ولم يقل بضوئهم ، لأن الضوء نورٌ وزيادة .

فلو قال بضوئهم لكان المعنى يُعْطَى ذهاب تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هي فرطُ الإنارة ، ولذلك قال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) فكل ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً ، فقال سبحانه (ذهب الله بنورهم) لأنه إذا أزال النورَ فقد أزال الضوء أصلاً^(١) .

أقول : إن هذا الرجل قد شحن كتابه بأمثال هذه الترهات ، وأطال فيها وأسهب ، وأعجبَ بها ، وظن أنه أتى بفريب .

وهذه المعانى قد صنفت فيها الكتب الكثيرة ، وتكلف الناس من قبله في استنباط أمثال هذه الوجوه الغامضة والمعانى الخفية من القرآن العزيز ، وإنه لم أتى بهذه اللفظة دون تلك ؟ ولم قدم هذا وآخر هذا ؟ وقد قيل فى هذا الفن أقوالٌ طويلةٌ عريضةٌ أكثرها باردغثٌ ، ومنها ما يشهد العقل وقرائن الأحوال أنه مرادٌ .

وقد ورد إلينا في مدينة السلام في سنة اثنتين وثلاثين وستائة رجلٌ من وراء النهر كان يتعاطى هذا، ويحاول إظهار وجوهٍ نظريّةٍ في هذه الأمور في جميع آيات الكتاب العزيز، نحو أن يقول في قوله تعالى: (ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربهم مُخَدَّثٌ إلا استمعوه وهم يلعبون)^(١).

ثم قال: لم قال (ما) ولم يقل (لا) ولم قال (يأتيهم) ولم يقل (يجيئهم)، ولم قال (من ذكر) ولم يقل (من كتاب) ولم قال (من ربهم) ولم يقل (من إلههم) . ولأى حال قال في موضع آخر (من الرحمن) وما وجه المناسبة في تلك الآية في لفظها وسياقة كلامها وبين لفظة الرحمن؟ وما وجه المناسبة بين هذه الآية وسياقها؟ وبين لفظة ربهم .

وعلى هذا القياس .

وكذلك كان يتكلف تعليل كلِّ ما في القرآن من الحروف التي تَسْقُطُ في موضعٍ وتثبُتُ في موضعٍ، نحو قوله تعالى: (أولم يروا إلى الطير فوقهم)^(٢) وقوله: (ألم يروا إلى ما خلق الله)^(٣) لم أثبت الواو هناك، وأسقطها هاهنا، ونحو قوله: (ومن يُشاقِقِ الرسولَ من بعدِ ما تبَيَّنَ له الهدى)^(٤) وقوله: (ومن يُشاقِقِ الله) لم فكَّ الإدغامَ في موضعٍ ولم يفكَّه في موضعٍ آخر؟ .

(١) سورة الأنبياء ٢ .

(٢) سورة الملك ١٩ .

(٣) سورة النحل ٤٨ .

(٤) سورة النساء ١١٥ .

كنا نَعَجِبُ منه ونستظرفه ، حتى وصل إلينا هذا الكتاب ، فقلنا إنه فوق كل ذى علم عليم .

ولو أخذنا تناقضه في هذا الأطلنا كما أطلنا ، وسمَّجنا كما سمَّج .

ومتى يتسع الوقت لمناقضة هذه التـكلفات القبيحة ؟ ولكننا قد نكلمه .
في بعض المواضع منها لكيلا يخلو كتابنا هذا عن مجادلاته في هذا الفن بالسكية ،
فقول له : لم قلت إن الضوء نور وزيادة ؟ أمن كتب اللغة أخذت هذا ؟ أم من
غيرها ؟ فقد تصفحنا كتب اللغة فلم نجد ما نشاهده بما ذكرت ، ولا الاصطلاح
مساعدا لك في عرْفِ الناس ومواضعاتهم .

وإذا لم يكن موجودا في أصل اللغة ولا الإصطلاح العرفي لم يَجْزُ لك أن
تحمل كلام الله تعالى عليه وتفسره به .

وقد قال ابن السكيت في كتاب إصلاح المنطق — وهو عَيْنُ السكتب
اللغوية ، ومصنّفه إمامُ الناس كلهم في اللغة ، ومن لا يختلف اثنان في كتبه —
في باب فعل وفعل باختلاف المعنى : النَّيِّرُ عَلمُ الثوب والنور الضياء شيئا واحدا .
وليس في قوله تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا^(١)) ما يدل
على اختلاف المعنيين ، ولا قوله : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا^(٢))
ما يدل على اختلاف المعنيين .

(١) سورة المصّر ٤ .

(٢) سورة المائدة ٤٨ .

قال المصنف : وإنما قال سبحانه (ذهب الله بنورهم) ولم يقل أذهب الله نورهم ، لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهب به ، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأن قولنا ذهب به يُفهم منه أنه استصحبه معه ، وأمسكه عن الرجوع إلى حالته الأولى ، وليس كذلك أذهبه^(١) .

أقول : إن قوله إن الله تعالى ذهب بنورهم معناه أنه استصحبه ومضى ، كما يقول القائل مررت بزيد وعنده سيف فذهبت به ، أى أخذته ومضيت ، وكما قال سبحانه : (فلما ذهبوا به وأجمعوا)^(٢) معناه أخذوا يوسف مُحبّتهم ومضوا ، فإن قال نعم هكذا تفسير الآية فهذا كفرٌ وتهجم . فأما قوله : كل من ذهب بشيء فقد أذهب به فهو على إطلاقه غير صحيح ، لأنه ليس كل من ذهب بشيء فقد أذهب به ، بمعنى أنه أعدمه عن الوجود أصلاً ، لكنه قد أذهب عن موضعه الأول الذى أخذه منه .

واعلم أن الغلط دخل عليه من اشتراك لفظه ذَهَبَ ، فإنها تستعمل في معنيين أحدهما قولهم ذهب فلان في الطريق الفلاني ، أى مضى فيه ونفذ فيه .

ومنه سمي السبيل مَذْهَباً ، لأنه يَدْهَبُ فيه أى يُمضَى فيه ، وسمي قول الشاعر وغيره مَذْهَباً ، كأنه صار طريقاً فسلكه الفقهاء وغيرهم .

(١) المثل السائر ٢/٢١٠ .

(٢) سورة يوسف ١٥ (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يحملوه في غيابة الجب) .

والمعنى الثانى ذهبَ بمعنى عُدِمَ وفُقِدَ ، وقولهم ذهب الشبابُ وذهبَ
العمرُ ، أى قَيَّ وعُدِمَ .

ولعل هذا الاعتبار الثانى هو الحقيقة الأصيلية ، والمحمّل الأول هو المجاز ،
لأنه لما مَضَى زيدٌ فى تلك الطريق ، فقد تقدم بالنسبة إلى غيرها ، فسمى مُضِيَهُ
فيها ذهاباً .

وإذا بان لك اشتراك اللفظ ظهر غلطه ، لأنه توهم أن قوله تعالى (ذهب
الله بنورهم) مثل قولنا : ذهب زيدٌ بثيابِ عمرو واحتملها ومضى ، وقد صرح
بتفسير الآية على هذا الوجه ، وهذا معنى لا يجوز أن يُنسَبَ إلى الله تعالى ،
لأنه لا تصح عليه الحركة ، ولا استصحاب الأشياء واحتمالها من مكان إلى
مكان ، وعلى أنه لو صحَّ عليه سبحانه ذلك لكان قوله أذهب الله نورهم أبلغ
فى المعنى من قوله ذهب الله بنورهم على هذا التفسير ، لأن إعدام النور بالسكينة
أبلغ من قوله : (وتركهم فى ظلماتٍ لا يبصرون) من أين يذهب بالنور بالتفسير
الذى زعمه فيكون للنور وجودٌ فى الجملة ، وإنما نُقِلَ من موضع إلى موضع ؟

وإذ ظهر لك غلطه فاعلم أن معنى قوله (ذهب الله بنورهم) هو معنى
قوله (أذهبَ اللهُ نورهم) .

كلا اللفظتين تدل على معنى واحدٍ ، كما أن قولك فقدتُ زيدٌ مثل
قولك فقدتُ زيدا ، لا فرقَ بين الكلامين ، لأن الأفعال اللازمة إذا أردتَ
تعدّيها عدَّيتها تارةً بحرف الجر وتارةً بالهمزة ، وتقول ذهب الشبابُ وذهب

الدهر بالشباب وأذهب الدهر الشباب ، كما تقول خرجت بريد من البلد ، وأخرجت زيدا من البلد ، ولست تعنى بقولك خرجت بريد من البلد أنك استصحبت زيدا معك .

كلا ليس هذا هو المراد من تعديّة اللّازم ، بل تحضُّ قولك أخرجت زيدا لا زيادة على ذلك .

قال المصنف . فأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي يكون بينها وبين أحدها تاء التانيث فإنه متى أريد التنقي كان استعمال أحدها أبلغ ، ومتى أريد الإنبات كان استعمالها أبلغ ، نحو قوله تعالى في قصة نوح : (وقال للملأ من قومه إنا لنراك في ضلالٍ مبينٍ ، قال يا قومٍ ليس بي ضلالةٌ) .

كان أبلغ في نفي كونه ضالاً من أن يقول ليس بي ضلالٌ ، كما لو قيل : ألك تمرٌّ؟ فقلت في الجواب : مالى تمرٌّ ، فإنه أنفى للتمر ، ولو قلت : مالى تمرٌّ لم يؤدّ المعنى الذي أداه القول الأول .

قال : ولا يظن أنه لما كان الضلالُ والضلالةُ مصدرين من قولك ضلَّ يَضِلُّ كان القولان سواء ، لأن الضلالة في هذه الآية ليست عبارة عن المصدر ، بل عن المرة الواحدة ، كما يقال ضربتُ ضربةً وأكلتُ أكلةً ، بمعنى مرة واحدة ، فإذا نفى نوحٌ عن نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة^(١) .

(١) المثل السائر ٢١٢/٢ وهنا تفصيل ليس في المثل السائر .

أقول إن الذى ذكره غيرُ صحيح، لا إن كانت لفظة ضلالة في الآية مصدراً
ولا إن كانت المرة الواحدة .

أما الأول فلأنه إذا كانت هذه اللفظة مصدراً وقد وافق على أن ضلال
مصدر أيضاً وجب أن تكون دالتهما سواء في نفي كونه ضالاً على الإطلاق ،
فلا يكون أحدَ اللفظين أبلغَ في الدلالة من الآخر ، لأيهما معاً يدلّان على نفي
ما هيّة الضلال نفسه ، فإن المصدر يدل على الماهية فقط من غير دلالة على شيء
آخر ، فإذا نُفِيَ فقد نُفِيَت الماهية نفسها ، فلا فرّقَ على هذا التقدير بين
الضلالِ والضلالةِ .

وأما التاني وهو أنه لا يصحُّ ما قاله بتقدير أن يكون المراد بالضلالة المرة
الواحدة ، لأنه لو قال القائل ما عندي تمرّة بمعنى تمرّة واحدة وعنده تمر كثير
بصح ذلك ، ولم يكن كاذباً .

ألا يرى أنه لو أظهر ما أضمر فقال ليس عندي تمرّة واحدة فقط ، بل عندي
تمرّة كثير، لم يكن فيما قاله متناقضاً؟ فالمثال الذى ذكره يدلُّ على عكس ما أراه .
وقول نوح (ليس بي ضلالة) ، لو كان يريد به العدد بمعنى ليس بي ضلالة
واحدة كما زعمَ هذا الرجل ، ثم تركناه وظاهر اللفظ ، لم يكن نافية لكونه
ضالاً ، لأنه إذا كانت الضلالة مختلفة الأنواع ، وقال ليس بي ضلالة واحدة
فقط ، لم يكن هذا اللفظ مُفيداً لانتفاء كونه ضالاً ، لجواز ألا تكون ضلالة
واحدة بل ضلالاته مختلفة متنوعة ، فاللفظ لو تركناه وظاهره لم يدل على

انتفاء كونه ضالاً ، بتقدير أن يراد بالضلالة المرة على الواحدة على ما قد توهمه هذا الرجل .

وأما قوله إذا نفي عن نفسة المرة الواحدة من الضلالة فقد نفي ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة ، فكلام من لم يمعن النظر في قوله المرة الواحدة ، لأنه إذا أخذ في تفسير الضلالة أن تكون واحدةً وجملت الضلالات أشياءً متعددة مختلفة كالضربات المختلفة والأكلات المتنوعة ، ثم نفي عن نفسه ضلالةً واحدةً مشروطاً فيها أن تكون واحدةً ، لم يلزم من انتفائها بهذا القيد أن تنتفي عنه ضلالاتٌ كثيرةٌ ، لأن وجود الضلالات الكثيرة ملحوظاً فيها كونها كثيرة لا ينافي اقتضاء الضلالة الواحدة عنده ، لأن معنى الواحدة ليس معها غيرها ، ومن وجدت عنده ضلالاتٌ كثيرةٌ ، فقد صدق عليه أنه وجدت عنده ضلالةً واحدةً ، بمعنى أنه ليس معها غيرها .

واعلم أن مراده تعالى بقوله حاكياً عن نوح (ليس بي ضلالة) نفي الضلالة الذي هو المصدر ، لأنه هو الذي بانتفائه ينتفي كون نوح ضالاً انتفاءً مطلقاً ، لا كما توهمه هذا الرجل من أنه عبارة عن المرة الواحدة ، واللفظ واضح ، والمعنى ظاهر ، وعند التعمق الزلل .

قال المصنف : واعلم أن القياس يقتضي أن يقال : (ما لهذا الكتاب لا يُفادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) لأنه إذا قَدِّمَ الصغيرة لم يَحْتَجْ إلى

أن يقولَ ولا كبيرةً ، لأن وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزمُ منه وجودُ المؤاخذة على الكبيرة ، وإذا لم يَعْفُ عن الصغيرة لم يَعْفُ عن الكبيرة .

وإذ قدم في اللفظ الكبيرة احتاج إلى أن يقول ولا صغيرة ، لأنه لم يَعْفُ عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة ، فاحتاج إلى أن يذكر ما قال .

غير أن الكتاب العزيز أحقُّ أن يُتَّبَعَ فَيُقَاسَ عليه ، فوجِبَ تركُّ القياس لأجلِ هذه الآية^(١) .

أقول: أمّا أولاً فإن هذه الآية لم تذكر لبيان المؤاخذة والعفو ، ولا أن معنى قوله (لا يفادر صغيرة ولا كبيرة) المقابُ والغفرانُ ، بل معناه الإحصاء والعدُّ . ألا ترى إلى قوله سبحانه : (ووضَعَ الكتابُ فترىَ المجرمينَ مُشْفِقِينَ تَمِمًا فِيهِ ، ويقولون يا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً)^(٢) [ليس المراد فيه] المقاب والغفران ، بل معناه الإحصاء والعدُّ ؟ ألا ترى قوله (إِلَّا أَحْصَاهَا) فهو أمرٌ راجعٌ إلى إحاطةِ عِلْمِ الْبَارِي سبحانه بأفعال العباد خَفِيمًا وَظَاهِرًا وَجَلِيلًا وَحَقِيرًا ، فالذي تَوَهَّمَهُ هذا الرجل من كَوْنِ هذه الآية لتفصيل أحوال المؤاخذة تَوَهَّمٌ باطل .

وأما ثانياً فلأن هذه الآية وردت لبيان أنه تعالى يعلم الكبائر من الذنوب والصغائر ، ولأناس خلاف مشهور في الكبائر والصغائر من الذنوب ماهي ؟ فعنى الآية أنه تعالى يَعْلَمُ كِبَائِرَ الذنوبِ وصغائرها .

(١) للتل السائر ٢/٢١٣ .

(٢) سورة الكهف ٤٩ .

وعلى هذا التفسير إذا قَدَّمَ الصغيرة لا يلزمُ منه أن يَسْتَعْنِي عن ذكر الكبيرة ،
لأنه ليس إذا عَلِمَ الصغائرَ كان بأن يعلم الكبائرَ أُولَى ، كما يقول القائلُ
إذا أبصرتُ من عشرة فراسخٍ كنتُ بأن أبصرَ من فرسخٍ واحدٍ أُولَى ، لأنه
ليس أَحَدُ نَوْعَي الكبائرِ والصغائرِ بالنسبة إلى عالميته تعالى أَجْلَى من الآخرِ
على جميع مذاهب العقلاء ، والإبصارُ على حَدِّ فرسخٍ واحدٍ أُولَى لمن يبصر
على حد عشرة فراسخٍ .

وأما ثالثاً فلو سَلَّمنا أنه لم يَعْزُ كِبائرُ الذنوبِ وصفائرها ، بل عَنَى الخَفِيَّ
من أفعال العباد وهي أفعال القلوبِ ، والجلِيَّ الظاهر منها وهي أفعال الجوارحِ ،
فإنه لا يمكن حَمْلُ الآية إلا على أحد هذين الحملينِ ولا ثالثَ لهما ، فلم يَقْتَضِ
القياسُ أن يقول لا يفادر صغيرةً ولا كبيرةً ، لأنه قد قال التفسير عوض ، وذلك
بأن يقول ما لهذا الكتاب لا يفادر خفياً ولا جلياً إلا أحصاه ، لأن كل من
أثبت أن البارئِ تعالى عالم بأفعال الجوارح أثبتته عالماً بأفعال القلوب ،
كالدلالة على أنه تعالى يعلم الجزئيات عامة في القسمين ، وليس أحدهما أُولَى
بالتقدم من الآخر .

فإن قلتَ أليس قد ثَبَّتَ في الإنسِ أن الجليَّ أُولَى بالمعلومية من الخفيِّ ،
والقرآن العزيز يَدُلُّ على ما يتعارفه الناس وخطبوا به على قدر أذهانهم ؟
قلت : إنه لو قال تعالى ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة إلا أحصاها ، فربما
يُتَوَهَّمُ أن الكتابَ موضوعٌ لإحصاء فعل القلوب فقط ، لا بمعنى أنه تعالى
يعلم أفعال القلوب فقط ، بل بمعنى أنه قد يُتَوَهَّمُ أن الكتابَ الذي فيه ذنوبٌ

بني آدم وحسناتهم موضوع لإحصاء أفعال قلوبهم خاصة ، ولا يكون فيه شيء
هي معدودة مضبوطة فيه ، والمراد من هذه الآية وأمثالها إرهابُ العصاة ،
وهم إذا سمعوا أن أعمالهم كلها مضبوطة مكتوبة في كتاب يشتمل عليها كما
يشتمل على سائر الحساب لا على ما فيها ، كانوا أخوف وأشدّ تباعداً
من المعاصي .

فعلى هذه الطريقة قال (ولا كبيرة) لتكون الآية بعيدة عن التوهم
الذي يُجِلُّ نظام الزجر .

قال المصنف : وكذلك قد كان القياس أن يقول (فلا تنهروهما ولا تقل لهما أف)
لأنه إذا لم يقل لهما أف فقد امتنع أن ينهروهما .
قال : نظير ذلك في الترتيب الواقع على وفق القياس قول البحترى يصف
نُحُولَ الرُكَّابِ .

كالقسيِّ المعطّفات بل الأسد هم مَبْرِيَةٌ بل الأوتار^(١)
فشبهها أولاً بالقسي ، ثم قال بل كالأسهم ، لأنها أبلغ في النحول من القسيِّ
ثم قال بل كالأوتار ، لأنها أبلغ في النحول من الأسهم .

(١) من قصيدة له في مدح أبي جعفر بن حميد ، مطلعها :
أبكاء في الدار بعد الدار وسلو بزئيب عن نوار
ثم يصف نُحُولَ الفلائس ، فيقول قبل هذا البيت :
بترقرقن كالسراب وقد خض بن غمارا من السراب الجاري
وكان بالأصل (الأسهم ميزته) .

قال : لكنني قد رفضتُ القياسَ ، وقدَّمتُ ما استعمل في الكتاب العزيز عليه^(١) :

أقول إن الله تعالى لو قال : (فلا تقل لهما أف بل لاتنهرها) لكان على خلاف القياس ، لأن لفظه بل للاستدراك ، فيُعطى في الثاني معنى لم يكن في الأول ، فيصح أن يقال لا تنهر السائل بل لا تضربه ، وبقتضى القياس أن يقال لا تضرب السائل بل لاتنهره

وبيت البحتری إنما وقع موافقا للقياس لاستعماله لفظه بَلْ ، فأما الآية فوردت بالواو العاطفة ، وهي غير مقتضية للترتيب ، فلا فرقَ بَيْنَ أن يقول فلا تنهرها ولا تقل لهما أف ، وأن يقولَ فلا تقل لهما أف ولا تنهرها . . .

قال المصنف : وقد أغفل كثيرٌ من الشعراء التَّرقِيَّ من الأذني فالأذني إلى الأعلى كالمتنبي في قوله :

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غمامة يا لَيْثَ الشَّرَى يا حِمَامُ يا رَجُلُ

فإن الواجب أن يقول يَأْبَدْرُ ، لأنه اسم المدوح ، ثم يقول بعده يارجل ، ياليث الشرى ، ياغمامة ، يا بحر ، يا حمام ، لأن البدر أعظم من الليث ، والبحر أعظم من الغمامة ، والحمام أعظم من البحر ، فيرتفع من شيء إلى ما هو أعلى منه ، لأنه مقامُ مدح ، ولو كان مقامُ ذمٍّ لعكس القضية^(٢) .

(١) المثل السائر ٢ / ٢١٤ بتصرف .

(٢) المثل السائر ٢ / ٢١٥ بتصرف .

أقول : إن أبا الطيب لم يقصد إلا مقصداً صالحاً ، ولكن هذا الرجل لم يتفطن له ، لأنه مدحه بالسخاء والشجاعة ، وهما المعنيان الشريهان الجليلان ، فقال في القسم الأول وهو قسم السخاء يا بحر يا غامة ، وابتدأ بالبحر لانه دون الغامة مكانا ، لأنه تحتها وهي ربته ، لأنه منها يتكون ، ولولا الغامة لم تكن مياهُ الغدران والأقطار ، وما يتكون منها كالأنهار ، فإن هذه الأشياء هي التي يعينها بالبحر لا البحر الذي هو الماء المالح ، ولا الأسطقس الكلي (١) .

ثم قال في قسم الشجاعة : ياليت الشرى يا حمام ، فابتدأ بالليث وانتقل إلى الحمام بعده ، لأن الليث لولا الحمام لم يرهب ، فالحمام أشد رهبة في الصدور من الليث ، ثم ختم البيت بقوله يا رجل ، أي أنت هذه الأشياء كلها ، وأنت مع ذلك إنسان من البشر ، وذلك أعجب وأطرف .

وإنما قدّم السخاء على الشجاعة ، لأن حاجة جمهور الناس إلى السخاء أكثر من حاجتهم إلى الشجاعة ، والناس إلى رئيس عظيم السخاء أميل منهم إلى رئيس عظيم الشجاعة ، لأن انتفاعهم به أكثر ، فأبو الطيب قصد هذا المقصد ، أو بصح أنه يقصد هذا المقصد ، ولو أتى بالبيت على الترتيب الذي ذكره المصنف لم يحصل له هذا المعنى .

(١) الأسطقس : والاسطقس هو الشيء البسيط الذي يتركب منه الشيء المركب مثل الحجارة والقراميد والخشب التي يتركب منها البناء ، والحروف التي يتركب منها الكلام ، والواحد الذي يتركب منه العدد : والاسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والتراب (مفاتيح العلوم للغوارزمي ٨٢) .

قال المصنف : ونظيرُ هذا قول أبي تمام في الافتخار بقوله :
نجومٌ طوالعٌ جبالٌ فوارعٌ غيوثٌ هوامعٌ سيولٌ دوامعٌ
فإن السيول دون الغيوث ، والجبال دون النجوم ، ولو قدّم ما أخرج لما اختلفَ
النظم ، بأن يقول :

سيولٌ دوامعٌ غيوثٌ هوامعٌ جبالٌ فوارعٌ نجومٌ طوالعٌ^(١)
أقول إن في بيت أبي تمام لسرّاً خفياً إما أن يكون قد قصده ، أو يمكن
أن يقصده ، وذلك أن قبْلَهُ :

سمّابى أوسٌ في السّماءِ وحاتمٌ وزيدُ القنا والأثرمانِ ورافعٌ^(٢)
فأوس هو أوسُ بن حارثة الطائي ، وكان وضيئاً جميلاً ، وحليماً ذكياً ،
فضربَ به المثل في وضاءته ورصّانته ، فهو المراد بقوله (نجوم طوالع
جبال فوارع) .

وحاتم بن عبد الله الجواد هو المراد بقوله (غيوث هوامع) ، وأما زيدُ القنا
والأثرمان ورافع وهو رافع بن عميرة بن جابر فهم بالشجاعة أشهر ، وهم المراد
بالسيول التي تهلك وتخترق ماتأني عليه ، فهذا هو وجه ترتيب البيت .

(١) المثل السائر ٢/٢١٥ .

(٢) البيت في المثل السائر والديوان (سمابى أوس في افتخار) .

قال المصنف : فأما تقديمُ المفعول على الفعل ، فهو كقولك زيدا ضربت ، وضربت زيدا ، لأن اللفظَ الأول يفيد أنك لم تضرب إلا زيدا خاصة ، والثاني لا يقتضى ذلك .

قال : وذلك لأنك إذا قَدِّمْتَ الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أى مفعول شئت ، بأن تقول بَكَرًا أو عَمْرًا أو خالداً ، وإذا أَخَّرْتَ الفعل لَزِمَ الاختصاصُ بزید وحده^(١)

أقول : إننا لا نُنكِرُ أن قوما من أهل العربية قد ذهبوا إلى هذا المذهب ، ولكنَّ أربابَ النظر في هذه المباحثِ وهم الأصوليون لا يعرفون هذا ، وقولهم فيه هو الصحيح المُفسَّر ، ولا فَرْقَ عندهم بين قولك ضربت زيدا وزيدا ضربت ، في أن كِلَا اللفظين لا يَدُلُّ واحدٌ منهما على اختصاص الضرب بزید وَحْدَهُ .

وكذلك لو قلت زيدا ضربت وعمراً ألم يكن الكلام متناقضاً ؟ ولو كان قولك زيدا ضربت يدل على أنَّ الضربَ مقصورٌ على زيد وحده لكان قولك وعمراً نَقْضاً لذلك .

فأما قوله : لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في تعيين المفعول ، وإذا أَخَّرْتَهُ لَزِمَ الاختصاصُ ، فيقال له أَيْكون بالخيار إذا قَدِّمَ الفِعْلَ وإن كان قد

تَلَفَّظَ بِالمفعول أو قَبْلَ أن يَتَلَفَّظَ بِالمفعول ؟ الأولُ ممنوعٌ ، لأنه بَعْدَ تَعْيِينِ المفعول لا يَبْقَى خيارٌ ، والثاني مُسَلَّمٌ ، لكنَّ مثلَ هذا موجودٌ في تأخيرِ الفعلِ . لأنك إذا قَدِّمْتَ المفعولَ فأنت باختيارِ قَبْلَ أن تَتَلَفَّظَ بِالفعلِ ، فيمكن أن تقولَ أَكرمتَ وضربتَ أو رأيتَ ، فليست مضطراً عندَ ذكرِ المفعولِ وقَبْلَ ذكرِ الفعلِ إلى أن تقولَ زِيداً ضربتَ لاغيرِ ذلكَ من الألفاظِ .

فالحاصلُ أن الصَّوْرَتَيْنِ سواءَ في التَّخْبِيرِ وعدمِ التَّخْبِيرِ ، لكنَّ تَقْدِيرَ المفعولِ يُتَخَيَّرُ فِيهِ في الفعلِ لافي المفعولِ ، لأنك قد ذكرتَه وسبقَ منك تَعْيِينُهُ ، فإن قولك زِيداً ضربتَ يفيدُ في اللغةِ أنك لم تضربَ إلا زِيداً ، كأن قولك ضربتُ زيدا يفيدُ أنه لم يقعَ منك في حَقِّ زِيدٍ إلا الضربُ فقط ، وهذا محالٌ ، لأنك لا تَعْنِي بِقولك ضربتَ زِيداً ألا تكونَ قد شتمتَهُ ولا رأيتَهُ ولا أصبتَهُ ولا اعترضتَهُ ، كما لم يدلَّ تَعْيِينُ الفعلِ أولاً والابتداءُ به على انتفاءِ غيره من المفعولينِ .

ويَدُلُّ على فسادِ هذا الكلامِ قوله تعالى : (ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ كُلًّا هَدِينَا ونوحا هَدِينَا من قَبْلِ)^(١) فإن ذلكَ لا يدلُّ على اختصاصِ إسحاقَ ويعقوبَ بالهدايةِ ، لأنه قد هَدَى غَيْرَهُ مِمَّنْ كانَ في زمانِهِ .

قال المصنف: وعلى هذا ورد قوله تعالى : (بل الله فاعبدُ وكنْ من الشاكرين) فإنه يفيد الأمرَ باختصاصِ العبادةِ به دُونَ غيره ، ولو قال اعْبُدِ اللهُ وكن من الشاكرين لم يُقَدِّمِ الاختصاصَ^(٢) .

(١) سورة الأنعام ٨٤ .

(٢) للتل السائر ٢١٨ .

أقول إن الاختصاصَ ما استفيد في هذه الآية من مُجَرَّدِ تقديمِ المفعولِ ، بل من القرينةِ ، لأنه تعالى قال : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلكَ لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين . بل الله فاعبد) وهذا تصريحٌ بالاختصاصِ ، لأنه قال لا تُشركُ بالله في العبادةِ فتخسرُ ، بل وَحْدِ الله في العبادةِ .

فالاختصاصُ مفهومٌ من سياقِ الكلامِ ، لا من تقديمِ المفعولِ . ولو قال في هذا السِّياقِ بل اعبد الله لأفاد الاختصاصَ لا محالةً ، فلا تأخيرَ ها هنا في الاختصاصِ المعلومِ ، لا لتقديمِ المفعولِ ولا لتأخيره .

قال المصنف : وقد قال الزمخشري إن قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) لاختصاصِ العبادةِ والاستعانةِ به سبحانه دون غيره .

قال : وليس الأمر كذلك ، بل ها هنا مراعاةُ السَّجْعِ الذي جاء في الآياتِ السابقة على حَرْفِ الثَّوْنِ ، فلو قال نَعْبُدُكَ ونَسْتَعِينُكَ زالت طلاوةُ السَّجْعِ (١) .

أقول : إن كان تقديمُ المفعولِ يَقْتَضِي الاختصاصَ كما يراه الزمخشري وجماعةٌ من أهل العربية ، فلا مانعَ من أن يكون المرادُ من قوله إياك نعبدُ

وإياك نستعين كلا الأمرَيْنِ : الاختصاص والسجع ، ولا منافاة بين هذين المطولين .

— ١٠٠ —

قال المصنف وكذلك قوله تعالى : (ثم الجحيمَ صلّوه) ليس تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، بل للفضيلة السجّية فقط ، فإنه لو قال خذوه فغلّوه ثم صلّوه الجحيم لم يكن في الحسن كالأول .

قال : فإن قلت بل تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، لأنها نار عظيمة ، ولو أخّرت لجاز وقوع الفعل على غيرها ، فالجواب عن ذلك أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم ، فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون الجحيم ، على ما ذهب إليه ، لأنه أعظم ، لكن استعمال هذه اللفظة هنا أحسن من استعمال غيرها من الألفاظ نحو لظى وجهنم ونحوها ، والطلاوة عليها دون غيرها أكثر^(١) .

أقول : إن كان تقديم المفعول يقتضى الاختصاص كما قد قال قوم فلا مانع أن يكون الاختصاص مراداً في قوله : (ثم الجحيمَ صلّوه) لأن الجحيم والجاحم في اللغة هو أشدُّ النار ، قال أبو تمام .

إِنْ يَمُدُّ مِنْ حَرِّهَا عَدَوَ الظُّلَمِ فَقَدْ

أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الخَطْبِ^(٢)

(١) المثل السائر ٢/٢٢٠ ومنه أصلنا النص .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية التي مطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكذب في حده الحد بين الجد واللعب
والبيت من أبيات يصف فيها فرار توفلس القائد الرومى .
(الدوان ١/٢٤)

ولا منافاة بين أن يُراد الاختصاصُ وتُرَادَ الفضيلةُ السَّجِيةُ معاً .

وأما قوله : فهلا ذكر الدركَ الأسفلَ من النار؟ فيقال له لم لا يكون الدركُ الأسفلُ هو الجحيمُ بَعِيْنِهِ أيضاً؟ ولم يكون الجحيمُ أشدَّ إحراقاً وتعذيباً من الدركِ الأسفلِ؟ وليس في قوله إن المنافقين في الدركِ الأسفلِ ما يقتضى أن يكون هذا الموضعُ أشدَّ المواضعِ النَّارِيَّةِ إحراقاً، فالجوازُ أن يكون غيرُ المنافقين أشدَّ عذاباً منهم ، وأيضاً فلو كان الدركُ الأسفلُ أهولَ وأضعبَ لم يَلْزَمَ ما ذكره ، لأنَّ التَّزْغِيَّاتِ والتَّزْهِيَّاتِ تُذَكِّرُ على حَسَبِ ما يراه المتكلم من المصلحة ، وقد رَهَبَ ورَغَبَ بأشياءٍ غيرِها أبلغَ في التَّهْيِيبِ والتَّزْغِيْبِ منها .

الا تَرَى أنه لو قال عَوْضَ قَوْلِهِ تَعَالَى : (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)^(١) في جِيدِهَا ثَمْبَانٌ مِّن نَّارٍ لَّكَانَ أَرْهَبَ وَأَرْعَجَ ، ولم يَقُلْ ذلك .

وأما قوله إن الطَّلَاوةَ في لَفْظَةٍ فَتَطُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّهُ يَقَالُ : له قد قلتَ ذلك ، ومعلومٌ أنه لو بَدَّلَ عَوْضَ الْجَحِيمِ السَّعِيرِ لَكَانَ عَلَى عَدْرِ حُرُوفِهَا أَوْ وَزْنِهَا ، ولا يَتَنَبَّرُ انتِظَامُ الْكَلَامِ وَأَسْلُوبُهُ بِاسْتِعْمَالِهَا حَسَبَ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ الْجَحِيمِ حَذْوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ^(٢) .

(١) سورة المسد .

(٢) القُدَّة بضم القاف الريشة المنفوخة ، يقال حذو القُدَّة بالقُدَّة (أساس البلاغة مادة قذ)

قال المصنف : ومن مقتضيات الاختصاص أيضا تقديم خبر المبتدأ عليه ، فإنك إذا قلت قائمٌ زيدٌ فقد أثبتت له القيامَ دونَ غيره ، وإذا قلت زيدٌ قائمٌ لم تكن قد خصصته بالقيام دون غيره من الناس ، والعلّة فيه ما ذكرناه في تقديم المفعول ، فإنك إذا قلت زيدٌ قائمٌ كنت بالخيار ، حيث ابتدأت بذكر زيد ، إن شئت قلت جالسٌ أو ضاحكٌ أو غيرها . وإذا قدمت قولك قائمٌ حصلَ الاختصاصُ لزيدٍ بالقيام دون غيره من الناس (١) .

أقول : إننا لا نعرفُ ذاهبا ذهب إلى أن قولنا قائمٌ زيدٌ يقتضى اختصاصَ زيدٍ بالقيام دون غيره من الناس .

لكن جماعة من النحاة الذاهبين إلى أن تقديمَ المفعولِ يقتضى الاختصاصَ ، يقولون إن قولنا (القائمُ زيدٌ) بالألف واللام يقتضى اختصاصَ زيدٍ بالقيام ، كما نقول (الشجاعُ عليٌّ والجوادُ حاتمٌ) أى لا شجاع إلا ذاك ، ولا جواد إلا هذا .

فأما تقديمَ خبر المبتدأ عليه مع بقائه على التمسك به فإنه لا يُعرفُ ذاهبٌ ذهبَ إلى أنه يقتضى الاختصاصَ .

والعلّة في اختصاصَ زيدٍ بالقيام إذا قلت (القائمُ زيدٌ) علّةٌ تعودُ إلى

دخول الألف واللام على الخبر، وهي أن قولك (القَائِمُ) معناه الذى له القيام، فكأنك قلت الذى له القيام هو زيد، وقولك الذى له القيام هو زيد من طريق الاصطلاح العرفي في قوة ذلك الذى يختص بالقيام أو الذى يفرد بالقيام ونحو ذلك.

والقائلون بهذا القول يلزمهم عليه أن يفيد قولنا (زيدٌ القَائِمُ) الاختصاص الذى يذكرونه أيضا، لأنك إذا أزلتَ عن نفسك الوهم في كون القائم صفة زيد، وأطبقت ذلك بالمبتدأ والخبر، صار تقديره زيد الذى له القيام، وذلك في قوّة قولك زيد هو الذى يختص بالقيام، فلو كان غيره قائما لما صدق قولك زيد هو الذى له القيام.

فقد ظهر أنه لا فرق بين تقديم قائم وتأخيره، وأن هذا لو صح لكان في الأخبار المعروفة باللام لافي الأخبار المنكرة، كما توهمه هذا الرجل.

وأما احتجاجه بأنك تكون مخبرا إذا أخرت الخبر، ولا تكون مخبرا إذا قدّمته، فاحتجاج ضعيف قد تكامنا عليه في تقديم المفعول.

قال المصنف : ومن باب تقديم خبر المبتدأ الذى يفيد الاختصاص قوله تعالى : (وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ) قال سبحانه ذلك، ولم يقل وَظَنُّوا أَنَّ حُصُونَهُمْ تَمْنَعُهُمْ أَوْ مَانِعَتُهُمْ، لأنّ في تقديم الخبر الذى هو مانعهم على المبتدأ الذى هو حصونهم دليلاً على قرط اعتقادهم في حصانتها، وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم، وفي جعل ضميرهم اسما لأنّ، وفي إسناد الجملة إليه دليل

على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عِزَّةٍ وامتناعٍ لا يُبَالَى معها بقصدٍ قاصدٍ
ولا تعرُّضٍ مُعْتَرِضٍ (١) .

أقول : إن حصولهم لا تُرْفَعُ بأنه مبتدأٌ كما ظنه إلا على وجهٍ ضعيفٍ ،
والصحيح أنه فاعل ، تقديره وظفوا أنهم تمتعهم حصولهم ، فما نعتهم اسم
فاعلٍ معتمدٍ على ما قبله ، لأنه في الحقيقة خبرٌ مبتدأٌ ، من حيث كان خبراً
لأنَّ ، وأنَّ من شأنها أن تدخل على المبتدأ والخبر ، ومتى كان اسم الفاعل
خبراً لمبتدأ كان معتمداً عليه ، فعملٌ فيما بعده عمَلُ الفِعْلِ ، كقولك (زيد
قائمٌ أبوه) فأبوه رفع بالفاعلية ، وليس بمبتدأ على القول الصحيح في صناعة
العربية .

وكذلك إذا اعتمد اسم الفاعل على همزة الاستفهام أو حرف النفي ، أو وقع
حالا لذي حال ، أو صفةً لموصوف ، أو صلةً لموصول .

وَحُكْمُ الظَّرْفِ حُكْمُ اسمِ الفاعل إذا وقع معتمداً أيضاً في كونه يَرْفَعُ
ما بعده بالفاعلية لا غَيْرُ ، كقوله تعالى : (فأولئك لهم جزاء الضَّعْفِ) (٢) وقوله :
(أفي الله شكٌ) (٣) وقوله : (ومن عنده علم الكتاب) (٤) جزاء ، وشكٌ ،
وعلمٌ ، كلُّها مرفوعةٌ بالفاعلية ، لاعتمادِ الظرفِ تارةً على المبتدأ ، وتارةً على همزة
الاستفهام ، وتارةً لوقوعه صلةً .

(١) المثل السائر ٢/٢٢٢

(٢) سورة سبأ ٣٧

(٣) سورة إبراهيم ١٠ [قالت رسلمهم : أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ؟] .

(٤) سورة الرعد ٤٣

ومما جاء من ذلك شعراً قول حسان :

ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم وفيكم نبيٌ عنده الوحي واضعهُ^(١)

فالوحي فاعل . وقول الشاعر .

أحقاً بنى أبناء سلمى ابن جندل تهتدكم إباى وسط المجالس ؟

فتهددكم فاعل وليس بمتدا .

فأما قوله إن فى تقديم ما نعمهم زيادة معنى فقد تكلمنا عليه فيما سبق .

قال المصنف . ومن باب هذا الباب قوله تعالى : (أرأب أنت عن آلهتى

يا إبراهيم) فقدّم خبر المبتدأ عليه .

ومثل قوله : (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) ، قال : فهذا

يدل على تخصيص الشُّخوص بالأبصار دون غيرها ، وعلى تخصيص الكفار

بالشُّخوص دون غيرهم .

أما الأول فلا أنه لو قال فإذا أبصار الذين كفروا شاخصةً جاز أن يصع

موضع شاخصة حائرة أو مطموسة أو غير ذلك ، فلما قدم الضمير اختصت

الأبصار بالشُّخوص دون غيرها

وأما الثانى فلا أنه لما أراد أن الشُّخوص خاصٌ بالكفار دون غيرهم دل

(١) ديوان حسان ٧٢ وفى الفلك الدائر (وفيناني) .

عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبه ثانيا ، كأنه قال فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، ولولا أنه أراد هذين الأمرين المشار إليهما لقال فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة ، لأنه أخصّ بحذف الضمير من الكلام .

قال ومن هذا النوع قول النبي صلى الله عليه وسلم في البحر : « هو الطهور ماؤه ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ » وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور ، ومَيْتَتُهُ حِلٌّ ، لأن الألف واللام هاهنا بمعنى الذي ^(١) .

أقول : لا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ الضمير وهو هي في قوله تعالى (فإذا هي) ضمير الشأن والقصة أو ضمير الأبصار ، وقد قُدِّمَ بشرطِ التفسير ، فإن كان ضمير الأبصار لم يكن قوله (أبصار الذين كفروا) مرفوعاً بالابتداء ، بل كان فاعلاً ، لأن (شاخصة) اسمُ فاعلٍ معتمداً على ما قبله ، وهو (هي) الذي موضعه رَفَعٌ بالابتداء ، وقد تقدم أن اسم الفاعل إذا وقع خبراً لمتبداً يَرَفَعُ ما بعده على القول الصحيح ، كما يرفعه الفعلُ الضَّرِيحُ ، نحو قولهم زيد قائمٌ أبوه ، وقوله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) ^(٢) فعلى هذا التقدير بَطَلْ قولهم إن شاخصة خبرٌ مقدَّمٌ .

وإن كان هي في قوله تعالى : (فإذا هي) ضمير الشأن والقصة كان شاخصة خبراً مقدماً كما ذكره ، وبصير تقديره فإذا الشَّانُ والأمرُ أبصارُ الذين كفروا

(١) المثل السائر ٢/٢٢٢

(٢) سورة النحل ٦٩ .

شاخصةً ، ولا يكون على هذا التقدير شاخصة اسم فاعل معتمداً على ما قبله ، لأن ضمير الشأن والقصة لا تعتمد عليه اللفظة الواقعة بعده ، لأنه موضوع لأن يقع بعده جملة مركبة من المبتدأ والخبر ، أو لأن تقع بعده لفظة مفردة تعتمد عليه ، وتصير هذه الآية كقوله تعالى : (إِنْهُ مُصِيدُهَا مَا أَصَابَهُمْ)^(١) فإن الضمير في إنه للشأن ، وبعده جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ مؤخر والخبر مقدم ، وكل موضع جاء فيه ضمير الشأن والقصة وبعده مثل هذه الجملة فهي ليست فاعلاً لعدم الاعتماد الذي هو شرط الفاعلية ، لكن على هذا التقدير يبطل قوله إنه لما أراد تعالى أن الشخص خاص بالكفار دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبه ثانياً ، كأنه قال : فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، لأن هذا الكلام يقتضي أن الضمير وهو هي في قوله تعالى (فإذا هي) ضمير الأبصار لا ضمير الشأن ، ألا تراه كيف قال دل عليه بتقديم الضمير أولاً ثم بصاحبه ثانياً ؟

فالحاصل أن كلام هذا الرجل لا يستقيم ، سواء جعلنا الضمير للشأن أو للأبصار .

فأما قوله إن قوله تعالى (أَرَاغِبُ أَنْتَ) قد قَدَّمَ فيه خبر المبتدأ عليه فغير صحيح أيضاً ، لأن قوله (أَرَاغِبُ) اسم فاعل معتمد على همزة الاستفهام ، فيكون قوله (أَنْتَ) في موضع الرفع بالفاعلية ، إلا على القول الضعيف المتروك ، والمسألة مشهورة .

ففي نحو أذهب وأقامم الزيدان ، يرتفع قائمٌ وذاهبٌ بالابتداء ،
ويسدُّ كل واحدٍ من الفاعلين مسدًّا الخبر .

قال النحاة إن همزة الاستفهام تستدعي الفعل بذاتها ، لأن الاستفهام
إنما يكون من فعل ، ألا ترى أنك إذا فرضت شيئاً مجرّداً عن فعل لم يستفهم
عنه ، فأجروا قوله (أراغب) مجرى أترغب .

لذلك قلنا إن قوله تعالى : (إذا السماء انشقت)^(١) السماء مرفوع بالفاعلية
بتقدير فعل دلّ عليه انشقت ، لأنّ (إذا) تستدعي الفعل ، وكذلك ماجرى
مجرى (إذا) في هذا المعنى ، نحو قولهم : لو ذات سوارٍ لطمتني^(٢) ، وإن
الله أمكنني . من فلان .

فأما قوله في البحر : (هو الظهور ماؤه والحلّ ميئته) وتوهمه أن ذلك من
باب تقديم الخبر على المبتدأ فمثل الوهم الأوّل في الغلط ، بل هما مرفوعان
بالفاعلية ، كأنه قال هو الشيء الذي طهر ماؤه ، وحلت ميئته ، فحذف
الموصوف وأقام الصفة المركبة من الموصول والصلة مقامه ، والصفة تعمل كالفعل
في هذا الموضع ، فيكون ماؤه وميئته فاعلين .

(١) سورة الانشقاق ١

(٢) لو ذات سوار للمتنى : أي لو لطمتني ذات سوار ، لأن لو طالبة للفعل داخلة عليه ؛
والمعنى لو ظفني من كان كفتالي لمان على ، ولسكن ظفني من هو دوني . وقيل أراد لو لطمتني
حرة ، فجعل السوار علامة للحرية ، لأن العرب فلما تلبس الإماء السوار ، فهو يقول لو كانت
اللاطمة حرة لسكان أخف علي ، وهذا كما قال الشاعر :

فلو أني بليت بهاشمي خنولته بنو عبد المدان
لمان على ما أتني ولسكن تمالوا فانظروا بمن ابتلاني
(بجمع الأمثال لميداني ٨١/٢)

ومثله في التنزيل : (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ) ^(١) في قول من جعل عليهم
صفة لقوله تعالى : (وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) فأما استنباطه زيادة المعنى في التقديم والتأخير
فشيء قد تكلمنا عليه .

- ١٠٤ -

قال المصنف : ومن المواضع التي تفيد الاختصاص تقديم الظرف إذا كان
الكلام إثباتاً ، كقولك إن إلى مَصِيرَ هذا الأمر ، فإنه يدل على أنه ليس
مصيرُ هذا الأمر إلا إليك ، بخلاف ما إذا أُخِّرَتِ الظرفَ ، فقلت إن مصيرَ
هذا الأمر إلى ، فإنه لا يفيد الاختصاص ، لأنه يحتمل أن تُوَقِّعَ الكلام
[بعد الظرف] على غيرك فتقول عِوَصٌ ضميرك إلى زيد أو عمرو .

ومنه قوله تعالى : (إِن إِلَيْنَا إِلَابُهُمْ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ) ^(٢) .

أقول : إنه إنما فهمَ أن الإيابَ والحسابَ إلى الله تعالى من دليل آخر
لا من مجردِ هذا اللفظ ، ولو خَلِينَا ومجرّدَ هذا اللفظ لم يَدَلَّ على أن الإياب
والحساب ليس إلا إليه وعليه سبحانه ، فإنك لو قلت إن في الدار زيدا ، لم يدل
ذلك على أن غيره ليس في الدار ، وكذلك لو قلت وعمراً لم يتناقض الكلام .

وقد قال سبحانه : (وجعلنا في الأرض رَوَاسِيً) ^(٣) ولا يدل ذلك على أن

غير الرواسي لم يجعله تعالى في الأرض .

(١) سورة الإنسان ٢١ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٢٤ .

(٣) سورة الأنبياء ٣١ .

وقال لآدم : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا)^(١) ولم يكن ذلك مختصاً به ، فقد كانت أمثلةً .

وقال تعالى : (إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمِّ الْقَوْمِ)^(٢) ، ولا يدل ذلك على أنه ما نَفَسَتْ إلا فيه ، لأنَّ النَّفْسَ هو انتشار الغم من غير راعٍ ، سواء كانت في حرث أو في غير حرث .

وقال تعالى : (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)^(٣) فقدم الظرف ، ولا يدل ذلك على أنه لم يَشْهَدْ إلا حكمهم .

وقال : (فَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)^(٤) ولا يدل ذلك على أنه ما أصلح زَوْجَ أَحَدٍ قَطُّ إلا زوج زكريّا .

وفي الكتاب العزيز ألف آية مثل هذا تُبْطَلُ دَعْوَى الْحَضِيرِ والاختصاص .

فأما قول القائل إن إلى مصير هذا الأمر ، فإما الأيدل ذلك على الاختصاص وهو الصحيح ، أو يدل لكن كما يَدُلُّ مع تقديم الظرف يُدَلُّ مع تأخيره إذا قلت إن مصير هذا الأمر إلى ، ولا فرق بين الموضعين .

والصحيح أن القرينة تدل على الاختصاص ، وهو الصحيح في هذا

(١) سورة طه ١١٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء ٧٨ .

(٤) سورة الأنبياء ٩٠ .

الموضع ، لا يُجَرَّدُ الصَّيْفَةُ ، لأنه ما جرت العادة أن الولاية وما يجري مجراها لا تنتقل إلا إلى واحد فقط .

وأما قوله إنك إذا أخرجت احتمال توقيع الكلام على غيرك فضعيف ، وقد تكلمنا عليه في تقديم المفعول .

قال المصنف : فأما إذا كان الكلام نَفِيًّا فقد يتقدم الظرف ويكون القَصْدُ به تَفْضِيلُ النَّفْيِ على غيره ، كقوله تعالى : (لا فيها عَوَلٌ) والمراد تفضيلها على خور أهل الدنيا .

وقد يتأخر الظرف ويكون القصد به النفي فقط لا التفضيل كقوله تعالى : (ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه) .

فإن القصد في إبلاء حَرْفِ النَّفْيِ الرَّيْبَ نَفْيُ الرَّيْبِ عنه ، وإثبات أنه حق ليس كما يزعم المشركون ، ولو أَوْلَاهُ الظَّرْفَ وقال لافيه رَيْبٌ لكان قد قَصَدَ أن كتابا آخر فيه الرَّيْبُ لافي هذا الكتاب ، كما قلنا في قوله : (لا فيها عَوَلٌ) قال ومثل ذلك أن يقال لَاعْيَبَ في الدار ، ويقال لا فيها عَيْبٌ ، في أن الأول يقتضى نَفْيَ الْعَيْبِ عن الدار فقط ، والثاني يقتضى تفضيلها على غيرها ، أي ليس فيها ما في غيرها من العيب^(١) .

أقول: إن هذا الذى ذكره شيء لا يعرفه أهل العربية ، ولأهل الفقه ، ولا فرقَ عندهم فى النفي المطلق بين قولهم لا رَبِّبَ فيه ولا فيه رَبِّبٌ ، إلا من جهة أخرى ، وهى أنه يَقْبَحُ الاختصار على قوله لا فيه ربب فى القواعد النحوية ، حتى يُضَمَّ إليه شيء آخر ، فيقول ولا شك مثلاً أو نحو ذلك .

فأما ما يعود إلى نفي الربب فاللفظان بدلان عليه دلالة واحدة ، ولعله ظن أن حرف النفي إذا شافه المنفي بغير واسطة كان أبلغ فى النفي من أن يتخلل بينهما واسطة ، ويجريه مجرى المؤثرات الحسية ، فإن السيف إذا شافه الجسم بلا واسطة كان أبلغ فى القطع من أن يتخلل بينهما ثوب أو درع ، فيظن أن هذا مثلُ ذاك ، وهذا وهمٌ عامٌّ لا يلتفت إليه مُحَصِّلٌ .

وما نعلم كيف وقع له أنه قال: لو أنه قال ليس فيه ربب لدلَّ على أنه ليس كغيره من الكتب التى فيها رَبِّبٌ ، وأنه لو قال : ليس فى الدار عيب لدلَّ على أنها ليست كغيرها من الدورِ الممبِية ، وأنه إذا قال: ليس فى خمر الجنة غَوْلٌ يدل على أنه ليس كخمر الدنيا التى فيها غول ، فإنه ليس فى اللفظ تعرُّضٌ لذلك لا بصريحه ولا فقَّواه ، ولو جاز أن ينسب إلى الأنفاظ دلالة لا تقضيها لا بصريحها ولا فقَّواها لجاز أن يُنسَبَ إليها أمورٌ لا تتناهى ، وذلك محالٌ .

وقال سبحانه : (يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ)^(١) وليس

تفسير هذا الرجل لقوله تعالى (لا فيها غَوْلٌ) بأن المراد تفضيلها على الخمر التي فيها غَوْلٌ بأَوْهَلٍ من أن تُعكس القضية عليه ويُفسر نحو قوله تعالى (لا لغوٌ فيها) بأنه يدل على تفضيلها على خمر الدنيا التي فيها اللغو والتأنيب ، فيجعل حرف النفي إذا باشر المنفى وتأخر الظرف دالاً على الأفضلية ، وإذا تقدّم الظرف دالاً على النفي المطلق على مناقضة ما ذكره ، فإنه لا فضل بين القولين إلا مُجَرَّدُ التسمي والتحكيم .

قال المصنف : وتقديم الحال على ذى الحال يفيد الاختصاص ، نحو قولك جاء راكباً زيدٌ ، بخلاف ما إذا قلت جاء زيد راكباً ، فإنه لا يدل على ذلك ، لجواز أن يكون ضاحكاً أو ماشياً أو غير ذلك^(١) .

أقول : أتزعم أنك إذا قلت جاء راكباً زيدٌ فإنك قد قصرت زيدا من دون سائر الأحوال والهيئات على الركوب فقط ، وأن ذلك يبنى كونه لابسا وضاحكا وجائعا وغير ذلك من الأمور التي يُحتمل أن يكون عليها ؟ فإن قيل نعم قيل له : كيف زعمت ذلك ، ولا مُعاقاة بين كونه راكباً وكونه على هذه الأوصاف ، وأى دلالة في تقديم الحال على انتفاء غيرها ؟ وهذا لغوٌ من القول .

قال المصنف : والاستثناء المتقدم جارٍ هذا المجزئ ، نحو قولك : ما قام
إلا زيداً أحدٌ ، وإنه يدل على الاختصاص بخلاف قولك ما قام أحدٌ إلا زيدا^(١) .

أقول : للمجرى إن قولك ما قام إلا زيداً أحدٌ يدل على اختصاص زيد
بالقيام ، لا لأجل تقديمه على الفاعل ، بل لأجل الاستثناء الذى يدل على
إخراجه مما حُكِمَ به على غيره ، فلو لا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء ،
ولكن هذا المعنى مَطْرُودٌ فى حالتى تقديم زيد وتأخيره ، لأن الاستثناء يدل
فى كلا الموضعين دلالةً واحدةً على اختصاص زيد بالقيام دون غيره ، لأنه
لو قام غيره لكذب فى قوله إلا زيدا .

ألا ترى أن من تحاول تكذيبه تقول له كذبت ، لأن خالداً قد قام أيضاً ،
فلا فرق فى هذا الاختصاص بين تقديم المستثنى وتأخيره .

فإن كان هذا الرجل بذوقه وحسّه قد تَفَقَّنَ لاختصاص زائدٍ على هذا
المعنى عند تقديم المستثنى لا يؤخذُ عند تأخيره ، فهذا الرجل قد أدرك ما غفل عنه
الأولون والآخرون ، ورزقَ حسّاً وذوقاً وقفَ بهما على ما لم يقفَ عليه غيره ،
ولا كلامَ لنا مع من هو بهذه الصفة ، وإنما نتحدث مع أمثالنا وأشكالنا ،
وأما من تَرَاقَى إلى طبقةٍ أخرى فإن أمره يحلُّ عن ذلك . .

قال المصنف: وقد اختلف الناس في حمل مريم عليها السلام كم مدته، فقال قوم كحمل غيرها من النساء، وقيل ثلاثة أيام، وقيل أقل، وقيل أكثر. قال: والصحيح أن حملها ووضعها كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل، لقوله تعالى: (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) لأنه عطف بالفاء وهي للفور، ولو كان هناك تراخ ومهلة لعطف بم التي هي تفيد المهلة^(١).

أقول: إن الفاء ليست للفور، بل هي للتعقيب على حسب ما يصح إماماً عقلاً أو عادةً، ولهذا صح أن يقال دخلت البصرة فبغداد، وكان بينهما زمان كثير، لكن تعقيب دخول هذه عن دخول تلك على ما يمكن، بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أو مدة طويلة، بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحد منها إقامة يخرج بها عن حد السفر إلى أن دخل بغداد، وهذا هو الذي يقوله أهل اللغة وأهل الأصول، وليست الفاء للفور الحقيقي.

أقول: معناه حصول هذا بعدها^(٢) بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل، ألا ترى إلى قوله تعالى: (لا تفتروا على الله كذبا فيسحقكم بهذاب)^(٣) والعذاب مترسخ عن الافتراء.

(١) التل السائر ٢/٢٣٧.

(٢) يريد حدوث الوضع بعد الحمل.

(٣) سورة طه ٦١.

وقال : (فلا يصدّئك عنها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا واتَّبِعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)^(١)
والرّدى متراحٍ عن الصّدِّ عنها . وقال : (وأنزلَ من السماء ماءً فأخرجنا به
أزواجاً من نباتٍ شتى)^(٢) وليس خروج النبات عَقَبَ إنزالِ المطر ، بل هو
متراحٍ عنه . وقال : (ولقد عَهِدْنَا إلى آدمَ من قَبْلُ فَذَسَّى)^(٣) ولم يكن النسيان
عَقَبَ العهد ، فإنه قد دام مُكَلِّهُ متجنّباً للشجرة التي سُهيَ عن أكلها مائة
عام ، ثم أكلها .

وفي القرآن من هذا الجنسِ الكثيرُ الواسعُ ، فإذن لا يدل قوله تعالى :
(فاتَّخَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) ، أن ذلك كاه كان في يوم
واحد أو أقل كما اعتقده هذا الرجل .

قال المصنف : ومن هذا الباب قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسانَ
من سُلالةٍ من طِينٍ ، ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مَكِينٍ ، ثم خلقنا النُّطفةَ
عَلَقَةً ، فخلقنا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فخلقنا المِضْغَةَ عِظَامًا ، فكسونا العِظَامَ لَحْمًا ،
ثم أنشأناه خَلْقًا آخَرَ) قال فذَكَرَ الخَلْقَ الأوَّلَ من الطِّينِ وهو آدم ،
ثم عَطَفَ عليه الخَلْقَ الثَّانِي بَئِمْ لما بينهما من التَّراخِي ، ولَمَّا صار إلى القدر
الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخٍ عطفه بالفاء ، ولما انتهى إلى جعله ذكراً
أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بضم .

(١) سورة طه ١٦ .

(٢) سورة طه ٥٣ .

(٣) سورة طه ١١٥ .

ثم اعترض على نفسه فقال قد وَرَدَتْ آيَةٌ أُخْرَى بلفظة ثم لهذه التقلبات بعينها ، وهى قوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) ثم أمسك عن الجواب^(١) ، فلم يقل شيئاً . هكذا وجدته فى نسخة هذا الكتاب التى وصلت إلينا من الموصل فطلبت نسخة أخرى ، ثم تأملتها فوجدته أيضاً قد أُخْلِىَ بياضاً للجواب .

أقول : قد كان الواجبُ عليه أنْ يتفطن من ها هنا لحقيقة الفاء ، وأنها ليست كما يظن أنها تقتضى القَوْرَ الحقيقى ، وإن وُجد أحدهما فى الزمان الأول ، والآخر فى الزمان الثانى بلا فصل ، بل تقتضى التّعقيبَ على ما يصح ويمكن كما قدمنا ، فأما ثم فتقتضى تراخيا ومُهْلَةً أكثر مما فى الفاء .

ومن العجيب ظنه أنَّ الفاء فى قوله تعالى : (خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) للتعقيب الذى يتوهمه ، وهو عَدَمُ الزمان المحسوسِ بين الحالتين ، وكيف يمكن أن نعتقد هذا ، وَبَيْنَ صَيْرُورَةِ الْعَلَقَةِ مُضْغَةً زَمَانٌ طَوِيلٌ ، وبين صيرورة المضغَة عظاماً مثلاً ذلك ، ولو كان الأمر كما تصوره هذا الرجل لوجبَ القول بأن الزمان الذى تتكون فيه النطفة علقية ، تتكون فى الزمان الثانى منه بلا فَصْلٍ مُضْغَةً ، وتتكون فى الذى يليه بلا فصل عظاماً ، وتتكون فى الزمان الذى يليه على تلك العظام لحم ، وتتكون هذه المراتب كلها ، وتقع جميعها فى أقل من عشرة من عواشر الدقائق ، وهذا أمرٌ ما قاله مخلوق قَطُّ :

(١) لائل السائر ٢/٢٣٨ وليس فى الكتاب جواب عن السؤال .

وهو مع ذلك مخالفٌ للحسِّ والوجدان ، فالآية الثانية الواردة بلفظة ثم غنيةٌ عن التأويل محكمةٌ واضحةٌ ، لأن لفظه ثم واقعة موقعها .

فإننا إذا استقبحنا على سياق كلامه أن يقول قام زيد يوم السبت ، فقام عمرو يوم الأحد ، لأجل أن بينهما يوما واحدا ، وأوجبنا أن يقول ثم قام عمرو يوم الأحد ، وجعلنا مدةً اليوم فقط مهلةً وتراخيا يليق أن يؤتى بـ ثم لأجلها ، قالاً وتلى أن يؤتى بـ ثم في أطوار الخلق التي لا ينتقل طورٌ منها إلى طور آخر إلا في الأيام الطويلة التي تتجاوز الشهر .

فأما قوله: ولما صار إلى جمعه ذكراً أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بـ ثم ، فنقول له: أين في الآية ذكرُ جمعه ذكراً وأنثى؟ فإن كنت تعني قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) فإن تقسيم الحيوان المخصوص إلى ذكر أو أنثى ما كان في آخر المراتب كما يتوهم ، بل إما في أول التكوين وابتداء الأطوار على ما يعتقده قوم ، أو عند جمعه عظاماً ولحماً ، لأنه لا يُغيّره أن يجعله لحماً وعظاماً فيكون إنساناً كاملاً ، ومع ذلك فليس بذكر ولا أنثى .

فالذي سبق إلى ذهن هذا الرجل من أن المراد بقوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) الذكورة والأنوثة قد سبق قبيله إلى أذهان قومٍ من صنعة المفسرين ، وهو غلطٌ ، بل المراد بذلك أننا أخرجناه من ذلك الوعاء إلى خارجه ، وجعلناه مستقلاً بنفسه بعد أن كان جزءاً من أمه ، لأنه كان يفتدى باغتذائها ، كما يفتدى عضوٌ من أعضائها ، فلما استقلَّ بنفسه في الغذاء وغيره وجميع صورته ، وظهر شخصه صار خلقاً آخر .

قال المصنف: ومن الألفاظِ أَلْفَاظٌ يراد بها المبالغةُ والتكثير ، كالألفاظِ التي تبيء على وزن فَعَالٍ كَتَوَّابٍ وَغَفَّارٍ فإنهما يفيدان كثرة التَّوبَةِ والمَغْفِرَةِ وتكررها من الفاعل ، وليسا كتائبٍ وَغَافِرٍ ، فإنهما يدلان على وقوع المغفرة والتوبة من الفاعل ولو مرة واحدة .

قال وقد وهمَ بعضُ شعراءِ الحماسة في هذا الموضع فقال :

لِلَّهِ تَيْنٌ أَيْ رُمُحِ طَرَادٍ لَاقِيَ الْحِمَامَ وَأَيْ تَصَلَّ جَلَادٍ ؟
وَحِشٌّ حَرْبٍ مُقَدَّمٍ مَتَعَرِّضٍ الْمَوْتَ غَيْرِ مُكَذَّبٍ حَيَّادٍ

قال فانعكس عليه القصد ، لأنه إذا نفي كونه حَيَّادًا فقد نفي عنه كونه كثير المزعجة والانحراف عن قريبه ، وذلك أن يكون قليلهما ، ولا شبهة أن يكون غير حَيَّادٍ والسكنه حائد ، أي وجدت منه الحيدودة مرة واحدة ، وإذا وجدت منه مرة كان ذلك جُبِينًا ، ولم يكن شجاعة ، والأولى أن كان قال : غير مكذب حائد^(١) :

أقول : فعلى هذا التماس يكون قوله تعالى: (وما ربك بظلامٍ للعبيد)^(٢) يقتضى أن يكون دالا على نفي تكرر الظلم ، ويكون مفهوم ذلك وخفواه أنه

(١) اللؤلؤ السائر ٢/٢٥٤ ومنه أصلنا النص .

(٢) سورة فصلت ٤٦ .

يُظَلِّمُ الْعِبَادَ ظُلْمًا قَلِيلًا ، كما كان فُجْوَى بَيْتِ الشَّاعِرِ أَنَّ هَذَا الْمَرْثِيَّ يَجْنُبُنُ نَادِرًا ،
وَأَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لِأَعْطَيْنَ الزَّيْبَةَ غَدًا
لِرَجُلٍ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، كَرَّارٍ غَيْرِ فَرَّارٍ » أَيْ لَا يَكْثُرُ
الْفَرَّارُ بَلْ يَفْرُؤُ أَحْيَانًا فِي النَّادِرِ ، مَعَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَقْرَأْ قَطُّ عَلَى مَا نَقَلَ عَنْهُ الْمُخَالِفُ
وَالْمُؤَلِّفُ ، وَأَنْ يَكُونَ قَوْلُ سَطِيحٍ ^(١) فِي كَهَاتِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « لَيْسَ بِفِظًّا وَلَا صَخَّابًا » بِقَتْنِ الْأَيْصَخَبِ كَثِيرًا ، بَلْ يَصْخَبُ
فِي وَقْتِ بَعِيدٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا اسْتَعْمَلَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي التَّفْنِي فإِنَّهُمْ لَا يَعْنُونَ بِهَا
إِلَّا مَا يَعْنُونَ بِلَفْظَةِ فَاعِلٍ فَقَطْ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَذْكَرَ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْثَلَةِ الْكَثِيرَةِ
لَذَكَرْتُهَا ، فَأَمَّا فِي الْإِثْبَاتِ فإِنَّهُمْ قَلَّ أَنْ يَسْتَعْمَلُوهَا إِلَّا فِي الْكَثْرَةِ وَالتَّكْرِيرِ
كَأَذْكَرَهُ هَذَا الرَّجُلُ ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَتَصَفَّحَ كَلَامَهُمْ ، وَيُفَرِّقَ بَيْنَ
اسْتِعْمَالِهِمْ لَهَا نَفْيًا وَاسْتِعْمَالِهِمْ لَهَا إِثْبَاتًا .

قال المصنف : وينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا وَرَدَتْ لَفْظَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَيَجُوزُ
حَمْلُهَا عَلَى التَّضْعِيفِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ الْمِبَالِغَةِ ، وَحَمْلُهَا عَلَى غَيْرِهِ ، أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا .

(١) سَطِيحُ كَاهِنِ بَنِي ذُنُبٍ ، كَانَ يَتَكَبَّرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَخْبَرَ بِعَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . وَمَاتَ بِعَدِّ مَوْلِدِ النَّبِيِّ . قَالُوا لِإِذِهِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا غَضِبَ قَمَدًا مُنْبَسِطًا فَيَمَازِعُمُوا ،
وَقَبْلَ إِذِهِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مَفَاصِلِهِ نَصَبٌ تَعْتَمِدُهُ فَكَانَ أَبَدًا مُنْبَسِطًا مُنْطَبِحًا عَلَى
الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُ عَلَى قِيَامٍ وَلَا قُعُودٍ . وَهُوَ خَالَ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ بَقِيلَةَ النَّسَائِيَّ ، وَابْنَ
خَالَةَ شَقِيقِ السَّكَاهِنِ (هَامِشُ الْقَامُوسِ مَادَّةُ سَطِيحٍ) .

فإن اقتضى حملها على المبالغة ، فهو الوجهُ .

وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لاستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر

منها ، كنقل الثلاثي إلى الرباعي .

وإلا فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعةً لمعنى ، فإنه لا يُراد بها

ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة .

ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي (قَتَلَ) ثم نقل إلى الرباعي فقيل (قَتَلَ)

بالتشديد ، فإن الفائدة من هذا النقل هي التأكيد ، أي أن القتل وجد منه

كثيراً ؟ .

وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالةً على

التأكيد ، كقوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) ، إذ أنه لا ثلاثي

لهذه اللفظة^(١) .

أقول : إنه لا يصح أن يقال على الإطلاق متى كان لهذه الصيغة وهي

فَعَلَ بالتشديد ثلاثيً ، فإنها تُعطى معنى التأكيد والقوة ، وذلك أننا قد

وجدناها في مواضع بخلاف هذه الصفة ، نحو قولك قَلَصْتَ شفته إذا انزوت

بالتخفيف ، ومثله قَلَصْتَ بالتشديد ، ولا فرقَ بينهما عند أهل اللغة في كثرة

ولا قلة ، وقد نَصَّوا عليه ، وذكر ذلك صاحب ديوان الأدب فقال : قَصَرَ من

الصلاة وقَصَرَ منها^(٢) .

(١) التل الصادر ٢/٢٥٣-٢٥٥ ومنه نقلنا النس وصحناه .

(٢) في أساس البلاغة : قصر من الصلاة قصرأ وأقصر وقصر (بتشديد الصادق

الأخيرة) .

فأما قوله إنَّ فعلٌ مشدداً إذا لم يكن له ثلاثيٌ قد نُقِلَ عنه فإنه لا يُبدَلُ على الكثرة فصحيحٌ ، لكنَّ تمثيله بقولهم رَتَّلَ القراءة غير صحيح ، لأن هذه اللفظة لها فعلٌ ثلاثيٌّ وهو رَتَّلَتْ قراءته بالكسر رَتَّلًا أيضاً ، ويقال منهما نَقَرَّ مَرَّتَلً ، وكلام مَرَّتَل .

فأما تمثيله بكلمة فتمثيلٌ صحيح لانزعاج فيه .

قال المصنف : وقد ذهب جمهورُ علماء العربية إلى أن علياً أبلغُ في معنى العلم من عالم .

قال : ولا أرى ذلك صواباً ، لأنك تجد الحروف في الموضعين على عِدَّةٍ واحدةٍ لم ينتقل فيها الأدنى عدداً إلى الأعلى ، بل الذي يُوجبه القياس يقتضي عكس ما قالوا ، لأن فِعِلا في وزن طريق وكريم وأمثالهما من أمثال الأخلاق والطبائع التي لا تقع إلا قاصرة^(١) ، وفاعلها على هذا الوزن هو فَعِيل^(٢) لا غير ، وليس بناءً فاعلٍ كذلك ، لأنه يجيء من المتعدى كضارب ومن اللازم كقائم ، وما يشبهه ما لا يكون إلا للقاصر أضعف مما يكون بناؤه للمتعدى والقاصر معا^(٣) .

(١) يريد بالقاصرة اللازمة .

(٢) قال ابن الأثير : عالم اسم فاعل من علم وهو متعد ، وعليه اسم فاعل من علم (بضم اللام) إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر ، نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم ، فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر . فلما أشبهه (علم) انحط عن رتبة (عالم) الذي هو متعد .

(٣) المثل السائر ٢/٢٥٦ بتصرف .

أقول إن فصيلا وإن لم ينصَّ العرب على أنه للمبالغة فقد نبهوا على ذلك باستعمالهم إياه خبرا عن الجماعة، وإجراء صفة على المذكر والمؤنث ، أما كونه خبراً عن الجماعة فنحو قول جرير :

جَلَوْنَ العيونَ النَّجَلَ ثم رَمِينَا
بِأَعْيُنِ أَعْدَاءِ وَهْنٍ صَدِيقٍ^(١)

ومثله في الخبر قوله تعالى : (إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين)^(٢) ، ولم يقل قريبة .

وإذا وُصِفَ به المذكر والمؤنث ووقع خبرا عن الجماعة صار كالمصادر الواقعة للأجناس المشتركة في الوصف بها المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، نحو قولهم رجل فِطْرٌ وامرأة فِطْرٌ ورجال فِطْرٌ ونساء فِطْرٌ ، ومثل هذا لم يجيء في وزن فاعل ، وعلته ذلك أن فصيلا أشبهه فعولا ، لأنه صفة مثله وثالثه حَرْفٌ مدٌّ ، وفعول قد وقع للجمع والمفرد والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، قال الله تعالى : (فإنهم عدُو لي إلا رب العالمين)^(٣) فعدوٌ فعول ، وقد أخبر به عن الجماعة ، أي أنهم لي أعداء .

-
- (١) البيت في الديوان (٣٩٨) :
دعون الهوى ثم ارتعينا قلوبنا
بأسهم أعداء وهن صديق
من قصيدته في مدح الحجاج التي مطلعها :
بت أرأى صاحبي تجلدا
وقد علقتني من هواك علوق
(٢) سورة الأعراف ٥٦ .
(٣) سورة الشعراء ٧٧ .

وقالوا امرأة شكورٌ كما قالوا رجل سكورٌ ، وإنما استعملوا فعولاً للمبالغة
والسكثرة ، لأنه على لفظ فعول الذي يقع مصدرًا ، نحو الدُخول وليس بينه
وبينه إلا ضمُّ هذا وفتح هذا .

وقال أبو الفتح رحمه الله سرى التذكير من فعول المصدرى إلى يفعول
الوصفي ، يعني أن المصدرَ للجنس ، والغالبُ على الجنس التذكير ، فلذلك
لم يؤنث فعول إذا وقع للمؤنث بمعنى فاعل ، نحو امرأة صبورٌ ، وامرأة شكورٌ ،
وشذَّ قولهم امرأة عدوَّةٌ ، حملوه على قولهم امرأة صديقةٌ بالهاء الفارقة في الواحد
بين المذكر والمؤنث .

فأما قوله إن فعيلًا يحىء من أفعال الفرائض فذلك لا ينافي وقوعه للمبالغة ،
لأن قولنا قَدَمٌ فهو قديمٌ فيه مبالغة ، وكذلك عَتَقَ فهو عَتِيقٌ بمعنى قَدَمٌ
في الزمان على جهة المبالغة ، وقال سبحانه : (حتى عاد كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (١) .

قال المصنف : ومن التطويل الذي لاحتاجة إليه قولُ العَجِيزِ السَّلُولِي
من شعراء الحماسة :

طلوعُ الثَّنَايَا بالمطَايَا وسابقٌ إلى غَايَةٍ مَنْ يَبْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ

قال : فالزيادة قوله بالمطايا ، لأنه أراد ما أراد العجاج بقوله : (أنا ابنُ جَلَا

(١) سورة يس ٣٩ .

وطلاعُ الثنايا) أى سامى المهمة إلى معالى الأمور ، فالمطايا فضلةٌ ، لأن معالى الأمور لا يُرَقَى إليها بالمطايا ، وإن أراد به أنه كثير الأسفار فتخصيصه الثنايا بالذكر دون سائر الأرض من المغاوز وغيرها لا فائدة فيه .

وعلى كلا الوجهين فذكرُ المطايا فضلةً لاجابةٍ إليها ، وهو تطويل بارد غث^(١) .

أقول : إن هذا الكلام مدخولٌ من ثلاثة أوجه : الأول أنه لو أراد ما أراده الحجاج من سموِّ همته إلى معالى الأمور ، وإحاطةِ علمه بالخفايا كما يحيط علمُ الرَبِيْثَةِ الذى يطلع الثنايا بأحوال الأرض ومنْ يصير فيها ، لم يكن قوله بالمطايا زيادة لا معنى تحتها ، لأنه كنى بالمطايا عن مساعيه وآثاره ومقاماته التى تقدّم بها فى معالى الأمور ، واكتسبها ، وسمّاها مطايا لأنها هى التى أوصّتهُ إلى المعالى ، كما يصل الإنسان بالمطية إلى مقصده .

ولهذه العلة استعاروا هذه اللفظة ، فقالوا الليل والنهار مطيَّتانِ تقرَّبانِ البعيدَ ، وسمّى أبو الطيب نعله ناقهً ، فقال :

لاناقي تقبلُ الرديفَ ولا

بالسوطِ يومَ الرّهانِ أُجهدُها^(٢)

(١) المثل السائر ٢/٢٧٠ .

(٢) من قصيدته فى مدح محمد بن عبّيد الله العلوى التى مطلعها :

أهلاً بدار سبّاك أغيدها أبعد ما بان هناك خردها

الديوان ١/١٩٥ .

والبيت فى انفلك الدائر هكذا :

لاناقي تقبل الرديف لما كانت توصله إلى مقصوده

فمرادُ الشاعرِ إذن أنني نلتُ معالي الأمور بالسَّعى والآثار والتَّوصُّل ،
لابالميراث ولا الاقتصار على شرف الأنساب .

والوجهُ الثاني لو أراد الإبانةَ عن كثرة الأسفار لكان لقوله الثنايا مزيةً
ظاهرةً على غيرها من الأرض ، لأن الثنايا والعقاب والروابي أشقُّ الأرض
سيراً ، قال الشاعر :

وَتَنِيَّةٍ قُدْفٍ يَحَارِبُهَا الْقَطَا

وَيَضَلُّ فِيهَا حِينَ يَغْدُو الْأَحْقَبُ (١)

وقال :

وَمَزْنَاءٌ لَانَسْتَطَاعُ قَطْعُهَا

بِهَيْتِي كِتَابُوتِ النَّصَارَى شَمْرَوْلُ (٢)

وأشعارهم في هذا الباب كثيرة جداً .

الوجه الثالث أنه ادَّعى أن لفظة المطايا هي الفضلة الزائدة ، ثم برهن على
ذلك بأن قَسَمَ المعنى إلى قسمين ، ثم بيَّن أن أحد القسمين إن كان هو المراد
فالمطايا فَضْلَةٌ زائدة ، وهو المطلوب ، ثم قال وإن كان القسم الثاني هو المراد

(١) الأحقب : الحمار الوحشى الذى فى بطنه بياض .

(٢) المزناة : مكان الصعود فى الجبل ، زناً فى الجبل أى صعد .

الهيقي : ذكر النعام ، شبه به الحمل .

الشمردل : القوى السريع الحسن الخلق الفنى من الإبل وغيرها :

والبيت بالأصل (ومزناة) وقد رججنا أن يكون تصويبها (ومزناة) أو (ومنقبة)

لأن المنقبة الطريق الظاهر هل روس الجبال والآكام والربا .

فالتنايا فضلةٌ زائدةٌ ، فإذا استدلّاه لا ينتج المطلوب ، لأنه إنما كان ينتج المطلوب لو ثبتت زيادة قوله بالمطايا على كلا القسمين ، فأما إذا كان أحد القسمين لا يقتضى زيادتها ، بل زيادة غيرها ، فقد بطلَ قوله ودعواه أن ذكر المطايا فضلةٌ لا حاجة إليها ، على كلا الوجهين .

— ١١٤ —

قال المصنف : فأما بيتُ أبي تمام وهو :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ
فإنه قد جاء في بعض النسخ :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ خِيفَةً غَيْرِهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ

وليس بشيء ، لأن المعنى لا يصح به ، والوجه الرواية الأولى .

وقد خطر لى فى معناه أنه نظير قوله تعالى : (والذين يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) وتقديره أنه يتجنب الآثام ، فيكون قد أتى بحسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناته آثام ، وهو على طباق الآية سواء ^(١) .

أقول : إن هذا التفسير يكاد يكون التفسير ، ولكنه لم يوضحه ، لأنه قال ثم يخاف تلك الحسنة ، ولا ريب أن الحسنة التي صدرت منه هي تجنب الآثام ، وهي طاعةٌ لا يخافها أحد ، فما باله خاف التجنب حتى صار كأنه من الآثام ؟

(١) المثل السائر ٢/٢٨٨ .

قد بان أنه قد أعوزته كلمة لم يذكرها ، وهو أنه لا يخاف تجنب الآثام ، بل يخاف ألا يُقْبَلَ منه وألا يُثاب عليه ، فيكون خَوْفُهُ من ذلك خَوْفَهُ من الآثام نفسها ، ويكون هذا من باب حَذْفِ المضافِ ، كأنه قال يتجنب الآثامَ ثم يخاف رَدَّها أو يخاف إحباطها ، والضمير يرجع إلى مصدر قوله يَتَجَنَّبُ ، لأن يتجنب قد دَلَّ على التجنب .

فإن قلتَ ضمير المؤنث هاهنا كيف جاء والتجنب مذكر ؟ قلتُ : هو محمولٌ على المعنى ، لأن التجنب كالجفوة والهجرة والمفارقة ، وإعادة الضمير على المعنى في باب التذكير والتأنيث كثيرةٌ مشهورة .

وعلى هذا التحقيق ظهرتْ مطابقتُه بالآية على أحدِ تفسيرِها .

فأما قوله إن رواية (خيفة غيها) لا يصح المعنى بها ، فإن بعض المفسرين قال إن هذا البيت محمولٌ على القلب ، وتقديره : فكأنما آثامه حسنات ، قال ومعناه كأن آثامه حسنات غيره ، لأنه من الأبرار الأولياء الذين حسناتُ الناس سيئاتٌ بالنسبة إلى عباداتهم ، ومن كلامهم : حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين ، يَعْنُونَ عُلُوَّ طَبَقَةِ الْمُقَرَّبِينَ عَلَى طَبَقَةِ الْأَبْرَارِ .

والقلب قد جاء في الكلام كثيرا نحو قولهم : أدخلتُ الخاتمَ في إصْبِغِي ، والتحقق أدخلتُ إصْبِغِي في الخاتم ، لأن الإصْبِغَ هي التي أُدْخِلْتُ فِي الخاتمِ ، وقولهم كأن الزُّنَّانَ فريضة الرِّجَمِ ، وقال الآخر :

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ^(١)

وقد جاء في التنزيل شيء من ذلك قال: (فإنهم عدو لي)^(٢) أى فإني
عدو لهم وعداوتهم تعالى لهم يراءته منهم ولعنته لهم ، وإذا ثبت هذا فالرواية
التي أفسدها وزعم أنها لا تصح صحيحة غير منكورة . . .

قال المصنف : فأما بيت أبي نواس ، وهو قوله :

سُنَّةُ الْعُشَاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

ومن الناس من يرويه فاستنم بالنون ، وهذا لا معنى له ، لأنه إذا لم يُبيِّنْ
سُنَّةَ الْعُشَاقِ ما هي ، فبأى شيء يَسْتَنُّ الْمَسْتَنُّ مِنْهَا^(٣) ؟ .

أقول: إن البيت الذي قبله يُوَضِّحُ سُنَّةَ الْعُشَاقِ التي أمره أن يَسْتَنَّ بِهَا ، ألا ترى
أنَّ مَنْ قَالَ لغيره إذا دخلت على الملك فاسْجُدْ ، ثم قال عَقَيْبَ ذَلِكَ عَادَةُ
عَبِيدِ الْمَلِكِ وَخَوَلِهِ مشهورة ، فإذا أحببت أن تكون منهم فاعمل بها ، فإنه
يفهم من هذا الكلام أنه إشارةٌ بالعادة إلى ما قدمه أولاً من السجود
للملك .

(١) البيت لرؤبة ، والأعماء المجاهل ، وأعماء عامية على المبالغة ، على حد قولهم ليل
لائل ، وشغل شاغل . وقال الأزهرى : عامية دارسة وأعماءه مجاهله (لسان العرب
بإداعة عمى) .

(٢) سورة الشعراء ٢٧ .

(٣) المثل السائر ٢/٢٨٩ .

قال المصنف : بعد أن ذكر آياتٍ كثيرةً من الكتاب العزيز تتضمن حذف جملٍ مفيدة وغير مفيدة : ومن هذا الباب قوله تعالى : (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكرُ أم أكفرُ ؟ ومن شكرَ فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفرَ فإن ربي غنىٌ كريمٌ . قال نكروا لها عرشها) لأن الأمر بتفكيره لا يكون إلا بعد أن جرى به إليه (١) .

أقول : تقديرُ هذا الحذفِ غيرُ محتاجٍ إليه في هذه الآية ، لأننا إن جعلنا الضمير في (رآه وفي عنده) راجعاً إلى الذى عنده علم من الكتاب جعلنا الضمير في (قال نكروا لها) راجعاً إلى سليمان ، فيكون تقدير الكلام : فلما رأى الرجل الذى عنده علم من الكتاب عرشَ بلقيسَ مستقراً عنده ، قال : هذا من فضلِ ربى إلى آخر الآية ، ثم هذا يحكى قولَ سليمان (نكروا لها عرشها) فلا تحتاج الآية إلى حذف ولا إضمار .

وإن جعلنا الضمائر كلها راجعة إلى سليمان لم يُحتج أيضاً إلى الحذف الذى ذكره ، بل يكون قوله نكروا لها عرشها إما معطوفاً حذف منه حرف النطف ، تقديره وقال نكروا لها عرشها ، كما قال : (لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبلاً ، ودوا ما عنيتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم) (٢) .

(١) المثل السائر ٢/ ٢٩٣ .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

أوجوابا ثانياً للمّا ، أو كلاماً مستأنفاً ، كأنه فرغَ من تلك القصة ، ثم شرعَ في جملة أخرى ، وهي أنه لا حاجة إلى حذف المذكور ، لأنه لما قال فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ، وهذا يفنى عن أن يقدر مرة ثانية (فلما جرى به) لأن معناهما واحد .

- ١١٧ -

قال المصنف : وقد نص أبو الفتح ابن جني على أن حذف الفاعل لا يجوز ، قال : وبیت حاتم يشهد بخلاف قوله وهو :

أماوى ما يُغنى الثراء عن الفتي إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر

وقال الله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) ولم يذكرها^(١) .

أقول : إن البصرين كلهم قد منعوا حذف الفاعل لقاعدة مقررة عندهم ، وهي أن الفاعل ينزل منزلة جزء من الكلمة ، لأنهم سكنوا لام الفعل إذا اتصل به ضمير الفاعل ، نحو ضربت ، كيلاً تتوالى أربع متحركاتٍ لوازم في كلمةٍ واحدةٍ ، فإن ذلك لا يوجد إلا أن يكون قد حذف حرفٌ من الكلمة للتخفيف ، نحو عَلِيٌّ^(٢) ، فإسكانهم لام الكلمة تنزيل الضمير المتكلم وهو الفاعل منزلةً حرف من نفس الكلمة ، ولذلك لم يسكنوا

(١) المثل السائر ٢/٢٩٦ ولم يذكر ابن الأنبر هذه الآية ، بل ذكر آية أخرى هي : (كلا إذا بلغت التراقي) وقال إن الضمير في بلغت لنفس ولم يجر لها ذكر .
(٢) العلابط والعلابط بضم عينهما وفتح لامهما وكسر بأتهما الضخم والقطيع من الغنم (القاموس المحيط) .

لام الفعل إذا اتَّصَلَ به ضمير المفعول كقوله تعالى: (ما وَعَدْنَا اللهُ ورسولُهُ)^(١) لأنه في نيَّة الانفصال ، بخلاف قوله : (وإذْ وَاَعَدْنَا موسى)^(٢) قالوا وكذلك جَعَلُوا النونَ في يَقَعْلانِ وبابِهِ علامةَ الرفع ، فلولا أَنَّ الألفَ بمنزلة حرف من نفس الكلمة لما جعلوا الإعراب بعده ، ولأنهم أحقوا علامة التانيث بالفعل في قولهم : قامت هند ، والفعل لا يؤنث ، فلم يكن الفاعل بمنزلة جزء من الفعل لما جاز إلحاق علامة التانيث به .

وقد نسبوا إلى (كُنْتُ) فقالوا كُنْتِي ، قال الشاعر :

فأصبحتُ كنفياً وأصبحت عاجناً وشرُّ خصال المرء كُنتُ وعاجنٌ^(٣)

فأثبتوا الياء ، ولولا تميز يلها منزلةَ جزءٍ من الكلمة لم يثبتوها في النسب ، ولهم على هذه القاعدة أدلةٌ كثيرةٌ مذكورةٌ في مواضعها .

وإذا كان الفاعل بمنزلة جزء من الكلمة لم يُجْزُ حذفه ، كما لا يجوز حذف الدال من زيد ، واسكنه يَضْمَرُ ، فتارةً يَرْجِعُ إلى شيءٍ متقدم في اللفظ ، كقولنا زيدٌ قام ، وتارةً إلى ما يَدُلُّ عليه لفظ مُصْرَحٌ به ، وإن لم يكن المضمَر راجعاً إلى ذلك اللفظ ، كقولهم : من كذب كان شراً له .

(١) سورة الأحزاب ١٢ (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) .

(٢) سورة البقرة ٥١ .

(٣) الكنتى : الكبير العمر (الناموس مادة كان) .

العاجن : الشيخ الكبير ، يقال فلان عجج وخبر أى شاخ وكبر ، لأنه إذا أراد القيام اعتمد على ظهور أصابع يديه كالعاجن ، وعلى راحتيه كالعاجز (أساس البلاغة مادة هجن) .

فاسم كان مضمراً دلَّ عليه لفظ كَذَبَ ، والمعنى كان الكذب شرّاً له ، قال
الله سبحانه : (ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنُّهُ)^(١) أى بدأهم
بَدَأَ ، فأضمر الفاعل لدلالة بدا عليه .

وقد أضمره الشاعر فقال :

لعلك والموعودُ حَقُّ لِقَاؤُهُ

بَدَأَ لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوبِ بَدَأَ^(٢)

وقد تقدم أن قوة العلم بالفاعل في بعض المواضع تقوم مقام ذكره أو ذكر
ما يدل عليه ، كقوله تعالى : (حَتَّى تَوَارَتْ)^(٣) وقول حاتم (إذا حشرجت) .
والضابط في ذلك ألا يزيد ذِكْرُ الفاعل في قوة العلم به على ما يحصل من
قوة العلم وهو غير مذكور كما في الآية والبيت ، فإنه لو ذكر الشمس والنفس
لم تَرَدَّ قُوَّةُ العلم على ما يجده الآن ، وإن لم يذكرها ، وهذا هو الفرق بين حذف
الفاعل وحذف غيره ، فإن هذا الضابط غير معتبر في شيء من المواضع إلا في الفاعل
إذا لم يذكر .

(١) سورة يوسف ٣٥ .

(٢) القلوس : الناقة الفتية أو الباقية على السير . بداء : رأى ناشئ .

(٣) سورة ص ٣٢ (حتى توارت بالحجاب) أى الشمس .

قال المصنف : وقد يحذف الفعل لدلالة المفعول عليه ، كقولهم : (أَهْلَكَ
والليل) بنصبهما معا أى الْحَقَّ أَهْلَكَ وبادِرِ اللَّيْلِ^(١) .

أقول : ظاهرُ هذا الكلام أنه انتصب اللفظان ياخمار فعلين ، وهو
خلاف ما تقوله النحاة ، لأنهما عندهم منصوبان بفعل واحد ، تقديره بادرُ
أهلك والليل ، ومعناه بادرُ أهلك قبل الليل ، وتحقيق ذلك أن معنى المبادرة
مساقتك الشيء إلى الشيء ، كقولك بادرْت زيدا للمنزل ، كأنك سابقته إليه ،
فلما عطف الليل على الأهل وجعلهما مُبادِرَيْن أمره بمبادرتيهما قَبْلَ أن يسبقه
أحدهما إلى الآخر .

قال المصنف : حَذَفُ الفعل ينقسم إلى قسمين : أحدهما يَظْهَرُ بدلالة
المحذوفِ عليه ، كما ذكرناه من قولهم أَهْلَكَ والليل ، وكقول المتنبي :

وما أَرْضَى لِمَقَلَّتِهِ بِجُحْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمُهُ ابْتِشَاكًا^(٢)

ولا إلا بأن يُصْنَى وَأَحْكِي فليتيك لا بُدِّيَمَهُ هَوَاكَا

فقوله ولا إلا بأن تصنى فيه محذوف ، تقديره ولا أرضى إلا بأن تصنى

وأحكي .

(١) المنن السائر ٢/٢٩٧ .

(٢) الابتشاك : الكذب .

قال : والقسم الثاني لا يظهر فيه الحذف ، لأن هناك منصوبا يدلُّه عليه ، بل بالنظر إلى ملاءمة الكلام ، كقوله تعالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا ، لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ) وكقوله : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِيئُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) وكقوله : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ، وَإِنْ جَاهِدَاكَ) فتقدير ذلك كله : وقلنا لقد جئتمونا ، وقلنا أذهبتم طيباتكم ، وقلنا وإن جاهدك^(١) .

أقول : لا فَرْقَ بَيْنَ هَذَا الْقِسْمِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ إِلَّا بَأْنَ تَصْنَى وَأَحْكَى ، لِأَنَّهُ لَوْ أَظْهَرَ (وَقَلْنَا) لَسَكَانَ مَا بَعْدَهُ مَنْصُوبًا لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ ، كَمَا لَوْ أَظْهَرَ الْمَفْعُولُ فَقَالَ وَلَا أَرْضَى شَيْئًا إِلَّا بَأْنَ تَصْنَى ، فَالْقَوْلُ يَنْصَبُ مَا بَعْدَهُ إِذَا كَانَ كَلَامًا مَقُولًا كَمَا يَنْصَبُ الْفِعْلُ مَفْعُولَهُ ، وَكَأَنَّ مَوْضِعَ (لَقَدْ جِئْتُمُونَا) هُوَ الْمَنْصُوبُ لِالْفِظَةِ ، وَلَا فَصْلَ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ ، فَدَعَاوَاهُ أَنْ هَذِهِ الْآيَاتُ عُلِمَ الْحَذْفُ مِنْهَا بِالنَّظَرِ إِلَى مَلَائِمَةِ الْكَلَامِ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ مَفْعُولًا يَدُلُّ عَلَى حَذْفِ الْفَاعِلِ ، وَأَنَّ قَوْلَهُ (وَلَا إِلَّا بَأْنَ تَصْنَى وَأَحْكَى) خِلَافَ ذَلِكَ دَعَاوَى غَيْرَ مَقْبُولَةٍ .

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبِيحْ إِبْلَى

بنو اللقيطة من ذُهلِ بنِ شَيْبَانَ

إِذَا الْقَامَ بِنَصْرِي مَعْمَرٌ خَشْنُ

عن الحفيظة إن ذو لؤنة لانا

فجواب الشرط قد استوفاه في البيت الأول ، فلا بد في البيت الثاني من تقدير
لو دفعة ثانية ، أى لو كنت منهم إذن لقام بنصرى معشر خُشِن^(١) .

أقول: إن هذه المسألة تنبئ على أن العامل في البديل هو العامل في المبدل منه
أم لا ، فإن لم يثبت ذلك لم يصح هذا الكلام ، لأنه جاز أن يكون قوله (إذن
لقام بنصرى) بدلا من قوله (لم تستبج إبلى) لأنه في معناه ، والفعل يبذل من
الفعل إذا كان في معناه ، نحو أذنُ يا قتيَّ أحسنُ إليك أعطك سالا ، وإذا لم يحتج
في البديل إلى تكرير العامل لم يحتج هنا إلى تكرير لو ، وإن لم تثبت هذه القاعدة
فإن ما ذكره صحيح لا ريب فيه .

- ١٢١ -

قال المصنف في باب التكرير: التكرير على قسمين تكرر في اللفظ
والمعنى جميعا ، وتكرير في المعنى فقط دون اللفظ ، فالأول نحو قولك لمن تستدعيه
أُسْرِعْ أُسْرِعْ ، ونحو قوله تعالى: (يريد الله أن يُحقَّ الحقَّ بكلماته وَيَقْطَعَ
دابر الكافرين ، ليُحقَّ الحقَّ وَيُبْطِلَ الباطلَ ولو كره المجرمون) ومثل قول
أبي الطيب المتنبي :

ولم أرَ مثِلَ جبراني ومثلي لمثلي عندِ مثلهمُ مقام^(٢)

أقول التمثيل باللفظة المذكورة وبالآية تمثيلٌ جيدٌ .

وأما التمثيل بالبيت فقيرٌ جيدٌ ، لأنه لم يتكرر فيه اللفظ والمعنى حسب

(١) المثل السائر ٢/٣٢١ .

(٢) المثل السائر ٣/٣ .

تكرره في الآية وفي اللفظة المذكورة ، لأنه لم يذْكرْ في صدر البيت إلا نقي
رؤية مثله ومثلي جيرانه ، ولم يُبيِّنْ في ماذا ، ولا هذه المثلية والمشابهة في أي
شيء ، فمن الممكن أنه كان يعني لم أر مثلي ومثلهم في حُبِّ بعضنا لبعض ،
أو في بغض بعضنا لبعض ، أو في جُودنا أو في شجاعتنا ، أو في ديانتنا ، فلما قال في عجز
البيت (لمثلي عند مثلهم مقام) كشف ذلك الإجمال ، وأزال ذلك الإبهام ،
وأبان عن أن مرادَهُ لم أر مثلي مُقيماً بين ظهرائي مثليهم ، يعني أنهم على
غاية الإساءة لعشيرته ، وأنه على غاية الصبر عليهم ، والاحتمال لهم ، وأن مقامه
عظيم لا يصلح أن يكون مثله مقيماً بين هؤلاء الرعاع .

فالشاعر لم يكرر كما تكررت ألفاظ الآية ، ولا وُجِدَ اللفظ والمعنى معا
مَرْدَدَيْنِ مكررين في هذا البيت ، ولكن أول ألفاظه يُعطي معنى مجملاً ،
والثاني يُعطي معنى مفصلاً ، وهو شرح ذلك المَجْمَلِ ، فلم يكن ذلك تكريراً
مشملاً على إعادة اللفظ والمعنى معاً ، فلم يَجْزِ إدخاله في هذا القسم ، وذكره
في جملة أمثله .

قال المصنف : فأما قوله تعالى : (فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا
رجعتم ، تلكَ عشرةٌ كاملة) فليس كما يُتَوَهَّمُ من أنه تكرير فقط ، بل المراد
به إيجاب صومِ الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفورِ لا عند الوصولِ
إلى البلد ، كما ذهب إليه بعض الفقهاء ، وقال : لأن الأمر إذا صدرَ بلفظ
التكرير مجرداً عن قرينة تُخرجهُ عن وصفه ، ولم يكن مؤقتاً بوقت معين ،

كان ذلك حثًا للامور على المبادرة على الفور ، كما تقول لصاحبك قم قم ، فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في الحال الحاضر^(١) .

أقول: إن المذهب الذى قد اختاره هو مذهب مجاهد ، والاحتجاج الذى قد احتج به لنصرته ضعيف ، لأن أقوى كلامه أنه يذهب إلى أن الأمر إذا ورد مجرداً عن التكرير لم يدل على الفور ، ألا تراه كيف قد قيد كلامه فقال إذا صدر بلفظ التكرير غير مؤقت ، فهو كأن يمن يذهب إلى أن الأمر يقتضى على الفور مجرّداً لم يحتج إلى هذه القيود .

وإذا كان كذلك فأدلة القائلين بأن الأمر لا يقتضى الفور جميعها موجودة في أن الأمر المكرر قرينة يفهم منها الفورية ، مثل أن يقول له قم قم قول غضب أو إزهاق ، أو يشاهد وجهه أو يسمع كلامه ، فيدرك منها ما يدل على ذلك ، أو يظهر من حركاته وقرائن أحواله أمارات تقتضى ذلك .

فأما مجرّداً الأمر فقط فلا يدل تكريره على الفورية ، لأن الزمان من ضروريات وقوع الامتثال ، كما أن المكان من ضرورياته أيضا ، وكما لا يدل تكرار الأمر على وجوب إيقاع الأمر به في مكان معين ، فكذلك لا يدل تكرار على وجوب إيقاعه في زمان معين .

ولا حيلة في دفع هذا لمن ذهب إلى أن الأمر يقتضى الفور سواء كرّر

أو لم يُكْرَرْ ، فإنه يتكلم على هذا الدليل كلامَ مَنْ أُنبت الفوريةَ للأمر ، حيث كان أمراً لا باعتبار التكرير .

ثم يقال له لو سلمنا أن الأمر المكرَّرَ اللفظِ يدلُّ على الفور ، لكن ليس قوله (فصيام ثلاثة أيامٍ في الحج وسبعةٍ إذا رجعتَ تلك عشرة كاملةٌ) مثل قول الإنسان لغيره قم قم ، ولا تكون السبعة والثلاثة والحكم بأنها عشرة كاملة كذلك التكرير اللفظي في مبادرة الأفهام إلى أن المراد منه تعجيل امتثال الأمور به ، وإنما نظيره أن يقول مَنْ تمتع بالعمرة إلى الحج فقد أُوجِبَتْ عليه صيام ثلاثة أيامٍ في الحج وسبعةٍ إذا رجع .

فأما قوله سبحانه (تلك عشرة كاملةٌ) فلا يعطى هذا المعنى ، لأنه ليس إعادة لفظ الأمر كقولك قم قم ، ولا معناه كقولك قم لا تقعد ، وإنما هو نعتُ الأمور به فقط .

وقد اختلف الناس في فائدة هذا النعت ، فقال قوم معناه عشرة كاملة ثواب الهدى ، أى إذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه ، وقال قوم غير ذلك ، والمقصود أنه ليس قوله (تلك عشرة كاملة) تـكـرير الأـمر بلفظه لإفادة الفورية منه ، إذ ثبت أنه لا يفيد الفورية .

قال المصنف : فإن قلت بل الغرض يتكثير الأمر أن يتكرر في نفس الأمور أنه مراد منه ، وليس الغرضُ الحثُّ على المبادرة إلى امتثال الأمر قلتُ

في الجواب : المرة الواحدة كافية في تعريف الأمور أن الأمور به مراد منه ، فالزيادة على المرة الواحدة إن دلت على مادات عليه المرة الواحدة لا غير كان ذلك تطويلاً لا فائدة فيه ، وهو ينافي إعجاز القرآن وفصاحته ، وإن دلت على أمر زائد فتملك الزيادة ليست إلا الحث على المبادرة إلى الامتثال ، وإلا فليبين الخضم معنى هذه الزيادة ، ولا سبيل إلى ذلك (١) .

أقول : إنه قد قال قبل هذا الموضوع بأسطر إن قوله تعالى : (وأن تغفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) أن هذه الألفاظ كلها بمعنى واحد ، وإنما كررها للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته .

وكذلك قوله تعالى : (إنما أشكو بيي وحزني إلى الله) وزعم أن ذلك من باب البلاغة .

فإذا كان هذا قوله فما المانع من أن يكون المراد بالمرّة الثانية والثالثة في الأمر زيادة التكرير في نفس الأمر ، وأن الأمور به مراد منه ؟ فإن هذا غرض صحيح ، لأنه لو قال له اعلم أن هذا الشيء مما أريده منك ، وكرّر هذا مرتين أو مراراً لم يكن قبيحاً ، إذا قصدت تأكيد تلك الحال وتقريرها في نفس المخاطب فلم يذهب إلى أن المرّة الثانية أفادت عين ما أفادته المرّة الأولى من غير زيادة ، بل أفادت زيادة بيّنة ، وهي قوة اعتقاد المخاطب أن ذلك الشيء الأمور به مراد لا محالة ، كما أفاد قوله (وأن تغفوا وتصفحوا وتغفروا)

زيادة تحسين العفو كما ذكره ، فقد بطل قوله : فليبيِّن الخِصْمُ معنى هذه
الزيادة ، ولا سبيلَ إلى ذلك ، وقد بيَّنتُ أن سبيل الخِصْمِ إليها أوضح سبيل .

قال المصنف : وقد قال قومٌ إن الواو هاهنا إنما أكَّدتْ قوله تلك عشرة
كاملة ، لثلاثِ يَتَوَّهَمَ أنها بمعنى (أو) قال : وهذا باطلٌ ، لأن الواو تجعل بمعنى
(أو) مخالفةً لأصلها ، لمرجِّحٍ يُرَجِّحُ ذلك على كونها عاطفةً الذي هو الأصلُ ،
ولا مرجِّحٍ هاهنا^(١) .

أقول : صاحبُ هذا القولِ إنما يقوله بعدَ ثبوتِ مقدماتٍ ، منها أنه
لا بُدَّ في كلام الله تعالى من فائدة ، ومنها أنه لا فائدة إذا جعلناها عاطفةً ، فإذا
ثبتَ ذلك له قال صحَّتْ حينئذٍ ، وجعلها بمعنى أو ، ولا نزاعَ أنه إذا ثبت له
ذلك كانت بمعنى أو .

قال المصنف : وأيضاً فإن القرآن منتهى البلاغة والفصاحة ، فهلاً قال : (وبدأ
بيننا وبينكم العداوة) ، ولم يقل والبغضاء ، وهلاً قال إنما (أشكو بئى) ، ولم
يقُلْ وحُزُنِي^(٢) .

(١) للثل السائر ٣/٣٢ .

(٢) لم يعلق ابن أبي الحديد بشيء .

قال المصنف : وأيضاً فإن الصومَ عبادةٌ يجب فيها الاحتياطُ والإتيانُ بها على أكمل صورةٍ ، فكيف يظن أن الواو هاهنا بمعنى (أو) ^(١) .

أقول : أليس قد وردت الواو بمعنى أو في قوله تعالى : (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) ^(٢) وهو في النكاح ، والخطأ فيه أضعَبُ من الخطأ في هذا الصوم ، فيجوز أن يكون سبحانه قال : (تلك عشرة كاملة) لإزالة توهمٍ من يتوهم أن هذه الواو كتلك الواو .

قال المصنف - وأيضاً فالسبعة ليست مماثلةً للثلاثة حتى تجعلَ مُقابِلَتَها ، لأن معنى الآية إذا كانت الواو فيها بمعنى (أو) : إما أن تصوموا ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعت ^(٣) .

أقول : ولا إطعامُ المساكينِ يماثلُ في الصورة لكسوتهم ، ولا ليعتقِ الرقبة ، فكيف قال : (فكفارته إطعامُ عشرة مساكينِ من أوسطِ ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحريرُ رقبة) ^(٤) فليس من شرط (أو) أن تتوسط بين المتماثلين في الصورة ، وهذا الكلام ناقصٌ جداً .

(١) اللؤلؤ السائر ٣/٣٢٢ .

(٢) سورة النساء ٣ .

(٣) اللؤلؤ السائر ٣/٣٢٢ ومنه صحفنا النص .

(٤) سورة المائدة ٨٩ .

قال المصنف : فأما عطف لفظه على لفظه ومعناها واحد فكثير ، كقول

الْمَنْخَلُ الْيَشْكِرِيَّ :

السكائب الحسنة تَرَّ في الدَّمَقْسِ وفي الحريرِ

فإن الدمقس هو الحرير ، وكقول آخر من شعراء الحماسة :

إني وإن كان ابن عمي غائباً لمقادِفٍ من خَلْفِهِ وورائه

فإن الخلف هو الوراء^(١) .

أقول : المثال الأول لا بأس به ، والثاني غير جيد ، لأن الورا قد وردت

والمراد القدام في قوله تعالى : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)^(٢)

لأنه لو لم يكن قدامهم ما خافوا منه ، ولا احتاج إلى خرق السفينة .

وقال لبيد :

أليس ورأى إن ترأخت منيتي

لزوم العصا تحني عليها الأصابع^(٣)

ومنه أيضا قوله سبحانه وتعالى : (من ورائه جهنم)^(٤) .

(١) اللؤلؤ السائر / ٣ .

(٢) سورة الكهف ٧٩ .

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

يلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
[الديوان ٢٣ طبعة فبنا بتحقيق ضياء الدين الخالدي المقدسي]

(٤) سورة إبراهيم ١٦ .

وقال آخر :

أثر جُو بنومرّوانَ سَمِيَّ وطاعِي وقوى تَيْمَّ والفلاةُ وراثيا؟^(١)

قال المصنف : فأما حَدُّ الكنايةِ فهي ما إذا وَرَدَتْ تَجَاذِبُهَا جَانِباً حَقِيقَةً وَمَجَازٍ ، وَجَازَ حَمَلُهَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مَعاً لَوْصَفٍ جَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْ لَا مَسْتَمُ السَّمَاءِ) فَإِنَّهُ يَصِحُّ الْمَعْنَى وَلَا يَخْتَلُّ بِالْحَمَلِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَعْنِيَيْنِ وَهِيَ الْجَمَاعُ وَالصَّاقُ الْجَسَدُ بِالْجَسَدِ ، وَلِذَلِكَ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ^(٢) .

ولهذا الحد تنفصل الكناية عن التشبيه والاستعارة وسائر المجازات ، لأنه لا يجوز حمل ذلك أجمع إلا على الجهة المجازية فقط ، كقولنا زيد أسدٌ ، فإنه لا يجوز حملة إلا على المجاز خاصة ، لأنه يستحيل أن يكون زيد سبعا حقيقة .

قال : والدليل على صحة ما قلناه أن الكناية أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فيما أن يكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة .

ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، لأن ذلك هو

(١) كان بالأصل (وقوى تيم) .

(٢) عبارة ابن الأثير : ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصافحة الجسد الجسد ، فأوجب الوضوء على الرجل إذا لبس للمرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس . وذهب غيره إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية .

اللفظ المشترك ، وإذا أُطلق من غير قرينة مُحَضَّصُهُ كان مُبْهِمًا غير مفهوم ، وإذا أُضيف إليه القرينة صار مُخْتَصًا بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالفًا للفظ المشترك إذا أُضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد لا يتعداه .

وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانبًا مجاز ومجاز ؛ لأن المجاز لا بدُّ له من حقيقة نُقِلَ عنها ، لأنه فرعٌ عليها .

وذلك اللفظ الدالُّ على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أولاً ويكون لها شركة في الدلالة ، فيكون اللفظ الواحد قد دلَّ على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفًا للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره .

وإذا أُخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالًّا على ما تكلمت به ، وهذا محال .

فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز (١) .

أقول: إنا ما عرفنا أن الحدود يُبْرَهَنُ عليها ، ولا هي من باب الدعاوى التي تحتاج إلى الأدلة ، لأنَّ مَنْ وَضَعَ لفظ الكناية لأمر من الأمور لا يحتاج إلى دليله ،

ثم يقال له : ألم تعدّ في أمثلة الكناية قول النبي للحادي بالحث : (رفقاً بالقوارير) يعنى النساء ؟ وقول عبد الله بن سلام لمن رأى عليه ثوبا معصفا : (لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قدورهم لكان خيرا) وقول الشاعر :
إن لم تسكن نصالاً فعمد نصال^(١) .

يعنى امرأة هلكت ، فهل هذه المواضع مما يتجازها الجانبان ، ويجوز حملها على كل واحد منهما ؟ وهل يتوهم عاقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أنجشة أن يرفق بالزجاج ؟ وأن عبد الله بن سلام أمر صاحب الثوب للمعصفر أن يحرق ثوبه ؟ والبيت الشعري أبعد ، لأن المرأة إنسان ، والإنسان لا يكون غمدا لل سيف ، لأن الحيوان لا يكون جمادا ، فإن جاز أن تكون هذه المواضع كنايات مع أن الأذهان لا تحملها إلا على تحمل واحد ، ولا يسوغ حملها على غيرها جاز أن يكون قوله تعالى : (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال^(٢)) وقول الشاعر : (ولو سكتوا أمنت عليك الحفائب) كناية ، وإن كان لا يجوز حملها على كلا الحملين ، وإلا فما الفرق ؟

ثم يقال له : أهذا الاستدلال هو استدلال على أن الكناية هي ما جاز حملها على واحد من تحملى الحقيقة والمجاز ، أم على أن الكناية لا بد أن يتجازها جانبا حقيقة ومجاز ، مع قطع النظر عن جواز الحمل عليهما وعدم جوازه ؟ فإن أردت الأول فالاستدلال لا يماثل ذلك بمحال ، ولا تعلق له به ، وإن أردت

(١) راجع التعليق في ٧٠/٣ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٦ .

الثانى فإن أصحاب علم البيان قَبَلَك لم يخالفوك فى ذلك لِتُحَاجِّجَهُمْ وَتَعِيبَ عَلَيْهِمْ ،
وَأنت لَمَّا حَكِيتَ أقوال أصحاب هذه الصنعة لم تَحْكِ عنهم أَنهم لم يشترطوا ذلك
فى الكناية ، أعنى أن تكون مترددةً بين محمل حقيقى ومحمل مجازى ،
وإنما حَكِيتَ عنهم أَنهم لم يشترطوا أن يَجُوزَ حملُ الكلامِ على كلا المحملين ،
فهذا هو الذى حَكِيتَ عنهم ، وخالفهم ، وزعمت أنك استنبطت وتكلفت
الدلالةَ عليه ، فكيف تتركه جانباً ، وتستدل على ما لا تَعَلِّقُ له به أصلاً ؟

ثم يقال له : قد نزلنا على ما تريد ، ونحن نكلمك فيما يتعلق دَلِيلُك به ،
لم قَلتَ إنه لا بد أن يتردد لفظ الكناية بين محمل حقيقه ومجاز ، ولم يتردد
بين مجازين ؟ والذى تكلمت به على ذلك ليس بشيء ، أما أولاً فإنك أردت
أن تقول : إمّا أن يكون اللفظُ الدالُّ على المجازين شركةً فى الدلالة على الحقيقه
التي هى أصلُهما ، فأما قولك هذا فإنه يقتضى أن يكون الإنسانُ متكلماً
بشيء ، وهو يريدُ تَبْيِينَ غيره ، وأصلُ الوَضْعِ أن يتكلم بشيء وهو يريدُ
شيئاً غيره ، فيقال لك : أليس معنى قولك الكناية أن تتكلم بشيء وأنت
تريدُ غيره أن قولك (شيئاً) تريد واحداً غيره ؟

كلا ، ليس هذا هو المقصود أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فإن أردت
شيئاً واحداً فقد أردتَ غيره ، وإن أردتَ شيئين أو ثلاثة أشياء أو ما زاد
فقد أردتَ غيره ، لأن كلَّ ذلك غيرُ ما دلَّ عليه ظاهر اللفظك ، فليس
فى لفظة (غير) ما يقتضى التَّوْحِيدَ والإفراد .

وأما ثالثاً فلم لا يجوز ألا يكون اللفظ الدالُّ على المجازين شركةً في الدلالة على الحقيقة أصلاً ، بل لا بدُّ إلا على المجازين فقط ؟

فأما قولك إذا خرجت الحقيقة من أن يكون لها في ذلك شركة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهو محالٌ ، فيقال لك : لم قلت ذلك ؟ ولم لا يجوز أن يكون للحقيقة محازان قد كثرت استعمالها حتى نُسيت تلك الحقيقة ، فإذا تكلم الإنسان بذلك اللفظ كان دالاً به على أحدِ ذينك المجازين ، ولا يكون له تعرضٌ ما لتلك الحقيقة ، فلا يكون الذي تكلم به حقيقة ، لأن حقيقة ذلك اللفظ قد صارت منسيةً ، فلا يكون عدمُ إرادتها موجباً أن يكون اللفظ الذي قد تكلم به المتكلم غير دالٍّ على ما تكلم به ، لأنها قد خرجت بترك الاستعمال عن أن تكون هي ما تكلم به المتكلم .

قال المصنف : فأما أحدُ الألفاظ والأحاجي فهو معنى يستخرج بالحزر والحدس لا بدلالة اللفظ عليه حقيقةً ولا مجازاً ولا تعريضاً ، كقول القائل في الضرس :

وصاحبٍ لا أملُ الدهرَ صُحبتُهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعَى مَجْتَهِدِ
ما إن رأيتُ له شخصاً فذو وقعتُ عيني عليه افترقنا آخر الأبدِ^(١)

قال : فهذا كلامٌ لا يفهم منه أنه الضَّرْسُ حقيقةً ولا مجازاً ولا من طريق المفهوم ، بل هو شيءٌ يُحدَسُ ويُحزَرُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه (١) .

أقول : هذا يلزم عليه أن يكون كلامٌ الزَّهْجِي إذا تعاطى العربيُّ حَزَرَ معناه من باب الأحاجي والألغاز . والصحيح أن يقال عَوْضَ هذا : هو كلُّ معنى يُستخرجُ لا بدلالة اللفظ عليه حقيقةً ولا مجازاً ولا تعريضاً ، بل بالحدسِ مِنْ صفةٍ أو مِنْ صفاتٍ تُنبهُ عليه .

وعلى هذا فالضَّرْسُ إنما عُرِفَ من هذا الشعر حدساً من مجموع هذه الصفات ، وهي كونه صاحباً لا تُمَلُّ صحبته ، وأنه يسعى لينتفع به الإنسان ، وأن الإنسان لا يراه ، فإذا رآه فقد افتراقاً فراق الأبد ، ومجموعُ هذه الصفات ليست إلا للضَّرْسِ ، فتذبَّبه الذهنُ من هذه الصفات والخصائص على مراد المُغزِ .

قال المصنف : ومن الخذاقة في هذه الصناعة أن تجعَلَ التَّحْمِيدَاتُ في أوائل الكتب السلطانية مناسبةً لمعاني تلك الكتب ، قال : ووجدتُ أبا إسحاق الصَّابِي على تَقَدُّمِهِ في فنِّ الكتابة في فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها الذي أوله (الحمد لله رب العالمين الملك الحق) ثم ذكر منه نحو عشرة أسطر سنذكرها في الجواب عن كلامه ، ثم قال : وهذه التَّحْمِيدَةُ لاتناسبُ هذا الكتاب ، ولكنها

تَصْلُحُ أَنْ تُوضَعَ فِي صَدْرِ كِتَابِ مُصَنَّفَاتِ أُصُولِ الدِّينِ كَالشَّامِلِ لِلجُؤَيْنِيِّ .
أَوْ الْاِقْتِصَارِ لِلغَزَالِيِّ أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُمَا ، فَأَمَّا فِي كِتَابِ فَتْحِ فَلَا^(١) .

أقول : إن أبا إسحاق رحمه الله لم يُخْلِ هذه التعميمية من الإشارة إلى معنى الكتاب الذي هو مَعْرَاهُ ومَقْصَدُهُ ، وذلك أن هذا الكتاب كتب في انتصار عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِي شِجَاعٍ وَعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ عَلَى الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ تَرَأَسَ عَلَيْهِمُ سُبُكْتَكِينُ الْحَاجِبُ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ جِيُوشِ مَعْرِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ بَعْدَهُ ، وَهِيَ سُلْطَانَا الْخِزْرَةَ بِبَغْدَادَ ، وَكَانَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَتْرَاكِ الطَّائِعِ لِلَّهِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ وَالطَّيِّعِ لِلَّهِ وَالْفَتْكِيِّ الْقَائِدِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ الْمَشْهُورِ بِالشَّجَاعَةِ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ^(٢) وَأَبْيَادِهِمْ بِبَغْدَادَ وَأَعْمَالِهَا ، فَإِنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَعِزَّ الدَّوْلَةِ تَضَافَرَا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى هَؤُلَاءِ مِنْ فَارِسِ وَالْأَهْوَازِ ، وَصَدَمَا الْأَتْرَاكِ صَدْمَةً عَظِيمَةً فَطَحْنُوهُمْ ، وَانْحَازَ الطَّائِعِ لِلَّهِ إِلَى تِكْرِيْتِ مَتَحَصَّنًا بِالْقَلْعَةِ ، وَطَارَ الْأَتْرَاكِ وَمَزِيدُهُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَدَخَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمَعْرُّ الدَّوْلَةِ إِلَى مَدِينَةِ الشَّامِ ، وَاسْتَقَرَّ عَلَى سِرِيرِ الْمَمْلُوكَةِ ، بَعْدَ أَنْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ ذَلِكَ .

فَقَوْلُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي (الْأَبْدِيُّ بِلَا انْتِهَاءِ) وَقَوْلُهُ (الدَّائِمِ لَا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ) وَقَوْلُهُ (لَا تُخْلِقُهُ الْعَصُورُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الدَّهُورُ) وَقَوْلُهُ (لَا تُزَاجِمُهُ مَنَاقِبُ الْقُرْنَاءِ ، وَلَا تُحَازِيهِ أَقْدَامُ النُّظَرَاءِ) وَقَوْلُهُ (الصَّمْدُ الَّذِي لَا كِفَاءَ لَهُ ،

(١) المثل السائر ٣/١٠٨ .

(٢) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٧٧ أن الأتراك التفوا حول أمير

يقال له الفتكين .

والفدّ الذي لا توأم له) وقوله (الحى الذي لا تخترمه منون ، والقيوم الذى لا تشغله
الشئون) وقوله (القدير الذى لا تنوذه المعضلات ، والخبير الذى لا تعييه المشكلات)
كل ذلك إشارة إلى أن الملوك ليس إلا لله تعالى ، وأن ملك البشر لاحقيقة له ،
لسرعة زواله وانقضائه ، وأن كل أحد من ملوك الأرض وإن عظم شأنه وقهر
الملوك سلطانهُ يزول سريعاً ، وينقضى وشيكاً ، فمؤلاء الملوك الذين طحهم الدهر
بكلـكـله فى هذه الواقعة فإن منهم من مات كالمطيع لله ، وسبكتكين وهما خليفة
وملكٌ مانا فى الطريق قبل الواقعة ، ومنهم من قرّ ولاذ بالمعاقل ، وتحصن
خوفاً على نفسه كالطائع ، ومنهم من حملة الرعبُ على أن صار رعيةً وسوقاً
تحت أيدي ملوكٍ آخرٍ كالفتككين ، فإنه لم يبن وجهه إلا بمصر ، وصار من
جملة رعية العزيز زارين معدّ صاحبها ، ومنهم من تشرّد فى البلاد ، وفارق
الأموال والأولاد ، كالأتراك ، فجميع ما أوما إليه الصّابى ملائمٌ للواقعة التى
كتب هذا الكتاب فيها ، وغير خارجٍ عن مقصدها ومغزاها .

والمعجّبُ قولهُ ينبغى أن تكون هذه التحميدةُ فى صدر كتابٍ من أصول
الدين كالشامل للجوينى والاختصار للغزالي ، وأين الاختصار من الشامل حتى
يجمّع بينهما فى التمثيل ، والاختصار مقدمةٌ فى نحو خمسة كراريس ، والشامل
كتاب كبير فى أكثر من خمسة مجلدات ؟ .

وهذا مثل أن يقال : هذا ينبغى أن يكون فى كتاب فقهى كالبُغية لأبى
إسحاق الشيرازى أو الحاوى للماوردى ، ومثل أن يقال : هذا ينبغى أن يكون
فى كتاب نحوى كاللمع لابن جنيّ أو شرح سيبويه للسّيرافى ، ومثل أن يقال :

هذا ينبغي أن يكون في كتاب لغوى كالفصيح لثعلب أو تهذيب اللغة للأزهري، وكان الواجب حيث ذكر الشامل أن يذكر ما يناسبه كالهداية لابن الباقلي .
وإذ ذكر الافتصار ضم إليه ما يجرى مجراه كالإرشاد للجويني ، وهذا يدل على أنه قد سمع بهذين السكتابين سماعاً ولم يرهما عياناً .

- ١٣٢ -

قال المصنف : فأما للطابقة فهى اصطلاح أهل هذه الصناعة على أنها الجمع بين الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض .

قال : ولا أعلم من أى شىء اشتقوا هذا الاسم ، ولا وجعة مناسبة بينه وبين مُسمَّاه ، ولما لم يقد عاموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ^(١) .

أقول : الطَّبِقُ فى اللغة المشقة قال الله سبحانه : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) ^(٢) أى مشقة بعد مشقة ، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقاً بل متعذراً ، ومن عادتهم أن تعطى الألفاظ حكم الحقائق فى نفسها توشعاً سموها كل كلام يُجمع فيه بين الضدين مطابقةً .

- ١٣٣ -

قال المصنف : فأما ترتيب التفسير فنقل قوله تعالى : (وجعلنا آية النهار مبصرة) فقدّم الليل ثانياً لما قدّمه أولاً ^(٣) ، وقوله تعالى : (فمنهم شقي وسعيدٌ ،

(١) الليل السائر ١٤٣/٣ .

(٢) سورة الانشقاق ١٩ .

(٣) [وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فجعلنا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة]

سورة الإسراء ١٢ .

فأما الذين شَقُوا فِي النَّارِ ، فابتدأ بتفصيل أحوال الأشقياء ، لأنه ابتداء
بذكرهم أولاً .

قال : ومن ذلك قول أبي تمام :

وكان لهم غيباً وعاماً فمقدمٌ فيسأله أو باحث فيسأله

وقول علي بن جبلة :

قَتَى وَقَفَ الْأَيَّامَ بِالشُّحْطِ وَالرِّضَا

عَلَى بَدَلِ عُرْفٍ أَوْ عَلَى حَدِّ مُنْصَلٍ^(١)

أقول : إنه سها في إدخال بيت علي بن جبلة في جملة هذه الأمثلة ، لأن
الشاعر لما فسَّرَ قَدَّمَ بَدَلِ العُرْفِ وهو المراد بالرضا وآخر حَدِّ المُنْصَلِ ، وهو
المراد بالشحط ، وهما في صدر البيت على خلاف هذا الترتيب ، ولكن هذا
نظير قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمُ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ^(٢)) . .

قال المصنف : وفيما يُؤخَذُ عَلِيُّ الأَعشى قوله .

وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيَجِ الفُرَا تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عَوْنِهِ إِذَا مَامَسَاؤُهُمْ لَمْ تَعْنِمُ

(١) للثل السائر ٣/ ١٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

قال : فمدح ملكا بالجود بالماعون ، والماعون كل ما يستعار من قدوم
أو قصمةٍ أو قديرٍ وما أشبه ذلك ، ومدحُ الملوك بل السوقةِ بذلك قبيحٌ^(١) .
أقول : إن الماعون هنا هو الصدقة ، ذكر ذلك علماء التفسير ، وأنشدوا
بيت الراعي .

قومٌ على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيعوا التهليلا^(٢)
وقال صاحب ديوان الأدب : الماعون الزكاة ، وقال أبو عبيدة : الماعون
المنافع كلها .

(٣) للثل السائر ١٢٩/٣ .

(٤) الراعي هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، سمي راعي الإبل لكثرة
وصفه لها . طبقات الشراء لابن سلام ٢٥٠ ، ٤٣٤ .
والبيت من قصيدته في مدح عبد الملك بن مروان وشكواه من عمال الصدقات ومن
الخوارج ، ومطلعها :

ما بال دفك بالفراش مذبلا أقذى بعينك ام أردت رحبلا ؟
الدف : الجنب . مذبل : قلق غير مستقر .
والقصيدة كلها في جمرة أشعار العرب ٣٥٣ وفي خزانة الأدب للبغدادي ٣٠٣/٢
كثير من أبياتها .

وقبل البيت الذي استشهد به ابن أبي الحديد قوله :
أخليفة الرحمن إن عشرين أمسى سوامهم عرين فلولا
أى أن فقر هشيرته وسوء حالها تمثل في أن ماشيتهم صارت عارية من الأحمال والرجال
ومتفرقة مبعثرة ، ويصح أن تكون الكلمة (هزين) جمع عزة وهي الفرقة والجماعة .

والبيت في اللسان مادة هال وفي تفسير الطبري وتفسير الزمخشري في سورة الماعون هكذا :
قومى على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيعوا التهليلا
وفي اللسان مادة ممن وفي خزانة الأدب ٣٠٤/٢ :

قوم على التنزيل لما يمنعوا ما عونهم ويبدلوا التنزيلا
وفي جمرة أشعار العرب :

قوم على الإسلام لما يتركوا ما عونهم ويضيعوا التهليلا
وأما الماعون فقد ذكر المفسرون واللفزيون أن معناه المال أو الزكاة المفروضة أو الطاعة
والزكاة أو ما يستعان به ويستعار كالفأس والقدر ، وذكروا أن المراد بالتهليل
التوحيد ورفع الصوت بالشهادتين .

قال المصنف : وقد وقعت على كلام لابي إسحاق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر ، ثم ذكر الفصل وهو منثور ، وسيأتي في حكاية اعتراضه ، وقال في آخر حكايته : وقد عجبتُ من ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان ، كيف يصدر عنه مثلُ هذا القول الناكب عن الصواب ، الذى هو في باب ونصى ^(١) النظر في باب ، اللهم غفراً .

قال : أما قوله إن خير المترسل ما وضح معناه ، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنت ألفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد ماطلة منه ، فإن هذه دعوى لا مستند لها ، بل الأحسن في الأمرين معاً هو الوضوح والبيان ، فإن احتج أبو إسحاق بما قد ذكره في نصره ذلك من قوله إن الشعر بُنى على حدود مقررة ، وأوزان مقدرة ، وفصلت أبياته ، فكان كل بيت منها قائماً بذاته ، فليس يحتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمين ، وهو عبثٌ ، فلما كان النفس لا يمتد في البيت الواحد بالنثر من مقدار عروضة وضربه وكلاهما قليل ، احتيج إلى أن يكون الفضل في المعنى ، واعتمد أن يلطف ويدق ، والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتفصل إلا فصولاً طويلاً ، وهو موضوع وضع ما يثر على أسماع شيء من خاصة ورعية وذوى أفهام ذكية ، وأفهام غبية ، فإذا كان سهلاً

(١) نصى النظر : لعلمها من نصى الرجل الثوب إذا كشفه .

ساع فيها وقرب ، فجميع ما يُستحبُّ في الأول يكره في الثانى حتى إن النضمين عيبٌ في الشعر ، وفضيلةٌ في الترسل ، فإن هذا الذى ذكره أبو إسحاق ليس بجواب .

وهَبُ أن الشعر كان كل بيت منه قائماً بذاته فلم كان مع ذلك غامضاً؟
وهَبُ أن الكلام المنثور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً؟
ثم سلمت إليه هذا فإذا يقول في الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيتٍ من الشعر (١).

أقول: إن من أظرف الأشياء أنك تحكى جواب أبي إسحاق من أوله إلى آخره ، ثم تعيد السؤال الأول بعينه الذى قد حكى جوابه ، وذلك أن أبا إسحاق قد سأل نفسه فقال : ولم صار الأحسنُ في الشعر الغموضَ وفي الرسائل الوضوحَ ؟ وأجاب عنه بما قد ذكره ، ومن يحكى ذلك الجواب لا يحسنُ له أن يقول في الاعتراض عليه : وهَبُ أن الشعر كان كل بيت قائماً بذاته ، فلم كان مع ذلك غامضاً؟ وهَبُ أن الكلام المنثور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً؟

وذلك أن الجواب قد أتى على الفرق بين الموضعين ، ونحن نعيده فنقول إن البيت الشعرى لما كان محجوراً على الشاعر أن يزيد فيه أو ينقص منه أو يُلحق به بيتاً آخر فيحصل أحدهما مرتبطين بصاحبه بخلاف الرسائل ،

(١) ملخص من المثل السائر ٦/٤ .

فكان المعنى قد يساوى ألفاظ البيت تارةً ، ويزيد عليها تارةً ، وينقص عنها أخرى ، فكان الأحسن أن يزيد المعنى ، لأن اللفظ الحسن بغير معنى كأمراً مينة حسنة الصورة .

وكلما كانت معانى الكلام أكثر ، ومدلولات ألفاظه أتمَّ كان أحسن ، ولهذا قيل خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ، فإذا كان أصل الحسنى معلولاً لأصل الدلالة .

وحينئذ يتم إشباع الجملة ، لأن المعانى إذا كثرت ، وكانت الألفاظ تفي بالتعبير عنها احتياج بالضرورة إلى أن يكون الشعر يتضمن ضرباً من الإشارة وأنواعاً من الإيماءات والتنبيهات ، فكان فيه غوضٌ ، كما قال البحرى :

والشعر لمحٌ تكفى إشارته وليس بالهذرٍ طوّلت خطبه (١)

ولسنا نغنى بالغموض أن يكون كأشكال إقليدس والجسطى والكلام فى الجزء ، بل أن يكون بحيث إذا ورد على الأذهان بلغت منه معانى غير مُبتذلة ، وحكا غير مطروقة ، فلا يجوز أن يكون الشعر الذى يتضمن الحكم ليس بالأحسن ، فثبت أن الشعر الذى يتضمن الحكم هو أحسن الشعر ، ومعلوم أن

(١) يقول قبل هذا البيت :

كفتمونا حدود منطقكم والشعر يفتى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلمح بالنطق ما نوعه وما سيبه
من قصيدته التى ردّها على عبيد الله بن عبد الله (ولمه ابن طاهر) التى مطلعها :
لا الدهر مستنفذ ولا عجيبه تسومنا الغضب كله نوبه
نال الرضا ماح وممتدح فقل لهذا الأمير ما غضبه ؟
الديوان ١٣٢/١ .

أحسن الشعر الذى يتضمن الحكم هو المعنوى كشعر أبى تمام ومن أخذ إخذه ،
فذلك القدر من المعنى هو لذى يعنيه أبو إسحاق بالعموض لا غير .

فأما قوله : فماذا تقول فى الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيت
من الشعر ؟ نجوابه أن السجع ليس شرطا فى المنشور فقد تكون الرسائل
غير مسجوعة ، ولا يمكن أن يكون الشعر إلا وزنا محدودا .

وبعد فالرسائل المسجوعة لا يلزم فيها ما ذكرناه فى الشعر ، لأن الفقرة
الواحدة قد يطيلها الكاتب ، وقد يقصرها ، وقد يأتى بفقرتين طويلتين ،
ثم يأتى بعدها باثنتين قصيرتين ، ثم يأتى بعد ذلك بفقرتين إحداهما قصيرة
والأخرى طويلة ، فهو يضرب يمينا وشمالا ، ويمد نفسه تارة ويقصره أخرى ،
وليس كذلك القصيدة ، فإن صاحبها عند ابتدائها يلتزم عروضا واجدة ،
ولو زاد فيها حرفا واحدا أو نقصه لكان شعره فاسدا ، فأين أحد النوعين
من الآخر ؟

قال المصنف : قال أبو إسحاق : والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء
إنما أغراضهم التى يرّمون إليها وصف الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء
والأوطان ، والنشيب النساء ، والطلب والاستدعاء والمدح والهجاء ،
فأما الكتّاب فإنما يترسلون فى سداد نفي ، أو إصلاح فساد ، أو تحريض
على جهاد ، واحتجاج على فئة ، أو مجادلة لملّة ، أو دعاء لألفة ، أو نهى

عن فرقةٍ ، أو تهنئةٍ بعبطية ، أو تعزية . قال : وهذا من أبى إسحاق تحكّم
محض لا يستند إلى شبهة فضلا عن بيّنة .

وأى فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام ؟ وكما يصف الشاعر الآنارَ
والديارَ ويحنُّ إلى الأهواء والأوطانِ ، فكذلك يكتب الكاتب في الاشتياق
إلى الأوطان ، ومنازل الإخوان والأحباب ، ولهذا كانت الكتب الإخوانيات
بمنزلة الغزل والنشيب من الشعر ، وكما يكتب الكاتب في إصلاح فساد
أو سداد ثغرٍ أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة أو تعزية فكذلك
الشاعر . فإن نَدَّتْ عن الصائبِ قصائد الشعراء في أمثال هذه المعاني فكيف
خَفِيَ عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

حسم الصلح ما اشتبهته الأعدى

وقصيدة البحترى التي يذكر فيها غزو البحر ، ومطلعها :

ألم ترَ تغليسَ الربيعِ المبكرِ

والقصائد التي تجرى على هذا المجرى^(١) كثيرة .

أقول : السؤال في هذا المقام قد يقع عن أمرين أحدهما أن يقال ما الفرق بين
الشعر والكتابة ؟ والثاني أن يقال لم كانت منزلة الشاعر دون منزلة الكاتب ؟
وأحد هذين السؤالين غير الثاني ، وكلام أبى إسحاق هو في السؤال الثاني ،
لأنه هكذا قال : إنما كانت حقيقة الشاعر دون الكاتب لكذا وكذا ، وهذا
جواب صحيح .

(١) ماخض من المثل السائر ٧/٤ .

أما أولاً فإنه بنى الشعر على الاجتداء والطلب حتى إن امرأ القيس وهو الملك ابن الملك اجتدى سعد بن الضباب بالشعر ، وقد كان ابن المنصور الخليفة ابن الخلائف يجتدى بالشعر من عبيد الله بن سليمان بن وهب ومن ولده القاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد والمكثفي ، فان لم يكن يجتدى مالا فإنه كان يجتدى جاها .

ولم تبين الكتابة على هذا ، ولا عرفت بهذا .

وأما ثانياً فلأن المراد من الكتابة ومقصدها الذي وُضِعَتْ لأجله ما ذكره أبو إسحاق من سداد الثغور ، وإصلاح الأمور ، والدعاء إلى الألفة ، والنهي عن الفرقة ، والاستعداد لحرب ، والإعلام بفتح ، ولم يوضع الشعر لذلك .

ألا ترى أننا رأينا ولا سمعنا ملكاً كتب إلى ملك آخر في إصلاح فساد ، أو استمداد على عدو ، أو إعلام بفتح قصيدة من الشعر ، وإنما كتب الرسائل ؟

وأما القصائد التي ذكرها هذا الرجل لأبي تمام وأبي عباد وأبي الطيب فإننا لم ننف كونه الشعر قد يشتمل على ذلك ، ولكننا قلنا إنه ليس هو الغرض الأصلي الذي وُضِعَ الشعر له ولا يكون أصلاً فيه بل عارضا وطارئا ، والرسائل بخلاف ذلك ، لأن هذا المعنى هو الغرض الأصلي فيها .

وكذلك نجد هذا الفن في الديوان الذي حجمه عشرون كراساً في قصيدة

أو قصيدتين ، ونجده في الرسائل التي حجمها عشرون كراساً في خمسة عشر

كراساً

ونحن فما غرضنا إلا الفرق بين مقصدي النوعين ، وقد اتضح .

فأما قوله قد يكتب كاتب الإخوانيات ، ويذكر فيها الحنين والشوق ،
فهى فى المنشور كالنسيب فى المنظوم ، فيقال له إن القصائد التى وضعت للمدح
يستحب أن يكون أولها نسيباً وغزلاً ، وهكذا وجدنا كتاباً فى فتح أو استنجد
أو تعريض أو تحذيل فى صدره رسالة إخوانية تتضمن الحنين والبكاء ، وذكر
الآثار والديار ، فيمكنى أبا إسحاق فى الفرق بينهما هذا القدر فقط ، فإن ذلك
من أدل الدلائل على أن الشعر فى الأصل موضوع لهذا المعنى ، والاجتداء
والطلب ، فذلك لم يحتج أحدها للآخر ، وجعل منه الرسائل بخلاف ذلك .

— ١٣٧ —

قال المصنف : فهذه الفروق كلها ضعيفة ، والذى عندى أن الفرق بين
النوعين من ثلاثة أوجه :

أحدها أن هذا منظوم ، وذلك منشور ، والآخر أن من الألفاظ ألفاظاً
لا يحسن استعمالها فى الكتابة ويحسن فى الشعر ، كبعض الألفاظ العربية .
والثالث أن الشاعر إذا أطال فى شرح معان متعددة واحتاج أن يأتى بمائتى
بيت أو أكثر فإنه لا يحتذى فى الجميع ، بل فى الأول ، والكاتب لا يأتى من
ذلك جميعه^(١) .

أقول : قد بينا أن إسحاق الصابى لم يتعرض لبيان الفرق بين الكتابة

(١) ملخص من المثل السائر ١٠/٤ .

والشعر من حيث هما كتابةٌ وشعرٌ، وإنما تكلم عن العِلَّةِ التي كانت لأجلها مرتبة الكتاب أعلى من مرتبة الشاعر، فأما الفروقُ بين الكتابة والشعر فهي كثيرة، وليست مقصورة على هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها هذا الرجل . فإن من جملة الفروق أن للشاعر أن يُطْرِى نفسه ويَمْدَحُها في شعره، وليس ذلك للكاتب .

ومنها أن للشاعر أن يبالغ ويُوغِلَ حتى يَدْخُلَ في الإحالة، وليس ذلك للكاتب .

ومنها أن الشعر يَحْسُنُ فيه الكذبُ ولا يستحسن في الكتابة . ومنها أن الشاعر يخاطبُ الملك بالكاف كما يخاطب السوقة، ويدعوه باسمه، وينسبه إلى أمه، وليس ذلك للكاتب .

والفروق بين الشعر والكتابة كثيرة، وإنما نبهنا على بعضها إبطالا لقوله إن الفروقَ هذه الثلاثةُ فقط .

فهذا ما سنَح لي بأدنى النظر من الاعتراضِ على هذا الكتاب، وقد اعترضتُ على مواضع كثيرةٍ منه للقول فيها مجالٌ فلم أذكرها إيثاراً للايجاز، رمواضَ يَرَجِيعُ كلامُه فيها إلى الجدلِ وتخصُّصِ العِنَادِ، لا في المعنى، فكان الاشتغالُ بها والبحثُ فيها تضييعاً للوقت من غير فائدة .

ورأيت أن يَمِّمَ الكتابُ هاهنا حامداً الله، ومُصَلِّياً على خير خَلْقِهِ

﴿ محمد النبي الأُمي صلواتُ الله عليه وسلامُه ﴾

« الفهارس العامة »

« للفلك الدائر على المثل السائر »

فهرس الشعراء

ابن الرقاع (عدى) ج ٣ ص ٢٠٢

ابن الروى = أبو الحسن على بن
العباس الروى .

ابن الروى ج ١ ص ٩٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

١٤٨ ، ١٦٥ ، ج ٢ ص ١٤١ ، ٢٩٩ ،

ج ٣ ص ١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠

ابن الزقاق الأندلسى ٣٥٧

ابن الزمكرم الموصلى ج ٣ ص ١٣٥

ابن السراج ج ٢ ص ١٦

ابن عبد الله بن عبيدة ج ٢ ص ٢٧٠

ابن قسيم = مسلم بن الخضر الحموى

التنوخى .

ابن قلاص = أبو الفتوح نصر بن

عبد الله بن قلاص .

ابن قيس بن زهير = المساور بن

هند .

ابن مسهر ج ٢ ص ١٦

(١)

ابراهيم بن العباس ج ٣ ص ١٧٥

ابن بابك = أبو القاسم عبد الصمد

ابن بابك .

ابن جعفر = على بن عبد الله بن

جعفر .

ابن جعفر ج ٣ ص ٢٤٥

ابن الحجاج البغدادى = أبو عبد الله

الحسن بن أحمد بن الحجاج .

ابن الحجاج البغدادى ج ٣ ص ١٣٧

ابن حمديس = ابن محمد عبد الجبار

ابن أبى بكر بن محمد بن حمديس .

ابن حمديس الصقلى ج ٢ ص ٩٤ ، ٣٢

ابن الخياط = أحمد بن محمد بن

على بن صدقة .

ابن الخياط ج ٣ ص ٢٢٤ ،

٢٢٥

ابن هريد ج ٢ ص ٣٢٨

٤٠٧ ، ٤٠٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨
٧٤ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ج ٢ ص ٤٤ ،
٥٨ ، ٣٦ ، ٢٤ ، ٢٢ ، ٨
٨٧ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٦١
١٣٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١٠١
١٣٨ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٣١
١٥٢ ، ١٥٠ ، ١٤٤ ، ١٤٣
١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣
٢٧٠ ، ١٧٨ ، ١٦٦ ، ١٦٤
٢٩٩ ، ١٨٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧١
٣٥١ ، ٣٤٨ ، ٣٢٣ ، ٣١٠
٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ج ٣ ص ١٠ ،
٢٨ ، ٢٠ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥
٦٧ ، ٤٧ ، ٤٥ ، ٣٨ ، ٣٥
١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٩ ، ٨٣
١٤٧ ، ١٢٢ ، ١١٨ ، ١٠٤
١٧٦ ، ١٦٩ ، ١٦١ ، ١٥٦
٢١٢ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٧٥
٢٣٤ ، ٢٢٠ ، ٢١٤ ، ٢١٣
٢٣٥ ، ٢٣٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥
٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦

ابن المعتز = أبو العباس عبد الله بن

المعتز بالله الخليفة العباسي .

ابن المعتز بن غيلان ج ٣ ص ٢٥١

ابن نباتة السعدي ج ٣ ص ٢٠٦ ،

٢٥٦ ، ٢٩٢

ابن هانيء المغربي ٢٥٣

أبو الأسود الدؤلي ج ٣ ص ٢٦٢

أبو أمامة زياد بن معاوية : النابغة

الذبياني : ج ٢ ص ١٥

أبو بكر = محمد بن أحمد بن حمدان

الخباز البلدي .

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين

الأرجاني ج ٩ ص ٤٠٤

أبو تمام حبيب بن أوس ج ١ ص ٩٨ ،

١٠٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ،

٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،

٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ،

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ،

١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ،
١٥٧ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ،
٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٨٢ ،
٣٩١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،
٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،
٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ،
٤١٤ ، ج ٢ ص ٤ ، ٩ ، ١٠ ،
١١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٦١ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ،
١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ،
٢٩٨ ، ٢٥٧ ، ج ٣ ص ٣ ، ٢١ ،
٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٦١ ،
٦٨ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ،
٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ،
٢٩٠ ، ج ٤ ص ٦ ، ٩ ، ١٠ ،

أبو الحسن علي بن العباس الرومي

ج ٢ ص ٢٤ ، ١٢٥ ،

أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي

ج ١ ص ١٥٦ ، ج ٢ ص ١٠٩ ،

أبو زهير = تأبط شرا .

أبو سعيد الضرير ج ١ ص ٣٥٨

أبو السمط مروان بن أبي الجنوب =

مروان الأصغر .

أبو الشغب العيسى ج ١ ص ١٦٦

أبو الشيعس ج ٣ ص ٢٤٥

أبو صخر الهذلي ج ١ ص ٢٥٥ ،

٢٥٦ ، ٢٥٦

أبو الطيب المتنبي ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ،

ج ١ ص ٣٤٧، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧١،
٢٧٣، ج ٣ ص ٢١٥، ٢٥٦،
أبو العلاء محمد بن غانم الفانمي ج ٣
ص ٤٩، ١٢٨
أبو العميثل ج ١ ص ٣٥٨
أبو الفتوح نصر بن عبد الله بن
قلاقس ج ٢ ص ٣١
أبو فراس = الفرزدق .
أبو فراس همام بن غالب التميمي
الدارمي ج ٢ ص ١١٩
أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد
ابن صيفي التميمي ج ٢ ص ١٦٣
أبو القاسم عبد الصمد بن بابك
ج ١ ص ٤٠٧
أبو كرام التميمي ج ٢ ص ٢٥٣
أبو الجعد = مسلم بن الخضر بن مسلم
بن قسيم الحموي التنوخي .
أبو محجن الثقفي = أبو محجن بن
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
ج ٢ ص ٣٢٨

٢١٣، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢١،
٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،
٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤١،
٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥،
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤،
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٣،
٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨،
٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤،
٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧،
٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١،
٢٩٢، ج ٤ ص ٤، ١١
أبو عبادة البحري ج ١ ص ١١٨،
١٢٢، ج ٢ ص ٢١٤، ٣٢٧،
٣٥٩، ج ٣ ص ٢١٩، ٢٢٦،
أبو العباس بن المعتز بالله الخليفة
العباسي ج ٢ ص ١٢٣
أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن
الحجاج ج ١ ص ٣٣٩
أبو القتاهية ج ١ ص ١٦٤، ٢٥٠،
٢٥١، ٢٨٣، ج ٣ ص ٢٦٠
أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان
المعري

١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ،

٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ج ٤ من ٣

أبو يعقوب = إسحاق بن حسان .

الأبيوردى = أبو المظفر محمد بن
أبي العباس أحمد .

أحمد بن عبد الله بن سليمان المرعي
= أبو العلاء المرعي .

أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التلملي
المعروف بابن الخياط ج ٣

ص ٢٢٣

الأحوص ج ٣ ص ٢٦

الأخطل ج ٢ ص ١٢٠ ، ٣١١ ،

ج ٣ ص ٩٨ ، ١٠١ ، ٢٦٢ ،

٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

أبو محمد (شاعر الرشيد) ج ٣ ص

١٠٦

أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن

محمد بن حمديس ج ٢ ص ١٤

أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد

الأبيوردى ج ٢ ص ٦

أبو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة

السعدى ج ٣ ص ٢٥٦

أبونواس ج ١ ص ١٧ ، ١٠٢ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ،

١٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ،

٣٤٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،

٣٧٦ ، ٣٩٠ ، ج ٢ ص ٤ ،

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٧٢ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،

٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٣٤٦ ،

٣٤٧ ، ج ٣ ص ٢٤ ، ٦٦ ،

٦٩ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،

امرؤ القيس ج ١ ص ١٠٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ج ٢

ص ٦٢ ، ٦٣ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٥٩ ،

٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ج ٣

ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٩ ،

٥٠ ، ٥٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٦٥ ،

١٦٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٧٤

أمية بن أبي الصلت ج ٢ ص ٣٣٢

ج ٣ ص ٢٤٦

أوس بن حجر ج ١ ص ٣٩٧

(ب)

البحترى (أبو عبادة) ج ١ ص ٩٨

١١١ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،

٢٢٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،

٤١٣ ، ج ٢ ص ٤ ، ٨ ، ٩ ،

٦١ ، ٧٨ ، ١٠٤ ، ١١٧ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

الأخنس بن شهاب ج ٣ ص ٢٤٩

الأخيطل (الأخطل) ج ٣ ص ٢٧٩

الأرجاني = أبو بكر أحمد بن محمد

ابن الحسين الأرجاني .

الأرجاني (القاضي) ج ٣ ص ١٧٦

إسحاق بن حسان ج ٢ ص ٣٠٧

الأشتر النخعي ج ٢ ص ٢١٢

أشجع بن عمرو السلمى ج ١ ص ٣٩٤

ج ٣ ص ١٠٠

الأضبط بن قريع ج ١ ص ٣٥٦

الأعرج ج ١ ص ٢١٢ ، ج ٣ ص ٢٣

الأعشى ج ٢ ص ١٦٧ ، ٣٤٢ ،

٣٤٣ ، ج ٣ ص ٣٤ ، ١٧٩ ،

١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٤

أعشى قيس = ميمون بن قيس بن

جندل بن وائل .

الأفوه الأودي ج ٣ ص ٢٨٢

الأقطع = خلف بن خليفة .

الأقيشر الأسدي ج ٣ ص ٦٨ ، ٨٤

أم النخيف ج ٣ ص ١٥٢

بكر بن النطاح ج ٢ ص ١٤٣

(ت)

تأبط شرا ج ١ ص ٢٢٥، ٢٣٦،

٢٦٣، ج ٢ ص ١٨٧

(ج)

جحظة ج ٣ ص ٢٠٣

جرير ج ١ ص ٣٨٥، ٣٩١، ج ٢ ص

١١٩، ١٢٠، ١٣٢، ٣٠٥، ٣١١،

٣١٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ج ٣

ص ٢٠، ٤٤، ٩٥، ١٤٦،

١٨٢، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٣٠،

٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٢،

٢٤٩، ٢٥٢، ٢٧١، ٢٧٤،

١٧٥، ١٨٦، ٢٧٩، ٢٨٠،

٢٨١

جميل (بئينة) ج ٣ ص ١٦٩

(ح)

حاتم طي ج ٢ ص ١٩٦، ٢٩٧

الحارث بن خالد الخزومي ج ٢

ص ٦٠

الحافظ ج ٢ ص ٣١

حبیب بن أوس = أبو تمام

١٥٠، ١٦١، ٢٠٦، ٢٤٨،

٢٥٤، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٥،

٣٠٧، ٣٠٢، ج ٣ ص ١٥،

١٦٦، ٣٩٤، ٤٠٠، ٩٩، ١٠١،

١٢٦، ١٤١، ١٤٩، ١٧٠،

١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ١٨٤،

١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٧،

٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٣٥،

٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧،

٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥،

٢٥٧، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٢،

٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠،

٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨،

٢٨٩، ٢٩٠، ج ٤ ص ١٠

بشار بن برد ج ١ ص ٢٥١، ج ٣ ص

١٩١، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٧٢،

بشر ٢٣٧

بشر بن عوانة ج ٣ ص ٢٨٤

البعيث التغلبي ج ٢ ص ٣٠٥،

٣٤٤، ج ٣ ص ٢٣٨، ٢٢٥،

٢٧٦، ٢٧٩

البعيث بن حريث بن جابر ج ٢

ص ٣٠٥

دعبل بن علي بن رزين ج ١ ص
٤١٢، ٤١١
ديك الجن الحمصي = عبد السلام
ابن رغبان.

(ذ)

ذوالرمة ج ١ ص ٣٦٤، ج ٢ ص ١٥٩،
ج ٣ ص ٩٨، ٩٩، ١٥٤،
١٧١، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩،
٢١٠، ج ٤ ص ٣
ذو الرمة = غيلان بن عقبة بن
هنس .

(ر)

الراعي النميري ج ٣ ص ٧٨، ٩٥،
٢٥٢
ربيعة بن ذؤابة ج ١ ص ٣٨٠
ربيعة بن عامر ج ٢ ص ٩٩
ربيعة بن مقروم الضبي ج ١ ص ١٢٩
زاهر = أبو كرام التيمي .

(ز)

زهير بن أبي سلمى ج ١ ص ٣٩٦،
٣٩٧، ج ٣ ص ٤٧، ٢٧٤
سالم بن داره ج ٣ ص ٩٥
سالم بن وابصة ج ٣ ص ١٧٨
سالم بن عبد بن الحسحاس ج ١ ص ١٤٧

(س)

سالم بن داره ج ٣ ص ٩٥
سالم بن وابصة ج ٣ ص ١٧٨
سالم بن عبد بن الحسحاس ج ١ ص ١٤٧

حجر بن حية العبسي ج ١ ص ٣٧٠
حريث بن جابر ج ٢ ص ٣٠٥
الحريري ج ١ ص ٤٠١، ج ٣ ص ٢١٧
الحزين الكفائي = عمرو بن عبيد
ابن وهب .

حسان بن ثابت ج ٣ ص ١٨٦،
٢٤٠

الحسين بن الضحاك ج ٣ ص ٢٣٣
الحسين بن مطير ج ٢ ص ١٤٨
الحيص بيص = أبو الفوارس سعد
ابن محمد بن سعد التيمي

الخطيئة ج ٣ ص ٣٦، ج ٤ ص ٣
حيان بن ربيعة ج ٣ ص ١٩٨

(خ)

خالد بن فضلة ج ٣ ص ٢٠٣
الخليز البلدي = بوبدر محمد بن
أحمد بن حمدان .

الخريمي = إسحاق بن حسان .
خلف بن خليفة ج ٣ ص ٢٠

الخلفاء ج ١ ص ٣٦٠، ج ٢ ص ١٨٦

(د)

دريد بن الصمة ج ٢ ص ٢٠٧
دعبل الخزازي ج ٣ ص ٢٤٥

ابن جنيد بن وائل .

(ط)

الطاهر الجزري ج ٣ ص ١٣٥

طرفة بن العبد البكري ج ١ ص

٣٧٠ ، ج ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٧١

الطرماح ج ٣ ص ٩٥ ، ٢٣٤

(ع)

العباس بن الأحنف ج ١ ص ٢٤٨ ،

ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ،

ج ٣ ص ١٧٠

عبد الله بن المعتز ج ١ ص ٣٤٢ ، ٢

ص ١٦١ ، ج ٣ ص ١٤٤

عبد الرحمن بن حستان، ج ٣ ص

٢٤٠

عبد السلام بن رغبان ج ١ ص ١٧٠ ،

٤٠٥ ، ج ٣ ص ٢٩١ ، ٢٣٩

عبد الصمد بن المعذل = ابن المعذل

عبيد بن الأبرص ج ١ ص ٣٤٠

العتابي ج ٣ ص ١٩٢

العجير السلولي = ابن عبد الله بن

عبيدة .

عدي بن زيد العبادي ج ٢ ص ٣٥٧

عروة بن أذينة ج ١ ص ٢٤٦

عروة بن الورد ج ٢ ص ٢٩٦ ، ج ٣

ص ٢٣٦

سُدَيْف ج ٣ ص ١٠٦

سميد بن عبد الرحمن ج ٣ ص ٢٤٠

السلامي ج ٣ ص ١٨٨

سلم بن عمرو الخاسر ج ٣ ص ٢٥٨

السموئل بن غريص بن عاهياء ج ٢

ص ٣٥٠

سوار بن المضرب ج ٣ ص ٤٥

(ش)

الشريف الرضي ج ١ ص ١٦٧ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٣٥٦ ، ج ٣ ص ٧٠ ،

٧١ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

ج ٤ ص ٤

الشريف الرضي = أبو الحسن محمد

بن الحسين الرضي .

الشماع (بن ضرار) ج ٤ ص ٣

الشميذر الخارثي ج ٣ ص ٧٤

شهاب الدين ، حيص بيص

= أبو الفوارس سعد بن محمد

ابن سعد بن صيفي التيمي .

(ص)

صالح بن عبد القدوس ج ١ ص ١٦٤

صريع الفواني = مسلم بن الوليد

الصمة بن عبد الله ج ١ ص ٣٨٤ ، ج ٢

ص ١٦٤

صناجة العرب = ميمون بن قيس

عمرو بن معد يكرب الزبيدي ج ۳

ص ۴۸

عمرو بن يثرب ج ۱ ص ۲۱۲

عنترة ج ۱ ص ۵۸ ، ۳۸۸ ، ج ۳ ص

۳۹ ، ۵۸ ، ۱۹۱ ، ۱۹۸ ، ۲۴۶

عويف القوافي ج ۱ ص ۳۹۰

عياش بن لهيعة ص ۲ ج ۱

(ع)

الغانمي = أبو العلاء محمد بن غانم .

غيلان بن عقبة بن بهنس ج ۲ ص

۱۵۹ ، ۱۶۱

(ف)

الفرزدق ج ۱ ص ۱ ، ۱ ، ۲۱۷ ، ۲۳۷ ،

۲۶۰ ، ۳۷۱ ، ۳۹۱ ، ۳۹۷ ،

۴۰۹ ، ج ۲ ص ۹۹ ، ۱۲۰ ،

۱۲۲ ، ۱۳۲ ، ۱۵۶ ، ۲۲۸ ،

۲۲۹ ، ۲۹۶ ، ۳۰۵ ، ۳۱۶ ،

۳۴۳ ، ۳۴۴ ، ج ۳ ص ۲۰ ،

۴۴ ، ۷۱ ، ۱۳۷ ، ۱۴۶ ،

۱۷۶ ، ۱۷۹ ، ۱۹۵ ، ۱۷ ،

۲۰۲ ، ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ،

۲۳۸ ، ۲۴۲ ، ۲۵۲ ، ۲۵۳ ،

۲۷۱ ، ۲۷۴ ، ۲۷۵ ، ۲۷۶ ،

عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

ج ۲ ص ۶۶

العكوك = علي بن جبلة .

علقمة بن عبدة ج ۲ ص ۳۳۱ ،

۳۳۲ ، ۳۹۶

علقمة الفحل = علقمة بن عبدة .

علي بن جبلة ج ۳ ص ۳۵۵ ، ج ۲ ص

۲۲ ، ۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۳۴۶ ، ج ۳

ص ۱۴۸ ، ۱۷۵ ، ۲۳۹ ،

۲۴۷

علي بن الجهم ج ۳ ص ۲۵۱

علي بن عبد الله بن جعفر ج ۳

ص ۲۴۴

عمارة اليميني ج ۳ ص ۲۲۴ ، ۲۲۵

عمر بن أبي ربيعة ج ۲ ص ۶۰ ،

ج ۳ ص ۶۰ ، ۲۴۶

عمرو بن أحمد الباهلي ج ۲ ص ۲۵۸

عمرو بن الإطناية ج ۲ ص ۱۶۶

عمرو بن سعد = المرقش الأكبر

عمرو بن عبيد بن وهب الحزين

الكناني ج ۳ ص ۱۹۵

(م)

المتنبى = أبو الطيب

المتوكل اللبني ج ٣ ص ٢٦٢

محمد بن أحمد بن حمدان الخباز البلدي

ج ٣ ص ١٤٠

محمد بن ظفر بن عمير (المقنع

الكندى) ج ٣ ص ٢٨ ، ١٥١

محمد بن عبد الله بن رزين ج ٣

ص ٢٤٥

محمد بن غانم المعروف بالفانمي ج ٣

ص ١٢٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩

محمد بن وهيب الحميري ٣٥٥

محمود بن الحسين المعروف بكشاجم

ج ١ ص ٤٠٢

المرقس الأكبر ج ٢ ص ٣٤٥

مرة بن مركان التميمي ج ١ ص ٣٩١

مروان الأصغر ج ٣ ص ٢٣

مروان الأكبر = مروان بن أي

حفصة ج ٣ ص ٢٣

المساور بن هند ج ٣ ص ٢٠

٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ج ٤

ص ٣

الفرزدق = أبو فراس هام بن غالب

التميمي الدارمي .

(ق)

قتيلة بن النضر ج ٣ ص ١٨١

قريط بن أنيف ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢ ص

٣٢١ ، ج ٣ ص ١٥١

القطامي ج ٣ ص ٩٩

قطري بن الفجاءة ج ١ ص ٣٩٩

قعنب بن أم صاحب ج ١ ص ١٥٨

قيس بن الخطيم ج ٣ ص ١٩٤

قيس بن ذريح ج ٣ ص ١٣٨

القيسراني ج ٣ ص ٢٥٦

(ك)

كثير عزة ج ١ ص ١٢٧ ، ج ٢ ص

٦٦ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،

٢٠٢

كشاجم = محمود بن الحسين

الكعيت ج ٣ ص ١٥٤

(ل)

ليبد بن الأعصم ج ١ ص ٢٠٦

ليبد بن ربيعة ج ٢ ص ١٤٢ ،

٣٣٢ ، ج ٣ ص ٢٠٣

(ن)

النايفة الذبياني ج ص ٢٥٩، ج ٢ ص

٥٩، ٢٩٦، ٣٤٢، ج ٣ ص

٤٧، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢،

٢٠٦، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢

النايفة الذبياني = أبو أمامة زياد بن

معاوية .

نصر بن سيار ج ٣ ص ٥٥، ٥٦

نصيب ج ٣ ص ٧٠، ١٥٤

(هـ)

الهذيل بن مشجعة البولاني ج ٣ ص

٣٨ .

(و)

الوأواء الدمشقي ج ٢ ص ٧٥

(ي)

يزيد بن الحكم الثقفي ج ٢ ص ٣١٦

يزيد بن الطثيرة ج ١ ص ٢٤٨، ج ٢

ص ٦٦

مسكين الدارمي = ربيعة بن عامر

مسلم بن الخضر بن مسلم بن قسيم

الحوي التنوخي ج ٣ ص ٢٥٩، ٢٦٠

مسلم بن الوليد ج ١ ص ١٤٦، ٢٥٠،

ج ٢ ص ٤، ٩، ٢١، ٧٩، ١٤٥،

ج ٣ ص ١٥٦، ٢٤٤، ٢٤٩،

٢٥١، ٢٨٢، ٢٨٣

المضرب = عقبة بن كعب بن زهير

ابن أبي سلمى .

المضرب السعدي ج ٢ ص ٤٥

مضرس بن ربيع ج ٢ ص ٢٤٦

المقنع السكندى = محمد بن ظفر

المخَّل اليشكري ج ٣ ص ٣٧، ٣٨

منصور النمرى ج ٣ ص ٢٤١

مهيار (الديلمي) ج ٣ ص ١٠٧، ١٠٨

ميمون بن قيس بن جنيد بن

وائل ، أعشى قيس ج ٢

ص ٥٩

فهرس الأعلام

ابن أبي الحسن بن عبد الملك بن
 صالح الهاشمي ج ٢ ص ١٢١
 ابن أبي دواد (أحمد) ج ٣ ص
 ٢٥٢، ٢٤١
 ابن أبي سعيد ج ٢ ص ١١٩
 ابن أبي عتيق ج ٣ ص ١٣٨، ١٣٩
 ابن أبي كبشة ج ٣ ص ١١٣، ١١٤
 ابن الأثير ٢١٣، ٢٩٥، ج ٢ ص
 ٧، ٢٥، ٦٠، ٦٧، ٧٢،
 ٨٨، ٨٩، ١٠٣، ١١١،
 ١١٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٥٨،
 ١٥٩، ٢١٦، ٢٤٧، ٣٠٩،
 ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٥٦
 ابن الأثير = ضياء الدين بن الأثير
 ابن إسحاق ج ٢ ص ٣٤١
 ابن الأعرابي ج ١ ص ٩١، ج ٣ ص
 ٣٥، ٢٧٣، ٢٧٤
 ابن الأعرابي = أبو عبد الله محمد
 ابن زياد .

(١)

آدم ج ١ ص ١٨٢، ١٩٦، ج ٢ ص
 ٢٠، ٢٣٨، ٢٦٣، ٣٧٠، ج ٣
 ص ١٣١
 الآمدي ج ٢ ص ٣٠٥
 الآمدي = أبو القاسم الحسن بن
 بشر الآمدي .
 إبراهيم عايد السلام ج ١ ص ٣٧٧،
 ج ٢ ص ٢٢٢، ٢٦٣، ٢٦٤،
 ج ٣ ص ٣٤، ١٢٩، ١٨٧،
 إبراهيم البندنجي ٣٧٥
 إبراهيم بن سيار النظام ج ٢ ص ١٣
 إبراهيم بن عبيد الله الحجبي ج ١ ص ١٤١
 إبراهيم بن المدبر ج ٢ ص ٧٨، ج
 ٣ ص ١٩٧
 إبراهيم الموصلي ١٦٧
 إبراهيم بن هشام الخزومي ج ١ ص ٣٩٧
 ج ٢ ص ٢٢٩
 أبرويز ج ٢ ص ١٠

ابن خزيمة = عمر بن الخطاب
ابن خريم ج ۲ ص ۳۰۷
ابن خلکان ج ۱ ص ۳۰
ابن دريد ج ۱ ص ۳۶
ابن دريد = أبو بكر محمد بن الحسن
ابن دريد الأزدي .
ابن الربيع ج ۱ ص ۳۴۶
ابن الزبير ج ۱ ص ۲۵۵ ، ج ۲ ص ۶۰
ابن زياد الكاتب البغدادي ج ۱ ص
۹ ، ۶۷ ، ۶۹
ابن السراج ج ۱ ص ۳۶
ابن السكيت ج ۲ ص ۳۷۶
ابن سلام الجعفي ج ۱ ص ۴۶ ، ج ۲
ص ۶۲ ، ۲۷۰ ، ۳۲۸
ابن سنان الخفاجي ج ۱ ص ۲۲۲ ،
۲۲۴ ، ۲۲۶ ، ۲۶۲ ، ۲۶۴ ، ۲۶۵ ،
۳۳۸ ، ج ۲ ص ۱۱۰ ، ۱۱۱ ،
۱۱۳ ، ۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ج ۳ ص
۳۵ ، ۵۰ ، ۵۷ ، ۹۶ ، ۲۱۴
ابن سنان الخفاجي = أبو محمد
عبد الله بن محمد بن سعيد .

ابن أفلح ج ۲ ص ۶۲ ، ۶۳
ابن الأنباري ج ۲ ص ۸۴
ابن بسطام ج ۳ ص ۱۲۷
ابن بويه = عز الدولة بن معز الدولة
أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي
ابن ثوبان ج ۲ ص ۱۴۰
ابن جنى ج ۲ ص ۸۴ ، ۱۰۷
ابن جنى = أبو الفتح .
ابن الجوابيقي = أبو منصور بن
أحمد البغدادي
ابن الجوزي ج ۲ ص ۳۱۵
ابن حذام ج ۲ ص ۶۲
ابن حرب = معاوية بن أبي سفيان
ابن الحريري = أبو محمد القاسم بن
علي بن محمد بن عثمان الحريري
ابن حمدون = محمد بن الحسن محمد
ابن علي .
ابن حمديس = أبو محمد عبد الجبار
ابن أبي بكر بن محمد بن حمديس
ابن حمديس الصقلي ج ۲ ص ۱۴
ابن حنبل (أحمد) ج ۳ ص ۷۸

ص ١٧، ٦٧، ٨١، ٢٥٩، ٣٢٨
ابن الكلبي ج ٢ ص ٢٩٦
ابن كوز ج ١ ص ٩١
ابن المزرع = يموت بن المزرع
ابن المستوفى ج ٣ ص ٣٥
ابن المسيب ج ٢ ص ١٤١
ابن المقفع = أبو محمد عبد الله .
ابن المقلد ج ٣ ص ١٣٥
ابن منذر ج ٣ ص ٢٢٣
ابن منظور ج ١ ص ٣٧١ ، ٣٧٥
ابن منقذ ج ٣ ص ٩٣
ابن منير ج ٣ ص ٢٥٩
ابن نباتة ج ١ ص ٢٣٨
ابن الهيثم = أبو الحسين محمد بن
الهيثم .
ابن وكيع التنيسي = أبو محمد الحسن
ابن علي الضبي .
ابنا محرق ج ٣ ص ١٨٦
أبو إبراهيم العلوي ج ٣ ص ٢٥٦
أبو أحمد ج ٢ ص ٣٠٨

ابن سينا ج ١ ص ٢٢٩
ابن سينا = أبو علي الحسين بن
عبد الله بن الحسن .
ابن شبانة ج ٣ ص ٢٤٧
ابن الشمشقيق ج ٣ ص ١٠٥
ابن صالح = محمود بن صالح .
ابن طليل ج ٢ ص ٣٠
ابن عباد ج ١ ص ٢٧٨
ابن عباس ج ٢ ص ٢٦٨
ابن عيدر به ج ١ ص ١٧ .
ابن عبد القيس ج ٣ ص ١٩٤
ابن عبيد الله = أبو محمد الحسن بن
عبيد الله بن طفيج .
ابن عدى بن حبيب = أبو عثمان المازني
ابن عساكر ج ٣ ص ٢٦٠
ابن العميد ج ١ ص ٢٧٨ ، ج ٢
ص ٥١
ابن العميد = أبو الفضل محمد بن
الحسين بن العميد .
ابن فارس ج ١ ص ٢٠٠
ابن فورجة ج ٢ ص ١٠٨
ابن قتيبة ج ١ ص ٣٥٦ ، ج ٢

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

الأزدى ج ١ ص ٢٤٨

أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن

زياد بن هارون النقاش ج ١ ص ٦٠

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ج ١

ص ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٥٣،

٥٤، ٨٤، ٢٦٤

أبو جابر ج ٣ ص ١٣٥، ١٣٦

أبو جعفر بن حميد ج ٢ ص ٢١٤،

٣٢٧، ج ٣ ص ٢٣٨

أبو جعفر المنصور ج ٢ ص ٣٥٣

أبو جعفر هارون بن محمد الضبي ج ١

ص ٣٦

أبو جهل ج ٢ ص ٥٧، ج ٣ ص ٨٠

أبو حاتم السجستاني ج ٢ ص ٣٤٧

أبو حامد الفزالي = محمد بن محمد بن

محمد بن أحمد الفزالي .

أبو حرب بن أبي الأسود ج ١ ص ٤٧

أبو حزة = جرير بن عطية بن الخطفي

أبو الحسن = سيبويه .

أبو الحسن أو أبو بكر = أحمد بن يحيى

ابن جابر البلاذري

أبو إسحاق = سعد بن أبي وقاص

أبو إسحاق الصابي ج ١ ص ١٠، ١٢،

٧١ ج ٣ ص ١٠٨، ج ٤ ص ٨،

أبو الأسود الدؤلي ج ١ ص ٤٧

أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو

ابن سفيان بن جندل .

أبو أيوب أحمد بن عمران ج ١ ص ٢٦٤،

٤١٤، ج ٣ ص ١٢٥، ٢٩٢،

ج ٤ ص

أبو أيوب ابن أخت أبي الوزير ج ٣

ص ١٤٩

أبو البركات بن المستوفى ج ١ ص ٣٢

أبو بشر = سيبويه .

أبو بكر الصديق ج ١ ص ٦٧، ١٩٥،

٣٠٠، ج ٣ ص ٢٤٠

أبو بكر البرقاني ج ١ ص ٦٠

أبو بكر بن دريد ج ٢ ص ١٤٥

أبو بكر عاصم بن أيوب البطلوسي

ج ١ ص ٢٥٩

أبو بكر علي بن صالح ج ١ ص ٢٥٨

أبو بكر بن مجاهد ج ٢ ص ١٢

ص ١٣٠ ، ج ٣ ص ١٢٣ ، ١٨٥ ،
٢٥٠ ، ج ٤ ص ٦
أبو حمزة = أنس بن مالك بن النضر
ابن ضمضم بن زيد .
أبو حنيفة النعمان ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ،
ج ٣ ص ٧٧
أبو الخطاب الأخفش ج ٢ ص ٣١٤
أبو داف القاسم بن عيسى العجلي
ج ١ ص ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
٣٥٠ ، ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٧ ،
٨٢ ، ١٤٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
ج ٣ ص ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ،
٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦
أبو ذؤاب الأسدي = ربيعة بن عبيد
ابن سعد بن جذيمة .
أبو زيد ج ١ ص ٥١
أبو سعيد السيرافي ج ٢ ص ١٢
أبو سعيد الغرير ج ١ ص ٣٥٨
أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب
ابن عبد الملك الأصمعي ج ٢
ص ١٤

أبو الحسن الأخفش = سعيد بن
مسعدة أبو الحسن الأخفش
الأوسط .
أبو الحسن بن ركن الدولة أبو علي
ابن بويه ج ١ ص ٣٠١
أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني
ج ١ ص ١٩ ، ج ٣ ص ٢٢٢
أبو الحسن علي الملقب عز الدين ج ١
ص ٣٢
أبو الحسن علي بن عيسى الرماني
ج ١ ص ١٨
أبو الحسن محمد بن أبي سلافة ج ١
ص ١٤٨
أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن
صالح الهاشمي ج ١ ص ١٦٢
أبو الحسن اللدائني ج ٢ ص ٣٣٨
أبو الحسن الواحدي ج ١ ص ٦١
أبو الحسين = علي بن أحمد المرعي
الخراساني
أبو الحسين محمد بن الهيثم ج ١
ص ١١٧ ، ٢٦٤ ، ٣٧٢ ، ج ٢

أبو شعيب القلال ج ٢ ص ٣٤٧

أبو طالب ج ٣ ص ٢٤٤

أبو الطيب المتنبي ج ١ ص ١٥ ،

٢٢ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٧ ،

٨٥

أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ،

البحثري ج ١ ص ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٥٤ ،

أبو العباس بن بسطام ج ٣ ص ١٤٩

أبو العباس عبد الله بن طاهر بن

الحسين ج ١ ص ١٥٢ ، ٣٤٦ ،

٣٦٠ ، ج ٢ ص ٢٥١ ، ج ٣

ص ٢٣٥

أبو العباس محمد بن يزيد بن

عبد الأكبر المبرد ج ٢ ص ١٢ ،

ج ٣ ص ١٠٥

أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد ج ١

١٣١ ، ٣٧٣ ، ج ٢ ص ٢٣ ،

١٥٠ ، ج ٣ ص ٢٥٢

أبو عبد الله محمد بن زياح ج ٣ ص ٢٧٣

أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي

ج ١ ص ٣٢

أبو سعيد علي بن محمد بن أبي خلف

ج ٣ ص ٧٠ ، ٧٢

أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري

ج ١ ص ١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٣٥٣ ،

٣٨٧ ، ٣٩٩ ، ج ٢ ص ٥٨

أبو سعيد محمد بن يوسف الطائي

ج ٢ ص ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،

١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٩٧ ، ج ٣

ص ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،

١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٨٤ ، ٢٣٣ ،

٢٣٩ ، ٢٦٣

أبو سفيان بن حرب ج ٢ ص ٦ ،

ج ٣ ص ١٠٧ ، ٢٢٦

أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال

ابن عبد الله الخزومي ج ٢

ص ٣٢٦

أبو سليمان داود بن علي بن خلف

الأصبهاني المعروف بالظاهري

ج ٢ ص ٣١٨

أبو سهل سعيد بن عبد الله ج ١

ص ٣٤١

أبو شجاع فاتك ج ٢ ص ٥١

أبو عبد الله الفاتلي ج ٢ ص ٥
أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري
الفرهودي ج ١ ص ٤٨
أبو عبد الرحمن السلمي ج ٢ ص ٢٦٨
أبو عبد الرحمن الهذلي المكي =
عبد الله بن مسعود بن الحارث .
أبو عبيد الله محمد بن عبد الله
القاصي الأنطاكي ج ٣ ص ٢١
أبو عبيدة بن الجراح ج ١ ص ٥١ ،
٦٧ ، ٢٠٤ ، ج ٢ ص ٣١٤
أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ج ٣
ص ٢٧٢
أبو عثمان الجاحظ ج ١ ص ١٧ ،
١٨ ، ٣٥ ، ٨٢ ج ٢ ص ١٣ ، ٢١ ،
٣٤٧ ج ٣ ص ٧٠ ، ٢١٢
أبو عثمان المازني ج ١ ص ١٢ ،
١٧ ، ٥١ ، ج ٢ ص ٣٤٧
أبو العشائر الحسين بن علي بن
حمدان ج ١ ص ١٤٩ ، ٤٠٢ ،
ج ٣ ص ١٠٥
أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري
ج ١ ص ١٧ ، ٣٦ ، ٤١١

أبو العلاء محمد بن غانم المعروف .
بالغامي ج ١ ص ١٨ ج ٢ ،
ص ١١٠
أبو علي الحاتمي ج ١ ص ٣٤٢
أبو علي الحسن بن أحمد بن
عبيد الغفار بن أبان الفارسي
ج ٢ ص ١٦٢
أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن
ابن سيف ج ٢ ص ٦٠٥ ،
أبو علي الفارسي ج ٢ ص ٨٤ ،
١٤٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
١٧٠
أبو علي الفارسي = أبو علي الحسن بن
أحمد بن عبد الغفار .
أبو عمر الجرمي ج ٢ ص ٢٢
أبو عمرو بن العلاء ج ١ ص ٤٧ ،
ج ٢ ص ٣٠٣ ، ج ٣ ص ٢٧١
أبو العميشل ج ١ ص ٣٥٨
أبو غالب أحمد بن المدبر ج ٣ ص ٢٤٨
أبو الفوث بن أبي عبادة البجتمري
ج ٣ ص ٢٧٤

ص ٥٥ ، ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، ج ٢

ص ٤ ، ١٨٠ ، ج ٣ ص ٢١٣

أبو الفوارس ج ١ ص ٣٤٠ ، ج ٢
ص ٢٧

أبو القاسم التنوخي ج ١ ص ٣٥
أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي
ج ١ ص ١٨ ، ٣٥ ، ج ٢ ص
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣

أبو القاسم طاهر بن الحسين ج ٣
ص ٢٩١

أبو القاسم علي بن أفلح ج ١ ص ٤١
أبو القاسم الفردوسي ج ٤ ص ١٢
أبو القاسم = محمود بن عمر الزمخشري
أبو كبير الهدلي ج ١ ص ٨٤

أبولهب ج ١ ص ١٥٩ ، ج ٣ ص ٨٠
أبو محمد الأعرابي ج ٢ ص ٣٢١
أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي

أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج
ج ٣ ص ١٢٦ ، ٢٨٤

أبو محمد الحسن بن علي المضبي ، ابن
وكيع التنيسي : ج ٢ ص ١٢٣

أبو الفيث الرافقي ج ٣ ص ٩١٣ ،
٢٥٧

أبو الفتح بن جني ج ١ ص ١٧ ،
١٢٩ ، ١٧٩ ، ٤١٣ ،
٤١٤ ، ج ٢ ص ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ ،
١٦٠ ، ١٥٢ ، ١٠٨ ، ١٨٦ ،
١٨١ ، ٢٤٩ ، ج ٣ ص ٤٥

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن الأنير ج ١ ص ٣٠

أبو الفرج الأصفهاني ج ١ ص ١٧ ،
٣٦٧ ، ج ٣ ص ١٠٦

أبو الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي
ج ٢ ص ٦١ ، ج ٣ ص ١٧١ ،
٢٣٤

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم الميداني النيسابوري ج ١
ص ٦١

أبو الفضل بن بشر ج ٣ ص ١٣٦
أبو الفضل الربيع بن يونس وزير
المنصور ج ١ ص ٣٤٦

أبو الفضل محمد بن العميد ج ١

ابن كعب بن قيس
أبو منصور الجواليقي ج ١ ص ١٧ ،
٢٥٦ ، ج ٢ ص ١٢٤
أبو موسى الأشعري ج ١ ص ٦٤ ،
٦٥ ، ج ٣ ص ٩٦
أبو الندى ج ٢ ص ٣٢١
أبو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة
ج ١ ص ٢٨٧
أبو نصر محمد بن حميد الطائي ج ١
ص ٣٤٢ ، ج ٣ ص ١٠٤
أبو نهمشل محمد بن حميد بن عبد الحميد
الطوسي ج ٢ ص ١٣٦
أبونواس ج ١ ص ١٧ ، ٢٢ ، ٥٢ ،
٥٤ ، ٢٥٠
أبو هريرة ج ١ ص ١٩٧ ، ج ٢
ص ٢٦٨
أبو هلال العسكري ج ١ ص ١٨ ،
٢٧ ، ١٠٩ ، ٣٦٤ ، ج ٢
ص ٧ ، ١٧ ، ٦٧ ، ١٣٤ ،
٣٩٨ ، ٣١٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ،
٣٥٩ ، ج ٣ ص ٣٥ ، ١٦٩ ،

أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي
ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص ١٠٩ ،
ج ٣ ص ٢١٢
أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب
ج ١ ص ٤٣ ، ١٠٤
أبو محمد عبد الله بن المقفع ج ٣
ص ٢٣٧
أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن
محمد بن حمديس ج ٢ ص ١٤
أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن
عثمان الحريري ج ١ ص ٤١ ،
٤٢ ، ٤٣
أبو محمد المظفر عضد الدين بن محمد
ابن علي بن زهير الدمشقي ج ٢
ص ١٦١
أبو المستهل محمد بن شقيق الطائي
ج ٢ ص ٨٠
أبو مسلم الخراساني ج ٣ ص ٥٥
أبو المكارم بن منصور الباشنای
الموصلی ج ٢ ص ١٦١
أبو المنذر الأنصاري المدني = أبيّ

أحمد (بن شيخ) ج ٣ ص ٢٥٩
أحمد بن عبد الله الأنطاكي ج ١ ص
٢٣٦
أحمد بن عبد الكريم الطائي ج ١
ص ٣٨١، ج ٣ ص ٢٥٨
أحمد بن علي ج ١ ص ١٧٠
أحمد بن عمران ج ٣ ص ٧١ ،
٢٩٢ ، ج ٤ ص ٣
أحمد بن المدبر ج ٢ ص ٧٨ ، ج ٣
ص ١٩٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨
أحمد بن المعتصم ج ١ ص ٣٥٣ ،
ج ٢ ص ٢٣ ، ج ٣ ص ٢٢٠
أحمد ، معز الدولة ج ٢ ص ٥١
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري
ج ١ ص ٦٠
أحمد بن يحيى المعروف بشعلب ج ١
ص ١٨ ، ٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧
أحمد بن يوسف الكاتب ج ٢ ص ٣٠٧
الأخنف بن قيس ج ٣ ص ٨٠ ، ٢٢٠
الإخشيدي سيد كافور ج ٣ ص ١٠٤
الأخفش ج ١ ص ٣٦
الأخنس بن شريق الثقفي ج ٣ ص ٢٤٩
أردشير ج ١ ص ٦٠

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ،
٢٥٧
أبو هلال العسكري = الحسن بن
عبد الله بن سهل بن سعيد .
أبو الهيجاء بن حمدان ج ٢ ص ٥٢
أبو الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة
ج ٣ ص ٢٦٧
أبو وائل تغلب بن داود ج ٢
ص ١٣٧ ، ج ٣ ص ٢٤١
أبو يحيى علي بن عيسى بن ماهان
ج ٢ ص ٣٣٧
أبي بن كعب بن قيس ج ٢ ص ٢٦٨ ،
٣٠٧
أتابك زنكي ج ٣ ص ٢٦٠
أحمد بن أبي دواد ج ١ ص ٣٣٩ ،
ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٣٨ ، ج ٣ ص ٢٣ ،
١٦٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢
أحمد بن إسماعيل بن شهاب ج ٣
ص ١٢٦
أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٥١ ، ج ٣
ص ٧٧

ص ٢٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٧٢
الأصمى = أبو سعيد بن عبد الملك
ابن قريب بن عبد الملك الأصمى .
الأعشى ج ١ ص ٢١
الأفشين ج ١ ص ٣٥٤ ، ج ٣ ص ١٧٥ ،
٢٨٢
أفلاطون ج ١ ص ٨٣ ، ٢٢٩
أقليدس ج ٣ ص ١٧٠
أم حصن بن حذيفة ج ٢ ص ٣٢١
أم سلمة بنت أبي أمية ج ٢ ص ٣٣٦
أم عمرو ج ٢ ص ١٦٦
أم موسى (زوجة الرشيد) ج ٣ ص ١٨٠
الإمام الطائع ج ١ ص ٧١ ، ٣٣٢
امرؤ القيس ج ١ ص ٢٢ ، ٢٩ ،
٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
الأمين ج ١ ص ٥٢ ، ج ٢ ص ٣٣٧ ،
٣٧٢ ، ج ٣ ص ١٠١ ، ١٨٠ ،
١٨٣ ، ج ٤ ص ٣
أنجشة ج ٣ ص ٤٤
أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم
ابن زيد ج ١ ص ٨١ ، ج ٢
ص ٣٢٩

أرسطاطاليس ج ١ ص ٢٢٩
أسامة بن منقذ ج ١ ص ١٨٠ ، ج ٣
ص ٧٨
إسحاق عليه السلام ج ١ ص ٨٠
إسحاق بن إبراهيم النصبى ج ١ ص
٦١ ، ٣٤٦ ، ج ٣ ص ١٠٠ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٤
إسحاق بن كندج ج ٣ ص ٢٥٥
أسد بن عبد الله القسرى ج ٢ ص ٢٢٨ ،
٢٢٩
أسد الدين ج ٢ ص ٥١ ، ٥٠
أسماء بنت أبي بكر ج ٢ ص ٣٩
إسماعيل عليه السلام ج ١ ص ٨٠
إسماعيل بن أبي سهل بن يوحنا ج ١
ص ١٥٦
إسماعيل بن شهاب ج ١ ص ١٦٨ ،
٢٤٠
إسماعيل بن القاسم ج ١ ص ٢٤٩
أشجع بن عمرو السلمى ج ١ ص ٣٩٤ ،
ج ٣ ص ٢٥١
الأصمى ج ١ ص ٥١ ، ٢٥٨ ، ج ٣

البرقيدي ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦
برة بنت عبد المطلب بن هاشم ج ٢
ص ٣٣٩
بروكلمان ج ٣ ص ٢٢٦
بشر ج ١ ص ٢٤٧
بشر بن سفيان الكعبي ج ٣ ص ٢٣
بشر (بن عوانة) ج ٣ ص ٢٨٨
البطليوسي = أبو بكر عاصم بن أيوب
البطليوسي :
البندادي ج ٢ ص ٣٢١
بكر بن محمد بن بقية ج ١ ص ٥١
البلاذري أبو الحسن أو (أبو بكر) =
أحمد بن يحيى بن جابر .
بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري ج ٢ ص ٩٥٩ ، ج ٤ ص ٣
بلعاء بن قيس ج ٢ ص ٣١
بلقيس ج ١ ص ١٨٥ ، ج ٢ ص ٢٩١
برور ج ٢ ص ٥١
بوران ج ١ ص ٧١
(ت)
تاج الملوك بوري ج ٢ ص ٥٠
تأبط شرا ج ١ ص ٢٢

أنشروان ج ٢ ص ١٠ ، ٣١٢
أنيس المقدسي ج ٢ ص ٣٩٧
أوس بن لام ج ٢ ص ٢١٦ ، ٣٤٢ ،
٣٤٣
إياس بن الأثر ج ٢ ص ٢١٦ ، ج ٣
ص ١٨٤ ، ٢٤٠
(ب)
بابك الخرمي ج ٣ ص ١٠٤
باقل ج ١ ص ١٩٢ ، ج ٣ ص ٢٧٢
البحترى = أبو عبادة
بدر بن عمار ج ١ ص ٢٢٩ ، ج ٢
ص ٢٦ ، ٢٩ ، ١٠٦ ، ٣١٦ ،
ج ٣ ، ص ١٩٣ ، ٢٨٦ ، ج ٤
ص ١١
بدر الدين أبو الفضائل النوري ج ١
ص ٣١
بدوي طبانه ج ١ ص ٣٩٦ ، ج ٢
ص ١١٠ ، ٣٣٢
بدليل بن ورقاء ج ٢ ص ٣٤١ ، ج ٣
ص ٦٤

جثامة بن قيس ج ٢ ص ٣١٠
جذيمة الأبرش ج ٢ ص ٩٤
جذيمة الواضح ج ١ ص ٢٨٠
جرير بن الخطفي ج ١ ص ٩١ ، ٤٧
ج ٢ ص ١٠٢
جرير بن عبيد الله البجلي ج ١
ص ٣٤٣
جزء بن كليب الفقمسي ج ١ ص ٩١
جساس ج ٢ ص ١٥ ، ١٦
جعفر بن علي ج ١ ص ١٧٠ ، ج ٢
ص ٢٩١
جعفر بن كلاب بن ربيعة ج ١
ص ٨٣
جعفر بن يحيى ج ٣ ص ١٠٠
جمونة بن شعوب الشجعي ج ١
ص ٥٠
جمال الدين بن الحسن بن سليمان
ج ٣ ص ١٧٦
جميل سميد ج ١ ص ١٨

التبريزي ج ١ ص ٩١ ، ٢٤٧ ، ج ٢
ص ٣١٠
تدوس العطار ج ١ ص ٥٣
تغلب بن داود الخارجي ج ٣ ص ٢٤١
تماضر ج ٢ ص ١٠١
التوزي ج ٣ ص ٢٠٩
توما ج ٣ ص ٢١٥
(ث)
ثعلب = أحمد بن يحيى المعروف
بثعلب .
(ج)
جابر ج ٢ ص ٢٩٨
الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ .
جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن
أحمد الزمخشري ج ٢ ص ١٧١ ،
١٧٢
جبريل عليه السلام ج ١ ص ١٩٦ ،
٢٠٥ ، ٢١٦ ، ج ٢ ص ٣٤١
جبير بن مطعم ج ٣ ص ١٠٧

محمد بن أحمد الغزالي .
حدراء ج ١ ص ٢٦٠
حذام ج ١ ص ١٤
حرب بن أمية ج ١ ص ٤٠١
الحريري ج ١ ص ٣٦٢ ، ج ٣
ص ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٩٠ ، ٢١٠ ،
٢١١
الحسن البصري ج ٣ ص ١٦٩
الحسن بن رجاء ج ٢ ص ٢٤ ، ج ٣
ص ١٦١
حسن ، ركن الدولة ج ٢ ص ٥١
الحسن بن سهل ج ١ ص ٧٩ ، ج ٢
ص ١١٠ ، ١٤٤ ، ج ٣ ص ٤٩
الحسن بن عبيد الله بن طفج ج ٣
ص ٢٨٤
الحسن (بن علي) ج ٣ ص ٨٠
الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن
الصباح ج ١ ص ٥٢
الحسن بن وهب ج ١ ص ١٢٢ ،
٢٣٦ ، ج ٢ ص ٢٦٤ ، ج ٣
ص ١٤٨

(ح)

حاتم ج ٢ ص ٢١٦ ، ٣٠٧ ، ج ٣
ص ٢٢٠
الحاجب مجاشن بن عجم ج ١ ص ٣٠
حارثة ج ٢ ص ٢١٦
حاطب بن أبي بلتعة ج ٣ ص ٢٥ ،
٢٦
الحامض ج ١ ص ٣٦
الحباب بن المنذر الأنصاري ج ١
ص ٦٧
الحياحب ج ٢ ص ٣٣٢
حبيب بن أوس الطائي = أبو تمام
حبيش بن المغانبي ج ٣ ص ١٥
الحجاج بن يوسف ج ١ ص ٣٠١ ،
٣٩٠ ، ج ٢ ص ٢٠ ، ٩٨ ، ٢٧٠ ،
٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ج ٣
ص ١٤٥
حجر بن الحارث الكندي ج ١
ص ٢٤٣ ، ٢٤٤
حجة الإسلام = محمد بن محمد بن

ج ٢ ص ٢٤ ، ١٠٢ ، ٢٢٨ ، ٤
٢٧١ ، ٣٠٧ ، ٣٤٨ ، ج ٣
ص ٢٨ ، ٨٣ ، ١٤٧
خديجة ج ١ ص ١٩٩
خيريم الناعم ج ٢ ص ٣٠٧
الخصيب ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٤
١٥٢ ، ١٥٦ ، ج ٣ ص ١٢٤
الحضر ج ١ ص ١٧٦ ، ١٨٧
الحفاجي ج ٢ ص ١١٢
الخليفة الطائع ج ١ ص ٣٠١
الخليل بن أحمد ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤
ج ٢ ص ٣٠٨ ، ٣١٤
الخوارزمي ج ٢ ص ١٠ ، ج ٣
ص ٧١
الخيرزان (جدّة الأمين) ج ٣
ص ١٨٠ ، ١٨١
(د)
داود ج ٢ ص ٢٩١ ، ٢٩٢
داود بن حاتم بن خالد بن المهلب
ج ٢ ص ١٤٥
داود بن سلم ج ٣ ص ١٩٥

الحسين بن إسحاق التنوخي ج ١
ص ٢٥٥
الحسين بن الضحاك ج ٣ ص ٢٣٢
الحسين بن علي ج ١ ص ١٧٠ ،
٢٨٧ ، ج ٢ ص ٢٦٤ ، ج ٣
ص ١٠٧
الحسين بن مومي ج ١ ص ٢٩٢
حفص بن عمر الأزدي ج ١ ص ٣٤٣
حكيم بن حزام ج ٢ ص ٣٤١
الحكيم الكندي ج ٣ ص ٢٢٠
حمدان ج ٢ ص ٥٢
حمزة بن عبد المطلب ج ٣ ص ١٠٧
حميد بن عبد الحميد الطوسي ج ٣
ص ١٤٨ ، ٢٣٩
(خ)
خالد بن عبد الله القسري ج ١
ص ١٦٦
خالد بن الوليد ج ١ ص ٨٢ ، ج ٣
ص ٢٢٦
خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :
ج ١ ص ٣٤٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤

الرشيد هارون ج ١ ص ٥٢ ، ١٦٧

ج ٢ ص ١٤ ، ٢١

ج ٣ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٨٣ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤١٠ ، ٢٤٥

ركن الدولة بن بويه ج ٢ ص ٤

الرماني = أبو الحسن علي بن

عيسى الرماني .

رملة ج ٣ ص ٧٣

روزبة = عبد الله بن المقفع

ربا ج ٢ ص ١٦٤

(ز)

زبد ج ٢ ص ٣٢٨

الزرقان بن بدر ج ١ ص ٣٥٦

زبيدة (أم الأمين) ج ٣ ص ١٨١

الزبيدي ج ٢ ص ٣٤٧

الزبير بن صفية ج ٣ ص ١٨٢

الزبير بن العوام ج ٢ ص ١٨٦ ،

١٨٨ ، ٢٨٥ ، ج ٣ ص ٢٤ ،

٢٦

الزجاج ج ١ ص ٣٦

داود الظاهري = أبو سليمان داود

ابن علي بن خلف الأصهباني ،

المعروف بالظاهري .

داود بن يزيد بن حاتم بن المهلب

ج ٢ ص ٩

ديك الجعني = عبد السلام بن

رغبان .

دينار بن عبد الله ج ٤ ص ١١

(ذ)

ذو اليمينين ج ٢ ص ٣٣٨

(ر)

رافع ج ٢ ص ٢١٦ ، ٣٤١

الربيع بن زياد الحارثي ج ١ ص ٦٤ ،

٦٥ ، ٣٢٧

ربيعة خاتون ج ٢ ص ٥٠

ربيعة بن سفيان ج ٢ ص ٢٤٥

ربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة

ج ١ ص ٣٨٠

ربيعة الفرس ج ١ ص ٤١

رزيق بن ماهان ج ٢ ص ٣٣٧

سحبان وائل ج ٤ ص ١٩٣
سدديد الملك ج ٣ ص ٩٢
السريحي (الفتى) ج ٣ ص ٢٢٣
سطيح ج ١ ص ٢٧٤
سعد أبو إسحاق = سعد بن أبي وقاص .
سعد بن أبي وقاص ج ٢ ص ٣٢٨
سعد بن زيد ج ٣ ص ٢٢٦
سعد بن قرط ج ٣ ص ١٤٢
سعيد بن جبير ج ٣ ص ١٤٥
سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي المنبجي ج ٣ ص ١٣٨
سعيد بن عبد الرحمن ج ٣ ص ٦٩
سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط ج ٢ ص ٣٠٨
السفاح (الخليفة) ج ٣ ص ٨٩ ،
ج ٢ ص ١٠٦
السكاكي ج ١ ص ٢٠
سلمان الفارسي ج ١ ص ١٥٩
سلمى ج ١ ص ٣٤٥ ، ج ٣ ص ٤٥
سلول بن مرة ج ٢ ص ٢٧٠

زرعة بن عبد الرحمن ج ٢ ص ٣٠٥
زليخا (امراة العزيز) ج ٤ ص ١٢
الزخشرى = جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحد الزخشرى .
زياد بن أبي سفيان ج ١ ص ٤٧ ،
ج ٢ ص ٩٩ ، ج ٣ ص ٧٣ ،
١٧١
زياد بن أبيه ج ٢ ص ١٢٠
زياد بن الهبولة ج ٢ ص ١٩٨
زيد ج ٢ ص ٢١٦
زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ج ٣ ص ١٠٧
زينب ج ١ ص ٨١ ، ج ٢ ص ٢١٤
(س)
سابور بن أردشير الهابي ج ٢ ص ٥١
سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري ج ٣ ص ٢٤٣
سبكتكين ج ١ ص ٣٢٢
صت الشام ج ٢ ص ٥٠

ص ٣٩ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٧ ،
٨٨ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
سيف الدين بن نجم اللدين أيوب :
ج ٢ ص ٥٠

(ش)

الشافعي ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ،
ج ٢ ص ٩٠ ، ٣١٨ ، ج ٣
ص ٥١ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
شاه رمان ج ١ ص ٣٣٢
شاه شاه ج ٢ ص ٥٠
شاهنشاه جلال الدولة أبي طاهر بن
بويه ج ٣ ص ١٠٧
شبيب الخارجي ج ٣ ص ٧٦ ، ٧٧
شجاع بن محمد الطائي المنبجي ج ٣
ص ١٥٠
شرف الدولة ج ٣ ص ١٣٦
شريح الحضرمي ج ١ ص ٧٧

سليمان عليه السلام ج ١ ص ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٨٥ ،
سليمان بن عبد الملك ج ٣ ص ٧٠ ،
١٠٦ ، ٢٠٢ ،
سليمان بن فهد الأزدي ج ٢ ص ٥٨٤ ،
١٠٨ ، ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ،
سليمان بن وهب ج ٢ ص ١١٨ ،
٢٩١ ، ٢٩٣ ،
السموئل بن عاديا ج ١ ص ٢٤٥
سمية جارية الخارث بن كلدة ج ١
ص ٤٧
سيبويه ج ١ ص ٤٨ ، ٥١ ، ج ٢
ص ٣٠٨ ، ٣١٤ ،
سيف الإسلام بن نجم الدين أيوب
ج ٢ ص ٥٠
سيف الدولة أبو الحسن علي ج ٢
ص ٥٢
سيف الدولة بن حمدان ج ١
ص ١٦ ، ٥٤ ، ١٣٤ ، ٢٥٨ ،
٣٨٢ ، ٤٠٠ ، ج ٢ ص ١٠ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ١٠٦ ، ١٣٥ ،
١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ج ٣

صاعد بن مخلد ج ٣ ص ١٢٧ ،
ص ٢٥٧

صفية بنت عبد المطلب ج ٣ ص ٢٦٦ ،
١٨٢

صلاح الدين يوسف بن أيوب ج ١
ص ٩ ، ٢٠ ، ج ٢ ص ٥٠ ،
٥١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٤٢ ،
٣٠١ ، ٣٢١ ، ٣٧٤ ، ج ٣
ص ٢٢٤

الصولي = محمد بن يحيى

(ض)

ضبة بن أدلم ج ١ ص ١٣٠

ضمضم المجاشعي ج ٣ ص ١٧٦

ضياء الدين بن الأثير ج ١ ص ٣

٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ،

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،

١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٦

الشريف الرضي ج ١ ص ٧١

الشريف المرتضى ج ٢ ص ٦٦

شريك النمرى ج ٣ ص ٩٤ ، ٩٥

شقران مولى بني سلامان بن سعد

ج ١ ص ٩٥

شكري فيصل ج ٣ ض ٢٦٠

شمر ج ٢ ص ٣٩

شمس الدين بن صاحب تكريت

ج ٢ ص ٦٢

شن بن أفضى ج ٣ ص ٩٢

شيبة ج ٢ ص ٥٧

(ص)

الصابي ج ١ ص ٢٧٨ ، ٢٨٢ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ج ٢

ص ٤ ، ج ٤ ص ٩

الصابي = أبو إسحق إبراهيم بن

هلال الصابي .

الصاحب بن عباد ج ١ ص ١١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٤٠٧ ، ج ٢

ص ٥١ ، ج ٣ ص ٧٢

عامر بن لوئى ج ٣ ص ٦٤
عائشة أم المؤمنين ج ١ ص ١٩٩ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ج ٣ ص ٦٠ ، ٦٥
عائشة بنت طلحة ج ٢ ص ٦٠
العباس : ج ١ ص ٢٤٩ ، ٣٢١ ،
ج ٢ ص ١٩ ، ٢٩ ، ٢٤٨
العباس بن عبد الله بن أبي جعفر
المنصور : ج ٢ ص ٧٩
العباس بن عبيد الله ج ٣ ص ٧٦ ،
٢٨٢
العباس بن عبد المطلب ج ٢
ص ٣٩١
العباس بن الفضل بن الربيع ج ٣
ص ١٧٩
عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي
ج ١ ص ٤٧
عبد الله بن بديل ج ٢ ص ٣٤١
عبد الله بن جدعان ج ٣ ص ٢٤٦
عبد الله بن دينار ج ٣ ص ٢٨٥
عبد الله بن الزبير ج ٢ ص ٣٩ ، ١٠٠
عبد الله بن السفاح ج ٣ ص ١٨٣

(ط)

ظاه ج ٢ ص ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،
٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣٤٨
ظاهر بن الحسين ج ٢ ص ٣٣٧ ،
٣٣٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ج ٣
ص ٢٩١
الطائغ (الخليفة) ج ٣ ص ١٠٩
طلائع بن رزيك ج ٣ ص ٢٢٤
طلحة الطلاحات الخزاعي ج ٢ ص ٣٢٧
طلحة بن محمد بن جعفر ج ١ ص ٦٠
طهفة بن أبي زهير النهدي ج ١
ص ٢٣١
طويس (المغني) ج ٣ ص ٢٣٣
(ظ)

ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل
ج ١ ص ٤٦

(ع)

عاتكة بنت شهدة ج ١ ص ١٦٧
عارف ج ٢ ص ٢١٦
عاصم ج ٢ ص ٣٠٩
العاقد ج ٢ ص ٣٧٤

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان

ج ٣ ص ١٣

عبد الله بن مسعود بن الحارث ج ٢

ص ٣٠١

عبد الله بن المعتز ج ١ ص ١٩

عبد الله بن المقفع ج ٢ ص ٢٣٧

عبد الله بن همام السلولي ج ٣ ص ١٧١

عبد الحميد بن يحيى الكاتب ج ٢

ص ٤

عبد الرحمن بن أخى الأصمى ج ٢

ص ٣٤٧

عبد الرحمن بن نباتة ج ٣ ص ٢٠٤

عبد الرحيم بن على البيهقي ج ١

ص ٨، ٩، ٣٠، ٦٥، ٦٦، ٦٧،

ج ٢ ص ٣٧٤

عبد الرحيم بن نباتة ج ١ ص ٣٦٣

عبد السلام بن رغبان ج ١ ص

١٧٠، ج ٢ ص ١٠١

عبد الصمد بن عبد الأعلى ج ٣

ص ٦٩

عبد الصمد بن الفضل بن عيسى

الرقاشي ج ١ ص ٢٧٥

عبد الله بن سلام ج ١ ص ٢٧٣،

ج ٢ ص ٦٥

عبد الله بن مسلم السهمي ج ١

ص ٢٥٥

عبد الله بن سيف الدولة ج ٣ ص

٦١، ٢٦٧

عبد الله بن الصمة ج ٢ ص ٢٠٧

عبد الله بن طاهر بن الحسين ج ١

ص ٣٥٨، ج ٢ ص ٢٢، ج ٣

ص ١٢٢، ٢٣٥، ٢٥٦

عبد الله بن عامر ج ٣ ص ٧٣

عبد الله بن عباس ج ١ ص ٣٥٧

عبد الله بن عبد الأسد = أبو سلمة

ابن عبد الأسد بن هلال

الخرزومي .

عبد الله عبد الكريم الطائع لله ج ١

ص ٣٠٢

عبد الله بن عبد الملك ج ٣ ص ١٩٥

عبد الله بن على ج ٣ ص ٢٥٠

عبد الله بن عمرو بن العاص ج ٣

ص ٦٥، ٦٦

عبد الله بن عيَّاش ج ٢ ص ٢٦٨

عدوان ج ٢ ص ١٨٧
عرابة بن أوس ج ٤ ص ٣
عروة بن حزام ج ٢ ص ٣٤٥
عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن
بويه ج ١ ص ٧١
عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة
أبي الحسين ج ١ ص ٣٠٢ ،
٣٠٣ ، ٣٣٢
العزيز ج ١ ص ١٧٣ ، ج ٢
ص ٣٧٤
المسكري = أبو هلال المسكري
عضد الدولة أبو شجاع بن بويه ج ١
ص ٨٥ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠ ، ٣٩١ ،
ج ٢ ص ٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٨٢ ،
١٠٧ ، ١٦٢ ، ٢٩٨ ، ج ٣
ص ٢٤٨ ، ٢٤١
عقيد ج ١ ص ١٦٧
عقيل ج ١ ص ٢٨٠
علي بن إبراهيم التنوخي : ج ٢

عبد القاهر الجرجاني ج ١ ص ٢١٤ ،
٢١٥ ، ٣٨٤ ، ج ٢ ص ٦٧ ، ٧٢
عبد الكرم بن أبي العوجاء ج ٣
ص ٢٣٧
عبد المسيح بن بقلعة ج ١ ص ٨٢
عبد الملك بن مروان ج ١ ص ٢٥٥ ،
ج ٢ ص ٢٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ ،
ج ٣ ص ٩٨
عبيد الله بن خراسان الطرابلسي
ج ١ ص ٤٠٨
عبيد الله بن زياد ج ٣ ص ١٧٦
عبيد الله بن العباس ج ٣ ص ١٩٥
عبيدة بن سعيد بن العاص ج ٢
ص ١٨٦
عقب ج ١ ص ٢٥٠
عتبة بن أبي عامر ج ٢ ص ٢٣ ،
٥٧
عثمان بن جني ج ٢ ص ٢٩٦
عثمان بن عفان ج ١ ص ٦٤ ، ٨٢ ،
١٤٧ ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ،
٧٣ ، ١٤٥ ، ١٩١

العماد الأصهباني ج ١ ص ٤٠٤ ،

ج ٣ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠

عماد الدين زنكي (الأتابك) :

ج ٢ ص ٥١

عمر بن الخطاب ج ١ ص ٤٧ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ،

٣٢٧ ، ٢٩٦ ، ٣٢٧ ج ٢ ص

٢١٢ ، ٢٤٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٨ ،

٣٢٧ ، ٣٥٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ،

ج ٣ ص ٦٥ ، ٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ ،

عمر بن سليمان الشرايبي ج ١ ص ٤١٠

عمر بن عبد العزيز ج ٣ ص ١٨٢ ،

عمر بن عبد العزيز الطائي ج ٣ ص ٢٥٥

عمر بن عثمان ج ٣ ص ٧٣

عمر بن هبيرة ج ٣ ص ٩٤ ، ٩٥

عمرو بن الحارث الأصغر ج ٣

ص ٢٨٩

عمرو بن ربيعة ج ٢ ص ١٩٨ ،

٢٥٩

عمرو بن العاص ج ٣ ص ٦٥ ،

٢٢٠ ، ٩٦

ص ١٥٢ ، ج ٣ ص ٢٥٦ ، ١٣٧

علي بن أبي طالب ج ١ ص ٤٦ ،

٨٢ ، ٣٠٠ ، ٣٥٧ ، ج ٢ ص

٢١٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٣٧٠ ، ج ٣

ص ١٤٥ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ :

علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي

ج ٣ ص ٢٦١ ، ٢٦٢

علي بن أحمد المرى الخراساني ج ٣

ص ٢٦٤

علي بن الحسين ج ٣ ص ١٩٥

علي بن حمزة ج ١ ص ٤١٣

علي بن عبد الله ج ٢ ص ١٤١

علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٣

ص ٢١٨ ، ٢٢٢

علي ، عماد الدولة ج ٢ ص ٥١

علي بن عيسى بن ماهان ج ٢ ص

٣٣٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤

علي بن المبارك ج ١ ص ٤٧

علي بن محمد بن سيار التميمي ج ٣

ص ٢٤٢

علي بن نصر الجهضمي ج ١ ص ٤٨

علي بن يوسف ج ٢ ص ٥٠

أحمد الفزالي ،

غسان بن ذهل السليطي ج ٣

ص ٢٧٨

(ف)

فاتك الإخشيدى ج ٢ ص ١٦٥ ،

٢٩٤

الفارابي ج ١ ص ٢٢٩

فاطم (فاطمة) ج ٣ ص ٢٨٤

فاطمة بنت رسول الله ج ٢ ص

٢٦٤ ، ج ٣ ص ٨٠

الفائز (الخليفة) ج ٣ ص ٢٢٤

الفتح بن خاقان ج ١ ص ٥٤ ،

٣٤٧ ، ج ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٤٨ ،

٣٦٨ ، ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ ،

١٢٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٨٣ ،

٢٤٧ ، ٢٦٥

نجر الدولة أبو الحسن بن ركن

الدولة . ج ١ ص ٣٠٢

الفراء النخوى ج ٣ ص ٦٣

الفردوسى = أبو القاسم

عمرو بن عثمان بن قنبر = سيبويه .

عمرو بن قميئة ج ٢ ص ٢٤٥

عمرو بن مسعدة ج ٣ ص ٧٥

عمرو بن معد يكرب ج ٢ ص ٣٢٨

عنان (جارية النطاف) : ج ١

ص ٢٧١

عنبسة بن معدان المهري ج ١

ص ٤٧

عيّاش بن لميعة ج ١ ص ٢٣٥ ،

ج ٣ ص ١٠٢

عيسى بن عمر ج ٢ ص ٣١٤

عيسى (عليه السلام) ج ٣ ص ١٨٢

عيننة بن أسماء الفزاري ج ١

ص ٣٩٠

(غ)

غازي بن يوسف ، الملك الظاهر

ج ٢ ص ٥٠

الغانمي = أبو العلاء محمد بن غانم ،

المعروف بالغانمي .

الفزالي = محمد بن محمد بن محمد بن

القاضي الفاضل = عبدالرحيم البيساني

قباث بن أشيم ج ٣ ص ١٩١

قباذ (ملك الفرس) ج ٣ ص ١٤٥

قبيصة بن نعيم ج ١ ص ٢٤٣ ،

٢٤٥ ، ٢٤٤

قثم بن العباس ج ٣ ص ١٩٥

قدامة بن جعفر الكاتب ج ١ ص

١٨ ، ٢٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧ ،

٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص ٦٧ ،

٣٣٢ ، ج ٣ ص ١٤٣ ، ٢٠٧ ،

٢٠٩

قُدُور ج ٣ ص ١٠١

قرواش (شرف الدولة) ج ٣

ص ١٣٥

قس بن ساعدة الإيادي ج ١ ص

١٩٣

قطرب ج ٢ ص ٣٠٨

قطرى بن الفجاءة ج ٢ ص ٣٣٨ ،

٣٣٩

الفرزدق ج ١ ص ٢٢ ، ٢٩ ، ٤٧ ،

فرعون ج ٣ ص ١٨٧

فضالة بن كعدة ج ١ ص ٣٩٧

الفضل بن الربيع ج ٢ ص ٢٥١

الفضل بن سهل ج ٢ ص ٣٣٧ ،

٣٢٨

الفضل بن صالح الهاشمي ج ١

ص ٤٠٠

الفضل بن محمد اليزيدي ج ١ ص ٥١

الفضل بن يحيى ج ١ ص ١٦٧ ،

ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٣٨ ، ٢٥٤ ،

فهم ج ٢ ص ١٨٧

فوز ج ١ ص ٢٤٩

(ق)

القاسم بن طوق ج ١ ص ٣٧٣ ،

ج ٢ ص ٣٦٥ ، ج ٣ ص ١٧٥

القاسم بن عيسى العجلي ج ٣ ص ٢٣٥

القاضي الجرجاني = أبو الحسن على

ابن عبد العزيز الجرجاني .

(ل)

لبنى (محبوبة قيس بن ذريح) ج ٣

ص ١٣٨

لبيد بن الأعصم ج ١ ص ٢٠٦ ،

٢٠٧

اللعين المنقري ج ٣ ص ١٩٥

لقمان ج ٢ ص ٣٧١ ، ٣٩٦

لقيط بن زرارة ج ١ ص ٣٦٧

اللقيطة = أم حصن بن حذيفة .

لؤلؤ أمير حمص ج ١ ص ٥٤

لويس شيخو اليسوعي ج ١ ص

٣٦٤

الليث بن المظنر ج ١ ص ٤٨

ليلى العقيلية ج ٣ ص ٢٣١

(م)

مأجوج ج ٢ ص ٣٠٩

مالك بن أنس ج ١ ص ١٢٦ ،

١٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ج ٣

ص ٧٨

مالك (خازن النار) ج ٣ ص ٧٨

ماليك بن

القعقاع بن عوف ج ٣ ص ١٧٦

قمنب بن أم صاحب ج ١ ص ١٥٨

قيس بن ثعلبة ج ٣ ص ٢٠

قيس بن خالد بن ذى الجدين :

ج ١ ص ٣٦٧

قيس بن عبادة ج ٣ ص ٧٤

قيس بن ممد يكرج ج ٣ ص ١٧٩

القيسراني ج ٣ ص ٢٥٩

قيصر : ج ٢ ص ٢٥٩

(ك)

كافور ج ١ ص ٣٥٦ ، ج ٢ ص

٢٧٨ ، ج ٣ ص ٧٧ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٥٣ ، ٢٤٧ ، ج ٤

ص ١٠

كسرى ج ١ ص ٢٢٨ ، ج ٢

ص ١٣ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ج ٣

ص ٧٥

كعب بن لؤي بن عامر بن لؤي

ج ٢ ص ٣٤١ ، ج ٣ ص ٦٤

كليب ج ٢ ص ١٥

ج ١ ص ٢٢
محمد صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٩ ،
٣٥ ، ٩٤ ، ٢٢٣ ، ٣٠٦ ، ج ٢
ص ٢٤٨ ، ٣٠٢ ، ٣٨٧ ، ج ٣
ص ١١١ ، ١٨١ ، ١١٠ ، ج ٤
ص ١٢
محمد بن إسحاق التتوخي ج ٣
ص ١٦١
محمد (الأمين) ج ٣ ص ٢٥٣
محمد جمال ج ٣ ص ٢٦٦
محمد بن حسان الضبي ج ٣ ص
١٠٢ ، ٢١٢
محمد بن الحسن محمد بن علي بن
حمدون : ج ٣ ص ٢٩
محمد بن الحسين بن موسى العلوي
ج ١ ص ٢٨٧
محمد بن حميد الطوسي ج ٣
ص ١٨٤ ، ٢٣٩
محمد بن زياد بن الأعرابي ج ٣
ص ٢٧٣

زهرة ج ٢ ص ٢٢٨
مالك بن بشير ج ٢ ص ٣٣٨
مالك بن طوق ج ١ ص ٣٤٥ ،
ج ٢ ص ١٤٧ ، ج ٣ ص ٣٥ ،
٦٧ ، ٢٥٤ ، ج ٤ ص ٩
المأمون ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٣٧ ،
٣٣٨ ، ٢٧٢ ، ج ٣ ص ٧٤ ،
١٤٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢
المبرد = أبو العباس محمد بن يزيد
بن عبد الأكبر .
المتنبي = أبو الطيب أحمد بن
الحسين .
المتوكل (علي الله) ج ١ ص ٥٤ ،
٦٠ ، ٣٥١ ، ج ٢ ص ١١٧ ،
١٥٩ ، ٢١٨ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ،
ج ٣ ص ١٥ ، ٢٣ ، ٤٠ ،
١٢٧ ، ١٩٥ ، ج ٣ ص ٢٠٦ ،
٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥
محمد الدين أبو السعادات المبارك

محمد بن يزيد المبرد ج ١ ص ١٧ ،
١٢٣، ١٢٤، ٢٤٨، ج ٢ ص ٣٠٨ ،

ج ٣ ص ٢٠٩

محمد بن يوسف ج ٢ ص ١٣٧
محمد بن يوسف الثغرى = أبو سعيد

محمود بن صالح ج ٣ ص ٩٢
محمود الفزوى (السلطان) ج ٤ ص ١٢

مخارق ج ١ ص ١٦٧

مربع (راوية جرير) ج ٣ ص ٢٧٧
مرزوق ج ٢ ص ١٤٦

المرقش الأصغر = ربيعة بن
سفيان .

مرة بن ربيعة ج ٢ ص ٣٤٢

مروان بن الحكم ج ٣ ص ٧٣
مروان بن محمد ج ٢ ص ٤ ، ج ٣
ص ٢٥٠

مريم ج ١ ص ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٣٤ ، ٣٧٨ ،

ج ٢ ص ١٣٤ ، ١٧٤ ، ٢٢٢ ،

٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٢٩٤ ، ٢٨٤ ،

٢٩٣

المستضىء بالله ج ١ ص ٣١١

محمد بن سلام الجحى ج ٢ ص ٣٤٥
محمد بن سيار بن مكرم التميمى ج ٣

ص ١٠٢ ، ١٤٩

محمد بن عبد الله بن طاهر ج ٢
ص ٢٧٣

محمد بن عبد الملك الزيات ج ١ ص
١٦٧ ، ٣٥٤ ، ج ٢ ص ١٠٣ ،

ج ٣ ص ٢٦٣ ، ٢٩٠

محمد بن علي بن عيسى القمى ج ١
ص ٣٤٨ ، ج ٢ ص ١٠٤ ،

ج ٣ ص ١٧١

محمد بن العميد ج ٣ ص ٢١٣

محمد بن غانم = الفانجى

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الفزالى :
ج ٢ ص ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢

محمد بن منصور بن زياد ج ٢ ص ٣٠٧

محمد بن الهيثم ج ١ ص ٣٨٤ ،

٤١٣ ، ج ٣ ص ١٢٣ ، ٢٥٠ ،

ج ٤ ص ٦

محمد بن يحيى للعروف بالصولى ج ٢ ص

١١٨ ج ٣ ص ١٨٦ ، ١٨٧

٦١ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٥٢ ، ٣٢٣ ، ج ٣ ص ١٠٠ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ،

٢٨٢

المقتصد ج ٢ ص ٥٢

المعتمد بن عباد ج ٢ ص ١٤

المعز ج ١ ص ٢٥٣

معن بن زائدة ج ٢ ص ١٤٨ ،

٣٥٣

معن طيبي ج ١ ص ٢١٢

المغيث بن علي العجلي ج ٢ ص

١٩٧ ، ج ٣ ص ٣

المغيرة بن شعبة ج ٣ ص ٢٦٦

المفضل بن محمد الضبي ج ١ ص ٦٢

ج ٣ ص ٢٧٢

المقتدر ج ٢ ص ٦ ، ١٢٣

المقداد بن عمرو ج ٣ ص ٢٦

المسكني بالله ج ١ ص ٣٩٦

الملك الأشرف ابن الملك العادل بن

أيوب ج ١ ص ٢٢

المستظهر ج ٢ ص ٦

المستعين ج ١ ص ٦٠

المستكفي ج ٢ ص ٥١

المستنجد ج ٢ ص ٢٩

مسئلة بن عبد الملك ج ٣ ص ٢٥٠

المسيح ج ١ ص ١٨٦

مصعب بن الزبير ج ١ ص ٣٩١ ،

ج ٢ ص ١٠٠

مصطفى جواد ج ١ ص ١٨

مضر الحمراء ج ١ ص ٤١

الطبيع ج ١ ص ٧٠ ، ج ٣ ص ١٠٩

معاذ بن جبل ج ٢ ص ١٣٨

معاوية بن أبي سفيان ج ٢ ص ١٦٦ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

ج ٣ ص ٧٣ ، ٢٤٠

معاوية بن عقبة ج ١ ص ٣٩٠

معبد ج ١ ص ١٦٧ ، ج ٣ ص

٢٣٢ ، ٢٣٣

المعز بالله ج ١ ص ٦٠ ، ٣٤٩ ،

ج ٢ ص ٣٥٩ ، ج ٣ ص ١٨٩

المعتصم بالله : ج ١ ص ٣٤٤ ،

٣٥٤ ، ٣٩٠ ، ج ٢ ص ٧ ،

مهرويه الرازي ج ٢ ص ١٤٦
المهلب بن أبي صفرة ج ٢ ص ٢٣٨ ،
٣٣٩ ، ج ٣ ص ٣٤ ، ٨٠
مهلهل بن يموت ج ٢ ص ٣٤٧
مؤرّج السدوسي ج ١ ص ٤٨
موسى (عليه السلام) ج ١ ص ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ج ٣ ص ١٣ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ١٨١
موسى بن جعفر ج ١ ص ٣٢
مى بنت مقاتل المنقري ج ٢ ص ١٥٩
الميداني = أبو الفضل
ميمون الأقرن ج ١ ص ٤٧
ميرة ج ٣ ص ٢٠٩
(ن)
النايفة الديباني ج ١ ص ٢١
الناشيء ج ٢ ص ٣٠٨
ناصر الدين محمود بن الملك القاهر
عز الدين ج ١ ص ٣١
الناصر لدين الله أبو العباس أحمد
(الخليفة) ج ٣ ص ١٩٠

الملك الأفضل = نجم الدين أيوب
ابن شاذي بن مروان .
الملك الأفضل علي بن يوسف ج ١
ص ٣١ ، ١٧٦ ، ٣٦٧ ، ج ٣
ص ١١٦
الملك الظاهر عز الدين مسعود بن
أرسلان بن مسعود ج ١ ص ١٧٩
الملك الظاهر « غازي صاحب حلب »
ج ١ ص ٣١ ، ج ٢ ص ٥١
الملك الظاهر = غازي بن يوسف .
الملك العادل ج ١ ص ٣١
الملك العادل أبو بكر بن أيوب ج ١
ص ١٧٧
الملك العزيز عثمان ج ٣ ص ١١٦
الملك المنصور = المنصور
الملك الناصر ج ١ ص ٢٠ ، ٩
المنصور ج ١ ص ٣١ ، ٣٤٦ ، ج ٢ ص
١٤٦ ، ج ٣ ص ٨١ ، ١٨٣
منصور بن يزيد ج ٣ ص ٢٨٣
المهمدي بن المنصور ج ١ ص
٢٥٠ ، ج ٣ ص ١٨٣ ، ٢٥٨
مهرة بن حيدان ج ٣ ص ١٢٢

نوح (عليه السلام) ج ١ ص ١٥٩ ،

ج ٢ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٥١ ،

٣٧٠ ، ج ٣ ص ١٣١

نور الدين أرسلان بن مسعود ج ٣

ص ١١٦

نور الدين (الملك الأفضل) ج ١

ص ٣٠

نور الدين اسماعيل بن نور الدين

محمود ج ١ ص ٢٢٣

(٥)

المهادي (الخليفة) ج ٣ ص ١٨٣ ، ٢٥٨ ،

هارون (عليه السلام) ج ٢ ص

٢٩٣ ، ج ٣ ص ١٥٩ ، ١٨١ ،

٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ،

هبيبة بن ضمضم الجاشعي ج ٣

ص ١٧٦

هشام بن عبد الملك ج ١ ص ٤٧ ،

٣٩٧ ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ج ٣

ص ٥٦ ، ٦٩ ، ١٠٧ ، ١٩٥ ، ٢٥٣

نافع بن أبي نعيم ج ١ ص ٥٠

نافع بن عبد الرحمن = نافع بن أبي

نعيم .

النبي صلى الله عليه وسلم = محمد

نجم الدين أيوب بن شاذي بن

مروان « الملك الأفضل » ج ٢

ص ٥٠ ، ٥١

النسفي ج ٢ ص ٣٠٩

نصر بن عاصم الليثي ج ١ ص ٤٧

نصر بن علي الجهضمي ج ٢ ص ٢٤٧

النضر بن شميل ج ١ ص ٤٨ ، ج ٣

ص ٣٥

النظاف ج ١ ص ٣٧٦

نظام الملك ج ١ ص ٤٠٤ ، ج ٢

ص ١١٠ ، ج ٣ ص ٤٩ ، ١٢٨ ،

النعمان بن المنذر ج ٢ ص ١٥ ،

٣٤٢ ، ج ٣ ص ٤٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ،

النقاش = أبو بكر محمد بن الحسن

ابن محمد بن زياد .

نقفور (ملك الروم) ج ٣ ص

١٠٥ ، ١٠٦

يرفأ مولى عمر ج ١ ص ٦٤
يزيد ج ٢ ص ٢٦٤ ، ٣٠٦
يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري
ج ٢ ص ٣٥٣
يزيد بن مزيد الشيباني ج ٢ ص
٢١٠ ، ٢١٠ ، ٧٩ ، ج ٣ ص ١٥٦ ، ٢٨٢
يزيد بن معاوية ج ٢ ص ٦٠
يعقوب ج ١ ص ١٧٥
يموت بن المزرع ج ٢ ص ٣٤٧
يوسف (عليه السلام) ج ١ ص ٩١٠ ،
١٥٢ ، ١٧٢ ، ١٠٤ ، ١٧٥ ،
٣٥٨ ، ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٤ ،
٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ،
٣٠٩ ، ٣٢٧ ، ج ٣ ص ١٣ ،
١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ج ٤ ص
١٢
يوسف بن عمر النقي ج ١ ص ١٦٦
يوسف بن محمد ج ٢ ص ١٣٦ ، ٢٧٢ ،
٣٠٧
يونس ج ٢ ص ١٨١ ، ٢١٠ ،
٢٣٤ ، ٣٠١ ، ٣١٤
يونس بن حبيب البصرى ج ١ ص ٤٧

هند بنت عتبة ج ١ ص ٢٧٤
هود ج ٢ ص ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٢٥ ،
٢٢٢ ، ٢٨٢ ، ٢٢٣
(و)
الواثق (الخليفة) ج ٣ ص ٢٣ ، ٢٥٢
الواحدى ج ٢ ص ١٠٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
والبة بن الحباب ج ١ ص ٥٢
وخشى (غلام جبير بن مطعم)
ج ٣ ص ١٠٧
الوضاح = جذيمة الأبرش .
الوليد بن عبد الملك ج ١ ص ١٥٨ ،
ج ٢ ص ٢٢٨
الوليد بن المعيرة ج ٢ ص ٢٣٥
الوليد بن يزيد ج ٣ ص ٦٩ ، ٢٢٢
(ي)
يأجوج ج ٢ ص ٣٠٩
يافث بن نوح ج ٢ ص ٣٠٩
ياقوت ج ٢ ص ١١٠
يحيى ج ١ ص ١٨٠
يحيى بن ثابت ج ٢ ص ١٥٥
يحيى بن خالد ج ٣ ص ١٠٦
يحيى بن زياد ج ٣ ص ٢٣٧
يحيى بن علي المنجم ج ٣ ص ٢٥٩
يحيى بن مالك ج ١ ص ٢٤٦

فهرس القبائل والطوائف والأمم

أسلم ج ٣ ص ١٩٧
 الأشراف ج ١ ص ١١، ٤٦
 أشراف بغداد ج ٢ ص ١٠٩
 الأشراف العلويون ج ١ ص ٢٨٦
 الأطباء ج ١ ص ٨٣
 الأعراب ج ١ ص ٥٥، ج ٢ ص
 ١٦٣، ٣٤٩، ج ٣ ص ١٦٨
 الأرمن ج ٣ ص ٨١
 الأكرسة ج ٢ ص ٣١٢
 الأمراء ج ١ ص ٤٦، ٦٧، ٧٠
 الأمويين ج ١ ص ٣٩٩
 أمية ج ٣ ص ٥٦
 الأنباط ج ١ ص ١٠١
 الأنبياء ج ١ ص ٦٨
 الأنصار ج ١ ص ٦٤، ج ٢ ص
 ٣٩، ٣٣٧، ج ٣ ص ٢٤٠
 أهل الأدب ج ٢ ص ١٠، ٨٤، ١٠٨
 أهل البصرة ج ١ ص ٤٦، ٤٨، ج ٢
 ص ٣١٤، ج ٣ ص ٢١٥

(١)

آل بويه ج ٢ ص ٥١
 آل البيت ج ١ ص ١٧٠
 آل عبد الواحد ج ١ ص ٣٦
 آل منصور بن زياد ج ٢ ص ٣٠٧
 آل المهلب ج ٣ ص ٣٤
 آل النبي صلى الله عليه وسلم ج ١
 ص ٢٩٩
 الأتراك ج ٢ ص ٥١، ١٢٣، ج ٣
 ص ١٠٨، ١٠٩
 الأدباء ج ١ ص ٣، ٢٢، ٢٥،
 ٢٧٥، ج ٢ ص ٤٧
 أدباء العراق ج ٢ ص ٢٣
 أدباء مصر ج ٢ ص ١٢٣
 الأرقام بنو تغلب ج ١ ص ٣٤٥
 أرباب الشرائع ج ٢ ص ٢٦٧
 أرباب الفصاحة ج ١ ص ٥٨
 الأزارقة ج ٢ ص ٣٢٨
 الأسرة النبوية: ج ١ ص ٢٩٥

أولياء الله ج ١ ص ٣٢٨

إياد ج ١ ص ١٩٣

الإيرانيون ج ٤ ص ١٢

أمة الاجتهاد ج ١ ص ١٢٨

أمة الفقه ج ٣ ص ٦٣

(ب)

البحر الأشرف ج ١ ص ٤٦

البرامكة ج ٢ ص ٣٠٧ ، ج ٣

ص ١٠٠ ، ٢٥٨

البصريون = أهل البصرة

بكر بن وائل ج ٢ ص ١٢٠ ، ٣٤٥

البلاغيون ج ١ ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٦

ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٣٣٢ ، ٣٥٧

البلغاء ج ٢ ص ٣٠٧ ، ٣٥٢

بنو أبي بكر بن كلاب ج ٢ ص ٣١٠

بنو أسد ج ١ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

٣٨٠ ، ٣٨١ ، ج ٢ ص ١٠٠

١٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩

بنو إسرائيل ج ٢ ص ٣٣٢

بنو إسرائيل ج ٢ ص ١٧٥

أهل جدّة ج ٣ ص ١٠٦

أهل الخطابة والشعر ج ١ ص ١١٠

أهل دمشق ج ٣ ص ٧٧

أهل الشام ج ٣ ص ١٩٥

أهل الشورى ج ٣ ص ٢٦

أهل الصين : ج ٢ ص ٤

أهل الطائف ج ٣ ص ٢٢٦

أهل العراق ج ١ ص ٣٠١ ، ج ٣

ص ١٢٤

أهل العلم ج ١ ص ٤٣

أهل الكوفة ج ١ ص ٥٤

أهل المزار ج ٢ ص ١٤٦

أهل مصر ج ١ ص ٢٥٩ ، ج ٢

ص ١٢٦ ، ج ٣ ص ٢٢٥

أهل المغرب ج ٢ ص ٤ ، ج ٣

ص ٢١١

أهل الموصل ج ٢ ص ١٦

أهل النجامة (المنجمون) ج ٣

ص ١٠٣

أهل اليمن (اليمنيون) ج ٣ ص ٢٢٤

الأوس ج ٣ ص ٢٢٦

بنو خفاجة ج ١ ص ٣٦
بنو الخوارج ج ٢ ص ١٦٦
بنو ربيع ج ١ ص ٣٩١
بنو سعد ج ١ ص ٣٥٦ ، ج ٢
ص ١٤٨ ، ج ٣ ص ١٧٦ ،
بنو السوداء ج ٢ ص ٢٠٧
بنو شيبان ج ٢ ص ١٩٨
بنو العباس ج ١ ص ٩٥ ، ٢٤٨ ،
ج ٢ ص ١٤٨ ، ٣٥٣ ،
ج ٣ ص ٥٦ ، ٨١ ، ١٨٣ ،
٢٣٧
بنو عبدالكريم ج ١ ص ٣٨١ ، ٣٤٨ ،
٤١٤ ، ج ٣ ص ١٨٤
بنو المعلان ج ١ ص ٤٠٠ ، ج ٣
ص ٧٦
بنو عدى ج ١ ص ٦٤ ، ٢٤٨
بنو عقيل ج ١ ص ٤٠٠ ، ج ٣
ص ٧٦ ، ١٣٥ ،
بنو عمار ج ٣ ص ٩٢
بنو العنبر ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢
ص ٣٢١
بنو العنقاء ج ٣ ص ١٨٦

بنو إسرائيل ج ٣ ص ٤٣
بنو أمية ج ١ ص ٩٥ ، ج ٢ ص ٤ ،
٦ ، ٦٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٤٨ ،
٣٢٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ج ٣ ص ٢٨ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ٢٣٧
بنو برمك = البرامكة
بنو بكر ج ٢ ص ٣٤٥
بنو تغلب ج ٢ ص ١٢٠ ، ٢٥٤ ،
٣٤٥ ، ج ٣ ص ٢٥٥
بنو تميم ج ١ ص ٢٨٠ ، ج ٢
ص ١٩٩ ، ج ٢ ص ٢٠٣ ،
ج ٣ ص ٢٥٢
بنو ثعلبة بن سعد بن ضبة ج ١
ص ٦٢
بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن
صمصمة ج ١ ص ٨٣
بنو الحارث بن كعب ج ١ ص ٣٥٦
بنو الحسحاس ج ١ ص ١٤٧
بنو حمدان ج ٣ ص ٣٩ ، ١٣٥
بنو حميد ج ٣ ص ٢٤٣

بنو هاشم ج ١ ص ١٥٦ ج ٢ ، ص

١٠٩

بنو هذيل بن مدركة ج ١ ص ٢٥٥

بنو هند ج ٣ ص ٢٠

بنو يسار ج ٢ ص ١٠٠

البويهيون ج ٢ ص ٥١ ، ٥٢

البياسرة ج ٢ ص ١٥٧

(ت)

التابعون ج ١ ص ٤٦ ، ٨٦

تغلب ج ١ ص ٣٧٣ ، ج ٢ ص

٥٢ ، ١٣٢ ، ج ٣ ص ٢٤٩

تميم ج ٢ ص ٣٤٤ ، ج ٣ ص ٩٥

(ث)

تقيف ج ٢ ص ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ج ٣

ص ٢٢٦

الثنوية : ج ٣ ص ١٠ سطر ١٥

(ج)

حياة أهل الذمة ج ١ ص ٣١٦

جرم ج ١ ص ٢٤٨

بنو عوف بن كعب ج ١ ص ٣٥٦

بنو فزارة بن ذبيان ج ١ ص ٣٩٠ ،

ج ٢ ص ٣٢١ ، ج ٣ ص ٩٥

بنو فهم ج ٢ ص ١٨٧

بنو قشير ج ١ ص ٤٠٠

بنو كلاب ج ١ ص ٤٠٠ ، ج ٣

ص ٧٤ ، ٧٦ ، ٢٣٨

بنو كلب ج ١ ص ٥٤

بنو كنانة ج ٣ ص ٢٢٦

بنو لبيد ج ١ ص ٢٢٧

بنو اللقيطة ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢

ص ٣٢١

بنو ليث بن بكر ج ١ ص ٢٤٦

بنو مازن ج ١ ص ٥١

بنو محارب ج ٢ ص ٣٣٢

بنو مخزوم ج ٣ ص ١٨٨

بنو مروان ج ١ ص ٢٥٥

بنو ناهل ج ١ ص ١١٢

بنو النخع ج ٢ ص ٢١٢

بنو نصر بن قمين ج ١ ص ٣٨٠

بنو نهد ج ١ ص ٢٣٣

الدعاة ج ١ ص ٤٦

(ذ)

ذبيان ج ٢ ص ١٥

ذهل بن شيبان ج ٢ ص ٣٢١

(ر)

الرافضة ج ٢ ص ٣٨٩

ربيمة ج ١ ص ٢٥٨

رجال الهند ج ٢ ص ١٥٧

الرواة ج ١ ص ٥٢ ، ٨٦ ، ١٨٤ ،

٣٤٠ ، ج ٢ ص ١٦٧

الروم ج ١ ص ١٣٤ ، ١٤٥ ج ٢

ص ١٠ ، ٢٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،

٣١٢ ، ٣٢٣ ، ج ٣ ص ٣٩ ،

٧٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٣٣ ،

١٥٦ ، ٢٦١

(ز)

الزعار ج ١ ص ٣٠٩

الزنادقة ج ١ ص ٢٣٠

الزنج ج ٣ ص ٨٨

(ح)

حجاج بيت الله الحرام ج ١ ص ٢٩٣

الحجيج ج ١ ص ٢٨٨

حجيج بيت الله ج ١ ص ٢٩٢

الحرورية ج ١ ص ٨٢

حكاه اليونان ج ٢ ص ٣ ، ٤ ، ٥ ،

حيدر ج ١ ص ٢٤٥

(خ)

الخرمية ج ٣ ص ٢٦١

خزاعة ج ١ ص ٤١١

الخزرج ج ٣ ص ٢٢٦

الخطباء ج ١ ص ٢١٣ ، ٣٩٩ ،

ج ٢ ص ١٥١

الخلفاء ج ١ ص ٥٣ ، ٦٨ ، ج ٢

ص ١٠ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٢٣ ج ٣ ص ١٠١ ، ٢٢٥

خندف ج ٢ ص ٣١١

الخوارج ج ١ ص ٨٢ ، ٢١٢ ، ج ٣

ص ٨٠ ، ١٤٥ ، ٣٩٩

(د)

دارم من تميم ج ٢ ص ١٢٠ ج ٣ ص ٧١

٢٣٦، ٢٣٤، ٢٠٣، ١٨٤
شعراء حماة ج ٣ ص ٢٥٩
شعراء الدولة الأموية = الشعراء
الأمويون ج ٣ ص ١٥١
شعراء رسول الله ج ٣ ص ٢٤٠
شعراء الشام ج ٣ ص ٢٥٩، ٢٦٠
شعراء الصحابة ج ٢ ص ٢١٢
شعراء العرب ج ١ ص ٢٤٦
شعراء الفرس ج ٤ ص ١٢
شعراء قریش ج ٢ ص ٦٠
شعراء المدينة ج ١ ص ١٤١
شعراء مصر ج ٢ ص ٣١
شعراء النصرانية ج ٢ ص ٣٣١
الشيعية ج ١ ص ٣٦ ج ٢ ص ٥١
(ص)
الصحابة ج ٢ ص ٢٦٨، ٣٠١
الصلح الاشراف ج ١ ص ٤٦
الصوفية ج ٢ ص ٨٨
(ط)
الطالبيون ج ١ ص ٤١١
طبقات الشعراء ج ١ ص ٥٢

زوار قبر رسول الله ج ١ ص ٢٩٣
(ش)
الشعراء ج ١ ص ١٤، ٢٢، ٤٦،
٥٢، ٥٣، ٥٤، ٩٨، ١٤١،
١٥٠، ٢١٣، ٢٣٦، ٢٥٠،
٢٥٥، ٢٦٧، ٢٩٦، ٣٩٩،
٤٠٩، ج ٢ ص ١٠، ٢٢، ٢٧،
٢٨، ٢٩، ٣٢، ٦١، ٦٢،
٧٣، ١٤٨، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٩،
٢٥٢، ٢٥٩، ٢٧٣، ٣١٥،
٣٢١، ٣٣٠، ٣٦٥
شعراء الإسلام ج ١ ص ٢١٢ ج ٣
ص ٢٨
الشعراء الأمويون ج ١ ص ٣٩٠، ٣٩١
ج ٢ ص ١١٩ ج ٣ ص ١٥١
شعراء بني أمية = الشعراء الأمويون
شعراء الجاهلية ج ١ ص ٥٣، ٣٤٠،
٣٥٦
شعراء الحماسة ج ١ ص ٩١، ٣٧٠،
٣٨١، ٣٨٤، ٣٩٤، ج ٢
٩٩، ١٦٤، ٣١٠، ٣١٦، ج ٣
ص ١٧، ٢٠، ٣٨، ١٥١،

(غ)

غطفان ج ٣ ص ٢٢٦ ، ج ٤ ص ٣

غفار ج ٣ ص ١٩٧

(ف)

فارس ج ٢ ص ١٢ ، ٢٧ ، ٣٤٧

الفاطميون ج ١ ص ٢٥٣ ، ج ٢

ص ٥٢

فحول الشعراء ج ١ ص ٢٥٠

الفرس ج ٢ ص ١٣ ، ٣٣ ، ٥١ ،

١٨٠ ، ٢١٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ج ٣

ص ٧٥ ، ٩٠ ، ١٤٥ ، ٢٣٧ ، ج ٤

ص ١٢

الفرسان ج ١ ص ٤٦ ، ٢٤٥

فرسان البلاغة ج ٢ ص ٢٦٥

فرسان العرب ج ٢ ص ٣٢٨

الفرنج ج ١ ص ١٠٣ ، ج ٢ ص ١٤٢

الفهاء ج ١ ص ٤٦ ، ٦٠ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١٢٨ ، ٢٤٦ ، ج ٢

ص ٣٩١ ، ج ٣ ص ٢١٣

الفلاسفة ج ٢ ص ٨٨ ، ٢٦٧

عقيل ج ٣ ص ٢٣١

العلماء ج ١ ص ٣ ، ٦ ، ١٩ ، ٢٢ ،

٥٧ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٢١١ ج ٢

ص ١٣ ، ٣٤٠

علماء الأدب ج ١ ص ١٩٢ ، ٢٤٨

علماء البلاغة والتقدم ج ١ ص ١٣

علماء البيان ج ١ ص ٢٥ ، ٣٤٩ ،

٤٠٩ ، ج ٢ ص ٥٥ ، ١١٦ ،

١٢١ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٣٥٥ ،

ج ٣ ص ٤٩ ، ١٣٩ ، ٢٢١ ،

٢٢٢

علماء العربية ج ١ ص ٥١ ، ٥٩ ،

٣٨٩ ، ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

علماء الفصاحة والبلاغة ج ٢ ص ٩٤

علماء الكلام (المتكلمون) ج ٣

ص ٢١٢

علماء اللغة ج ١ ص ٢٤

علماء النحو ج ١ ص ٢٤

علماء اليونان ج ٢ ص ٤

العمال ج ١ ص ٣١٧

عمال الخراج ج ١ ص ٣١٣

كفلة ج ٣ ص ٢٨
الكمان = الكمنة
الكمنة ج ١ ص ٢٧٤
الكوفيون ج ١ ص ٤٨ ، ج ٢
ص ٢٢٩ ، ٢٩٦
(م)
مازن ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢ ص ٣٢١
المتبدلون ج ١ ص ٣٠٦
المتكلمون ج ٣ ، ص ١٦٦ ، ٢١٢
٢١٤
المجوس ج ٣ ص ٨٩
محارب ج ٢ ص ٢٢٨
المحاسبون ج ١ ص ٧٠
المحدثون ج ١ ص ٤٦ ، ٢٤٦ ، ج ٣
ص ١٣٧ ، ٢٢٦
المخضرمون ج ١ ص ١٤٧ ، ج ٣
ص ١٢١
مذحج ج ٣ ص ٢٥
المروانية ج ٣ ص ٢٥٠
المشعبذون ج ١ ص ١٠٥

(ق)

القراء ج ١ ص ٥٠
القراءون ٨٣ ، ٥٠
القرامطة ج ٣ ص ٧٧
قريش ج ١ ص ٦٤ ، ج ٢ ص ٣٩ ،
٦٠ ، ١٦٣ ، ٣٤١ ، ج ٣ ص ٢٥ ،
٢٦ ، ٦٤ ، ١١٣ ، ٢٢٦
قشير ج ٣ ص ٧٦
القصاص ج ١ ص ١٠٥
قضاة ج ١ ص ٩٥ ، ج ٣ ص ٢٦
القضاة ج ١ ص ٧٠
القوام ج ١ ص ٣٠٦
قيس عيلان ج ١ ص ٩٥ ، ج ٢
ص ٣١١ ، ج ٣ ص ٦٨ ، ٧٧
(ك)
الكتاب ج ١ ص ١٣ ، ٢٢ ، ٤٨ ،
١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢١٣ ، ج ٢
ص ١٥١
كعب ج ٣ ص ٩٥
كلاب ج ٣ ص ٩٥
كلب ج ٢ ص ٣٠ ، ٢٦٤
كليب ج ١ ص ٢١٧ ، ج ٢ ص ٢٢٨

ص ٤ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢١٢
نحاة مصر ج ٢ ص ٣٤٧
التحويّون ج ١ ص ٤٦ ، ج ٢ ص ٢٣٥
النسايون ج ١ ص ٢٩١
النصارى ج ٢ ص ٢٦٧ ، ج ٣
ص ١٠ ، ٧٥
النقاد ج ١ ص ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨
نقاد الشعر ج ١ ص ٢٧
نقاد العرب ج ١ ص ٢٩
نقباء الطالبين ج ١ ص ٢٨٧
نمير ج ٣ ص ٩٥
(أ)
هاشم ج ٣ ص ١٠٧ ، ٢٢٦
هذيل ج ١ ص ٢٦٣ ج ٣ ص ٢٢٦
(و)
وائل ج ١ ص ١٩٣ ، ٣٧٣
الوزراء ج ١ ص ٦٧ ، ١٧٢
وزراء المأمون ج ٢ ص ٣٣٧
الوعاظ ج ١ ص ٤٠٢

المصريون ج ٢ ص ٣٠
مضر ج ٢ ص ١٥٩
المكبرون ج ١ ص ٣٠٦
الملحدة ج ٢ ص ٢٦٧
الملوك ج ١ ص ٧٠ ، ١٢٥ ، ج ٢
ص ٤٧
ملوك بني بويه ج ٢ ص ٥١
ملوك الشام ج ٢ ص ٣٧
المناذرة ج ٢ ص ١٥
المهاجرون ج ١ ص ٦٤
مهرة بن حيدان ج ٢ ص ٦٦
المهندسون ج ٣ ص ٢١٢
المؤذنون ج ١ ص ٣٠٦
المؤرخون ج ٣ ص ٢٢٦
(ن)
نهبان ج ٣ ص ١٤٦
النحاة ج ١ ص ١٩١ ، ج ٢ ص ٨٦ ،
٩٥ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ج ٣

ص ٢٢٧	الوعيدية ج ١ ص ٨٢
ولاية العيار ج ١ ص ٣١٨	الولاية ج ١ ص ٢٩٨ ، ٢٢٧ ، ج ٢
(ى)	١٢٠
يربوع من تميم ج ٢ ص ١٢٠	ولاية الحسبة ج ١ ص ٣١٩
اليهود ج ١ ص ٢٦٧ ج ٢ ص ٢٦٧	ولاية الطرز ج ١ ص ٣١٨
اليونان ج ٢ ص ٦ ج ٣ ص ١٤٥	ولاية العراق ج ٢ ص ١١٩ ، ج ٣

فهرس الأماكن

استرا باذ ج ١ ص ٣٠٢
 الإسكندرية ج ٢ ص ٣٧٤
 أسواق الرقيق ج ١ ص ٣١٨
 أشبيلية ج ١ ص ٢٥٣
 أصبهان ج ١ ص ٤٠٠ ، ٤٠٤
 أصفهان ج ٢ ص ٣٧٢ ، ج ٣
 ص ١٢٢
 الأنبار ج ٢ ص ٤ ، ج ٣ ص ١٥٥
 الأندلس ج ١ ص ٢٥٣ ، ج ٢
 ص ١٤
 أنظمة ج ٣ ص ٢٤٢
 أوروبا ج ٣ ص ٣٤٣
 إيوان كسرى ج ١ ص ٢٣٨ ، ج ٢
 ص ٣١٢

(ب)

باب النصر ج ٢ ص ٥٠
 بادية السماوة ج ١ ص ٥٤
 بارق ج ٢ ص ٣٠ ، ج ٣ ص ١٠١

(١)

آمد ج ٢ ص ١٠ ، ج ٣ ص ٣٩
 الأبلق ج ٢ ص ٣٥٠
 ابناشام ج ٢ ص ١٤٢
 آبيورد ج ٢ ص ٦
 الأئيل ج ٣ ص ٩٠ ، ج ٣ ص ١٨١
 أجا ج ١ ص ١١٢
 أحد ج ٢ ص ٨٢ ، ٣٣٦ ، ج ٣
 ص ١٠٧
 أذربيجان ج ١ ص ٣٠٢
 أراك ج ١ ص ١٠١
 أران ج ١ ص ٣٠٢
 إربل ج ١ ص ٣١ ، ٣٢
 أرتجان ج ٢ ص ٢٧
 أرشق ج ١ ص ٣٤٥
 أرض الحرم ج ٢٦١
 أرض الحبشة ج ٢ ص ٣٣٦
 أرض مراد ج ٢ ص ٣٤٥
 إرم ذات العمد ج ٢ ص ٣٨٣

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ،

٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤ ، ج ٣

ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٨ ، ٢٥٦ ،

٢٥٨

البيقيع ج ٢ ص ٣٠١

بلاد الأرمين ج ٣ ص ٨١

بلاد الجزيرة ج ٣ ص ١٤٠

بلاد الروم ج ٣ ص ١٠٥ ، ١١٣ ،

١٣٣

بلاد الشام ج ١ ص ٣٢٣

البلاد الشرقية ج ١ ص ٣١

بلاد قيس ج ١ ص ٢٣٢

بلاد المشرق ج ١ ص ٣١

البلاد المصرية ج ١ ص ٣٢٣

بلخ ج ٢ ص ٣٠٨

بهاء ج ٣ ص ٢٦

بيت الله الحرام ج ١ ص ٢٩٢ ، ٣٢٩

ج ٣ ص ٦٤ ، ١٩٥

البيت الأيوبي ج ٢ ص ٥٢

ص ٢٦٣

البحر الأحمر ج ٢ ص ٣١

بخاري ج ٢ ص ٥

بلد ج ٢ ص ٥٧ ، ١٨٦ ، ٣٢٨ ،

٣٣٦ ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٧٩ ،

١٨١

برك النقاد ج ١ ص ٣٢٢

البصرة ج ١ ص ٣٦ ، ٤١ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ج ٢ ص ١٢ ، ١٤ ،

٣٠ ، ١١٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ،

٣٢٩ ، ج ٣ ص ١٧٦ ، ٢١٥ ،

٢٣٧

بصرى ج ١ ص ١٠٣

البطائح ج ١ ص ١٠١

بطن خبت ج ٣ ص ٢٨٤

بغداد ج ١ ص ٩ ، ١١ ، ١٨ ،

٣٢ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٦٥ ،

٧١ ، ١٢٤ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ،

١٧٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٦ ، ٣٧٥ ،

ج ٢ ص ١٩ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،

(ث)

ثبير ج ٣ ص ١٣٧ ، ٢١٦ ، ٢١٧
الثغور الشامية ج ٢ ص ٣١٢
الثوية ج ٢ ص ٢٩٩

(ج)

جاسم ج ١ ص ٥٣
جامع القصر ج ١ ص ٣٢
جبال حروراء ج ١ ص ٨٢

الجحفة ج ١ ص ١٩٨ ، ج ٣ ص ٦٤
جدة ج ٣ ص ١٠٦
جرجان ج ١ ص ٢٥٠

الجرف ج ٣ ص ٢٦
الجزيرة ج ٢ ص ٩٤ ، ج ٣ ص ١٤٠
جزيرة ابن عمر ج ١ ص ٣٠ ، ٣٢

ج ٣ ص ٨٨

جزيرة صقلية ج ٢ ص ١٤
جزيرة العرب ج ١ ص ٣٠٢
الجزيرة العمرية ج ٢ ص ٢٧٤
جزيرة ميرة ج ٢ ص ١٤
جو ج ٣ ص ٢٠

البيت المقدس ج ٢ ص ٨٨ ، ٢٠ ،
٣٧٥ ، ٣٧٤

البيت الناصري ج ٣ ص ١١٦
بثذروان ج ١ ص ٢٠٦
بيروت ج ٢ ص ١٣٠ ، ج ٣
ص ١٩٠

البيضاء ج ٢ ص ٣١٤
بيوت الله ج ١ ص ٣٠٦

(ت)

تبوك ج ٢ ص ٣٤١ ، ج ٣
ص ٧٤

تدمر ج ١ ص ١٠١
تستر ج ١ ص ٤٠٤
تعار ج ١ ص ٢٣٢
تكريت ج ٢ ص ٥٠ ، ٥١ ،
٥٣ ، ٥٢

التلاع ج ٢ ص ٣٤٢
تنيس ج ٢ ص ١٢٤
تهامة ج ١ ص ٢٣١ ، ج ٣ ص ٦٤
توريز ج ١ ص ٣٠٢
تيماء ج ٢ ص ٣٥٠

حمص ج ١ ص ٥٤ ، ١٠١ ، ١٧٠ ،
الحمي ج ١ ص ٣٤٥ ، ٤٠٧ ، ج ٢
ص ١٦٤

حنين ج ١ ص ١٩٥ ، ج ٢ ص ٢٠٠
٣٤١ ، ج ٣ ص ٧٤
الحوض ج ٣ ص ١٥٥
حومل ج ٣ ص ٣٧ ، ٩٩
الحيرة ج ١ ص ٨٢ ، ج ٢ ص ١٥
ج ٣ ص ١٠٦

(خ)

الخابور ج ٣ ص ١٤٦
خانق ج ٣ ص ٢٦
خراسان ج ١ ص ٣٥٨ ، ج ٢ ص
٦ ، ٥١ ، ٢٢٨ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،
٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ج ٣ ص ٥٦ ،
١٢٢ ، ١٤٨

خوارزم ج ٢ ص ١٧١
خوزستان ج ١ ص ٥٢

(د)

دار ابن المعتز ج ٢ ص ١٢٣
دار الخلافة ج ١ ص ٢٧٩

(ح)

الحاجر ج ٢ ص ٢٧٣
الحجاز ج ٢ ص ١٦٦ ، ١٨٨ ، ج ٣
ص ١٣٧
الحديبية ج ١ ص ٦٥ ، ٦٤ ، ٩
ج ٢ ص ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ج ٣
٢٥ ، ٦٤

حراء ج ٣ ص ٢١٦

حراض ج ٣ ص ٢٢٦

الحرم ج ١ ص ١٣٠

الحرة ج ٢ ص ٢٨٥

حزوي ج ٢ ص ١٥٩

الخطيم ج ٣ ص ١٥٥

حلب ج ١ ص ٣٦ ، ١٠١ ، ٣٢٣ ،

ج ٢ ص ١٠ ، ٥٠ ، ٥٢ ،

١٦٢ ، ٣١٢ ، ج ٣ ص ٩٢ ،

٩٣

حلوان، ج ١ ص ٢٨٠ ، ج ٢ ص ١٤٣

حماة ج ٣ ص ٢٥٩

حراء الأسد ج ٣ ص ٢٩

١١٢، ٨٢ ص ٣ ج ١٤٢، ٣٧٤،
ديوان الرسائل ج ١ ص ٧١
ديوان الزمام ج ٢ ص ٢٩
الديوان العزيز ج ١ ص ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ج ٢ ص ٣٨٥
(ذ)
ذات عرق ج ٣ ص ٧٤
الدرج ج ١ ص ٣١٥
ذو حسي ج ٢ ص ٣٤٢
ذو الخليفة ج ١ ص ٣٢٢
ذو قار ج ٣ ص ١٥٥
(ر)
رامة ج ٣ ص ١٠١
رحى بطان ج ٢ ص ١٨٧
رضوى ج ١ ص ٢٣٨
الرقعة ج ٣ ص ١٠٦
الرقيم ج ٢ ص ٥٦
الركن ج ٣ ص ١٥٥
الروحاء ج ٢ ص ١٢٠
روضة خاخ ج ٣ ص ٢٦
الروم ج ٢ ص ١٠٧
الري ج ٢ ص ١٦٣ ، ٣٧٢

دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٦١
دار المأمون ج ٢ ص ١٢٤
دار المعارف ج ٣ ص ١٤٤
دجلة: ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٣ ص ١٣٦
الدخول ج ٣ ص ٣٧ ، ٩
دمشق ج ١ ص ٣٠ ، ٥٣ ، ١٠٩ ،
٣٠١ ، ج ٢ ص ١١٩ ، ٢٦٤ ،
٣٤٧ ، ج ٣ ص ٧٧ ، ١٤٦ ،
٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٦٠
دهلك ج ٢ ص ٣١
دور الضرب والطرز ج ١ ص ٣١٨
ديار بكر ج ٢ ص ١٠
الديار الشامية ج ١ ص ٣٣١
الديار المصرية ج ١ ص ٩ ، ٣١ ،
٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٣١ ، ج ٣
ص ٢٢٤
دياف ج ٢ ص ٢٥٩
الدينور ج ١ ص ٣٠٢
ديوان الخلافة ج ١ ص ٩ ، ٤١ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٧٢ ،
١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢٥٢ ، ٣٥٨ ،
٣٦٦ ، ج ٢ ص ١٩ ، ٣٥ ،

۱۷۰، ۱۹۸، ۳۲۳، ج ۲ ص ۱۵،

۳۰، ۳۷، ۵۱، ۸۸، ۱۴۲، ۲۵۹،

ج ۳ ص ۹۲، ۱۲۷، ۱۹۵،

۲۴۳، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۸۱،

شعب بوان ج ۱ ص ۳۴۰، ج ۲ ص ۲۷

شیراز ج ۲ ص ۳۱۵

(ص)

صرخد ج ۱ ص ۳۰

الصفاء ج ۳ ص ۱۵۵

صفین ج ۱ ص ۴۶

صقلية ج ۲ ص ۳۱

صنماء ج ۱ ص ۳۵۶

الصين ج ۲ ص ۴

(ض)

الضمار ج ۱ ص ۲۴۷

(ط)

الطائف ج ۲ ص ۳۴۱، ج ۳ ص ۷۴،

۲۴۶

طبرستان ج ۱، ۳۹۹، ج ۳ ص ۱۲۲

(ز)

الزايون ج ۲ ص ۳۶۵

زخشر ج ۲ ص ۱۷۱

زمزم ج ۳ ص ۱۵۵

(س)

ساباط ج ۲ ص ۳۴۷

ساوة ج ۲ ص ۳۱۵

سجستان ج ۲ ص ۳۵۳

السحانين ج ۱ ص ۳۰۲

سر من رأى ج ۳ ص ۱۰۰

سغد سمرقند ج ۲ ص ۲۷

سقط اللوى ج ۳ ص ۳۷، ۹۹

سقيفة بنى ساعدة ج ۱ ص ۶۷

سلى ج ۱ ص ۱۱۲

الساوة ج ۲ ص ۳۰

سيمساط ج ۱ ص ۳۱، ج ۲ ص ۸۱

سنجار ج ۱ ص ۳۱

السند ج ۲ ص ۱۵۷

سوق عكاظ ج ۳ ص ۱۸۶

(ش)

الشام ج ۱ ص ۹، ۳۱، ۵۴، ۶۵،

ص ١٠٢ ، ٣٢٣ ، ج ٣ ص ١٠٣ .

١١٨ ،

عذاب ج ٢ ص ٣١

(غ)

القمير ج ٣ ص ٧٤

غوطة دمشق ج ٢ ص ٢٧ ، ٢٦٤ ،

الغوير ج ٢ ص ٣٠ ، ج ٣ ص ١٠١

(ف)

فارس ج ١ ص ٤٧ ، ج ٢ ص ٥١ ،

١٦٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ،

الفرات ج ٢ ص ٣٠ ، ٩٤ ج ٣ ص

٨٧ ، ١٧٩ ، ٢٥١ ، ٢٨٧ ،

فسا ج ٢ ص ١٦٢

فلسطين ج ١ ص ١٠٣ ، ج ٢ ص ٣٧٤

(ق)

القادسية ج ٢ ص ٣٠ ، ٢١٢ ، ٣٢٨ ،

القاع ج ٢ ص ٣٠

القاهرة ج ١ ص ٣١ ، ج ٢ ص ٥٠ ،

١١٠ ، ١٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٩٦ ،

٣٧٤

طبرية ج ٢ ص ٣٤٧

طرابلس ج ٣ ص ٩٢

الطف ج ٢ ص ٣٢٩

الطور ج ١ ص ٩٥

طوس ج ٢ ص ٨٨

(ع)

العذيب ج ٢ ص ٣٢٨ ، ج ٣ ص ١٠١ ،

٢٦٣

العراق ج ١ ص ٣٠١ ، ج ٢ ص ٣٠ ،

٣٨ ، ٥١ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٢٣ ،

ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٣٤ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٢٨٧ ،

العراقية ج ١ ص ١٠١

عسفان ج ٣ ص ٦٤

عسقلان ج ٢ ص ٣٧٤

عسكر مكرم ج ١ ص ٤٠٤

العسيب ج ١ ص ١٤٥

العقبة ج ٢ ص ٣٠

العقيق ج ٣ ص ١٠١

عكا ج ٢ ص ١٤٢

عمورية ج ١ ص ٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ج ٢

ج ٣ ص ١٠٧ ، ٢٧٣

(ل)

اللاوى ج ٢ ص ١٠٢ ، ٣٤٤

(م)

مجمع البحرين ج ٢ ص ١٢٠

المحجة ج ٢ ص ٥٠

المحصب ج ٣ ص ١٥٥

المدرسة النظامية بأصبهان ج ١

ص ٤٠٤ ج ٢ ص ٨٨

المدينة ج ١ ص ٥٠ ، ١٦٧ ، ١٩٨

٢٤٦ ج ٢ ص ٨٢ ، ١٢٠ ،

٣٢٩

مدينة السلام ج ١ ص ٣٦ ، ٢٨٧ ،

٢٩٣ ، ٣١٨ ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ،

٧٣ ، ٢٣٢

مر الظهران ج ٢ ص ٢٤١

مرو ج ٣ ص ١٤ ، ٣٣٧

المسجد الأقصى ج ٢ ص ٢٠ ، ١٧٥

المسجد الحرام ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ،

١٧٥

مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ج ١ ص ٧٦

قبر رسول الله ج ١ ص ٢٩٣

قدس ج ١ ص ٢٢٨

قران ج ١ ص ٣٤٦

قرمسين ج ١ ص ٣٠٢

القلزم ج ١ ص ٢١٢

القليب ج ٢ ص ٥٧

قم ج ٢ ص ٣٧٢

قومس ج ٣ ص ١٢٢

(ك)

كاظمة ج ٣ ص ١٩٧

الكرخ ج ٢ ص ١٤٦ ج ٣ ص

١٨٨

الكوبة ج ١ ص ٣٢٢ ج ٣ ص ٣٥

كندة ج ١ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

ج ٣ ص ٢٦

الكهف ج ٢ ص ٥٦ ، ١٩٣ ، ٢١٣

٢٢٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٥ ، ٣٧١

كور الجبل ج ٢ ص ٣٧٢

كور همذان ج ١ ص ٣٠٢

الكوفة ج ١ ص ٤٧ ، ٥٤ ، ١٦٧

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٩٠ ، ٤١١ ج ٢

ص ٣٠ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٨

منبج ج ١ ص ٥٤
منى ج ٢ ص ٦٨، ٦٧، ٦٠
المنيفة ج ١ ص ٢٤٧
المهراس ج ٣ ص ١٠٧
مهيعة ج ١ ص ١٩٨
الموصل ج ١ ص ١١، ٣٠، ٣١،
٥٠، ١٦ ص ٢ ج ٢٨٧، ٥٣
١١٣ ص ٣ ج ١٦١، ٥٢، ٥١
١١٦، ١٣٠، ١٣٥، ج ٣ ص
١٤٦، ١٤٠
موقان ج ١ ص ٣٤٥، ج ٣٠٢٢
ميا فارقين ج ٢ ص ١٠ ج ٣ ص ٨٢
ميدان ج ١ ص ٦١، ج ٣ ص ١٠٠
(ن)
نجد ج ١ ص ٢٤٧ ج ٣ ص ٢٣،
٢٤
نجران ج ٣ ص ١٢٦
نحلة ج ٣ ص ٢٢٦
نصيبين ج ٢ ص ١٠ ج ٣ ص ٨٢
نهاوند ج ٢ ص ٢٧٢
نهر الأبله ج ٢ ص ٢٧

المشان ج ١ ص ٤١
مشهد موسى بن جعفر ج ١ ص ٣٢
مصر ج ١ ص ٩، ٣١، ٥٤، ٦٥،
١٩٨، ٢٥٣، ٢٥٩، ٣٦٧ ج ٢
ص ٩، ١٢٣، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٦،
١٦٥، ٢١٢، ٣٤٤، ٣٧٤ ج ٣
ص ٢٦، ١٠٥، ١١٦، ٢٢٤،
٢٨٧، ٢٢٥
مطبعة المجمع العلمي العراقي ج ١ ص ١٨
المطبعة الوهيبية ج ٢ ص ٢٩٦
معرفة النعمان ج ٢ ص ٧٧، ٧٨
المغرب ج ١ ص ٢٥٣ ج ٢ ص ٤
ج ٣ ص ٢١١
مقابر قریش ج ١ ص ٣٢ ج ٢ ص
١٦٣
المقبرة الكبرى ج ٢ ص ١٢٤
المكتبات العربية ج ١ ص ٣
مكة ج ١ ص ٩، ٦٤، ٦٥، ٦٧،
١٩١، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٢٢، ج ٢
٣٠، ٦٠، ١٠٤، ٣٤١، ج ٣
ص ٢٦، ٣٣، ٦٤، ١٠٦،
٢٢١، ٢١٦

هفزيط ج ٢ ص ١٠٧

(و)

واسط ج ٢ ص ٣٥٣

وح ج ٣ ص ٧٤

(ى)

يافا ج ١ ص ١٠٣

يُرب ج ٣ ص ٢٢٦

اليمامة ج ٢ ص ١٢٠

اليمين ج ١ ص ٣٢٢ ج ٢ ص ٣١

ج ٣ ص ٧٧، ٩١، ٢٤٠

نهر أبي الخصيب ج ٢ ص ١٤٦

النويندجان ج ٢ ص ٢٧

نيسابور ج ١ ص ٦١ ج ٢ ص ٢٧٢

النيل ج ٣ ص ٢٨٧

(هـ)

هرقلة ج ٣ ص ١٠٦

هضبة الحمى ج ١ ص ٨٣

همدان ج ١ ص ٣٠٢ ج ٢ ص ٥٥،

٣٧٢

الهند ج ١ ص ٣٤٨

تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٢ ج ٣ ص

١٤٨

تاريخ الطبري ج ٣ ص ٦٤

تأويل مشكل القرآن ج ٢ ص ٨١

تبين غلط قدامة بن جعفر في كتاب

نقد الشعر ج ١ ص ٣٥

التذكرة ج ٢ ص ٢٩ ج ٣ ص ٥٠

الترمذي ج ١ ص ١٧

التصريف ج ١ ص ١٧

تفسير البلاذري ج ١ ص ١٧

تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٢٦

تفسير النقاش = شفاء الصدور

تفضيل شعر امرئ القيس على

الجاهليين ج ١ ص ٣٥

التلخيص ج ٢ ص ١١٠

التنبيه على أوام أي على في أماليه

ج ٢ ص ١٤٥

التهذيب ج ١ ص ٢٢٠

(ج)

الجامع الكبير ج ١ ص ١٨

الجمهرة ج ١ ص ٢٤٨

جمهرة اشعار العرب ج ٣ ص ٢٣٠

جمهرة الأمثال ج ٢ ص ١١٠

الأمثال للميداني ج ١ ص ٦١ ج ٢

ص ٣٧٦

أمثال العرب ج ١ ص ١٣٠

إنباه الرواة على أنباه النجاة ج ١

٤٦

الانتصار ج ٣ ص ١٠٩

أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء

ج ١ ص ٣٦٤

الأوائل ج ٢ ص ١٧ ، ١١٠

الأوساط في النحو ج ٢ ص ٣٠٨

(ب)

البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٥

البدیع ج ١ ص ١٩ ج ٢ ص ١٢٣

البرهان للزركشي ج ٣ ص ١٣٢

بغية الوعاة ج ٢ ص ٣٠٨

البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ ، ٨٢ ،

٢٧٥ ج ٢ ص ٣٤ ، ٢٠٣

(ت)

تاج العروس ج ٤ ص ١١

تاريخ إربل ج ١ ص ٣٢

تاريخ الاشراف ج ١ ص ٦٠

دلائل الإعجاز ج ١ ص ١٩ ، ٢٠ ،
٣٨٤ ، ٢١٤
ديوان ابراهيم بن العباس بن محمد
ابن صول ج ٣ ص ١٧٥
ديوان ابن الرومي ج ١ ص ١٨ ، ٩٩
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ج ٢
ص ٢٥ ، ١٤١ ج ٣ ص ١٨٦ ،
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩
ديوان ابن المعتز ج ٣ ص ٢٥١
ديوان ابن نباتة السعدي ج ٣ ص
٢٩٢
ديوان أبي تمام ج ١ ص ١٤ ، ١٨ ،
٨٤ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١١٧ ، ١٣١ ،
١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ،
٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٣٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ،
٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ،
٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ،
٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ،

جواهر الألفاظ ج ١ ص ١٨ ، ٣٥٧ ،
الجواهر للغزالي ج ٣ ص ٦٣ ،
(ح)
حاشية الصبان على شرح الأشموني
ج ٢ ص ٢٢٢
حلية المحاضرة للحاتمي ج ١ ص ١٩
الحجاسة ج ١ ص ٥٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ،
٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ج ٢ ص
١٠٠ ، ٢١٣ ، ٢٤٦ ، ٣٠٦ ،
الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٢٠٣
(خ)
الخراج وصناعة الكتابة ج ١ ص
١٨ ، ٣٩٦
الخريدة ج ١ ص ٤٠٤ ج ٣ ص
٢٥٩ ، ٢٦٠
خزانة الأدب ج ١ ص ١٤٧
الخصائص ج ١ ص ١٧ ج ٢ ص ٦٧ ،
٦٨ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٥٨ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٤٩
(د)
درة الفواص في أوهام الخواص ج ١
ص ٤١

ديوان أبي نواس ج ١ ص ١٨ ،

١٥٠، ١٤١، ١٤٠، ٥٤، ٥٢

٢٦٠ ، ٢٥١ ، ١٥٦ ، ١٥١

٣٧٤ ، ٣٤٦ ، ٢٤١ ، ٢٦١

٣٩٠ ، ج ٢ ص ١٢ ، ١٢

١٣٦ ، ١٢٥ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٢١

١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٤٩ ، ١٤٦

٣٤٦ ، ج ٣ ص ٦٦ ، ٧٠

٨٧ ، ١٠١ ، ١٢٤ ، ١٣٨

١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٧

١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨١ ، ١٩٢

١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨٢ ج ٤ ص ٣

ديوان الأخطل ج ٣ ص ٩٨ ،

٢٧٥

ديوان الأعشى ج ٣ ص ١٧٩ ،

٢٠٤

ديوان امرئ القيس ج ٣ ص ٣٦ ،

٣٧ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ج ٣ ص ٩٩ ،

١٦٦ ، ٢٠٢ ، ٢٣٠

ديوان البحترى ج ١ ص ١٨ ، ٩٨ ،

٤١٣ ، ٤١٤ ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٢ ، ٧

٢٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨٧

٩٠٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠

١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠

١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٨

١٩٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨

٢٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

ج ٣ ص ١٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٥

٤٦ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٠٢

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢

١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦

١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٥

١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣

٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥

٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١

٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٠

٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٢

ج ٤ ص ٦ ، ٩ ، ١١

ديوان أبي العتاهية ج ١ ص ١٨ ج ٣

ص ٢٦٠

ديوان أبي العلاء ج ٣ ص ٢٥٦

٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩
ديوان جميل ج ٣ ص ١٦٩
ديوان حاتم الطائي ج ٢ ص ٢٩٦
ديوان الحريري ج ١ ص ٤١
ديوان حسان بن ثابت ج ٣ ص
٢٤٠
ديوان الحطيمية ج ٣ ص ٣٦
ديوان الحماسة ج ١ ص ١٧ ، ٤١ ،
٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ج ٢ ص
٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، ١٤٨ ،
١٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ،
٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ،
٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ج ٣ ص
١٠ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٧٤
ديوان ديك الجن ج ١ ص ١٨
ديوان ذى الرمة ج ٣ ص ١٥٥ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩
ديوان الشريف الرضي ج ١ ص
١٦٧ ، ج ٢ ص ١٠٩ ، ج ٣
ص ٧٠ ، ٧٢ ، ٢٩٠ ، ج ٤ ص ٤

١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ؛
١٤٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ؛ ٢١٤ ،
٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ،
٣٥٥ ، ٤١٤ ، ج ٢ ص ٦١ ،
٧٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٧ ،
١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،
١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ٢٤٨ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧ ،
٣٢٧ ، ٣٦٨ ، ج ٣ ص
١٥ ، ٣٩ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ج ٣ ص ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ،
٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥ ،
٢٩٠ ، ج ٤ ص ١٠
ديوان بشار ج ٣ ص ٢٤٢ ، ٢٥٨
ديوان الترسلي ج ١ ص ٣٢
ديوان جرير ج ٢ ص ٣١١ ، ٣٤٤
ج ٣ ص ٤٤ ، ٩٥ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ؛
٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،

، ٢٥٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩
، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩ ، ٢٦٤
، ٤٠٠ ، ٣٩١ ، ٣٨٢ ، ٣٥٦
، ٤١٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٢
، ٤١٣ ، ٤١٤ ج ٢ ص ٩ ،
، ١٠٦ ، ٨٢ ، ٦١ ، ٢٩ ، ٢٦ ، ١٠
، ١٥٢ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٠٧
، ٢٧٨ ، ٢١٥ ، ١٩٧ ، ١٥٧
، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ج ٣ ص ٣ ، ٢١٠
، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧١ ، ٦٨ ، ٦١
، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥
، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٨
، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦١
، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٩٣
، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٤
، ٢٢٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥
، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣
، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١
، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧
، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨
، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
ج ٤ ص ٤ ، ١٠ ، ١١

ديوان الشماخ ج ٤ ص ٣
ديوان العباس بن الأحنف ج ١
ص ١٨ ، ج ٢ ص ١٤٥ ، ج ٣
ص ١٧٠ ، ٢٣٦
ديوان عروة بن الورد ج ٣ ص ٢٣٦
ديوان عمارة الميني ج ٣ ص ٢٢٤
ديوان عنقرة بن شداد ج ١ ص ٣٨٨
ج ٣ ص ١٩١
ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٨ ، ٢١٧
، ٢٣٧ ، ٢٦٠ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص
، ١٢٠ ، ١٥٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
ج ٢ ص ٧١ ، ١٣٧ ، ١٤٦
، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٢
، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٣
ديوان كثير ج ٣ ص ٤٤
ديوان كشاجم ج ١ ص ١٨
ديوان المنفي ج ١ ص ١٤ ، ٣٨
، ٥٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥
، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٣
، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣
، ١٥٧ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦
، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩

ص ١٨١ ، ١٩٥ ، ٢٨٢
زبني دحلان على هامش السيرة
الحلبية ج ٣ ص ٢٢٦
(س)
السامى فى الأسماء ج ١ ص ٦١
سر الصفاة ج ٢ ص ١٠٨ ، ٨٤
سر الفصاحة ج ١ ص ١٨ ، ٢١ ،
٢٨ ، ٣٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٣٣٨ ،
٣٧١ ، ج ٢ ص ١١٠ ، ١١٢ ،
ج ٣ ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٦ ،
١٠٠ ، ٢١٢
سرقاى أبى الطيب المنبجى ج ٢ ص
١٢٤
سقط الزند ج ٣ ص ٧٨ ، ٢٥٦
سنن أبى داود ج ١ ص ١٧ ، ١٩١
سنن النسائى ج ١ ص ١٧ ، ١٩١
سرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٤ ، ١٨١ ،
٢٢٦
(ش)
الشامل للجوينى ج ٣ ص ١٩٩
الشاهنامه ج ٤ ص ١٢
شذرات الذهب ج ٣ ص ٩٤٨

ديوان مسلم بن الوليد الأنصارى ج ٢
ص ٩ ، ج ٣ ص ١٥٦ ، ٢٤٤ ،
٢٤٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
ديوان المعانى ج ٢ ص ٣٠٨
ديوان مهيار الديلمى ج ٣ ص ١٠٧
ديوان النابغة ج ٢ ص ٣٤٢ ، ج ٣
١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٨١ ،
(ر)
الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام
ج ١ ص ٣٥
رسالة الخشاب فى الرد على الحريرى
فى مقاماته ج ١ ص ٤٣
رسائل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٩٧ ،
٣٩٩
رسائل أبى اسحاق الصابى ج ١ ص
١٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
رسائل الصاحب بن عباد ج ١ ص
١٧
الروضة ج ١ ص ١٧ ، ج ٢ ص ١٢ ،
ج ٣ ص ١٠٥
(ز)
زهر الآداب للحصرى القيروانى ج ٣

، ٣٨٥ ، ج ٢ ص ٦٧ ، ٢٥٩ ،

، ٣٢٨ ، ج ٣ ص ٩٥ . ١٤٨ ،

٢٣٩ . ١٩١

شعراء النصرانية ج ٢ ص ٣٤٥

الشفاء ج ٢ ص ٥

شفاء الصدور ج ١ ص ١٧ ، ٦٠

الشهاب ج ١ ص ١٧ ، ١٩١

(ص)

صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٥

صحيح البخاري ج ١ ص ١٧ ،

١٩١ ، ج ٣ ص ٦٠

صحيح الترمذي ج ١ ص ١٩١

صحيح مسلم ج ١ ص ١٧ ، ١٩١

الصناعتين ج ١ ص ١٨ ، ٣٦٤ ،

، ٤١١ ، ج ٢ ص ٧ ، ٦٢ ، ٦٧ ،

، ١١٠ ، ١٣٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ،

ج ٣ ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،

، ٧٣ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٦٩ ، ١٨٥ ،

، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،

، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ،

٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ج ٤ ص ٣

شرح التبريزي ج ٢ ص ١٦٦ ،

٢٥٣

شرح التنوير على سقط الزند ج ٣

ص ٢١٥

شرح الحماسة ج ٢ ص ١١٠ ج ٣ ص

، ٣٤ ، ٤٥ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ،

٢٣٧

شرح الحماسة للمرزوقي ج ٣ ص ٣٤ ،

، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،

، ١٧١ . ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ،

، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ،

٢٤٩ ، ٢٤٥ ، ٢٣٧

شرح ديوان بشار ج ٣ ص ٢٥٨

شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ج ٣

ص ٦٠

شرح ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٢٩ ،

٣٤٣

شرح ديوان المتنبي ج ١ ص ١٧ ،

ج ٣ ص ٣٩

شرح ملحمة الإعراب ج ١ ص ٤١

الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٥٦ .

الفصول لأبقرراط ج ٣ ص ١٤٥
الفصيح ج ١ ص ١٧ ، ٣٥١ ، ٣٨٩
الفلك الدائر على المثل السائر ج ١
ص ٤٠ ، ٤٥ ، ١٤٥
الفهرست ج ١ ص ٣٥ ، ج ٣ ص
٢٧٣

قوات الوفيات لابن شاکر الکتبی
ج ٣ ص ١٣٥
(ق)

القاموس المحيط ج ١ ص ٥٩ ، ١٠١ ،
١٨٦ ، ١٩٦ ، ٣٢٢ ؛ ج ٢ ص
٣٣ ، ٥٦ ، ١٥٧ ، ١٩٨ ،
٣٨٠ ، ج ٣ ص ٣٥ ، ٧٤ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ،
٢٥٢

قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ج ١
ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ج ٣ ص ٣٣٢
(ك)

الکامل لابن الأثیر ج ٢ ص ١٢ ،
ج ٣ ص ١٣٥ ، ٢٢٣
کتاب الحروف ج ١ ص ٣٥
کتاب الحماسة ج ١ ص ٢٣٧

صناعة الشعر للغامی ج ١ ص ١٨
(ط)
طبقات الشعراء ج ٢ ص ٦٢ ، ٣٢٨ ،
٣٤٥ ، ج ٣ ص ١٤٨ ، ٢٢٩ ،
٢٥٨

(ع)
العرب والامبراطورية العربية ج ٣
ص ٢٢٦
العروض والقوافی ج ٢ ص ٣٠٨
العصا لأسامة بن منقذ ج ٣ ص
٧٨

العقد الفريد ج ١ ص ١٧ ج ٢ ص
٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ج ٣ ص
٥٦ ، ٧٣ ، ٢٤٥
العکبری ج ٢ ص ٢٧٨

العمدة (لابن رشيق) ج ٣ ص ١٨١
عيون الأخبار ج ٣ ص ٣٤ ، ٧٠
(ف)

فتوح البلدان ج ١ ص ٦٠
فحول الشعراء ج ١ ص ٥٣
فرق ما بين الخاص والمشارك من
معاني الشعر ج ١ ص ٣٥

مجمع الأمثال ج ١ ص ١٧ ، ٦١ ،

٦٢

المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي

ج ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ،

٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،

٣١٩ ، ٣٣٢ ، ج ٢ ص ٩١

المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء

ج ١ ص ٣٥

مدارك التنزيل وحقائق التأويل

للسنفي ج ٢ ص ٢٢٢

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة

والبقاع ج ٢ ص ٢٦٤

المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور

أحمد الحوفي ج ٣ ص ١٨٢

مروج الذهب المسمودي ج ٣ ص

٥٦

المسائل ج ٢ ص ٣٠٨

المعارف ج ٢ ص ١٧

معاني شعر البحتری ج ١ ص ٣٥

معاني القرآن ج ٢ ص ٣٠٨

المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء

كتاب سيبويه ج ١ ص ٤٨

كتاب العين ج ١ ص ٤٨

كتاب فلمات وأفلمات ج ١ ص ٣٥

كتاب في أن الشاعرين لا تتفق

خواطرهما ج ١ ص ٣٥

كتاب مافي معيار الشعر لابن طباطبا

من الخطأ ج ١ ص ٣٥

كليقة ودمنة ج ١ ص ١٠٩

(ل)

الالباب لابن الأثير ج ٣ ص ٤٩ ،

١٢٨ ، ١٣٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

لحن الخاصة ج ٢ ص ١١٠

لزوم مالا يلزم ج ١ ص ١٧ ، ٣٦٥ ،

٣٦٨

اللزوميات ج ٣ ص ٧٨

لسان العرب ج ١ ص ٣٧٥ ، ج ٢

ص ٣٩ ، ٢٥٩ ، ٣٣٢ ، ج ٣ ص

٦٤ ، ٧٨ ، ٧٩

(م)

المثل السائر ج ١ ص ٣ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١٣ ،

١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٩ ، ٣١ ، ٢١٧

المنصف ج ٢ ص ٨٤ ، ١٠٨ ،
١٢٤

لموازنة بين البحترى وأبي تمام ج ١
ص ٢٦ ، ج ٣ ص ١٤٤

الموازنة بين الطائين ج ١ ص ٢١ ،
١١١ ، ١١٠ ، ج ٢ ص ١١١ ، ١١٠ ،
١١٤ ، ج ٣ ص ١٠٤

المؤلف والمختلف ج ٢ ص ٣٠٥ ،
ج ٣ ص ٢٦٢

الموشح ج ٢ ص ٣٤٥ ، ج ٣ ص
١٧٩ ، ١٨٦

الموطأ ج ١ ص ١٧

(ن)

نثر المنظوم ج ١ ص ٣٥
نزهة الألباء في طبقات الأطباء ج ٢
ص ٨٤

النقائض ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص
٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ج ٣ ص ٢٧٥ ،
٢٧٨

نقد الشعر ج ١ ص ١٨ ، ٦٧ ،
٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص ٦٢ ،

٣٢٢ ، ج ٣ ص ١٤٤ ، ٢٠٧

ج ١ ص ٣١

معاهد التنصيص ج ٣ ص ٣٦ ،
١٣٧

معجز أحمد ج ١ ص ١٧

معجم الأدباء لياقوت ج ٢ ص
١٠٨ ، ج ٣ ص ١٣٥

معجم البلدان ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٣٥ ،
١٨١

معجم المرزباني ج ٣ ص ٢٦٢

المعلقات ج ١ ص ٢٦٦

مفاتيح العلوم ج ١ ص ٢٠

المفسر ج ٢ ص ١٠٨

مقامات بدیع الزمان الهمداني ج ٣
ص ٢٨٤

مقامات الحريري ج ١ ص ١٧ ،
٤٠١ ، ج ٢ ص ٤٧ ، ج ٣ ص

٨٨

المقاييس في النحو ج ٢ ص ٣٠٨
المقتضب ج ٢ ص ١٢

مقدمة ابن أفلح البغدادي ج ١ ص ١٩ ،
٢٠ ، ج ٢ ص ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣

ملحة الإعراب ج ١ ص ٤١

ص ٢٢٢ ، ٢١٨
الوشى المرقوم في حل المنظوم ج ١
ص ٣١ ، ١٦١ ، ج ٢ ص ٣٦
وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠ ، ج ٢
ص ١٢٤ ج ٣ ص ٣٤ ، ٢٥٢ ،
٢٧٣

(ي)

ياقوت ج ١ ص ٣٥
بقيمة الدهر ج ١ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
٤٠٧ ، ج ٢ ص ١٢٤ ، ج ٣ ص
١٤٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٩٢

النكت في إعجاز القرآن ج ١ ص
١٨
النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٦٤ ،
١٨٢
نوادير المخطوطات ج ٣ ص ٧٨
النيسابوري على هامش الطبري ج ٣
ص ٢٢٦

(هـ)

المهشميات للكثير ج ٣ ص ١٥٣
(و)

الوساطة بين المتنبى وخصومه ج ١
ص ١٩ ، ج ٢ ص ٧٢ ، ج ٣

فهرس القوافى

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٨٩	٢	طويل	وماه	وما العيش
١٩٤	٣	»	ورءها	ملكك
١٧٥	٣	»	وسماؤها	انا ابل
٢٨١	١	»	بداء	أملك
٢٣٢	٣	بسيط	الداء	دع
٢٣٣	٣	»	شاءوا	لهفى
١٣٣	١	كامل	أحشائه	لا تملد
»	١	»	بدمائه	إن القليل
١٣١	٢	»	الندماء	وكأنها
١٤٦	٢	»	وضجائه	يا غاديا
»	٢	»	مائه	جدة
١٤٧	٢	»	نهاء	يمشون
٢١٢	٣	»	بالأسماء	خرقاء
٣٥٠	١	»	هواء	قد ذبت
٢٤	٢	»	نقاءه	غيرى
»	»	»	هجاءه	كل امرى
٣٢	»	»	سمائه	يا صالبا
٢٤٧	»	»	بتنائى	زعم
١٥٥	»	»	سجرائى	قدك

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٥٥	٢	كامل	بكاتى	لا تسقى
٣٨	٣	»	وورائه	لانى
٢٠٦	»	»	حراء	اسلم
٢٢٤	»	»	يفدائه	لوقلت
٢٤٥	»	»	أعدائه	أأحبه
١٠١	٣	خفيف	بيضاء	إن للبين
١٤٩	»	»	البلاء	أحسن
١٢٩	»	»	ابتداء	جاد حتى
١٣٧	٢	متقارب	الغناء	أقروا
٢٧١	»	»	الغناء	نعاء
			(ب)	
٢٩	١	طويل	مركب	لعمرى
٧٧	»	»	يتقلب	وأظلم
١٠٢	»	»	حبيمها	أهابك
١٠٤	»	»	خائب	يرى
١١٨	»	»	السهب	إذا سار
١٥٢	»	»	صاحبه	أهن
»	»	»	غياهبه	وركب
١٦٧	»	»	ضروب	عشقت
٣٤٤	»	»	الكتائب	إذا انخيل
٣٤٤	»	»	أم نهب	لقد أخذت

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٤٤	١	طويل	السواكب	على مثلها
٣٥٠	»	»	قواضب	يمدون
٣٧٠	»	»	نواصبه	الم تر
٣٩٧	»	»	يقاربه	وما مثله
٣٩٨	»	»	نكب	إلى خالد
٣٩٨	»	»	نهب	لقد أخذت
٤٨	٢	»	على خطب	ولو كان
٨٢	»	»	والجنائب	أميدان لهوى
٨٢	»	»	السواكب	على مثلها
١٠٥	»	»	سحائب	وصاعقة
١٠٥	»	»	لواعب	هبيه لمنهل
١٤٣	»	»	السكرائب	هنيئاً
١٧٨	»	»	قاطب	وركب
١٧٨	»	»	السواكب	على مثلها
٢٢٩	»	»	يقاربه	وما مثله
٢٧٥	»	»	شعوب	ولا فضل
٢٧٨	»	»	يتقلب	وأظلم
٣٠٥	»	»	المذبذب	خيال لأم
٣٤٢	»	»	المهذب	ولست
٣٤٢	»	»	أنصب	أتانى

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٥٧	٢	طويل	شعوب	ولا فضل
٢٠	٣	»	نوائبة	جزى الله
٧٠	»	»	الحقائب	فعا جوا
٨٣	»	»	والضرب	بكل فتى
١٣٧	»	»	بالمصائب	وركب
١٤٢	»	»	خلبا	عمدتك
١٧٠	»	»	حرب	وصالكم
١٧٩	»	»	ونعزب	الايقنا
١٨٣	»	»	تاوبا	أجرك
١٨٥	»	»	القلائب	أنت
١٨٨	»	»	مذهب	حلفت
٢٠٣	»	»	مركب	المعرى
٢٠٨	»	»	ينقب	كان
٢١٤	»	»	نصب	عوامل
٢٢٣	»	»	بلبه	خذا
٢٣٥	»	»	ساكبه	رعته
٢٤٩	»	»	فنضارب	إذا قصرت
٢٤٩	»	»	غرائب	غرائب
٢٥٦	»	»	الترب	وأهوى
٢٦٥	»	»	خيّب	وقد
٢٨١	»	»	بمصائب	إذا ما

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٨٥	٣	طويل	مهذبا	وما تنعم
٢٩١	»	»	لعائب	يرى
٩٨	١	بسيط	القمبُ	قلب يطل
٣٤٤	»	»	والضربُ	بكل فتى
»	»	»	الخصب	عداك
»	»	»	في كشب	كم أحرزت
»	»	»	واللعب	السيف
٣٦٠	»	»	والريب	بيض الصفايح
٢٦٤	»	»	ذهبُ	كحلاء
٣٦٤	»	»	سربُ	ما بالُ
٣٩١	»	»	والقربا	ياربة البيت
٣٩١	»	»	قبيا	ماذا ترين
٢٢	٢	»	كشبُ	يا أيها الملك
»	»	»	عقبُ	صبرا
١٠٢	»	»	في كشبِ	كم أحرزت
»	»	»	الخطبِ	إن يمد
»	»	»	واللعب	السيف
١٠٣	»	»	من الحربِ	أحسن قرابينه
١٤٤	»	»	يجب	صدفت عنه
»	»	»	عجبِ	أبدت
٢٢٣	»	»	والفضبِ	لو يعلم

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٦	٣	بسيط	غلبا	قالت
١٠٣	»	»	والعجب	السيف
١١٨	»	»	التمعب	بصرت
١٥٤	»	»	والشذب	أم هل
١٥٤	»	»	شذب	لمياه
٢١٨	»	»	العرب	يا أخت
٣٤٠	١	مخّلع البسيط	لايتوب	فكل ذي
»	»	»	فالذنوب	أقفر
٢١٢	٣	»	قابي	ان الذي
٢١٥	»	»	أركب	قال
٢٩	١	وافر	التراب	وما أحد
٢١	٢	»	التراب	شراك
٢٣	»	»	ذنوب	رأينا الجود
٢٣	»	»	قطباً	وأنت تدير
٢٣	»	»	نصبا	أعتبة
٢٥	»	»	الصحاب	عدوك
٦٧	٣	»	مستراب	وتناظرة
٩٥	»	»	كلابا	فمض
٩٥	»	»	انصبابا	انا البازي
٢٠٢	»	»	التراب	وما أحد

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٣١	٣	وافر	جوابا	وغر
٢٣٨	»	»	خِضَابُ	وَمَنْ
٢٤٢	»	»	التُّرُوبَا	فَلَا زَالَتْ
٢٤٣	»	»	الْمُخْطُوبِ	أَسَالِمُ
٢٥٢	»	»	غَضَابَا	إِذَا غَضِبْتَ
٢٨٠	»	»	العَرَابِ	إِذَا آبَاؤُنَا
٦٢٢	١	كامل	فِي قَرْبِهِ	بِالْفِظ
١٤٤	»	»	يَسْلُبُوا	سَلَبُوا
١٧٠	»	»	ذَا بَكْمُوبِ	يَزْهَى بِهِ
٣٥٩	»	»	العَقْرَبِ	جَادِبَتَهَا
٣٨٠	»	»	شِهَابِ	إِنْ يَقْتُلُوكَ
٦١	٢	»	فَتَذْهَبُ	عَفَتْ الرُّسُومَ
٦١	»	»	الأَشْنَبِ	عَارِضَنَا
١٤١	»	»	وَمِنْ عَظْبِ	يَا بْنَ الْمَسِيْبِ
١٤١	»	»	العَنْبِ	أَذْرَكَ
٦٤٧	»	»	بِكُوكِبِ	وَتَرَاهُ
١٤٧	»	»	لَمْ تَعْلَمِ	رَحَلُوا
٢٢٢	»	»	الْحَبَا	يَذْرِبِينَ
١٩٩	٣	»	طَلِي	وَلَقَدْ
٢٠٣	»	»	الأَجْرِبِ	ذَهَبَ
١١٩	»	»	الْقُلُوبِ	عَفَتْ

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٤٠	٣	كامل	القلب	أدميت
٢٤٤	»	»	يَرْكَبُ	قالوا
٢٤٤	»	»	وتركب	إن المطية
٢٥١	»	»	ويُغْرِبُ	ركبوا
٣٥٨	٢	هزج	والوصب	ذُكِرْتُ
١٦٢	١	منسرح	على طربة	لن بكاء
١٦٢	»	»	في سلبه	سلبته
١٢٦	»	خفيف	ظلابه	ليس
١٥٢	»	»	أربيا	سكن
١٥٢	»	»	تَصُوبَا	من سجايا
١٦٢	»	»	بالتنويب	لوراينا
١٣٢ ، ١	٢	»	في ملحوب	أى مرعى
١٤٠	»	»	فأصابه	أن دعاه
»	»	»	عصابه	خلق
١٢٦	٣	»	ابن شهاب	وكفاني
٢٤٠	»	»	الندوب	جرحته
٢٥٩	»	»	بالتفريب	غرتته
١٥٥	»	مجتث	لا تكذب	وقد حلفت
١٤٥	١	مقارب	العسب	أنام
٣٦٨	٢	»	مهيبا	تردد في

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
لوت	الطروبا	متقارب	٢	٣٦٨
اذا كان	حبيبا	»	٣	٢٥٧
(ت)				
طموح	جنة	طويل	١	١٥٥
خليلي	حلت	»	»	٣٧١
أصاب الردي	جنت	»	»	٣٧١
نهوض	وجلّت	»	٣	١٥
نسانها	وأبت	»	»	١٥
نميم	ضلت	»	»	٩٥
ومطالب	بآنها	كامل	»	١٢٥
يوم التميم	أنى	»	»	١٧٦
إن السكرام	سويداواتها	»	»	٤١٤ ، ٢٦٤
سرب	موصوفاتها	»	»	٢٦٤
لاخلق	هاها	»	»	٤١٤
سرب محاسنه	موصوفاتها	»	»	٤١٤
مأنى	سراويلاتها	»	٣	٧١
مأنى على	سراويلاتها	»	٤	٤
بنت	ولاأخت	سريع	»	٣٦٨
(ث)				
قسم	أثلاثا	»	٣	٣٥

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
			(ح)	
١٥٦	٢	طويل	وبارحُ	ملا حاجبيك
٣١١	»	»	تسرحُ	إذا أخذت
»	»	»	مترحُ	أجدّ رواح
٢٣١	٣	»	مطرح	ومن يك
٢٤٦	»	بسيط	يمتدحُ	لولا
٢٥٩	»	»	جرّحاً	وكلتُ
٢٥٨	»	»	اللهجُ	من راقب
٤٠٠	١	»	مفانحها	دار أجلّ
»	»	»	سواحفها	أهدى الدموع
١٤٣	٢	وافر	الملاحُ	ترام
١٦٦	»	»	أوتسربحي	أقول لها
٢١٧	»	»	يصيحُ	فقد
٤٨	٣	»	يصيحُ	فقد
٦٩	»	»	السلام	إذا ما كنت
٢٤٠	»	»	المدبحا	فلم أمدحك
٢١٠	»	كامل	السماح	أعدد
٢٥٩	»	»	بالإصلاح	الدهرُ
٧٩	٢	رمل مجزوء	ويصيحُ	نحّ صوت
٧٩	»	»	الصبوح	غرد الديك
٢٦٠	١	سريع	بالزاج	وجوه

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٩٤	١	طويل	فأرحُ	فأ أنا
»	»	»	مادحُ	مضى اينُ
٦٦	٢	»	رأخُ	وشدت
»	»	»	ماسحُ	ولما قضينا
٣٩٩	١	بسيط	الريحُ	قل للأمر
٣٩٩	»	»	روحُ	كأنه لاجتماع
٤٠٤	»	كامل	رُوحى	بالتار
٣٢	٢	»	الراح	ثقلت
٣٨٦	١	رجز	وقدح	ثلاثة

(د)

٣٤٣	١	طويل	بالجمدِ	من القوم
٧٨	١	»	وردهُ	فإن نلت
٣٥٦	»	»	قل مجدهُ	فلا مجد
٣٥٦	»	»	جندهُ	أود من
٦١٢	»	»	وهدُ	مهيب
٢١٣	»	»	شهدُ	إذا بي
٤٠٠	»	»	شواهدُ	وتسمدنى
٤١٣	١	»	وفوائدى	قرانى
٣٤٣	»	»	القدَّ	عفت أربع
١٥	٢	»	وافد	حباء شقيق
٢٥	»	»	يولدُ	لما تؤذن

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٥	٢	طويل	تَجَدُّدُ	أبين
٢٦	»	»	مردّدا	أجزى
٢٦	»	»	في العدا	لكل امرئ
٦٨	»	»	ياسعدُ	وحدائقني
٨٠	»	»	من برد	شهدت
٨٠	»	»	القدّ	وكم أحرزت
٢٠٧	»	»	ابعد	صبا ماصبا
»	»	»	شهدى	نصحت
٢٣	٣	»	والبمد	سقى الله
٢٨	»	»	جدا	وإن الذي
»	»	»	حدا	يعاتبني
٣٤	»	»	مسهدا	ألم تقتمض
١٠٠	»	»	ودادى	أربع
١٢٤	»	»	لماجدُ	عواذل
١٤٩	»	»	عدّوا	نقال
١٥١	»	»	رفدًا	لهم جُلّ
١٧٧	»	»	العدا	فيايها
١٨٤	»	»	واجدة	واى
١٩٠	»	»	رؤده	أمقبولة
٢١٣	»	»	عمد	فإن يك
٢٣٠	»	»	وتجلّد	وقوفا

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٢٣	٣	طويل	لمعبد	أجاد
»	»	»	لمعبد	مجانس
٢٢٦	»	»	مُبعدي	أعازك
٢٥٠	»	»	ناهد	يصد
٢٥٤	»	»	وجياد	أمام
٢٥٧	»	»	عقد	كان
٢٥٩	»	»	أبعدا	كأنى
٢٥٧	»	»	عقودها	مخصرة
»	»	»	عقودها	إذا أطفأ
٦	٤	»	بجاهد	سأجهد
٢٢٧	١	بسيط	بنو ابد	لو كان
٣٤٥	»	»	ولا سند	وأهل
»	»	»	والسهد	يا بعد غاية
٩	٢	»	الييد	نصبتة
٩	»	»	الرعديد	لا تدع بي
١٠١	»	»	والسهد	يا برد
١٠١	»	»	يقد	لما غدا
١٣٦	»	»	البرد	تبسم
١٣٦	»	»	ولا فند	إني تركت
١٤٥	»	»	مجلود	تلقى المنية
١٤٥	»	»	الرعديد	لا تدع بي

صفحة	جزء	بمجر	عجز	صدر
١٦٦	٢	بسيط	ولم ترد	أقول للنفس
»	»	»	ولدي	كلامها
٦٢	»	»	قوداً	قوم إذا
٧٥	»	»	بالبرد	فأمطرت
٦٢	»	»	الأبد	تركت ضاني
٨٥	»	»	مجنهد	وصاحب
١٢٢	٣	»	القوق	يقول
٢٢٩	»	»	عيد	للمعيد
٢٤٩	»	»	بتعربد	إن قصر
١٤٨	١	وافر	ما يصيد	تسكارت
٣٤١	»	»	جديد	وإن تصفح
٣٧٣	»	»	ولا يصادي	ولو جربتي
»	»	»	وباد	سقى
٣٨٨	»	»	القوق	فإن يبرأ
٤٠٣	»	»	مرادى	ملا
٢٥	٢	»	الجديدا	رددت
»	»	»	تبيدا	ولا سيما
٨٧	»	»	وجيد	أظن
٨٧	٢	»	بالصعيد	لبست سواه
١٤٨	٣	»	المجود	ألقى
١٨٢	»	»	الجمادا	وتبنى

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
١٩٨	٣	وافر	الحديد	لقد علم
٣٣٧	»	»	يمود	وقد عزى
٢٥٦	»	»	ازدياد	إذا ما ازددت
١٢٧	١	كامل	وسجودا	لو بسمون
١٣١	»	»	وريد	خذاء
٢٥٩	»	»	بقرمد	أودمية
١٦٢	١	»	القواد	أعزز
٣٤٤	»	»	صيهود	عامى وعام
٣٤٥	»	»	وبرود	أرأيت أى
٣٨١	»	»	نخورا	ولى بنى
٢٩٠	»	»	المواد	ذهب الرقاد
٢٣	٢	»	حسود	وإذا أراد
٢٣	»	»	وبرود	أرأيت
١٠٢	»	»	بطريد	أسرى
»	»	»	فزرود	أرأيت
١٥٠	»	»	كنود	خذها
١٥٠	»	»	وريد	خذاء
٢٤٦	»	»	الأصيد	إننا لنصح
٢٥٣	»	»	جلاد	لله تيم
٣٠٧	»	»	خالد	لو شئت
٣٠٧	»	»	المتباعد	مجبا

صفحة	جرء	بجر	عجز	صدر
٣٤٨	٢	كامل	فريدا	إن التوافي
٣٤٨	»	»	شهيدا	طلل الجميع
٣٨	٣	»	وحقودا	دمن
٨٤٠٦٨	»	»	يتفصدُ	ولقد
٩٠	»	»	الواعدِ	راحتُ
١٢٦	»	»	ماجدِ	قصدتُ
١٤٧	»	»	سودا	ما إن ترى
١٤٧	»	»	جديدا	شرف
١٤٩	»	»	اليُد	أشكو
٢٤٠	»	»	بمحمّد	ما إن
٢٥٢	»	»	واحدِ	وليس
٢٥٨	»	»	منجدا	برزتَ
١٥٤	»	رجز	البردِ	له اعتدال
٦٩	»	رمل	عبدالصمد	إنه والله
١٢٥	٢	رمل مجزوء	المنادى	استقنبا
١٢٦	»	»	الجرادِ	ثم لما
٣٤٥	١	منسرح	عقدِه	مالكتيب
٣٤٥	»	»	في خلدِه	يا مضمنا
٤٠٨	»	»	جسده	ومر
٤٠٨	»	»	من نضده	إليك
١٥٣	١	خفيف	الجنودِ	وهو المرء

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
١٦٧	١	خفيف	وعقيد	مستميل
٨	٢	»	في عود	كم عزيز
٢٦	»	»	أعيدا	أحلا
٣٦٧	»	»	أو فزيذا	إنما النى
٣٦٨	»	»	وجيدا	فهى الشمس
١٧٣	٣	»	وسجود	غاورتهم
٢٣٨	»	»	عيد	كل عيد
٢٥١	»	»	المعاد	خل عفا
٢٥٩	»	»	بعدا	فهو كالسهم
٢٦	٢	مقارب	العمودا	بجر
(ر)				
٨٣	١	طويل	قبورها	إذا جعفر
٨٤	»	»	الدهر	عجبت
١٣٤	»	»	خضر	تردى
١٣٩	»	»	أجدر	تعزيت
١٥١	»	»	كفر	فقلت
٢٢٨	»	»	تصاهره	إلى ملك
٢٢٨	»	»	مفاقره	كم من
٢٤٤	١	»	تمطر	لملك أن
٢٦٣	»	»	معور	أقول للحيان
٢٥٥	»	»	واتر	قسمت

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
إذا أنت	القمر	طويل	٢	١٠٩
غمام سماح	وتر	»	»	١٣٢، ١١٧
متى لاح	ولا نزر	»	»	»
إلام	المنابر	»	»	١٦٤
وليست	أميرها	»	»	٢٢٨
على لاحب جرجرا	»	»	»	٢٥٩
أرى أم عمرو أصبرا	»	»	»	»
أماوى	الصدر	»	»	٢٩٦
أماوى	العذر	»	»	»
ويوم	السحر	»	٣	١٥
متى لاح	نزر	»	»	»
أحن	المآزر	»	»	٧٢
لنا هجمة	والخطر	»	»	٨٧
وراءك	الخامر	»	»	١٠٨
تقول	تسير	»	»	١٢٤
لعمرك	والقطر	»	»	١٤٢
وأعور	فبصير	»	»	١٤٦
فلا الجود	مدبر	»	»	١٤٧
ترجس	مستسر	»	»	١٥٢
ألايا اسلم	القطر	»	»	١٧١

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٨٨	٣	طويل	القصر	إليك
٢٠٤	»	»	وَعْرُ	وظي
٢٣٥	»	»	المبصر	شتجان
٢٣٦	»	»	النصر	فتى مات
٢٤٧	»	»	الإعذار	تَرْفَعُ
٢٥٠	»	»	الفقر	ولستُ
٢٥١	»	»	بحر	ركبتُ
٢٥٦	»	»	أجدرُ	إذا شئتُ
٢٦٠	»	»	عذري	وإني
٢٦١	»	»	الخبر	وأستكبرُ
٢٦٢	»	»	الفقر	دمن
٣	٤	»	جازرُ	إذا ابن
٤	»	»	المآزر	أحنُ
٦٦	٣	مديد	ثمرة	لااذود
»	»	»	سمر	أيها
٢٨٢	»	»	جزرة	تتمنى
٨٤	١	بسيط	قصر	بالشعر طول
٣٦٤	»	»	وضرارُ	خامى
٣٦٤	»	»	الدار	ما هاج
٣٤٣	»	»	الغرر	فأصبحت
١٥	٢	»	حافره	كأنما

صدر	عجز	بجز	جزء	صفحة
تقول هذا	الزنايير	بسيط	٢	١٢٥
في زخرف	تعبير	»	»	»
كانت	والنور	»	»	١٤٨
ولاح ضوء	الظفر	»	»	١٦٠
على	البقر	»	»	٢٦٩
لأنامن	بأسيار	»	٣	٩٥
لم يخف	الصفر	»	»	٢٢٨
إن الكرام	كثروا	»	»	٢٥٥
كانت	الخبر	»	»	٢٦٠
من راقب	الجسور	مخلع البسيط	»	٢٥٨
شهور	ولا سرار	واقر	١	١٥٨
أقلنى	المجود	»	»	٣٤١
أبا العباس	عار	»	»	٣٦٠
تبيت	اغتنار	»	»	٤٠٠
طوال قنا	بجار	»	»	٤١٣٤٤٠٠
يوسطه	الاتظار	»	»	»
إذا لاقيت	خبيرا	»	٢	٢١٠
يشلهم	الخيار	»	٣	٧٦
ألاباء	عمري	»	»	١٢٦
عجاجا	خبار	»	»	١٩٣
ولا تمنك	والخمار	»	»	٢٣٨

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٤٢	٣	وأفر	القِطَارُ	كَانَ النَّاسُ
٢٨٤	»	»	بشرا	أَقَاطِمُ
٥٥	١	كامل	أَوْ جَرَى	بَادِ هَوَاكُ
١٥٠	١	»	المِصَارِ	ذَكَرْتُ
٢٧٧، ٢٣٨	»	»	أَوْ جَرَى	بَادِ هَوَاكُ
٢٦١	»	»	الشِّطَارِ	وَمِلْحَةٌ
٢٧٧	»	»	غَضِنْفَرَا	أَنْتَ الْوَحِيدُ
٣٥١	»	»	تَذَكَّرِ	إِنَّ
٣٥٣	»	»	الأَوْطَارِ	لَا أَنْتَ
٣٥٤	»	»	المِضْبَارِ	كَادُوا النَّبُوَّةَ
»	»	»	حِذَارِ	الْحَقُّ أَبْلِجُ
٣٥٧	»	»	الأَعْمَارِ	إِنَّ اللَّيَالِيَّ
٤٠٠	»	»	قَبْرِ	وَقَبْرِ حَرْبِ
٧	٢	»	النَّجَارِ	بِكُرْوَا
١٤٤٤	»	»	حِذَارِ	الْحَقُّ أَبْلِجُ
٨	»	»	النَّظَارِ	فَلَهُ مِنْ
٣٠	»	»	بِالْأَقْدَارِ	أَنْظُرِ
٣١	»	»	أَثْرَى	زِدْ رِفْعَةَ
١٠١	»	»	النُّوَارِ	لَمَّا نَظَرْتُ
١٤٤	»	»	وِإِسَارِ	كَمْ نِعْمَةٍ

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
١٥٢	٢	كامل	تصورُ	يا صاحبي
»	»	»	يتكسرُ	رقت
١٩٧	»	»	الأوطارُ	لا أنت
٢٨٥	»	»	ينجحرُ	لا تنزع
٢٥٩	»	»	غبارُ	أدين
٢٧٣	»	»	وافرِ	قوم أهانوا
»	»	»	الحاجرِ	لا زال
٢٩٥	»	»	لا ينكرُ	الله أعطاك
»	»	»	وأغدرُ	أخفى
٣٧	٣	»	المطيرِ	ولقد
٨٧	»	»	زهرِ	سبع
١٠٤	»	كامل	حذارِ	الحق ابلجُ
١٠٦	»	»	تدورُ	نقضى
١٢٢	»	»	المتيسرُ	خلق
١٤٠	»	»	زيرُ	إني ليمجبنى
١٤٦	»	»	لجارِ	قبح الإله
١٥٦	»	»	الأمصارُ	نفضتَ
١٦١	»	»	غرورُ	إني لأعلم
١٩٥	»	»	المنبرُ	لو أن
٢١٣	»	»	والأعصر	ولقيتُ

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢١٧	٣	كامل	ثبير	أسلم
»	»	»	الأكدار	يا خاطب
٢٤٢	»	»	مُثارُ	كان الفداء
٢٥٥	»	»	بَكثراً	قلّ الكرامُ
٢٧٧	»	»	طارُوا	لا يخفينَ
٢٧٩	»	»	للعائر	علق
٢٨٠	»	»	والمشارُ	وُجدَ
٢٨٥	»	»	تطيرُ	اشربت
٣٤٧	»	هزج	النشر	ونشري
٢٩٠	»	»	عذري	له وجه
٣٧٥	١	رجز	الغمير	عز علي
٩٤	»	»	ظاهرة	عجب
٨٦	٣	»	الأوار	قد سقيت
٢٢٥	»	»	الصدرُ	ليس
٢٩٢	»	»	بالإبر	جِنٌّ
٤٨	»	رمل	لفرورُ	ولقد
١٣٦	٢	رمل مجزوء	استدارا	فإذا ما
»	»	»	الحمارا	دع لباكيها
٥٨	»	سريع	فاخر	لا زلت
»	»	»	وللحاضر	قل للأمير
١٠٦	٣	»	والنارُ	يرجو ويخشى

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٠١	٢	منسرح	الخصر	لا ، ومكان
١٥٥	٣	»	وخار	أحسن
٢١٤	٢	خفيف	الجارى	يتفرقن
»	»	»	نوار	أبكاء
٣٢٧	»	»	المدار	كل عذر
٢٣٨	»	»	الكبار	فوق ضمف
٢٥١	»	»	ظفر	قل لمن
٣٧٦	١	مجتث	غيره	أخاف

(ز)

٢٥٨	١	خفيف	للبراز	كفر ندى
»	»	»	الغازباز	ومن الناس

(س)

١٣٨	١	طويل	بنفسه	وما الفخر
١٤٠	»	»	يلبس	رأيت
١٢	٢	»	فارس	تدار علينا
١٢	»	»	ودارس	ودار نداهى
١٥٩	٢	»	الحنادس	ورمل
»	»	»	البسابس	ألم تسأل
٣٤٦	»	»	ودارس	ودار
٣٤٧	»	»	البسابس	ولم أدر

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٤	٣	طويل	خامس	أقنا
»	»	»	ودارسُ	ودار ندای
٨٨	»	»	ويطلسُ	ومدرع
»	»	»	أطلسُ	سؤالك
١٩٧	»	»	حابسُ	وما زال
٢٣٥	١	بسيط	دهاريسا	قد قلت
»	»	»	مألوسا	أحيا
٤٠٨	»	»	شرسُ	دان
»	»	»	تعيس	أظبية
١٤٠	»	كامل	آساسا	كانوا
٣٥٣	»	»	بشماس	بدر أطالت
»	»	»	الأدراس	وافي
٢٣	٢	»	والباس	لا تنكروا
٢٣	»	»	الأدراس	وافي
٢٦	»	»	والباس	لا تنكروا
٢١٢	»	»	عبوس	بقيت
٢٤٦	»	»	متنفسُ	والشيب
١٨٠	٣	»	للأكتوس	يارب
٢٢٠	»	»	والياس	لا تنكروا
»	»	»	»	إقدام

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
١٨٣	٣	كامل مجزوء	سدس	ورث
٤١	١	منسرح	الموس	شيخ لنا
٢٣٦	»	»	ولا جيس	نعم مقاع
٢٣٦	»	»	والوعس	هل أتر
٢٣٨	»	خفيف	وقدس	مشمخر
٤٥	٢	»	إبليس	عرّضن
٣١٢	»	»	وفرس	وإذا ما رأيت
»	»	»	كلّ جيس	صنت نفسي
١٠٧	٣	»	العباس	أصبح
٢٤٤	١	متقارب	النفوسا	إذا جالت
(ش)				
٣٧٢	١	رجز	وطيش	وفيشة
(ص)				
٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣	٢	كامل	الدعص	فرعاء
(ض)				
٢٣٩	١	طويل	خافص	هي العرمس
»	»	»	ما حض	مهاة
٢١٤ ، ٢١٢	٣	بسيط	عرض	مودة
٣٧١	١	كامل	مراض	منع الحياة

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
٢٧٣	٣	رجز	محض	سارية
٣٤٨	١	خفيف	بياضا	يا بياضا
١٣٨	٢	»	والأعراض	معشر
١٣٨	»	»	بالأغراض	بدآت
٢٤١	٣	»	المتقاضى	وإذا المحبر

(ع)

٩٩	١	طويل	ما تقطعا	سقى الله
٣٤١	»	»	بالقما	أصم بك
»	»	»	مرتما	فتى كان
٣٤٧	»	»	الأضالع	إذا العين
»	»	»	هواجم	ألت
٣٥١	»	»	وولوعها	منى النفس
»	»	»	قطوعها	شواجر
٣٥٥	»	»	ناقع	جدير
»	»	»	هواجم	ألت
٣٨٤	»	»	وأخدا	تلفت
٤٥٧	»	»	ومسمع	حمامة
١٤٤	٢	»	الشوارع	إذا ما تردى
١٤٨	»	»	مرتما	فتى عيش
»	»	»	مربعا	ألتا

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٦٤	٢	طويل	مَمَّا	حنفت
١٦٤	»	»	تصدعا	وأذكر
٢٠٦	»	»	المخادعُ	بعيد مقيل
٢٠٦	»	»	هواجعُ	ألمت
٢١٥	»	»	جازعُ	ألا صنع
٣٠٨	»	»	أتمشعُ	ألم ترني
٣٤٢	»	»	واسعُ	وإنك
»	»	»	الدوافعُ	عفا ذو حسا
٣٤٦	»	»	المطالعُ	وما لاسرى
٣٩	٣	»	هواجعُ	ألمت
٤٥	»	»	أطوعُ	وإن الغنى
١٠٤	»	»	بلقما	أصم بك
١٤٧	»	»	مقبِعُ	إذا كانت
١٨٤	»	»	مصرعاً	فتي كلما
١٨٨	»	»	واسعُ	وإنك
٢١٥	»	»	القطع	فدونكمُ
٢٣٠	»	»	راجعُ	أتعدل
٢٤٧	»	»	تابعُ	وآنل
٢٥٥	»	»	دموعها	إذا احتربت
٢٦٣	»	»	أنفعُ	هو الصنع
٢٧٨	»	»	تيفعا	بني مالك

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٧٩	٣	طويل	البراقعُ	إذا سفت
٢٩٠	»	»	الأشاجع-	وعارى
٣٣٧	»	»	الجزعُ	فقد جرّ
٣٨٢	١	بسيط	ما يدع	تشقكم
»	»	»	شجموا	غبرى
١٩٤	٣	»	ما يسعُ	كأما
٢٤١	»	»	منقطعُ	قد كدت
٢٤٣	»	»	شجموا	غبرى
٢٤٤	»	»	والشيعُ	ما غابَ
٢٩٩	٢	وافر	الوداع-	وليست
١٣٧	»	»	خليما	غدا بك
٣٤٦	١	كامل	ربيعُ	عباس
٣٦٢	»	»	متورعا	فكارم
١٣٧	٢	»	ضلوعا	في معرك
»	»	»	وربوعا	فيم ابتداركم
٢٤٨	»	»	وتسمعُ	هل يجلبن
»	»	»	الأضلع	شوق
٢٧٢	»	»	لم ترجع-	ما أحسن
٢٧٢	»	»	الأربع-	بين الشقيقة
٢٦٢	٣	»	صنيما	ألوم
٢٧٧	»	»	يا صريحُ	زعم
٣٥٦	١	منسرح	جمعةُ	قد يجمع

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٨٣	١	منسرح	جمعوا	أثروا
٣٩٧	»	»	جدعاً	وذات هدم
»	»	»	قد وقعا	أبتها
٢٦١	٣	متقارب	يجمعُ	أمن خوف

(ف)

٢٦٠	١	طويل	مندفُ	وأصبح مبيضّ
١٧٩	٣	»	ونقدفُ	ألا ليننا
١٤٤	١	بسيط	والصلفا	كتبت
٣٤٥	»	»	قصفاً	وبوم
٣٤٥	١	»	أويكفاً	أما الرسوم
١٥٤	٣	»	القضفاً	متمقات
٢٢٥	»	»	قذا	لا أظلم
٢٤٦	»	»	مؤتفناً	تدعى
٢١٠	»	مخلع البسيط	قضيف	أسمح
٢٥٧	١	كامل	خفيفا	لك هضبة
»	»	»	عكوفاً	أطلالهم
٣٨٧	»	»	الصوفا	كانوا
»	»	»	عكوفاً	أطلالهم
٧٢	٢	»	انصرفاً	والحبّ
٢٤٨	٣	سريع	استغففتِ	إدفع

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
نظمت مقلة	ذروف	خفيف	٢	١١٩
(ق)				
إذا شئت	فأعشق	طويل	١	١٣٣
إذا شاء	الحق	»	»	٢٤٩
وملومة	اللقائق	»	»	٢٥٨
تذكرتُ	السوابق	»	»	»
شفيعك	وهو يخلقُ	»	»	٤١١
وإن امرأ	لأحقُ	»	»	»
حلفت لها	المتعلق	»	»	٤١٤
أقول	مشفق	»	٢	١٠٠
إذا امتحن	صديق	»	»	١٠٩
أيارب	رقيق	»	»	»
كساها رطيب	الفوارق	»	»	١٥٦
رفعت	صديقها	»	»	٢٥٤
رباع	لموثق	»	٣	١٢٧
فهل أنت	وتشرقُ	»	»	١٨٩
إذا ارتفعت	يفرق	»	»	١٩٢
وما يؤلم	رازقُ	»	»	٢٦٣
إن كنت	الخلق	بسيط	١	١٤٧
ونقطته	بالحدق	»	٢	١٧
وقد أشق	طرقاً	»	»	٢٨

صفحة	جزء	بمجر	عجز	صدر
٤٠	٢	بسيط	من طبق	ما من صديق
٢٠٧	»	»	الباقى	مضى بها
١٧٨	٣	»	الخلق	عليك
١٣٨	»	وافر	صديق	جزى الرحمن
١٥٧	»	»	لتنقى	ألا يابن
١٦٤	١	كامل	كله بتفرق	وإذا الجنازة
٣٠	٢	»	بارق	بأبى غزال
١٥٠	٣	»	ناطق	لما اعتنقنا
١٨١	»	»	ممرق	الحد
١٩٢	»	»	تخلق	وأخفت
٨٩	»	هزج	معشوق	ومضروب
٩٩	٢	رمل	نطق	أنا مسكين
٢٣	٣	»	زاق	وكذا
٢٦١	١	سريع	وشقراانا	وأمر
٣١	٢	منسرح	من النسق	عيون تبر
٢٤٠	١	خفيف	غيداق	أيها البرق
١٠٥	٣	»	المآقى	أتراها
١٨٤	»	»	مسروق	يقظ
٢٩	٢	متقارب	يرتقى	تحيره الله
(ك)				
٢٣٥	١	طويل	المسالك	ينظر بمومة

صفحة	جاء	بحر	عجز	صدر
٢٨٢	١	وافر	ابتشاكنا	وما أرضى
٢٨٤	»	منسرح	من خرقك	يادهر
»	»	»	ورقك	قدمات
٢٥٩	»	مخلع البسيط	والتبرك	أهديت
(ل)				
١٠٩	»	طويل	هيكل	وقد أغتدى
١٠٥	»	»	برحيل	إذا هي
١٥٦	»	»	ولا سهل	وما خبزه
١٦٦	»	»	في القبائل	فإن تدفنوا
٢٤٨	»	»	أنامله	بنفسى
٢٧٣	»	»	هامله	جوى ساور
»	»	»	ووائله	لقد فجمت
١٦٦	١	»	في القبائل	فإن تسجنوا
٢٣٧	»	»	تغلى	ولولا حياء
»	»	»	الحجل	ألا استهزأت
٢٤٥	»	»	جميل	إذا المرء
٢٦٦	»	»	ومرسل	غدائره
٦١	٢	»	منازله	وقفت
»	»	»	ما تحاوله	أجل أيها
٣٤	٣	»	المحل	نزلت

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
٣٣٨	١	طويل	فأجلى	أفاطم
٣٣٩	»	»	فومل	قفانبك
٣٤١	»	»	بأمثل	ألا
٣٤٦	»	»	بالفضل	فقل
٣٤٧	»	»	يا أبا الفضل	أ أسلنتى
٣٥٤	»	»	تنطولا	إذا أحسن
»	»	»	فتفضلا	لهان عليها
٨٠	٢	»	شمال	تحمل
»	»	»	أسفل	بلوناك
١٠٣	»	»	الموائل	تطل الطلول
»	»	»	آهل	متى أنت
»	»	»	الجمائل	فقد
١١٠	»	»	بكل-كل	فقلت له
٣٢٧	»	»	وأوصالى	فقلت
»	»	»	الخالى	ألا عم
٣٤٤	»	»	مثلى	تمنى
»	»	»	قتلى	عوجى علينا
»	»	»	المهجل	أهاج
٣٥٠	»	»	سبيل	وإن هو
»	»	»	جميل	إذا المرء
٣٥٦	»	»	هامله	جوى

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٦٥	٢	طويل	سأله	زكى
٣٤٣	»	»	أجادله	صبحناهم
»	»	»	مخايله	ألم تر
»	»	»	مقاولة	سمونا
٢٠	٣	»	الجزل	إلى معدن
٢٥	»	»	قلاقل	وقلقت
٣٦	»	»	بأوجال	وهل
٣٧	»	»	وحومل	قفانبك
٤٣	»	»	الملل	ولو أن
٤٧	»	»	غافل	يقول
»	»	»	شامل	دعاك
٤٨	»	»	عقل	نظرت
٤٩	»	»	إدلال	فصرنا
٦١	»	»	النجل	ألست
٧٧	»	»	الرسائل	من مبلغ
٩٤	»	»	مقاتله	يطيع
١٠٧	»	»	فأنحلا	أما وهوأها
١٤٨	»	»	يحلو	هو الأمل
١٥٠	»	»	شمل	إلى رب
١٦٥	»	»	خلخال	كأنى
١٧٥	»	»	مائل	وما هو

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٧٥	٣	طويل	منضُل	فتى وقف
»	»	»	فيسائِلُه	وكان لهم
٢٠٢	»	»	بِكَلِّكَلِ	فقلتُ
٢٠٩	»	»	المسلسلِ	قف العيس
٢٣٠	»	»	وتجملِ	وقوفا
٢٤٤	»	»	بمنجلِ	ولما
٢٥٦	»	»	عليلُ	إذا كان
٢٦٣	٣	»	حافلُ	ولو حاردت
٢٦٨	»	»	للفصلِ	عزاءكَ
٢٦٩	»	»	والرجلِ	تمخون
»	»	»	البخلِ	ألت
٢٧٦	»	»	قبلي	وقد زعموا
٢٨٢	»	»	نواهلِ	وقد ظَلَّتْ
٢٩٠	»	»	مقاتلُ	فتى
٢٧٧	»	»	فواضلُه	أحارث
١٥٨	٢	مديد	الغزلِ	وإذا
»	»	»	أملِ	يا مبيع
٣٨	١	بسيط	شمالُ	وإنما
٥٣	»	»	الطَّوَلِ	بالقائم
٢١٦	»	»	ذلك لى	تمسى الأمانى
٣٥٩	»	»	إقبال	كيف السرور

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٤٠٥	١	بسيط	مر صل	أقل أنا
١٦	٢	»	المقل	تنافس الليل
٢١	»	»	في العذل	أجررت
«	»	»	على مهل	تفال
٤٥	٣	»	ستقتل	تفاير
١٣٨	»	»	مَثَلًا	علَّ الأميرَ
١٧٢	»	»	متصل	وموقف
١٩٢	»	»	حَبْلِي	مازلت
٢٠٣	»	»	مقتبل	فقلتُ
٢٨٢	»	»	مر تحل	قد عود
١٩٢	»	»	أمل	لم يبق
٢٥٧	»	مخلع البسيط	إلى جدال	اختصم
٢٥٥	»	وافر	شمول	نسيم الروض
«	١	»	في المهمول	أكنتَ
٢٢	٢	»	عيالا	تكفل
٢٨	»	»	الغزال	فإن تفق
»	»	»	بلا قتال	نعمتَ المشرفية
٢٩	»	»	سالا	كأن العيس
»	»	»	الجمالا	بقائ
٤٤	٣	»	المطالا	لو أن
٢٠٦	»	»	وخالي	فداء

صفحة	جزء	بجر	عجز	صدر
٢٨٩	٣	وافر	قتال	نعدّ
٢٩٨	٢	»	فاكا	إذا التوديع
٩٨	١	كامل	حمال	كم صارم
١٢٩	»	»	في مسجل	وألدّ
٢١٧	١	»	التملّ	من عزّه
٢٣٦	»	»	دلائل	جنفت
» ، ٦١	»	»	أواهل	لاك يامنازل
٣٤٨ ، ١٠٤	»	»	محتجل	وأغرّ
»	»	»	يفعل	أهلا
٣٥٤	»	»	ممالى	إن الرماح
»	»	»	وصيال	ألت أمور
٣٦٨	»	»	مفزل	لا تطلبنّ
٢٤	٢	»	العالى	لا تفكرى
»	»	»	بتوال	يكفى
٣٢	»	»	وشماله	غدرت به
٦٠	»	»	العقل	إنى وما
»	»	»	والمحل	فيكاد
٨٧ ، ٨٢	»	»	الإبل	إثاث
١٠٤	»	»	يفعل	أهلا
١٠٥	»	»	تذبل	حات حمائله
»	»	»	يفعل	أهلا

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٠٦	٢	كامل	محولاً	في الخلد
١٣٦	»	»	الحجل	وإذا علاها
»	»	»	والهزل	كان الشباب
١٤٣	»	»	بدلال	خط
١٤٤	»	»	وصيال	آلت أمور
١٥٠	»	»	وأرجل	وكأنما
٢٦٥	٣	»	راحلاً	مجد
٢٦٧	»	»	شمالاً	لهفي
٢٦٨	»	»	يأفلاً	بجمان
١٤٣	»	خفيف	الأطفال	واستمار
٣٥٤	١	»	الليالي	أى ربع
٤٠٥	»	»	الهزال	فسد
١٣٥	٢	»	نصلاً	وإذا اهتز
»	»	»	الأجلاً	إن يكن صبر
٣٣٢	»	»	إسراً	ما رأى
٢٣٩	٣	»	الانتظار	يوسطه
»	»	»	رئبال	وإذا شئت
٢٥٥	»	»	ريقاً	وإذا
٢٩١	»	»	الأجلاً	إن يكن
١١	٢	متقارب	الجحفل	تضيّق
١٣٧	»	»	للعاقل	إلآم

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٣٨	٢	متقارب	في وابل	خرجن
١٤٥	»	»	اتصالا	ترى فوقها
٢٤١	٣	»	الذابل	فدى
٢٥٠	»	»	ويبلًا	أذلّ
٢٥٣	»	»	مُخْمَلٌ	وملومة
٢٥٤	»	»	الأولُ	وإن جادَ

(م)

١٣٤	١	طويل	تمامٌ	وكان بها
١٣٥	»	»	مقلاطمٌ	بناها
١٧١	»	»	بمتيم	وما كلّ
٢٥٥	»	»	بالصرم	أذاق الفوائى
»	»	»	الظلم	ملام
٣٣٩، ١٠٦	»	»	متيم	إذا كان
»	»	»	ناظمٌ	ألم يأن
٤١٠	»	»	يبرمٌ	فلا يبرم
»	»	»	منهمٌ	نرى عظمًا
١٢٠	٢	»	فيفعمٌ	قوارص
١٣٢، ١٢١	»	»	قائمة	تمزّ
١٢١	»	»	لائمة	لآية حال
١٣٢	»	»	فيفعمٌ	قوارص
١٤٣	»	»	صوارمة	سحاب

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٧٠	٢	طويل	يقدمُ	طلوع
»	»	»	بالدم	أن ابن تميم
٢٩٩	»	»	بقادمِ	فقلت لها
١٠	٣	»	دى	ولا غرو
١٧	»	»	لعظيم	أسجنا
»	»	»	لكريمُ	وإن امرأ
٤٧	»	»	بسأم	سئمت
»	»	»	فالتنم	أمن أم
٦٠	»	»	وهاشمُ	بميدة
١٠٥	»	»	يتممِ	فراق
١١٨	»	»	الصوارمِ	ومن طلب
١٢٦	»	»	لعالمِ	إذا صلتُ
١٥٣	»	»	مجرمِ	لمن تطلب
١٦٥	»	»	نائمُ	وقفت
١٦٦	»	»	باسمُ	وقفت
١٧١	»	»	علمِ	وكنتُ
١٧٦	»	»	مفرمِ	لقد جئتُ
٢٨٣	»	»	صوارمِ	سحابُ
١٨٥	»	»	مِلدَمِ	ويلحقه

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٨٦	٣	طويل	دبّا	لنا الجففات
١٨٨	»	»	كريم	إليك
١٩١	»	»	دما	إذا ما
٢٠٦	٢	»	كلاى	أحلت
٢٤٦	٣	»	المكارم	ولولا
٢٤٧	»	»	وتما	ومثلك
٢٤٨	»	»	بالسلام	نزاتم
٢٤٩	»	»	معلما	غرائب
٢٥٦	»	»	العظم	وما كلفه
٢٦٦	»	»	بالطفل	فإن تك
٢٦٧	»	»	الفصل	بمولودهم
٢٦٨	»	»	الحل	بداوله
٢٧٥	»	»	الدماء	وعار
٢٧٨	»	»	ضبارم	ألا إنما
٢٨٣	»	»	والقشاعم	تفدى
٢٨٤	»	»	بسالم	وذى لجب
٣٤٥	١	بسيط	الرقم	مهلا بنى
»	»	»	والقدم	سلم
٣٤٦	»	»		من الردينية ذا الشم
»	»	»		قرت بقران فاصطاحا

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٤٦	١	بسيط	لَمَّا	أصغى
٣٦٥	»	»	من الكرم-	سودّ
٢٨	٢	»	»	صدقتهم بخميس عمّ
»	»	»	»	عقبى اليمين القسم
٧٩	»	»	»	تظلم ظلاما
»	»	»	»	طيف الخيال أسقاما
٢٩٤	»	»	»	لا أبغض السقم-
»	»	»	»	حتّام ولا قدم-
٣٣٢ ، ٣٣١	»	»	»	كان ابريقهم ملثوم
٣٣١	»	»	»	هل ما علمت مصروم
٢٦	٣	»	»	ليست سليم
٤٦	»	»	»	رددت الخلّدم-
٦٨	»	»	»	وشرّ والرخم
١٠٥	»	»	»	عقبى القسم
١٢٧	»	»	»	هل الشباب أيام
١٩٥	»	»	»	يكاد يستلم
٢٢٤	»	»	»	فهو حرم-
٢٢٥	»	»	»	يامن وملتمزم-
٢٢٨	»	»	»	لا تطلبين ختموا
٢٣٩	»	»	»	قد قلصت مبتسما

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٥٤	٣	بسيط	بدم	جدلان
٢٦١	»	»	هرم	يسابق
٢٦٤	»	»	مبتسما	قد قلصت
»	»	»	وقم	وجاهل
١٤١	١	وافر	من الحرم	يداك
٣٤٨	»	»	الرسوم	أظن
»	»	»	المقيم	أرامة
٣٧١	»	»	واعتمى	وغير لون
٤١٤	»	»	الحميم	فلو عاينتهم
»	»	»	المقيم	أرامة
٩	٢	»	الظلام	وزائرتى
»	»	»	الكلام	ملومكما
٦١	»	»	لايريم	أناخ اللوم
١٤٢	»	»	ابنى شمام	فهل نبتت
١٩٧	»	»	الهمام	قبيل أنت
»	»	»	اللاثام	فؤاد
٢٧٢	»	»	فن ألوم	إذا أنا
»	»	»	له حميم	صريع هوى
٣٢٨	»	»	الخليا	رأيت الخمر
٣	٣	»	اللاثام	فؤاد
٢٥	»	»	مقام	ولم أر

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٥	٣	وافر	اللائم	فؤاد
٥٦، ٥٥	»	»	ضيرام	أرى
٧٧	»	»	الأنعام	وخلطتم
١٨٤	»	»	رجيم	تنفى
٢٥٣	»	»	أمامى	علام
٣	٤	»	أمامى	علام
١١٧	١	كامل	مظلم	ولمت
»	»	»	لمغرم	نثرت
١٥٥	»	»	إكام	بالشذقيات
٢٦٤	»	»	قديم	أعطيت
»	»	»	ونعيم	أسقى
٣٧٢، ١٣٠	»	»	تخدم	خدم
»	»	»	المغرم	نثرت
٣٩٩	»	»	وأمامى	ولقد أراى
٣٩٩	»	»	متخوفا للحام	لايركنن
٦٢	٢	»	حدام	عوجا على
١٢٠	»	»	الخصمان	يا بن المراغة
١٣٠	»	»	المغرم	وفسكت بالمال
١٥٤	٢	كامل	وسفاميه	وتقسام
»	»	»	إكرامه	قل للأمير
٢٨٨	»	»	آنأم	يتجنب الأيام
»	»	»	الإلام	دمن ألم

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣١٦	»	كامل	يئيمُ	كل امرئُ
»	»	»	الحكيمُ	يا بدر
٣٤٤	٢	»	مرامِ	سرت
»	»	»	نعامِ	عنى المنازل
٣٤٥	»	»	قلمِ	الدار
»	»	»	حذامِ	عوجًا
٣٥١	»	»	تظلمِ	وظلمت
٣٥٣	»	»	الدمُ	وأخافكم
»	»	»	تحرمُ	أرض مصدره
٣٩	٣	»	أم الهيثمِ	حيث
»	»	»	توهمِ	هل
٤٤	»	»	كرامِ	ولقد أرانى
٥٨	»	»	مقدمِ	بزجاجة
٦٧	»	»	تهدمُ	مالى
١٠٠	»	»	الأيامُ	قصرُ
١٠١	»	»	تُستامُ	يادار
١٠٤	»	»	فربما	عسى وطنُ
١٢٣	»	»	ورسومُ	زعمتُ
١٨٠	»	»	استحكامُ	أصبحتُ
١٨٥	»	»	محمومُ	مازال
٢٠٣	»	»	أكنافهمِ	قم فاسقنيها
٢٤٥	»	»	اللومُ	أجد

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٤٧	٣	كامل	بتمم	كلف
٢٥٣	»	»	حرام	وإذا المطلق
٢٦٢	»	»	عظيم	لافته
٢٧٨	٣	»	الأحلام	مهلا
٣	٤	»	حرام	وإذا المطلق
١٤٨	٣	رجز	وأنهم	أنهم
٢٥٥	١	سريع	بالصرم	قد كان
١٥٢	٢	منسرح	شيم	تشرق
»	»	»	القدم	أحق
٢٢٧	»	»	قلماً	فأصبحت
٩٠	١	خفيف	قد يما	قد بلونا
»	»	»	أو تنبأ	إن عهدا
٢٥٨	»	»	أحكام	إن بعضا
٢٥٩	»	»	البرسام	فيه ما يجلب
٢٤	٢	»	صميما	شعلة
٣١	»	»	بالتعظيم	لا تضع
١٠٤	»	»	والرسوم	قد مررنا
٢٤٢	٣	»	الغمام	أين أزمعت
٢٤٨	»	»	المهم	انتج
٢٥٠	»	»	عظيما	مثل
٢٦٤	»	»	الجهام	ومن الخير

صفحة	جړء	بحر	عجز	صدر
١٧٩	٣	مقارب	تلتطم	وما مزيد
٨٩	»	»	عها	ولى خالة
(ن)				
٧٨	١	طويل	القران	عددك
١٤٨	»	»	بالأذن	عهدتك
٣٥٥	»	»	جفان	وكم لك
١٥٧	٢	»	عيونها	كان
١٥٨	»	»	طينها	كانا حلول
٢٠	٣	»	والأبوان	فدى لبنى
٧٦	»	»	يصطحبان	برغم
١٣٥	»	»	قرونه	وليل
١٣٨	»	»	بيننا	سأشكو
٢٣١	»	»	يخون	جلست
٢٤٦	»	»	يزبن	عطاؤك
٢٨٩	»	مديد	فاستكن	سنة
١٤١	»	»	أذنى	فاسقى
»	»	»	السكن	يا كثير
١٣٠	١	بسيط	شيبانا	لو كنت
١٥٧	»	»	اللبن	رأيتكم
»	»	»	ولا سكن	م.

صدر	عجز	بجر	جزء	صفحة
إن يسموا	دفتوا	بسيط	١	١٥٨
قد علم	أحزانا	»	»	٣٤١
تقول	أجفاناً	»	»	٣٤٧
لوزارنا	أحياناً	»	»	»
إن العيون	قتلانا	»	»	٣٨٥
لو كنت	شيباناً	»	٢	٣٢١، ٢٨٣
العارضُ	المتن	»	٣	٢١
أفاضل	الفتن	»	»	»
يجزون	إحساناً	»	»	١٥٢
لو كنت	شيباناً	»	»	»
تشكى	مرنانُ	»	»	٢٢١
أنا ابن	تعرفوني	وافر	١	٣٠١
مغاني الشعب	الزمان	»	»	٣٤٠
وفر الحائن	ما أمان	»	»	٣٤٩
زويدك	من نهائي	»	»	»
إذا سمرت	غصن بان	»	٢	٧٨
عناني	كما بداني	»	»	»
بأني قد	صححان	»	»	١٨٧
ألا من	بطان	»	»	»
قددرت	ومينا	»	»	٣٥٧

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٥٩	٢	وافر	من نهائى	رويدك
٤٥	٣	»	زمانى	فلو
٨٢	»	»	تكون	وماأشياء
١٨٠	»	»	كالخيزران	وليس
٢٢١	»	»	اثنتان	وأنت
٣	٤	»	الوتين	إذا بلقتنى
٥٤	١	كامل	الميمون	ياخير
١٤٦	»	»	بالآذان	فى جحفل
١٦٠	»	»	الفرلان	أسراع
٣٣٩ ، ١٥٧	»	»	الثانى	الرأى
١٢٠	٢	»	البحران	ماضر تغلب
١٥٧	»	»	الأغصان	وجرى على
٣٨	٣	»	الحدثان	بحر
٨٨	»	»	الألوان	وحشاه
١٤٩	»	»	الإحسانا	وتوقى
١٨٦	»	»	المران	ذهب
١٩٣	»	»	الأجفان	كدت
»	»	»	لأمكنا	عقدت
٣٧٤	١	رجز	ياسين	كم من
١٠٣	»	سريع	فحياناً	ووردة

صفحة	جزء	بجز	عجز	صدر
٤٠١	١	مريع	عرفانه	وازور
١٦٥	»	منسرح	الحزن	لم يخلق
٣٤٠	»	خفيف	المكان	من شروط
١٤٥	٢	»	لساني	لا جرى الله
١٤٦	»	»	أوان	ذكر الكرخ
٢١٠	٣	»	جفني	شفقتني
٢٤٥	٣	»	مني	ولقد
٢٥٤	»	»	ثان	أنت في الجود
٧٩	١٠	خفيف مجزوء	الخان	بارك الله

(٥)

٣٦٨	١	طويل	فيها	تنازع
٢١٥	٣	مديد	البصره	وفتي
٣٧٠	»	بسيط	أنافيها	ولا أدم
١٦٠	٢	»	تنبيها	في طلعة
١٥٩	»	»	وأخفيها	أنافعي
١٢٧	٣	»	واديها	كأنها
٢٠٦	»	»	قوافيها	خذها
٣٧٠	١	»	أخزيها	لا أحرم
٢٢١	»	»	لا يعرف الشوق	يعانيها
١٦٨	١	كامل	يلقى به	يقظان
٣٧٠	»	»	هوى لها	إن آتى

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٢٥١	٢	كامل	أدلاها	ما من يد
»	»	»	فألفاها	فعموت
٧٨	٣	رجز	إفناها	صلبُ
٢٧٤	١	رمل	دانیه	أترك الأطلال
٢٩	»	رمل مجزوء	كنه	ومن البلوى
٢٠٢	٣	»	كنه	ومِنَ
٨٥	١	منسرح	يرضاها	لوظفت
١٠٧	٢	»	عيناها	كل جريح
١٤٩	١	»	معناه	الناس
١٠٧	٢	»	ذكرها	أوه بديل
٣٥٦	»	»	معه	يا قوم من
٢٧٦	»	مجثث	عميره	إياي
»	»	»	قطيرة	أما
١٦٤	١	خفيف	أنتَ فيها	إنما

(و)

٢٥٥	٣	طويل	يهوى	يدلُّ
-----	---	------	------	-------

(ى)

٧٤	»	طويل	القوافيا	بنى عمى
٧١	٣	»	البواكيا	وجفن

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٣٩٠	١	طويل	القوافيا	سأ كذب
٩٢	»	»	لياليا	تبعى ابن كوز
٤٧	»	»	مواليا	فلو كان
١٤٨	»	وافر	اليدى	وناصرة
٣٥٦	١	وافر	الدنايا	أسف
٣٧٢	»	رجز	بنايه	إن جرى

انصاف الآيات

(أ)

٢٣٩	١	كامل	الوجناء	يا موضع
١٠٢	٣	»	العلواء	قدك

(ب)

١٠٤	١	طويل	المطالب	بياض
»	»	»	الصبا	وأحسن
»	»	»	وملاعب	على مثلها
١٠٢	٣	»	مؤنبي	تقى
٢٨٤ ، ١٤٢	»	»	لزنبيا	أجدك
٩٨	»	بسيط	ينسكب	مال
٢٥٢	»	كامل	ويغرب	جدلان
٩	٤	»	جوابي	لو أن
٢٥٠	١	رمل مجزوء	وطابا	عذب
»	»	»	شرايا	حبذا

(ث)

٢٥٣	»	كامل	علائنا	ف
-----	---	------	--------	---

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
		(ح)		
ومسح	ماسح	طويل	٢	٦٨
عبرتنا	والنحى	مجزوء الخفيف	١	٣٥٧
		(خ)		
سرى	أفتح	طويل	»	٢٥٣
		(د)		
سلام	عهد	طويل	٣	٢٩٠
أفل	مجد	»	»	١٠٢
تجرع	الفرد	»	»	٩٩
عتابك	واقصدى	»	»	٤٧
من آل	مفتد	كامل	١	٢٥٩
حسم	الأعادى	خفيف	٤	١٠
		(ذ)		
مبيد	الذى	طويل	٢	٢٠٦
		(ر)		
مقى لاح	ققر	طويل	٣	١٤٢
أجارة	غيور	»	»	١٢٤
الم تر	المبكر	»	٤	١٠
خف	بكروا	بسيط	٣	٩٩، ٩٨
سقى	والشجر	»	٣	١٦٠

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
٤٠٢	١	مخلع البسيط	خمر	داو
٢٦٠	»	كامل	ينفجر	ولاترى
١٤٠	٣	»	غرير	العيش
١٤٦	٢	خفيف	خير	لا جزى
		(س)		
٢٢٠	٣	كامل	باس	مافى
		(ش)		
٢٥٣	١	وافر	فراش	مبىتى
		(ص)		
٨٤	٢	كامل	الدعص	عجل
		(ع)		
٩٩	٣	طويل	تصدعا	فؤاد
١٣٧	»	وافر	رُجوعاً	مُث
		(ف)		
٢٦٠	١	طويل	تعرف	عزفت
		(ق)		
١٢٧	٣	طويل	التفرق	احفت
٤٠٢	١	خفيف	العشاق	أتراها

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
		(ك)		
يا دار	أبلاك	كامل	٣	١٠٠
فلا ملك	فداكا	وافر	٢	٢٩٨
فدى لك	مداكا	وافر	٢	٢٩٧
دك - طود	سيفك	رمل مجزوء	»	١٠٥

(ل)

روبدك	تنجلى	طويل	٢	١٠٠
ألا أنعم	البالى	»	٣	٢٩٨، ٣٦
وشجم	المقتل	»	»	»
قفانبك	ومنزله	»	»	»
كأنحدار	عجل	مديد	٢	٢٩٧
وهل تطيق	الرجل	بسيط	»	٢٩٧
ودع	مرتحل	»	»	»
أحيا	ماقتلا	»	٣	»
إنا محيوك	الطلل	»	»	»
أهلا	المقبل	كامل	٢	٢٩٧
إن لم تكن	قتال	»	»	»
في الخلد إن	رحيلا	»	»	»
فعل	يفعل	»	»	»

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٠	٢	مقارب	العدلُ	أينفع
»	»	»	يشمل	وتشمل
١٧٠	٣	خفيف	قليلا	ذاك

(م)

١٣٤	١	طويل	العزائمُ	على قدر
١٠٦	٢	»	ضيقمُ	يمدّ يديه
»	»	»	أرقمُ	وعينه
٢٠٩	٣	»	خبائناً	كان
١٠	»	»	أسلى	الايأسلى
»	»	»	تكلمى	ثلاث
١٦٥	»	»	العزائم	على قدر
٦٨	»	بسيط	شيمُ	واحر قلباه
١٢٧	»	»	وتسجام	نصيب
١٠٣	»	كامل	ألوما	كُنْفِي أَرَانِي
٦٧	»	»	منجمُ	أرض
١٠٦	٢	بسيط	القسمُ	ماذا يزيدك
»	»	»	ندمُ	عقبى اليمين
٥٨	»	كامل	توم	أم هل
»	»	»	متردم	هل غادر

صفحة	جاء	بحر	عجز	صدر
٣٥١	٢	كامل	تظلم	فمجبت
١٠٤	٢	خفيف	أو تنبها	أن تناما
»	»	»	زمنيا	إن عهدا

(ن)

٦٨	٢	طويل	بيننا	أخذنا
١٤١	»	مديد	الدمن	يا كثير
٢٧٥	٢	وافر	ومينا	وألني قولها
٢٧٠	٢	»	تعرفوني	متى أضع
٢٧	»	»	المغاني	مغاني
٣٣٢	»	كامل	فأبان	درس المنا
٨٧	٣	»	الشجمان	الرأى قبل
١٤٦	٢	خفيف	الأوطان	ذكر السكرخ

(هـ)

٢٥٤	»	طويل	تستطيعها	منى النفس
»	»	»	وولوعها	بها وجدها
٣٥٨	١	»	صاحبه	فمزما قدما
١٣٦	»	»	كاسبه	ألا هكذا
٣٥٨	»	»	وصواحبه	أهن عوادي
١٦٠	٢	بسيط	تلهمها	في حمرة

صفحة	جزء	بحر	عجز	صدر
١٢٧	٣	»	میلوا إلى الدار نحيها	
١٢٥	٣	كامل	ذواتها	سرب
٤٠٧	١	منسرح	جرعائه جرده	ما بال
»	»	»	عقده	ما لكتيب
٨٥	»	»	ذكراها	لم نأت
»	»	»	قولتي واما	أوه بديل
		(ى)		
٢٧٠	٢	واقر	الثنايا	أنا

فهرس الأمثال

- ٣٧٦ ص
لا تمر الأحق شيئا فيظنه له ج ٢
٦٤ ص
لا تقال المكارم إلا بالمكاره ج ١
٣٥٠ ص
الليل جنة الهارب ج ٢ ص ١٣٥
من أطاع غضبه أضع أذبه ج ١
٣٦٣ ص
نار الجحاح ج ٢ ص ٣٣٢
- ١
١٩٢ ص
إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك
القمر ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣
أهل مكة أخير بشماها ج ١ ص ١٩١
أهلك والليل ج ٢ ص ٢٩٧
سبق السيف المذل ج ١ ص ١٠
قلب له ظهر المجن ج ٣ ص ٦٦ ،
كل الصيد في جوف القرا ج ٢

فهرس الحكم

الإسان بصره ج ١ ص ١٠١	ظلام الليل يهديني إلى باب من
الماء أروى لشدوق النيب ج ٢	أودّه ، وضوء النهار يضل بي
ص ١٠١	عن باب من لا أودّه ج ١
من تروى فترت عظامه ج ١ ص ١٠١	ص ١٠٢
الموت طعام لا تجشئه المعدة ج ١ ص ١٠٣	قد ظهر الصبح إلا أنه لم يملك

فهرس الأيام

يوم بدر ج ١ ص ٤٧	بيعة الرضوان ج ١ ص ٦٤
يوم حنين ج ١ ص ٩٧ ، ١٠٩	عام الفتح ج ١ ص ٩
يوم الفجار الثاني ج ٢ ص ٣١٠	عمرة القضاء ج ١ ص ٩
يوم القادسية ج ٢ ص ٣٢٨	غزوة الفتح ج ٣ ص ٢٥
يوم اليمامة ج ١ ص ٣٨١ ، ج ٢	فتنة الجبل ج ٣ ص ٢٦
ص ١٠٠	يوم أحد ج ٣ ص ١٠٧

فهرس الآيات

إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم

ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه

هيناً ، وهو عند الله عظيم ج ١

ص ٣٦٠

إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا

لا تخف خصمان بغى بعضنا على

بعض ج ٣ ص ١٦٠

إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ج ٣

ص ١٢٨

إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع

ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً

ج ٢ ص ٢٦٢

إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون

ج ٣ ص ٧

(إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني

رأيت أحد عشر كوكباً والشمس

والقمر رأيتهم لي ساجدين ج ٣

ص ١٨

(١)

أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن

بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً

ولا ينجون ج ٢ ص ٢٨٢

أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا

لمدينون ج ١ ص ٢٨

أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن

المنزلون ج ٢ ص ٢٤٤

أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون

ج ٢ ص ٢٤٤

أتأمرون الناس بالبر وتلسون أنفسكم

وأنتم تتلون الكتاب أفلا تمقلون

ج ١ ص ٢٨٩ ، ٣٥٠

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

ج ١ ص ٣٠٤

إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي ج ٢

ص ٢٠٢

إذا قتم إلى الصلاة فاعسلوا وجوهكم

ج ٢ ص ٢٨٦

إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول

عنهم فانظر ماذا يرجعون ج ٢

ص ٢٩١

أرأيت إذ أوبنا إلى الصخرة ج ١

ص ١٨٧

أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وأنا

له لحاظون ج ٢ ص ٢٤٤، ٣٠٣

إرم ذات الماد ج ٢ ص ٣١٩

أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى

ج ٢ ص ٣٠٥

أشداء على الكفار رُحَاء بينهم

ج ٣ ص ١٥٢

اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا

داود ذا الأيد إنه أوتاب ج ٢

ص ٢٩١

أفرايت إن متعنهم سنين ج ٣

٢٨ ، ٢٠٢

أفرايتم اللات والعزى ج ٢ ص ٣٦٢،

إذ قالوا ليعوسف وأخوه أحب إلى

أبيننا منا ج ٢ ص ٢٤٥

إذ نسويكم رب العالمين ج ٣ ص ١٢٩

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن

الشمال قعيد ج ٢ ص ٣٣٦

إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو

أراكم كثيرا لفشتنم ولتنازعتم

في الأمر ولكن الله أعلم

بذات الصور ج ١ ص ٣٢٧

إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم

ج ١ ص ١٧٣

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا

إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان

يعبد آباءكم ج ٢ ص ٢٠١

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك

لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله

والله يشهد إن المنافقين لكاذبون

ج ٢ ص ٢٤٣

إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها

تنفيذا وزفيرا ج ١ ص ٣٣٣

ألا إلى الله نصير الأمور ج ٢
ص ٢٢٥

ألا إنهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون ج ٣ ص ١٦٣

ألا تتبعني أفصيت أمرى ج ٢
ص ٢٩٣

إلا تذكرة لمن يخشى ج ١ ص ٢٧٢

إلا من أتى الله بقلب سليم ج ٣
ص ١٢٩

إلا من هو صال الجحيم ج ٣ ص
٢٠١، ٢٨

التي لم يخلق مثلها في البلاد ج ٢
ص ٣١٩

الذي خلقني فهو يهدين ج ٣ ص ١٢٨

الذين إذا اختلفوا على الناس
يستوفون ج ١ ص ٣١٩

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والإنجيل يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر

ج ٣ ص ١٣١

أفرايتم الماء الذي تشربون ج ٢
ص ٢٤٤

أفرايتم ما تخرثون ج ٢ ص ٢٤٤

أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ج ١
ص ١٤٩

أفلم يروا إلى ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض
إن نشأ نخسف بهم الأرض أو

نسقط عليهم كسفا من السماء إن
في ذلك لآيات لكل عبد منيب

ج ٣ ص ١٧٣

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف
بينناها وزيناها وما لها من فروج
ج ١ ص ٢٧٢

أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
على نور من ربه فويل للقاسية

قلوبهم من ذكر الله أولئك في
ضلال مبين ج ٢ ص ٢٨٧

أقربت الساعة وانشق القمر ج ١
ص ٣٣٦

اقرأ باسم ربك الذي خلق ج ١
ص ٣٧٦

ص ٢٦٨
الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى

ج ١ ص ٢٧٢
الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو

القوى العزيز ج ١ ص ٣٧٩
الله نور السموات والأرض مثل

نوره كشكاة فيها مصباح ج ٢
ص ٢٤ ، ١٢٧ ، ١٤٨

الله يتوفى الأنفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها ج ٣

ص ١٨٧
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء

فصبغ الأرض مخرصة إن
الله لطيف خبير ج ٣ ص ١٨٩ ،

١٩٣
ألم تر أن الله سخر لكم ما في

الأرض والفلك تجري في البحر
بأمره ويمسك السماء أن تقع على

الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس
لرؤوف رحيم ج ٣ ص ١٦٤

ألم تر أن الله يعلم ما في السموات

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة وما رزقناهم ينفقون ج ٢

ص ٢٨١
الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج

الناس من الظلمات إلى النور ج ٢
ص ٩٦

ألكم الذكر وله الأنثى ج ١ ص
٢٢٩

الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك لعل الساعة

قريب ج ١ ص ١٧٩
الله الذي خلق سبع سموات ومن

الأرض مثلهن ج ١ ص ٣٨٧
الله الذي رفع السموات بغير عمد

ترونها ج ١ ص ١٨١
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا

فيسطه في السماء كيف يشاء
ويجمله كسفا فترى الودق يخرج

من خلاله فإذا أصاب به من
يشاء من عباده إذا هم يستبشرون

ج ٣ ص ١١
الله لا إله إلا هو الحي القيوم ج ٢

إلى ربك يومئذ المستقر ج ٢ ص

٢٢٥

إلى ربها ناظرة ج ٢ ص ٣٥٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين

ما لم يأذن به الله ج ١ ص ٣٧٩

أم يقولون شاعر نتربص به ريب

المنون ج ١ ص ٢٧٦

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون

في البحر فأردت أن أغيبها وكان

وراءهم ملك يأخذ كل سفينة

غصبا ج ٢ ص ٣١٥

أمرنا من عندنا إنا كنا مرسلين ج ٢

ص ١٧٨

إن الأبرار لفي نعيم ج ١ ص ٣٦١

إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا

ولم يك من المشركين ج ٣

ص ١٨٧

أن أذففيه في التابوت فاقدفيه في

اليوم ج ٢ ص ٢٠٢

وما في الأرض ما يكون من

نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا

خسة إلا هو سادسهم ج ٣

ص ١٨٣

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على

الكافرين تؤزّهم أزّا ج ١

ص ٣٧٨

ألم تر أنهم في كل واد يهيمون

ج ٢ ص ٩٧

ألم تركيب فعل ربك بهاد ج ٢ ص

٣١٩

ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه ج ٢

ص ٢٢٥ ، ٢٨١

آلم . غلبت الروم في - أدنى الأرض

وهم من بعد غلبهم سيفلبون

ج ٢ ص ٣٦٧

ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا

فيه والنهار مبصرا ج ١ ص

٨٦

إلى ربك يومئذ المساق ج ١ ص

٣٥١ ج ٢ ص ٢٢٥

إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبيّ والذين آمنوا ج ٣
ص ١١٩

إن تصبك حسنة تسؤهم وإن
تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا
أمرنا من قبل ج ٣ ص ١٥٢
إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا ج ١ ص ٣٠٦

إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب
الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود ج ٢ ص ١٩١
إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب
ج ١ ص ٣٨٥

إن في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
ج ١ ص ٢١٢

إن قارون كان من قوم موسى فبغى
عليهم، وآتيناهم الكنوز ما إن
مفاتيحهن لنؤتوا بالعصبة أولى القوة
ج ١ ص ١٨٩

إن كلّ إلا كذب الرسل فحق عقاب
ج ٣ ص ٩

إن أكرمكم عند الله اتقاكم ج ١
ص ١٨٨

إن الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله ج ٢ ص ١٨٨

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب أليم
في الدنيا والآخرة ج ٢ ص ٣٢٥
إن الله لا يحب الفرحين ج ١ ص
٣٩٤

إن الله لا يهدي القوم الظالمين ج ٢
ص ٣١٩

إن الله لمن الكافرين وأعدّ لهم
سعيرا ج ١ ص ٢٧١

إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى بمظلمكم

أملككم تذكرون ج ٢ ص ٣٣٥
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها ج ١ ص ٣١٢

إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
ج ٢ ص ٢٥١

إن إلينا إيابهم ج ٢ ص ٢٢٤

منذرين - ج ٢ ص ١٧٧
 إنا أنشأناهن إنشاء - ج ٢ ص ٢٧
 إنا عرضنا الأمانة على السموات
 والأرض والجبال فأبين أن يحملها
 - ج ٣ ص ٢٨
 إنا كذلك نجزي المحسنين - ج ٢
 ص ٣٢٦
 إنا كنا لكم نبيًا - ج ١ ص ١٨٧
 أنتم وآبائكم الآمنون - ج ٣ ص ١٢٨
 أنزل من السماء ماء فصالت آودية
 بقدرها فاحصل السيل زبدًا راييا
 - ج ٣ ص ٦٣
 إنك أنت الأعلى - ج ٤ ص ١٩٥
 إنا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
 ويسمون في الأرض فسادا أن
 يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
 وأرجلهم من خلاف - ج ١ ص
 ٣١٤
 إنا الصدقات للفقراء والمساكين
 والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
 وفي الرقاب والغلामين وفي سبيل
 الله وابن السبيل - ج ٢ ص ٢٤١

إن الذين أوفوا بنهاتهم - ج ١
 ص ١٣٨
 إن الحرمين في خلال شهر - ج ١
 ص ٢٦٨
 إن اللذان يؤمنون بك يتتوبون - ج ٣
 ص ١٢٣
 إن قول الإعتراك من ألفتها
 - ج ٢ ص ١٨٣
 إن هذا الذي في سبع وأربعون نسخة
 وفي نسخة واحدة - ج ٣ ص ٥٣
 ٢١٦
 إن هذا القرآن ينزل من أقدم
 - ج ٢ ص ٢٥٥
 إن هذه أمكم أمه واحده إنا ربكم
 فاعلمون - ج ٢ ص ٢٥٥
 إن هم إلا لآلئكم - ج ٣ ص ٢١١
 إن يسرى في سبيل أبيه من قبل
 - ج ١ ص ١٧٥
 إنا أنشأناهم من طين الطين
 - ج ٢ ص ٢٤١
 إنا أنزلنا من السماء ماء فاحصل السيل
 زبدًا راييا - ج ٣ ص ٦٣

إنما بمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر ج ١ ص ٢٩٣ ،
٣٠٧

إنه لقرآن كريم ج ٣ ص ٤١

إنها كلمة هو قائلها ج ١ ص ١٨٤
إني آمنت بربكم فاسمعون ج ٢ ص
١٧٧ ، ٢٨٢

إني إذا لقي ضلال مبين ج ٢ ص
٢٨٢

إني أراي أعصر خمراً ج ٢ ص ٨٩
إني لسكم رسول أمين ج ٣ ص ٧
إهدنا الصراط المستقيم ج ٢ ص
١٧٣ ، ٢٠٣

أو جاء أحد منكم من الغائط ج ١
ص ١٠٨

أو لامستم النساء ج ٣ ص ٥١ ، ٥٣ ،
٥٤

أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء
يتفياً ظلاله عن البمين والشمائل
ج ٣ ص ٤٨

أو لم يروا أنا جعلنا حراماً آمنوا ويتخطف
الناس من حولهم ج ١ ص ٢٩٨

إنما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب ج ١ ص ٣١٦

إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزناه
من السماء فاختلط به نبات
الأرض مما يأكل الناس والأنعام
ج ٢ ص ١٣٩

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا ج ٣ ص ٨
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
وإذا كانوا معه على أمر جامع
لم يذهبوا حتى يستأذنه ج ١
ص ٩٥ ، ج ٣ ص ٦

إنما يخشى الله من عباده العلماء ج ١
ص ٤٥

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيراً ج ١
ص ٢٩١

إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ، وارتابت قلوبهم ،

فهم في ريبهم يترددون ج ٢
ص ٣٦٦

اِثْنُونِي بِهِ اَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلِمَهُ

قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

ج ٢ ص ٣٠٤

أَيُّجِبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا ج ٣ ص ٦٢

أَنْذَا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجِمَ بَعِيدٌ

ج ٢ ص ٣٢٠

أَنْذَا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنْثَا

لِلْمَدِينُونَ ج ٣ ص ٢٠١

(ب)

بَدَتْ لَهَا سُوءُ آتِهَا وَطَفَقَا يَخْتَصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَفَّةِ ج ١ ص

١٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ج ٣ ص ٧

بَلِ اللَّهِ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ

ج ٢ ص ٢١٨

بَلِ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ

عَجِيبٌ ج ٢ ص ٣٢٠

بَلِ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي

أَمْرٍ مَرِيجٍ ج ١ ص ٢٧٢

أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ

ثُمَّ يَعْبُدُهِ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

ج ٢ ص ١٩٩

أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ج ٣ ص ١٠

أَوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِقُونَ ج ٣ ص ١٥٨

أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ ج ٣

ص ١٢

أَوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَئِكَ

هُمُ الْمَفْلِحُونَ ج ٢ ص ٢٨١

أَوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ج ٢ ص ٣٤٩

أَوْ يَرْجُوهُمْ ذَكَرْنَا وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ

مِنْ بَيْنَاءٍ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

ج ٢ ص ٢٣٣

أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ج ٣ ص

١٢٨

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ج ٢ ص

١٧٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ج ٣ ص

١٨٧

(ح)

حافظوا على الصلوات والصلوة

الومطى ج ٣ ص ٢٨ ، ٣٥

حتى إذا فتحت بأجوج وأجوج

وهم من كل حدب يشملون ج ٢

ص ٣٠٩

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمهم

وأبصارهم وجلودهم كأنها

يشملون ج ٣ ص ١٥٨

حتى توارت بالغطاب ج ٤ ص ٢٩١

سم والسمكتان الميم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

الجد غروب الظلم ج ٤ ص ٢٩١

(ر)

رب إني نذرت لك مافي بطني

محررا ج ١ ص ٢١٩

رب هب لي حكما وألحفتني بالصالحين

ج ٣ ص ١٢٨

الرحمن الرحيم ج ٢ ، ١٧٣ ، ٢١٩ ، ٢١٩

ج ٣ ص ٧

الرحمن على العرش استوى ج ١ ص

٢٧٢

رحمة من ربك إنه هو السميع العليم

ج ٢ ص ١٧٨

(س)

سأصليه سقر ج ١ ص ٣٨٣

سبحان الذي أمرى بعبده ليلا من

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

الذي باركنا حوله ج ٢ ص ١٧٥

(ش)

شاكرًا لأنعمه اجتنابه وهداه إلى

صراط مستقيم ج ٣ ص ١٨٧

خالدين فيها لا يجدون وليا ولا نصيرا

ج ١ ص ٢٧١

خالدين فيها ما دامت السموات

والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك

فعال لما يريد ج ٣ ص ١٧٤

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض

عن الجاهلین ج ٢ ص ٣٤٩

حدوه فقلوه ج ٢ ص ٢١٩

خلق الإنسان من علق ج ١ ص ٣٧٦

(ذ)

ذرههم يأكلوا ويتمتعوا ج ١ ص

٣٨٣

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله

ذو الفضل العظيم ج ١ ص ١٢٣

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير

له عند ربه ج ٢ ص ١٨٨

ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض

بغير الحق وبما كنتم تفرحون

ج ١ ص ٣٥٠

ذلكم قولكم بأفواهكم ج ٢ ص

٣٦٠

فأجمعوا أمركم وشركاءكم ج ٢ ص

٣٠١

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ج ٢ ص

٢٥٠

فأدخلناه في رحمتنا ج ٢ ص ٨٥

فإذا انسلخ الأشهر الحرام فاقتلوا

المشركين حيث وجدتموهم ج ١

ص ٤٠٦

فإذا طعمتم فانثروا ولا مستأنسين

لحديث ج ١ ص ٢١٥

فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من

الشیطان الرجيم ج ٢ ص ٢٨٥

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب

الرقاب ج ٢ ص ٣٠٢

فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ج ٢

ص ٣٦٢

فإذ نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم

عسير على الكافرين غير يسير ج ٣

ص ٣٣

فأرسلنا عليهم الطوفان والقمل

والضفادع والدم آيات مفصلات

ج ١ ص ٢١٧

(ص)

ص . والقرآن ذی الذکر ج ٢

ص ٢٠١

صراط الذين أنعمت عليهم ج ٢

ص ١٧٣ ، ٢٠٣

صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ج ١

ص ٦٠

(ط)

طه ج ١ ص ٢٧٢

(ع)

عربا أتربا ج ١ ص ٣٧

(غ)

غير المغضوب عليهم ج ٢ ص ١٧٤

(ف)

فأتبهم فرعون بجنوده ففشيهم

من اليم ماغشيهم ج ٢ ص ٣٤٨

فأتت به قومها تحمله ج ١ ص ١٨٣

فاتقوا الله وأطيعون ج ٣ ص ٧

فأثرن به فعا ج ١ ص ٢٧٢ ، ٣٣٣

فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة

قالت ياليتني مت قبل هذا

وكنت نسيا منسيا ج ٢ ص ٢٢٧

فالسابقات سبقا ج ٢ ص ٣٢٠
 فاستفتحهم اعم اشد خلفا ام من خلفنا
 انا خلفنا من طين لازب ج ١
 ص ١٤٩
 فاصبح في اللذبة خائفا يترقب فاذا
 الذي استنصره بالانس يستمرحه
 قال له موسى انك لثوى ميين
 ج ٣ ص ١٢
 فاعبدوا ماشتم من ذنوبهم ج ٣ ص ٥
 فاقبل بعضهم على بعض يتكلمون ج
 ص ٢٨ ، ٢١ ، ٢٢
 فاكفة ونخل ورمان ج ١ ص ٨٨
 فاكهين بما آتاهم ربهم وولاهم ربهم
 عذاب الحميم ج ١ ص ٢٧٦
 فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
 واتبعوا النور الذي أنزل معه
 أولئك هم الفلاحون ج ١ ص ٢٦١
 فالعاصفات عصفا ج ١ ص ٢٣٦
 فالمدبرات أمرا ج ٢ ص ٣٢٠
 فالغيبات صبيحا ج ١ ص ٢٧٢ ،
 ٣٣٣

فالموزيات قدحا ج ١ ص ٣٧٢
 فاما الذين جردت وبيروا ج ١ ص ٣٧٢
 فاما الذين جردوا في النار فليس لهم
 زكوة ولا ينطقون ج ٢ ص ٢٧٧
 ص ١٧٧
 فاما من اوتيت كتابه فليقرء
 هاديا نورا واكتتابا ج ١ ص ١٨٠
 فاما الذين جردوا في النار فليس لهم
 فان قولوا لا اله الا الله الا
 اهو ج ١ ص ١٧٧
 التفتيح ج ١ ص ٢٧٦
 فانطلقوا حتى يواروا فيها
 ج ١ ص ١٨٨
 فانطلقوا من اذانهم ج ١ ص ١٨٨
 اذات تقاسم كفة ج ١ ص ٢٧٦
 ج ١ ص ٢٧٦
 فانظر الى النار ج ١ ص ٢٧٢
 اذ من يندم ج ١ ص ٢٧٢

مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ

عظيم ج ١ ص ١٩٠

فخرج على قومه من المحراب فأوحى

إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ج ٢

ص ٢٩٣

نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون

غيا ج ١ ص ٣١١

فذرهم يخوضوا ويلعبوا ج ٢ ص ٣٠٢

فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن

ولا مجنون ج ١ ص ٣٧٦

فذوقوا عذابي ونذر ج ٣ ص ١٩

فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ج ٢

ص ٢٩٠

فسقى لهم ما ثم تولى إلى الظل فقال رب

إني لما أنزلت إليّ من خير فقير

ج ٢ ص ٣٠٥

فسيكفنيكم الله ج ١ ص ٢٦٥

فمشاها ما غشى ج ٢ ص ٢٠٦

فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها

ج ٢ ص ٢٩٨

فإنكم وما تمعدون ج ٣ ص ٢٨ ،

٢٠١

فإنها لاتعنى الأبصار ولكن تعنى

القلوب التي في الصدور ج ٢ ص

٤٠٠ ، ٣٦٤

فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ج ٣

ص ١٢٨

فأوحس في نفسه خيفة موسى ج ٢

ص ٢١٩ ، ١٩٤

فبأى آلاء ربكما تكذبان ج ٣

ص ٢٠

فبما رحمة من الله لنت لهم ج ٢ ص

٩٣

فجعلناهم أبقاراً ج ٢ ص ٣٧

فجعلته فانتبذت به مكانا قصيا ج ٢

ص ٢٢٧

فخر عليهم السقف من فوقهم ج ٢

ص ٣٦١

فخرج على قومه في زينته قال الذين

يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا

فكان عاقبتهما أهما في النار خالد بن
فيها ج ٣ ص ١٢
فككبكبا فيها هم والفاوون ج ٢ ص ٠
٢٥٢ ، ج ٢ ص ١٢٩
فلا أقسم بمواقع النجوم ج ٣ ص ٤١
فلا تمجل عليهم إنما نعدّ لهم عدّا
ج ١ ص ٢٧٨
فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ج ٤
ص ٢١٤
فلما أتاها نودي من شاطئ الواد
الأيمن في البقعة المباركة من
الشجرة أن يا موسى إني أنا الله
ج ١ ص ٣٨٨
فلما أسلما وتله للجبين ج ٢ ص ٠
فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو
عدوّ لهما قال يا موسى أتريد أن
تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس
ج ٣ ص ١٢
فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه
فارتدّ بصيرا قال ألم أقل لكم
إني أعلم من الله ما لا تعلمون ج ٢
ص ٢٩٠ ، ج ٣ ص ١٣

فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك
اتبعتك إلا الذين هم أراذلنا بادي
الرأى وما نرى لك علينا من
فضل ج ٣ ص ٧٢
فقبضت قبضة من أثر الرسول ج ٢
ص ٣١٠
فقتل كيف قدر ج ٣ ص ٩
فقد صفت قلوبكما ج ١ ص ٥٥
ففضاهن سبع سموات في يومين
وأوحى في كل سماء أمرها ج ٢
ص ١٧٦
فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا
ج ٢ ص ٢٥١
فقلنا أذهبنا إلى القوم الذين كذبوا
بآياتنا فدمرناهم تدميرا ج ٢ ص ٣٠٢
فقلنا أضرب بمصاك الحجر فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا ج ٢ ص ٢٨٧
فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى ويريكم آياته لعلكم
تعقلون ج ٣ ص ٤٣

رأسه ففدية ج ١ ص ٣١٧
فن كان منكم مريضا أو على سفر
فعدة من أيام آخر ج ٢ ص ٣١٨
فن نكث فإنما ينكث على نفسه
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات ج ١
ص ٣٣
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم
من أخذتة الصيحة ومنهم من
خسفنا به الأرض ومنهم من
أغرقتنا وما كان الله ليعظلمهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
ج ٣ ص ٢٠٧
فورب السماء والأرض إنه لحق
مثل ما أنكم تنطقون ج ٣
ص ٢٠٤
فوسطان به جما ج ١ ص ٢٧٢ ،
٣٣٣
في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ج ٢
ص ٣٦٧

فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا
سحر مبين ج ٣ ص ١٨٧
فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه
وقال أدخلوا مصر إن شاء الله
آمنين ج ٢ ص ٢٩٠
فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يحملوه في
غيابة الجب ج ٢ ص ٣٠٣
فله ماسلف ج ٢ ص ٣٣٧
فلو أن لنا كرة فـنـكون من المؤمنين
ج ٣ ص ١٢٩
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن
تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم
ج ١ ص ٣٥٢
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ج ٣
ص ١٤٤
فما بكت عليهم السماء والأرض
وما كانوا منظرين ج ٢ ص ٨١
فما لنا من شاقمين ج ٣ ص ١٢٩
فن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله
ماسلف ج ٢ ص ٢٣٥
فن كان منكم مريضا أو به أذى من

قال ألم أول لك إنك لن تستطيع معي

صبرا ج ٢ ص ١٩٣

قال إنما أشكو بني وحزنى إلى الله

وأعلم من الله ما لا تعلمون ج ١

ص ٨٦

قال إني ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف

أن يأكله الذئب وأنتم عنه

غافلون ج ٢ ص ٣٠٣

قال تزرعون سبع سنين دأبا فما

حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا

بما تأكلون ج ٢ ص ٢٨٦

قال رب أجمل لى آية قال آيتك

ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا

ج ٢ ص ٢٩٢

قال رب أنى يكون لى غلام وكانت

امرأتى عاقرا وقد بلغت من

الكبر عتيا ج ٢ ص ٢٩٢

قال سننظر أصدقت أم كنت من

الساكذين ج ٢ ص ٢٩١

قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو

الغفور الرحيم ج ٢ ص ٢٩٠

فى سدر مخضود ج ١ ص ٣٣٥ ،

٣٧٧

فيها يفرق كل أمر حكيم ج ٢ ص

١٧٨

فيهما فاكهة ونخل ورمان ج ٣ ص

٢٨

فيهما من كل فاكهة زوجان ج ٢

ص ٣٦٩

(ق)

ق . والقرآن المجيد ج ٢ ص ٣٢٠

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا

باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم

الله ورسوله ولا يدينون دين

المحق ج ٣ ص ١١ ، ٩

قال أرأغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم

لئن لم تنته لأرجنك واهجرنى

مايا ج ٢ ص ٣٧٧ ، ٢٢٢

قال الذى يطهه علم من الكتاب

أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك

طرفك ج ٢ ص ٢٩٤

قال أفرايتم ما كنتم تعبدون ج ٣

ص ٢٩٠

قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف

عن نفسه ج ٢ ص ٣٠٤

قال الملائم من قومه إنا لنراك في ضلال

مبين ج ٢ ص ٢١١

قال نكروا لها عرشها فنظر آتته تدي

أم تسكون من الذين لا يهتدون

ج ٢ ص ٢٩٤

قال هل يسمعونكم إذ تدعون ج ٢

ص ١٢٨

قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا

برأسي ج ٣ ص ١٨١

قال يا أيها الملائم أياكم يأتي بي بعرشها

قبل أن يأتيوني مسلمين ج ٢ ص

٢٩٣

قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني

رسول من رب العالمين ج ٢ ص

٢١١

قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم

ضلوا ج ٢ ص ٢٩٣

قالت أي يكون لي غلام ولم يمسسني

بشر ولم أك بغيا ج ٢ ص ٢٨٤

قال عفريت من الجن أنا آتيتك به

قبل أن تقوم من مقامك وإني

عليه لقوى أمين ج ٢ ص ٢٩٣

قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل

علينا مائدة من السماء ج ١ ص

١٨٢

قال قائل منهم إني كان لي قرين ج ٣

ص ٢٠١

قال قد أوتيت سؤللك يا موسى ج ٢

ص ٢٠٢

قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن

كان في ضلال بعيد ج ١ ص

٣٧٧

قال كذلك قال ربك هو علي هين

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا

ج ٢ ص ٢٩٢

قال كذلك قال ربك هو علي هين

ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان

أمراً مقضيا ج ٢ ص ٢٨٤

قال لا تخصموا الذي وقد قدمت إليكم

بالوعيد ج ١ ص ٣٧٧

قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حمل بعير وأنا به زعيم ج ٣ ص ٤٢
قالوا وهم فيها يختصمون ج ٣ ص
١٢٩

قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا
خاطئين ج ٢ ص ٢٩٠
قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف
وإناله لنا صحتون ج ٢ ص ٢٤٤ ،
٣٠٣

قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ج ١
ص ١٢٧

قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن
نكون نحن الملقين ج ٢ ص
١٩٢

قتل الإنسان ما أكرهه ج ٢ ص ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٣

قد جعل ربك تحتك سريا ج ١ ص
١٢٧

قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي
المحسنين ج ٢ ص ٣٢٥

قالت يا أيها الملا إني أتقي إلى
كتاب كريم ج ٢ ص ٢٩١

قالوا أ أنت فعلت هذا بالهتنا
يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون
ج ٣ ص ٧٢

قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
ج ٣ ص ١٢٨

قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم
ج ٢ ص ٢٤١
قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف ج ٢ ص
٣٢٧

قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الأرض وما كنا سارقين ج ٣
ص ٤٢

قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع إلينا موسى ج ٢ ص ٢٩٣

قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة
إنا إذا لخاصرون ج ١ ص ٣٠٣

قالوا نعبد أصناما فننزل لها عاكفين
ج ٣ ص ١٢٨

قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين

له الدين ج ٢ ص ١٨٤

قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي

وإن اهتديت فبما يوحي إليّ

ربي ج ٣ ص ١٦٢

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا

لله مثنى وفرادى ثم تنفكروا

ما بصاحبكم من جنة ج ٢ ص

٢٠٥

قل إنما أمرت أن أعبد الله مخلصا

له الدين ج ٣ ص ٥

قل إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب

يوم عظيم ج ٣ ص ٥

قل الروح من أمر ربي ج ١ ص ١٢٣

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف

بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة

الآخرة ج ٢ ص ١٩٩

قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة

في القربى ج ٢ ص ٢٩٠

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم

والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا

برآء منكم وما تمبدون من دون

الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم

المدواة والبهضاء أبدا حتى تؤمنوا

بالله وحده ج ٣ ص ٣٤

قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله

بنيانهم من القواعد فخر عليهم

السقف من فوقهم وأتاهم العذاب

من حيث لا يشعرون ج ٢ ص

٣٦١

قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم

به وشهد شاهد من بني إسرائيل

على مثله ج ٢ ص ٣١٩

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها

الجاهلون ج ٢ ص ٢١٨

قل الله أعبد مخلصا له ديني ج ٣

ص ٥

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من

تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز

من تشاء وتذل من تشاء بيدك

الخير ج ٢ ص ١٩٥

كل حزب بما لديهم فرحون ج ١

ص ٣٩٤

كلا إذا بلغت التراقي ج ٢ ص ٢٩٦

كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون

عليهم ضدا ج ١ ص ٣٧٨

كلا لما يقض ما امره ج ٢ ص ٣٣٣

كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا

ولات حين مناص ج ٢ ص ٢٠١

كنتم خيرامة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر

وتؤمنون بالله ج ١ ص ٣١١

(ل)

لا أعبد ما تعبدون ج ٣ ص ٧

لا تبق ولا تذر ج ١ ص ٣٨٣

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

بعضكم بعضا ج ١ ص ٩٣

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا

ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

ج ٣ ص ١٦ ، ١٨

قل من يرزقكم من السموات

والأرض قل الله وإنا أو إياكم

لعلى هدى أو فى ضلال مبين

ج ٢ ص ٢٤٠

قل يا قوم أعمالوا على مكانتكم إني

عامل فسوف تعلمون ج ٢ ص

٢٨٣

قل يا أيها الكافرون ج ٣ ص ٧

قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ج ٢

ص ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١٩

قم فأنذر ج ١ ص ٣٣٦ ، ٤١٢

قيل أدخل الجنة قال يا ليت قومي

يعلمون ج ٢ ص ٢٨٢

قيل أدخلوا أبواب جهنم خالدين

فيها فبئس مثوى المتكبرين

ج ١ ص ٢٤١

(ك)

كأنهن بيض مكنون ج ٢ ص ١٣٠

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون

ذو الأواد ج ٣ ص ٩

لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن

قوم مسحورون ج ٢ ص ٣٢٤

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم ج ١ ص

٣٣٧

لقد جئتم شيئاً إداً ج ٢ ص ٣٣٤،

٤٨١

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا

عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

ج ٢ ص ٣٣٦

لكل أجل كتاب ج ١ ص ٢٠٧

لكم دينكم ولي دين ج ٣ ص ٧

لكيلا تأسوا على ما فاتكم

ولا تفرحوا بما آتاكم ج ٣ ص ١٤٤

لله الأمر من قبل ومن بعد ج ٢ ص

٣١١

لله ملك السموات والأرض يخلق

ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب

لمن يشاء الذكور ج ٢ ص ٢٣٣

لا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا

ج ١ ص ١٨٧

لأصحاب اليمين ج ٢ ص ٣٧

لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت

العليم الحكيم ج ١ ص ٣٢٤

لا فيها غول ولا هم عنها يزفون ج ٢

ص ٢٢٥

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه تنزيل من حكيم حميد ج ١

ص ٢٨٨ ، ٣٠٥

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم

الآخر أن يجاهدوا بأموالهم ،

وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين ج ٢

ص ٢٦٦

لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة

أصحاب الجنة هم الفائزون ج ٣

ص ١٦٨

لا يستوى منكم من أنفق من قبل

الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة

من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا

ج ٢ ص ٢٠٧

(م)

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
إله إذا لذهب كل إله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض ج ٢

ص ٣٢٠

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ج ٣

ص ٢٠٢، ٢٨

ما أغنى عنى ماليه ج ١ ص ٢١٦

ما إن مفآحه لتنوء بالعصبة ج ١ ص

١٨٩

ما أنتم عليه بفاتنين ج ٣ ص ٢٨

٢٠١

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ج ١

ص ٢٧٢

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه

ج ٢ ص ٣٦٠، ٣٦٤

ما ضل صاحبكم وما غوى ج ١ ص

٢٣٩، ٢٣٦

ما فرطنا في الكتاب من شيء

ج ٣ ص ١٧٨

ما كذب الفؤاد ما رأى ج ١ ص

٢١٢

له الحكم وإليه ترجعون ج ٢ ص

٢٢٥

له ما فى السموات وما فى الأرض
وما بينهما وما تحت الثرى ج ١ ص

٢٧٢

لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى

بما يخلق ما يشاء ج ٢ ص ٣٠٧

لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن

شديد ج ٢ ص ٣٢٣

لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون

ج ٢ ص ٢٤٤

لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكهنون

ج ٢ ص ٢٤٤

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون

عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم

ولا هم ينصرون ج ٢ ص ٣٢٢

ليبلوكم أيكم أحسن عملا ج ١ ص ٣٥٨

ليحقق الحق ويبطل الباطل ولو كره

المجرمون ج ٣ ص ٥

ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

ج ٣ ص ٦١

ليستخلفنهم فى الأرض ج ١ ص ٢٦٥

من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون

ج ٣ ص ١٢٩

من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها

ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى

وهو مؤمن فأولئك يدخلون

الجنة ج ٢ ص ٢٠٤

من كان يريد حرث الآخرة نزد له

في حرثه ومن كان يريد حرث

الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة

من نصيب ج ١ ص ٣٧٩

من كفر فمليه كفره ج ٢ ص ٣٣٥

ج ٣ ص ١٥٩

من نطفة خلقه فقدره ج ٢ ص ٢٣٦

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٣٣

من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

وارتقبوا إلى معكم رقيب ج ٢

ص ٢٨٢

من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه

عذاب مقيم ج ٢ ص ٢٨٣

(ن)

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم

تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون

أشد العذاب ج ١ ص ١٨٧

مالك يوم الدين ج ٢ ص ١٧٣ ،

٣١٩ ج ٣ ص ٧

ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة إلا أحصاها ج ٢ ص ٢١٣

ما ودعك ربك وما قلى ج ١ ص ٢٤٢

ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب

عتيد ج ٢ ص ٣٣٦

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا

وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت

ج ٣ ص ٢٠٧

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم

كرماد اشتدت به الريح في يوم

عاصف ج ٢ ص ١٤٩

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما

أضأت ماحوله ذهب الله بنورهم

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

ج ٢ ص ١٣٩ ، ٢١٠

من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة

وزرا ج ١ ص ٣٧٩

من أى شئ خلقه ج ٢ ص ٢٢٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٣

(و)

وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة ج ٢ ص

٣١٣

وآتيناهم الحكم صبيا ج ١ ص ١٨٠

وآتيناهما الكتاب المستبين ج ١ ص

٣٧٨

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا

م مظلومون ج ٢ ص ١٣٤

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا

لهم عزا ج ١ ص ٣٧٨

واتل عليهم نبأ إبراهيم ج ٣ ص ١٢٨

واجعل لى لسان صدق فى الآخرين

ج ٣ ص ١٢٩

واجعلنى من ورثة جنة النعيم ج ٣

ص ١٢٩

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا

فلما أخذتهم الرجفة قال رب

لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى

أنهلكذا بما فعل السفهاء منا ج ٣

ص ١٣١

نساؤكم حرث لكم ج ٢ ص ١٣٣

نسوا الله فنسيهم ج ٣ ص ١٥٩

(هـ)

هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين

من دونه ج ٢ ص ٣٧١

هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب

ج ٣ ص ١٢٩

هل فى ذلك قسم لذى حجر ج ٢

ص ٣١٩

هلك عنى سلطانيه ج ٢ ص ٢١٦

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ج ٢

ص ١٣٣

هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر

نورا ج ٢ ص ٢١٠

هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا

فيه والنهار مبصرا ج ٣ ص ١٧٤

هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى

إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم

ربيح طيبة وفرحوا بها جاءتها

ربيح عاصف ج ٢ ص ١٨١

وإذا بعدكم الله إحدى الطائفتين أنهما
لكم وتودون أن غير ذات الشوكة
تكون لكم ويريد الله أن يحقّ
الحق بكلماته ويقطع دابر

الكَافِرِينَ ج ٣ ص ٥

وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين

دعوا هنالك ثبورا ج ١ ص ٣٣٣

وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم

بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل

أكثرهم لا يعلمون ج ٣ ص ٤٢

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب

أجيب دعوة الداع إذا دعان ج ١

ص ٢٤٢

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء

ألا إنهم هم السفهاء ولكن

لا يعلمون ج ٣ ص ١٦٣

وإذا قيل لهم أتقوا ما بين أيديكم

وما خلفكم لعلكم ترحمون

ج ٢ ص ٣٢٦

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

قالوا إنما نحن مصلحون ج ٣

ص ١٦٣

واخفض لهما جناح الذل ج ٢ ص ٨٧

وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء

من غير سوء في تسع آيات إلى

فرعون وقومه إنهم كانوا قوما

فاسقين ج ٣ ص ١٨٧

وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنون

مقاعد للقتال ج ١ ص ٢٦٢

وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت

قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين

من دون الله قال سبحانك ما يكون

لي أن أقول ما ليس لي بحق إن

كنت قلته فقد علمته ج ٢ ص

١٩٦، ج ٣ ص ١٨٢

وإذا قتلتم نفسا فادّارأتم فيها والله

مخرج ما كنتم تكتمون ج ٣

ص ٣٣

وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت

واسماعيل ج ٢ ص ٢٠٥

وإذا يريكمهم إذ التفتيم في أعينكم

قليلًا ويقللكم في أعينهم ليقضى

الله أمرًا كان مفعولا وإلى الله

ترجع الأمور ج ١ ص ٣٣٧

ج ٢ ص ٨٢ ، ٩٥ ، ٣٠٦
واشتعل الرأس شيئا ج ٢ ص ١٣٤
وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع
الكتاب وحى بالنبیین والشهداء
ج ١ ص ٢٤٦
وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ج ١
ص ٣٣٥ ، ٣٧٧
وأضل فرعون قومه وما هدى ج ٢
ص ٣٤٨
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم ج ١ ص ٣١٨
واغفر لأبي إنه كان من الضالين
ج ٣ ص ١٢٩
واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة
أبصار الذين كفروا ج ٢ ص
٢٢٢
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال
عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي
وسعت كل شيء ج ٣ ص ١٣١

وإذا كالوم أو وزنوم يخسرون ج ١
ص ٣١٩
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا
خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم
ج ٢ ص ٢٤٢
وإذا مرضت فهو يشفين ج ٢ ص
٢٣٦ ، ج ٣ ص ١٢٨
واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل
وكل من الأختيار ج ٣ ص ١٣٩
واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق
ويعقوب أولى الأيدي والأبصار
ج ٣ ص ١٣٩
واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان
صديقا نبيا ج ٢ ص ٢٦٢
واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا
ج ١ ص ٢٨٥
والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي
وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج
ج ١ ص ٢٧٢
وأزلفت الجنة للمتقين ج ٣ ص ١٢٩
واسأل القرية ج ١ ص ٨٥ ، ١١٠ ،

عند ربهم ج ١ ص ٣٧٩
والذين يرمون أزواجهم ولم يكن
لهم شهاداء إلا أنفسمم فشهادة
أحدم أربع شهادات بالله إنه لمن
الصادقين ج ٢ ص ٣٢٤ ، ج ٣
ص ١٦٤
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
ج ٢ ص ٢٨٨
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما
أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يقفون ج ٢ ص ٢٨١
والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به
الأرض بعد موتها ج ٢ ص ١٨٥
والله خلق كل دابة من ماء فمنهم
من يمشى على بطنه ومنهم من
يمشى على رجلين ومنهم من
يمشى على أربع ج ٢ ص ٢٣٢
وأما الذين أبيضت وجوههم ففي
رحمة الله هم فيها خالدون ج ٢
ص ١٧٣
وأما الذين سمدوا في الجنة خالدون

والنفت الساق بالساق ج ١ ص ٣٥١ ،
ج ٢ ص ٢٢٥
والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين ج ٣ ص ١٢٨
والذي هو يطعمني ويسقين ج ٢ ص
٢٣٥ ، ج ٣ ص ١٢٨
والذي يمتني ثم يحيين ج ٢ ص ٢٣٦
ج ٣ ص ١٢٨
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما
ج ٣ ص ١٧٨
والذين تبوءوا الدار والإيمان من
قبلهم ج ٢ ص ١١٩
والذين سعوا في آياتنا معاجزين
أولئك لهم عذاب من رجز اليم
ج ٣ ص ١٥
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها ج ٣ ص ١٦٠
والذين كفروا أعمالهم كسراب
بقية ج ٢ ص ١٣٠
والذين يحاجون في الله من بعد
ما استجب له حجهم داخضة

من قبله لمبلسين ج ٣ ص ١١
وإن الفجار لفي جحيم ج ١ ص ٣٦١
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
ج ١ ص ٢٩٤، ٣١٥
وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر ج ١ ص ٣٣٦
وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة
فرح بها وإن تصبهم سيئة بما
قدمت أيديهم فإن الإنسان
كفور ج ٢ ص ٢٢٣
وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
فمن يستمع الآن يجد له شهابا
رصدا ج ١ ص ٢٦٣
وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
حرسا شديدا وشهبا ج ١ ص ٢٦٣
وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون
ج ٢ ص ٢٤٥
وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك
ج ٢ ص ٣١٤
وأزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي
به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا
أنعاما وأنا مبي كثير ج ٢ ص ٢٣٠
وإنه لقسو لو تعلمون عظيم ج ٣ ص ٤١

فيها مادامت السموات والأرض
إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
ج ٢ ص ٢١٢، ج ٣ ص ١٧٤
وأما السائل فلا تنهر ج ١ ص ٣٤٣،
ج ٢ ص ٢٢١
واسرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
إن أراد النبي أن يستنكحها
ج ٢ ص ٩٥
وأمرت لأن أكون أول المسلمين
ج ٣ ص ٥
وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر
وأخفى ج ١ ص ٢٧٢
وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا
ترابا أننا لفي خلق جديد أولئك
الذين كفروا بربهم وأولئك
الأغلال في أعناقهم وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون
ج ٣ ص ١١
وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم
نعم للمولى ونعم النصير ج ١
ص ٣٧٧
وأن سعيه سوف يرى ج ١ ص
٢٩٤، ٣١٥
وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإنم والمدوان ج ١ ص ٣١٤
وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا
راجعون ج ٢ ص ١٨٢
والتين والزيتون ج ١ ص ٩٥
ونمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة
أولئك الأحزاب ج ٣ ص ٩
وثيابك فطهر ج ١ ص ٣٣٦، ٤١٢،
ج ٣ ص ٥٣
وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد ج ١ ص ٣٣٦
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
ج ٢ ص ٣٣٦
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما
وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ج ٣ ص ١٨٧
وجزاء سيئة سيئة مثلها ج ٣ ص ١٥٩
وجزاء بما صبروا جنة وحريرا ج ٣
ص ٣٧
وجمل لكم من جلود الأنعام بيوتا
تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها

وإنه لكتاب عزيز ج ١ ص ٢٨٨،
وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا
يكونون عليه لبدا ج ٣ ص ١٩٤
وأنه هو أضحك وأبكى ج ٢ ص ٣٠٤
وأنه هو أمات وأحيا ج ٢ ص ٣٠٤
وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار
ج ٣ ص ١٣٩
وإنهم يقولون ما لا يفعلون ج ٢
ص ٩٧
وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا
لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا
بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر
المؤمنين ج ٢ ص ١٨١
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
وأرضاً لم تطئوها ج ٣ ص ٦٢
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً
ج ١ ص ٣١٧
وبرزت الجحيم للغاوين ج ٣ ص ١٢٩
والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
والذي خبث لا يخرج إلا نكدا
ج ١ ص ٣١٥

والخامسة أن غضب الله عليها إن
كان من الصادقين ج ٢ ص

٣٢٤، ج ٣ ص ١٦٤

والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان
من الكاذبين ج ٢ ص ٣٢٤،

ج ٣ ص ١٦٤

ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال
ما أظن أن تبديد هذه أبدا ج

٢ ص ٢٧١

وربك فكبر ج ١ ص ٣٣٦، ٤١٢

ورتل القرآن تزيلا ج ٢ ص ٢٥٦

والرجز فاهجر ج ١ ص ٣٣٦

والساحجات سبحا ج ٢ ص ٣٢٠

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

عرضها السموات والأرض ج ٢

ص ٢١١

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة

زمر ج ١ ص ٢٤١

وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا

ج ١ ص ٢٤١

وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

على الله : ج ١ ص ٣٠٨

وأشعارها أثنانا ومتاعا إلى حين

ج ١ ص ٢٨٧

وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم

له برازقين ج ١ ص ٥٠

وجعلنا الليل لباسا ج ٤ ص ١٢٣

وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا

آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة

ج ٣ ص ١٧٤

وجنود إبليس أجمعون ج ٢ ص ١١٩

وجوه يومئذ ناضرة ج ١ ص ٣٥٠،

ج ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥

وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت

هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه

لكم وهم له ناصحون : ج ٢

ص ٢٩٠

وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة

واحدة ج ٢ ص ٣٩٢

وحفانا من لدنا وزكاة وكان تقيا

ج ١ ص ١٨١

وحيل بينهم وبين ما يشتهون ج ١

ص ٩٤

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض

كما استخلف الذين من قبلهم

ج ٢ ص ٢٤٥، ٢٤٧

وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن

أكثر الناس لا يعلمون ج ٢

ص ٣٦٧

وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا

كما خلقناكم أول مرة ج ٢

ص ٣٠٠

وعندهم قاصرات الطرف عين ج ٢

ص ١٣٠

والفجر ج ٢ ص ٣١٩

وفعلت ففعلت التي فعلت ج ٢ ص ٢٠٥

وفي السماء رزقكم وما توعدون ج ١

ص ١٨١

وفيها ما تشبيهه الأنفس وتلذ الأعين

ج ١ ص ٩٤

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله ج ١ ص ٣٧٧

وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم

سبيل الرشاد ج ٢ ص ٢٠٤ ،

ج ٣ ص ٩

والشعراء يتبعهم الغاؤون ج ٢

ص ٩٧

والشفع والوتر ج ٢ ص ٣١٩

والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير

العزیز العليم ج ٢ ص ٢٢١

والشمس وضحاها ج ١ ص ٢٠٨

والضحى ج ١ ص ٢٤٢

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل

مكان ج ٢ ص ١١٤

وطلع منضود ج ١ ص ٣٣٥، ٢٧٧

والطور ج ١ ص ٢٧٦

وظل ممدود ج ١ ص ٣٣٥

وظنوا أنهم ما نعمهم حصونهم من

الله ج ٢ ص ٢٢١

والعاديات ضبجا ج ١ ص ٢٧٢ ،

٣٤٣

والعاقبة للتعوى ج ١ ص ١٨٨

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال

السكرافرون هذا ساحر كذاب

ج ٢ ص ٢٠١

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

وقال الذى نجا منهما وادّكر بعد أمة
أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ج ٢
ص ٣٠٣

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبئتم
فى كتاب الله إلى يوم البعث
فهذا يوم البعث ولاكننكم كنتم
لا تعلمون ج ٢ ص ٣١٨

وقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين
ج ١ ص ٨٠

وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول
ربى الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم ج ٢ ص ٢٦١

وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم
من إله غيرى فأوقد لى يا هامان
على الطين ج ١ ص ٢٥٩

وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا
لعلى أبلغ الأسباب ج ٢ ص ٢٠٥

وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول
قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال
النسوة اللاتى قطنن أيديهن

إن ربى بكيمدهن عليم ج ٢
ص ٣٠٣ ، ٢٨٩

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا : ج ٢
ص ٣٣٤ ، ١٧٤

وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة
حيث نشاء فنعم أجر العاملين :
ج ١ ص ٢٤١

وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم
الحساب ج ٢ ص ٢٩١

وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم
وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال
ج ٢ ص ٩٦

وقضية إله ذلك الأمر أن دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين ج ٢ ص ٢٠٢

والقمر إذا تلاها ج ١ ص ٢٠٨

والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم ج ١ ص ٢٢١ ،
ج ٢ ص ١٢٧

وقيل لهم أين ما كنتم تمبدون ج ٣
ص ١٢٩

نساءكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة
أشهر واللاتى لم يحضن وأولات
الأحمال أجلهن أن يضعن
حملهن ج ٢ ص ٣٢٦

واتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المفكر ج ٣ ص ٢٧ ، ٣٥ ،
١١٨

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه أخاه هارون وزيراً ج ٢
ص ٣٠٢

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث
فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً
ج ٢ ص ٢٠٨

ولقد أنذرهم بطشتنا فماروا بالنذر
ج ١ ص ٢١٩

ولقد أوحى إليك وإلى الذين من
قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
ج ٢ ص ٢١٨ ، ج ٣ ص ٤٨

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر
بعبادى فاضرب لهم طريقاً في

وقيل من راق ج ٢ ص ٢٩٦
وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء
أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر
ج ١ ص ٢١٤

وكتاب مسطور ج ١ ص ٣٧٦
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر
مستقر ج ١ ص ٣٣٦

وكل شيء عنده بمقدار ج ١ ص ١٨٢

وكل شيء فعلوه في الزبر ج ١ ص ٢٦٩

وكلم الله موسى تكليماً ج ٢ ص ٢٥٥

ولا أنا عابد ما عبدتم ج ٣ ص ٧

ولا أنتم عابدون ما أعبد ج ٣ ص ٧

ولا تحزنى يوم يبعثون ج ٣ ص ١٢٩

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا

واتبع هواه ج ٢ ص ٢٣٩

ولا تقتلوا أنفسكم ج ١ ص ٧٩

ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن

تمخرق الأرض وإن تبلغ الجبال

طولا : ج ٢ ص ٣٩٤

ولا صدق حميم ج ٣ ص ١٢١

واللاتى يئسن من المحيض من

دكر ج ٤ ص ١٩
ولسكم في القصاص حياة ج ٢
ص ٣٥٢ ، ٣٥٤
ولسكن البرمن اتقى ج ٢ ص ٣٠٩
ولسكنا أنشأنا قرونا فنتناول عليهم
العمر : ج ٢ ص ٢٨٣
ولله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سييلا : ج ١ ص ٢٩٣
ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من
الناس يسقون ج ٢ ص ٣٠٥
وله الجوار المنشآت في البحر
كالأعلام ج ٢ ص ١٢٩
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ج ٢
ص ٢٢٣
ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا
من مكان قريب : ج ٢ ص ٣٢٢
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ج ٢
ص ٣٠٦ ، ٣٠٨
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم
ج ٢ ص ٣٠٦

البحر يبسالا تخاف دركاولا تخشى
ج ٢ ص ٣٤٨
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول
مرة وتركتم ما خولفناكم وراء
ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم
ج ١ ص ٢٤٢
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من
طين : ج ٢ ص ٢٣٨
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد ج ٢ ص ٣٣٦
ولقد علموا لمن اشتراه ج ٣ ص ٤٨
ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم
إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن
فاتبعوني وأطيعوا أمري : ج ٢
ص ٢٩٣
ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا
لكم فيها ما عابش قليلا ما تشكرون
ج ١ ص ٥٠
ولقد مننا عليك مرة أخرى ج ٢
ص ٢٠٢
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من

نزعناها منه إنه ليثوس كفور

ج ١ ص ٣٣٧

ولئن أذقناه نعاء بعد ضراء مسته

ليقولن ذهب السيئات عني إنه

لفرح فخور ج ١ ص ٣٣٧

ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض

ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله

كنتم تستهزئون ج ٣ ص ١٦٠

وما أدراك ما سقر ج ١ ص ٣٨٣

وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى

إلا على رب العالمين ج ١ ص ٧

وما أضلنا إلا المجرمون ج ٣ ص ١٢٩

وما أهلكتنا من قرية إلا لها منذرون

ج ٢ ص ٣٣٠

وما أهلكتنا من قرية إلا ولها كتاب

معلوم ج ٢ ص ٣٣٠

وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم

إلا كانوا عنها معرضين ج ٢

ص ٣٢٦

وما تكون في شأن وما تتلو منه من

قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا

عليكم شهودا ج ٢ ص ٢٣٤

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا

فيه يمرجون ج ٢ ص ٣٢٤

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافا كثيرا : ج ٢ ص ٣٩٣

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن

الله تواب حكيم ج ٢ ص ٣٢٥ ،

ج ٣ ص ١٦٤

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن

الله رءوف رحيم ج ٢ ص ٣٢٥

ولو نشاء لأرينا لهم فلعرقتهم

بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول

والله يعلم أعمالكم : ج ٢ ص

٣٨٧

ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا

ما ترك على ظهرها من دابة :

ج ٢ ص ٣١١

وليال عشر ج ٢ ص ٣١٩

وليتذكر أولو الألباب ج ١ ص ٣٨٥

والليل إذا سجي ج ١ ص ٢٤٢

والليل إذا يصر ج ٢ ص ٣١٩

ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم

مرضاة الله وتثبيتنا من أنفسهم
كمثل جنة بربوة ج ٢ ص ٣٨
والمرسلات عرفا ج ١ ص ٣٣٦
ومكروا مكرا ومكرا مكرا ج ٣

ص ١٥٩

والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية ج ١ ص ١٨٦
ومن الأرض مثلهن ج ١ ص ٣٨٧
ومن تاب وعمل صالحا فإن يتوب إلى
الله متابا ج ٢ ص ٣١٤

ومن شر النفاثات في العقد ج ٢ ص ٤٢
ومن الناس من يشتري لهو الحديث

ج ٢ ص ٣٩٦

ومن يتعد حدود الله فأولئك هم
الظالمون ج ١ ص ٣١٠ ، ٢٩١
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ج ١ ص ٣٠٤
ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به
بريئا ج ١ ص ٩٥

ومناة الثالثة الأخرى ج ٢ ص ٣٦٢
والمؤتسكة أهوى ج ٢ ص ٢٠٦
ونادينا أن يا إبراهيم ج ٢ ص ٣٢٥

وما كان الناس إلا أمة واحدة
فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون
ج ٣ ص ٢٠٧

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا
واسكن رحمة من ربك لتنذر
قوما ما أتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يتذكرون ج ٢ ص ٢٨٤
وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا
إلى موسى الأمر وما كنت من
الشاهدين ج ٢ ص ٢٨٣

وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه يمينك إذ لا تارتاب
المبطلون ج ٢ ص ٣٢١

ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه
ترجعون ج ٢ ص ١٧٧ ، ٢٨٢
وما تؤخره إلا لأجل معدود ج ٢
ص ٢٢٢ ، ج ٣ ص ١٧٤

وما ينطق عن الهوى ج ١ ص ٣٣٦
وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة
مالها من فواق ج ٢ ص ٢٩١
ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء

لك به علم فلا تطعهما ج ٢

ص ٣٠١

ووصينا الإنسان بوالديه حماته أمه

وهنا على وهن وفصاله في عامين

أن اشكر لي ولوالديك ج ٣

ص ٤٣

ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم

بما يفعلون ج ١ ص ٢٤١ ج ٣

ص ١٦٠

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه

أواب ج ١ ص ١٧٦ .

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم

ما يشتهون ج ٣ ص ٤٢

ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع

شهادات بالله إنه لمن الكاذبين

ج ٢ ص ٣٤ ، ج ٣ ص ١٦٤

ويقولون خمسة سادسهم كلهم ج ٣

ص ١٨٣

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم

صادقين ج ٢ ، ٣٢٢

ويل للمطففين ج ١ ص ٣١٩

والنازعات غرقا ج ٢ ص ٣٢٠

والناشطات نشطا ج ٢ ص ٣٢٠

والنجم إذا هوى ج ١ ص ٢٢٩ ،

٣٣٦ ، ج ٢ ، ٣٦٣

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ج ٢

ص ٣٣٦

ونفخ في الصور فصعق من في السموات

ومن في الأرض إلا من شاء الله

ج ١ ص ٢٤١

وهديناهما الصراط المستقيم ج ١

ص ٣٧٨

وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا

الحراب ج ١ ص ١٨٨ ، ج ٣

ص ١٦٠

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ج ١

ص ٣٥١

وهم ينهون عنه ويتأون عنه ج ١

ص ٣٥٠

وهو الله في السموات وفي الأرض

ج ١ ص ٩٦

ووصينا الإنسان بوالديه حسنا، وإن

جاهدك لتشرك بي ما ليس

ج ١ ص ٣٧٧
يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان
ويا ج ٢ ص ٢٦٢
يا أبت إني قد جاءني من العلم
مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطا
سويا ج ٢ ص ٢٦٢
يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
كان للرحمن عصيا ج ٢ ص ٢٦٢
يا أيها الذين آمنوا ج ٢ ص ٣١٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقائه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
ج ١ ص ٣٠٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين ج ١ ص ٢٨٨
يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر
الله ذروا البيع ج ١ ص ٣٠٧
يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن
الله غفور رحيم ج ٣ ص ٢٩

ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
مالبثوا غير ساعة : ج ١ ص ٢٤٣ ،
ج ١ ، ص ٣١٨
ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت : ج ٢
ص ٢٠٠
ويوم نسّير الجبال وترى الأرض
بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم
أحدا ج ٢ ص ١٩٠
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم
يوزعون ج ١ ص ٨٧
ويوم يعرض الذين كفروا على النار
أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا ج ٢ ص ٣٠٠
ويوم ينفخ في الصور ففرع من
في السموات ومن في الأرض
ج ٢ ص ١٩٠
(٥)
يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان ولما

والأرض لا إله إلا هو يحيي

ويعت ٢ ص ١٨٢

ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض

فاحكم بين الناس بالحق ١

ص ٣١٣

يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي

لم نجعل له من قبل سميا ٢

ص ٢٩٢

يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي

واسعة فإياي فاعبدون ٢ ص

٣١٧

يا قوم اعلوا على مكاتكم إني عامل

سوف تعلمون ٢ ص ٢٨٢

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع

وإن الآخرة هي دار القرار ١

ص ٢٠٤ ٣ ص ٩

يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي

آلهتنا عن قولك وما نحن لك

بمؤمنين ٢ ص ١٨٣

يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ١

ص ٢٠٩

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة

من دونكم لا يألونكم خبالا

ودّوا ما عنتم ٢ ص ٣٢٩

يا أيها الساحر ٢ ص ٣١٤

يا أيها المدثر ١ ص ٣٢٦ ، ١

ص ٤١٢

يا أيها الملا إني أتيتك بكتاب كريم

١ ص ١٨٥

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم

من نفس واحدة ٣ ص ٩٨

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة

الساعة شيء عظيم ٣ ص ٩٨

يا أيها الناس إن كنتم في ريب من

البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم

من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة

٢ ص ٢٣٩

يا أيها الناس إني رسول الله إليكم

جميعا ، الذي له ملك السموات

يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لاشرقية ولاغربية ج ٢ ص ١٢٧
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما
الذين سودت وجوههم أكفرتهم
بعد إيمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ج ٣ ص ١٧٢
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود
لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ج ٣
ص ٢٠٥
يوم ترجف الراجفة ج ٢ ص ٣٢٠
يوم لا ينفع مال ولا بنون ج ٣ ص
١٢٩
يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه
فمنهم شقي وسعيد ج ٢ ص ٢٣٢،
ج ٣ ص ١٧٤
يوم يجمعكم ليوم الجمع ج ٢ ص ١٩١
يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
وقال صوابا ج ٣ ص ٢٠٥

الحكم صبيا ج ٢ ص ٢٩٣
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت
من الحى ج ١ ص ٣٥٧
يخوضوا ويلعبوا ج ١ ص ٣٨٢
يسبح لله ما فى السموات وما فى
الأرض له الملك وله الحمد ج ٢
ص ٢١٤
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
والذين آمنوا مشفقون منها
ويعلمون أنها الحق ج ١ ص ٣٧٩
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم
عن الآخرة هم غافلون ج ٢
ص ٣٦٧
يقول إنك لمن المصدقين ج ١ ص ٢٨،
ج ٣ ص ٢٠١
يكاد البرق يخطف أبصارهم ج ٣
ص ١٩٤ البقره
يوسف أيها الصديق أفتتنا فى سبع
بقرات سمان ج ٢ ص ٣٠٣

فهرس الأحاديث النبوية

- الآن حتى الوطيس ج ١ ص ٩٧ ،
١٠٩
- آية الكرسي سيدة آى القرآن ج ٢
ص ٢٦٨
- إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال
ج ١ ص ٨٩
- إذا أتاك أحد الخصمين ، وقد فقت
عينه ، فلا تحكم له ، فربما أتى
خصمه وقد فقت عيناه ج ١ ص ٢٠١
- إذا التقى المهاجران ، فأعرض هذا ،
فخيرها الذى يبدأ بالسلام ج ١ ص
٢٠٢
- إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا ج ٢
ص ١٨
- إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليتوضأ
ج ٢ ص ٢٨٦
- إذا لم تستح فأصنع ما شئت ج ٢ ص
٧٧
- إذا لم تستح فافعل ما شئت ج ٣
ص ٥١
- ارجمن مأزورات غير مأجورات
ج ١ ص ٢٧٤
- استحيوا من الله حق الحياء ج ١
ص ٢٧٢
- أسجعا كسجع السكمان ج ١ ص
٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
- اسق يازبير ، ثم احبس الماء حتى
يرجع إلى الجدر ج ٢ ص ٢٨٥
- « أسلم سالمها الله » ، « وغفار غفر
الله لها » ، « وعصية عصت الله »
ج ٣ ص ١٩٧
- أطع ولو عبدا حبشيا مجدعا ما أقام
عليك كتاب الله ج ٢ ص ٤٥
- أطولكن يدا أسرعكن لحوقا بي
ج ٢ ص ٨١
- أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى كان
كل نبي يبعث فى قومه ويبعث
إلى كل أحر وأسود وأحآت
لى الغنائم وجعلت لى الأرض

بارب العالمين ج ٢ ص ٢٣٦
اللهم اقطع أثره ج ١ ص ٨١
اللهم بارك لهم في محضها، ومخضها ومذقها
وقرقها، وابعث راعيها في الدثر
بيانع الثمر، وافجر له التمد ج ١
ص ٢٣٢
اللهم حببها إلينا كما حببت إلينا مكة
ج ١ ص ١٩٨
اللهم كما أحسنت خلقى حسن خلقى
ج ١ ص ٣٤٩
أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم
اللذات لشغلكم عما أرى ج ٢
ص ٩٨
أمسك عليك هذا ج ٢ ص ١٣٨
أمكم النخلة ج ٢ ص ٣٩
إن إبليس له عرش على البحر، فيبث
بنيه في آفاق الأرض فيأتى أحدهم،
فيقول: فعلت كذا، وفعلت
كذا. فيقول: ما فعلت شيئاً،
ويأتى أحدهم فيقول زيلت بينه
وبين أخيه، أو بينه وبين زوجته،
فيقول: نعم الولد أنت ج ٢ ص ٢٠٢

طيبة وطهوراً ونصرتُ بالرعب
بين يدي مسيرة شهر وأوتيت
جوامع السكلم ج ٤ ص ٤، ٥
الأعمال بالنيات والسكلم امرئ
ما نوى ج ٢ ص ١٨٤، ٣٤٠
أعيذه من الهامة والسامة، وكل عين
لامة ج ١ ص ٢٧٣
أقبل وأدبر واتق الدبر والحبيضة ج ٣
ص ١٣، ٦٥
اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل
في الدنيا فان منزلتك عند آخر
آية تقرؤها ج ٣ ص ١٢٠
اقرأوا القرآن بالحنون العرب وأصواتها،
وإياكم ولحنون أهل الفسق ولحنون
أهل السكتابين، وسيجيء بملدى
قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء
والنوح ج ٢ ص ٢٩٥
ألا يكفئك آية الصيف ج ٣ ص ٣٥٥
التمسوا الرزق في خبايا الأرض ج ١
ص ٨٩
اللهم ارفع درجته في المهتدين،
واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله

إن سورة الإخلاص تعدل ثلث

القرآن ج ٢ ص ٢٦٨

إن قريشا قد نهكتهم الحرب ، فإن

شاءوا ماددناهم مدة ، وبدعوا

يبنى وبين الناس ، فإن أظهر

عليهم وأحبوا أن يدخلوا فيما دخل

فيه الناس ج ٢ ص ٣٤٢

أنا ابن الذبيحين ج ١ ص ٨٠

أنا أفصح من نطق بالضاد ج ٤

ص ٥ ، ٤

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن

مات وترك مالا فلورثته ومن ترك

دينا أو كلاً أو ضياعاً فبلى

وعلى ج ٣ ص ١٢٠

انتقلنا عن الجهاد الأصغر إلى الجهاد

الأكبر ج ١ ص ٩٤

الأنصار كرشى وعيبي ١٩٤

إنكم تحشرون على أرض بيضاء

كقرصة النقي ج ٢ ص ١٩

إنكم ترون أهل الدرجات الملا

في الجنة كما ترون السكواكب في

أفق السماء ج ١ ص ٢٠٩

إن الأعمال تعرض على الله يوم الإثنين

ويوم الخميس ، فيغفر لسلك امرئ

لا يشرك بالله شيئاً إلا أمراً كانت

بينه وبين أخيه شجناً ج ١ ص

إن الله خلق آدم من قبضة قبضها

من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم

على قدر الأرض ، منهم الأحمر

والأبيض والأسود ، وبين ذلك ،

والحزن والسهل والخبيث والطيب

ج ١ ص ٢٠٦

إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من

جرّ ثوبه خيلاء ج ٢ ص ٢٩٤

« إن بنى هشام بن المغيرة استأذوني

أن ينكحوا ابنتهم علياً فلا آذن

ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن

أطلق عليّ ابنتي وينكح ابنتهم »

ج ٣ ص ١٠

إن جبريل عليه السلام عرض عليّ

صورتك في سرقة وقال هذه زوجتك

في الدنيا والآخرة ، فقلت : إن

يكن ذلك من عند الله يمضه ج ١

ص ٢٠٥

(ث)

تكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب
الناس على مناخرهم في نار جهنم
إلا حصائد ألسنتهم ج ٢ ص ١٣٨
ثلاثة لا ترد : الطيب ، والريحان ،
والدهن ج ٢ ص ٤٤

(ج)

جاءني جبريل عليه السلام ومعه
سرقه من حرير وفيها صورة
عائشة وقال : هذه زوجتك في
الدنيا والآخرة ج ٢ ص ٤٣
جار الدار أحق بدار الجار ج ١
ص ٣٥٧

(ح)

حاج آدم موسى ج ١ ص ١٩٦
حرمت على الصدقة وأحلت لي الهدية
ج ٢ ص ٤٣

الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
متشابهات ج ٢ ص ٣٤٠

(خ)

خذى فرصة من مسك فتطهرى بها
ج ٣ ص ٦٠
الخراج بالضمان ج ٢ ص ٣٥٠

إنما تنكح المرأة لأربع لحسبها ، أو
لدينها ، أو لماله ، أو لجمالها ج ١ ص ٢٠٥
إنه إذا كذب الكاذب تباعد الملك
عنه ميلا لنتن كذبه ج ١ ص ٢٠٤
إنه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا
وكان لها ابن عم يحبها فراودها
عن نفسها فامتنعت عليه حتى
إذا أصابتها شدة فجات إليه
تسأله فراودها فكنته من نفسها
فلما قدمها مقعد الرجل من المرأة
قالت له لا يحل لك أن تفض
الخاتم إلا بحقه ج ٣ ص ٦٤

إنه ليس منه وقد لعن الواصلة
والمستوصلة ، والواشمة
والمستوشمة ، والواشرة
والمستوشرة ج ٢ ص ٣٩٦
إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي ج ١ ص ١٩٥
أوتيت جوامع الكلم ج ١ ص ٩٦ ،
ج ٢ ص ٣٣٧

(ب)

بعثت أنا والساعة كهاتين ج ١ ص ٩٧
بعثت في نفس الساعة ج ١ ص ٩٧

المسجد الحرام ج ١ ص ٧٦
صومكم يوم تصومون ، وفطركم يوم
تفطرون ، وأضحاكم يوم تضحون

ج ١ ص ١١٧

(ض)

ضالة المؤمن حرق النار ج ١ ص ٣١٢
(ع)

عرضت على الجنة والنار في عرض
هذا الجدار ، فلم أر كاليوم في

الخير والشر ج ١ ص ٢٠٣

(غ)

غربوا الا تصنوا ج ١ ص ٢٠٠

(ف)

فحج آدم موسى ج ١ ص ١٩٦
فهلا جارية تلاعها وتلاعبك ج ٢

ص ٢٩٨

في سائمة الغنم زكاة ج ٢ ص ٩٨
(ق)

القدرية مجوس هذه الأمة ج ٢

ص ٣٨٨

قوم يخضبون بالسواد كخواصل الحمام،
لا يريحون رأثمة الجنة ج ٢ ص ٣٩٦

(ك)

كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفرقون

إلا عن ذواق ج ٢ ص ٢٧٨

خلوا بين جرير والجرير ج ١ ص ٣٤٣
خير المال عين ساهرة لعين قائمة ج ٣
ص ١٤٤

الخيل معقود بنواصبها الخير ج ١
(ذ)

ذاك من مدد السماء الثالثة ج ١
ص ١٩٦

ذوالوجهين لا يكون وجهها ج ٢ ص ٤٦
(ر)

رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب
لو أقسم على الله لأبره ج ١

ص ٢٠٤

رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم
على الله لأبره ج ١ ص ٢٠٩

رويدك سوقك بالقوارير ج ٣ ص ٦٤
(س)

سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر
ج ١ ص ٢٠١

سيروا بسير أضعفكم ج ٢ ص
٣٤١ ، ٣٤٠

(ش)

شاهت الوجوه ج ١ ص ١٩٥

(ص)

صلاة في مسجدى هذا خير من ألف
صلاة في غيره من المساجد إلا

لمن الله اليهود ، حرمت عليهم
الشحوم فجملوها، وباعوها وأكلوا
أثمها ج ٢ ص ٣٩١

لومدّ لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع
له المتعمقون تعمقهم ج ١ ص
٣٨٢

ليأتين على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل،
تفرق بنو إسرائيل على اثنتين
وسبعين ملة ، وستفرق أمّتي على
ثلاث وسبعين ملة ج ٢ ص ٣٨٧
ليهنك العلم أبا المنذر ج ٢ ص ٢٦٨
(م)

ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله
كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
ج ٢ ص ٣٤١

ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل
مثل أم القرآن ، وهي السبع
المثاني ج ١ ص ٢٣١
مادخت هذه دار قوم إلا ذلوا ج ٢
ص ٣٣

ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب
للب الحازم من إحداهن يا معشر
النساء ج ١ ص ٣٨٥

الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
ج ٣ ص ٢٢ : ٤

الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ج ١
ص ١٠٠

الكلمة جدري الأرض ج ٢ ص ١١٧
١٣٢

(ل)

لا تبيعوا القينات المنيات ، ولا
تشتروهن ، ولا تملوهن ، ولا
خير في تجارة فيهن ، وتمنهن حرام
ج ٢ ص ٣٩٦

لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة
ولا تمثال ج ١ ص ١٩٣

لا تستضيئوا بنار المشركين ج ٢
ص ٩٧

لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد
ج ٢ ص ٣١٧

لا مدّ ولا تجريد ج ١ ص ٢٠٧، ١٦٢
لا يتوسد القرآن ج ١ ص ٧٧

لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق
ثلاث ج ١ ص ٢٠٢

بغير سكين ج ١ ص ٩٣
من شاء يرقع في الرياض الأناثق
فعليه بآل حم ج ٢ ص ٣٥٠
من صبر على حرّة مكة ولأواء المدينة
ضمنت له على الله الجنة ج ١
ص ١٩٨
من غش أمي فليس مني ج ٢ ص ٣٩٦
من غشنا فليس منا ج ٢ ص ٢٩٦
منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
مال ج ١ ص ١٨٨
المؤمن لا يلسع من حجر مرتين ج ١
ص ٢٦٣

(٨)

هذا جبل يحبنا ونحبه ج ٢ ص ٨٢
هذا هو البلاغة ج ٢ ص ٣٤٩
هذه كانت تأتينا في زمن خديجة، وحسن
المهد من الإيمان ج ١ ص ١٩٩
هل يكب الناس على مناخرهم في نار
جهم إلا حصائد ألسنتهم ج ٢
ص ١٣٢
هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ج ٢
ص ٢٢٣
هو الواد الخفي ج ٢ ص ١٥١

ما فضلكم أبو بكر بصلاة وصيام ،
ولكن فضلكم بسر وقر في
صدره ج ١ ص ٢٠٩

مثل المجلس الصالح مثل حامل المسك
إما أن يخذيك وإما أن يتباع منه،
وإما أن تجد منه عرفا طيبا ومثل
جليس السوء مثل نافخ الكبر،
إما أن يحرق ثوبك وإما أن تجد
منه رائحة كريهة ج ٢ ص ٤٤
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل
الأترجة ، طعمها طيب وريحها
ظيب ج ٢ ص ١٤٠

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده
ج ١ ص ٣٥١
المضعف أمير الركب ج ٢ ص ٣٤٠
من أتى الجحفة فليفتسل ج ٣ ص ٧٣
من أحق الناس بصحابتي قال أمك
قال ثم من قال أمك قال ثم من
قال أمك قال ثم من قال أبوك
ج ٣ ص ٤٣ ، ١١
من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح

ج ٢ ص ١١٨

(ى)

يا أباذرّ ، إني أحب لك ما أحب
لنفسى ، لا تأسرن على أئمين ،
ولا تولين مال يتيم ج ١ ص ٣٢٥
يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق
ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ،
فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ
ج ١ ص ٣٦١

هو الوادة الصغرى ج ٢ ص ١٥١

(و)

والله إنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون
وانكم من ربحان الله ، وإن
آخر وطأة وطنها الله بوجّ ج ٣
ص ٧٤ ، ٤
الولد للفراش وللعاهر الحجر ج ١
وهل يكب الناس على مناخرهم فى
نار جهنم إلا حصاد ألسنتهم

« الفهارس العامة »
« للفلك الدائر على المثل السائر »

فهرس الأعلام^(١)

(١)

ابن أثير الجزيرة ج ٤ ص ٣٢
 ابن أثير الجزيرة = نصير الدين بن
 محمد الموصلي .
 ابن الأعرابي ج ٤ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ،
 ١٥٤
 ابن جنبل ج ٤ ص ٢٥٣
 ابن السكيت ج ٤ ص ١٥٠ ، ٢٣٣
 ابن سنان الخفاجي ج ٤ ص ١٧٢ ،
 ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨
 ابن سينا = أبو علي بن سينا .
 ابن الملقمي = مؤيد الدين محمود
 ابن الملقمي .
 ابن العميد = أبو الفضل محمد بن
 العميد .
 ابن قتيبة ج ٤ ص ١٢٢
 ابن السكابي ج ٤ ص ١٤٢
 ابن المقفع ج ٤ ص ٢٨ ، ٥١
 ابن المقفع = عبد الله بن المقفع .
 ابن المنصور ج ٤ ص ٣٠٨

آدم ج ٤ ص ٢٤١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤
 ابراهيم الخليل ج ٤ ص ٦٥ ، ٢٤٤
 ابراهيم بن سيار بن هاني البصري
 ج ٤ ص ٩٢ .
 ابراهيم بن عبد الله بن حسن ج ٤
 ص ١٤٢
 ابراهيم بن علي بن سلمة ج ٤ ص
 ١٧٠
 ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٤ ،
 ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٥٦ ،
 ٣٠٣ ، ٢١٩
 ابن أبي الحديد = عز الدين عبد الحميد
 ابن هبة الله بن محمد بن الحسين .
 ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٤ ،
 ٢٩ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
 ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٧٥ ،
 ٣٠٦ ، ٢١١ ، ٢٩٢

(١) هذه الفهارس خاصة بالفلك الدائري وحده وهو يبدأ من صفحة ١٣ من القسم الرابع فليلاحظ .

أبو شجاع عضد الدولة ج ٤ ص ٦٣
أبو عبد الله البصري ج ٤ ص ٢١١
أبو عبيدة ج ٤ ص ١٤٧ ، ٣٠٢
أبو علي ج ١ ص ١٥٤
أبو علي بن سيناج، ص ١٩١ ، ١٩٢
أبو علي الفارسي ج ٤ ص ٢١٩ ،
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
أبو عمرو = الحباب بن المنذر
الأنصاري
أبو عمرو الجاحظ ج ٤ ص ٦٤
أبو الفتح عثمان بن جني ج ٤ ص
٢٤ ، ٦٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٧٢ ،
٢٧٩
أبو الفضل محمد بن العميد ج ٤ ص
١٧١ ، ١٧٨
أبو كبير الهذلي ج ٤ ص ٧٠
أبو محمد بن الخشاب ج ٤ ص ٨٦
أبو مخلد ج ٤ ص ٦٤
أبو موسى الأشعري ج ٤ ص ١٨
أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن

زهرون الصابي ج ٤ ص ١٧٨ ،
١٨٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ،
٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣٠٩
أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن
عثمان ج ٤ ص ١٦٠
أبو بكر الصديق ج ٤ ص ١٤١ ، ٥٤ ،
١٧١
أبو جعفر بن حميد ج ٤ ص ٢٤١
أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن
الظاهر ج ٤ ص ٢١
أبو جباحب ج ٤ ص ٣٤
أبو الحسن الأخفش ج ٤ ص ٤٤
أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري
ج ٤ ص ١٨
أبو حنيفة ج ٤ ص ٢٩٢
أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي
ج ٤ ص ١٨٨
أبوزكريا ج ٤ ص ٤٥
أبو سعيد ج ٤ ص ١٥٢
أبو سعيد محمد بن يوسف ج ٤ ص ١٧٥
أبو سهل سعيد بن عبد الله الأنطاكي
ج ٤ ص ١٨٣

- أبو نصر محمد بن حميد الطائي ج ٤ ص ١٤٤
١٨٢ ص
أبو هلال المسكري ج ٤ ص ٨٦، ٨٧
أبو الهيجاء ج ٤ ص ٩٨
الأثرمان ج ٤ ص ٢٤٤
أحمد بن أبي دواد ج ٤ ص ١٨١
أحمد بن محمد بن أبي للمعالى القوطى
ج ٤ ص ١٥
أردشير بن بابك ج ٤ ص ١٤٧
أرسطاليس ج ٤ ص ١٧١
الأزهري ج ٤ ص ٢٧٧
إسحاق ج ٤ ص ٦٥، ٦٦، ٢٤٦
إسحاق بن إبراهيم بن كيفلغ ج ٤
ص ١٦٨
إسحاق بن أبي ربيعى ج ٤ ص ١٣٩
إسرافيل ج ٤ ص ٦٤
الإسكندر ج ٤ ص ٦٥، ١٧١،
١٧٢
إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق ج ٤
ص ٢١٧، ٢٧٧
الأشعري = أبو الحسن على بن
إسماعيل الأشعري .
- الأصمى ج ٤ ص ١٤٤
أفلاطون ج ٤ ص ٦٩
إقليدس ج ٤ ص ٣٠٥
الأمين ج ٤ ص ٤٦
الأنبارى ج ٤ ص ١٢٢
أنجشة ج ٤ ص ٢٩٤
أوس ج ٤ ص ٢٤٤
(ب)
بدر ج ٤ ص ٢٤٢
رزويه ج ٤ ص ١٢١
بطليموس ج ٤ ص ١٧١
بلقيس ج ٤ ص ٢٧٨
بهرام جور بن يزدجرد ج ٤ ص ١١٥
البيهقي ج ٤ ص ١٣٢
(ت)
تاج الدين على بن أنجب ج ٤ ص ١٦
توفلس القائد الرومى ج ٤ ص ٢٤٨
(ث)
ثعلب ج ٤ ص ١٢٢
(ج)
الجاحظ ج ٤ ص ٤١، ٩٢، ١٧٨

(خ)

خالد بن الوليد ج ٤ ص ٦٨٤ ، ٦٧

١٤١

خوات بن جبير الأنصاري ج ٤

ص ٥٣

خولة ج ٤ ص ١١٣ ، ١١٤

(د)

داود ج ٤ ص ٤٦ ، ٩٨

داود الظاهري الأصفهاني ج ٤ ص ٩٢

الدعجاء بنت المنقشر ج ٤ ص ١٥٧

(ذ)

ذات النجيين ج ٤ ص ٥٣

(ر)

رافع الطائي ج ٤ ص ١٤٦

رافع بن عميرة ج ٤ ص ٢٤٤

ركن الدولة الحسن بن بويه ج ٤

ص ١٧٨

ريا ج ٤ ص ٢١٨

(ز)

الزباء ج ٤ ص ١٣٨ ، ١٥٤ ، ٢١١

جالينوس ج ٤ ص ٦٩

جبريل ج ٤ ص ٦٤

جذيمة الأبرش ج ٤ ص ٢١١

(ح)

حاتم ج ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٧٩

الحارث بن سليمان الأسدي ج ٤

ص ١٣٨

الحارث بن كعب ج ٤ ص ١٢١

الحباب بن المنذر الأنصاري ج ٤

ص ٥٤ ، ٥٥

الحجاج ج ٤ ص ١٣٢ ، ١٥٨ ،

١٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

حذام ج ٤ ص ١٤٢

الحسن ج ٤ ص ١٠٣

الحسن بن محمد الصباح ج ٤ ص ٧٧

الحسين بن إسحاق التنوخي ج ٤

ص ٩٤

الحسين بن علي ج ٤ ص ٩٤

خنص بن عمر الأزدي ج ٤ ص ١٨٦

٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ،
١٥٣ ، ١٨١

(ش)

الشافعي ج ٤ ص ١٣٢ ، ٢٠٢ ، ٢٩٢
شق الكاهن ج ٤ ص ٢٦٨

(ص)

الصابي = أبو اسحاق إبراهيم بن هلال
ابن زهرون .
صلاح الدين الأيوبي ج ٤ ص ٢١٤

(ض)

ضبة بن أدّ بن طابحة بن الياس
ابن مضر ج ٤ ص ١٢١
ضياء الدين الخالدي المقدسي ج ٤
ص ٢٩١

(ط)

الطائع لله الخليفة العبّاسي ج ٤
ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

الزبير ج ٤ ص ٥١

زكريا ج ٤ ص ٢٥٨

الزخشرى ج ٤ ص ٢٢٤ ، ٢٢٧ ،
٢٢٨ ، ٢٤٧

زياد ج ٤ ص ٢٨ ، ٤١

زيد القنا ج ٤ ص ٢٤٤

زينب ج ٤ ص ٢٤١

(س)

سبكتكين الحاجب ج ٤ ص ٢٩٨ ،
٢٩٩

سحبان وائل ج ٤ ص ٢٨ ، ٤٠

سطيح ج ٤ ص ٢٦٨

سعد بن الضباب ج ٤ ص ٣٠٨

سقراط ج ٤ ص ٦٩

سليمان ج ٤ ص ٤٦ ، ٢٧٨

سليمان بن وهب ج ٤ ص ١٤٩

سيبويه ج ٤ ص ٤٤

السيد الحميري ج ٤ ص ٦٣

السيد المرتضى ج ٤ ص ١٥٧

سيف الدولة بن حمدان ج ٤ ص ٢٥ ،

٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٩٧ ،

عتيبة بن الحارث بن شهاب ج ٤

ص ١٩٠

عثمان ج ٤ ص ٦٦ ، ٦٧

عز الدولة أبي منصور ج ٤ ص ٢٩٨

عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة

ابن بويه ج ٤ ص ١٧٨

عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد

ابن الحسين بن أبي الحديد ج ٤

ص ١٥

العزير نزار بن معدّ ج ٤ ص ٢٩٩

عضد الدولة أبو شجاع ج ٤ ص ٦٢ ،

١٨٢ ، ١٧٨

عفراء ج ٤ ص ١٠٣

عاقمة بن خصفة الطائي ج ٤ ص ١٣٨

علي بن أبي طالب ج ٤ ص ١٦ ،

١٧ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ٢١٧ ، ٢٦٨

علي بن محمد بن سيار بن مكرم التيمي

ج ٤ ص ١٦٨

عمر بن الخطّاب ج ٤ ص ٥٤ ، ١٠٩ ، ١٥٤

عمران ج ٤ ص ٦٦

عمرو ج ٤ ص ١٠٩

طلحة ج ٤ ص ٥١

طه ج ٤ ص ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٥٨ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤

(ع)

عاصم بن الظرب العدواني ج ٤

ص ١٤٣ ، ١٤٤

عائشة ج ٤ ص ٥١ ، ١٤٧

عبد الله بن سلم السهمي ج ٤ ص ٧٠

عبد الله بن عباس ج ٤ ص ٤٠

عبد الله بن المقفع ج ٤ ص ٥١

عبد الحميد بن يحيى ج ٤ ص ٢٨ ،

٥١ ، ١٥٥

عبد الرحيم بن علي البيساني ج ٤

ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٢١٤

عبد المسيح بن ببيعة ج ٤ ص ٦٧ ،

٦٨ ، ٢٦٨

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

ج ٤ ص ١٦٧

عبد الملك بن مروان ج ٤ ص ٣٠٢

عميد الله بن سليمان بن وهب ج ٤

ص ٣٠٨

لقمان ج ٤ ص ٧٦

(م)

مالك بن طوق التغلبي ج ٤ ص ١٤١ ،

٣٠٧

المتوكل بن نهشل بن مسافع الليثي

ج ٤ ص ١٦٩

محمد صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ٣١ ، ٣٧ ، ٤٤ ،

٧٨ ، ١٤٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣١٠ ،

محمد بن الأمين ج ٤ ص ٤٥

محمد بن عبد الملك الزيات ج ٤ ص ٤٩

محمد بن عبيد الله العلوي ج ٤ ص ٢٧٣

محمد بن الهيثم بن شبانة ج ٤ ص ٩٥

محمد بن يوسف ج ٤ ص ١٢٨

مروان ج ٤ ص ٥١

مريم ج ٤ ص ١٦٦ ، ٢١٧

مساور بن محمد الرومي ج ٤ ص ١٨٥

المستمصم بالله ج ٤ ص ١٥

المستنصر ج ٤ ص ٢١

المسيح ج ٤ ص ٦٩

المطيع لله ج ٤ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

معاوية بن أبي سفيان ج ٤ ص ٢٨ ،

عيسى ج ٤ ص ١٤٣

(غ)

الغزالي ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

٢١٣

(ف)

الفتـكين ج ٤ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

نجر الدين (الامام) ج ٤ ص ١٧ ، ١٩ ،

الفضل بن الربيع ج ٤ ص ١٨٣

فنا خسرو ج ٤ ص ٦٣

(ق)

القاسم بن عبيد الله ج ٤ ص ٣٠٨

القاضي الفاضل = عبد الرحيم بن علي

قس بن ساعدة ج ٤ ص ٢٨ ، ٤٩

قطري بن الفجاءة ج ٤ ص ١٠٦

(ك)

كافور ج ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣

الكسائي ج ٤ ص ٤٤

كسرى ج ٤ ص ٥١

(ل)

لجيم بن صعب ج ٤ ص ١٤٢

النظام = إبراهيم بن سيار بن هاني*

البصري .

النعمان بن المنذر ج ٤ ص ١٦٠

نوار ج ٤ ص ٢٤١

نوح ج ٤ ص ٤٤ ، ٧٩ ، ١٧٢ ،

٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦

(هـ)

هارون ج ٤ ص ٤٦

هشام ج ٤ ص ٤٤

هشام بن الكلبي ج ٤ ص ١٤٤

هود ج ٤ ص ١٧٧ ، ٢٥٥

هولاكو ج ٤ ص ١٥

الهيثم بن الربيع ج ٤ ص ٦٤

(و)

وهشودان ج ٤ ص ٦٢

(ي)

يزيد بن معاوية ج ٤ ص ١٦٩

يس ج ٤ ص ٢٧٢

يعقوب ج ٤ ص ١٥٠ ، ٢٤٦

يوسف ج ٤ ص ٨٣ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ ،

٢٨١

٤٠ ، ٤١ ، ٥١

المعتصم ج ٤ ص ١٨٧ ، ٢٤٨

المتضد ج ٤ ص ٣٠٨

معز الدولة ج ٤ ص ٥٩ ، ٢٩٨

المفضل ج ٤ ص ١٤١

المكتفي ج ٤ ص ٣٠٨

المنصور ج ٤ ص ١٧٠

موسى ج ٤ ص ٦٦

موفق الدين أحمد بن أبي الحديد ج ٤

٢١ ، ١٥

مؤيد الدين أبي المعالي ج ٤ ص ١٦

مؤيد الدين محمود بن الملقم ج ٤

ص ١٦ ، ١٥

الميرزا محمد الشيرازي ج ٤ ص ٢٢

ميكال ج ٤ ص ٦٤

(ن)

نصير الدين الطوسي ج ٤ ص ١٦

نصير الدين بن محمد الموصلي ج ٤

ص ٣١

فهرس الشعراء

أبو ذؤابة الأسدي = ربيعة

ابن عبيد الله بن سعد بن جذيمة

أبو صخر الهذلي ج ٤ ص ٢٦ ، ٧٠

أبو الطيب المتنبى ج ٤ ص ٢٤ ، ٢٦ ،

٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٤ ،

٩٧ ، ١١٤ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٧٢ ، ٢٤٣ ، ٢٧٣ ، ٣٠٨

أبو عبادة = البحترى .

أبو العتاهية ج ٤ ص ٣٥

أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي

ج ٤ ص ٥٩

أبو كبير الهذلي ج ٤ ص ٧٠

أبو نواس ج ٤ ص ٤٣ ، ٤٥ ،

١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ،

٢٧٧

الأبيوردى ج ٤ ص ١٩١

الأخطل ج ٤ ص ١٦٩

الأخنس بن شهاب بن شريق القفلي

ج ٤ ص ١٢٢

(١)

ابن سنان الخفاجي ج ٤ ص ١٧٦

ابن هانيء ج ٤ ص ٥٩ ، ١٧١

ابن هانيء* = أبو القاسم محمد بن هانيء*

الأزدي .

ابن هرمة ج ٤ ص ١٧٠

ابن هند ج ٤ ص ١٠٧

أبو الأسود الدؤلي ج ٤ ص ١٦٩

أبو تمام ج ٤ ص ٢٧ ، ٤٥ ، ٤٩ ،

٩٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،

١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ،

١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٧٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ،

٣٠٨ ، ٣٠٧

أبو الحسن علي بن الحسن الباخري

ج ٤ ص ١٣٢

أبو حية النيزي ج ٤ ص ٦٤ ، ١١٧

ديك الجن = عبد السلام بن رغبان

(ر)

الراعى ج ٤ ص ٣٠٢

الراعى = عبيد بن حصين بن معاوية

ابن جندل .

ربيعة بن عبيد بن سعد ج ٤ ص ١٩٠

ربيعة بن مقروم ج ٤ ص ١٢٢

الرضى الموسوى ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠١

رؤبة ج ٤ ص ٢٧٧

(ز)

زهير بن أبي سلمى ج ٤ ص ٦١٤ ، ١٣١

زينب بنت الطائرية ج ٤ ص ٤٦

(س)

سحيم بن وثيل الرياحى ج ٤ ص ١٤٣

السموأل بن عاديا ج ٤ ص ١٢٢ ،

١٦٧

السيد الجيرى ج ٤ ص ٦٣ ، ٦٤

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٤ ص ١٥٠

الشرىف الرضى أبو الحسن محمد

ابن الحسين ج ٤ ص ٩٤ ، ١٧٨ .

الأعشى ج ٤ ص ٣٠١

أعشى باهلة ج ٤ ص ١٥٨

امرؤ القيس ج ٤ ص ٩٥ ، ٩٨ ،

٣٠٨ ، ١٨٣ ، ١٨١

(ب)

الباخرزى = أبو الحسن على بن

الحسن الباخرزى .

البحترى ج ٤ ص ١١٤ ، ١٢٨ ،

١٥١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٠٥ ،

٣٠٨ ، ٣٠٧

بشار بن برد ج ٤ ص ١٤١

بشامة بن جزء ج ٤ ص ٤٣

(ج)

جرير ج ٤ ص ٢٧١

(ح)

الحجاج الثقفى ج ٤ ص ١٨٢

حسان بن ثابت ج ٤ ص ١٦٩ ،

٢٥٣

الحيص بيص ج ٤ ص ٢١٨ ، ٢١٩

(د)

ديك الجن ج ٤ ص ١٥٦

علي بن جبلة ج ٤ ص ٣٠١
عمر بن أبي ربيعة ج ٤ ص ١١١
عمرو بن الإطناية ج ٤ ص ٥١ ،
١٦٨

(غ)

الغزى ج ٤ ص ١٦٠

(ق)

قطرى بن الفجاءة ج ٤ ص ١٠١ ،
١٦٨

قيس بن الخطيم ج ٤ ص ١٢٢

(ك)

كعب بن مالك الأنصاري ج ٤
ص ١٢٢

الكهيت ج ٤ ص ١٠٠

(ل)

ليبيد ج ٤ ص ٢٩١

(م)

المتلس ج ٤ ص ١٤٣

المتنبي ج ٤ ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٦١ ،

٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ،

(ص)

صلاح الدين الصفدى ج ٤ ص ١٩
الصمة القشيري ج ٤ ص ٢١٧ ، ٢١٩

(ض)

ضرار بن الخطاب الفهرى ج ٤ ص ١٢٢

(ط)

طرفة بن العبد ج ٤ ص ٢٠ ، ١١٤
الطرماح بن حكيم الطائى ج ٤
ص ١٠٠ ، ١٥٦ ، ١٦٩

(ع)

عاصم بن الحارث بن رباح ج ٤
ص ١٥٨

عبد السلام بن رغبان = ديك الجن

عميد بن الأبرص ج ٤ ص ١٨٢

عميد بن حصين بن معاوية بن جندل

ج ٣ ص ٣٠٢

عثمان بن محمد الكلبي الأشهبى ج ٤

ص ١٦٠

المجبر السلولى ج ٤ ص ٢٧٢

عزوة بن حزام ج ٤ ص ١٠٣

المنخل اليشكري ج ٤ ص ٢٩١

(ن)

النايفة ج ٤ ص ١٦٠ ، ٣٤

نهشل بن حرآى ج ٤ ص ١٤٩

(هـ)

المهيم بن الربيع ج ٤ ص ٦٤

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

١٨٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢ ،

المتوكل بن عبدالله اللبتي ج ٤ ص ١٦٩

محمد بن وهيب ج ٤ ص ١٨٩

المنقشر بن وهب الباهلي ج ٤

ص ١٥٧ ، ١٥٨



فهرس القوافى وأنصاف الأبيات

(أ)

ص	بجر	عجز	صدر
٢٠١	طويل	وماء	وما العيش
٢٩١	كامل	وورائه	إنى وإن كان
١١١	»	أحشائه	لا تمذل
١١١	»	بدمائه	إن القتميل
١٠٨	»	بسوائه	ما الخلل
١٠٧	»	وبمائه	القلب أعلم
١٠٧	»	أحشائه	لا تمذل
١٠٢	»	سودائه	عذل المواذل
٦٧٧	رجز	سماؤه	وبلد
١٥٦	رمل	شفاء	فإذا شوفى

(ب)

٥٨	طويل	يتقلبُ	وأظلم
٥٨	»	أعجب	أغالب فيك
٥٩	»	المذرب	تريد بك
١١٧	»	والغربا	فدينك
١١٨	»	حبًا	ولم تفترق
١٢٢	»	نضاربُ	وإن قصرت

ص	بجر	عجز	صدر
١٢٢	طويل	ففضارب	إذا قصرت
١٦٠	»	المهذبُ	ولست
١٨٨	»	الكتائف	أناس
١٨٨	»	السواكب	على مثلها
١٩٠	»	شهاب	إن يقتلوك
٤٣	بسيط	الذهب	كأن صفري
١٥٦	»	ينسكبُ	وأزرق
١٢٧	»	بالقرب	فلا تنلك
١٣٩	»	يَنسَكِبُ	وأزرق الفجر
١٨٦	»	كذب	كم أحرزت
١٨٧	»	واللاعب	السيف أصدق
٢٤٨	»	الخطاب	إن يعدُّ
٢٤٨	»	واللاعب	السيف أصدق
١٨٢	مخالج البسيط	فالدنوب	أقفر
١٨٢	»	لا يؤوب	وكل ذي
١٢٨	واقر	العقاب	يهز الجيش
١٢٨	»	النضراب	بغيرك
١٦٨	»	المشيبا	وشيوخ
١٦٨	»	حبيبا	ضروب الناس
١٤١	»	شعاب	فاضمم قواصمهم
٢٤	كامل	الحباحب	تقد السلوق

ص	بجر	عجز	صدر
١٤١	وافر	عقاب	ولو أن دهرا
٢٧٤	»	الأحقبُ	وثنية
١٢٦	منسرح	والفضبُ	أحسن
٣٠٥	»	خطبةُ	والشعر
٣٠٥	»	كذبه	كلضمونا
٢٤٩	خفيف	قضيبي	لا تذيبن
١٤٩	»	ماحوب	أى مرعى

(ت)

١١٧	طويل	حزنا	هنيئا
١٧٦	كامل	سويداواتها	إن الكرام

(ح)

١٨٥	»	الشيخُ	جللاً
-----	---	--------	-------

(د)

٢٠	طويل	عودى	ولولا ثلاث
٥٩	»	ورده	فإن نات
٥٩	»	جنده	أود
٩٧	»	وعيدا	هنيثا لك
١٠٠	»	اليدا	وما قتل
١٠٧، ١٠٠	»	في اليدا	لكل امرئ
١٠٧	»	الفا	سيوفك

صدر	عجز	بحر	صن
فلم يبيك	النواهد	طويل	١١١
عواذل	لما جد	»	١١١
تفكسهم	المكاييد	»	١١٣
نخوة أطلال	اليدي	»	١١٤
ووضع	الندي	»	١٤٠
ما ابيض	البيد	»	١٤٥
وقيدت نفسي	تقيدا	»	١٤٧
لكل امرى	في العدا	»	١٤٧
ووضع	الندي	»	١٥٢
إذا شد	مُعَمِّدا	»	١٥٣
لكل امرى	في العدا	»	١٥٣
ووضع الندي	الندي	»	١٦٩
من القوم	بالجمد	»	١٨٦
يهززن	تبريدا	بسيط	١٣٢
أقلنى	الجحود	وافر	١٨٣
لبست	بالصعيد	»	١٩٧
يمز على	القواد	كامل	٩٤
لله تيم	جلاد	»	٢٦٧
وهب الدهر	ففسد	رمل	٥٩
من رأى	الأسود	»	١٦٠
لولا ثلاث	العبد	سريع	٢٠

ص	بحر	عجز	صدر
٦٢	منسرح	ولا شاهد	وليت يوي
٦٢	»	عامد	إن كان
٢٧٣	»	مقصوده	لا ناقي
١٦٧	خفيف	غدا	حالك اليوم

(ر)

٧٠، ٢٦	طويل	الدهر	عجبت
٧٠	»	الأمر	أما والذي
١٤٦	»	البذر	إذا أنت
١٥١	»	أستثيرها	وإني أترك
١٨٩	»	واتر	قسمت
٢١٨	»	المنابر	إلام يراك
٢١٨	»	المفاخر	كتمت
٢١٨	»	خواطري	تطاول
٢٧٩	»	بها الصدر	أماوى
١٥٨	بسيط	ينتظر	لا يأمن
١٩٢	»	الزناير	تقول هذا
١٥٤	مخلع البسيط	مطير	أهدى
١٢٢	وافر	بحار	طوان قنا
١٤٦	»	انتصار	إذا ما أول
٤٦	كامل	أذفرا	وتسكربت
١٧١	»	مؤخرا	نسقوا

صدر	عجز	بحر	ص
باد هواك	أوجرى	كامل	١٧١
من مبلغ	والاسكندرا	»	١٧١
وقبر حرب	قبر	»	١٧٧
لا أنت	الأوطار	»	٢٢٨
الكاعب	وفي الحرير	»	٢٩١
المثل السائر	الدأرا	سريع	٢١
لازلت	فاخر	»	١٥٢
قل للأمير	ولاحاضر	»	١٥٢
كالقسي	الأوتار	خفيف	٢٤١
أبكاء	نوار	»	٢٤١
يتفرقن	الجارى	»	٢٤١
وعين لها	أخر	مقارب	٩٥
أحقا	المجالس	طويل	٢٥٣
فتى كان	مرتعا	»	١٨٢
أصم بك	باقما	»	١٨٢
حنفت	معا	»	٢١٨
وأذكر	تقطعا	»	٢١٨
نجوم	دوامع	»	٢٤٤
سيول	طوالع	»	٢٤٤
سمابى أوص	ورافع	»	٢٤٤
ظننم	واضمة	»	٢٥٣

ص	بجر	عجز	صدر
٢٩١	طويل	الأصابعُ	أليس ورأى
٢٩١	»	والمصانعُ	بلينا
٢٢٩	»	أعرفُ	في الناسُ
٦٣	كامل	أزما	نقد القضاء
١٧٥	»	ظريفا	ودماعة
٧٥	»	خفيفا	لك هضبة
١٧٦	»	ظريفا	وحلاوة
١٠٥	»	سُلافُ	أخلاقك

(ق)

٢٥	طويل	محنق	إذا سمعت
٦١	»	الموقف	وما ينصر
٦١	»	وما بقى	لعينيك
٦١	»	محنق	إذا سمعت
٩٨	»	فَيَلْتَقِ	نودعهم
٩٨	»	وما بقى	لعينيك
١٢٤	»	والخلاتقِ	وما الحسن
١٢٤	»	السوابق	تذكرت
٢٧١	»	صديقُ	جلون
٢٧١	»	صديق	دعون الهوى
٢٧١	»	علوق	وبت رأى
١٧	وافر	ربقى	أيارب العباد

صدر	عجز	بجر	ص
فصل السيوف	تلتحق	كامل	١٢٢
(ك)			
وأيا شئت	هلاكا	وافر	٦٢
فدى لك	فداكا	»	٦٣
إن كنت	الفلك	منسرج	٣٥
(ل)			
فقى	وأباجله	طويل	٤٦
ملأت	حابل	»	١٠٠
إذا هبت	العواذل	»	١٠٠
دروع لملك	ويُشاغل	»	١٠١
وقد سقت	المعاقلا	»	١١٤
إذا قصرت	فتطول	»	١١٢
إذا المرء	جميل	»	١٢٢
شريك المنايا	غول	»	١٢٤
ليالى	طويل	»	١٢٤
طلبتهم	قافلا	»	١٢٨
أرى بين	موائلا	»	١٢٨
تسيل على	تسيل	»	١٦٧
إذا المرء	جميل	»	١٦٧
كريم له	باسل	»	١٧٠

ص	بحر	عجز	صدر
١٨١	طويل	فأجلى	أفاطم مهلا
١٨١	»	فَحَوَمَل	قفانبك
١٨٣	»	بأمتل	ألا أيها
٢٧٤	»	شمر دل	ومرناة
٣٠٢	»	التهليلة	قوم
٣٠٩	»	فيسأله	وكان لم غيئا
٣٠١	»	مُنْصَل	قنى وقف
٤٥	بسيط	الطَّوْلُ	بالقائم
١٤٩	»	الرجل	قال الأقارب
١٧٤	مخلع البسيط	جدال	اختصم
١٨٥	»	جدال	اختصم
١١٨	وافر	النَّبَالِ	فما بقيا
٢٥	كامل	إقباله	لو لم تكن
٦١	»	إقباله	لو لم تكن
٣٠٢	»	رحيلا	ما بال
٣٠٢	»	فلولا	أخليفة
٣٠٢	»	التهليلة	قوى
٣٠٢	»	التهليلة	قوم على
١٥٤	رجز	الملال	ونثرة
١٥١	رمل	أبل	من لنا
١٥١	»	وصل	أصل النزر

صدر	عجز	بجر	ص
أقسم بالله	مستول	سريع	٦٤
نظمهم	نابِل	»	٩٩
يا دار	عاقِل	»	٩٩
يا بدر	يا رَجُلُ	منسرح	٢٤٢
واقدرمت	كُلًّا	خفيف	٢٥
إن يكن	الاجلا	»	٦١
واقدرمت	كُلًّا	»	٦١
والعيان	انتقالا	»	٩٩
كتب القتل	الذبول	»	١١١
فأتهم خوارق	والأبطالاً	»	١٢٩
هم يطلبون	يَقْبَلُ	متقارب	٢٥
هم يطلبون	يَقْبَلُ	»	٦١
أيقده	يشمل	»	٦٢
وملومة	مُخْمَلُ	»	١٠٦
أيقده	يشمل	»	١٠٦
أيقده	يَشْمَلُ	»	١١٥
فذى الدار	الحابل	»	١٢٧
إلام	للعاقِل	»	١٢٨

(م)

بناها فأعلى	متلاطم	طويل	٣٠
أذاق الفوانى	العَرَم	»	٩٤

صدر	عجز	بحر	ص
ملاى النوى	السقم	طويل	٩٤
تقبل أفواه	وبراجه	»	١٠١
وفاؤ كما	ساجه	»	١٠١
بناها فأعلى	متلاطم	»	١٠٣
على قدر	المكارم	»	١٠٣
أتوك يجرون	قوائم	»	١٠٦
وما ضرها	والتوائم	»	١٠٦
على قدز	المكارم	»	١٠٦
ديار لها	معمم	»	١١٤
أمن	فالتعلم	»	١١٤
أما إيه	الليازم-	»	١١٧
وتجهل	بالتكلم	»	١١٨
تبارى	وأذهم	»	١١٨
وأحسن	شائمة	»	١٢٠
وفاؤ كما	ساجه	»	١٢١
له عسكرا	جاجة	»	١٢٥
وفاؤ كما	ساجه	»	١٢٥
ولو غبت	ختام	»	١٣٢
ولا يجمل	للقوادم	»	١٤٢
لذى الحلم	ليعلما	»	١٤٣
له يوم	أنعم	»	١٧٠

صدر	عجز	بحر	ص
فأما الليالى	وتندم	طويل	١٧١
ألم يأن	ناظم	»	١٨٩
إذا كان	متيم	»	١٨٩
ألم يأن	ناظم	»	١٨٩
طلوع التنايا	يقدم	»	٢٧٢
عقبى اليمين	القسم	بسيط	٩٩
يا أعدل	والحكم	»	١٠٥
وفى أكتفهم	تضطرم	»	١٠٩
عقبى اليمين	القسم	»	١٠٩
هذا عتابك	كلم	»	١١٠
وأحر قلباه	سقم	»	١١٠
إن المعالى	بنضج دم	»	١٣٤
تنافس	بأعوام	»	١٧٠
واحر قلباه	سقم	»	١٠٥
إذا قالت	حذام	وافر	١٤٢
لهوى	أسلم	»	١٦٨
أظن	الرسوم	»	١٨٦
قبيل	الهمام	»	٢٢٨
ولم أر	مقام	»	٢٨٤
أعطيتنى دية	قديم	كامل	٩٥
أستى طلوعهم	ونعيم	»	٩٥

ص	بمجر	عجز	صدر
١٠٧	كامل	الدَّمُ	لا يسلم
١٠٧	»	أنى أسلمُ	لهوى النفوس
١٣٩	»	لنَّامِهِ	هذا الهلال
١٣٩	»	زمامِهِ	لولا
١٦٨	»	الدَّمُ	لا يسلم
١٦٩	»	عظيم	لاتنه
١٦٩	»	وخصوم	حسدوا
١٦٩	»	قديم	للغانيات
٢٧٥	»	آثامُ	يتجنب
١١٤	مقارب	حُلمُ	وأرضك
٣٠١	»	تلتطم	وما مزبد

(ن)

٢٤	طويل	سنان	فمالك
٤٦	»	جونُ	لمن طلل
٤٦	»	خدَّين	ولى عهد
٦٠	»	سِنان	فمالك
١٠٣	»	شفيانى	ضمت
٢٨٠	»	وعاجنُ	فأصبحت
٢٧٧	مديد	فاستكن	سنة
٤٣	بسيط	فادعينا	وإن دعوت
٤٣	»	سقيننا	إنا نحيوك

ص	بحر	عجز	صدر
١١١	»	عربانا	ليس الشفيح
١٨٣	»	أحزانا	قد علم
١٤٣	وافر	تعرفوني	أنا ابن جلا
١٨٢	»	الزمان	مفاني
٢٥٦	»	المدان	فلو أنى
٤٥	كامل	الميمون	يا خير
١١٠	»	الجمعان	إن السيوف
١٣٣، ١١٠	»	الثاني	الرأى قبل
١٨٢	خفيف	المكان	من شروط

(٨)

٢٧٣	منسرح	خردها	أهلا
٢٧٣	»	أجهدها	لا ناقي

(٩)

٢٩٢	طويل	وراثيا	أترجو
١٠	خفيف	حَيِّ	ما مقامى



أنصاف الأبيات

صدر	عجز	بحر	ص
منازل	ربوعها	طويل	٤٩
متى أنت	ذاهل	»	٤٩، ٣٧
تطل الطلول	موقف	»	٤٩
فتعركم	بثقالها	»	١٣١
بيح	صفارها	»	١٥٠
سرى	المتخابل	»	١٧٠
ألا أيها	انجل	»	١٨٤
ققا نيك	ومنزله	»	١٨٤
وإن كنت	فأجلى	»	١٨٥
أمن	ومصيف	»	١٨٨
ولو سكتوا	الحقائب	»	٢٩٤
ولا رهل	وبآدله	»	٤٦
ألم تر	المبكر	»	٣٠٧
إن لم تكن	نصال	كامل	٢٩٤
عند الصباح	الشري	»	١٤١
أنا	شعري	رجز	٢٢٩
حسم	الأعادى	خفيف	٣٠٧

فهرس الآيات

إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم

ص ٢٥٧

إن رحمة الله قريب من المحسنين

ص ٢٧١

إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

كان عنه مستولا ص ٧٦

إن كنتم في ريب من البعث فإننا

خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم

من علقه ، ثم من مضغة ص ٢٦٥

إن لك ألا تجوع فيها ص ٢٥٨

إنك أنت علام الغيوب ص ٢٢٩

إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ص ٢٨٨

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

وإذا كانوا معه على أمر جامع

لم يذهبوا حتى يستأذنه ص ٧٩

إنما يخشى الله من عباده العلماء ص ٤٢

إنه مصيبها ما أصابهم ص ٢٥٥

إنها ترى بشرر كاقصر ص ١٠٩

إنهم كانوا لا يرجون حسابا ص ١٨٠

(١)

أتأمرون الناس بالبر وتنسون

أنفسكم ص ١٦٧

إذ نفشت فيه غم القوم ص ٢٥٨

إذا السماء انشقت ص ٢٥٦

أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم

ص ٢٥٣

أعوذ برب الناس، ملك الناس إليه

الناس ص ١٧٩

أفى الله شك ص ٢٥٢

افتلوا المشركين ص ٢٠٦

الله نزل أحسن الحديث ص ٥٠

ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى

صبرا ص ٢٣٠

إما أن تلقى وإما أن تكون نحن

الملقين ص ٢٢٩

إن الله مع الذين اتقوا ص ١٦٢

إن الله يفر الذنوب جميعا ص ٤٤

كانوا يعملون ص ٧٣
حتى توارت بالحجاب ص ٢٧٩ ،
٢٨١

حتى عاد كالمرجون القديم ص
٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٢

الحمد لله رب العالمين ص ٢٢٨
ذلك الكتاب لا ريب فيه ص ٢٥٩
ذهب الله بنورهم ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

رب هب لي من الصالحين ص ٦٦
سنفرغ لسكهم أيها الثقلان ص ١٩٦
شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
ص ٧٣

صراطك المستقيم ص ١٦٧
عاليهم ثياب سندس ص ٢٥٧
فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة
ص ٢٦٣

فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا
ص ٢٥٣

فاكبه ونخل ورمان ص ٧٤
فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك
ظهير ص ٧٥

إني أراي أعصر خرا ص ١٩٩
أهدك صراطا سويا ١٦٦
أولامستم النساء ص ٢٩٢

أو لم يروا إلى الطير فوقهم ص ٢٣٢
أو لم يروا إلى ما خلق الله ص ٢٣٢
إياك نعبد ص ٢٢٨

إياك نعبد وإياك نستعين ص ٢٤٧
بسلام منا وبركات عليك وعلى أم
ممن معك وأم سمتهم ثم يسمهم

منا عذاب اليم ص ١٧٧
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
ص ٢٤٦

تلك عشرة كاملة ص ٢٨٧
ثم أنشأناه خلقا آخر ص ٢٦٤ ،
٢٦٦

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجننهم ص ٢٨١
ثم الجحيم صلوه ص ٢٤٨

ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ص ٢٦٤
ثم خلقنا النطفة علقة ص ٢٦٤
ثم يرم به بريثا ص ٢١٣

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجنودهم بما

فكسونا العظام لحما ص ٢٦٤
فكفارته إطعام عشرة مساكين
من أوسط ما تطعمون أهليكم
أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة
ص ٢٩٠
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
واتبع هواه فتردى ص ٢٦٤
فلما بلغ منه السمي قال يا بني إني أرى
في المنام أني أذبحك ص ٦٥
فلما ذهبوا به وأجمعوا ص ٢٣٤
فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة ص ٧٩
فشله كمثل الكلب إن تحمل عليه
يملث ص ٢١٦
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم ص ٢٠٦
فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا
ففي النار ص ٣٠١
في جيدها جبل من مسد ص ٢٤٩
فيها من برد ص ٤٤

فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها
الحاض ص ٢٦٤
فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ص
٢٧٧ ، ٢٧١
فأوائك لهم جزاء الضعف ص ٢٥٢
فبأي آلاء ربكما تكذبان ص ٢٢٦
فبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين
ص ٦٥
فبشرناه بغلام حلیم ص ٦٥ ، ٦٦
فبما رحمة من الله لنت لهم ص ٢١٠
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين ص ١٣٤
فجملته فانتبذت به مكانا قصيا
ص ٢١٣
فخلقنا الملقمة مضفة ص ٢٦٤ ، ٢٦٥
فخلقنا المضفة عظاما ص ٢٦٤ ، ٢٦٥
فسيكفيكمهم الله ص ١٧٧
فشرد بهم من خلفهم ص ١٦٦
فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة
إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة
ص ٢٨٥

لا فيها غول ص ٢٥٩ ، ٢٦١
لا لغوفها ص ٢٦١
لا يجزئهم الفزع الأكبر وتلقاهم
الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون ص ٥٢
اتركبن طبقا عن طبق ص ٣٠٠
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ص ٢٣٣
لنخرج به حبا ونباتا ص ١٧٩
ليس كئله شيء ص ٢١١
ليستخلفنهم في الأرض ص ١٧٧
ما كان لنبي أن يكون له أسرى
حتى يشخن في الأرض ص ١٦٧
ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها ص ٢٣٨
ما وعدنا الله ورسوله ص ٢٨٠
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
إلا استمعوه وهم يلعبون ص ٢٣٢
مثل نوره كشكاة فيها مصباح
ص ٢١٥ ، ٢١٦
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ،
فلما أضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم ص ٢٣١

قال الذي عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ص ٢٧٨
قال نكروا لها عرشها ص ٢٧٨
قل كل يعمل على شاكلته ص ٣١
كأنتي نقضت غزلها من بعد قوة
أنكاثا ص ١٤٠
كزرع أخرج شطأه ص ٢١٥
كلأ إذا بلغت التراقي ص ٢٧٩
كلما فضجت جلودم بدلانم جلودا
غيرها ص ٧٤
لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يآلونكم خبالا وودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من أفواههم
ص ٢٧٨
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا ص ٧٨
لا تخف إنك أنت الأعلى ص ٢٢٨
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ص ١٦٦
لا تقفروا على الله كذبا فيسحقكم
بمذاب ص ٢٦٣

والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

ص ٢٧٥

وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم

على سواء إن الله لا يحب الخائنين

ص ١٣٤

وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي

ص ٢١٢

وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله

غفور رحيم ص ٢٨٨

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

ص ٢٩٤

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم

مما في بطونه من بين فرث ودم

لينا خالصا سائفا للشاربين ص ١٣٦

وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به

أزواجا من نبات شتى ص ٢٦٤

وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم ص ٧٩

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن

ربه، والذي خبث لا يخرج إلا

نكدًا ص ١٢٦

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

ص ٢٣٥

مثنى وثلاث ورباع ص ٢٩٠

مع الذين اتقوا ص ١٦٦

من ورائه جهنم ص ٢٩١

هذا بلاغ للناس ص ٨٧

هذا يومكم الذي كنتم توعدون

ص ٥١

هل من خالق غير الله يرزقكم

ص ٤٤

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر

نورا ص ٢٣١

وآتوا حقه يوم حصاده ص ١٣٧

واخفض لهما جناح الذل ص ١٩٧ ،

ص ٢١٢

وأدخلناه في رحمتنا ص ١٩٣ ، ١٩٥

وإذ واعدنا موسى ص ٢٨٠

واسأل القرية ص ٨٣ ، ٨٤

واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون

ص ٢٢٨

واقعدوا لهم كل مرصد ص ١٦٧

والذين اهتموا زادهم هدى ص ١٤٠

والذين هم لفروجهم حافظون ص ٧٦

ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

ص ١٦١

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها

من بعد قوة أنكاثا ص ١٣٧

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به

أزواجهم ص ١٦٦

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به

أزواجهم زهرة الحياة الدنيا

انفتحهم فيه ورزق ربك خير وأبقى

ص ١٦٣

ولدان مخلدون ص ٢٥٧

ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك

الذين أشركت ليجبطن عملك

وانتكونن من الخاسرين ص ٣٤٧

ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى

ص ٣٦٤

ولما سكنت عن موسى الغضب ص ١٩٧

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

من حولك ص ١٦٦

وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

ص ١٦٦

وجزاء سيئة سيئة مثلها ص ٢٠٦

وجعلنا آية النهار مبصرة ص ٣٠٠

وجعلنا في الأرض رواسي ص ٢٥٧

وجنات ألقافا ص ١٧٩

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله

ص ٢٥١

والعاقبة للمتقين ص ١٦٦

وعرضوا على ربك صفا، لقد جئتمونا

كما خلقناكم ص ٢٨٣

وفوق كل ذي علم عليم ص ١٦٧

وقال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال

مبين ص ٢٣٦

وقد منا إلى ما عملوا من عمل جعلناه

هباء منثورا ص ١٩٧

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

ويحفظن فروجهن ص ٧٦

وقودها الناس والحجارة ص ١٠٩

وقولوا للناس حسنا ص ١٦٦

وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة

غصبا ص ٢٩١

وكذبوا بآياتنا كذابا ص ١٨٠

وكننا لحكمهم شاهدين ص ٢٥٨

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
ص ٢٨٣

يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان
كما أخرج أبوكم من الجنة ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما
ص ١٣٣

ياخذون عرض هذا الأدنى ص ١٦٦
يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم
ص ٧٩

ينفازعون فيها كأسا لا لغو فيها
ولا تأثيم ص ٢٦٠
يخرج من بطونها شراب مختلف
ألوانه ص ٢٥٤

يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين ليحق الحق
ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
ص ٢٨٤

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
ص ١٣٣
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيمانهم
ص ١٢٥

وما ربك بظلام للعبيد ص ٢٦٧
ومن عنده علم الكتاب ص ٢٥٢
ومن يشاق الله ص ٢٣٢
ومن يشاق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ص ٢٣٢

وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا ص ٢٣٣
ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ،
وإن جاهداك ص ٢٨٣

ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا
الكتاب لا يفاد رصيفة ولا كبيرة
إلا أحصاها ص ٢٣٩

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا
ونوحا هدينا من قبل ص ٢٤٦
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان
صدق عليا ص ٢١٧

ويعلم ما في الأرحام ص ٧٦
ويغفر لكم من ذنوبكم ص ٤٤
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة ص ٥١
ويوم يعرض الذين كفروا على النار

فهرس الأحاديث النبوية

إلا المسجد الحرام ص ٥٦
ليس الصيد لمن أثاره ، بل لمن حصله
ص ١٤٥
من جعل نفسه قاضيا للمسلمين فقد ذبح
بغير سكين ص ٧٦
هو الطهور ماؤه الحل ميتته ص ٢٥٤
وإنكم لتقدمون على ما قدمتم ص ١٤٩

أعيذكما من عين العائن ونفس
النافس ص ١٠٣
اللهم اشد وطأتك على مضر ص ١٧١
رفقا بالقواوير ص ٢٩٤
صلاة في مسجدي هذا خير من ألف
صلاة في غيره من المساجد



فهرس الأمثال

لو ذات سوار لطمقتى ص ٣٥٦

ملككت فأسجج ص ١٤٧

من أشبه أباه فما ظلم ص ١٥٠

هما رضيعا لبان ص ١٥٠

هما شريكا عفان ص ١٥٠

الأعمال بخواتيمها ص ١٤٥

أول الفيث ظل ص ١٣٦

سيق السيف العذل ص ١٢١

عسى الفوير أبوسا ص ١٥٤

عند جهينة الخبر اليقين ص ١٤٤

مراجع التحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أخبار أبي تمام . الصولى . تحقيق الأستاذة خليل عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندى . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ - ١٩٣٧
- ٣ - الأغاني . الأصفهاني . طبعة الساسى وطبعة دار الكتب .
- ٤ - الأصمعيات . تحقيق الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- ٥ - الأملى . القالى . طبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ .
- ٦ - أمالى الشريف المرتضى . مطبعة السعادة ١٣١٥ هـ .
- ٧ - البداية والنهاية . ابن كثير . مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ - ١٩٣٢
- ٨ - البيان والتبيين . الجاحظ . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .
- ٩ - تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي . مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ - ١٩٣١
- ١٠ - تاريخ الرسل والملوك . الطبرى . للطبعة الحسينية بالقاهرة .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن . ابن قتبية . تحقيق الأستاذ سيد أحمد صقر .
- ١٢ - الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والنثور . ابن الأنير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . مطبعة الجمع العلمى العراقى .
- ١٣ - جواهر الألفاظ . قدامة بن جعفر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣٢
- ١٤ - خزانة الأدب . البغدادي . تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد .

- ١٥ — الخصائص . ابن جنى . مطبعة الهلال بمصر ١٣٣١ ١٩١٣
- ١٦ — دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . مطبعة المنار بمصر ١٢٣٣ هـ .
- ١٧ — ديوان ابن الرومي : (١) شرح الشيخ محمد شريف سليم . مطبعة الهلال ١٣٣٥ - ١٩٠٧
- (٢) طبعة الأستاذ كامل كيلاني والشيخ عبد الرحمن خليفة .
- ١٨ — ديوان ابن نباتة : نشر الأستاذ محمد القلقيلي .
- ١٩ — ديوان أبي تمام . (١) بشرح الخطيب التبريزي تحقيق الدكتور محمد عبده عزام مطبعة دار المعارف .
- (٢) طبعة صبيح .
- (٣) طبعة محمد جمال .
- ٢٠ — ديوان أبي نواس . (١) تحقيق الأستاذ أحمد الغزالي مطبعة مصر ١٩٥٣
- (٢) طبعة المطبعة العمومية بالقاهرة ١٨٩٨
- ٢١ — ديوان الأخطل . تحقيق الأب أنطون صالحاني .
- ٢٢ — ديوان الأعشى الكبير . تحقيق محمد حسين . النموذجية بالقاهرة ١٩٥٠
- ٢٣ — ديوان امرئ القيس . تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف .
- ٢٤ — ديوان أمية بن أبي الصلت . المطبعة الوطنية ببيروت .
- ٢٥ — ديوان البحترى . مطبعة هندية بمصر ١٣٢٩ - ١٩١١
- ٢٦ — ديوان جرير . نشر الأستاذ عبد الله الصاوي . مطبعة الصاوي بمصر .
- ٢٧ — ديوان جميل . تحقيق الأستاذ بطرس البستاني . مكتبة صادر ببيروت .
- ٢٨ — ديوان حسان بن ثابت . تحقيق الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٧ - ١٩٢٩

- ٢٩ — ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني . تحقيق الأستاذ نعمان طه .
- ٣٠ — ديوان الحماسة لأبي تمام : شرح المرزوقى . تحقيق الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م
- ٣١ — ديوان ذى الرمة . المكتبة الأهلية ١٩٣٤
- ٣٢ — ديوان سقط الزند . بشرح التنوير . مطبعة مصطفى محمد .
- ٣٣ — ديوان الشريف الرضى (١) المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٠٩ هـ (٢) مطبعة الحلبي بمصر .
- ٣٤ — ديوان الصولى
- ٣٥ — ديوان العباس بن الأحنف . طبعة الجوانب ١٢٩٧ هـ .
- ٣٦ — ديوان عمر بن أبي ربيعة . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر .
- ٣٧ — ديوان عنقرة بن شداد . تحقيق الأستاذين عبد المنعم شلبي وإبراهيم الإيبارى .
- ٣٨ — ديوان الفرزدق . نشره الأستاذ عبد الله الصاوى . مطبعة الصاوى بمصر .
- ٣٩ — ديوان القاضى الأرجانى . طبعة بيروت .
- ٤٠ — ديوان كثير عزة . طبعة الجزائر .
- ٤١ — ديوان المتنبي . بشرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى . الطبعة الثانية .
- ٤٢ — ديوان مسلم بن الوليد . تحقيق الدكتور سامى الدهان . دار المعارف بمصر .
- ٤٣ — ديوان المعانى . أبو هلال العسكري ، القاهرة حسام الدين القدسى ، ١٣٥٢ هـ .
- ٤٤ — ديوان مهيار الديلمى . دار الكتب بمصر ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م

- ٤٥ — ديوان النابغة الذبياني (١) طبعة مصر ١٩٠٠ (٢) ضمن مجموعة دواوين
طبعة المطبعة الأهلية ببيروت .
- ٤٦ — رسائل ابن الأثير . تحقيق الأستاذ أنيس المقدسي بيروت ١٩٥٩
- ٤٧ — زهر الآداب للحصري . تحقيق الأستاذ علي البجاوي . مطبعة الحلبي
١٩٣٧٢ — ١٩٥٣ م
- ٤٨ — سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . تحقيق الأستاذ علي فوده . المطبعة
الرحمانية ١٣٥٠ — ١٩٣٢
- ٤٩ — سيرة ابن هشام . تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإيباري
وعبد الحفيظ شابي .
- ٥٠ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي . القدس ١٣٥٠
- ٥١ — الشعر والشعراء . ابن قتيبة (١) تحقيق الأستاذ أحمد شاكر . مطبعة
الخليبي ١٣٧٠ هـ
(٢) طبعة الحلوجي ١٣٣٢ هـ
- ٥٢ — صبح الأعشى . القلقشندي . مطبعة دار الكتب بمصر .
- ٥٣ — صحیح البخاری . مطبعة الحلبي ١٩٣٧٢ — ١٩٥٣ م
- ٥٤ — الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق الأستاذين علي البجاوي
ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٥٥ — طبقات الشعراء . ابن سلام . تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر . مطبعة
دار المعارف بمصر .
- ٥٦ — طبقات الشعراء . ابن المعتز . تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج .
دار المعارف .

- ٥٧ — العقد الفريد . ابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤١ — ١٩٤٩
- ٥٨ — فوات الوفيات . ابن شاكر . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١
- ٥٩ — القاموس المحيط . الفيروز آبادي . المطبعة الحسينية بمصر . ١٣٤٤ هـ .
- ٦٠ — الكامل في التاريخ . ابن الأثير . إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٥٣
- ٦١ — اللباب في الأساليب . ابن الأثير . القدس ١٣٥٧ هـ
- ٦٢ — لزوم ما لا يلزم . أبو العلاء المعري ، مطبعة الشرفيين الأدبية بمصر ، ١٩٣٥
- ٦٣ — لسان العرب . ابن منظور . المطبعة الأميرية ، ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ .
- ٦٤ — مجمع الأمثال . الميداني . المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٦٥ — المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي . المطبعة العثمانية ببلنجان ، ١٨٩٨ م .
- ٦٦ — مروج الذهب . المسعودي . المطبعة الهيئة المصرية ١٣٤٦ هـ
- ٦٧ — معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . العباسي . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر .
- ٦٨ — معجم الأدباء . ياقوت . طبعة (دار المأمون) بالقاهرة ١٣٥٥ هـ .
- ٦٩ — معجم البلدان . ياقوت . طبعة القاهرة ١٣٣٣ هـ .
- ٧٠ — مقامات الحريري . المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م
- ٧١ — الموازنة بين أبي تمام والبحتري . الأمدي . دار المعارف بمصر ١٩٦١
- ٧٢ — الموشح . المرزبانى . السلفية ١٣٤٣ هـ
- ٧٣ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء . الأنباري . طبع جمعية إحياء مآثر العرب .

- ٧٤ — النقائص . رواية أبي عبيدة . ليون ١٩٠٥ م .
- ٧٥ — النهاية . ابن الأثير . مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق بمصر ، ١٣١١ هـ .
- ٧٦ — الهاشميات الكميت . مطبعة شركة التمدن ١٣٣٠ هـ .
- ٧٧ — الوساطة بين المتنبى وخصومه . على بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى .
- ٧٨ — وفيات الأعيان . ابن خلكان . المطبعة الميمونية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٨٩ — بتيمة الدهر . الثعالبي . مطبعة الصاوى بالقاهرة ١٩٣٥ .
-

